

رفيع
عبد الرحمن النجدي
المؤلف والمترجم

سيرة الملك

للإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطروشني
٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

مَقَّهَ وَصَبَّهَ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَرَضِعَ مِنْ بَرَسِهِ

مُحَمَّدُ فَتْحِي أَبُو بَكْرٍ

تقديم
دكتور شوقي ضيف

المجلد الأول

الناشر
دار النهضة العربية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سيرة الملوك

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**

١٦ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - بريقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

رقم الإيداع : ٩٤ / ٣٩٦٣

التزقيم الدولي : 3 - 141 - 270 - 977

جمع : الخانجي

المعنوان : ١١ ش عبد العزيز - تليفون : ٣٩١٥١٤٨

طبع : المدني

العنوان : ٦٨ شارع العباسية

تليفون : ٨٢٧٨٥١

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا

وَصَارَ مُهَذَّبًا كَامِلًا

إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَهُ

وَلَمْ يَصِرْ مُهَذَّبًا كَامِلًا

أبو بكر الطرطوشي

تقديم

رفع
عبد الرحمن (النجمي) بقلم الدكتور شوقي ضيف
أسكنه الله الفردوس

من الكتب الطريفة في التراث الإسلامي كتاب سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي .
المولود بطرطوشة في الشرق الأعلى من الأندلس سنة ٤٥١ للهجرة ، وبها نشأ ، وأخذ
ما عند أبيه من الفقه والعلم ، ودفعه طموحه العلمي في شبابه إلى الهجرة منها إلى مدينة
سرقسطة عاصمة الإقليم ولقاء علمائها ، ولزم من بينهم الفقيه المالكي الكبير أبا الوليد
الباجي ، وأخذ عنه كتبه الكثيرة في الفقه والخلافات ، وأجاز له روايتها عنه ، وكان أبو
الوليد قد رحل إلى المشرق وأفاد منه علماً كثيراً ، فرأى - وهو في الخامسة والعشرين من
عمره - أن يحاكي أستاذه في ذلك ، فهاجر إلى المشرق سنة ٤٧٦ للهجرة ، وأدى فريضة
الحج ، وأخذ يرحل في البلاد ، فدخل البصرة وتلمذ لعلمائها ، ودخل بغداد ، وأقام بها
فترة متتلمداً لشيخوخ المدرسة النظامية بها التي أنشأها نظام الملك وزير ألب أرسلان
السلجوقي وابنه ملكشاه ، وتحول إلى دمشق ودرّس بها للطلاب ، ثم تركها واستقر
بالإسكندرية ، وبها اتسعت شهرته في علوم القرآن والفقه المالكي ومسائل الخلاف .
وقصده الطلاب من كل فج ، حتى كانوا يُعدّون بالمئات .

وكان الطرطوشي يعيش معيشة زهد وورع ، يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم ، ولما
أشرف وزير الفاطميين الأفضل بن بدر الجمالي (٤٨٧ - ٥١٥ هـ) في الظلم والطغيان
قَصَدَهُ في القاهرة ووعظه حتى أبكاه ، ويقال إنه تلقاه لقاءً حسناً ، غير أنه عاد فأمره أن

يظل في الفسقاط بعيدًا عن طلابه خشية إفسادهم على الدولة ، فظل بها إلى أن تُوفى الأفضل ، ورَدَّ الوزير الفاطمي الجديد المأمون البطاحي إليه حريته ، وأكرمه ، فعاد إلى الإسكندرية وإلى دروسه بها وطلابه .

وكان طغيان الأفضل الجمالي باعثًا له على تأليف كتاب في وعظ الملوك والحكام ، وبيان ما ينبغي أن يأخذوا به أنفسهم من العدل الذي لاتصلح حياة الرعية بدونه ، والسياسة الرشيدة الجامعة لمصالحها التي لاتستقيم حياتها بدونها ، سواء في تدبير الملك والحكم ونظامهما ، وقواعدهما السديدة في تدوين الدواوين ، ومعاملة الجند ، وفرض الأرزاق أو الرواتب ، وسيرة الولاة والعمال ، وجباية الأموال ، أو فيما يعترى الملك والسلطان من الاضطراب ، ومن الظلم وموقف الرعية منه وسوء عاقبته ، أو في الحروب ومكايدها وحسن تدبيرها ، أو في صلاح الملك والسلطان بالعلم والعقل الثاقب ، والخلائق السنية التي تستقيم بها دنيا الإنسان ودينه .

وقد وُزِعَ الطرطوشى مباحثه في كتابه إلى أربعة وستين بابًا وسماه : « سراج الملوك » ويقول في مقدمته : « إني نظرت في سير الأمم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول ، والتزموه من القوانين في حفظ النحل ، فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم ، خاصة من ملوك الطوائف وحكماء الدول ، فوجدت ذلك في ست من الأمم ، وهم العرب ، والفرس ، والروم ، والهند ، والسند ، والسند هند .. فنظمت ما أُلْقِيَتْ في كتبهم من الحكمة البالغة ، والسير المستحسنة ، والكلمة اللطيفة ، والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل ، والأثر النبيل ، إلى ما رويته وجمعته من سير الأنبياء عليهم السلام ، وآثار الأولياء ، ويزاعة العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن الذي هو بحر العلوم ، وينبوع الحكم ، ومعدن السياسات ، ومغاص الجواهر المكنونات .. الهادى من الضلالة ، والحاوى لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة .. » .

وهذه الكلمة لاتوضح تمامًا مصادر الطرطوشى في سراج الملوك ، حَقًّا أنه يستضيء دائمًا - كما قال - بآنى الذكر الحكيم ، ولكنه لم يُشر إلى مدى ما اقتبسه من الحديث النبوى وخطابة الرسول صلى الله عليه وسلم من وصايا وِحْكم جامعة ، وأيضًا فإنه لم

يفصل القول فيما أخذه عن العرب والفرس والروم ، ويحيل إلى الإنسان أنه نُثِرَ أمامه كل ما أثير عن العرب في جاهليتهم وإسلامهم من وصايا لحكمائهم وشعرائهم ، وكل ما دَوَّنوه من وصايا وعُظائم لخلفائهم وحُكامهم ، وكل ما سجلوه في كتبهم من مثل البيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبدبريه ، وغير ذلك من كتب جمع طرائفها ، مع ما قصَّته عن الأنبياء والزهاد وعلماء الأمة ، وما طار عن أفواههم من وصايا وحكم ، مع ما يحمل من بدائع الأخبار عن الخلفاء - وخاصة أبا جعفر المنصور العباسي والرشيد والمأمون - سوى ما يذكره من سياسة عمر بن الخطاب ، ومواعظ علي بن أبي طالب ، رضى الله عنهما ، ولم يترك كتاباً للهند مثل كيلة ودمنة ، ولا للفرس مثل التاج ، وأمثال بزرجمهر ، في صنوف الآداب ومكارم الأخلاق ، ولا سيرة لرسول مثل موسى وعيسى ويحيى بن زكريا ، ولا سيرة لفيلسوف مثل أفلاطون وأرسطا طاليس إلا انتخب من ذلك كله درراً رائعة .

وفي الكتاب ما يُصور بدقة تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسته لصحابته ، وتربيتهم تربية خلقية قوية ، وفيه ما يوضح سياسة حكام العرب العظام في تدبير شئون الحكم ، من أمثال أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، وأبي جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية ، ويسوق أخباراً طريفة عن بعض الوقائع الحربية الضخمة وحسن المكيدة فيها ، من مثل معركة الملك العادل ألب أرسلان السلجوقي مع إمبراطور دولة الروم الشرقية في بيزنطة : رومانوس ديوجين سنة ٤٦٢ للهجرة ، وكان الجيش السلجوقي لا يزيد عن اثني عشر ألف محارب ، في حين كان جيش الروم في حوالى مائتي ألف ، ووضع ألب أرسلان خطة لأسر إمبراطور الروم ، وتم له أسره سريعاً ، وتُوْدِي في الروم أن إمبراطورهم قُتل ، فتبدد جيشه والسيوف تعمل فيه وتُزَق كل مُمَزَّق .

ويسوق الطرطوشي ما يصور السياسة الحكيمة لوزيره وزير ابنه ملكشاه ونظام الملك في خير طويل يذكر فيه كيف استمال الأعداء ، واستعمل الأكفاء ، وأسس نهضة علمية عظيمة ، وما كان من إنشائه مدارسه النظامية المشهورة في أنحاء البلاد ، وإنفاقه السخي على العلماء وطلاب العلم ، وبناء الرباطات للعباد والزهاد ، وكان يتفق على كل ذلك ستائة ألف دينار سنوياً في جميع دولته ، من بيت المقدس إلى سمرقند ، فتم له بذلك حسن

السياسة ، وعم المشرق والمغرب ذكره . ويسوق الطرطوشي أخبارًا طريفة عن أنى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز في أثناء توليهم الخلافة ، وأنهم كانوا يتعَفَّقُون في الإنفاق على أنفسهم من بيت مال المسلمين ، ويقولون إنه مال الله ، وإن اضطرتهم الضرورة إلى أخذ شيء منه رَدُّوه إليه سريعًا ، واشتهر عن عمر بن الخطاب أنه كان لا يأكل في خلافته - وقد أصبحت خيرات الأرض في العراق وإيران والشام ومصر طوع يده ، لو شاء ، وأيدى العرب - إلا ما كان يأكله قبل خلافته من خبز الشعير والزيت واللحم المقدَّد الغليظ .

ويذكر الطرطوشي أخبارًا مختلفة عن سياسة حكام الأندلس الصائبة والمخططة ، مما لا نعتز عليه في كتب التاريخ ، من ذلك ما ذكره عن ملوك الروم المجاورين لهم في شمالى البلاد بالأندلس ، من أنه لم تكن لهم بيوت أموال ، فكانوا إذا غنموا شيئًا من المسلمين دخل سلطانهم الكنيسة وقسمه على رجاله بالقسطاس ، ويأخذ لنفسه مثل ما يأخذون ، وقد لا يأخذ شيئًا ، إذ كانوا يصطنعون الرجال ، أما سلاطين الأندلس فكانوا يَدَّخِرُونَ الأموال في بيوت المال ، ويُضَيِّعُونَ الرجال ، والدفاع إنما يكون بالرجال لا بالأموال .

ويوصى الطرطوشي مرارًا وتكرارًا في جباية الأموال من الرعية بالرفق ، فلا يأخذ الحاكم منها إلا ما فضل عن معاشها ومصالحها ، وخاصة زُرَّاع الأرض وفلاحها ، ويقول إنه سمع بعض شيوخ الأندلس يقولون : مازال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتقاص طالما كان الجباة يرفقون بالفلاحين ، حتى إذا اختلف الأمر في آخر أيام المنصور ابن أبى عامر وقُدِّم على الأرض جباة ظالمين يجبرونها ، فأكلوا الرعايا ، واجتاحوا أموالهم ، فتهاونت وضعفت عن عمارة الأرض ، وقُلَّت الجبايات ، وضعفت الأجناد ، وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ، ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها الملتصمون المغاربة بعد نحو قرن من الزمان .

ويتحدث عن أول وقعة للمسلمين في عهد أمراء الطوائف بين المستعين بن هود ، أمير سرقسطة المتوفى سنة ٤٣٨ للهجرة ، وبين ردمير ، ملك أرجون أمام مدينة وشقة ، ويقول إن العسْكَرَيْنِ كانا متكافئين ، غير أن المستعين لم يضع حُماة الرجال وكُماة الأبطال في القلب ، حتى يكونوا حصنًا للجناحين مادامت راياتهم تحفّق وطبوعهم تضرب ، واشتباك

العسكران منذ الصباح ، حتى إذا كان وقت العصر حمل الأعداء على جيش المستعين وصيروه شطرين ، وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم ، وملك العدو مدينة وشقة ، وكانت أول مدينة أندلسية إسلامية سقطت في حجر النصارى أول عهد ملوك الطوائف . ويصف الطرطوشى وقعة بين النصارى وأهل طرطوشة ردوهم فيها مدحورين لحسن ترتيب الجيش المعهود في الأندلس ، يقول : « أُرَجِّى تدبير فعله في لقاء عدونا (هناك) أن تقدم الرجال بالدِّرَق الكاملة ، والرماح الطوال ، والمزايق المسنونة النافذة ، فيصفوا صفوفهم ، ويركزوا مراكزهم ، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض ، وصدورهم شارعة إلى عدوهم ، وهم جاثمون في الأرض ، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى ، وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون الذين ترقى سهامهم من الدروع ، والحيل خلف الرماة ، فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتحزح الرجال عن هياتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه ، فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشَّاب والرجال بالمزايق وصدور الرماح تلقاهم ، فأخذوا يَمَنَّةً ويسرة ، فخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجال فتنازل منهم ما شاء الله » .

٣٤ وجوهان أساسيان في كتاب سراج الملوك هما : عَرَضُ سير الملوك والحكام الماضين وما أحكموه من السياسات في قواعد الحكم وأركانه ونظمه السديدة التى دبروا بها شئون الأمم السالفة ، بحيث سادَ فيها العدل والأمن والرخاء ، وعَرَضُ جوانب من ينابيع الحكمة والسياسة في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، مع كلمات جامعة للأنبياء والخلفاء والعلماء والحكماء والوعاظ ، مما ينبغى أن يتحلى به الحكام والناس في سلوكهم ، بحيث تطيب الحياة ويصلح المجتمع ، فلا تحاسد ، ولا تباغض ، ولا أثرة ، ولا غيبة ، ولا غيبة ، مع العفو والمغفرة عند المقدرة ، والعمل للدنيا والآخرة ، ومع الوفاء ، والحلم ، والصبر ، والعفاف ، والإنصاف ، والبر ، والتمسك بالخصال الحميدة ، والنفور من الخصال الذميمة . وَوَضَعَ ذلك كله تحت أعين الحكام في عصره ليتخذوا منه منارات هادية في حكمهم .. وأهدى الكتاب إلى المأمون البطائحي ، الوزير الفاطمى الذى عرف فضله ، ورد إليه حرته .

وإنما أطلت في عرض كتاب سراج الملوك لأدل - بوضوح - على قيمته في السياسة الرشيدة والتربية القويمة . وقد بذل الأستاذ محمد فتحى أبو بكر في تحقيقه له جهداً خصباً جديراً بكل تقدير ، فقد ظل سنتين يحقق نصوصه ، وأصيلاً كلال الليل بكمال النهار في تصحيحها وإصلاح ما دخل عليها من الغلط ، وخرّج ما فيه من آى الذكر الحكيم والأحاديث النبوية ، وحاول - بكل ما استطاع - أن يزيد الصحيح فيه صحة بضبط ألفاظه بالشكل ضبطاً كاملاً ، واستيفاء الشرح في الهوامش لما فيه من ألفاظ غريبة ، واستطاع أن يردّ نسبة كثير من الأقوال إلى أصحابها الحقيقيين ، وقام بوضع علامات الترقيم فيه ، وعمل فقرات لأبوابه تيسيراً على قارئه ، وترجم لأعلامه الكثيرين . وبذلك لم يكتف الأستاذ محمد فتحى أبو بكر بتحقيق ألفاظ سراج الملوك للطرطوشى وتصويبها ورد كثير منها إلى صورتها الأصلية ، بل أضاف إليها أيضاً فى هوامشه ما يزيدها بياناً ووضوحاً . وألحق بالكتاب فهرس متعددة لآى القرآن الكريم فيه ، ولالأحاديث النبوية ، وللأشعار ، وللأعلام الواردة فيه ، ولمصادره ومراجعته الكثيرة ، وبذلك مكّن للارتفاع بالكتاب والإفادة منه ، وهو خليف - لذلك كله - بالشكر والثناء .

* * *

القاهرة فى ٢١/٤/١٩٩١ م

شوق ضيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رفعه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
« مقدمة المحقق »

تنويه :

الحمد لله الذي وسع كل شيء علماً ، وأخصى كل شيء عدداً ، وهو بكل شيء محيط .. سبحانه ، ذو البهاء والمجد ، والكبرياء والحمد ، مالك الدنيا والآخرة ، يعجز عن إدراك كُنْه حقيقته العالمون والعارفون .. تعالى عن الشبيه والنظير .. له الكمال والجلال . والتقديس والتنزيه .. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين ... وبعد .

فما كدت أنتهى من تحقيق كتاب « أدب الدنيا والدين » حتى قَبَضَ الله لى علماً جليلاً ، له مكانته الأدبية الرفيعة فى حياتنا الأدبية المعاصرة ، لَفَتْ انتباهى إلى أهمية كتاب « سراج الملوك » وما فى نصوصه من جوانب جمالية ، لم تَلَقَ من العناية ما يليق بها لإبرازها وتقديمها للقراء بالصورة التى تجعلهم يفيدون منها ، ويعم بها النفع ، لذا دعانى هذا العالم الكبير إلى تحقيقه وشرحه غوامضه .. فمكثت أكثر من عامين مُتَكَبِّاً على أصوله ، إلى أن وفقنى الله تعالى إلى إخراجه بالصورة التى بين يديك ، والتى أرجو أن تكون قريبة من الكمال الممكن ، فالكمال المطلق لله وحده - عَزَّ وَجَلَّ - وهو صاحب الفضل أولاً وأخيراً فى إتمام هذا العمل بالصورة التى بين يديك ..

والآن - وقبل أن أتعرض لبيان أهمية هذا الكتاب - أقدم للقارئ أولاً صورة موجزة ووافية عن كاتبه ، من حيث : نسبه ، ونشأته ، ورحلاته ومكانته العلمية ، وأساتذته ، وتلاميذه ، ومؤلفاته .. إلى أن انتقل إلى جوار ربه .. وبعدها أتناول بالوصف هذا الكتاب ، والهدف من تأليفه وتنويه العلماء به ، ثم وصف مخطوطات الكتاب وطبعاته والمنهج الذى اتبع فى تحقيقه ، والمجهود الذى بُذِل فيه ، والله ولى التوفيق .

مؤلف الكتاب : نسبه ونشأته ^(١) :

هو العالم الفقيه ، والزاهد الورع محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب ، القُرَشَى الفَهْرِي الطُّرُوشِي ^(٢) المعروف بابن أبى رُندَقَة ^(٣) .

وُلد الطرطوشى فى مدينة طرطوشة سنة ٤٥٠ هـ (أو ٤٥١ هـ) ونشأ فى هذه المدينة الأندلسية الكبيرة ، مدينة تجارية عظيمة ، بها أسواق وعقارات وضياع ، ودرج فى

(١) انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٢ - ٢٦٥ وبغية المتلسم للنصبي ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٩ ترجمة رقم ٢٩٦ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ والصلة لابن بشكوال ج ٣ ص ٨٣٨ ، ٨٣٩ ترجمة رقم ١٢٧٧ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢ - ٦٤ والمغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ٤٢٤ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ مادة « طرطوشة » ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ وكشف الظنون لحاجى خليفة ج ٢ ص ٢٣ - وانظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى للدكتور جمال الشيال من ص ٥٠ - ١٠٠ وه أبو بكر الطرطوشى العام الزاهد الثائر ، للدكتور الشيال ، سلسلة أعلام العرب - العدد رقم ٧٤ وقد اعتمدت على هذين المرجعين فى كتابة هذه المقدمة وأشرت إلى ذلك .. وانظر تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى للدكتور السيد عبد العزيز سالم ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ط دار المعارف ، وأعلام التصوف الإسلامى لأحمد أبو كف - ط دار الهلال ، والعروة الوثقى العدد رقم ٣٢ ص ٥٣ - ٥٦ مقال للمرحوم محمد عبد الغنى حسن .

(٢) نسبة إلى طرطوشة ، بضم الطاءين المهملتين .. وفى معجم البلدان ونفع الطيب ، بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة ، والأول أشهر ، وبه جاءت أكثر المراجع .. وطرطوشة : مدينة بالأندلس ، كانت فى آخر بلاد المسلمين ، وهى شرقى بلبسية « و قُرطبة » وقرية من البحر ، وهى مبنية على نهر « أبره » . [انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ مادة « طرطوشة » ونفع الطيب ج ٢ ص ٢٩٦]

(٣) رُندَقَة ، بفتح الراء عند ابن خلكان والمقرئ ، وبضم الراء عند ابن فرحون ، وهى لفظة أجنبية ، وقد فسرها ابن خنكنا فقال : « إنها كلمة فرنجية معناها : تعال هنا .. » وقد حاول أحد المؤرخين الأسباب أن يبرر تفسير ابن خلكان فقال : إن الكلمة مكونة من لفظين ، الأول بمعنى : تعال ، أى أقبل ، وهى مأخوذة من الفعل الفرنسى « Rendre » والثانية بمعنى : هنا ، وهى بالأسبانية « acá » فإذا جُمعاً صار : « Rand - acá » .

[انظر مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٩١ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٥ وأبو بكر الطرطوشى لجمال الدين الشيال

ص ١٠] .

هذه المدينة ينعم بجمائها الطبيعي الملهم .. أمّا عن أسرته ، فلم تذكر المراجع التي أُرُخَتْ له حرفاً واحداً عنها ، فلا ندرى أكان أهله ذوى جاهٍ وسلطان ؟ أم كانوا من المشتغلين بالتجارة ؟ أم كانوا من رجال العلم ، ولذا نشأ فقيناً عالماً ؟ أم كانوا رجالاً حُرِّب ، خاصة أن الأندلس كانت تضطرم في ذلك الوقت بالفتن ، وتنتهبها الانقسامات ؟

ويروى الطرطوشى في كتابه « سراج الملوك » قصة عن فرد واحد من أفراد أسرته ، كان خالاً لوالدته ، يُدعى : ابن فرحون ، و نفهم من هذه القصة أن أسرة والدته كانت ذات جاهٍ في « سرقسطة » ونفهم منها كذلك أن بعض أفراد هذه الأسرة كانوا من رجال الحرب الشجعان المبرزين ، فهذه القصة تتحدث عن الشجاعة الخارقة لهذا الرجل ، وكيف كان يُقدَّر « المستعين » أبو « المقتدر » ويقربه ، ويغدق عليه العطايا ، ويعتز بشجاعته ، ويلجأ إليه في المُلِمَّات ^(١) .

أمّا عن والده ، فاسمه الوليد ، وينتهى نسبه إلى قريش ، فهو من أصل عرى واضح ، وأمّا ما ذكرته المراجع من كونه كان يُعرف بابن أوى رندقة ، فيقول الشيال : لعله كُنِيَ بهذه الكنية الفرغية في حياته لأمر لانعرفه يتصل بالمعنى الحقيقي لهذا اللفظ ^(٢) .

وأمّا عن مهنته ، فلسنا نعرف عنها شيئاً كذلك ، ولعله كان عالماً ، أو من المشتغلين بالعلم ، وأنه لهذا وجَّه ابنه هذه الوجهة التي يرضاها ، ولو كان تاجراً ، أو يمتن صناعة ما ، لنشأ ابنه - في الغالب - على منواله .. وأبو بكر الطرطوشى نفسه صرَّح في « سراج الملوك » - عندما فكر في الرحلة إلى المشرق لطلب العلم - أنه لم يكن يفقه شيئاً في التجارة ، وأنه لم يحترف حرفه ما - وكان يقول : « إذا ذهبْتُ نفقتى فماذا أفعل ؟ » .. وكانت هذه أكبر مشاكله ، فقد كان يشغل باله أن تنفذ هذه النفقة ، فهداه تفكيره أن يعمل حارساً للبلساتين ، ليفرغ في الليل لدراسة العلم .

(١) انظر سراج الملوك ، الباب الحادى والستين : في ذكر الحروب وتديروها .. وأبو بكر الطرطوشى للشيال

ص ٩ ، ١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١١ .

واعتماداً على ما جاء في كتاب « سراج الملوك » من قصص وروايات عن أفراد أسرة الطرطوشى ، فإن والده كان عالماً ، وكان على شئ من الثراء ، ولذلك استطاع الطرطوشى أن يعيش في وطنه حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وهو عالة على أهله ، يطلب العلم وهم يكفونه ، واستطاع قبل رحيله لطلب العلم أن يزود بنفحة وفيرة .

رحيله لطلب العلم وأساتذته :

بدأ الإمام الطرطوشى رحله العلم في مسجد طرطوشة الكبير ، وتلقى فيه علومه الأولى ، وتجمع المراجع على أن الطرطوشى قرأ الفرائض والحساب بوطنه ، ولم تذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم هذين العلمين . وفي صدر شبابه - وهو في سن العشرين أو نحوها - بدأ يتلمذ على أبى الوليد الباجى ، شيخ الأندلس وعالمها في ذلك الوقت دون منازع ، وصحبه في « سرقسطة » وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وسمع منه وأجازه .

وذكر المقرئ في كتابه « نفع الطيب » وابن خلكان في « وفيات الأعيان » أن الطرطوشى قرأ الأدب على أبى محمد بن حزم بمدينة « أشبيلية »^(١) ولسنا نميل إلى تصديق المقرئ في ذلك ، لأن ابن حزم توفى سنة ٤٥٦ هـ ولم يكن الطرطوشى في هذه السنة قد جاوز الخامسة أو السادسة من عمره ، ولا يعقل أن يرتحل الطرطوشى في هذه السن الصغيرة إلى « أشبيلية » وأن يتلمذ على ابن حزم ويأخذ عنه الأدب أو يفقهه ، وربما يكون قد قرأ كتبه في الأدب بعد ذلك بنفسه ، أو على واحد من تلاميذ ابن حزم ، ومن هنا ذكر أنه تلميذ لابن حزم في الأدب .

الطرطوشى في مكة :

وفي سنة ٤٧٦ هـ غادر الطرطوشى وطنه - وهو في الخامسة والعشرين من عمره - ليمد رحلته إلى الشرق ، ولم تذكر المراجع التي أُرُخَتْ له أى طريق سلك في هذه الرحلة . هل سلك طريق البحر أو طريق البر ؟ ولم تذكر أيضاً أى البلدان أو الأقطار زار في

(١) انظر نفع الطيب ج ٢ ص ٢٩٦ وأعلام الإسكندرية في العصر الإسلامى ص ٥٣ .

طريقه .. ولكننا تلقاه في « مكة » وقد أذى فريضة الحج ، واستقر بها قليلاً يلقي بعض الدروس .. فقد روى مواطن من مواطنيه ، زامله في شبابه الأول ، وتلمذ معه في « سرقسطة » على ألى الوليد الباجي - أنه رآه في « مكة » ، واستمع إلى بعض دروسه هناك .. هذا المواطن هو القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن فرو الصدقي ، قال : « صحبتُهُ عند الباجي ، ولقيته بمكة ، وأخذت عنه أكثر السنن لأبي داود التُّسْتَرِي » .

الطرطوشي في بغداد :

ولم يمكث الطرطوشي في مكة طويلاً ، بل استأنف رحلته واتجه إلى بغداد ، فإن مواطنه وزميله أبا علي الصدقي الذي قابله في « مكة » يستطرد في حديثه عنه فيقول : « ثم دخل بغداد وأنا بها » .

وكانت بغداد في ذلك الوقت مركزاً من « دبر مراكز العلم في العالم الإسلامي ، وكانت مَحَطَّ رِحَالِ العلماء ، يقدون عليها من أقصى المشرق ومن أقصى المغرب ، فكان لأبي بكر الطرطوشي - وقد رَضِيَتْ نفسه بأداء فريضة الحج - أن يرحل إليها ليستكمل دراسته ، ويتصل بعلمائها الأعلام ، ويتلمذ عليهم ، ويأخذ عنهم .. وكان على أمور الشرق في ذلك الوقت « نظام المُلْك » وزير المَلِكَيْنِ السلجوقيين : ألب أرسلان ، وملك شاه .. وهو وزير عالم ، يحب العلم والعلماء ، ويقربهم إليه ، ويُعْذِقُ عليهم العطايا .. وقد شهد الطرطوشي أثناء مُقامه في بغداد آثار هذه السياسة العلمية الحصيفة التي اصطنعها لنفسه وللدولة ، وأشاد بذكرها في « سراج الملوك » ^(١) .

وأخص ما يذكر به « نظام الملك » في التاريخ أنه مُنْشِئ المدارس في العالم الإسلامي ، فقد كانت المساجد إلى عصره هي معاهد العلم ، فيها تعقد حلقاته ودروسه ، فكان « نظام الملك » أول من أنشأ معاهد مستقلة للتعليم ، يتفرغ فيها الطلاب للتعليم ، والمدرسون للتدريس ، وأوقف الأوقاف الكثيرة للصرف عليها وعليهم ، وأسمائها : المدارس .

(١) انظر « سراج الملوك » ، الباب الثامن والأربعين في سيرة السلطان في بيت المال .

وحملت كل مدرسة منها اسمه ، فكانت تسمى « النظامية » ، وكان أكبرها وأشهرها المدرسة النظامية ببغداد ، التي بُنيت قبل وصول فقيها أبي بكر الطرطوشي إلى بغداد بسنوات قليلة ، وقد شهد الطرطوشي نظامية بغداد وهي في أوج عظمتها ، وتلمذ بها ، ووصفها ، وذكر قصة بنائها في هذا الكتاب ^(١) .

وكان أول من عُيِّن للتدريس بها أبو نصر عبد السيد بن محمد الصباغ ، ثم تولى منصب التدريس بها عدد من كبار الفقهاء الشافعية ، من أمثال أبي إسحاق الشيرازي ، وأبي سعد عبد الرحمن بن مأمون المتولي ، وأبي بكر بن محمد بن أحمد الشاشي ، وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي .

وبرغم أن الطرطوشي كان مالكي المذهب ، فقد تلمذ على معظم هؤلاء الفقهاء الشافعية ، وعلى بعض فقهاء الحنابلة .. قال ياقوت في معجم البلدان عن أبي بكر الطرطوشي : « ... دخل بغداد والبصرة فتفقه على أبي بكر الشاشي ، وأبي سعد بن المتولي ، وأبي أحمد الجرجاني أئمة الشافعية ، ولقي القاضي أبا عبد الله الدامغانى ، وسمع بالبصرة من أبي علي التستري ، وسمع ببغداد من أبي محمد رزق الله التميمي الحنبلي ، وغيرهم » ^(٢) .

وكان رجال هذه المدرسة جميعاً ، الذين تعاقبوا على التدريس بها ، والذين أخذ عنهم الطرطوشي ، من العلماء البارزين الذين تجمع المصادر على وصفهم بالفضل والعلم والتقوى ، والقدرة على التأليف والإنتاج . واندمج أبو بكر الطرطوشي في هذه الحياة العلمية النشطة في بغداد ، واستمع إلى هذه النخبة الممتازة من العلماء الأجلاء ^(٣) .

اتجاه الطرطوشي إلى التصوف :

وفي بغداد أيضاً اتجه أبو بكر الطرطوشي إلى التصوف ، حيث كان الفكر الصوفي

(١) المصدر السابق ، الباب نفسه .

(٢) أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ص ٦٠ ، ٦١ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ مادة « طرطوشة » .

(٣) أمّا أبو إسحاق الشيرازي فكان إمام وقته ببغداد ، وروى الطرطوشي نفسه شعراً - قاله غيره - يصف الشيرازي بالذكاء المتوقد ، قال :

تراه من الذكاء تحيف جسمه عليه من توقده دليل
إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضيره الجسم النحيل

متأصلاً على يد أقطابه ، وقد درس التصوف هناك ونبع فيه ، حتى عدَّه من تحدث عنه من المتصوفة الزاهدين ، ولا غرابة في ذلك ، فإن الحياة التي كان يحياها في بغداد ، وما شاهده فيها من زهد ، وتقشف العلماء الذين أخذ عنهم ، قد أثرت فيه تأثيراً كبيراً ، فقد كانوا ورغم تضلُّمهم في الفقه والعلوم الدينية - من المتصوفة الذين يعتقدون أن الحياة نعيم زائل ، وكانوا يفرغون حياة كلها زهد وتقشف وعبادة وذكُر لله ، هذا بالإضافة إلى الشعر الذي سمعه من شيوخه العراقيين ، ورواه عنهم فيما بعد في « سراج الملوك » يضرب كله المثل بالأُم الغابرة ، و ما بُنَتْ من قصور ، وما زُيِّنَتْ من عمائر ، وكيف انتهى كل هذا الزخرف إلى زوال ^(١) .

وسيلتزم الطرطوشي ، منذ يغادر العراق ، وفيما يقبل من أيامه ، هذه الحياة ، حياة الزهد والبعد عن مباحج الدنيا .

الطرطوشي في البصرة :

زار الطرطوشي - أثناء مقامه في العراق - مدينة البصرة ، وقضى فيها

= أما أبو بكر الشاشي فنصفه المراجع بأنه كان فخر الإسلام ، وفقه بغداد ، وقد تلمذ على أبي إسحاق الشيرازي ، ثم انتهت إليه رئاسة الطائفة الشافعية ، وله تصانيف حسنة ، وتعين في الفقه بالعراق بعد أستاذه أبي إسحاق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٥٠٤ هـ .

ووصفت المراجع أبا نصر بن الصباغ بأنه كان فقيه العراقيين في زمنه . وكان بضاهي أبا إسحاق الشيرازي ، وكان ثقة صالحاً ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية أيضاً أول ما فتحت ، ولما توفى أبو إسحاق الشيرازي أعيد للتدريس بها .

أما حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، فيصفه ابن خلكان بأنه لم يكن للطائفة الشافعية آخر عصره مثله .. والمراجع أن الطرطوشي لم يتصل به ولم يأخذ عنه ، فقد عُيِّنَ الغزالي للتدريس في نظامية بغداد في سنة ٤٨٤ هـ بعد خروج الطرطوشي منها ، ولكنَّ العالمَين الكبيرين سيتقابلان معاً في الإسكندرية ، وستنشأ بينهما خصومة علمية سيكون ذا شأنها .

[أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ص ٦٢ وأبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد ص ٢٠ ، ٢١]

(١) روى الطرطوشي - في هذا الكتاب - حديثاً جرى بينه وبين أحد العراقيين ، هو كيانه هراً ، قال : هـ وهأنذا أحكي لك أمراً أصابني وطيشَ عقلي ، وتبلَّلَ فكري ، وقطع نياط قلبي ، فلا يزال يراه حتى يواريني التراب ، وذلك أن كنت يوماً بالعراق ، وأنا أشرب ماءً ، فقال صاحب لي - وكان له عقل : يا فلان ، لعل هذا الكوز الذي نشرب فيه الماء قد كان إنساناً يوماً من الدهر ، فمات ، فصار تراباً ، فاتفق للفخاري أن أخذ تراب القبر وضربه خزفاً ، وشواه بالنار ، فانتظم كوزاً كما ترى ، وصار آنية يُمتَهَنُ ويُستخَمُ بعد أن كان بشرّاً سيئاً يأكل ويشرب وينعم ويلذ ويغرب

وقتاً ، وتعلم هناك على أُنَى عليّ محمد بن أحمد التُّسْتَرِيّ ، ثم يم وجهه شطر قطر آخر ، هو الشام ، ولسنا نعلم على وجه التحديد : كم سنة بقي الطرطوشي في العراق ، ولكننا نستطيع أن نستنتج أنه لم يقيم به طويلاً ، فهو قد بدأ رحلته من المغرب سنة ٤٧٦ هـ - كما ذكرنا - فلا بد إذن أنه وصل إلى العراق في أواخر سنة ٤٧٧ هـ ، أو أوائل سنة ٤٧٨ هـ ونحن نعرف أن عددًا كبيرًا من شيوخه توفي في المدة بين سنتي ٤٧٨ هـ و ٤٧٩ هـ ، وأبو علي التستري توفي سنة ٤٧٩ هـ ، وأن الطرطوشي غادر العراق في سنة ٤٧٩ هـ أو سنة ٤٨٠ هـ ، وقد بلغ الثلاثين من عمره ^(١) .

الطرطوشي في الشام :

دخل أبو بكر الطرطوشي الشام بعد أن أتم دراسته ، وبعد أن حصّل من العلوم ما حصّل ، وبعد أن بلغ من النضج الفكري درجة تؤهله للتدريس لينفع الناس بعلمه ، وبعد أن كوّن لنفسه فلسفة خاصة قوامها الزهد ، والسعى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد أجمعت المراجع التي ترجمت له أنه قضى الفترة التي عاشها في الشام يُعَلِّمُ

= هذه النظرة الفلسفية العميقة إلى الإنسان وحقيقته ومصيره : كيف تُخلق ؟ ومِمّ تُخلق ؟ وكيف ينتهى ؟ وإلى أين يصير ؟ .. هذه النظرة الفلسفية هزت كيانه وجعلته يدرك ما وراءها من حقيقة ، فاستطرد في حديثه يؤكد عليها وتحليلها تحليلًا يؤكد إيمانه بها .. قال :

« فإذا الذي قاله - أى صاحبه - من الجائزات ، فإن الإنسان إذا مات عاد تراباً كما كان في النشأة الأولى ، ثم يتفق أن يُخْفَرَ لَحْدُهُ ، ويُعَجَّنَ بالماء ترابه ، فيُتخذ منه آنية مُصْنَعَةٌ في البيوت ، أو لبنة فنيى في الجدار ، وقد يجوز أن يُغرس عند قبره شجرة ، فيستحيل تراب الإنسان شجرة وورقاً وثمرَةً ، فترعى البهائم أوراقها ، ويأكل الإنسان ثمرها ، فيبت منها لحمه ، ويُشرب منها عظمه ، أو تأكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم ، فبينما كان يقات صر قوتاً ، وبينما كان يأكل صار مأكولاً ، ثم يعود في بطن الإنسان رجيعاً فيقذف في بيت الرحاضة ، أو بعرأ يُنبذ بالمرء ، ويجوز إذا حُفِرَ قبره أن تسفى الريح ترابه فتتفرّق أجزاؤه في بطون الأودية والتلول والوهاد ... » .

هذا الحديث الذي أُلْقِيَ إلى الطرطوشي أثناء مقامه في بغداد ، وهذا التعليق الذي راح يحلل به الحديث يؤكد في « سراج الملوك » ، وهذه اللقطة جعلته يُكوّن لنفسه فلسفة خاصة بدأ يعتنقها في ذلك الحين ، هي فلسفة الزهد والعزوف عن اللذات والشهوات ، والجرأة على كل كبير في سبيل الحق ، وفي سبيل تدعيم أوامر الله - سبحانه وتعالى - فهو ينظر إلى كل كبير بهذه النظرة التي لا ترى فيه قُوته وسلطانة وجبروته ، ولكنها ترى فيه قيمته ومصيره ، وأنه لن يكون بعد الموت إلا كوراً يُشْتَرَبُ فيه الماء ، أو ما يشبه ذلك ممّا تقدم !!

[انظر المرجعين السابقين]

(١) المرجعين السابقين .

الناس ، فأقبلوا عليه ، وأحبوه ، وأفادوا من علمه ، فعلا اسمه ، وبُعِدَ صيته ، وأنه عاش هناك متقشفاً عابداً زاهداً ، منقبضاً عن الناس ، إذا أَكَلَ أَكَلَ في شقف من الفخار .. وكان أصحاب الحكم والسلطان .. يسعون إليه وإلى برّه ، ولكنه كان ينصرف عنهم ، ويشدد عليهم في القول وإسداء النصيحة ^(١) .

ويبدو أن نفسه الأنيّة ، وصراحته ، والتزامه القول الحق أثارت ضده بعض الشائنين والحاسدين من أهالي بيت المقدس ، فسعوا به لدى حاكمها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منه ، واستدعاه الحاكم إليه ، فلم يَأْبَهُ لدعوته ، ورفض أن يذهب ، وراموا القَصْرَ من حاله فلم ينقصوه قُلامَةً ظَفَر ^(٢) .

ويذكر « الضيّ » في كتابه « بُغْيَةُ المَلْتَمَس » أن من بين الدوافع التي دفعت الطرطوشي لزيارة بيت المقدس ، رغبته في مقابلة أبي حامد الغزالي ، فقد فاتته رؤيته في بغداد - كما سبق أن أشرنا - لأن الطرطوشي ترك بغداد حوالي سنة ٤٨٠ هـ قبل أن يصل إليها الغزالي ، وقبل أن يُعَيِّنَ مدرساً بالنظامية ، فقد عُيِّنَ بها سنة ٤٨٤ هـ .

وكان الغزالي في هذه الفترة يعاني من محنة نفسية ، ويقضي وقته - سواء في دمشق أو في بيت المقدس - منعزلاً عن الناس في مئذنة الجامع الأموي بدمشق ، أو في قُلل الجبال ، يتعبد وحده ، ويحاول أن يصل إلى الحقيقة عن طريق التصوف والذوق وذكر الله ، بعد أن عجز عن الوصول إليها عن طريق العقل والفلسفة ، وآراء الفقهاء ، وأصحاب الحِلل والنُحل المختلفة .. ولم يكد الغزالي - آن ذاك - يعلم بمقصد الطرطوشي ووصوله إلى بيت المقدس ، حتى بَعُدَ وترك المدينة ، ولم يُمَكِّنْهُ من مقابلته .

(١) قال عنه ابن فرحون: « .. وسكن الشام مُدَّة ، ودُرِسَ بها ، ولازم الانقباض والجماعة ، وبُعِدَ صيته هناك ، وأخذ عنه الناس هناك علماً كثيراً ، وكان إماماً عالماً ، عاملاً زاهداً ، ورِعاً ذنباً ، متواضعاً متقشفاً ، مُتَقَلِّلاً ، من الدنيا ، راضياً باليسر منها ، وتقدَّم في الفقه مذهباً وعلاقاً .. وكان له - رحمه الله - نفسٌ أَيْبَةً ، قيل إنه كان بيت المقدس يطبخ ل شَقَف ، وكان مُجَانِباً للسلطان ، مُعْرِضاً عنه وعن أصحابه ، شديداً عليهم مع مبالغتهم في برّه ، (٢) للرجوع السابقين - ومعجم البلدان مادة « طرطوشة » .

وأقام الطرطوشي مُدَّة في بيت المقدس - كما ذكرنا آنفاً - ثم تركها إلى جبل لبنان ، فقضى به مدة أخرى .. ولسنا نعرف أى المدن الشامية زار الطرطوشي - غير بيت المقدس وجبل لبنان - ولكن من المرجح أنه زار دمشق وأقام بها ، وأنه طَوَّف في معظم مدن الشام الأخرى ، وأنه ذهب في تطوافه إلى أقصى الشمال ، فزار حلب ، ثم انحدر منها إلى أنطاكية في أواخر عام ٤٩٠ هـ وفي هذه السنة كانت الحملة الصليبية الأولى التي وفدت على الشرق ، واستولت على مدن الشام الشمالية الواحدة بعد الأخرى ، وظلت تحاصر مدينة أنطاكية نحو ثمانية أشهر إلى أن سقطت في جمادى الأولى سنة ٤٩١ هـ .

وأغلب الظن أن هذا الحادث الخطير ، واستيلاء الصليبيين على سواحل الشام كلها ، وبيت المقدس في السنة نفسها ، هو الذى دفع الطرطوشي إلى ترك الشام ، وأنه غادرها منذ ذلك الحين واتجه إلى مصر ، و نزل - أول منازل - في مدينة « رشيد » ثم غادرها إلى مدينة « الإسكندرية » حيث اتخذها مقراً له بعد أن قضى في الشام حوالى عشر سنوات يطوف بمدنه الكبرى ، فإنه وصل إليه حوالى سنة ٤٨٠ هـ وهو في الثلاثين من عمره - وغادره سنة ٤٩٠ هـ - وهو في الأربعين من عمره ^(١) .

الطرطوشي في مصر :

تذكر المراجع أن الطرطوشي وصل إلى مصر وبها الوزير الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالى الذى ولى الوزارة بعد وفاة أبيه في سنة ٤٨٧ هـ وصحب معه عابداً يُعرف بعبد الله السائح ، تعرّف عليه في جبل لبنان أثناء إقامته هناك ^(٢) يقول الضبى :

« وركبا الطريق إلى مصر حتى وصلا إلى رشيد ، وأقاما هناك ، فإذا - احتاجا إلى قوتٍ جمعا من حَطَبٍ أو ملح ، فباعا ما يحملانه من ذلك على ظَهْرَيْهِمَا وَتَقَوَّتا بَنَمَتِهِ . وبقيا هناك - أى في رشيد - مدة ، إلى أن قَتَلَ العبيدُ - صاحبُ مصر - جماعةً

(١) انظر المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال - المصدرين السابقين .

(٢) كان رجلاً من أولياء الله المنقطعين إلى الله تعالى ، وكان الطرطوشي يعز بصدقة هذا المتعبد الزاهد ، فعقد البيعة على اصطحابه معه إلى مصر ، ولكن هذا الشيخ رفض ، واحتج بأنه يعيش حيث يعيش في المباح من غمر الأشجار ، ويأكل الحلال ، ولذلك يتمكن من التفرغ للعبادة ، ولا يضمن أن يجد مكاناً آخر تتوفر فيه هذه الشروط . =

من فقهاء الإسكندرية لسبب يطول شرحه ، ولم يبقَ مَنْ يُشار إليه ، وسمع أهل الإسكندرية بكون الفقيه « الطرطوشى » برشيد ، فركب إليه قاضيا يستدعيه إليها .

الطرطوشى فى الإسكندرية :

جاء وفد الإسكندرية - المكون من أعيانها ، يتقدمهم قاضى المدينة ابن حديد - إلى رشيد ، وظلوا يبحثون فيها عن أى بكر الطرطوشى إلى أن رأوه مُقبلاً عليهم من أطراف المدينة ، وفى صحبته الشيخ الزاهد عبدالله السامح ، وكل منهما يحمل على ظهره حزمة من الحطب .. وألقى الطرطوشى ما على ظهره وجلس يستمع إلى رجال الوفد السكندري ، فأخبروه بما وصلت إليه أحوال المدينة ومجالس العلم بها ، وألقوا إليه رغبتهم فى أن ينتقل معهم إلى الإسكندرية ليفيدوا من علمه ^(١) .

= يقول الضبى : « ... ثم أراد الحافظ أبو بكر - الطرطوشى - أن يقصد مصر ، فعرض على أبى محمد السامح صحبته والمشي معه ، وقال له : أنت ها هنا بمعزل ولاتلقى أحداً ولا يلقىك ، وإن مثَّ لم تجد مَنْ يُواريك ، وفى مخالطة الناس ومقابلتهم ، ونشر العلم ، وحضور الجماعة فى الجمعة مالا يخفى عليك .. فقال له عبد الله : أنا ها هنا أكل الخلال ، وأعيش فى المباح من ثمر هذه الأشجار ، ولا أجد فى غير هذا الموضوع من المباح ما أجد فيه .
فالطرطوشى يلتزم بما يلتزم به المتصوفة من إقبال على الزهد والتقشف ، والعبادة وذكر الله ، ولكنه لا يؤمن بما يؤمن به بعضهم من العزلة والبعد عن الناس ، بل هو يرى أن الخير - كل الخير - فى مخالطة الناس ومقابلتهم ، ونشر العلم ، لهذا لم يزل بصديقه السامح يحاوره ويحاول أن يقنعه بالرحلة معه إلى مصر ، فقال له إنه يعلم أن بمصر مدينة تُسمى « رشيد » فيها من الشُباح الذى ينشد : الملح والحطب ، وأنهما يستطيعان أن يجمعا من هذين المباحين ما يُمكنهُمَا من العيش .. وكان الشيخ عبد الله السامح يعلم أن صديقه « الطرطوشى » رجل فقيه ، يشتغل بالتدريس ، ويجب أن ينفع الناس بعلمه ، والناس يُقبل دائماً عليه ، فأعلن لصديقه خوفه أن يدفعه هذا النوع من الحياة إلى البعد عنه ومفارقته ، وبذلك يكون قد تجشم مشقة الانتقال من لبنان إلى مصر بدون مبرر .. ولكن الطرطوشى طمأنه ، وعاهده ألا يفارقه أبداً .

[انظر المصدرين السابقين] .

(١) كانت « الإسكندرية » وقتها تعيش فى حالة من الرعب والفزع شديدة ، وكانت الشعائر الدينية فيها معطلة ، وكان علماءها مضطهدين ، لا يستطيعون الجهر بالعلم أو بالقول ، لأن الغالبية العظمى منهم يتبعون المذهب المالكي ، فى حين كان المذهب الشيعى هو المذهب الرسمي للدولة .

وكانت الإسكندرية أيضاً وشبكة الخروج من أزمتها خطيرة ، بدأت بالجماعة الكبرى التى حدثت فى عهد الخليفة المستنصر ، نتيجة قصور فيضان النيل سبع سنوات ، فاشتد الغلاء ، وانتشر الوباء حتى غمَّ مصر كلها ، وانتشرت الفتن ، فاستعان الخليفة المستنصر بواليه على عكا « أمير الجيوش بدر الجمالى » ، فاستدعاه إليه ، وعينه وزيراً ، وعهد إليه بمعالجة الأزمة ، والقضاء على المشاغبين ومثرى الفتن .

وبدأ بدر الجمالى فى سنة ٤٦٧ هـ بالبلاد الواقعة شرقى فرع دمياط ، وتبعَ المُفسدين وقضى عليهم ، ثم انتقل إلى البحيرة والإسكندرية ، وكانت طائفة « الملحية » - وهى إحدى طوائف الجيش الفاطمى - قد أثارت الفتنة فى

وتجددت المشكلة القديمة ، فالطرطوشى لا يريد مفارقة أخيه السامع ، والشيخ الزاهد لا يريد مغادرة رشيد ، فهو فى الإسكندرية لا يستطيع أن يعيش فى الحلال ويأكل المباح كما يفعل فى رشيد ، ولكن وفد الإسكندرية لم يعجز عن إيجاد حل لهذه المشكلة .. ورحل الاثنان إلى الإسكندرية .

استقر بالطرطوشى المقام فى الإسكندرية ، واخذها وطناً ثانياً ودار مقام ، وبدأ يُدرّس وينشر العلم على مذهبه - مذهب الإمام مالك - وتقاطر الناس على حلقاته يأخذون عنه ، ويقروون عليه ، ويفيدون من علمه .. ولم يلبث إلا قليلاً حتى عُرِف واشتهر ، واجتذب الطلاب والعلماء إلى حلقات درسه .. ونزوح بعد قليل من سيدة تقيّة فاضلة ذبّته ، من بيت من أكبر بيوت الإسكندرية - وقت ذاك - فضلاً وعلماً وجاهاً وثروة ، بيت بنى عوف ، فهى خالة فقيه الإسكندرية وكبير علمائها أبى الطاهر بن عوف - تلميذ

= المدينة وأعلنت العصيان ، فحاصر بدر الجمالى الإسكندرية أباناً إلى أن استولى عليها عنوة ، وقتل من « المنحية » عدداً كبيراً .

وفى سنة ٤٧٧ هـ - أى قبل وصول الطرطوشى إلى الإسكندرية بنحو ثلاثة عشر عاماً - خرج على « بدر الجمالى » ابنه الأوحى ، وانضم إلى جماعة من العسكر والعربان ، ولجأ إلى مدينة الإسكندرية وتحصن بها ، فسار إليه أبوه ، وحاصره مدة ، وألح عليه بالقتال حتى هزمه ، ودخل المدينة .

وعند موت الخليفة المستنصر فى سنة ٤٨٧ هـ - أى قبل وصول الطرطوشى بنحو ثلاث سنوات - بادر وزيره الأفضل شاعشاه بن بدر الجمالى ، فأجلس أبى القاسم أحمد - أصغر أولاد المستنصر - على عرش الخلافة ، ففضب الابن الأكبر « نزار » وقرّ إلى الإسكندرية ، وفى صحبته ابن مصال ، أحد قواد الدولة ، وفى الإسكندرية اتصل « نزار » بالأمر « أفتكين » والى المدينة ، ووعده أن يوليه الوزارة إن هو وقف إلى جانبهِ ، فاستجاب « أفتكين » لدعوته ، وأقنع سكان الإسكندرية بمبايعته .

وخرج الوزير الأفضل شاعشاه بجيش من القاهرة ، واتجه إلى الإسكندرية ، وجرت بين الفريقين حروب انتصر فيها « نزار » . وعاد الأفضل إلى القاهرة ، وقوى أمر « نزار » واستولى على بلاد الوجه البحرى .. ولكن الأفضل جهز جيشاً جديداً ، وحاصر الإسكندرية حصاراً شديداً ، فاشتد الضيق بنزار وصحبهِ ، فجمع ابن مصال ماله وقرّ إلى البحر إلى بلاد المغرب ، فقتل ذلك فى عسده « نزار » ، وانتهى الأمر بهزيمة ، ودخل الأفضل الإسكندرية ، وقبض على « نزار » ، وأرسله إلى القاهرة حيث قتلهُ بها .

وأصاب الإسكندرية - من هذا النزاع ومن هذا الحصار والقتال - كثير من التخریب ، وانتقم الأفضل من أهلها انتقاماً شديداً لتأييدهم لنزار ، ومبايعتهم له بالخلافة .. ويسو أن انتقامه كان عيقاً صارماً ، حتى إنه قتل عدداً من علمائها ، لذا تعطلت الشعائر الدينية فيها ، ولم تقم الجمعة فى مساجدها .. وكان نزول الطرطوشى بالإسكندرية إثر قتل الأمير بها علماءها ، فوجد البلد عاطلاً من العلم ، فأقام بها ، وبثّ علماً جماً .

[جمال الدين الشيال : المرجعين السابقين]

الطرطوشى وخليفته فيما بعد - وكانت متزوجة قبله .. فأطلقت يد الطرطوشى فى أموالها ، وتحسنت أحواله ، ووهبت له داراً من أملاكها ، جعل سكنه معها فى الدور الأعلى ، واتخذ من الدور الأسفل مدرسة يلقي فيها دروسه ، ويستضيف فيها طلاب العلم من الغريباء الوافدين على الإسكندرية .

موعظة الطرطوشى للأفضل الفاطمى ^(١) :

وبعد أن استقرت الحياة بالطرطوشى فى الإسكندرية خرج لزيارة العاصمة « القاهرة » وهناك ذهب لزيارة الوزير الكبير ، صاحب السلطان الأعلى ، الملك الأفضل شاهنشاه ، وذهب لزيارته بعد أن سمع عن جبروته وقوته وسلطانه ، لا ليسأله منحة أو عطية ، ولا ليقدم له المدح ويشيد بذكره ، بل لينصحه نصيحة العلماء المخلصين ، وليعظه الموعظة الحسنة ، وليطلب منه الرفق بالرعية ، وإشاعة العدل بينهم ، وفتح قصره لكل شاكٍ أو متظلم ، ولم يكن هذا غريباً من الطرطوشى ، العالم الزاهد الجرىء ، الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، والذى لا يخاف صاحب السلطان ولا يباه ، فهو الذى وصفه ابن فرحون بأنه كان أبى النفس ، والذى وصفه المقرئ بأنه كان قوَّالاً للحق .

وقد أثبت الطرطوشى موعظته هذه للأفضل فى « سراج الملوك » وما جاء فيها :
« أيها الملك .. إن الله تعالى أكرم الورى طاعتك ، فلا يكوننَّ أحدٌ أطوعَ لله منك .. وإن الله تعالى أمر عباده بالشكر ، وليس الشكر باللسان ، ولكنه بالفعال والإحسان ، قال تعالى : ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ .

(١) كانت زيارة الطرطوشى للأفضل بعد أن استقر به المقام فى الإسكندرية مدة طويلة ، تزوج خلالها وأنجب .. وهذه « الموعظة » إن دلت على شئ ، فهى تدل على جرأة الرجل فى الحق ، وهى خير شهادة له على ذلك . ولم يرو لنا الطرطوشى كيف تقبل « الأفضل » هذا الحديث ، وأغلب الظن أنه هزَّ كيانه هزاً ، وأنه استكره فيما بينه وبين نفسه ، وإن كان قد تظاهر بقبوله قبولاً حسناً ، فإن الرجل المستبد يأنف عادة من النقد ، ونستهويه آيات المدح .

[انظر المصدرين السابقين]

وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْمُلْكَ الَّذِي أَصْبَحَتْ فِيهِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيْمَا خَوَّلَكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُ عَنِ النَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَالْفَتِيلِ ، وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آتَى مُلْكَ الدُّنْيَا بِخِذْفِيرِهَا سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَسَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وَالْوَحُوشَ وَالْبِهَائِمَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ فَقَالَ لَهُ : ﴿ هَذَا عِطَاؤُنَا فَاغْنُ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فَوَاللَّهِ مَا عَظَّمَهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدَتْقُمُوهَا ، وَلاحِسِبَهَا كِرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَكْرًا بِهِ فَقَالَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ فَافْتَحَ الْبَابَ ، وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَائْتَصَرَ الْمَظْلُومَ ، أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى مَا قُلَدَكَ ، وَجَعَلَكَ كَهْفًا لِلْمَلْهُوفِ ، وَأَمَانًا لِلْخَائِفِ .. » .

هكذا خاطب الطرطوشي العالم الزاهد ، الملك الأفضل ذا الحَوْل والطَّوْل ، وهو في أوج سلطانه وعظمته ، والكل يأتمرون بأمره ، حتى خليفته « الأمر » نفسه .

الطرطوشي وابن حديد :

عاد الطرطوشي إلى الإسكندرية ليستأنف سيرته الأولى ، وليفرغ للعلم والتعليم ، وتكاثر طلابه ، وأقبلوا على دروسه ، وأحبوه ، واصطنع هو لهم طريقة هي أقرب شيء إلى طرق التربية الحديثة ، فلم يقصر اجتماعاته بهم على حلقات الدرس ثم ينفضون من حوله ، بل كان يصحبهم ويخرج معهم في معظم الأوقات في رحلات خارج المدينة إلى البساتين والأماكن الخلوية ، وهناك في الهواء الطلق يلقي دروسه أو يذاكرهم فيما حفظوه ودرسوه ، وشاقت هذه الطريقة تلاميذه ، فأقبلوا عليه ، وكثر عددهم ، حتى كان إذا خرج في رحلة من هذه الرحلات خرج في كوكبة لاتقل عن أربعمائة طالب .

لكن هذا الإقبال جر على الطرطوشي الوبال ، فقد ضاق به قاضي الإسكندرية ابن حديد ضيقاً شديداً ^(١) فقد كان ابن حديد ينتظر من الطرطوشي عند نزوله بالمدينة أن

(١) كانت أسرة بني حديد كبرى الأسرات السكندرية في ذلك الوقت مكانة وعلماً وثروة وجاهاً ، وقد ولي منصب القضاء في المدينة أكثر من واحد من أفرادها ، وكان منصب القاضي وقت وجود الطرطوشي بالإسكندرية =

يسعى إليه ، وأن يمدحه ، وأن يكون من حاشيته ، ولو أنه فعل هذا لأغدق عليه ابن حديد العطايا ، وَلَيَسَّرَ عليه شئون الحياة جميعاً ، ولكن الطرطوشى كان من صنف آخر من الرجال ، كان رجلاً يعتدُّ برجولته ، وكان عالماً يعتر بعلمه ، وكان بعد هذا زاهداً لا ينجذ ذلك النوع من الحياة المترفة الباذخة التى كان يحياها ابن حديد .

وربما أخذ الطرطوشى على ابن حديد بعض تصرفاته المالية ويُعدها عن قواعد الشرع والإسلام ، وأغلب الظن أنه أطلق لسانه يتحدث إلى الناس بهذه المآخذ المالية ، مما آلم ابن حديد وآذاه .. وكان للطرطوشى أيضاً إلى جانب هذا فتاوى كثيرة يعارض بها النظم والقواعد القائمة التى تأخذ بها الدولة ، وينتقد كثيراً من العادات السائدة فى المجتمع ، والتى تنافى الدين الإسلامى وأصوله .

لهذا جمع ابن حديد هذه المآخذ ورفعها إلى الوزير الأفضل شاهنشاه ، وبَيَّنَ له خطورة هذا الرجل على الإسكندرية وأهلها ، فأرسل الأفضل إلى والى المدينة يأمره بإرسال الطرطوشى إليه ^(١) .

الأفضل يحدد إقامة الطرطوشى :

وفى القاهرة قابل الوزير الأفضل « الطرطوشى » مقابلة طيبة ، ولكنه أمره بالبقاء فى

= بلى فى الترتيب والمكانة منصب حاكم المدينة ، وكان يعزز هذه المكانة أن قاضى المدينة كانت له - إلى جانب اختصاصاته القضائية الدينية الواسعة - اختصاصات مالية وإدارية وضرائبية كثيرة ، فكان يشرف على الأحباس - أى الأوقاف - وعلى الجوالى - أى ضريبة الجزية التى تجمع من أهل الذمة من يهود ونصارى - وعلى دار الضرب ، وعلى المنكوس - أى الضرائب المدنية غير الشرعية - وكان يعزز هذه المكانة أيضاً أن ابن حديد نفسه كان ذا ثروة طائلة ، وأنه يحيا حياة العلية من القوم ، فيفتح قصره لكل قاصد ، ويكرم الناس ، ويغنى العطايا ، مما دفع الكثيرين من شعراء عصره إلى مدحه والإشادة به .. وقد وصف المقرئى فى كتابه « الخطط » تلك الحياة ، حياة البذخ والترف التى كان يحياها القاضى ابن حديد فى قصره فى الإسكندرية . [انظر جمال الدين الشيال : المصدرين السابقين]

(١) لم ينس الأفضل بُعد كيف ثارت الإسكندرية مع « نزار » منذ قليل ووقفت تقاومه مدة ، وهو لا يريد أن يثور شئ من الشعب فى هذه المدينة ، فلو ظل هذا العالم الزاهد على سياسته هذه التى ينتقد فيها المجتمع ، وينتقد الحاكم ، وينتقد القاضى وأحكامه ، وينتقد القواعد والنظم المالية المتبعة ، فإنه سيسبب للدولة متاعب كثيرة ، وسينقص من مهابتها فى أعين الشعب ، ولذا أراد الأفضل أن يحسم الشر قبل وقوعه ، فأرسل يأمر بإحضار الطرطوشى إلى القاهرة . [انظر المرجعين السابقين]

الفسطاط ، وحدّد إقامته في مسجد الرّصد ، جنوبي الفسطاط ، ومنع الناس من الاتصال به والأخذ عنه ، وعيّن له راتباً شهرياً ، بضعة دنانير يأخذها من متحصل جزية اليهود . وسمح لخادمه بالإقامة معه .

ويبدو أنّ الطرطوشي قضى في اعتقاله مدة طويلة تبلغ شهوراً ، فضجر من التضييق على حُرّيته ، واشتد كرهه للأفضل !! تقول المراجع : « وكان الشيخ يكره الأفضل ، فلما طال مقامه به - أي بالمعتقل - ضجر ، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟! اجمع لي المباح من الأرض ، فجمع له ، فأكله ثلاثة أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : « رميته الساعة » . فلما كان من الغد ، ركب الأفضل فُقِيتِل » (١) .

وانكشفت العُمة عن الطرطوشي ، فقد ولي الوزارة - بعد الأفضل - المأمون البطائحي ، وكان يعلم مابين الرّجلين ، فأفرج عن الشيخ ، وأكرمه إكراماً زائداً ، وقرّبه إليه (٢) .

الطرطوشي والمأمون البطائحي :

وعاد الطرطوشي إلى الإسكندرية ، واستأنف حياته ونشاطه العلمي ، ولم تُنَل منه هذه الحنة ولم تُفَل من جدّته ، فقد كانت تشغله دائماً الأمور التي كان يراها منافية للشرع والعدل ، وقد تقدم - من قبل - للأفضل يطلب تغييرها فلم يستمع إليه ، بل أبعده عن داره وحدّد إقامته .

وقد خشي الطرطوشي أن تأخذ الوزير الجديد عزّة الحُكم وأُبهة السلطان فيسير على نهج سلفه ، لهذا بدأ - بعد عودته إلى الإسكندرية مباشرة - يؤلف كتاب « سراج

(١) معنى هذا أن الطرطوشي لما اشتد به الضيق أعلن امتناعه عن أكل شيء مما يأتيه به الأفضل ، وأمر خادمه أن يجمع له شيئاً خلاً من المباح من نبات الأرض ، وأكل هذا المباح ثلاثة أيام ، وقد اعتكف يصلي ويتعبّد ، ويتهلل إلى الله ، فلما كان اليوم الثالث قُتِل الأفضل .. ومن الثابت أنه قُتِل في اليوم السابق لعيد الفطر من سنة ٥١٥ هـ ، وهذا بالتالي يحدّد لنا المدة التي اعتقل فيها الطرطوشي ، فهو قد اعتقل في أواخر سنة ٥١٤ هـ وأوائل سنة ٥١٥ هـ وظل في الاعتقال إلى شوال سنة ٥١٥ هـ .

(٢) [د . جمال الدين الشيال : المصدرين السابقين] .

الملوك « وهو كتاب فى فن السياسة والحكم ، وما يجب أن يكون عليه الراعى والرعية ، وأتم هذا الكتاب فى سنة كاملة .. وفى شوال سنة ٥١٦ هـ حمل الكتاب وسافر إلى القاهرة ليقدمه إلى الوزير الجديد « المأمون البطاحى » وليعيد النظر معه فى الأوضاع السقيمة القائمة فى الدولة ، والتي لا يقرها شرع .

ولم يكذ « المأمون » يسمع بوصوله - وكان بين يديه الكتاب وكبار الموظفين يعرضون شئون الحكم - حتى أمر فى الحال برفع الدفاتر ، وفرض المجالس ، وأمر بمد السماط ، واستدعى الفقيه لمقابلته ، فلما دخل عليه ، وقف الوزير ، ونزل من مرتبته وجلس بين يدى الطرطوشى ، كما يجلس التلميذ بين يدى الأستاذ ^(١) .

حضر الطرطوشى لمقابلة المأمون ليقدم له كتاب « سراج الملوك » الذى ألفه باسمه ، وأهداه إليه ، و ليعرض عليه تلك الأمور المنافية للشرع ، والتي سبق أن تحدث بشأنها أيام الأفضل فلم يستمع إليه ^(٢) وتناقش الطرطوشى طويلاً مع المأمون فى هذه الموضوعات ، وبعدها وافق المأمون على حل وسط يرضى الطرفين ^(٣) .

(١) لم تكن من عادة الوزير فى العصر الفاطمى أن يقوم لصحية القادم عليه مهما كانت مكانته ، ولكن المأمون لم يقنع بالوقوف لصحية الطرطوشى فقط ، بل ترك مرتبته ونزل فجلس بين يديه ، كما يجلس التلميذ بين يدى الأستاذ ، وهذا أكبر دليل على عظم مكانة الطرطوشى ، وما كان يحسه الوزير نحوه من تبحيل واحترام .
[انظر المصدرين السابقين]

(٢) كانت تلك الأمور تلخص فى النظم المتبعة فى الميراث ، فقد كان القضاة فى مصر - فى العصر الفاطمى - يتبعون المذهب الشيعى الذى يقضى بأن تراث البنت كل ماترك أبوها إذا كانت وحيدة لا أخ لها ولا أخت ، ويحرم العصبة من المشاركة فى الميراث .

وكانت النظم الوضعية المتبعة تقضى أيضاً بأن يأخذ أمراء الحكم - أى الموظفون القضائيون المشرفون على شئون الميراث - ربع العشر من أموال الأيتام عند توزيع التركة .. وكان الطرطوشى يرى فى الأمر الأول مخالفة للشرع فى نظره - أى للمذاهب السنية فاللذاهب السنية ترى ألا تراث البنت أكثر من نصف التركة .. وكان يرى فى الأمر الثانى ظلماً فاحشاً ، واعتصاماً لحق الأيتام ، ومن واجب الحكومة أن تحافظ على أموالهم وتصونها ، لا أن تقتطع جزءاً منها لموظفيها .

(٣) وافق المأمون على إصدار أمر للقضاة بأن يتبع فى الميراث مذهب الميت ، فإن كان سنياً اتبع المذهب السنى ، وإن كان شيعياً اتبع المذهب الشيعى .. أما الأمر الثانى ، فقد وافق عليه الوزير منذ اللحظة الأولى ، لأنه رأى فيه إجحافاً حقيقياً بأموال الأيتام وحقوقهم . و صدر سجل رسمى موقع عليه من الخليفة الأمر والوزير المأمون بهذه الأوضاع الجديدة ، وأرسل إلى القضاة فى كل أنحاء الدولة للعمل به .

ولمّا اطمأنت نفس الطرطوشى بهذا الاتفاق ، وبعد نحو شهرين من إقامته في القاهرة ، أزمع العودة إلى الإسكندرية ، فذهب إلى الوزير يشكره ويودعه ، وتقدم إليه في هذه المقابلة طالباً الموافقة على إنشاء مسجد جديد بالإسكندرية ، فَرَحَّبَ الوزير بطلبه ، وكتب في الحال إلى ابن حديد ، قاضى الإسكندرية ، يأمره بالإشراف على بناء المسجد الذى يتخيره الطرطوشى ، وأن يبالغ في إتقانه وسرعة إنجازها ، وتكون النفقة عليه - أى على المأمون - من مال ديوانه دون مال الدولة ^(١) .

تلاميذ الطرطوشى :

أشاع الطرطوشى في الإسكندرية نشاطاً علمياً وافراً ، وتعلمذ عليه عدد كبير من فقهاء الشافعية وطلابه ، وتخرج عليه الكثيرون ، ونبع من هؤلاء التلاميذ نفر سيكونون عُمَد الحركة العلمية وشيوخها فيما بعد ، وبرز من هؤلاء العلماء :

سند بن عنان :

واسمه بالكامل سند بن عنان بن إبراهيم بن حريز بن خلف الأزدي ، وكان من أُنْبَغ تلاميذ الطرطوشى وأقربهم إليه ، وقد سمع منه ، ولازم حلقته سنتين طويلة ، ولم يأخذ من أستاذه العلم وحده ، بل قبس من أخلاقه وفضله ، ومن فلسفة الزهد التى أخذ الطرطوشى بها نفسه . وقد أفاض العلماء في وصفه ومدح أخلاقه وفضله وعلمه ^(٢) .

(١) لقد بُنى هذا المسجد في منطقة باب البحر ، وباب البحر كان قريباً من ميدان المنشية ، وهذا المسجد - للأسف - من المساجد التى هُدمَتْ وتلاشت معالمها ، فلا وجود له الآن في المدينة . وقد خلط بعض المؤرخين المُحدثين بين مسجد الطرطوشى الذى كان مقاماً خارج باب البحر ، وضميرجه الذى أقيم بالقرب من الباب الأخضر ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى أن الضريح زُوِّدَ بمصلى صغير ، شأنه في ذلك شأن الأضرحة والمشاهد في العمارة الإسلامية .

[انظر د . الشبال : المرجعين السابقين ، وانظر تاريخ الإسكندرية وحضارتها للدكتور عبد العزيز سالم ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ط دار المعارف] .

(٢) خلف سند بن عنان أستاذه الطرطوشى في الجلوس في حلقته ومدرسته في العلوم المختلفة ، وخاصة في فقه الإمام مالك ، وتذكر المراجع أنه ألّف كتاباً ضخماً في شرح « المُتُونَة » ، وهى من أمهات الكتب في فقه الإمام مالك ، وسماه « الطراز » وكان هذا الشرح في ثلاثين مجلداً ، غير أنه توفى قبل إتمامه .. وقد ظل يُدرّسه إحدى وعشرين سنة بعد وفاة أستاذه الطرطوشى ، وقد توفى سند بن عنان سنة ٥٤١ هـ وُفِنَ بالقرب من قبر الطرطوشى .. ولا يزال المسجد الذى يحمل اسمه موجوداً حتى اليوم في الباب الأخضر (أو شارع السكة الجديدة) بالإسكندرية . [انظر المرجعين السابقين] .

أبو الطاهر بن عوف :

وهو إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى ، وينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف .. وقد كان شيخ المالكية فى مدينة الإسكندرية طوال القرن السادس الهجرى دون منازع - فقد ولد سنة ٤٨٥ هـ وتوفى سنة ٥٨١ هـ عن ست وتسعين سنة - وقد وصفه السيوطى بأنه « صدر الإسلام » وقال أبو الحسن الحميرى : « كان أبو عوف - رحمه الله - إمام عصره وفريد دهره فى الفقه على مذهب مالك رحمه الله ، وعليه مدار الفتوى ، وجمع إلى ذلك الورع والزهد وكثرة العبادة ، التواضع التام ، ونزاهة النفس ^(١) .

أبو بكر بن العرى :

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد العرى المعفرى الإشبيلى ، وُلد فى إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ . وصحب أباه فى رحلته إلى المشرق سنة ٤٨٥ هـ وكان حين ذاك فى السابعة عشرة من عمره ، وتلمذ إبّان هذه الرحلة على كبار علماء مصر والحجاز والشام والعراق ، ففى بغداد حضر دروس أبى حامد الغزالى ، وفى بيت المقدس لازم أباه بكر الطرطوشى - قبل انتقاله إلى الإسكندرية واستقراره بها - وتلمذ عليه ، واستغرقت هذه الرحلة ثمانى سنوات . وفى سنة ٤٩٣ هـ ترك بغداد إلى الإسكندرية فأقام بها وقتاً ، لازم خلاله أستاذه القديم أباه بكر الطرطوشى ، فاستزاد من علمه ووثق علاقته به . ولما اعتزم ابن العرى العودة إلى بلاده حمّله أستاذه الطرطوشى رسالة إلى سلطان المغرب المرابطى أبى يعقوب يوسف ابن تاشفين ، قدّم إليه فيها النصائح بأن يلتزم حدود الدين فى أوامره ونواهيه ، وأن يرفع الله فى رعيته ، وأن يفتح بابه لكل مظلمة .. ثم أوصى السلطان خيراً بتلميذه ابن العرى ..

(١) كان ابن عوف ربيب الطرطوشى ، وكان الطرطوشى تزوج خالة ابن عوف هذا .. وقد شهد ابن عوف نهاية الدولة الفاطمية الشيعية وقام دولة صلاح الدين فى مصر سنة ٥٦٧ هـ وقد زار صلاح الدين الإسكندرية فى سنة ٥٧٧ هـ وحرص فى هذه الزيارة أن يحضر هو وأولاده وكبار رجال دولته دروس أبى الطاهر بن عوف ، وسمعوا عليه جميعاً « موطأ مالك » بروايته عن أستاذه الطرطوشى ، وكان صلاح الدين يُعظم ابن عوف ويراسله ويستفتيه .. وتوفى ابن عوف سنة ٥٨١ هـ ودُفن بالإسكندرية بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والتأليف . [انظر المرجعين السابقين] .

فأكرمه السلطان وعينه قاضياً لمدينة أشبيلية . وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ثم صُرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه ^(١) .

المهدي بن تومرت :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي ، البربري الجنس ، الملقب بالمهدي ، مؤسس دولة الموحدين ، وينتمي إلى قبيلة « هرغة » إحدى قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ونشأ في قبيلته ، ثم رحل إلى الشرق طلباً للعلم ، فانتفى إلى العراق ، ودرس بالمدرسة النظامية بعد افتتاحها ، وحضر دروس أبي حامد الغزالي ، وأدى إبان رحلته هذه فريضة الحج ، وجاور بمكة زمناً ، وكان ورعاً تقياً منصرفاً إلى العبادة ، شديداً على من يخالف أمر الدين ، ثم ترك مكة إلى مصر ، وقصد مدينة الإسكندرية ، واتصل فيها بأبي بكر الطرطوشي وتلمذ عليه .. ثم أبحر إلى المغرب ، ولم يعمر طويلاً وتوفي سنة ٥٢٤ هـ . وكان عظيم الهمة ، شديد الذكاء ، فصيحاً وأديباً ، وله مؤلفات ، منها : « كنز العلوم » وكتاب « أعز ما يطلب » وقد أودع هذا الكتاب الأخير أصول دعوته ، وترجمه إلى اللغة البربرية .

وبعد .. فهذه هي حياة فقينا العالم الزاهد أبي بكر الطرطوشي ، وهذه هي سيرته العطرة التي استحق من أجلها أن يوصف بالزهد والورع ، والفضل والجترأة ، وبأنه أحد الأئمة الكبار .

وهؤلاء بعض تلاميذه النوابغ الذين حملوا الراية من بعده ، وقادوا الحركة العلمية بعد انتقاله إلى جوار ربه سنة ٥٢٠ هـ ^(٢) وهكذا كانت سيرة العلماء ، ومنذ أن عدم

(١) كثر حامدو ابن العري وشاتوء ، ووشى به الواشون ، قبض عليه وسُجن في مدينة « مراکش » نحو عام ، ولما أُطلق سراحه خرج قاصداً مدينة « فاس » فمات في طريقه إليها في سنة ٥٤٣ هـ فحُمِل إليها ودُفن بها . [انظر المرجعين السابقين] .

(٢) انتقل الطرطوشي إلى جوار ربه في ثلث الليل الأخير من ليلة السبت ، لأربع بقين من جمادى الأولى =

الناس أمثال هذا الطراز النادر من العلماء أصابهم ما أصابهم .

مؤلفات أبي بكر الطرطوشي :

إن حياة أبي بكر الطرطوشي غير المستقرة لم تمنعه من التأليف ، فقد ذكرت المراجع المختلفة أنَّ له تأليف كثيرة ، وأغلب الظن أنه وضع معظم هذه المؤلفات أثناء مقامه في الإسكندرية ، بعد أن تزوج بها وأنجب واطمأن إلى معيشة هادئة في كنف زوجته الإسكندرية الصالحة ^(١) .

ويبدو واضحاً من قائمة المؤلفات التي ذكرتها المراجع ونسبتها إلى الطرطوشي أن الرجل كان نشيطاً مُنتجاً ، خصب الإنتاج ، وقد أحصت له اثنين وعشرين مؤلفاً ، الموجود منها تسعة والباقي مفقود ، ومن هذه المؤلفات التسعة الباقية طُبِعَ اثنان فقط ، والسبعة الأخرى مازالت مخطوطة . وبعض هذه المؤلفات تتصل بعلوم التفسير ومسائل الخلاف والفقه ، والبعض الآخر يتناول بالبحث علم السياسة وفن الحكم ، واجتماع وأدواء وأحواله ، وفيما يلي عرض تفصيل لهذه الكتب .

مختصر تفسير الثعالبي : اختصره الطرطوشي في كتاب خاص أثناء مقامه بالشام ، وكان يُدرسه في المسجد الأقصى ^(٢) وتوجد في دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من الجزء الثاني من هذا المختصر .

= سنة ٥٢٠ هـ وصلّى عليه ولده محمد ، وفي « الصلة » لابن بشكوال: أنه تولى في شهر شعبان سنة ٥٢٠ هـ وفي بغية للمتمس : وصلّى عليه ابن عوف ، ودُفِن في مقبرة « وَغَلَة » وهي مقبرة كانت قرية من البرج الجديد ، قبل الباب الأخضر ، الذي كان أحد أبواب الإسكندرية القديمة الهامة ، وكان يقع في الناحية الغربية من أسوارها . [انظر المرحوم جمال الشيال : المصدرين السابقين] .

(١) إن حياة الارتحال والطلب الأولى في الأندلس والحجاز والعراق والشام لم تنح له الفرصة للتفرغ للتأليف ، كما أن سن الأربعين التي بلغها عند نزوله الإسكندرية هي سن النضج الفكري ، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من اطمئنانه إلى الحياة الهادئة التي لقيا في كنف زوجته ، وهي حياة مستقرة نسبياً ، كل هذه الأسباب ترجح أنه وضع الغالبية العظمى من مؤلفاته إبان الحقبة التي عاشها في الإسكندرية ، ومداها نحو الثلاثين عاماً ، ويؤكد هذا الترجيح ، تلك الملابس والظروف التي أُلْفِت فيها وبسببها معظم كتب الطرطوشي ، فقد كانت ظروفه أو أحداثاً تتصل بالملدة التي قضها في مصر بوجه عام ، وفي الإسكندرية بوجه خاص . [المصدرين السابقين] .

(٢) الثعالبي - أو الثعلبي - هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ . قال عنه ابن خلكان : « كان أوحده زمانه في التفسير ، وصنف التفسير الذي فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب العرائس =

الكتاب الكبير في مسائل الخلاف^(١) : وهذا الكتاب يقع في خمسة أجزاء ، وقد ألفه بعد أن تم نضجه الفكرى في الإسكندرية ، وأصبح أستاذًا ، جعاً في هذا العلم .

شرح رسالة ابن أبى زيد القيروان^(٢) : ومن المرجح أن يكون هذا الشرح بعض دروسه التى يلقها في المذهب الما في مدينة الإسكندرية .

كتاب الأئمة : لم تذكر المراجع التى أرخت للطروشى وأحصت مؤلفاته هذا الكتاب ، ولكن الطروشى أشار إليه في أكثر من موضع من كتابه « سراج الملوك » ويبدو من الشواهد التى ذكرها عن الكتاب ، أنه يتناول موضوعات تتصل بالإنسان والعقل ، وبالقضاء والقدر ، وما يشبهها من موضوعات^(٣) .

كتاب يعارض به كتاب الإحياء للغزالي : ذكره الحميرى في كتابه « صفة جزيرة الأندلس » عند ترجمته للطروشى ، فقال : « وعاصر - أى الطروشى - الغزالي ، وله في إحيائه كلام ، وكان منحرفاً عنه ، سىء الاعتقاد فيه .. وذكره الضبى في « بغية

= في قصص الأنبياء » وهذا التفسير الكبير الذى فاق غيره من التفسير هو الذى أسماه صاحبه « الكشف والبيان في تفسير القرآن » وهو الذى اختصره الطروشى في كتاب خاص .

[انظر الشيال : المصدرين الأسبقين ، ونفع الطيب ج ٢ ص ٢٩٧ والأعلام ج ٧ ص ١٣٤ .]
(١) أو : التعليقة في الخلافات . والخلاف كان أحد العلوم الأولى التى بدأ الطروشى يتلقى أصولها منذ صباه المبكر في وطنه الأول « الأندلس » على أستاذه أبى الوليد الباجى ، والتى استراد منها حتى أنقنها أثناء تحصيله في بغداد والبصرة وغيرها من مدن العراق .. وقد ورد ذكر هذا الكتاب في نفع الطيب للمقرى ج ٢ ص ٢٩٧ والأعلام للزركلى ج ٧ ص ١٣٤ وغيرها من المراجع .

(٢) هو : أبو بكر بن عبد الله بن أبى زيد ، عالم من أكبر أعلام الفقه المالكية الأوائل الذين وضعوا أسسه وقواعده ، وقد عاش في القرن الرابع الهجرى ، وسكن القيروان مدة ، وكان إمام المالكية في وقته وهو جامع مذهب الإمام مالك ، وشارح أقواله ، حتى لقد عرف باسم مالك الصغير .. وقد توفى سنة ٣٨٩ هـ وله تأليف كثيرة ، أهمها : الرسالة في الفقه المالكية .. وقد شرح هذه الرسالة كثيرون من علماء المالكية ومنهم أبو بكر الطروشى . [انظر الشيال ، ونفع الطيب ، الصفحة نفسها]

(٣) انظر سراج الملوك ، بداية الباب الثالث والعشرين - في العقل والدعاء والحجث .. ونهاية الباب الثانى والستين - في القضاء والقدر والتوكلى والطلب .

المتمسك » فقال : « وله - أى للطروطوشى - كتاب كبير يعارض به كتاب الإحياء ، رأيت منه قطعة يسيرة » (١) .

رسالة في تحريم جبن الروم : وهى رسالة صغيرة ألفها أثناء مقامه فى الإسكندرية ، وكانت من الأسباب التى أثارت عليه القاضى ابن حديد والوزير الأفضل (٢) .

(١) يذكر المرحوم جمال الدين الشيال أنه بحث كثيراً عن هذا الكتاب فلم يعثر له على أثر ، وإنما عثر على مايفيد أن الطروطوشى كتب رسالة لصديق له يذكر فيها أنه اجتمع - أى الطروطوشى - بالغزالي فى الإسكندرية حوالى سنة ٥٠٠ هـ ، وتحدث إليه وناقشه فى موضوعات كثيرة ، ويشير إلى رأيه فى « الإحياء » وينقده .. وللسيد محمد المرتضى الزبيدي - من كبار علماء مصر فى القرن الثامن عشر - شَرَحَ كبير لكتاب إحياء علوم الدين يقع فى عشرة أجزاء سماه : « تحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » وقد عرض فى مقدمته للعلماء السابقين الذين تناولوا إحياء الغزالي بالدراسة أو بالمدح والتفريط ، أو بالنقد والتجريح ، وذكر من بين الناقدين العالمين المالكيين : الماززى والطروطوشى .. وعرض أولاً كلام الماززى فى الإحياء ، ثم ناقشه ورد عليه ، واستطرد ففرض لكلام الطروطوشى وقال : « هذا ملخص كلام الماززى ، وسبقه إلى قريب منه من المالكية الإمام أبو الوليد الطروطوشى ، نزول الإسكندرية ، فذكر فى رسالته إلى أبى مظفر : « فأما ماذكرت من أمر الغزالي ، فرأيت الرجل وكلمته ، فرأيت من أهل العلم ، وقد نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره ، وكان على ذلك طول زمانه ، ثم بدله البعد عن طريق العلماء ، فدخل فى غمار العمال ، ثم تصوف فنهجر العلوم وأهلها ، ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، فلقد كاد ينسلخ من الدين ، فلما عمل الإحياء عمد يتكلم فى علوم الأحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، أو خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالمعلومات » .

هذه هى الفقرة التى نقلها المرتضى الزبيدي لعرض رأى الطروطوشى فى الغزالي وإحيائه ، ونفهم منها أن الطروطوشى لم يؤلف كتاباً فى نقد الإحياء ، وإنما كتب رسالة إلى صديق له - هو أبو مظفر - أبدى فيها رأيه فى الغزالي وكتابه .. ولم يستطع الطروطوشى ، فى أول الرسالة أن يخفى إعجابه بالغزالي ، ولكنه لم يلبث أن استدرك فقال ماقال ، يُجرح الرجل وكتابه .

ولاشك أن الطروطوشى متحاملاً ومُتَّجَنٌّ على الغزالي - وتفسير هذا التحامل أنه نوع من الغيرة التى تنشأ عادة بين العلماء المتعاصرين ، فالرجلان وُلدا فى سنة واحدة ، واشتغلا بالعلم وتحصيله ودراسته فى الحقبة الأولى من حياتهما ، ثم ركنا إلى حياة الزهد والتصوف حتى عُدا من المتصوفة الزاهدين فى أحرىات حياتهما .. والطروطوشى أدرك شهرة وذاع صيته فى الشام أولاً ثم فى الإسكندرية ثانياً - والغزالي طبق ذكره الآفاقى فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وخاصة بعد تأليفه « المنقذ من الضلال » و« إحياء علوم الدين » وقد سبقته شهرته إلى الإسكندرية قبل وصوله إليها ، ولم يكن للطروطوشى وقت ذاك مؤلف يستطيع أن يطاول به « الإحياء » ولهذا جاء نقد الطروطوشى للغزالي وكتابه ضعيفاً متهاقاً لايزيد على أن يضم بعض الاتهامات التى لا تقوم على دليل ، وقد رد « السبكي » صاحب « طبقات الشافعية » على هذه الادعاءات وفندھا واحدة واحدة [انظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٨٢ - ٨٢ وأبى بكر الطروطوشى العالم الراهد الثائر ص ٧٨ - ٨٢ والأعلام ج ٧ ص ١٣٤ وكشف الظنون ج ١ ص ٥٨ ، ٥٩] .

(٢) كان الطروطوشى يفتى بتحريم الخبث الذى يأبى به النصارى الروم إلى المدينة وغيره من المأكولات التى تأتى من أوروبا ، ومعنى مقاطعة هذه المأكولات نقص إيرادات الدولة بنقصان الضرائب التى تؤخذ على هذه التجارة الواردة .. لهذا السبب وغيره أمر الوزير الأفضل القاضى ابن حديد بإرسال الطروطوشى إليه فى مصر ، وتحديد إقامته .

الحوادث والبدع (أو بدع الأمور ومحدثاتها) : وأغلب الظن أنه ألفه في الإسكندرية كذلك ، وهو ينتقد فيه المجتمع الإسلامى والبدع التى انتشرت فيه ، ليثبت أن هذه البدع والمحدثات مما يتنافى مع أصول الدين والشرعة ^(١) .

كتاب « الفتن » : ولعله تناول فيه الفتن التى سادت العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ، فقد كان العالم الإسلامى - شرقه وغربه - يجتاز مرحلة تسودها الانقسامات والفتن فى كل جزء من أجزائه .

كتاب « بر الوالدين » : وتذكر المراجع أنه عالج فيه موضوع عقوق الآباء .. وأورد فيه من الآيات والأحاديث والحجج والأشعار ما بحث الأبناء على البر بالوالدين .

رسالة فى تحريم الغناء واللهر على الصوفية فى رقصهم وسماعهم : وتوجد منه نسخة خطية وحيدة ضمن المجموعة التى تضم كتاب البدع والحوادث فى مكتبة مدريد تحت رقم ٥٣٤١ وتشتمل على الصفحات من ١٠٤ - ١٢١ .

كتاب « تحريم الاستمراء » : وتوجد منه نسخة خطية فى مكتبة برلين تحت رقم ٤٩٨١ .

كتاب « نزهة الإخوان المتحابين فى الله » : وتوجد منه نسخة خطية فى مكتبة جوتا تحت رقم ٩٠٩ .

رسالة العدة عند الكرب والشدة .

حاشية على إثبات الواجب .

وهذان الكتابان ذكرا فى فهرس مكتبة استانبول (فى الجزء الأول) منسويين إلى الطرطوشى .

كتاب « الدعاء » : وقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (فى الجزء الثانى الصفحة رقم ٦٢١) .

كتاب النهاية فى فروع المالكية : وقد ورد ذكره أيضاً فى كشف الظنون (الجزء الثانى ، الصفحة رقم ٦٢١) .

(١) هذا الكتاب حُقق وتم طبعه سنة ١٩٥٩ م وقام بنشره الأستاذ/ محمد الطالبي - من علماء تونس

كتاب نفائس الفنون .

اختصار كتاب أخلاق رسول الله : والأصل لأبي محمد عبدالله بن جعفر بن حيان ، وقد ذكره ابن خير في فهرسه .

جزء فيه منتخب من عيون خصائص العباد : ذكره ابن خير في فهرسه

ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الغنى والفقر : ذكرها ابن خير أيضاً في فهرسه وقال : « ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الغنى والفقر ، تولى جمعها الفقيه أبو بكر الطرطوشى - رحمه الله - حدثنى بها القاضى أبو بكر بن العربى » .

رسالة أبى بكر الطرطوشى إلى ابن تاشفين : وهى رسالة طويلة فى نحو عشر صفحات ، كتبها الطرطوشى إلى السلطان المرابطى أبى يعقوب بن تاشفين يوصيه فيها بتقوى الله وطاعته ، وإشاعة العدل بين رعاياه . وقد ذكرها ابن خير فى فهرسه (١) .

المجالس : وقد ورد فى فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة ببرباط الفتح (المغرب الأقصى) بالقسم الثانى من الجزء الأول الصفحة رقم ٤٦ - علم التفسير ، وأوله : « الحمد لله الذى لا يؤنسنا موجود » فى مجموع ، من ورقة ١٤٧ ب إلى ٢٢١ ب .

سراج الملوك : وهو أهم كتب الطرطوشى جميعاً وأقيمتها ، وهو واحد من الكتب القليلة التى وصلت إلينا ، فمعظم كتبه فقدت - كما ذكرنا - وهو الكتاب الوحيد من بين هذه القلة الباقية الذى طبع أكثر من مرة ، وقد استمد الطرطوشى مادته من كتب التاريخ والأدب والأشعار ، وأورد فيه من الطرائف والنوادر ما يؤيد به قضاياها فى السياسة والحكم ، والإدارة ، والأخلاق ، وتبدير الممالك ، والتعامل مع الناس ، فجمع الكتاب بين مكارم الأخلاق والمروءة العربية الإسلامية ، والسلوك المستقيم .

الهدف من تأليفه : ذكرنا من قبل أن الطرطوشى ألف كتابه هذا بعد إطلاق سراحه

(١) هذه الرسالة كانت موجودة فى الجزء الذى لم يُنشر من مخطوطة « مفاخر البربر » وهى مؤلف مجهول ، وقد قام المرحوم الشيبال بنشر نص هذه الرسالة فى كتابه أبى بكر الطرطوشى العالم الزاهد . [انظر المصدر السابق ص ١١١ - ١٢٣] .

من المعتقل الذى حُددت إقامته فيه فى الفسطاط ، وأنه ألفه فى الإسكندرية ، ثم قَدَّمه هدية إلى الوزير المأمون البطائحي ، وكان هدفه من ذلك دعوة الوزير أن يقف موقفاً آخر من العلماء ، غير الذى كان يتبعه سلفه الأفضل ، فالعلماء هم السياج الذى يمنع الحكام من الظلم والبغي .. وقد أراد الطرطوشى من كتابه هذا أن يكون دستوراً للحكام والمحكومين على السواء ، وأن يحدد فيه حقوق الحاكم والمحكوم ، فلا يتجاوز أحدٌ من الطرفين حُدَّه ، ولا يتعدى حقه ، وليدفع به الأمة الإسلامية نحو هدف فيه صلاح أمر العرب والمسلمين ، وليعلل فيه شأن القيم الخلقية التى تحث على الفضائل عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة .

سراج الملوك والكتب المصنفة على منواله : برغم أن الموضوع الذى عالجَه الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » قد عالجَه أكثر من مفكر مسلم ، فقد عالجَه ابن قتيبة - المتوفى سنة ٣٣٦ هـ - فى « عيون الأخبار » وأبو الحسن الماوردى فى « الأحكام السلطانية » و« نصيحة الملوك » ، والغزالي فى كتابه « التبر المسبوك فى نصيحة الملوك »^(١) والشيزرى فى كتابه « المنهج المسلول فى سياسة الملوك » وابن طباطبا فى كتابه « الفخرى فى الآداب السلطانية » وبرغم ذلك فإن الطرطوشى يعدمن الطلائع ، ومن رواد الفكر الإسلامى الأوائل الذين حاولوا التأليف فى علم السياسة وفن الحكم .

وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى كتاب الطرطوشى « سراج الملوك » ، واعترف بأن الطرطوشى من المفكرين القلائل الذين سبقوه بالتأليف فى علم الاجتماع أو العمران .. ولكنه قال : إن الطرطوشى أحسن فى تقسيم كتابه وتحديد موضوعاته ، ولكنه لم يُحسن علاج هذه الموضوعات أو التفكير فيها أو عرضها - أو على حد قوله - حَوْم على الغرض ولم

(١) قارن المرحوم الشهاب بن كتاب الغزالي هذا وبين « سراج الملوك » وتبين له أن منهج الرجلين واحد ، فكلامهما يمزج تفكيره الأخلاقى بفكره السياسى مزجاً تاماً ، وكلامهما يبدأ الفصل بتقرير المبدأ الأخلاقى تقريراً موجزاً ، ثم يورد من قصص الأقدمين وحكمهم ما يبرهن به على صحة هذا المبدأ .. والغزالي أهدى كتابه الملك سلجوق ، والطرطوشى أهدى كتابه لوزير فاطمى كان يتمتع بسلطان الملك المطلق .. ولكن كتاب الغزالي موجز ، أما كتاب الطرطوشى فكتاب ضخم مفصل ، وقد تناول فيه كثيراً من الموضوعات التى لم يعرض لها الغزالي فى كتابه .. وحصيلته الطرطوشى فى « سراج الملوك » من القصص والنوادر والحكم والأخبار التاريخية والمسائل الفقهية أغنى وأوفر من حصيلته الغزالي فى كتابه « التبر المسبوك » .

[انظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٩٢ ، ٩٣ وأبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد ص ٨٨ ، ٨٩] .

يصادفه ، ولا تحقق قصده ، ولا استوفى مسائله ^(١) .

لقد أراد ابن خلدون - بعد أن اعترف بفضل أسبقية الطرطوشى فى ارتياد هذا الموضوع - أراد أن يتعالى عليه فى الوقت نفسه ، وأن يفخر بما آتاه الله من نعمة التوفيق فى مقدمته .. وإنصافاً للطرطوشى وللحقيقة نقول : إن هدف الطرطوشى من تأليف « سراج الملوك » لم يكن كهدف ابن خلدون من تأليف المقدمة ، هدفًا علميًا خالصاً ، وإنما كان هدفه فنيًا ، وهو أن يؤثر فى النفوس بالقصة برويها ، أو بالمثل والحكمة والموعظة الحسنة ، يُلَمِّح ولا يصرح ، وحقيقة أن الطرطوشى لم يكن نذًا لابن خلدون ، ولكن العدل أن يقاس نجاح المؤلف بمقدار نجاحه فى تحقيق أهدافه التى كان يتطلع إليها عند وضع مؤلفه .

والحقيقة أن « سراج الملوك » كتاب حافل بالقصص الممتعة ، والأخبار الطريفة ، والنوادر الشائقة ، كما ضَمَّنهُ الطرطوشى كثيرًا من تجاربه المفيدة ، ونظراته السديدة ، وآرائه القيمة ، مما يدل على اطلاع واسع ، ومعرفة شاملة لمسائل الفقه والتشريع والتاريخ والأدب ^(٢) .

منهج الطرطوشى فى تأليف الكتاب : قسّم الطرطوشى كتابه « سراج الملوك » إلى أربعة وستين بابًا ، تتفاوت طولاً وقصرًا ، فقد يطول الباب حتى يتجاوز العشرين صفحة - من القطع الكبير - وقد يقصر حتى لا يصل إلى صفحة واحدة أو بضعة أسطر .. وقد يكرر الطرطوشى أحيانًا بعض العبارات أو ماسبق أن قصّه من حكايات فى أكثر من موضع فى كتابه .

(١) قال ابن خلدون : « وكذلك حوّم أبو بكر الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » وبوّه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله ، ولكنه لم يصادف فيه الرميّة ، ولا أصاب الشاكلة ، ولا استوفى المسائل ، ولا أوضح الأدلة . إنما يُبَوِّب الباب للمسألة ، ثم يستكثر من الأحاديث والآثار ، وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بُزْر جهمر ، والموبذان ، وحكماء الهند ، والمأثور عن دانيال وجرّمس ، وغيرهم من أكابر الخليفة .. ولا يكشف عن التحقيق قناعاً ، ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجاً ، إنما هو ثقل وتركيب شبيه بالمواظع ، وكأنه حوّم على الغرض ولم يصادفه ، ولا تحقق قصده ، ولا استوفى مسائله . »

[انظر مقدمة ابن خلدون - طبيعة العمران فى الخليفة ص ٦٦ ط دار الكتاب اللبنانى - وانظر الشيال : المصدرين السابقين] .

(٢) [انظر الشيال : المصدرين السابقين] .

إن منهج الطرطوشى فى تأليف هذا الكتاب أن يبدأ الباب بتقرير المبدأ الخلقى الذى يرى أن يتحلّى به صاحب الوظيفة ، سواء أكان ملكاً أم وزيراً أم والياً أم قاضياً ، وقد يشرح هذا المبدأ شرحاً يسيراً ، ولكنه لا يطيل ، بل يسرع بإيراد كثير من الحكم والأمثال والقصص التى تؤيد صحة هذا المبدأ ، وهو يقتبس هذه الحكم والقصص والنوادر من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومن سير الأنبياء والخلفاء والصالحين ، ومن سير الملوك والحكماء السابقين من مختلف الأجناس والعصور .

إن الطرطوشى فى كتابه هذا ، واحد من المفكرين الذين لا يفرقون بين السياسة والأخلاق ، بل يراها شيئاً واحداً متفقاً ، وهو يشبه فى هذا فلاسفة اليونان القدامى ومفكرهم ويختلف اختلافاً كبيراً عن فلاسفة أوربا فى عصر النهضة والعصر الحديث ، من أمثال هوبز ، ولوك ، ورسو ، وهيجل ، وماركس ، الذين كانوا يفرقون بين السياسة والأخلاق ، ويفكرون فى مشاكل السياسة وموضوعاتها تفكيراً مستقلاً عن تفكيرهم الخلقى ، وهو يشبه فى هذا أنداده من المفكرين الإسلاميين ، فهم جميعاً لم يفرقوا فى مؤلفاتهم بين السياسة والأخلاق ^(١) .

مخطوطات الكتاب وطبعاته :

توجد فى دار الكتب المصرية ست مخطوطات من كتاب « سراج الملوك » وبيانها كالتالى :

المخطوطة الأولى تحت رقم (٤١٤ تاريخ) ٥٢٥ ق . خط . سنة ١٠٨٢ هـ .

والثانية تحت رقم (٢٨٣٧ تصوف) ٢٢١ ق خط . سنة ١٠٨٣ هـ .

والثالثة تحت رقم (٣٢٥٦٧ ب) ١١٩ ق خط . سنة ١٠١١ هـ

والرابعة تحت رقم (١٣ اجتماع تيمور) ٢١٦ ص .

والخامسة تحت رقم (٢٧ الزكية) .

والسادسة تحت رقم (٥١ تاريخ م) .

(١) [الشيال : المصدرين السابقين] .

والخطوط الأربع الأولى تم تصويرها على « ميكروفيلم » والاثنان الأخيران بهما بعض العيوب التي حالت دون تصويرهما .

كما توجد في معهد المخطوطات العربية مخطوطة واحدة تحت رقم (٢٣١٧ - ٢١١ ق) خط نسخ ، حجم كبير ، تحت فن السياسة والاجتماع ^(١) .

هذا عن مخطوطات الكتاب المصرية ، وهناك مخطوطات أخرى للكتاب في العديد من مكتبات العالم العربى والأوربى أشار إليها بروكلمان وغيره . أما عن طبعات الكتاب ، فقد ذكرنا أن « سراج الملوك » هو الوحيد من بين كتب الطرطوشى القليلة التي وصلت إلينا ، والذي طبع أكثر من مرة .. وقد قامت المطبعة الخيرية - المنشأة بالجمالية - بطبع الكتاب سنة ١٣٠٦ هـ - ، أى منذ أكثر من مائة سنة .. ثم قامت المطبعة الأزهرية المصرية بطبعه على منوال الطبعة الأولى سنة ١٣١٩ هـ ، وهاتان الطبعتان متطابقتان تماماً ، وبها مش كل طبعة منهما كتاب « الثبر المسبوك فى نصائح الملوك » للغزالي .. وهناك طبعة ثالثة أشار إليها الدكتور جمال الشيال فى مصادر كتابه « أبى بكر الطرطوشى - العالم الزاهد » طبعت سنة ١٩٣٥ م. وهى تقابل سنة ١٣٥٤ هـ ، وهذه الطبعات الثلاث هى التى وقفت عليها لهذا الكتاب ، وربما كانت له طبعات أخرى .

وقد اخترت لتحقيق هذا الكتاب أولى هذه الطبعات ، وقابلتها بأقدم المخطوطات السبع التى سبق الحديث عنها - تاريخاً - هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى سيأتى ذكرها .

وصف نُسختي التحقيق :

أولاً - وصف نسخة المطبعة الخيرية : وهى الطبعة الأولى من الكتاب ، وقد مضى على طبعها أكثر من مائة سنة ، وقد قام بتصويبها العالم الفاضل الشيخ محمد طموم - من علماء الأزهر - وبأعلى الصفحة الأولى عنوان الكتاب : « سراج الملوك ، للإمام العلامة ، الثبت الثقة ، الحجة الفهامة ، العارف بالله ، أبى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى المالكي ، رحمه الله تعالى ونفعنا به ، آمين » .

(١) من الصعب على المحقق أن يمحصر كل المخطوطات التى تخص الكتاب الذى يحققه على وجه الدقة ، حتى بعد أن يراجع فهرس الكتب والمخطوطات العربية ودور الكتب ، وخزائن المخطوطات فى شتى البقاع ، وذلك لأسباب كثيرة ، منها وجود المكتبات الخاصة التى تحوى الكثير من نفائس المخطوطات فى البلاد العربية والإسلامية ، والتى يتوارثها أصحابها ، والتى يصعب حصرها .

وبهامشه كتاب « التبر المسبوك في نصائح الملوك » للغزالي .. وفي وسط الصفحة الأولى - تحت عنوان الكتاب - أورد الناشر مقاله صاحب « كشف الظنون » - حاجي خليفة - عن الكتاتين قال : « سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي المالكي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ جمعه من سير الأنبياء وآثار الأولياء ، ومواعظ العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، ورتبه ترتيباً أنيقاً ، فما سمع به ملك إلا استكتبه ، ولا وزير إلا استصحبه ، يستغنى الحكيم بمداسته عن مُباحثة الحكماء ، والمملك عن مشاورة الوزراء ، وذكر فيه الأمير أبا عبدالله الأموي [الصواب : الأمر] وأبوابه أربعة وستون باباً » .

وذكر نحو هذا عن كتاب التبر المسبوك للغزالي . وفي أسفل الصفحة ذكر « الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المحمية ، سنة ١٣٠٦ هجرية .

هذا كله في الصفحة الأولى .. أما في الصفحة الأخيرة من الكتاب ، فقد جاء فيها مايلي : « الحمد لله الذي أنار قلوب هذه الأمة بسراج الحكمة ، وأنقذهم برعاة الهدى وعلماء الملة من أوشال الظلمة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، إمام الأنام ، وعلى آله وأصحابه ، قدوة العاملين ، ونجوم الإسلام .. أما بعد ، فيقول الواصل بالله أحمد بن مفتاح : قد تم هذا الكتاب الملقب بسراج الملوك ، وهو كتاب أسفر عن بدائع الغرر ، ونجيات الفرائد ، ومحاسن النصائح ، وأعرب عن سعة اطلاع مؤلفه في بابيه ، حتى أقر له العلامة ابن خلدون في مقدمته بتقدمه عليه ، وغزارة حكمه الشاسعة المرمي ، المُصيبة الغرض ، وهو وإن لم يكن كبير الجسم فهو كثير الفائدة ، سهل التناول ، عذب المذاق ، يغنى طالبيه عن مزاوله كتب شتى ، ومراجعة أسفار عديدة ، وكفى به دليلاً هادياً ، ونبراساً فخماً ، أخذ بطرفي التاريخ والنصيحة ، وسقى بكأسى العلم والأدب ، وبالجمله ، فهو الكتاب الذي قل أن يثار خلفه غبار ، أو يجري معه في مضمار ، أو يخضد شوكة ، أو ينفر طيره ، أو يُستباح حماه ، لاسيما وقد رقت طرره ، ووشيت صفحاته بكتاب التبر المسبوك ، للعلامة حُجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، وهو كتاب نهج منهجاً حقاً ، وسبيلاً صدقاً ، واتَّحد مع السراج في مطالب كثيرة ومقاصد متنوعة ، فهما كما قيل :

(رضيعا لبيان ثدى أم تحالفا بأسحمت داج عوض لانفرق)

وقد بزغا في سماء التصحيح تخفق فوقهما راية التهذيب ، وتحذوهما يد التنقيح ، لاسيما وقد اعتضدت على ذلك بالعالم الفاضل ، والصالح المهذب ، الأستاذ الشيخ محمد طوموم ،

من علماء الجامع الأزهر ، وكان ذلك بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المعزّية ، على ذمة صاحبها الفاضلين ، حضرة السيد عمر حسين الخشاب ، وحضرة السيد محمد عبد الواحد الطوبى .. ووافق تمام طبعه يوم الخميس ، الثانى عشر من شهر رجب عام ستة وثلاثمائة وألف من هجرة سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

عيوب هذه الطبعة :

وبالرغم مما قيل عن هذه الطبعة ، فإنها لم تُخل من مآخذ :

أولها : إغفال علامات الترقيم كلية .

ثانيها : عدم توخى الدقة فى هزات الوصل والقطع .

ثالثها : إهمال تقسيم الأبواب والفصول إلى فقرات ، وإن كان يُفصل بين كل كلامين - أحياناً - بوضع الكلمة الأولى فى الكلام الجديد بين قوسين .

رابعها : لانتخال من أخطاء فى اللغة والإملاء بجانب الأخطاء المطبعية التى تنتشر بها .

خامسها : بها كثير من « السقط » فى الشعر والنثر .

سادسها : لم تتحرّ الدقة فى تحقيق أسماء الأعلام والمعلومات ، وبها الكثير من الأقوال المنسوبة إلى غير أصحابها ، ولم يُشر إليها .

سابعها : جاءت خالية من أى تعليق أو شرح للغريب من ألفاظها وعباراتها الغامضة .

ثامنها : أهملت الضبط إهمالاً تاماً ، فجاءت كلماتها عارية من الشكل ، هذا بالإضافة الى تقارب الكلمات بعضها من بعض مما يسبب ضيقاً للقارئ بسبب تعذر القراءة .. هذا وغيره كثير مما سيلمسه القارئ بنفسه فى هوامش التحقيق من هذه الطبعة التى بين يديك .

ثانياً - وصف مخطوطة الكتاب :

هى المخطوطة المودعة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، تحت فن السياسة والاجتماع - تحت رقم ٢٣١٧ - أحمد الثالث . وهى أقدم المخطوطات السبع التى لدينا ، وهى نسخة كاملة كتبت سنة ٧٧٣ هـ - أى بعد وفاة الصراطوشى بنحو مائتى وثلاث

وخمسين سنة - ومن مميزاتا أنها مكتوبة بخط نسخ واضح جميل ، ومضبوطة بالشكل (من $\frac{1}{4}$ إلى $\frac{1}{6}$ شكل) وتقع في ٢١١ ورقة من القطع الكبير ، والورقة صفحتان ، ومسطرتها ١٩ سطراً ، باستثناء الصفحة الثانية التي تلى العنوان ، والتي تبدأ بالبسملة ، والصفحات الأولى التي تجمع أبواب الكتاب ، فمسطرتها ١٨ سطراً ، وعدد الكلمات في السطر الواحد ما بين ٩ إلى ١٣ كلمة ، ماعدا أسطر الشعر ، والعناوين ، وخاتمة كل باب أو فصل ، فهي تنقص عن ذلك حتى تصل إلى كلمتين فقط ، أو كلمة في بعض الأحيان .

ومقدمة الكتاب مزدانة بزخارف بديعة على شكل دوائر وردية ، كالفواصل التي توضع بين آيات القرآن الكريم وبها أرقام الآيات ، وقد وردت هذه الزخارف كثيراً في ثنايا الكتاب ، خاصة في الشعر ، لتحصر بينها أبيات الشعر ، أو نهايات الكلام في كل باب أو فصل .. وقد تأتى هذه الزخارف على شكل مثلث بداخله نقطة ، أو على شكل مثلث مكون من ثلاث فاصلات .

كما تتميز هذه المخطوطة بأن على جوانب أو حواشي بعض صفحاتها تصويبات لبعض الأخطاء التي وردت في تلك الصفحات ، وقد وُضع خط تحت الكلمة الخطأ في المتن ، ثم نُصِّب في الحاشية ، ويوضع بجوارها إشارة إلى صوابها ، أو كلمة « صح » .. وليس الأمر مقصوراً على تصويب الأخطاء فقط ، بل تم استدراك « السقط » الذي لم يثبت الناسخ في المتن وأثبت في الحاشية أيضاً ، بعد الإشارة إلى موضعه في المتن .

والناسخ في هذه المخطوطة يسهل الهمزة ، فهو يرسم الفعل « جاء » هكذا « جا » بحذف الهمزة - و « أبو الدرداء » هكذا « أبو الدردا » و « هؤلاء » « هولآ » .. الخ .. وأما الرسم الإملائي فيها ، فهو يخالف كثيراً مما اصطلاح عليه العلماء حديثاً ، فعلى سبيل المثال نجد الفعل « يرضى » يُرسم في المخطوطة هكذا « يرضا » بالألف ، و « أعلى » « أعلا » ، و « معاوية » « معويه » ، و « دينار » « دندر » ، و « سفيان » « سفين » .. الخ .

وبالمخطوطة كثير من الأخطاء النحوية والإملائية التي لم تُستدرك ، وبها أيضاً كثير من التحريفات والتصحيقات التي ترجع إلى جهل النقلة والنسّاخ ، ولم يسلم كثير من الأعمال الواردة بها من التحريف أيضاً ، نتيجة لاشتباه بعضها ببعض ، وقد أشرت إليها في هوامش الكتاب بعد التحقق من صحتها .

والصفحة الأولى من المخطوطة تحمل عنوان الكتاب بخط جميل داخل مستطيل ، ينقسم إلى مستطيل آخر علوى بداخله حلية بها العنوان « سراج الملوك » وتحت هذا المستطيل مربع بداخله دائرة وردية مضلعة ، مكتوب بداخلها بخط جميل : « كتاب سراج الملوك والخلفاء ، ومنهاج الولاة والأمراء في تدبير الملك والدول ، تأليف الشيخ الأجل ، الإمام الزاهد أبى بكر محمد بن الملد الطرطوشى ^(١) رحمه الله » .

وأما الصفحة الثانية ، فيوجد أعلاها - وفوق البسملة - ختم دائرى صغير مكتوب بداخله : « الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » وأسفل هذا الكلام طُرة « طُغراء » وقد يضع الناسخ أسفل بعض الصفحات الكلمة التى ستبدأ بها الصفحة التالية لها ..

وتحمل الصفحة الأخيرة من المخطوطة اسم الناسخ ، وتاريخ الانتهاء من كتابتها بخط نسخ صغير وكبير ، وكل سطر محصور بين دائرتين وفيها : « تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه فى نهار السبت ، سابع رمضان المعظم ، سنة ثلاث وسبعين و سبعمائة .. وكتبه وذَهَبَ أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته محمد بن محمد بن الخطيب بن نباته ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين بِمَنَّةِ وكرمه ، إنه يعوف رحيم ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين » .

منهج التحقيق :

وضعت نصب عيني ، عندما بدأت فى تحقيق هذا الكتاب ، أن يفيد منه الباحثون والقراء على مختلف مستوياتهم ، لذا كلفت نفسى - لتحقيق هذا الهدف - فوق ماتطيق ، وربما كان هذا الجهد وهذا العناء الذى بذلته فى تحقيق هذا الكتاب ، والذى امتد حتى زاد على العامين ، قد لايرضى البعض ، فقد يرون فى بعض جوانبه خروجاً على قواعد التحقيق المتبعة ، والتى ترى أن كثرة التعليقات - حتى ولو كانت بغرض الشرح والإيضاح - تُعد إسرافاً قد يشغل القارئ عن النص نفسه ، ويخرج به من دائرة التحقيق إلى دائرة التأليف .. ولكننى أمام كتاب من كتب التراث التى تفتقر - بجانب تحقيقها - إلى شرح

(١) فى المخطوطة : « الطرطوشى » بشين بعد الراء ، وهى خطأ من الناسخ .

يزيل ما بها من إبهام وغموض في بعض ألفاظها وعباراتها ، لكي تُفهم الفهم الصحيح .
وحتى يستفيد منها القارئ الآن .. لذا وضعت نصب عيني هذا الهدف ، واتبع
لتحقيقه المنهج التالي :

أولاً : رمزت إلى مخطوطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، بالرمز « م » ، وإلى نسخة
المطبعة الخيرية ، والتي سبقت الإشارة إليها ، بالرمز « ط » ، ثم قمت بمقابلة المطبوعة على
المخطوطة ، وأثبتت الفروق بينهما - في الهامش - كما قمت بإثبات الكثير من أبيات الشعر
التي وردت في إحدى النسختين ولم ترد في الأخرى ، وكذا العبارات والفقرات الساقطة :
مع الإشارة إلى ذلك .

ثانياً : قمت بضبط متن الكتاب كله ضبطاً كاملاً ، مساعدة للقارئ الذي يحتاج إلى
ذلك ، وتقوياً للألسنة ، ودفعاً للالتباس ، خاصة أن مادة الكتاب مستمدة من القرآن
والحديث والشعر والأدب ، بالإضافة إلى وجود أعلام كثيرة قد يشكل على القارئ نطقها
النطق السليم ، ومعرفة ضبطها الضبط الصحيح .. وكان الدافع لى على ذلك أيضاً كثرة
الأخطاء الواردة في ضبط المخطوطة ، مما هالني ودفع بى إلى القيام بضبط الكتاب كله ، مع
عدم الإشارة في الهوامش إلى أخطاء الضبط في المخطوطة ، لأنها من الكثرة بحيث يصعب
التعليق عليها .

وقد تطلب ذلك كثيراً من الوقت والجهد ، خاصة في ضبط بعض الأسماء الأعجمية
غير المألوفة ، والتي لم ترد في كتب التراجم ، هذا بالإضافة إلى صعوبة بعض العبارات
والكلمات غير العربية - الفارسية والتركية وغيرهما - والتي أهمل ضبطها تماماً في
المخطوطة .. وقد راعيت في ذلك الضبط صحة الدلالات المعجمية المختلفة للألفاظ ، ومراد
المؤلف منها .

ثالثاً : قمت بشرح غريب الألفاظ والعبارات الغامضة المبهمة التي قد يجد بعض القراء
صعوبة في فهم مدلولها ، وذلك تيسيراً عليهم وتوفيراً لوقتهم في البحث عنها في المعاجم
العربية .

رابعاً : حققت كثيراً من الأعلام الواردة خطأً في كلتا النسختين - المخطوطة
والمطبوعة - وقمت بالتثبت من صحتها بعد الرجوع للكثير من المصادر التي تترجم

للأعلام ، وكتب الطبقات وغيرها من الكتب المذكورة في مواضعها من الهوامش ، وفي مصادر التحقيق .. فعلى سبيل المثال ، ورد اسم « ثور بن زيد » في كلتا النسختين مكان « ثور بن يزيد » فالأول عالم كبير ثقة ، و هو شيخ الإمام مالك ، والثاني قدرى ضعيف ، وهو المراد في موضعه .. وعلى منواله ورد الكثير .

خامساً : ترجمت لما يقرب من ٦٠٠ ستائة عَلمٍ من الأعلام الواردة في الكتاب ترجمة موجزة ووافية في الوقت نفسه ، بعد تصويب المحرّف منها - وهو كثير - وقد عانيت من ذلك كثيراً ، إذ كثيراً ما يذكر المؤلف اسماً واحداً فقط ، أو كنية فقط ، وقد ينطبق هذا الاسم المذكور أو الكنية على كثير من الأعلام لهم صفات مشتركة ، وكلهم وجدوا قبل عصر المؤلف ، فيكون علّى أن أحصر كل الأسماء المتشابهة ، وأتحقق من كل واحد منها حتى أصل إلى العَلم المطلوب .. فعلى سبيل المثال أيضاً ، يذكر المؤلف في سياق الكلام ، يقول : « ... قال النابغة .. » ولم يحدد أى نابغة من النوابع ؟ أهو النابغة الجعدي ؟ أم الشيباني ؟ أم الذهلي ؟ أم الغنوي ؟ أم الحارثي ؟ أم العدواني ؟ أم الذبياني ؟ .. الخ .. فأقوم بالبحث عن هؤلاء النوابع ، ثم أحدد أى النوابع هو ، ثم أقدمه للقارئ وأعرفه به بعد التأكد منه ، وما نُسب إليه .

وقد أشرت في نهاية الترجمة إلى المصادر التي ترجمت لكل علم من الأعلام ، لإفادة الباحثين الذين يهمهم ذلك .

سادساً : صوّتُ الكثير من الأقوال المنسوبة إلى غير أصحابها أو قائلها ، والتي وردت في كلتا النسختين أيضاً ، وأرجعتها إلى أصحابها ، بعد التأكد والتثبت من ذلك ، بالرجوع إلى كثير من مصادر وأمّهات كتب التراث المعتمدة للتحقق من صحة نسبتها .. وعلى سبيل المثال أيضاً ، يقول المؤلف : « قال الصاحب « بن عباد » ... » وينسب إليه شعراً لم يُقُلْهُ ، وإنما هو للشريف الرضي ، كما يأتي لشعر ينسبه للإمام عليّ ، قيل إنه في فاطمة زوجته ، والصواب أنه في عمّار بن ياسر .. الخ .

وقد أشرت أيضاً إلى المصادر التي أثبتت صحة ذلك الذي ذهبنا إليه ، مع ذكر رقم الجزء الذي وردت فيه المعلومة ، ورقم الصفحة أيضاً ، لمن يهمه الرجوع إليها من الباحثين .

سابعاً: قمت بوضع علامات الترقيم - بأنواعها المختلفة - والتي تحلّت منها المخطوطة والمطبوعة ، مما يُيسّر الفهم على القارئ ، كما قمت بعمل فقرات لأبواب الكتاب كله دفعاً للملل عن القارئ ، وراعت همزات الوصل والقطع التي أهملتها المطبوعة والمخطوطة أيضاً .

ثامناً : قمت بتخريج الآيات القرآنية الكريمة بعد أن وضعتها بين قوسين مزهرين ، كما قمت بتصويب ماورد منها خطأً على أيدي الناسخ ، أو ماخلط بينه وبين آية أخرى مثل قوله تعالى : ﴿ استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ خلط بينها وبين قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ فالأولى هي الآية ١٥٣ من سورة البقرة ، والثانية هي الآية ٤٥ من السورة نفسها .

كما قمت بتخريج الأحاديث النبوية ، وشرحت غامضها وعلّقت عليها ، بعد أن وضعت نص الحديث بين علامتي تنصيص « » .

تاسعاً : قمت بتصويب الأساليب غير الصحيحة لغوياً ، وأشرت إلى ذلك في الهامش ، كما قمت بتصويب أخطاء النحو والإملاء مراعيّاً قواعد اللغة ، وقواعد الإملاء الحديث ، وقمت بشرح ما يحتاج إلى شرح من ذلك بأسلوب سهل بسيط يفهمه القارئ العادي بدون عناء .

عاشرًا : ولما كانت الفهرسة من الأمور المهمة بالنسبة للباحثين ، وبدونها لا يُستطاع الانتفاع بالكتاب ، فإنني قمت بوضع فهرس تفصيلية للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأعلام ، والأماكن والبقاع ، ومصادر الكتاب ومحتوياته ، وذلك ليسهل على الباحث الاهتداء إلى مايريد منها .

وأرجو بهذا أن أكون قد يسرت على القارئ الكريم الإفادة من هذا الكتاب القيم ، وأن ينال رضاه .. وأدعو الله أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ويتجاوز عن زلاتي وأخطائي ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

محمد فضحي أبو بكر

رقم الصورة

المكتبة العامة

عدد ٢٢٢

اسم الكتاب شرح الفلاح في الفقه والحدود

اسم المؤلف أبو بكر محمد بن العربي الأندلسي

تاريخ النسخ ١١٧٩

عدد الأوراق ١١١

اللاحظات

ص ١٠٤



رقم الصفحة



بسم

الحمد لله الذي

سجد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الأيمان والآثار
 ومكور النصار على النبي والرسول على الهاد العالم بالحق وما خلقوا عليه
 لادخول السموات سوا عبدة العز والأمر ومن هو شح بالليل والنار
 بالحق الأعلو خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته وأظم
 بعلمه وحققهم بسننه ودرهم حكمته لم تكن له حاجتهم بعينه
 ولا فيهم من سبب وطهرته وكيف يستعين من لم يزل ولم يكن
 أو ينظم من قدس عن ليس من خلق دليل التلوي ثم كلفهم معرفته
 وحصل علم العالمين من معرفته إدراكه أذراكه المعرفة ومعرفة العارفين بمصيرهم
 عن شكره شكرهم كعمل الزوال من يوفق عوالم عن الخطيئة نعيم
 إمامته لا يزلهم ولا يحاذرون ولا يصفونه حيث ولا حجة ما
 ولا بعده كنه ولا حصر متى ولا عطاء كيف ولا ناله إلى ولا يظله
 فوق ولا يظله تحت ولا يقبله حد ولا يراجه ند ولا يحد حلف
 ولا يحده أمام ولم يظهر قتل ولم نعبه بعد ولم يجمع كل ولم يوجد
 كان ولم ينفذ أنش وضعه لأصفه له ولونه لأمد له ولا يظن
 الخالطة الأشكاله الصور ولا يغير الأيام والليالي ولا يجوز عليه المناسه
 والمعارنة ونحل عليه الخلافة والمقاله ان قلبه لم كان وقد سبى
 العباد دانه ومن كان معلولا كان له غيره عا ناه وفي العباد دانه

مِنْ جَمِيعِ الْأَعْيَارِ لَا عِلَّةَ لِتَعَالِهِ • تَعَدُّهُ الشَّيْءُ بِالْمَرَّحِ • وَصَفُهُ
 بِمُضَاهَاةِ الْأَحْجَرِ • وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُفْعُهُ • وَلَا عِلَّةَ لَصُفْعِهِ • بَانَ ثَلَاثُ أَرْبَعٍ •
 تَعَدُّ شَيْءَ الْكَانِ جُودَهُ • فَمِنْ أَيْسَرِ الْأَشْيَاءِ لَمْ يَنْفَعْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْسَرِ • هُوَ بَعْدَ الْكَانِ
 غَنَى فِيهِ • كَمَا كَانَ تَبْلُغُ الْكَانَ • هُوَ كَيْفَ حُلِّ نِيَامِهِ بَلَدًا • أَوْ يَبْقُوذُ
 إِلَيْهِ مَا هُوَ أَوْ تَابَ • فَإِنْ ثَلَاثُ مَا هُوَ وَلَا مَا هِيَ لِلْجُودِ • وَمَا مَوْضِعُ عَمَلِ النَّوَالِ
 بَعْضُ الْخَبَرِ • وَالْقَدِيمُ تَعَالَى لَا حِشْلَ لَهُ • لِأَنَّ الْخَبَرَ مَحْضُوعٌ مَعْنَى دَاخِلٌ تَحْتَ الْمَالِغَةِ
 وَإِنْ ثَلَاثُ مَا هُوَ • نَعُوذُ لِي ذَاتِهِ • مُتَعَدِّدٌ بِصَفَاتِهِ • وَإِنْ ثَلَاثُ شَيْءٍ كَانَ
 تَعَدُّ شَيْءٍ أَوْ تَعَدُّ كَوْنَهُ • وَإِنْ ثَلَاثُ كَيْفَ هُوَ • فَمِنْ كَيْفِ الْكَيْفِ لَا
 يُقَالُ لَهُ كَيْفَ • وَمِنْ حَارَتِهِ عَلَى الْكَيْفَةِ حَارَ عَلَيْهِ الْقَيْمُ • وَإِنْ ثَلَاثُ مَا هُوَ
 فَالْمَا وَالْوَاوُ خَلَقَتْهُ • لَمْ يَلَمْ الْكُلُّ لِحَيْثُ • كَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّ الْقَدِيمَ
 لَهُ • فَالْبَنِي الْجَنِيمُ ظُهُورُهُ فَالْعَرَضُ لِيَزْمَهُ • وَالْبَنِي بِالْأَدَابِ اجْتِمَاعُهُ • مَوَاهَا
 مِنْكُمْ • وَالْبَنِي بُولَعُهُ • وَقَدْ يَفْرَقُهُ وَقْتُ • وَالْبَنِي بَعِيثُهُ غَيْرُهُ فَالضَّرْبُ
 مِنْهُمْ • وَالْبَنِي الْوَقْمُ يَطْفُرُهُ • فَالْخَبَرُ يَزْمِي إِلَيْهِ • وَمِنْ أَوْاهِ حُلِّ أَدْلُهُ أَيْسَرُ
 وَمِنْ كَانَ لَهُ حِشْلُ ظَالِهِ كَيْفَ • وَجُودُهُ أَيْسَرُهُ • وَمَعْرِفَتُهُ تَوْجِيدهُ •
 مِنْهُ مِنْ طَرَفِهِ مَا نَصُورُهُ الْأَرْهَامُ يَهْوِي حِلَابُهُ • لَا تَأْكُلُهُ الْعُيُونُ • هُوَ كَالْخَالِطِ
 الظُّلُونِ • وَلَا حُضُورَهُ الْأَوْفَاءُ • وَلَا حِطْطُهُ الْأَنْعَامِ • وَلَا يَبْقُرُ مُنْذَرُهُ
 الْأَنَامُ • وَلَا حُجُومَهُ مَكَانُ • وَلَا يَفَارُهُ رَمْلُ • وَلَا حُضْرُهُ أَمْدُ • وَلَا يَحْضُرُهُ
 عَدَدُ • وَلَا يَجْمَعُهُ عِدَّةٌ • غَيْرُهُ كَرَامَتُهُ • هُوَ بَعْدَ أَمَانَتِهِ • غُلُوهُ مِنْ غَيْرِ قَوْلِ
 وَمِنْهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ • هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ • الْقَرِيبُ الْعَلِيمُ

عِلَّةُ

● ان صَحَّ الْمَوْلُ نَا صَوَّعْنَا وَاسْتَدَّ بِالرَّايِ دُونَ الْخَلِيسِ ٥٤

٥ اَوْصَحَّ الْخَارِجُ نَالِي الْقَرِّ وَصَحَّ الْاِحْنَابُ الْعُلُوسِ

● فَلَرَمْنَا الْيَوْمَ تَحْدَ الْجَبْرِ وَمَلَأَهُ وَخَوَهُ الطَّرُونِ ٥٥

٥ لَوْ تَرَكَنَا وَدَالَ كُنَّا خَطَرَنَا مِنْ اِيَّا يَنَا بَعْلَقُ نَفْسِنِ

● غَيْرُ الْوَيَالِ اَعْنِي نَبْهَ حَنْدَرَنَا عَلَى حِمَاةِ الْغُورِ ٥٦

٥ هَا اَشْبَهَ نَبْهَ

● اَنْتَ اِلَى التَّرْدِ طَوْلُ عُمَرَى فَبَالِي فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ اَمْسِ ٥٧

٥ جَعَلْتَ مَحَادَثِي وَفَدِمَ مَعْنَى وَاَنْتَ ذَنْبِي بِدَلِ الْغُورِ

● تَدَا سَعَيْتُ عَنْ نَبْهِ رَجُلِي اِذَا سَاوَرْتُ اَوْ بَعْلُ كُنُوسِ ٥٨

٥ وَلِي عَمْرٍ مِنْ جِدِّ كُلِّ يَوْمٍ بَطَّحَ الْهَمُّ فِي نَيْتِ الْعُرُونِ

● نَهْطِي شَفَرِي فِي الْمَرْجِ جَنِي وَهَيْتَ فِي اَيْدَاوِ كِبْنِي ٥٩

٥ وَبَتِي حَيْثُ يَذْكُرُنِي مَنَاءُ وَاَهْلِي كُلَّ ذِي عَمَلٍ نَفْسِ

وَلَيْسَ كَانَ الْبَاطُونُ قَدْ وَصَفُوا لِحُودِهَا وَنَالُوا فَا بَلَّغُوا فَلَقَدْ نَصَرُوا وَاَوَّحِلْ

مَمْدُوحٍ مِنْ اَنْتَقَصَ مَمْدُوحُ الْمَهْمَى وَاسْتَبْرَزَ فَنَقَرَطَهُ الْحَقْلُ وَكَفَّ

لَا وَالْكِتَابُ نَعْمَ لَا يَنْتَبِهُ سَاعَةَ الْوَحْدَةِ سَاعَةَ الْوَحْدَةِ وَنَعْمَ

الْفَرْزُ وَالْذَخْلُ وَنَعْمَ الْوَزِيرُ وَالْزَيْلُ عَالَمٌ عَلَى عِلْمَا وَطَرُوحٌ حَتَّى طَرَفَا وَاَنَا سِلَاحُ

وَحْدَا سَانٍ مَحْمِلٌ رَدْنٌ وَرَوْضَةٌ بَلَّتْ لِي حَجْرٌ هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ يُونَى

اَكَلَهَا كُلُّ نَاعَةٍ بِالْوَانِ مَحْلُفَةٌ وَطَعُومٌ مَسَانَةٌ هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا يَدِي

وَقَرُّهَا لَا تَوِي وَمَرَّ لَا يَفْنَى وَمَنْ لِلْخَلِيسِ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَحَلَاةُ وَالْحَقُّ ضِدُّ

طوق عن الموتى ورحم عن الأحياء غضبت عليه لم يعصب وإن تحطت
 عليه لم تحب اكتم من الأرض أكرم من الريح والهاشم الهوى وأخذع من
 المناويع من النخا وانطق من سخبان وال واعماس ناول هل سمعت علم
 واحد خلا حلل كثير وجع اوصاف عن عمنى نلتى هدى ندى
 روى يوناني ان عظامه وان الهاشم وان اذمع وان ضرب اوجع
 عندك وسعد منك ونزدك ونزدك ان جدر وان سرح نرفه
 قبر الارز وحرز الوداع بيد العلوم وينوع الحسمة ومنعدن المكازم
 وموسى ليام بيدك علم الاولين وخبرك عن كثير من انا الاخرين هل
 سمعت في الاولين ابلغت عن احدث النالن من جع هذه الاوصاف
 مع قله موته وحده محله لا يزال شيئا من ذنالك نعم الاخر والعقد والتغل
 والحمة لا يترك ورفق لا ملك يبيعاك المايا طاعته الهار وطبعك في
 النر طاعته في الحضر ان ادمت النظر اليه اطال اماعك وشحن طاعك
 في لئالك وجود نالك ونعم الفظك ان الفه خلديك الامام ذك
 وان رسته رنع في حلق وذك وان حملته نوه عندكم بامك متعد العيد
 في معاهد النادة وحسن النوة في مجالس الملوك فاصبرم به من صاحب
 واعز من مرائق وقد قال فيه الاول

- نية ناطلنا ما نهل جدتهم الباماميون غبا وشهدان
- ن يندوتامين منهم علم مانفى وراوا تاديا وعظا وسوددا
- ن فاعشه حتى ولا شوغره ولا عى منهم لانا ولا نيدا

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سيرة الشيخ المملوك

للإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الططوشي
٥٠١ هـ - ٥٢٠ هـ

رفع
عبد الرحمن (النجدى)
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ، خَالِقُ الْأَعْيَانِ وَالْآثَارِ ^(١) ،
وَمُكَوِّرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ ^(٢) ، الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ ، وَمَانِطُوى عَلَيْهِ
الْأَرْضُونَ وَالسَّمَوَاتُ ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .. ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَحْفٍ بِاللَّيْلِ
وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴾ ^(٣) ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(٤) .. خَلَقَ الْخَلْقَ
بِقُدْرَتِهِ ، وَأَخْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ ، وَخَصَّصَهُمْ ^(٥) بِمَشِيئَتِهِ ، وَذَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي
خَلْقِهِمْ مُعِينٌ ، وَلَا فِي تَذْيِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَظَاهِرٌ ^(٦) ، وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ
يَكُنْ ^(٧) ، أَوْ يَسْتَظْهِرُ مَنْ تَقَدَّسَ عَنِ الدُّلِّ بِمَنْ دَخَلَ ثَمْتُ ذَلِّ التَّكْوِينِ ؟
ثُمَّ كَلَّفَهُمْ مَعْرِفَتَهُ ، وَجَعَلَ عِلْمَ الْعَالَمِينَ بِعَجْزِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِهِ إِذْرَاكَ لَهُمْ ، وَمَعْرِفَةَ

(١) الأعيان : جمع عين ، وهى الحاضر من كل شيء ، والآثار : جمع أثر ، وهو ما خلفه السابقون .

(٢) معنى : مُدْبِلٌ وَقَدْ كُتِلَ مِنْهُمَا فِي الْآخِرِ .

(٣) سَارِبٌ بِالنَّهَارِ : أى ظاهر بالنهار في سريره ، والسَّرِبُ : الفرقة مِنَ الطير والحيوان . وهذا « تضمنين » من القرآن الكريم من سورة الرُّعد - الآية العاشرة ، وسيأتى كثيراً .

(٤) سورة المُلْك - الآية ١٤ .

(٥) خَصَّصَهُمْ : اختارهم واصطفاهم وصرفهم ، وفي « ط » : خَصَّصَهُمْ ، وهى بمعناها ، إذ يقال : خَصَّصَ فلاناً بالشئ : خَصَّصَهُ بِهِ .

(٦) الظاهر : الْمُعِين . والفعل يستظهر : أى يستعين .

(٧) أى : كيف يستعين الخالق - سبحانه وتعالى - بالخلوق الذى أوجده من العدم بقدْرته وعلْمِهِ ، وصَوْرَهُ بحِكْمَتِهِ ؟ فسبحان مَنْ قُوَّتُهُ فَوْقَ كُلِّ قُوَّةٍ ، وَقُدْرَتُهُ فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْعِزَّةِ وَالْعَلِيَّةِ ، وَالْمُهَيِّمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى .

الْعَارِفِينَ بِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ شُكْرِهِ شُكْرًا لَهُمْ ، كَمَا جَعَلَ إِفْرَارَ الْمُقَرَّرِينَ بِوُقُوفِ عُقُولِهِمْ
عَنِ الْإِحَاطَةِ بِحَقِيقَتِهِ إِيمَانًا لَهُمْ ، لَا يُلْزِمُهُ « لِمَ » ^(١) ، وَلَا يُجَاوِزُهُ « أَيْنَ » ^(٢) ،
وَلَا يُلَاصِقُهُ « حَيْثُ » ^(٣) ، وَلَا يَحُدُّهُ « مَا » ^(٤) ، وَلَا يَعْدُهُ « كَمْ » ^(٥) ، وَلَا يَحْصُرُهُ
« مَتَى » ^(٦) ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ « كَيْفَ » ^(٧) ، وَلَا يَنَالُهُ « أَيْ » ^(٨) ، وَلَا يَظْلُهُ « فَوْقَ » ،
وَلَا يُقَاهُ « تَحْتَ » ، وَلَا يُقَابِلُهُ « حَذَّ » ^(٩) ، وَلَا يُزَاجِمُهُ « بَدَّ » ^(١٠) ، وَلَا يَأْخُذُهُ
« خَلَفَ » ، وَلَا يَحُدُّهُ « أَمَامَ » ، وَلَمْ يُظْهِرْهُ « قَبْلَ » ، وَلَمْ

(١) لِلزَّمَنِ « لِمَ » : أَيْ طَلَبَ الْعِلْمَ .

(٢) « أَيْنَ » : لَفْظٌ أُطْلِقَ عَلَى الْمَحَلِّ الَّذِي يُسَبُّ إِلَيْهِ الْجِسْمُ . يَقُولُ ابْنُ سِينَا : « أَيْنَ هُوَ كَوْنُ الْجَوْهَرِ فِي مَكَانِهِ الَّذِي
يَكُونُ فِيهِ ، كَتَكُونُ « زَيْدٌ » فِي السُّوقِ » . وَيَقُولُ الْغَزَالِيُّ : « مِنَ الْأَيْنِ مَا هُوَ أَيْنُ بَدَاثَةِ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُضَافٌ ، فَالَّذِي هُوَ
أَيْنُ بَدَاثَةِ كَقَوْلِنَا : زَيْدٌ فِي الدَّارِ ، أَوْ فِي السُّوقِ . وَمَا هُوَ أَيْنُ بِالْإِضَافَةِ ، فَهُوَ مِثْلُ : فَوْقَ ، وَأَسْفَلَ ، وَبَيْنَ ، وَبِجَانِبِ ، وَحَوْلَ ،
وَرُوسَ ، وَمَامِينَ ، وَمَا لِي ، وَعِنْدَ ، وَمَعَ ، وَعَلَى ، وَمَا شَبَّهَ ذَلِكَ . وَلَكِنْ لَا يَكُونُ لِلْجِسْمِ أَيْنُ مُضَافٌ مَالِمٌ يَكُنْ لَهُ أَيْنُ
بَدَاثَةِ » أَهـ .

ونخلص من ذلك أن « الأَيْنَ » هو حصول الجسم في المكان ، أَيْ فِي الْحِيزِ الْخَاصِّ بِهِ ، وَيُسَمَّى هَذَا « أَيْنًا حَقِيقِيًّا .
[انظر المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا نقلاً عن معيار العلم للغزالي ص ٢٠٧ ، والنجاة لابن سينا ص ١٢٨ ،
ومقاصد الفلاسفة للغزالي ص ١٦٤ ط دار المعارف] .

(٣) حيث : ظرف يدل على المكان ، وقد يدل على الزمان أيضاً .

(٤) هكذا في « ط » و « ما » هنا للتصوُّر ، أَوْ نَكْرَةِ بِمَعْنَى شَيْءٍ ، وَالْمَعْنَى : لَا يُحِيطُ بِهِ - سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
تَصَوُّر . وَفِي « م » : « لَا يَأْخُذُهُ مَا » أَيْ : لَا يَنْزِلُ بِهِ شَيْءٌ - جَلَّ وَعَلَا - مِمَّا يَعْتَرَى مَخْلُوقَاتِهِ .

[انظر مقاصد الفلاسفة للغزالي ص ١١٨ ، ١١٩ ط دار المعارف] .

(٥) الكَمُّ : الْقَدَارُ ، وَهُوَ مَا يَقْبَلُ الْقِيَاسَ . وَالْكَمُّ فِي عِلْمِ الطَّبِيعَةِ مُقَابِلٌ لِلْكَيْفِ ، وَهُوَ مِنْ مَقُولَاتِ الْعَقْلِ
الْأَسَاسِيَةِ ، وَيُطْلَقُ عَلَى جَمِيعِ الْمَعَانِي الَّتِي يَتَنَاوَاهَا عِلْمُ الْحِسَابِ ، وَعِلْمُ الْمُهَنْدِسَةِ ، وَعِلْمُ الْمِيكَانِيكَا ، كَالْعَدَدِ ، وَالْقَدَارِ ،
وَالْإِضْطِدَادِ ، وَالْكَثَلَةِ ، وَالْحَرَكَةِ .. الخ .

[انظر المعجم الفلسفي لصليبا ج ٢ ص ٢٤٠ وما بعدها] .

(٦) يعنى : لَا يَحْصُرُهُ زَمَانٌ .

(٧) كيف : صِفَةُ الشَّيْءِ . وَحَالُهُ ، وَصُورَتُهُ .

(٨) أَيْ : تَعْيِينَ أَوْ تَصَوُّرٌ .

(٩) الْحَدُّ : الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ ، وَقَدْ يُطْلَقُ الْحَدُّ عَلَى اللَّحْظَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ زَمَانَيْنِ ، أَوْ عَلَى تَمَامِ الْفِعْلِ ، وَهِيَ
الْعِلْمُ .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ وانظر أيضاً المعجم الوسيط] .

(١٠) التَّدُّ : التَّيَسُّلُ وَالتَّظْيِيرُ . وَفِي « م » : بَفَتْحِ النُّونِ ، مِنَ الْجَوْدِ وَالسَّخَاءِ ، يُقَالُ : زَجَلَّ نَيْدٌ : أَيْ جَوَادٌ كَرِيمٌ . -

يَعْبَهُ ^(١) ، بَعْدَ ، وَلَمْ يَجْمَعُهُ كُلُّ ^(٢) ، وَلَمْ يُوجِدْهُ كَانَ ^(٣) وَلَمْ يُفْعِدْهُ
لَيْسَ ^(٤) .

وَصَفُّهُ لَا صِفَةَ لَهُ ، وَكَوْنُهُ لَا أَمَدَ لَهُ ، وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ وَالصُّورُ ، وَلَا تُعْبِرُهُ
الْأَيَّامُ وَالْغَيْرُ ^(٥) ، وَلَا تُجَوِّزُ عَلَيْهِ الْمَسَاسَةُ وَالْمُقَارَنَةُ ^(٦) ، وَتُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْمُحَاذَاةُ
وَالْمُقَابِلَةُ ، إِنْ قُلْتَ : لِمَ كَانَ ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْعِلَلُ ذَاتُهُ ، وَمَنْ كَانَ مَعْلُولًا كَانَ لَهُ غَيْرُهُ
عِلَّةٌ يُسَاوِقُهُ ^(٧) فِي الْوُجُودِ ، وَهُوَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَغْيَارِ ، بَلْ لَاعِلَةٌ لِأَفْعَالِهِ ^(٨) ، فَقُدْرَةُ اللَّهِ فِي
الْأَشْيَاءِ بِلَا مِزَاجٍ ، وَصُنْعُهُ ^(٩) فِيهَا بِلَا عِلَاجٍ ، وَعِلَّةٌ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ ، وَلَا عِلَّةٌ لِصُنْعِهِ ،
فَإِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْمَكَانُ وَجُودُهُ ، فَمَنْ أَيْنَ الْإِنِّ لَمْ يَنْتَفِرْ وَجُودُهُ إِلَى
أَيْنَ ، هُوَ بَعْدَ [خَلْقِ] ^(١٠) الْمَكَانِ غَنَى بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ ، وَكَيْفَ
يَحُلُ فِيهَا مِنْهُ بَدَأٌ ؟ أَوْ يَعُودُ إِلَيْهِ مَا هُوَ أُنْشَأَ ؟

= وفي « ط » : ولا يراجعه عند .. وربما يريد بها : عُدَّ ، بضم العين والنون ، جمع « عُنُودٍ » وهي تفيد الكثرة ،
إذ يقال : سحابة عُنُودَة أى كثيرة المطر .

[انظر لسان العرب لابن منظور - مادة عند] .

- (١) لم يَعْبَهُ : لَمْ يُعْبِدْهُ وَيَرَاهُ . وفي « ط » : لَمْ يُعْبَهُ ، بمعنى : يُخَصِّصُهُ . وربما كانت مُخَرَّفة عن « يُعْبِيهِ » .
(٢) الْكُلُّ : هكنا وردت في « م » بفتح الكاف ، ومن معانيها : الكل . والأنسب هنا ضمها بمعنى الجميع .
(٣) لَمْ يُوجِدْهُ « كان » : أى لم يوجدْهُ حَدَثٌ أو كائنٌ ، فسبحانه قَبْلَ كُلِّ الْأَحْدَاثِ ، وقبل كُلِّ الْكَائِنَاتِ ، وهو
الذى أَوْجَدَهَا بِإِرَادَتِهِ ، وَلَمْ يُوجِدْ بِإِرَادَةِ أَحَدٍ ، فهو - جَلَّ وَعَلَا - مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ : « كُنْ » فيكون ..
وَكُنْ : فعل التكوين الذى يُعَبِّرُ عن الخلق الإلهى ، فما شاء الله « كان » وما لَمْ يَشَأْ « لَمْ يَكُنْ » .
(٤) أى : نَفَى .

(٥) الْغَيْرُ : الْأَحْدَاثُ وَالْأَخْوَالُ .

(٦) فِي « م » : وَالْمُقَارَنَةُ .

(٧) فِي « م » : تُسَاوِقُهُ .

(٨) فِي « ط » : « وَهُوَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَعْيَانِ بِلَا عِلَّةٍ » والعِلَّةُ من كُلِّ شَيْءٍ : سَبَبُهُ . وعند الفلاسفة : كل ما يصدُر
عنه أمر آخر بالاستقلال ، أو بواسطة انضمام غيره إليه ، فهو عِلَّةٌ لِذَلِكَ الْأَمْرِ ، والأمر معلول له . وهى : علة
فاعلية ، أو مادية ، أو صورية ، أو غائية .

(٩) زاد في حاشية « م » : الْأَشْيَاءُ ، أى : وَصُنْعُهُ الْأَشْيَاءَ .

(١٠) ما بين المعرفتين عن « ط » وحاشية « م » .

وَأَنْ قُلْتُ : مَا هُوَ ؟ فَلَا مَاهِيَّةَ ^(١) لِيُجَوِّدِهِ ، وَ « مَا » مُضَوَّعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ ،
وَالْقَدِيمِ - تَعَالَى - لِاجْتِنْسٍ لَهُ ، لِأَنَّ الْجِنْسَ مَحْصُوصٌ بِمَعْنَى دَاخِلٍ تَحْتَ الْمَاهِيَّةِ ^(٢)
وَأَنْ قُلْتُ : كَمْ هُوَ ؟ فَهُوَ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ ، مُتَفَرِّدٌ ^(٣) بِصِفَاتِهِ ، وَإِنْ قُلْتُ : مَتَى كَانَ ؟
فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتُ كَوْنَهُ ، وَإِنْ قُلْتُ : كَيْفَ هُوَ ؟ فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفَ ^(٤) لَا يُقَالُ لَهُ
كَيْفَ ، وَمَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةُ جَارَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ ^(٥) ، وَإِنْ قُلْتُ : هُوَ ، فَالْهَاءُ ، وَالْوَاوُ
خَلْقُهُ ، بَلِ الزَّمَنُ الْكُلُّ الْحَدَثُ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَشْيَاحِ ، لِأَنَّ الْقَدَمَ لَهُ ، فَالَّذِي
بِالْجِسْمِ ظُهُورُهُ فَالْعَرَضُ ^(٦) يَلْزَمُهُ ، وَالَّذِي بِالْأَدَاةِ اجْتِمَاعُهُ فَقَوَاهَا تُمَسِّكُهُ ، وَالَّذِي
يُؤَلِّفُهُ وَقْتُ يُفَرِّقُهُ وَقْتُ ، وَالَّذِي يُقِيمُهُ غَيْرُهُ فَالضَّرُورَةُ تَمَسُّهُ ^(٧) ، وَالَّذِي الْوَهْمُ يَظْفَرُ
بِهِ ^(٨) فَالْتَّصَوُّيرُ يَرْتَقِي إِلَيْهِ ، وَمَنْ آوَاهُ مَحَلٌّ أَدْرَكَهُ آيُنٌ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ جِنْسٌ طَالَبُهُ ^(٩)

(١) هكذا في « م » . وفي « ط » : مائية ، وماهية الشيء : كُنْهُهُ وحقيقته .

(٢) في « ط » : المائية : بالهمز .

(٣) في « ط » : مُتَفَرِّدٌ .

(٤) كَيْفَ الشَّيْءُ : جَعَلَ لَهُ كَيْفِيَّةً مَعْلُومَةً ، وَكَيْفِيَّةَ الشَّيْءِ : حَالَهُ وَصِفَتَهُ ، وَهِيَ مُصَدَّرٌ صِنَاعِي ... وَقَدْ سَبَقَ
شَرْحُهَا .

(٥) في « ط » : جاز عليه النعت .

(٦) الْعَرَضُ : مَا يَطْرَأُ وَيَزُولُ ، مِنْ مَرَضٍ وَنَحْوِهِ . وَالْعَرَبُ يَطْنُقُونَ لَفْظَ « الْعَرَضُ » عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ تَرْجِعُ إِلَى
الْمَعْنَيْنِ الْآتَيْنِ :

أ - الْعَرَضُ ضِدُّ الْجَوْهَرِ : لِأَنَّ الْجَوْهَرَ هُوَ مَا يَقُومُ بِذَاتِهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَقُومَ بِهِ ، فَالْجِسْمُ جَوْهَرٌ يَقُومُ
بِذَاتِهِ ، أَمَّا النَّوْنُ فَهُوَ عَرَضٌ ، لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ لَهُ إِلَّا بِالْجِسْمِ . وَكُلُّ مَا يَعْضُ فِي الْجَوْهَرِ مِنْ لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَذَوْقٍ وَلِمْسٍ
وغيره فَهُوَ عَرَضٌ ، لِاسْتِحَالَةِ قِيَامِهِ بِذَاتِهِ .

ب - الْعَرَضُ ضِدُّ الْمَاهِيَةِ : وَهُوَ مَا لَا يَدْخُلُ فِي تَقْوِيمِ طَبِيعَةِ الشَّيْءِ ، أَوْ تَقْوِيمِ ذَاتِهِ ، كَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ لِلْإِنْسَانِ ،
فَهَذَا لَا يَدْخُلُ فِي تَقْوِيمِ مَاهِيَتِهِ .

أَمَّا الْفَلَسَافَةُ فَهُمْ يُقَسِّمُونَ الْعَرَضَ إِلَى لَازِمٍ وَمُفَارِقٍ ، فَالْعَرَضُ الْلازِمُ عِنْدَهُمْ هُوَ مَا لَا يَمْتَنِعُ انْفِكَاكَهُ عَنِ
الشَّيْءِ ، وَهُوَ إِذَا سَرِعَ الزَّوَالُ - كَحُمْرَةِ الْحَجَلِ وَصَفْرَةِ الرَّجُلِ - وَإِذَا بَطِئَ الزَّوَالُ - كَالثَّيْبِ وَالشَّيْبِ .
[انظر تعريفات الجرجاني والمعجم الفلسفي لصليبا ج ٢ ص ٦٩ ، ٧٠] .

(٧) في « م » : أَيْ : تَلْجِئُهُ الضَّرُورَةُ إِلَى الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهِ .

(٨) في « ط » : وَالَّذِي الْوَهْمُ يَطْرُقُهُ .

(٩) في « ط » : طَلَبُهُ .

كَيْفَ .. وَجُودُهُ إِثْبَاتُهُ ، وَمَعْرِفَتُهُ تَوْحِيدُهُ ، [وَتَوْحِيدُهُ ^(١)] تَمَيُّزُهُ مِنْ خَلْقِهِ ..
 مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهَوَ بِخِلَافِهِ .. لَا تُثَمِّقُ لَهُ ^(٢) الْعُيُونُ ، وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّنُونُ ،
 وَلَا تُصَوِّرُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ ، وَلَا يَقْدُرُ قُدْرَةُ الْأَنَامِ ، وَلَا يَخُوبِيهِ مَكَانٌ ،
 وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ ، وَلَا يَنْفَعُهُ وَلَدٌ ^(٣) ، وَلَا يَجْمَعُهُ عَدَدٌ .. قُرْبُهُ
 كَرَامَتُهُ ، وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ ، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَرْقُلٍ ^(٤) ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقِيلٍ .. ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ
 وَالْآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ^(٥) .. الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ ، الَّذِي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٦) .

وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ ^(٧) مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ،
 وَالصِّفَاتِ الْعُلَى ، وَالتَّعْوُثِ ^(٨) الْأَوْفَى ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٩) . وَأُؤْمِنُ بِهِ ^(١٠) وَمَلَأَكُنِيهِ وَكُنِيهِ وَرُسُلُهُ ، لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
 وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ [وَرَسُولُهُ] ^(١١) الْمُصْطَفَى ، وَأَمِينُهُ
 الْمُرْتَضَى ، أَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ الْوَرَى بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجَا
 مُنِيرَا ﴾ ^(١٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُتَّخِصِينَ ، وَأَزْوَاجِهِ
 الطَّاهِرَاتِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من م م .

(٢) لَا تُثَمِّقُ لَهُ الْعُيُونُ : أَيْ لَا تَنْتَظِرُ إِلَيْهِ . وَفِي « ط » : لَا تَغَالِيهِ ، بِمَعْنَى : لَا تَتَمَثَّلُهُ وَلَا تَتَصَوَّرُهُ .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : جَاءَتْ كَلِمَةُ « عَدَدٌ » بَدَلًا مِنْ « وَلَدٌ » ، وَصُحِّحَتْ فِي الْحَاشِيَةِ .. وَمَعْنَى
 « لَا يَنْفَعُهُ » : أَيْ لَا يَنْفَعُهُ يَفْلَهُ إِلَيْهِ .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « تَوْقُلُ » ، بِالرَّوَا .. وَكَلَامًا بِمَعْنَى الْاسْتِعْلَاءِ وَالطَّوَالِ .

(٥) سُورَةُ الْحَدِيدِ ، مِنَ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ .

(٦) الْآيَةُ الْحَادِيثَةُ عَشْرَةٌ مِنْ سُورَةِ الشُّورَى .

(٧) فِي « م » : « وَمَا شَهِدَ لِنَفْسِهِ » .

(٨) فِي « ط » : « وَالتَّعْوُثُ الْأَوْفَى » .

(٩) مِنَ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

(١٠) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « وَأُؤْمِنُ بِاللَّهِ » .

(١١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ « ط » .

(١٢) الْآيَةُ ٤٦ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ ^(١) فِي سِيرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ الْحَالِيَةِ ، وَمَا وَضَعُوهُ مِنَ السِّيَاسَاتِ فِي تَذْيِيرِ الدُّوَلِ ، وَالتَّزْمُوهِ مِنَ الْقَوَانِينِ فِي حِفْظِ النَّحْلِ ^(٢) ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ تَوَعِيْنًا : أَحْكَامًا وَسِيَاسَاتٍ ، فَأَمَّا الْأَحْكَامُ الْمُشْتَعِلَةُ عَلَى مَا اعْتَقَدُوهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْبَيُوعِ ^(٣) وَالْأُنْكِحَةِ ، وَالطَّلَاقِ وَالْإِجَارَاتِ وَنَحْوِهَا ، وَالرُّسُومِ الْمَوْضُوعَةِ لَهَا ، وَالْحُدُودِ الْقَائِمَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا ، فَأَمَرُوا صُطْلَحُوا عَلَيْهِ بِعُقُوبِهِمْ ، لَيْسَ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا بُرْهَانًا ، وَلَا أُتْرِلَ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ^(٤) ، وَلَا أُخَذُوهُ عَنْ تَذْيِيرٍ ، وَلَا اتَّبَعُوا فِيهِ رَسُولًا ، وَلَئِنَّمَا هِيَ صَادِرَةٌ عَنْ خَزَنَةِ النَّيْرَانِ ، وَسَدَنَةِ بَيُوتِ الْأَصْنَامِ ، وَعَبْدَةِ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْتَانِ ، وَلَيْسَ يَعْجَزُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يَضَعَ ^(٥) مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ أَمثَالَهَا وَأَشْبَاهَهَا .

وَأَمَّا السِّيَاسَاتُ الَّتِي وَضَعُوهَا فِي الزِّمَامِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ ، وَالذَّبَّ عَنْهَا ، وَالْحِمَايَةَ لَهَا ، وَتَعْظِيمَ مَنْ عَظَّمَهَا ، وَإِهَانَةَ مَنْ اسْتَهَانَ بِهَا وَخَالَفَهَا ، فَقَدْ سَارُوا فِي ذَلِكَ بِسِيرَةِ الْعَدْلِ ، وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ ، وَجَمَعَ الْقُلُوبِ عَلَيْهَا ، وَالزِّمَامِ النَّصْفَةِ ^(٦) فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى مَا تَوَجَّهَ تِلْكَ الْأَحْكَامُ ، وَكَذَلِكَ فِي تَذْيِيرِ الْخُرُوبِ وَأَمْنِ السَّبِيلِ ، وَحِفْظِ الْأَمْوَالِ ، وَصَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَالْحَرَمِ ، كُلُّ ذَلِكَ فَقَدْ سَارُوا فِيهِ بِسِيرَةٍ جَمِيلَةٍ ، لَا يَتَأَنَّى الْعُقُولُ شَيْءٌ مِنْهُ لَوْ كَانَتْ الْأَصُولُ صَحِيحَةً ، وَالْقَوَاعِدُ وَاجِبَةً ، فَكَانُوا فِي حُسْنِ سِيرَتِهِمْ لِحِفْظِ ^(٧) تِلْكَ الْأَصُولِ الْفَاسِدَةِ ، كَمَنْ زَحَرَفَ كَنِيْفًا ^(٨) ، أَوْ بَنَى عَلَى مَيْتٍ قَصْرًا مُنِيْفًا ^(٩) .

(١) فِي (م) .. لَمَّا نَظَرْتُ .

(٢) النَّحْلُ : جَمْعُ نَحْلَةٍ ، وَتُطْلَقُ عَلَى الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ .

(٣) فِي (ط) .. وَالْبَيُوعِ وَالْأَحْكَامِ .

(٤) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بُرْهَانٌ ، وَلَا أُتْرِلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ .

(٥) فِي (ط) : يَضَعُ .

(٦) النَّصْفَةُ : الْإِنْصَافُ .

(٧) فِي (ط) : يَحْفَظُ .

(٨) الْكَنِيفُ : الْمِرْحَاضُ .

(٩) الْمُنِيْفُ : الطَّوِيلُ الْمُتَرَفِّعُ ، وَالْمَشْرِفُ عَلَى غَيْرِهِ .

وَلَوْ لَبَسَ الْجَمَارُ ثِيَابَ خَرْ لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ جَمَارٍ ^(١)

فَجَمَعْتُ مَحَاسِنَ مَا انْطَوَتْ ^(٢) عَلَيْهِ سِيرُهُمْ ، خَاصَّةً مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ وَحُكَمَاءِ الدُّوَلِ ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ فِي سِتٍّ مِنَ الْأُمَمِ ، وَهُمْ : الْعَرَبُ ، وَالْفَرُسُ ، وَالرُّومُ ، وَالْهِنْدُ ، وَالسِّنْدُ ، وَالسِّنْدُ هُنْدُ ، فَأَمَّا مُلُوكُ الصِّينِ وَحُكَمَاؤُهَا ^(٣) فَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَرْضِ الْمَغْرِبِ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ كَبِيرُ شَيْءٍ ^(٤) لُبْعِدِ الشُّقَّةِ ^(٥) وَطُولِ الْمَسَافَةِ ، وَأَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأُمَمِ فَلَمْ يَكُونُوا أَهْلَ حِكْمٍ بَارِعَةٍ ، وَفَرَاحٍ نَافِذَةٍ ، وَأَذْهَابٍ ثَاقِبَةٍ ، وَإِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُمْ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ مِنَ الْحِكْمَةِ ، فَتَنَظَّمَتْ مَا أَلْفَيْتُ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْحِكْمِ ^(٦) الْبَالِغَةِ ، وَالسَّيْرِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَالْكَلِمَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَالطَّرِيقَةِ ^(٧) الْمَأْلُوفَةِ وَالتَّوْقِيعِ الْجَمِيلِ ، وَالْأَثَرِ النَّبِيلِ ، إِلَى مَارَوْيْتِهِ وَجَمَعْتُهُ مِنْ سَبِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَثَارِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَمُرَاعَاةِ ^(٨) الْعُلَمَاءِ ، وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ ، وَنَوَادِرِ الْخُلَفَاءِ ، وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ ، الَّذِي هُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ ، وَيَتَبَرَّعُ الْحِكْمِ ، وَمَعْدِنُ السِّيَاسَاتِ ، وَمَعَاوِصُ الْجَوَاهِرِ الْمَكْنُونَاتِ ، إِنْ اخْتَصَرَ فَلَمَحَّةٌ ذَالَّةٌ وَإِشَارَةٌ خَفِيفَةٌ ^(٩) ، وَإِنْ أَطَالَ فَالْفَاطُ بَارِعَةٌ ، وَأَيَّاتٌ مُعْجِزَةٌ ، وَهُوَ الْهَادِي مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَالْحَاوِي لِمَحَاسِنِ الدُّنْيَا وَفَضَائِلِ الْآخِرَةِ .

(١) الْخَرْ : أَحْسَنُ الْحَرِيرِ وَأَجُودُهُ .

(٢) فِي « ط » : انْطَوَى .

(٣) فِي « م » : وَحُكَمَاؤُهَا ، بِالْجَرِّ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً .. وَفِي « ط » : وَحُكَمَاؤُهُمْ ، وَالتَّائِبُ لِلْسِّيَاقِ : « وَحُكَمَاؤُهَا » ، أَيْ : حُكَمَاءُ الصِّينِ ، وَالثَّانِيَةِ يُمْكِنُ أَنْ تُؤَوَّلَ عَلَى حُكَمَاءِ أَهْلِ الصِّينِ ، وَبِذَلِكَ لَا يَكُونُ ثَمَّةُ خَطَأٍ .

(٤) الْعِبَارَةُ فِي « ط » : فَأَمَّا مُلُوكُ الصِّينِ وَحُكَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ .

(٥) الشُّقَّةُ : السَّفَرُ الْبَعِيدُ ، أَوْ الْمَسَافَةُ يَشْتَقُّ قَطْعُهَا .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : فَتَنَظَّمْتُ مَا أَلْفَيْتُ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ « وَكَلَامًا صَوَابًا .

(٧) فِي « ط » : وَالطَّرِيقَةُ .

(٨) فِي « ط » : وَبِرَاعَةِ الْعُلَمَاءِ ، أَيْ : بِكُلِّ فَضْلِهِمْ وَحُسْنِ فَصَاحَتِهِمْ ، أَمَّا مُرَاعَاةُ الْعُلَمَاءِ فَهِيَ تَعْنِي مَا حَفِظُوهُ وَأَبْقَوْا عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ ، يُقَالُ : رَأَيْتُ فُلَانًا الْأَمْرَ مُرَاعَاةً : إِذَا حَفِظَهُ وَأَبْقَى عَلَيْهِ .

(٩) فِي « ط » : « وَإِشَارَةٌ خَفِيفَةٌ » .

وَرَبَّيْتُهُ تَرْبِيًّا أَيْقًا ، وَتَرَجَّمْتُهُ تَرَاجِمَ [بَارِعَةً] ^(١) حَاوِيَةً لِمَقَاصِيدِهَا ، نَاطِقَةً بِحُكْمِهَا وَمُضْمُونِهَا ، يَلُجُّ الْأُذُنَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ ، وَيَقُولُجُ التَّامُورَ ^(٢) مِنْ غَيْرِ اسْتِثْمَارٍ ، أَلْفَاظُهَا قَوَالِبُ لِمَعَانِيهَا ، لَيْسَ أَلْفَاظُهَا ^(٣) إِلَى السَّمْعِ بِأَسْرَعَ مِنْ مَعَانِيهَا إِلَى الْقَلْبِ ، فَانْتَظَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ [وَإِحْسَانِهِ] ^(٤) غَايَةً فِي بَابِهِ ، غَرِيْبًا فِي فُنُونِهِ وَأَسْبَابِهِ ، خَفِيفَ الْحَمْلِ ^(٥) ، كَثِيرَ الْفَائِدَةِ ، لَمْ يَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهِ أَقْلَامُ ^(٦) الْعُلَمَاءِ ، وَلَا جَالَتْ فِي نَظْمِهِ أَفْكَارُ الْفُضَلَاءِ ، وَلَا حَوَتْهُ خَزَائِنُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ ، فَلَا يَسْمَعُ بِهِ مَلِكٌ إِلَّا اسْتَكْتَبَهُ ، وَلَا وَزِيرٌ إِلَّا اسْتَصْحَبَهُ ، وَلَا رَئِيسٌ إِلَّا اسْتَحْسَنَهُ ^(٧) وَاسْتَوْسَدَّهُ ، عِصْمَةً لِمَنْ عَمِلَ بِهِ مِنَ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الرِّيَاسَةِ ، وَجُنَّةً ^(٨) لِمَنْ تَحَصَّنَ بِهِ مِنْ أَوَّلِي الْأَمْرِ ^(٩) وَالسِّيَاسَةِ ، وَجَمَالَ لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ ^(١٠) وَالْمُحَاضَرَةِ ، وَعُتُوَانٌ لِمَنْ فَاوَضَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمُبَاجَلَسَةِ وَالْمُدَاكِرَةِ ، وَسَمِيَّتُهُ « سِرَاجُ الْمُلُوكِ » .. يَسْتَعْنِي ^(١١) الْحَكِيمُ بِدِرَاسَتِهِ عَنْ مُبَاحَثَةِ الْحُكَمَاءِ ^(١٢) وَالْمَلِكِ ^(١٣) عَنْ مُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ .

وَاعْلَمُوا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - أَنَّ أَحَقَّ مَنْ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ الْحِكْمُ ، وَأَوْصِلَتْ إِلَيْهِ النَّصَائِحُ ،

(١) ما بين المعقوفين عن ط : وساقط من م : .

(٢) هكذا في ط : .. والتَّامُورُ والتَّامُورُ ، بهز ويغير همز ، يُطلق على القلب ، والنفس ، ويُطلق أيضاً على الصَّومَةِ ، وعلى وزير الملك . وَيَقُولُجُ التَّامُورُ ، أَى : يدخل القلب . وفي م : : « المأمور » بدل « التامور » والاستشار : طلب الأمر .

(٣) في م : : ألفاظ .

(٤) ما بين المعقوفين عن ط : .. وفي م : : « وأحكمته » بدل « وإحسانه » .

(٥) في ط : : الحمل .

(٦) في م : : أقلام .

(٧) في م : : استجسده .

(٨) جُنَّة : وقاية .

(٩) في م : : الإمرة . أَى : الإمارة .

(١٠) في ط : : الآداب .

(١١) في ط : : يستغنى به .

(١٢) في م : : العلماء .

(١٣) في ط : : والملوك .

وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ الْعُلُومُ ، مَنْ آتَاهُ اللَّهُ سُلْطَانًا نَفَقَذَ فِي الْخَلْقِ حُكْمَهُ ، وَجَارَ ^(١) عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ .

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْأَجَلَ [الْمَأْمُون] ^(٢) تَأَجَّ الْخِلَافَةُ ، عَزَّ الْإِسْلَامُ ، فَحَرَ الْأَنْامَ ^(٣) ، نِظَامَ الدِّينِ ، خَالِصَةَ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أبا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدًا الْآمِرِيَّ ^(٤) ، أَذَامَ اللَّهُ لِإِعْزَازِ الدِّينِ نَصْرَهُ ، وَأَنْفَذَ فِي الْعَالَمِينَ بِالْحَقِّ أَمْرَهُ ، وَأَوْزَعَ كَافَّةَ الْخَلْقِ شُكْرَهُ ، وَكَفَاهُمْ فِيهِ مَحْذُورَهُ وَضَرَّهُ ، فَقَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ^(٥) ، فَسَطَ فِيهِمْ يَدُهُ ، وَكَشَرَ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَعَرَفَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ يُمْنَهُ وَبَرَكَتَهُ ، وَتَقَلَّدَ أُمُورَ الرِّعْيَةِ ^(٦) وَسَارَ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ قَضِيَّةٍ ^(٧) ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَاجِعًا فِي الثَّوَابِ ، طَالِبًا سَبِيلَ ^(٨) الْعَدْلِ ، وَمَتَاهِجَ الْإِنْصَافِ وَالْفَضْلِ ، رَغِبْتُ أَنْ أُخَصِّصَ بِهِذَا الْكِتَابَ ، رَجَاءَ لَطْفِ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ يَوْمَ ^(٩) تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّ تَوَّ أَنْ يَنْهَاهَا وَبَيْنَهَا أَمَلًا يَبْعِدًا ﴾ ^(١٠) .

(١) في م : : وجار .

(٢) ما بين المعقوفين عن ط : وساقط من م : وهو : أبو عبد الله المأمون البطاحي .

(٣) الأنام : الخلق .

(٤) في م : و ط : : الأموي ، بالواو ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، نسبة إلى « الأمير بأحكام الله أبو علي المنصور بن المستعل » أما المأمون فهو عبد الله محمد بن أبي شجاع بن أبي الحسن غنار ، المعروف بمحمد بن قاتك البطاحي - أو المأمون البطاحي - الذي استوزره الأمر بعد مقتل الأفضل .

[انظر مقدمة المحقق ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٩ - ٣٠٣ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٧٢ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٠ وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة للدكتور / أحمد سعيد سليمان ج ١ ص : ١١٣ ط دار المعارف ، وتاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم ص ١٧٣ وما بعدها] .

(٥) هكذا في ط : : وفي م : : وقد تفضل الله تعالى بالحق أمره المسلمين .

(٦) هكذا في ط : : وفي م : : وتقلد فيهم أمور الرعية .

(٧) في م : : القضية .

(٨) في ط : : سبيل .

(٩) هكذا في ط : : وفي م : : في يوم .

(١٠) الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وَلَنَذْكُرَ فَضَائِلَهُ وَمَحَاسِنَهُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ، كَمَا قِيلَ :

النَّاسُ يَهْدُونَ عَلَى قَدَرِهِمْ^(١) لَكِنِّي أَهْدِي عَلَى قَدَرِي
يَهْدُونَ مَا يَنْفَعِي وَأَهْدِي الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْآيَامِ وَالْدَّهْرِ^(٢)

فَإِنَّ الْعِلْمَ عِصْمَةُ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ ، وَمَعْقِلُ السَّلَاطِينِ وَالْوُزَرَاءِ^(٣) ، لِأَنَّهُ يَمْنَعُهُمْ مِنَ
الظُّلْمِ ، وَيُرُدُّهُمْ إِلَى الْجَنَمِ^(٤) ، وَيَصُدُّهُمْ عَنِ الْأَذْيَةِ ، وَيُعْطِفُهُمْ عَلَى الرُّعْيَةِ ، فَمِنْ
حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ ، وَيُكْرِمُوا حَمَلَتَهُ ، وَيَسْتَبْطِنُوا^(٥) أَهْلَهُ .

وهذه أبواب الكتاب وعدتها^(٦) أربعة وستون باباً :

الباب الأول : في مواعظ الملوك .

الباب الثاني : في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين .

الباب الثالث : فيما جاء في الولاية والقضاة ، وما في ذلك من العرر والخطر .

الباب الرابع : في معرفة ملك سليمان بن داود [عليهما السلام]^(٧) ووجه طلبه
للملك ، وسؤاليه ألا يؤتاه أحد من بعده .

الباب الخامس : في فضل الولاية والقضاة^(٨) إذا عدلوا .

الباب السادس : في أن السلطان مع رعيته مغبون غير غايب ، وخاسير غير رابح .

(١) في « م » : « والدَّكْرُ » بدل « والدَّهْرُ » .

(٢) في « م » : جاءت الكلمتان : الوزراء والأمراء كل منهما مكان الأخرى ، وسقطت « لأنه » بعدها .

(٣) الجنم ، بكسر الحاء المهملة : الآثاء وضبط النفس .

(٤) يستبطنوا أهله : يتخونهم أصحاباً وبطانة لهم . وفي « م » : « ويستبطنوا أهله » أي : يطلبوا منهم أن يتحدثوا

ليعرفوا دخالهم وسرائرهم ، ويستفيدوا من علمهم .

(٥) في « م » : « وعدتهم » . والناسب لغة ما أثبتناه .

(٦) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٧) في « م » : القضاة والولاة .

البَابُ السَّابِعُ : فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي كَوْنِ السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ .

البَابُ الثَّامِنُ : فِي مَنَافِعِ السُّلْطَانِ وَمَضَارِّهِ .

البَابُ الثَّاسِعُ : فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الرُّعْيَةِ .

البَابُ الْعَاشِرُ : فِي مَعْرِفَةِ خِصَالِ وَرَدِ الشَّرْعِ بِهَا ، فِيهَا نِظَامُ الْمُلْكِ وَالْدَوْلِ .

البَابُ الْحَادِي عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُ السُّلْطَانِ ، وَلَا ثَبَاتَ لَهُ دَوْلَتُهَا .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي زَعَمَ الْمُلُوكُ أَنَّهَا أَزَالَتْ دَوْلَتَهُمْ وَهَدَمَتْ سُلْطَانَتَهُمْ .

البَابُ الثَّلَاثَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الصِّفَاتِ ^(١) الَّتِي زَعَمَ الْحُكَمَاءُ ^(٢) أَنَّهَا لَا تُدِيمُ مَعَهَا مَمْلَكَةً .

البَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ : فِي الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي السُّلْطَانِ ^(٣) .

البَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي يَعْزُ بِهَا السُّلْطَانُ .

البَابُ السَّادِسَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ مَلَكَ أُمُورِ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّابِعَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ خَيْرِ السُّلْطَانِ وَشَرِّ السُّلْطَانِ .

البَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الْقُرْآنِ .

البَابُ الثَّاسِعَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ خِصَالِ جَامِعَةٍ لِأَمْرِ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ أَرْكَانُ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ : فِي بَيَانِ حَاجَةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْعِلْمِ .

(١) فِي « ط » : الصِّفَاتِ الرَّابِعَةِ .

(٢) فِي « م » : « الْخُلَفَاءُ » بِدَلِّ « الْحُكَمَاءُ » .

(٣) فِي « ط » : « وَقَدْ اتَّفَقَ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ عَلَيْهَا » زَائِدَةٌ عَمَّا جَاءَ فِي « م » .

البَابُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ : فِي وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
لِكَمِيلِ بْنِ زِيَادٍ [فِي الْعِلْمِ] ^(١) .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْعَقْلِ وَالذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْوُزَرَاءِ وَصِفَاتِهِمْ ^(٢) .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْجُلَسَاءِ وَأَدَابِهِمْ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ جَمَالُ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْمَشَاوِرَةِ وَالنَّصِيحَةِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْعِلْمِ وَمَحَاسِنِهِ وَمَحْمُودِ عَوَاقِبِهِ .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِيمَا يَسْكُنُ بِهِ الْعُصْبُ .

البَابُ الْثَالِثُونَ : فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ .

البَابُ الْخَادِي وَالْثَالِثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا .

البَابُ الثَّانِي وَالْثَالِثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الصَّبْرِ وَجَمِيلِ عَوَاقِبِهِ .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْثَالِثُونَ : فِي كَيْفِيَّةِ السِّرِّ وَمَحَاسِنِهِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْثَالِثُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ رَهْنُ بَسَائِرِ ^(٣) الْخِصَالِ ، وَزَعِيمِ

بِالْمَزِيدِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ مِنْ ذِي الْجَلَالِ ، [وَالْإِكْرَامِ] ^(٤) ، وَهِيَ الشُّكْرُ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْثَالِثُونَ : فِي بَيَانِ السِّيَرَةِ الَّتِي يَصْلُحُ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ وَتُسَهِّلُ

صُحْبَةَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ .

(١) ما بين المقوفتين زيادة عن « ط » .

(٢) في « ط » : وَأَوْصَافِهِمْ .

(٣) في « ط » : لِسَائِرِ .

(٤) ما بين المقوفتين عن « م » وساقط من « ط » .

البَابُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي فِيهَا غَايَةُ كَمَالِ السُّلْطَانِ [وَشِفَاءُ الصُّلُوحِ وَرَاحَةُ الْقُلُوبِ وَطِبْيَةُ النُّفُوسِ] (١) .

البَابُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي فِيهَا (٢) مَلْجَأُ الْمُلُوكِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَمَعْقِلُ السُّلَاطِينِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْمَمَالِكِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الْمُوجِبَةِ لِدَمِّ الرُّعْيَةِ [لِلْسُّلْطَانِ] (٣) .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي مَثَلِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ وَالْجَائِرِ .

البَابُ الْاِثْنَعُونَ : فِيْمَا يَجِبُ عَلَى الرُّعْيَةِ إِذَا جَارَ السُّلْطَانُ .

البَابُ الْحَادِي وَالْاِثْنَعُونَ : فِي كَمَا تَكُونُونَ (٤) يُؤْلَى عَلَيْكُمْ .

البَابُ الثَّانِي وَالْاِثْنَعُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي بِهَا تَصْلُحُ الرُّعْيَةُ .

البَابُ الثَّلَاثُ وَالْاِثْنَعُونَ : فِيْمَا يَمْلِكُ السُّلْطَانُ مِنَ الرُّعْيَةِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْاِثْنَعُونَ : فِي التَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْاِثْنَعُونَ : فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْاِثْنَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ مَعَ الْجُنْدِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْاِثْنَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي اسْتِجْبَاءِ الْخَرَاجِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْاِثْنَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي بَيْتِ الْمَالِ .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْاِثْنَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي الْإِتْفَاقِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ (٥) .

(١) ما بين المعقوفين عن ط و ساقط من م .

(٢) هكذا في م .. وفي ط : معرفة الخصلة التي هي ..

(٣) ما بين المعقوفين عن ط و ساقط من م .

(٤) ورد الفعل « تكونون » في م ، و ط ، بحذف النون والصواب إثباتها .

(٥) في ط ، في سيرة السلطان في بيت المال ، وقد جاء هذا العنوان والذي سبقه كل منهما مكان الآخر .

البَابُ الْخُمْسُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي تَذْيِينِ الدُّوَابِّ ، وَفَرْضِ الْأَرْزَاقِ ، وَسِيرَةِ الْعُمَالِ .

البَابُ الْحَادِي وَالْخُمْسُونَ : فِي أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ .

البَابُ الثَّانِي وَالْخُمْسُونَ : فِي بَيَانِ الصِّفَاتِ الْمُتَعَبِّرَةِ فِي الْوَلَاةِ .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْخُمْسُونَ : فِي بَيَانِ الشُّرُوطِ وَالْعُهُودِ الَّتِي تُؤْخَذُ عَلَى الْعُمَالِ . .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْخُمْسُونَ : فِي هَدَايَا الْعُمَالِ وَالرِّشَا عَلَى الشَّفَاعَاتِ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْخُمْسُونَ : فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْخُمْسُونَ : فِي الظُّلْمِ وَشُؤْمِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْخُمْسُونَ : فِي السَّعَايَةِ وَالنَّبِيْمَةِ وَقُبْحِهِمَا ^(١) .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْخُمْسُونَ : فِي الْقِصَاصِ وَحِكْمَتِهِ .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْخُمْسُونَ : فِي الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ .

البَابُ السُّتُونَ : فِي الشَّجَاعَةِ وَتَمَرَّتِهَا .

البَابُ الْحَادِي وَالسُّتُونَ : فِي الْحُرُوبِ وَتَنْذِيرِهَا .

البَابُ الثَّانِي وَالسُّتُونَ : فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَحْكَامِهِمَا .

البَابُ الثَّالِثُ وَالسُّتُونَ : فِي الْجَامِعِ ^(٢) مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ [وَحِكَايَاتِهِمْ] ^(٣) .

البَابُ الرَّابِعُ وَالسُّتُونَ : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ مَثَوْرَةٍ [وَهُوَ آخِرُ الْكِتَابِ وَكَمَالُ الْأَبْوَابِ] ^(٤) .

(١) فِي « ط » : فِي السَّعَايَةِ وَالنَّبِيْمَةِ ، وَمَا يَتَوَلَّى إِلَيْهِ أَمْرُهَا مِنَ الْأَفْعَالِ الرَّدِيئَةِ ، وَالْعَوَاقِبِ الذَّمِيَّةِ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : وَهُوَ جَامِعٌ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفِينَ سَاقِطٌ مِنْ « م » .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفِينَ عَنْ « ط » وَسَاقِطٌ مِنْ « م » .

البَابُ الْأَوَّلُ

فِي مَوَاعِظِ الْمُلُوكِ

لَقَدْ خَابَ [وَخَسِرَ] ^(١) مَنْ كَانَ حَظُّهُ [مِنْ] ^(٢) اللَّهِ الدُّنْيَا .. اعْلَمْ أَيُّهَا
الرَّجُلُ - وَكُنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ - أَنَّ عُقُولَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ كَانَتْ كِبَارًا ، إِلَّا أَنَّهَا
مُسْتَعْرِفَةٌ ^(٣) بِكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ ، فَتَسْتَدْعِي ^(٤) مِنَ الْمَوْعِظَةِ مَا يَتَوَلَّجُ عَلَى تِلْكَ الْأَفْكَارِ ،
وَيَتَفَلَعُ فِي مَكَامِينَ تِلْكَ الْأَسْرَارِ ، فَتَرْفَعُ ^(٥) تِلْكَ الْأَسْتَارَ ، وَتُبْكَ ^(٦) تِلْكَ الْأَمِجَّةُ ^(٧)
وَالْأَقْفَالُ ، وَيُصْنَلُ ذَلِكَ الصَّدَأُ وَالرَّانُ ^(٨) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ ﴾ . [وَقَالَ] ^(٩) : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ ^(١٠) فَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ

(١) ما بين المعرفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) ما بين المعرفتين عن « ط » .

(٣) هكذا في « م » .. ولي « ط » : مشغوفة .

(٤) في « ط » : ليستدعى .

(٥) في « ط » : ليرفع .

(٦) في « ط » : وتُبْكَ .

(٧) الأمِجَّةُ : جمع كِمان ، بكسر الكاف ، ويُطلق على الغطاء ، وعلى كل شيء يقى شيئاً ويستتره .

(٨) الرَّانُ : الغطاء والحجاب الكثيف ، ويُطلق أيضاً على الصدأ الذي يعلو الشيء وعلى الدُّنس .

(٩) ما بين المعرفتين عن « م » وساقط من « ط » . وران على قلوبهم : أى غطى وغبب عليها . والآية
بتامها : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ سورة المطففين - الآية ١٤ .

(١٠) الآية ٧٧ من سورة النساء .

الدُّنْيَا ^(١) بِأَنْهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ مَا أُوتِيتَ مِنْ ذَلِكَ الْقَلِيلِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٢) ثُمَّ ذَلِكَ الْقَلِيلُ إِنْ تَمَتَّعْتَ بِهِ وَلَمْ تَعَصِ اللَّهَ فِيهِ ، فَهُوَ لَهُوَ وَلَعِبٌ [وَزِينَةٌ] ^(٣) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ ﴾ ^(٤) ثُمَّ قَالَ ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٥) فَلَا تَبِعْ أَهْلَهَا الْعَاقِلُ لَعِبًا قَلِيلًا يَفْنَى ، بِحَيَاةِ الْأَبَدِ حَيَاةٍ [لَا تَفْنَى] ^(٦) وَشَبَابٍ لَا يَبْلَى ، كَمَا قَالَ الْفُضَيْلُ [رَجِمَهُ اللَّهُ] ^(٧) : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا ذَهَبًا يَفْنَى ، وَكَانَتِ الْآخِرَةُ حَزَقًا يَبْقَى ، لَوَجِبَ أَنْ نَخْتَارَ حَزَقًا يَبْقَى عَلَى ذَهَبٍ يَفْنَى » فَكَيْفَ وَقَدْ اخْتَرْنَا حَزَقًا يَفْنَى عَلَى ذَهَبٍ يَبْقَى ؟! نَأْمُلُ بِعَمَلِكَ : هَلْ آتَاكَ اللَّهُ مِنْ الدُّنْيَا مَا آتَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، حَيْثُ آتَاهُ مُلْكُ جَمِيعِ الدُّنْيَا ، وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ [وَالطَّيْرِ] ^(٨) وَالْوَحْشِ : وَ ﴿ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ^(٩) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « جميع متاع الدنيا » وما جاء في « ط » هو المناسب للسياق ، والضمير - بعدها - يؤكد ذلك .

(٢) في « م » : « قليل » بالرفع ، وهو خطأ . وفي « ط » « قليلا » بالنصب ، وهو الصواب ، لأن « ما » هنا نافية ، و « أُوتِيتَ » فعل ماضي مبنى للمجهول ، والثاء نائب فاعل . و « من ذلك » جار ومجرور ، و « القليل » بدل من ذلك ، و « إلا » للحصر ، و « قليلا » مفعول به . ومثله في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ مُؤَلَّكَ بِأَمْرِي ﴾ بفتح اللام . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

(٣) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » لم نرْذ كلمة « اعلموا » في أول الآية ، وكلمة « وزينة » في آخرها ، والآية بتامها : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ ، وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أُنْجَبَ الْكُفَّارُ نَبَاتُهُ ، نَحْمُ هَبَّيْحَ قَرَاهُ مُصْفَرًا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [سورة الحديد - الآية ٢٠] الغيث : المطر .. هبَّيْح : يَبْس ، حطماً : فَنَاءٌ هَشِيماً . الغرور : الخداع والباطل .

(٥) الآية بتامها : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت - الآية ٦٤] هو ولعب : أى لذائذ مُتَصَرِّمَةً ، وخداع وعبت باطل . لَهِيَ الْحَيَوَانُ : أى لَهِيَ دار الحياة الدائمة الخالدة .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » ، وساقط من « م » .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من « م » . والفضيل هو : الْفُضَيْلُ بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ وهو من كبار الصوفية والعُبَاد الصالحين . انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٨ ص ٨٤ وما بعدها .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من « م » .

(٩) الآية بتامها : ﴿ نَسْخَرُهُ لِرِيحٍ عَجْرَى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [سورة « ص » - الآية ٣٦] رُخَاءً : حيث أصاب : لَيْتَهُ أَوْ مُتَفَادَةً حَيْثُ أَرَادَ .

ثُمَّ زَادَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٢) فَوَاللَّهِ مَا عَدَدَهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِيبَهَا رِفْعَةً وَمَنْزِلَةً ^(٣) كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ^(٤) وَهَذَا فَضْلُ الْخِطَابِ لِمَنْ تَدَبَّرَ أَنْ يَقُولَ لَهُ [رَبُّهُ] ^(٥) فِي مَعْرِضِ الْجَنَّةِ : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ثُمَّ خَافَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ اسْتِذْرَاجًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ .

هذا وَقَدْ قَالَ لَكَ وَلِسَائِرِ أَهْلِ الدُّنْيَا : ﴿ قَوْلُكَ لَتَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٦) وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ^(٧) تَأْمَلْ بِعَقْلِكَ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ^(٨) أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ » ^(٩) . وَالْوَيْ سَمْعَكَ إِلَى مَا نَزَلَ بِهِ

(١) ما بين المقوفين عن (م) .

(٢) سورة «ص» - الآية ٣٩ .. هذا عَطَاؤُنَا : أى هذا الْمُلْكُ هو عَطَاؤُنَا إِيَّاكَ ، تنصرف فيه كما تشاء . فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ : أى فضضل بما تشاء على من تشاء ، فَأَعْطِ أَوْ احْرَمْ مَنْ تَشَاء ، فَلَكَ مُطْلَقُ التَّصَرُّفِ .
بغير حساب : أى غَيْرَ مُحَاسَبٍ على شيء من الأمرين : الإِعْطَاءِ أَوْ الْمَنْعِ .

(٣) لى م : ١ : وَلَا حَسِيبَهَا كِرَامَةً .

(٤) يَتْلُوَنِي : لِيُخْبِرُنِي وَيُخَبِّرُنِي . وهذا جزء من الآية ٤٠ من سورة النمل ، وتكملته : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ .

(٥) ما بين المقوفين ساقط من (م) .

(٦) الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ من سورة الحجر .

(٧) من الآية ٤٧ من سورة الأنبياء ، ومثقال حَبَّةٍ : أى وَزْنُ حَبَّةٍ . وَالْخَرْدَلُ : نبات يُضْرَبُ به المثل في الصَّغَرِ ، فيقال : ما عَصِدَى خَرْدَلَةً مِنْ كَذَا .

(٨) لى م : ١ : « إِلَى مَا رَوَى » .. وفى ط : ١ : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » بدل « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

(٩) هذا الحديث عن ابن عباس أورده أبو نعيم في الحلية ، وقال عنه : حديث غريب من حديث الحكم بن مجاهد ، لم نكتبه إلا من حديث عبد الكبير عن أبيه ، وقد ورد الحديث في سنن ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : مثل الدنيا ، عن سهل بن سعد قال : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَدَى الْحُلَيْقَةُ ، فَأَذَا هُوَ بِشَاةٍ مِثَّةٍ شَالَتْ بِرِجْلَيْهَا ، فَقَالَ : أَتَرَوْنَ هَذِهِ مِثَّةً عَلَى صَاحِبِهَا ؟ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَلدُّنْيَا أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا » أ هـ . وفى الزوائد ، فى إسناده زكرا بن منظور ، وهو ضعيف ، وفيه : أن أصل المتن صحيح .

[انظر حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٠٤ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٧٧] .

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى [نَبِيٍّ] ^(١) مُحَمَّدٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ : عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْرِيٌّ بِهِ » . فَانْظُرْ إِلَى ^(٢) مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ مِنْ صَرَعَةِ الْمَوْتِ ^(٣) وَفِرَاقِ الْأَحِبَّةِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ ، فَلَوْ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرُهَا لَكَانَتْ كَافِيَةً .

أُنْظُرْ بِفَهْمِكَ إِلَى مَارَوَاهُ الْحَسَنُ ^(٤) ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِمَنْزِلٍ قَوْمٌ قَدِ ارْتَحَلُوا عَنْهُ ، وَإِذَا طَلَا ^(٥) مَطْرُوحٌ فَقَالَ : « أَتُرَوْنَ ^(٦) هَذَا هَانَ عَلَى أَهْلِهِ » فَقَالُوا : مِنْ هَوَانِهِ عَلَيْهِمْ

(١) ما بين المعقوفين عن « م » « صلى الله عليه وسلم » بدل « صلى الله عليه وسلم » .

(٢) في « ط » ، فَانْظُرْ مَا اشْتَمَلَتْ بِحَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ .

(٣) هكذا في « م » « مِنْ تَصَرُّمِ الصَّمْرِ » أَيْ : ذَهَابِهِ .

(٤) في « ط » : : الحسين « تحريف .. والصواب ما أثبتناه ، فالحديث المروى هنا جاء بعقود روايات : عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وأنس بن مالك ، وأبي موسى ، وابن عمر ، وعبد الله بن ربيعة السلمي وغيرهم . والحسن قد رَوَى عن أبي هريرة وعن ابن عمر ، وابن عباس وأنس وغيرهم والْحَسَنُ هو : أبو سعيد ، الحسن بن أبي الحسن يسار ، المعروف بالحسن البصري ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وفقه ، وزهد وورع وعبادة ، وكان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، رضى الله عنه ، وأمه « خيرة » مولاة أم سلمة ، زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وولد الحسن بالمدينة سنة ٢١ هـ ، ويذكرون أن أمه كانت زُبَيْناً غَابَتْ فَبَكَى الصَّبِيُّ فَتَعَطَّلَ عَنْهُ - رضى الله عنها - ثَلَاثًا ثَلَاثًا بِهِ إِلَى أَنْ تَمَيَّءَ أُمُّهُ ، فَدَرَّ عَلَيْهَا قُدْحُهَا فَفَشَّرَتْهُ ، فَتَرَوْنَ أَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَةَ وَالْفَصَاحَةَ الَّتِي كَانَ يَتَمَيَّزُ بِهَا مِنْ بَرَكَةِ ذَلِكَ .. تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١١٠ هـ .

[انظر الحديث في الحلية ج ٢ ص ١٨٩ وحلل الحديث للإمام الرازي ج ٣ ص ١٠٩ ، وسُنَنُ التِّرْمِذِيِّ في أبواب الزهد ج ٩ ص ١٩٨ وسُنَنُ ابْنِ مَاجَةَ ج ٢ ص ١٣٧٧ ، ومَجْمَعُ الزَّوَادِ لِلْهَيْثَمِيِّ ج ١٠ ص ٢٨٩ ، والزهد لابن حنبل ص ٣٠ ، والترغيب والترهيب للسندي ج ٤ ص ١٧٢ والنظر ترجمة الحسن في طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٥٦ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٩ وكتابات الجرح والتعديل للرازي ج ٣ ص ٤٠ ترجمة ١٧٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢١ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٢٧] .

(٥) الطَّلَا : بِالْأَلْفِ وَالْيَاءِ ، طَلَى : اللِّسَانُ : الطَّلَى : الصَّغِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ « وَطَلَّى عَلَى الْوَلَدِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَاهِمِ وَالْوَحْشِ مِنْ حِينَ يُولَدُ إِلَى أَنْ يَنْشَدُدَ ، وَوَلَدَ الطَّلَبَةُ . وجاء في حديث : « شاة » وفي حديث آخر : « سَخْلَةٌ جَزَاءُ أَنْجَرِهَا أَهْلُهَا » وفي حديث ثالث : « مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ بِشَاةٍ مَيْتَةٍ » وفي حديث رابع : « مَرَّ بِجَدْيٍ أَسْلَكَ مَيْتَةٍ » وفي حديث خامس : « مَرَّ بِدُمْنَةٍ قَوْمٌ فِيهَا سَخْلَةٌ مَيْتَةٌ » والدمنة آثار الناس ، وما سَوَّدُوا ، وَطَلَّى أَهْلًا عَلَى الْمَرْبِئَةِ . وَالسَّخْلَةُ : الْأُتَى مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ . وَالْجَدَى : الذَّكَرُ مِنْ أَوْلَادِ الْمَغِيرِ . وَأَسْلَكَ : أَيْ صَغِيرُ الْأُذُنَيْنِ .

(٦) في « م » : : « أَتُرَوْنَ » بدل « أَتُرَوْنَ » .

الْقُوَّةَ فَقَالَ : وَالَّذِي ^(١) نَفْسِي بِيَدِهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ ^(٢) مِنْ هَذَا عَلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ
الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِيفَةِ الْمَطْرُوحَةِ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) : قَالَ
لِيَ النَّبِيُّ ﷺ ^(٤) : « أَلَا أُرِيكَ الدُّنْيَا جَمِيعًا ^(٥) بِمَا فِيهَا ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَأَخَذَ
بِيَدِي وَأَتَى بِي إِلَى وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا مَرْزَلَةٌ فِيهَا رُعُوسُ النَّاسِ ، وَعِذْرَاتُ ^(٦) ،
وَجُرْحٌ بِالْيَةِ ، وَعِظَامُ الْبَهَائِمِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذِهِ الرُّعُوسُ كَانَتْ تَخْرُصُ
[عَلَى الدُّنْيَا] ^(٧) كَحِرْصِكُمْ ، وَكَأُمْلُ آمَالِكُمْ ، ثُمَّ هِيَ الْيَوْمَ تَسَاقُطُ جَلْدًا بِلا عَظْمٍ ،
ثُمَّ هِيَ صَائِرَةٌ رَمَادٌ رَمِيدًا ^(٨) ، وَهَذِهِ الْعِذْرَاتُ الْوَنُ أَنْطَعَمَتْهُنَّ ، اكْتَسَبُوها مِنْ حَيْثُ
اكْتَسَبُوها ، وَقَدْ فُوتُوها ^(٩) فِي بَطُونِهِمْ ، فَأَصْبَحَتْ وَالنَّاسُ يَتَحَامَوْنَهَا ^(١٠) ، وَهَذِهِ الْجُرْحُ
[الْبَالِيَةُ] ^(١١) يَبَاشُهُمْ وَلِبَاسُهُمْ ، فَأَصْبَحَتْ ^(١٢) وَالرِّيحُ تُصَفِّقُهَا ^(١٣) ، وَهَذِهِ الْعِظَامُ
عِظَامُ دَوَابِّهِمْ الَّتِي كَانُوا يَتَجَمَّرُونَ ^(١٤) عَلَيْهَا أَطْرَافَ الْبِلَادِ ، فَمَنْ كَانَ بَاكِيًا عَلَى الدُّنْيَا
فَلْيَبْكْ . قَالَ : فَمَا بَرِحْنَا حَتَّى اسْتَدَّ بِكَأُونَا ، ^(١٥) .

(١) ل : ط : : قَالَ : فَوَالَّذِي .

(٢) ل : م : : لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَى أَهْلِهِ .

(٣) مابن المعرفين عن م .

(٤) ل : ط : : عَلَيْهِ السَّلَام .

(٥) هكذا ل : م .. ول : ط : : جَمْعًا . والحديث مروي في إحياء علوم الدين للغزالي في كتاب « ذم الدنيا »
ج ٣ ص ٢١٧ باختلاف يسير في بعض ألفاظه .

(٦) ل : ط : : د : م : : رُعُوسُ النَّاسِ .. ول : الإحياء : : رُعُوسُ أَنْاسٍ وَعِذْرَاتُ .. ول : م : : : وعليه
الْعِذْرَاتُ ، وَالْعِذْرَاتُ : جمع عِذْرَةٍ وهي الغائط « البراز » .

(٧) هكذا ل : ط .. ول : م : : والإحياء : : كَانَتْ تَخْرُصُ كَحِرْصِكُمْ .

(٨) رَمَادًا رَمِيدًا : أي كالرماد المتناهي في الاحتراق والدقة .

(٩) ل : ط : : : ثُمَّ لَقِوْهَا .

(١٠) يَتَحَامَوْنَهَا : يتجنبونها .

(١١) مابن المعرفين عن ط : وساقط من م .

(١٢) هكذا ل : م .. ول : ط : : : ثُمَّ أَصْبَحَتْ .

(١٣) تُصَفِّقُهَا : أي تُحَرِّكُهَا وتُفَلِّقُهَا .

(١٤) يَتَجَمَّرُونَ عَلَيْهَا : أي يَأْتُونَ .

(١٥) لم أقف على هذا الحديث في كتب الحديث المروفة ، وقد عُلِّقَ عليه الحافظ العراقي زين الدين أبو الفضل ،
المتوفى سنة ٨٠٦ هـ في كتابه : المنى عن الأسفار في هامش الإحياء ، بقوله : « لا أجد له أصلًا » [انظر إحياء
علوم الدين ج ٣ ص ٢١٨ طبعة الدار المصرية اللبنانية] .

وَقَالَ ابْنُ عَمَرَ ^(١) : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ جَسَدِي ^(٢) فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيلٍ ، وَاعْتِذْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى » .. يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي مَتَى يَفْجُوكَ الْأَجَلُ ، فَلَا تُقَتِّرْ بِطُولِ الْأَمَلِ ، فَإِنَّهُ يُقَسِّي الْقَلْبَ ، وَيُفْسِدُ الْعَمَلَ ، وَقَدْ عَرَّى اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٣) أَقْرَامًا مَدَّ لَهُمْ فِي الْأَجَلِ ، فَقَسَتْ مِنْهُمْ الْقُلُوبُ ، وَطَالَ مِنْهُمْ الْأَمَلُ ، فَقَالَ [تَعَالَى] : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَزَلُ ^(٤) مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ لَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » ^(٥) .

أَحْسَنْتَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ وَلَمْ تَحْفَ سَوْءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتُ بِهَا وَعِنْدَ صَفْرِ اللَّيَالِي يَخْذُ الْكَدَرُ

(١) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن ، نشأ في الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه - وقيل . كانت هجرته قبل هجرة أبيه - أُنْقِىَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ سِتِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا قُلَّ عُثْمَانُ عَرَضَ عَلَيْهِ نَقَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبَايَعُوهُ بِالْخِلاَفَةِ ، فَأَتَى ، وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَثِيرَ الصَّدَقَةِ ، قَالَ نَافِعٌ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا اشْتَدَّ عَجِبُهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ قَرَّبَهُ لِرَبِّهِ . وَقَالَ عَنْهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : « مَا نَا إِلَّا مَرَّةً مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَمَالُ بِهَا ، مَا خَلَا عُمَرُ وَابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ٧٣ هـ . [انظر ترجمته في أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٠ - ٣٤٥ وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٨٩ كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن عمر وغيره من كتب المناقب والتراجم] .

وقد ورد هذا الحديث المروي عنه كاملاً في أسد الغابة ص ٣٤٤ المجلد الثالث ، وورد مُجْتَزَئاً فِي الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ ج ١١ ص ٢٢٣ وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ فِي كِتَابِ الزَّهْدِ ، بَابِ « مِثْلِ الدُّنْيَا » ج ٢ ص ١٣٧٨ وَفِي التِّرْمِذِيِّ فِي الزَّهْدِ أَيْضاً ، بَابِ مَا جَاءَ فِي هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ج ٩ ص ١٩٧ وَمَابَعْدَهَا .

(٢) فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ : « أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْنِيكِي » وَفِيهِ تَعْيِينُ مَا لَهُمْ فِي الرِّوَايَةِ الْوَارِدَةِ فِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ لَيْثٍ : « أَخَذَ بَعْضَ جَسَدِي » وَالْمَنَكِيكُ ، بِكَسْرِ الْكَافِ : مُجْتَمَعُ الْعِضْدِ وَالْكَيْفِ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ « ط » فِي الْمَوْضِعَيْنِ .

(٤) فِي « م » : « أَنْزَلَ » وَلَمْ أَقِفْ عَلَى قِرَاءَةِ بِالْهَمْزَةِ ، فَقَدْ قَرَأْتُ نَافِعَ وَحَفْصَ وَالْمُفَضَّلَ عَنْ عَاصِمٍ : « وَمَا تَزَلُ » خَفِيفَةٌ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ : « وَمَا تَزَلُ » مُشَدَّدَةً الزَّايَ مَفْتُوحَةً النَّونَ ، وَرَوَى عَبَّاسٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍو : « وَمَا تَزَلُ » مَرْتَعَةً النَّونَ ، مُشَدَّدَةً الزَّايَ مَكْسُورَةً [انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد تحقيق د . شوقي ضيف ص ٦٢٦ ط دار المعارف] .

(٥) سُورَةُ الْحَدِيدِ - آيَةُ ١٦ .. وَالْبَيِّنَاتُ بَعْدَهَا وَرَدَا فِي « طَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ » لِابْنِ الْمُلَقِّنِ ، عَلَى لِسَانِ مَجْنُونٍ يَعْظُمُ فِيهَا الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ .

[انظر المصدر المشار إليه ص ٢٦٩] .

أَيْنَ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ ؟ أَيْنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا فِي اللَّذَاتِ وَالْمَارِبِ ^(١) ؟ أَيْنَ الَّذِينَ تَاهَوْا ^(٢) عَلَى الْخَلَائِقِ كَيْتًا وَعَيْتًا ؟ أَيْنَ الَّذِينَ رَاخُوا فِي الْحُلِيِّ ^(٣) بُكْرَةً وَعَشِيًّا ؟ أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَلَانُوا الْمَلَابِسَ أَثْنًا وَرِيًّا ^(٤) ؟ [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَخْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا] ^(٥) . أَيْنَ الَّذِينَ مَلَّوْا ^(٦) مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ فَخْرًا وَعِزًّا ؟ أَيْنَ الَّذِينَ قَرَشُوا الْقُصُورَ غَرًّا وَبَرًّا ^(٧) ؟ أَيْنَ الَّذِينَ تَضَعَضَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ هَيْبَةً وَهَرًّا ؟ أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَذَلُّوا الْعِبَادَةَ قَهْرًا وَكِرًّا ^(٨) ؟ [هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ كُنْصَعُ لَهُمْ رِكْرًا] ^(٩) . أَفَنَافَهُمُ - وَاللَّهِ مُفْنِي الْأُمَمِ ، وَأَبْأَدُهُمْ مُبِيدُ الرُّمَمِ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ ، وَأَسْكَنْتَهُمْ فِي ضَيْقِ ^(١٠) الْقُبُورِ ، تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ ، فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ^(١١) ، فَعَاثَ اللَّوْدُ فِي أَبْدَانِهِمْ ^(١٢) ، وَاتَّخَذَ مَقِيلًا فِي أَجْسَادِهِمْ ^(١٣) ، فَسَالَتْ أُمُيُونُ عَلَى

(١) المَارِب : الحاجات ، ولطَّلَقَ عَلَى مَا يَنْتَهِجُهُ النَّزْءُ وَيَتَمَتَّاهُ .

(٢) تَاهَوْا : أَيْ تَكَيَّرُوا وَغَلَّوْا .. وَلَوْ « ط » : « أَسْرَفُوا » بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، أَيْ : جَاوَزُوا الْخُدَّ ، وَلَطَلَهَا ، أَشْرَفُوا بِالْشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، بِمَعْنَى : نَظَرُوا إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ غَلٍّ .

(٣) رَاخُوا فِي الْحُلِيِّ : فَرَحُوا بِالثَّيَابِ الْجَدِيدَةِ الْجَيِّدَةِ ، وَطَابَتْ لَهُمْ ، فَسَارُوا بِهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مُتَبَايِنِينَ مُفْتَحِرِينَ .
(٤) اسْتَلَانُوا الْمَلَابِسَ : غَلَّوْهَا لَيْتَةً .. أَثْنًا : الْأَثَامَاتُ يُطْلَقُ عَلَى مَتَاعِ الْبَيْتِ مِنَ الْفِرَاشِ وَغَوَاهِ ، وَعَلَى الثَّيَابِ وَغَوَاهَا .. رِيًّا : أَيْ : رِيًّا ، وَالرُّيُّ : حُسْنُ الْمَنْظَرِ فِي الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ وَالْمُهَيْمَةِ .

(٥) الْآيَةُ لَمْ تَرُدَّ فِي « ط » وَهِيَ الْآيَةُ الرَّابِعَةُ وَالسَّبْعُونَ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَلَوْ « ط » : « تَمَلَّكُوا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ عِزًّا وَفَخْرًا » . وَالْخَافِقَانِ : أَفْئَا السَّحَابِ وَالْمُتَرَبِّبِ .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » .. وَلَوْ « م » : « وَقَرُّوا أَيْ : وَغَرَّبُوا » .

وَالْغُرُّ مِنَ الثَّيَابِ ، مَا يَتَسَنَّجُ مِنْ صُوفٍ وَلِزْنِيمٍ - أَيْ حَرِيرٍ جَدِيدٍ - أَوْ مَا يَتَسَنَّجُ مِنَ الْحَرِيرِ الْخَالِصِ . وَالزُّرُّ : مَتَاعُ الْبَيْتِ مِنَ الثَّيَابِ خَاصَّةً . وَقِيلَ : ضَرْبٌ مِنَ الثَّيَابِ .

[انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ، مَادَّةُ : تَزَرُّ] .

(٨) اللَّوْدُ : الْفُلَّةُ .

(٩) سُورَةُ مَرْيَمَ - الْآيَةُ ٩٨ .. وَالرُّكْرُ : الصُّوْتُ الْخَلْقِيُّ .

(١٠) فِي « ط » : « ضَنْكُ الْقُبُورِ » ، وَهِيَ بِمَعْنَى الضَّيْقِ أَيْضًا .

(١١) فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ الْآيَةُ ٢٥ : « فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ » بِالْبَاءِ ، إِشَارَةً إِلَى قَوْمٍ عَادٍ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكْتَهُمُ الرِّيحُ .

(١٢) فِي « ط » : « أَجْسَادُهُمْ » . وَعَاثَ اللَّوْدُ فِي أَبْدَانِهِمْ ، أَيْ : أَفْسَدَ فِيهَا .

(١٣) فِي « ط » : « أَبْدَانُهُمْ » . وَالْمَعْنَى : أَنَّ اللَّوْدَ اتَّخَذَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ مَكَانًا يَقِيمُ فِيهِ وَيَسْتَرْحِ .

الْخُلُودِ ، وَامْتَلَأَتْ تِلْكَ الْأَفْوَءُ بِالْذُّرُودِ ، وَتَسَاقَطَتِ الْأَعْضَاءُ ، وَتَمَزَّقَتِ الْجُلُودُ ، وَتَنَاقَرَتِ اللَّحُومُ ، وَتَقَطَّعَتِ الْبُطُونُ ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا جَمَعُوا ، وَلَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا ، أَسْلَمَكَ الْأَحِبَّةُ وَالْأَوْلِيَاءُ ، وَهَجَرَكَ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْغِيَاءُ ، وَنَسِيَكَ الْقُرْبَاءُ وَالْبُعْدَاءُ ، فَأَمْسَيْتَ وَلَوْ نَطَقْتَ لَأَشَدَّتْ قَوْلَنَا عَنْ سُكَّانِ الثَّرَى ، وَرَهَائِنِ الثَّرْبِ وَالْبِلَى ^(١) :

مُقِيمٌ بِالْحَجُونِ رَهِيْنُ رَمْسٍ وَأَهْلِي رَائِحُونَ بِكُلِّ وَادٍ ^(١)
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمْ حَبِيْبًا وَلَا كَانُوا الْأَحِبَّةَ فِي السَّوَادِ ^(٢)
فَعُوجُوا لِلْسَّلَامِ فَإِنْ أُبَيِّتُمْ فَأَوْثُوا بِالْسَّلَامِ عَلَى بَعَادِ ^(٣)
فَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَجَفَا خَلِيلٌ سِوَانَا فَاذْكُرُوا صَفْوَةَ الْوَدَادِ ^(٤)
وَذَلِكَ أَقَلُّ مَا لَكَ مِنْ حَبِيْبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ^(٥)
فَلَوْ أَنَا بِمَوْقِعِكُمْ وَقَفْنَا سَفِينَا الثَّرْبِ مِنْ مُهْجِ الْفُؤَادِ ^(٦)

وَقَالَ مُكْرَمُ بْنُ يُوسُفَ الْعَابِدِ : أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَنْ قِفْ عَلَى الْمَدَائِنِ وَالْحُصُونِ ، فَأُيْلِعُهُمْ ^(٨) عَنِّي خَرْقَيْنِ : لَا تَأْكُلُوا إِلَّا طَيْبًا ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا إِلَّا

(١) في « ط » : : في سُكَّانِ الثَّرَى ، والثرى : الأرض أو التراب .. والرهائن : جمع رهينة ، وهي ما يرهَن ، ويقال : الإنسان رهين أو رهنٌ عليه ، مأخوذٌ به . ويعني برهائن الثرب والبلى : الأموات الذين حُبِسُوا في الثرب رهنَ الفَتَاءِ والاندثار . وفي « م » : : الْبَلَاءُ ، بفتحين ، أى : البلاء ، بمعنى الشدة ، أو المحنة التى تنزل بالمرء ليختبر بها .

(٢) الْحَجُونُ : جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها والرَّمْسُ : القبر .

(٣) السَّوَادُ ، بفتح السين : يُطلق على معظم الناس ، وسواد الأمير : حاشيته ، وسواد القلب حَبَّتُهُ ، وبكسرهما : الْمُسَارَّةُ ، وهى المناجاة ، يقال : سَارَءُ مُسَارَةً ، أى : ناجاه وأعلمه بغيره .

(٤) فَعُوجُوا لِلْسَّلَامِ ، أى : مُرُوا علينا من أجل السلام . ويقال : عاج بالمكان : أقام به ، أو أَلِمَ به ومَرَّ عليه ، وهو المراد هنا . فَأَوْثُوا ، أى : أشهروا . وفي « م » : : فَأَوْثُوا بِالْسَّلَامِ ، أى : ألقوا به .

(٥) جَفَا خَلِيلٌ ، أى : تَبَا أو سَاءَ حُلُقُهُ . وفي « ط » : : صَفَا خَلِيلٌ ، أى : صَدَّقَ فى إِيخَانِهِ وَمَوَدَّتِهِ . وكلا المعنيين له وجه .

(٦) يَوْمُ التَّنَادِ : يوم القيامة ، حيث يُنادى فيه النَّاسُ للحشر . وفى سورة « غافر » - الآية ٣٢ : ﴿ وَيَأْقُومُ إِلَى أَنْحَافٍ عَلَيْهِمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ .

(٧) مُهْجِ الْفُؤَادِ : دمَاء القلب .

(٨) فى « ط » : : وَأُيْلِعُهُمْ .

بالحق . وَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ الرُّقَاشِيُّ ^(١) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : عِظْنِي يَا يَزِيدُ ^(٢) .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبٌ مَيِّتٌ . فَبَكَى وَقَالَ زِدْنِي [يَا يَزِيدُ]
فَقَالَ : ^(٣) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالتَّارِ مَنْزِلٌ . فَسَقَطَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَا تَغْفُلَنَّ عَنْ تَذَكُّرِ ^(٤) مَا تَقِفُهُ مِنْ خَوَافِ الْفَنَاءِ ، وَتَقْضَى الْمَسَارَّ ،
وَذَهَابِ ^(٥) اللَّذَاتِ ، وَالْقِصَاصِ الشَّهَوَاتِ ، وَبَقَاءِ التَّيَعَّاتِ ، وَالتَّغْلَابِهَا حَسَرَاتٍ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا
دَارٌ مَنْ لَادَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مَنْ لَامَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَاعْقَلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادَى مَنْ
لَاعْلَمَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَافَقَهُ لَهُ .. مَنْ صَحَّ فِيهَا سَقَمَ ، وَمَنْ سَلِمَ فِيهَا هَرِمَ ^(٦) ،
وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ ، وَمَنْ اسْتَقْنَى فِيهَا فُتِنَ ، حَلَالُهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ،
وَتُسَابُحُهَا عِقَابٌ ^(٧) ، مَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ ^(٨) ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَثْبَتَهُ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ ،
وَمَنْ بَصُرَ بِهَا ^(٩) بَصُرَتْهُ ، لَأَخِيرُهَا يَدُومُ ، وَلَا شَرْهَا يَنْقَى ، وَلَا فِيهَا لِمَحْلُوقٍ بَقَاءٌ .

(١) هو : يزيد بن أباان الرُقَاشِيُّ البَصْرِيُّ : أبو عمرو الزاهد العابد .

[انظر خبره في حلية الأولياء ج ٣ ص ٥٠ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٨] .

(٢) هنا في « ط » زيادة لَمْ تَرُدْ في « م » ، وهي : قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اغْلَمْ أُنْكَ [لَسْتُ] أَوَّلَ خَلِيفَةِ نَحْوِ !!
فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ : زِدْنِي يَا يَزِيدُ . وما بين المعقوفين لم ترد في « ط » ولا يستقيم المعنى إلا بها .

(٣) في « م » : قال .. وما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) في « م » : عن ذِكْرِ .

(٥) الْمَسَارُّ : جَمْعُ مَسْرَةٍ ، وهي مَاهُجْرُ الْإِنْسَانِ . وَتَقْضَى الْمَسَارُّ : فَتَازَهَا وَانْقَطَعَهَا . وفي « ط » :
وَتَقْضَى الْمَسَارُّ بِذَهَابِ اللَّذَاتِ .

(٦) صَحَّ : بَرِيءٌ مِنَ الْفَرَسِ .. سَقِمَ : طَالَ مَرَضُهُ .. سَلِمَ : نَجَا مِنَ الْآفَاتِ وَغَوَّهَا .. هَرِمَ : كَبُرَ وَضَعُفٌ ..
وفي « م » : « بَرِمَ » أي : سَقِمَ وَضَجِرَ .

(٧) بمعنى : ما يلتبس علينا فيها من الأمور غير الْمُمَيَّزَةِ تُغَالِبُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٨) سَاعَاَهَا : سَابَقَهَا فِي السَّعْيِ .. وَفَاتَتْهُ ، أي : أي سَبَقَتْهُ وَلَمْ يُلْزِكْهَا .

(٩) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « نَظَرَ بِهَا » . وَبَصُرَ بِالشَّيْءِ : عَلِمَ بِهِ وَابْصُرَهُ . وَبَصُرَتْهُ : عَلِمَتْهُ وَغَرَّقَتْهُ
أَخِيرَ مِنَ الشَّرِّ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَاتُخْذَعَنَّ كَمَا تُخْدَعُ مَنْ قَبْلَكَ ، فَإِنَّ الذِّى أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ
إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ يَدَيْكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَلَوْ
بَقِيَتْ الدُّنْيَا لِلْعَالَمِ لَمْ تَصِرْ لِلْحَاجِلِ ، وَلَوْ بَقِيَتْ لِلْأَوَّلِ لَمْ تَنْتَقِلْ إِلَى الْآخِرِ ^(١) .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً ، ثُمَّ سَلَّمْتَ عَلَيْكَ بِالْخِلَافَةِ ،
وَأَلَقْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا ، وَأَفْلَذَ كَبِدَهَا ، ثُمَّ كُنْتَ طَرِيدَةً لِلْمَوْتِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ
تَتَهَنَّأَ بِعَيْشٍ .. لَا فَخْرَ فِيهَا يُزُولُ ، وَلَا غِنَاءَ فِيهَا لَا يَبْقَى ، وَهَلِ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَا قَالَ
الْأَوَّلُ : قَدَرْتُ تَعْلَى ، وَكَيْفَ يُعْمَلُ ^(٢) ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَقَدْ سَأَلْتُ الدَّارَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ قَبَسَمْتُ عَجَبًا وَلَمْ تُبْدِ
حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى الْكَئِيفِ فَقَالَ لِي أَمْوَالُهُمْ وَتَوَالُهُمْ عِنْدِي ^(٣)

وَلَقَدْ أَصَابَ ابْنُ السَّمَّكِ لَمَّا قَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : يَا بَنَ السَّمَّكِ ^(٤) عِظْنِي ، وَبِيَدِهِ شَرَبَةٌ
مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ حُبِسَتْ عَنْكَ هَذِهِ الشَّرَبَةُ ، أَكُنْتَ

(١) في م : : لِلْآخِرِ .

(٢) في م : : يَذَرُ تَغْلًا ، هَكَذَا ، أَيْ بِمَا لِلشَّيْءِ - مَنْ غَلِيَتْ تَعْلَى - وَهِيَ لُغَةٌ مِنْ بَابِ تَعَبَ .. قَالَ
أَبُو الْأَسود الدُّوَلِيُّ :

[وَلَا أَقُولُ لِقَدْرِ الْقَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ وَلَا أَقُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَقْلُوقٌ]

وما أَشْبَهَهُ عَنْ ط : هو النصيح والمشهور - من باب ضرب - قال تعالى في سورة الدخان : الآية ٤٥ :
﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ [انظر المصباح - مادة غلى] والكيف : المِرْخَاضُ .
(٣) التَّوَالُ : التَّصَيُّبُ وَالْعَطَاءُ .

(٤) ابن السَّمَّكِ : واعظ كان يعظ الخليفة هارون الرشيد ، هو والفضيل بن عياض ، وغيرها من الزُّمَّادِ ،
وَالصَّالِحِينَ ، وكان الرشيد يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَيَتَوَاضَعُ لَهُمْ ، وله معهم قصص مشهورة في أمهات كتب التراث العرفِ
الإسلامي .

[انظر ذِكْرَ بعض سيرة الرشيد مع هؤلاء العلماء والصلحين في : الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٥ ص ١٣١ -
١٣٣ ط دار الكتاب العرفي ، وتاريخ الطبري ج ٨ ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ط دار المعارف ، وشذرات الذهب لابن العماد
الخبيل ج ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٦ ط دار المسيرة ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ٩ ص ٢٨٧ - ٢٨٩ ط مؤسسة
الرسالة ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٢٢٤] .

تَفْدِيهَا ^(١) بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ حَبَسَ عَنْكَ خُرُوجُهَا أَكُنْتُ تَفْدِيهَا بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلَا خَيْرَ فِي مُلْكٍ لَا يُسَاوِي شَرَبَهُ وَلَا بَوْلَهُ .
أَيُّهَا ^(٢) الشَّابُّ ، لَا تُعْتَرِ بِشَبَابِكَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوتُ الشَّبَابُ ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنْ أَقْلُ النَّاسِ الشُّيُوخُ .

يَا أَيُّهَا الشَّابُّ ، كَمْ مِنْ جَحَلٍ فِي الثُّنُورِ وَأَبُوهُ يَرْعَى ^(٣) ، وَكَمْ مِنْ طِفْلِ فِي التَّرَابِ وَجَدَهُ يَحْيَا . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، [وَسَلَامُهُ] لَأُسْقُفَ ^(٤) قَدْ أَسْلَمَ : عِظْمِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كَانَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَمَنْ تُرْجُو ؟ قَالَ : أَحْسَنَتْ ، فَرَزْنِي . قَالَ : إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَكَ فَمَنْ تَخَافُ ؟ قَالَ : أَحْسَنَتْ ، فَرَزْنِي . قَالَ : أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ ذَنْبَ الْمُذْنِبِينَ ^(٥) ، أَلَيْسَ قَدْ فَاتَهُمْ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ ؟ قَالَ : حَسْبِي حَسْبِي ، وَيَكْفِي أَرْبَعِينَ صَبَاحًا .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَدِمَ صَعَصَعَةٌ ، يَعْنِي عَمَّ الْفَرَزْدَقِ ^(٦) ، عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) هكذا في « م » ، في الموضعين .. وفي « ط » : « تَفْدِيهَا » في الموضع الأول ، و « تَفْدِيهَا » في الموضع الثاني .. وفي شلوات الذهب : « لَوْ نُبِغَتْ هَذِهِ الشَّرَبَةُ ، بِكَمْ تَشْتَرِيهَا ؟ » قَالَ : بِمُلْكِي .. وفي الكامل : « ... بِكَمْ كُنْتُ تَشْتَرِيهَا ؟ » قَالَ : بِنِصْفِ مُلْكِي ، وَقَدْ لَيْدِي بِمَعْنَى وَاحِدٍ .. فَنَدَاهُ : اسْتَغْنَاهُ بِمَالٍ أَوْ غَيْرِهِ فَخَلَصَهُ وَمَا كَانَ فِيهِ .. وَخَذَى الْأَسِيرَ : فَنَدَاهُ ، أَوْ قَدَّمَ الْفَلَنَةَ عَنْهُ .

(٢) في « م » : « يَا أَيُّهَا . »

(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَأَبُوهُ فِي الرِّعَاءِ » ، وَالرِّعَاءُ وَالرِّعَاةُ ، بِكَسْرِ الرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ وَضَمِّهَا : جَمْعُ رَاعٍ . وفي حاشية « م » : جَاءَتْ كَلِمَةُ « خُرُوف » بِدَلٍّ جَهْلٍ .

(٤) مابن المعفوفين عن « م » . وَالْأُسْقُفُ ، بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا : رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ التَّصَاوِي فَوْقَ الْقِسَيسِ وَخُذُونَ الْمَطْرَانَ .

(٥) هكذا في « ط » وفي « م » : « أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لِلْمُذْنِبِينَ » .

(٦) هناك خلاف وأكبر بين « صَعَصَعَةٍ » بِمَعْلُومَةٍ وَ « صَعَصَعَةٍ » بِمَعْلُومَةٍ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ وَرَدَ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ فِي تَرْجُمَةِ صَعَصَعَةَ بْنِ مَعْلُومَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ . وَرَوَاهُ أَيْضًا سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ جَرِيرٍ ، وَقَالَ - مِثْلَ الْحَسَنِ : صَعَصَعَةُ « هَمُّ الْفَرَزْدَقِ » .. وَقَدْ وَجَّهَ بَعْضُهُمْ فِي صَعَصَعَةَ بْنِ مَعْلُومَةَ هَمُّ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، فَقَالَ : « صَعَصَعَةُ هَمُّ الْفَرَزْدَقِ » ، وَهُوَ غَلَطٌ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ جَلَدَهُ - صَعَصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالٍ - وَاسْمُ الْفَرَزْدَقِ : قُتَيْبُ بْنُ غَالِبٍ بْنِ صَعَصَعَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي تَيْمٍ ، وَوَجْهُهُ بَنِي بَجَاشَعٍ ، وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَفْتَدِي =

وَسَمَّ ، فَسَمِعَهُ يَقْرَأُ ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ 〉 (١) فَقَالَ : حَسْبِيَ حَسْبِيَ ، لَا أَبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ آيَةَ غَيْرِهَا .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِحُمَيْدِ الطَّوِيلِ (٢) : عِظْنِي ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ إِذَا عَصَيْتَ اللَّهَ ظَنَنْتَ أَنَّهُ يَرَاكَ فَلَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَى رَبِّ عَظِيمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ ظَنَنْتَ (٣) أَنَّهُ لَا يَرَاكَ ، فَلَقَدْ كَفَرْتَ بِرَبِّ رَجِيمٍ (٤) .

وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِلَى سُلَيْمَانَ (٦) : إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ

= الموعودات ، وله صحبة ، والأول مُتَخَلَّفٌ فِي صُحْبَتِهِ ، وَقَدْ مَدَحَهُ الْفَرَزْدَقُ بِإِخْدَاءِ الْمَوْعِدَاتِ .. جَاءَ فِي اللِّسَانِ : قَالَ الْفَرَزْدَقُ مَادِحاً جَلْدَهُ صَعَصَعَةً بِنِجَاجَةٍ :

وَجَدْتُ الَّذِي مَنَعَ الْوَالِدَاتِ وَأَخِيَا الْوَالِدَ فَلَمْ يُؤَادِ
وَالْوَادُ : ذَنْبُ الْإِنْتِجَاءِ حَيْثُ عِنْدَ وِلَادَتِهَا .

[انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٢١ - ٢٣ ترجمة صَعَصَعَةُ بِنِ مَعَاوِيَةَ وَصَعَصَعَةُ بِنِ نَاجِيَةَ .. وَانْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ ط دَارُ الْمَعَارِفِ مَادَّةُ « وَادٌ » .. وَانْظُرْ شَرْحَ دِيوَانَ الْفَرَزْدَقِ لِإِبْرَاهِيمَ الْحَاوِي ط دَارُ الْكِتَابِ اللَّبْنَانِي ج ١ ص ٢٩٣] .

(١) سُورَةُ الزُّلْفَةِ - الْآيَاتَانِ : ٧ ، ٨ .

(٢) هُوَ : سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، الْخَلِيفَةُ الْأُمَوِي ، وُلِدَ فِي دِمَشْقَ سَنَةِ ٥٤ هـ ، وَوَلَّى الْخِلَافَةَ يَوْمَ وَفَاةِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ سَنَةِ ٩٦ هـ .. كَانَ عَاقِلًا ، مُحْسِنًا ، فَصِيحًا . وَفِي عَهْدِهِ فُتِحَتْ « جُرْجَان » وَ « طَبْرِسْتَان » وَغَيْرُهُمَا .. وَبُنِيَتْ خِلَافَتُهُ سِتَانٌ وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ إِلَّا أَيَّامًا .. تَوَفَّى سَنَةَ ٩٩ هـ ، وَأَوْصَى بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - بِتَوَلَّى الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ .

[انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ط دَارُ الْجَيْلِ ص ٢٦٩ - ٢٧٢ ، وَالْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَوِيِّ ج ٣ ص ١٠٣] .
- أَمَّا حُمَيْدُ الطَّوِيلِ ، فَهُوَ : حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدِ الطَّوِيلِ ، أَبُو عُبَيْدَةَ الْخَزَاعِيُّ الْبَصْرِيُّ ، تَابِعِيٌّ ، مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وُلِدَ سَنَةَ ٦٨ هـ ، وَمَاتَ سَنَةَ ١٤٢ هـ وَهُوَ قَائِمٌ بِصَلَاةٍ .. وَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِهِ ، وَرَجَّحَ الْذَهَبِيُّ أَنَّهُ : حُمَيْدُ ابْنِ تَمْرُزِيَّةِ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : هُوَ ابْنُ طَرِخَانَ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٨٣ ، وَمِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ لِلذَّهَبِيِّ ج ١ ص ٦١٠ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ لِلْكَلْبَايَاضِيِّ ج ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، وَتَذَكُّرَةُ الْمُحْفَظَاتِ ج ١ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، وَالْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٤ ص ٣٦٩] .
(٣) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : تَنْظُنْ .

(٤) فِي « ط » : عَظِيمٌ .

(٥) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَهُوَ خَطَا ، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : سُلَيْمَانُ . خَطَا مِنَ النَّاسِخِ .. وَقَدْ كَتَبَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، هَذَا الْكِتَابَ إِلَى « سُلَيْمَانَ الْفَارِسِيِّ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَبْلَ أَيَّامِ خِلَافَتِهِ ، يَصِفُ لَهُ الدُّنْيَا وَيَحْذَرُهَا مِنْهَا .
[انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٦٤٣ ط دَارُ الْبَلَاغَةِ ، وَط دَارُ الْكِتَابِ اللَّبْنَانِي بِشَرْحِ د . صَبْحِي الصَّالِحِ ص ٤٥٨] .

الحَيَّة ، لَمَسَهَا لَيِّنٌ [وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا] ^(١) وَيَقْتُلُ سُمُّهَا ، فَأَعْرِضَ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، لِقَلَّةِ مَا يَصْنَعُكَ مِنْهَا ، وَدَغَ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنَتْ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَكُنْ أَسْرًا مَا تُكُونُ فِيهَا ، أَخَذَرَ مَا تُكُونُ لَهَا ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ أَشْخَصَ ^(٢) مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ^(٣) :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَدَى وَدَارُ الْفَنَاءِ وَدَارُ الْغَيْرِ ^(٤)
وَلَوْ نَلَقَهَا بِحَذَائِرِهَا لَمْتُ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا وَطَرٌ ^(٥)
أَيَّامُنْ يُؤْمَلُ طَوْلُ الْحَيَاةِ وَطَوْلُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ ضَرَرٌ
إِذَا مَا كَثُرَتْ وَبَانَ الشَّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ ^(٦)

وَلَمَّا بَلَغَ مُرَادُهُ ^(٧) مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا سَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَرَقَّتْ إِلَيْهِ هِمَّتُهُ ، رَفَضَهَا وَتَذَّاهَا ، وَقَالَ : هَذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ ، وَنَعِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَذِيبٌ ، وَمُلْكٌ لَوْلَا أَنَّهُ هُلْكٌ ، وَغِنَاءٌ لَوْلَا أَنَّهُ فَنَاءٌ ، وَجَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ ذَمِيمٌ ، وَمَحْمُودٌ لَوْلَا أَنَّهُ مَفْقُودٌ ، [وَهَنَاءٌ لَوْلَا أَنَّهُ

(١) مابن المعقوفين عن « م » ، وساقط من « ط » .. وفي نيج البلاغة : « لَيِّنٌ سُمُّهَا ، قَاتِلٌ سُمُّهَا ، فَأَعْرِضَ عَنْهَا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْنَعُكَ مِنْهَا ، وَضَغَ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنَتْ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَكُنْ أَسْرًا مَا تُكُونُ فِيهَا أَخَذَرَ مَا تُكُونُ لَهَا إِلَى سُرُورِ ، أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَخْلُوقٍ » .

[انظر المصدرين السابقين] .

(٢) أَشْخَصَ : خَرَجَ .

(٣) هو : إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْدِ الْعَنْزِيِّ (من قبيلة عنزة) ويكنى أبا إسحاق .. وأبو العتاهية لَقَّبَ له .. وهو شاعر مُكَيَّرٌ ، سريع الخاطر ، وكان يجيد القول في الزهد والمدح ، وُلِدَ سنة ١٣٠ هـ في « عين الحر » بقرب الكوفة ، ونشأ في الكوفة ، وسكن بغداد .. كان في بلد أمره ببيع الجزار ، فقبل له : « الجزار » .

ثم اتصل بالخلفاء العباسيين ، وعَلَّتْ مكانته عندهم . ثلوث في بغداد سنة ٢١١ هـ ، وأخباره كثيرة . [انظر الأعلام ج ١ ص ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٧٩١ - ٧٩٥ بتحقيق أحمد شاكر ط دار المعارف] .

(٤) الْقَدَى : جمع قَذَاةٍ ، وهي ما يَكُونُ في العين من رَمَصٍ (وَسَخٌ أبيض) أو تراب ونحوه .. ويُقال : هو يُفْضِي على الْقَدَى : إذا سَكَتَ على الدَّلِّ وَالضَّمِّ ولم يَتَشَكَّ .. وَالْغَيْرُ : أحوال الدهر وأحداثه المتغيرة .

(٥) الْوَطَرُ : الحاجةُ وَالتَّجَنُّةُ ، يقال : فُضِيَ منه وَطَرُهُ : أى نال منه بَقِيَّةُ .

(٦) بَانَ الشَّبَابُ : ذَهَبَ وَفَارَقَ صَاحِبَهُ .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « مَنْ دَلَّ » بدل « مراده » .

عَنَاءَ] ^(١) ، وَارْتِفَاعَ لَوْلَا أَنَّهُ الْفَضَاعُ ، وَعِلَاءَ لَوْلَا أَنَّهُ بَلَاءٌ ، وَحُسْنَ لَوْلَا أَنَّهُ حُزْنٌ ، وَهُوَ يَوْمٌ لَوْ وَثِقَ لَهُ بِعَدٍ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تَكُنْ كَالْمُنْخُلِ يُرْسِلُ أَطْيَبَ مَا فِيهِ - وَيُنْسِكُ الْحُقَالَهَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ قَسَا قَلْبُهُ لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ ، وَإِنْ كَثُرَتْ دَلَالَتُهُ ^(٢) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَفَلَنَّا أَصْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزَكِّيهِمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ^(٣) . وَذَلِكَ أَنَّ كَثْرَةَ الذُّنُوبِ مَانِعَةٌ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ لِلْقُلُوبِ ، وَوُلُوجِ الْمَوَاعِظِ ^(٤) فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٥) أَيْ : غَطَاءًا وَغَشِييَهَا ، فَلَا تَقْبَلُ خَيْرًا ، وَلَا تُصِيحُ لِمَوْعِظَةٍ ^(٦) .

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ تُكِنَّتْ فِي قَلْبِهِ تُكْنَةُ سَوْدَاءَ ، ثُمَّ إِذَا أَذْنَبَ تُكِنَّتْ تُكْنَةُ ، حَتَّى يَسْوَدَّ الْقَلْبُ . وَقَالَ حَدِيثُهُ ^(٧) : الْقَلْبُ كَالْكَفِّ ، فَإِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ انْقَبَضَ ، وَبَقِضَ أَصْبَعًا ، ثُمَّ إِذَا أَذْنَبَ انْقَبَضَ ، وَبَقِضَ أَصْبَعًا أُخْرَى ^(٨) ، ثُمَّ كَذَلِكَ فِي الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ حَتَّى يَنْقَبِضَ الْكَفُّ كُلُّهُ ، ثُمَّ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّانُ ^(٩) .

(١) مابين للمعرفتين عن (م) .. وفي (ط) : « وَغَنَى لَوْلَا أَنَّهُ مُنَى » وَالْفُرُورُ ، بفتح الفين المعجمة : كُلُّ مَا غَرَّ الْإِنْسَانَ مِنْ مَالٍ ، أَوْ جَاهٍ ، أَوْ شَيْطَانٍ وَغَوَاهُ .. وَالْعَدِيمُ : الزَائِلُ أَوْ الْمَفْقُودُ . وَالْهَلَكُ : اسْمٌ مِنَ الْهَلَاكِ .. وَالْجَسِيمُ : الْعَظِيمُ . وَالْحُمُودُ : مَا يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ وَالنَّشَاءَ الْجَمِيلَ . وَالْإِفْضَاعُ : الضُّعْفُ وَالِانْغِطَاطُ .

(٢) هَكَذَا فِي (م) .. وفي (ط) : « كَثُرَتْ رَذَائِلُهُ » .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - الْآيَتَانِ : ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) فِي (م) : « الْمَوْعِظَةُ » .

(٥) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ - الْآيَةُ ١٤ .

(٦) وَلَا تُصِيحُ : أَيْ ، وَلَا تَسْمَعُ .

(٧) هُوَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ حَدِيثُهُ بْنُ الْإِمَانِ ، صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٨) فِي (م) : « أَصْبَعًا أُخْرَى » وَالْأَصْبَعُ مُؤَقَّتَةٌ فِي الْعَالَمِ ، وَقَدْ تُذَكَّرُ [انظر المصباح - مادة صبع] .

(٩) الرَّانُ : الدُّنْسُ ، وَيُقَالُ أَيْضًا عَلَى الْغَطَاءِ وَالْحِجَابِ الْكَثِيفِ ، وَمَا غَطَى عَلَى الْقَلْبِ وَرَكَبَتْهُ مِنَ الْقِسْوَةِ لِلذُّبِّ

وَقَالَ بَكْرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(١) : إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ صَارَ فِي قَلْبِهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ ، ثُمَّ إِذَا ^(٢)
 أَذْنَبَ صَارَ فِيهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ [ثُمَّ كُلَّمَا أَذْنَبَ صَارَ فِيهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ] ^(٣) حَتَّى يَغُودَ
 الْقَلْبُ كَالْمُنْخُلِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : [هُوَ] ^(٤) الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ .
 وَقَالَ ابْنُ شُبْرَمَةَ ^(٥) : إِذَا كَانَ الْبَدَنُ سَقِيمًا لَمْ يَنْفَعَهُ الطَّعَامُ ، وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ مُغْرَمًا
 يَحِبُّ الدُّنْيَا لَمْ يَنْفَعَهُ الْمَوْعِظَةُ ، وَفِيهِ قِيلَ :

وَلَا أَرَى أَثَرًا لِلذِّكْرِ فِي خَلْدِي وَالْحَبْلُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَا لَهُ أَثَرٌ ^(٦)
 إِذَا قَسَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْفَعَهُ مَوْعِظَةٌ كَالْأَرْضِ إِنْ سَبَحَتْ لَمْ يَنْفَعِ الْمَطَرُ ^(٧)
 وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ مَرَّ بِدُكَّانٍ وَرَاقٍ ، فَإِذَا ^(٨) كِتَابٌ فِيهِ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ :
 لَنْ تَرْجِعَ الْأَنْفُسُ عَنْ عَيْهَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا رَاجِعٌ ^(٩)

(١) هو : بكر بن عبد الله المزني البصري ، كان عالماً ، عابداً ، زاهداً ، متواضعاً ، وله روايات كثيرة عن الصحابة والتابعين ، توفي - رحمه الله - سنة ١٠٨ هـ .

[انظر ترجمته في الحلية لأبي نعيم ج ٢ ص ٢٢٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٦٧ ، والطبقات لابن سعد ج ٧ ص ٢٠٩] .

(٢) في « ط » : « ثُمَّ كُلَّمَا أَذْنَبَ » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٤) الحسن : هو الحسن البصري ، وقد سبقت ترجمته .. وما بين المعقوفين عن « ط » .

(٥) هو : عبد الله بن شبرمة ، ويكنى أبا شبرمة ، وكان قاضياً لأبي جعفر على سواد الكوفة .. وهو من فقهاء التابعين ، وُلِدَ سنة ٩٢ هـ ومات سنة ١٤٤ هـ .. قال عنه حماد بن زيد : « مَا رَأَيْتُ كُوفِيًّا أَقْبَهُ مِنْ ابْنِ شُبْرَمَةَ » .

[انظر ترجمته في طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي ص ٨٥ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ط دار المعارف] .

(٦) هذا البيت عن « ط » ولم يرد في « م » .. والخُلْدُ : بفتحين : البَالُ والثَّفْسُ .. والصَّخْرَةُ الصَّمَا : أى الصَّمَاءُ الصلبة .

(٧) سَبَحَتِ الْأَرْضُ : كانت ذات ثُرٍّ وولج .

(٨) في « ط » : « الْوَرَّاقُ وَإِذَا » والوَرَّاقُ : مُورَقُ الْكُتُبِ الَّذِي يُورَقُ وَيَكْتَبُ .

(٩) الفُيُ : الانهماك في الجهل والضلال . والزَّاجِرُ : المانع والزَّادع .

فَقَالَ ^(١) : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : لِأَيِّ نُوَاسٍ ، قَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ لِي بِصِنْفٍ شِعْرِي . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ ^(٢) : إِنَّ الثُّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئَةَ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ ^(٣) الَّذِي بَنَى الْخَوَزَنْقَ ، أَشْرَفَ عَلَى الْخَوَزَنْقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ - وَتُقَوِّدُ الْأَمْرِ ، وَاقْتَالَ ^(٤) الْوُجُوهَ نَحْوَهُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُ ؟ فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَائِهِ ^(٥) : أَهَذَا الَّذِي أُوتِيَتْ شَيْءٌ لَمْ يُزَلْ وَلَا يُزُولُ ^(٦) ؟ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ ، وَصَارَ إِلَيَّ ، ^(٧) وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسَرِرْتُ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ ^(٨) عَنْكَ لَدُنْهُ ، وَتَبْقَى بَيْعَتُهُ ؟ قَالَ : فَأَيُّ الْمَهْرَبِ ؟ قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، أَوْ تَلْبَسَ أُمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ ، تَعْبُدُ ^(٩) رَبَّكَ فِيهِ ، وَتَقَرَّ مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ

(١) في (م) : فقيل .

(٢) الْأَصْمَعِيُّ : هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْبٍ بن عَلِيٍّ بن أَصْنَعِ الْبَاهِلِيِّ ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، وُلِدَ بالبصرة سنة ١٢٢ هـ ، وكان كثير التطواف في البوادي ، يقبس من علومها ، ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء ، فَيَكَاظُهَا عَلَيْهَا بِالْعَطَايَا الْوَافِرَةِ ، وكان الرشيد يسميه « شيطان الشعر » .. وقال عنه الْأَخْفَشُ : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالشَّعْرِ مِنَ الْأَصْمَعِيِّ » توفي سنة ٢١٦ هـ .

[انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٠ - ١٧٦ ط دار الثقافة ، والأعلام ج ٤ ص ١٦٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٤٥ ط دار المعارف ، وطبقات اللغويين والنحويين ص ١٦٧ - ١٧٤ ط دار المعارف] .

(٣) في (ط) : « الثُّعْمَانُ الَّذِي هُوَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْأَكْبَرِ » .

والثُّعْمَانُ هُوَ : النِّعَامُ بْنُ أَمْرِئَةَ الْقَيْسِ اللَّحْيِيُّ ، أَبُو قَابُوسَ ، مِنْ أَشْهُرِ مُلُوكِ الْحِيرَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ دَاهِيَةً مُقَدِّمًا ، وَهُوَ مَمْلُوحُ النَّبَاةِ الذَّبْيَانِي .

وَالْخَوَزَنْقُ : اسْمُ قَصْرِ بِالْعِرَاقِ (فَارِسِي مُعَرَّبٌ) .

[انظر قصته في الْمُحَبَّرِ لِابْنِ حَبِيبٍ ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ط دار الآفاق ، والأعلام ج ٨ ص ٤٣ ، وَالْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ١ ص ٢٨٥ وما بعدها ط دار الكتاب العربي ، وَالْمَعَارِفُ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ ط دار المعارف ، وَالصَّحَاحُ لِلْجُمْهُرِيِّ ج ٤ ص ١٤٦٨ مادة « خَرَنْق » ط دار العلم ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ مَادَّةُ « خَرَنْق »] .

(٤) في (م) : « وَاقْتَالَ » .

(٥) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ » .

(٦) في (ط) : « لَمْ يُزَلْ وَلَا يُزَال » .

(٧) في (م) : « وَصَارَ إِلَيْكَ » .

(٨) في (م) : « يَذْهَبُ » .

(٩) في (ط) : « وَتَعْبُدُ » .

فَمَا لِي ؟ قَالَ : حَيَاةٌ لَامُوتَ فِيهَا ؛ وَشَبَابٌ لَاهَرَمَ فِيهِ ، وَصِحَّةٌ لاسَقَمَ فِيهَا ^(١) وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَائِلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى ؟ وَاللَّهِ لَأُطْلَبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا [وَمُلْكًا جَدِيدًا] ^(٢) . فَاتَّخَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ ، وَلَيْسَ الْمُسُوخَ ^(٣) ، وَسَارَ فِي الْأَرْضِ ، وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ ، وَجَعَلَ [يَسْبِحَانِ وَ] ^(٤) يَعْبُدَانِ اللَّهَ حَتَّى مَاتَا ، وَفِيهِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ^(٥) :

وَتَبَيَّنَ رَبُّ الْخَوَرَتَيْنِ إِذْ أَصْبَحَ يَوْمًا وَلِلْمُهْدَى تَذْكِيرُ ^(٦)
 سِرُّهُ مَا لَهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُدُّ لِيْلِكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدُ ^(٧)
 فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غَيْبُ سَطَّةٍ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ ^(٨)
 أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى [الْمُلُوكِ] أُنْشِرُ وَإِنْ أُمُّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ ^(٩)

(١) مكنيا في « ط » .. وفي « م » : « حياة لاموت ، وشباب لاهرم ، وصحة لاسقم » .

(٢) مابين المعقوفين زيادة عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) مكنيا في « م » .. وفي « ط » : « الأمساح » وكلاهما جمع لكلمة « يسخ » ، واليسخ : كساء من شعر .

(٤) مابين المعقوفين ساقط من « ط » .

(٥) في « م » : « وفيهم يقول .. وعدي بن زيد بن حماد : شاعر جاهلي ، كان قروياً من أهل الجيرة ، فصيحا ، يحسن العربية والفارسية ، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان « كسرى » وكان نصرانياً ، وكذلك كان أبوه وأمه ، وليس هو بمن يؤخذ من الفحول ، وقد أخذوا عليه أشياء غيب فيها .

[انظر ترجمته في الأغاني بتحقيق إبراهيم الأبياري ج ٢ ص ٥١٥ - ٥٧٤ ط دار الشعب ، وشعراء النصرانية في الجاهلية للأب لويس شيخو ج ٤ ص ٤٣٩ - ٤٧٤ ط مكتبة الآداب ، والأعلام ج ٤ ص ٢٢٠ ط دار العلم] .

(٦) مكنيا في « م » .. وفي « ط » : « وتبين رب الخورتين إذ فكر ... » وفي الشعر والشعراء : « وتبين رب الخورتين إذ أشرف » .

[انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٢٦ ، وكذا في لسان العرب ج ٢ ص ١١٤٧ مادة « غرقت »] . وفي الأغاني ج ٢ ص ٥٥٧ وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٥٦ : « وتذكر رب الخورتين إذ أشرف يوماً وللهدي تفكير .. » وفي تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٨ ط دار المعارف : « وتفكر رب الخورتين إذ أشرف وللهدي بصير » .

(٧) في الشعر والشعراء : « سره حاله » . ومعرضاً : أي متسلياً . والسدير : نهر . وقيل : قصر .

(٨) مكنيا في البيت في « م » وهو مطابق لما جاء في الأغاني ، وفي الشعر والشعراء .. وفي « ط » :

« فارعوى قلبه وقد قال ماغيطة حتى إلى الممات يصير » ..

أرعوى : أرتدع .. والغيطة : حزن الحال .

(٩) مابين المعقوفين ساقط من « م » .. ومارد هنا عن « ط » وهو مطابق لما جاء في الأغاني ، وشعراء النصرانية في الجاهلية . وفي الشعر والشعراء ولسان العرب (مادة : كلس) : « أبو سامان » بدل « أنو شروان » .. وسابور : من ملوك المعجم قبل كسرى أنوشروان .

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ (١)
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمَنُونِ فَبَادَ الْـ سُلُكُ عَنْهُ قَبَاهُ مَهْجُورٌ (٢)
وَفِيهِمْ يَقُولُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرٍ (٣) :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ مَيَّوَى الذِّى ثَبَاتْنِي أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ (٤)
مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِسَادِ (٥)
أَرْضِ الْخَوَزَنْقِ وَالسَّيْدِيرِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ (٦)

(١) بنو الأصفر: الروم. وقيل: ملوك الروم، وقال ابن سيده: لأندى لِمَ سُمُوا بذلك .. وقال ابن الأثير: لأن أباهم الأول كان أصفر اللون. [انظر اللسان - مادة صفر].

(٢) هكذا في «ط»، وهو مطابق لما جاء في الأغاني وشعراء النصرانية .. وفي «م»: «الزمان» بدل «المنون» .. والمنون: الموت .. وقيل: الدهر.

(٣) هو: الأسود بن يَعْفَرُ التَّهَمِيّ الدَّارِمِي القيمي، ويكنى أبا الجراح، شاعر جاهل من سادات تميم من أهل العراق، كان فصيحا جوادا، ناذم النعمان بن المنذر، ولما أسنَّ كَفَّ بَصْرُهُ، ويقال له: «أعشى بني تهمل» توفي نحو ٢٢ قبل الهجرة (نحو ٦٠٠ ميلادية).

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٣٠، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥٥، والأغاني ج ١٣ ص ٤٥٤٧، وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٧٥].

(٤) أى: لو أغفل الموت أحدا لأغفل ذا الأعواد، وأنا ميت مثله. وذو الأعواد: الذى قُرِعَتْ له العصا (غوى ابن سلامة الأسدي) أو (ربيعه من مخاض الأسدي) على خلاف في ذلك.

وفي اللسان: رجل أسنَّ، فكان يُحْمَلُ على حفرة من عود .. وقال المفضل: سبيل ذى الأعواد: يريد الموت، وعنى بالأعواد: ما يُحْمَلُ عليه الميت.

[انظر اللسان - مادة عود، وانظر المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ج ٥ ص ١٥٨ ط دار العلم والتبصرة ببغداد] وهذا البيت عن «م» وهو مطابق لما جاء في لسان العرب، وفي المفضل، وفي شعراء النصرانية [ج ٤ ص ٤٨١] .. وفي «ط»: «أنبأتني» بدل «ثباتني» .. وفي الأغاني ومعجم البلدان جاءت الشطرة الأولى هكذا: «وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِيًّا كَلْفِي»، [انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٥٢٨، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢ مادة أنقرة].

(٥) آل مُحَرِّقٍ هنا هم ملوك الحيرة، من لحم: ومُحَرِّقُ الذى أُضِيقُوا إليه هو امرؤ القيس بن عمر بن غدي، أحد ملوكهم، ويقال له: المُحَرِّقُ الأكبر، ولَقِبَ به أيضاً من اللخميين عمرو بن هند، من ملوكهم، ويقال له: المُحَرِّقُ الثانى، وغيرها.

[انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٨٢٨ حاشية ٥ وانظر المعارف ص ٢٤٦].

(٦) الْخَوَزَنْقُ: قصر من قصور الحيرة، وقد سبق التعريف به - وهو فارسي يُطلق على بيت الضيافة «خورنكاه» بناه شخص رومى اسمه «سيمنار» للنعمان بن امرئ القيس اللخمى، وأكمله في عشرين سنة =

نَزَّلُوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ^(١)
 أَرْضٍ تَحْيِيهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ^(٢)
 جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ^(٣)
 فَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصْبِرُ إِلَى بَلَى وَتَفَادِ^(٤)

= فلما وقف عليه النعمان استجاده وأثنى على « سيمار » ونحشى أن يننى مثله لغيره ، فأمر به (بسنار) أن يُطْرَحَ من أعلى شرفاته ، فضُربَ به المثل وقيل : « جزء جزء سيمار » .. والسدير : قصر كان مابين نهر الحيرة إلى النجف . وسنداد : منزل لإياد ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وقال ابن الكلبي في القصر ذى الشرفات : « إن العرب كانت تخرج إليه » .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٦ ط دار بيروت] وورد في الأغاني ، وفي شعراء النصرانية ، والشعر والشعراء : « أهل » بدل « أرض » .

(١) هكذا في « م » وفي شعراء النصرانية .. وفي « ط » : « تسيل » بدل « يسيل » ، وفي رواية : « حُلُوا بِأَنْقَرَةَ » .. وفي الأغاني : « يفيض » بدل « يجيء » . وأنقرة : موضع بنواحي الحيرة ، وقد ذكر بعض العلماء أن « أنقرة » التي في شعر الأسود بن يَغْفَر هي « أنقرة » التي يبلاد الروم ، نزلها « إياد » لئلا نفاهم كسرى عن بلاده . (٢) هكذا في « م » والشعر والشعراء .. وفي « ط » : « بجوها » بدل « تحيها » ، و« كعب بن مالك » بدل « كعب بن مامة » تحريف .. وفي شعراء النصرانية : « أرض تُؤَارِثُهَا » .

وكعب بن مامة هو : كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ، وكان أبوه مامة ، ملك إياد .. وكان يُضْرَبُ بكعب المثل في الجود والكرم . قال أبو عبيدة : أجواد العرب ثلاثة : كعب بن مامة ، وحاتم طيء ، وقرم بن سنان . وفي الأمثال : « أكرم من أميرئى غزنة » وهما : حاتم الطائي ، وكعب بن مامة .

وابن أمِّ دُوَادِ هو : أبو دُوَادِ الشاعر الجاهل المشهور ، جارية بن الحجاج الإيادي ، كان من وُصَافِ الخيل المجيدين . وهذا البيت دليل على أن « سنداد » كانت منازل « إياد » .

[انظر شعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٨١ والأعلام ج ٥ ص ٢٢٩ وج ٢ ص ١٠٦ ، وجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٧١ بتحقيق محي الدين عبد الحميد] .

(٣) هكذا في « م » وهو مطابق لما جاء في الأغاني ج ٣ ص ٤٥٢٩ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢ .. وفي « ط » وشعراء النصرانية : « فكأنهم » بدل « فكأنما » ، وفي المرجع الأخير : « مقر » بدل « محل » ويروى أيضاً : مكان ديارهم ، وعراض ديارهم .

(٤) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يُدْهَى » بدل « يُلْهَى » .. تحريف من الناسخ .. وفي شعراء النصرانية ، ومعجم البلدان ، والأغاني : « فإذا التَّيِّمُ » بدل « فأَرَى التَّيِّمَ » .. وسمع علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - رجلاً يتمثل بهذا البيت الأخير فقال :

« كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَابِ وَغِيُونِ » الآية ٢٥ من سورة الدخان [انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٥٦] .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُتْنِي^(١) : أَصِيبَ عَلَى غُمْدَانَ وَهُوَ قَصْرُ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ^(٢) بِأَرْضِ صَنْعَاءَ اليمَنِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَجَلَّةِ مَكْتُوبٌ^(٣) بِالْقَلَمِ الْمُسْنَدِ فترجم بالعربية ، فَإِذَا^(٤) هِيَ آيَاتٌ جَلِيلَةٌ وَمَوْعِظَةٌ عَظِيمَةٌ :

(١) هو : وَهَبُ بْنُ سُبَيْهِ الْأَنْبَاؤِيُّ الصنعاني ، أبو عبدالله ، مؤرخ ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، ولا سيما الإسرائيلية ، ويُعدُّ في التابعين ، وأصله من أبناء الفُرس الذين بقَّتْ بهم كسرى إلى اليمن ، وأمه من « جَمْتَر » ، ويُقال إنها من أصل يهودي . وكان يزعم أنه يقطن اليونانية ، والسريانية ، والحميرية . ويُحسن قراءة الكتابات القديمة ، وُلِدَ سنة ٣٤ هـ بصنعاء ، وبها توفي سنة ١١٤ هـ .. وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ١٢٥ ، ١٢٦ وفي وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٥ ، ٣٦ والمعارف ص ٤٥٩ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٢٥١ ومابعدها ط دار المعارف ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ط دار المعرفة ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٠ ط دار المسيرة] .

(٢) في عيون الأخبار : « قُرِيءَ عَلَى قَبْرِ بِالشَّامِ » .

وسيف بن ذِي يَزَنَ بن ذِي أَصْبَحَ بن مالك بن زيد بن سهل الحميري ، من ملوك العرب الجُمَانِيين ودهاتهم . وقيل : اسمه معدى كرب . وُلِدَ بصنعاء سنة ١١٠ قبل الهجرة تقريباً ، ونشأ بها ، وله قصص مشهورة في استرداد مُلْكِ الْيَمَنِ من الأحباش بمساعدة كسرى .. وبعد أن انتصر عليهم اتخذ سيف بن ذِي يَزَنَ « غُمْدَانَ » قصراً له ، وهو مبني على أربعة أوجه : وجه أبيض ، ووجه أحمر ، ووجه أصفر ، ووجه أخضر . وكان ظله إذا طلعت الشمس .. يُرَى على « غَمْدَانِ » - اسم جبل باليمن ، بينه وبين غمدان ثلاثة أميال - وجعل في أعلاه مجلساً بناء بالرخام الملون ، وجعل سقفه رخامة واحدة ، وصمِّرَ على كل ركن من أركانه تمثال أسد ، كأعظم ما يكون من الأسد ، فكانت الرياح إذا هبت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دُبره وخرجت من فمه ، فَيَسْمَعُ له زفير كزفير السباع .. وكان يأمر بالمصاييح فتسرج في ذلك البيت ليلاً ، فكان سائر القصر يلعب من ظاهره كما يلعب البرق ، فإذا أشرف عليه إنسان من بعض الطرق ظنه برقاً أو مطراً .. وقال قوم : إن الذي بنى « غُمْدَانَ » سليمان بن داود - عليه السلام - أمر الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء : غُمْدَانُ ، وَسَلِيمُجِنُ ، وَبَيْتُونُ .

[انظر عيون الأخبار ج ٦ كتاب الزهد ص ٣٠٣ ط الهيئة العامة للكتاب ، والأعلام ج ٣ ص ١٤٩ ، ومعجم البلدان ج ٤ ص ٢١٠ ، ٢١١ وسورة ابن هشام ج ١ ص ٤١ ومابعدها ط صبيح ، والمُفَصَّلُ في تاريخ العرب ج ٣ ص ٥٢٢ ومابعدها ، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٦٣ ومابعدها] .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « مَكْتُوباً » بالنصب ، وهذا لا يصح إلا إذا ضُمِّنَ الفعل « أَصِيبَ » معنى « وُجِدَ » .. والمسند : تحطُّ لِجَمْتَرِ الْيَمَنِ ، مخالف لخططنا هذا .

(٤) في « ط » : وإذا .

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تُحْرُسُهُمْ غَلِبَ الرِّجَالُ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ (١)
 وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاqِلِهِمْ فَأَسْكِنُوا حُقْرًا يَابِسَ مَا نَزَلُوا (٢)
 نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دَفَنُوا أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالتَّيْجَانُ وَالْحُلُلُ (٣)
 أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَئِلُ (٤)
 فَأَفْصَحَ الْقَبْرَ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ بَلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ (٥)
 قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا يَوْمًا وَمَا شَرَبُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا (٦)
 قَالَ شَيْخُنَا (٧) قُرِئَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِي وَأَنَا أَسْمَعُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :

(١) قُلُلِ الْأَجْبَالِ : أعاليها ، ومفرد : قُلَّة ، بالضم ، وهى أعلى الرأس ، والسمام ، والجبل ، وجمع « جبل » على : أَجْبَالٍ وَجِبَالٍ وَأَجْبَلٍ .
 وغلب الرجال : أى حكم عليهم بالقلبة وفُهِرُوا .

[انظر القاموس المحيط للفيروزابادى والمعجم الوسيط ، مادتي : قتل وجبل] .

(٢) هكذا في « ط » وفي « م » :

وَاسْتَنْزَلُوا مِنْ أَعَالِ عِزٍّ مَعْقِلُهُمْ وَأَسْكِنُوا حُقْرًا يَابِسَ مَا نَزَلُوا

والمعقل : المَلْجَأُ وَالْحَصْنُ ، جَمْعُهُ : مَعَاqِلُ .. وفي عيون الأخبار : « حُقْرَةٌ » بدل « حُقْرًا » .
 (٣) صارخ : صائح .. بعدما دُفِنُوا : بعد موتهم .. الْأَسِيرَةُ : جمع سِير ، وهو الْمُضْطَهِجُّ أَوْ مَا يُجْلَسُ عَلَيْهِ .
 (٤) الْكَئِلُ بكسر الكاف : جمع كِلَّة ، وهى سِتْرٌ رقيق مُقَبَّبٌ يَقْوَى بِهِ مِنَ الْبُغُوضِ وَغَيْرِهِ - كالنابوسية - وفي رواية : « مُنْعَمَةٌ » بدل « مُحَجَّبَةٌ » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فَأَفْصَحَ بَدَلَ فَأَفْصَحَ » .. وَأَفْصَحَ بِمَعْنَى بَيَّنَّ وَأَوْضَحَ ، ويقال : فَحَصْتُ عَنْ الشَّيْءِ : إِذَا اسْتَفْصَيْتَ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ .. وَسَاءَ لَهُمْ : سَأَلَهُمْ . وفي عيون الأخبار : « قَتَلْتُ » بدل « يَقْتَتِلُ » ، وكلاهما صواب ، لأن « الدود » اسم جنس .
 (٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » :

قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا يَوْمًا وَمَا شَرَبُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا

وفي عيون الأخبار :

وَقَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَاتِمُوا فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا

(٧) تفقه « الطُّرُوشِي » على يد عدد من أئمة الشافعية والحنابلة ، برغم أنه مالكي المذهب ، منهم : أبو بكر الشاشي ، وأبو سعيد بن التولي ، وأبو أحمد الجرجاني ، ولقي القاضي أبا عبد الله الدماغاني ، وسمع ببغداد من أبي محمد التميمي الحنبلي ، وغيرهم .. وأضاف ياقوت الحموي عنه أنه : صَحِبَ الْقَاضِي أبا الْوَلِيدِ الْبَاجِي ، وأخذ عنه مسائل الخلاف .

وَيَحِلِّكَ يَا أَسْمَاءُ مَا شَانِي أَضَلَّلْتَنِي وَاللَّهِ مَا شَانِي ^(١)
 الْمَوْتُ حَقٌّ فَأَعْلِمْنِي نَارِلَ فَيَسِّرِي لِحَدِي وَأَكْفَانِي ^(٢)
 قَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ فَلَا وَالَّذِي أَعْطَانِي الْعَيْشَ وَأَغْنَانِي
 مَاقَرَّتِ الْعَيْنُ بِهِ سَاعَةً إِلَّا تَذَكَّرْتُ فَأُشْجَانِي ^(٣)
 عَلِمِي بِأَنِّي صَائِرٌ لِلْبَلَى وَفَاقِدٌ أَهْلِي وَجِيرَانِي ^(٤)
 وَتَارِكٌ مَالِي عَلَى حَالِهِ نَهْبًا لِشَيْطَانِ ابْنِ شَيْطَانِ
 لَامْرَأَةٍ إِنِّي أَوْ لَزَوْجِ ابْتِي يَأْلَكَ مِنْ غَيٍّ وَخُسْرَانِ ^(٥)
 يَسْعُدُ فِي مَالِي وَأَشْقَى بِهِ قَوْمٌ ذَوُو غِلٍّ وَشَتَانِ ^(٦)
 إِنْ أَحْسَنُوا كَانَ لَهُمْ أَجْرُهُ وَخَفَّ مِنْ ذَلِكَ مِيزَانِي

وَمِمَّنْ اسْتَبَصَرَ مِنْ أَتْبَاءِ الدُّنْيَا ^(٧) ، فَرَأَى عَيْبَ الدُّنْيَا وَقَنَاءَهَا ، وَتَقَضَّيَهَا وَزَوَّالَهَا
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمَ بْنِ مَنْصُورٍ ، مِنْ [أَتْبَاءِ الْمُلُوكِ] ^(٨) مُلُوكِ خُرَاسَانَ ، مِنْ كُورَةِ بَلْخِ

= وأبو الوليد الباجي هو : سليمان بن خلف بن سعد التميمي القرطبي ، فقيه مالكي كبير ، ومن رجال الحديث ،
 ولد في « باجة » بالأندلس سنة ٤٠٣ هـ ، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام ، وبالموصل عاماً ، وفي دمشق وحلب مدة ، وعاد
 إلى الأندلس ، فوَلَّى القضاء في بعض أنحائها ، وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ .

[انظر مقدمة الكتاب ، و « أبو بكر » الطروثي لجمال الدين الشيبلي ص ١٨ وما بعدها .. ومعجم البلدان
 ج ٤ ص ٣٠ مادة « طروث » والأعلام ج ٣ ص ١٢٥ ، والمغرب في حُلَى المغرب لابن سعيد بتحقيق د . شوقي
 ضيف ج ١ ص ٤٠٤ وما بعدها ، و نفع الطيب ج ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها] .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ماساني » بدل « ماشاني » الأخيرة ، بمعنى ماساغني .. والشأن : الحال
 والأمر .. وَزَوَّجَ : كلمة تَزَوَّجَ وتَزَوَّجَ ، وقيل : هي بمعنى « وَزَلَّ » .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وقرب لي » بدل « فَيَسِّرِي » .. واللُّحْدُ : الشَّقُّ يكون في جانب القبر .

(٣) قَرَّرْتُ : سَكَنْتُ وَأَطْمَئِنَّنْتُ .. أَشْجَانِي : أُحْزِنِي .

(٤) البلي : الفناء .

(٥) الغي : الانهماك في الضلال .. والخسران : الضياع والهلاك .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « غَيْلٌ » بدل « غِلٌّ » ، والغَيْلُ : الشر . والغَيْلُ : الضُّغْنُ والجُفْدُ .

(٧) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أبناء الملوك » .

(٨) مابن المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .. وإبراهيم بن أدهم كان من أبناء الملوك والمياسر ، وكان سيد
 الزهاد ، ساه في الأرض وَتَتَسَلَّكَ واشتغل بالوعظ والعبادة ، جاور في مكة ثم في ديار الشام ، ومات في حملة بخرية
 سنة ١٦١ هـ ضد البيزنطيين ، وأخبره فيها اضطراب واختلاف في نسبه ومسكنه وموتواه .

وَلَمَّا ^(١) زَهَدَ فِي الدُّنْيَا زَهَدَ عَنْ ثَمَانِينَ سَرِيرًا ^(٢) ، قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ بَشَّارٍ ^(٣) : سَأَلْتُ
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمَ : كَيْفَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ حَتَّى صِرْتَ إِلَى هَذَا ؟ قَالَ : غَيَّرَ هَذَا أَوَّلِي
 بِكَ . قُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُنِي بِهِ يَوْمًا . ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَانِيَةً فَقَالَ : وَيْحَكَ ،
 اسْتَغْلِ بِاللَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَالِثَةً فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - أَنْ تُخْبِرَنِي لَعَلَّ
 اللَّهَ يَرْحَمُنِي بِهِ ^(٤) فَقَالَ : كَانَ أَبِي مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ مِنَ الْمَيَاسِيرِ ، وَكَانَ قَدْ
 حَبَّبَ إِلَيَّ الصَّبْدَ ، فَبَيْنَمَا ^(٥) أَنَا رَاكِبٌ قَرَسًا وَكَلْبِي مَعِي ، فَأَثَرْتُ أَرْبَابًا أَوْ تَعَلَبًا ،
 فَحَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ وَرَائِي : يَا إِبْرَاهِيمَ ، لَيْسَ لِهَذَا خُلِقْتَ ، وَلَا بِهَذَا
 أُمِرْتُ . فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ ،
 ثُمَّ حَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ : يَا إِبْرَاهِيمَ ، لَيْسَ لِهَذَا خُلِقْتَ ،
 وَلَا بِهَذَا أُمِرْتُ ، فَوَقَفْتُ مُقَشِّعِرًا [أَنْظُرُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا ، فَقُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ
 إِبْلِيسَ ، ثُمَّ حَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ مِنْ قُرْبُوسٍ ^(٦) سَرَجِي : يَا إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ لِهَذَا

= [انظر خبره في سر أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٨٧ - ٣٩٦ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٩٥ ، وج ٨
 ص ٣ - ٥٨ ، وطبقات الأولياء ص ٥ - ١٥ ، وطبقات الصوفية ص ٢٧ - ٣٨ ، وطبقات الشعراء ص ٦٩ ،
 ٧٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ط الشعب ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٦] .
 (١) الكَوْرَة : البقعة والناحية يجتمع فيها قَرَى وَمَحَالٌ .. وَبَلُغَ : من أشهر مدن خراسان وأجلها ، وأكثرها
 خيراً .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٤٧٩]

(٢) السرير : سبق التعريف به ، وهو المضطجع وما يُجْلَسُ عليه ، وقد يُعَبَّرُ بالسرير عن الملك والنعمة . وفي
 اللسان :

وَسَارَقَ مِنْهَا عِشَّةً غَيْبِيَّةً وَلَمْ يَخْشَ يَوْمًا أَنْ يَزُولَ سَرِيرُهَا

(٣) هو : إبراهيم بن بشار بن محمد ، أبو إسحاق الخراساني الصوفي ، خادم إبراهيم بن أدهم ، كان ينتسب إلى
 ولاء معقل بن يسار ، قديم بغداد وحدث بها .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٦ ص ٤٧ ، ٤٨] .

(٤) هكذا في (م .. وفي ط : :) ينفعني .

(٥) في ط : : فينا .

(٦) الْقُرْبُوسُ : جنو السرج ، وهما قُرْبُوسَان ، مقدم السرج ومؤخره ، ويقال لهما : جنواء ، والجمع :
 قُرَابِيسٌ .. والجنو : كل شيء فيه اعوجاج .

خَلِفْتُ ، وَلَإِلهَذَا أَمِرْتُ ، فَوَقَفْتُ [(١) وَقُلْتُ : هَيْهَاتَ ، جَاعَنِي التَّذِيرُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَاللَّهِ لَأَعْصِيْتُ رَبِّي ، مَا عَصَمَنِي بَعْدَ يَوْمِي هَذَا ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَخَلَفْتُ فَرَسِي ، وَجِئْتُ إِلَى بَعْضِ رِعَاةِ أَبِي ، فَأَخَذْتُ جُبَّتَهُ وَكِسَاءَهُ (٢) ، وَالْقَيْثُ إِلَيْهِ نِيَابِي ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْضُ ثِقَلِي وَأَرْضُ تَضْعِي ، حَتَّى ، صِرْتُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْنَفْ لِي شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَائِخِ عَنِ الْحَلَالِ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالشَّامِ .

قَالَ : فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : [الْمَنْصُورِيَّةُ وَهِيَ] الْمَصِيصَةُ (٣) ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْنَفْ لِي شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَائِخِ ، فَقَالَ : إِنْ أَرَدْتَ الْحَلَالَ فَعَلَيْكَ بِطَرَسُوسَ (٤) ، فَإِنَّ الْمُبَاحَاتِ بِهَا ، وَالْعَمَلُ كَثِيرٌ . قَالَ : فَبَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ الْبَحْرِ ، إِذْ جَاعَنِي رَجُلٌ فَأَكْتَرَانِي (٥) أَنْظُرَ لَهُ بُسْتَانًا ، فَتَوَجَّهْتُ مَعَهُ ، فَكُنْتُ فِي الْبُسْتَانِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، فَإِذَا أَنَا بِخَادِمٍ قَدْ أَطَّلَ (٦) وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْبُسْتَانَ لِخَادِمٍ مَانِظَرُهُ (٧) ، فَقَعَدْتُ فِي مَجْلِسِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَاطُورُ ، فَأَجَبْتُهُ ، قَالَ :

(١) مابين المعقوفين عن « ط » ومساقت من « م » .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « جُبَّةٌ وَكِسَاءٌ » .. وفي طبقات الصوفية : « فصادفت راعياً لأبي يرعى الغنم ، فَأَخَذْتُ جُبَّتَهُ الصَّوْفَ فَلَبِسْتُهَا ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْفَرَسَ وَمَا كَانَ مَعِي » .

(٣) مابين المعقوفين عن « ط » وهو مطابق لما وَرَدَ في معجم البلدان ، وفي المعارف لابن قتيبة ، وغيرها .. وفي « م » : « الْمَصِيصِيَّةُ » ولعلها تحريف من الناسخ ، أو نسبة إلى « الْمَصِيصَةِ » وهي قرية من فرى دمشق ، قرب بيت « طيا » ويطلق أحياناً على مدينة أخرى على شاطئ « جيحان » من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم ، بالقرب من « طَرَسُوس » .

[انظر معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، والمعارف ص ٥١٤] .

(٤) طَرَسُوسُ : بفتح أوله وثانيه ، كلمة أعجمية رومية ، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم وكانت موطناً للزهاد والصالحين ، يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين ، وخرج منها جماعة من أهل الفضل يُسَمُّونَ إليها ، منهم الحافظ محمد بن عيسى بن يزيد الطَرَسُوسِيّ وغيره .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨ ، ٢٩]

(٥) في « م » : « أَكْتَرَانِي ، أَيْ : اسْتَأْجَرْنِي ، وَأَنْظُرَ لَهُ بُسْتَانًا : أَيْ أَحْفَظْهُ وَأَرعَاهُ .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أَطَّلَ » أَيْ : دَنَا أَوْ غَشِيْنَا وَأَطَّلَ : أَثَرَفَ .

(٧) في « م » : « مَانِظَرُهُ » وكلاهما بمعنى واحد ، أَيْ : مَأْمَنُ عَلَى حِرَاسَتِهِ وَتَحْفِيزِهِ .

اذْهَبْ ^(١) فَأْتِنَا بِأَكْبَرِ رُءْمَانٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَأَطِيعِي ، فَأَتَيْتُهُ بِرُءْمَانٍ ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ رُءْمَانَهُ فَكَسَرَهَا ، فَوَجَدَهَا حَامِضَةً ، فَقَالَ : يَا نَاطُورُ [مَا هَذَا ؟] ^(٢) أَنْتَ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا فِي بُسْتَانِنَا تَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَتِنَا [وَرُءْمَانِنَا] لَا تَعْرِفُ الْحُلُوَّ مِنَ الْحَامِضِ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَكَلْتُ مِنْ فَاكِهَتِكُمْ شَيْئًا ، وَمَا أَغْرَفُ الْحُلُوَّ مِنَ الْحَامِضِ . قَالَ : فَتَعَمَّرَ الْخَادِمُ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ ثُمَّ قَالَ لِي : لَوْ كُنْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بَنٍ أَذْهَمَ مَا رَأَى عَلَى هَذَا .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعِدِّ حَدَّثَ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ بِالصِّفَةِ ، فَجَاءَ النَّاسُ عُنْفًا ^(٣) إِلَى الْبُسْتَانِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثْرَةَ النَّاسِ اخْتَبَأْتُ ^(٤) وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ ، وَأَنَا هَارِبٌ مِنْهُمْ .

وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بَنٍ أَذْهَمَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، مِثْلَ الْحَصَادِ ، وَحَفِظَ الْبُسَاتِينَ ، وَالْعَمَلَ فِي الطَّيْنِ ، وَكَانَ يَوْمًا يَحْفَظُ كَرْمًا ^(٥) فَمَرَّ بِهِ جُنْدِيٌّ فَقَالَ : أَعْطِنَا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ ، فَقَالَ : مَا أَمَرَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِالسَّوِطِ ، فَطَاطَأَ رَأْسَهُ وَقَالَ : اضْرِبْ رَأْسًا طَالَمَا عَصَى اللَّهَ ، فَاتَّحَجَزَ الرَّجُلُ وَمَضَى .

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : صَحِبْتُ إِبْرَاهِيمَ بَنَ أَذْهَمَ فَمَرَضْتُ ، فَأَتَّفَقَ عَلَيَّ نَفَقَتُهُ ، فَاسْتَهَيْتُ شَهْوَةً ، فَبَاعَ حِمَارَهُ وَأَتَّفَقَ [ثَمَنَهُ] ^(٦) عَلَيَّ ، فَلَمَّا تَمَائَلْتُ قُلْتُ : يَا إِبْرَاهِيمَ ، أَيْنَ الْحِمَارُ ؟ فَقَالَ : بَعْنَاهُ . فَقُلْتُ ^(٧) : فَعَلَّامَ أَرْكَبُ ؟ قَالَ : يَا ابْنِي عَلَى عُنُقِي . قَالَ : فَحَمَلَنِي ثَلَاثَ مَنَازِلَ ^(٨) رَحِمَهُ اللَّهُ . وَأَشْدُّوا شِعْرًا :

(١) في ١ ط : : فاذْهَبْ . . . وَالنَّاطُورُ : حَافِظُ الْبُسْتَانِ وَحَارِسُهُ

(٢) مابن المقوفين عن ١ ط : وسالط من ١ م : في الموضعين .

(٣) عُنْفًا : جماعات .

(٤) في ١ ط : : اخْتَفَيْتُ .

(٥) الْكَرْمُ : العنب .

(٦) مابن المقوفين عن ١ ط : .

(٧) في ١ م : : وقال : بَعْنَاهُ ، قُلْتُ : .

(٨) الْمَنْزِلُ وَالْمَنْزِلَةُ : مَوْضِعُ النُّزُولِ .

أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّ دُيَّاكَ بَحْرٌ طَافِحٌ مَوْجُهُ فَلَا تَأْمَنْتَهَا ^(١)
وَسَيْلُ النُّجَاةِ فِيهَا مُبِينٌ وَهُوَ أَخَذَ الْكَفَافَ وَالْقَوْتَ مِنْهَا ^(٢)

وَتَلْعَنِي أَنْ بِالْهِنْدِ يَوْمًا يَخْرُجُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، فَلَا يَبْقَى فِي الْبَلَدِ بَشَرٌ مِنْ طِينٍ ،
لَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَلَا مَوْلُودٌ صَغِيرٌ ، وَهَذَا الْيَوْمُ يَكُونُ بَعْدَ انْقِرَاضِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ يَوْمِ مِثْلِهِ ،
فَإِذَا اجْتَمَعَ الْخَلْقُ ^(٣) فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، نَادَى مُنَادِي الْمَلِكِ : لَا يَصْعَدُنْ هَذَا الْحَجَرُ
- الْحَجَرُ هُنَاكَ مَنْصُوبٌ - إِلَّا مَنْ حَضَرَ فِي الْمَجْمَعِ الْأَوَّلِ ، الَّذِي قَدْ خَلَا مِنْ مِائَةِ
سَنَةٍ ، فَرُبَّمَا جَاءَ الشَّيْخُ الْهَرَمُ الَّذِي قَدْ ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَعَمِيَ بَصَرُهُ ، وَفَنِيَ شَبَابُهُ ،
وَتَجَيَّءُ الْعَجُوزُ تَرْحَفُ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رَسْمُهَا ، وَقَدْ أَخْنَى الدَّهْرُ ^(٤) عَلَيْهَا ، فَيَصْعَدَانِ
عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي هُنَاكَ . وَيَقُولُ الشَّيْخُ [الْفَانِي] ^(٥) : حَضَرْتُ الْمَجْمَعِ الْأَوَّلَ مُنْذُ
مِائَةِ سَنَةٍ وَأَنَا طِفْلٌ صَغِيرٌ ، وَكَانَ الْمَلِكُ فَلَانًا ... وَيَصِفُ الْجُبُوشَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْأُمَمَ
الْحَالِيَةَ ^(٦) ، وَكَيْفَ طَحَنَهُمُ الْيَلَى ، وَصَارُوا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، وَيَقُومُ خَطِيبُهُمْ فَيُعْطِ
النَّاسَ ، وَيَذْكُرُهُمْ صَرَعَةَ الْمَوْتِ ، وَحَسْرَةَ الْقَوْتِ ^(٧) ، فَيَبْكِي الْقَوْمُ وَيَتَوَبُّونَ مِنَ
الْمَظَالِمِ ، وَيُكْثِرُونَ الصَّدَقَاتِ ، وَيَخْرُجُونَ عَنِ التَّبَعَاتِ ^(٨) ، وَيُصْلِحُونَ عَلَى ذَلِكَ
مُدَّةً ^(٩) .

(١) يُقَالُ : طَفَحَ الْإِنَاءُ أَوْ النُّهْرُ ، أَيْ : امْتَلَأَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَوَانِهِ ، وَطَافَحَ مَوْجُهُ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مَرْتَفِعٌ .. وَفِي
« م » : طَامَحَ ، وَهِيَ بِمَعْنَاهَا أَيْضًا . يُقَالُ : طَمَحَ الْمَاءُ وَغَوَى ، أَيْ : ارْتَفَعَ . فَلَا تَأْمَنْتَهَا : أَيْ الدُّنْيَا .
(٢) فِي « م » : « مِيتَر » ، بِدَلِّ « مِيتَر » ، وَكِلَاهُمَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْوُضُوحِ وَالْإِبَانَةِ .. وَالْكَفَافُ : مَا كَانَ عَلَى
مِقْدَارِ الْحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْخَلْقُ » .. وَالصَّعِيدُ : وَجْهُ الْأَرْضِ وَمَا ارْتَفَعَ مِنْهَا .
(٤) أَخْنَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ : طَالَ عَلَيْهِ وَأَسْفَدَهُ .. وَفِي « م » .. أَخْنَى ، بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، أَيْ : جَعَلَهُ مَوْجِعَ الظَّهْرِ ، أَوْ
مُنْخَبِئًا كَالْقَوْسِ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْقِرَيْنِ عَنْ « م » ، وَسَاقَطَ مِنْ « ط » .

(٦) الْأُمَمُ الْحَالِيَةُ : أَيْ الَّتِي يَأْدُرُّ وَفَنِيَتْ .

(٧) الْقَوْتُ : مَا تَضَى وَتَهْتَمُّ وَلَمْ يَفْعَلْ .

(٨) التَّبَعَاتُ ، مُفْرَدُهَا تَبْعَةٌ ، بِمَعْنَى : ظُلَامَةٌ ، وَتُطْلَقُ عَلَى مَا يَطْلُبُهُ الْمَظْلُومُ ، وَهِيَ اسْمُ مَا أُجِذَّ مِنْهُ ظُلْمًا .

(٩) أَيْ : يَأْتُونَ بِمَا هُوَ نَافِعٌ وَصَالِحٌ .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنِيَّةٍ ^(١) : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرُّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا ^(٢) عَنْهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْفِكْرِ لَا يَفْتُرُ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، قَدْ عَلِمْتُ مَا تَرِيدُ : حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَالتَّوْفِيقُ تَاجُ كُلِّ خَيْرٍ ^(٣) ، فَاحْذَرِ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَارْغَبْ [إِلَى رَيْكَ] ^(٤) فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ ، وَتَضَرَّعْ إِلَى رَيْكَ [فِي] أَنْ يَهَبَ لَكَ ^(٥) تَاجُ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ جَدِّي ^(٦) رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ ، قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ : فَشَبَّهَهَا بِالْمَاءِ الْمَالِحِ ، يَغُرُّ وَلَا يَرَوِي ، وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، [وَالْبَرْقِ الْخَلْبِ ، يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ] ^(٧) وَبِسَحَابِ الصَّيْفِ ، يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَبِظُلِّ الْعَمَامِ يَغُرُّ وَيُخْذَلُ ، وَبِزَهْرِ الرَّبِيعِ يَنْضُرُّ ثُمَّ يَصْفَرُّ [لَوْنُهُ] ^(٨) فَتَرَاهُ هَشِيمًا ، وَبِأَخْلَامِ النَّائِمِ ، يَرَى السَّرُورَ فِي مَنَامِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا الْحَسْرَةُ ، وَبِالْعَسَلِ الْمَشُوبِ بِالسُّمِّ الدُّعَافِ ^(٩) يَغُرُّ وَيَقْتُلُ ..

(١) سبق التعريف به .. والأنسب للسياق هنا أن يُقال : « أحد الرُّهبان » بدل « بعض الرهبان » .

(٢) هكذا في « ط » بالنصب ، وهو الصواب - مفعول « وجد » - « وى » م : مشغول وهو خطأ .

(٣) هكذا في « ط » .. « وى » م : « رأس » بدل « تاج » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » في الموضعين .

(٥) هكذا في « ط » وهو الأنسب .. « وى » م : « يبك » . والفعل « وهب » يعتمدى باللام ، قال تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴾ وقال بعض اللغويين : لا يعتمدى إلى الأول بنفسه ، فلا يقال : « وَهَبْتُكَ » مالا .. والفقهاء يقولونه ، وقد يُجْعَلُ له وَجْهٌ ، وهو أن يَضْمَنَ « وَهَبَ » معنى « جَعَلَ » وهذا غير دقيق ومردود عليه في الحاشية .

[انظر المصباح - مادة « وهب » بتحقيق د . عبد العظيم الشناوى ط دار المعارف] .

(٦) هكذا في « ط » ، وهو الصواب .. « وى » م : « كان أبى رجل » - هكذا - من الحكماء . فأبى بدل جَدِّي ، سهواً منه ، وستأتى بعد ذلك كلمة « جَدِّي » .. وجاءت كلمة « رجل » بالرفع ، وهو خطأ والصواب بالنصب (خير كان) .

(٧) يَغُرُّ ، بالضم : يخدع ، يقال : غَرَّهُ : خدعه وأطمعه بالباطل .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٩) الدُّعَافُ والزُّعَافُ (بالذال والزاي) : السريع : والسُّمُّ الدُّعَافُ : الذى يقتل لساعته .

فَقَدَّرْتُ هَذِهِ الْأَحْرُفَ السَّبْعَةَ سَبْعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ زِدْتُ حَرْفًا وَاحِدًا ، فَشَبَّهْتُهَا بِالْعَوْلِ
الَّتِي تُهْلِكُ مَنْ أَجَابَهَا ، وَتَرَكْتُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا ، فَرَأَيْتُ جَدِّي فِي الْمَتَامِ ، فَقَالَ ^(١) :
يَابَنَتِي ، أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ ، هِيَ وَاللَّهِ الْعَوْلُ الَّتِي تُهْلِكُ مَنْ أَجَابَهَا ، وَتَرَكْتُ مَنْ
أَعْرَضَ عَنْهَا . قُلْتُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : بِالْيَقِينِ ، وَالْيَقِينُ بِالْبَصَرِ ،
وَالْبَصَرُ ^(٢) بِالْعَيْنِ ، وَالْعَيْنُ بِالْفِكْرِ ، ثُمَّ وَقَفَ الرَّاهِبُ وَقَالَ : تُحْذَرُ مِنِّي ^(٣) فَلَا أَرَاكَ
تَخْلِفِي إِلَّا مُتَجَرِّدًا بِفِعْلٍ دُونَ قَوْلٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

قُلْتُ : وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا بِصِفَةٍ أَعَمَّ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ :
﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ، ثُمَّ يَهِيْجُ قَرَارُهُ مُصْفَرًا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ، وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ^(٤) . وَالْكَفَّارَ هَاهُنَا : الزُّرَّاعُ ، فَكَمَا ^(٥) أَنَّ الزُّرْعَ يَكُونُ فِي
أَوَّلِ تَبَاتِهِ أَخْضَرَ ^(٦) نَاعِمًا ، اهْتَزَّتِ الْأَرْضُ بِهِ بَعْدَ تَيْسِيهَا ، فَجَاءَتْ فِي الْعُيُونِ
كَأَمْلَجٍ ^(٧) مَا يَكُونُ ، ثُمَّ يَهِيْجُ قَرَارُهُ مُصْفَرًا ، أَيْ : يَكْبُرُ وَيَسْتَوِي فَيَجِفُّ وَيَحْتَرِقُ ،
وَيَتَكَسَّرُ ^(٨) أَغْلَاهُ وَيَسْتَقِيلُ سُنْبُلُهُ ^(٩) ثُمَّ يُدْرَسُ ^(١٠) فَيَكُونُ حُطَامًا ، أَيْ : نَبْنَأُ مُتَكَسِّرًا

(١) في ط : ، وقال .

(٢) هكذا في م .. وفي ط : ، بالصبر ، والصبر . لعلها خطأ مطبعي .

(٣) في ط : ، بئاً .

(٤) سورة الحديد - الآية ٢٠ . وفي م : سقطت كلمة « الدنيا » من الآية سهواً من الناسخ .

(٥) في ط : ، كما .

(٦) في م : ، خضيراً .

(٧) هكذا في ط .. وفي م : : كأخسَنَ ، وهي بمعنىها .

(٨) هكذا في ط .. وفي م : : ويتكيس ، أى : يضعف وينحني إلى أسفل .

(٩) هكذا في م .. وفي ط : : يستليل ، ويستقل سُنْبُلُهُ : أى يرتفع ويعلو ، يقال : استقلَّ الطائر في

طوره : واستقل النبات ، واستقلت الشمس .. الخ

[انظر المعجم الوسيط مادة « قَل » وغوهر من المعاجم العربية]

(١٠) هكذا في م .. وفي ط : : يُدَّاسُ ، وهي بمعنىها ، يقال : داسَ فلانُ الزرع ، أو الحصيد ،
أى : قَرَسَهُ لِخُرْجِ الْحَبِّ مِنْهُ .

مَقْطَعًا ، وَهَذَا مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) لِبَنِي آدَمَ ، إِذْ كَانُوا أَطْفَالًا أَوَّلَ الْوِلَادَةِ ، وَفِي حَالِ الطُّفُولِيَّةِ كَأَحْسَنِ مَرَأَى ، يُعْجِبُونَ الْآبَاءَ ، وَيَفْتِنُونَ ذَوِي الْأَحْلَامِ ^(٢) وَالنِّهَى ، ثُمَّ يَكْبُرُونَ فَيَصِيرُونَ شَبُوحًا مُنْكَسَةً رُءُوسُهُمْ ، مُقَوَّسَةً ظُهُورُهُمْ ، قَدْ ذَهَبَ حُسْنُهُمْ وَنُعُومَتُهُمْ ، وَفَنِيَ شَبَابُهُمْ وَجَمَالُهُمْ ، وَذَوَتْ غَضَارَتُهُمْ وَنَضَارَتُهُمْ ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِمُ الْهَرَمُ وَالشَّيْبُ ^(٣) ، ثُمَّ يَمُوتُونَ فَيَصِيرُونَ حُطَامًا فِي الْقُبُورِ كَالْتِّينِ فِي الْحَرِيرِ ^(٤) ، هَذَا بَعْدَ مَا وَصَفَهَا بِخَمْسِ صِفَاتٍ مَذْمُومَةٍ : لَعِيبٍ ، وَلَهْوٍ ، وَزِينَةٍ ، وَتَفَاخُرٍ ، وَتَكَاثُرٍ . وَكَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يُسَمَّى الدُّلْيَا (خِنْزِيرَةٌ) وَلَوْ وَجَدُوا [لَهَا] ^(٥) اسْمًا أَقْبَحَ مِنْهُ لَسَمَوْهَا بِهِ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا (أُمُّ دَفْرِ) ^(٦) ، الدَّفْرُ : التُّنُّ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٧) : بَلَغَنِي أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَكِبَ يَوْمًا فِي زَيْ عَظِيمٍ ، فَتَشَرَّفَ ^(٨) لَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجًا ، حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ شَيْئًا مُكِبًّا عَلَيْهِ لَمْ يَلْفُتْ ^(٩) إِلَيْهِ ، وَلَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، فَوَقَّفَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ

(١) مابن المعوقين عن م . م .

(٢) هكذا في « ط » .. وذوي الأرحام والنهى : أصحاب العقول .. وفي « م » : : ذوى الأرحام » أى : الأقارب .

(٣) هكذا في « ط » . وفي « م » : : « والنهى » أى : الجفاف ، وهو ضد الطراوة والرطوبة ، يقال : رجل وامرأة ييس : لآخر فيما .. وفوت غضارتهم ونضارتهم ، أى : ذهب حُسْنُهُمْ وَجَمَالُهُمْ وإشراق لُؤْنِهِمْ .

(٤) الخرين : الخرن ، وهو الموضع الذى لئاس فيه الحبوب وتَجَفَّفَ فيه الثَّار .. وفي « ط » : : « الحريق » بدل « الجرين » .

(٥) مابن المعوقين عن م . م . وساقط من « ط » .. ويعنى بالصدر الأول : أباينا الأولين .

(٦) ومنه يقال : دَفَرَ الشَّيْءُ ، أى تحيَّث راحته ، ودَفَرَ الطعام واللحم : قَوَّلَهُ الْبُودُ فِيهِ .

(٧) هو : مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الجهمي ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسب المالكية . وُلِدَ سنة ٩٣ هـ بالمدينة ، وتوفى بها سنة ١٧٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٣٥ - ١٣٩ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣١٦ - ٣٥٦ وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٣ ، ٥٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٩٨ ، ٤٩٩] .

(٨) تشرف الناس ، أى : نظروا إليه من الشرفات والأماكن العالية ، أو رفعوا أبصارهم ينظرون إليه .

(٩) هكذا في « ط » .. وفي « م » : : « لم يختلف نحوه » أى : أعرض عنه ولم ينظر إليه .

إِلَّا أَنْتَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي رَأَيْتُ مَلِكًا مِثْلَكَ ، وَكَانَ عَلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، فَمَاتَ هُوَ وَمِيسْكِينٌ ، فَدُفِنَ إِلَى جَنْبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِأَجْسَادِهِمَا ، ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُمَا بِقَبْرَيْهِمَا ، ثُمَّ نَسَفَتِ الرِّيحُ قَبْرَيْهِمَا ، وَكَشَفَتْ عَنْهُمَا فَاتَّخِذْتُ عِظَامَهُمَا ، فَلَمْ أَغْرِفِ الْمَلِكَ مِنَ الْمِسْكِينِ ، فَلِلَّذَلِكَ أَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي ، وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ .

وَرَوَى أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فِي الْجِبَالِ ، إِذْ وَافَى عَلَى غَارٍ ، [فَتَنَظَرَ ^(١)] فَإِذَا فِيهِ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَلْقِ ^(٢) مِنْ بَنِي آدَمَ ، وَإِذَا عِنْدَ رَأْسِهِ حَجَرٌ مَكْتُوبٌ بِكِتَابٍ مَخْفُورٍ فِيهِ : أَنَا رُسْتُمُ الْمَلِكُ ، مَلَكَتُ أَلْفَ عَامٍ ، وَفَتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ، وَافْتَرَعْتُ ^(٣) أَلْفَ بَكْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ صِرْتُ إِلَى مَائِرَى ، فَصَارَ التُّرَابُ فِرَاشِي ، وَالْحِجَارَةُ إِسَادِي ، فَمَنْ رَأَى فَلَا تَعْرِهُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّبَنِي .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ : خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ مَرُّوا بِزُرْعٍ قَدْ أُمْكِنَ مِنَ الْفَرَكِ ^(٥) فَقَالُوا : يَا بَنِي اللَّهِ ، إِنَّا جِيَاعٌ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ ائْذَنْ لَهُمْ فِي قُوتِهِمْ ^(٦) ، فَأِذَنْ لَهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الزُّرْعِ يَفْرَكُونَ ^(٧) وَيَأْكُلُونَ ، فَبَيَّنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ صَاحِبُ الزُّرْعِ وَهُوَ يَقُولُ : زَرْعِي وَأَرْضِي ، وَرِثَتُهُ عَنْ آبَائِي ، يَا ذَنِّ مَنْ تَأْكُلُونَ يَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : فَدَعَا عِيسَى رَبَّهُ فَبَعَثَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٨) جَمِيعَ مَنْ مَلَكَ تِلْكَ الْأَرْضِ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى سَاعَتِهِ ، فَإِذَا عِنْدَ كُلِّ سَبِيلَةٍ - مَا شَاءَ اللَّهُ ^(٩) رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ ، كُلُّهُمْ يَنَادُونَ : زَرْعِي وَأَرْضِي ، وَرِثَتُهُ عَنْ

(١) مابين المعرفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَهُوَ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وَالْخَلْقُ : الْخَلْقُ .

(٣) قَرَعَ الْبَكْرُ : فَضَّ بَكَارَتِهَا .. وَالْأَلْفُ فِي قَوْلِهِ : مَلَكَتُ أَلْفَ عَامٍ .. كِتَابَةٌ عَنِ الْكثرةِ لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ

(٤) مابين المعرفتين عن « ط » .

(٥) أُمْكِنَ مِنَ الْفَرَكِ ، أَيْ : تَفْصِيعُ .

(٦) فِي « ط » : أَقْوَاتِهِمْ .

(٧) يَفْرَكُونَ الزُّرْعَ : يَحْلُوْنَهُ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى يَزِيلُوا مَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَشْرِ أَوْ مَا عُلِقَ بِهِ .

(٨) مابين المعرفتين عن « ط » .

(٩) فِي « ط » : أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

آبَائِي .. فَفَزِعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَلَمَّا عَرَفَهُ قَالَ : مَعْدِرَةٌ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لَمْ أُعْرِفَكَ ، زَرَعِي وَمَالِي لَكَ حَلَالٌ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : وَيْحَكَ ، هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ قَدْ وَرِثُوا هَذِهِ الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ^(٢) ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، وَأَنْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهَا ، وَبِهِمْ لَاحِقٌ ، [وَيْحَكَ] ^(٣) كَيْسَ لَكَ أَرْضٌ وَلَا مَالٌ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَعَظَنَّاكَ أَجْدَاثَ صُمْتُ وَتَعَنَّاكَ أَزْيَمَةً خُفْتُ ^(٤)
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَوْجِهٍ ثَبَلَى وَعَنْ صَوْرٍ مَبْتُ ^(٥)
وَأَرْنَكَ قَبْرَكَ فِي الْقُبُورِ وَأَنْتَ حَتَّى لَمْ تَمُتْ ^(٦)
يَا شَامِتًا بِمَنْيَتِي إِنْ الْمَنِيَّةَ لَمْ تَمُتْ ^(٧)
وَلَرَبَّمَا انْقَلَبَ الزَّمَا نُ فَحَلَّ بِالْقَوْمِ الثُّمْتُ ^(٨)

وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ^(٩) ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا رَأَى فَاطِمَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ

(١) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٢) عَمَرُ الْأَرْضِ وَعَمَرُهَا : جَعَلَهَا مَعْمُورَةً .

(٣) مابين المعقوفين عن « م » ، وساقط من « ط » .. وَوَيْحٌ : كَلِمَةٌ تُوْجَعُ وَتَرْحَمُ . وَقِيلَ : هِيَ بِمَعْنَى « وَيْل » ، وَقَدْ مَرَّتْ .

(٤) أَجْدَاثَ صُمْتُ : أَيْ قُبُورٍ صَامِتَةٍ ، مَفْرَدَهَا : جَدَثٌ . وَالثَّمْنَى : إِذَاعَةُ خَبَرِ مَوْتِ الْمَيِّتِ .. وَأَزْيَمَةٌ خُفْتُ : أَيْ خَفِيَّتُهُ لَا تَسْمَعُ لَهَا صَوْتًا .

(٥) ثَبَلَى : تَفَتَّى . وَسَبَّ : سَاكَنَ . وَفِي « م » : « سَكُنْتُ » أَيْ : صَامِتَةٌ مُنْقَطِعَةٌ عَنِ الْكَلَامِ . وَفِي الدِّيَّانِ : « شَتَّتْ » أَيْ : مَتَفَرَّقَةٌ .

(٦) فِي الدِّيَّانِ : « فِي الْحَيَاةِ » بَدَلُ « فِي الْقُبُورِ » .

(٧) الثَّمْنَى : الْمَوْتُ . وَالشَّامِتُ : الَّذِي يَفْرَحُ بِمَا أَصَابَ غَدُوَّهُ مِنْ بَلِيَّةٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ، وَالْإِسْمُ مِنْهُ : الثَّمَاتُ .

(٨) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » .. وَفِي « ط » : « الثَّمَاتُ » بَدَلُ « الزَّمَانِ » ، وَالشَّامِتُ : مَنْ يُشْمَتُ بِهِمُ لِحَيَّةٍ أَوْ بِلِيَّةٍ (لَا وَاحِدَ لَهُ) .

(٩) هُوَ : عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ الْمَهَاجِمِيُّ الْقُرَشِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَحَدُ الْقَشَرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَابْنُ هَمِّ النَّبِيِّ وَصِهرِهِ ، وَأَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا بَعْدَ خِدِيجَةٍ ، وَلَدَ بِمَكَّةَ ، وَرُفِيَ فِي حَجَرِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَفَارِقْهُ ، وَكَانَ اللَّوَاءُ بِيَدِهِ فِي أَكْثَرِ الْمَشَاهِدِ ، وَبَطْلَانًا مُقَدِّمًا فِي جَمِيعِ الْمَعَارِكِ ، وَلَمَّا آخَى النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ أَصْحَابِهِ قَالَ لَهُ : أَنْتَ أَخِي .. وَلَدَ سَنَةَ ٢٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُمَانَ =

عنها ، مُسَجَّاةً بِثَوْبَيْهَا ، بَكَى حَتَّى رَأَى ^(١) لَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

أَرَى عِلَّلَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عِلِيلٌ ^(٢)
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلٌ ^(٣)
وَإِنَّ اقْتِفَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدْرِمَ خَلِيلٌ ^(٤)

[وَقَالَ ^(٥) :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ ثَارِكِي أُرِخْنِي فَقَدْ أَقْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلٍ
أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَلِيلٍ

= ابن عفان ، رضى الله عنه ، سنة ٣٥ هـ . وقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم ، ووثقوا على الفتنة ، ففرضت عائشة ، وقام معها جمع كبير ، في مقدمتهم طلحة والزبير ، وقتلوا عليا ، فكانت وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ وظفر على بعد أن بلغت قتلى الفريقين عشرة آلاف .. ثم كانت وقعة صفين سنة ٣٧ هـ ضد معاوية بعد أن عزله على عن ولاية الشام ، وقتل فيها من الفريقين سبعون ألفا ، وانتهت بالتحكيم ، وخلع على .. قتل - كرم الله وجهه - غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ ، واختلف في مكان قبره ، فقيل : في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل بنجف الحيرة ، وقيل غير ذلك .

أما غاطمة ، فهي : فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأمها خديجة بنت خويلد ، ولدت في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة ، وتزوجها على بن أبى طالب وهي في الثامنة عشرة من عمرها ، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر ، وتوفيت - رضى الله عنها - سنة ١١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وج ٥ ص ١٣٢ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦١ - ٨٧ وج ٢ ص ٣٩ - ٤٣] .

(١) مُسَجَّاةً : مُعْطَاة . وَرَأَى لَهُ ، أى : تعاطف معه الناس ورأوا له .

(٢) هكذا ترتيب الآيات الثلاثة في م . وكذا في ديوان الإمام علي ، الذي جمعه عبد العزيز الكرم على الرواية الصحيحة ، وديوانه الذي حققه د . خفاجي .. وفي ط . جاء البيت الثاني مكان الأول . أما في العقد الفريد ، فقد ورد البيتان ، الثاني والثالث فقط ، وكذلك في أعلام النساء .

[انظر العقد الفريد ج ٣ ص ١٩٨ وأعلام النساء ج ٤ ص ١٣١ ، وديوان الإمام علي ، لعبد العزيز الكرم ص ٩٩ ، وديوانه بتحقيق د . عبد المنعم خفاجي ص ٢٤٣] .

(٣) هكذا في م . وفي ط .. وفي الديوان ، والعقد الفريد ، وأعلام النساء : « وكل الذي » .

(٤) هكذا في م . و ط . والمصادر السابقة .. وفي حاشية م . أن الشطر الأولى وردت في نسخة : « وإن اقتفادى فاطمة بنت أحمد وأحمد : اسم من أسماء الرسول ، صلى الله عليه وسلم . والحليل : الصديق والصاحب .

(٥) ما بين المعقوفين عن ط .. وجاءت الآيات الخمسة في م . متصلة .. وفي الديوان ، وغيره من المصادر ، أن هذين البيتين الأخيرين قالهما - رضى الله عنه - بعد شهادة عثمان بن باسر .

وَلَمَّا نَفَضَ يَدَيْهِ مِنْ تَرَابِهَا تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ بَعْضُهُ يَنِي ضَبَّةٌ ^(١) :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي حَسْرَةً أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَجْلَاءَ تَذْهَبُ ^(٢)

أَجْلَايَ ! لَوْ غَيْرَ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَنَيْتُ ، وَلَكِنْ مَاعَلَى الْمَوْتِ مَعَتَبٌ ^(٣)

وَقَالَ الْعَتَابِيُّ ^(٤) :

قُلْتُ لِلْفَرَقْدَيْنِ وَاللَّيْلُ مُلْقِي سُوْدَ أَكْتَانِفِهِ عَلَى الْآفَاقِ ^(٥)

(١) هكذا في (م) .. وفي ط : : أُمِيَّةٌ بدل ضَبَّةٌ ، وهو خطأ .. والشاعر الذي قال هذين البيتين هو : العَطْمُش بن عَفْرُو بن عطية من بني شَقْرَةَ بن كعب ، من ضَبَّة ، وهو من شعراء الحماسة الشجرية ، وفي شعره رقة . والعَطْمُش يُطْلَق على الظالم والجائر ، وعلى كليل البصر وقد ورد في اللسان - ط دار المعارف - ضبط شَقْرَةَ بضم الشين وسكون القاف ، ويفتح الشين وكسر القاف .. وفي ط بيروت - وفي معجم قبائل العرب هكذا أيضاً في جميع صورها .. وَخَالَفْتُ هذا الضبط هنا حيث ورد في الإكمال - لابن مأكولا - أن « شَقْرَةَ » بضم الشين وسكون القاف ، هو شَقْرَةُ بن نَكْرَةَ بن لَكِيْز بن أَفْصَى (وهو غير شاعرنا) أما « شَقْرَةَ » بفتح الشين وكسر القاف ، فهو : شَقْرَةُ بن الحارث بن تميم بن مُرٍّ ، وأما « شَقْرَةَ » بفتح الشين أيضاً وسكون القاف ، فهو : شَقْرَةُ بن نبت بن أدد .. وشَقْرَةُ بن ربيعة بن كعب من سعد بن ضَبَّة .

[انظر لسان العرب ، مادة « عتب » ط دار المعارف ، والإكمال (باب شقرة) بصورها الثلاث ج ٥ ص ٧٨ ، ومعجم قبائل العرب ج ٢ ص ٦٠١ ، والأعلام ج ٥ ص ١٢٠] .

(٢) البيت في لسان العرب :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ بَيْنِي غَيْرَةٌ أَرَى الدُّعْرَ يَبْقَى وَالْأَجْلَاءَ تَذْهَبُ

وَالْأَجْلَاءُ : جمع خليل ، وهو الصديق ، وقد سبقت ، وفاضت دموعي : بكيت .

(٣) أَجْلَايَ : أصلها أَجْلَاءُ ، وجاءت هنا بالقصر للضرورة ، ليشبهاه الإضافة . أَيْ : بأصدقائي والحيّام : قضاء الموت وقدره . وَعَنَيْتُ هنا بمعنى سَخِطْتُ أَيْ : لَوْ أَصَيْبْتُمْ فِي حَرْبٍ لَأَفْرَحْنَا بِأَرْحَمٍ وَانْتَصَرْنَا لَكُمْ ، وَلَكِنْ الدُّعْرَ لَا يَنْتَصِرُ مِنْهُ .

[انظر اللسان مادة « عتب »]

(٤) هو : كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ، شاعر مجيد ، وخطيب بليغ ، وهو من أهل قيسرين بالشام ، ويتصل نسبه بمعرو بن كلثوم (الشاعر) .. قدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء والأشراف ، وله رسائل مُسْتَحْسَنَةٌ ، وكان يجنب غشيان السلطان قناعة وتنزهاً ، وكان يلبس الصوف ويظهر الزهد . وشغف بالمعزلة والاعتزال ، وبالآداب الفارسية ، وله من الكتب : كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الألفاظ ، وغيرها . توفي سنة ٢٢٠ هـ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٨٨ - ٤٩٢ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢١ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٦٣ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٣١ ، وطبقات الشعراء ص ٢٦١ - ٢٦٣ ، ومعجم الأدباء ج ٧ ص ٢٦ - ٣١ ، والأغاني ج ١٣ ص ٤٦٢١ - ٤٦٣٧ ط الشعب ، وقرأ ما كتبه عنه د . شوقي ضيف في موسوعة تاريخ الأدب العربي ج ٣ من ص ٤١٩ وما بعدها ط دار المعارف] .

(٥) في (م) : : « قُل » بدل « قُلْتُ » .. والفرقدان : ثُجَّان في السماء لا يُفَرِّقان ، والمراد هنا : الصاحبان =

أَبْقَا مَا بَقِيَئَا فَسَيَّرَمِي بَيْنَ شَحْصِيكُمَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ
عَرَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ يَمُوتَ الْمَنَايَا وَغَرَاهَا فَلَا جِدَّ الْأَعْتَاقِ (١)
كَمْ صَفِيَّيْنِ مُتَعَا بِاجْتِمَاعِ ثُمَّ صَارَا لِغُرْبَى وَأَفْتِرَاقِ (٢)
لَا يَدُومُ الْبَقَاءُ لِلْمَخْلُوقِ لَكِ سَنَ دَوَامِ الْبَقَاءِ لِلْمَخْلُوقِ (٣)
وَأَشْكُنِي بَعْضُ الْأَذْبَاءِ (٤) :

أُسْعِدَانِي يَا نَحْلَتْنِي حُلُوانِ وَارِثِيَا لِي مِنْ رَبِّ هَذَا الزَّمَانِ (٥)
وَلَعَمْرِي لَوْ دُفُنْتُ أَلَمَ الْفَرِّ قَدَ أَبْكَاكُمَا الَّذِي أَبْكَايَ (٦)

= اللذان لا يهترقان .. وسُود أكتافيه : يعنى أستاره وظلاله السوداء .

(١) عَرَّ : جَهَلَ الْأُمُورَ وَغَفَلَ عَنْهَا .. وَالْمَنَايَا : جمع مَيَّة ، وهى الموت .. وَغَرَاها : العَرَى جمع غُرْوَة ، وهى طَوقُ القِلَادَة ، وَغُرْوَة الكُرْزُ أو التَمِيسُ ونحوهما : تَقْبِضُهُ . والقِلَادَة ، جمع قِلَادَة ، وهى ما يُهَجَّلُ فِي الْعُنُقِ مِنْ خَلْيٍ ونحوه .

(٢) الصَّبِيُّ : الصديق ، أو ماتصطفيه وتفضله من الناس .

(٣) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : ... لكن دوام طول البقاء للمخلوق .

(٤) الأبيات ليست لبعض الأدباء المعاصرين للطرطوشي - رحمه الله - بل هى لمطبع بن لياس الليثى ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمدهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى في وقت قتاله عبد الله بن الزبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة ، وتزوج بها ، فَوُلِدَ لَهُ « مطبع » .. ومطبع من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان ظريفاً مليح النادرة ، ماجناً ، مُتَّهِماً بِالزُّنْدَقَةِ ، مدح الوليد بن يزيد وتادمه في العصر الأموى ، وانقطع في الدولة العباسية إلى جعفر المنصور ، فكان معه إلى أن مات .. وأقام ببغداد زمناً ، وتوفى بالبصرة سنة ١٦٦ هـ وأخباره كثيرة في كتاب الأغاني وتاريخ بغداد وغيرها من كتب الأدب .

[انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٧٨٨ وما بعدها ، والأعلام ج ٧ ص ٢٢٥ ، ولسان العرب ، مادة « حلا » ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٩١ وما بعدها] .

(٥) حُلُوان : مدينة كبيرة عامرة بالعراق . وكان لمطبع بن لياس جارية يحبها ، فاضطر إلى بيعها ، وندم على ذلك ، وتبعتها نفسه ، فنزل « حُلُوان » وجلس ينتظر مستنداً إلى غلّة على العقبة ، وإلى جنبها غلّة أخرى ، فذكر الجارية واشتاق إليها ، فأششد هذه الأبيات ، وقد بلغت اثني عشر بيتاً في الأغاني .. وجاء في اللسان والأغاني : « وابكيا لى » بدل « وارثيا لى » وفي معجم البلدان : « وابكيا لى » بالنون .

[انظر المراجع السابقة]

(٦) هكذا ترتب الأبيات في « ط » وفي الأغاني ، وفي معجم البلدان .. وفي « م » جاء البيت الثانى مكان الثالث ، وفيها « ولعمري » بدل « ولعمري » .. وفي « ط » : « حرق » بدل « ألم » ، وهى بمعناها .

وَاعْلَمْنَا إِن بَقِيَّتُهُمَا أَنَّ لِحْسًا سَوَفَ يَأْتِيكُمَا فَتَقْتَرِيَانِ (١)

ولما سافر الرشيد إلى « طوس » (٢) وعك في طريقه من حر أصابه ، فقال له الطبيب : لا تترك إلا جمار (٣) النخل ، وكان نزوله قريباً من هاتين النخلتين ، فأمر بقطع جمار إحدى النخلتين ، فلما مثل بين يديه أنشدته بعض الجلّساء هذه الأبيات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين ، فقال الرشيد : لو سمعتهما ما أمرت بقطعهما .

ولما مات الإسكندر قال أرسطو طاليس (٤) : أيها الملك [لقد] (٥) حرصنا بسكونك . وقال بعض الحكماء من أصحابه : كان الملك أمس أطلق منه اليوم ، وهو (٦) اليوم أوعظ منه أمس ، فنظمه (٧) أبو العتاهية فقال :

كفى حزناً بدفنيك ثم أئسى
نفضت ثراب قبرك من يدٍ

(١) هكذا البيت في « ط » وفي « م » .. وفي الأغاني ومعجم البلدان : « أسجداني وأيقنا أن لحساً » .. وفي رواية : « سوف يلقاكم بدل » سوف يأتيكما [انظر المراجع السابقة]

(٢) طوس : مدينة بخراسان ، وبها قبر هارون الرشيد .. وعك : مَرَضُ أو أصابه التعب من شدة الألم .

(٣) الجمار : قلب النخل .

(٤) الإسكندر هو : الإسكندر الأكبر المقدوني الملقب بذي القرنين ، وُلِدَ سنة ٣٥٦ قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - وتوفى سنة ٣٢٤ ق . م .. كان من أعظم الفُزاة والفاخين وأشجعهم .

أما أرسطو طاليس ، أو أرسطو ، فهو أستاذ الإسكندر الأكبر ومؤدبه ، وهو فيلسوف يوناني كبير ، وُلِدَ سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، وتوفى سنة ٣٢٢ ق . م .. وقد تأثرت بواحد التفكير العربي بتأليفه التي نقلها إلى العربية القنلة السرياني ، وأهمهم إسحاق بن حنين ، مؤسس مذهب « المشائين » .

[انظر خيرهما في دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٥٨١ وما بعدها ، ومعجم البلدان ج ١ ص ١٨٢ وما بعدها] مادة إسكندرية « والنجد في الأعلام ، وغير ذلك من المصادر » .

(٥) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٦) في « م » : « وهذا » بدل « وهو » .

(٧) في « م » : « نظمه » .. وقد نظم أبو العتاهية ستة أبيات - منها هذان البيتان - لما دُفِنَ « علي بن ثابت » فوقف أبو العتاهية يكي على قبره ويُرَدِّد هذه الأبيات ، وأولها :

ألا من لي بأنيسك مأخياً
ومن لي أن أبكك مالدنيا
طوّلت خطوب ذفرك بقذ نثر
كذلك خطوبه نثراً وطياً

وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا ^(١)
وَوَجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِ : « قَهْرُنَا مَنْ قَهْرُنَا فَصِرْنَا لِلنَّاطِلِينَ عِبْرَةً » .
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ ^(٢) :

نَسِيرُ إِلَى الْآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطَوَّى وَهَرُّ مَرَاحِلُ ^(٣)
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ إِذَا مَا تَحَطَّطَتْهُ الْأُمَانِيُّ بِاطِلُ
وَمَا أَقْبَحَ التَّضَرُّبِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِلُ ^(٤)
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا بِرَادٍ مِنَ التَّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ ^(٥)

وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٦) الشَّامَ قَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، أَسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ لَكُمْ تَأْصِيحُ ،
فَاجْتَمِعُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَالِي أَرَأَيْكُمْ تُبْنُونَ مَا لَا تُسْكُنُونَ ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، إِنَّ

(١) هكذا البيت في الديوان .. وفي « ط » : « من » بدل « في » .. وفي « م » : « أنطق » بدل « أوعظ » .

[انظر الأبيات في ديوانه ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ط دار صادر]

(٢) هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله ، ابن التوكل ، ابن المعتصم ، ابن الرشيد العباسي : شاعر مُبدع ، وُلِدَ في بغداد سنة ٢٤٧ هـ ، وأولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم ، وله تصانيف كثيرة .. ألت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي ، واستصره القُوَاد فخلعوه ، وأقبلوا على ابن المعتز وباهعوه بالخلافة ، ولقبوه « المرتضى بالله » ، وقيل : « المنتصر بالله » ، فأقام يوماً وليلة ، ووُذِبَ عليه فخلعوه ، وعاد « المقتدر » فقبض عليه ، وسلمه إلى خادِم له فخنقه سنة ٢٩٦ هـ ، وقيل : مات في الحبس ، وهو ابن ثمانٍ وأربعين سنة وسبعة أشهر وأيام .. وللشعراء مَرَاثٍ كثيرة فيه .. وصارت خلافة ابن المعتز تُضرب مثلاً فيَمَن لا تطول مُدَّتُهُ ويسرع انقضاءه .

[انظر ثمار القلوب لأبي منصور الثعالبي ص ١٩١ - ١٩٤ ط دار المعارف ، والأعلام ج ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ - ١٠١] .

(٣) المراحل : جمع مَرَحَلَةٍ ، وهي المسافة يقطعها السائر في نحو يوم ، أو هي ما بين المنزلتين .

(٤) في الديوان : « والشيب في الرأس شامل » بدل « شاعِل » ، وكلها بمعنى : مُتَشَتِّر .

(٥) في الديوان « قلائل » بتسهيل الهزرة .

[انظر القصيدة في ديوانه ج ٢ ص ٤١٢ ، ٤١٣ ط دار المعارف] .

(٦) هو : عُرَيْجُ بْنُ مَالِكٍ [أو ابن عامر ، أو ابن زيد - فيه خلاف] ابن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، أبو الدرداء .. من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم . وفي الحديث : « عويمر حكيم أمي » . ولأم معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، وهو أول قاضي بها .. وقال ابن الجوزي : كان أبو الدرداء من العلماء الحكماء ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بلا خلاف .. توفي - رحمه الله - بالشام سنة ٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٩٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٢٧] .

الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا ^(١) ، وَأَمَلُوا بَعِيدًا ، وَجَمَعُوا كَثِيرًا ، فَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُورًا ، وَجَمَعَهُمْ بُورًا ، وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا .

وَرَوَى الْجَاظُ ^(٢) قَالَ : وَجِدَ مَكْتُوبًا ^(٣) عَلَى حَجَرٍ : ابْنُ آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ ، لَزَهَدْتَ فِي طُولِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ ، وَلَرَغِبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ ، وَلَقَصَرْتَ عَنْ جِرْصِكَ وَجَحِيلِكَ ، وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ عَذَابٌ نَذْمُكَ ، لَوْ قَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ ، وَأَسْلَمَتْ أَهْلُكَ وَحَشَمَتُكَ ، وَثَبَّتَ مِنْكَ الْقَرِيبُ ، وَانْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ ، فَلَا أَتَتْ فِي عَمَلِكَ زَائِدٌ ، وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٤) : يَلْغِي أَنْ أَمْرًا نَحْنُ أَتَمُّ عَمَسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥) فَقَالَا : يَا رُوحَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ [لَنَا] ^(٦) أَنْ يُخْرِجَ [لَنَا] أَبَانَا ، فَإِنَّهُ هَلَكَ وَنَحْنُ غَائِبَتَانِ عَنْهُ . قَالَ : تَعْرِفَانِ قَبْرَهُ ؟ فَقَالَا : نَعَمْ . فَذَهَبَ مَعَهُمَا فَأَتَا قَبْرًا فَقَالَا : هَذَا هُوَ . فَدَعَا اللَّهَ ، فَأَخْرِجَ لَهُمَا ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِهِ ، فَدَعَا فَرَدَّ ، ثُمَّ دَلَّنَاهُ عَلَى قَبْرِ آخَرَ ، فَدَعَا أَنْ يُخْرِجَ ،

(١) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « شديدا » تحريف .

(٢) في (ط) : « المحافظ » تحريف .

والجاحظ هو : عمرو بن بحر بن محبوب الكناfi بالولاء ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ ، من كبار أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية ، من المعتزلة ، وُلِدَ في البصرة سنة ١٦٣ هـ ، وكان مُتَوَهِّجَ الخُلُقَةِ ، ومات والكتاب على صدره ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، وكان ذلك سنة ٢٥٥ هـ ، وكان قد جاوز التسعين . ولجاحظ تصنيفات كثيرة منها : البيان والبيان ، والحويان ، وسحر البيان ، والتاج - ويسمى أخلاق الملوك - والبخلاء ، وغيرها كثير ، قال عنه ابن يزداد : « وهو - أي الجاحظ - نسيج وَخُودِهِ في جميع العلوم ، جمع بين علم الكلام ، والأخبار ، والفنن ، والعربية ، وتأويل القرآن وأيام العرب » .

[انظر كتاب طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى - ط بيروت ص ٦٧ وما بعدها ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، والأعلام ج ٥ ص ٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٠ - ٤٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٢ - ٢٢٠ ، ومعجم الأدباء ج ٢ ص ٧٤ - ١١٤] .

(٣) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « مكتوب » بالرفع . ووجد من الأفعال التي تنصب مفعولين .

(٤) سبق التعريف به .

(٥) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « أنيا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم »

(٦) ما بين المعقوفين عن (ط) وساقط من (م) في الموضعين .

فَخَرَجَ [فَإِذَا هُوَ] ^(١) فَلَزِمَتْهُ وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتَا : يَا مَعْلَمَ الْخَيْرِ ، اذْعُ
 اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٢) أَنْ يُبْقِيَهُ مَعَنَا ، فَقَالَ : وَكَيْفَ أَدْعُو لَهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ رِزْقٌ يَعِيشُ بِهِ ، ثُمَّ
 رَدَّهُ وَأَنْصَرَفَ .

وَأُنْشَدَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

وَأَسْفَى مِنْ فِرَاقِ قَرْمٍ	هُمُ الْمَصَائِبِ وَالْحُصُونُ
وَالْمُزْنُ وَالْمَذْنُ وَالرَّوَاسِي	وَالْخَيْرُ وَالْأَمْنُ وَالسُّكُونُ ^(٣)
لَمْ تَغْيِرْ بِنَا اللَّيَالِي	حَتَّى تَوَفَّيَهُمُ الْمُنُونُ ^(٤)
فَكُلُّ جَمْرٍ لَنَا قُلُوبٌ	وَكُلُّ مَاءٍ لَنَا عُيُونُ

وَرَوَى أَنَّ التُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُنْصِيدًا ، وَمَعَهُ عِدَّةُ بَنِي زَيْدٍ ، فَمَرُّوا ^(٥)
 بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ عِدَّةُ بَنِي زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَتُنْذِرُ مَا تُقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ؟ قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَإِنَّهَا ^(٦) تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيَحْدِثْ نَفْسَهُ	أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبِ زَوَالٍ ^(٧)
[وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا	وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُ الْجِبَالِ] ^(٨)
رُبُّ رَكْبٍ قَدْ أَتَانَا حَوْلَنَا	يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الزُّلَالِ ^(٩)

(١) مابين المقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) مابين المقوفتين عن « م » .

(٣) الْمُزْنُ : السحاب .. يريد تشبيههم بالسحاب في الجود . والرواسي : الجبال .

(٤) هكذا البيت في « م » .. وفي « ط » : « تتغير » بقاءين ، ومارود في « م » هو الصحيح ، فيه يستقيم الوزن .

(٥) هكذا في « م » و « ط » .. والمناسب للمقام أن يقال : « نَمُرُّ » .

(٦) في « ط » : « إنها » .

(٧) في « ط » : « سؤال » بدل « زوال » .

(٨) هذا البيت عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٩) الرُّكْبُ : أصحاب الإبل في السفر دون الدواب ، وهم المشرفة فما فوقها . والركبان : الجماعة منهم . والماء
 الزُّلَال : العذب .

عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشِ حَسَنٍ آيَنَى دَهْرِهِمْ غَيْرَ عِمَالٍ ^(١)
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَقْرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قَالَ : ثُمَّ جَاوَزُوا الشَّجَرَةَ فَمَرُّوا ^(٢) بِمَقْبَرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عِدِي : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَتُدْرِي
مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ ؟ قَالَ : لَا .. قَالَ : إِنَّهَا تَقُولُ :

أَيَا الرُّكْبِ الْمُخْبُونَا عَلَى الْأَرْضِ الْمُجْدُونَا ^(٣)
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا كَمَا نَحْنُ تُكُونُونَا ^(٤)

فَقَالَ الثُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ ^(٥) أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا يَتَكَلَّمَانِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ
إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظِي ^(٦) فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي ^(٧) خَيْرًا ، فَمَا السَّبِيلُ الَّتِي تُدْرِكُ بِهَا ^(٨) النَّجَاةُ ؟
قَالَ : تُدْعُ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، قَالَ : وَفِي ^(٩) هَذِهِ النَّجَاةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
فَتَرَكَ ^(١٠) عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ يَوْمئِذٍ ^(١١) وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْاجْتِهَادِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ [بْنُ] ^(١٢) الْمُعَلِّمُ : خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا ، فَلَمَّا كُنَّا

(١) غير عِمَال : أَي مَقْرَبِينَ .

(٢) هَكَذَا فِي « ط » بِالْجَمْعِ .. وَفِي « م » : « ثُمَّ جَاوَزَ » ، أَي : عَدَى ، أَوْ الثُّعْمَانُ .

(٣) هَكَذَا الْبَيَانُ فِي « ط » .. وَفِي « م » : « أَيُّهَا » مَكَانَ « أَيَا » ، وَجَاءَتِ الْمُخْبُونَا ، وَالْمُجْدُونَا ، وَتَكُونُونَا - بِدُونِ أَلْفٍ .. وَالْمُخْبُونُ : الْمُسْرِعُونَ ، وَجَاءَتْ فِي « ط » هُوَ الصَّحِيحُ ، وَبِهِ يَسْتَقِيمُ الْوَزْنُ .

(٤) فِي « م » : « وَكَا » .

(٥) فِي « م » : « عَلِمْنَا » .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : تَعْظِي .

(٧) فِي « م » : عَنَا .

(٨) فِي « ط » : « فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي تُدْرِكُ بِهِ النَّجَاةُ ؟ » . وَكَلَامُهَا صَوَابٌ ، فَالسَّبِيلُ يُدْرِكُ وَيُوْتِتُ .

(٩) فِي « ط » : « فِي » بِحَذْفِ الْوَاوِ .

(١٠) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « قَالَ : فَتَرَكَ » .

(١١) فِي « م » : حَيْثُ .

(١٢) مَا يَنْبَغِي الْمَعْرِفَتَيْنِ عَنْ « ط » .. وَقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ هَكَذَا فِي الرِّسَالَةِ الْقَشِيرَةِ [ج ٢ ص ٥٨٠ - وَغَيْرِهَا] وَوَرَدَ

بِغَيْرِ « ابْنِ » فِي طَبَقَاتِ الصُّوفِيَةِ [ص ١٢٧ وَغَيْرِهَا] .

وَهُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فَضْلَوَيْهِ الْمُعَلِّمُ .. مُخَلِّثٌ ، وَرَاوِيٌّ ، سَمِعَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُنَازِلٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ ، وَأَبْنَى الْعَبَّاسِ الدُّيُورِيِّ ، وَغَيْرِهِمْ .

بِالرُّؤْيَةِ ^(١) نَزَلْنَا ، فَوَقَفَ بِنَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ [لَيْسَ] ^(٢) لَهُ مِنْظَرٌ وَهِيئةٌ فَقَالَ : مَنْ يَبْنِي ^(٣) حَادِمًا ؟ مَنْ يَبْنِي سَاقِيًا ؟ فَقُلْتُ : ذَلِكَ هَذِهِ الْقِرْبَةُ ^(٤) ، فَأُخِذَهَا فَأَنْطَلَقْتُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا ، حَتَّى أَقْبَلَ وَقَدْ امْتَلَأَتْ أَثْوَابُهُ طِينًا ، فَوَضَعَهَا كَالْمَسْرُورِ الضَّاحِكِ ، ثُمَّ قَالَ : لَكُمْ غَيْرُ ^(٥) هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . وَأَطْعَمْنَاهُ قُرْصًا بَارِدًا ، فَأُخِذَهُ وَحَمِدَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٦) وَشَكَرَهُ ، ثُمَّ اعْتَزَلَ وَقَعَدَ فَأَكَلَهُ أَكْلَ جَائِعٍ ، فَأَذْرَكْنِي عَلَيْهِ الرَّافَةُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ ، فَقُلْتُ [لَهُ] : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْكَ الْقُرْصُ بِمَوْجِعٍ ، فَدُونِكَ هَذَا الطَّعَامُ . فَطَرَفَ فِي وَجْهِهِ وَتَبَسَّمَ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ^(٧) ، إِنَّمَا هِيَ قَوْرَةٌ جُوعٍ ، فَمَا أَبَالِي بِأَيِّ شَيْءٍ رَدَدْتُهَا . فَرَجَعْتُ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي : أَتَعْرِفُهُ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كَانَ يَسْكُنُ الْبَصْرَةَ ^(٨) فَتَابَ ، فَمَحَرَجَ مِنْهَا ، فَتَفَقَّدَ فَمَا عُرِفَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا وَقَفَ لَهُ عَلَى خَبَرٍ . فَأَعْجَبَنِي قَوْلُهُ ، ثُمَّ اجْتَمَعْتُ ^(٩) بِهِ وَأَسْتَسْتُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي ^(١٠) ، فَإِنْ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِي ، فَجَزَانِي خَيْرًا وَقَالَ : لَوْ أُرِدْتُ هَذَا لَكَانَ لِي مُعَدًّا ، ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ ، كُنْتُ أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ ، وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَبَذَخٍ ، وَإِنِّي أُمِرْتُ حَادِمًا لِي أَنْ تُحْشَوْ فِرَاشًا لِي

(١) الرُّؤْيَةُ : موضع بينه وبين المدينة مسيرة ليلة .. وقيل : اسم منتهلة من المناهل التي بين المسجدين - يريد مكة والمدينة - والمنتهلة : الموضع الذي فيه المشرَب .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وفي « م » : « وله منظر وهيبة » وثياب رَثَّةٌ : بالية

(٣) في « م » : « يَبْنِي » في الموضعين .

(٤) دونك : اسم فعل أمر بمعنى : اخُذ . والقِرْبَةُ : وعاء من جلد يُحْفَظُ فيه الماء .

(٥) أَى : أتريدون غير هذا ؟

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » في الموضعين .

(٧) في « م » : « يا أبا عبدالله » .. وقَوْرَةُ الجوع : شدته .

(٨) في « م » : « بالبصرة » .

(٩) في « م » : « تجمعت معه » .

(١٠) يقال : عَادَلَ بين الشيئين ، أَى : وَزَنَ . وعَادَلَ الشيء بالشئ : سواه به ، وجعله مثله قائماً مقامه . وعَادَلَ فلاناً في المَحْمَلِ : ركب معه . وهو المراد هنا .

مِنْ حَرِيرٍ وَمِخْدَةٌ بَرْدٍ يَنْثِيرُ ^(١) فَفَعَلْتُ ، وَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا بَقُمَجٍ وَرَدَّةٌ قَدْ أَغْفَلْتُهَ الْحَادِمُ ،
فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَأَوَجَعْتُهَا ضَرْبًا ، ثُمَّ غَدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنَ الْمِخْدَةِ ،
فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيلَةٍ ، فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفَقِيَ مِنْ غَشْيَتِكَ ، أَبْصِرْ مِنْ
خَيْرَتِكَ ، ثُمَّ أَتَانَا يَقُولُ :

يَا خُدَّ إِلَيْكَ إِنْ تُوسَّدَ لَيْسَا وَسَدْتُ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمُّ الْجَنْدِلِ ^(٢)
فَأَمَهْدُ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلْتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ ^(٣)

فَاتَّبَعْتُهَا فَرِعًا ، فَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي .

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ ^(٤) : ذَكَرَ لِي أَنَّ فِي جَوَابِ الْأُبَلَّةِ ^(٥) جَارِيَةً مَجْنُونَةً ، تَنْطَلِقُ
بِالْحِكْمَةِ ، فَلَمَّا أُرِّلَ أَطْلُبُهَا حَتَّى وَجَدْتُهَا فِي حَرَبَةٍ ^(٦) جَالِسَةً عَلَى حَجَرٍ ، وَعَلَيْهَا جُبَّةٌ
صُوفٌ ، وَهِيَ مَخْلُوقَةُ الرَّأْسِي ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، قَالَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ
أَكَلَمَهَا : مَرْحَبًا بِكَ يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ . فَقُلْتُ لَهَا : رَحَّبَ اللَّهُ بِكَ ، وَعَجِبْتُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا
لِي ، وَلَمْ تَرْنِي قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ هَاهُنَا ؟ فَقُلْتُ ^(٧) : جِئْتُ
لِتَعْطِيَنِي ، فَقَالَتْ : وَأَعَجَبَاهُ لِوَاعِظٍ يُوعِظُ ! ثُمَّ قَالَتْ : يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ ، اعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ

(١) نثر : منشور .. وفي « ط » : نثر .

(٢) بخطاب « خُدَّ » قائلًا : إنك إن اتخذت لك في الدنيا وسادة ناعمة لئلا فسوف تكون وسادتك بعد الموت
حجارة صماء

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « صاعداً » بدل « صالحاً » .. فَأَمَهْدُ لِنَفْسِكَ : أى هيء لِنَفْسِكَ فراشاً من
العمل الصالح في الدنيا .

(٤) هو عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد .. شيخ الصوفية وواعظهم ، لحق الحسن البصري وغيره ، وكان
مجاوب الدعوة ، وقيل : إنه صلى الغداة بروض العشاء أربعين سنة ، وله مواعظ وأحاديث ، وأخذت عليه بعض
المتأخرين ، ووثقه ابن معين .. توفى - رحمه الله - سنة ١٧٧ هـ .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧ ، والرسالة القشيرية
ص ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ وغيرها ، وطبقات الأولياء ص ١٨٣] .

(٥) في « م » : « خراب » بدل « جوانب » .. والأُبَلَّةُ : بَلْدَةٌ على شاطئ دجلة بالبصرة .

(٦) هكذا في « م » .. وَالْحَرَبَةُ وَالْجَرْبَةُ : موضع الخراب .. وفي « ط » : « خرابة » .

(٧) في « م » : قلت .

إِذَا كَانَ فِي كِفَايَةِ ثَمٍّ مَالٌ إِلَى الدُّنْيَا ، سَلَبَهُ اللَّهُ حَلَاوَةَ الرُّهْدِ ، فَيُظَلُّ حَيْرَانَ وَإِلَيْهَا ، فَإِنْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ عَائِبُهُ وَخِيَا فِي سِرِّهِ ، فَقَالَ : عَبِيدِي أُرَدُّثُ أَنْ أُرْفَعَ قَدْرَكَ عِنْدَ مَلَائِكَتِي وَحَمَلَةِ عَرْشِي ، وَأَجْعَلَكَ ذَلِيلًا لِأَوْلِيَائِي وَأَهْلٍ طَاعَتِي [فِي أَرْضِي] فَمِلْتَ إِلَى عَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ ^(١) الدُّنْيَا وَتَرَكْتَنِي ، فَوَرُثْتَكَ بِذَلِكَ الْوَحْشَةَ بَعْدَ الْإِنْسِ ، وَالذَّلَّ بَعْدَ الْعِزِّ [وَالْفَقْرَ بَعْدَ الْغِنَى] ^(٢) . عَبِيدِي ، أَرْجِعْ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَرْجِعْ لَكَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْ نَفْسِكَ [قَالَ] ^(٣) : ثُمَّ تَرَكْتَنِي وَوَلَّتْ عَنِّي ، وَانْصَرَفْتَ عَنْهَا ، وَبَقِلْتِي حَسْرَةً مِنْهَا . وَأَنْشُدُوا ^(٤) :

إِنَّكَ فِي دَارٍ لَهَا مُدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
أَمَّا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الْآمِلِ
تَعَجَّلُ الذَّنْبَ بِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمَلُ التَّوْبَةَ مِنْ قَابِلِ ^(٥)
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَا غَفْلَةٍ مَا ذَا يَفْعَلُ الْحَازِمُ الْعَاقِلِ ^(٦)

وَلَمَّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ^(٧) الْحِجْرَةَ قِيلَ لَهُ : هَا هُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ ،

(١) مابين المعنويين عن « ط » .. وفي « م » : « غرض من أغراض الدنيا » بالعين المعجمة ، وكلاهما صواب ، فالغرض بالعين المعجمة : « التَّيَقُّنُ » والحاجة .. والعَرَضُ - بالعين المهملة : متاع الدنيا ، قُلْ أَوْ كَثُرَ .

(٢) مابين المعنويين عن « ط » .

(٣) مابين المعنويين عن « م » .

(٤) الأبيات وردت في كتاب « أدب الدنيا والدين » للماوردي ، قال محمد بن يزدان : دخلت على المأمون وكتبت يومئذ وزيره ، فأرأته قائماً ويده رقعة ، فقال : يا أحمد ، أقرأت ما فيها ؟ فقلت : هي في يد أمير المؤمنين . فرمى بها إلي ، فإذا فيها مكتوب [وذكر الأبيات الأربعة] فلما قرأها قال المأمون : هذا من أحكم شعر قرأته . [انظر أدب الدنيا والدين للماوردي - ط الدار المصرية اللبنانية ص ١٣٤] .

(٥) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي أدب الدنيا والدين : « تَعَجَّلْ بِالذَّنْبِ لِمَا تَشْتَهِي » .

(٦) ماذا : أي ما هنا .. والبيت في المصنوع السابق :

والموت يأتي بعد ذَا « بختة » « ماذاك يفعل » الحازم العاقل

(٧) هو : سعد بن أبي وقاص ، مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، أبو إسحاق ، الصحابي الأمير ، فاتح العراق ومدائن كسرى ، وأحد الستة الذين عيَّنه عمر بن الخطاب للخلافة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد القشرة المبشرين بالجنة .. وُلِدَ سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وأسلم وهو ابن ١٧ سنة ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتضح القادسية ، ونزل أرض الكوفة فجعلها =

يُقَالُ لَهَا الْخُرْقَةُ بِنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ^(١) ، وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِ عَقَائِلِ ^(٢) الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى بَيْتِهَا تُشِيرُ [عَلَيْهَا] ^(٣) أَلْفَ قَطِيفَةٍ خَزْ ^(٤) وَدِيَّاجَ ، وَمَعَهَا أَلْفٌ وَصِيفٌ وَوَصِيفَةٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ ، فَجَاءَتْ كَالشَّنِّ الْبَالِي ^(٥) ، فَقَالَتْ : يَا سَعْدُ ، كُنَّا مُلُوكَ هَذَا الْبِصْرِ قَبْلَكَ ، يُجَبِّي ^(٦) إِلَيْنَا خِرَاجُهُ ، وَيُطِيعُنَا أَهْلُهُ مُدَّةَ مِنَ الْمُدَدِ ، حَتَّى صَاحَ بِنَا صَائِحُ الدَّهْرِ ، فَشَتَّتْ شَمْلَنَا ^(٧) ، وَالذَّهْرُ ذُو نَوَائِبٍ وَصُرُوفٍ ، فَلَوْ رَأَيْنَا فِي أَيَّامِنَا لِأَرْعَدَتْ فَرَائِصُكَ [قَرَعًا] ^(٨) مِنَّا . فَقَالَ لَهَا سَعْدٌ : مَا أَنْتُمْ مَا تَنْعَشْتُمْ بِهِ ؟ قَالَتْ : سَعَةُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا ، وَكَثْرَةُ الْأَصْنَافِ إِذَا دَعَوْنَا ، ثُمَّ أَثْنَاءُ تَقُولُ :

= يَطْعَمُ لِقَائِلِ الْعَرَبِ (شِبْهَ الْقَطَائِمِ) وَظَلَّ وَالْيَا عَلَيْهَا مَدَّةَ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَقْرَبُهُ عُمَانُ زَمَنًا ثُمَّ عَزَلَهُ . نَوْفَى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ٥٥ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٦ - ٣٦٩ وغورهما من المراجع] .

(١) هي : الْخُرْقَةُ [أَوْ خُرْقَةُ] بِنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ أُمِّ الْقَيْسِ ، مِنْ بَنِي لَحْمٍ ، شَاعِرَةٌ مِنْ بَيْتِ السُّلَيْكِ فِي قَوْمِهَا بِالْحِجْرَةِ - عَلَى ثَلَاثَةِ أُمِّيَالٍ مِنَ الْكُوفَةِ - وَقَدْ تُسَبِّتُ إِلَى الثُّعْمَانِ أَرْبَعَ بَنَاتٍ ، مِنْ : هِنْدَ ، وَخُرْقَةَ ، وَخُرَيْقَةَ ، وَغَنَفَقِيرَ ، وَتَحْطَلُ أَصْبَارُ هِنْدَ بِنْتُ الثُّعْمَانِ بِحِرَّةٍ ، وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ بِنْتُ الثُّعْمَانِ ، بَلْ كَانَتْ أخته ، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ وَالدَّهَا الثُّعْمَانُ زَوْجُهَا مِنْ عَبْدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَقَدْ عَاشَتْ حَتَّى أُدْرِكَتِ الْإِسْلَامُ ، وَكَانَتْ مُتَرْقِبَةً ، فَلَمْ يَقْبَلِ الدِّخُولَ فِيهِ ، وَحَتَّى رَأَتْ الدُّنْيَا كَيْفَ أَدْبَرَتْ عَنْ أَهْلِهَا .. وَنَظَرَتْ فِي حَالِهَا بَعْدَ هَلَاكِ أَبِيهَا فَذَكَرَتْ ذَلِكَ فِي شِعْرَاهَا - وَمِنْ هَذِهِ الْبَيَّانِ الْمَذْكُورِ أَنَّهَا - وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّهَا قَالَتْ ذَلِكَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، يَوْمَ أَنَّهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهَا .. وَذَكَرَ الْقِصَّةَ الْوَارِدَةَ هُنَا . فَأَكْرَمَهَا سَعْدٌ ، وَأَحْسَنَ جَلَّازِيهَا .. تَوَفَّيَتْ وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ تِسْعُونَ سَنَةً .

[انظر المُفَصَّلُ في تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد علي ، ج ٣ ص ٢٨٦ وما بعدها ، والأعلام ج ٢ ص ١٧٣ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٢٨ ، وأعلام النساء لكحالة ج ٥ ص ٢٥٩ - ٢٦٥] .

(٢) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « قَبَائِلُ » . وَالْعَقَائِلُ : جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَتُطَلَّقُ عَلَى الزَّوْجَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَسَيِّدَةِ الْقَوْمِ .

(٣) مَا يَنْبَغِي الْمَقْصُوفِينَ عَنْ (ط) .

(٤) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « حَرِيرٌ » وَمَا يُمْنَى وَاحِدٌ .

(٥) كَالشَّنِّ الْبَالِي : كَالْقَبْرِئَةِ الْمُتَهَالِكَةِ - كَنَاءَةٌ عَنْ كِبَرِ سِنِّيْهَا .

(٦) هَكَذَا فِي (م) .. وَيُجَبِّي ، أَيْ : يُجْمَعُ .. وَفِي (ط) : « يُحْمَلُ » . وَالْخِرَاجُ ، الْإِتَاوَةُ أَوْ الضَّرِيَّةُ أَوْ الْجَزِيَّةُ تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَيُؤَدُّونَهَا كُلَّ سَنَةٍ ، وَلِلذَلِكَ سُمِّيَتْ خِرَاجًا .

(٧) فِي (م) : « مَلَأْنَا » . وَالْمَلَأَ : الْجَمَاعَةُ ، وَيُطَلَّقُ عَلَى أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَسِرَاحِهِمْ أَيْضًا .

(٨) مَا يَنْبَغِي الْمَقْصُوفِينَ عَنْ (ط) . وَالْفَرَائِصُ : جَمْعُ فَرِيصَةٍ ، وَهِيَ اللَّحْمُ بَيْنَ الْكَتِفِ وَالصُّدْرِ يَرْتَدُّ عِنْدَ الْفَرَعِ .

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْفَةً لَيْسَ نَنْصَفُ (١)
قَبًا لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ثَقُلْتُ ثَارَاتِ بِنَا وَكَصَرْتُ (٢)

ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ ، إِنَّهُ نَم ، يَكُنْ أَهْلُ بَيْتِ بَحِيرَةَ (٣) إِلَّا وَالذَّهْرُ يَعْقُبُهُمْ غَبْرَةً ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ . فَأَكْرَمَهَا سَعْدُ ، وَأَمَرَ بِرَدِّهَا ، فَلَمَّا أَرَادَتْ الْقِيَامَ قَالَتْ : يَا سَعْدُ ، لَا أَرَاكَ اللَّهُ عَنْكَ نِعْمَةً ، وَلَا جَعَلَ لَكَ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً ، وَلَا أَرَاكَ عَنْ كَرِيمٍ نِعْمَةً ، وَلَا تَزْعُ (٤) عَنْ عَبِيدٍ صَالِحٍ نِعْمَةً إِلَّا جَعَلَكَ [اللَّهُ] سَبِيلًا إِلَى رَدِّهَا عَلَيْهِ . وَلِبَعْضِهِمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْبُكُهُ وَالْبَغْتَ مَخْرَجُهُ (٥)
وَأَنَّهُ يَبْنِي جَنَاتٍ سَتِيهَجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ تَارٍ سَتَنْضِجُهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى بِهِ سَمِجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ فَهُوَ أَسْمَجُهُ (٦)
تَرَى الْبَذَى اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكْنًا لَمْ يَدِرْ أَنَّ الْمَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ (٧)

وَرَوَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَعَ صَاحِبٍ لَهُ يَسِيحَانِ ، فَأَصَابَهُمَا الْجُوعُ ، وَقَدِ اتَّهَمَا إِلَى قَرْيَةٍ ، فَقَالَ عِيسَى لِصَاحِبِهِ : انْطَلِقْ فَاطْلُبْ لَنَا طَعَامًا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، وَقَامَ عِيسَى يُصَلِّي ، فَجَاءَ [الرَّجُلُ] (٨) بِثَلَاثَةِ أَرْغَفَةٍ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ [انْصِرَافُ] (٩) عِيسَى ،

(١) هكذا البيت في م ، و ، ط . . وفي رواية : « بينا » بدل « وبيننا » . و « نَنْصَفُ » بدل « ليس نَنْصَفُ » وهي بمعنىنا ، أى : نطلب الإنصاف . والسوقة : العائنة وسواد الناس .

(٢) هكذا البيت في م ، و ، ط . . وفي رواية : « فَأُف » بدل « قَبًا » والثب : التخرن والملاك .

(٣) هكذا م . . وفي ط : « خير » بدل « بحيرة » ، والخيرة : السرور والنعمة . وفي رواية : « ليس من قوم بسرور وخيرة ، إِلَّا وَالذَّهْرُ يَعْقُبُهُمْ حَسْرَةً » .

[انظر أعلام النساء ج ٥ ص ٢٦٢ - حاشية] .

(٤) هكذا في م . . وفي ط : « ولا أَرَاكَ » وما بين المعقوفين عن ط .

(٥) في ط : « يدركه » بدل « مُدْرِكُهُ » .

(٦) في ط : « منه » بدل « فهو » . والسَمِجُ : القبيح .

(٧) في ط : « وطناً » بدل « سَكْنًا » .

(٨) ما بين المعقوفين عن ط .

(٩) ما بين المعقوفين عن ط .

فَأَكَلَ رَغِيفًا ، فَأَنْصَرَفَ عِيسَى فَقَالَ : أَمِينَ الرُّغِيفُ الثَّالِثُ ؟ فَقَالَ : مَا كَانَا إِلَّا رَغِيفَيْنِ ، قَالَ : فَمَرُّا عَلَى وُجُوهِهِمَا ^(١) حَتَّى مَرَّا بِطَبَايَ [ثَرَعَى] ^(٢) فَدَعَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَبْيًا مِنْهَا فَذَكَّاهُ ^(٣) فَأَكَلَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلظَّبْيِ : قُمْ يَا ذَنْ اللَّهِ ، فَإِذَا هُوَ يَشْتَدُّ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَقَالَ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) بِأَلَذَى أَرَاكَ هَذِهِ الْآيَةَ ، مَنْ صَاحِبُ الرُّغِيفِ ؟ قَالَ : مَا كَانَا إِلَّا رَغِيفَيْنِ ^(٥) . قَالَ : فَصُتِبَا عَلَى وُجُوهِهِمَا ^(٦) فَمَرَّا بِنَهْرٍ عَجَاجٍ [عَظِيمٍ] ^(٧) ، فَأَخَذَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ ، فَمَشَى بِهِ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَاءَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِأَلَذَى أَرَاكَ هَذِهِ الْآيَةَ ، مَنْ صَاحِبُ الرُّغِيفِ [الثَّالِثِ] ^(٨) ؟ قَالَ : مَا كَانَا إِلَّا اثْنَيْنِ . فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا قَرْيَةً عَظِيمَةً حَرِيَّةً ، وَإِذَا قَرِيبٌ مِنْهَا لَبَنٌ ثَلَاثٌ ^(٩) مِنْ ذَهَبٍ ، [فَقَالَ الرَّجُلُ : هَذَا مَالٌ] فَقَالَ [عِيسَى] عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَجَلْ هَذَا مَالٌ ، وَاحِدَةٌ لِي ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ ، وَوَاحِدَةٌ لِصَاحِبِ الرُّغِيفِ . فَقَالَ : [الرَّجُلُ] ^(١٠) : أَنَا صَاحِبُ الرُّغِيفِ ! فَقَالَ [عِيسَى] عَلَيْهِ السَّلَامُ : هِيَ لَكَ كُلُّهَا . فَفَارَقَهُ وَأَقَامَ ^(١١) عَلَيْهَا ، لَيْسَ مَعَهُ مَا يَحْمِلُهَا عَلَيْهِ ، فَمَرَّ بِهِ [ثَلَاثَةٌ] ^(١٢) نَفَرٌ فَقَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا اللَّبَنَ ،

(١) هكذا في « م » و « ط » .. والصواب : وَجْهَيْهِمَا

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) هكذا في « ط » .. وَذَكَّاهُ : ذَمَّهُ . ولى « م » : « فَذَبَحُوهُ فَأَكَلُوا مِنْهُ » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » وفيها : « قَالَ » بدل « فَقَالَ » .

(٥) في « ط » : « اثْنَيْنِ » بدل « رَغِيفَيْنِ » .

(٦) هكذا في « م » و « ط » .. والصواب : وَجْهَيْهِمَا .

(٧) ما بين المعقوفين عن « ط » ، نهر عَجَاجٍ ، بالتشديد ، أى : ثائر ، أو : لِمَائِهِ صوت .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » .. وبعدها : « فَقَالَ » .

(٩) اللَّبَنُ : للضروب من الطين يَتَّبَى به دون أن يُطْلَخ ، الواحدة : لَبَنَةٌ .. ولى « م » : « ثَلَاثَةٌ » . وما بين المعقوفين بعدها - الأولى - عن « ط » .. والأخرى عن « م » ، وبهذا يستقيم المعنى .

(١٠) ما بين المعقوفين عن « م » في الموضعين .

(١١) في « ط » : « وَأَقَامَ » .

(١٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

فَقَالَ اثْنَانِ مِنْهُمْ لَوَاحِدٍ : انْطَلِقْ إِلَى الْقَرْيَةِ فَأَتِنَا بِطَعَامٍ ، فَذَهَبَ ، فَقَالَ أَحَدُ الْبَاقِيَيْنِ [لِلْآخَرِ] ^(١) : تَعَالَ تَقْتُلْ هَذَا إِذَا جَاءَ وَنَقْسِمُ هَذَا بَيْنَنَا ، قَالَ الْآخَرُ : نَعَمْ ، وَقَالَ الَّذِي ^(٢) ذَهَبَ يَشْتَرِي الطَّعَامَ ^(٣) : أَجْعَلْ فِي الطَّعَامِ سُمًّا فَأَقْتُلُهُمَا وَأَخُذْ اللَّيْلَ ! فَفَعَلَ ، فَلَمَّا جَاءَ قَتَلَاهُ ، وَأَكَلَا مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ فَمَاتَا ، فَمَرَّ بِهِمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُمْ حَوْلُهَا مَصْرُوعُونَ ^(٤) فَقَالَ : هَكَذَا تَفْعَلُ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ ^(٥) : - رَأَيْتُ فِي هَذَا الْقَصْرِ عَجَبًا : رَأَيْتُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ^(٦) عَلَى تَوَيْتَيْنِ مَصْبُوعَيْنِ يَبِينُ يَدِي ابْنِ زِيَادٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ

(١) ما بين المعقوفين عن (م) .

(٢) في (م) : « لِلَّذِي » .

(٣) ما بين المعقوفين عن (ط) .

(٤) هكذا في (م) على أنها خبر .. وفي (ط) : « مُنْصَرَعِينَ » على أنها حال .

(٥) هو : عبد الملك بن عمر اللخمي الكوفي ، وكنيته أبو عمرو [وفي الميزان : عمر - خطأ] القبطي الفرسى ، عُرِفَ بذلك يُقْرِصُ كان له اسمه القبطى .. من مشاهير التابعين وثقافتهم ، ولحق قضاء الكوفة بعد الشعمى ، و طال عمره حتى تجاوز المائة بثلاث سنين ، وتوفى - رحمه الله - سنة ١٣٦ هـ .

[انظر ترجمته في المعارف لابن قتيبة ص ٤٧٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٦٠ ، ٦٦١] .

(٦) هو : الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي : أبو عبد الله ، السبط الشهيد ، ابن فاطمة الزهراء ، ولد في المدينة سنة ٤ هـ ، ونشأ في بيت النبوة ، وإليه ينسب كثير من الحسينيين ، ولما مات معاوية وخلفه ابنه يزيد تخلف الحسين عن ميعاته ، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه ، فأقام فيها أشهراً ، ودعاه إلى الكوفة أشياعه وأشياع أبيه وأخيه من قبله فيها ، على أن يبعوه بالخلافة ، وكتبوا إليه أنهم في جيش مُتَهَيِّئٍ للثوب على الأمويين ، فأجابهم ، وخرج من مكة في مواليه ونسائه وذرائبه ، ونحو الثمانين من رجاله ، وعَلِمَ يزيد بخروجه ، فوجه إليه جيشاً اعتراضه في كربلاء (بالعراق قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف أصيب فيه الحسين بجراح شديدة ، وسقط عن فرسه ، فقتله « سنان بن أنس التميمي » ، وقيل : « شمر بن ذى الجوشن » سنة ٦١ هـ وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق ، عاصمة الأمويين ، فظهره « يزيد » بالحزن عليه .

واختلفوا في الموضع الذي دُفِنَ فيه الرأس ، فقيل : في دمشق ، وقيل : في كربلاء مع الجثة ، وقيل : إن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد ، نائب المدينة ، فدفنه عند أمه بالقيع ، وقيل غير ذلك ، فتعددت المراقد ، وتعددت معرفة مدفنه .

[انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٢ - ٢١٠ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٦ - ٣٠٢ ، وتاريخ الطبرى ج ٥ ص ٣٨٢ - ٤٦٧ ط دار المعارف ، والأعلام ج ٢ ص ٢٤٣] .

ابن زياد^(١) يَبِينُ يَدِي الْمُخْتَارِ ،^(٢) ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ الْمُخْتَارِ بَيْنَ يَدَيَّ

(١) هو : عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وكان خصومه يدعونه : ابن مرجانة ، وهى أمه ، وإلى فاتح من الشجعان ، وخطيب ، وُلِدَ بالبصرة سنة ٢٨ هـ ، وكان مع والده لما مات بالعراق ، فقصده الشام ، فولّاه عمه معاوية « خراسان » سنة ٥٣ هـ فَوَجَّهَ إليها ، ثم قطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ، ففتح « رامين » ونصف « بيكند » ، وقال أحد من كانوا معه : « مارأيت أشد بأساً من عبيد الله : لَقِينَا زُخْفَ من الثُّرُك ، فرأيتُه يُقاتل ويحمل عليهم ، فيطعن فهم ويغيب عنا ، ثم يرفع رايته تقطر دماً » .

وأقام بخراسان سنتين ، ثم نقله معاوية إلى البصرة أميراً عليها سنة ٥٥ هـ ، فقاتل الخوارج واشتد عليهم . وبعد وفاة معاوية أقره يزيد على إمارته سنة ٦٠ هـ وكتب إليه : « بلغني أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق ، فَضَعِ المناظر والمسالخ ، واحترس على الظن ، وحذ على التهمة ، غير ألا تقابل إلا مَنْ قاتلك ، واكتب إلَيَّ في كل ما يحدث » فكانت الفاجعة بمقتل الحسين ، رضى الله عنه ، في أيامه ، وعلى يده - كما مر بنا - ولما توفى « يزيد » سنة ٦٥ هـ بايع أهل البصرة لعبيد الله ، ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه ، فهرب إلى الشام ، وأقام مُدَّةً قليلة ، ثم عاد يريد العراق ، فلحق به إبراهيم بن الأشتر في جيش يطلب ثأر الحسين ، فاقتتلا ، وتفرق أصحاب عبيد الله ، فقتله ابن الأشتر ، وذلك على شاطئ نهر الخازر ، قريباً من الموصل بمحس مراحل ، سنة ٦٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٣ ، والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٧٧ - ٣٨٢ وغيرها من الصفحات ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٨١ وما بعدها ٨٦ - ٩٢ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٨٦ - ٢٨٩ وغيرها] .

(٢) المختار : هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، أبو إسحاق ، وُلِدَ في السنة الأولى للهجرة ، وكان من زعماء الثائرين على بنى أمية ، وأعد الشجعان الأعداء ، من أهل الطائف ، انتقل منها إلى المدينة مع أبيه في زمن عمر ، وتوجه أبوه إلى العراق ، فاستشهد يوم الجسر ، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بنى هاشم ، وتزوج عبد الله بن عمر ابن الخطاب أخته « صفية بنت أبي عبيد » ثم كان مع عليّ بالعراق ، وسكن البصرة بعد عليّ ، ولَمَّا قُتِلَ الحسين سنة ٦١ هـ انخرق المختار عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه ، ونفاه - بشفاعته ابن عمر - إلى الطائف ، ولَمَّا مات « يزيد » بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، وقام عبد الله بن الزبير في المدينة بطلب الخلافة ، ذهب إليه المختار وعاهده ، وشهد معه بداية حرب الحصين بن نمير ، ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته ، فوثق به وأرسله ، ووصى عليه ، غير أنه كان أكبر همّه - منذ دخل الكوفة - أن يقتل من قاتلوا « الحسين » وقتلوه ، فدعا إلى إمامة « محمد بن الحنفية » وقال إنه استخلفه ، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل مبراً ، فخرج بهم على وإلى الكوفة « عبد الله بن مطيع » فغلب عليها واستولى على الموصل ، وعظم شأنه ، وتبع قلة الحسين ، فقتل منهم « شير بن ذى الجوشن » الذي باشر قتل الحسين ، ود تحوّل بن يزيد « الذي سار برأسه إلى الكوفة ، ود عمر بن سعد بن أبي وقاص » أمير الجيش الذي حاربه ، ثم أرسل « إبراهيم بن الأشتر » في عسكر كيف إلى « عبيد الله بن زياد » الذي جهز الجيش لحرب الحسين ، فقتل « ابن زياد » وقتل كثيرين ممن كان لهم ضلع في تلك الجريمة .. وشاعت في الناس أن « المختار » ادّعى النبوة ونزول الوحي عليه .. وعمل « مصعب بن الزبير » وهو أمير البصرة على خضد شوكة « المختار » فقاتله .. ونشبت وقائع انتهت بمحسّر « المختار » في قصر الكوفة وقتله ومن كانوا معه سنة ٦٧ هـ .

[انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٩٠ - ٢٩٧ ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٣٨ وما بعدها ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٧٧ - ٣٨٨ ، والأعلام ج ٧ ص ١٩٢] .

مُصْعَبٌ ^(١) بن الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ^(٢) .

وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ ^(٣) : لَمَّا زَحَرَفَ الرَّشِيدُ ^(٤) مَجَالِسَهُ ، وَتَحَرَّمَ

(١) في ١ ط : « المصعب » بالألف واللام في الموضعين ، والمشهور بغيرهما ، وهو : مصعب بن الزبير بن العوام ابن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبد الله ، أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام ، وُلِدَ سنة ٢٦ هـ ، ونشأ بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير ، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق ، وولاه عبد الله البصرة سنة ٦٧ هـ ، فقصدها وضبط أمورها وقتل المختار الثقفي ، ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة ، وأعادته في أواخر سنة ٦٨ هـ ، وأضاف إليه الكوفة ، فأحسن سياستها . وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله ، فسيّر إليه الجيوش ، فكان مصعب يتغلب عليها ، حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه ، فلما دخل العراق خذل مصعباً قُوَادُ جيشه وأصحابه ، فثبت فيمن بقي معه ، فأتقذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان ، فعرض عليه الأمان وولاية العراقين مادام حياً ، ومليونتي درهم صلة ، على أن يرجع عن القتال ، فأبى « مصعب » فشد عليه جيش عبد الملك في وقعة عند دير الجاليتي ، وطمعته زائدة بن قيس السعدي - أو عبيد الله بن زياد بن ظيان - فقتله ، وحمل رأسه إلى عبد الملك سنة ٧١ هـ ، وعقطه نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام ،

[انظر تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٥ - ١٠٨ ، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٧ ، وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٣ وما بعدها ، والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٩ وغيرها من الصفحات ، والأعلام ج ٧ ص ٢٤٨ ، ٢٤٧ .]

(٢) هو : عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي ، أبو الوليد ، من أعظم الخلفاء الأمويين ودهاتهم ، وُلِدَ سنة ٢٦ هـ ، ونشأ بالمدينة ، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ٤٢ هـ .. استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعُبَاد والصالحين ، وكان قتيهاً واسع العلم ، انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٥ هـ فضبط أمورها ، وظهر بمظهر القوة ، فكان جباراً على معانديه ، قوى الهيبة ، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي ، وتقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وضبطت الحروف بالنقش والحركات ، وهو أول من صك الدينار في الإسلام ، وأول من نقش بالعربية على الدراهم ، ولما حضرته الوفاة ، دخل عليه ابنه الوليد فبكى ، فقال له عبد الملك : ماهذا ؟ أتحزن حين الجارية والأمة ؟ إذا أنا مكْتُ فَتَمَرْتُ وَأَنْزَرْتُ ، والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها .. توفي - رحمه الله - بدمشق في النصف من شوال سنة ٨٦ هـ ، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة .

[البداية والنهاية ج ٩ ص ٦٦ - ٧٣ وغيرها من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣٨٨ - ٣٩١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٤ ، والأعلام ج ٤ ص ١٦٥ .]

(٣) سبق التعريف به .

(٤) هو : هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، أبو جعفر ، خامس الخلفاء العباسيين في العراق وأشهرهم ، وُلِدَ بالري سنة ١٤٩ هـ ، لما كان أبوه أميراً عليها وظل خراسان ، ونشأ في دار الخلافة في بغداد ، بُوع بالخلافة بعد وفاة أخيه « الهادي » سنة ١٧٠ هـ ، وازدهرت الدولة في أيامه ، واتصلت المؤتة بينه وبين « شارلمان » ملك فرنسا ، فكانا يتهايان التحف وغيرها .. وكان الرشيد عالماً بالأدب ، وأخبار العرب ، والحديث ، =

فِيهَا ^(١) وَزَوَّقَهَا ، وَصَنَعَ فِيهَا طَعَامًا كَثِيرًا ، أَرْسَلَ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَقَالَ : صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ :

عِشْ مَا بَدَا لَكَ آمِنًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقَعِ ^(٢)
يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اسْتَهْتَمَ سَتَ لَدَى الرُّوَّاحِ وَفِي ^(٣)
وَإِذَا النُّفُوسُ تَقَفَّتْ فِي ضَيْقِ حَشْرَجَةٍ وَرَ ^(٤)
فَهَذَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتُ إِلَّا فِي غُرُورٍ

فَبَكَى هَارُونُ ، فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى ^(٥) : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتُسَرَّهُ فَأَخْبَرْتَهُ ! فَقَالَ هَارُونُ : دَعُهُ ، فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي ضَلَالَةٍ وَعَمَى ، فَكَّرِهِ أَنْ يَزِيدَنَا عَمَى .

= والفقه ، وكان فصيحاً ، وله شعر أورده صاحب الديارات ، ومحاضرات مع علماء عصره .. وكان شجاعاً كثير الغزوات ، ويُلَقَّبُ بجبار بنى العباس ، وكان حازماً كريماً متواضعاً ، يجمع سنة ويفزو سنة ، ولم ير خليفة أجود منه ، وأخباره كثيرة جلدا . كانت مدة ولايته ٢٣ سنة وشهرين .. توفى في « سنا باز » من قرى « طوس » سنة ١٩٣ هـ وبها قبره .

[الأعلام ج ٨ ص ٦٢ ، وتاريخ الطبرى ج ٨ ص ٢٣٠ - ٢٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٥ - ١٣ ، والبدایة والنهاية ج ١٠ ص ١٦٤ وغيرها ، والكامل في التاريخ ج ٥ ص ٨٢ ، ١٢٩ - ١٣٤ وسير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٢٨٦ - ٢٩٥ ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٣٣٤ وما بعدها ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٧ - ٣٧٦] .

(١) تَحَرَّمَ فِيهَا : تَحَنَّى وَتَمَنَّى

(٢) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » .. وَفِي « ط » ، وَالْدِيَوَانُ : « سَالماً » بَدَلَ « آمِنًا » .

(٣) فِي الدِّيَوَانِ : « أَوْ » بَدَلَ « وَفِي » .

(٤) تَقَفَّتْ : تَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ وَأَحْدَثَتْ صَوْتًا . وَكَذَلِكَ : فَتَقَفَّ السِّلَاحُ : أَحْدَثَ صَوْتًا عِنْدَ تَحْرِيكِهِ . وَحَشْرَجٌ : رَدَّدَ نَفْسَهُ فِي حَلْقِهِ ، وَيُقَالُ : حَشْرَجَ الْمُحْتَضِرُّ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَحَشْرَجَتْ رُوحُهُ فِي صَدْرِهِ : أَيْ : أَوْشَكَ أَنْ يَمُوتَ .

(٥) هُوَ : الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبُرْمَكِيِّ ، وَزَيْرُ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَأَخُوهُ فِي الرِّضَاعِ .. وُلِدَ سَنَةَ ١٤٧ هـ ، وَكَانَ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ ، اسْتَوَزَرَهُ الرَّشِيدُ مُدَّةَ قَصِيرَةٍ ، ثُمَّ وَلَّاهُ « خِرَاسَانَ » سَنَةَ ١٧٨ هـ ، فَحَسُنَتْ فِيهَا سِيرَتُهُ ، قَامَ إِلَى أَنَّ فَتَكَ الرَّشِيدَ بِالرَّامِكَةِ سَنَةَ ١٧٨ هـ ، وَكَانَ الْفَضْلُ عِنْدَهُ بِبَغْدَادَ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ يَحْيَى ، وَأَخَذَهُمَا مَعَهُ إِلَى « الرِّقَّةِ » فَسَجَنَهُمَا ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا الرِّزْقَ ، وَاسْتَصَفَى أَمْوَالَهُمَا وَأَمْوَالَ الرَّامِكَةِ كَافَةً . وَتَوَفَّى الْفَضْلُ فِي سَجْنِهِ بِالرِّقَّةِ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ ١٩٣ هـ ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ الْأَكْبَرِ : « كَانَ الْفَضْلُ مِنْ حَمَّاسِي الدِّينِ .. نَمَّ يَرُ فِي الْعَالَمِ مِثْلَهُ » .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٣٤ - ٣٣٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٦ - ٣٧ ، والطبرى ج ٨ ص ٢٥٧ - ٢٦٠ ، وص ٣٤١ وغيرها] .

وَيُرَى أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(١) لَيْسَ أَفْعَرَ نَبَاهِهِ ، وَمَسَّ أَطْيَبَ طَبِيبِهِ ، وَنَظَرَ فِي مِرَاتِهِ ، فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ ! وَخَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ : كَيْفَ تَرَيْنِ ؟ فَقَالَتْ ^(٢) :

أَنْتِ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتُ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي

فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَصَوَّاهُ يُسْمِعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ ، فَرَكِبَتْهُ الْحُمَّى ، فَلَمْ يَزَلْ صَوَّاهُ يَنْقُصُ حَتَّى مَا يَسْمَعُهُ ^(٣) مِنْ حَوَاهِ ، فَصَلَّى وَرَجَعَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَسْحَبُ رِجْلَيْهِ ، فَلَمَّا صَارَ عَلَى فِرَاشِهِ قَالَ لِلْجَارِيَةِ : مَا الَّذِي قُلْتَ لِي فِي صَحْنِ الدَّارِ [وَأَنَا خَارِجٌ] ؟ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُكَ وَلَا قُلْتَ [لَكَ] ^(٤) شَيْئًا ، وَأَتَى لِي بِالْخُرُوجِ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ ؟ فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، نُعِيَتْ إِلَى نَفْسِي ، ثُمَّ عَاهَدَ عَهْدَهُ ، وَأَوْصَى وَصِيَّتَهُ ، فَلَمْ تَذُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةَ الْأُخْرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ

وَوَجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ ^(٥) :

مَنْ كَانَ لَا يَطْأُ الثَّرَابَ بِرِجْلِهِ وَطِئَ الثَّرَابَ بِصَفْحَةِ الْحَدِّ ^(٦)
مَنْ كَانَ يَنْتَكِ فِي الثَّرَابِ وَبَيْنَهُ شِبْرَانِ كَانَ بِعَايَةِ الْبُعْدِ
لَوْ بَعُثِرَتْ لِلنَّاسِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمُؤَلَّى مِنَ الْعَبْدِ

(١) سبق التعريف به .

(٢) الشعر لموسى بن يسار ، مولى بنى تيم من قريش .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢١ - دار الكتب العلمية] .

(٣) في « ط » : سمعه .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » في الموضعين وساقط من « ط » .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) في « ط » : « بناجيو » بدل « بصفحة » ، وصفحة الحد : جانبيه .

وَقَالَ الْهَيْكَمُ بْنُ عَدَى^(١) : وَجَدُوا غَارًا فِي جَبَلِ ثَبَّانَ زَمَانَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٢) ،
وَفِيهِ رَجُلٌ مُسَجَّى عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ
بِالرُّومِيَّةِ : أَنَا سَبَّأُ بْنُ ثَوَّاسِ بْنِ سَبَّأٍ ، خَدَمْتُ عِيسَى بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ

(١) هو : الهيم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلب الطائي البحتري الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، ولد في سنة ١١٤ هـ ،
وكان مؤرخاً وعلماً بالأدب والنسب ، وأصله من « منبج » ، نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها
الكثير ، واختص بمجالسة المنصور والمهدي والمهدي والرشد ، وروى عنهم . وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل
أخبارهم ، فأورد في بعض كتبه معانيهم وأظهرها ، فكَرَّةٌ لذلك وطُيْنٌ في نسبه ، وقيل فيه :

إِذَا نَسَبْتَ عِدِيًّا فِي بَنِي ثَعْلٍ فَقَدِمَ الدَّلَالُ قَبْلَ الْعَيْنِ فِي النَّسَبِ

ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب بشيء ، فَمُحِسٌ عدة سنين . قال ابن قتيبة وغيره عنه : إنه كان يرى رأى
الخوارج . وهو عند بعض علماء الحديث من المدلسين ومن غير الثقات . وله الكثير من المصنفات والتأليف ، منها
كتاب المثالب ، وكتاب المُعْتَرِينَ ، وكتاب تاريخ العجم وبنى أُمَيَّة ، وكتاب من تزوج من الموالى في العرب ،
وخطط الكوفة ، وطبقات الفقهاء والمحدثين ، وتاريخ الأشراف الصغير ، وكتاب النواصر ، وغيرها . توفي في « فم
الصلح » قُربَ واسط سنة ٢٠٧ هـ وقيل سنة ٢٠٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٠٦ - ١١٤ ، والمعارف لابن قتيبة
ص ٥٣٧ - ٥٣٩ ، وكتاب الضعفاء الصغير للامام البخارى ص ٢٤٧ ، وكتاب الضعفاء الكبير لأبي جعفر العقيلي
ج ٤ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، وطبقات المدلسين لابن حجر العسقلاني ص ٨٦ ، وطبقات المفسرين للدوادى ج ٢
ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، والبيان والبيان للمحافظ ج ١ ص ٥٦ و ٣٤٢ وغيرهما من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٤
ص ٥٠ - ٥٤]

(٢) هو : الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو العباس ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد سنة ٤٨ هـ ،
وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ ، فَوَجَّهَ القواد لفتح البلاد ، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن
زياد ، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند والتركستان وأطراف الصين شرقاً ، وكان ولعاً بالبنان
والعمران ، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام ، وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال ،
وأقام لكل مُقْعِدٍ خادماً ، ورثب للفقراء أموالاً وأوراقاً ، وأقام بيوتاً ومنازل يأوى إليها القرباء . وهدم مسجد المدينة
والبيوت المحيطة به ثم بناه بناءً جديداً ، وصنَّعَ الكعبة والميزاب في مكة ، وبنى المسجد الأقصى ، ومسجد دمشق
الكبير ، المعروف بالجامع الأموى ، وكان نقش خاتمه « بأوليد إنك ميت » .. توفي - رحمه الله - سنة ٩٦ هـ ،
ودفن بدمشق ، ومدة خلافته ٩ سنين و٨ أشهر .

[الأعلام ج ٨ ص ١٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٥ - ٢٦٨ ، وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٢٣
وغيرها] .

[الرَّبُّ] [الدَّيَّانُ] [الْمَلِكُ] ^(١) الْأَكْبَرُ ، وَعِشْتُ بَعْدَهُ عُمْرًا طَوِيلًا ، وَرَأَيْتُ عَجَبًا كَثِيرًا ، وَلَمْ أَرَفِيسًا رَأَيْتُ أُعْجِبَ مِنْ غَائِلٍ عَنِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ يَرَى مَصَارِعَ آبَائِهِ ، وَيَقِفُ عَلَى قُبُورِ أَحْبَابِهِ ^(٢) ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَا يُتُوبُ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْأَخْلَافَ الْجَفَاءَ سَيَنْزِلُونَنِي عَنْ سِرِّي وَيَتَمَوَّلُونَهُ ^(٣) وَذَلِكَ حِينَ يَتَغَيَّرُ الزَّمَانُ ، وَتَتَأَمَّرُ الصَّبِيَانُ ، وَيَكْثُرُ الْجَدَثَانُ ^(٤) فَمَنْ أَدْرَكَ هَذَا الزَّمَانَ عَاشَ قَلِيلًا ، وَمَاتَ ذَلِيلًا .

وَرَوَى أَنَّ الْإِسْكَندَرَ مَرَّ بِمَدِينَةٍ قَدْ مَلَكَهَا أَمْلَاكٌ سَبْعَةٌ وَبَادُوا ، فَقَالَ : هَلْ بَقِيَ مِنْ نَسْلِ الْأَمْلَاكِ إِلَّا ... ؟ قَالُوا هَذِهِ الْمَدِينَةُ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : رَجُلٌ يَكُونُ فِي الْمَقَابِرِ . فَدَعَا بِهِ وَقَالَ لَهُ ^(٥) : مَا دَعَاكَ ؟ فَقَالَ ^(٦) : أَرَدْتُ أَنْ أُعْزِلَ عِظَامَ الْمُلُوكِ مِنْ عِظَامِ عِبِيدِهِمْ ، فَوَحَّدْتُ ذَلِكَ سَوَاءً . قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُتَبِعَنِي فَأُحْيِيَ بِكَ شَرَفَ آبَائِكَ إِنْ كَانَتْ لَكَ هِمَّةٌ ؟ قَالَ : إِنْ هِمَّتِي لِعَظِيمَةٍ إِنْ كَانَتْ بُعِثَتِي عِنْدَكَ . قَالَ : وَمَا بُعِثَتِكَ ؟ قَالَ : حَيَاةٌ لَا مَوْتَ فِيهَا ، وَشَبَابٌ لَا هَرَمَ فِيهِ ، وَرَغْنٌ لَا يَتَّبَعُهُ فَقْرٌ ، وَسُرُورٌ لَا يَغْيِرُهُ ^(٧) مَكْرُوهٌ . قَالَ : مَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا . قَالَ : فَأَنْفِذْ لِشَأْنِكَ وَخَلْنِي ^(٨) أَطْلُبْ بُعِثَتِي مِنْ هِيَ عِنْدَهُ ! فَقَالَ الْإِسْكَندَرُ : هَذَا أَحْكَمُ مَنْ رَأَيْتُ .

وَرَوَى فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ عِمْسَى بِنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَيْنَمَا هُوَ فِي بَعْضِ سِيَاحَتِهِ إِذْ مَرَّ بِجُمُجْمَةٍ نَحْرَةٍ ^(٩) فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، أَنَا « بَلَوَامُ بْنُ

(١) مابين المعنيتين عن ط ، وساقط من م في الموضعين .

(٢) في ط : « قَبْرِ أَحِبَّائِهِ » .

(٣) في ط : « سَيَنْزِلُونِي » .. وَالْأَخْلَافُ : جَمْعُ جَلْفٍ ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَحْمَقِ وَالْغَلِيظِ الْحَافِ . وَيَتَمَوَّلُونَهُ : يَفْتَنُونَهُ ، أَيْ : يَأْخُذُونَ سِرَّهُ الْمَصْنُوعَ مِنَ الذَّهَبِ قُبَّةً طُمَ بَعْدَ مَوْتِهِ .

(٤) تَتَأَمَّرُ الصَّبِيَانُ : يَصِيرُونَ أَمْزَاءً . وَ الْجَدَثَانُ : صَغِيرَا السِّنِّ .

(٥) سَقَطَتْ لَهُ مِنْ م .

(٦) في ط : قَالَ .

(٧) هَكَذَا فِي م .. وَفِي ط : « يَعْتَرِيهِ » أَيْ : يُلْغَمُ بِهِ .

(٨) أَنْفِذْ لِشَأْنِكَ أَيْ : امْضِ خَالِكَ . وَخَلْنِي : دَعْنِي . وَفِي م : « حَتَّى » بَدَلِ « خَلْنِي » .

(٩) نَحْرَةٌ : بِالْيَاءِ مُفْتَتَةٌ .

خَفِصِ «مَلِكُ الْيَمَنِ، عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَوُلِدَ لِي أَلْفُ ذَكَرٍ، وَانْقَضَتْ أَلْفُ بَكْرٍ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ عَسْكَرٍ، وَقَتَلْتُ أَلْفَ جَبَّارٍ، وَانْتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ، فَمَنْ رَأَى فَلَا يَغْتَرُّ بِالْأَلْفِ كَمَا غَرَّيْتَنِي، فَمَا كَانَتْ إِلَّا كَحُلْمٍ نَائِمٍ. فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ بَعْضِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَادَ أَهْلُهُ، وَأَقْفَرَتْ سَاحَتُهُ :

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتْهُمْ
يُوفُونَ بِالْعَهْدِ مَذْكَائُوا وَبِالذَّمِّ
تَبْكِي عَلَيْهِمْ ذِيَارِ كَانِ يَطْرِبُهَا
تَرْتُمُ الْمَجْدَ بَيْنَ الْجَلَمِ وَالْكَرَمِ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نُوحٍ ^(١) : نَزَلَ حَتَّى مِنَ الْعَرَبِ شَيْعًا ^(٢) مِنْ شِعَابِ الْيَمَنِ، فَتَشَاحَنُوا فِيهِ وَاخْتَلَفُوا، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، فَأِذَا صَائِحٌ ^(٣) يَصِيحُ : يَا هَوْلَاءِ، عَلَى رِسْلِكُمْ .. عَلَامُ الْقِتَالِ [فَيَ] ؟ ^(٤) فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَلَكَنِي سَبْعُونَ أُغُورَ، كُلُّهُمْ اسْمُهُ عُمُرُو.

أَيُّهَا ^(٥) الرَّجُلُ، اعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَقْبَالِ ^(٦)، وَخَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَجْبَالِ، وَكَيْفَ بَسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَأُنْسِفَتْ لَهُمُ الْأَجَالُ ^(٧)، وَأُنْفِصَحَ ^(٨) لَهُمْ فِي الْمُنَى وَالْآمَالِ، وَأُمِدُّوا بِالْآلَاتِ وَالْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ، كَيْفَ طَحَنَتْهُمْ بِكُلْكُلِهِ ^(٩) الْمَنُونُ، وَاخْتَدَعَهُمْ بِزُخْرُفِهِ

(١) هكذا في «ط» .. وقد ورد اسمه في حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٨ وفيه : «حدثني حكيم بن جعفر عن عبد الله بن أبي نوح قال» ولم أقف على ترجمة مفصلة له .. وفي «م» «نزل» مكان «نزل» تحريف .

(٢) الشَّعْبُ، بكسر الشين المشددة وسكون العين المهملة : الطريق، وقيل : الطريق في الجبل، أو الانفراج بين الجبلين، والجمع : شعاب .

(٣) في «م» : «يَصَائِحُ» .. وَعَلَى رِسْلِكُمْ أَي : اتَّقِنُوا وَلَا تَتَجَلَّجَلُوا .

(٤) ما بين المعقوفين عن «ط» وساقط من «م» .

(٥) في «م» : «يَا أَيُّهَا» .

(٦) اعتبر : أي أخذ منهم عبرة وعظة . والأجبال : جمع قبيل، وكان يطلق على ملوك اليمن في الجاهلية، دون الملك الأعظم .

(٧) أنْصِفَتْ لَهُمُ الْأَجَالُ : أَي أُخِّرَ مَوْتُهُمْ، أَوْ : عاشوا طويلاً .

(٨) في «ط» : «وأنفصح» .

(٩) بِكُلْكُلِهِ : بصنوبره . وقد يستعار - الكلكل - لِمَا لَيْسَ بِجَسَمٍ، مثل قول أعرابية ترى ابنها :

«الْقَسَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلْكُلُهُ» مَنْ ذَا يَقُومُ بِكُلْكُلِ الدَّهْرِ

وفي «م» : «كلكله» ببلون باء .. والمنون : الموت .

الدَّهْرُ الْحَوْرُ ، وَأَسْكَبُوا بَعْدَ سَعَةِ الْقُصُورِ بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالصُّحُورِ ، وَعَادَ الْعَيْنُ
 أَنْزَا ^(١) ، وَالْمَلِكُ خَبِرَا ^(٢) ، فَأَمَّا الْيَوْمُ فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُ الزَّمَانِ ، وَبَقِيَ كَذْرُهُ ، فَأَلْمُوثُ
 الْيَوْمِ تُحْفَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ^(٣) ، كَانَ الْخَيْرُ أَصْبَحَ خَائِلاً ، وَالشَّرُّ أَصْبَحَ نَاطِراً ، وَكَانَ الْقَيُّ
 أَصْبَحَ ضَاحِكًا ، وَأَذْبَرَ الرُّشْدَ ^(٤) بَاكِيًا ، وَكَانَ الْعَدْلُ أَصْبَحَ غَائِلًا ، وَأَصْبَحَ الْجَوْرُ
 غَالِبًا ^(٥) ، وَكَانَ الْعَقْلُ أَصْبَحَ مَذْفُونًا ، وَالْجَهْلُ مَنْشُورًا ، وَكَانَ الْيَوْمُ أَصْبَحَ بَاسِقًا ،
 وَالْكَرَمُ خَائِبًا ^(٦) ، [وَكَانَ الْوُدُّ أَصْبَحَ مَقْطُوعًا ، وَالْبَغْضَاءُ مَوْصُولَةً] ^(٧) ، وَكَانَ
 الْكَرَامَةُ قَدْ سَلِبَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَنُوجِيَ ^(٨) بِهَا الْأَشْرَارُ ، وَكَانَ الْخَبْثُ ^(٩) أَصْبَحَ
 مُسْتَيْقِظًا ، وَالْوَفَاءُ نَائِمًا ، وَكَانَ الْكَذِبُ أَصْبَحَ مُثْمِرًا ، وَالصِّدْقُ مَاجِلًا ^(١٠) ، وَكَانَ
 الْأَشْرَارُ أَصْبَحُوا يُسَامُونَ السَّمَاءَ ^(١١) ، وَأَصْبَحَ الْأَخْيَارُ يَرْدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ . أَمَا تَرَى
 الدُّنْيَا تُقْبِلُ إِقْبَالَ الطَّالِبِ ، وَتُذْبِرُ إِذْبَارَ الْهَارِبِ ، وَتَصِلُ وَصَالَ الْمَلُولِ ، وَتَفَارِقُ فِرَاقَ
 الْعُجُولِ ^(١٢) ، فَخَيْرُهَا يَسِيرُ ، وَغَيْرُهَا قَصِيرٌ ، وَإِقْبَالُهَا خَدِيدَةٌ ، وَإِذْبَارُهَا فَجِيعَةٌ ،

(١) العين : الحاضر من كل شيء .. والأثر : العلامة ، أو ما يخلفه السابقون . يريد : أنهم صاروا ماضياً لا يذكر لهم .

(٢) في م : تحريبا .

(٣) التحفة : الطرفة . وفي الحديث : « تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ » ، أى : ما يصبى المؤمن في الدنيا من الأذى ، وماله
 عند الله من الخير ، الذى لا يصل إليه إلا بالموت . ويُشبهه الحديث الآخر : « الموت راحة المؤمن » .

[انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١ مادة « تحف » ، وانظر اللسان المادة نفسها] .

(٤) هكذا في م .. وفي ط : « ونوجي » بدل « التي » وفيها : « والرشد باكياً » بدون أذبر .

(٥) هكذا في م .. وفي ط : « وكان العدل أصبح غائراً وأصبح الجور غالياً » .. والغالى : خلاف
 الرخيص .. وغائلاً ، أى : فساداً وشرّاً .

(٦) باسقا : له مكانة عالية .. والكرم خاوياً : لا مثقلة له بين الناس .. وفي م : « داوياً » بدل « خاوياً »
 أى : هالِكاً .

(٧) ما بين المقوفتين عن ط : « وساقط من م » .

(٨) نوجى بها الأشرار ، يعنى : يناجى بعضهم بعضاً بها ، أو لازمهم واستولوا عليها .. وفي
 ط : « ونوجي » بدل « ونوجي » وهى بمعنى : وقصيد .

(٩) الخبث : الخداع والغش . وفي الحديث : « لا يدخل الجنة خبث ولا خائن » أى : خادع غشاش ، يفتح الحام
 وكسرهما .

(١٠) ماجلاً : مُجْدِيّاً لا خير فيه .. وفي م : « قاحلاً » وهى بمعناها .

(١١) يسامون السماء : يطأونها .

(١٢) الملؤل : السريع الملل .. وفي م : « الملوك » بالكاف .. والعجول : المُسرعة .

وَلَدَّأَتْهَا فَايَتَهُ ، وَبِعَاثَهَا بَاقِيَةً ، فَاعْتَنِمَ غَفْوَةَ الزَّمَانِ ، وَاتَّهَزَ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ ، وَخُذَ مِنْ
نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَتَزَوَّدَ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ ، وَلَا تُتَافِسْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي حَفْضِ عَيْشِهِمْ ،
وَلَيْنَ رِيَاسِهِمْ ^(١) ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى سُرْعَةِ طَعْنِهِمْ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ ^(٢) .

قَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

رُبُّ مَقْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ عِدَمَتُهُ عَيْنُ مُعْتَرِمِهِ ^(٤)
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَا تَمُّهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

وَقَدْ قَالَ التَّهَامِيُّ ^(٥) :

تُتَافِسُ فِي الدُّنْيَا غُرُورًا وَإِنَّمَا قُصَاوَى غِنَاهَا أَنْ تُعُولَ إِلَى الْفَقْرِ ^(٦)

(١) الخفصر : الدعة وسعة العيش .. ولين الرياش : الناعم والفاخر من اللباس والأثاث .

(٢) الطعن : الرحيل ، ومعنى به رحيلهم عن الدنيا .. والمنقلب : العاقبة والمآل .

(٣) هو : سليمان بن مسلم بن الوليد ، الشاعر الضريع ، وهو ابن مسلم بن الوليد ، المعروف بصريع الغواني ، المشهور .. كان كآبيه شاعراً مُجيداً ، وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان مُتَهَمًا بدينه - وقال الجاحظ : إنه أخو مسلم بن الوليد وليس ابنه - توفى سنة ١٧٥ هـ .

[انظر ترجمته في معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، والحيران للجاحظ ج ٤ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ط دار الجليل ، والبيان والتبيين ج ٣ ص ٢٠٢ بتحقيق عبد السلام هارون] .

(٤) هكذا في (م) ، و ط .. وفي البيان والتبيين ومعجم الأدباء : « عِدَمَتُهُ كَف » . وفي الحيران : « فَقَدَتْهُ كَف » .

(٥) هو : علي بن محمد بن فهد التهامي ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من أهل تهامة (بين الحجاز واليمن) من الجيلين ، وشعره غايه في الحُسن . زار الشام والعراق ، وقدم القاهرة مُستخفياً ، ومعه كُتُبٌ من حسان بن المرفج البدوي (الطائي) أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بني قُرّة (قبيل عصبانهم بمصر) فعلمت به حكومة مصر ، فاعتُقل وحُبِسَ في دار البندوب في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر (وكان يُحْبَسُ فيها مَنْ يرَادُ قتله) ثم قُتِلَ سِيراً في سجنه في تاسع جمادى الأولى سنة ٤١٦ هـ ، وكان دُنيّاً ورِعاً عن الهجاء ، وهو صاحب القصيدة التي مطلعها :

حُكْمُ النَّيِّ في الرِّبْوَةِ جَارِي
ماهنته الدنيا بدار قَرَارِي

[انظر النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ط دار الكتب المصرية ، وسر أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١ ، ٢٢ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٨ - ٣٨١ والأعلام ج ٤ ص ٣٢٧] .

(٦) قُصَاوَى غِنَاهَا : غايه الغنى فيها .

وَأَنَا لَفِي الدُّنْيَا كَرَكِبٍ سَفِينَةٍ نَظَنُّ وَفَوْفًا وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي ^(١)
وَلِيَنْغُضِي الشُّعْرَاءُ ^(٢) :

تُرْوَحُ لَكَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ الَّذِي عَدَتْ وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورٌ ^(٣)
وَتَجْرِي اللَّيَالِي بِاجْتِمَاعٍ وَفُرْقَةٍ وَتَطْلُعُ فِيهَا أَنْجُمٌ وَتَغُورُ
فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الدَّهْرَ بَاقٍ سُرُورُهُ فَذَاكَ مُحَالٌ لَا يَدُومُ سُرُورٌ ^(٤)
عَفَا اللَّهُ عَنْ مَنْ صَبَّرَ إِلَهُمَّ وَاحِدًا وَأَيُّقِنَ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَلُورُ

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَرَأْتُ فِي كُتُبِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَنَّ الْمَسِيحَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٥) اجْتَارَ بِجُمُوحٍ هَائِلَةٍ عَظِيمَةٍ نَخْرَةً ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَسْتَنْطِقَ هَذِهِ الْجُمُوحَةَ ، فَعَسَى تُخْبِرُنَا بِمَا رَأَيْتُهُ مِنَ الْعَجَائِبِ ، فَفَعَلَ ، فَأَنْطَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَتْ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، إِنِّي عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَاسْتَوْلَدْتُ أَلْفَ ذَكَرٍ ، وَافْتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ، وَقَتَلْتُ أَلْفَ جَبَّارٍ ، وَصَحَبْتُ الدَّهْرَ وَاخْتَبَرْتُهُ ، وَامْتَحَنْتُ قَلْبُهُ وَأَنْفِلَايِهِ ، فَلَمْ أَرِ [شَيْئًا] ^(٦) أَشَدَّ مِنْ طَالِحٍ يَلِي أَمْرَ صَالِحٍ ^(٧) ، وَلَمْ أَجِدْ لِهَذَا الدَّهْرِ شَيْئًا أَنْفَعَ مِنَ الصَّبْرِ وَمُسَالَمَةِ أَهْلِهِ ،

(١) في « ط » : والزمان « بها » بدل « بنا » .. و « نظن » بدل « نظن » .. والركب : الركوب ، ويُطلق على العشرة فما فوق .

(٢) الأبيات وردت في « العقد الفريد » ج ٢ ص ٢٧٩ باختلاف في الترتيب ، واختلاف في بعض الألفاظ متبينة في موضعه .

(٣) في العقد الفريد .. هذا البيت ترتيبه الثاني ، وقبله : « عفا الله عن من صبر إلهم » . والبيت الرابع جاء ترتيبه الأول .

(٤) البيت في العقد الفريد :

وتطمع أن يقي السرور لأهله وهذا مُحَالٌ أَنْ يَدُومَ سُرُورُ

(٥) مابين المعقوفين عن « م » .

(٦) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « صالح يلي أمر طالح » والطالح : الفاسد من الناس .

[وَلَمْ أَرْ هَلَاكَ أَهْلِهِ] ^(١) إِلَّا فِي الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ ، وَوَجَدْتُ الْعِزَّ فِي الرِّضَا بِالْقِسْمِ ^(٢) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ : آخِرُ شِعْرِ قَالَهُ [أَبِي] ^(٣) فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّي فِيهِ [رَحِمَهُ اللَّهُ] :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَالِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي وَعَفْوُكَ إِنْ عَفَوْتَ ، وَحُسْنُ ظَنِّي ^(٤)
وَكَمْ مِنْ زُلَّةٍ لِي فِي الْبِرَائِي وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ ^(٥)
إِذَا فَكَّرْتُ فِي قُدَمِي عَلَيْهَا عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَفَرَعْتُ سِنِّي ^(٦)
أَجْنُ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا وَأَقْطَعُ طُولَ عُمُرِي بِالتَّمَنِّي ^(٧)
وَبَيْنَ يَدَيَّ يِقَاتٌ عَظِيمٌ كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ لَهُ كَأَنِّي ^(٨)

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » ولا يستقيم المعنى إلا به .

(٢) القِسْمُ ، بكسر القاف وسكون السين المهملة ، وهي بمعنى الحظ والنصيب وجمعها : قِسَمٌ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من « م » في الموضحين .

(٤) في « ط » : « فَمَا لِي » .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي الديوان : « فكم » بدل « وكَمْ » وفي « م » :

وَكَمْ مِنْ زُلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا عَفَرْتُ ، وَأَنْتَ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ

(٦) في الديوان : « نَدَمِي » بدل « قُدَمِي » ، وَعَضَضْتُ أَنَامِلِي وَفَرَعْتُ سِنِّي : كناية عن التدم ، وبعد هذا البيت

في الديوان :

يَظُنُّ النَّاسُ فِي خَيْرِي وَإِنِّي لَأَشْرُ النَّاسِ إِنْ لَمْ تُغْفُ عَنِّي

وهو ساقط من « ط » .. وسبق في « م » في آخر الأبيات ، وفيه « يُغْفُ » بدل « تُغْفُ » .

(٧) الشطر الثاني في الديوان : « وَأَفْنَى الْعَمْرِ فِيهَا بِالتَّمَنِّي » .

(٨) الشطر الأول في الديوان : « وَبَيْنَ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثَقِيلٌ » . وأراد بالاحتبس : المنسك ، يعني : طريق الزهد

والتعبد ، أي : بين منسك تقبل الوطأة عليه ، كأنه قد دُعِيَ إليه ، ولكن الدنيا صرفته عنه .

وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ اللَّهَ فِيهَا قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْجَحَنُّ ^(١)
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ يُعَفِّ عَنِّي ^(٢)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٣) : لَمَّا وَقَدَّ وَتَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ ^(٤) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ ^(٥) : أَيُّكُمْ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ ^(٦) ؟ قَالُوا : كُلُّنَا نَعْرِفُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(١) هكذا البيت في م م و ط ، .. وفي الديوان : « صَدَقْتُ الزَّهْدَ » بدل « صَدَقْتُ اللَّهَ » .

(٢) هكذا البيت في م م وهو ساقط من ط .. وجاء ترتيبه الخامس في الديوان . وقد أشرت إلى ذلك .
(٣) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، صحابي جليل ، وُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَنَشَأَ فِي بَدْءِ عَصْرِ النَّبُوَّةِ ، فَلَازَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَحَادِيثَ ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَطِيعِي الْحِكْمَةَ وَعَلِّمِيهِ التَّوْبِيلَ » ، وَقَالَ : « لَقَسَى الْأَمُوتَ حَتَّى يُؤْتِيَّ عِلْمًا » وَيَذْهَبُ بَصْرَهُ . فَكَانَ كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَبْرُ الْأُمِّيَّةِ ، وَلَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ ١٦٦ حَدِيثًا . وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ مَسْعُودٍ : نَعَمْ تَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِنَارٍ : مَا رَأَيْتُ مَجْلِسًا كَانَ أَجْمَعُ لِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ مَجْلِسِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَكَانَ عَمْرٌو بْنُ الْحَطَّابِ إِذَا أُعْضِلَتْ عَلَيْهِ قَضِيَّةٌ دَعَا ابْنَ عَبَّاسٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ لَهَا وَلِأَمْثَالِهَا ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِقَوْلِهِ .. وَفَدَّ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَعَةَ الْجَمَلِ وَصَيْفِينَ ، وَكُفَّ بِبَصْرِهِ فِي آخِرِ عُمرِهِ ، فَسَكَنَ الطَّائِفَ ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ٦٨ هـ .

[انظر نسب قريش ص ٢٦ ، ٢٧ والأعلام ج ٤ ص ٩٥] .

(٤) في ط : « لَمَّا وَرَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ » .. وفي البداية والنهاية : « قَدِيمٌ وَفَدَّ » وعبد القيس : قبيلة عظيمة تنسب إلى عبد القيس بن أفضى بن دُعَيْم بن جَدِيلَةَ بن أَسَدَ بن ربيعة بن عدنان .. كانت ديارهم بتهامة ، ثم خرجوا منها إلى البحرين واستقروا بها .. وهم بطون كثيرة ، وظهر فيهم مشاهير .. والنسبة إليهم قيسِي ، وعبدِي ، وعبد قيسِي ، .. وكان قديم وفد عبد القيس على رسول الله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَنَةَ ٩ هـ ، وَرَحَّبَ بِهِمُ النَّبِيُّ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَأَمَنُوا .. وَقَدْ أُرْتُدُّ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ ١١ هـ ، فَأَمَّا عَبْدُ الْقَيْسِ فَقَامَتْ ، ثُمَّ أَمْنُوا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَنَاصَرُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ سَنَةَ ٣٦ هـ ، ثُمَّ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ سَنَةَ ٤٠ هـ ، ثُمَّ حَارَبُوا فِي سَنَاتِ ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ مَعَ الْمُهَلَبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ ، عَامِلِ الزَّبِيرِ . وَأَخْبَارُهُمْ كَثِيرَةٌ .

[انظر معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، والأعلام ج ٤ ص ٤٩ ، وانظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢٠ ، والأغاني ج ١٥ ص ٥٥٧١ - ٥٥٧٦] .

(٥) في ط : « فَقَالَ » .

(٦) هو : قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ بن عمرو بن عدِي ، من بني لُيَادَ ، أَحَدِ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، وَمِنْ كِبَارِ خُطْبَائِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ خُطِبَ مُتَوَكِّمًا عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : « أَمَّا بَعْدَ » ، وَكَانَ يَفِدُّ عَلَى قَيْصَرِ الرُّومِ زَائِرًا فَيُكْرِمُهُ وَيُعْظِمُهُ . وَهُوَ مَعْلُودٌ مِنَ الشُّعْمَرَيْنِ ، وَأَمْدَرُكَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، وَرَأَاهُ فِي « عَكَاظَ » ، وَسُئِلَ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ : « إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَعْثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّهُ وَحْدَهُ » تَوَفَّى سَنَةَ ٢٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ تَقْرِيبًا .

قَالَ ^(١) : لَسْتُ أَنْسَاهُ بِعُكَاظَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ ، وَهُوَ يَحْطُبُ النَّاسَ وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اجْتَمِعُوا ، فَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَاسْتَمِعُوا ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ فَعُوا ، فَإِذَا وَعَيْتُمْ فَقُولُوا ، فَإِذَا قُلْتُمْ فَاصْدُقُوا . مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ ^(٢) مَاتَ قَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ^(٣) . يَهَادُ مَوْضُوعٌ ، وَسَقَفٌ مَرْفُوعٌ ، وَنُجُومٌ تَمُورٌ ، وَنُحُورٌ لَا تَعُورُ ^(٤) . أَقْسَمَ قُسٌّ قَسَمَ حَقٌّ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا إِثْمَ ، لَئِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ رِضًا لَيَكُونَنَّ سَخَطًا ، إِنَّ لِلَّهِ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ؟ أَمْ ^(٥) تَرْكُوا عَلَى [حَالِهِمْ] فَنَامُوا ؟

ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يَرَى شَيْعَرَهُ ؟ فَأَنْشُدُوهُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِيْنَ — سَنَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ ^(٦)

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ١٩٦ ، وانظر البيان والتبيين ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، وغيرها ، والأغانى ج ١٥ ص ٥٥٧٠ - ٥٥٧٦] .

(١) في « ط » : « قال رجل » خطأ .. والصواب ماورد في « م » وجاء في المصادر السابقة ، حيث إن الذي رآه هو الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) في « م » : « من » بحذف الواو .

(٣) هكذا في « ط » وفي البداية والنهاية وغيرها .. وهو الصواب .. وفي « م » : « خير » و « لعير » بالرفع ، خطأ ، فاللام هنا زائدة لأعمل ها .. و « خير » و « لعير » اسمان لأن ..

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وبحر لايفور » أى : لا يذهب في الأرض . ونجوم تمور ، أى : تذهب ونحى .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « فقاموا » بدل « فاقاموا » و « أو » بدل « أم » ، والمناسب هنا « أم » بعد حمزة الاستفهام .. والمقام : الإقامة ، وما بين المقفوفين بعدها ساقط من « م » .

(٦) في البيان والتبيين ، وفي الأغاني ، والبلية والنهاية : « يمضى » بدل « تمضى » وكلاهما صواب .

لا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيْكَ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرٌ ^(١)
 سَكُنُوا الْبُيُوتَ فَوُطِّنُوا إِنَّ الْبُيُوتَ هِيَ الْمَقَابِرُ ^(٢)
 أَتَيْتُ أَسَى لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرٌ

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَمْرِهِ ^(٣) عَجَبًا : افْتَحَمْتُ وَادِيًا فَإِذَا أَنَا بِعَيْنٍ جَارِيَةٍ ^(٤)
 وَرَوْضَةٍ مُذْهَابَةٍ ، وَشَجَرَةٍ عَادِيَةٍ ، وَإِذَا [أَنَا] ^(٥) بِقُصِّ بْنِ سَاعِدَةَ قَاعِدٍ ^(٦) فِي أَصْلِ
 الشَّحْرَةِ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ، وَقَدْ وَرَدَ عَلَى الْعَيْنِ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ ؟ فَكَلَّمَا وَرَدَ سَبَّحَ عَلَى
 صَاحِبِهِ ضَرْبَهُ بِالْعَصَا وَقَالَ : تَنَحَّ حَتَّى يَشْرَبَ الَّذِي وَرَدَ قَبْلَكَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ دَعَرْتُ
 دُعْرًا شَدِيدًا ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : لَا تَحْفُ ، فَالْتَفَتْتُ ، فَإِذَا [أَنَا] ^(٧) بِقَبْرَيْنِ بَيْنَهُمَا
 مَسْجِدٌ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ فَقَالَ ^(٨) : هُمَا قَبْرَا أَخَوَائِي ، كَانَا يُعْبَدَانِ اللَّهَ تَعَالَى مَعِيَ
 فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَأَنَا أُعْبُدُ اللَّهَ بَيْنَهُمَا حَتَّى الْخَلَقَ بِهِمَا . فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا
 تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ فَتَكُونَ فِي جِيرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ لِي : لِكُلِّكَ أَمْكٌ ^(٩) ، أَوْمَا عَلِمْتَ أَنَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ ^(١٠)

(١) هكذا البيت في « م » و « ط » وسقط من الأغاني وأشير إليه في الحاشية .. وفي البداية والنهاية :

« لَأَمِنْ مَضَى بَأَى إِلَيْكَ (م) وَلَأَمِنْ الْبَاقِينَ غَابِرٌ » .

وفي البيان والتبيين :

« لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابِرٌ »

(٢) لم يذكر هذا البيت في المصادر السابقة .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « منه » .

(٤) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « عين نخرة » وهي بمناء ، يقال : عين نخرة أى : جارية . وروضة
 مُذْهَابَةٌ ، أى : سوداء ، من شدة الخُصْرَةِ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) في « م » : « قاعداً » بالنصب . وفي الأغاني ، والبداية والنهاية وغيرهما : بالرفع ، على أنها خبر ، و « إذا »
 هنا : حرف فجأة لاصحل له .. وورد على العين : أشرف عليها حتى يشرب منها .

(٧) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٨) في « ط » : « قال هما قبرا أَخَوَيَّ » .. وفي البداية والنهاية وفي الأغاني : « أَخَوَيْنِ » .

(٩) في جبرتهم ، أى : بجوارهم .. وتكلتك أَمْكٌ ، أى : فقدتك . وهو دعاء بالهلاك .

(١٠) ولد إسماعيل : يعنى أُمَّة إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام . وفي البداية والنهاية : « أَنُّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ

تركوا دين أبيهم » .

تَرَكَتْ دِينَ أُبَيْهَا وَاتَّبَعَتِ الْأَصْنَامَ وَعَظَّمَتِ الْأَنْدَادَ ^(١) ؟ ثُمَّ تَرَكَتْنِي وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَبْرِينِ
وَقَالَ ^(٢) :

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَجِدْكُمْ مَائِقُضِيَّانِ كَرَّاكُمْ ^(٣)
أَرَى النَّوْمَ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمْ كَأَنَّ الَّذِي يَسْقَى الْعُقَارَ سَقَاكُمْ ^(٤)
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بِسَمْعَانٍ مُفْرَدٍ وَمَالِي فِيهِ مِنْ خَلِيلٍ مِوَاكُمْ ^(٥)

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَاتَّبَعَتِ الْأَصْدَادَ » .. وفي البداية والنهاية : « وَاتَّبَعُوا الْأَصْدَادَ ، وَعَظَّمُوا الْأَنْدَادَ » .

(٢) جاء في معجم البلدان أن الذي قال هذا الشعر هو : قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ فِي خَلِيلَيْنِ كَانَا لَهُ وَمَانَا - كما ورد هنا ، وفي الأغاني ، والبداية والنهاية ، وقال آخرون : هذا الشعر لنصر بن غالب ، يرقى أَوْسُ بْنُ خَالِدٍ وَأُنْثُسَا .. وَذِكْرُ أَنَّهُ لِعَيْسَى بْنِ قِدَامَةَ الْأَسَدِيِّ .. وقيل : إنه لرجل من بني عامر بن صعصعة ، يقال له : الحسن بن الحارث .
[انظر الأغاني ج ٥ ص ٥٦٩ وما بعدها ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ١٩ ، مادة « راوند »] .

(٣) هكذا البيت في « ط » ، وفي الأغاني ، والبداية والنهاية ، ومعجم البلدان .. وفي « م » : « لَانْقُضِيَانِ » بدل « مَائِقُضِيَّانِ » .. وفي معجم البلدان : « تَدَيْسِي » بدل « خَلِيلِي » .. وقد وردت الشطرة الأولى من البيت في « م » ، مكسورة ، حيث سقطت منها « قد » .. وَأَجِدْكُمْ : أَي أَبْجِدْكُمْ . وَنُصِبَ هُنَا عَلَى الْمَصْدَرِ . وَقَالَ سَيَبويه : أَجِدْكَ : مَعْتَصِرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَجِدُّا مِنْكَ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا مِضَافًا ، وَالْكَزْبَى : النَّعَاسُ .

[انظر اللسان - مادة جدد]

(٤) هكذا البيت في « م » و « ط » و « د » البداية والنهاية .. وفي الأغاني :

« جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمْ » .

وفي معجم البلدان :

« جَرَى النَّوْمُ بَيْنَ الْعَظْمِ وَالْجِلْدِ مِنْكُمْ كَأَنكُمْ سَاقِي عُقَارٍ سَقَاكُمْ »

وَالْعُقَارُ : الْحَمْرُ

(٥) هكذا البيت في « م » و « ط » والأغاني .. وفي البداية والنهاية : « بَنَجْرَانِ مُفْرَدًا » بدل « بِسَمْعَانِ » ،

و« حَبِيب » بدل « خَلِيل » .

وفي معجم البلدان :

« أَلَمْ تَعْلَمَا مَالِي بِرَاوُثَةٍ كُلِّهَا وَلَا بِخُرَاقٍ مِنْ صَدِيقٍ مِوَاكُمْ »

و« بِسَمْعَانِ » اسم جبل في ديار بني نعيم .. وَرَاوُثَةٌ : بِنْدَةٌ قُرْبَ قَاشَانَ وَأَصْبَهَانَ .. وَخُرَاقٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ بَعِيْنٍ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ .

[انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٧ مادة « خُرَاق » وج ٣ ص ٢٥٠ مادة « سمعان » و ص ١٩ ، ٢٠ مادة

« راوند »] .

مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ نَازِحاً طَوَالَ اللَّيْلِ أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا ^(١)
 أَبْكِيكُمَا طَوَلَ الْحَيَاةِ وَمَا أَلَذَى يُرْدُّ عَلَى ذِي غُصَّةٍ إِنْ بَكََاكُمَا ^(٢)
 كَانُكُمَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَايَةٍ بِرُوحِي فِي قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَثَاكُمَا ^(٣)
 سَلَامٌ وَتَسْلِيمٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ الْمَوْلَى عَلَى سَاكِنَيْكُمَا ^(٤)
 فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَفَايَةً لَجَذْتُ بِنَفْسِي أَنْ تُكُونَ فِدَاكُمَا ^(٥)

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ يَبْعَثُ أُمَةً وَحَدَهُ ^(٦) ، يَعْنِي أَنَّ كُلَّ أُمَةٍ آمَنَتْ بِنَبِيِّهَا ^(٧) تَبْعَتْ أُمَةً وَحَدَهَا ، لَا يُخَالِطُهَا غَيْرُهَا ، وَيَبْعَثُ قُسٌّ ^(٨) أَيْضاً وَحَدَهُ أُمَةً ، لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ .

(١) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « مقبها » بالنصب .. وفي الأغاني ، ومعجم البلدان : « أقيم » .. وفي البداية والنهاية ، والأغاني ، ومعجم البلدان ، و « م » : « بارحاً » بدل « نازحاً » وكلاهما بمعنى واحد تقريباً . يقال : بَرَحَ المكانُ : إذا فَارَقَهُ ، فهو بَارِحٌ . وتَزَحَّجَ : ابتعد واغترب ، فهو نَازِحٌ .

(٢) هكذا في « م » و « ط » .. وفي الأغاني : « سَابِكِيكُمَا » .. وفي معجم البلدان : « وأبْكِيكُمَا » وفيه : « غَوْلَةٌ » بدل « غُصَّة » .. وفي البداية والنهاية والأغاني : « لوعة » . وجميعها متقاربة في المعنى .. فالغَوْلَةُ : رفع الصوت بالبكاء والصياح . واللوعة : حُرْقَةٌ في القلب ، وألم يجده الإنسان من حُبٍّ أو هَمٍّ أو حُزْنٍ أو نحو ذلك . والغُصَّةُ : الشجاء والحُزْنُ والهم .

[انظر لسان العرب والمعجم الوسيط وغيرهما من المعاجم العربية] .

(٣) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي البداية والنهاية .. وفي الأغاني : « بِجِسْمِي » بدل « بِرُوحِي » .

(٤) هكذا البيت في « م » .. وفي « ط » : « عَلَى سَاكِنَاكُمَا » لضرورة الشعر .. وهذا البيت وما يليه لم أقف عليهما في المصادر السابقة .

(٥) هكذا البيت في « ط » والأغاني .. وسقط من « م » .. وفي البداية والنهاية : « فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ أُسْرَى فِدَى » .

(٦) هذا الحديث روى بأكثر من وجه .. وفي البداية والنهاية : أن هذا الحديث غريب جداً .

[انظر ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢٠]

(٧) في « م » : « برسولها » .

(٨) في « م » : « ويبعث الله قُسّاً » .

وَيَرَوَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ ^(١) نَامَ يَوْمًا ، فَأَنْشِدَ فِي نَوْمِهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ^(٢) :
 كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحَشَ مِنْهُ رُكْنُهُ وَمَتَانِلُهُ ^(٣)
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَحَدِيثُهُ تَنَادَى بِلَيْلٍ مُغُولَاتٍ تَوَاكَلُهُ ^(٤)
 فَمَا أَثُتْ عَلَيْهِ عَاشِرَةُ عَشْرَةٍ حَتَّى مَاتَ .

وَأَنْشَدَنِي ^(٥) الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْبَصْرَةِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

(١) هو : محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا عبد الله ، المهدي بالله .. من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وُلِدَ بِالْبَدَج (من كور الأهواز) سنة ١٢٧ هـ ، واسْتُخْلِفَ يَوْمَ مَاتَ الْمَنْصُورُ بِمَكَّةَ بَعْدَ مِنْهُ سَنَةٌ ١٥٨ هـ . وَأَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَشَهْرًا . وَتَوَفَّى فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى « مَسْبِدَان » يُقَالُ لَهَا : « الرُّدْ » سنة ١٦٩ هـ . قِيلَ : مَاتَ صَرِيحًا عَنْ دَابَتِهِ فِي الصَّيْدِ . وَقِيلَ : مَاتَ مَسْمُومًا ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ هَارُونَ الرَّشِيد .. كَانَ مُحَمَّدُ الْعَهْدِ وَالسِّرَةِ ، مُحِبًّا إِلَى الرَّعِيَّةِ ، حَسَنَ الْخُلُقِ وَالْحُلُقِ . وَكَانَ جَوَادًا .

[انظر تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٦٨ - ١٨٦ وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧١ ، ٧٢ وغيرهما ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٩١ - ٤٠١ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٢٨ - ٣٣٥ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ٤٠٠ - ٤٠٢ ، والأعلام ج ٦ ص ٢٢١] .

(٢) في تاريخ الطبري : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ يَقْطِينٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ الْمَهْدِيِّ بِمَسْبِدَان ، فَأَصْبَحَ يَوْمًا فَقَالَ : إِنِّي أَصْبَحْتُ جَانِعًا ، فَأَتَيْتُ بِأَرْغَفَةٍ وَلَحْمٍ بَارِدٍ مَطْبُوخٍ بِالْخَلِّ ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي دَاخِلٌ إِلَى الْبَهْوِ وَنَائِمٌ فِيهِ ، فَلَا تُنْبِئُونِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَنْتَبِهَ . وَدَخَلَ الْبَهْوُ فَنَامَ ، وَنَمْنَا نَحْنُ فِي الدَّارِ فِي الرِّزَاقِ ، فَانْتَبَهْنَا بِبِكَائِهِ ، فَقَمْنَا إِلَيْهِ مُسْرِعِينَ ، فَقَالَ : أَمَا رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ ؟ قُلْنَا : مَا رَأَيْنَا شَيْئًا ! قَالَ : وَقَفَ عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ ، لَوْ كَانَ فِي أَلْفٍ ، أَوْ فِي مِائَةِ أَلْفٍ رَجُلٌ مَا خِيفَ عَلَيَّ . فَأَنْشَدَ يَقُولُ : كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ .. الخ . وَتَوَفَّى بَعْدَهَا بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً .

[انظر الطبري ج ٨ ص ١٧٠ ، ١٧١]

(٣) في الطبري والكامل في التاريخ : « رُبْعُهُ » بدل « رُكْنُهُ » .. وفي رواية : « مَتَانِلُهُ » بدل « مَنَازِلُهُ » ، والمَنْزِلُ والمَنْهَلُ بمعنى واحد .. وَرُكْنُهُ : جَانِبُهُ . وَرُبْعُهُ : الدَّارُ وَمَا حَوْلَهَا ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُتَزَلُّ فِيهِ زَمَنُ الرَّبِيعِ .. وَبَادَ : هَلَكَ .. وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

« وَصَارَ غَيْبُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ وَمُلْكٍ إِلَى قَبْرِ عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ ،

الجنادل : الصخور .

(٤) في الكامل والطبري : « تَنَادَى عَلَيْهِ مُغُولَاتٌ خَلَجَلُهُ » .. وفي « ط » : « تَنَادَى .. مُغُولَاتٌ رَافِعَاتُ الصَّوْتِ بِالْبِكَاءِ وَالصَّيْحَانِ .. حَلَالَهُ : زَوْجَاتُهُ . تَوَاكَلَهُ : النَّسَاءُ اللَّائِي أَتَقَنَّذَنَّهُ .

(٥) في « م » : وَأَنْشَدَنَا .

(٦) هو : علي بن عبد العزيز بن الحسن الجُرْجَانِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، قَاضٍ ، مِنْ الْعُلَمَاءِ بِالْأَدَبِ ، وَوُلِدَ بِجُرْجَانَ ، وَوُلِيَ قَضَاءَهَا ، وَاتَّبَعْتَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْأَدَابِ مَا صَارَ بِهِ فِي الْعُلُومِ عِلْمًا ، وَفِي الْكَلَامِ عَالِمًا . تَوَفَّى بِبَسْطَابُورِ سَنَةِ ٣٩٢ هـ - عَلَى الْأَرْجَحِ - وَهُوَ دُونَ السَّبْعِينَ . وَمِنْ كَتَبِهِ : الْوَسَاطَةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّئِ وَخُصُومِهِ ، وَبَعْضُ التَّارِيخِ ، وَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ ، وَلَهُ دِيْوَانُ شَعْرٍ وَرِسَالٌ مُتَوَنِّةٌ .

بِاللهِ رَبِّكَ كَمْ قَصُرَ مَرَزْتُ بِهِ قَدْ كَانَ يُعَمَّرُ بِاللَّذَاتِ وَالطَّرِبِ
طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَائَا فِي جَوَانِهِ فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ ^(١)
وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً :

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدَا لَنْ تَذُودَ الْمُنُونِ عَنْكَ الْمَبَانِي ^(٢)
إِنْ هَذَا الْبِنَاءُ يَتَّقِي كُلُّ شَيْءٍ أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ ^(٣)
وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَمِيرو : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ ^(٤) عِنْدَ مَوْتِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ
أَنِّي ارْتَكَبْتُ عَظَائِمَ ^(٥) الْأُمُورِ جَرَاءَةً مِنِّي عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ
الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ ، شَهَادَةً أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُنَّا مِنْكَ لَا مُنَّا عَلَيْكَ . وَكَانَ سَبَبُ إِخْرَاجِهِ مِنَ
الْحَضْرَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا نَائِمًا ، فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ :

= [انظر غاذج من أدبه في بيمية الدهر للتمالي ج ٣ ص ٢٣٨ - ٢٥٩ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٧
ص ١٩ - ٢١ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١٤ ص ١٤ - ٣٥ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٨ - ٢٨١ ،
وطبقات المفسرين ج ١ ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٥٠ ، والأعلام ج ٤ ص ٣٠٠ .
(١) الْعُقَاب : طائر من كواسير الطير ، قوى الخائب .. وَالْحَرْبُ ، بفتح الحاء والراء المهملتين : الهلاك .
يقسم الشاعر أنه مرَّ بكثير من القصور التي كانت عامرة بما يلذ من الطيبات ، وبطرب الأسماع ، فإذا به الآن يراها
وقد نَحِمَ عليها الخراب والدمار بعد أن اختطف الموت ساكنيها وبادوا .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « رَفَع » بدل « عنك » .

(٣) بمعنى : ياتين تبالغ في رَفَعِ البناء ، تَمْهَلُ ، فَإِنْ مَاتَشِيدُهُ لَنْ يَدْفَعُ عَنْكَ الْمَوْتَ وَتَسْرَحِلُ عَنْهُ وَتَتْرَكَ لغيرك .
(٤) هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وأبو جعفر كنيته ، وُلِدَ سنة ٩٥ هـ
واستُخْلِفَ بعد أخيه « السُّفَّاح » سنة ١٣٦ هـ ، وهو باقٍ مدينة بغداد ، وكان يُلقَّبُ « أبا الدوائيق » لخباسته الكتاب
والعمال على الدوائيق (الدوائيق : جمع ذائق ، وهو سُدُسُ الدرهم) وكان شجاعاً مهيباً ، تاركاً للهو واللعب ، كامل
العقل ، قتل خلقاً كثيراً حتى ثبت الأمر له ولولده (المهدي) وكان فيه عدل ، وله حظ من صلاة وعلم وفقه .. توفي
مُخْرِماً على باب مكة في سادس ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ ، ودُفِنَ مابين الْحُجُونِ وبئر ميمون ، وكانت مُدَّةَ خلافته
٢٢ عاماً .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٥٣ - ٦١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وتاريخ الخلفاء
ص ٣١٤ - ٣٢٨ ، والأعلام ج ٤ ص ١١٧ .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « الْأُمُورِ الْعَظَامِ » .

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحِشَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ ^(١)
 وَصَارَ عَمِيدُ الْقَصْرِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ إِلَى تُرْبَةٍ تُسْفَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ ^(٢)
 فَاسْتَيْقَظَ مَرْغُوبًا ، ثُمَّ نَامَ فَأُشِيدَ : ^(٣)
 أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتَكَ وَأَنْقَضَتْ سُبُوكَ وَأَمُرُ اللَّهِ لَا بُدَّ وَأَفْعَ ^(٤)

(١) هذان البيتان سبق التعليق عليهما في الحديث عن «المهدى» آنفاً ، وتكاد تجمع المراجع التي أشارت إليهما - وهي كثيرة - إلى أنهما أنشيدا للمهدى بن أبي جعفر المنصور في منامه - ولم أقف عليهما في غالب المصادر التي تناولت ترجمة أبي جعفر .. وفي كتاب «أبو جعفر المنصور» لعبد السلام رستم ، المطبوع بدار المعارف ، ذكر القصة بتوسّع ، وذكر البيتين باختلاف يسير في ألفاظهما فقال : «قال الربيع : قام المنصور ليلة - وكان في قصره ببغداد - فأنبه مرعوباً ، ثم عاوده النوم قليلاً ، فأنبه ثانية فزعاً مرعوباً ، ثم مرة ثالثة ، فلما انتفض فيها - نادى : ياربيع !! .. قلت : لبيك بأمر المؤمنين ، قال : لقد رأيتك في منامي عجباً ! رأيت كأنّ آتياً أتاني فهُيَّيْتُمْ بشيء [الهيمنة : الكلام الخفي] لم أفهمه ، فانتبهت فزعاً ، ثم عاودت النوم ، فعاودني يقول ذلك الشيء ، ثم عاودني يقول : حتى فهمته وحفظته ، وهو :

كَأَنَّ بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَغُرِّيَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
 وَصَارَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ إِلَى جَدِّثَ تُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ

وما أحسبني ياربيع إلا قد حانت وفاتي ، وحضر أجل ، ومالي غير زبني ، قم فاجعل لي غُسلًا .. وهبني لى آلة الحج » الخ .

وربما يكون هذا قد وقع لأبي جعفر ، فلم ينتبه كثير من المراجع المعتمدة ، ثم رآه من بعده ابنه «المهدى» فأثبتته له .

[انظر المراجع السابقة ، وتاريخ الطبرى ، وأبو جعفر المنصور لعبد السلام رستم ص ١٢٨ وغيره من المصادر] .

(٢) العميد : السيد الْمُعْتَمَدُ عليه في الأمور .. وتُسْفَى عليه جَنَادِلُهُ : يُوضَعُ عليه التراب والصخور .

(٣) هكذا في «ط» .. وفي «م» : «قَامَ فَأُشِيدَ» .. وفي تاريخ بغداد : «قال الربيع : بينا أنا مع أبي جعفر المنصور في طريق مكة ، فنزل يقضى حاجة ، فإذا الريح قد ألفت إليه رُقعة فيها مكتوب :

«أبا جعفر ، حانت وفاتك وأنقضت البيت .

قال : فنناداني : ياربيع ، تنعى إليّ نفسى قى رُقعة ؟

فقلت : لا والله ، ما أعرف رُقعة ، ولا أدري ما هي .. قال : فما رجعت من وجهه حتى مات بمكة » .

وفي تاريخ الطبرى : «ذكر عيسى بن محمد ، أن موسى بن هارون حَدَّثَهُ ، قال : لَمَّا دَخَلَ المنصور آخر منزل نزله من طريق مكة ، بنظر في صدر البيت الذى نزل فيه ، فإذا فيه مكتوب : أبا جعفر ، حانت وفاتك وانتهت ... » وذكر البيتين .

[انظر تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٠٧ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٦٠] .

(٤) هكذا في «ط» ، وتاريخ الطبرى ، وتاريخ بغداد .. وفي «م» : «لَاشَكَ» بدل «لَا بُدَّ» .

فَهَلْ كَاهِنٌ أَعَدَّدْتُهُ وَمُنَجِّمٌ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْكَ الْمَنِيَّةُ دَافِعٌ ^(١)
 فَقَالَ : يَارَبِيعُ ^(٢) ، أَتَيْنِي بِطَهُورِي . فَقَامَ وَاعْتَسَلَ وَلَيَّ ^(٣) ، وَجَهَّزَ لِلْحَجِّ ، ثُمَّ
 قَالَ : يَارَبِيعُ ، الْفَنَى فِي حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى .
 وَأَنْشَدَنِي الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ بِالْبَصْرَةِ :

إِنْ كُنْتُ تَسْمُو إِلَى الدُّنْيَا وَرَبِّهَا فَانْظُرْ إِلَى مَلِكِ الْأُمَلَاكِ قَارُونَ ^(٤)
 زَمَّ الْأُمُورَ فَأَعْطَتْهُ مَقَادَتَهَا وَسَحَّرَ النَّاسَ بِالشَّدِيدِ وَاللَّيْنِ ^(٥)
 حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنْ لَاشَيْءَ عَلَيْهِ وَمُكُنْتُ قَدَمَاهُ أَيْ تُمْكِينِ ^(٦)

(١) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » ، الشطر الأول : « أو عددته » بدل « أعددته » خطأ من الناسخ .

والبيت في تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٠٧ :

« أَبَا جَعْفَرٍ هَلْ كَاهِنٌ أَوْ مُنَجِّمٌ
 لَكَ الْيَوْمَ مِنْ خَرِّ الْمَنِيَّةِ مَانِعٌ ؟ »

(٢) هو : أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة ، كيسان ، وُلِدَ سنة ١١١ هـ ، وكان من موالى بني العباس ، ومن العقلاء الموصوفين بالخزم ، اتخذهُ أبو جعفر المنصور حاجباً ، ثم اتخذهُ وزيراً ، وكان مهيباً ، وبخس إدارة الشؤون ، عاش إلى خلافة المهدي العباسي ، وهو الذي بايعه وخلع عيسى بن موسى ، وحظي عنده .. توفي سنة ١٦٩ هـ ، وقيل في أول سنة سبعين ومائة .

[انظر تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤١٤ ، والأعلام ج ٣ ص ١٥] .

(٣) الطهور : ما ينظف به من ماء ونحوه .. لَيَّ : قال : ليك اللهم ليك .

(٤) تسمو : تطمع .. وقارون : رجل من قوم موسى ، كان كافراً ومتكبراً .. مُفَاجِئاً بأمواله .. خسف الله به وبداره الأرض .. وَيُضْرَبُ به المثل في الفَنَى . وقد وردت قصته في القرآن الكريم ، في سورة القصص - الآيات ٧٦ - ٨٢ .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » ، حُذِفَت الشطر الثانية من هذا البيت ، وَجِئَءَ بدلها بالشطر الثانية من البيت الثالث الذي يليه هكذا :

زَمَّ الْأُمُورَ فَاعْطَنهُ مَقَادَتَهَا وَمُكُنْتُ قَدَمَاهُ أَيْ تُمْكِينِ
 زَمَّ الْأُمُورَ : مَلَكَ نَوَاصِيهَا فَانْقَادَتْ لَهُ .

(٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » ، حُذِفَت الشطر الأولى من هذا البيت .. وَحُذِفَت الشطر الثانية من البيت الثاني ، والشطر الأولى من البيت الثالث . وهذا جاءت الأبيات في « م » ثلاثة أبيات ، وليس أربعة كما في « ط » .

رَاحَتْ عَلَيْهِ الْمَنَآيَا رَوْحُهُ تَرَكْتُ ذَا الْمُلْكِ وَالْبِرَّ تَحْتَ الْمَاءِ وَالطَّيْنَ (١)
وَأَسْتَدْنِي أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ بِبَغْدَادَ :

لِمَنْ أُتِنَى لِمَنْ أَسِيْمُ الْمَطَايَا لِمَنْ اسْتَأْنَفَ الشَّيْءَ الْجَدِيدَا (٢)

إِذَا مَا صَارَ إِخْوَانِي رُفَاتَا وَصِرْتُ لِفَقْدِهِمْ فَرْدَا وَجِيدَا (٣)

أَعَايُنُ مَعْشَرًا لَهُمْ شُكُولُ وَأَشْكَالِي قَدْ اعْتَنَقُوا اللُّهُودَا (٤)

وَمِمَّنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَبْصَرَ عُيُوبَهَا مِنْ أُنْبَاءِ الْمُلُوكِ ، أَبُو عِقَالٍ عَلَوَانُ بْنُ الْحَسَنِ ،
مِنْ بَنِي الْأَعْلَبِ ، وَهُمْ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ ذَا نِعْمَةٍ وَمُلْكٍ ، وَلَهُ قُوَّةٌ ظَاهِرَةٌ (٥) ،
فَقَابَ إِلَى رَبِّهِ ، وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ رُجُوعًا فَاقَ نَظَرَءَا ، فَرَفَضَ الْمَالَ وَالْأَهْلَ ، وَهَجَرَ
الْبِنَاءَ وَالْوَطْنَ (٦) ، وَبَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَبْلَغًا أُتِنَى فِيهِ عَلَى الْمُجْتَهِدِينَ ، وَعُرفَ بِإِحَابَةِ
الدُّعْوَةِ ، وَكَانَ عَالِمًا أَدِيبًا ، قَدْ صَحِبَ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ سَخُونٍ (٧) وَسَمِعَ مِنْهُمْ ،
ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى بَعْضِ السَّوَاخِلِ ، فَصَحِبَ رَجُلًا يُكْنَى أَبَا هَارُونَ الْأَنْدَلُسِيَّ ، مُنْقَطِعًا
مُتَبَيِّلًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمْ يَرِ مِنْهُ كَبِيرٌ (٨) أَحْبَبَ فِي الْعَمَلِ ، فَبَيَّنَا أَبُو عِقَالٍ يَتَهَجَّدُ فِي

(١) يعنى أنَّ هذا المُلْكُ والبرَّ والنعم الذى كان فيه ذهب فى غمضة عين ، حين خسف الله به وبادره الأرض .

(٢) المطايا : الدواب التى تُسْتَطَى وتُرَكَّب . وأُسيْمُهَا ، أى : أَعْلَمُهَا بعلامات تميزها .. وفى « م » : « أُسْمِي »
أى : أَطْلُب .

(٣) الرُّفَات : الحُطَام ، والفُتَات من كل ماتكسَّرَ وَانْدَقَّ .

(٤) هكذا البيت فى « ط » .. يهد .. أنه بعد أن رحل أصحابه وإخوانه من الدنيا ، يرى نفسه غريباً بين جيل
يخالف جيله فى كثير من طبائعه وسجاياه .. وفى « م » : « أَعَايُنُ مَعْشَرًا لَهُمْ شُكُول » .

(٥) الفترة : الشباب بين طَوَرَيِ المراهقة والرجولة ، وتُطلق أيضاً على النجدة ، وعلى المسلك الذى ينمى لخلق
الشجاعة والنجدة فى الفتى .

(٦) فى « م » : « فَرَفَضَ الْأَهْلَ وَالْمَالَ وَالْوَطْنَ » .

(٧) هو : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التَّوَجِي ، الملقَّب بِسَخُونٍ ، قاضٍ وفقه ، انتهت إليه رئاسة العلم فى
المغرب .. كان زاهداً ، لا يهاب سُلْطَانًا فى حقِّه يقول .. وكان رفيع القَدْرِ ، عفيفاً ، أبى النَّفْسِ ، ولُقِّبَ « سَخُونِ »
باسم طائر بالمغرب يسمونه سَخُونًا لِحِدَّةِ ذُنُوبِهِ وذَكَاتِهِ .. وكانت ولادته أول ليلة من شهر رمضان سنة ١٦٠ هـ .
وتوفى فى يوم الثلاثاء لتسع خلُفُون من رجب سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨٢ ، والأعلام ج ٤ ص ٥] .

(٨) فى « م » : « كَبِيرٌ » بدل « كَبِير » .

بَعْضِ اللَّيَالِي وَأَبُو هَارُونَ نَأْتَمُّ إِذْ غَالَبَهُ النَّوْمُ ، فَقَالَ لِتَفْسِيهِ : يَا نَفْسُ ، هَذَا غَائِدٌ جَلِيلٌ
الْقَدَرِ ، يَتَأَمُّ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَأَنَا أَسْهَرُ اللَّيْلِ كُلَّهُ ، فَلَوْ أَرَحْتُ نَفْسِي [سَاعَةً كَانَ
خَيْرًا] ^(١) فَوَضَعَ جَنْبَهُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ شَخْصًا ، فَتَلَا عَلَيْهِ : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَعْيَاهُمْ
وَمَعَالَهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ^(٢) ، فَاسْتَيْقَظَ فَرَعَا ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ ، فَأَيَّقَظَ أَبَا هَارُونَ
وَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ ، هَلْ أَتَيْتَ كَبِيرَةً قَطُّ ؟ قَالَ : لَا يَأْبَى أَخِي ، وَلَا صَغِيرَةً عَنْ ^(٣)
تَعْمُدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . فَقَالَ أَبُو عَقَالٍ : لِهَذَا تَتَأَمُّ أَتَيْتَ وَلَا يَصْلُحُ لِمِثْلِي إِلَّا الْكُذُّ
وَالْاجْتِهَادُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ وَلَزِمَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ ، وَحَجَّ مَرَارًا ، وَأَرَى عَلَى عُبَادِ
الْمَشْرِقِ ^(٤) . وَكَانَ يَعْمَلُ بِالْقُرْبَةِ ^(٥) عَلَى ظَهْرِهِ بِقُوَّتِهِ ، وَمَاتَ بِمَكَّةَ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي
صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ سَنَةً سِتًّا وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَصْنَعُهُ يَوْمًا : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . فَقَالَ لَهُ ^(٦) بَعْدَ الْجَهْدِ بِهِ .
حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ إِنْ كَانَ ^(٧) لَكَ شَهْوَةٌ أُخْبِرْنِي بِهَا . قَالَ : نَعَمْ ، أَشْتَهِي أَنْ
أَكُلَ رَأْسًا . قَالَ : فَاشْتَرَيْتَ لَهُ رَأْسَيْنِ وَلَفَفْتُهُمَا فِي رُقَاقٍ ^(٨) وَجِئْتُهُ بِهِمَا ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ
بَعْدَ أَيَّامٍ : هَلْ طَابَ لَكَ الرَّأْسَانِ ؟ قَالَ : لَا ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَتَحْتُهُمَا فَإِذَا هُمَا مَحْشُرَانِ
دُودَا ، لَيْسَ فِيهِمَا أُنْبَتَةٌ لَحْمٍ إِلَّا الدُّودُ ، فَأَتَيْتُ الرَّأْسَ ^(٩) فَأُخْبِرْتُهُ ، فَأُطْرَقَ مُتَعَجِّبًا ^(١٠)

(١) مابن المعرفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) سورة الجاثية - الآية ٢١ . وقد وردت الآية بتمامها في « م » .. وفي « ط » وقف عند قوله تعالى :
الصالحات » وقال : إلى آخر الآية .

(٣) في « م » : « على » بدل « عن » .

(٤) وأرأى على عباد المشرق : أى زاد عليهم وفاقهم في العبادة .

(٥) في « م » : « بالقرب » .

(٦) « له » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) في « م » : « كانت » وكلاهما صواب .

(٨) أى : في شيء رقيق . أو : في خبز رقيق .

(٩) الرأس : بائع رعوس الحيوان .

(١٠) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « متعجباً » ، أى : حمله هذا الأمر على العجب منه .

ثُمَّ قَالَ : مَا ظَنَنْتُ أَنْ فِي زَمَانِنَا أَحَدًا يُحْمَى عَنِ الْحَرَامِ هَذِهِ الْحِمَايَةِ ، تِلْكَ الرُّءُوسُ كَانَتْ مِنْ غَنَمٍ انْتَهَبَهَا بَعْضُ الْعُمَالِ ، ثُمَّ أُعْطَانِي رَأْسَيْنِ مِنْ غَيْرِ تِلْكَ الْغَنَمِ ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا أَبَا عَقَالٍ فَأَكْلَهُمَا ، فَأَخْبِرْتُهُ بِمَا قَالَ الرَّأْسُ ، فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : يَارَبِّ ، مَا كَانَ يَسْتَحِقُّ عَبْدُكَ أَبُو عَقَالٍ مِثْلَ هَذِهِ الْحِمَايَةِ ، وَلَكِنَّهُ يَارَبِّ فَضْلُكَ وَكَرَمُكَ ، فَلَكَ عَلَى يَارَبِّ إِلَّا آكُلَ طَعَامًا بِشَهْوَةٍ أَشْتَهِيهَا حَتَّى الْقَاكُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَتْ لَهُ أُخْتُ مُتَعَبِدَةٌ ، فَلَمَّا مَاتَ لَحِقَتْ قَبْرَهُ بِمَكَّةَ وَبَكَتْ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتِ ^(١) :

لَيْتَ شِعْرِي مَا لَذِي عَايِنْتُهُ بَعْدَ دَوْمِ الصَّوْمِ مَعَ نَفِي الْوَسَنِ ^(٢)
 مَعَ غُرُوفِ النَّفْسِ عَنْ أُوطَارِهَا وَالتَّحْلِي عَنْ حَبِيبٍ وَسَكَنِ ^(٣)
 يَاشْتَقِقُ لَيْسَ فِي وَجْدِي بِهِ عِلَّةٌ تَمْنَعُنِي عَنْ أَنْ أُجِنَ ^(٤)
 وَكَمَا تَبْلَى وَجُودُ فِي الثَّرَى فَكَذَا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزَنُ ^(٥)

وَرَوَى ^(٦) أَنَّ رَجُلَيْنِ تَنَازَعَا فِي أَرْضٍ ، فَأُتِيَ اللَّهُ لَبَنَةً مِنْ جِدَارِ تِلْكَ الْأَرْضِ ، فَقَالَتْ ^(٧) :
 إِنِّي كُنْتُ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ ، مَلَكَتُ الدُّنْيَا أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ مِتُّ وَصِرْتُ رَمِيمًا ^(٨)

(١) في « م » : « وكتبت هذه الآيات على قبره » .

(٢) ليت شعري : لئني أعلم .. عايته : رأيته رأى العين . نفي الوسن : امتناع النوم ، والتعاس . وتطلق أيضاً على الحاجة .

(٣) غرُوف النفس عن أوطارها : انصرافها عن مآربها ومتطلباتها . وفي « م » : « وَوُطْنٌ » بدل « وَسَكَنٌ » ، وكلاهما بمعنى واحد .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يَاشْتَقِقُ » بالرفع ، وكلاهما صحيح .. وَوَجْدِي بِهِ : حُزْنِي عليه .. عِلَّةٌ : مرض أو سبب .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « وَجُوداً » بالنصب . ولعله خطأ من الناسخ . وَتَبْلَى : يبدل .

(٦) في « م » : « وَيُرَوَّى » .

(٧) في « م » : « فَقَالَ » .

(٨) الرقيم : البال من كل شيء .

أَلْفَ سَنَةٍ ، فَأَخَذْنِي خَزَافٌ وَأَخَذَنِي ^(١) خَزَفًا ، ثُمَّ أَخَذَنِي وَضَرَبَنِي لَبًا ، وَأَنَا فِي هَذَا
الْجِدَارِ [مُنْذُ] ^(٢) كَذَا وَكَذَا سَنَةً ، فَلِمَ تَتَنَازَعَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ؟
وَلِبَعْضِهِمْ ^(٣) :

أَلَا حَتَّى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَعَانِيَا لَيْسَنَ إِلَيَّ مِمَّا لَيْسَنَ اللَّيَالِيَا ^(٤)
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّقَاضِيَا ^(٥)
حَتَّتَكَ اللَّيَالِيَا بَعْدَ مَا كُنْتَ مُدَّةً بِمَسْوَى الْعَصَا لَوْ كُنَّ يَتَّقِينَ بَاقِيَا ^(٦)
وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَوَى فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، أَنَّ ابْنَةَ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ تَزَهَّدَتْ فِي الدُّنْيَا
[وَتَابَتْ] ^(٧) وَخَرَجَتْ مِنْ مُلْكِهَا ، فَفَقِدَتْ ، فَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا خَبَرٌ ، وَلَا عَلِمَ لَهَا أَثَرٌ ،
وَكَانَ هُنَاكَ دَيْرٌ لِلْمُتَعَبِّدِينَ ، فَلَحِقَ بِهِمْ شَابٌّ يَتَعَبَّدُ ، فَأَبْصَرُوا مِنْهُ مِنَ الْاجْتِهَادِ وَالْجِدِّ
فِي الْعَمَلِ ، وَمُلَازِمَةِ الْأَوْزَادِ ، وَمُواصَلَةِ الْأَعْمَالِ مَافَاقَ بِهِ جَمِيعَ مَنْ فِي الدَّيْرِ ، وَأَقَامَ
عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ ، وَوَفَّاهُ جِمَامُهُ ، فَقَضَى الْفَتَى نَحْبَهُ ^(٨)
فَحَزِنَ لَهُ أَهْلُ الدَّيْرِ مِنَ الزُّهَّادِ وَالْعَبَادِ وَالْمُنْقَطِعِينَ ، وَأَذْرَوْا عَلَيْهِ الدُّمُوعَ ^(٩) ، ثُمَّ أَخَذُوا فِي

(١) الخَزَافُ : بائع الخزف أو صانعه . والخَزَفُ : ما عُمِلَ مِنَ الطِينِ وَشَوِيَ بِالنَّارِ فَصَارَ نَحْزَارًا .
وَاللَّبُّ : مَا يُعْمَلُ مِنَ الطِينِ وَيَتَّبَى بِهِ ، وَاحِدَتُهُ : لَبَنَةٌ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ عَنْ « م » .

(٣) مِنْ هُنَا إِلَى نِهَايَةِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ عَنْ « م » وَلَمْ تَرِدْ فِي « ط » .. وَالْآيَاتُ لِأَيِّ حَيَّةِ التَّمَرِي : الْهَيْمُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ
زُرَّارَةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بْنِ عَامِرٍ ، شَاعِرٌ فَصِيحٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَمِنْ مُحَضَّرِي الدُّوَلَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ ، مَدَحَ خُلَفَاءَ
عَصْرِهِ فِيهَا ، وَقِيلَ فِي وَصْفِهِ : كَانَ أَهْوَجَ (بِه لُؤْنَةٌ) جَبَانًا ، بَحِيلًا .. كُذِّبًا .. تَوَفَّى سَنَةَ ١٨٣ هـ .

وَقِيلَ : مَاتَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ الْمَنْصُورِ ١٥٨ هـ . وَقَالَ الْبَغْدَادِيُّ : تَوَفَّى سَنَةَ بَضْعَ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً .
[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، وَالْأَغَانِي ج ١٧ ص ٦١٣٢ - ٦١٣٧ ، وَطَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ
ص ١٤٣ - ١٤٦ ، وَالشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ج ٢ ص ٧٧٤ ، ٧٧٥]

(٤) الْمَعَانِيَا : الْمَنَازِلُ الَّتِي كَانَ بِهَا أَهْلُهَا ، ثُمَّ رَحَلُوا عَنْهَا .. وَهَكَذَا وَرَدَ الْبَيْتُ وَالَّذِي يَلِيهِ فِي « م » ، وَالْأَغَانِي ج ١٧ ،
وَطَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ ص ١٤٤ .. أَمَّا فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ص ٧٧٥ فَفِيهِ : « مِنْ بَعْدِ الْحَبِيبِ » بِدَلِّ « مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ » .
(٥) تَقَاضَى الْمَرْءُ ، طَلَبَهُ أَوْ أَقْبَاهُ .

(٦) يَعْنِي هَذَا الْبَيْتُ أَنَّ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَّاتِ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مَحْبِيْنًا الظُّهْرَ وَالْقَامَةَ ، بَعْدَمَا كَانَ مِثْلَ الْعَصَا فِي الْاسْتِقَامَةِ
وَالْإِسْتَوَاءِ ، وَقَدْ يُزَادُ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ . وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَرِدْ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٨) الْجِمَامُ : قَضَاءُ الْمَوْتِ وَقَدْرُهُ .. وَقَضَى الْفَتَى نَحْبَهُ : مَاتَ .

(٩) أَذْرَوْا عَلَيْهِ الدُّمُوعَ : أَسْأَلُوهَا .

غَسَلِهِ ، فَإِذَا ^(١) هُوَ امْرَأَةٌ ، فَحَصَصُوا ^(٢) عَنْ أَمْرِهِ ، فَإِذَا هِيَ بِنْتُ الْمَلِكِ ، فَرَادَهُمْ ذَلِكَ
إِعْجَابًا بِهِ ، وَتَعْظِيمًا لَهُ ^(٣) ، وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ : مَاذَا يُخْدِتُونَ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، ثُمَّ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمُ الْإِيدِنْفُوها نَحْتِ الثَّرَى ، وَأَنْ يَحْمِلُوهَا فَوْقَ أَكْفِهِمْ ، فَعَسَلُوهَا وَكَفَّنُوهَا
وَجَهَّزُوهَا وَصَلُّوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَحْمِلُونَهَا عَلَى الْأَكْفِ وَالسَّوَاعِدِ ، كُلُّمَا ضَجَرَ وَاحِدٌ
جَاءَ وَاحِدٌ يَحْمِلُ مَعَ مَنْ يَحْمِلُ ، وَكُلٌّ مَنِ انْقَطَعَ فِي الدَّيْرِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ جَعَلَ يَحْمِلُ مَعَهُمْ
إِلَى أَنْ يَلَيْثَ ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهَا مَعَ طُولِ الزَّمَانِ ، فَذَفِنْتُ حَبِيبَتِي ^(٤) ، رَحْمَةُ اللَّهِ
عَلَيْهَا .

وَكَانَ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، مِمَّا بَلَى أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ ، رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ ، بَلَغَ ^(٥) فِي التَّحَلُّي
مِنَ الدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا ، وَاعْتَزَلَ الْخَلْقَ ، وَالتَزَمَ ^(٦) قُلُلَ الْجِبَالِ وَالسِّيَاحَةِ فِي الْأَرْضِ إِلَى
الْعَالِيَةِ الْقُصْوَى ، فَوَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ هُودٍ ^(٧) فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَأَكْرَمَهُ ابْنُ هُودٍ ،
ثُمَّ أَخَذَ يَبْدِيهِ ، وَجَعَلَ يَعْزِضُ عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ ، وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَّثُهُ مِنْ

(١) فِي ط : : : وَإِذَا فِي الْمَوْضِعِ .

(٢) فِي م : : : فَحَصَصُوا : أَيْ : تَبَيَّنُوا .

(٣) سَقَطَتْ لَهُ ، مِنْ م : وَكَذَلِكَ : فِي أَمْرِهِ : بَعْدَهَا .

(٤) هَكَذَا فِي ط : : : وَفِي م : : : ثُمَّ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى الْإِيدِنْفُوها نَحْتِ الثَّرَى ، وَأَنْ يَحْمِلُوهَا فَوْقَ أَكْفِهِمْ ،
فَعَسَلُوهَا وَكَفَّنُوهَا وَصَلُّوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَحْمِلُونَهَا عَلَى الْأَكْفِ وَالسَّوَاعِدِ ، كُلُّمَا ضَجَرَ وَاحِدٌ جَاءَ وَاحِدٌ يَحْمِلُ مَعَ مَنْ
يَحْمِلُ ، وَكُلٌّ مَنِ انْقَطَعَ مِنَ الدَّيْرِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ يَحْمِلُ مَعَهُمْ إِلَى أَنْ يَلَيْثَ وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهَا مَعَ طُولِ الزَّمَانِ فَذَفِنْتُ
حَبِيبَتِي .

(٥) فِي ط : : : قَدْ بَلَغَ .

(٦) التَزَمَ الْأَمْرَ أَوْ الشَّيْءَ : أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ .. وَفِي م : : : لَزِمَ ، وَهِيَ بِمَعْنَاهَا ، يُقَالُ : لَزِمَ الشَّيْءُ : تَعَلَّقَ بِهِ .

(٧) هُوَ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هُودٍ ، مُؤَسِّسُ دَوْلَةِ آلِ هُودٍ : مِنْ مُلُوكِ الطُّوَلُوفِ فِي الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ
مَقِيمًا فِي ثُطَيْلَةَ ، وَمَعْلُودًا مِنْ كِبَارِ الْجَنْدِ ، فَلَمَّا اضْطَرَبَ أَمْرُ الْأُمَوِيِّينَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا سَنَةَ ٤١٠ هـ وَتَلَقَّبَ
بِالْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ ، وَتَمَلَّكَ لِأَزْدَةِ ، ثُمَّ سَرَقَسْطُهُ سَنَةَ ٤٣١ هـ ، وَانْتَظَمَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَضَخَمَ مُلْكُهُ ، فَقَسَّمْ بِلَادَهُ
عَلَى أَبْنَائِهِ ، فَجَعَلَ لِكُلِّ مِنْهُمْ وَلايَةً ، وَكَانُوا خَمْسَةً ، وَاسْتَمَرَّ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٤٣٨ هـ . وَمِنْ أَبْنَائِهِ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ
أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هُودٍ ، رَابِعُ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْهُودِيَّةِ ، وَاتُّوَفِيَ سَنَةَ ٥٠٣ هـ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ١ ص ٢٧٣ وَج ٣ ص ١٣٢] .

الْبَيْضَاءِ وَالْحُمْرَاءِ ، وَأَحْجَارِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوَاهِرِ ، وَأَمْثَالِهَا ، وَتَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ ^(١) ،
وَالْجَوَارِي ، وَالْحَشَمِ ، وَالْأَجْنَادِ ، وَالْكَرَاجِ ^(٢) وَالسَّلَاحِ ، فَأَقَامُوا فِي ذَلِكَ أَيَّامًا ، فَلَمَّا
انْقَضَتْ ^(٣) قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ مُلْكًا ، وَلَكِنَّهُ ^(٤) يُعْزِزُكَ فِيهِ
حَصْنَةٌ ، إِنْ أَنْتَ قَدَّرْتَ ^(٥) عَلَيْهَا فَيَعْبُدُهَا نِظَامَ مُلْكِكَ ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهَذَا الْمَلِكُ
لَا مَسَاءَةَ ^(٦) . قَالَ : وَمَا تِلْكَ الْحَصْنَةُ ؟ قَالَ تَعْمِدُ فَتَصْنَعُ ^(٧) غِطَاءً عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا ،
وَتَكُونُ بِسَاحَتِهِ قَدْرَ الْبَلَدِ ، ثُمَّ تَكْبُهُ ^(٨) عَلَى الْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلِكُ الْمَوْتِ مَدْخَلًا
إِلَيْكَ . فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَوْ يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ الْعِلْجُ ^(٩) :
يَا هَذَا ، أَتَفْتَخِرُ بِأَمْرِ تَتْرُكُهُ غَدًا ؟ وَمِمَّا لَمْ يَفْتَخِرْ بِمَا ^(١٠) يَفْنَى كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَرَاهُ
فِي النَّوْمِ .

وَرَوَى ^(١١) أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ بَنَى قَصْرًا وَقَالَ : انْظُرُوا مِنْ عَابٍ مِنْهُ شَيْئًا
فَأَصْلِحُوهُ وَأَعْطُوهُ دِرْهَمَيْنِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فِي هَذَا الْقَصْرِ عَيْبَيْنِ ^(١٢) ، قَالَ :
وَمَا هُمَا ؟ قَالَ : يَمُوتُ الْمَلِكُ وَيَحْرُبُ الْقَصْرُ ، قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ
وَتَرَكَ الدُّنْيَا .

(١) الأعلاق : الأشياء النفيسة التي يتعلق بها القلب .

(٢) الكرّاج : اسم يجمع الخيل والسلاح .

(٣) في م : انقضت .

(٤) في م : ولكنك .. ويعززك : بنقصك ، أو تحتاج إليه .. والحصنة : حلق في الإنسان يكون فضيلة أو رذيلة .

(٥) في م : اقتدرت ، وكلاهما بمعنى واحد .

(٦) في م : شبه لاشيء .

(٧) في م : توضع .

(٨) تكبّه : تغطيه .

(٩) العيلج : كل جاف شديد من الرجال . وبعض العرب يطلقونه على كل من يخالف دين الإسلام ، وعلى الرجل الضخم من كفّار العجم . ويطلق على الكفار مطلقاً .

(١٠) في م : يمتن .

(١١) في م : وروى .

(١٢) في م : فقال له : في هذا القصر عيبان .

وَمِنْ عَجَائِبِ أَخْبَارِ الْخَضِيرِ ^(١) عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالُوا : سِئَلِ الْخَضِيرُ [عَلَيْهِ
السَّلَامُ] ^(٢) عَنْ أَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا فِي طُولِ سِيَاحِكَ ، وَكَثْرَةِ خَلُوتِكَ ،
وَقَطْعِكَ الْفَقَارَ وَالْفَلَوَاتِ . قَالَ ^(٣) : أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُهُ أَنِّي مَرَرْتُ عَلَى مَدِينَةٍ لَمْ أَرْ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ : مَتَى يُبْنَى هَذِهِ الْمَدِينَةُ ؟ قَالُوا ^(٤) :
سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أُجْدَادُنَا مَتَى يُبْنَى هَذِهِ الْمَدِينَةُ ، وَمَا زَالَتْ كَذَلِكَ مِنْ
عَهْدِ الطُّوفَانِ ، ثُمَّ غِبْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، وَعَبَّرْتُ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ ،
فَإِذَا ^(٥) هِيَ خَالِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، وَلَمْ أَرْ أَحَدًا أَسْأَلُهُ ، وَإِذَا رِعَاةُ غَنَمٍ ، فَذَنُوتُ مِنْهُمْ ،
فَقُلْتُ : أَيُّنَ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟ قَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ : مَا يَذْكُرُ ^(٦) آبَاؤُنَا
وَلَا أُجْدَادُنَا أَنَّهُ قَطُ كَانَتْ هَاهُنَا مَدِينَةٌ . فَبَيْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ
اتَّهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا مَوْضِعُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ^(٧) بَحْرٌ ، وَإِذَا غَوَاصُونَ يُخْرِجُونَ مِنْهُ شِبْهَ
الْجَلْبَةِ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ الْقَوَاصِينَ : مُنْذُ كَمْ كَانَ ^(٨) هَذَا الْبَحْرُ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ
اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ ^(٩) آبَاؤُنَا وَلَا أُجْدَادُنَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ مُنْذُ بَعَثَ اللَّهُ الطُّوفَانَ . ثُمَّ غِبْتُ
عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ اتَّهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا ^(١٠) ذَلِكَ الْبَحْرُ قَدْ غَاصَ
مَآؤُهُ ^(١١) ، وَإِذَا مَكَائِهِ غِيضَةٌ مُلْتَفَّةٌ بِالْقَصَبِ وَالْبَرْدَى وَالسَّبَّاحِ ، وَإِذَا صَيَّادُونَ يَصِيدُونَ

(١) هو : عبد صالح ، وقيل نبي مُعَمَّر ، وهو صاحب موسى ، عليه السلام ، الذي لقيه بجميع البحرين ،
وحدثت بينهما أحداث عجيبة ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ (الآيات من ٦٠ - ٨٢) وَيُضْتَرَبُ بِهِ الْمَثَلُ
فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) في « م » : « فقال » .

(٤) في « م » : « فقالوا » .

(٥) في « ط » : « وإذا » .

(٦) في « ط » : « ما يذكرك » .

(٧) في « م » : « اللبنة » بدل « المدينة » .

(٨) سقطت « كان » من « م » .

(٩) في « ط » : « ما يذكرك » .

(١٠) في « ط » : « وإذا » .

(١١) غاص مآؤه ، أى : نزل في الأرض وغاب فيها . والغِيضَةُ : اللوزع يكثر فيه الشجر ويلتف . وفي
« م » : « الغيلة ، بالطاء ، وهى : المنخفض الواسع من الأرض .

السَّمَكِ فِي زُرَّارِقٍ صِغَارٍ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ الْبَحْرُ الَّذِي كَانَ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أُجْدَادُنَا أَنَّهُ كَانَ هَاهُنَا ^(١) بَحْرٌ . فَبَيَّضْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ
 خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ ^(٢) ، فَإِذَا هُوَ مَدِينَةٌ عَلَى حَالَتِهَا ^(٣) الْأُولَى ،
 وَالْحُصُونُ وَالْقُصُورُ وَالْأَسْوَاقُ قَائِمَةٌ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ الْغَيْضَةُ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟
 وَمَتَى بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ ؟ فَقَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ أَحَدٌ ^(٤) إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ
 عَلَى حَالِهَا مُنْذُ بَعَثَ اللَّهُ الطُّوفَانَ . فَبَيَّضْتُ عَنْهَا ^(٥) نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ
 إِلَيْهَا ، فَإِذَا عَلَيْهَا سَافِلُهَا ، وَهِيَ تَذَخِنُ بِدُخَانٍ شَدِيدٍ ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَسْأَلُهُ ، ثُمَّ رَأَيْتُ
 رَاعِيًا فَسَأَلْتُهُ : أَيْنَ الْمَدِينَةُ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟ وَمَتَى حَدَثَ هَذَا الدُّخَانُ ؟ فَقَالَ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أُجْدَادُنَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ كَانَ هَكَذَا مُنْذُ كَانَ .
 فَهَذَا أُعْجِبُ شَيْءَ رَأْيَتِي فِي سِيَاحَتِي فِي الدُّنْيَا . فَسُبْحَانَ مُبِيدِ الْعِبَادِ ، وَمُفْنِي الْبِلَادِ ،
 وَوَارِثِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا . [وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ] ^(٦) .

قَالَ الشَّاعِرُ ^(٧) :

قَفَّ بِالذِّبَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ نَبَكَى الْأَجْبَةَ حَسْرَةً وَشَوْقًا ^(٨)
 كَمْ قَدْ وَقَفْتُ بِهَا أَسْأَلُ مُخْبِرًا عَنْ أَهْلِهَا، أَوْ نَاطِقًا، أَوْ مُشْفِقًا ^(٩)

(١) في ط : : هَاهُنَا قَطْ .

(٢) في م : : الْمَوْضِعُ .

(٣) في ط : : حَالَهُ .

(٤) في م : : مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أُجْدَادُنَا .

(٥) في م : : فَبَيَّضْتُ عَنْهَا .

(٦) مابين المعوقين عن ط : وساقط من م .

(٧) في ط : : قَالَ ، وَالْأَيَّاتُ الثَّلَاثَةُ بَعْدَهَا وَرَدَتْ فِي « حُلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ » (ج ١٠ ص ٣٤٨) فِي تَرْجُمَةِ أَبِي

عَمْدِ الْجَرِيرِيِّ .. وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادِ (ج ٤ ص ٤٣٣) .. وَطَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ (ص ٢٦٤) .

(٨) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي م ، وَ ط : وَطَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَالْحُلِيِّ .. وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادِ : : نَبَكَى ، بِالنُّونِ .

(٩) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي م : ر ط : .. وَفِي الْمَصَادِرِ الثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ وَرَدَتْ ، صَادِقًا ، بِدَلْ ، نَاطِقًا .

فَأَجَانِي دَاعِي الْهَوَى فِي رَسِيمِهَا فَأَرَقْتُ مَنْ تَهَوَّى فَعَزَّ الْمُلتَقَى ^(١)
وَسَمِعْتُ بِالْعِرَاقِ مُنْشِدًا يَنْشِدُ ^(٢) :

أَيُّهَا الرَّبُّعُ الَّذِي قَدْ دَثَرَا كَانَ عَيْنَا نُمُّ أَضْحَى أَثَرَا
أَيَّنْ سُكَاثُكَ مَاذَا فَعَلُوا خَيْرًا عَنْهُمْ سَقِيَتِ الْمَطَرَا
وَلَقَدْ نَادَى مُنَادِيهِمْ لَنَا رَحَلُوا وَاسْتَوْدَعُونِي عِبَرَا

وَمِنَ الشَّعْرِ الْمُسْتَحْسَنِ فِي هَذَا الْبَابِ ^(٣) قَوْلُ الْقَائِلِ :

رُبُّ وَرَقَاءٍ هَتُوفٍ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ ^(٤)
ذَكَرْتُ إِلْفًا وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي ^(٥)
فَبَكَتْ رُبَّمَا أَرْقَهَا وَيُبَاكَهَا رُبَّمَا أَرْقَنِي ^(٦)
فَإِذَا تُسْعِدُنِي أَسْعِدَهَا وَإِذَا أُسْعِدَهَا تُسْعِدُنِي ^(٧)

(١) هكذا في م و ط ، والمصادر السابقة ، ماعدا الخلية ، فقد جاءت كلمة « رسمها » بدل « رسمها » ، والأخيرة أنسب في المعنى ، وأصل الرُّس : الضراب الذي يُخْشَى على القبر ، أو ما يُدْفَنُ وتُسَوَّى عليه الأرض . أما الرسم ، فهو الأثر الباقي من الدار بعد أن عَفَتْ وَدَسَّتْ .

(٢) من هنا إلى آخر الأبيات الثلاثة الآتية عن م و ط ، ولم ترد في ط .

(٣) في ط : « في هذه الأبيات » بدل « في هذا الباب » .

(٤) الورقاء : الحمامة ، وقد شبه بها ابن سينا النفس حيث قال :

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتِ تَمَزُّزٍ وَمَنْعِ

وهتوف : وصف للمبالغة ، يستوى فيه المذكر والمؤنث ، أى : كثرة الهتاف والهديل .. والشجو : الحزن يقال : شجاء تذكر الإلف : شوقه وهيج حزنه . والفن : غصن الشجرة ، جمعه : أفنان .

[انظر إحياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٣٢٥ ط الدار المصرية اللبنانية .. وحياة الحيوان الكبرى للدميري ج ٢ ص ٤١٦ ط مصطفى الخليلي ، وكتاب التعريفات للجرجاني ص ٣٢٥ مادة : ورقاء] .

(٥) هكذا البيت في م و ط .. وعند الدميري : « وَخِلْنَا صَالِحًا » وكلاهما بمعنى واحد تقريباً ، فالإلف : المؤلف والمحبوب .. والخِلْن : الصديق .

(٦) أَرْقَهَا : جعلها لائتنام .

(٧) هكذا البيت في م و ط .. ولم يرد في المرجعين السابقين .

وتسعدنى : تعاوننى ، يقال : أَسْعَدَتِ الثَّلَاثَةُ الثَّكَلَى : أعانتها على البكاء والتوجع .

وَلَقَدْ تَشْكُرُ فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَشْكُرُ فَمَا تَنْهَمُنِي ^(١)
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أُعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تُعْرِفُنِي ^(٢)

وَنَظَرَ رَجُلٌ مِنَ الْعَبَادِ إِلَى بَابِ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَقَدْ شَيْدَهُ وَأَثَقَنَهُ وَزَوَّقَهُ ، فَقَالَ :
بَابٌ جَدِيدٌ ^(٣) وَمَوْتُ عَتِيدٌ ، وَنَزْعٌ شَدِيدٌ ، وَسَفَرٌ بَعِيدٌ .

وَلَمَّا نَقَلَ ^(٤) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رَأَى غَسَّالًا يَلْوِي بِيَدِهِ ثَوْبًا ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي
كُنْتُ غَسَّالًا لِأَعِيشُ إِلَّا بِمَا أَكْتَسَبْتُهُ ^(٥) يَوْمًا فَيَوْمًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَازِمٍ ^(٦) ، فَقَالَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَتَمَنُّونَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَائِخُنُ فِيهِ ^(٧) وَلَا تَتَمَنَّى عِنْدَهُ مَا هُمْ فِيهِ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ،
وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَقَلْبٍ لَا يَحْشَعُ ، وَعَيْنٍ لَا تَحْصَعُ » ، هَلْ يَتَوَقَّعُ ^(٩) أَحَدُكُمْ مِنْ

(١) هكذا البيت في (م) و (ط) .. وعند الديمري وفي الإحياء ورد هكذا :

« ولقد أشكرو فَمَا أَفْهَمُهَا وَلقد تشكرو نَمَا تنهمني »

(٢) الْجَوَى : اشتداد الوجْد : من عَشِقَ أَوْ حَزَنَ .

(٣) في (ط) : « حديد ، بالخاء المعجمة .. وموت عتيد ، أى : مُهَيَّأً وحاضِرٌ .

(٤) ثَقُلَ : اشتد مرضه .

(٥) في (ط) : « اكتسبه »

(٦) هو : أبو حازم المدني ، سلمة بن دينار ، ويقال له : الأعرج .. كان عالِمَ المدينة وفتيها ، وقاضياً
وشيخها ، وكان زاهداً عابداً ، كبير القدر ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك لثأنيته ، فقال : « إن كاثت له حاجة
فليأت ، وأما أنا فما لى إليه حاجة » . وقال هشام لأبى حازم : ما النجاة من هذا الأمر ؟ (يعنى المُلْكُ)
قال : « هَين .. لا نَأْخُذُ شَيْئاً إِلَّا مِنْ جُلْه ، ولانضنه إِلَّا فى حقهِ » .

ومناقب أبى حازم كثيرة .. تولى - رحمه الله - سنة ١٤٠ هـ

[انظر ترجمته فى حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٥٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، والأعلام
ج ٣ ص ١٣٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٩] وقال ابن كثير [فى البداية والنهاية ج ٩ ص ٧٧ :
« لما احتضر عبد الملك ، أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فُتِحَتْ سمع قَصَّارًا بالردى (القَصَّار : مُحَوِّر الثياب
ومبيضها) فقال : يا ليتنى كُنتُ قَصَّارًا أعيش من عمل يدى ، فلما بلغ سعيد بن المسيَّب قوله قال : الحمد لله الذى
جعلهم عند موتهم يفرّون إلينا ولا يفرّون إليهم » والجدير بالذكر أن أبى حازم سمع سعيد بن المسيب وأخذ عنه .

(٧) في (م) : « جعلهم عند الموت يتمنون » .

(٨) في (م) : « وقال الرسول عليه السلام » .

(٩) في (م) : « ما يتوقع » ، و « هل » هنا بمعنى « ما » .

الدُّنْيَا إِلَّا غَنَى مُطْعِمًا ؛ أَوْفَقَرًا مُنْسِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا ^(١) ، أَوْ الدُّجَالَ ،
وَالدُّجَالَ ^(٢) شَرُّ غَائِبٍ يُتَنَظَّرُ ، أَوْ السَّاعَةِ ، وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ^(٣) .

وَقَالَ عِمْسَى ^(٤) عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَوْحَى اللَّهُ [تعالى] ^(٥) إِلَى الدُّنْيَا : « مَنْ خَدَمَنِي
فَأَخْدَمَنِي ، وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَحْدَمَنِي ^(٦) يَا دُنْيَا تَمَرَّرِي عَلَى أَوْلِيَائِي وَلَا تَحْلُولِي لَهُمْ
قَفَنِيهِمْ » ^(٧) .

وَقَالَ مُورِقُ الْعِجْلِيِّ ^(٨) : يَا بَنَ آدَمَ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ تُؤْتَى بِرِزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ ^(٩) ،
وَيَقْصُصُ عُمَرُكَ وَأَنْتَ لَا تَحْزَنُ ، تَطْلُبُ مَا يُطْفِئُكَ ، وَعِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ ، لِإِبْقَالِ تَقْنَعُ
وَلَا بِكَثِيرٍ تُشْبِعُ .

(١) هَرَمًا مُفَنِّدًا : كَبِيرًا وَضَعْفًا فِي الرَّأْيِ .

(٢) في م : « فالدجال » .

(٣) الحديث رَوَى مُجْتَزِعًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ - يشرح النووي - فِي بَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ج ٥ ص ٨٧ ،
وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ مُجْتَزِعًا أَيْضًا فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ الْإِسْتِزَاعَةِ ج ٨ ص ٢٥٤ وَمَابَعْدَهَا ، يشرح جلال الدين السيوطي ،
وَأوردته الترمذي فِي صَحِيحِهِ مُجْتَزِعًا فِي أَبْوَابِ الدُّعَاءِ ج ١٣ صَفَحَاتٍ مَنفُوقَةٍ - وَابْنُ مَاجَةٍ فِي سُنَنِهِ ج ١ ص ٩٢ ،
وَالْمُنْفَرَى فِي التَّرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ - عَنْ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ - وَفِيهِ : « قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ » ج ١ ص ١٢٤ ط
الدار المصرية اللبنانية ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، ج ٤ ص ٣٦٢ .. وَوَرَدَ الْحَدِيثُ كَامِلًا فِي أَدَبِ
الدُّنْيَا وَالدِّينِ لِلْمَوَارِدِيِّ ص ١٤٤ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٤) في م : عِمْسَى بْنُ مَرِيَمَ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّفَتَيْنِ عَنْ م .

(٦) فَاسْتَحْدَمَنِي أَيْ : اتَّخَذَنِي خَادِمًا .

(٧) هَكَذَا فِي ط ، وَتَمَرَّرِي .. وَلَا تَحْلُولِي : أَيْ حَيَّرِي مُرَّةً وَلَا تَكُونِي ذَاتَ حُسْنٍ وَحِلَاوَةٍ .. وَفِي
م : « تَمَرَّرِي عَلَى أَوْلِيَائِي وَلَا تَحْلِي لَهُمْ » أَيْ : أَذْهَبِي عَنْهُمْ وَتَجَاوِزِيهِمْ .

(٨) هَكَذَا فِي م وَالْحَلِيَةِ ، وَالْمَغْنَى ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشْمِيرِيَّةُ .. وَفِي ط : « مُورِقٌ بِالْهَمْزِ ، وَهُوَ : مُورِقُ بْنُ
الْمُشْتَرِجِ (بِالْجِيمِ الْمُجْمَعَةِ) .. وَفِي الْحَلِيَةِ : مُشْتَرِجٌ (بِالْهَاءِ الْمُجْمَعَةِ) الْعِجْلِيُّ .. كَانَ زَاهِدًا وَتَقِيًّا وَرِعًا ، وَكَانَ
يَقُولُ : « لَوْ كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ فِينَا مَا يَرَوْنَ فِيمَنَا لَمَا قَعَلُوا إِلَيْنَا » . وَكَانَ يَطْلُفُ فِي إِدْخَالِ الرِّفْقِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، يَضَعُ
عِنْدَهُمْ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَيَقُولُ : أَسْكُوهُا عِنْدَكُمْ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ .. ثُمَّ يَرْسِلُ إِلَيْهِمْ : أَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْهَا .. وَلَهُ أَحَادِيثُ
عَنْ عِدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ : أَبُو ذَرٍّ ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

[انظر الحلية لأبي نعيم ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٧ ، وَالْمَغْنَى فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ ص ٢٤٣ ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشْمِيرِيَّةُ
ص ٥٠٣] .

(٩) في ط : « يُؤْتَى بِرِزْقِكَ وَتَحْزَنُ » .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ ^(٢) : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَيَّامَ تُطَوَّرُ ، وَالْأَعْمَارَ تُفْنَى ، وَالْأَبْدَانُ فِي الثَّرَى تُبْلَى ، وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَكَضَانِ تَرَكَضَ الْبَرِيدِ ^(٣) ، يُقْرَبَانِ كُلُّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلَقَانِ ^(٤) كُلُّ جَدِيدٍ ، وَفِي ذَلِكَ عِبَادَ اللَّهِ ^(٥) . مَا أَلْهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَرَغَبَ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ ، كُلَّمَا أَزْدَادَ صَاحِبُهُ شَرًّا أَزْدَادَ عَطَشًا ، وَكَالْكَأْسِ مِنَ الْعَسَلِ ، فِي أَسْفَلِهِ ^(١) السَّمُّ الدُّعَافُ ، فَلِلذَّائِقِ ^(٢) مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ ، وَلَهُ فِي أَسْفَلِهِ الْمَوْتُ الدُّعَافُ ، وَكَالْخَلَامِ النَّائِمِ ^(٣) الَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرَحُ ، وَكَالْبَرِّقِ الَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا ^(٤) وَيَبْقَى رَاجِيهِ ^(٥) فِي الظَّلَامِ مُقِيمًا ، وَكَالدُّودَةِ الْإِبْرَيْسِمِ ^(٦) الَّتِي لَا يَزْدَادُ الْإِبْرَيْسِمُ عَلَى نَفْسِهَا لَفًا إِلَّا أَزْدَادَتْ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدًا ، وَفِيهِ قَالَ الْقَائِلُ ^(٧) :

(١) في م : : : النسي .

(٢) في ط : : : خطبه .

(٣) يترأكضان تراكض البريد ، أى : يسرعان كإسراع الدَّابَّةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْبَرِيدَ .

(٤) يُخْلَقَانِ : يُبَيَّنَانِ .

(٥) أى : ياعباد الله .

(٦) هكذا في م : و ط : ، والصواب : أسفلها ، لأن الكأس مؤنثة .

[انظر اللسان والوسيط وغيرهما من المعاجم مادة كأس] .

(٧) هكذا في م : .. وفي ط : : : السَّمُّ ، للذَّائِقِ ، ولم ترد فيها كلمة « الدُّعَافُ » . والسَّمُّ الدُّعَافُ : الَّذِي يَقْتُلُ مِنْ سَاعَتِهِ .

(٨) في ط : : : وكالْخَلَامِ النَّائِمِ .

(٩) هكذا في ط : .. وفي م : : : وشدأ : لامعنى لها .

(١٠) أى : الَّذِي يُؤْمَلُ أَنْ يَعُودَ لَيْسَ فِي ضَوْئِهِ . وفي ط : : : رائيهِ .

(١١) أى : كدودة الحرير « القز » وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ وَيَنْفَعُ غَيْرَهُ ، يُقَالُ : « مَا فُلَانٌ إِلَّا دُودَةٌ قَز » وَقَدْ مُثِّلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ابْنَ آدَمَ ، بِدُودِ الْقَزِ ، لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَنْسُجُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ جَهْلِهِ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مُخْلَصٌ ، فَيَقْتُلُ نَفْسَهُ ، وَيَصِيرُ الْقَزُ لِنُفْسِهِ ، وَرَبَّمَا قَتَلَهُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ نَسْجِهِ ، لِأَنَّ الْقَزَ يَلْتَفُّ عَلَيْهِ ، فَيُورِثُ الْخُرُوجَ عَنْهُ فَيَسْمُو ، وَرَبَّمَا غُيِّرَ بِالْأَيْدِي حَتَّى يَمُوتَ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْطَعُ الْقَزَ صَحِيحًا ، فَهَذِهِ صُورَةُ الْمَكْتَسِبِ الْجَاهِلِ الَّذِي أَهْلَكَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَتَنَعَّمَ وَرَثَتُهُ بِمَا شَقِيَ هُوَ بِهِ .

[انظر الدميري : حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٤٨٧ ، وثمار القلوب للتحالبي ص ٤٣٤] .

(١٢) هو : أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ . وُلِدَ فِي بُسْتٍ قَرِبَ سَجِسْتَانَ ، وَإِلَيْهَا نَسَبُهُ ، كَانَ شَاعِرَ عَصْرِهِ وَكَاتِبَهُ ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ الدُّوَلَةِ السَّامَانِيَةِ فِي خِرَاسَانَ .. مَاتَ غَرِيبًا فِي بَلَدَةِ « أَوْزَجَنْد » بِبِخَارَى ، سَنَةِ ٤٠٠ هـ أَوْ ٤٠١ هـ .

كَدَوْدَ كَدَوْدِ الْفَرِّ يَنْسِجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ عَمَّا وَسَطَ مَا هُوَ تَاسِجُهُ ^(١)

وَمِثَالُ مَنْ يَسْتَعِجِلُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَيُعْرِضُ عَنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، بِمِثَالِ رَجُلَيْنِ لَقَطَا مِنْ الْأَرْضِ حَبْنِي عِنَبٍ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَجَعَلَ يُمَصُّ الْحَبَّةَ الَّتِي دَاذَا بِهَا ، ثُمَّ بَلَعَهَا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَرَزَعَ الْحَبَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ زَمَانٍ التَّفَتَّى ، فَأَمَّا الَّذِي رَزَعَ الْحَبَّةَ [وَجَدَهَا] ^(٢) قَدْ صَارَتْ لَهُ كَرَمًا ، وَكَثُرَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَفَكَرَّ الْآخَرُ فِي صَنْعِهِ فِي الْحَبَّةِ فَوَجَدَهَا قَدْ صَارَتْ عَذْرَةً ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ ^(٣) إِلَّا الْحَسْرَةَ عَلَى تَقْرِيطِهِ ، وَالْغَيْبَةَ ^(٤) لِصَاحِبِهِ .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٥) : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ مَعِيَ فِي حَضْرَةِ الْقُدُسِ فَكُنْ فِي الدُّنْيَا وَحِيدًا فَرِيدًا ، مَهْمُومًا وَخَشِيئًا ، بِمَنْزِلَةِ الطَّيْرِ الْوَحْدَانِيِّ الَّذِي يَظُلُّ فِي الْأَرْضِ الْفَلَاةِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ رُغُوسِ الشَّجَرِ ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الْغُيُورِ ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَى وَخَذَهُ وَلَمْ يَأُوْ مَعَ الطَّيْرِ اسْتِغْنَا سَا بَرِيَّهُ . وَلِبَعْضِهِمْ :

كَمْ لِلْحَوَادِثِ مِنْ صُرُوفٍ عَجَائِبَ وَتَوَائِبِ مُوصُولَةٍ بِتَوَائِبِ ^(٦)

= [انظر الدميري - المرجع السابق ، وانظر الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٧٨] .
(١) كَدَوْدُ : يعمل مجد واجتهاد ، ولا يتوانى في عمله ، والكدود من الرجال : الذي لا يتألم خيره [لا يفسر . وقيل هذا البيت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَرَّةَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرِ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ

[الدميري - المرجع الأسبق] .

(٢) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٣) في « م » : « شيفا » بالنصب ، خطأ ، والصواب بالرفع . اسم « ليس » .

(٤) الغيبة : أن يتمنى العَرَّةُ مِثْلَ مَا لِلْمَغْبُوطِ مِنَ النِّعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَهَا عَنْهُ . ويُطلق على حَسَنِ الْحَالِ وَالْعُسْرَةِ أَيْضًا .

(٥) في « م » : « من الأنبياء » .

(٦) عجائب وتوائب ، صَرَفًا هُنَا لِمُضَرَّةِ الشَّعْرِ . وصرُوف عجائب : أحداث عجيبة غريبة .

وَلَقَدْ تَقَطَّعَ مِنْ شَبَابِكَ وَالْقَضَى مَا لَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلَيْكَ بِآيِبٍ ^(١)
تَبْغِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرِ وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الرَّكَّابِ
وَقَالَ ^(٢) مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : بَلَغَنِي أَنَّ عِيسَى ^(٣) عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ قَدْ خَرِبَتْ
حُصُونُهَا ، وَحَفَّتْ أَنْهَارُهَا ، وَتَشَعَّتْ ^(٤) شَجَرُهَا ، فَنَادَى : يَا خَرَابُ ^(٥) ، أَيْنَ أَهْلُكَ ؟
فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ نَادَى : يَا خَرَابُ ، أَيْنَ أَهْلُكَ ؟ [فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ] ^(٦) فَنَادَى عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ : بَادُوا وَتَضَمَّنْتَهُمُ الْأَرْضُ ، وَعَادَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا جِدَّ فِي أَعْنَاقِهِمْ ^(٧) إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٨) .
قَالَ مَالِكٌ : سُئِلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ عَادٍ يُقَالُ لَهَا « هَرْنَمَةٌ » : أَيُّ عَذَابِ اللَّهِ
رَأَيْتَ أَشَدَّ ؟ قَالَتْ : كُلُّ عَذَابِ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَسَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ عَلَى ^(٩) لَيْلَةِ لَارِيحٍ
فِيهَا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْعِيرَ تَحْمِلُهَا الرِّيحُ ^(١٠) بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .
وَقَالَ مُجَاهِدٌ ^(١١) : كَانَ طَعَامُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا الْعُشْبُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَبْكِي

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « أَحْسِبُهُ » بدل « أَعْلَمُهُ » . بآيب : تراجع .

(٢) في « م » : قال .

(٣) في « م » : عيسى بن مريم .

(٤) تشعت شجرها : تفرقت أو تلبدت .

(٥) في « م » : « يا خَرِب » في الموضعين ، أى : ياموضع الخراب .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) في « م » : « رَقَابِهِمْ » بدل « أَعْنَاقِهِمْ » .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » الجملة فيها اضطراب من الناسخ ، وسقط منها : « فَبَكَى » .

(٩) سقطت « على » من « م » والسياق يستدعيها .

(١٠) في « م » : « الرِّيح » .

(١١) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم ، تابعي ، عالم وفقه ، ومُفسر من أهل مكة ،
وُلِدَ سنة ٢١ هـ وأخذ التفسير عن ابن عباس ، وله أقوال وغرائب في العلم والتفسير تُسْتَكْرَر ، وسُئِلَ الْأَعْمَشُ عَنْ
ذَلِكَ فَقَالَ : كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . وَفِي الْحَلِيقَةِ وَسِرُّ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ وَغَيْرِهَا مِنْ
الْمَرَاJعِ ، الْكَثِيرِ مِنْ ذَلِكَ . وَاحْتَطَفُوا فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ مَا بَيْنَ سَنَةِ ١٠٠ هـ إِلَى سَنَةِ ١٠٨ هـ ، وَالرَّاجِعُ أَنَّهُ تَوَفَّى فِي سَنَةِ
١٠٤ هـ .

[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٤٩ - ٤٥٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ،
وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٢ ، ٩٣ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٨ ، وكتاب التاريخ الكبير للبخاري ج ٧
ص ٤١١ - ٤١٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٢٥ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٢ ، ٤٣ ، والحلية ج ٣
ص ٢٧٩ - ٣١٠ والأعلام ج ٥ ص ٢٧٨] .

مِنْ تَحْشِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَوْ كَانَ الْبَارُّ عَلَى عَيْنَيْهِ لَحَرَقَهُ ^(١) ، وَلَقَدْ كَانَتِ الدُّمُوعُ اتَّخَذَتْ ^(٢) مَجْرَى فِي وَجْهِهِ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِسُقْرَاطَ ^(٣) الْحَكِيمِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : قُمْ ، فَقَامَ غَيْرَ مُرْتَاعٍ مِنْهُ وَلَا مُلْتَمِعٍ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَمَا ^(٤) تَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي ^(٥) أَرَى فِيكَ طَبِيعَ الدُّوَابِّ ، فَهِيَ تَرَكُضُ بِأَرْجُلِهَا ^(٦) . فَعَضِبَ وَقَالَ : أَتَقُولُ لِي هَذَا وَأَنْتَ عَبْدِي ؟ فَقَالَ لَهُ سُقْرَاطُ : بَلْ أَنْتَ عَبْدُ عَبْدِي . قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ شَهَوَاتِكَ ^(٧) قَدْ مَلَكَكَ ، وَأَنَا أُمْلِكُ ^(٨) الشَّهَوَاتِ . فَقَالَ ^(٩) : أَنَا الْمَلِكُ ابْنُ الْأَمْلاكِ السَّادَةِ ، أُمْلِكُ مِنَ الْإِلَادِ كَذَا ، وَمِنَ الْأَمْوَالِ وَالرَّجَالِ كَذَا . قَالَ ^(١٠) : أَرَأَيْكَ تَفْخَرُ

(١) هكذا في « م » .. وفي الحلية ج ٣ ص ٢٩٠ : « حتى لو كان القار على عينيه لحرقه » ، وفي الحاشية : « لحرقه » ، وفي « ط » : « لأحرقه » .

(٢) في « م » : « لو كان الدمع اتخذ » .

(٣) فيلسوف وحكيم يوناني من أثينا ، ولد سنة ٤٦٩ قبل الميلاد ، في عصر كثرت فيه أضرابيل السوفسطائيين ، وهم طائفة من الفلاسفة ، زعموا أن الموجودات خيالات لاحقيقة لها ، واستخدموا الجدل في التحرير والتضليل ، حتى خلعوا بعض الناس عن عقائدهم ، فتصدى لهم سقراط ، وكان من ألد أعدائهم ، وقد أباطيلهم بفلسفته العالية ، وحججه القوية .. وكان سقراط يمتاز بنبل أخلاقه وشهامته ، وكان زاهداً في الدنيا ، قليل المبالاة بها ، عزوفاً عنها ، ومن أقواله وجكيته المشهورة : « النفس جامعة لكل شيء » ، فمن عرف نفسه ، عرف كل شيء ، ومن جهل نفسه جهل كل شيء . وقال : « لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف » . وقال : « لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك » ، فكيف بك إذا كنت لأيا منكم صديقك . وقد وصلت تعاليمه إلينا عن طريق تلاميذه ، خاصة « أفلاطون » و « أرسطوفان » و « أرسطوفان » أو عن طريق « أرسطو » الذي وُلد - على الأرجح - بعد وفاة سقراط بحوالى ١٣ عاماً .. توفي سقراط سنة ٣٩٩ قبل الميلاد ، بعد أن تحالف عليه أعداؤه أمام الحكام ، واتهموه بإفساد الشباب وعدم اعتقاده في آلهة المدينة ، فحكّم عليه بشرب السم في السجن .

[انظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجلي ج ٥ ص ١٨٠ - ١٩٦ والموسوعة الفلسفية ص ٢٥٦ - ٣٦٢] .

(٤) في « ط » : « ما » .

(٥) في « ط » : « ولكن » .

(٦) في « م » : « برجلها » .

(٧) في « ط » : « شهواتك » .

(٨) في « ط » : « ملكك » .

(٩) في « م » : « قال : فأنا الملك » .

(١٠) في « م » : « فقال » .

عَلَىٰ بِمَا لَيْسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا سَبِيلُكَ أَنْ تَتَفَخَّرَ عَلَىٰ نَفْسِكَ ^(١) ، وَلَكِنْ تَعَالَىٰ لِحُلُوعِ
يَتَابِنَا ، وَلَيْسَ جَمِيعًا قَوِيًّا مِمَّا فِي النَّهْرِ ^(٢) وَتَتَكَلَّمُ ، فَحَيِّثُ ^(٣) يَتَبَيَّنُ الْفَاضِلُ مِنْ
الْمَقْضُولِ . فَانْصَرَفَ الْمَلِكُ حَجَلًا .

وَهَئَانَا أُحْكِنِي لَكَ أَمْرًا أَصَابَنِي ، طَيْشَ عَقْلِي ، وَبَلَلَ خَزْمِي ، وَقَطَعَ يَنَاطَ
قَلْبِي ، وَلَا يَزَالُ ^(٤) مِرَاقَةً لِي حَتَّىٰ يُوَابِتَنِي التُّرَابُ ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ يَوْمًا بِالْعِرَاقِ وَأَنَا
أَشْرَبُ مَاءً ، فَقَالَ لِي صَاحِبُ لِي ، وَكَانَ لَهُ عَقْلٌ : يَا فُلَانُ ، لَعَلَّ هَذَا الْكُورُ الَّذِي
تَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ كَانَ ^(٥) إِنْسَانًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ، فَمَاتَ فَصَارَ تُرَابًا ، فَأَتَّفَقَ لِلْفَخَارِيِّ أَنْ
أُخَذَ تُرَابَ الْقَبْرِ وَضَرَبَهُ ^(٦) حَزْفًا ، وَشَوَاهُ بِالنَّارِ فَانْتَضَمَ كُورًا كَمَا تَرَى ، وَصَارَ آيَةً
تُثْمَنُهُ وَيُسْتَحْدَمُ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بَشَرًا سَوِيًّا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَتَعَمُّ وَيَلْدُ وَيَطْرُبُ ، فَإِذَا
الَّذِي قَالَهُ مِنَ الْجَائِزَاتِ ^(٧) ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ عَادَ تُرَابًا كَمَا كَانَ فِي النُّشْأَةِ
الْأُولَى ، ثُمَّ قَدْ يَتَّفَقُ أَنْ يُحْفَرَ لِحْدُهُ ، وَيُغَعَّنَ بِالْمَاءِ تُرَابُهُ ، فَيَتَّخِذُ مِنْهُ آيَةً تُثْمَنُهُ ^(٨)
فِي الْبُيُوتِ ، أَوَّلِيَّةً تُقْبَلُ فِي الْجِدَارِ ، أَوْ يُطَيَّنَ ^(٩) بِهِ سَطْحُ الْبَيْتِ ، أَوْ يُفَرَشَ فِي
الْبَلَدِ ^(١٠) قِيوطًا بِالْأَقْدَامِ ، أَوْ يُجْعَلَ طِينًا عَلَى الْجِدَارِ ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُغْرَسَ ^(١١)

(١) في « م » : « تفخر بنفسك » .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « من ماء في هذا النهر » وما ورد في « م » أوضح .

(٣) في « ط » : « إذ يتبين » .

(٤) في « ط » : « فلا يزال » .. وطيش عقلي ، أى : جعله يضطرب وينحرف عن التفكير القويم . وبَلَلَّ
خزمي ، أى : شتته وبذذته ويناط القلب : عرق يعلّق به القلب إلى الرّئين .

(٥) في « ط » : « قد كان » .

(٦) في « م » : « فصيرة » بدل « وضربه » وهى هنا بمعناها .

(٧) من الجائزات : من الأمور التى يمكن أن تحدث .

(٨) في « ط » : « تثمنه » بمعنى : تستخدم .. وفي « م » : « فيتخذ آية » .

(٩) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أو طين » .

(١٠) في « م » : « البيوت » بدل « البلد » .

(١١) في « م » : « يفرش » تحريف من الناسخ .

عِنْدَ قَبْرِهِ شَجَرَةٌ ، فَيَسْتَحِيلُ ^(١) تُرَابُ الْإِنْسَانِ شَجَرَةً وَوَرَقًا وَتَمْرَةً ، فَتَرْغَى الْبَهَائِمُ
أُورَاقَهَا ، وَيَأْكُلُ الْإِنْسَانُ ثَمَرَهَا ، فَيَنْبُثُ مِنْهَا لَحْمُهُ ، وَيَنْشُرُ مِنْهَا عَظْمُهُ ^(٢) ، أَوْثَاكُ
بَلَدِكَ الشَّوْمَةِ ^(٣) الْحَشَرَاتُ وَالْبَهَائِمُ ، فَيَبِينَمَا ^(٤) كَانَ يَفْتَاتُ ، صَارَ قُوتًا ، وَبَيْنَا ^(٥)
كَانَ يَأْكُلُ صَارَ مَأْكُولًا ، ثُمَّ يَعُودُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ ^(٦) رَجِيعًا ، فَيَقْدَفُ فِي بَيْتِ
الرَّحَاضَةِ ^(٧) ، أَوْ بَعْرًا يَنْبُدُ بِالْعَرَاءِ ، وَيَجُوزُ إِذَا حُفِرَ قَبْرُهُ أَنْ تُسْفَى ^(٨) الرِّيحُ تُرَابَهُ ،
فَتَنْفَرِقُ أَجْزَاؤُهُ فِي بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَالتَّلُولِ ^(٩) وَالْوَهَادِ . أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا أَذْهَلَ ^(١٠)
الْعُقُولَ ، وَطَيِّشَ الْحُلُومَ ^(١١) ، وَمَنَعَ اللَّذَاتِ ، وَهَانَ عِنْدَهُ مُفَارَقَةُ الْأَهْلِيْنَ وَالْمَالِ ^(١٢) ،
وَاللُّحُوقُ بِقُلُلِ الْجِبَالِ ، وَالْأُنْسُ بِالْوُحُوشِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ . أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا صَغَّرَ
الدُّنْيَا وَمَافِيهَا ^(١٣) ؟ أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا حَقَّرَ الْمُلْكَ عِنْدَ مَنْ عَظَّمَهُ ، وَالْمَالَ عِنْدَ مَنْ
جَمَعَهُ ؟ أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا زَهَّدَ فِي اللَّذَاتِ ، وَسَلَّى عَنِ الشَّهَوَاتِ ^(١٤) ؟ //

(١) عبارة : « فيستحيل تراب الإنسان شجرة » عن « ط » وسقطت من « م » سهواً من الناسخ .. ومعنى
يستحيل : فيتحول .

(٢) في « م » : « وينشر عظمه » بالراء المهملة ، غير « ينشر » بالزاي المعجمة التي بمعنى : يركب .

(٣) في « م » : « الثمرات » .

(٤) في « م » : « بينا » بحذف « ما » الزائدة أو المصدرية .

(٥) في « م » : « وبيننا » .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « بطن الإنسان » .. والرجيع الروث .

(٧) الرِّحَاضَةُ : القسالة ، وهي ما يخرج من الشيء بالفعل .. وفي « م » : « فَيَقْدَفُ » بدل « فيقذف » .

(٨) تُسْفَى : تنقل .

(٩) في « م » : « والتلال » وكلاماً صواب ، جمع تل ، وهو ما ارتفع من الأرض عما حوله .
والوهاد : الأرض المنخفضة .

(١٠) في « م » : « أذهب » .

(١١) الحُلُوم والأحلام : العقول . جمع جلم .

(١٢) في « م » : « والأموال » .

(١٣) جملة : « أليس ... ما فيها » عن « ط » وسقطت من « م » .

(١٤) سَلَّى عَنِ الشَّهَوَاتِ : صرف عنها . يقال : سَلَا عَنْ كَذَا وَأَسْلَاهُ : جعله يسلو ويسى .

وَقَالَ يَسْتَعْرِ (١) : كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلِ يَوْمٍ لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، وَمُنْتَظِرٍ عَدَا وَلَيْسَ مِنْ أَجَلِهِ .
 إِنَّكُمْ (٢) لَوْ أَبْصَرْتُمْ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ ، لَأَبْغَضْتُمْ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ .
 وَلَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بَنِي ذِي الثُّونِ (٣) - وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ - قَصْرَهُ ، وَأَتَّفَقَ فِيهِ
 بَيُوتُ أَمْوَالِهِ (٤) جَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بَنِيَانٍ فِي الْأَرْضِ ، وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنْ صَنَعَ فِيهِ بَرَكَةَ
 مَاءٍ كَانَتْهَا بَحِيرَةٌ (٥) ، وَبَنَى فِي وَسْطِهَا قُبَّةً ، وَسَاقَى (٦) الْمَاءَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا

(١) سقط الاسم من « ط .. » وفي « م » : « قَالَ يَسْتَعْرِ : كَمْ كَمْ » مكررة . ويستعر هو : يستعر بن كيدام بن
 ظهير ، أبو سلمة الهلالي الكوفي الأحول ، من ثقات أهل الحديث ، كان يقال له : « المصحف » لعظم الثقة بما
 يرويه . وكان تقياً ورعاً ، قال عنه ابنه محمد بن يسر : كان أئى مسرع لابنهم إلى أن يقرأ نصف القرآن .. وقال
 ابن المبارك ، أو غيره :

مَنْ كَانَ مُتَّقِيًا جَلِيلًا صَالِحًا فَنِيَّاتٍ خَلَقَهُ يَسْتَعْرِ بْنُ كِيدَامٍ
 فِيهَا السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَأَهْلُهَا أَهْلُ الْقَفَافِ ، وَعَلِيَّةُ الْأَقْوَامِ

توفى - رحمه الله - بمكة سنة ١٥٣ هـ على الأرجح .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٨ - ١٩٠ ، والحلية ج ٧ ص ٢٠٩ - ٢٧٠ ، والمعارف لابن قتيبة
 ص ٤٨١ وفيها (كَيْدَام) بضم الكاف ، والصواب ما أثبتناه (بالكسر) ، والأعلام ج ٧ ص ٢١٦] .
 (٢) هكذا في « ط .. » وفي « م » : « : ومتنظر غداً لا يسرعه ، لو أبصرتم » .

(٣) هكذا في « ط .. » وفي « م » : « بن ذى يزن » خطأ ، والأول هو الصواب .

وهو : يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذى النون الهواري الأندلسي ، أبو زكريا المأمون ، من ملوك
 الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب « طليطلة » ولها بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥ هـ ، وامتدت أيامه في الملك خمساً
 وعشرين سنة ، وكان عاكفاً على اللذات والخلاعة .. وكان بينه وبين ابن هود « سليمان بن محمد » صاحب
 « سرقسطة » خلاف ، وقامت حروب بينهما ، واستنصر ابن ذى النون بالأسبان ، وكانوا يتحينون الفرصة للتوغل في
 بلاد الأندلس ، فأرسلوا جيشاً أغار على « سرقسطة » وغيرها من بلاد ابن هود . ولجأ ابن هود - هو الآخر - إلى
 فريق آخر من الأسبان ، وبعث إليهم بأموالاً وهدايا ، فأرسلوا جيشاً إلى ثغر « طليطلة » أفنى حُماته . واستمرت هذه
 الحال من سنة ٤٣٥ هـ إلى أن مات ابن هود سنة ٤٣٨ هـ ، وطمع الأسبان في بلاد الفريقين .. وقاتل ذو النون أيضاً
 جاره ابن الأفطس ، صاحب « بطليوس » ، وحالف المعتضد ابن عباد على احتلال « قرطبة » فهاجمها ذو النون ،
 فاستغاث بالمعتضد ، فنقض الحلف ، وأبعد ذا النون عنها ، واحتلها ، وفي سنة ٤٥٨ هـ استولى ذو النون على
 بلنسية ، وقضى على دولة آل عامر ، واستتب له شرق الأندلس ، وازداد أمره قوة بعد موت المعتضد ابن عباد سنة
 ٤٦٠ هـ ، ولم تطل حياته بعده ، ومات بطليطلة سنة ٤٦٠ هـ في السنة نفسها .

[انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٨ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، والمغرب لابن سعيد ج ٢ ص ١٣ وغيرها من
 الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، والأعلام ج ٨ ص ١٣٨] .

(٤) في « ط » : « الأموال » .

(٥) في « ط » : « بحرة » .

(٦) في « م » : « وسبى » بالبناء للمجهول .

عَلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ ^(١) ، عَلَى تَذْيِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ ، وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوْلَهَا ، مُحِيطًا بِهَا ، مُتَّصِلًا ^(٢) بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، فَكَانَتْ ^(٣) الْقُبَّةُ فِي غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكَنًا لَا يُفْتَرُّ ^(٤) ، وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا ، فَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ يَتِمَّا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَتَيْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتُ قَلِيلٌ ^(٥)
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كُلُّ يَوْمٍ يَقْتَضِيهِ رَجِيلٌ ^(٦)
فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ ^(٧) .

وَوَجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ قَد بَادَ أَهْلُهُ وَأَقْفَرَتْ مَنَازِلُهُ :

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتْهُمْ فِي خَفَضِ عَيْشِ نَفِيسٍ مَالَهُ خَطَرٌ ^(٨)
صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا إِلَى الْقُبُورِ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ ^(٩)
وَلِلصَّاحِبِ أَيْضًا ^(١٠) :

(١) في م : : إلى رأس القصر .

(٢) في م : : متصل .

(٣) في م : : وكانت .

(٤) في ط : : سَكَبًا ، وَالسَّكْبُ : الْهَطْلَانُ الدَّامِ مِنَ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ ، وَيُقَالُ : مَاءٌ سَكَبٌ ، وَفَرَسٌ سَكَبٌ : سَرِيعُ الْجَرْيَانِ . وَالسَّكْنُ ، بِالذَّوْنِ : كُلُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ ، وَاسْتَأْنَسَتْ بِهِ .

وَسَكَنًا لَا يُفْتَرُّ ، أَيْ : سَكَنًا تَطْمَعُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَا تَقُلْ مِنْهُ .

(٥) هكذا في ط ، وفي المستطرف للأبشي ج ٢ ص ٦١٠ .. وفي م : : مقامك بدل بقاؤك ، وهي بمعناها .

(٦) في م : : تقتضيه ، وَالْأَرَاكِ : شَجَرٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ السَّوَاكُ .

(٧) أَيْ : مَاتَ .

(٨) خَفَضُ الْعَيْشِ : سَهْوُهُ وَلِينُهُ .

(٩) هكذا في ط ، وفي المستطرف ج ٢ ص ٦١٠ وغيرهما .. وفي م : : صائحات بدل نائبات .

(١٠) مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : وَلِلصَّاحِبِ .. إِلَى نَهَايَةِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَهُ عَنْ م : : وَمَاقَطُ مِنْ ط .. وَالْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ لَيْسَتْ لِلصَّاحِبِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ هُنَا ، بَلْ هِيَ لِلشَّرِيفِ الرُّضِيِّ ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي دِيَوَانِهِ وَفِي الْكُتُبِ مِنَ الْمَصَادِرِ مَنْسُوبَةً إِلَيْهِ .

وَالشَّرِيفُ الرُّضِيُّ هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْعُلُوِي ، ذِي الْحُسَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ ، وَابْلَغَ الذِّكَاءِ ، وَجِدَّةُ الْخَاطِرِ مِنْ صِغَرِهِ ، وُلِدَ بِبَغْدَادِ سَنَةِ ٣٥٩ هـ وَتَوَلَّى بِهَا سَنَةَ ٤٠٦ هـ وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بِمَسْجِدِ =

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ وَطَلُّوْهَا بِيَدِ الْبَلَى نَهَبُ ^(١)
فَوَقَفْتُ حَتَّى عَجَّ مِنْ لَعِبٍ نَضَوِي وَعَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ ^(٢)
وَلَقَفْتُ عَيْنِي فَمَذُ خَفِيَتْ عَنْهَا الطُّلُولُ ثَلَقَتْ الْقَلْبُ ^(٣)

وَلَوْ قِيلَ لِلدُّنْيَا صِفِي نَفْسِكَ لَمَا عَدَّتْ هَذَا الْبَيْتَ :

وَمَنْ يَأْمِنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَائِثُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ ^(٤)

وَرُوي أَنَّ الْحَجَّاجَ ^(٥) قَالَ فِي حُطَيْتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا أَشْبَهُ بِمَا

= الأنبارين بالكرك ، وقد تحرّبت الدار ، ودرّس القبر .. ومَرَّ بعض الأدباء بداره وقد أغشى عليها الزمان وذهبت بهجتها ، وأخلقت دياجتها ، وبقيت رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الثّارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان ، وطوارق الحداث ، وتمثّل بهذه الأبيات الثلاثة للشريف الرضي ، فَمَرَّ به شخص فسمعه ينشد الأبيات ، فقال : هل تعرف هذه الدار لِمَنْ ؟ قال : لا . قال : هذه الدار لقاتل هذه الأبيات ! فضعف من حُسن الاتفاق . [انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٤ - ٤٢٠ ، وديوان الشريف الرضي ج ١ ص ١٤٥ ط مؤسسة الأعلمى ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٠ ، وانباء الرواة ج ٣ ص ١١٤ ، ١١٥ ، وبيضة الدهر للتحالي ج ٢ ص ٢٩٧ - ٣١٥ ط المطبعة الحنفية بدمشق ، والأعلام ج ٦ ص ٩٩] .

(١) هكذا البيت في « م » وفي الديوان .. وفي وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٣ : « وَقَفْتُ » بدل « مَرَرْتُ » . « وَتَهَبُ » بالفتح ، الغرض المعرض للإصابة .. وبالضمّ بمعنى : منهوبة أو مُتَّهَبَةٌ .

(٢) هكذا في « م » .. وفي الديوان :

« فَوَقَفْتُ حَتَّى وَضَعْتُ مِنْ لَعِبٍ نَضَوِي وَلَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ »

والشطرة الثانية من البيت في الديوان متطابقة لما جاء في الوفيات .
عَجَّ : رفع صوته وصاح .. وَضَعْتُ مثلها .. وَتَهَبُ : البعير المهزول .. وَلَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ ، أى : تماذى الرّاكِبون في خصرى ، وأبوا أن ينصرفوا . أو : تماذوا في رفع أصواتهم بجماعتي ولومي ، ممّا سبّب لهم من التعب والإعياء .
وفي الوفيات والشذرات : « فَبِكَيْتُ » بدل « فَوَقَفْتُ » .

(٣) هكذا البيت في « م » ، وفي الديوان ، وفي الشذرات .. وفي الوفيات : « عَنَى » بدل « عَنْهَا » والطلول والأطلال : جمع طَلَلٍ ، وهو : مابقى شاخصاً من آثار الديار ونحوها .

(٤) فُرُوجُ الأصابع : فُتحاتها وفي رواية : ما عَدَّتْ ما وصفها به أبو نواس بقوله :

« إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا أَبْيَسَ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدْوٍ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ »

[انظر المستطرف ج ٢ ص ٦١٠] .

(٥) هو : أبو محمد الحجّاج بن يوسف بن الحَكَم الثَّقَفِي - نسبة إلى ثَقِيف ، قبيلة كبيرة مشهورة في الطائف -
وُلد سنة ٤٠ هـ ، ونشأ في الطائف بالحجاز ، وانتقل إلى الشام ، فلقح بروح بن زنباع ، نائب عبد الملك =

مَضَى مِنْهَا ^(١) . وَلَوْ أُعْطِيتَ مَامَضَى مِنَ الدُّنْيَا بِعِمَامَتِي هَذِهِ مَاقَبِلْتُهُ ، فَكَيْفَ آتَى عَلَى مَايَقَى مِنْهَا ؟

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ مَثَلًا لِابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْمَوْتِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ أَجْلَاءَ ^(٢) ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِأَحَدِهِمْ : قَدْ كُنْتُ لِي خَلِيلًا ^(٣) مُكْرَمًا مُؤْتَرًّا ، وَقَدْ حَضَرَنِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٤) مَاثَرِي ، فَمَاذَا ^(٥) عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : هَذَا أَمْرُ اللَّهِ عَلَيْنِي عَلَيْكَ ، لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أُنْفَسَ كَرْبَكَ ، وَلَكِنْ هُنَاكَذَا ^(٦) بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَمَخُذْ مِنِّي زَادًا يَنْفَعُكَ . ثُمَّ يَقُولُ لِلثَّانِي : قَدْ كُنْتُ عِنْدِي آثَرُ الثَّلَاثَةِ ، وَقَدْ نَزَلَ بِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] مَاثَرِي ، فَمَا ^(٧) عِنْدَكَ ؟ قَالَ : هَذَا أَمْرُ اللَّهِ عَلَيْنِي عَلَيْكَ ،

= ابن مروان ، فكان في عهده شرطه ، ثم ما زال يظهر حتى قلَّه عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير ، فزحف إلى الحجاز بمحش قوى كبير ، وقتل عبد الله ، وغرق جهره ، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ، ثم أضاف إليها العراق ، والثورة قائمة فيه ، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب ، قمع الثورة ، وثبت له الإمارة عشرين سنة ، وبنى مدينة واسط - بين الكوفة والبصرة - وكان سَفَاكًا سَفَاحًا لِلدَّمَاءِ بِاتِّفَاقِ مَعْظَمِ الْمُؤَرِّحِينَ .. قال عبد الله بن شَوْذَبَ ، مارؤى مثل الحجاج لَمَنْ أَطَاعَهُ ، ولا مثله لمن عصاه .. وقال أبو عمرو بن العلاء : مارأيت أفصح من الحسن (البصري) والحجاج . وقال ياقوت في معجم البلدان : « ذُكِرَ الحجاج عند عبد الوهاب الثقفي بسوءه ، فغضب وقال : إنما تذكرون المساوية ! أو ماتعلمون أنه أول من ضَرَبَ دِرْهَمًا عَلَيْهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، محمد رسول الله ؟ وأول مَنْ بَنَى مَدِينَةَ بَعْدَ الصَّحَابَةِ فِي الْإِسْلَامِ ؟ وأول من انحلل المحامل ؟ وأن امرأة من المسلمين سُبِيَتْ فِي الْهِنْدِ فَنَادَتْ ، يَا حَجَّاجُاهُ ! فأتصل به ذلك ، فجعل يقول : ليبيك لبيك ! وألفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة ؟ » . وما يؤخذ على الحجاج قتله العالم التقى الورع سعيد بن جبير (من التابعين) قال الإمام أحمد ابن حنبل : « قتل الحجاج سعيدًا وماعلى وجه الأرض أحد إلا وهو مفتر إلى علمه » . ودعا سعيد بن جبير الله بالآل يسلط الحجاج على أحد بعده .. فحاش بعده أباهما ، ومات بواسط سنة ٩٥ هـ وأجرى على قبره الماء فاندرس .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٦٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩ - ٥٤ ، ومعجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٧ - ٣٥٠ ، وأخباره كثيرة في كتب الأدب والتاريخ ، كالطبري ج ٦ ط دار المعارف ، والكمال لابن الأثير ، ومروج الذهب للسعودي ، والعقد الفريد وغيرها] .

(١) في « ط » : « أشبه رِشًا مَضَى مِنَ الْمَاءِ بِمَاءِ » .

(٢) الْأَجْلَاءُ : جمع خليل ، ويُطلق على الصديق الخالص ، والخليل والخليل واحد .

(٣) في « م » : « خِلَا » .

(٤) ما بين المقوفين ساقط من « م » في الموضعين .

(٥) في « م » : « فما عندك ؟ »

(٦) في « ط » : « هَاتَانَا » .

(٧) في « م » : « فَمَاذَا » .

وَلَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَنْفَسَ كَرْبِكَ ، وَلَكِنْ سَأَقُومُ عَلَيْكَ فِي مَرَضِكَ ، فَإِذَا مِتُّ أَتَقَنَّتْ
غَسْلَكَ ، وَجَوَّدْتُ كُسُوتَكَ ، وَسَتَرْتُ جَسَدَكَ وَعَوَزْتُكَ . وَقَالَ لِلثَّالِثِ : قَدْ تَزَلَّ بِي
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] (١) مَا تَرَى ، وَكُنْتُ أَهْوَنَ الثَّلَاثَةِ عَلَى ، فَمَاذَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : إِنِّي
قَرِينُكَ وَحَلِيفُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَذْخُلُ مَعَكَ قَبْرَكَ حِينَ تَدْخُلُهُ ، وَأُخْرِجُ مَعَكَ حِينَ
تُخْرِجُ مِنْهُ (٢) ، وَلَا أَفَارِقُكَ أَبَدًا . فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَوَّلُ مَالُهُ ،
وَالثَّانِي أَهْلُهُ ، وَالثَّالِثُ عَمَلُهُ

وَلَمَّا لَقِيَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ (٣) الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَالَ لَهُ : قَدْ كُنْتُ أُحِبُّ لِقَاءَكَ ،
فَعَظَنِي . فَقَرَأَ الْحَسَنُ : ﴿ أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ *
مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ (٤) فَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا سَعِيدَ (٥) ، فَقَدْ وَعَظْتَ
أَحْسَنَ مَوْعِظَةٍ .

وَأَعْجَبَا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ بِالنُّشْأَةِ الْآخَرَى وَهُوَ يَرَى الْأُولَى ! وَأَعْجَبَا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ
الْعَجَبِ (٦) لِلشَّكِّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ يَرَى خَلْقَهُ ! وَأَعْجَبَا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ

(١) ما بين المعقوفين عن م م وساقط من ط .

(٢) سقطت منه م م .

(٣) هو : ميمون بن مهران ، أبو أيوب اللقي ، عالم من القضاة ، وُلِدَ سنة ٣٧ هـ ، وكان مَوْلَى لَامْرَأَةٍ بِالْكُوفَةِ
فَاعْتَقَهَا ، فَنَشَأَ بِهَا ، وَاسْتَوْدَعَ الرِّقَّةَ - من بلاد الجزيرة الفراتية - فكان عالم الجزيرة وسيدها ، واستعمله عمر بن عبد
العزيز على خراجها . وكان كاتباً لعمر ومؤدباً لأولاده .. وقال ولده عمرو : سمعت أبا يقول : وددت أن أصبغ
قُلُوبَ مَنْ هَاهُنَا وَأَيُّ أَلٍ لَا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلَا لغيره . ، وَيُرْوَى أَنَّهُ صَلَّى فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْماً سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ
رَكْعَةً . توفى - رحمه الله - سنة ١١٧ هـ وقد بلغ من العمر ثمانين عاماً .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٣٤٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٨ ، ٩٩ ، والمُخَيَّر لابن حبيب ص ٤٧٨ ، وحلية
الأولياء ج ٤ ص ٨٢ - ٩٧] .

(٤) سورة الشعراء - الآيات : ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٥) أى : يا أبا سعيد ، وهى كنية الحسن البصرى .

(٦) سقطت كل العجب م م .

بِالنُّشُورِ ^(١) وَهُوَ يَمُوتُ فِي ^(٢) كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَحْيَا ! وَاعْجَبَا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ
بِدَارِ الْمَلُودِ وَهُوَ يَسْتَعِي لِدَارِ الْغُرُورِ ! ^(٣) وَاعْجَبَا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُحْتَالِ الْفُخُورِ
وَأِنَّمَا خَلِقَ مِنْ تُطْفَةِ ، ثُمَّ يَعُودُ جِيفَةً ، وَهُوَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا يَذَرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ !

وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى آدَمَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) : جَمَاعُ الْخَيْرِ كُلُّهُ فِي أَرْبَعٍ :
وَاحِدَةً لِي ، وَوَاحِدَةً لَكَ ، وَوَاحِدَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَوَاحِدَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَأَمَّا
الَّتِي لِي ، فَتَعْبُدُنِي ^(٥) لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنِّي أُجْزِيكَ
بِهِ ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَى الْإِجَابَةِ ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ
النَّاسِ ، فَكُنْ لَهُمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونُوا لَكَ ^(٦) .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : أُرِيتَا مَا أُوتِيَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُؤْتُوا ، وَعَلَّمَنَا
مَا غَلَّمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُعْلَمُوا ، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْعُضْبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ .

وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ ^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ أَكْتُبِيَ لِي كِتَابًا يُوصِينِي

(١) في « م » : « بالموت والنشور » .

(٢) سقطت في « م » .

(٣) الغرور ، يفتح الغين المعجمة ، كل ما غرَّ الإنسان من مالٍ ، أو جاه ، أو شهوة ، أو شيطان . والمراد بدار
الغرور : الدنيا .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من « م » .. وجماع الخير : أصله .

(٥) في « م » : « فَأَنْ تَعْبُدُنِي فَلَا تُشْرِكْ » .

(٦) سقطت لك من « م » والسياق يتطلب وجودها ، للمقابلة بين « لهم » و « لك » .

(٧) هو : معاوية بن أبي سفيان ، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي .
مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب الكبار .. كان فصيحا ، حليما وقورا ، وُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٢٠ قَبْلَ
الهِجْرَةِ ، وَأَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِهَا سَنَةَ ٨ هـ ، وَصَارَ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ .. وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ ، وَلَاهُ قِيَادَةَ جَيْشٍ تَحْتَ
إِمْرَةِ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَكَانَ عَلَى مَقْدَمِهِ فِي فَتْحِ مَدِينَةِ صَيْدَا ، وَعَرَفَةَ ، وَجَبِيلَ ، وَبَيْرُوتَ . وَلَمَّا وَلِيَ
« عَمْر » جَعَلَهُ وَالِيًا عَلَى الْأُرْدُنِّ ، وَرَأَى فِيهِ حِرْمًا وَعِلْمًا ، فَأَوَّلَاهُ دِمَشْقَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِهَا (يَزِيدَ أَخِيهِ) ، وَجَاءَ عِثَانَ
فَجَعَلَ لِهِ الدِّيَارَ الشَّامِيَةَ كُلَّهَا ، وَجَعَلَ وَلَاةَ أَمْصَارِهَا تَابِعِينَ لَهُ .. وَقُتِلَ عِثَانُ ، فَزَيَّنَ « عَلِيٌّ » عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ « فَوْجَهُ
لِقَوْرِهِ بَعَزَلِ مُعَاوِيَةَ ، وَعَلِمَ مُعَاوِيَةُ بِالْأَمْرِ ، قَبْلَ وَصُولِ الْبَرِيدِ ، فَنَادَى بِثَارِ عِثَانَ ، وَأَتَمَّهُ عَلَيْهِ بِدَمِهِ .. =

فِيهِ وَلَا تُكْرِي ^(١) عَلِيٌّ . فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ^(٢) ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ التَّمَسَّ رِضًا النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَالسَّلَامُ » .

وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ ^(٣) عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُذْخِلَ ^(٤) مَنَزَلَهُ فَأَعْتَرَتْهُ غَشِيَّةٌ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] ^(٥) فَقَالَ : أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالرَّغْبَةِ

= ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين عليٍّ ، وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام ، وإمامة عليٍّ بالعراق . ثم قُتل عليٌّ ، وبُيع بعده ابنه الحسن ، فسَلِمَ الخلافة لمعاوية سنة ٤١ هـ . ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة ، فعهد بها إلى ابنه يزيد ، ومات معاوية في دمشق سنة ٦٠ هـ بعد أن بلغت فتوحاته المحيط الأطلنطي ، وفتح عامله بمصر بلاد السودان سنة ٤٣ هـ ، وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو ، وفي أيامه فُتح كثير من جزائر اليونان والدرديبل ، وحاصر القسطنطينية براً وبحراً سنة ٤٨ هـ . وضربت في أيامه دنائير عليها صورة أعرامى متقلد سيفاً ، وكان عمر بن الخطاب إذا نظر إليه يقول : هذا كَسَرَى العرب .

• أما عائشة فهي : عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وأقرب نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، كانت تُكْنَى : « أُمُّ عَدَّ » وُلِدَتْ سنة ٩ قبل الهجرة ، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة ، وكانت أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ ، وأكثرهن رواية للحديث عنه ، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم . روى عنها ٢٢١٠ أحاديث ، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٦ ، ٢٦٢ وج ٣ ص ٢٤٠] .

(١) في (م) : « وَلَا تَعْبَلِي تَكْرِي عَلِيٍّ » .

(٢) هكذا في (ط .. وفي (م) : « فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَمَّا بَعْدُ » .

(٣) هو : عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ المُرَادِي الحميري ، فاتك ثائر ، من أشداء الفُرسان ، أدرك الجاهلية ، وهاجر في خلافة عمر بن الخطاب ، وقرأ على مُعَاذِ بْنِ جَبَل ، فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة .. شهد فتح مصر وسكنها ، وكان من شيعة عليٍّ ، رضى الله عنه ، وشهد معه « صِفَيْنَ » ثم خرج عليه ، واتفق مع « الزُّبَيْرِ » و« عمر بن بكر » على قتل عليٍّ ، ومعاوية ، وعمر بن العاص في ليلة واحدة ، وتعهد « البرك » بقتل معاوية ، وعمر بن بكر بقتل عمرو بن العاص ، وتعهد ابن مُلْجَمٍ بقتل عليٍّ ، واستعان برجل يدعى « شَيْبًا الْأَشْجَمِي » فلما كانت ليلة ١٧ رمضان كُفِّمَ خَلْفَ الْبَابِ الذي يخرج منه عليٌّ لصلاة الفجر ، فلما خرج ، ضربه « شَيْبٌ » فَأَخْطَأَهُ ، فضربه ابن مُلْجَمٍ فَأَصَابَ مَقْدَمَ رَأْسِهِ ، فنهض مَنْ في المسجد ، فحمل عليهم بسيفه ، فَأَفْرَجُوا لَهُ ، وتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة رَمَى بِهَا عَلَيْهِ ، وحمله وضربه به الأرض ، وقعد على صدره .. وقرأ « شَيْبٌ » ، وتوفى « عليٌّ » رضى الله عنه من أثر الجرح ، وفي اليوم الثالث لوفاته أَخْضِرَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَأُجْهِزَ عَلَيْهِ ، وكان ذلك سنة ٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٣٩ ، وطبقات ابن سعد ص ٢٣ - ٤٠ ، ونهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٥٩٣ ، ٥٩٤]

(٤) في (ط .. : دخل .

(٥) مابين المعقوفين عن (ط ..

فِي الْآخِرَةِ ، وَالرُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ فَاتَّكُمَا مِنْهَا ، اَعْمَلَا
الْحَيَّرَ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ حَصْماً وَلِلْمُظْلَمِ عَوْناً . ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدًا ^(١) وَقَالَ لَهُ : أَمَا سَمِعْتَ
مَا أُوصِيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَإِنِّي أُوصِيكَ بِهِ ، وَعَلَيْكَ بِبِرِّ أَخَوَيْكَ ،
وَتَوْقِيرِهِمَا ، وَمَعْرِفَةِ فَضْلِهِمَا ، وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ :
أُوصِيكُمَا بِهِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُ أَخَوَكُمَا ^(٢) وَإِنُّنِ ابْنَيْكُمْ ، وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنَّ أَبَاكُمَا ^(٣) كَانَ
يُحِبُّهُمَا فَاجْبَاهُ .

ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِيَّ ، أُوصِيكُم ^(٤) بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي
الرُّضَا وَالْعُضْبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَالْعَدْلِ ^(٥) فِي الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ ، وَالْعَمَلِ
فِي الشَّاسِطِ وَالْكَسَلِ ، وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِي الشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ .

يَا بَنِيَّ ، مَا شَرُّ بَعْدَةِ الْحَجَّةِ بِشَرِّ ، وَلَا خَيْرَ بَعْدَةِ النَّارِ بِخَيْرٍ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْحَجَّةِ
حَقِيرٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ .

يَا بَنِيَّ ، مَنْ أَبْصَرَ غَيْبَ نَفْسِهِ شُجِّلَ عَنْ غَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِقَسَمِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ
عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بُئْرًا وَقَعَ فِيهَا ، وَمَنْ
هَتَكَ حِجَابَ أَخِيهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْنِهِ ^(٦) ، وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَغْطَمَ خَطِيئَةَ
غَيْرِهِ ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ ، وَمَنْ اسْتَعْتَى بِعَقْلِهِ زَلَّ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ،

(١) هو : ولده محمد بن علي بن أبي طالب ، المعروف بابن الحنفية (نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر الحنفية)
يُنسَبُ إِلَيْهَا تَمِيْزًا لَهُ عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، ابْنَتِي فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بِنْتِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ
يَقُولُ : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَفْضَلُ مِنِّي ، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْهُمَا » وَكَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ ، شَجَاعًا ، وَأَخْبَارُ قُوَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ
كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ لِهَيْبَتِهِ التَّقْوَى يَدْعُو النَّاسَ إِلَى إِمَامَتِهِ .. توفى - رحمه الله - بالمدينة ، وقيل : بالطائف .

(٢) فِي (م) : : فَإِنَّهُ سَيُّدُكُمْ .

(٣) فِي (م) : : أَبَاهُ .

(٤) فِي (م) : : ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَنِيَّ أُوصِيكَ .

(٥) فِي (م) : : عَلَى ، بَدَلَ فِي .

(٦) فِي (م) : : بَيْنَهُ .

وَمَنْ خَالَطَ الْأَذْدَالَ أُخْتِفِرَ ، وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وَفَّرَ ^(١) ، وَمَنْ يَصْنَحِبْ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَصْنَحِبْ صَاحِبًا صَالِحًا يَفْتَنَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَائِلَ السُّوءِ أَثْهِمَ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ لَيْدَمَ ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عَرِفَ بِهِ ، وَمَنْ كَثَرَ كَلَامُهُ كَثَرَ خَطْوُهُ ، وَمَنْ كَثَرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ ^(٢) .

يَأْتِي ، الْأَدَبُ خَيْرٌ مِيرَاثٍ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرٌ قَرِينٍ .

يَأْتِي ، الْعَاقِبَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصُّنْعِ ، إِلَّا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَوَاحِدَةٌ ^(٣) فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ .

يَأْتِي ، نِيَّةُ الْفَقِيرِ الصَّبْرُ ، وَنِيَّةُ الْغَنِيِّ الشُّكْرُ ^(٤) .

يَأْتِي لِأَشْرَفِ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا كَرَمِ أَعْلَى مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا مَغْفَلَ ^(٥) أَخْرَجَ مِنَ النَّوْجِ ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا لِبَاسَ أَجْمَلَ مِنَ الْعَاقِبَةِ . الْجِرْصُ مِفْتَاحُ الْمَقْصَدِ ^(٦) ، وَمَطْيَةُ النَّصَبِ . التَّذْيِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤَمِّنُكَ مِنَ التَّدَمُّ . بِسْ ^(٧) الرِّادُ لِلْمَعَادِ الْعِلْدَوَانُ عَلَى الْعِبَادِ . طُوبَى ^(٨) لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ ^(٩) ، وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ ، وَأَخَذَهُ وَتَرَكَهُ ، وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ ، وَقَوْلَهُ وَفِعْلَهُ .

(١) من أول قوله : « وَمَنْ يَصْنَحِبْ » إل قوله : « لَيْدَمَ » عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : « مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ وَدَخَلَ النَّارَ » .

(٣) في « ط » والواحدة .

(٤) الجمعلان من أول قوله : « يَأْتِي » إل قوله : « الشُّكْرُ » عن « م » وساقط من « ط » .

(٥) التَّمَقُّلُ : التَّلَجُّجُ والجمض .

(٦) هكذا في « م » ، وبمعناها : ومطية النَّصَبِ التَّعَبُ . والنَّصَبُ : التعب . وفي « ط » : « الْجِرْصُ مِفْتَاحُ التَّعَبِ ، وَمَطْيَةُ النَّصَبِ » .

(٧) في « م » : « شَرُّ الرِّادِ لِلْمَعَادِ » .

(٨) في « ط » : « فَطُوبَى : أَيْ : هُنَيْئًا لَهُمْ وَحُسْنًا ، وَتُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مُسْتَطَابٍ فِي الْجَنَّةِ ، مِنْ بَقَاءٍ بِلَا فَنَاءٍ ، وَغَيْرِ بِلَا زَوَالٍ ، وَغَيْرِ بِلَا فُقْرٍ .

(٩) في « م » : « عَمَلُهُ وَعِلْمُهُ » .

وَرَوَى أَنَّ^(١) عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) أَنَّهُ لَمَّا طُعِنَ دَعَا بِلَيْثٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ طَعْنَتِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَجَعَلَ جُلَسَاؤُهُ يَتَنَوَّنَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّ أُخْرِجَ مِنْهَا كَفَافًا كَمَا دَخَلْتُ فِيهَا^(٣) . لَوْ أَنَّ لِي الْيَوْمَ مَا طَلَعْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ لَأَقْدَمْتُ بِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَطْلَعِ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ عُمَرَ^(٤) غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ فَرَفَعْتُهُ^(٥) فِي حِجْرِي ، فَقَالَ : ضَعِ رَأْسِي بِالْأَرْضِ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي ، فَمَسَحَ خَدَّيْهِ بِالْثَّرَابِ وَقَالَ : وَيْلَ لِعُمَرَ ، وَيْلَ لَأُمِّهِ إِنْ لَمْ يُفَرِّ لَهُ . فَقُلْتُ :

(١) لى ط : « و روى عن » .

(٢) هو : عمر بن الخطاب بن نُفَيْلِ الْقُرَشِيُّ الْقَتَوِيُّ ، أَبُو خَفْصٍ ثَانِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وُلِدَ سَنَةَ ٤٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ شَجَاعًا حَازِمًا ، وَصَحَابِيًّا جَلِيلًا ، وَيُضَرَّبُ بِعَدْلِهِ الْمِثْلُ .. أَسْلَمَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ ، وَشَهِدَ الْوُقَاعَ مَعَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَوَّعَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ سَنَةَ ١٣ هـ . بَعْدَ مَنِّهِ .. وَلَى أَمَامَهُ مِمَّنْ فَضَحَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ ، وَاشْتَبَحَ الْقُدْسَ وَالْمَدَائِنَ ، وَمِصْرَ ، وَالْجَزِيرَةَ ، حَتَّى قُبِلَ : انْتَصَبَ فِي مُدَّةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مَنِيْرٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ لِلْعَرَبِ التَّارِيخَ الْمُهْجَرِيَّ ، وَكَانُوا قَبْلَهُ يُؤَرِّخُونَ بِالْوُقَاعِ ، وَاتَّخَذَ بَيْتَ مَالٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَوَدَّدَ الدَّوَالِئِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَجَمَّلَهَا عَلَى الطَّرِيقَةِ الْفَارْسِيَةِ لِإِحْصَاءِ أَصْحَابِ الْأَعْطِيَّاتِ ، وَتَوَزَّعَ الْمَرَاتِبَاتِ عَلَيْهِمْ .. وَكَانَ يَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ مُنْفَرِدًا ، وَيَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ حَيْثُ أَدْرَكَهُ الْخَصْمُ .. وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ : « إِنْ كُتِبَ لِي فَابْدِئُوا بِأَنْفُسِكُمْ » وَكَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ الْمُعْضِلُ دَعَا الشَّبَانَ فَاستشارهم ، يَنْفِي جِلَّةَ عَقُولِهِمْ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا ضَلَّهَ لَمَّا وَلَّى الْخِلَافَةَ أَنَّ زَوْجَ سَبَايَا أَهْلِ الرُّوْمَةِ إِلَى عَشَائِرِهِمْ ، وَقَالَ : كَرِهْتُ أَنْ يَصِيرَ السُّيُوفُ سَبَّةً عَلَى الْعَرَبِ .. ثَقَبَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَارُوقِ ، وَكَتَاهُ بِأَنَّى حَفْصٍ .. قَتَلَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ فِرْزُوزُ الْفَارَسِيَّ غِيْلَةً بِخَنْجَرٍ لِي خَاصَرْتَهُ وَهُوَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ سَنَةَ ٢٣ هـ . وَعَاشَ بَعْدَ الطَّعْنَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ .. وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٤٥ ، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ ، وما بعدها ، وغیره من الأجزاء ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٢٨ ، وما بعدها وغیره من الأجزاء ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦٧ ، وما بعدها وغیره من الأجزاء ، وتاريخ الخلفاء ص ١٢٥ - ١٧١ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٨ - ٥٥] .

(٣) سقطت « فيها » من « م » .. والكفأف ، بالفتح : مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقص . والمراد هنا : أن يخرج من الدنيا لأعليه ولا له .

(٤) ابن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقد سبق التعريف به في أول الباب .. ول « م » : « ولما خضر عمر عُشِي » .

(٥) هكذا في « م » .. ول « ط » : « فوضعتها في حجرى » والرأس مُدَكَّرٌ .. والجحفر ، بكسر الحاء وضحاها : الجفن .

وَهَلْ حِجْرِي ^(١) وَالْأَرْضَ إِلَّا سَوَاءَ يَا أَبْتَاهُ ؟ فَقَالَ : ضَعُ رَأْسِي بِالْأَرْضِ لِأَنَّمْ لَكَ كَمَا أَمْرُكَ ، فَإِذَا قَضَيْتَ ^(٢) فَاسْرِعُونِي إِلَى حُفْرَتِي ، فَإِنَّمَا ^(٣) هُوَ خَيْرٌ تُقَدِّمُونِي إِلَيْهِ ، أَوْ شَرٌّ تُضَعُّوهُ عَنْ رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ بَكَى . فَقُلْتُ ^(٤) لَهُ : مَا يَكِيكَ ؟ قَالَ : خَبِرَ السَّمَاءَ ، لَا أَذْرى إِلَى جَنَّةٍ يَنْتَقِلُنِي أَوْ إِلَى نَارٍ ^(٥) .

وَلَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٦) الْوَفَاةُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ ، وَبَيَّعْتَنِي فَقَصَصْتُ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ ^(٧) ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ مَنَنْتَ ، وَإِنْ عَاقَبْتَ فَمَا ظَلَمْتُ ، أَلَا إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ قَضَى رَجَمَهُ اللَّهُ ^(٨) .

(١) في ط : ، : فَنَحْيِي ، بدل : حِجْرِي .

(٢) قَضَيْتَ ، أى : بَيَّعْتُ .

(٣) في ط : ، : في : بدل : إِلَى ، .. و : إِنَّمَا ، بدل : فَإِنَّمَا .

(٤) في ط : ، : فَقِيلَ .

(٥) في م : ، : دَلِمَ لِي نَارٌ .

(٦) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكَمِ الأموي القرشي ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، خامس الخلفاء الراشدين ، وأُمُّهُ عاصم ، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وُلِدَ بالمدينة سنة ٦١ هـ أو ٦٣ هـ - وقيل : ولد بَحْلَوَانَ (قرية مصرية) وكان أبوه أمراً عليها - ونشأ بالمدينة ، وتلقى العلم بها ، وولّى إمارتها للوليد ، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام ، وولّى الخلافة بعدهم سنة ٩٩ هـ فبُوع في مسجد دمشق ، وسكن الناس في أيامه . ومنع - رحمه الله - سَبَّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رضى الله عنه ، (وكان مَنْ تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر) ، ولم يُطْلَقْ مُلْكُهُ ، حيث توفى - بدير سمعان من حمص - سنة ١٠١ هـ ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً .. وكان نقش خاتمة : عمر يؤمن بالله ، ، وكان - رحمه الله - قبل توليه الخلافة يبالغ في التشمع ويفرط فيه ، ثم هجر كل ذلك بعد أن ولي الخلافة ، وعاش حياة كلها زهد وتقشف وورع وتقوى ، وشغله أجل العيش عن عاجله ، وكان للربعة أمانة وأمانة .. قال عنه أنس ، رضى الله عنه : « ماصليت خلف إمام أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى ، عمر بن عبد العزيز ، وأخباره في عُدَّله وحُسن سياسته كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٢٥٣ - ٣٥٣ ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ - ٢٩٣ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٠١ - ٣٠٣ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ١٣٣ - ١٣٥ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٦ ص ١٢٢ ، وكتاب دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ٦٩ - ٧١ ، والمُحَبَّرُ ص ٢٧ ، ٢٨ ، والطبرى ج ٦ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، وغيرهما ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ١٠٦ ، ١٥١ - ١٥٨ ، وغيرها من الصفحات] .
(٧) أَنْعَمْتُ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ ، أى : أَنْعَمْتُ عَلَيَّ نِعْمَةً زَائِدَةً عَمَّا اسْتَحَقَّهُ .. وبضم التاء من « أَفْضَلْتُ » يكون المعنى : أَنْعَمْتُ عَلَيَّ فَأَبْقَيْتُ وَأَمْسَكْتُ .. والأول هو الأنسب للسياق .
(٨) هكذا في ط : .. وفي م : ، : دَلِمَ قَضَى لَحْيَهُ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(١) الْوَفَاةَ ، نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَكُونُ حَوْلَهُ ، فَقَالَ :
جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالذُّبْيَا ، وَجَدْتُمْ لَهُ بِالْبِكَاءِ ^(٢) . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ
مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ ^(٣) ؟

وَوُجِّلَ عَلَى الْمَأْمُونِ ^(٤) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُفْرَشَ لَهُ

(١) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، وُلِدَ في دمشق سنة ٧١ هـ وُتِيع بالخلافة فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ ، وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٠ هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة ، فَرَّجَهُ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ وَقَتْلَ جُفْعَهُ ، وَنَشِبَتْ فِي أَيَّامِهِ حَرْبٌ هَالِكَةٌ مَعَ خِصَمَائِهِ الشُّرَكَاءِ فِيهَا وَرَاءَ النَّهْرِ انْتَهَتْ بِمَقْتَلِ الْخِصَمَاءِ وَاسْتِيلَاءِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضِ بِلَادِهِ .. وَاجْتَمَعَ فِي خِزَانَتِهِ مِنَ الْمَالِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي خِزَانَةِ أَحَدٍ مِنْ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي الشَّامِ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيَاسَةِ يَقْضَى فِي أَمْرِهِ ، يُبَاشِرُ أَعْمَالَهُ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ حَلِيمًا ذَا رَأْيٍ وَحَزْمٍ . تَوَفَّى فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ١٢٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٦ ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٩٦ - ٢٩٩ ، ودول الإسلام ص ٧٤ وغيرها ، والطبری ج ٧ ص ٢٥ وما بعدها ، وص ٣٥ - ٣٧ ، والكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٩٢ وصفحات أخرى متفرقة من هذا الجزء] .

(٢) فِي « م » وَ « ط » : بِالْبِكَاءِ ، بِدُونِ هَمْزٍ .

(٣) فِي « م » : « يُغْفَرُ لَهُ » .

(٤) هو : عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، أبو العباس ، سابع الخلفاء العباسيين ، وأحد أعظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه .. وُلِدَ سَنَةَ ١٧٠ هـ وَكَانَ أَفْضَلَ رِجَالِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَزْمًا وَعِلْمًا وَعِزْمًا وَدَهَاءً وَهَيْبَةً ، وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَكَانَ فَصِيحًا مُقَوِّمًا ، وَكَانَ يَقُولُ : مَعَاوِيَةُ يَغْفِرُهُ (يَعْنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) وَعَبْدُ الْمَلِكِ يَحْجِجُاجِيهِ (يَعْنِي الْحِجَاجُ بْنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيِّ) وَأَنَا بِنَفْسِي .. وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ خَلْعِ أَخِيهِ الْأَمِينِ سَنَةَ ١٩٨ هـ وَنَفَّذَ أَمْرَهُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ إِلَى أَقْصَى خِرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ . وَكَانَ يُقَالُ : لِبْنِي الْعَبَّاسِ فَاتِحَةٌ ، وَوِاسِطَةٌ ، وَخِصَامَةٌ ، فَالْفَاتِحَةُ : السَّفَاحُ . وَالْوِاسِطَةُ : الْمَأْمُونُ . وَالْخِصَامَةُ : الْمُتَعَصِّدُ .. وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالشُّبُعِ ، وَقَدْ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى خَلْعِ أَخِيهِ « الْمُتَوَكِّلِ » وَالْعَهْدِ بِالْخِلَافَةِ إِلَى « عَلِيٍّ الرِّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ » وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ، وَأَمَرَ بِتَرْكِ السَّوَادِ وَبَلَسِ الْحَضْرَةَ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَخَرَجُوا عَلَيْهِ ، وَابْعَاوْا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، فَخَرَجَ لِقَاتِلِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الرِّضَا مَاتَ فِي سَنَةِ ٢٠٣ هـ . وَاخْتَفَى الْمَهْدِيُّ لِمُدَّةِ ثَمَانِي سِنِينَ .. وَفِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ تَمَّتْ تَرْجُمَةُ الْكَلْبِ مِنْ كَسْبِ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ مُلُوكَ الرُّومِ بِالْهَدَايَا ، سَائِلًا أَنْ يَصِلُوهُ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ الْفَلَسَفَةِ ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ كِتَابِ أَفَلَاطُونِ ، وَأَرِسْطُو طَالِسِ ، وَأَبُقِرَاطِ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَاتَّخَذَ لَهَا مَهْرَةً تَرَاجِمَةً .. وَفِي عَصْرِهِ ظَهَرَتْ عِنْدَ خَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَأُظْهِرَ الْقَوْلُ بِخَلْقِهِ ، وَتَفَضُّيلِ « عَلِيٍّ » عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِ ، فَاتَّخَذَتْ النُّفُوسُ مِنْهُ ، وَكَادَ الْبَلَدُ يَفْتِنُ ، فَكُفِّ عَنْ ذَلِكَ .. تَوَفَّى الْمَأْمُونُ سَنَةَ ٢١٨ هـ وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ ٤٧ سَنَةً وَعِدَّةُ أَشْهُرٍ ، وَدُفِنَ بِطَرَسُوسَ . وَمِنْ أَقْوَالِهِ : لَوْ عَرَفَ النَّاسُ حَقِّي لِلْعَفْوِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيَّ بِالْخِرَافِمِ .. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَلَأْتِ أَكْرَمَ مِنَ الْمَأْمُونِ ، بَثُّ عِنْدَهُ لَيْلَةٌ ، فَأَخَذَهُ سَعَالٌ ، فَأَرَانَتْهُ يَمْسُدُ فَاهُ بِكُمِّ قَمِيصِهِ حَتَّى لَأَنْتَبَهَ ..

جُلُ الدَّابَّةِ ^(١) وَيَسْطَ عَلَيْهِ الرَّمَادُ ، وَهُوَ رَاقِدٌ عَلَيْهِ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ وَهُوَ يَقُولُ ^(٢) : يَا مَنْ لَا يُزُولُ مُلْكُهُ ، أَرْحَمَ مَنْ يُزُولُ مُلْكُهُ ^(٣) .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ^(٤) ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَرَّ عَلَى طَائِفٍ وَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ ^(٥) ، فَقَالَ : طُوبَى لَكَ يَا طَائِرُ ، نَطِيرُ فَتَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ ، وَتَأْكُلُ مِنَ الثَّمَرِ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ وَلَا عِقَابٌ ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَكَ ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ إِلَى جَنْبِ طَرِيقِي ^(٦) ، فَمَرَّ عَلَى بَعِيرٍ فَأَخَذَنِي فَلَاكِنِي ^(٧) ، ثُمَّ أَزْدَرَدَنِي ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي بَقْرًا ^(٨) وَلَمْ أَكُ بَشَرًا .

= [انظر الأعلام ج ٤ ص ١٤٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٤ - ٣٩٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٣ - ١٩٢ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٩ ، والطبری ج ٨ ص ٥٢٧ و ٣٨٩ و ٥٦٤ وما بعدها وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٥ صفحات متفرقة]

(١) جُلُ الدَّابَّةِ : ما تُعْطَى به الدَّابَّةُ يُتَصَانَ .. بفتح الجيم وضمها .

(٢) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « يتضرع ويقول » يسقط الفعل « يبكي » والضمير « هو » .

(٣) في (م) : « مَنْ قد زال مُلْكُهُ » .

(٤) هو : عبدالله بن أبي قحافة ، عثمان بن عامر بن كعب التميمي القرشي ، أبو بكر ، أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، وُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٥١ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ ، وَغَنِيًّا مِنْ كِبَارِ مُوسِرِهِمْ ، وَعَالِمًا بِأَنْسَابِ الْقَبَائِلِ وَأَخْبَارِهَا وَسِيَاسَتِهَا ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَلْقَبُهُ بِعَالِمِ قُرَيْشٍ .. حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمْ يَشْرَبْهَا ، ثُمَّ كَانَتْ لَهُ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ مَوَاقِفٌ كَبِيرَةٌ ، فَشَهِدَ الْحُرُوبَ ، وَاحْتَمَلَ الشَّدَائِدَ ، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ ، وَبَرَعَ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَنَةَ ١١ هـ ، فَحَارَبَ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُنْتَعِمِينَ مِنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ ، وَافْتَضَحَتْ فِي أَيَّامِهِ بِلَادُ الشَّامِ وَقَسَمَ كَبِيرٌ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَاتَّفَقَ لَهُ قَوَادِمُ أَمْنَاءَ ، كَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَأَبَى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحِزْمِيِّ ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَالثَّغْنِيَّ بْنَ حَارِثَةَ .. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُوصُوفًا بِالْحِلْمِ ، وَالرَّأْفَةِ بِالْعَامَةِ ، وَكَانَ خَطِيئًا كَسِينًا ، وَشَجَاعًا بَطَلًا ، وَلَقَّبَ بِالصَّدِيقِ لِصِدْقِهِ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْرِ الْإِمْرَاءِ .. تَوَلَّى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَنَةَ ١٣ هـ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ سِتِّينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ .. كُتِبَ عَنْهُ الْكَثِيرُ ، وَأُفْرِدَتْ لَهُ الصَّفَحَاتُ الطُّوَالَ فِي مَنَاقِبِهِ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٠٢ ، وأسَدُ الْغَابَةِ لابن الأثير ج ٣ ص ٣٠٩ - ٣٣٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣ - ١٢٤ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٨ - ٣٨ وغيرها] .

(٥) « عَلَى شَجَرَةٍ » عَنْ (ط) وَلَمْ تَرِدْ فِي (م) .

(٦) فِي (م) : « الطَّرِيقِ » .

(٧) فِي (م) : « عَلَى بَعِيرٍ فَلَاكِنِي » أَيْ : مَضَعْنِي .

(٨) هَكَذَا فِي (ط) .. وَفِي (م) : « ثُمَّ أَزْدَرَدَنِي بَعْرًا » لَا تَنْصَحُ . وَأَزْدَرَدَنِي : بَلَعْنِي .

وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عُبَيْدٍ ^(١) اللَّهُ : أَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثِنْتَهُ مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ بِمِثْلِ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ ، يَا لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ^(٢) : وَدِدْتُ أَنِّي طَائِرٌ فِي مَنْكِبِي رِيشٌ . وَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يَا لَيْتَنِي إِذَا مِتُّ لَمْ أُبْعَثْ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : عاصم بن عبيد الله - وكلاهما من حفدة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فالأول هو عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، والثاني هو : عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو من رواة الحديث ، ولكنهم ضَعُفُوا .. وقد جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي : « قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيتُ عُمَرَ أَخَذَ ثِنْتَهُ مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : لَيْتَنِي كُنْتُ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ ، يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي » وعبد الله هذا هو : عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ بن ربيعة الأموي ، أبو عبد الرحمن ، أمير فاتح ، وَلِدَ بِمَكَّةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سنة ٤ هـ ، وكان شجاعاً سخياً ، وَصُولاً لِقَوْمِهِ ، وَلَيْلَى الْبَصْرَةَ فِي أَيَّامِ عُمَانَ سنة ٢٩ هـ ، وكان مُجِيباً لِلْعُمَرَاءِ ، اشترى كثيراً من دور البصرة وهدمها فجعلها شارعاً . وهو أول من اتخذ الخياض بعرفة (في الحجاز) وأجرى العين وسقى الناس الماء .. وهو الذي وجه جيشاً إلى « سجستان » فافتتحها صلحاً ، وافتتح عامة فارس وخراسان وكابل .. وَقُتِلَ عُمَانٌ وهو على البصرة ، وشهد وقعة الجمل مع عائشة ، ولم يحضر وقعة صفين .. ولأه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافة ، ثم صرفه عنها ، فأقام بالمدينة .. ومات بمكة سنة ٥٩ هـ على الأرجح ، ودُفِنَ بعرفات .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٤ ، ٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، والمعارف لابن قتيبة ص ١٨٦ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٥٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ١٥١ ، والحيوان للجاحظ ج ١ ص ٧٨ « حاشية »]

(٢) هو : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادماً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمين ، وصاحب سره ، ورفيقه في جلته وترحاله وغزواته .. يدخل عليه في كل وقت ، ويمشي معه .. نظر إليه عمر بن الخطاب يوماً وقال : « وعاء مليء علماً » .. وَلَيْلَى بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بيت مال الكوفة ، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي فيها سنة ٣٢ هـ عن نحو ستين عاماً .. وكان قصيراً جذاً يكاد الجلوس يوارونه .. وكان يحب الإكثار من التطيب ، فلما خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه تَرُ من طيب رائحته .. له ٨٤٨ حديثاً .. وأورد الجاحظ في البيان والتبيين خطبة له ، وخطرات من كلامه .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٤ - ٣٩٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٤ وغيرها في عامة الأجزاء ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٥٦ ، ٥٧ وغيرهما] .

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ^(١) : لَوِدِدْتُ أَنِّي رَمَدْتُ تَسْفِينِي ^(٢) الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٣) : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعَصَّدُ وَتُوكَلُ فَمَرَّتِي وَلَمْ أَكْ بَشَرًا .

وَرَوَى ^(٤) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْطُهُ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَائِرٌ سَبِيلٍ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ ، وَعُدْ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » ^(٥) .

وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَدَخَلَ أَوَائِلَ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا هُوَ يَقْبِرُ ، فَقَالَ : قَبْرٌ مِنْ هَذَا ؟ قَالُوا ^(٦) : قَبْرُ حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ ^(٧) ،

(١) هو : عِمْرَانُ بْنُ عَمِيدٍ بن خلف ، أَبُو نُجَيْدٍ الْخُزَاعِيُّ ، من علماء الصحابة ، أسلم عام خير سنة ٧ هـ ، وغزا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، غزوات ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة .. بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم في الدين ، وولى قضاءها ، وتوفي بها سنة ٥٢ هـ . وهو يَمُنُّ باعتزال حرب « صفين » وكان مُجَابِ الدُّعَا .. وله في كتب الأحاديث ١٣٠ حديثاً .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٣٧٠ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وتذكرة الحُفَاط ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠] .

(٢) تسفيني الرياح ، أى : تُذَرُونِي وَتَعْمَلُنِي .. وفى « ط » : « تَسْفِينِي » .

(٣) أبو الدرداء ، هو الصحابى عويمر بن مالك . وقد سبق التعريف به .. وتُعَصَّدُ ، أى : تُقَطَّعُ .

(٤) من هنا إلى آخر الحديث عن « م » ولم يرد فى « ط » .

(٥) الحديث رواه البخارى فى كتاب « الرقاق » باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « كن فى الدنيا كأنك غريب » عن عبد الله بن عمر ، باختلاف يسير فى لفظه ، والحديث مُوجَّهٌ له ، وآخره : « وَخُذْ مِنْ صَحْتِكَ لِمَرْضُكَ ، وَمِنْ شَيْءِكَ لِمَوْتِكَ » .

[انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ج ١١ ص ٢٣٣ .. وقوله : « وَعُدْ نَفْسَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ » زادها الليث فى روايته ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعاً . وأخرجه أيضاً ابن المبارك فى الزهد بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون] .

(٦) فى « ط » : « قَالُوا » .

(٧) فى « م » : « الْأَرْتِ » بالثاء المثلثة ، خطأ من الناسخ . وحباب هو : حَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ بن جَنْدَلَةَ الْهَمِصِيُّ ، أَبُو يَمِيٍّ ، أو أبو عبد الله ، صحابى ، وهو عرقى لحقه سباء فى الجاهلية فَبِيعَ بِمَكَّةَ ، وكان يعمل السيوف بها ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، كان سادس سنة فى الإسلام ، وهو أول مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ .. استضعفه المشركون فذبوه ليرجع عن دينه ، فصر ولم يُعْطِ الْكَفَّارَ مَا سَأَلُوا ، إلى أن كانت الهجرة ، فهاجر ، وشهد بدرأً وأُخِذَ والمُشَاهِدَ كُلِّهَا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ونزل الكوفة ، ومات بها سنة ٣٧ هـ ، وهو أول مَنْ دُفِنَ بظَهِرِ الْكُوفَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٠١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ١١٤ - ١١٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٧ ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤] .

فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا ، أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ،
وَأَبْتَلَى فِي جِسْمِهِ آخِرًا ^(١) ، أَلَا وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . ثُمَّ مَضَى ، فَإِذَا
قُبُورٌ ^(٢) ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَالْمَحَالِّ
الْمُقْفِرَةِ ، أَنتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ ، وَبِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا
وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ . طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَفَنِيَ
بِالْكَفَافِ ^(٣) ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٤) . ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، أَمَّا الْأَرْوَاحُ فَقَدْ
لُكِحَتْ ، وَأَمَّا الدِّيَارُ فَقَدْ سَكِنَتْ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ ، هَذَا ^(٥) خَيْرٌ مَاعِنْدَنَا ،
فَمَا خَيْرٌ مَاعِنْدَكُمْ ؟ ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ ^(٦) وَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُمْ لَوْ تَكَلَّمُوا لَقَالُوا : وَجَدْنَا
أَنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ^(٧) .

(١) هكذا في ط .. ولي م : : وَأَبْتَلَى فِي جِسْمِهِ وَعَاشَ مُجَاهِدًا آخِرًا .

(٢) في م : : فَإِذَا قُبُورٌ آخِر .

(٣) في م : : وَفَنِيَ بِالْكَفَافِ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ .

(٤) في م : : عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

(٥) في ط : : فَبُهِدَا .

(٦) في م : : فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُمْ فَقَالَ . والتكرار هنا سهو من الناسخ .

(٧) في م : : وَجَدْنَا خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

البَابُ الثَّانِي فِي مَقَامَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ

دَخَلَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ^(١) عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعَلَيْهِ شِمْلَةٌ وَمِذْرَعَةٌ صُوفٍ ^(٢) فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ^(٣) اقْتَحَمَتْهُ عَيْنُهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَهْ يَا أَخْنَفُ ^(٤) ، فَقَالَ الْأَخْنَفُ : يَا أُمِيرَ

(١) هو : الأخنف بن قيس بن معاوية بن حصين المُرِّي ، السعدي ، البسْطَرِيُّ ، القمي ، أبو بحر ، سيد نعيم ، وأحد العظماء الدهاة ، الفصحاء ، الشجعان ، الفاتحين ، يُهْتَرَبُ به المثل في الجَلَم ، وُلِدَ في البصرة سنة ٣ قبل الهجرة ، وأدرك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يَرَهُ ، ووقد على عمر حين آلت إليه الخلافة في المدينة ، فاستبقاه عمر ، فمكث عاماً ، وأُذِنَ له ، فعاد إلى البصرة .. وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري ، أما بعد ، فَأَذِنَ الْأَخْنَفَ وشاورَهُ ، واسمَع منه .. الخ . وشهد الفتوح في « خراسان » واعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صفين مع « علي » ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه ، فأغلظ له الأخنف في الجواب ، فَمَثَلَ معاوية عن صبره عليه فقال : هذا الذي إذا غَضِبَ ، غَضِبَ له مائة ألف ، لا يدرون فيم غضب .

وولى الأخنف خراسان ، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير « أمير العراق » فوفد عليه بالكوفة ، فتوفى فيها وهو عنده سنة ٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٢٣ - ٤٢٥ والعقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ وغيرها في سائر الأجزاء ، والبيان والتبيين ، وكلماته وأخباره وخطبه متفرقة في سائر أجزائه ، وفي كثير من كتب الأدب والتاريخ] .

(٢) الشِمْلَةُ : شِقَّةٌ من الثياب ذات محل يَتَوَشَّعُ بها ويُتَلَفَعُ . والمِذْرَعَةُ : ثوب من صوف ، أو جُبَّةٌ مشفوفة المُقَدَّم .

(٣) مَثَلَ بين يديه : قام بين يديه مُتَّصِيباً .

(٤) هَكَذَا في « م » .. وسقطت « بالأخنف » من « ط » ومَثَ اسم فعل أمر مبنى على السكون ، ومعناه : اكْتَفَفَ .

الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلَ الْبَصَرَةِ عَدَدَ يَسِيرٍ ، وَعَظَمَ كَسِيرٍ ، مَعَ تَتَابُعٍ مِنَ الْمُحُولِ ^(١) ، وَاتِّصَالَ
مِنَ الدُّحُولِ ^(٢) فَالْمَكْثَرُ مِنْهَا قَدْ أَطْرَقَ ، وَالْمُقَلُّ مِنْهَا قَدْ أُمْلَقَ ^(٣) ، وَتَلَعَ بِهِ
الْمِخْنَقَ ^(٤) ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَتَعَشَّى الْفَقِيرَ ، وَيُجَبِّرَ الْكَاسِيرَ ^(٥) ، وَيُسَهِّلَ
الْعَسِيرَ ، وَيَصْفَحَ عَنِ الدُّحُولِ ، وَيُدَاوِيَ الْمُحُولَ ^(٦) ، وَيَأْمُرَ بِالْمَعَاءِ لِيَكْشِفَ الْبَلَاءَ ،
وَيُزِيلَ اللَّأْوَاءَ ^(٧) أَلَا وَإِنَّ السَّيِّدَ مَنْ يُمْ ^(٨) وَلَا يَحْصُرُ ، وَيَدْعُو الْجَفْلَى وَلَا يَدْعُو
التَّقَرَّى ^(٩) ، إِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ شَكَرَ ، وَإِنْ أَسَىءَ إِلَيْهِ غَفَرَ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الرَّعِيَّةِ
عِمَادًا يُلْفَعُ عَنْهُمْ الْهُلُمَاتُ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ الْمُضْضِلَاتِ ^(١٠) . فَقَالَ ^(١١) مُعَاوِيَةُ :
هَآ هُنَا يَا أَبَا بَحْرٍ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَتَقَرَّرْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ^(١٢) .

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ^(١٣) : لَمَّا حَجَّ الْمَهْدِيُّ قَالَ : لَا بُدَّ لِي مِنْ سَفْيَانٍ ، فَوَضَعُوا لِي

(١) هكذا في .. ولى ط : : تتابع المحول ، أى : تتابع الجذب وانقطاع للطر .

(٢) الدُّحُولُ : حقداء ، جمع دَحَلٍ . ويقال : طلب بذخيله . أى : بشأره .

(٣) أَطْرَقَ : أَمَالَ رَأْسَهُ إِلَى صَدْرِهِ وَسَكَتَ .. وَأَمْلَقَ : أَفْطَرَ وَاحْتَاجَ .. ولى م : : أَمْلَقَ ، بِأَلَاءٍ ، وَمَعْنَاهَا لَا يَنْبَسِ السَّيَاقُ .

(٤) المِخْنَقُ : الرِّقْبَةُ . ويريد به هنا شَيْئَةُ الضَّيْقِ .

(٥) يَجْبِرُ الْكَاسِرَ : يَكْفِيهِ حَاجَتَهُ .

(٦) يريد : يَصْفَحُ عَنِ الْخَافِقِينَ وَالتَّائِبِينَ ، وَيُزِيلُ مَا خَلَّ بِهِمْ مِنْ جَذَلٍ وَقَحْطٍ بِعَطَايَاهُ .

(٧) فى ط : : وَتَزُولُ اللَّأْوَاءُ ، وَاللَّأْوَاءُ : الْعُشْكُ وَخَيْشُ الْمِشَّةِ .

(٨) يُقَالُ : فُلَانٌ يُمْ فُلَانًا بِالْعَطِيَةِ : أَيْ : يَسْتَلْهِمُ .. ولى ط : : يَنْمُرُ .

(٩) الْجَفْلَى : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ . يريد : يدعوه جميعاً من غير تخصيص . والتَّقَرَّى : الدَّعْوَةُ الْخَاصَّةُ ، لِأَنَاسٍ بَعْضِهِمْ .

(١٠) هكذا فى ط : : يدفع عنهم المضضلات ، ويكشف عنهم الهلُمات ، والمُضْضِلَاتُ : الْمَسَائِلُ الشَّكْلِيَّةُ الَّتِي لَا تُهْتَدَى لِوَجْهِهَا .. وَالْهُلُمَاتُ : التَّوَارِيزُ الشَّدِيدَةُ مِنْ شِدَادَةِ الدَّهْرِ .

(١١) فى م : : لم قال .

(١٢) سورة محمد - من الآية ٣٠ .. وَتَقَرَّرْتَهُمْ لِي لَحْنِ الْقَوْلِ ، أى : بِفَحْوَى وَأَسْلُوبِ كَلَامِهِمْ .

(١٣) هو : سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ مَسْرُوقٍ الثَّوْرِيُّ ، مِنْ بَنِي ثَوْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، مِنْ مُضَرَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٩٧ هـ فِي خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ قَوَّةً مَأْمُونًا ثَبَاتًا ، كَثُرَ الْحَدِيثُ .. وَكَانَ سَيِّدَ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي عُلُومِ الدِّينِ وَالْفَنَوَى .. سَكَنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَكَانَ يَقُولُ : قُلْتُ بِصِلَاحِ بَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ مَعَ قَوْمٍ غَرِبَاهُ أَصْحَابُ بَيْوتٍ وَعِبَاءَ .. وَتَوَارَى مِنَ الْمَهْدَى بِبَكَّةَ ، وَلَمْ يَظْهَرْ إِلَّا لِأَهْلِ الْجَلَمِ ، وَلَهُ مَعَ الْمَهْدِيِّ أَخْبَارٌ أَوْزَدَتْهَا كُتُبُ الْأَدَبِ وَالطَّبَقَاتِ وَغَرَاهَا .

الرَّصَدُ ^(١) خَوْلَ الْبَيْتِ ، فَأَخَذُونِي بِاللَّيْلِ ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَذْنَانِي ، ثُمَّ قَالَ : لَأَيُّ شَيْءٍ لَأَتَاتِينَا فَتَسْتَشِيرُكَ فِي أَمْرِنَا ^(٢) ، فَمَا أَمَرْتَنَا مِنْ شَيْءٍ صِرْنَا إِلَيْهِ ، وَمَا نَهَيْتَنَا عَنْ شَيْءٍ اتَّهَبْنَا عَنْهُ ؟ قُلْتُ لَهُ : كَمْ أَنْفَقْتُ فِي سَفَرِكَ هَذَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، لِي أَمْنَاءُ وَوُكَلَاءٌ . قُلْتُ : فَمَا عُذْرُكَ عَدَا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ ؟ لَكِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَجَّ قَالَ لِغُلَامِهِ : كَمْ أَنْفَقْتُ ^(٣) فِي سَفَرِنَا هَذَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِينَارًا فَقَالَ ^(٤) : وَيَحْكَ ، أَجَحَفْنَا بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ !

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ ^(٥) : مَا سَمِعْتُ بِأَحْسَنَ مِنْ كَلَامِ تَكَلَّمَ بِهِ رَجُلٌ ^(٦) عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْمَعْ مِنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ دِينِكَ

= قال التعقاع بن حكيم : « كنت عند المهدي ، وأتى بسفيان النوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العائمة ، ولم يسلم تسليم الخلافة ، والربيع قائم على رأسه ، مئكي على سيفه [يرقب أمره] فأقبل المهدي بوجهه طلق وقال له : ياسفيان ، نفر منا هاهنا وهاهنا ، وتظن أننا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ؟ فقد قدرنا عليك الآن .. أفما نخشى أن نخكم فيك بهوانا ؟ »

قال سفيان : إن تخكم في يحكم فيكم ملك قادر يفرق بين الحق والباطل .

فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألهنا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ أئذن لي أن أضرب عنقه .

فقال له المهدي : اسكت وملك !! ما يريد هذا وأمثاله إلا أن تقتلهم فنشقى بسعادتهم .. اكبوا بعهده على قضاء الكوفة ، على ألا يترضى عليه في حكم .. فكتب عهده ودفعه إليه ، فأخذه وخرج ، ورمى به في « دجلة » وهرب ، فطلب في كل بلد فلم يوجد .. توفي - رحمه الله - بالبصرة سنة ١٦١ هـ متوارياً من السلطان .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٨٦ - ٣٩١ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٧١ - ٣٧٤ ، وروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٧ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٥٦ - ٣٩٣ ، وج ٧ ص ٣ - ١٤٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥١ - ١٧٤] .

(١) الرصد : الرقباء ، جمع راصيد .

(٢) في م : « أمورنا .

(٣) في م : « أنفقت .

(٤) في ط : « قال .. » وقوله : « أجحفنا بيت مال المسلمين ، أي : اشتد ضررنا به ، وذهبنا بأمواله .

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري . وسيأتي التعريف به في آخر هذا الباب .

(٦) في م : « د من كلام رجل تكلم به » .

وَمُلْكِكَ ، وَآخِرَتِكَ وَدُنْيَاكَ . قَالَ : لَا تَبْعُدْ أَحَدًا عِدَّةً وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ إِنْجَازَهَا ، وَلَا يُغْنِيكَ مُرْتَقَى سَهْلٌ ^(١) إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَغَرًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ جَزَاءً ، فَاحْذَرِ الْعَوَاقِبَ ، وَلِلدَّهْرِ تَارَاتٌ ^(٢) فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

وَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ السَّمَاءِ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ قَالَ لَهُ : عِظْنِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ لِخِلَافَتِهِ فِي عِبَادِهِ غَيْرَكَ ، فَلَا تَرْضَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِمَا رَضِيَ اللَّهُ ^(٣) بِهِ عَنْكَ ، فَإِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتَ أَوَّلَى ^(٤) النَّاسِ بِذَلِكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ طَلَبَ فَكَأَنَّكَ رَقِيبُهُ فِي مُهَلَّةٍ مِنْ أَجَلِهِ ، كَانَ ^(٥) خَلِيقًا أَنْ يَتَّبِقَ نَفْسَهُ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ ذَوَّقَهُ الدُّنْيَا حَلَاوَتَهَا بِرُكُونٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، أَذَاقَتْهُ الْآخِرَةَ مَرَارَتَهَا بِتَجَافِيهِ عَنْهَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَاشِئْتُكَ اللَّهُ أَنْ تَقْدَمَ إِلَى جَنَّةِ عَرْشِهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَقَدْ دُعِيَ إِلَيْهَا وَلَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ تَمُوتُ وَحْدَكَ ، وَتُحَاسِبُ وَحْدَكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَقْدَمُ إِلَّا عَلَى نَادِمٍ مَشْغُولٍ ، وَلَا تَخْلُفُ إِلَّا مَفْقُوتًا مَقْرُورًا ، وَإِنَّكَ وَإِيمَانَا فِي دَارِ سَفَرٍ ، وَجِيرَانِ ظُهُنٍ ^(٦) .

وَلَمَّا حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، اسْتَحْضَرَ أَبَا حَازِمٍ فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ يَا أَبَا حَازِمٍ . فَقَالَ : فِيمَ أَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : فِي الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ : يَسِيرُ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَهُ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا تَأْخُذِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِحَقِّهَا ^(٧) ، وَلَا تَضَعُهَا إِلَّا فِي أَهْلِهَا . قَالَ : وَمَنْ يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَنْ قَلَّدَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَلَّدَكَ . قَالَ : عِظْنِي يَا أَبَا

(١) في م : : سهلاً بالنصب ، والصواب بالرفع ، صفة لمرتقى ، التي وقعت فاعلاً .

(٢) في ط : : والدَّهْرُ تَارَات ، والتارات : المَكَارِهِ ، جمع بَرَّةٍ .

(٣) في م : : رَضَى بِهِ .

(٤) في م : : : وأولى .

(٥) في م : : : وكان .. ولا يصح العطف هنا .

(٦) جيران ظُهُن : مُرْتَجِلِينَ .

(٧) في م : : : إلا بِحَقِّهَا .

حَارِمٌ ^(١) . قَالَ ^(٢) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ إِلَّا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ .. ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَزَّهْتُكَ فِي عِظَمَتِهِ عَنْ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا أَنْتَ سُوقٌ فَمَا تُفَقِّ عَنْكَ ^(٣) حُمِلَ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَيُّهُمَا شِئْتَ .. قَالَ : فَمَا لَكَ لَا تَأْتِينَا ؟ قَالَ : وَمَا أَصْنَعُ بِإِثْمَانِكَ ؟ إِنْ أَذْنَيْتَنِي فَتَتَنِي ، وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي أَحْزَنْتَنِي ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَخَافُكَ عَلَيْهِ ، وَلَا عِنْدَكَ مَا أَرْجُوكَ لَهُ . قَالَ : فَأَرْفَعُ إِلَيْنَا ^(٤) حَوَائِجَكَ . قَالَ : قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ هُوَ أَقْدَرُ ^(٥) مِنْكَ عَلَيْهَا ، فَمَا أُعْطَانِي مِنْهَا قَبِلْتُ ، وَمَا مَنَعْنِي مِنْهَا رَضِيتُ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَيعَشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٧) فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ كَثِيرِ مَا قَسَمَ اللَّهُ ، أَوْ يَزِيدَ فِي قَلِيلِ مَا قَسَمَ اللَّهُ ؟ قَالَ : فَبِكَيْ سُلَيْمَانَ بُكَاءٌ شَدِيدًا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : أَسَأَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ أَبُو حَارِمٍ : أَسْكُتْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ الْعُلَمَاءِ لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، بَعَثَ إِلَيْهِ ^(٨) بِمَالٍ ، فَرَدَّهُ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا أَرْضَاهُ لَكَ ، فَكَيْفَ أَرْضَاهُ لِنَفْسِي ؟

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ : خَرَجَ هَارُونُ الرَّشِيدُ ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ لَيْلَةً إِذْ سَمِعْتُ قَرَعَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَعَرَجْتُ مُسْرِعًا ، فَإِذَا أَنَا بِهِ

(١) في « م » : « أبا حازم » . ووردت القصة بكاملها في حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٢٤ - ٢٢٧ بتصرف .

(٢) في « م » : « فقال » .

(٣) في « م » : « عندك » بدل « عنك » .. إما أنت سوق ، أي : أنت مثل السوق التي يباع فيها .

(٤) في « م » : « إلى » .

(٥) في « م » : « أحمق وأقذر » .

(٦) في « م » : « عز وجل » .

(٧) سورة الزخرف - من الآية ٣٢ .

(٨) في « م » : « بعث له » .

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى أَثِيَّتِكَ . فَقَالَ : وَيَحَكَ ، قَدْ حَاكَ ^(١) فِي نَفْسِي شَيْءٌ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا عَالِمٌ .. أَنْظِرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ . قُلْتُ لَهُ : هَاهُنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ^(٢) . قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ مُسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى أَثِيَّتِكَ . قَالَ : جِدْ ^(٣) لِمَا جِئْنَا لَهُ . فَمَحَاذَنُ سَاعَةٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ^(٤) عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا عَبَّاسُ ^(٥) اقْضِ دَيْنَهُ . ثُمَّ انْصَرَفْنَا ، فَقَالَ ^(٦) : مَا أَغْنَى عَنِّي صَاحِبُكَ شَيْئًا ، فَأَلْظَرُ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ . فَقُلْتُ ^(٧) : هَاهُنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ ^(٨) ، قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ نَسْأَلُهُ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ مُسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى

(١) حَاكَ : رَسَخَ .. فِي « م » : « حَال » بِاللَّامِ ، وَهِيَ بِمَعْنَى : غَابَ .

(٢) هُوَ : سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ مَيْمُونِ الْهَلَالِيِّ الْكُوفِيُّ ، أَبُو عَمَدٍ ، مُخَدِّثُ الْحَرَمِ الْمَكِّيُّ ، كَانَ عَالِمًا نَاقِدًا ، وَزَاهِدًا عَابِدًا ، وَلِدَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ١٠٧ هـ ، وَسَكَنَ مَكَّةَ ، وَكَانَ حَافِظًا فَتًى ، وَاسِعَ الْعِلْمِ ، ذَا رَأْيٍ رَاجِعٍ ، كَبِيرِ الْقَدْرِ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : لَوْلَا مَالُكَ وَسُفْيَانُ لَدَهَبَ عِلْمُ الْحِجَازِ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِمَكَّةَ وَذُوْنَ يَهَا سَنَةَ ١٩٨ هـ . وَجَّعَ سَبْعِينَ حِجَّةً .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٥ ، وحيية الأولياء ج ٧ ص ٢٧٠ - ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٧٤ - ١٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٣] .

(٣) جِدْ ، أَيْ : اجْتَهِدْ .. وَفِي « م » : تُخَذْ .

(٤) سَقَطَتْ « لَه » مِنْ « م » وَبَعْدَهَا : « فَقَالَ : نَعَمْ » .

(٥) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « يَا عَبَّاسِي » وَهُوَ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ .

(٦) فِي « م » : « فَقَالَ لَهُ » .

(٧) فِي « م » : « قُلْتُ » .

(٨) فِي « م » : « هَشَام » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ : تَحْرِيفٌ . وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ هُوَ : عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ بْنُ نَافِعٍ الْحَمِيرِيُّ ، أَبُو بَكْرٍ الصَّنَعَانِيُّ ، مِنْ حَفَظَاتِ الْحَدِيثِ الثَّقَاتِ .. مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ ، وَلِدَ سَنَةَ ١٢٦ هـ ، وَكَانَ يَحْفَظُ مِثْرَ سَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ ، وَقِيلَ : مَارَحَلَ النَّاسَ إِلَى أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِثْلًا رَحَلُوا إِلَيْهِ .. وَرَوَى عَنْهُ أَثَمَةُ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ ، وَمِنْهُمْ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، وَهُوَ مِنْ شَيْوَخِهِ ، وَأَحَدُ بْنُ حَبِيلٍ ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ، وَغَيْرِهِمْ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي شَوَّالِ سَنَةِ ٢١١ بِالْبَحْرَيْنِ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٠٩ - ٦١٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧] .

أَتَيْتُكَ . فَقَالَ : جِدْ (١) لِمَا جِئْنَا لَهُ . فَحَادَثَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ (٢) : عَلَيْكَ ذَيْنِ ؟
 قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ (٣) ، أَقْضِ دَيْنَهُ . ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَقَالَ : مَا أَغْنَى عَنِّي
 صَاحِبُكَ شَيْئًا ، فَأَنْظُرْ (٤) لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ ، فَقُلْتُ (٥) : هَاهُنَا الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ .
 قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَإِذَا (٦) هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي غُرْفَةٍ (٨) يَتْلُو آيَةً مِنْ كِتَابِ
 اللَّهِ ، وَيُرَدِّدُهَا (٩) ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ (١٠) ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أُجِبْ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : مَا لِي وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا عَلَيْكَ
 طَاعَتُهُ (١١) ؟ فَقَالَ : أَوْلَيْسَ قَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ
 لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ ؟ فَتَزَلَّ فَفَتَحَ الْبَابَ ، ثُمَّ ارْتَقَى الْعُرْفَةَ فَاطْفَأَ السَّرَاجَ ، ثُمَّ التَّجَأَ
 إِلَى زَاوِيَةٍ مِنَ زَوَايَا الْعُرْفَةِ ، فَجَعَلْنَا نَحُولُ عَلَيْهِ بِأَيْدِينَا ، فَسَبَقَتْ كَفَّ الرَّشِيدِ كَفِّي
 إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أُوهِ (١٢) مِنْ كَفِّ مَا أَلَيْنَهَا إِنْ نَجَتْ عَدَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى !

(١) في م : م : نَحْذ .

(٢) سقطت له ، من م : م .

(٣) في ط : ط : ياعباسي .

(٤) في م : م : انظر .

(٥) في م : م : قلت .

(٦) هو : الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي البربري ، أبو علي ، أحد الأقطاب ومن أكابر العباد الصالحين ،
 وُلِدَ بِمِغْرَاسَانَ بِكُورَةِ أَيْبُورْدَ سنة ١٠٥ هـ ، وَقَدِمَ الْكُوفَةَ وهو كبير ، فسمع بها الحديث ، ثم تَمَبَّدَ وَانْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ
 وَجَاوَزَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سنة ١٨٧ هـ وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥٣ ، وحملة الأولياء ج ٨ ص ٨٤ - ١٣٩ ، والرسالة القشورية ج ص ٦٢ - ٦٤ ،
 وطبقات الصوفية ص ٦ - ١٤ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٦٨ ، ٦٩ ، وطبقات الأولياء ص ٢٦٦ - ٢٧١ ،
 ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٧ - ٥٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣١٦ - ٣١٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١
 ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ وفيها قال عنه هارون الرشيد : مارأيت في العلماء أَمِيبَ مِنْ مَالِكٍ وَلَا أَوْزَعَ مِنَ الْفَضِيلِ] .

(٧) في ط : ط : رأذ .

(٨) في م : م : غرفته .

(٩) في م : م : وهو يردددها .

(١٠) في م : م : وقرعت عليه الباب .

(١١) في ط : ط : طاعة .

(١٢) أُوهِ ، يسكون الواو وكسر الهاء : كلمة تقال عند التوجع .. وفي ط : م : أُوَاه .

قَالَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْكَلْمَتُهُ ^(١) اللَّيْلَةَ بِكَلَامِ نَقِيٍّ مِنْ قَلْبِ نَقِيٍّ . فَقَالَ : جِدَّ ^(٢) لِمَا جِئْنَا لَهُ يَرْحُمَكَ اللَّهُ . قَالَ : وَفِيمَ جِئْتُ ؟ حَطَبْتُ ^(٣) عَلَى نَفْسِكَ ، وَجَمِيعُ مَنْ مَعَكَ حَطَبُوا عَلَيْكَ ، حَتَّى لَوْ سَأَلْتَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ الْغُطَاءِ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ^(٤) أَنْ يَحْمِلُوا عَنْكَ شَيْئًا ^(٥) مِنْ ذَنْبٍ مَافَعَلُوا ، وَلَكِنْ أَشَدُّهُمْ حُبًّا لَكَ أَشَدُّهُمْ هَرَبًا مِنْكَ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ [رَحِمَهُ اللَّهُ] ^(٦) لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ دَعَا سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْظِيَّ ، وَرَجَاءَ بْنَ حَيَّوَةَ ^(٧) ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ ابْتَلَيْتُ بِهِذَا الْبَلَاءِ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَقَدْ الْخِلَافَةَ بِلَاءٌ ، وَعَدَدُوتُهَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ نِعْمَةٌ ، فَقَالَ لَهُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : إِنَّ أَرَدْتَ النُّجَاةَ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ^(٨) فَصُمْ عَنِ الدُّنْيَا ، وَتَكُنْ

(١) فِي د م : لَتَكَلَّمَتُهُ .

(٢) فِي د م : تَحَذَّ .

(٣) هَكَذَا فِي د م .. وَفِي ط : : حَمَلْتُ بدل حَطَبْتُ ، و : حَمَلُوا بدل حَطَبُوا .. وَحَطَبَ عَلَى فَلَان : سَعَى بِهِ .

(٤) الْمُرَادُ بِانْكِشَافِ الْغُطَاءِ : وَضُوحُ الْحَقِيقَةِ مِثْلَةَ أَمَامِ الْعَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي كَانَ الْإِنْسَانُ غَافِلًا عَنْهَا فِي الدُّنْيَا ، وَفِيهَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَفَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَهَرَمْتُمْ الْيَوْمَ ﴾ حَدِيدٌ ٢٢ .

(٥) الشَّقْصُ : الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(٦) مَايِنُ الْمُعْتَرِفِينَ عَنْ د م : وَسَاقَطَ مِنْ ط .

(٧) الْأَوَّلُ : سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَحَدُ فَقَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ ، وَمِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ وَعِلْمَائِهِمْ وَتَقَاتِهِمْ . تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١٠٦ هـ .

وَالثَّانِي : مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ ، حَلِيفُ الْأَوْسِ ، أَبُو هِزْمَةَ الْمَدِينِيُّ ، مِنَ التَّابِعِينَ .. وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عِلْمًا وَفَقْهًا ، وَكَانَ مُحَدِّثًا ثِقَةً .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١٠٨ هـ وَقِيلَ سَنَةَ ١١٧ هـ وَهُوَ ابْنُ ثَمَالٍ وَسَعِيدُ سَنَةِ .

وَالثَّلَاثُ : رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ بْنِ جَزُولِ الْكِنْدِيِّ ، أَبُو الْمُقَدَّمِ ، شَيْخُ أَهْلِ الشَّامِ فِي عَصَرِهِ ، وَمِنْ الْوُحَاظِ الْفَصَحَاءِ الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ مَلَامَرًا لِمَنْ بِنَ عِدِ الْعَزِيزِ فِي عَهْدِي الْإِمَارَةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَهُوَ الَّذِي أَمَّارٌ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِاسْتِخْلَافِ عُمَرَ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١١٢ هـ .

[انْظُرْ رِجَالَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ٢ ص ٦٧٥ ، وَالْحَلِيقَةِ ج ٢ ص ١٩٣ - ١٩٨ رَج ٣ ص ٢١٢ - ٢٢١ وَج ٥ ص ١٧٠ - ١٧٧ ، وَطَبَقَاتُ الشُّعْرَانِي ج ٢ ص ٣٨ ، وَالْأَعْلَامُ ج ٣ ص ٧١ وَ ١٧٠] .

(٨) فِي د م : : عَذَابُ اللَّهِ تَعَالَى .

فُتَارَكَ فِيهَا الْمَوْتُ ، وَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : إِنْ أُرِذْتَ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَذَا ، فَلْيَكُنْ كَبِيرُ الْمُسْلِمِينَ لَكَ أَبَا ، وَأَوْسَطُهُمْ عِنْدَكَ أَخَا ^(١) ، وَأَصْغَرُهُمْ وَلَدَا ، فَبَرَّ أَبَاكَ ، وَارْحَمْ أَخَاكَ ، وَتَحَنَّنْ عَلَى وَلَدِكَ . وَقَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ : إِنْ أُرِذْتَ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَذَا فَأَجِبْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاکْرَهُ لَهُمْ مَا تُكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، ثُمَّ مَنَى شَيْئًا مَثًا ، وَإِنِّي لَأَقُولُ لَكَ هَذَا ، وَإِنِّي لَأُخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الْخَوْفِ يَوْمَ تَزُلُّ ^(٢) الْأَفْدَامُ ، فَهَلْ مَعَكَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مِثْلُ هَؤُلَاءِ ^(٣) الْقَوْمِ مِمَّنْ يَأْمُرُكَ بِبِئْسَ هَذَا ؟

فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : ارْفُقْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : يَا بَنَى أُمِّ الرَّبِيعِ ، قَتَلْتَهُ أَنتَ وَأَصْحَابُكَ وَأَرْفُقْ بِهِ أَنَا ؟ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : زِدْنِي .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلَغَنِي أَنَّ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَكَا إِلَيْهِ سَهْرًا ^(٤) فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا ابْنِي ، اذْكُرْ سَهْرَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ ، وَخُلُودَ الْأَبْدَانِ ^(٥) فَإِنَّ ذَلِكَ يَطْرُدُ ^(٦) بِكَ إِلَى رَبِّكَ نَائِمًا وَيَقْطَعُ ^(٧) ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَزُلَّ قَدَمُكَ عَنْ هَذَا السَّبِيلِ فَيَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ ، وَيَنْقَطِعَ ^(٨) الرَّجَاءُ مِنْكَ . فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ طَوَى الْبِلَادَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا أَقْدَمَكَ ؟ قَالَ لَهُ : خَلَعْتُ قَلْبِي بِكِتَابِكَ ، لَا وَلِيْتُ لَكَ وَلَا يَهْ أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى . فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْعَبَّاسَ ، عَمَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَاءَهُ فَقَالَ :

(١) في « م » : « فاجعل كبير المسلمين عندك أبًا ، وأوسطهم أخًا » .

(٢) في « م » : « تَزُلُّ فِيهِ » .

(٣) في « ط » : « مثل هذا القوم ممن يأمر بك » .

(٤) سقطت « سهرًا » من « م » هي « ابن عبد العزيز » بعدها .

(٥) في « ط » : « وخلود الأبد » .

(٦) يَطْرُدُ : يُرْسِلُ .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يقطعًا » لا تصح ، ممنوعة من الصرف .

(٨) في « ط » : « وينقطع » .

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمَرْنِي عَلَى إِمَارَةٍ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيُّ ، نَفْسٌ تُحِبُّهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَأُتْحَصِبَهَا ، إِنَّ الْإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَتَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ . فَبَكَى هَارُونُ الرَّشِيدُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ ^(٢) .

قَالَ : يَا حَسَنَ الْوَجْهِ ، أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ ^(٣) اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقِيَ هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُتْسَى وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ^(٤) : مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًا لَمْ يَرْحَ رَاحَةَ الْحَجَّةِ . فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، دَيْنٌ لِرَبِّي لَمْ يُحَاسِبْنِي عَلَيْهِ ، فَأَلْوَيْلُ لِي إِنْ سَأَلَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ نَاقَشَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ يُلْهِمْنِي حُجَّتِي . قَالَ : إِنَّمَا أَغْنَى دَيْنَ الْعَبَادِ . قَالَ : إِنْ رَبِّي لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا ، أَمَرْنِي أَنْ أُصَدِّقَ وَعْدَهُ ، وَأُطِيعَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ^(٥) إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ^(٦) . فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، خُذْهَا فَأَتَفَقَّهْ عَلَى عِيَالِكَ ، وَتَقَوَّ بِهَا عَلَى عِنَادَةِ رَبِّكَ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَنَا أَذُلُّكَ عَلَى سَبِيلِ ^(٧) النَّجَاةِ وَتُكَافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا ، سَلَّمَكَ اللَّهُ وَوَفَّقَكَ ؟ ثُمَّ صَمَتَ فَلَمْ يُكَلِّمْنَا ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ لِي هَارُونُ : إِذَا ذَلَّلْتَنِي عَلَى رَجُلٍ فَذَلِّلْنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ .

(١) في « م » : « فقال النبي » .

(٢) في « م » : « يرحمك الله تعالى ، وبعدها : « فقال » .

(٣) في « م » : « نسلك » تحريف من الناسخ .

(٤) في « م » يقول .

(٥) هكذا في « ط » وفي القرآن الكريم .. وفي « م » : « الجن والجن » .

(٦) سورة الذاريات ، الآيات من : ٥٦ - ٥٨ .

(٧) في « ط » : « على النجاة » .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ ^(١) دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ ^(٢) : يَا هَذَا ، أَمَا تَرَى ^(٣) مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ ؟ فَلَمَّا قِيلَتْ هَذَا الْمَالَ فَفَرَجْنَا بِهِ . فَقَالَ : إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كِمَثَلِ قَوْمٍ كَانَ لَهُمْ بَعِيرٌ يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ نَحْرُهُ ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ . مُوتُوا يَا أَهْلِي جُوعاً وَلَا تَذْبَحُوا فُضَيْلاً . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدُ ذَلِكَ قَالَ : ادْخُلْ ، فَعَسَى أَنْ يَقْبَلَ الْمَالَ . قَالَ : فَدَخَلْنَا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِنَا الْفَضِيلُ خَرَجَ وَجَلَسَ عَلَى التُّرَابِ عَلَى السَّطُوحِ ، فَجَاءَ ^(٤) هَارُونُ الرَّشِيدُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ ، فَلَا يُجِيبُهُ ، فَبَيْنَا نَحْنُ ^(٥) كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ : يَا هَذَا ، قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ ، فَأَنْصَرِفْ يَرْحَمَكَ اللَّهُ ، فَأَنْصَرَفْنَا .

وَوَعَّظَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ ^(٦) الْمَنْصُورَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ فَوْقَكَ أَحَدًا ، فَلَا تَجْعَلْ فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ شُكْرًا ^(٧) .

وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ ^(٨) عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَرَأَ : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلِإِلَاحِ عَشْرِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ

(١) أَى : مِنْ نِسَاءِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ .

(٢) فِي (م) : « قَالَتْ : يَا هَذَا » .

(٣) فِي (ط) : « قَدْ تَرَى » .

(٤) سَقَطَتْ : « فَجَاءَ هَارُونُ الرَّشِيدُ » مِنْ (م) ، وَفِيهَا : « فَجَلَسَ هَارُونُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ وَلَا يُجِيبُهُ » .

(٥) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « فَبَيْنَا كَذَلِكَ » .

(٦) فِي (م) وَ (ط) : « شَيْبَةُ » ، تَحْرِيفٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْتَاهُ « شَيْبَةُ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَوْعِظَةُ فِي تَارِيخِ

بَغْدَادِ ج ٩ ص ٢٧٥ .

وَهُوَ : شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التِّيمِيُّ الْمَنْقَرِيُّ الْأَهْمَسِيُّ ، أَبُو مَعْمَرٍ ، أَدِيبُ الْمُلُوكِ ، وَجَلِيسُ الْفُقَرَاءِ ، وَأَخُو الْمَسَاكِينِ .. مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ لَسِينًا فَصِيحًا ، قَدِيمُ بَغْدَادِ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ ، فَاتَّصَلَ بِهِ ، وَبِالْمَهْدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ ، وَكَانَ كَرِيمًا عَلَيْهِمَا ، أَثْبَرَا عِنْدَهُمَا . تَوَفَّى سَنَةَ ١٧٠ هـ .

[انْظُرْ تَارِيخَ بَغْدَادِ ج ٩ ص ٢٧٤ - ٢٧٨ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٢ ص ٤٥٨ - ٤٦٠ ، وَمِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ ج ٢

ص ٢٦٢ ، وَالْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ ج ١ ص ٢٤ ، ٤٧ وَغَيْرُهُمَا ، وَالْأَعْلَامُ ج ٣ ص ١٥٦] .

(٧) فِي (م) : « فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ شُكْرًا » .

(٨) فِي (ط) : « عَمْرُ » خَطَأً .. وَهُوَ : عَمْرُو بْنُ عَبِيدِ بْنِ يَابِ ، التِّيمِيُّ بِالْوَلَاءِ ، أَبُو عَثَانَ الْبَصْرِيُّ ، شَيْخُ

الْمَعْتَزَلَةِ فِي عَصْرِهِ .. كَانَ تَقِيًّا وَرِعًا ، وَكَانَ مِنَ الْمُخَذَّثِينَ ، وَأَحَدِ الزُّهَادِ الْمَشْهُورِينَ ، وَكَانَ تَلْمِذًا لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ إِلَى أَنْ انْفَصَلَ عَنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ مَعَ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ ، وَهُوَ يُعِيدُ الْوَعظَ ، ثُمَّ لَا يَخْشَى فِي وَعْظِهِ خَلِيفَةً أَوْ أَمِيرًا ،

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِمٌ رِصَادٍ ﴾^(١) لِمَنْ فَعَلَ بِمِثْلِ فَعَالِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ
 بِبَابِكَ^(٢) نِيرَانًا تَأْجُجُ ، لَا يُعْمَلُ فِيهَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَلَا يَسْتَوِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ^(٣) ، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا^(٤) وَلَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ ، فَلَا تُصْلِحْ
 دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ^(٥) ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ عُمَا لَكَ أَنَّهُ لَا يُرْضِيكَ مِنْهُمْ إِلَّا الْعَدْلُ
 لَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرِيدُ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ^(٦) : أَسْكُتَ فَقَدْ غَمَمْتَ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو^(٧) : وَبَلَّكَ يَا بَنُ أُمِّ مُجَالِدٍ ، أَمَا كَفَاكَ أَنَّكَ خَزَنْتَ نَصِيحَتَكَ
 عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَرَدْتَ أَنْ تُحَوِّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَنْصَحُهُ ، أَتَى اللَّهَ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ اتَّخَذُوا سُلْمًا إِلَى شَهَوَاتِهِمْ ، فَأَنْتَ كَالْمَاسِكِ بِالْقُرُونِ ،
 وَغَيْرِكَ يَحْلِبُ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .

= وكان يحترق عطاياهم ، ويعلو بنفسه على نفوسهم ، وينفذ بموعظته إلى قلوبهم فيكبرهم ، ثم يلحون عليه في أن
 يفتش مجالسهم فيأى .. وأخباره مع المنصور كثيرة ، وقد وُلِدَ سنة ٨٠ هـ وتوفي بِمُرَّان - قرب مكة - سنة ١٤٤ هـ
 وقد رثاه المنصور ، وَلَمْ يُسَمَّعْ بِخَلِيفَةِ رَفِيٍّ مِنْ دُونِهِ سِوَاهُ ، وكان يقول فيه :

« كلِّكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد »

وفي العلماء من يراه مبتدعاً ، وتركوا أحاديثه . وقال عنه ابن حبان : « كان من أهل الورع إلى أن أحدث ما
 أحدث » .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٦٦ - ١٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٠ - ٤٦٢ ، وطبقات المعتزلة
 ص ٣٤ وغيرها ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٩٤ ، وطبقات الصوفية ص ٢٥٣ ، وكتاب الضعفاء الكبير للعقيلي
 ج ٣ ص ٢٧٧ - ٢٨٦ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٣ - ٢٨٠ ،
 والأعلام ج ٥ ص ٨١] .

(١) الآيات من أول سورة الفجر ، إلى الآية ١٤ .

(٢) في « م » : « شابك - أو شيا بك » وكلاهما تحريف من الناسخ ، باعتبار ما بهما .

(٣) سقطت « صلى الله عليه وسلم » من « ط » .

(٤) اجتروا : ارتكبا - أو اكتسبوا من المحرمات والموبقات .

(٥) في « ط » : « فلا تصلح دنياهم إلا بفساد آخرتك » .

(٦) في « ط » : « سليمان » خطأ .. والصواب : « سليمان » وهو : سليمان بن جبالد ، مولى أبي جعفر
 المنصور .

(٧) في « م » : « فقال عمرو » .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ ^(١) لِلْمَنْصُورِ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ كَانَ
بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَرِيدَةً يَابِسَةً يَسْتَاكُ ^(٢) بِهَا ، وَيَرْدُعُ بِهَا
الْمُتَارِقِينَ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ؟ أَقْدَفَهَا ؟
لَا تَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَقَّقَ أَسْتَارَهُمْ ، وَاتَّهَبَ
أَمْوَالَهُمْ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ^(٤) دَعَا إِلَى الْفِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ
بِحَدِّشَةٍ حَدِّشَهَا أَغْرَابِيًّا مِنْ غَيْرِ عَمِدٍ ^(٥) ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ
يَمْعَثْكَ جَبَّارًا تُكَسِّرُ قُرُونَ رَعِيَّتِكَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنَ النَّارِ نُشِرَ ^(٦) عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ لَأَجِثَتْهُ ^(٧) ، فَكَيْفَ
بِمَنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا ^(٨) مِنَ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ لَأَجِثَتْهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ
يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سَلَسِلٍ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَدَابَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ
يُسَلْسَلُ ^(٩) فِيهَا وَيَرْدُعُ فَضْلُهَا عَلَى عُنُقِهِ ^(١٠) ؟ .

(١) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يُخَيْدِ الْأَوْزَاعِي ، من قبيلة الْأَوْزَاعِ ، أبو عمرو ، إمام الديار الشامية في
الفقه والزهد ، وُلِدَ فِي بعلبك سنة ٨٨ هـ ، ونَشَأَ فِي البقاع .. قال عنه صالح بن يحيى في تاريخ بيروت : كان
الْأَوْزَاعِيُّ عَظِيمَ الشَّانِ بِالشَّامِ ، وَكَانَ أَمْرُهُ فِيهِمْ أَعَزُّ مِنْ أَمْرِ السُّلْطَانِ ، وَغُرُضُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ فَا مَنَعَ . وَكَانَ لَا يَخَافُ فِي
اللَّهِ لَوْمَةً لَامٍ ، يَقُولُ الْحَقَّ وَلَا يَخَافُ سَطْوَةَ الْعِظَامِ .. وَكَانَ الْمَنْصُورُ بِعَظَمِهِ وَبِصَغِيِّ إِلَيْهِ وَبِجَلِّهِ .. نَوْفَى - رَحِمَهُ اللَّهُ -
سنة ١٥٧ هـ وَفَرِهَهُ فِي قَرْيَةٍ عَلَى بَابِ بَيْرُوتِ يُقَالُ لَهَا « حَتْتُوس » .

[انظر حلية الأولياء ج ٦ ص ١٣٥ - ١٤٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص
١٧٨ - ١٨٣ ، والمعارف ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، والأعلام
ج ٣ ص ٣٢٠] .

(٢) يستاك بها : يتخذ منها سواكاً ينظف فمه وأسنانه به .

(٣) عليه السلام : لم ترد في « د م » .

(٤) المراد بالمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

(٥) في « ط » : « من غير عميد » .

(٦) في « د م » : « صُبَّ » بدل « نُشِرَ » والثانية هي المناسبة للمقام .

(٧) في « د م » : « لَأَجِثَتْ » في الموضعين .

(٨) الذُّنُوبُ : الذُّلُورُ .

(٩) في « د م » : « يَسْلُكُ فِيهَا ، أَى : يَدْخُلُ وَيَنْفِذُ .

(١٠) في « د م » : « عَلَى عَاتِقِهِ » . والمعاق : ما بين التَّنَكُّبِ وَالْعُنُقِ .

وَدَعَلَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ عَلَى سُلْطَانٍ فَقَالَ لَهُ ^(١) : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ ^(٢) مَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَوَّلَاهُمْ بِالْإِنصَافِ مَنْ بَسَطَ يَدَيْهِ ^(٣) بِالْقُدْرَةِ ، فَاسْتَدِمَ مَا أُوتِيَتْ مِنَ النِّعَمِ بِنَادِيَةِ مَا عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ .

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَتَيْتُ عَلَى النَّاسِ سِتْرُونَ ثَلَاثَ : أُمَّا الْأُولَى فَأَكَلَتِ اللَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّانِيَةُ فَأَذَابَتِ الشَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّالِثَةُ فَهَاضَتِ ^(٤) الْعَظْمَ ، وَعِنْدَكَ فَضُولُ أَمْوَالٍ ، فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ فَاقْسِمْنَهَا بَيْنَ عِبَادِهِ ^(٥) ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَلِمَ تَحْصُرُهَا ^(٦) عَلَيْهِمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا ، فَإِنَّ ^(٧) اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ . فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالٍ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : الْكُلُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ مِثْلُ ^(٨) هَذَا ؟ قَالَ : لَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ الْمَالِ . قَالَ : لَأَحَاجَّةٌ لِي فِيمَا يَبْعَثُ لِأَمَةِ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَذْكَرُ لِمُقَامِي هَذَا مُقَامًا ^(٩) لَا يَشْفُلُ اللَّهُ عَنْكَ كَثْرَةُ مَنْ يُحَاصِمُ مِنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ تَلْقَاهُ ^(١٠) بِلَا ثِقَةٍ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلِابْرَاءَةٍ مِنَ الذَّنْبِ : فَبَكَى عُمَرُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ اسْتَرَدَّهُ الْكَلَامَ ^(١١) ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُ وَعُمَرُ يَبْكِي وَيَسْتَجِبُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : عَامِلُكَ أَخَذَ مِنِّي الثَّنِي عَشَرَ ^(١٢)

(١) سقطت « له » من « م » .

(٢) في « م » : « : بِالْإِنْسَانِ » .

(٣) في « م » : « : مَنْ بَسَطَ يَدَيْهِ » .

(٤) هَاضَتِ الْعَظْمَ : أَضَعَفَتْهُ وَالْأَنْتَهَى .

(٥) في « م » : « : عِبَادَ اللَّهِ » .

(٦) في « م » : « : تَحْصُرُهُمْ .. لِانْصَح . وَتَحْصُرُهَا : تَقْتَعِبُهَا عَنْهُمْ .

(٧) في « م » : « : إِنَّ .

(٨) في « م » : « : أَكُلَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا الْمَالِ ؟ » .

(٩) سقطت « ومقاماً » من « ط » .

(١٠) في « م » : « : يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

(١١) اسْتَرَدَّهُ الْكَلَامَ : سَأَلَهُ أَنْ يُرَدِّدَهُ عَلَيْهِ .. وفي « م » : « : فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُ » بدل « يُرَدِّدُهُ » خطأ من الناسخ .

(١٢) سقطت « اثني » من « م » .

أَلَفَ دِرْهَمٍ . قَالَ : أَلَا تُكْتَبُونَ لَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ ^(١) ؟ .

وَلَمَّا دَخَلَ زَيْدٌ ^(٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : يَا زَيْدُ ، أَلَا تَرَى مَا ابْتُلِيتَ ^(٣) بِهِ مِنْ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ زَيْدٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ شَعْرَةَ ^(٤) مِنْكَ نَطَقَتْ ، مَا بَلَغْتَ كُنْهَ مَا أَنْتَ فِيهِ ^(٥) ، فَأَعْمَلُ لِنَفْسِكَ فِي الْخُرُوجِ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ بِكَ غَدًا وَقَدْ سُئِلْتَ عَنْ هَذِهِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِ ؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٦) ، كَيْفَ حَالُ رَجُلٍ لَهُ خَصْمٌ أَلَدٌ ؟ قَالَ : سَيِّءُ الْحَالِ . قَالَ : فَإِنْ كَانَ لَهُ ^(٧) خَصْمَانِ أَلَدَانِ ؟ قَالَ : أَسْوَأُ الْحَالَةِ ^(٨) . قَالَ : فَإِنْ كَانُوا ثَلَاثَةً ؟ قَالَ : لَا يَهْنِئُهُ عَيْشٌ ^(٩) . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ ^(١٠) مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا وَهُوَ خَصْمُكَ . قَالَ ^(١١) : فَبَكَى حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، وَحَتَّى ^(١٢) تَمَنَّى أَنْ لَا أَكُونَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ ^(١٣) : كُنْتُ أَرَى شَيْخًا يَدْخُلُ عَلَى الْمَأْمُونِ فِي السَّنَةِ مَرَّةً

(١) في (م) : : اكتبوا له حتى يرد عليه .. وسقطت « ماله » منها .

(٢) هو : زيد العبدي .. انظر مدار بينهما في البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٢٧ .

(٣) في (م) : : إلى ما ابتليت .

(٤) في (م) : : كل شعرة .

(٥) أي : حقيقة ما أنت فيه .

(٦) من أول قوله : كيف بك .. إلى هنا عن (م) .. ولم يرد في (ط) .

(٧) في (م) : : « فإن كان خصمان » .

(٨) هكذا في (م) .. وفي (ط) : : « أسوأ حاله » .. وفي البداية والنهاية : « أسوأ حالا » .

(٩) أي : لا يهئ له عيش .

(١٠) في (ط) : : « ما أحد » وسقطت « صلى الله عليه وسلم » بعدها من (م) .

(١١) سقطت « قال » من (م) .

(١٢) سقطت « حتى غشي عليه » من (ط) .

(١٣) من أول هذه الفقرة عن (م) ولم يرد في (ط) .. ويحيى هو : يحيى بن أكرم بن محمد بن قطن التميمي الأستدي المروزي ، أبو محمد : قاضي رفيع القدر ، عال الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، ينصل نسبه بأكرم بن صيفي ، حكيم العرب .. وُلِدَ بِمَرْوَ سنة ١٥٩ هـ ، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها . فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ .

وَاحِدَةً ، وَكَانَ يَخْلُو بِهِ خَلْوَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَلَا يَسْمَعُ لَهُ خَبَرًا ، وَلَا يَرَى لَهُ أَثَرًا ، وَلَا يَقْدُمُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَ لَنَا الْمَأْمُونُ : وَالْأَسْفَى عَلَى فَقْدِ صَدِيقٍ مَسْكُونٍ إِلَيْهِ ، مَوْتُوقٍ بِهِ ، ثَلَقَى إِلَيْهِ الْعُجْرُ وَالْبَجْرُ ^(١) ، وَتَقَبَّسَ مِنْهُ الْفَوَائِدُ وَالْدُرَرُ . قُلْنَا : وَمَنْ ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَّا كُنْتُ تَرَى شَيْخًا يَأْتِينَا فِي الْفَرَطِ ^(٢) وَيَخْلُو بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْ إِيَابِهِ ^(٣) ، وَأَطْنُ أَنَّهُ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِ . قُلْتُ : اللَّهُ يُمِدُّ فِي عُمَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا فِي ذَاكَ ؟ قَالَ : كَانَ صَدِيقِي بِخُرَاسَانَ ، وَكُنْتُ أُسْتَرِيحُ إِلَيْهِ اسْتِرَاحَةَ الْمَكَاتِبِ ^(٤) بِالْوَلَدِ الْبَارِ الْمَحْجُوبِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أُسْتَمِدُّ مِنْهُ رَأْيًا أَقُومُ بِهِ أَوْدَ الْمَمْلَكَةِ ^(٥) ، وَأَصِلُ بِهِ إِلَى رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - فِي السِّيَاسَةِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَآخِرُ مَقَالَةٍ لِي عِنْدَ وَدَاعِهِ أَنْ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا اسْتَشَنْتَ ^(٦) مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ فَابْتَئِلْهُ . فَقُلْتُ : بِمَاذَا يَصَاحِبُ الْحَيَّرَ ؟ قَالَ : بِالْأَقْتِدَاءِ بِهِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، كَمَا تُحِبُّ الْإِحْسَانَ مِنْ حَاشِيَتِكَ إِلَى وَلَدِكَ .. وَاللَّهِ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ الْقُدْرَ عَلَيْهِمْ إِلَّا

= ثم قضاء القضاة ببغداد ، وأضاف إليه تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه .. وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد .. وكان - مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء - حسن العشرة ، حلو الحديث ، لذا استولى على قلب المأمون حتى أُمِرَ بِالْأَلَا يُحْجَبَ عَنْهُ لَيْلاً وَلَا نَهَاراً .. وله غزوات وغارات ، منها : أَنْ الْمَأْمُونُ وَجَّهَهُ سَنَةَ ٢١٦ إِلَى بَعْضِ جِهَاتِ الرُّومِ ، فَعَادَ ظَافِراً .. وَكَانَ يَنْهَمُ بِأُمُورٍ شَاعَتْ عَنْهُ وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ ، وَتَدَاوَلَهَا الشُّعْرَاءُ ، وَأَنْكَرَهَا - بَعْدَهُ - الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ .. وَلَمَّا مَاتَ الْمَأْمُونُ وَوَلَّى الْمُعْتَصِمَ ، عَزَلَهُ عَنِ الْقَضَاءِ ، فَزَمَ بَيْتَهُ ، وَآلَ الْأَمْرَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَرَدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ ، ثُمَّ عَزَلَهُ سَنَةَ ٢٤٠ هـ .. وَتَوَلَّى بِالرُّبْدَةِ - مِنْ قَرْيَةِ الْمَدِينَةِ - سَنَةَ ٢٤٢ هـ . وَأَعْبَاهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٧ - ١٦٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٩١ - ٢٠٤ ، ونهار القلوب ص ١٥٦ - ١٥٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٢٦١ ، ٢٦٢] .

(١) الْعُجْرُ وَالْبَجْرُ : الْأَسْرَارُ وَالْمُعَاطَبَاتُ .. وَفِي اللَّسَانِ : أَفْضَيْتُ إِلَيْهِ يَعْجَرِي وَيُجْعَرِي ، أَيْ : بِعِيْنِي وَأَمْرِي كُلِّهِ .

(٢) الْفَرَطُ : الْحَيْنُ ، وَيُقَالُ لِلرُّجُلِ تَلْقَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ : إِذَا تَلَقَّاهُ فِي الْفَرَطِ .

(٣) عَنْ إِيَابِهِ : عَنْ وَفْقِهِ وَزَمَانِهِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ .

(٤) الْمَكَاتِبُ : السُّبُودُ .

(٥) أَقُومُ بِهِ أَوْدَ الْمَمْلَكَةِ : أَزِيلُ أَعْوَجَاجَهَا .

(٦) اسْتَشَنْتُ : جَفْتُ وَيَسَّ .

لِتَصْبِرَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيْهِمْ بِالشُّكْرِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ ، وَالتَّعَمُّدِ لِسَيِّئَاتِهِمْ ^(١) ، وَأَتَى شَيْءٌ
أَوْجَهُ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ أَنْ تُكَونَ إِيَّامَكَ عَدْلٌ وَإِنصَافٌ ، وَإِحْسَانٌ وَإِشْفَاقٌ ، وَرَأْفَةٌ
وَرَحْمَةٌ ؟

مَنْ لِي يَأْتِيَنِي بِمِثْلِ هَذَا الْقَائِلِ ؟ وَأَتَى لِي مَنْ يُذَكِّرُنِي مَا أَنَا إِلَيْهِ صَائِرٌ ^(٢) ؟ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ^(٣) لِعَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا
سَوْقٌ ^(٤) ، فَمِنْهَا خَرَجَ النَّاسُ بِمَا رَبِحُوا فِيهَا لِآخِرَتِهِمْ ، وَخَرَجُوا بِمَا بَضُرُهُمْ ، فَكَمْ مِنْ
قَوْمٍ غَرَّهُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصْبَحْنَا فِيهِ حَتَّى أَتَاهُمُ الْمَوْتُ ، فَخَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مُزْمِلِينَ ^(٥) لَمْ
يَأْخُذُوا مِنَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ، فَاقْتَسَمَ مَالَهُمْ مَنْ لَا يَحْمَدُهُمْ ^(٦) ، وَصَارُوا إِلَى مَنْ
لَا يَعْدُرُهُمْ ، فَانْظُرْ إِلَى الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فَقَدَّمَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى تُخْرَجَ إِلَيْهِ ،
وَانْظُرْ إِلَى الَّذِي تُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِذَا قَدِمْتَ ، فَاتَّبِعْ بِهِ الْبَدَلَ ^(٧) حَيْثُ يَجُوزُ
الْبَدَلُ ، وَلَا تَدْمَهِنَّ إِلَى سِلْعَةٍ قَدْ بَارَثَ عَلَى غَيْرِكَ تَرْجُو جَوَازَهَا عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
اُنْجِ الْأَبْوَابَ ، وَسَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَانصُرِ الْمَظْلُومَ .

وَحَضَرَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضِ الْمُلُوكِ فَأَغْلَظَ لَهُ السُّلْطَانُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّمَا أَنتَ
كَالسَّمَاءِ ، إِذَا أُرْعِدْتَ وَأُبْرِقْتَ فَقَدْ قَرَّبَ خَيْرَهَا . فَسَكَنَ غَيْظُهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .

وَلَمَّا اخْتِاجَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ مَلِكَ الْأَنْدَلُسِ ^(٨) أَنْ يَأْخُذَ أَرْضاً مُحِبَسَةً

(١) أَى : بِالشُّكْرِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا .

(٢) إِلَى هَذَا يَتَنَبَّأُ السَّاقِطُ مِنْ « ط » ، الْمَشَارُ إِلَى آتِفًا .

(٣) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْفَرَزَقِيُّ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٤) فِي « م » : « سَوْقٌ مِنَ الْأَسْوَاقِ » .

(٥) مُزْمِلِينَ : لَيْفَكَ زَائِدُهُمْ وَاقْتَرَوْا .

(٦) أَى : مَنْ لَا يَتَنَبَّأُ عَلَيْهِمْ وَيَجَازِيهِمْ وَيَقْضِي حَقَّهُمْ .

(٧) الْبَدَلُ : الْخُلْفُ وَالْيَوْمُضُ .

(٨) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ .

وَيُعَارِضُ^(١) عَنْهَا خَيْرًا مِنْهَا ، اسْتَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ فِي قَصْرِهِ ، فَأَقْبَرُوا بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْوُزَرَاءِ مَشْهُورًا بِالْحِدَّةِ وَالْعَجَلَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَقُولُ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : يَا مَشِيحَةَ السُّوءِ ، يَا مُسْتَحْلِي أَمْوَالِ النَّاسِ ، يَا آكِلِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، يَا شَهْدَاءَ الزُّورِ ، يَا آخِذِي الرِّشَاءِ ، وَمُتْلِفِي^(٢) الْحُصُومِ ، وَمُلْقِي الشُّرُورِ^(٣) ، وَمُنْبِسِي الْأُمُورِ^(٤) ، وَمُتْلِسِي الرُّوَايَاتِ لَدَى أَتْبَاعِ^(٥) الشَّهَوَاتِ ، ثَبَّأَ لَكُمْ^(٦) وَلَا رَأْيَ لَكُمْ ، فَهَوَّ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - وَاقِفٌ^(٧) عَلَى فُسُوقِكُمْ قَدِيمًا ، وَخَوْنِكُمْ لِأَمَانَاتِكُمْ ، مُعْضِي عَنْهُ ، صَابِرٌ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اخْتَجَّ إِلَى دِقَّةِ نَظَرِكُمْ فِي حَاجَةٍ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي ذَهْرِهِ فَلَمْ

= الخضراء ، ولد سنة ٣٢٦ هـ ، وقدم قرطبة شاباً طالباً للعلم فبرع ، وكانت له هيئة لم تزل ترتقى من شيء إلى شيء حتى استخلف على قضاء كورة « رية » ثم عهد إليه بوكالة السيدة « صبيح » - أم هشام المؤيد - فزلى النظر في أموالها وضياعها ، وعظمت مكانته عندها . وولى الشرطة ، والسكة ، والموارث ، وأضيف إليه القضاء بإشبيلية . ولما مات المستنصر الأموي كان « المؤيد » صغيراً ، ويخيف الاضطراب ، فضمن ابن أوى عامر لأم المؤيد سكون البلاد ، واستقرار الملك لابنها ، فقام يشقن الدولة ، وغزا وفتح ، ودامت له الإمرة ٢٦ سنة ، غزا فيها بلاد الإفروج ٥٦ غزاة لم ينهزم له فيها جيش .. وكانت الدعوة على المنابر في أيامه للمؤيد (وهو محتجب عن الناس) والملك لابن أوى عامر ، لم يضطرب عليه شيء منه أيام حياته ليحسن سياسته ، وعظم هيته .. قال عنه المستشرق رينو : Reinaud : « جال غزاة المسلمين تحت رايات المنصور في قشتالة ، وليون ، ونابارة ، وأراغون ، وكولونية ، إلى أن وصلوا إلى غاشقونية Gascogne وجنوى فرنسا .. وجاست خيَلُهُ في أماكن لم يكن خفق فيها عَلمُ إسلاميٍّ من قبل ، وسقطت في أيدي المسلمين مدينة سانتياغو Santiago من جليقية Galice وهي أقدم معهد مسيحي في أسبانيا » .

توفى - رحمه الله - سنة ٣٩٢ هـ في إحدى غزواته بمدينة « سالم » ولا يزال قبره معروفاً فيها .

[الأعلام ج ٦ ص ٢٢٦ ، ونفع الطوب ج ١ ص ٣٨٢ - ٤٠٦ ، والمغرب في حلى المغرب ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣] .

(١) أرضاً مُحَسَّنَةً : موقوفة .. ويُعَارِضُ عنها : يُعْطَى بدلاً منها .

(٢) الرِّشَاءُ : جمع رِشْوَةٍ .. وَمُتْلِفِي الحُصُومِ : مُهْلِكُهُمْ .. وفي « م » : « مُتْلِفِي » .

(٣) وَمُلْقِي الشُّرُورِ : حَامِلُهَا .

(٤) وَمُنْبِسِي الْأُمُورِ ، أَى : تَحْمِلُهَا مَخْطِطَةً حَتَّى لَا تُتْرَفَ حَقِيقَتُهَا .

(٥) فِي « ط » : « لِأَتْبَاعِ » .. وَمُتْلِسِي : طَالِبِي .

(٦) ثَبَّأَ : دَعَا عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ « هُوَ » الْعَائِدُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .. وفي « م » : « وَاقِفًا » .

لاتصحح .

تُسْعِفُوا ^(١) إِرَادَتُهُ ، مَا كَانَ هَذَا ظَنُّهُ بِكُمْ . وَاللَّهُ لِيَعَارِضَنَّكُمْ ، وَلِيَكْشِفَنَّ سُتُورَكُمْ ، وَلِيَتَّصِحَّ الْإِسْلَامَ فِيكُمْ . وَأَفَحَشَ عَلَيْهِمْ بِهِذَا وَخَوَّه ، فَأَجَابَهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ ضَعِيفُ الْمَنَةِ ^(٢) فَقَالَ : نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَسْأَلُهُ ^(٣) الْإِقَالََةَ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ رَعِيمُ الْقَوْمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَيَّوَيْهِ ، وَكَانَ جَلْدًا ^(٤) صَارِمًا ، فَقَالَ لِلْمُتَكَلِّمِ : مِمَّ تَتُوبُ يَا شَيْخَ السُّوءِ ؟ نَحْنُ بَرَاءٌ مِنْ مَتَابِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْوَزِيرِ فَقَالَ : يَا وَزِيرُ ، بِفَسِّ الْمُبْلَغِ أَنتَ ، وَكُلُّ مَا ^(٥) نَسَبْتَهُ إِلَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ صِفَتُكُمْ مَعَاشِرَ خَدَمِهِ ^(٦) ، فَأَنْتُمْ الَّذِينَ تَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَتَسْتَحِلُّونَ ظُلْمَهُمْ بِالْإِخَافَةِ ^(٧) ، وَتَحْقِيقُونَ مَعَاشِيَهُمْ بِالرِّشَا وَالْمُصَانَعَةِ ^(٨) ، وَتُبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا نَحْنُ ^(٩) فَلَيْسَتْ هَذِهِ صِفَاتُنَا وَلَا كِرَامَةٌ ، لَا يَقُولُهَا لَنَا إِلَّا مُتَهَمٌ فِي الدِّيَاةِ ، فَنَحْنُ أَعْلَامُ الْهَدَى ، وَسَرُّ ^(١٠) الظُّلْمَةِ ، بِنَا يَتَحَصَّنُ الْإِسْلَامُ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَتُنْفَذُ الْأَحْكَامُ ، وَبِنَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ ، وَتُثَبَّتُ الْحُقُوقُ ، وَتُحَقَّنُ الدِّمَاءُ ، وَتُسْتَحْلَلُ الْفُرُوجُ ، فَهَلَّا إِذْ ^(١١) عَتَبَ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ لَازِلٍ لَنَا ^(١٢)

(١) في « م » : تسعفوا : من الشفاعة .

(٢) المنة : القوة .

(٣) الإقالة : الصفح والتجاوز .

(٤) جلدًا : قوياً .

(٥) في « م » و « ط » : « كلما » .. وإذا رُسيت هكذا فإنها تفيد الشرط ، ولا شرط هنا .. وإنما « ما » هنا اسم

موصول بمعنى « الذي » ، ويجب فصلها عن « كل » .

(٦) أى : بامعاشير خدَمِهِ .. ومعاشر : جمع مَعَشَرَ ، ويُطلق على كل جماعة أمَرُهُم واحد .

(٧) في « ط » : « بغير الحق » بدل « بالإضافة » .

(٨) تَحْقِيقُونَ : تَطْلُبُونَ وتَجُودُونَ .. والمُصَانَعَةُ : كناية عن الرُّشُوة والمُخَادَعَةُ والمُدَارَاةُ .

(٩) في « م » : « فأما » .

(١٠) سَرُّج : مصابيح .

(١١) في « م » : « إذا » .. و « إذ » هي الأنسب للمقام هنا ، لأنها ظرف للدلالة على الزمن الماضي بمعنى

« حين » .

(١٢) في « ط » : « ولا ذنب فيه لنا » .

فِيهِ ، وَقَالَ بِالْعِظِّ مَا قَالَهُ ، ثَابِتٌ لِإِبْلَاعِنَا رِسَالَتَهُ بِأَهْوَنَ مِنْ إِنْحَاشِكَ ^(١) ، وَعَرَضْتُ لَنَا بِالْكَارِهِ حَتَّى فُهِمْنَا مِنْكَ فَأَجَبْنَاكَ عَنْهُ ^(٢) بِمَا يَصْلُحُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِهِ ، فَكُنْتُ تَرِيْنُ ^(٣) عَلَى السُّلْطَانِ وَلَا تَفْشِي سِرَّهُ ، وَتَسْتَحْيِينَا ^(٤) بِمَا اسْتَقْبَلْنَا بِهِ ؟ فَخُنُّ نَعْلِمُ . أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتِمَادَى عَلَى هَذَا الرَّأْيِ فِينَا ، وَلَا يَعْتَقِدُ هَذَا الْمُعْتَقَدَ فِي صِفَاتِنَا ، وَأَنَّ سِرَّاجِعَ بَصِيرَتِهِ فِي إِقَارِنَا وَتَعْزِيزِنَا ، فَلَوْ كُنَّا عِنْدَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ^(٥) الَّتِي وَصَفْتَهَا عَنَّا ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، لَبَطَلَ عَلَيْهِ كُلُّ ^(٦) مَاصِنَعَةٍ وَعَقْدَةٍ مِنْ أَوَّلِ خِلَافَتِهِ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، فَمَا نَبَتْ ^(٧) لَهُ كِتَابٌ مِنْ حَرْبٍ وَلَا سِلْمٍ ، وَلَا شِرَاءٍ وَلَا بَيْعٍ ، وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَا خَبْسٍ ، وَلَا هِبَةٍ ، وَلَا عِنَقٍ ، وَلَاغَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِشَهَادَتِنَا ^(٨) ، هَذَا مَا عِنْدَنَا وَالسَّلَامُ .

ثُمَّ قَامُوا مُنْصَرِفِينَ ، فَلَمْ يَكَادُوا يَبْلُغُوا بَابَ الْقَصْرِ إِلَّا وَالرُّسُلُ ثَنَادِيهِمْ ، فَأَذْخَلُوا الْقَصْرَ ^(٩) ، فَتَلَقَّاهُمُ الْوُزَرَاءُ بِالْإِعْظَامِ ، وَزَفَعُوا مَنَازِلَهُمْ ، وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِمْ بِمَا كَانَ مِنْ صَاحِبِيهِمْ ، وَقَالُوا ^(١٠) لَهُمْ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ مِنْ فَرِطٍ مَوْجِدَتِهِ ^(١١) ، وَيَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَتَزَعَّتِهِ ^(١٢) الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى الْجَفَاءِ عَلَيْكُمْ ،

(١) الإِنْحَاشُ : الْقَبِيحُ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ .. وَعَرَضْتُ لَنَا : نَقَلْتُ لَنَا إِنْكَارَهُ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِشَارَةِ - وَلَيْسَ صَرَاحًا .

(٢) فِي (م) : « فَفُهِمْنَاهُ مِنْكَ ، وَأَجَبْنَاهُ عَنْكَ » .

(٣) هَكَذَا فِي (ط) .. وَتَرِيْنُ ، أَيْ : تُحْجِبُ وَتُدَارِي .. وَفِي (م) :

« نَكَبَ مَزْمَرَةً عَلَى السُّلْطَانِ وَلَا تَفْشِي سِرَّهُ » وَهَذَا لَا يَصِحُّ ، إِذْ يُقَالُ : زَمَرَ بِالْحَدِيثِ : أَذَاعَهُ وَأَفْشَاهُ .. وَهَذَا يَنَاقِضُ قَوْلَهُ : « وَلَا تَفْشِي سِرَّهُ » بَعْدَهَا .

(٤) فِي (م) : « وَتَسْتَحْيِينَا .. وَتَسْتَحْيِينَا : تَجْعَلُنَا نَسْتَحِي مِنْكَ وَتُخْجَلُ .

(٥) فِي (م) : « الْخَالَةِ » .

(٦) فِي (م) : « كَلِمًا » وَقَدْ سَبَقَ التَّعْلِيلُ عَلَيْهَا .

(٧) فِي (ط) : « يَبْتَ » .

(٨) فِي (م) : « بِشَهَادَاتِنَا » .

(٩) فِي (م) : « إِلَى الْقَصْرِ » وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ .

(١٠) فِي (م) : « وَقَالَ » سَهُوٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَالْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاقِ : وَقَالُوا .

(١١) مَوْجِدَتُهُ : غَضَبُهُ .

(١٢) تَزَعَّتِ الشَّيْطَانُ : إِفْسَادُهُ وَتَغْرِيشُهُ وَغَرَاؤُهُ .

وَيُعْلِمُكُمْ أَنَّهُ نَادِمٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ ، وَهُوَ مُسْتَبِيرٌ ^(١) فِي تَعْظِيمِكُمْ وَقَضَاءِ حُقُوقِكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَا تَرَوْنَ مِنْ صِلَتِهِ وَكِسْوَتِهِ عَلَامَةً لِرِضَاةِ عَنْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَالٍ ^(٢) . فَدَعُوا لَهُ وَقَبَضُوا مَا أَمَرَ لَهُمْ ، وَانصَرَفُوا غَالِبِينَ لَمْ يَمْسَسْنَهُمْ سُوءٌ .

وَلَمَّا نَظَرَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ ^(٣) إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ ^(٤) يَجْرُ أَذْيَالَهُ وَيَتَّبِعُهُ فِي أَتْرَابِ حُيَلَاءِهِ ، نَادَاهُ أَنْ أَزْغِ مِنْ يَدَايِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ : أَوْ مَا تُعْرِضُنِي ؟ قَالَ لَهُ مَالِكُ : بَلَى أَنِّي أَعْرِفُكَ ، أُولَئِكَ نُطْفَةُ مِذْرَةَ ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ ^(٥) قَدَرَةٌ ، وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ الْعِدْرَةَ ^(٦) .

(١) مُسْتَبِيرٌ : أَيْ : ذُو بَصِيرَةٍ وَفِطْنَةٍ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « مَا تَرَوْنَ مِنْ صِلَةٍ وَكِسْوَةٍ عَامَةٍ ، وَسَقَطَ مِنْهَا : « وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَالٍ » .

(٣) هُوَ : مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ الْبَصْرِيُّ ، أَبُو يَحْيَى ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ عَلَمًا زَاهِدًا ، كَثِيرَ الْوَرَعِ ، تَقِيًّا ، لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كِسْبِهِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْمَصَاحِفَ بِالْأَجْرَةِ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٣١ هـ . وَمِنْ أَقْوَالِهِ : « إِنَّ الصَّادِقِينَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ طَرِبَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ » .

[انظر حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٥٧ - ٣٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٦٠ ، ٢٦١] .

(٤) هُوَ : الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، ظَالِمٌ مِنْ سَرَّاقِ بْنِ صَبِاحِ الْأَزْدِيِّ ، الْعُكْبِيُّ ، أَبُو سَعِيدٍ ، أَمِيرٌ ، جَوَادٌ ، قَالَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبَرِ : هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْعِرَاقِ .. وُلِدَ فِي « ذِيَّا » سَنَةِ ٧ هـ . وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ مَعَ أَبِيهِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَوَلَّى إِمَارَةَ الْبَصْرَةِ لِمَصْعَبِ بْنِ الزَّيْبَرِ ، وَفُقِّتَ عَنْهُ بِسَمْعُودٍ ، وَانْتَدَبَ لِقِتَالِ الْأَزْرَاقَةِ ، وَكَانُوا قَدْ غَلَبُوا عَلَى الْبِلَادِ ، وَشَرَطَ لَهُ أَنْ كُلَّ بَلَدٍ يَهْلِكُ عَنْهُ يَكُونُ لَهُ التَّصَرُّفُ فِي خُرَاجِهِ تِلْكَ السَّنَةِ ، فَأَقَامَ بِحَارِجِهِمْ تِسْعَةَ عَشَرَ عَامًا ، لَقِيَ فِيهَا مِنْهُمْ الْأَهْوَالَ ، وَأَنْعَمُوا تَمَّ لَهُ الظُّفَرُ بِهِمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرِينَ ، وَشَرَّدَ بَقِيَّتَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ مَرْوَانَ وَلَايَةَ « خُرَاسَانَ » فَقَدِمَهَا سَنَةَ ٧٩ هـ ، وَبِهَا تَوَفَّى سَنَةَ ٨٣ هـ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ الرِّكْبَ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَعْمَلُ مِنَ الْخَشَبِ .. وَأَنْعِيَارُهُ كَثِيرَةٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، أَوْ عَنْ حُرُوبِ الْخَوَارِجِ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٣٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٥٠ - ٣٥٩ ، وَالْمُتَحَرِّرُ لِابْنِ حَبِيبٍ ص ٢١٦ ، وَالْمَعَارِفُ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠] .

(٥) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « وَآخِرُكَ نُطْفَةُ قَدَرَةٍ » .. وَمَوَارِدُ فِي « ط » هُوَ الصَّحِيحُ .. وَمِذْرَةَ : نَاسِدَةٌ ، كَرِيمَةٌ الرَّاحَةِ .. وَالْجِيفَةُ : جِثَّةُ الْمَيْتِ إِذَا أَتَتْ .

(٦) الْعِدْرَةُ : الْغَالِطُ (الْبَرَّازُ) .

وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْعَمْرِيِّ (١) : هَذَا هَارُونُ الرَّشِيدِ فِي الطَّوَافِ قَدْ أُخْلِيَ لَهُ الْمَسْنَعُ ، فَقَالَ لَهُ : لَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا ، كَلَّفْتَنِي أَمْرًا كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا . ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ (٢) : يَا هَارُونُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ : لَبَّيْكَ يَا عَمُّ ، قَالَ : كَمْ تَرَى هَاهُنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا يَخْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ [عَزَّ وَجَلَّ] (٣) . فَقَالَ : اَعْلَمَ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْتَلُّ عَنْ خَاصَّةِ نَفْسِهِ ، وَأَنْتَ وَحْدَكَ (٤) تُسْتَلُّ عَنْهُمْ كُلُّهُمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تُكُونُ ؟ قَالَ : فَبَكَى هَارُونُ وَجَلَسَ ، فَجَعَلُوا (٥) يُعْطُونَهُ مِنْ دِيْلًا مِنْ دِيْلًا لِلدُّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ (٦) : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْرِعُ فِي مَالِ نَفْسِهِ فَيَسْتَحِقُّ الْحَجَرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ (٧) أَسْرَعَ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَبَقِيَ ، إِنَّ هَارُونَ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ (٨) : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُحْيِيَ (٩) فِي كُلِّ غَامٍ ، وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عُبَيْدُ اللَّهِ الْعَمْرِيُّ .

وَيُرَوَّى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ الْحُسَيْنِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ] دَخَلَ (١٠) عَلَى عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ، ثَلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ (١١) : إِيَّاهُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَنَعْدِنِ الرِّسَالَةِ . [وَجِئَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ] (١٢) . فَقَالَ

(١) هو : عبيد الله بن عبد الله العمري ، من الزُّهَّاد الصالحين .

[انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٢٦] .

(٢) في « : » فقال : يا هارون .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) في « ط » : واحد .

(٥) في « ط » : فجعل .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : ثم قال له : والله .

(٧) في « ط » : فيمن .

(٨) في « م » : : إِنَّ هَارُونَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ يَقُولُ .

(٩) في « م » : : أَحَبُّ أَحْبَبَ .

(١٠) في « م » : : الحسن محمد وما بين المعقوفين ساقط منها .

(١١) في « م » : : فقال عمر .. وإليه : اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمل مهود ، فإذا نُوتَتْها كانت للاستزادة من حديث أو عمل ما .

(١٢) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

الْحَسَنُ : مَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ، وَمَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنْ الْحَقِّ ، وَمَنْ ^(١) إِذَا قَدَّرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ .

وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلِيفَةَ وَقَدْ عَلَيْهِ ^(٢) الْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ الْحِجَازِيُّونَ ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُمْ ^(٣) غُلَامٌ لِلْكَلامِ ، وَكَانَ حَدِيثَ السِّنِّ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ^(٤) : لِيَنْطَلِقَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا مَنَعَ اللَّهُ عِبْدًا ^(٥) لِسَانًا لَا فِطْرًا ، وَقَلْبًا حَافِظًا ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْكَلَامَ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُ مِنْ سَمْعِ خِطَابِهِ ، وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالسِّنِّ لَكَانَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ هَذَا مِنْكَ . فَقَالَ ^(٦) : صَدَقْتَ ، قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ وَقَدْ تَهَيَّئَ لِإِفْدِ مَرْزِيَّةٍ ^(٧) ، وَقَدْ أَتَيْنَاكَ لِمَنْ اللَّهُ الَّذِي مَنْ عَلَيْنَا بِكَ ، وَلَمْ يُقَدِّمْنَا ^(٨) إِلَيْكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً ، أَمَّا الرُّغْبَةُ فَقَدْ أَتَيْنَاكَ مِنْ بِلَادِنَا ^(٩) ، وَأَمَّا الرُّهْبَةُ فَقَدْ آمَنَّا جَوْرَكَ بِعَدْلِكَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : عِظْنِي يَا غُلَامُ . فَقَالَ الْغُلَامُ ^(١٠) : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ نَاسًا ^(١١) غَرَّهْمُ حِلْمُ اللَّهِ عَنْهُمْ ، وَطُولُ أَمَلِهِمْ ، وَكَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ، فَزَلَّتْ ^(١٢) بِهِمُ الْأَقْدَامُ ، فَهَوَّوْا فِي النَّارِ ، فَلَا يَغُرُّنَكَ حِلْمُ اللَّهِ عَنْكَ ، وَطُولُ أَمَلِكَ ، وَكَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْكَ ، فَتَزَلْ ^(١٣) بِكَ قَدَمُكَ

(١) تَكَرَّرَتْ « مَنْ » فِي « د م » سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) هَكَذَا فِي « د م » .. وَفِي « ط » : « وَقَدَّتِ الْوُفُودُ » وَسَقَطَتْ مِنْهَا كَلِمَةُ « الْخَلِيفَةُ » قَبْلَهَا .

(٣) هَكَذَا فِي « د م » .. وَفِي « ط » : « قَدَّمَ غُلَامٌ مِنْهُمْ » .

(٤) فِي « د م » : « فَقَالَ عُمَرُ » .

(٥) فِي « د م » : « الْعَبْدُ » .

(٦) فِي « د م » : « قَالَ عُمَرُ » .. وَسَقَطَ مِنْهَا : « هَذَا مِنْكَ » قَبْلَهَا .

(٧) يَعْنِي : جَنَّا مِنْ أَجْلِ التَّهَيُّةِ ، لَا مِنْ أَجْلِ نَهْلِ الْعَطَايَا .

(٨) فِي « د م » : « لَمْ » .

(٩) فِي « د م » : « أَتَيْنَا مِنْكَ إِلَى بِلَادِنَا » .

(١٠) فِي « د م » : « فَقَالَ : أَصْلَحَ » .

(١١) هَكَذَا فِي « د م » .. وَفِي « ط » : « إِنْ نَاسًا مِنَ النَّاسِ » .

(١٢) فِي « ط » : « فَزَلَّتْ » .

(١٣) فِي « د م » : « فَيَزَلْ » .

فَلَحَقَ بِالْقَوْمِ ، فَلَا جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَالْحَقَّكَ بِصَالِحِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، ثُمَّ سَكَتَ .
فَسَأَلَ عُمَرُ الْغَلَامَ عَنْ سَيِّئِهِ ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِذَا هُوَ مِنْ
وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ^(١) ، فَتَمَثَّلَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ
فَقَالَ :

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَإِنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ لِلْعَتَائِي ^(٢) ، وَكَانَ لَا يُبَالِي مَا لَيْسَ : مَا لَكَ لَا تُجِيبُ الْمَلْبُوسَ ؟
فَقَالَ : إِنَّمَا يَرْفَعُ الرَّجُلُ ^(٣) أَدَبُهُ وَعَقْلُهُ ، لَا حِلِيَّتُهُ وَحُلَّتُهُ ، لَحَى ^(٤) اللَّهُ أَمْرًا يُرْضَى أَنْ
تُرْفَعَهُ ^(٥) مَيْتَتُهُ وَجَمَالُهُ ، لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى يُشْرِفَهُ أَصْغَرُهُ : لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ . وَيَعْلَمُو بِهِ
أَكْبَرُهُ : هِمَّتُهُ وَبُؤُهُ .

وَلَمَّا دَخَلَ ضَمْرَةٌ بِنُ ضَمْرَةٍ عَلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْمُنْذِرِ ^(٦) وَهُوَ مَلِكٌ ، وَكَانَ ضَمْرَةُ ذَا
رَأْيٍ وَعَقْلٍ ، اخْتَفَرَتْهُ عَيْنَاهُ ^(٧) لِذِمَامَتِهِ ، فَقَالَ : لَأَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعْتَدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ ^(٨) .

(١) فِي ١ م : عَنْهُ .

(٢) فِي ١ م : « قَوْلُ الْعَتَائِي » .. وَهُوَ : كَلْتُومُ بْنُ عَمْرِو التَّغْلِي . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٣) فِي ١ م : « الْمَرْءُ » بِهَلْ « الرَّجُلِ » .

(٤) لَحَى اللَّهُ : كَبَحَ وَلَعَنَ .

(٥) فِي ١ م : يَرْفَعُهُ .

(٦) هُوَ : ضَمْرَةُ بْنُ جَابِرِ التُّهْمَلِي ، مِنْ بَنِي دَارِمٍ : شَاعِرٌ جَاهِلِي ، مِنْ الشَّجْعَانِ الْفَرَسَانِ ، كَانَ اسْمُهُ « شَقَّةُ بْنُ
ضَمْرَةَ » فَسَمَّاهُ التَّعْمَانُ « ضَمْرَةَ » .. وَالتَّنْذِرُ الَّذِي جَاءَ هَذَا التَّكَلُّفُ عَلَى لِسَانِهِ هُوَ : التَّنْذِرُ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ اللَّاهِيئِ ،
ثَالِثُ الْمُنَادَةِ مِنْ مُلُوكِ الْحَيَّةِ ، وَمَاءُ السَّمَاءِ ، أُمَّهُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢١٦ وج ٧ ص ٢٩٢ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٦٨ وج ٥ ص ٣٥٨ ، وجمع
الأمثال للمبدئي ج ١ ص ١٢٩ - ١٣١ ، وفتايل الأمثال لأبي المحاسن الشيباني ج ١ ص ٣٩٥ ، ٣٩٦] .

(٧) فِي ١ م : عَيْنُهُ .

(٨) الْمُعْتَدِي : مَنْسُوبٌ إِلَى مَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ ، وَقَدْ نَسَبُوهُ بَعْدَ أَنْ صَفَرُوهُ وَخَفَّفُوا مِنْهُ التَّالِ .. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ
النَّصْرِ صَارَ مِثْلًا يُعْتَرَبُ لِغِنَى خَيْرِهِ خَيْرٌ مِنْ مَرَّاهُ .

[انظر المصادر السابقة] .

فَقَالَ ضَمْرَةٌ : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ (١) ، إِنَّ الْقَوْمَ لَيْسُوا بِجُزْرِ (٢) تُجْزَرُ ، إِنَّمَا (٣) الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا نَطَقَ نَطَقَ بَيِّنًا ، وَإِذَا قَاتَلَ قَاتَلَ بِجَنَانٍ (٤) ، وَالرَّجَالُ لَا تُكَالُ بِالْقَفْزَانِ ، وَلَا تُوزَنُ بِالْقَبَانِ (٥) . فَأُعْجِبَ الْمُنْذِرُ بِكَلَامِهِ .

وَرَوَى أَنَّ رَوْحَ بْنَ زَيْبَاعٍ (٦) كَانَ (٧) فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَتَزَلُّوا ، فَضَرِبَتْ (٨) لَهُمُ الْخِيَامُ وَالظَّلَالُ ، وَقُدِّمَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ الْمُبْرَدُ ، فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذَا هُمْ بِرَاجٍ ، فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ (٩) فَأَبَى وَقَالَ : إِنِّي صَائِمٌ . قَالَ (١٠) لَهُ رَوْحٌ : فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ (١١) ؟ قَالَ : أَفَادَعُ (١٢) أَيَّامِي تَذْهَبُ بَاطِلًا ؟ قَالَ (١٣) رَوْحٌ : لَقَدْ ضَنَنْتُ (١٤) بِأَيَّامِكَ يَا رَاعِي إِذْ جَادَ بِهَا رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ .

وَرَوَى أَنَّ أَغْرَابِيًّا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي

(١) أُبَيَّتَ اللَّعْنُ : من تحية الملوك في الجاهلية ، ومعناها : أُبَيَّتَ أَنْ تَأْتِيَ مَائِلُنْ عَلَيْهِ .

(٢) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : بِجُزُورٍ ، وَالْجُزُورُ : مَا يَصْلَحُ أَنْ يُذْبَحَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَجَمْعُهَا : جُزُرٌ .. وَتُجْزَرُ : تُذْبَحُ .

(٣) فِي (م) : وَلِنَّمَا .

(٤) الْجَنَانُ : الْقَلْبُ .

(٥) الْقَفْزَانُ : جَمْعُ قَفِيزٍ ، وَهُوَ مِكْيَالٌ كَانَ يُكَالُ بِهِ قَدِيمًا وَالْقَبَانُ : الْمِيزَانُ ذُو الذَّرَاعِ الطَّوِيلَةِ .

(٦) هُوَ : رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ بْنِ رَوْحِ بْنِ سَلَامَةَ الْجَذَامِيِّ ، أَبُو زُرْعَةَ ، أَمِيرُ فَلَسْطِينَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَسَيِّدُ الْإِمَامِيَّةِ فِي الشَّامِ وَقَائِدُهَا وَخَطِيبُهَا .. قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ : لَهُ صَحْبَةٌ .. وَذَكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَأَبُوهُ فِي التَّابِعِينَ .. وَقَالَ ابْنُ مَنْدَةَ وَأَبُو نَعِيمٍ : لَا تَنْصَحُ لَهُ صَحْبَةٌ .. وَأَبُوهِ - زَيْبَاعٌ - رُؤِيَّةٌ .. وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ عَنْهُ : « جَمْعُ رَوْحٍ طَاعَةُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَدَعَاءُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَقَفَّةُ أَهْلِ الْحِجَازِ » .. وَلَهُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَغَيْرِهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٤ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وثمار القلوب ٥٤٦ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٦ ، ٣٥٨ وغيرهما] .

(٧) فِي (ط) : وَكَانَ .

(٨) فِي (م) : « وَضَرِبَتْ » أَيْ : نُصِبَتْ وَأُبَيَّتْ .

(٩) فِي (م) : « إِلَى الطَّعَامِ فَأَبَاهُ » .

(١٠) فِي (م) : « فَقَالَ » .

(١١) فِي (م) : « فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ تَصُومُ » ؟ .

(١٢) فِي (م) : « فَارْعُ » : تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٣) فِي (م) : « فَقَالَ » .

(١٤) فِي (م) : « وَظَنَنْتُ » : تَحْرِيفٌ .

مُكَلِّمُكَ بِكَلَامٍ فَاحْتَمِلْهُ إِنْ كَرِهْتَهُ ، فَإِنْ وَرَّاهُ مَا تُحِبُّ إِنْ قَبِلْتَهُ . قَالَ : هَاتِ يَا أُعْرَابِي . قَالَ (١) : سَأُطْلِقُ لِسَانِي بِمَا حَرَمْتَ بِهِ الْأَلْسُنُ أَذَاءً (٢) لِحَقِّ اللَّهِ ، وَلِحَقِّ أَمَانَتِكَ : إِنَّهُ قَدْ اكْتَنَفَكَ (٣) رَجَالٌ أَسَاءُوا الْاِخْتِيَارَ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَابْتَاعُوا دُنْيَاكَ بِدِينِهِمْ ، وَرَضَاكَ بِسَخَطِ رَبِّهِمْ ، خَافُوكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ، فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ (٤) بِفَسَادِ آخِرَتِكَ ، فَأَعْظَمُ النَّاسِ غَبْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَصَحْتَ ، وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ سَمِعَنِي (٥) عَلَى مَا قُلْنَا ، وَقَدْ جَرَدْتَ لِسَانَكَ فَهُوَ سَيْفُكَ . فَقَالَ (٦) : أَجَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ لَكَ لَا عَلَيْكَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُرْوَةَ (٧) : حَجَّ الْحَجَّاجُ فَتَزَلَ بَعْضَ الْمِيَاهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَدَعَا بِالْقَدَاءِ ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : أَنْظِرْ مَنْ يَتَعَدَّى مَعِيَ ، وَإِسْأَلْهُ عَنْ بَعْضِ الْأُمْرِ ، فَتَنْظُرَ نَحْوَ الْجَبَلِ ، فَإِذَا (٨) هُوَ بِرَأْسِ بَيْنَ سَخْلَتَيْنِ (٩) نَائِمٌ ، فَضَرَبَهُ بِرَجْلِهِ وَقَالَ لَهُ : أَتَيْتَ الْأَمِيرَ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : اغْمِضْ يَدَكَ وَتَعَدَّ مَعِيَ . فَقَالَ : دَعَانِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : اللَّهُ تَعَالَى دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ فَصُمْتُ . قَالَ : فِي

(١) في « م » : فقال .

(٢) سقطت كلمة « أذاء » من « م » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « إنك قد اكتنفك » وكلاهما صواب .

(٤) في « م » : دنياك .

(٥) في « م » : سمعني .

(٦) في « م » : « وهو سيفك » ، قال : .

(٧) هو : سعيد بن أبي عروبة مهران ، مولى بني عدى ، البصرى ، جابو النضر : حافظ للحدث .. لم يكن في زمانه أحفظ منه .. وله مصنفات .. قال الذهبي : « إمام أهل البصرة في زمانه ، لكنه تغرر بأخوة ، ورعى بالقدر » توفي سنة ١٥٦ هـ وقيل ١٥٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٨ ، وميزان الاعتدال ص ١٥١ - ١٥٣ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٤٥] .

(٨) في « ط » : وإذا .

(٩) السَّخْلَةُ : الذكر والأنثى من ولد الضَّأْنِ والمَرَسَاةِ يُؤَلَّد .. وفي « م » : « بين سَخْلَتَيْنِ » .. والشملة : كساء من صوف أو شعر .. وقد سبق شرحها .

هَذَا الْحَرَّ الشَّدِيدَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، صُنْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَفْطِرْ وَصُمْ ^(١) غَدًا . قَالَ : إِنْ ضَمِنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى الْعَدَا ^(٢) . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ ^(٣) تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تُقَدِّرُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ طَعَامٌ ^(٤) طَيِّبٌ . قَالَ : لَمْ تُطَيِّبْهُ أَتَيْتَ وَلَا الطَّبَاطُخَ ، وَلَكِنْ طَيَّبْتَهُ ^(٥) الْعَافِيَةَ .

وَلَمَّا حَجَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ بِكَيْسٍ فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ ^(٦) ، فَلَمَّا قَضَى نُسُكَهُ ^(٧) وَانْصَرَفَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ، بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ أَنْ تَنْتَقِلَ مَعَهُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ^(٨) فَقَالَ لِلرُّسُولِ : قُلْ لَهُ : إِنْ الْكَيْسَ بَخَائِمِهِ ، وَقَالَ الرُّسُولُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهِ : إِنْ مَلِكًا كَانَ يَفْتِنُ النَّاسَ وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَأَتَيْتُ بِرَجُلٍ أَفْضَلَ أَهْلَ زَمَانِهِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسَ مَكَانَهُ وَهَالَهُمْ أَمْرُهُ ، فَرَاودَهُ ^(٩) عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ^(١٠) ، فَرَفَّ لَهُ صَاحِبُ شُرْطَةِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ ^(١١) : أَنَا آتِيكَ بِجَدِي تَذْبُحُهُ مِمَّا ^(١٢) يُحِلُّ لَكَ أَكْلَهُ ، فَإِذَا ^(١٣) دَعَا الْمَلِكُ بِلَحْمِ خِنْزِيرٍ

(١) فِي « م » : وَتَصُومُ .

(٢) فِي « ط » : « إِلَى عَدَا » وَالْمَعْنَى : إِنْ ضَمِنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى عَدَا أَفْطِرَ الْيَوْمَ .

(٣) فِي « م » : كَيْفَ .

(٤) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « طَعَامٌ » مِنْ « ط » .

(٥) فِي « ط » طَيَّبَهُ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « بَعَثَ بِكَيْسٍ فِيهِ مِائَةُ دِينَارٍ » وَسَقَطَ مِنْهَا : « إِلَى مَالِكِ

ابْنِ أَنَسٍ » قَبْلَهَا .

(٧) التُّسُكُ : بِضَمِّتَيْنِ ، أَوْ يَضَمُّ فَسُكُونٌ : كُلُّ حَقٍّ لِلَّهِ تَعَالَى .

(٨) يَعْنِي : بِغَدَادَ .

(٩) فِي « م » : فَرَاوَدَهُ .

(١٠) سَقَطَتْ « فَلَمْ يَفْعَلْ » مِنْ « م » .

(١١) فِي « م » : « قَالَ : هَاتَانَا » .

(١٢) فِي « ط » : « بِمَا » .

(١٣) فِي « م » : « وَإِذَا دَعَا الْمَلِكُ بِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ فَكُلَّهُ » ، فَأَتَى صَاحِبَ شُرْطَةِ الْمَلِكِ بِلَحْمِ ذَلِكَ الْجَدْيِ ، فَجَعَلَ

صَاحِبَ الشَّرْطَةِ يَغْمِزُهُ أَنْ يَأْكُلَ فَأَتَى .

أَتَيْتَكَ بِهِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ أَتَى بِهِ الْمَلِكَ ، فَدَعَا بِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَأَتَى صَاحِبُ الشَّرْطَةِ
 بِذَلِكَ الْجَدْيِ ، فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَجَعَلَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ
 يَغْمِزُهُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ
 بِهِ قَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَهُوَ اللَّحْمُ الَّذِي ذَبَحْتَهُ أَنْتَ (١) ؟ .. أَطَنَنْتَ أَلِي جِفْتُ (٢)
 بَعِيرِهِ ؟ قَالَ : لَا ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ ، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ يُفْتَنَ النَّاسُ بِي ، فَإِنْ أَكْرَهُوا
 عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ (٣) قَالُوا : قَدْ أَكَلَهُ فَلَنْ فَيَسْتَنُّ بِي ، فَأَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ ، فَقَتَلَ
 رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لِكُتُبِ الْأَخْبَارِ (٤) : يَا كَعْبُ ،
 خَوْفُنَا . قَالَ : أَوْ لَيْسَ فِيكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا كَعْبُ ، وَلَكِنْ
 خَوْفُنَا . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ ، لَوْ وَافَيْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ سَبْعِينَ
 نَبِيًّا لَأَزِدْتِ عَمَلَهُمْ مِمَّا تَرَى ، فَكَفَسَ (٥) عُمَرُ وَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ ، ثُمَّ قَالَ :
 يَا كَعْبُ ، خَوْفُنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدْرُ مَنْخَرٍ (٦) تَوَرَّ
 بِالْمَنْشَرِ ، وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ ، لَعَلَّى دِمَاعُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا ، فَكَفَسَ (٧) عُمَرُ ثُمَّ

(١) في « م » : « الذي أنت ذبحته » .

(٢) في « م » : « جفنتك » .

(٣) في « ط » : « أكل الخنزير » .

(٤) هو : كتب بن مائع بن ذى هجن الجهمي ، أبو إسحاق ، تابعي .. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود
 في اليمن ، وأسلم في زمن أبي بكر ، وقدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من
 أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن جنص ، وتوفي سنة ٣٢
 هـ في خلافة عثمان - رضى الله عنه - عن مائة وأربع سنين .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٨٨ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٣٦٤ - ٣٩١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ،
 والمعارف ص ٤٣٠] .

(٥) في « م » : « فأكفَسَ » .

(٦) المنخر : ثقب الأنف .

(٧) في « م » : « فأنكس » .

أَفَاقَ فَقَالَ : يَا كَعْبُ ، زِدْنَا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ جَهَنَّمَ لَتَزْفُرُ ^(١)
 زَفْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَبْقَى ^(٢) مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا خَرَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، حَتَّى
 يَخْرُ إِبْرَاهِيمَ ^(٣) تَحْلِيلَ الرَّحْمَنِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَقُولُ : يَا رَبِّ لَا أَسْأَلُكَ ^(٤) الْيَوْمَ إِلَّا
 نَفْسِي .

وَأَسْتَأْذَنَ أَبُو دُحْمَانَ ^(٥) عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ ^(٦) فَحَجَبَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ
 قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ قَدْ كَانَ فِي يَدَيَّ ^(٧) غَيْرِكَ ، فَأَمْسُوا وَاللَّهِ حَدِيثًا ،
 فَإِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ، فَتَحَبَّبَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحُسْنِ الْبَشْرِ ، وَلِإِنِ الْجَانِبَ ،
 وَتَسْهِيلَ الْحِجَابِ ، فَإِنَّ حُبَّ عِبَادِ اللَّهِ مَوْصُولٌ بِحُبِّ اللَّهِ ، وَبَعْضُهُمْ مَوْصُولٌ بِبَعْضِهِ ،
 لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ ^(٨) ، سَيِّدُ الْعُبَادِ فِي زَمَانِهِ ، عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ ،

(١) زَفَرٌ : أخرج نفسه بعد مده لئانه .. ويقال : زَفَرَتِ النَّارُ : سُمِعَ لاثقادها صوتٌ .

(٢) في « م » : فما .

(٣) سقطت « إبراهيم » من « م » .

(٤) في « م » : « إني لا أسألك » .

(٥) هو : أبو دُحْمَانَ الْغَلَّابِيُّ ، شاعر من شعراء البصرة ، ممن أدرك قَوْلَتِي بنى أُمَيَّةَ وبنى العباس ، ومدح
 المهدي ، وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة .

[انظر ترجمته وبعض أخباره وأشعاره في الأغاني ج ٢٦ ص ٨٩٨٥ - ٨٩٨٧ والورقة لابن الجراح ص ٦٦ -
 ٦٩ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٢٠٠] .

(٦) في البيان والتبيين أنه : سعيد بن سَلَم ، والقصة مروية على لسانه وهو : سعيد بن سَلَم بن قتيبة بن مسلم
 الباهلي ، وكان والياً على أرمينية .. وكان عالماً بالحديث والعريية ، ولكنه لا يبذل نفسه للناس .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٩ ص ٧٤ ، ٧٥ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٤٠ ، وانظر القصة في الجزء نفسه
 ص ٢٠٠ ، ٢٠١] .

(٧) هكذا في « م » وفي البيان والتبيين .. وفي « ط » : يد .

(٨) هو : محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري ، وكان مع قتيبة بن مسلم بخراسان في جنده .. وكان فقيهاً
 ورِعاً ، ومن ثقات أهل الحديث .. وكان لا يُقَدَّمُ عليه أحد في زمانه في زهده وعبادته .. تولى سنة ١٢٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٧ وفيها توفي سنة ١٢٠ هـ . والبيان والتبيين ج ١
 ص ٢٥٣] .

أَمِيرِ الْبَصْرَةِ ^(١) ، وَكَانَ تَوْبَهُ إِلَى نَصِيفِ سَاعِهِ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : مَا هَذِهِ الشَّهْرَةُ يَا بَنَ وَاسِيعُ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ وَاسِيعٍ : أَنتُمْ شَهَرْتُمُونَا ، هَكَذَا كَانَ لِبَاسُ مَنْ مَضَى ، وَإِنَّمَا أَنتُمْ طَوَّلْتُمْ ذُيُولَكُمْ ، فَصَارَتِ السَّنَةُ بَيْنَكُمْ بِدَعَا وَشَهْرَةً .

وَأَمَّا أَنَا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى مَلِكِ مِصْرَ ، وَهُوَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ^(٢) فَقُلْتُ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَدَّ السَّلَامَ عَلَيَّ نَحْوَ مَا سَلَّمْتُ رَدًّا جَيِّلاً ، وَأَكْرَمَ إِكْرَامًا جَزِيلاً ، وَأَمَرَنِي بِدُخُولِ مَجْلِسِهِ ، وَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فِيهِ ، فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحَلَّكَ مَحَلًّا عَالِيًا شَامِخًا ، وَأَنْزَلَكَ مَنْزِلًا شَرِيفًا بَازِغًا ، وَمَلَكَكَ طَائِفَةً مِنْ مُلْكِهِ ، وَأَشْرَكَكَ فِي حُكْمِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَكُونَ أَمْرُ أَحَدٍ فَوْقَ أَمْرِكَ ، فَلَا تَرْضَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَوْلَى بِالشُّكْرِ مِنْكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَلَزَمَ الْوَرَى ^(٣) طَاعَتَكَ ، فَلَا يَكُونُ ^(٤) أَحَدٌ أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ بِالشُّكْرِ ^(٥) ، وَلَيْسَ الشُّكْرُ بِاللِّسَانِ ، وَلَكِنَّهُ بِالْفِعَالِ ^(٦) وَالْإِحْسَانِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ ^(٧) . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ ^(٨) إِنَّمَا صَارَ

(١) هو : بِلَالُ بْنُ أَبِي تَرْدَةَ ، عَامِرُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، أَمِيرُ الْبَصْرَةِ وَقَاضِيهَا ، كَانَ رَاوِيَةً فَصِيحًا أَدْبِيًّا .. وَلَهُ خَالِدُ الْقَسْرِيُّ سَنَةَ ١٠٩ هـ فَأَقَامَ إِلَى أَنْ قِيمَ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو التَّقْفِيُّ سَنَةَ ١٢٥ هـ فَعَزَلَهُ وَجِيسَهُ ، فَمَاتَ سَجِيئًا .. وَكَانَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ ، وَلَمْ يُحْمَدْ سِوَتُهُ فِي الْقَضَاءِ .. وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لِيَخْتَصِمَانِ إِلَى فَاجِدٍ أَحَدُهُمَا لِيُخَفَّ عَلَى قَلْبِي فَأَقْضِيَ لَهُ ! .. تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ١٢٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٨٢ ، والمعارف ص ٢٦٦ ، ٣٩٨ وغيرهما من الصفحات] .

(٢) في « م » : دَخَلْتُ عَلَى الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، وَهُوَ مَلِكُ مِصْرَ .. وَهُوَ : أَحْمَدُ بْنُ بِلْدَرِ الْجَمَالِيِّ ، أَبُو الْقَاسِمِ شَاهَنْشَاهُ ، الْمَلِكُ بِالْمَلِكِ الْأَفْضَلِ ، وَزِيرٌ ، وَلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٤٥٨ هـ وَتَخَلَّفَ أَبَاهُ فِي إِمَارَةِ الْجِيُوشِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَهُوَ أَرْمَنِي الْأَصْلُ ، دَاهِيَّةٌ ، ذَا رَأْيٍ ، حَمِيدُ السِّيَاسَةِ ، وَطَلَّ دَعَائِمُ السُّلْكِ لِلْآيِرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ الْغِيْدِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَدَبَّرَ شَعْرَ حَوْلَتِهِ ، فَنَقِمَ عَلَيْهِ أَمْرًا فَدَسَّ لَهُ مَنْ قَتَلَهُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ دَارِهِ فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٥١٥ هـ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ وَلَايَتِهِ ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٠٣] .

(٣) الْوَرَى : الْخَلْقُ .

(٤) في « م » : « فَلَا يَكُونُ » .

(٥) هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنْ « ط » وَسَقَطَتْ مِنْ « م » .

(٦) في « م » : « بِالْفِعْلِ وَالْفِعْلُ وَالْفِعَالُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٧) سُورَةُ سَبَأٍ - مِنَ الْآيَةِ ١٣ .

(٨) في « م » : « هَذَا الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ » .

إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مَن كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدَيْكَ بِمِثْلِ ^(١) مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَأَتَى اللَّهَ فِيمَا حَوَّلَكَ ^(٢) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى] ^(٣) سَأَلَكَ عَنِ النَّفِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَالْفَقِيلِ ^(٤) . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَوْلُكَ لِنَسَائِلِهِمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) وَقَالَ [تَعَالَى] ^(٦) : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا . وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ^(٧) .

وَأَعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آتَى مُلْكَ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] فَسَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ ، وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ وَالْبَهَائِمَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ^(٨) ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ فَقَالَ لَهُ ^(٩) : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(١٠) . فَوَاللَّهِ مَا عَدَّهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا كَرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ تُكُونَ ^(١١) اسْتِزْجَارًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَمَكْرًا بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَ الْفَكْرُ أَمْ

(١) هكذا في (م) : .. ولي (ط) : (خارج عن يدك مثل) .

(٢) حَوَّلَكَ : أعطاك ليأه بفضله .

(٣) ما بين المعقوفين عن (م) وساقط من (ط) .

(٤) النَّفِيرُ : قَلْبُ الثَّغْرِ فِي ظَهْرِ النَوَاةِ .. وَالْقَطْمِيرُ : القشرة الرقيقة على النواة .. والفعل : قدر المحيط الذي في شيق النواة . ويُضْرَبُ بِهَا جَمِيعًا الْمَثَلُ فِي الشَّيْءِ الصَّغِيرِ أَوِ الضَّعِيفِ .. جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - فِي سُورَةِ النَّسَاءِ - الْآيَةُ ١٢٤ : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ وَفِي سُورَةِ فَاطِر - الْآيَةُ ١٣ : ﴿ مَا تَنْفِلُكُونَ مِنْ قَطْمِيرٍ ﴾ وَفِي سُورَةِ النَّسَاءِ - الْآيَةُ ٤٩ : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيْلًا ﴾ .

(٥) سورة الجحيم - الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) ما بين المعقوفين عن (ط) في الموضعين .

(٧) سورة الأنبياء - الآية ٤٧ .

(٨) انظر الآية ٣٦ من سورة ص : .. أَيْ : جعلنا له الريح كَيْفَةً مُتَقَادَةً حَيْثُ أَرَادَ .

(٩) (له) عن (ط) .

(١٠) سورة ص - الآية ٣٩ .

(١١) في (م) : يكون .

أَكْفُرْ^(١) ... فَافْتَحَ الْبَابَ ، وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَانصَرَّ الْمَظْلُومَ ، أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى مَا قُلْتُمْ^(٢) ، وَجَعَلَ كَهْفًا لِلْمُلهُوفِ ، وَأَمَانًا لِلْحَائِفِ .

ثُمَّ أَلَمَمْتُ الْمَجْلِسَ بِأَنْ قُلْتُ : قَدْ دَوَّخْتُ الْبِلَادَ^(٣) شَرْقًا وَغَرْبًا ، فَمَا اخْتَرْتُ مَمْلَكَةً تَزُوجُنِي فِيهَا وَوُلِدَ لِي غَيْرُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ . ثُمَّ أَشْدَدْتُ شِعْرًا :

وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا رَجُلًا حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانٍ

وَكَتَبَ حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ : أَيُّ سَائِلِكَ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ، إِنْ أُجِبْتَ عَنْهَا صِرْتُ لَكَ تَلْمِيزًا^(٤) : أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِالرَّحْمَةِ ؟ وَمَتَى تُضَيِّعُ أُمُورَ النَّاسِ ؟ وَبِمَ^(٥) تُتْلَقَى النُّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ثَلَاثَةٌ : الْبِرُّ^(٦) يَكُونُ فِي سُلْطَانِ الْفَاجِرِ^(٧) ، فَهُوَ الدَّهْرُ حَزِينٌ لِمَا يَرَى وَيَسْمَعُ ، وَالْعَاقِلُ يَكُونُ فِي تَدْبِيرِ الْجَاهِلِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ مَغْمُومٌ^(٨) ، وَالْكَرِيمُ يَحْتَاجُ إِلَى اللِّيمِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ خَاضِعٌ لَهُ ذَلِيلٌ^(٩) .
وَتَضْيِيعُ أُمُورِ النَّاسِ إِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، وَالسَّلَاحُ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَعْمِلُهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَتَّقِيهِ .

(١) انظر الآية ٤٠ من سورة النحل ..

(٢) في « م » : « د على نصر المظلوم » .

(٣) دَوَّخْتُ الْبِلَادَ ، أَيْ : صِرْتُ فِيهَا حَتَّى عَرَفْتُهَا ، وَلَمْ تُخَفْ عَلَى طَرَفِهَا .

(٤) في « م » : « صِرْتُ تَلْمِيزًا لَكَ » .

(٥) في « م » : « وَبِمَا » والمعهود أَنْ أَلْف « مَا » الاستفهامية تُخَدَّفُ إِذَا سُبِقَتْ بِحَرْفِ جَرٍ .

(٦) الْبِرُّ : الصَّالِحُ مِنَ النَّاسِ .. يُقَالُ : بَرَّ فُلَانٌ : صَلَحَ ، ضِدَّ فَجَرَ ، فَهُوَ بَرٌّ .

(٧) في « ط » : « سُلْطَانِ فَاجِرٍ » .

(٨) في « م » : « مَتْعُوبٌ مَغْمُومٌ » وقوله « مَتْعُوبٌ » لا يصح اسم مفعول ، لِأَنَّ الْفِعْلَ مِنَ الثَّلَاثِ : تَجِبَ تَجْبًا ، فَهُوَ « تَجِبٌ » ، وَإِذَا عُدِّيَتْ بِالْمُحَمَّزَةِ وَقُلْتُ : أَتَجِبْتُ فَهُوَ « مُتَجَبٌّ » .. وَفِي اللِّسَانِ : لَا يُقَالُ : مَتْعُوبٌ .

[انظر لسان العرب والمصباح المنير والمعجم الوسيط وغيرها من المعاجم مادة « تَجِبَ »] .

(٩) في « م » : « خَاضِعٌ مِنْهُ » وسقطت منها كلمة « ذَلِيلٌ » .

وَتَقْلَقِي النِّعْمَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِكَثْرَةِ شُكْرِهِ ، وَلِزُورِ طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ . فَصَارَ تَلْمِيزًا لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ : حَجَّ ^(١) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا أَشْرَقَا عَلَى عَقَبَةِ عُسْفَانَ ^(٢) نَظَرَ سُلَيْمَانُ إِلَى السَّرَادِقَاتِ ^(٣) قَدْ ضَرِبَتْ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عُمَرُ ^(٤) ، كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى دُثْيَا عَرِيضَةً بِأَكُلٍ بَعْضُهَا بَعْضًا وَأَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْهَا ، الْمَأْخُودُ بِهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا ^(٥) كَذَلِكَ إِذْ طَارَ غُرَابٌ مِنْ سَرَادِقِ ^(٦) سُلَيْمَانَ ، فِي مِثْقَالِهِ كِسْرَةٌ ، فَصَاحَ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَا يَقُولُ هَذَا الْغُرَابُ ؟ قَالَ عُمَرُ : مَا أَذْرِي مَا يَقُولُ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخْبِرْتُكَ بِعِلْمٍ . قَالَ : أَخْبِرْنِي . قَالَ : هَذَا غُرَابٌ طَارَ مِنْ سَرَادِقِكَ ^(٧) فِي مِثْقَالِهِ كِسْرَةٌ ، أَنْتَ بِهَا مَأْخُودٌ ، وَعَنْهَا مَسْئُولٌ ، مِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ ، وَمِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتُخْبِرُنَا بِالْعَجَائِبِ ^(٨) ! قَالَ : أَفَلَا أَخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَيْفَ عَصَاهُ ؟ وَمَنْ عَرَفَ الشَّيْطَانَ

(١) في « م » : « لَمَّا حَجَّ » . ويحيى بن سعيد هو : يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري الشجاري ، أبو سعيد ، قاضي من أكابر أهل الحديث من أهل المدينة . ولحق القضاء بالمدينة في زمن بني أمية ، ولأه يوسف بن محمد الثقفي أيام الوليد بن عبد الملك ، وكان من اختصاص الولاية تعيين القضاة (واستمر ذلك إلى أن استُخْلِفَ أبو جعفر المنصور ، فجعله للخلفاء) ورحل إلى العراق في العهد العباسي ، فوَلَّى قضاء الحيرة ، وتولى بالهامة - في العراق - سنة ١٤٣ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠١ - ١٠٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٩ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩١ - ٧٩٢ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٤١ ، ٣٤٢] .
(٢) عُسْفَانَ ، بالضم ، مَنَهْلَةٌ مِنْ مَنَاهِلِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَمَكَّةَ ، وَهِيَ مِنْ مَكَّةَ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ . وَالْمَنَهْلَةُ : الْمَنْزِلُ فِي الْمَفَازَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمَسَافِرِينَ يَوْجَدُ بِهِ الْمَاءُ .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١٣٤ ، ص ١٢١ ، ١٢٢] .

(٣) السَّرَادِقَاتُ : جَمْعُ سَرَادِقٍ ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ مِنْ حَاطِطٍ أَوْ مُضْرِبٍ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْفَسْطَاطِ يَجْمَعُ فِيهِ النَّاسُ لِقَرْنٍ أَوْ مَأْتَمٍ وَنَحْوِهَا - وَضَرِبَتْ : أَفْهِمَتْ .

(٤) في « م » : « فَقَالَ بِأَعْمَرٍ » .

(٥) في « م » : « هُوَ » .

(٦) في « ط » : « سَرَادِقَاتُ » .

(٧) في « ط » : « سَرَادِقَاتُكَ » .

(٨) في « م » : « إِنَّكَ لَتَجِيءُ بِالْمَعْجَبِ » .

كَيْفَ أَطَاعَهُ ؟ وَمَنْ أُتِفِنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَهَيِّئُهُ الْعَيْشُ ^(١) ؟ قَالَ : لَقَدْ غَشَّتْ عَلَيْنَا ^(٢) مَا نَحْنُ فِيهِ . ثُمَّ ضَرَبَ فَرَسَهُ وَسَارَ .

وَيُرْوَى أَنَّ بِلَالَ بْنَ أَبِي بَرْدَةَ خَرَجَ فِي جَنَازَةٍ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَتَنَظَرَ إِلَى جَمَاعَةٍ وَفُوفًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا ^(٣) : مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يُذَكِّرُ النَّاسَ ^(٤) . فَقَالَ لَوَصِيفٍ مَعَهُ : اذْهَبْ إِلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فَقُلْ لَهُ يَرْتَفِعُ إِلَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ ، فَجَاءَ الْوَصِيفُ فَأَدَّى الرِّسَالَةَ إِلَى مَالِكِ ، فَصَاحَ بِهِ مَالِكُ : مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَأَجِيبُهُ فِيهَا ، فَإِنْ تُكُنْ لَهُ حَاجَةٌ فَلْيَجِئْ إِلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ . فَلَمَّا دَفَنُوا مَيِّتَهُمْ قَامَ بِلَالٌ بِمَعَهُ إِلَى خَلْقَةِ مَالِكِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا ^(٥) نَزَلَ ، وَنَزَلَ مِنْ مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي إِلَى الْخَلْقَةِ حَتَّى جَلَسَ ، فَلَمَّا رَأَى مَالِكَ [بِنُ دِينَارٍ] ^(٦) سَكَتَ فَأَطَالَ السُّكُوتَ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : يَا أَبَا يَحْيَى ، ذَكَّرْنَا . فَقَالَ : مَا نَسِيتُ شَيْئًا فَأَذْكُرُكَ ^(٧) بِهِ . قَالَ : فَحَدَّثْنَا . قَالَ : أَمَا هَذَا فَتَنَعَم .. قَدِمَ عَلَيْنَا أَمِيرٌ مِنْ قَبْلِكَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَمَاتَ فَدَفَنَاهُ فِي هَذِهِ ^(٨) الْجَبَانَةِ ، ثُمَّ أَتَيْنَا بِرِجْلِي فَدَفَنَاهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى إِلَيْهِمَا كَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا أَبَا يَحْيَى ، أَتُذَرِي مَا أَلَذِي جُرَّاكَ عَلَيْنَا ، وَمَا أَلَذِي أَسْكَنْتَنَا ^(٩) عَنْكَ ؟ لِأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ ^(١٠) مِنْ دَرَاهِمِنَا شَيْئًا ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أُنْخِذْتُ مِنْ دَرَاهِمِنَا شَيْئًا مَا اجْتَرَأْتُ عَلَيْنَا ^(١١) هَذِهِ الْجُرَاةَ .. قَالَ مَالِكُ : فَأَقَادَنِي ^(١٢) هَذَا الْحَدِيثُ عِلْمًا ، أَلَا فَاتَّقُوا دَرَاهِمَهُمْ .

(١) في « م » : عيش .

(٢) غشت علينا : أفسدت علينا ما نحن فيه . وفي « م » : غشت .

(٣) في « م » : فقالوا .

(٤) يُذَكِّرُ النَّاسَ : يُعْظِمُهُمْ .. والوصيف : الخادم .

(٥) في « ط » : دنا منه .

(٦) ما بين المقوفتين ساقط من « م » .

(٧) في « م » : فقال : نسيت شَيْئًا فَأَذْكُرُكَ هُوَ ؟ .

(٨) في « م » : إلى هذه .

(٩) في « م » : سَكَنِي .

(١٠) في « م » : لم تأكل .

(١١) في « م » : على .

(١٢) هكنا في « م » .. وفي « ط » : فأفاد ، وسقط منها « قال مالك » .

وَدَخَلَ ابْنُ شِهَابٍ ^(١) عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ ^(٢) : يَا بْنَ شِهَابٍ ، مَا حَدِيثُ يُحَدِّثُنَا بِهِ أَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : حَدَّثُونَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا اسْتَرْعَى عَبْدًا رَعِيَّةً كَتَبَ لَهُ الْحَسَنَاتِ ، وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتِ . قَالَ : كَذَبُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَبِيُّ خَلِيفَةَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ ، أَمْ خَلِيفَةُ لَيْسَ بِنَبِيِّ ؟ قَالَ : بَلْ نَبِيُّ خَلِيفَةَ . قَالَ : فَأَنَا أُحَدِّثُكَ [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ] ^(٣) بِمَا لَا تَشْكُ فِيهِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّ دَاوُدَ : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ^(٤) . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ^(٥) وَعِيدُ اللَّهِ لِنَبِيِّ خَلِيفَةَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِخَلِيفَةِ غَيْرِ نَبِيِّ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ : إِنَّ النَّاسَ لَيَعْرِفُونَنَا ^(٦) عَنْ دِينِنَا .

وَرَوَى زَيْدًا عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ وَإِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ ^(٧)

(١) هو : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بني زُهْرَةَ بن كلاب ، من قريش ، تابعي من أهل المدينة ، وُلِدَ سنة ٥٨ هـ .. وهو أول مَنْ دُوِّنَ الحديث ، وواحد من كبار الحفاظ والفقهاء ، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث ، نصفها مسند .. وعن أبي الزناد قال : كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ، ويكتب كل ما يسمع .. نزل الشام واستقر بها ١٠٠ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عُثْمَانَ : عليكم بابن شهاب ، فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه . تولى - رحمه الله - يشطب - آخر حُدِّ الحجاز وأول حد فلسطين - سنة ١٢٤ هـ . وفي تاريخ مولده ووفاته اختلاف .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٩ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦٠ - ٣٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٨ - ١١٣] .

(٢) في « د » : قال .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « د » .

(٤) سورة « ص » - الآية ٢٦ .

(٥) في « ط » : فهذا .

(٦) أى : إن الناس يمدحوننا ويجهلوننا نجهل أمر ديننا .. وفي « د » : « ليغرونا » .

(٧) أبو جعفر المنصور : الخليفة العباسي ، وقد مرت ترجمته .. وابن طاووس هو : عبد الله بن طاووس بن كيسان الحمضاني ، من عُقَادِ أهل اليمن وفقهائهم المشهورين ، ومن رجال الحديث الثقات ، وكان أبوه (طاووس بن كيسان) من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية الحديث ، وتقشفا في العيش ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، وسار ابنه عبد الله على مثاله .. وروى عنه .. تولى عبد الله سنة ١٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٤ وج ٣ ص ٢٢٤ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٢٣ - ٢٤] .

فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ^(١) ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى فُرْشٍ قَدْ نُصِذْتُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَنْطَاعٌ ^(٢) قَدْ
بُسِطَتْ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَلَاوِزَةٌ ^(٣) بِأَيْدِيهِمُ السَّيُوفُ يَضْرِبُونَ الْأَعْنَاقَ ، فَأَوْتَمًا ^(٤) إِلَيْنَا أَنْ
اجْلِسْنَا ، فَجَلَسْنَا ، فَأَطْرَقَ عَنَّا طَوِيلًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَالتَفَتَ إِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ وَقَالَ :
حَدَّثَنَا عَنْ أَبِيكَ ^(٥) قَالَ : نَعَمْ ، إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « إِنْ أَشَدَّ النَّاسُ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللَّهُ فِي مُلْكِهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ
الْجُورَ فِي حُكْمِهِ » . فَأَمْسَكَ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً ، قَالَ مَالِكٌ : فَضَمَمْتُ نِيَابِي مَخَافَةَ أَنْ
يَنْضَحَنِي بِدَمِهِ ، فَأَمْسَكَ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً حَتَّى اسْوَدَّ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بْنَ
طَاوُوسٍ ، نَاوِلْنِي هَذِهِ الدَّوَاةَ ^(٦) ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : نَاوِلْنِي هَذِهِ الدَّوَاةَ ، فَأَمْسَكَ
عَنْهُ ^(٧) ، ثُمَّ قَالَ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَنَاوِلَنِيهَا ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ تُكْتَبَ بِهَا مَعْصِيَةٌ فَأَكُونَ
شَرِيكَكَ فِيهَا . فَلَمَّا ^(٨) سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ : قَوْمًا عَنِّي . قَالَ ابْنُ طَاوُوسٍ : ذَلِكَ مَا كُنَّا نُبْغِي
مُنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ مَالِكٌ : فَمَا زِلْتُ أَغْرِفُ لِابْنِ طَاوُوسٍ فَضْلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ^(٩) .
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ ^(١٠) : سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ عَنْ

(١) هكذا في « ط » .. في « م » : « لَمَّا بَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَابْنِ طَاوُوسٍ فَدَخَلَا عَلَيْهِ » .

(٢) نُصِذْتُ : وَضَعْتُ بِطَرِيقَةٍ مُنْسَقَةٍ .. وَالْأَنْطَاعُ : جَمْعُ نَظْعٍ ، وَهُوَ بَسَاطٌ مِنَ الْجِلْدِ يَحْتَلُ فَرْقَهُ الْمُحْكُومُ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ .

(٣) الْجَلَاوِزَةُ : جَمْعُ جَلَوَزٍ ، وَهُوَ الشَّرْطِيُّ الضَّخْمُ الشَّجَاعُ .

(٤) هكذا في « ط » : « وَأَوْتَمًا أَيْ : أَشَارَ » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيكَ » .

(٦) الدَّوَاةُ : الْمِغْبَرَةُ .

(٧) هكذا في « ط » .. ولم تتكرر هذه الجملة في « م » .

(٨) في « م » : « قَالَ : فَلَمَّا » .

(٩) من أول قوله : قَالَ مَالِكٌ .. إِلَى آخِرِ الْجُمْلَةِ عَنْ « ط » ولم يرد في « م » .

(١٠) في « م » : « الْحَوَارِيُّ » ، تَحْرِيفٌ .. وَهُوَ : أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ .. اسْمُهُ مِيمُونٌ .. مِنَ الزَّاهِدِينَ
الزُّورِعِينَ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ، صَحِبَ أَبَا سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ وَغَيْرَهُ .. وَكَانَ الْجَنِيدُ يَقُولُ : « أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ رِيحَانَةُ
الشَّامِ » وَيُرْوَى أَنَّهُ طَلَبَ الْعِلْمَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا بَلَغَ حَمْلَ كَتَبَهُ إِلَى الْبَحْرِ فَأَغْرَقَهَا وَقَالَ : يَا عَلِيٌّ ، لَمْ أَفْعَلْ بِكَ هَذَا
هُوَئَا بِكَ ، وَلَا اسْتَخَفَّاقًا بِحَقِّكَ ، بَلْ كُنْتُ أَطْلُبُكَ لِأَهْتَدِيَ بِكَ إِلَى رَبِّي ، وَالْآنَ اسْتَغْنَيْتُ عَنْكَ . وَمِنْ حِكْمِهِ :
« لَا دَلِيلَ عَلَى اللَّهِ سِوَاهُ » وَ« إِذَا حَدَّثْتُكَ نَفْسَكَ بِتَرْكِ الدُّنْيَا عِنْدَ إِدْبَارِهَا فَهُوَ خُدْعَةٌ ، وَإِذَا حَدَّثْتُكَ بِتَرْكِهَا عِنْدَ إِقْبَالِهَا
فَذَلِكَ » . وَكَانَ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ وَابْنُهُ ، كُلُّهُمْ مِنَ الْعَارِفِينَ الزُّورِعِينَ أَيْضًا .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ -
سَنَةَ ٢٣٠ هـ .

ابْنِ السَّمَاكِ ^(١) قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ هَارُونُ ، فَلَمَّا اتَّهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ ، أَخَذَ حَرَسِيَّانِ بِضَبْعِي فَأَعَجَلَانِي فِي دِهْلِيزِ الْقَصْرِ ^(٢) ، فَلَمَّا اتَّهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَاعَةِ ^(٣) لَقِيتُنِي خَصْمِيَّانِ ضَخْمَانِ ^(٤) فَأَخَذَانِي مِنَ الْحَرَسِيَّيْنِ ، فَأَعَجَلَانِي فِي قَاعَةِ الْقَصْرِ ، فَأَتَيْتُهُتُ إِلَى الْبُهِوِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَتَلَقَانِي خَصْمِيَّانِ دُونَهُمَا ، فَأَخَذَانِي فَأَعَجَلَانِي فِي الْبُهِوِ ، فَقَالَ لَهُمَا هَارُونُ : ارْفُقُوا بِالشَّيْخِ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ لَهُ : يَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا مَرُّ بِي يَوْمَ مِثْلُ وَلَدْتَنِي أُمِّي أَتَعَبُ فِيهِ مِنْ يَوْمِي هَذَا ، فَأَتَيْتُ اللَّهَ فِي خَلْقِهِ ، وَاحْفَظْ مُحَمَّدًا فِي أُمَّتِهِ ، وَانصَحْ لِنَفْسِكَ فِي رِعَايَتِكَ ، فَإِنَّ لَكَ مَقَامًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى أَنتَ فِيهِ أَذَلُّ مِنْ مَقَامِي هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَأَتَيْتُ اللَّهَ ، وَاعْلَمْتُ أَنَّ مِنْ أَخِذِ اللَّهِ وَسَطَوَاتِهِ عَلَى أَهْلِ الْمُعْصِيَةِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ^(٥) قَالَ : فَاضْطَرَبَ عَلَى فَرَاشِهِ حَتَّى نَزَلَ إِلَى مُصَلًى بَيْنَ يَدَيِ فَرَاشِهِ . فَقُلْتُ : يَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا ذُلُّ الصُّفَّةِ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَ ذُلَّ الْمُعَايَنَةِ ؟ قَالَ : فَكَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ . فَقَالَ يَحْيَى ^(٦) لِلْخَصْمِيَّيْنِ : أَخْرِجُوهُ فَقَدْ أَبْكَى أُمِيرَ

= [انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٥ - ٣٣ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠٥ ، وطبقات الصوفية ص ٩٨ - ١٠٢ وكتبته فيها : أبو الحسن ، والذي أثبتناه أجمعت عليه المراجع ، وانظر طبقات الشعراء ج ١ ص ٨٢ .

(١) من وعظ هارون الرشيد . وقد مرت ترجمته .

(٢) الْحَرَسِيَّانِ : مثنى ، مفرد : الْحَرَسِيُّ ، وهو واحد الْحَرَسِ ، ويُطلق على الجُند الذين يُرَبِّجُونَ لِيَحْفَظَ الْحَاكِمَ وَحِرَاةَهُ .. بِضَبْعِي : الضَّبْعُ : مابين الإبط إلى نصف العُضُد من أعلاها ، وهما ضَبْعَانِ .. فَأَعَجَلَانِي فِي دِهْلِيزِ الْقَصْرِ : فَأَسْرَعَانِي فِي حَنَائِهِ وَمَنْعُطَاتِهِ ، وَالْدِهْلِيزُ : بالكسر : يُطلق على المدخل بين الباب والدار .

(٣) فِي (م) : (باب القصر) .

(٤) لَفْظَةُ (خَصْمِيَّانِ) عَنْ (ط .. و) ضَخْمَانِ عَنْ (م) وَسَاقِطَةٌ مِنْ (ط .. و) فِي (م) : (خَصْمَانِ) بِالْمِ ، بَدَل (خَصْمِيَّانِ) تَحْرِيفٌ .. وَخَصْمِيَّانِ : مثنى ، مفرد : خَصْمِيٌّ ، وهو الذي اسْتَوْصَلْتَ خُصْمِيَّتَاهُ وَجِبَّ ذِكْرُهُ ، أَيْ : قُطِعَ .

(٥) كَيْتٌ وَكَيْتٌ : وَقَدْ تُكْسَرُ التَاءُ فَيَقَالُ : كَانَ فِي الْأَمْرِ كَيْبٌ وَكَيْبٌ ، أَيْ : كَذَا وَكَذَا ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْقِصَّةِ وَالْأَحْوَثَةِ ، وَلَا تَسْتَعْمَلَانِ إِلَّا مَكْرَرَتَيْنِ .

(٦) هُوَ : يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، أَبُو الْفَضْلِ ، سَيِّدُ بَنِي بَرْمَكٍ وَأَفْضَلُهُمْ ، وَهُوَ مُؤَدِّبُ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَمُعَلِّمُهُ وَمُزَيِّرُهُ .. رَضَعَ الرَّشِيدُ مِنْ زَوْجَةِ يَحْيَى مَعَ ابْنِهِ الْفَضْلِ ، فَكَانَ يَدْعُوهُ : يَا أُمَّي ! وَأَمْرُهُ الْمَهْدِيُّ سَنَةَ ١٦٣ هـ - وَقَدْ بَلَغَ الرَّشِيدُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عَمَرِهِ - أَنَّ يَلَازِمُهُ ، وَيَكُونُ كَاتِبًا لَهُ ، وَأَكْرَمَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : هِيَ مَعُونَةٌ لَكَ عَلَى السَّفَرِ مَعَ هَارُونَ .. وَلَمَّا زَلَّيَ هَارُونَ الْخِلَافَةَ دَفَعَ هَارُونَ خَاطَمَةً إِلَى يَحْيَى وَقَلَّدهُ أَمْرَهُ ، فَبَدَأَ يَبْلُغُ شَأْنَهُ ، وَاشْتَهَرَ بِيَحْيَى بِجُودِهِ وَحَسَنِ سِيَاسَتِهِ ، وَاسْتَمَرَّ إِلَى أَنْ نَكَبَ الرَّشِيدُ الْبِرَامِكَةَ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي الرُّقَّةِ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ١٩٠ هـ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَاتَ أَعْقَلَ النَّاسِ وَأَكْمَلُهُمْ .. وَقَدْ نَدِمَ الرَّشِيدُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ الْبِرَامِكَةِ ، وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا قَرِطَ مِنْهُ فِي أَمْرِهِمْ .

الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ دَخَلَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ : عِظْنِي وَأَوْجِزْ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ
الَّذِي أَكْرَمَكَ بِمَا أَكْرَمَكَ بِهِ لَحَقِيقٌ [عَلَيْكَ] ^(١) أَنْ تُحِبَّ مَا يُحِبُّ ، وَتُبْغِضَ
مَا بُغِضَ ، فَوَاللَّهِ ، لَقَدْ أَحَبَّ اللَّهُ دَارًا وَأَبْغَضَتْهَا ، وَأَبْغَضَ دَارًا وَأَحَبَّتْهَا ، كَأَنَّمَا أُرِدْتُ
خِلَافَ رَبِّكَ ، أَوْ أُرِدْتُ سِوَاهُ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ لَوْ بَقِيَ عَلَى
مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَهْلِكْ إِلَيْكَ ، فَكَذَلِكَ لَا يَبْقَى لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لِفَيْرُكَ ، فَأَتَى اللَّهَ فِي
خِلَافَتِهِ ، وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِهِ ^(٢) .

وَدَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ الثَّغَاةِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ تُحِبُّ اللَّهَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتُحِبُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ فِي
حُبِّكَ إِيَّاهُ ، إِنَّكَ لَوْ أَحَبَبْتَهُ إِذَا مَا عَصَيْتَهُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ ^(٤) :

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعْمَرِي فِي الْمَقَالِ يَدِيعُ ^(٥)
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ ^(٦)
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَّبِدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ ^(٧)

= [انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٤ ، وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢١٩ - ٢٢٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٢٨ -
١٣٢ ، ومعجم الأدباء ج ٢٠ ص ٥ - ٩ ، والمعارف ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وغيرها من كتب التاريخ كالطبري ،
والكامل لابن الأثير ، والبدية والنهاية] .

(١) ما بين للمعوقين عن م .

(٢) في م : « واحفظ محمدًا في أمته » .

(٣) في م : « وعليك السلام أيها الملك » .

(٤) الشعر لهماورد الوراق .

(٥) في م : « هذا لتعرك » . وفي ملحق الإحياء ج ٥ ص ٣٢١ ط الدار المصرية : « في الفعل » بدل « في
المقال » .. وفي العقد الفريد ج ٣ ص ١٦٨ : « هذا محال في القياس بديع » .

(٦) في العقد الفريد :

« لو كنت تُضَيِّرُ حُبَّهُ لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ »

(٧) هكذا في ط .. وفي م : « لَقَدْ ذَاكَ » بدل « لشكر ذاك » . وفي العقد الفريد :

« فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَّبِدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ بِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعٌ »

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ^(١) عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِيَجْعَلَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ ^(٢) أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ ، وَالْيَ الْمَدِينَةُ : اخْذَرْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلٌ غَدًا ^(٣) لَيْسَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ نَسَبٌ ^(٤) وَلَا أَبٌ ، وَلَا جَدٌّ ، فَيَكُونُ أَوَّلَى بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، كَمَا كَانَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَوَّلَى بِنُوحٍ وَلُوطٍ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ^(٥) مِنْ زَوْجَتَيْهِمَا ، أَوْ كَمَا ^(٦) كَانَتْ زَوْجَةُ نُوحٍ وَلُوطٍ ^(٧) أَوَّلَى بِفِرْعَوْنَ مِنْ زَوْجَتِهِ .. مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ، وَمَنْ أَسْرَعَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُبْطِئْ بِهِ نَسَبُهُ .

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ ^(٨) : بَيْنَمَا الْحُجَّاجُ جَالِسٌ فِي الْحِجْرِ ^(٩) إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَحَجَلَ يَطُوفُ ، فَوَكَّلَ بِهِ بَعْضَ مَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ ^(١٠) : إِذَا خَرَجَ مِنْ طَوَافِهِ فَأَتِنِي بِهِ ، فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ طَوَافِهِ ^(١١) أَتَاهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ

(١) هو : زيد بن أسلم العدوي ، أبو عبد الله العمري ، فقيه ومفسر من أهل المدينة ، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافة ، واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مُسْتَفْتًا في أمر ، وكان ثقة كبير الحديث ، وكانت له حلقة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم . تولى - رحمه الله - سنة ١٣٦ هـ .

[الأعلام ج ٣ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩٨ .]
(٢) هكذا في م وهو الصواب .. وفي « ط » : عبد الله بن أبي طالب .. وسقط منها « جعفر » .. وكثيراً ما يُسْتَقَطُّ الكاتب اسماً أو أكثر من تراجم الأعلام حين يزيد على الجلد الثالث .

[انظر أولاد جعفر بن أبي طالب في جمهرة أنساب العرب ص ٦٨ ، ٦٩ ، وانظر نسب قريش ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .]

(٣) في « م » : اخْذَرْ أَنْ تَحْيَى غَدًا رَجُلٌ وَتَحْيَى ، بالتاء : تحريف .

(٤) في « ط » : نَسَبُهُ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « زَوْجَتَيْهِمَا ، وَكَأَنَّ » .

(٧) في « م » : « لُوطٌ وَنُوحٌ » .

(٨) هو : بشير بن السريّ الأحموي ، أبو عمرو البصري ، ثم المكي الواعظ ، رُمِيَ بالثَّجُمِ واعتذر وتاب ، كان ثقة نبياً صاحب مواظ . مات سنة ١٩٥ هـ عن ثلاث وستين سنة .

[انظر طبقات الصوفية ص ٩٧ ، وميزات الاعتدال ج ١ ص ٣١٧ ، ٣١٨ .]

(٩) الْحُجَّاجُ هو : الحجاج بن يوسف الثقفي . وقد مرَّ التعريف به . والحجر : ماحواه الحطيم ، وهو جانب الكعبة من جهة الشمال .

(١٠) في « م » : قَالَ .

(١١) سقطت « من طوافه » من « م » .

الْيَمَنِ . قَالَ : أَفَلَاكَ عِلْمٌ بِمُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ . قَالَ : لَقَدْ تَرَكْتُهُ أَيْضًا ، بَضًّا سَمِينًا ، طَوِيلًا عَرِيضًا . قَالَ : وَيْلَكَ ، لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ : قَالَ فَقَعْمُهُ ؟ ^(١) قَالَ : عَنْ سِيرَتِهِ وَطَعْمَتِهِ ^(٢) . قَالَ : فَأَجُورُ السَّيْرِ ، وَأَخْبَثُ الطَّعْمِ ، وَأَعْدَى الْعُدَاةِ عَلَى اللَّهِ وَأَحْكَاوِمِهِ . قَالَ ^(٣) : فَفَضِيبُ الْحَجَّاجِ وَقَالَ : وَيْلَكَ ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّهُ أَخِي ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَأَنْتَ أَمَّا عَلِمْتَ ^(٤) أَنَّ اللَّهَ رَبِّي ، وَاللَّهُ لَهُوَ أَمْنُغٌ لِي مِنْكَ ^(٥) أَكْثَرَ مِنْ مَنْعِكَ ^(٦) لِأَخِيكَ ؟ قَالَ : أَجَلْ ، أُرْسِلُهُ يَا غَلَامُ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ ^(٧) : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يُحَدِّثُ ، قَالَ : شَهِدْتُ أَبَا جَعْفَرٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِيمَا بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، لَيْسُوا مِنْ قُرَيْشٍ ^(٨) ، فَقَالُوا لِأَبِي جَعْفَرٍ : اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ابْنَ أَبِي ذَنْبٍ ^(٩) . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِابْنِ أَبِي ذَنْبٍ : مَا تَقُولُ فِي بَنِي فُلَانٍ ؟ قَالَ : أَشْرَارٌ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ أَشْرَارٍ . قَالُوا ^(١٠) : سَلِّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ -

(١) أَيْ : فَقَعْمُ تَسَالَى . وَالْهَاءُ لِلتَّكْنِ .

(٢) الطَّعْمَةُ ، بِالضَّمِّ : وَجْهُ الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ ، وَكُلُّ مَا يَطْعَمُ .. وَبَكَسْرِ الطَّاءِ : الْجِهَةُ الَّتِي مِنْهَا يَرْتَقَى .

(٣) سَقَطَتْ « قَالَ » مِنْ « م » .

(٤) فِي « ط » : « فَأَنْتَ مَا عَلِمْتَ » .

(٥) فِي « ط » : « لِي مِنْكَ » .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : أَكْثَرَ مِنْكَ .

(٧) هُوَ : عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قُرَيْبٍ ، أَبُو سَعِيدٍ الْأَصْمَعِيُّ ، رَاوِيَةُ الْعَرَبِ ، وَأَحَدُ أُمَمَةِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ وَالشَّعْرِ .. وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ وَافِيَةٍ عَنْهُ .

(٨) فِي « ط » : لِقُرَيْشٍ .

(٩) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَغيرةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ذَنْبٍ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، مِنْ قُرَيْشٍ ، أَبُو الْحَارِثِ ، تَابَعِي ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ يَفْقَهُ بَهَا ، وَيُشَبِّهُ بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسْتَنَبِثِ .. وَلَدَ سَنَةَ ٨٠ هـ وَكَانَ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ وَأَفْضَلِهِمْ فِي عَصَرِهِ .. دَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ - الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ - الَّذِي نَحْنُ بِصُدْدِهِ الْآنَ ، وَقَالَ لَهُ : الظُّلُمُ فَاشٍ بِهَذَا ! وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْهُ وَعَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ، فَقَالَ : ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ أَصْلَحَ فِي بَدَنِهِ وَأَقْوَمَ بِالْحَقِّ مِنْ مَالِكٍ عِنْدَ السُّلَاطِينِ .. وَقِيلَ : كَانَ يَرَى الْقَدْرَ ، وَهَجَرَهُ مَالِكٌ مِنْ أَجْلِهِ .. وَقَدْ نَفَى عَنْهُ الْقَدْرُ الْوَاقِدِيُّ .. تَوَفَّى سَنَةَ ٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ١٨٩ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٢٠ ، والمعارف ص ٤٨٥ ، وطبقات الفقهاء للشُّعْرَاوِيِّ ص ٥٢] .

(١٠) فِي « م » : فَقَالُوا .

وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ — قَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْحَسَنِ ؟ قَالَ : يَا أَخُوهُ بِالْإِخْنَةِ ^(١) ، وَيَقْضِي بِالْهَوَى . فَقَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ لَرَمَاكَ بِدَاهِيَةٍ ، وَتَعَتَكَ بِشَرٍّ أ قَالَ : مَا تَقُولُ فِيَّ ؟ قَالَ : اغْفِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَا بُدَّ أَنْ تَقُولَ : قَالَ : إِنَّكَ لَا تُعْدِلُ فِي الرِّعْيَةِ ، وَلَا تُقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ . فَتَغَيَّرَ ^(٢) وَجْهُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، صَاحِبُ الْمُوصِلِ ، وَقَالَ : طَهَّرْنِي ^(٣) بِدَمِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ ^(٤) لَهُ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ : أَفَعَدَّ يَابَنِيَّ ، فَلَيْسَ فِي دَمِ رَجُلٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ طَهُورٌ ، ثُمَّ تَذَارَكَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ الْكَلَامَ فَقَالَ : دَعْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ... بَلَّغْنِي أَلَّاكَ رُزِقْتَ ابْنًا صَالِحًا بِالْعِرَاقِ — يَعْنِي الْمَهْدِيَّ ^(٥) — قَالَ : أَمَا إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَيَصُومُ ^(٦) الْيَوْمَ الْبَعِيدَ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ . قَالَ : ثُمَّ قَامَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ فَخَرَجَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمُسْتَرْزِقِ الْعَقْلِ ، وَلَقَدْ قَالَ بِذَاتِ نَفْسِهِ .

وَدَخَلَ أَبُو النَّضْرِ سَالِمٌ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ^(٧) عَلَى عَامِلٍ لِلْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ

(١) الإِخْنَةُ : الْحِفْظُ وَالضَّمْنُ .

(٢) فِي « م » : « قَالَ : فَتَغَيَّرَ » .

(٣) فِي « م » : « فَقَالَ : طَهَّرْنِي » يَعْنِي : اجْعَلْنِي طَاهِرًا وَنَقِيًّا مِنَ الذَّنَسِ .

(٤) فِي « ط » : « قَالَ » .

(٥) فِي « م » : « بِالْمَهْدِيِّ » .

(٦) فِي « م » : « لَلصَّوْمِ » . وَيَعْنِي بِالْيَوْمِ الْبَعِيدِ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ : الْيَوْمَ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ الْحَارِّ ، حَيْثُ يَطُولُ النَّهَارُ عَنْهُ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ .

(٧) هَكَذَا فِي « م » وَسَائِرِ الْمَرَاجِعِ ، بِالضَّادِ الْمَجْمَعَةِ ، وَهُوَ الْأَرْجَحُ الْغَالِبُ .. أَمَّا فِي « ط » فَالْبَصَادُ الْمُهْمَلَةُ . وَفِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : أَبُو نَصْرٍ ، بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ أَيْضًا وَبِغَيْرِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ .

وَهُوَ : سَالِمُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ ، مِنْ تَابِعِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَمِنْ الصَّالِحِينَ ، كَانَ يَخْلُو عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيُعْظَمُ .. وَلَهُ أَحَادِيثٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، وَكَانَ ثِقَةً حَسَنَ الْحَدِيثِ .. تَوَفَّى — رَحِمَهُ اللَّهُ — بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٢٩ هـ .

[انظر الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٤ ص ٣٠٨ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ١ ص ١٧٦ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ١ ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ج ١ ص ٢٦٠ ، ٢٦١] .

لَهُ : يَا أَبَا النَّضْرِ ، إِنَّهُ ثَانِيًا كُتِبَ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ فِيهَا وَفِيهَا ، وَلَا نَجِدُ بُدًّا مِنْ
 إِنْفَازِهَا ، فَمَاذَا تَرَى ؟ قَالَ أَبُو النَّضْرِ : قَدْ أَتَاكَ كِتَابُ اللَّهِ قَبْلَ كِتَابِ الْخَلِيفَةِ ، فَأَيُّهُمَا
 اتَّبَعْتَ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ .

* * *

البَابُ الثَّالِثُ

فِيمَا جَاءَ فِي الزُّلَّةِ وَالْقَضَاةِ

وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفُرُورِ وَالْحَطَرِ ^(١)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا دَاوُدُ ، إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) . جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى أَنْ يَخْضُرَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَتَوَدُّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِلَّذِي لَكَ مِنْهُ خَاصَّةٌ ، وَيَهْدِيهِ الْخَصْلَةَ سَلْبَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ^(٣) مُلْكُهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : كَانَ الَّذِي أَصَابَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ جَرَادَةَ امْرَأَتِهِ ^(٤) ، وَكَانَتْ مِنْ أَكْرَمِ نِسَائِهِ عَلَيْهِ ، تَحَاكَمُوا إِلَيْهِ مَعَ غَيْرِهِمْ ،

(١) الْفُرُورُ ، يَضُمُّ الْفَيْنِ الْمُعْجَمَةُ : الشَّرَفُ وَالسِّيَادَةُ .. وَفَتْحُهَا : التَّعْرِيفُ لِلْهَلَكَةِ .

(٢) سُورَةُ « ص » - الْآيَةُ ٢٦ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفِينَ عَنْ « ط » فِي الْمَوْضِعِينَ .

[انْظُرْ قِصَّةَ فَتْنَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَيْفِيَّةَ سَلْبِ مُلْكِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سُورَةِ « ص » فِي تَفْسِيرِ الْكَشَافِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ ج ٣ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، وَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلنَّجَّارِ ص ٣٢٣ - ٣٣١ ، وَضَعِ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبِخَارِيِّ لِابْنِ خَبَرٍ ج ٦ ص ٤٥٩ ، وَتَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ج ٢٦ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ، وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْأَثَرِ] .

(٤) فِي « م » : « امْرَأَتُهُ جَرَادَةُ » وَهِيَ : جَرَادَةُ بِنْتُ غُولَانَ ، وَكَانَ أَبُوهَا مُلْكًا مَجُوسِيًّا عَلَى جَزِيرَةِ « صِيلُونَ » - أَوْ صَيْدَا - وَكَانَ جَبَّارًا عَظِيمَ الشَّانِ .. قَتَلَهُ سُلَيْمَانَ ، وَاصْطَفَى ابْنَتَهُ « جَرَادَةَ » لِنَفْسِهِ ، وَكَانَتْ رَاضِيَةً الْجَمَالَ فَأَسْلَمَتْ وَظَهَرَتْ بِمُظْهَرِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ ، فَأَحْبَبَهَا وَتَزَوَّجَهَا ، وَكَانَ لَا يَرْقَأُ لَهَا دَمْعٌ عَلَى مَقْتَلِ أَبِيهَا . [انْظُرْ قِصَّتَهَا مَعَ سُلَيْمَانَ فِي الْمَرَاجِعِ السَّابِقَةِ .. وَقَدْ أَفْرَدَ لَهَا الْأَسْتَاذُ / مُحَمَّدُ أَحْمَدُ بَرَّاقُ قِصَّةً فِي مَجْمُوعَةِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ط دَارُ الْمَعَارِفِ ، تَحْتَ عُنْوَانِ « سُلَيْمَانَ وَمُلْكُ الْجَزَائِرِ » ، تَحْتَ رَقْمِ ١٤] .

فَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِأَهْلِ « جَرَادَةَ » ، فَيَقْضَى لَهُمْ ، فَتَوَرَّبَ ^(١) حِينَ لَمْ يَكُنْ هَوَاً فِيهِمْ وَاحِدًا .

وَمِنْ ذَلِكَ آيَةُ الْمُلُوكِ الَّتِي أُنْزِلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّلَاطِينِ لِمَا اقْتَضَتْهُ مِنَ السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي فِيهَا بَقَاءُ الْمَمَالِكِ ^(٢) وَثُبُوتُ الدُّوَلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَنْصُرُوا اللَّهَ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ^(٣) . ثُمَّ سَمَّى الْمَنْصُورِينَ ، وَأَوْضَحَ شَرَائِطَ النَّصْرِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٤) . فَضَمَّنَ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ لِلْمُلُوكِ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ شَرَائِطَ ^(٥) كَمَا تَرَى ، فَمَتَى ^(٦) تَضَعُصَعَتْ قَوَاعِدُهُمْ ، وَانْتَقَضَ ^(٧) عَلَيْهِمْ مِنْ أَطْرَافِ مَمَالِكِهِمْ ، أَوْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ أَوْ بَاغٌ ^(٨) ، أَوْ حَاسِدٌ نَعْمَةٍ ، أَوْ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ ، أَوْ رَأَوْا أَسْبَابَ الْغَيْرِ ^(٩) فَلْيَجْتَوُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَسْتَجِئُوا ^(١٠) مِنْ سُوءِ أَقْدَارِهِ بِإِصْلَاحِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ [سُبْحَانَهُ] ^(١١) بِإِقَامَةِ الْخَيْرَانِ وَالْقِسْطِ ^(١٢) الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ ، وَرُكُوبِ سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَإِظْهَارِ شَرَائِعِ الدِّينِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَالْأَخِذِ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَكَفِّ يَدِ الْقَوِيِّ عَنِ

(١) فِي م : مُتَوَرَّبٌ .

(٢) فِي م : الْمَلِكُ .

(٣) سُورَةُ الْحَجِّ - آيَةُ ٤٠ .

(٤) سُورَةُ الْحَجِّ - آيَةُ ٤١ .

(٥) فِي م : وَشَرَطَ الشَّرَائِطَ .

(٦) فِي م : فَمَنْ .

(٧) هَكَذَا فِي م : بِالضَّادِّ الْمَجْمَعَةِ . وَيُقَالُ : انْتَقَضَ الْقَوْمُ عَلَى السُّلْطَانِ : خَرَجُوا عَلَيْهِ وَخَلَعُوا طَاعَتَهُ .. وَفِي

ط : انْتَقَضَ : بِالضَّادِّ الْمَجْمَعَةِ .

(٨) فِي م : أَوْ بَاغٍ قِتْنَةً .

(٩) فِي م : أَوْ أَسْبَابَ الْغَيْرِ . وَالْغَيْرُ : الْأَحْوَالُ وَالْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

(١٠) يَسْتَجِئُوا : يَسْتَجِيرُوا .. وَفِي م : يَسْتَجِئُوا : مِنَ الْحَيَاءِ .

(١١) مَا بَيْنَ الْمُقَرَّبَيْنِ عَنْ م .

(١٢) فِي م : الْقِسْطُ : بِدُونِ وَائِظِ الْمَظْلُومِ ، وَمَعْنَاهُ : الْقَدْلُ .

الضعيف ، ومُراعاة الفقراء والمساكين ، ومُلاحظة ذوى الخصاصة ^(١) والمستضعفين ، ولْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَحْلَوْا بِشَيْءٍ مِنَ الشَّرَاطِطِ الْأَرْبَعِ الَّتِي شَرِطْتُ فِي النَّصْرِ .

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) قَالَ : « أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَإِلَّا مِمَّا لَدَى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا ^(٣) ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلَا فِكُلُّكُمْ ^(٤) رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » ^(٥) . فَجَعَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلَّ نَاطِلٍ فِي حَقِّ غَيْرِهِ رَاعِيًا لَهُ ، وَاللَّفْظُ مَأْخُوذٌ مِنَ الرِّعَايَةِ وَالْمُرَاعَاةِ ، فَإِذَا تَقَدَّمَ لِرِعَايَةِ غَيْرِهِ مِنْ يَأْكُلُهُ ، فَهُوَ الْهَلَاكُ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَرَاعِي الشَّاةِ يَحْمِي الذَّنْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الذَّنَابُ لَهَا رِعَاءُ

وَرَوَى مُسْلِمٌ ^(٦) فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ أَمْرٍ عَلَى أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَهِدْ لَهُمْ وَيَنْصَحْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ » ^(٧) .

(١) هكذا في ط .. وى م : : ومُداخضة ذوى الخصاصة ، أى : والبحث عن أصحاب الحاجة من الفقراء .

(٢) في م : : أَن الرُّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٣) سقطت « وولدها » من م .

(٤) في ط : : كُلُّكُمْ .

(٥) الحديث رواه البخارى في صحيحه في كتاب الجمعة ج ٢ ص ٦ ط الشعب وفي الجنايز ج ٢ ص ١٠٠ ، وفي الاستقراض ج ٣ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، وفي العتق ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ وفي كتاب الرضايا ج ٤ ص ٦ ، وفي كتاب النكاح ج ٧ ص ٧٤ ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمامة ج ١٢ ص ٢١٣ بشرح النووي ، ورواه الترمذى في صحيحه في كتاب الجهاد ج ٧ ص ١٩٨ بشرح ابن العرى .

(٦) هو : الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، أبو الحسين ، أحد أئمة الحفاظ ، وأعلام المُحدِّثين ، وُلِدَ بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق ، وأشهر كُتبه « صحيح مسلم » جمع فيه اثني عشر ألف حديث ، كتبها في خمس عشرة سنة ، وهو أحد الصحيحين المُتَوَلَّين عليهما عند أهل السنة في الحديث ، توفى - رحمه الله - بظاهر نيسابور سنة ٢٦١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٠ - ١٠٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٨٨ - ٥٩٠] .

(٧) رواه مسلم في كتاب الإمامة ج ١٢ ص ٢١٥ ولفظه : « مَا مِنْ أَمْرٍ عَلَى أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْتَهِدُ لَهُمْ وَيَنْصَحْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلِ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ » .

وَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ ^(١) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ [تَعَالَى] رَجِيَّةً فَلَمْ يَحْطِهَا بِنُصْحِهِ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ » ^(٢) .

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُرَّةَ ^(٣) قَالَ : قَالَ لِي ^(٤) رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ^(٥) ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ^(٦) ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا ^(٧) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّكُمْ

= ورواه أيضاً في كتاب الإيمان ، والرواية هي الرواية .. انظر صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦٦ شرح النووي .

(١) هو : مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ بن عبد الله الْمُزَنِيُّ ، صحابي ، أسلم قبل المُدَيِّنِيَّةِ ، وشهد بيعة الرضوان ، وسكن البصرة ، وإليه يُنسَبُ نهر « مَعْقِل » الذي بها . وكانت وفاته سنة ٦٥ هـ تقريباً ، ودُفِنَ بالبصرة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٧١ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣] .

(٢) ما بين المعقوفين عن « م » .. والحديث في أَسَدِ الْغَابَةِ : « ما من عبد يسترعيه الله رَجِيَّةً ، يموت يوم يموت غاشئاً لرعيته إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عليه الجنة » . أخرجه الثلاثة .

[انظر ج ٥ ص ٢٣٣ .. وقد رُوِيَ في مسلم بالرواية التي ذُكِرَتْ آنفاً عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، وكلا الروايتين في مسلم] .

(٣) هو عبد الرحمن بن سُرَّةَ بن حبيب بن عبد شمس الْقُرَشِيُّ ، أبو سعيد ، صحابي ، من القادة الولاة ، أسلم يوم فتح مكة ، وشهد غزوة مُؤَتَّةَ ، وسكن البصرة ، وافتتح « سجستان » و« كابل » وغيرها .. وولّى « سجستان » وغزا « خراسان » وفتح بها قوفاً ، ثم عاد إلى البصرة فوفى بها سنة ٥٠ هـ ، وقيل : سنة ٥١ هـ .. وإليه تُنسَبُ مِكةُ « سُرَّةَ » بالبصرة .. وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة ، أو عبد كلال ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم « عبد الرحمن » .

[انظر ترجمته في أَسَدِ الْغَابَةِ ج ٣ ص ٤٥٤ - ٤٥٦ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٤٣٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٤٠٢ ، والأعلام ج ٣ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧] .

(٤) هكذا في « م » وفي صحيح مسلم .. وقد سقط الجار والمجرور « لِي » من « ط » .

(٥) هكذا في « ط » وفي صحيح مسلم .. وفي « م » : « يا عبد الرحمن بن سُرَّةَ » .

(٦) هكذا في « ط » وفي صحيح مسلم .. وفي « م » : « لا تَسْأَلِ عَنْ الْإِمَارَةِ » .

(٧) انظر الحديث في صحيح مسلم في كتاب الإمارة ، باب النبي عن طلب الإمارة والحرص عليها ج ١٢

ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ شرح النووي .. والبخاري في كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٩ ، وسنن النسائي ج ٨ ص ٢٢٥ شرح جلال الدين السيوطي .

(٨) هو : عبد الرحمن بن صخر التُّوَسِيُّ ، وأبو هريرة لَقَبُهُ ، صحابي ، وكان من أكثر الصحابة حفظاً =

سَتَحْرُصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ، وَتَسْكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَنِعِمَّتِ ^(١) الْمَرْضِعَةُ ، وَبَسَّتِ الْفَاطِمَةُ » ^(٢) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ، [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) قُلْتُ : أَمَرَنِي يَارَسُولَ اللَّهِ ^(٤) ، قَالَ : « إِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ ^(٥) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » ^(٦) .

= للحديث ورواية له .. وُلِدَ سنة ٢١ قبل الهجرة ، ونشأ يتيماً ضعيفاً ، وقَدِمَ المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فأَسْلَمَ سنة ٧ هـ ، ولزم صحبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور مع النبي حيث دار ، وَرَوَى عنه ٣٥٧٤ حديثاً ، نقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابى وتابعى .. وولى إمرة المدينة مُدَّةً ، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ، ثم رآه كَهِنَ العريكة ، مشغولاً بالعبادة ، فمزله ، وأرادَه بعد زمن على العمل ، فأبى ، وكان أكبر مقامه بالمدينة ، وبها توفى سنة ٥٩ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٣٠٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٨٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٦١] .

(١) هكذا فى م ، ط ، وسنن النسائى .. وفى صحيح البخارى « فَنِعِمَّ » . وقد ضرب الله عليه وسلم الرَضِيعَةَ مثلاً للإمارة ، وما توصله إلى صاحبها من المنافع ، وضرب الفاطمة مثلاً للموت الذى يهلم عليه لذاته ، ويقطع منافعها دونه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٩ ط الشعب ، وأخرجه النسائى فى سننه فى آخر كتاب البيعة ، فيما يكره من الحرص على الإمارة ج ٧ ص ١٦٢ ، وفى كتاب آداب القضاة ، باب ترك استعمال من يحصر على القضاء ج ٨ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ بشرح السيوطى] .

(٣) مابن المعنوفين عن « ط » .. وأبو ذَرٍّ هو : جُنْدُبُ بْنُ جُنْدَةَ بن سفيان بن عبيد الغفارى ، من كبار الصحابة ، قديم الإسلام ، أسلم بعد أربعة وكان خامساً ، يُضْرَبُ به المَثَلُ فى الصدق ، ولم يكن تأخذه فى الحق لَوَمَةً لائم ، وهو أول من خيَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام .. هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بادية الشام ، فأقام إلى أن توفى أبو بكر وعمر وَوَلَّى عِثَانَ ، فسكن دمشق ، وجعل يديه نحرى الفقراء على مشاركة الأغنياء فى أموالهم ، فشكاه معاوية (وكان والى الشام) إلى عِثَانَ (الخليفة) فاستقدمه عِثَانُ إلى المدينة ، فَقَبِدَها ، واستأنف نشر رأيه فى تقييح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء ، فأمره عِثَانُ بِالرَّحْلةِ إلى « الرُبْدَةِ » - من قرى المدينة - فسكنها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ . وكان كريماً لا يحون من المال قليلاً ولا كثيراً ، وَلَمَّا مات لم يكن فى داره ما يكفُرُ به .. رَوَى له البخارى ومسلم ٢٨١ حديثاً .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٤٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٥٦ - ١٧٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢١٩ - ٢٣٧ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ وج ٦ ص ٩٩ - ١٠١ ، والمعارف ص ٢٥٢ ، ٢٥٣] .

(٤) أَمَرَنِي : اجْعَلْنِي أميراً .. وفى صحيح مسلم : « لَا تُسْتَعْمَلُنِي » وهى بمعناها .

(٥) فى رواية مسلم « خَيْرٌ وَنَدَامَةٌ » .

(٦) انظر الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، وفى طبقات ابن سعد فى ترجمة أبي ذر ج ٤ ص ٢٣١ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ ^(١) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً ^(٢) لِهَذَا الْأَمْرِ ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ » ^(٣) .

وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً ^(٤) ثُمَّ لَمْ يَحْطُطْ بِنُصْحِهِ كَمَا يَحُوطُ أَهْلُ بَيْتِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَعَثَ إِلَى عَاصِمٍ ^(٥) يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبَى ، وَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِالْوَالِيِّ فَيُوقَفُ ^(٦) عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وُلِدَ ببُخَارَى سنة ١٩٤ هـ وقام برحلة طويلة في طلب الحديث ، فرار خراسان والعراق ومصر والشام ، وسمع من نحو ألف شيخ ، وجمع نحو ستائة ألف حديث ، اختار منها في صحيحه ما وثق برؤاه ، وهو أول مَنْ وَضَعَ في الإسلام كتاباً على هذا النحو .. وأقام في « بُخَارَى » فقصَّب عليه جماعة وتناولوه ، بآلِسِيَتِهِمْ ، فخرج من « بُخَارَى » إلى « خَرْثَلَك » - إحدى قُرَى سمرقند - وفيها وَافَقَهُ نَيْفَتُهُ سنة ٢٥٦ هـ . وكان - رحمه الله - حُجَّةً في الحفظ ومعرفة الأسانيد ، وكتابه في الحديث من أوثق الكتب الستة المعول عليها في الحديث .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤ - ٣٦ ، وطبقات الحفاظ ص ٢٥٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٨ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ج ٢ ص ١١٥ - ١١٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨٨ - ١٩١] .

(٢) هكذا في « ط » وفي البخاري .. وفي « م » : « كَرَاهَةً » .

(٣) الحديث هنا مُجْتَزَأٌ ، ورواه البخاري كاملاً في كتاب المناقب ج ٤ ص ٢٣٨ ط الشعب ، وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ٦ ص ٦٠٤ ط دار المعرفة .

(٤) في « م » : « ما منَ والٍ على عشرة من أَمْرِ المسلمين شَيْئاً » .

والحديث في سنن الدارِمِيِّ : « ما منَ أميرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى به يوم القيامة مغفولة يدها إلى عُنْقِهِ ، أطلقه الحق أو أوثقه » .

[انظر سنن الدارِمِيِّ ، كتاب السير ، باب في التشديد في الإمارة ج ٢ ص ٢٤٠ ط دار إحياء السنَّة] .

(٥) هو : عاصمُ بْنُ سفيان الثقفي ، صحابيٌّ ، وكان يسكن المدينة .. والحديث مَرْوِيُّ في « أَسَدِ الْغَابَةِ » عن حَشْرَجِ بْنِ ثَبَّاتٍ ، عن هشام بن حبيب ، عن بشر بن عاصم عن أبيه .. وَقَدْ ضَعُفَ حَشْرَجٌ وَجُرِّحَ .

[انظر أَسَدِ الْغَابَةِ ج ٣ ص ١١٣ ، ١١٤ ، والضعفاء الكبير للمُعْتَلِّ ج ١ ص ٢٩٧ ، وكتاب الضعفاء الصغير للبُخَارِيِّ ص ٧٩ ، ٨٠] .

(٦) في « م » : « وَيُقَدَّفُ » .

سَبَّحَانَهُ ^(١) الْجِسْرَ فَيَتَنَفَّضُ ^(٢) الْبَيْضَ ، فَيَزُولُ كُلُّ عَظِيمٍ مِنْهُ عَنْ مَكَانِهِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٣) الْعِظَامَ فَتَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا ^(٤) ، ثُمَّ يُسْأَلُهُ ، فَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى طَائِعاً ^(٥) أَخَذَ يَدَيْهِ وَأَعْطَاهُ كِفْلَيْنِ ^(٦) مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِياً خَرَقَ بِهِ الْجِسْرَ فَيَهْوَى ^(٧) بِهِ فِي جَهَنَّمَ مِقْدَارَ سَبْعِينَ خَرِيفاً . فَقَالَ عُمَرُ : سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا لَمْ أَسْمَعْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَكَانَ سَلْمَانَ وَأَبُو ذَرٍّ ^(٨) حَاضِرَيْنِ ، فَقَالَ سَلْمَانُ :

(١) في « م » : « تعالى » بدل « سبحانه » .

(٢) في « م » : « يتنفض » .

(٣) ما بين المقوسين عن « م » .

(٤) في « م » : « أماكنها » .

(٥) في « م » : « مطيعاً » .

(٦) كِفْلَيْنِ : ضِعْفَيْنِ .

(٧) في « م » : « فهوى » .

(٨) أَبُو ذَرٍّ الْفَقَارِيُّ جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ .. مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .. وَسَلْمَانُ هُوَ : سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَابِقُ الْقُرْسِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَّمَهُ ، وَخَدَّثَ عَنْهُ ، وَكَانَ لَيِّباً حَازِماً ، مِنْ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ وَغُبَاوِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ ، وَكَانَ يُسَمَّى نَفْسَهُ : سَلْمَانَ الْإِسْلَامِ .. وَأَصْلُهُ مِنْ بَجُوسِ أَصْبَهَانَ ، عَاشَ عُثْمَرًا طَوِيلًا ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا كَانَ يُسَمَّى بِهِ فِي بِلَادِهِ .. وَقَالُوا : نَشَأَ فِي قَرْيَةٍ « جِيَان » وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَالْمَوْصِلَ ، فَتَصَنَّبَ ، فَعُمُورِيَّةً ، وَقَرَأَ كُتُبَ الْقُرْسِ وَالرُّومِ وَالْيَهُودِ ، وَقَصَدَ الْعَرَبَ ، فَلَقِيَهُ زَكَبٌ مِنْ بَنِي « كَلْب » فَاسْتَعْلَمُوهُ ، ثُمَّ اسْتَعْبَلُوهُ وَبَاعُوهُ ، فَاشْتَرَاهُ رَجُلٌ مِنْ « قُرَيْظَةَ » فَجَاءَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .. وَعَلِمَ سَلْمَانُ بِخَبَرِ الْإِسْلَامِ ، فَفَصَدَ النَّبِيَّ بَقَاءَهُ ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَلَا زَمَهُ أَبَامًا وَأَلْفَ أَنْ يَتَحَرَّرَ بِالْإِسْلَامِ ، فَأَعَانَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى شَرَاءِ نَفْسِهِ مِنْ صَاحِبِهِ ، فَأُظْهِرَ إِسْلَامَهُ .. وَكَانَ قَوِيًّا الْجِسْمَ ، صَحِيحَ الرَّأْيِ ، عَلَماً بِالْشَّرَائِعِ وَغَيْرِهَا ، وَهُوَ الَّذِي ذَلَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حِفْرِ الْخَنْدَقِ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ ، حَتَّى اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، كَلَامَهُمَا يَقُولُ : سَلْمَانُ بَيْنَا .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَلْمَانُ بَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ » . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَخْرًا لَا يَتَرَفَّ . وَجُيِلَ أَمْرًا عَلَى الْمَدَائِنِ ، فَأَقَامَ فِيهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٣٦ هـ ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ يَصُدَّقُ بِهِ . وَكَانَ يَنْسِجُ الْخُوصَ ، وَيَأْكُلُ خَبِيزَ الشَّعِيرِ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ .

[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٥٠٥ - ٥٥٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٨٥ - ٢٠٨ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٤١٧ - ٤٢١ ، والأعلام ج ٣ ص ١١١ ، ١١٢ ، والتاريخ الكبير للإمام البخاري ج ٤ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وكتاب الجرح والتعليل ج ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٣ - ١٧١ ، وكتاب دول الإسلام ج ١ ص ٣١ والمعارف ص ٢٧٠ ، ٢٧١] .

إِى وَاللّهِ يَاعْمُرُ ، وَمَعَ السَّبْعِينَ سَبْعُونَ ^(١) خَرِيفاً فِي وَادٍ يَلْتَهَبُ النَّهَابُ . فَقَالَ عُمَرُ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ : إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَنْ يَأْخُذْهَا بِمَا فِيهَا ؟ قَالَ سَلْمَانُ : مَنْ سَلَبَ اللّهُ أَلْفَهُ وَالصَّقَّ خُذَهُ بِالْأَرْضِ .

وَرَوَى أَنَّ الْعَبَّاسَ [رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ] ^(٢) قَالَ : أُمِّرَنِي يَارَسُولَ اللّهِ فَأَصِيبَ وَأُسْتَرِيشَ ^(٣) . فَقَالَ لَهُ : « يَاعَبَّاسُ ، يَاعَمُّ النَّبِيِّ [صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] نَفْسٌ تُحِبُّهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَّا تُحْصِيهَا . أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ ؟ أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ ، وَأَوْسَطُهَا نَذَامَةٌ ، وَآخِرُهَا حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ ^(٤) فِي السُّنَنِ : جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّهِ ، إِنَّ أُبَيَّ

(١) هكذا في « م » على أنها مبتدأ مؤخر .. وفي « ط » : « سبعين » أى : مقدار سبعين ، فكلاهما صواب .
(٢) مابن المعقوفين عن « ط » في الموضعين .. والعبّاس هو : العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل ، عمُّ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن أكابر قُرَيش في الجاهلية والإسلام ، وجدُّ الخلفاء العباسيين ، وُلِدَ سنة ٥١ قبل الهجرة .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه : « هذا بنية آباءى ، أجود قريش كفاً ، وأوصلها » وكان مُحسناً لقومه ، شديد الرأى ، واسع العقل ، مولعاً بإعتاق العبيد ، كارهها للرق ، اشترى ٧٠ عبداً وأعتقهم .. وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .. أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه ، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد وقعة « حُتَيْن » فكان يَمُنُّ نبت حين انهمز الناس .. وشهد فتح مكة . وعُمِيَ في آخر عمره .. وكان إذا مرَّ بممر في أيام خلافته ترَّجُلَ عمر إجلالاً له ، وكذلك عثمان .. توفى - رحمه الله - في المدينة سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع .

[انظر ترجمته في أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٤ - ١٦٧ ، وسور أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧٨ - ١٠٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٦ ص ٢١٠ ، والأعلام ج ٣ ص ٢٦٢] .

(٣) فأصيب وأُستَرِيش : أنال خيراً وأصلح حالاً .

(٤) هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني ، أبو داود ، إمام أهل الحديث في زمانه ، وكان من العلماء العاملين ، أصله من سجستان ، وُلِدَ سنة ٢٠٢ هـ وطُوف البلاد ، وكتب عن العراقيين ، والحراسانيين ، والشاميين ، والمصريين . قال عنه الحافظ موسى بن هارون : خُلِقَ أبو داود في الدنيا للحديث ، وفي الآخرة للجنة ، وما رأيت أفضل منه - توفى - رحمه الله - سنة ٢٧٥ هـ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٩ ص ٥٥ - ٥٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٩١ - ٥٩٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، والأعلام ج ٣ ص ١٢٢ ، وطبقات الفقهاء ص ١٧٢] .

عَرِيفٌ ^(١) عَلَى الْمَاءِ ، وَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ ^(٢) أَنْ تَجْعَلَ لِي الْعِرَاقَةَ مِنْ بَعْدِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْعِرَاقَةُ فِي النَّارِ » ^(٣) .

وَرَوَى السَّاجِيُّ ^(٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْإِمَامُ الْجَائِرُ » ^(٦) . وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ^(٧) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَيْسَ مِنْ وَالٍ وَلَا قَاضٍ إِلَّا وَيُؤْتَى ^(٨) بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٩) عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ تَنْشُرُ الْمَلَائِكَةُ سِيرَتَهُ فَيَقْرَعُونَهَا ^(١٠) عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ ، فَإِنْ كَانَ عَادِلًا ^(١١) نَجَّاهُ اللَّهُ [تَعَالَى] بِعَذْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ التَّقَضُّ بِهِ

(١) في م : « عريفاً » بالنصب ، وهو خطأ ، والصواب بالرفع .. والعريف : القِيمُ بأثر القوم ، وسيُتهم .

(٢) هكذا في م ، وهو مطابق لما ورد في رواية أبي داود .. وفي ط : « ولاني أسألك » .

(٣) الحديث هنا مجتزأ ، وقد رواه أبو داود مُطَوَّلًا في كتاب الخراج والإمارة ، باب في العِرَاقَةِ ، وآخره : قال : « إِنَّ الْعِرَاقَةَ حَقٌّ ، وَلَئِنْ لَئِنْ النَّاسِ مِنَ الْعِرَاقِ وَلَكِنَّ الْعِرَاقَ فِي النَّارِ » .

[انظر سنن أبي داود ج ٣ ص ١٣١ ، ١٣٢ ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٤) هو : أبو يحيى ، زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي ، من الحفاظ الثقات ، ومُحَدَّثُ البصرة في عصره ، وُلِدَ سنة ٢٢٠ هـ وتوفي سنة ٣٠٧ هـ عن نحو تسعين سنة .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٤٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧٠٩ ، ٧١٠ ، وطبقات الحفاظ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٣ ص ٦١٠ ، وطبقات الفقهاء ص ١١٤] .

(٥) ما بين المعقوفين عن م : « وأبو سعيد الخدري هو : سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري ، ولد سنة ١٠ قبل الهجرة ، وهو مشهور بكنيته .. كان من مُلازِمِي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ١١٧٠ حديثاً ، وغزا معه ١٢ غزوة ، وتوفي في المدينة سنة ٧٤ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٥ وج ٦ ص ١٤٢ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٣٢] .

(٦) الحديث أخرجه أبو نعيم في الحِلْيَةِ في الجزء العاشر ص ١١٤ .

(٧) في ط : « رضي الله عنه » .. وقيل : كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لأنه نشأ في الإسلام ، ولم يسجد لصنم قط .

(٨) في م : « إِلَّا يُؤْتَى بِهِ » .

(٩) في م : « دَعُوْا وَجَلْ » .

(١٠) في م : « فيفزعونها » . وكلاهما صواب .

(١١) في م : « عَدْلًا » .. وما بين المعقوفين بعدها ساقط من ط ،

الصِّرَاطُ انْتِفَاصَةً صَارَ بَيْنَ كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ مَسِيرَةٌ سَنَةً ، ثُمَّ يَنْحَرِقُ بِهِ الصِّرَاطُ ، فَمَا يَلْقَى قَعَرَ جَهَنَّمَ إِلَّا بِحَرٍّ وَجْهِهِ « (١) .

وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ (٢) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْقَاضِيَ يَزِلُّ فِي مَزَلَّةٍ (٣) أَبْعَدَ مِنْ عَدَنَ فِي جَهَنَّمَ » (٤) . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى مِنْ (٥) شِدَّةِ الْحِسَابِ عَلَى مَا قَضَى حَتَّى يَوَدَّ (٦) أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي ثَمَرَةٍ » (٧) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فَمَا يَلْقَى قَعَرَ النَّارِ إِلَّا بِحَرٍّ وَجْهِهِ » .. ويقال للرجل : حُرُّ الوجه ، أو سهل الوجه ، إذا لم يكن ظاهر الوجهة . والوجهة : ما ارتفع من الخدين .

(٢) هو : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بن عمرو بن أوس الأنصاري ، الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، وكان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أسلم وهو قتي ، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبي طالب ، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهد كلها ، مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبشاهة الرسول بعد غزوة « تبوك » قاضياً ومُرشِداً لأهل اليمن ، وأُرسل معه كتاباً إليه يقول فيه : « إني بعثت لكم خير أهلك » ، فبقي في اليمن إلى أن توفي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وولي أبو بكر ، فعاد إلى المدينة .. ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام .. وَلَمَّا أُصِيبَ أَبُو عُبَيْدَةَ (في طاعون غَمَّاس) استخلف مُعَاذًا .. وَأَقْرَبُهُ « عُمر » . ومات مُعَاذُ بهذا الطاعون سنة ١٨ هـ ، ودُفِنَ بناحية الأردن . وله ١٥٧ حديثاً وكان - رحمه الله - من أجسَنَ الناس وجهاً ، ومن أَسَمَّحِهِمْ كُفًا ، ومن كلام عمر : « لولا مُعَاذُ هَلَكَ عُمَرُ » يَتَوَدَّ يَعْلَمُهُ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٥٨ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١٩٤ - ١٩٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٤٤ ، والمعارف ص ٢٥٤] .

(٣) في « ط » : « لِيَزِلَّ » أي : تنزلت قَدَمُهُ .. في مَزَلَّةٍ : في موضع لا تثبت عليه قَدَمٌ - وهذا إذا كان غير عادل في قضائه - وَعَدَنٌ : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .

(٤) هذا الحديث لم أقف عليه .

(٥) هكذا في « م » وفي السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ ، وفي اللَّيْلِ الْمُتَنَاهِيَةِ لابن الجوزي .. وفي « ط » : « في » .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مَا يَوَدُّ » وسقط منها : « عَلَى مَا قَضَى » وفي البيهقي « ما ينسى ... قط » .. وفي اللَّيْلِ الْمُتَنَاهِيَةِ : « ما ينسى أَلَّا يَكُونَ قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي ثَمَرَةٍ قط » .

(٧) الحديث أخرجه البيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ج ١٠ ص ٩٦ ، والميمني في موارد الظمان - باب ما جاء في الأمراء ص ٣٧٦ ، وابن الجوزي في اللَّيْلِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، في كتاب الأحكام والقضايا ج ٢ ص ٧٥٥ وص ٥٦ وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال العقيلي : عمران بن حطان - راوى هذا الحديث عن عائشة - لا يتابع على حديثه .. وقال الذهبي - في ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٣٥ - مُتَّفَقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وَعَلَى قَوْلِ الْعَقَلِيِّ : « كَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يُلْحَقَ الضَّعِيفُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِصَالِحٍ أَوْ يَمُنَّ بِهِ » - يعني : صالح بن سرج ، وهو الذي رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ عِمْرَانَ - فَإِنَّ عِمْرَانَ ضَعُوفٌ فِي نَفْسِهِ .. وقال العجلي : تابعي ثقة .. وقال قتادة : كان لا يُثَقَّمُ في الحديث .

وَرَوَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُرَّةَ لِيَسْتَعْمِلَهُ ^(١) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خِرْ لِي ^(٢) . فَقَالَ : اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ .

وَرَوَى ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَيُودُنْ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ وَقَعُوا مِنَ الثَّرْيَا ^(٤) وَلَمْ يَكُونُوا أُمَرَاءَ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَمْ مِنْ مُتَحَوِّلٍ ^(٥) فِي مَالِ اللَّهِ ، وَمَالِ رَسُولِهِ لَهُ النَّارُ غَدًا » ^(٦) .

وَفِي الْحَدِيثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَأَتْنَالُهُمَا ^(٧) شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِمَامٌ ظَالِمٌ غَشُومٌ ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ مِنْهُ » .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) : مَا مِنْ أَمِيرٍ يُؤْمَرُ عَلَى عَشْرَةِ إِلَّا جِئَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا ^(٩) نَجَاهُ عَمَلُهُ أَوْ أَهْلَكَهُ ^(١٠) . وَقَالَ طَاوُوسٌ ^(١١) لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ

(١) في ١ ط : يستعمله .

(٢) أَى : اخْتَرْ لِي .

(٣) في ١ م : وفي الحديث .

(٤) الثريا : مجموعة من النجوم في صورة الثور ، وكَلِمَةُ « النجم » عَلِمَ عليها .

(٥) مُتَحَوِّلٌ : مُتَعَدِّلٌ .

(٦) الحديث أخرجه البيهقي بمعناه في كتاب آداب القاضي ج ١٠ ص ٩٧ ، وابن حبان في صحيحه في كتاب السُّرَر ج ٧ ص ٩ عن أبي هريرة ، مع اختلاف يسير في لفظه ، وموارد الظمان للهيتمي ، باب ما جاء في الأمراء ص ٣٧٥ .

(٧) في ١ م : ينالهما .

(٨) ما بين المعقوفين عن ١ ط .

(٩) مغلولا : مُقَيَّدًا بطوق من حديد .

(١٠) الحديث رواه البيهقي في سننه في كتاب آداب القاضي ج ١٠ ص ٩٦ وآخره : حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور .. وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي الذرّاء : « ما بين وإلى ثلاثة إلا لقي الله مغلولا بميته ، فكأنه عذله أو غلّه جَوْزُهُ » .

(١١) هو : طاووس بن كيسان الخولاني ، أبو عبد الرحمن ، أحد الأعلام التابعين ، كان قتيلاً جليل القدر ، نبه الذكر ، وراوية للحديث ، وُلِدَ سنة ٣٣ هـ ، وكانت فيه جُرْأَةٌ على وعظ الخلفاء والملوك .. ثُوِّفَ حاجاً بالْمُزْدَلِفَةِ - أو بَمَنَى - سنة ١٠٦ هـ ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك ، وكان حاجاً في تلك السنة .. وكان - رحمه الله - بأبى القُرب من الملوك والأمراء . قال أبو عبيته : مُتَجَبَّوُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ : أَبُو ذَرٍّ ، وَطَاوُوسٌ ، وَالتَّوْرِيُّ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٢٤ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣ - ٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٠٩ - ٥١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٠ وطبقات الفقهاء ص ٦٥ ، وللمعارف ص ٤٥٥] .

الْمَلِكِ : هَلْ تَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) ؟ مَنْ أَشْرَكَهُ اللَّهُ فِي مُلْكِهِ فَجَارَ فِي حُكْمِهِ . فَاسْتَلْقَى سُلَيْمَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَهُوَ يَتَكَبَّرُ ، وَمَا زَالَ يَتَكَبَّرُ حَتَّى قَامَ عَنْهُ جُلُوسًا .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ أَمْرَاءُ فَجَرَةٍ ، وَفُرَاءُ كَذِبَةٍ ، وَأَمَنَاءُ خَوَافَةٍ ، وَعُلَمَاءُ فَسَقَةٍ ، وَغُرَفَاءُ ظَلَمَةٍ ^(٢) .

وَقَالَ عُيَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ ^(٣) : مَا أَزْدَادَ رَجُلٍ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا أَزْدَادَ مِنْ اللَّهِ بُعْدًا ، وَلَا كَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَتْ شَيَاطِينُهُ ^(٤) ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُ إِلَّا كَثُرَ حِسَابُهُ .

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ : اثْنَانِ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بِعِلْمٍ فَجَارَ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بِالْحَقِّ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ » ^(٥) . رَوَاهُ بُرَيْدٌ ^(٦) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) في ١٨ : يوم القيامة غداً ؟ قال سليمان : قال طلوس .. .

(٢) فَسَقَةٌ : جَمْعُ فَاسِقٍ ، وَهُوَ الْعَاصِي .. وَظَلَمَةٌ : جَمْعُ ظَالِمٍ .

(٣) هو : عُيَيْدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ ، وَكَتَبَتْهُ : أَبُو عَاصِمٍ ، مُخَدَّثٌ ثِقَةٌ ، وَمِنْ كِبَارِ تَابِعِي أَهْلِ مَكَّةَ .. كَانَ عَابِدًا وَعَاطِفًا .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ٦٨ هـ تَقْرِيبًا .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٦٦ - ٢٧٩ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٤٩٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٧ ، والمعارف ص ٤٣٤] .

(٤) هكذا في ١٨ .. وفي ١٨ ط ١ : ولا كثر أتباعه إلا كثر شيطانه .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الأحكام ج ٢ ص ٧٧٦ ، والبيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ج ١٠ ص ١١٦ ، ١١٧ ، وأبو داود في سننه ، في كتاب الأقضية ج ٣ ص ٢٩٧ ط الدار المصرية ، والحافظ همام الدين الحنبلي في « الْمُحَرَّر » في أول كتاب القضاء ج ٢ ص ٦٣٧ ط دار المعرفة .

(٦) في ١٨ : « يزيد » تحريف .

وبريدة هو : بُرَيْدَةُ بْنُ الْخَصْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيِّ ، مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ ، أَسْلَمَ قَبْلَ « بَنِي » وَلَمْ يَشْهَدْهَا ، وَشَهِدَ تَحْيِيرَ ، وَفُتِحَ مَكَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صِلَاقَاتِ قَوْمِهِ .. مَكَانَ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ إِلَى « مَرْو » وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ٦٣ هـ . لَهُ ١٦٧ حَدِيثًا .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥٠ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٢ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧] .

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ ^(١) : جَاءَ صَيْبَانٌ إِلَى عُيَيْدَةَ السُّلَمَانِيِّ ^(٢) يَتَخَايَرُونَ ^(٣) إِلَيْهِ فِي التَّوَاهِيمِ ، فَلَمْ يَنْظُرْ فِيهَا وَقَالَ : هَذَا حُكْمٌ وَلَا أَتَوَلَّى حُكْمًا أَبَدًا ^(٤) . وَتَخَايَرَ غِلْمَانٌ ^(٥) إِلَى ابْنِ عُمَرَ ^(٦) فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى ^(٧) كِتَابَتِهِمْ وَقَالَ : هَذَا حُكْمٌ ، وَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِيهِ .

وَالْمُصَنِّفُونَ يُرْسِلُونَ فِي كُتُبِهِمْ حَدِيثًا مَرْفُوعًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَدِمَ إِلَى الْقَضَاءِ ^(٨) فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ » ^(٩) .
وَفِي أَخْبَارِ الْقَضَاةِ أَنَّ قَاضِيًا قَدِمَ إِلَى بَلَدٍ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ لَهُ عَقْلٌ وَدِينٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَتَبْلَعُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا ^(١٠) فَقَدْ ذُبِحَ

(١) هو : أبو بكر محمد بن سيرين البصري ، الأنصاري بالولاء ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، وكان أصم .. تابعي ، وُلِدَ بالبصرة سنة ٣٣ هـ ونشأ بها ، وكان يعمل بزازًا ، وهو من أشراف الكتاب ، تفقه ، ورَوَى الحديث ، واشتهر بالزُّورِ وتعير الرُّوْيا ، واستكتبه أنس بن مالك بفارس ، وكان أبوه مؤلِّي لأُس . وتوفى - رحمه الله - بالبصرة سنة ١١٠ هـ . وَيُنَسَّبُ إِلَيْهِ كِتَابُ « تعير الرُّوْيا » و « مُنْتَخَبُ الْكَلَامِ فِي تَهْسِيرِ الْأَحْلَامِ » .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ١٥٤ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٨٢ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٣١ - ٣٣٨ ، وطبقات الفقهاء ص ٩٢ ، ٩٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، والمعارف ص ٤٤٢ ، ٤٤٣] .

(٢) هو : عُيَيْدَةُ بْنُ قَيْسٍ (أَوْ عُمَرُو) السُّلَمَانِيُّ الرُّادِي ، تابعي ، أسلم بايمن أيام فتح مكة ، ولم يَرِ النَّبِيَّ ، ﷺ . وكان عرب قومه . وهاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، وحضر كثيرًا من الوقائع - وتفقه وروى الحديث ، وكان يوازي « شريحًا » في القضاء . وقد رَوَى عَنْهُ ابْنُ سِيرِينَ ، وَالشَّعْبِيُّ ، وَالتَّحْمِي ، وَغَيْرُهُمْ . توفى - رحمه الله - سنة ٧٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١٩٨ ، والمعارف ص ٤٢٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠] .

(٣) يتخايرون إليه : يتحاكمون إليه أيهم أخير .

(٤) كلمة « أَبَدًا » عن « ط » .. وسقطت من « م » .

(٥) في « ط » : « غِلْمَانٌ » .. خطأ .

(٦) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقد مرت ترجمته .

(٧) في « م » : « فِي » بدل « إِلَى » .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « قَدِمَ لِلْقَضَاءِ » . أي : اجترأ عليه ، أَوْ رَضِيَ ٤ .

(٩) رواه أبو داود في أول كتاب الأفضية عن أبي هريرة ، وأوله : « مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ .. » . وفي رواية : « مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ » ج ٣ ص ٢٩٧ . وأخرجه البيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ج ١ ص ٩٦ . وأخرجه ابن الجوزي في الملل المتناهية ج ٢ ص ٧٥٦ وابن ماجه في كتاب الأحكام ج ٢ ص ٧٧٤ وغيرهم .

(١٠) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « مَنْ قَدِمَ لِلْقَضَاءِ » .

بغير سيكين ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : قَبْلَكَ أَنَّ أُمُورَ النَّاسِ ^(١) ضَائِعَةٌ فِي بِلَدِنَا فَجِئْتُ تُجِيرُهَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ أَفَأَكْرَهَكَ ^(٢) السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَاشْهَدْ أَنِّي لَا أَطَأُ لَكَ مَجْلِسًا ، وَلَا أُؤَدِّي عَنْكَ شَهَادَةً أَبَدًا .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ ، زَهَّدَهُ اللَّهُ فِي مَالِهِ ، وَرَغَّبَهُ فِيْمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبُهُ الْإِشْفَاقَ ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَسْخَطُ الْكَثِيرَ ^(٣) ، جَذِلُ الظَّاهِرِ ^(٤) ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، فَإِذَا وَجَبَتْ نَفْسُهُ ^(٥) ، وَنَضَبَ عُمُرُهُ ^(٦) ، وَتَمَجَّى ظِلُّهُ ^(٧) حَاسِبَهُ اللَّهُ فَاشْدَّ حِسَابَهُ وَأَقْلَّ عَفْوَهُ .

وَذَكَرَ السُّلْطَانُ لِأَعْرَابِي فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ عَزُّوا فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ ، لَقَدْ ذُلُّوا فِي الْآخِرَةِ بِالْعُدْلِ ، وَيَقْلِيلُ فَإِنْ رَضُوا عَنْ كَثِيرٍ ^(٨) بَاقٍ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّدَمُّ حِينَ ^(٩) لَا يَنْفَعُ التَّدَمُّ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ^(١٠) : حَجَّ قَوْمٌ فَمَاتَ صَاحِبٌ لَهُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ^(١١) فَلَمْ

(١) في « م » : « أمور المسلمين » .

(٢) في « م » : « فأكرهك » .

(٣) أَشْرَبَ قَلْبُهُ الْإِشْفَاقَ : ادَّعَى مَالِيهِ فِيهِ .. وَيَسْخَطُ الْكَثِيرَ : يَمْنَعُهُ ، وَلَمْ يَرْضَهُ ، وَمِنَ الْحَدِيثِ : « إِنَّ اللَّهَ يَسْخَطُ لَكُمْ كَذَا » أَيْ : يَكْرَهُهُ لَكُمْ : وَيَمْنَعُكُمْ مِنْهُ ، وَيَعَاقِبُكُمْ عَلَيْهِ .

[انظر لسان العرب - مادة : سخط] .

(٤) جَذِلُ : قَرِجٌ .

(٥) وَجَبَتْ نَفْسُهُ : ائْتَمَتْ وَتَمَتَّتْ .

(٦) نَضَبَ عُمُرُهُ : نَفَدَ .

(٧) تَمَجَّى ظِلُّهُ : مَاتَ .

(٨) في « م » : « من كثير » .

(٩) في « م » : « حيث » بدل « حين » .

(١٠) لم أقف على ترجمة مفصلة له .. وذكر الذهبي - في ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٥٩٦ - أنه : « أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، لا بُرَيْدَةَ بن أبي مريم ، ولا يزيد بن أبي مريم ، ولا سعيد بن أبي مريم ، فالثلاثة ثقات » أهـ . وهذا يوحى بأن الأول (أبو بكر) غير ثقة .
(١١) أرض فلاة : أرض واسعة مُقْفِرَةٌ .

يَجِدُوا مَاءً ، فَأَتَاهُمُ رَجُلٌ ، فَقَالُوا : ذُلُّنَا عَلَى الْمَاءِ . قَالَ : اخْلِفُوا لِي ثَلَاثًا ^(١) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ^(٢) صَرَّافًا وَلَا مَكَّاسًا وَلَا عَرِيفًا وَأَنَا ^(٣) أَذْلُكُمْ عَلَى الْمَاءِ . فَحَلَفُوا لَهُ ثَلَاثًا ^(٤) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا ، فَدَلَّاهُمْ عَلَى الْمَاءِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ ^(٥) : عَاوِنَا عَلَى غُسْلِهِ . فَقَالَ ^(٦) : اخْلِفُوا لِي ثَلَاثًا ^(٧) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا - كَمَا تَقَدَّمُ ذِكْرُهُ - فَحَلَفُوا لَهُ ، فَأَعَانَهُمْ عَلَى غُسْلِهِ ، ثُمَّ قَالُوا : تَقَدَّمْ وَصَلِّ عَلَيْهِ . قَالَ : لَا ، حَتَّى تَخْلِفُوا لِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ يَمِينًا - كَمَا تَقَدَّمُ - ^(٨) فَحَلَفُوا لَهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ التَّفَتُّوا فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا ، وَكَانُوا ^(٩) يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَضِرُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ^(١٠) : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ، وَإِمَامًا ضَلَالِيَّةً ، وَمُمْتَلٌ مِنَ الْمُمْتَلِينَ » ^(١١) .
وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ^(١٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَيَّامٍ ^(١٣) : « اغْضِلْ

(١) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « ثَلَاثَةٌ » خَطَأً ، لِأَنَّ السِّيَاقَ يَسْتَدْعِي تَذْكَيرَ الْعَدَدِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى « يَمِينٌ » مُؤَنَّثٌ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ » أَيْ : الْمَيْتُ .

(٣) هَكَذَا فِي « م » .. وَزَادَ فِي « ط » : « وَلَا يَهْدِي - وَفَرَوَى - وَلَا عَرِيفًا - فَأَنَا ... » .
الصَّرَّافُ : الصَّيْرَفِيُّ وَالثَّقَادُ ، وَهُوَ الْمُسْتَأْمِرُ عَلَى أَمْوَالِ الْخِزَانَةِ ، يَقْبِضُ وَيَصْرِفُ مَا يَسْتَحِقُّ .
وَالْمَكَّاسُ : الَّذِي يُحْصِلُ الْمَكْرُوسَ (الضَّرَائِبَ) مِنَ التِّجَارِ .

وَالْبَرِيدُ : الرَّسُولُ . وَالتَّعَرَّافُ : الْمُتَجَنِّمُ أَوْ الْكَاهِنُ .. أَمَّا الْعَرِيفُ فَقَدْ سَبَقَ شَرْحُهُ .

(٤) فِي « م » : « ثَلَاثَةٌ » خَطَأً .

(٥) فِي « م » : « قَالُوا : عَاوِنَا » بَدَلًا مِنْ « ثُمَّ » .

(٦) فِي « م » : « قَالَ » .

(٧) فِي « م » : « ثَلَاثَةٌ » خَطَأً .

(٨) هَكَذَا فِي « م » وَ « ط » بِزِيَادَةِ « يَمِينٌ » عَمَّا تَقَدَّمَ .. وَسَقَطَتْ مِنْ « ط » عِبَارَةٌ : « فَحَلَفُوا لَهُ » .

(٩) فِي « ط » : « وَكَانَ » .

(١٠) هُوَ الصَّحَابِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(١١) ذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ، فِي « بَابِ أَيْمَةِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَأَيْمَةِ الضَّلَالَةِ » . وَجُمْلَةٌ : وَمِثْلُ مِنَ الْمُحْتَلِينَ لَمْ تَرِدْ فِيهِ ، وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَفِيهِ لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ ، وَهُوَ مُدْلَسٌ ، وَبِقِيَّةِ رِجَالِهِ ثَقَاتٌ .
[انْظُرْ مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ج ٥ ص ٢٣٩] .

(١٢) فِي « م » : « الرَّسُولُ » .

(١٣) فِي « ط » : « سِتَّةَ أَيَّامٍ » وَالصَّوَابُ « سِتَّةٌ » .

يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أَقُولُ لَكَ ^(١) . ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ قَالَ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِ سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَإِذَا ^(٢) أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ ، وَلَا تَسْأَلُنْ أَحَدًا ^(٣) وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ ، وَلَا تُثَوِّبَنَّ أَمَانَةً ^(٤) وَلَا تُثَوِّبَنَّ يَتِيمًا ، وَلَا تَقْضِيَنَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ^(٥) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَيْضًا : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي ^(٦) أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي ، وَإِنِّي أُرَاكَ ضَعِيفًا ، فَلَا ^(٧) تَتَأَمَّرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ ، وَلَا تَلْبِسَنَّ مَالَ يَتِيمٍ » ^(٨) .

وَرَوَى أَبُو ذَرٍّ أَيْضًا قَالَ ^(٩) : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي ؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي وَقَالَ ^(١٠) لِي : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَذَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَحْذَاهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » ^(١١) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ^(١٢)

(١) أى : فى الأيام الستة .

(٢) فى « ط » : « فَإِذَا » .. وفى نص الحديث ، فى البيان والتعريف : « فى سرائرك » بدل « فى أمر سِرِّكَ » .

(٣) فى البيان والتعريف : « ولا تسأل أحدًا شيئاً » .

(٤) فى البيان والتعريف : « ولا تقيض أمانة » .

(٥) الحديث أخرجه ابن حمزة الحسنى فى « البيان والتعريف » وأخرجه أحمد عن أبى ذرٍّ - رضى الله عنه - وقال الميهمى : رجاله رجال الصحيح .

[انظر المصدر السابق ص ١٨٧ ، ١٨٨] .

(٦) « إني » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) فى « ط » وفى نص الحديث : « ولا » .

(٨) فى نص الحديث : « ولا تؤكِّن » . والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمامة ، باب كراهة الإمامة بغزو ضرورة ج ١٢ ص ٢١٠ ، والمحقق خمس الدين الحنبلى فى « المغرر » ج ٢ ص ٦٣٨ ، والبيهقى فى سننه ، فى كتاب آداب القاضى ، باب كراهية الإمامة ج ١٠ ص ٩٥ .

(٩) سقطت « قال » من « ط » .

(١٠) فى « م » : « وقال : يا أبا ذرٍّ .. » وفى صحيح مسلم : « ثم قال : يا أبا ذرٍّ » .

(١١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمامة ، باب كراهة الإمامة بغزو ضرورة ج ١٢ ص ٢٠٩ ، والبيهقى فى سننه ، فى كتاب آداب القاضى ، باب كراهية الإمامة ج ١٠ ص ٩٥ .

(١٢) فى « م » : « النبى » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى الْيَمَنِ وَأَنَا حَدِيثُ السَّنِّ ، فَقُلْتُ ^(١) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تَبْعْتَنِي إِلَى قَوْمٍ شُبُوحُ ذَوِي أَسْتَنَانٍ ^(٢) ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ ، فَقَالَ : « إِنْ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هَادٍ ^(٣) قَلْبِكَ وَلِسَانُكَ ، فَإِذَا جَلَسَ الْحُصَمَانِ فَلَا تَقْضِ لِلأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخِرِ ، فَإِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ ذَلِكَ ، عَرَفْتَ كَيْفَ تَقْضِي » ^(٤) .. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ نَهَى أَبَا ذَرٍّ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأَمَرَ عَلِيًّا بِالْقَضَاءِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ [وَمَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَطَرِ ؟] ^(٥) ، وَمَارُوى بِأَنَّ ^(٦) مَنْ قَدَّمَ لِلْقَضَاءِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ ؟ وَفِيهِ الْبُعْدُ عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَالتَّيَمُّنُ بِمُشَاهَدَتِهِ ^(٧) ، وَتَعْلُمُ سُنَنِهِ وَشَرَائِعَ دِينِهِ ، وَالتَّحَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَشِيَمِهِ ^(٨) ؟ وَابْيَهَا أَفْضَلُ : الْمُتَوَلَّى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْكُؤُنُ ^(٩) بِحَضْرَتِهِ ، وَمُشَاهَدَتُهُ ^(١٠) وَالصَّلَاةُ حَلْفُهُ ، أَوْ الْقَضَاءُ فِي غَيْبَتِهِ مَعَ الْبُعْدِ عَنْهُ ؟ قُلْنَا : إِنَّمَا نَهَى أَبَا ذَرٍّ لِمَعْنَى فِيهِ يَقْصُرُ بِهِ عَنْ رُبُوبَةِ الْقَضَاءِ ، مِمَّا كَانَ ضِدَّهُ فِي عَلِيٍّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١١)] مِنْ اسْتِجْمَاعِ شَرَائِطِ الْقَضَاءِ ، وَقُوَّتِهِ عَلَيْهِ ، أَلَا تَرَاهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ لِعَلِيٍّ : إِنْ اللَّهَ هَادٍ قَلْبِكَ . وَقَالَ لِأَبِي ذَرٍّ : إِنِّي أُرَاكَ ضَعِيفًا [ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ : « إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » فَاسْتَدْلَلْنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ مِنْ ^(١٢) اسْتِجْمَاعَتِ فِيهِ شُرُوطُ الْقَضَاءِ ، وَكَانَ قَوِيًّا عَلَى إِنْفَاقِهِ ، لَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ النَّهْيِ .

(١) فِي « م » : « فَقَالَ » . خَطَأً مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) ذَوِي أَسْنَانٍ ، أَيْ : كِبَارٌ ، ذَوِي حِكْمَةٍ وَخَيْرَةٍ .

(٣) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « هَادِي » بِأَلْيَاءٍ .. وَفِي نَصِ الْحَدِيثِ : « سَهْدِي » .

(٤) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ آدَابِ الْقَاضِي ج ١٠ ص ٨٦ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ الْأَقْضِيَةِ ، بَابِ كَيْفِ الْقَضَاءِ ج ٣ ص ٣٠٠ ط الدار المصرية .

(٥) وَمَا بَيْنَ الْمُعَقَّوفَيْنِ عَنْ « م » وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .. وَالتَّغْيِيرُ : خِلَافَةُ السَّنَنِ — كِتَابَةُ عَنْ عَدَمِ الدَّرَايَةِ بِالْأُمُورِ .
(٦) فِي « م » : « أَنْ » .

(٧) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « بِالْمُشَاهَدَةِ » .

(٨) فِي « ط » : « بِالْمُشَاهَدَةِ » .. وَالتَّيَمُّنُ : جَمْعُ شَيْمَةٍ ، وَهِيَ الطَّيْمَةُ وَالْجَبِيلَةُ الَّتِي تُحَلِّقُ الْإِنْسَانَ عَلَيْهَا .

(٩) الْكُؤُنُ بِحَضْرَتِهِ : الِجُودُ مَعَهُ .

(١٠) فِي « ط » : « وَمُشَاهَدَةُ » .

(١١) جُمْلَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ « ط » .. وَمَا بَيْنَ الْمُعَقَّوفَيْنِ بَعْدَهَا عَنْ « م » وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .

(١٢) فِي « م » : « عَلَى مَنْ » .

وَمِمَّا يُعَدُّ ضَعْفًا عَنِ الْقَضَاءِ طَلَبُهُ إِيَّاهُ ، إِذْ لَمْ يَذَرِ عَوَاقِبَهُ ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُنْسَرَّعَ إِلَى الْأَمَانَةِ ^(١) بِالْجَهْلِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ^(٢) وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝ ^(٣) . أَيْ : ظَلُومًا لِنَفْسِهِ ، جَهُولًا بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِ . وَالذَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الثَّابِرِ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ : اثْنَانِ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ : رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَلَمْ يَقْضِ بِهِ وَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ ، فَقَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ » ^(٤) . قُلْتُ : فَهَذَانِ الرَّجُلَانِ ضَعِيفَانِ عَنِ رُبِّيَّةِ الْقَضَاءِ : أَحَدُهُمَا يَغْشَى ^(٥) وَظُلْمِهِ ، وَالْآخَرُ بِجَهْلِهِ .

وَقَدْ عَابَتْ جَهْلَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ « طَالُوتَ » فَقَالُوا : ﴿ أَيُّيَ يَكُونُ لَكَ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يَأْتِكُمْ سَعَةٌ مِنَ الْمَالِ ۝ ^(٦) فَعَابُوهُ بِخَصَلَتَيْنِ : الْفَقْرِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِبْطِ ^(٧) الْمَمْلَكَةِ . فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ^(٨) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۝ ^(٩) . فَبَيَّنَ شُرُوطَ الْوِلَايَاتِ ^(١٠) وَالْمَمَالِكِ ، وَأَنَّهَا

(١) في م : : الأمانات .

(٢) هكذا الآية في ط .. وهي الصواب .. وفي م : : أن يَحْمِلْنَهَا وَحَمَلَهَا ، وسقطت منها : « وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا » .

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٧٢ .

(٤) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأفضية ، باب في القاضي يُخطيء ج ٣ ص ٢٩٧ ط الدار المصرية ، وابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب الحاكم يجهد فيصيب الحق ج ٢ ص ٧٧٦ ط المكتبة العلمية ، والبيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ، باب إثم من أفتى أو قضى بالجهل ج ١٠ ص ١١٦ ورواه غيرهم .

(٥) في م : : بفسقه .

(٦) سورة البقرة - من الآية ٢٤٧ . وأي يكون .. الخ أي : كيف يكون ملكاً علينا وهو فقير وضعف النسب ؟

(٧) السَّبْطُ مِنَ الْيَهُودِ ، كَالْقَبِيلَةِ مِنَ الْعَرَبِ .

(٨) هكذا في ط .. وفي م : : « النَّبِيُّ ﷺ » .. وَنَبِيُّهُمْ هُوَ : صموئيل (أو شمعون) .

(٩) في م : : الآية وهي الآية السابقة نفسها من سورة البقرة ، وزادَهُ بَسْطَةً ، أي : سَعَةً وامتداداً وفضيلة .

(١٠) في م : : الولاية .

تَفْتَقِرُ ^(١) إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي بِهِ يُحَكَّمُ ، وَإِلَى الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا تُنْفَذُ ^(٢) الْأَحْكَامُ ، دُونَ مَا ظَنَّهُ
بَنُو إِسْرَائِيلَ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ : الْقَضَاءُ فِي غَيْبَتِهِ أَوْ الْحُضُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْكَوْنُ فِي
حَضْرَتِهِ ، فَالْجَوَابُ : أَنَّ أَوَامِرَهُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٣) قَرْضٌ ، يُعْصَى بِتَرْكِهِ ، وَالْكَوْنُ فِي
حَضْرَتِهِ مُسْتَحَبٌّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَلَا يُعْصَى ^(٤) بِتَرْكِهِ ، فَعَلِمْنَا بِهِذَا أَنَّهُ إِنَّمَا بَعَثَ عَلَيْنَا
[رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) لِلْقَضَاءِ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سُكْنَاهُ بِحَضْرَتِهِ ، لِأَنَّهُ مُبْلَغٌ عَنْهُ إِلَى
الْمَخْلَاقِ شَرِيعَتَهُ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِهَا ^(٦) ، فَهُوَ خَلِيفَتُهُ فِي ذَلِكَ ، يُدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ أَوْجِبَ
الْجَنَّةَ لِمَنْ قَضَى بِالْحَقِّ .

(١) فِي م : : : : : أَنَهَا مُفْتَقِرَةٌ .

(٢) فِي م : : : : : يَنْفَذُ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْزِفَيْنِ عَنْ ط .

(٤) فِي ط : : : : : لَا يُعْصَى .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْزِفَيْنِ عَنْ ط .

(٦) فِي م : : : : : بِعِثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا .

البَابُ الرَّابِعُ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ ^(١) مُلْكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَوَجْهِ طَلَبِهِ الْمُلْكَ
وَسَوَالِهِ أَنْ لَا يُؤْتَى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ

قَالَ ^(٢) : ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ، فَطَلَبَ الْمُلْكَ ، ثُمَّ زَادَ
عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ لَا يُؤْتَى مُلْكُهُ أَحَدٌ مِنْ ^(٣) بَعْدِهِ ، وَكَانَ ظَاهِرُهُ يُؤْذِنُ بِالْبُخْلِ . وَالْكَلَامُ
عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ وَجْهِهِ ، أَحَدُهَا : أَنَّهُ إِنَّمَا سَأَلَ هَذَا بَعْدَ أَنْ سَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) مُلْكُهُ
ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَيْهِ ، فَحِينَ طَلَبَ الْمُلْكَ كَانَ مِلْكًا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : هَذَا الْمُلْكَ الَّذِي جَدَّدْتُهُ
لِي ، هَبْ لِي عَلَى صِفَاتٍ لَا أُعْصِيكَ فِيهَا ^(٥) فَتَسْلُبْنِي إِيَّاهُ وَتُعَاقِبْنِي . يُدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ بَدَأَ
بِالْمَغْفِرَةِ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ أَيْ : مُلْكًا لَا أُعْصِيكَ ^(٦) فِيهِ
فَتَوَاحَدَنِي ، وَالذَّلِيلُ عَلَى صِحِّهِ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « في معرفة » .

(٢) هكذا في « ط » .. والقاتل هو : سليمان ، عليه السلام .. والآية يتجملها في سورة « ص » - ٣٥ : « قَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » ، إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ » .. وفي « م » : « فَإِنْ قَالَ لَنَا قَاتِلُ : أَلَيْسَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ ... » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « بَأَنْ لَا يُؤْتَى مِنْهُ أَحَدًا » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « ط » . وقد أشرنا من قبل إلى قصة سَلَبِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٥) فيها ، أَيْ : فِي الصِّفَاتِ .. وفي « م » : « لَا أُعْصِيكَ فِيهِ » أَيْ : فِي الْمُلْكَ .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا أُعْصِيكَ فِيهِ » .

حِسَابٍ ﴿^(١)﴾ ، فَكَأَنَّهُ أَجَابَ دُعَاءَهُ فَقَالَ : تَصَرَّفَ كَيْفَ شِئْتَ ، فَلَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِيهِ . وَقِيلَ : إِنْ أُعْطِيتَ أُجْرَتُ ، وَإِنْ أُنْسَكْتَ فَلَا ثَبَعَ ^(٢) عَلَيْكَ فِيهِ . وَهَذَا تَخْصِيصٌ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ ^(٣) السَّلَامُ ، وَلَمْ يُحْصَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ سِوَاهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ ^(٤) : ﴿ قَوْلُكَ لَتَسْلُتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ لَا تَتَّبِعِ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ فَمَعْنَاهُ ^(٦) : لَا أَسْأَلُكَ فِي بَاقِي عُمرِي قَبْصِيرٍ لِعُمْرِي كَمَا سُلِّتُهُ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمرِي . وَقِيلَ : لَا تَسْلُطُ ^(٧) عَلَى فِيهِ شَيْطَانًا مِثْلَ الَّذِي ^(٨) قَدْ سَلَطْتَ عَلَى . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ عِلْمًا لَهُ ^(٩) عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ ، فَأَجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ غَفَرَ لَهُ . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ آيَةً لِنُبُوَّتِهِ ، وَعِلْمًا عَلَى مُعْجَزَتِهِ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ ^(١٠) : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مَلِكًا ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا تَتَّبِعِ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ تَسْخِيرَ الرِّيَّاحِ وَالطَّيْرِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَسْخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ ﴾ ^(١١) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . وَقِيلَ : إِنْ

(١) سورة ١ ص ١ - الآية ٣٩ .

(٢) الثَّبَعَ : العاقبة .

(٣) في ١ ط ١ : عليهما .

(٤) في ١ ط ١ : وقال للخلائق .

(٥) سورة الجحيم - الآيات : ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) هكذا في ١ ط ١ .. وفي ١ م ١ : وأما قوله : لا تتبع لي أحد ، فقال عطاء : معناه ..

(٧) في ١ م ١ : لا تسلط . لا تصح .

(٨) في ١ م ١ : مثل ما سلطت .

(٩) سقطت له ، من ١ ط ١ .

(١٠) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، البلخي ، أبو الحسن ، من أعلام المفسرين ، وأصله من بلخ ، وانتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحدث بها .. وهو متهتم ، متروك الحديث .. قال عنه ابن حبان : كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان يُعْتَبَرُ الرَّبُّ بِالْخُلُوقَاتِ ، وكان يكذب في الحديث ، اهـ . - تولى بالبصرة سنة ١٥٠ هـ .

[انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٧ ، والجرح والتعديل للرازي ج ٨ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٦٠ - ١٦٩ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٣ - ١٧٥ ، والأعلام ج ٧ ص ٢٨١] .
(١١) الآية بتمامها في سورة ١ ص - ٣٦ : ﴿ فَتَسْخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ رُحَاءَ : رُكْبَةٌ .. أصاب : أَرَادَ .

سُلَيْمَانَ كَانَ مُلْكُهُ فِي خَائِمِهِ ، وَلِهَذَا ذَهَبَ مُلْكُهُ بِدَهَابٍ خَائِمِهِ ، فَقَالَ : ﴿ لَا يَنْبَغِي لِأَعْبَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ بِعْنَى : اجْعَلْ مُلْكِي فِي نَفْسِي لَا فِي خَائِمِي ، حَتَّى لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ غَيْرِي ، فَإِنْ إِبْلِيسَ لَمَّا أَخَذَ خَائِمَ سُلَيْمَانَ ، تَحَوَّلَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ إِلَى إِبْلِيسَ ، وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ يَحْكُمُ فِيهِ ، حَتَّى أُنْكَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَحْكَامَهُ ، وَكَانَ قَدْ أَلْفَى عَلَيْهِ شَبَّهُهُ .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّي^(١) : إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مُلْكُ النَّفْسِ وَقَهْرُ النَّهْوِ ، يُدَلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَى سَلَامَانُ الشَّعْبَانِيُّ^(٢) قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُرَاقِمُ سُلَيْمَانَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ مُلْكِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ تَحْشَعًا لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ »^(٣) .

وَرَادَ غَيْرُهُ : إِنَّمَا أَرَادَ مُلْكُ النَّفْسِ وَقَهْرُهَا لِئَلَّا يَفْتَنَ بِالْمَمْلَكَةِ ، وَلِهَذَا قَدَّمَ سَوَالَ الْمَغْفِرَةِ عَلَى طَلَبِ الْمَمْلَكَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْوُعَاظِ : إِنَّمَا أَرَادَ : حَتَّى أَتَقِيمَ لِأَدَمَ مِنْ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ ، حَيْثُ كَانَ سَبَبًا فِي إِخْرَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) قَالَ : « إِنْ عَفِرْنَا مِنَ الْجَنِّ جَعَلْتُ بَقْلًا عَلَى^(٦) الْبَارِحَةِ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أُمَكِّنَنِي مِنْهُ »

(١) هو : عمرو بن عثمان بن كُزُب ، أبو عبد الله المَكِّي .. صُوْنِيٌّ عَالِمٌ بِالْأَصُولِ ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، لَهُ مَصْنُفَاتٌ فِي التَّصَوُّفِ ، وَأَجْرُبَةُ لَطِيفَةٌ فِي الْمَبَارَاتِ وَالْإِشَارَاتِ .. زَارَ أَصْبَهَانَ ، وَمَاتَ بِبَغْدَادَ - وَقِيلَ بِمَكَّةَ - سَنَةَ ٢٩٧ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٠ - ٢٠٥ ، والرسالة المشفوية ج ١ ص ١٣٢ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٩١ - ٢٩٦ ، والأعلام ج ٥ ص ٨١ ، ٨٢] .

(٢) أملهته كتب التراجم والأعلام المعروفة ، ولم أقف عليه .

(٣) في « ط » : « اللَّهُ تَعَالَى » .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾ ج ٦ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ من فتح الباري .. ورواه أيضاً في كتاب التفسير ، باب ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ج ٨ ص ٤٥٦ .. والراوى لهما : أبو هريرة .

(٥) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٦) المغفريت : التمرد من الإنس أو الجن .. وَيَقْلُتُّ عَلَيَّ : يعرض لي فلتة ، أى : بغتة .. وفي « م » : « يَنْقَلِبُ » تحريف .

فَصَرَعْتَهُ ^(١) ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا ^(٢) إِلَيْهِ كُلُّكُمْ ، فَلَذَكَّرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ : ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا ^(٣) .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ إِلَى خَافِظٍ عَلَيْهِمُ ^(٤) ، قُلْتُ : يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ ^(٥) الْآيَةِ أَنَّ مَنْ حَصَلَ ^(٦) بَيْنَ يَدَيِ مَلِكٍ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ ، أَوْ أُمِّيَّةٌ لَا يَعْرِفُونَ فَضْلَهُ ، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، أَوْ أَرَادَ إِبْرَارَ فَضْلِهِ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْهَهُمْ عَلَى مَكَانِهِ وَمَا يُحْسِنُهُ ، دَفْعًا لِلشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، أَوْ إِظْهَارًا لِفَضْلِهِ ، فَيَجْعَلُ فِي مَكَانِهِ ^(٧) . وَفِيهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا رَأَى الْأُمُورَ فِي يَدِ الْخَوَاتِمِ وَاللُّصُوصِ ، وَمَنْ لَا يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ ، وَيَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَذَاءَ الْأَمَانَةِ مَعَ الْكِفَايَةِ ^(٨) ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْبِئَ السُّلْطَانَ عَلَى أَمَانَتِهِ وَكِفَايَتِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ : مَنْ كَمَلَتْ فِيهِ آلَاتُ الْجَاهِدِ ^(٩) ، وَشُرُوطُ الْقَضَاءِ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْبِئَ السُّلْطَانَ عَلَى مَكَانِهِ ، وَيَخْطُبَ خُطْبَةَ الْقَضَاءِ ^(١٠) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ يَجِبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي يَدِ ^(١١) مَنْ لَا يَقُومُ بِهِ .

(١) لفظة « فصرعته » لم ترد في نص حديث البخاري .

(٢) هكذا في صحيح البخاري وغيره .. وفي « ط » : « حتى يصبح فتظرون » .. وفي « م » : « حتى تصبح فتظرون » . والسارية : العمود .

(٣) خاسئاً : صاغراً ذليلاً .

(٤) سورة يوسف - الآية ٥٥ .

(٥) سقطت « هذه » من « ط » .

(٦) حصل : ثبت .

(٧) في « ط » مكانة .

(٨) الكفاية : الاستغناء عن الغير .

(٩) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « مَنْ كَمَلَ فِيهِ الْجَاهِدُ » . وَكَمَلْتُ ، بفتح الميم : تئْتُ .. وبضمها : ثبتت فيه صفات الكمال .

(١٠) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وَيَخْطُبُهُ خُطْبَةُ الْقَضَاءِ » أي : بطلبها .

(١١) في « ط » : « فِي يَدَيْهِ » . انظر إلى الشروط التي يصح معها أَنْ يُقْلَدَ الْإِنْسَانُ الْقَضَاءَ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلْمَاوَرِدِيِّ - الْبَابُ السَّادِسُ فِي وَلايَةِ الْقَضَاءِ ص ٥٩ - ٦٨ ط دار الفكر .

البَابُ الحَامِسُ فِي فَضْلِ الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ (١) إِذَا عَدَلُوا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (٢) .
يَعْنِي : لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقَامَ السُّلْطَانَ فِي الْأَرْضِ ، يَدْفَعُ الْقَوِيَّ عَنِ الضَّعِيفِ ، وَيَنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، لَأَهْلَكَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ ، وَتَوَاتَبَ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَلَا يَنْتَظِمُ لَهُمْ حَالٌ ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ ، فَتَفْسُدُ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا . ثُمَّ آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ بِإِقَامَةِ السُّلْطَانِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣)
يَعْنِي : فِي إِقَامَةِ السُّلْطَانِ ، فَيَأْمَنُ النَّاسُ بِهِ فَيَكُونُ فَضْلُهُ عَلَى الظَّالِمِ كَفَّ يَدِهِ عَنِ الْمَظْلُومِ ، وَفَضْلُهُ عَلَى الْمَظْلُومِ أَمَانَهُ وَكَفَّ يَدَ الظَّالِمِ عَنْهُ (٤) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ :
الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ » (٦) .

(١) فِي ٥ م : : الْقَضَاةُ وَالْوَلَاةُ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - مِنَ الْآيَةِ ٢٥١ .

(٣) مِنَ الْآيَةِ وَالسُّورَةِ السَّابِقَةِ .

(٤) هَكَذَا فِي ٤ م .. وَفِي ٥ ط : : وَفَضْلُهُ عَلَى الْمَظْلُومِ كَفَّ يَدَ الظَّالِمِ عَنْهُ .

(٥) فِي ٥ ط : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ كَامِلًا فِي كِتَابِ الصِّيَامِ ، بَابُ فِي « الصَّائِمِ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » .. وَتَكْمِلَتُهُ : « وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ بِرَفْعِهَا اللَّهُ دُونَ الْعَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ : يَجِزُّكَ لِأَنْصَرَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .

[انظر سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٧٧ .]

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ ^(٢) ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ^(٣) ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ ^(٤) بَيْنَهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ » ^(٥) .

وَرَوَى كَثِيرٌ مِنْ مَرَّةٍ ^(٦) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ ، فَإِذَا عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرُّعِيَّةِ الشُّكْرُ ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِمْرُ ^(٨) وَعَلَى الرُّعِيَّةِ الضُّبُرُ » ^(٩) .

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) في « م » : « .. » في المسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه .

(٣) سقطت « عليه » من « ط » .

(٤) في « م » : « ما أنفقت » .

(٥) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الأذان ، باب « مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ » . [انظر فتح الباري ج ٢ ص ١٤٣] .. وأخرجه أيضاً في كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، وغيرهما .. وأخرجه مالك في موطئه في كتاب الشُّعْر ، باب ماجاء في المتحابين في الله ج ٢ ص ٩٥٢ ، ٩٥٣ ط دار الكتاب اللبناني .. وأخرجه الحافظ فہمّس الدين الحنبلي في « المهر » ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .. والترمذي في صحيحه ، في أبواب الزهد ج ٩ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ بشرح ابن العربي ، والنسائي في سننه في كتاب آداب القضاة - الإمام العادل ج ٨ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ بشرح جلال الدين السيوطي .

(٦) هو : كثير من مرّة الحضرمي الجنصبي .. كان إماماً طَلَابَةً للعلم ، أدرك سبعين بديراً ، وحَدَّثَ عَنْ مُعَاذٍ ، وَأَبِي الثُّرَدَاءِ ، وَعِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَطَبَقَتِهِمْ .. وَحَدَّثَ عَنْهُ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، وَمَكْحُولٌ ، وَاسْلِيمُ بْنُ عَامِرٍ ، وَغَيْرُهُمْ .. وَقَالَ عَنْ النَّسَائِيِّ : لَا بَأْسَ بِهِ .

[انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥١ ، ٥٢ ، وطبقات الحفاظ ص ٢٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٥٧] .

(٧) في « ط » : « عليه السلام » .

(٨) الإِمْرُ : الإثم والعقوبة .

(٩) في « علل الحديث » للإمام الرازي قال : « سألت أبا [الإمام أبي حاتم الحنظلي] عن حديث رواه خالد بن حذاف ، عن أبي عون بن أبي رُكبة ، عن غيلان بن جبر ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » قال أنس : هذا حديث مُتَّكِرٌ ، وابن أبي رُكبة مجهول .. وقد أورد الميداني هذا الحديث مجتزئاً في الباب الثلاثين ، في تَبَيُّنٍ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ ، قال : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ »

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ ^(١) قَالَ : « لَعَمَلُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي رَعِيَّتِهِ يَوْمًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَائِدِ فِي أَهْلِهِ مِائَةَ سَنَةٍ » ، أَوْ خَمْسِينَ سَنَةً ^(٢) .
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ^(٣) : « يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ رَجُلٍ فِي بَيْتِهِ سِتِينَ سَنَةً » .
وَقَالَ مَسْرُوقٌ ^(٤) : « لِأَنَّ أَفْضَلَ يَوْمًا بِالْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْزَوْ سَنَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(٥) .

= مظلوم .. وأورده الألبشبي في المُستطرف ، في الباب الرابع عشر ، عن عمر ، رضى الله عنه ، قال : قلت للنبي ﷺ : أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب ، وخضعت له الأجساد ما هو ؟ قال : « ظل الله في الأرض ، فإنما أحسن قلبه الأجر ، وعليكم الشكر ، وإذا أساء فعله الإصر ، وعليكم الصبر » .. وكذا ورد منسوباً إلى كعب الأحبار [في ص ٢٠٠ من المرجع نفسه] : « سِجِلُ كَعْبِ الْأَحْبَارِ عَنِ السُّلْطَانِ ، فَقَالَ : « ظل الله في أرضه ، مَنْ نَاصَحَهُ اهْتَدَى ، وَمَنْ غَشَّاهُ ضَلَّ » .. وورد أيضاً في الصفحة نفسها منسوباً إلى حذيفة بن اليمان ، رضى الله عنه : « لَا تَسْبُوا السُّلْطَانَ ، فَإِنَّ ظِلَّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، بِهِ يَقُومُ الْحَقُّ ، وَيُظْهِرُ الدِّينَ ، وَبِهِ يَنْفَعُ اللَّهُ الظُّلْمَ ، وَيُهْلِكُ الْفَاسِقِينَ » . وأورده الماوردي في كتابه « نصيحة الملوك » في الفصل الأول ، ولم ينسبه ، بل قال : « .. وكذلك قيل : السلطان ظل الله في الأرض » .

[انظر طلل الحديث ج ٢ ص ٤٠٩ ، وجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٤٨٨ والمُستطرف ج ١ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ (الباب الرابع عشر) ، ونصيحة الملوك للماوردي ص ٧٤] .
(١) في (١ م) : « رَوَى » .. ويرفعه : ينسبه إلى قائله ، وهو : النبي ﷺ ..

(٢) رواه المنذرى في الترغيب والترهيب بأكثر من رواية ، ويتصرف يسر في ألفاظه ج ٣ ص ١٦٧ ط الدار المصرية .. ولى العقد الفريد ج ١ ص ١٠ في كتاب اللؤلؤة في السلطان .. والماوردي في نصيحة الملوك ص ٣٦٠ وأورده البيهقي في سننه الكبرى ، باب فضل الإمام العادل ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِينَ سَنَةً » [ج ٨ ص ١٦٢] .

(٣) هو : قيس بن سعد بن عبادَةَ بن ذَكْوَانَ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزَرَجِيُّ الْمَدَنِيُّ ، صحابي ، وابن صحابي ، كان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمور ، وكان صاحب لواء النبي ﷺ في بعض مغازيه ، وكان كريماً ، ومن ذوى الرأي .. صاحب علياً في خلافته ، فاستعمله على مصر سنة ٣٦ - ٣٧ هـ . وحارب في « صِفَيْنَ » مع عليٍّ ، ثم كان مع الحسن بن علي ، حتى صَالَحَ معاوية ، فرجع إلى المدينة ، وتولى بها سنة ٦٠ هـ . وقيل : تولى في أول ولاية عبد الملك بن مروان .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٢٤ - ٤٢٧ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٠٢ - ١١٣ والمحرر ص ١٥٥] .

(٤) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الحمداني ، الوادعي ، أبو عائشة ، تابعي ثقة ، من أهل اليمن ، وكان أبوه شاعراً .. قَدِمَ المدينة في أيام أبي بكر ، رضى الله عنه ، وسكن الكوفة ، وشهد حروب عليٍّ ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وكان أعلم بالفتيا من شَرِيع (القاضي) وشَرِيع أبصر منه بالقضاء .. وَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ الْخَطَّابِ فقال له : ما اسْكُتَ ؟ قال : مسروق بن الأجدع . فقال عمر : إن الأجدع شيطان ، بل أنت ابن عبد الرحمن ، فكان يُعَرَّفُ بذلك .. توفي - رحمه الله - سنة ٦٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٥ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٣٢] .

(٥) من أول قوله : « وقال مسروق » : إلى هنا عن « م » ، وساقط من « ط » .

وَرَوَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) ، وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٢) ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مُصْعَبٍ
ابْنَ شَرْحِبِيلَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ صَفْوَانَ ^(٣) ، قَالُوا لِسَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ^(٤) :
« لَقَضَاءُ يَوْمٍ بِالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاتِكَ عُمْرَكَ » .

وَسَيُتَضَيِّحُ لَكَ صِحَّةُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَا نَالَتْهُ الرَّعِيَّةُ مِنَ الصَّلَاحِ بِصَلَاحِ
السُّلْطَانِ . وَاعْلَمْ أَرَشَدَكَ اللَّهُ ^(٥) - أَنَّ الْإِنْسَانَ أَعَزُّ جَوَاهِرِ الدُّنْيَا ، وَأَغْلَاهَا ^(٦) قَدَرًا ،
وَأَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً ، وَبِالسُّلْطَانِ صَلَاحُ الْإِنْسَانِ ، إِذَا فَهَوُ أَعَزُّ أَغْلَاقٍ ^(٧) الدُّنْيَا وَأَعْمَقُهَا نَفْعًا
وَبَرَكَهَةً ^(٨) ، وَلِذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى ذَاتَيْنِ : دَارَ الدُّنْيَا ، وَدَارَ الْآخِرَةِ . ثُمَّ كَانَ ^(٩)
السُّلْطَانُ صَلَاحَ الدَّائِرَتَيْنِ ، فَأَخْلَقَ بِشَخْصٍ يُعْمُ نَفْعُهُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ ، وَيَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أَنْ يَكُونَ شَرَفُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، كَمَا كَانَ قَدْرُهُ فِي الْعُقُولِ جَسِيمًا ^(١٠) ،
وَمَقَامُهُ عِنْدَ اللَّهِ كَرِيمًا ، كَمَا كَانَ نَفْعُهُ لِلْعِبَادِ عَمِيمًا ^(١١) ، وَعَلَى قَدْرِ عُمُومِ

(١) هو : سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (الصحابي) وأمه بنت سعد بن أبي وقاص . كان قاضي
المدينة (زمن هشام) وتوفي بها سنة ١٢٧ هـ وهو ابن اثنتين وتسعين سنة .
[انظر المعارف ص ٢٣٧ ، ٢٣٨] .

(٢) هو : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، واسمه : عبد الله ، كان فقهاً يُحْمَلُ عنه الحديث .. توفي - رحمه
الله - سنة ٩٤ هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . ويقال : توفي سنة ١٠٤ هـ .
[انظر المصدر السابق ، وانظر طبقات الفقهاء للشرازي ص ٤٤] .

(٣) هو : محمد بن صفوان بن عبد الله بن أمية بن خلف الجُمَحِيُّ .. وَلَقِيَ قضاء المدينة سنة ١٠٦ هـ .
[انظر جوهرة أنساب العرب ص ١٦١ والكمال في التاريخ ج ٤ ص ١٩٦ ، ١٩٧] .

(٤) سعيد بن سليمان : عالم ، مُخَدَّث ، وردت له ترجمة في كتاب الجرح والتعديل للرازي ، وقد روى عن أبيه
(سليمان بن زيد بن ثابت) وَرَوَى عنه الزهري ، ومالك بن أنس ، وعقيل . توفي - رحمه الله - سنة ١٣٢ هـ .
[انظر الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢٥ ترجمة ١٠٣] .

(٥) في م : « : أَرَشَدَكَ اللَّهُ » .

(٦) في ط : « : وَأَغْلَاهَا » .

(٧) أَغْلَاق : نفائس .

(٨) في ط : « : وَأَعْمَقُهَا بَرَكَهَةً » .

(٩) في ط : « : ثُمَّ لَمَّا كَانَ » .

(١٠) جَسِيمًا : ذا مكانة عالية .

(١١) هَكَذَا في م : « : .. وَلِي ط : « : كَانَ نَفْعُهُ عَمِيمًا » .

الْمُنْعَمَةِ تَشْرُفُ الْأَعْمَالُ ، وَعَلَى قَدْرِ النِّعْمَةِ تَكُونُ الْمِثْنَةُ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَعْمُ خَلْقِ اللَّهِ تَفْعًا ؟ فَهُمْ أَجَلُ خَلْقِ اللَّهِ قَدْرًا لِأَنَّهُمْ تَعَاوَنُوا إِصْلَاحَ الْخَلْقِ وَإِخْرَاجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، كَذَلِكَ سُلْطَانُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، هُوَ خَلَاقَةُ النَّبِيِّ فِي إِصْلَاحِ الْخَلْقِ وَدُعَائِهِمْ إِلَى فِتْنَةِ الرَّحْمَنِ ^(١) ، وَإِقَامَةِ دِينِهِمْ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ ^(٢) .

وَلَيْسَ فَوْقَ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ مَنْزِلَةٌ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، فَاتَّخِذْ عِظَمَ قَدْرِ السُّلْطَانِ [عِنْدَكَ] ^(٣) حُجَّةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِكَ ، وَنَاصِيحَهُ ^(٤) عَلَى قَدْرِ مَا تَقَعُّكَ . وَلَيْسَ نَفْعُهُ مَقْصُورًا عَلَى عَجَالَةٍ ^(٥) مِنْ خُطَايَا الدُّنْيَا يَخْبُوكَ بِهَا ^(٦) ، وَلَكِنْ صِيَانَةُ جُمُجُمَتِكَ وَحِفْظُ ^(٧) حَرِيمِكَ ، وَحِرَاسَةُ مَالِكَ عَنِ الْبَغَاةِ ، أَعْمُ نَفْعًا لَكَ إِنْ عَقَلْتَ ^(٨) . وَلَيْسَ لِلَّهِ [فِي الْأَرْضِ] ^(٩) سُلْطَانٌ إِلَّا وَقَدْ أُخِذَ عَلَيْهِ شَرَائِطُ الْعَدْلِ وَمَوَاقِيقُ الْإِنصَافِ ، وَشَرَائِعُ الْإِحْسَانِ .

وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ رُتْبَةٌ ، كَذَلِكَ لَيْسَ دُونَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ الشَّرِيرِ الْجَائِرِ ^(١٠) رُتْبَةٌ لِشَرِيرٍ ، لِأَنَّ شَرَّهُ يَعْمُ ، كَمَا أَنَّ خَيْرَ الْأَوَّلِ يَعْمُ ، وَكَمَا أَنَّ بِالسُّلْطَانِ الْعَادِلِ تَصْلُحُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَتُنَالُ الرُّلْفَى ^(١١) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْفَوْزُ بِجَنَّةِ

(١) فِتْنَةُ الرَّحْمَنِ : سَاحَتُهُ وَرَحَابُهُ - جَلٌّ وَعَظَمٌ .

(٢) تَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ : إِزَالَةُ أَسْوَأِ جَانِحِهِمْ ، وَإِصْلَاحُ خَالِمِهِمْ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفَيْنِ عَنْ ط ، وَسَاقَطٌ مِنْ م ، م .

(٤) أَيْ : قَدَّمَ لَهُ النَّصِيحَ .

(٥) الشَّجَالَةُ : مَا يُعْجَلُ مِنَ الشَّيْءِ .

(٦) يَخْبُوكَ بِهَا : يَحْتَصِلُكَ بِهَا .

(٧) فِي ط ، م : وَصِيَانَةُ حَرِيمِكَ .. وَيُرِيدُ بِصِيَانَةِ جُمُجُمَتِكَ : يَحْفَظُ نَفْسِكَ وَحِمَايَا .

(٨) إِنْ عَقَلْتَ : إِنْ أَذَرَكْتَ الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهَا .. وَفِي م ، م : « إِنْ قُدِّرَتْ » .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفَيْنِ عَنْ م ، وَسَاقَطٌ مِنْ ط ، ط .

(١٠) فِي م ، م : الشَّرِيرُ الْجَبَّارُ .

(١١) الرُّلْفَى : الْفُرْقَى وَالْمَنْزِلَةُ .

النَّامُوسُ ، كَذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ الْجَائِرِ تَفْسُدُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَتُقْتَرَفُ الْمَعَاصِي وَالْآثَامُ ، وَتُورَثُ دَارُ الْبَوَارِ ^(١) ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ انْتَشَرَ الْعَدْلُ فِي رَعِيَّتِهِ ، فَأَقَامُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ، وَتَعَاطَوْا الْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَزِمُوا قَوَانِينَ الْعَدْلِ ، فَمَاتَ الْبَاطِلُ ، وَذَهَبَتْ رُسُومُ الْحَوْرِ ، وَانْتَعَسَتْ قَوَانِينُ الْحَقِّ ، فَأَرْسَلَتِ السَّمَاءُ غَيْثَهَا ^(٢) ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا ، وَنَمَتْ بَجَارِئُهُمْ ، وَزَكَتْ زُرُوعُهُمْ ^(٣) ، وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ ، وَدُرَّتْ أَرْزَاقُهُمْ ^(٤) ، وَرُخِصَتْ أَسْعَارُهُمْ ، وَامْتَلَأَتْ أَوْعِيَتُهُمْ ، فَوَاسَى الْبَخِيلُ ^(٥) ، وَأَفْضَلَ الْكَرِيمُ ^(٦) ، وَقُضِيَتِ الْحَقُوقُ ، وَأُعِيرَتِ الْمَوَاعِينُ ، وَتَهَادَوْا فُضُولَ الْأَطْعِمَةِ وَالتَّحْفِ ، فَهَانَ الْحُطَامُ لِكَثْرَتِهِ ^(٧) ، وَذَلَّ بَعْدَ عِزِّهِ ، فَتَمَاسَكْتَ عَلَى النَّاسِ مُرُوءَاتُهُمْ ، وَانْحَفَظْتَ عَلَيْهِمْ أَذْيَانُهُمْ .

وَبِهَذَا يَبَيِّنُ ^(٨) لَكَ أَنَّ الْوَالِيَّ مَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ ، وَمَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ ^(٩) النَّاسُ بِسَبَبِهِ ، وَإِذَا جَارَ السُّلْطَانُ انْتَشَرَ الْجَوْرُ فِي الْبِلَادِ ، وَعَمَّ الْعِبَادَ ، فَرَقَّتْ أَذْيَانُهُمْ ^(١٠) ، وَاضْمَحَلَّتْ مُرُوءَاتُهُمْ ، فَفَشَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي ، وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ ، فَضَعُفَتِ النُّفُوسُ ^(١١) ، وَقَطَطَتِ الْقُلُوبُ ^(١٢) ، [فَمَنَعُوا الْحَقُوقَ ، وَتَعَاطَوْا

(١) دار البوار : دار الهلاك (جهنم) .

(٢) الغيث : المطر .. وفي م : : غياثها : أى : ما أُغِيثَ به .

(٣) زَكَتْ زُرُوعُهُمْ : نَمَتْ وَزَادَتْ .

(٤) دُرَّتْ أَرْزَاقُهُمْ : كَثُرَتْ وَزَادَ خَيْرُهَا .

(٥) وَاسَى الْبَخِيلُ : أَغْطَى مِنْ مَالِهِ .

(٦) أَفْضَلَ الْكَرِيمُ : زَادَ فِي إِحْسَانِهِ .

(٧) الْحُطَامُ : مِتَاعُ الدُّنْيَا .

(٨) فِي وَط : : دَيِّنَ ، .

(٩) مَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ : سَيَالُ جِزَاءِ مَا تَنَاوَلَهُ وَقَامَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ رَبِّهِ .

(١٠) رَقَّتْ أَذْيَانُهُمْ : ضَعُفَتْ عَقَائِدُهُمْ .. اضْمَحَلَّتْ : تَلَاَشَتْ .

(١١) هَكَذَا فِي وَط : : وَفِي م : : وَذَهَبَتْ أَدْيَانُهُمْ ، وَتَضَعُضَتِ النُّفُوسُ : أى : ضَعُفَتْ وَذَلَّتْ .

(١٢) قَطَطَتِ الْقُلُوبُ : يَوَسَّسَتْ أَسْنَدَ الْيَأْسِ .

الْبَاطِلَ] ^(١) ، وَبَحَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، وَجَوَّزُوا الْبَهْرَجَ ، ^(٢) فَرَفَعَتْ مِنْهُمْ الْبَرَكَةَ ،
وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ غَيْكَهَا ^(٣) ، وَلَمْ تُخْرِجِ الْأَرْضُ رَيْعَهَا ^(٤) وَبَبَاتُهَا ، فَقُلْ فِي أَيْدِيهِمْ
الْحُطَامُ ، فَقَنَطُوا ، وَأَمْسَكُوا الْفَضْلَ الْمَوْجُودَ ، وَتَنَاحَرُوا ^(٥) عَلَى الْمَفْقُودِ ، فَمَنَعُوا
الرِّكَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ ، وَبَخِلُوا بِالْمُؤَاسَاةِ الْمَسْتَوْثَى ، وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمَكَارِمِ ،
وَتَنَازَعُوا الْإِقْدَارَ اللَّطِيفَ ، وَتَجَاحَدُوا الْقَدَرَ الْخَسِيسَ ، فَقَسَتْ فِيهِمُ الْإِيمَانُ الْكَاذِبَةُ ،
وَالْحُخْلُ فِي النِّيعِ ^(٦) ، وَالْخِدَاعُ فِي الْمُعَامَلَةِ ، وَالْمَكْرُ وَالْجِيلَةُ فِي الْقَضَاءِ وَالْإِقْتِضَاءِ ،
وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ السَّرِقَةِ إِلَّا الْعَارُ ، وَمِنَ الرَّيِّ إِلَّا الْحَيَاءُ ، فَيَظُلُّ أَحَدُهُمْ غَايِبًا مِنْ ^(٧)
مَحَاسِنِ دِينِهِ ، وَمُقْتَجِرًا عَنْ جِلْبَابِ مُرُورِهِ ، وَأَكْثَرُ هَمِّهِ قَوْتُ دُنْيَاهُ ، وَأَعْظَمُ مَسَرَّتِهِ
أَكْلُهُ مِنْ هَذَا الْحُطَامِ ^(٨) . وَمَنْ عَاشَ كَذَلِكَ قَبِطُنَ الْأَرْضِ خَيْرَ لَهٍ مِنْ ظَهْرِهَا ^(٩) .

قَالَ ^(١٠) وَهَبُ بْنُ مُنْبِيهٍ : إِذَا هَمَّ الْوَالِي بِالْجَوْرِ ^(١١) ، أَوْ عَمِلَ بِهِ ، أَدْخَلَ اللَّهُ النَّقْصَ
فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ : فِي الْأَسْوَاقِ ، وَالزَّرْعِ ، وَالضَّرْعِ ^(١٢) ، وَكُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذَا هَمَّ بِالْخَيْرِ
وَالْعَدْلِ ، أَوْ عَمِلَ بِهِ ، أَدْخَلَ اللَّهُ الْبَرَكَةَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ كَذَلِكَ .

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) بحسوا المكيال : نقصوه وغابره .. وجوزوا البهريج : قیلوه ولم يردوه . والبهريج : الباطل .. وفي « م » :
« وَرَوَّجُوا الْبَهْرَجَ » : أى زهتوا الباطل وجعلوه يروج .

(٣) في « م » : غياتها .

(٤) الرِّيعُ : الزيادة والجماء .

(٥) تناحروا : تشاحروا وخزصوا .. وبازى المعجمة : تدافعوا وتقاتلوا .. وفي « ط » : « تناحروا عن المفقود » .

(٦) الخخل : الخديعة . وفي « م » : « الجخل » . وهى بمعناها .

(٧) في « ط » : « غايبا عن » .

(٨) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أعظم مسرته هذا الحطام » .

(٩) في « ط » : « ظاهرها » .

(١٠) في « م » : « وقال » .

(١١) في « م » : « بالظلم » .. والجور والظلم بمعنى واحد .

(١٢) أصل الضرع : مدر البين ، لكل ذات ظليف أو تحف .. والمراد به هنا : الماشية . وفي « م » : « والزروع
والضرع » .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : تَهْلِكُ الْعَائِمَةُ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا تَهْلِكُ الْخَاصَّةُ بِعَمَلِ الْعَائِمَةِ ، وَالْخَاصَّةُ هُمُ الْوُلَاةُ ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١) : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لِّلْمُصِيبِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ^(٢) .

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ ^(٣) : إِنَّ الرُّعِيَّةَ لَتَنْفَسِدُ بِفَسَادِ الْوَالِي وَتَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ ^(٤) .
وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ : إِنِّي لَا عَلَمَ رَجُلًا إِنْ صَلَحَ صَلَحَتِ الْأُمَّةُ .
قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنْتَ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنْ مَلَكَ مِنَ الْمُلُوكِ خَرَجَ يَسِيرٌ فِي مَمْلَكَتِهِ مُسْتَخْفِيًا ^(٥) ، فَتَزَلَّ عَلَى رَجُلٍ لَهُ بَقَرَةٌ ، فَرَاخَتْ الْبَقَرَةُ ^(٦) ، فَحَلَبَتْ لَهُ قَدْرَ حِلَابٍ ^(٧) ثَلَاثِينَ بَقَرَةً ، فَعَجِبَ الْمَلِكُ لِذَلِكَ ، وَحَدَّثَ ^(٨) نَفْسَهُ بِأَخْذِهَا ، فَلَمَّا رَاخَتْ ^(٩) مِنَ الْعِدِّ حَلَبَتْ عَلَى التَّصْنِيفِ مِمَّا حَلَبَتْ بِالْأَمْسِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا بَالُ حِلَابِهَا تَقْصُ ؟ أَرَعْتَ فِي غَيْرِ مَرْعَاهَا بِالْأَمْسِ ^(١٠) ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَظُنُّ مَلِكَنَا هَمَّ ^(١١) بِأَخْذِهَا فَتَقْصُ لِبُئْهَا ، فَإِنَّ

(١) في م : تعالي .

(٢) سورة الأنفال - من الآية ٢٥ .

(٣) هو الوليد بن هشام بن معاوية بن عقبة المُنَظِّطِي ، مُحَدَّثٌ ثَقِيٌّ ، وَثِقَةُ ابْنِ مَعِينٍ ، وَالْعَجَلِي ، وَالْأَوْزَاعِي ، وَابْنُ حَيَّانٍ . رَوَى عَنْ مَعْدَانَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَوْزَاعِي .. وَكَانَ مِنَ الْقَادَةِ الْغَزَاةِ ، قَادَ الصُّوَّالِفَ أَيَّامَ الْوَلِيدِ .. وَوَلَّى أَبَوَهُ الطَّائِفَ .

[انظر حلية الأولياء ج ٥ ص ١٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص ١١٥ ، والبدایة والنهایة ج ٩ ص ١٠٠ ، والکامل فی التاریخ ج ٤ ص ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ٣١٦] .

(٤) في م : لتصلح بصلاح الولي ، وتفسد بفساده .

(٥) مكنأ في م ط .. وفي م : مُسْتَخْفٍ بِمَكَانِهِ .. والصواب : مُسْتَخْفِيًا بالنصب على الحال .

(٦) راخت البقرة : أوثت بعد الغروب إلى مُرَاجِهَا ، أَيْ : مَاوَاهَا .

(٧) الْحِلَابُ : اللَّبَنُ (تسمية بالمصدر) .

(٨) في م : وَهَمَّتْ نَفْسُهُ .

(٩) في م ط : رَاخَتْ عَلَيْهِ .

(١٠) بِالْأَمْسِ : عَنْ مَطَّ وَسَقَطَتْ مِنْ مَطَّ .

(١١) في م : أَنَّ مَلِكَنَا هَمَّ .

الْخَلِيجَ مُطْلَقًا لِلرَّعِيَّةِ ، وَالسَّمَكُ فِيهِ يَعْلَى الْمَاءَ بِهِ كَثْرَةً ، وَيَصِيدُهُ ^(١) الْأَطْفَالُ بِالْجَرَقِ ^(٢) ، ثُمَّ حَجَرَهُ الْوَالِي وَمَعَ النَّاسَ مِنْ صَيْدِهِ ، فَذَهَبَ السَّمَكُ ، حَتَّى لَا يَكَادُ يُرَى فِيهِ إِلَّا الْوَاحِدَةُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . وَهَكَذَا تَتَعَدَّى سَرَائِرُ الْمُلُوكِ وَعَزَائِمُهُمْ وَمَكْنُونُ ^(٣) ضَمَائِرِهِمْ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ^(٤) .

وَرَوَى أَصْحَابُ التَّوَارِيخِ فِي كُتُبِهِمْ ، قَالُوا : كَانَ النَّاسُ إِذَا أَصْبَحُوا فِي زَمَانِ الْحِجَاجِ فَلَاقُوا ^(٥) ، يَتَسَاءَلُونَ : مَنْ قُتِلَ الْبَارِحَةَ ؟ وَمَنْ صُلِبَ ؟ وَمَنْ جُلِدَ ؟ وَمَنْ قُطِعَ ؟ وَأَمثالُ ذَلِكَ .. وَكَانَ الْوَلِيدُ ^(٦) صَاحِبَ ضَيَّاعٍ وَالْخَازِئِ مَصَانِعَ ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ فِي زَمَانِهِ عَنِ الْبَنِيَانِ وَالْمَصَانِعِ [وَالضَيَّاعِ] ^(٧) ، وَشَقَّ الْأَنْهَارَ ، وَغَرَسَ الْأَشْجَارَ .. وَلَمَّا وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٨) - وَكَانَ صَاحِبَ نِكَاحٍ وَطَعَامٍ - كَانَ ^(٩) النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْأَطْعِمَةِ الدَّقِيقَةِ ^(١٠) ، وَيَتَوَسَّعُونَ فِي الْأَلْكِيحَةِ وَالسَّرَارِي ، وَيَعْمُرُونَ مَجَالِسَهُمْ بِذِكْرِ ذَلِكَ .. وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١١) كَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ : كَمْ

(١) في (م) : « وتصيده » .

(٢) الْجَرَقُ : جَمْعُ بَرَقَةٍ ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْقِطْعَةِ مِنَ الثِّيَابِ الْمُزَرَّقَةِ .

(٣) السَّرَائِرُ : جَمْعُ سَرِيرَةٍ ، وَهِيَ مَا يُكْتَمُ وَيُسَرُّ .. وَالْعَزَائِمُ : جَمْعُ عَزِيمَةٍ ، وَهِيَ مَا يُعْزَمُ عَلَيْهِ ، وَيُرَادُ فِعْلُهُ .. وَالْمَكْنُونُ : الْمُسْتَوْر .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » وَكِلَاهُمَا لَهُ وَجْهٌ فِي الْفَنَةِ .

(٥) فِي « ط » : « يَتَلَاوَنَ » . وَالْحِجَاجُ هُوَ : الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ التَّقْفِي . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٦) هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ « ط » وَسَاقَطٌ مِنْ « م » .

(٨) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٩) فِي « ط » : « فَكَانَ » .

(١٠) فِي « م » : « الرِّقِيقَةُ » .

(١١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

تُحَفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ وَكَمْ وَرْدُكُ (١) فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ؟ وَكَمْ يَحْفَظُ فُلَانٌ ؟ وَمَتَى يَحْتِمُ ؟
 وَكَمْ يَصُومُ (٢) مِنَ الشَّهْرِ ؟ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

* * *

(١) الْوَرْدُ : النصيب من القرآن أو الذكر .

(٢) فِي ف ط ه : تصوم .

البَابُ السَّادِسُ
فِي أَنَّ السُّلْطَانَ مَعَ رَعِيَّتِهِ مَغْبُونٌ
غَيْرُ غَابِنٍ ، وَخَاسِرٌ غَيْرُ رَاجِحٍ

اعْلَمْ أَنَّ ^(١) السُّلْطَانَ خَطَرُهُ عَظِيمٌ ، وَبَلِيَّتُهُ عَامَّةٌ ، وَقَدْ يَطْرُقُهُ ^(٢) مِنَ الْآفَاتِ وَيَحْتَوِشُهُ ^(٣) مِنَ الْأُمُورِ الْمُهْلِكَاتِ مَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ [تَعَالَى] ^(٤) مِمَّا حَمَلَهُ ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا عَصَمَهُ ، لَا يَهْدَأُ ^(٥) فِكْرُهُ ، وَلَا تَسْكُنُ حَوَاطِرُهُ ، وَلَا يَصْفُو قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لُبُّهُ ، الْخَلْقُ فِي شُغْلٍ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِهِمْ . وَالرَّجُلُ يَخَافُ عَدُوًّا وَاحِدًا وَهُوَ يَخَافُ أَلْفَ عَدُوٍّ . وَالرَّجُلُ يَضِيقُ بِتَذْيِيرِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَإِيَالَةِ ضَيْعَتِهِ ^(٦) ، وَتَقْدِيرِ مَعِيشَتِهِ ، وَهُوَ مَذْفُوعٌ لِسِيَاسَةِ ^(٧) جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَكُلُّمَا رَتَّقَ قَتَقًا مِنْ حَوَاشِي مَمْلَكَتِهِ انْفَتَقَ ^(٨) آخَرُ ، وَكُلُّمَا رَمَّ مِنْهَا شَعًا ^(٩) رَثَّ

(١) هكذا في م .. وفي ط : : « اعلموا - أرشدكم الله - أن » .

(٢) بطرقه : يطبق عليه وآياته .. وفي م : : « تطرقه » .

(٣) يَحْتَوِشُهُ : يحيط به .. وفي م : : « واحتوشته » .

(٤) ما بين المعقوفين عن م .

(٥) في ط : : لا عهد .

(٦) لِيَالَةِ ضَيْعَتِهِ (بالياء) : حُكْمُهَا وَتَقْدِيرُ أُمُورِهَا .. وفي ط : : « وإنالته - بالنون - أي : ما يصيب منها » .

(٧) في م : : سياسة .

(٨) رَتَّقَ قَتَقًا : سَدَّ وَأَصْلَحَهُ .. الحَوَاشِي : الجوانب والأطراف . انفتق : انشق وانفصل .

(٩) في م : : « رَمَّ شَعًا » . والشعث : ما تفرق من الأمور .. ورَمَّ : أصلح .. ورَثَّ : فسد .

آخِرُ ، وَكُلَّمَا قَمَعَ عَدُوًّا أَرْصَدَ لَهُ أَعْدَاءَهُ ^(١) ، إِلَى سَائِرِ مَا يُعَانِيهِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَيُقَاسِيهِ مِنْ خُصُومَاتِهِمْ ^(٢) ، وَنَصَبِ الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ ، وَنَعَثِ الْجِيُوشِ ، وَسَدِّ الشُّعُورِ ، وَاسْتِجَابَةِ الْأَمْوَالِ ، وَدَفْعِ الْمَطَالِمِ ، ثُمَّ مِنَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ أَنَّ لَهُ نَفْسًا وَاحِدَةً ، وَأَنَّهُ يَرَى ^(٣) مِنَ الدُّنْيَا قُوَّتَهَا كَمَا يَرَى ^(٤) آحَادَ الرِّعَايَا ، ثُمَّ يُسْأَلُ ^(٥) غَدَا عَنْ جَمِيعِهِمْ وَلَا يُسْأَلُونَ عَنْهُ ، فَيَا لِلْعَجَبِ مِنْ رَجُلٍ رَضِيَ أَنْ يَقَالَ [مِنَ الدُّنْيَا] رَغِيْفًا وَيُحَاسِبُ ^(٦) عَلَى آلَافِ آلَافٍ رَغِيْفًا ^(٧) ، وَيَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَيُحَاسِبُ عَلَى آلَافِ آلَافٍ مَعَى ^(٨) ، وَيَتَمَتَّعُ ^(٩) بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَيُحَاسِبُ عَلَى آلَافِ آلَافٍ مِنَ الْأَنْفُسِ .. وَعَلَى هَذَا التَّمَطُّ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، يَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ ، وَيُرِيحُ أَسْرَارَهُمْ ^(١٠) ، وَيُجَاهِدُ عَدُوَّهُمْ ، وَيَسُدُّ نُفُورَهُمْ ، وَيُدْفِعُ مُقَاوِمَهُمْ وَمُنَاصِبَهُمْ ^(١١) وَيَغْصِي رَبَّهُ فِيهِمْ ، وَيُخَالِفُ أَمْرَهُ ، وَيَرْكَبُ نَهْيَهُ ^(١٢) مِنْ أَجْلِهِمْ ، وَيَقْتَحِمُ جَرَائِمَ جَهَنَّمَ ^(١٣) عَلَى بَصِيرَةٍ فِيهِمْ ، ثُمَّ تَجِدُهُمْ لَهُ قَالِينَ ^(١٤) ، وَعَنْهُ غَيْرَ رَاضِينَ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحُولُ بَيْنَ

(١) أى : ظهر له أعداء يرقبونه .

(٢) فى ط : خصوماته .

(٣) فى م : « ولما يَرَى » .. أى : يصيب وينال .

(٤) فى م : « مثلما يَرَى » ..

(٥) هكذا فى ط .. وهنا فى م : « ثم يُسْأَلُ ويجمع بنفس واحدة ، ويحاسب على آلاف آلاف من جنسه » .. وسألت .

(٦) ما بين المعقوفين عن م : « .. وفى ط : « ويحاسب منها » .

(٧) « رَغِيْفٌ » عن ط : وسقطت من م : « .

(٨) فى م : « آلاف آلاف من الأنفس » سهو من الناسخ .. وسألت بعد ذلك .. والبوى : المصر ، واحد المصران ، وجمعه : أمصار .

(٩) فى ط : « ويستمتع » .

(١٠) يُرِيحُ أَسْرَارَهُمْ : يتشمسها ويبحث عنها .. ويُرِيحُ أَسْرَارَهُمْ : يضم بهاء المضارعة (من أراح) : يُرِقُّهَا عليهم .

(١١) فى ط : « لا يُدْفِعُ مُتَاوِمَهُمْ » أى : مُتَاوِمَتُهُمْ .. يريد : مَنْ يُعَادِيهِمْ .. ومقاوِمِهِمْ : مُقَالِيهِمْ فى القوة .. وَمُنَاصِبُهُمْ : مَنْ يُظَاهِرُ لَهُمُ التَّدَاوَةَ وَيَقِيْمُهَا .

(١٢) يَرْكَبُ نَهْيَهُ : يفعل ويقترف ما نهى الله عنه .

(١٣) يقتحم جرائم جهنم : يلتقى بنفسه فيها من غير رُؤْيٍ .. والجُرثومة : الأصل .

(١٤) قَالِينَ : مُبِطِّضِينَ .

الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ لَمْ يَرْضَ عَاقِلَ بِهِدِهِ مَنْزِلَهُ ^(١) ، وَلَا اخْتَارَهَا لِبَيْبِ مَرْبَتِهِ ، وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَحْكَمُهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) فِي كَلِمَةٍ فَقَالَ : « مَا لَكُمْ وَلَا مَرَأِي ؟ لَكُمْ صَفُو أَمْرِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ كَذْرُهُ » .

وَيَمَثُلُ السُّلْطَانُ مَعَ الرَّعِيَّةِ كَالطَّبَّاحِ مَعَ الْأَكَلَةِ : لَهُ الْعَنَاءُ ^(٣) وَلَهُمُ الْهَنَاءُ ، وَلَهُ الْحَارُ وَلَهُمُ الْقَارُ ^(٤) ، طَلَبَ لِقَوْمِهِ الرَّاحَةَ فَحَصَلَ عَلَى التَّعَبِ ، وَطَلَبَ لَهُمُ النِّعِمَ فَأَخْطَأَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ^(٥) ، وَعَنْ هَذَا قَالُوا ^(٦) : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ » . وَفِي الْحَدِيثِ : « مَا قَى الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شَرًّا » .

وَكَانَ بَعْضُ سَلَاطِينِ الْمَغْرِبِ ^(٧) يَسِيرُ يَوْمًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ ^(٨) إِذْ نَظَرَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الثُّجَّارِ ، فَقَالَ لِيُونَيْرِهِ : أَكْجِبْ ^(٩) أَنْ أُرِيكَ ثَلَاثَ طَوَائِفَ : طَائِفَةٌ لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَطَائِفَةٌ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ ، وَطَائِفَةٌ دُنْيَا بِلَا آخِرَةٍ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا ^(١٠) الَّذِينَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فَهَؤُلَاءِ الثُّجَّارُ ، يَكْسِبُونَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَيُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ ، وَلَا يُؤْذُونَ أَحَدًا . وَأَمَّا الَّذِينَ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ ، فَهَؤُلَاءِ الشُّرَطُ

(١) في م : : المنزلة .

(٢) في ط : : عليه السلام .

(٣) في م : : له العناء ، بالفين المعجمة ، أى : عدم الاحتياج للطعام الذى يُعْلَهُ .

(٤) الحارُ : الساخن ، والمراد به هنا : الشكَّة .. والقارُ : البارد ، والمراد به هنا : الشيء الهين ... ومنه قول ابن عمر لابن مسعود البصري : « يَلْتَفِي أَنْكَ هَتَى ، وَلَ حَارُّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارُهَا » ومعناه : وَلَ شَرُّهَا مَنْ تَوَلَّى خَيْرَهَا ، وولَّ شَيْئَهَا مَنْ تَوَلَّى هَيْئَهَا . [انظر لسان العرب — مادة : قرر] .

(٥) هكذا في ط .. ولى م : : طلب القوم الراحة فحصلوا على التعب ، طلب القوم الراحة والتعيم فأخطئوا الصراط المستقيم .

(٦) في م : : قال .

(٧) في م : : السلاطين المغرب : تحريف .

(٨) في م : : : الوُزَعَة : أى : العسكر ، أو الجنود الذين يَكُونُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى الشَّرِّ .

(٩) في م : : : أُرْجِد .

(١٠) سقطت أَمَّا مِنْ ط .

وَالْخِدْمَةُ ^(١) الَّذِينَ بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَأَمَّا الَّذِينَ لَهُمْ دُتْيَا ^(٢) بِلَا آخِرَةٍ ، فَأَنَا وَأَنْتَ وَسَائِرُ السَّلَاطِينِ .

فَحَقُّ عَلَى جَمِيعِ الزَّرَى أَنْ يَمْدُودُوا السُّلْطَانَ بِالْمُنَاصَحَاتِ ^(٣) ، وَيُخْصَوُهُ بِالِدُعَوَاتِ ، وَيُعِينُوهُ عَلَى سَائِرِ ^(٤) الْمُحَاوَلَاتِ ، وَيَكُونُوا ^(٥) لَهُ أَعْيُنًا نَاطِرَةً وَأَيْدِيًا بَاطِنَةً ، وَجُنَّتَا وَاقِيَةً ^(٦) ، وَالسِّينَةُ نَاطِقَةً ، وَقَوَادِمُ تَنْهَضُهُ ، وَقَوَائِمُ ثِقْلُهُ ^(٧) . وَهَيْهَاتَ مِنْهُ السَّلَامَةُ ، وَأَنْتَى لَهُ بِالسَّلَامَةِ ^(٨) ؟ وَعَنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَاطِينِ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ : « اَعْلَمُوا أَنَّ السُّلْطَانَ وَالْجَنَّةَ لَا يَجْتَمِعَانِ » .

قَالَ شَيْخُنَا — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ ^(٩) لَهُ قَدَرٌ قَالَ : أُرْسِلَ إِلَيَّ السُّلْطَانُ أَنْ طَلَّقَ أَمْرًا لَكَ ، وَكَانَ قَدْ أَرَادَهُمَا لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَأَنْبِئْتُ ذَلِكَ ، وَرَاجَعْتُ الرُّسْلَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ لِي نَاصِحٌ مِنْهُمْ : خُذِ الْأَمْرَ مُقْبِلًا ^(١٠) فَإِنَّهُ لَاجِلَةٌ لَكَ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَخَافُ فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَارًا ، فَقَارَقْتُهَا .

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ أَخَذَ الْمُصْحَفَ فَوَضَعَهُ فِي جَنْبِهِ ثُمَّ قَالَ : « هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ » ^(١١) .

(١) الشَّرْطُ : حَفَظَةُ الْأَمْنِ وَأَعْوَانُ السُّلْطَانِ (جمع شَرْطَةٍ) .. وَالْخِدْمَةُ : الْجَمْعُ ..

(٢) فِي « م » : الدُّنْيَا .

(٣) مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ « فَحَقُّ » إِلَى هُنَا ، عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .. وَالزَّرَى : الْخَلْقُ .

(٤) فِي « م » : « فِي سَائِرِ » .

(٥) فِي « م » : « وَيَكُونُونَ » . خَطَأً .. وَالصَّوَابُ حَذْفُ النُّونِ — مَعْطُوفٌ عَلَى مَنْصُوبٍ .

(٦) جُنَّتَا وَاقِيَةً : اسْتَارَا تَقَى الْإِنْسَانَ وَتَحَمَّيَهُ ، جَمْعُ جُنَّةٍ .. وَفِي « م » : « جُنَّتَا » جَمْعُ جَيْبٍ ، وَهُوَ الطَّلَاعُ الْمُتَّقَادُ .

(٧) الْقَوَادِمُ : الرِّيشَاتُ الْكَبِيرُ فِي مَقْدَمِ جَنَاحِ الطَّائِرِ تَسَاعِدُهُ عَلَى الطَّرَانِ .. وَالْقَوَائِمُ : الْأَرْجُلُ .. ثِقْلُهُ : تَحْمَلُهُ وَتَرْفَعُهُ .

(٨) هَيْهَاتَ : بَعِيدٌ .. وَأَنْتَى : وَمِنْ أَيْنَ ؟

(٩) فِي « م » : شَيْخٌ .

(١٠) مُقْبِلًا : قَاصِدًا إِلَيْهِ وَمُرْجِيًا بِهِ .

(١١) مِنَ الْآيَةِ ٧٨ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ .

وَلَمَّا حَجَّ هَارُونُ ^(١) الرَّشِيدَ لَقِيَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ الْعَمَرِيُّ ^(٢) فِي الطَّوَافِ ، فَقَالَ لَهُ :
يَا هَارُونُ ! قَالَ : لَبَّيْكَ يَا عَمَّ . قَالَ : كَمْ تَرَى هَاهُنَا مِنَ الْخَلْقِ ؟ قَالَ : لَا يُحْصِيهِمْ
إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ : اَعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْأَلُ عَنْ خَاصَّةٍ نَفْسِيهِ ، وَأَنْتَ
وَاحِدٌ ^(٣) تُسْأَلُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ . فَبَكَى هَارُونُ وَجَلَسَ ، فَجَعَلُوا
يُعْطُونَهُ مَنَدِيلًا ^(٤) لِلدَّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَاللَّهِ ، إِنْ الرَّجُلَ لَيُسْرِعُ فِي مَالِ نَفْسِهِ فَيَسْتَحِقُّ
الْحَجَرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ أَسْرَعَ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟

وَيُقَالُ : إِنْ هَارُونُ كَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ ، إِنِّي لِأُحِبُّ ^(٥) أَنْ أُحَجَّ كُلَّ سَنَةٍ ^(٦) ،
وَمَا يَمْنَعُنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَمَرٍ ^(٧) يُسْمِعُنِي مَا أُكْرَهُ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَنْ أَحْمَقُ
مِنَ السُّلْطَانِ ؟ وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ عَصَانِي ؟ وَمَنْ أَعَزُّ مِنْ اعْتَرَّ ^(٨) بِي ؟ أَيَا رَاعِيَ السُّوءِ
دَفَعْتُ إِلَيْكَ غَنَمًا سِمَانًا صِيحَاخًا ^(٩) فَأَكَلْتُ اللَّحْمَ ، وَشَرِبْتُ اللَّبَنَ ، وَاتَّقَدَمْتُ
بِالسَّمَنِ ^(١٠) ، وَلَبِسْتُ الصُّوفَ ، وَتَرَكْتُهَا عِظَامًا تُقْفَعُ ، وَلَمْ تَأُوِ الضَّالَّةَ ، وَلَمْ تُجَبِّرِ
الْكَبِيرَ ^(١١) .. الْيَوْمَ أَتَقِمُ لَهَا مِنْكَ .

(١) سقطت « هارون » من « م » .

(٢) من الزُّمَّادِ الصَّالِحِينَ ، وتوفى في عهد هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .

(٣) « واحد » عن « ط » .. وسقطت من « م » .

(٤) في « ط » : « منديلًا منديلًا » .

(٥) في « ط » : « أحب » .

(٦) في « م » : « في كل سنة » .

(٧) في « م » : « من ولد «عمر» » . تحريف .. والصواب « ما أبتاه » .

(٨) في « م » : « وَمَنْ أَعَزُّ مِنْ اعْتَرَّ بِي ؟ » .

(٩) في « م » : « غَنَمًا صِيحَاخًا سِمَانًا » .

(١٠) اتَّقَدَمْتُ بِالسَّمَنِ : أَكَلْتُ خُبْزَكَ به .

(١١) يُقَالُ : جَبَّرَ الْعَظَمَ الْكَبِيرَ : أَخَذَ فِي سَبِيلِ إِصْلَاحِهِ .

البَابُ السَّابِعُ
فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي كَوْنِ السُّلْطَانِ
فِي الْأَرْضِ

اعْلَمُوا - أَرْضَكُمْ اللَّهُ - أَنْ فِي وُجُودِ السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ حِكْمَةً لِلَّهِ تَعَالَى عَظِيمَةً ، وَنِعْمَةً عَلَى الْعِبَادِ جَزِيلَةً ، لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ جَبَلَ الْخَلْقَ ^(١) عَلَى حُبِّ الْإِنْتِصَافِ ، وَعَلَّمَ الْإِنْتِصَافَ ، وَكَلَّمَهُمْ بِلَا سُلْطَانٍ مِثْلَ الْحَيَاتَانِ ^(٢) فِي الْبَحْرِ ، يَزْدَرِئُ ^(٣) الْكَبِيرُ الصَّغِيرَ ، فَتَمَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سُلْطَانٌ قَاهِرٌ لَمْ يَنْتَظِمْ لَهُمْ أَمْرٌ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُمْ مَعَاشٌ ، وَلَمْ يَهْتَنُوا ^(٤) بِالْحَيَاةِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ : لَوْ رَفَعَ السُّلْطَانُ مِنَ الْأَرْضِ مَكَانَ اللَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ حَاجَةٍ .

وَمِنَ الْحِكْمِ الَّتِي فِي إِقَامَةِ السُّلْطَانِ ^(٥) أَنَّهُ مِنْ حِجَجِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٦) عَلَى وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ ، وَمِنَ عَلَامَاتِهِ عَلَى تَوْحِيدِهِ ، لَأَنَّهُ كَمَا لَا يُمْكِنُ اسْتِقَامَةُ أُمُورِ ^(٧) الْعَالَمِ

(١) في م : : الخلاق .. وجبل الله الخلق : خلقهم وطبعهم .

(٢) في م م : : الحوت .

(۳) یزدرد : یستم .

(٤) فِي اِم : اَلَمْ يَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَمْرًا فِي مَعَاشٍ ، وَلَمْ يَتَّهِنُوا .

(٥) في الم : : في السلطان .

(٦) ما بين المقوفين عن ط .

(٧) في د م : : أنمر .

وَأَعْتَدَالَهُ بِغَيْرِ مُدَبِّرٍ يَنْفَرِدُ بِتَدْبِيرِهِ ، كَذَلِكَ لَا يَتَوَهُمُ وُجُودُهُ وَتَرْبِيئُهُ ، وَمَافِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَدَقَائِقِ الصَّنِيعَةِ بِغَيْرِ خَالِقٍ خَلَقَهُ ، وَعَالِمٍ أَتَقَنَّهُ ، وَحَكِيمٍ دَبَّرَهُ .

وَكَمَا لَا يَسْتَقِيمُ سُلْطَانَانِ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَهَانِ لِلْعَالَمِ ، وَالْعَالَمُ بِأَسْرِهِ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَالْبَلَدِ الْوَاحِدِ فِي يَدِ سُلْطَانِ الْأَرْضِ ، وَلِهَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمْرَانِ جَلِيلَانِ لَا يَصْلُحُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْتَّفَرُّدِ ، وَلَا يَصْلُحُ الْآخَرُ إِلَّا بِالْمُشَارَكَةِ ^(١) ، وَهُمَا : الْمُلْكُ ، وَالرَّأْيُ ، فَكَمَا ^(٢) لَا يَسْتَقِيمُ الْمُلْكُ بِالشَّرِكَةِ ^(٣) لَا يَسْتَقِيمُ الرَّأْيُ بِالْإِنْفِرَادِ بِهِ .

وَمِثَالُ السُّلْطَانِ الْقَاهِرِ لِرَعِيَّتِهِ ، وَالرَّعِيَّةِ ^(٤) بِلَا سُلْطَانٍ ، مِثَالُ بَيْتٍ فِيهِ سِرَاجٌ مُنِيرٌ وَحَوْلُهُ قَاعٌ مِنَ الْخَلْقِ ^(٥) يُعَالِجُونَ صَنَائِعَهُمْ ، فَيَبْنِيانِ هُمْ كَذَلِكَ طُفَى السَّرَاجِ ، فَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ ^(٦) لِلْوَقْتِ ، وَتَعَطَّلَ جَمِيعُ مَا كَانُوا فِيهِ ، فَتَحَرَّكَ الْحَيَوَانُ الشَّرِيرُ ، وَخَشَخَشَ الْهَامُ ^(٧) الْحَسِيسُ ، فَذَبَّتِ الْعَقْرَبُ مِنْ مَكْمَلِهَا ^(٨) ، وَفَسَقَتِ الْفَارَةُ ^(٩) مِنْ جُحْرِهَا ، وَخَرَجَتِ الْحَيَّةُ مِنْ مَعْدِنِهَا ^(١٠) ، وَجَاءَ اللَّصُّ بِحِيلِهِ ، وَهَاجَ الْبُرْغُوثُ مَعَ حَقَارَتِهِ ، فَتَعَطَّلَتِ الْمَنَافِعُ ، وَاسْتَطَارَتْ ^(١١) فِيهِمْ الْمَضَارُّ . كَذَلِكَ السُّلْطَانُ ^(١٢) إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِرَعِيَّتِهِ ، كَانَتْ الْمَنْفَعَةُ بِهِ عَامَّةً ، وَكَانَتْ الدَّمَاءُ فِي أَهْلِهَا مَحْفُوقَةً ،

(١) هكذا في م .. م .. ولي ط : لا يصلح أحدهما بالتفرّد ، ولا يصلح الآخر بالمشاركة ، بسقوط أداة الاستثناء ، إلا في الموضعين ، والسياق يتطلب وجودها .

(٢) في م : وكما .

(٣) في م : بالمشاركة . تحريف .

(٤) في م : ورعيّة .

(٥) في م : قيام من الناس . بتسهيل الهمز . والقيام : الجماعة من الناس .

(٦) قبضوا أيديهم : فأمسكوا عن العمل .

(٧) خشخش : صوت .. والهام : جمع هامة ، وهي طير صغير من طيور الليل .. وفي م : الهوام .

(٨) ذبّت العقرب من مكملها : خرجت وشارت من المكان الذي تتوارى فيه .

(٩) فسقت الفارة : خرجت .

(١٠) مغلينا : مكانها وموضعها .

(١١) استطارت : فشت وانتشرت .

(١٢) سقطت كلمة السلطان من ط .

وَالْحَرَمُ ^(١) فِي خُلُوبِهِمْ مَصُونَةٌ ، وَالْأَسْوَاقُ عَامِرَةٌ ، وَالْأَمْوَالُ مَحْرُوسَةٌ ، وَالْحَيَوَانُ الْفَاضِلُ ظَاهِرًا ، وَالْمَرْافِقُ حَاصِلَةٌ ، وَالْحَيَوَانُ الشَّرِيرُ مِنْ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالذَّعَارَةِ نَحَامِلًا ^(٢) .

وَإِذَا ^(٣) اخْتَلَّ أَمْرُ السُّلْطَانِ دَخَلَ الْفَسَادُ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَلَوْ جُعِلَ ظَلَمُ السُّلْطَانِ ^(٤) حَوْلًا فِي كَيْفَةٍ ، [ثُمَّ جُعِلَ فَسَادُ الرِّعْيَةِ وَمَظَالِمُهُمْ وَهَرَجُهُمْ فِي سَاعَةٍ — إِذَا اخْتَلَّ أَمْرُ السُّلْطَانِ — فِي كَيْفَةٍ] ^(٥) كَانَ هَرْجُ سَاعَةٍ أَكْثَمَ ^(٦) وَأَرْجَحَ مِنْ ظَلَمِ السُّلْطَانِ حَوْلًا ، وَكَيْفَ لَا ، وَفِي زَوَالِ السُّلْطَانِ ، أَوْ ضَعْفِ شَوْكِهِ ^(٧) سَوْقُ أَهْلِ الشَّرِّ ، وَمَكْسَبُ الْأَجْنَادِ ، وَنِفَاقُ أَهْلِ الْبَيَارَةِ وَالسُّوقَةِ وَالْمُصُوصِ وَالْمَنَاهِيَةِ ^(٨) . وَقَالَ الْفُضَيْلُ ^(٩) : جَوْرُ سِتِّينَ سَنَةً خَيْرٌ مِنْ هَرْجِ سَاعَةٍ ^(١٠) .

وَلَا يَتِمَّنِي زَوَالُ السُّلْطَانِ إِلَّا جَاهِلٌ مَعْرُورٌ ، أَوْ فَاسِقٌ يَتَمَنَّى كُلَّ مَخْلُوقٍ ، فَحَقِيقٌ عَلَى كُلِّ رَعِيَةٍ أَنْ تَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِصْلَاحِ السُّلْطَانِ ، وَأَنْ تَبْذُلَ لَهُ نَصَحَهُ ، وَتُحْصِنَهُ بِصَالِحِ دُعَائِهَا ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ ^(١١) صَلَاحَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ^(١٢) ، وَفِي فَسَادِهِ فَسَادُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .. وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ : إِذَا ^(١٣) اسْتَقَامَتْ لَكُمْ أُمُورُ السُّلْطَانِ

(١) فِي م : « فَالْحَرَمُ » .. وَالْخُلُوبُ : جَمْعُ خَلِيٍّ ، وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا يُوَارَى الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْتٍ وَغَوِيٍّ .
(٢) فِي م : « وَط » ، جَامَتِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثُ : « ظَاهِرًا » ، وَحَاصِلَةٌ ، وَخَامِلًا بِالرَّفْعِ .. وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ .

(٣) فِي م : « فَإِذَا » .

(٤) فِي « ط » : « النَّاسِ » . وَلَا تَصِحُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ .. وَالْعَوْلُ : السُّتَّةُ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضَيْنِ عَنْ م : « وَسَاقَطَ مِنْ « ط » .. وَالتَّهَرُّجُ : الْفَتْنَةُ وَالْاضْطِرَابُ .

(٦) فِي م : « : أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ وَأَرْجَحَ » .

(٧) شَوْكُهُ : قُوَّتُهُ وَبَأْسُهُ .

(٨) أَهْلُ الْبَيَارَةِ : الَّذِينَ يَسْتَوْنُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْإِفْسَادِ .. وَالسُّوقَةُ : الرِّعْيَةُ وَأَوْسَاطُ النَّاسِ .. وَالْمَنَاهِيَةُ : الَّذِينَ يَسْطُونُ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُمْ وَيَأْخُذُونَهُ قَهْرًا وَغَلَبَةً .

(٩) هُوَ : الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(١٠) هَكَذَا فِي م : « .. وَفِي « ط » : « : سَنَةً » .

(١١) فِي م : « : صَلَاحٌ بِدَلٍّ وَصَلَاحُهُ » ، تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٢) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الْبِلَادِ » مِنْ م : « . » .

(١٣) فِي م : « : إِنْ » .

البَابُ الثَّامِنُ
فِي مَنَافِعِ السُّلْطَانِ وَمَضَارِّهِ

فِي مَنَافِعِ السُّلْطَانِ وَمَضَارِّهِ

قَالَ ^(١) حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ : مَثَلُ مَصَارِّ السُّلْطَانِ فِي جَنْبِ مَنَافِعِهِ ، مَثَلُ الْغَيْثِ الَّذِي هُوَ سُنْفًا ^(٢) اللَّهُ تَعَالَى ، وَبَرَكَاتُ السَّمَاءِ ، وَحَيَاةُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَقَدْ يَتَّذَرُ بِهِ الْمُسَافِرُ ، وَيَتَدَاعَى ^(٣) لَهُ الْبُتْيَانُ ، وَتَكُونُ فِيهِ الصَّوَاعِقُ ، وَتَبْدُرُ سَيُولُهُ فَتَهْلِكُ ^(٤) النَّاسُ وَالْدَّوَابُّ وَالذُّخَايِرُ ، وَيَمُوجُ لَهُ الْبَحْرُ فَتَشْتَدُّ يَلِيلَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْخُلُقَ - إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَحْيَا ^(٥) ، وَالنَّبَاتَ الَّذِي أَخْرَجَ ، وَالرِّزْقَ الَّذِي بَسَطَ ^(٦) ، وَالرَّحْمَةَ الَّتِي بَشَّرَ - أَنْ يُعْظَمُوا نِعْمَةَ ^(٧) رَبِّهِمْ وَيَشْكُرُوهَا ^(٨) ، وَلْيَتْلَوْا ذِكْرَ خَوَاصِّ الْأَذْيَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى خَوَاصِّ الْخُلُقِ .

(١) في م : « قالت » . وكلاهما صواب .. وهذا الباب ورد في يتيمة ابن المقفع التي تشتمل على محاسن الآداب ..

[انظر ثمار القلوب ص ١٩٩ .]

(٢) الغيث : المطر .. والسقييا : الاسم من السقى .

(۳) يتداعى : يتصدع .

(٤) في « م » : فهلك .

(٥) في « م » : أحياءها .

(٦) في د م : سَطَلُ .

(٧) في ط ١ : رحمة .

(۸) فی م : : ۱۱ بشکرونها ، . خطاً .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مَثَلُ الرِّيحِ الَّتِي يُرْسِلُهَا اللَّهُ تَعَالَى نَشْرًا ^(١) بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ فَيَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ ، وَيَجْعَلُهَا لِقَاحًا لِلشَّمَرَاتِ ، وَرَوَاحًا لِلْعِبَادِ يَتَسَمَّوْنَ مِنْهَا ^(٢) ، وَيَتَقَلَّبُونَ ^(٣) فِيهَا ، وَتَجْرِي بِهَا مِيَاهُهُمْ ، وَتَقْدُ بِهَا زِيَارَتُهُمْ ، وَتَسِيرُ بِهَا فِي الْبَحْرِ أَفْلَاكُهُمْ ، وَقَدْ تَضَرَّ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي بَرِّهِمْ وَبَحْرِهِمْ ، وَتَخْلُصُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَشْكُرُهَا الشَّاكِرُونَ ، وَقَدْ يَتَأَذَى ^(٤) بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا يُخْرِجُهَا ^(٥) ذَلِكَ عَنْ مَنَزِلَتِهَا مِنْ قَوَامِ عِبَادِهِ ^(٦) ، وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مِثَالُ ^(٧) الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ اللَّذَيْنِ ^(٨) جَعَلَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) حَرَّهُمَا وَبَرْدَهُمَا صَلَاحًا لِلْحَرْثِ وَالنَّسْلِ ، وَنَجَا لِلْحَبِّ ^(١٠) ، وَالثَّمَرِ ، يَجْمَعُهُمَا الْبَرْدُ بِإِذْنِ اللَّهِ [تَعَالَى] ، وَيُخْرِجُهُمَا ^(١١) الْحَرُّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَتَنْضَجُ ^(١٢) عَلَى اعْتِدَالِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِهِمَا . وَقَدْ يَكُونُ الْأَذَى فِي حَرِّهِمَا وَبَرْدِهِمَا وَسُمُومِهِمَا وَزَمْهِرِهِمَا ^(١٣) ، وَهُمَا مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَسَبَّانِ إِلَّا ^(١٤) إِلَى الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ ، وَقَدْ غَمَرَ صَلَاحُهُمَا أَذِيَّتُهُمَا .

(١) نَشْرًا : طَيِّبَةً .

(٢) فِي د ط : : وَيَتَسَمَّوْنَ .

(٣) فِي د ط : : يَنْقَلِبُونَ .

(٤) فِي د م : : وَيَتَأَذَى .

(٥) فِي د ط : : وَلَا يُزِيلُهَا .

(٦) فِي د ط : : عِبَادَتِهِ .. وَالْقَوَامُ : الْقَدْلُ .

(٧) فِي د م : : مَثَلُ .

(٨) فِي د م : : الَّذِي لَا تَصِحُّ هُنَا .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْوَفِينَ عَنْ م م فِي الْمَوْضِعِينَ .

(١٠) فِي د م : : لِلْأَنْعَامِ وَالْحَبِّ .

(١١) فِي د م : : وَيُخْرِجُهَا .

(١٢) فِي د ط : : فَتَنْضَجُ .

(١٣) فِي د م : : وَسَمَامُهَا وَزَمْهِرُهَا . تحريف من التاسخ .. والسموم : الرِّيحُ الْحَارَّةُ .. والزَمْهِرُ : شِدَّةُ الْبَرْدِ .

(١٤) فِي د ط : : لَا يَتَسَبَّانِ إِلَى الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ .. وَسَقَطَتْ مِنَ الْعِبَارَةِ أَدَاةُ الْاسْتِثْنَاءِ « إِلَّا » ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مَثَلُ ^(١) اللَّيْلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا ^(٢) وَنَوْمًا وَرَاحَةً وَسَبَاتًا ^(٣) ، وَقَدْ يَسْتَوْحِشُ لَهُ ^(٤) أَخُو الْفَقْرِ ، وَيُسَارِعُ فِيهِ أَهْلُ الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ ، وَاللُّصُوفِ ، وَتَعْدُو فِيهِ السَّبَاحُ ، وَتَنْتَشِرُ ^(٥) فِيهِ الْهَوَامُ ، وَذَوَاتُ الْحُمَةِ ^(٦) وَالسُّمُومِ الْقَاتِلَةِ . ثُمَّ لَا يَتَسَى الْعِبَادُ نِعَمَ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٧) عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ ^(٨) صَغِيرُ ضَرَرِهِ بِكَبِيرِ نَفْعِهِ .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا بِمِثَالِ ^(٩) النَّهَارِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١٠) ضِيَاءً وَنُورًا وَنُشُورًا وَاجْتِسَابًا وَابْتِشَارًا ، وَقَدْ تُكُونُ ^(١١) فِيهِ الْحُرُوبُ وَالْعَارَاتُ ، وَالتَّعَبُ وَالتَّصَبُّ ، وَالشُّخُوصُ ^(١٢) وَالْخُصُومَاتُ ، فَتَسْتَرِيحُ الْخَلْقُ مِنْهُ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ ^(١٣) الْعِبَادُ نِعَمَةَ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(١٤) عَلَيْهِمْ فِيهِ ، وَهَكَذَا كُلُّ جَسِيمٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا يَكُونُ ضَرَرُهُ خَاصًّا ، وَنَفْعُهُ عَامًّا ، فَهُوَ نِعْمَةٌ عَامَّةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَفْعُهُ خَاصًّا فَهُوَ بَلَاءٌ عَامٌّ ، وَلَوْ كَانَتْ نِعَمُ الدُّنْيَا صَفْوًا مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ ، وَمَيَسُورًا مِنْ غَيْرِ مَعْسُورٍ ، لَكَانَتْ الدُّنْيَا ^(١٥) هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي لَا تَعَبُ فِيهَا وَلَا تَصَبُّ .. وَقَدْ قَالَ ^(١٦) الشَّاعِرُ :

لَا تَرْجُ شَيْفًا خَالِصًا نَفْعُهُ فَالْعَيْتُ لَا يَحُلُو مِنَ الْعَيْبِ ^(١٧)

(١) فِي م م : يُقَالُ . (٢) لِبَاسًا ، أَيْ : سَاتَرًا لَكُمْ يَطْلِيهِو كَاللِّبَاسِ .

(٣) سُبَاتًا : سَكَنًا وَرَاحَةً لِأَهْلِيكُمْ . (٤) يَسْتَوْحِشُ لَهُ ، أَيْ : لَا يَأْنِسُ بِهِ .

(٥) فِي م م : يَنْتَشِرُ ، وَكَلَامًا صَوَابٌ .

(٦) ذَوَاتُ الْحُمَةِ : الْحَشَرَاتُ السَّامَّةُ الَّتِي لَا إِيرَةُ تَضْرِبُ بِهَا ، كَالْعَقْرَبِ وَنَحْوِهَا .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ ط . (٨) يَرْزَأُ : يُصِيبُ .

(٩) فِي م م : مَثَلُ . (١٠) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ م م .

(١١) فِي م م : يَكُونُ .

(١٢) التَّصَبُّ : الْإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ .. وَالشُّخُوصُ : السَّعَى .

(١٣) فِي م م : نَسِيَ . (١٤) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ م م .

(١٥) فِي م م : لَكَانَتْ هِيَ . (١٦) فِي م م : وَقَالَ .

(١٧) وَفِي رَوَايَةٍ : لَا يَحُلُو مِنَ الْعَيْبِ ، أَيْ : مِنَ الْفَسَادِ ..

وَالْبَيْتُ لِأَيِّ فَتْحِ الشُّبْهِ .

[انْظُرْ نَمَارَ الْقُلُوبِ لِلْعَالِي ص ٦٥٦ وَجَمْعَ الْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ ص ٦٢٥] .

البَابُ الثَّاسِعُ فِي بَيَانِ مَنَزَلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الرِّعْيَةِ

اعْلَمُوا أَنَّ مَنَزَلَةَ السُّلْطَانِ مِنَ الرِّعْيَةِ بِمَنَزَلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا صَفَتْ الرُّوحُ مِنَ الْكَذْرِ سَرَتْ إِلَى الْجَوَارِحِ سَلِيمَةً ، وَسَرَتْ ^(١) فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْجَسَدِ ، فَأَمِنَ الْجَسَدُ مِنَ الْغَيْرِ ، فَاسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ وَالْحَوَاسُّ ، وَانْتَضَمَ أَمْرُ الْجَسَدِ ، وَإِنْ تَكَدَّرَتِ الرُّوحُ أَوْ فَسَدَ مَزَاجُهَا ، فَيَاوِيحِ الْجَسَدِ ^(٢) ، فَتَسْرِي إِلَى الْحَوَاسِّ وَالْجَوَارِحِ كِدْرَةً ، مَنَحْرَفَةً ^(٣) عَنِ الْإِعْتِدَالِ ، فَاتَّخَذَ كُلُّ غَضْوٍ وَحَاسَّةٍ بِقِسْطِهِ مِنَ الْفَسَادِ ، فَمَرَضَتْ الْجَوَارِحُ وَتَمَطَّلَتْ ، فَتَعَطَّلَ نِظَامُ الْجَسَدِ ، وَجَرَّ ^(٤) إِلَى الْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ .

وَمِثَالُ السُّلْطَانِ أَيْضًا مِثَالُ النَّارِ ، وَمِثَالُ الْخَلْقِ مِثَالُ الْخَشَبِ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا مُعْتَدِلًا لَمْ يَحْتِجْ إِلَى النَّارِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مُتَأَوِّدًا ^(٥) احْتِيَاجَ إِلَى النَّارِ لِيُقَامَ ^(٦) أَوْدُهُ فَيُعْدَلُ عَوِجُهُ ، فَإِنْ أَفْرَطَتْ ^(٧) النَّارُ اخْتَرَقَ الْخَشَبُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِيمَ أَوْدُهُ ، وَإِنْ

(١) فِي م م : وَجَرَتْ .

(٢) فِي م م : أَجْزَاءُ الْجَسَدِ .

(٣) هَكَذَا فِي م م .. وَفِي ط ط : وَهِيَ مُنَحْرَفَةٌ .

(٤) وَجَرَّ إِلَى الْفَسَادِ : أَذَى إِلَيْهِ .. وَفِي م م : جَرَى : أَيْ : أَسْرَعَ .

(٥) مُتَأَوِّدًا : مَعُوجًا .. وَالْأَوْدُ : الْإِعْوجُاجُ .

(٦) فِي م م : لِيُقَامَ .

(٧) فِي م م : وَإِنْ أَفْرَطَتْ .

قَصُرَتْ ^(١) النَّارُ لَمْ يَلَنِ الخَشَبُ لِقَبُولِ الاعتِدَالِ ، فَيَقْفَى مُتَاوِّدًا ، وَإِذَا كَانَتْ النَّارُ مَعْتَدِلَةً اعْتَدَلَ الخَشَبُ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ فِي أَطْوَارِهِ ، إِنْ أَقْرَطَ ^(٢) أَهْلَكَ الخَلْقَ ، وَإِنْ قَرِطَ لَمْ يَسْتَقِيمُوا ، وَإِنْ اعْتَدَلَ اعْتَدَلُوا .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مِثَالُ عَيْنِ خُرَّارَةٍ فِي أَرْضِ خَوَّارَةٍ ^(٣) ، فَإِنْ حَلَا مَشْرِئُهُ وَعَذَبَ طَعْمُهُ وَسَلِمَتْ مِنَ الكَدْرِ وَالْفَسَادِ أَوْصَافُهُ ، اخْتَلَجَ ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَابْتَلَعَتْهُ صَافِيًا صِرْفًا ، ثُمَّ شَرِبَتْهُ عُرُوقُ الْأَشْجَارِ فَأَعْتَذَتْ بِهِ كَذَلِكَ ، فَعَلْظَتْ سُوقَهَا ، وَفَرَعَتْ أَغْصَانَهَا ، وَأَمْتَدَّتْ أَقْطَانَهَا ^(٥) ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا ، وَأَبْرَزَتْ أَزْهَارَهَا ، ثُمَّ قَذَفَتْ بِمَارَهَا فَجَاءَتْ عَلَى أَثَمِّ طَبِيعَتِهَا كَثِيرًا وَلَطْعَمًا ، وَلَوْنًا وَرَائِحَةً ، فَتَقَوَّتْ ^(٦) بِهَا الْعِبَادُ ، وَأَكَلَتْ حُطُوطُهَا ^(٧) الْبَهَائِمُ وَالْخَشَرَاتُ ، وَسَقَطَ عَلَيْهَا الطَّيْرُ ، فَأَحْرَزَ كُلٌّ مِنْهَا قُوَّتَهُ ^(٨) ، وَاسْتَقَامَ النِّظَامُ ، وَإِنْ كَانَ فِي حَوَاشِي الْأَرْضِ مَا يَدُقُّ ^(٩) عَنِ الْإِبْهَاتِ وَالنَّفْعِ ، وَيُكْدِي ^(١٠) عَنِ الزُّكَاةِ وَالرَّيْعِ ، أَوْ كَانَ ^(١١) فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ مَا يَبْرُزُ حِمْلُهُ وَيَقِلُّ رِيعُهُ ، أُعْطِيَ كُلُّ ذَلِكَ الْغَايَةَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأُطْلِعَ مَا فِي قُوَّاهُ ، وَلَمْ يُغَاوِزْ مُمَكِّنًا إِلَّا وَقَا

وَأِنْ كَانَ فِي الْعَيْنِ كَدْرٌ أَوْ فُسَادٌ أَوْ يُلْغُ ، شَرِبَتْهَا الْأَشْجَارُ كَذَلِكَ ، فَفَسَدَ مِرْأَجُهَا ، وَأَضُرَّ النُّجْزُ الْقَاسِدُ بِالطَّيْبِ ، فَرَقَتْ سُوقُهَا ، وَضَعُفَتْ أَغْصَانُهَا ، وَتَغَيَّرَتْ أَوْرَاقُهَا ،

(١) فِي « م » : قَصُرَ .

(٢) أَقْرَطَ : جَاوَزَ الْحَدَّ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .. وَقَرِطَ : قَصَرَ وَتَهَاقَنَ .

(٣) عَيْنُ خُرَّارَةٍ : جَارِيَةٍ .. وَأَرْضُ خَوَّارَةٍ : لَيِّقَةٌ سَهْلَةٌ .

(٤) اخْتَلَجَ : تَحَرَّكَ .. وَ « م » : « تَخَلَّجَ » .. وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٥) سُوقُهَا : سِقَابُهَا .. فَرَعَتْ : طَالَتْ وَعَلَتْ .. أَقْطَانُهَا : أَغْصَانُهَا .. وَالْفَتْنُ : الْغَضَبُ الْمُسْتَقِيمُ .

(٦) تَقَوَّتْ بِالشَّيْءِ : تَكَلَّهَتْ .

(٧) حُطُوطُهَا : نَصِيبُهَا .

(٨) فِي « م » : « فَأَحْرَزَ مِنْهَا كُلُّ وَاحِدٍ قُوَّتَهُ » .

(٩) يَدُقُّ : يَضْرِبُ .. وَيُقَالُ : الْإِبِلُ تَرَعَى وَفِي الشَّجَرِ ، أَيْ : مَا دَقَّ مِنْهُ وَخَسَّ .

(١٠) يُكْدِي : يَفْقُلُ خَيْرَهُ ، وَيَقْطَعُ عَطَاةَهُ .

(١١) فِي « م » : « لَوْ كَانَ فِيهِ » .

وَقُلْتُ أَزْهَارُهَا وَثِمَارُهَا ، وَدَخَلَ الْفَسَادُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ ، فَجَاءَتِ الثَّمَرَةُ وَهِيَ تَزُرُّ قَدْرُهَا ^(١) ، رَدِيءٌ طَعْمُهَا ، كَاسِفٌ لَوْنُهَا ^(٢) ، فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنَ النَّقْصِ عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانِ مِثْلَ مَا دَخَلَ [مِنَ الْمَنَافِعِ] ^(٣) عَلَيْهِمْ فِي الْأَوَّلَى ، وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ ^(٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْحَشَرَاتِ لَتَمُوتُ فِي أَجْحَرَتِهَا ^(٥) هَذَا بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ » يَعْنِي : إِذَا كَثُرَتِ الْمَعَاصِي فِي الْأَرْضِ ، حَبَسَتِ السَّمَاءُ غِيَاثَهَا ، وَمَنَعَتِ الْأَرْضُ تِبَاءَهَا ، فَهَلَكَ الْهَوَامُّ وَالْحَشَرَاتُ وَاللُّوَابُ .

* * *

(١) يعنى : صغيرة الحجم .

(٢) كاسف لونها ، أى : ذهب وتغير لونها المعبود .

(٣) ما بين المقوفتين عن م .

(٤) فى م : رسول الله .

(٥) فى م : : : : : جحرها .

البَابُ العَاشِرُ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ خِصَالِ وَرَدِّ الشَّرْعِ بِهَا نِظَامُ الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ

وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : اللَّيْنُ وَتَرْكُ اللَّفْظَاظَةِ ^(١) ، وَالْمُشَاوَرَةُ ، وَإِنْ لَا يُسْتَعْمَلُ عَلَى الْأَعْمَالِ وَالْوَلَايَاتِ رَاغِبٌ فِيهَا وَلَا طَالِبٌ لَهَا ، وَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِيهَا مِنْ انْتِظَامٍ أَمَرَ الْمِلَّةَ ^(٢) ، وَاسْتِقَامَةَ الْأَمْرِ ، نَصَّ عَلَيْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ .

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ مِنْ أَسَاسِ الْمَمَالِكِ ^(٣) ، وَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا مِنَ الْمُلُوكِ : اثْنَتَانِ نَزَلَتَا مِنَ السَّمَاءِ ، وَوَاحِدَةٌ قَالَهَا الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمَّا الْإِلَهِيَّةُ فَقَالَ ^(٤) اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفِضُوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَأَغْفُ عَنْهُمْ ، وَاصْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ^(٥) وَفِي الْآيَةِ إِشَارَتَانِ : إِحْدَاهُمَا ^(٦) : أَنَّ الْفُظَاظَةَ تُتَفَرَّقُ الْأَصْحَابُ وَالْجُلَسَاءُ ، وَتُفَرَّقُ الْجُمُوعُ وَالْحَشَمُ ^(٧) ، وَإِنَّمَا الْمَلِكُ مَلِكٌ بِجُلَسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَحَشَمِهِ

(١) الْفُظَاظَةُ : الْقِسْوَةُ وَالثَّلْثَةُ .

(٢) فِي د م : انتظام المِلَّةِ .

(٣) فِي د م : الْمَمْلَكَةُ .

(٤) فِي د م : وَفَقْدَ قَالَ .

(٥) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ — مِنَ الْآيَةِ ١٥٩ .

(٦) فِي د م : وَاحِدَاهُمَا .

(٧) فِي د م : تُتَفَرَّقُ الْأَصْحَابُ وَالْحَشَمُ وَالْجُلَسَاءُ وَالْوَلِيَاءُ ، وَتُفَرَّقُ الْجُمُوعُ وَالْخِدْمَةُ .

وَأَتْبَاعِهِ ^(١) ، وَأَخْلَقَ بِخَصْلَةٍ ^(٢) تُثْفِرُ الْأُولِيَاءَ ، وَتُطْلِعُ الْأَعْدَاءَ ، فَقَمَنَ بِكُلِّ سُلْطَانٍ رَضُضَهَا ، وَالْإِحْتِرَازُ مِنْ سُوءِ مَعْيَتِهَا ^(٣) ، وَلْيَكُنْ ^(٤) كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْأَخْفِضُ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالُوا : هَذَا الْأَبْيَضُ الْمُتَكَيُّ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ أَجَبْتُكَ .. دَلَّ الْأَثَرُ عَلَى أَنَّهُ مَا اسْتَأْثَرَ بِشَرَفِ الْمَجْلِسِ ، وَلَا بَايَنَهُمْ ^(٦) بَرِيٌّ ، وَلَا مَقْعِدٌ .

وَقَدْ يَبْلُغُ بِاللِّينِ مَا لَا يَبْلُغُ بِالْفِلْظَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الرِّيَّاحَ تَهْوُونَ ^(٧) أَصْوَاتُهَا فَيَتَدَاخَلُ لَهَا ^(٨) الشَّجَرُ ، وَتُسْتَعْطَفُ الْأَفْتَانُ وَالْأَغْصَانُ ، وَفِي الْفَرْطِ ^(٩) تَنْكَسِيرُ الْأَغْصَانِ ؟ وَالْمَاءُ يَلِينُ فِي أَصُولِ الشَّجَرِ يَقْلَمُهَا مِنْ أَصْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَّةُ مَعَ صُعُوبَتِهَا وَسُمُهَا وَتَعْيِيهَا فِي جُحْرِهَا تَرْقَى بِالْكَلَامِ حَتَّى تُسْتَعْطَفَ فَتَخْرُجَ ، فَالْإِنْسَانُ أُخْرَى أَنْ يُسْتَمَالَ يَلِينُ الْقَوْلُ وَحُسْنُ الْمَنْطِقِ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْ يَسِئٍ إِلَيْكَ فَكَافِهِ بِكُلِّ كَلِمَةٍ سُوءٍ قَالَهَا ^(١٠) كَلِمَةً جَمِيلَةً وَحَسَنَ نَتَاءٍ عَلَيْهِ .

(١) في « م » : « واتباعه وحشمه » .

(٢) أخلق بخصلة .. الخ يعني : جدير بهذه الخصلة أن تُثْفِرَ الأتباع والأنصار ، وتجعلهم يُعرضون عنه .. ويقال : أخلق به ، وما أخلقه أن يفعل كذا ، أى : ما أخدزه وأولاه .

(٣) قَمَنَ بِكُلِّ سُلْطَانٍ .. الخ .. أى : جدير بكل حاكم أن يتخصَّن من سوء عاقبتها .

(٤) في « ط » : « وَلْيَكُنْ » .

(٥) سورة الشعراء - الآية ٢١٥ .. واخفض جناحك ، أى : إِنْ جَايَبَكَ وتواضع .

(٦) دَلَّ الْأَثَرُ ، يعنى : هذا الخبر المروى .. ولا بايئهم ، أى : ولا خالفهم .. وفى « ط » : « ولا فاقهم » . وهى بمعناها .

(٧) تَهْوُونَ أَصْوَاتُهَا : تصير خفيفة هيئة .. وفى « م » : « تهول » باللام ، أى : تصير مخيفة مُفْرِغَةً .. وهذه لا تصح ، والأولى هى المناسبة للمقام .

(٨) في « م » : « بها » بدل « لها » .

(٩) الْفَرْطُ : تجاوز الحد .. ويعنى به : اشتداد الرياح وتجاوز حدها فى الشدة .

(١٠) في « م » : « بكل كلمة قالها جميلة » .

وَالْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ، فَإِذَا قِيلَ لَنَا : كَيْفَ يُشَاوِرُهُمْ وَهُوَ نَبِيُّهُمْ وَإِمَامُهُمْ ، وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ مُشَاوَرَتُهُ ، وَأَنْ لَا يَفْصِلُوا أَمْرًا دُونَهُ ؟ قُلْنَا : هَذَا أَدَبُ أَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ نَبِيُّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) بِهِ ، وَجَعَلَهُ مَادَّةً لِسَائِرِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ ، لِمَا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِي الْمَشَاوَرَةِ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ الْجَلِيسِ ، وَمُسَاهَمَتِهِ فِي الْأُمُورِ ، فَإِنْ نَفُوسَ الْجُلَسَاءِ وَالنُّصَحَاءِ وَالْوُزَرَءِ تُصْلَحُ عَلَيْهِ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَتُخَضَّعُ عَنَوَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، شِرْعَةً لِتَبِيِّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) ، وَلَذِيذُ الْإِمْرَةِ ^(٣) مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٤) ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ فِي غَزْوَةٍ ^(٥) فَأَمَرَهُمْ بِالْتَّزُّولِ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ هَذَا بِأَمْرِكَ فَسَمِعَ وَطَاعَةً ، وَإِنْ كَانَ ^(٦) غَيْرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِمَنْزِلٍ . فَسَمِعَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : ارْتَحِلُوا .

(١) هكذا في م .. وقد كرر الناسخ الجار والمجرور به .. وفي ط : : أدب الله تعالى نبيه عليه السلام .

(٢) في ط : عليه السلام .. والشرعة : المذهب والطريق المستقيم .

(٣) في م : : الأمر ، أى : الحال والشأن . والإمرة : الإمارة .

(٤) ما بين المعوفتين عن ط : .

(٥) هي غزوة بدر حيث نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزل ، فقال له الحباب بن المنذر (وليس سعدًا كما سيأتي) : يا رسول الله ، أهذا منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدم منه أو نتأخر ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .. فقال الحباب : ليس لك هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أفق ماء من القوم ، ثم ينبى عليه خوَضًا فتملوه ماءً ، فنشرب ولا يشربون (يعنى الكفار) . فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أثرت بالرأى .. وقبل أيضاً نصيحة سعد بن معاذ في الغزوة نفسها حينما أشار ببناء عريش له ، صلى الله عليه وسلم ، لكي يشرف منه على المعركة ويوجهها .. ففعل الرسول بنصيحته وأثنى عليه .. وفي م : : « غزوة تبوك » .. لأعله وهم من الناسخ ، فلم يستشر الرسول (ﷺ) سعدًا في تبوك ، بل استشار عمر بن الخطاب حينما أقام المسلمون مئة عشرين يومًا بها ، ولم يلقوا جموع الروم ، فأشار عمر بالرجوع إلى المدينة ، وعمل الرسول بمشورته .

[انظر غزوات الرسول وسراياه ، لابن سعد ص ١٥ ، وص ١٦٥ ، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ وما بعدها ، وج ٥ ص ٣ وما بعدها ، وصور من حياة الرسول ص ٣٠٨ وما بعدها ، وص ٥٥٦ وما بعدها وغير ذلك من كتب السيرة المشهورة والتاريخ] .

(٦) في م : : يكن .

وَمِنْ أَفْبَحَ مَا يُوصَفُ بِهِ الرِّجَالُ - مُلُوكًا كَانُوا أَوْ سُوقَةً - الِاسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ ، وَتَرْكُ
الْمُشَاوَرَةِ - وَاسْتَعْفِدَ لِلْمُشَاوَرَةِ بَابًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالْحَصْلَةُ الثَّالِثَةُ ، مَا رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
اسْتَعْمِلْنِي ^(١) . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « إِنْ أَلَا لِنَسْتَعْمِلَ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ
أَرَادَهُ » . وَالسَّرُّ فِيهِ : أَنَّ الْوَلَايَاتِ أَمَانَاتٌ ، وَتَصَرَّفُ فِي أَرْوَاجِ الْخَلَائِقِ وَأُمُورِهِمْ ،
وَالسَّرْعُ إِلَى الْأَمَانَةِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا يَخْطُبُهَا مَنْ يُرِيدُ أَكْلَهَا ، وَإِذَا ^(٣) اتَّجَمَعَ
نَحَائِنٌ عَلَى مَوْضِعِ الْأَمَانَاتِ كَانَ كَاسْتِزْعَاءٍ ^(٤) الذَّنْبِ عَلَى الْعَنَمِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْحَصْلَةِ
تَفَسَّدَتْ قُلُوبُ الرِّعَايَا عَلَى مُلُوكِهَا ، لِأَنَّهُ إِذَا اِهْتَضَمَّتْ حُقُوقُهُمْ ، وَأُكِلَتْ أُمُورُهُمْ ،
فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ، وَأُطْلِقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالِدَّعَاءِ وَالتَّشْكِيِّ ، وَذَكَرُوا سَائِرَ الْمُلُوكِ بِالْعَدْلِ
وَالِإِحْسَانِ ، فَكَانُوا كَالنِّيَبِ السَّائِرِ الَّذِي أُنْشَدْنَاهُ ^(٥) :

وَرَأَى الشَّيْءَ يَحْمِي الذَّنْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الرُّعَاةُ لَهَا ذِمَّاتٌ ^(٦)

فَإِذَا ^(٧) نَحَانَ أَهْلُ الْأَمَانَاتِ ، وَفَسَدَ أَهْلُ الْوَلَايَاتِ ، كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ ^(٨) :
بِالْمِلْحِ يُصْلَحُ مَا يُخْشَى تَغْيِيرُهُ فَكَيْفَ بِالْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ الْغَيْرُ ^(٩) ؟
وَقَالَ آخَرُ :

(١) فِي (م) : « اسْتَعْمِلْنِي عَلَى عَمَلٍ » .

(٢) فِي (ط) : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٣) فِي (م) : « فَإِذَا » .

(٤) فِي (م) : « كَانَ كَمَنْ اسْتَرْعَى » .

(٥) فِي (م) : « أُنْشَدْنَاهُ أَوَّلًا » .. وَقَدْ مَرَّ الْبَيْتُ فِي الْبَابِ الثَّالِثِ .

(٦) الشُّطْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، فِي الْبَابِ الثَّالِثِ : « فَكَيْفَ إِذَا الذَّلَالُ لَهَا رِعَاءٌ » .

(٧) فِي (م) : « وَإِذَا » .

(٨) فِي (م) : « كَمَا قِيلَ » .

(٩) الْغَيْرُ : الْأَحْوَالُ وَالْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

ذَنبٌ تَرَاهُ مُصَلِّياً فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رَكَعٌ ^(١)
يَدْعُو وَجُلُّ دُعَائِهِ مَا لِلْقَرِيسَةِ مَا تَقَعُ ^(٢)
عَجَلُ بِهَا يَاذَا الْعَلَا إِنَّ الْفَوَادَ قَدِ انْصَدَعُ ^(٣)

وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ التَّصَدَّى لِلْأَمَانَةِ ، وَخُطْبَةُ الْوِلَايَةِ . وَرَوَى ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَكُونَ الزُّكَاةُ مَقْرَماً ، وَالْأَمَانَةُ
مَقْتَمًا » ^(٦) . فَجِئْتِيذُ . يَدْعُو عَلَيْهِ الضَّعِيفُ وَأَهْلُ الصَّلَاحِ ، وَيَقْعُدُ لَهُ بِالْمَرَاصِدِ ^(٧)
الشَّرِيرُ ، وَيُخَايَرُ عَلَيْهِ الْقَوِيُّ ^(٨) ، وَيَقْبَحُ ثَنَاؤُهُ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ ، وَيَتَمَنُّونَ الرَّاحَةَ مِنْهُ ،
وَيَنْظُرُونَ مَنْ يَصْلُحُ لَهَا ^(٩) سِوَاهُ .

* * *

-
- (١) في « م » : « خَلُوتَ بِهِ » بدل « مَرَرْتَ بِهِ » .
(٢) وَجُلُّ دُعَائِهِ : مُعْظَمُ دُعَائِهِ .. وفي « م » : « دُعَاهُ » .. ولا يستقيم بها الوزن .
(٣) انْصَدَعُ : انْشَقَّ .. وفي « م » : « انْشَطَعَ » .
(٤) في « م » : « رَوَى » .
(٥) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .
(٦) أخرجه الترمذى في أبواب الفتن ، عن أبي هريرة ، مُجْتَزِئاً من حديث طويل ، أوله : « إِذَا أَخَذَ الْقَوْمُ
ذُولاً ، وَالْأَمَانَةُ مَقْتَمًا ، وَالزُّكَاةُ مَقْرَماً فليوتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ... » .
[انظر صحيح الترمذى ج ٩ ص ٥٩] .
(٧) وَيَقْعُدُ لَهُ بِالْمَرَاصِدِ ، أى : يجلس له على الطريق يرقبه (لكى يحميه) .. والمراد : جمع مَرَصَدٍ ، وهو طريق
الرَّصِيدِ والارتقَاب .
(٨) يُخَايَرُ عَلَيْهِ الْقَوِيُّ : يستتره ويحميه من الناس .
(٩) لها : للولاية .

البَابُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ ^(١) الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُ السُّلْطَانِ ، وَلَايَاتُ لَهُ دُونَهَا

فَأَوَّلُ الْخِصَالِ وَأَحْفَهَا بِالرَّعَايَةِ الْعَدْلُ الَّذِي هُوَ قَوَامُ الْمُلْكِ ^(٢) ، وَدَوَامُ الدُّوَلِ ،
وَأَسُّ ^(٣) كُلِّ مَمْلَكَةٍ ، سَوَاءُ كَانَتْ نَبَوِيَّةً أَوْ إِصْلَاحِيَّةً .. اعْلَمْ - أَرَشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَمَرَ بِالْعَدْلِ ، ^(٤) ثُمَّ عَلَّمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ لَيْسَ كُلُّ النَّفْسِ يُصْلَحُ عَلَى الْعَدْلِ ، بَلْ
يُطَلَّبُ الْإِحْسَانُ ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَدْلِ ^(٥) ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
ذِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٦) . فَلَوْ وَسِعَ الْخَلْقَ الْعَدْلُ مَا قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ^(٧) الْإِحْسَانَ ، فَمَنْ لَمْ يَصْلَحْ
حَتَّى يُزَادَ عَلَى الْعَدْلِ ، كَيْفَ يَصْلَحُ إِذَا لَمْ يَتْلَعْ بِهِ الْعَدْلُ ؟ .

وَالْعَدْلُ يُمِيزُ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٨) فِي الْأَرْضِ ، الَّذِي بِهِ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ،

(١) في م م : في معرفة .

(٢) قَوَامُ الْمُلْكِ : عِمَادُهُ وَنِظَامُهُ .

(٣) في م م : « وَأَسَاسٌ » .. وَالْأَسُّ وَالْأَسَاسُ وَاحِدٌ .

(٤) في م م : « الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ » .

(٥) فوق العدل ، أي : يعلو عليه .. ويعلوها في م م : « قَالَ تَعَالَى » .

(٦) سورة النحل - من الآية ٩٠ .

(٧) في م م : « مَا قَرَنَ بِهِ » .

(٨) ما بين المعقوفين عن م م .

وَلِلْمُحِقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ ، وَلَيْسَ مَوْضِعُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ فَقَطْ ، بَلْ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالرَّعِيَّةِ
أَيْضًا ، فَمَنْ أَرَادَ مِيزَانَ اللَّهِ الَّذِي وَضَعَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَحْطِ اللَّهِ
تَعَالَى .

وَأَعْلَمَ أَيُّهَا الْوَالِي ^(١) أَنَّ الْمُلْكَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ ، فَرَأْسُهُ أُنْتُ ^(٢) ، وَقَلْبُهُ وَزِيرُكَ ، وَيَدَاهُ
أَعْوَانُكَ ، وَرِجْلَاهُ رَعِيَّتُكَ ، وَرُوحُهُ عَدْلُكَ ، وَمَا بَقَاءُ جَسَدٍ بِلَا رُوحٍ ، وَإِذَا أَرَدْتَ ذِرْوَةَ
الْعَدْلِ فَأَعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ : كَبِيرٌ ، وَصَغِيرٌ ^(٣) ، وَوَسَطٌ .. فَاجْعَلْ كَبِيرَهُمْ
أَبًا ، وَوَسَطَهُمْ أَحَا ، وَصَغِيرَهُمْ ابْنًا ^(٤) ، فَبِرُّ أَبَاكَ ، وَكَرِيمُ أَخَاكَ ، وَارْحَمِ ابْنَكَ ^(٥) ،
فَإِنَّكَ وَاصِلٌ بِذَلِكَ إِلَى بِرِّ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ عَدْلَ ^(٦) الْمَلِكِ يُوجِبُ الْاجْتِمَاعَ عَلَيْهِ ، وَخَوْرَهُ يُوجِبُ الْافْتِرَاقَ عَنْهُ ..
عَدْلُ ^(٧) الْمَلِكِ حَيَاةُ رَعِيَّتِهِ . وَفِي مَثَوِي الْحِكْمِ : سُلْطَانُ جَائِرٍ أَرْبَعِينَ عَامًا ^(٨) خَيْرٌ مِنْ
رَعِيَّةٍ مُهْمَلَةٍ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّهَارِ .. إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ ^(٩) فِيمَا قَرَبَ مِنْهُ صَلَاحٌ لَهُ
مَابَعْدَ عَنْهُ .. فَضْلُ الْمُلُوكِ فِي الْإِعْطَاءِ ، وَشَرَفُهَا فِي الْعَفْوِ ، وَعِزُّهَا فِي الْعَدْلِ .. عِدَّةُ
السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ : مُشَاوَرَةُ النُّصَحَاءِ ، وَتَبَاثُ نِيَّاتِ الْأَعْوَانِ ، وَإِقَامَةُ سُوقِ الْعَدْلِ ..
أَفْضَلُ الْأَرْزَمَةِ أَرْزَمَةُ أُمَّةِ الْعَدْلِ .

(١) في « م » : « أَيُّهَا الْمَلِك » .

(٢) مكانًا في « ط » .. وفي « م » وقع اضطراب في هذه الجملة من الناسخ ، إذ وضع كلمات مكان أخرى ، فلم
يسقم المعنى .

(٣) في « م » : « صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ » .

(٤) في « م » : « وَلَدًا » .

(٥) في « م » : « وَلَدًا » .

(٦) في « م » : « عِنْدَكَ ، بَدَلُ عَدْلٍ » تحريف .

(٧) في « م » : « وَعَدْلٌ » .

(٨) في « م » : « مِثْقَلٌ » .

(٩) في « م » : « إِذَا صَلَحَ الْمَلِكُ » .

ثُمَّ الْعَدْلُ يَنْقَسِمُ فِئَتَيْنِ : فِئَتَهُ (١) إِلَهِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] (٢) عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِي مَا يَشِبُّ الْعَدْلَ ، وَهُوَ السِّيَاسَةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ (٣) الَّتِي هَرَمَ عَلَيْهَا الْكَبِيرُ ، وَنَشَأَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ . وَبَعِيدٌ أَنْ يَتَقَى سُلْطَانٌ ، أَوْ تَسْتَقِيمَ رَعِيَّةٌ فِي حَالِ إِيْمَانٍ أَوْ كُفْرٍ بِلَا عَدْلٍ قَائِمٍ ، وَلَا تَرْتَبُ لِلْأُمُورِ ثَابِتٌ ، فَذَلِكَ مَا لَا يَجُوزُ وَلَا يُمَكِّنُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] (٤) سَلَبَ مُلْكُهُ حِينَ جَلَسَ الْخَصَمَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ لِأَحَدِهِمَا خَاصَّةٌ بِسُلَيْمَانَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَدِدْتُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِخَاصَّتِي (٥) فَأَقْضَى لَهُ ، فَسَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكُهُ ، وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ عَلَى كُرْسِيِّهِ . فَاجْعَلِ الْعَدْلَ رَأْسَ سِيَاسَتِكَ فَتَسْقُطَ عَنْكَ جَمِيعُ الْآفَاتِ الْمُفْسِدَةِ لِلْسِّيَاسَةِ ، وَتَقُومَ لَكَ جَمِيعُ الشَّرَائِطِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْمَمْلَكَةُ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ (٦) . وَأَسَدٌ خَطُومٌ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ ظَلُومٍ (٧) . وَسُلْطَانٌ ظَلُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ (٨) : إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَادِلًا فَلَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْكَ الشُّكْرُ ، وَإِنْ كَانَ جَائِرًا فَقَلْبُهُ الْوِزْرُ وَعَلَيْكَ الصَّبْرُ .. وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ يَخْرُزَانِ الْمُلْكَ . وَاتَّفَقَ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَقَالُوا : الْمُلْكُ بِنَاءٌ ، وَالْجُنْدُ أُسَاسُهُ ، فَإِذَا قَوِيَ الْأَسَاسُ دَامَ الْبِنَاءُ ، وَإِنْ ضَعُفَ الْأَسَاسُ انْهَارَ الْبِنَاءُ .

(١) سقطت « فِئَتَهُ » من « م » .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) الإصلاحية : التي تأتي بما هو نافع ، وتزيل الفساد .. وفي « م » : « الاصطلاحية » . وتعني : ما اتفقوا وتعارفوا عليها .. وهرم عليها : كبر وضئف .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) في « م » : « لصاحبي » .

(٦) مطر وابل : شديد القطر .

(٧) أسد خطوم : عنيف ، يأتي على كل شيء .. وسُلْطَانٌ ظَلُومٌ : جَارٌ وَجَلَّوَزٌ الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ .

(٨) هو : الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود .. وقد مرت ترجمته .

فَلَا سُلْطَانَ إِلَّا بِجُنْدٍ ، وَلَا جُنْدَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا مَالَ إِلَّا بِجِبَايَةٍ ، وَلَا جِبَايَةَ إِلَّا بِعِمَارَةٍ ، وَلَا عِمَارَةَ إِلَّا بِعَدْلٍ . فَصَارَ الْعَدْلُ أَسَاسًا لِسَائِرِ الْوَلَايَاتِ ^(١) .

فَأَمَّا الْعَدْلُ النَّبَوِيُّ [فَجُمْلَةُ الْقَوْلِ فِيهِ] ^(٢) أَنْ يَجْمَعَ السُّلْطَانُ إِلَى تَفْسِيهِ حَمَلَةَ الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ حِفَاطُهُ وَرِعَايَتُهُ وَفَقْهَاهُ ، وَهُمْ الْأِدْلَاءُ ^(٣) عَلَى اللَّهِ [تَعَالَى] وَالْقَائِمُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ، وَالنَّاصِحُونَ لِعِبَادِ اللَّهِ . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] قَالَ : « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

فَاتَّخَذَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعُلَمَاءَ شِعَارًا ، وَالصَّالِحِينَ دِنَارًا ^(٥) ، فَتَدَوَّرَ الْمَمْلَكَةُ بَيْنَ نَصَائِحِ الْعُلَمَاءِ ، وَدَعَوَاتِ ^(٦) الصَّالِحَاءِ ، وَأَخْلَقَ بِمُلْكٍ يَدُورُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ أَنْ تَقُومَ عُمُدُهُ ^(٧) ، وَيَطُولَ أَمْدُهُ ، وَكَيفَ لَا وَقَدْ قَرَّبَهُمُ ^(٨) اللَّهُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَاصْطَفَاهُمْ بِخَالِصِ مَعْرِفِهِ ، فَقَالَ ، جُلٌّ مِنْ قَائِلٍ : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ » ^(٩) ، فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ ، وَتَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ ، وَتَلَّتْ بِأُولَى الْعِلْمِ ، وَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] ^(١٠) الْمُؤَقَّقُونَ عَنِ اللَّهِ [تَعَالَى] ، لِأَنَّ

(١) هكذا في م .. م .. وفي ط : : « الأساسات » بدل « الولايات » .

(٢) ما بين المعقوفين عن م .. م .. وساقط من ط : : « ما بين » ، فأن : مكان « أن » .

(٣) الأدلء : جمع ذليل ، وهو المرشيد . وما بين المعقوفين - بعدما - عن ط : .

(٤) ما بين المعقوفين عن م .. م .. في الموضعين .

(٥) الشعار : ما ولي الجسد من الكياب ، وهو كناية عن شدة الالتصاق والقرب .. والدثار : ما يتدنثر به الإنسان من كساء أو غيره ، ويُنسَفُ فوق الشعار .. وفي حديث الأنصار ، قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أنتم الشعار والثناس الدثار » أي : أنتم الخاصة والبطانة ، تصفهم ، صلى الله عليه وسلم بالموثقة والقرب .

(٦) في م : : « ودعوة » .

(٧) في م : : « يقوم عُمُدُهُ » .

(٨) في م : : « وقد قرَّبَهُم » .

(٩) سورة آل عمران - من الآية ١٨ .

(١٠) ما بين المعقوفين عن ط : في الموضعين .

الْأَنْبِيَاءَ ^(١) لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ ، فَقَبِلُوا تَعْظِيمَهُمْ وَتَقْرِيبَهُمْ
 امْتِنَالًا لِأَمْرِ ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَعْظِيمَ لِمَنْ أُنْتَى اللَّهُ عَلَيْهِ . وَيَجِبُ تَرْفِيعُ مَجَالِسِهِمْ ،
 وَتَمْيِيزُ مَوَاضِعِهِمْ عَنْ سِوَاهُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۝ ﴾ ^(٣) . وَفِيهِ اسْتِمَالَةُ قُلُوبِ الرِّعْيَةِ ، وَخُلُوصُ نِيَّاتِهِمْ لِسُلْطَانِهِمْ ،
 وَاجْتِمَاعُهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ [وَتَوْفِيرِهِ] ^(٤) ، فَوَاجِبٌ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ لَا يَقْطَعَ أَمْرًا دُونَهُمْ ،
 وَلَا يَفْصِلَ حُكْمًا إِلَّا بِمُشَاوَرَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ فِي مُلْكِ اللَّهِ يَحْكُمُ ، وَفِي شَرِيعَتِهِ يَتَصَرَّفُ ،
 وَأَقْلُ الْوَاجِبَاتِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَنْزِلَ نَفْسُهُ مَعَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَلَا يَتَّخِذَ مَعَهُ ، أَلَيْسَ إِذَا خَالَفَ
 وَآلِيَهُ أَمْرُهُ وَمَا رَسَمَهُ لَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ عَزَلَهُ وَعَاقَبَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتُهُ ؟ وَإِذَا امْتَنَلَ
 أَوَامِرَهُ ، وَازْدَجَرَ مِنْ زَوَاجِرِهِ حَلَّ مِنْهُ مَحَلُّ الرِّضَاءِ ؟ فَوَاعَجِبَا لِمَنْ يَغْضَبُ عَلَى وَآلِيهِ
 إِذَا خَالَفَهُ ، ثُمَّ لَا يَخَافُ سَطْوَةَ رَبِّهِ عَلَيْهِ إِذَا خَالَفَهُ !

فَهَذِهِ طَرِيقُ إِقَامَةِ الْعَدْلِ الشَّرْعِيِّ ، وَالسِّيَاسَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْجَامِعَةِ لِرُجُوعِهِ الْمَصْلَحَةِ ،
 الْآخِذَةِ لِزِمَةِ التَّنْذِيرِ ^(٥) ، السَّالِمَةِ مِنَ الْعُيُوبِ ، الْمُتَّيِّنَةِ لِاسْتِقَامَةِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ . وَكَمَا
 أَنَّ الْمَلِكَ الْحَاظِمَ لَا يَتِمُّ حَزْمُهُ إِلَّا بِمُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَنْخِيَارِ ، كَذَلِكَ لَا يَتِمُّ عُدْلُهُ إِلَّا
 بِاسْتِيفَاءِ الْعُلَمَاءِ الْأَبْرَارِ ، وَقَدْ وَقَعَ الْمَأْمُونُ فِي قِصَّةِ مُتَطَلِّمٍ مِنْ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ ^(٦) :
 « يَا عَمْرُو ، اغْمُرْ نِعْمَتَكَ بِالْعَدْلِ ، فَإِنَّ الْجَوْرَ يَهْدِمُهَا » .

(١) في م : : عليهم السلام .

(٢) في م : : امتثال أمر الله .

(٣) سورة المجادلة - من الآية ١١ .

(٤) ما بين المعقوفين عن م : وساقط من ط .

(٥) في م : : « الأخذ » بدل « الآخذة » تحريف .. وَأَزِمَةُ التَّنْذِيرِ : مِلَاكُهَا وَقَرَامُهَا ، جَمْعُ زِمَامٍ .

(٦) هو : عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ صَوْلٍ ، أَبُو الْفَضْلِ الصُّوْلِيُّ ، وَزِيرُ الْمَأْمُونِ ، وَأَحَدُ الْكُتَّابِ الْبُلْغَاءِ ، كَانَ
 يُوقَعُ بَيْنَ يَدَيْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبِزْمَكِيِّ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ ، فَرَفَعَ مَكَاتِهِ وَأَغْنَاهُ .. وَكَانَ جَوَادًا مُمَدِّحًا
 نَبِيلًا .. تَوَلَّى فِي أَدْنَى (أَطْنَى) بَيْتَرَكِيَا سَنَةَ ٢١٧ هـ .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٥ - ٤٧٨ ، والأعلام ج ٥ ص ٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٠٣ ،
 ٢٠٤ ، ومعجم الأديباء ج ١٦ ص ١٢٧ - ١٣١ وفيه : أن وفاته كانت سنة ٢١٤ هـ] .

وَفِي إِشَاعَةِ الْعَدْلِ قُوَّةُ الْقَلْبِ ^(١) ، وَطَبِيبَةُ النَّفْسِ ، وَلُزُومُ الْيَقِينِ ، وَأَمَانٌ مِنَ الْعَدُوِّ .
وَلَمَّا اسْتَأْذَنَ الْهَرَمَزَانُ ^(٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ حَاجِبًا
وَلَا بَوَابًا ، فَقِيلَ لَهُ : هُوَ فِي الْمَسْجِدِ . فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ مُسْتَلْقِيًا مُتَوَسِّدًا كَرُومًا مِنْ
الْحَصْبَاءِ ^(٣) وَدِرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : عَذْلَكَ فَأَمِنْتَ فِيمَنْتَ .. وَقَالَ الْحَسَنُ : رَأَيْتُ
عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ جَمَعَ الْحَصْبَاءَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ^(٤) عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَقَدْ وَضَعَ أَحَدَ جَانِبَيْ رِدَائِهِ ^(٥) عَلَيْهِ ، وَهُوَ يُؤَمِّدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَا عِنْدَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَدِرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ .. وَكَتَبَ عَامِلُ حِمَصَ ^(٦) إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ : أَنَّ مَدِينَةَ حِمَصَ قَدْ تَهَدَّمَتْ وَاحْتَاجَتْ إِلَى إِصْلَاحٍ ^(٧) . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ :
حَصَّنَهَا بِالْعَدْلِ ، وَتَقَيَّ طُرُقَهَا مِنَ الْجَوْرِ ، وَالسَّلَامُ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَنْ حُرِمَ الْعَدْلَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ ، وَلَا خَيْرَ لِلنَّاسِ فِي سُلْطَانِهِ ^(٨) .
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ ^(٩) : مَا شِئْتُ الْمَأْمُونُ فِي بُسْتَانٍ ، وَالشَّمْسُ عَنْ يَسَارِي وَالْمَأْمُونُ

(١) لِي « م » : « قوام القلب » .

(٢) هو : ثُرْملة تَمْلِكُ « نَحْرُوسْتَان » .. جِيءَ بِهِ أُسِيرًا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي مَنْزِلُهُ ،
فَمَالَزَ الْمُؤَكَّلَ بِهِ « بِالْهَرَمَزَانِ » يَقْضِي أَمْرَ عُمَرَ حَتَّى عَمِرَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ نَائِمًا مُتَوَسِّدًا دِرَّتُهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ
« الْهَرَمَزَانُ » قَالَ : « هَذَا - وَاللَّهِ - الْمَلِكُ الْهَنِيُّ » ، عَذْلَكَ فَأَمِنْتَ فِيمَنْتَ ! وَاللَّهِ ، إِلَى قَدْ خَدَعْتُ أَرْبَعَةَ مِنْ مُلُوكِ
الْأَكْسَرَةِ أَصْحَابِ التَّيْجَانِ ، لَمَّا جِئْتُ أَحَدًا هِنِي لِمُصَاحِبِ هَذِهِ الدُّرَّةِ . وَلَمَّا أَسْلَمَ ، سَمَّاهُ عُمَرَ « عُرْفُطَةُ ذُو
الْأَلْبَةِ » .. قُتِلَ يَوْمَ مَقْتَلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سَنَةَ ٢٣ هـ .. قَتَلَهُ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ هُوَ
وَبَنَتْ أُمِّي لَوْلَاةُ الْجُوسَى - الَّذِي طَعَنَ عُمَرَ - وَجُفَيْتُهُ (رَجُلٌ أَعْجَمِي) .

[انظر المعارف لابن قُتَيْبَةَ ص ١٨٧ و ٤٢١ ، وَثَمَارُ الْقُلُوبِ لِلْعَالِمِيِّ ص ٨٦] .

(٣) فِي « م » : « الْحَصَاءُ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ .. وَالْحَصَا وَالْحَصْبَاءُ : صِغَارُ الْحِجَارَةِ .. وَالْأُورَةُ : السَّوْطُ يُعْتَرَبُ بِهِ .

(٤) لِي « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٥) فِي « م » : « إِحْدَى جَانِبِي رِدَائِهِ » .. وَالْجَانِبُ : الشَّقُّ وَالنَّاحِيَةُ .

(٦) حِمَصُ : مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحَلَبَ .. تُذَكَّرُ وَتُؤَنَّثُ ، وَهِيَ مَمْنُوعَةٌ مِنَ الصَّرْفِ (التَّنْوِينِ) لِلْعِلْمِيَّةِ
وَالْفُعْلَمَةِ .

(٧) لِي « م » : « وَانْتَهَتْ وَاحْتَاجَتْ إِلَى الصَّلَاحِ » .

(٨) لِي « م » : « فَلَا خَيْرَ لَهُ » .. وَسَقَطَتْ كَلِمَةُ « خَيْرٍ » الثَّانِيَةِ مِنْ « ط » .

(٩) يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : قَاضِي قِضَاةِ بَغْدَادَ عَلَى أَهَامِ لِلْمَأْمُونِ ، وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

فِي الظِّلِّ ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَقَعَتِ الشَّمْسُ أَيْضاً عَلَيَّ ، فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ : تَحَوَّلْ مَكَانِي وَاتَّحَوَّلْ مَكَانَكَ حَتَّى تَكُونَ فِي الظِّلِّ كَمَا كُنْتُ ، وَأَقِيلِكَ الشَّمْسَ كَمَا وَقَعَتْ بِي ، فَإِنْ أَوَّلَ الْعَدْلِ أَنْ يَنْدِلَ الرَّجُلُ عَلَى بَطَانَتِهِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّى يَبْلُغَ الْعَدْلُ الطَّبَقَةَ السُّفْلَى ، فَعَزَمَ عَلَيَّ ^(١) فَتَحَوَّلْتُ .

وَكَانَ يُقَالُ : لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ بَقَاءِ مُلْكِ الْغَاصِبِ .. وَقِيلَ لِلْإِسْكَنْدَرِ : لَوْ أَكْثَرْتَ مِنَ النَّسَاءِ حَتَّى يَكْثُرَ نَسْلُكَ وَيَحْيَا ذِكْرُكَ ! فَقَالَ : إِنَّمَا يُحْيِي الذِّكْرَ الْأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ ، وَالسِّيَرَةُ الْحَمِيدَةُ ، وَلَا يَخْسَنُ بِمَنْ يَغْلِبُ الرِّجَالُ أَنْ تَغْلِيَهُ النَّسَاءُ .. وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَنْ اتَّخَذَ الْعَدْلَ سُنَّةً كَانَ لَهُ أَحْسَنُ جُنَّةٍ ^(٢) ، وَمَنْ اسْتَشْعَرَ حُلَّةَ الْعَدْلِ ، اسْتَكْمَلَ زِينَةَ الْفَضْلِ ^(٣) . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ^(٤) : إِنْ الْإِمَامَ الْعَادِلَ لَيْسَتْكَ الْأَصْوَاتُ عَنِ اللَّهِ ، وَإِنْ الْإِمَامَ الْجَائِرَ لَتَكْثُرَ مِنْهُ الشَّكَايَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ الْحَكِيمُ : لَا يَزَالُ السُّلْطَانُ مُنْهَلًا ^(٥) حَتَّى يَتَخَطَّى إِلَى أَرْكَانِ الْعِمَارَةِ وَمَبَانِي الشَّرِيعَةِ ، فَجِيئَهُ يُرِيحُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٦) مِنْهُ .

وَقَالُوا : لَا تُظْلِمِ الضُّعَفَاءَ فَتَكُونَ مِنَ لِقَامِ الْأَقْوِيَاءِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَمِيرٌ بِلَا

(١) عَزَمَ عَلَيَّ : أَمَرَنِي وَشَدَّدَ عَلَيَّ .

(٢) لِي م : : أَحْصَنَ جُنَّةً . . وَالْجُنَّةُ : كُلُّ مَا وَفَى الْإِنْسَانَ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ .

(٣) لِي م : : رِبَّةُ الْفَضْلِ . . وَالرِبَّةُ : الْمَنْزِلَةُ وَالْمَكَانَةُ .

(٤) هُوَ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودِ الْهَذَلِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - ابْنُ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ مَفْتًى الْمَدِينَةِ ، وَأَحَدَ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ فِيهَا ، وَيُعَدُّ مِنْ أَعْلَامِ التَّابِعِينَ ، لَقِيَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَصَحَّ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَائِشَةَ ، وَغَيْرِهِمْ .. وَهُوَ مُؤَدَّبٌ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. قَالَ عُمرُ : « لَأَنْ يَكُونَ لِي مَجْلِسٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا » .. وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ ثِقَةً عَالِمًا ، فَقِيهًا ، كَثِيرَ الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ بِالشَّعْرِ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، أورد أبو تمام قطعة منه في الحماسة . وأورد أبو الفرج الأصبهاني كثيرًا منه في الأغاني .. توفي - رحمه الله - بالمدينة سنة ٩٨ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١١٥ ، ١١٦ ، وحبلى الأولياء ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وطيقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٢] .

(٥) مُنْهَلًا : نَفَرُوا كَأَنَّهُمْ يَمُجُّونَ بِالْعُقَابِ .. وَفِي « ط » : « مُنْهَلًا » .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ عَنْ « م » .. وَرُيِّعَ اللَّهُ مِنْهُ : بِأَخْذِهِ أَخْذَ غَزِيرٍ مُقْتَدِرٍ ، فَرِيحَ الرِّيحَةِ مِنْ ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ .

عَدْلٍ ، كَعَمِيمٍ بِلَا مَطَرٍ ، وَعَالِمٍ بِلَا وَرَعٍ ، كَأَرْضٍ بِلَا تَبَاتٍ . وَشَابَ بِلَا ثَوْبَةٍ ، كَشَجَرٍ
بِلَا ثَمَرٍ . وَغَنَى بِلَا سَخَاءٍ كَقَفِيلٍ بِلَا مِفْتَاحٍ ^(١) . وَفَقِيرٌ بِلَا صَبْرٍ ، كَسِرَاجٍ ^(٢)
بِلَا ضَوْءٍ . وَامْرَأَةٌ بِلَا حَيَاءٍ ، كَطَعَامٍ بِلَا مِلْحٍ . وَقَالَ كِسْرَى ^(٣) : اتَّفَقَتْ مُلُوكُ الْعَجَمِ
عَلَى أَرْبَعٍ يَحْصَالُ : أَنَّ الطَّعَامَ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا عَلَى شَهْوَةٍ ، وَالْمَرْأَةُ لَا تُنْظَرُ إِلَّا إِلَى
زَوْجِهَا ، وَالْمَلِكُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ .

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِإِجْبَارِ نَفْسِهِ عَلَى الْعَدْلِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ يَعْدِلُهُمْ يَعْدِلُ مَنْ دُونَهُمْ ، وَالَّذِينَ
إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا ^(٤) كَانَ نَافِعًا غَيْرَ مَرْدُودٍ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : زُمْ مَا شِئْتَ بِالْإِنْصَافِ
وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظُّفْرِ بِهِ ^(٥) . وَالظُّلْمُ أَدْعَى شَيْءٌ إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةٍ ، أَوْ تَعْجِيلِ نِقْمَةٍ .
وَقَالَ الْحَكِيمُ : شَرُّ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ الذُّنْبُ بَعْدَ الذُّنْبِ ، وَشَرُّ مِنْ هَذَا ^(٦) الْعُدُونُ عَلَى
الْعِبَادِ . وَمَتَى ارْتَادَ السُّلْطَانُ حُسْنَ الصَّيِّتِ ^(٧) ، وَجَمِيلَ الذِّكْرِ ، فَلْيَقُمْ سَوْقُ الْعَدْلِ ،
وَأِنْ أَحَبَّ الرُّقَى ^(٨) عِنْدَ اللَّهِ وَشَرَّفَ الْمَنْزِلَةَ عِنْدَهُ ، فَلْيَقُمْ سَوْقُ الْعَدْلِ ، وَإِنْ أَحَبَّهَا
جَمِيعًا فَلْيَقُمْ سَوْقُ الْعَدْلِ . وَالَّذِي ^(٩) يَخْلُدُ بِهِ ذِكْرُ الْمُلُوكِ عَلَى غَايِرِ الدُّهُورِ ، عَدْلٌ
وَاضِحٌ ، أَوْ جَوْرٌ فَاضِحٌ ، هَذَا يُوجِبُ لَهُ الرَّحْمَةَ ، وَهَذَا يُوجِبُ لَهُ اللَّعْنَةَ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « كَقَفِيلٍ بِلَا مِلْحٍ » وستأتي بعد ذلك عند قوله : « كَطَعَامٍ بِلَا مِلْحٍ » حيث
سقطت الجملتان منها ، سهواً من الناسخ .

(٢) السراج : البصباح .

(٣) هو : كِسْرَى أَبُو شَيْرَوَانَ بْنِ قَبَادٍ ، من ملوك العجم ، ومُضْطَرَبٌّ به المثل في العدل ، وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي زَمَانِهِ ، لَتَمَعَ سِتْنِ عَشْرَتٍ مِنْ مُلْكِهِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَخِرُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : « وَلِدْتُ فِي زَمَنِ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ » .. وَكَانَ سَائِرُ الْأَكَاْسِرَةِ ظَلَمَةً فَجَرَةً .. ظَلَّ مُلْكُهُ قَاتِلًا سِيعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ .

[انظر المعارف ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، وثمار القلوب ص ١٧٨ ، ١٧٩] .

(٤) في « م » : « قَالُوا فَعَلُوا » بدون « أَوْ » .

(٥) زُمْ : أَطْلُبُ .. زَعِيمٌ : كَقَفِيلٍ .. الظُّفْرُ : الْقَوَازِ .

(٦) في « م » : « وَشَرُّ مِنْهُ » .

(٧) في « م » : « بَعْدَ الصَّيِّتِ » والصَّيِّتُ : الذِّكْرُ الْحَسَنُ .

(٨) الرُّقَى : الْقُرْبَى وَالْمَنْزِلَةُ .

(٩) في « م » : « الَّذِي » بدون عطف ، والسياق يستدعيه .

(فصل)

فَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْعَدْلِ ، وَهُوَ السِّيَاسَةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ ^(١) ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهَا عَلَى الْجَوْرِ فَيَقُومُ بِهَا أَمْرُ الدُّنْيَا ، وَكَانَ تَشَاكُلُ مَرَاتِبِ الْإِنصَافِ ^(٢) عَلَى نَحْوِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مُلُوكُ الطُّوَرِ فِي أَيَّامِ الْفُرْسِ ، وَكَانُوا كُفَّارًا بِاللَّهِ تَعَالَى ، يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَالتَّنِيرَانَ ^(٣) ، وَيَتَّبِعُونَ هَوَاجِسَ ^(٤) الشَّيْطَانِ ، فَوَضَعُوا ^(٥) بَيْنَهُمْ سُنَّةً ، وَأَسَّسُوا لَهُمْ أَحْكَامًا ، وَأَقَامُوا لَهُمْ مَرَاتِبَ فِي النَّصْفَةِ ^(٦) بَيْنَ الرُّعَايَا ، وَاسْتَجَبَاءِ الْخَرَاجَاتِ ، وَتَوْظِيفِ الْمَكُوسِ ^(٧) عَلَى التَّجَارَاتِ ، كُلُّ ذَلِكَ بِعَقُولِهِمْ عَلَى وَجْهِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، وَلَا نَصَبَ عَلَيْهَا مِنْ بَرَهَانٍ ^(٨) ، يَبْدُ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ، صَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ ، مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩) ، فَمِنْهَا

(١) لى م : : الاصطلاحية .

(٢) لى م : : وكأنه تشاكل مراتب الإنصاف .. تشاكل : يشابه ومماثل .

(٣) هكذا لى م : : .. ولط : : كفارًا يعبدون النيران .

(٤) الهواجس : كل ما يخطر بالبال من خواطر ووسوس .

(٥) لى م : : : فوضعوا أى : فاتفقوا على وضع .. والسنة : الطرائق والأخلاق ، جمع سنة .

(٦) النصفة : الإنصاف .

(٧) استجباء الخراج : جمعه .. والمكوس : الضرائب .

(٨) لى م : : : ولا نصب عليها برهاناً أى : ولا أقام عليها دليلاً .

(٩) لى م : : : نبيه صلى الله عليه وسلم صاحب المعجزة .

مَا أَقْرَبَهُ فِي نَصَابِهِ ^(١) ، وَمِنْهَا مَا نَسَخْتُهُ وَأَبْطَلْتُ حُكْمَهُ ، فَعَادَتِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ إِلَى أَمْرِ ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُكْمُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ ، وَيَبْطُلُ مَا سِوَاهُ .

وَكَانَ مُلْكُهُمْ مَحْفُوظًا بِرِعَايَاتِهِمْ لِلْقَوَانِينِ ^(٣) الْمَالُوفَةِ بَيْنَهُمْ ، فَانْقَطَعَ بِذَلِكَ خَبَلُ الْهَمَلِ ^(٤) ، فَكَانُوا ^(٥) يُقِيمُونَ بِهَا وَاجِبَ الْحُقُوقِ ، وَيَتَعَاظُونَ بِهَا مَا لَهُمْ وَ [مَا] عَلَيْهِمْ ، وَمِنْ هَذَا ^(٦) كَانَ يُقَالُ : إِنَّ السُّلْطَانَ الْكَافِرَ الْحَافِظَ لِشُرَائِطِ السِّيَاسَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ ^(٧) أَبْقَى وَأَقْوَى مِنَ السُّلْطَانِ الْمُؤْمِنِ الْعَدْلِ فِي نَفْسِهِ ، الْمُضَيِّعَ لِلْسِّيَاسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْعَدْلِيَّةِ ، وَالْجَوْرَ الْمُتْرَبَّ أَبْقَى مِنَ الْعَدْلِ الْمُهْمَلِ ، إِذْ لَا شَيْءَ أَصْلَحَ لِأَمْرِ السُّلْطَانِ مِنْ تَرْتِيبِ الْأُمُورِ ، وَلَا شَيْءَ أَفْسَدَ لَهُ مِنْ إِهْمَالِهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ دِرْهَمًا يُؤْخَذُ مِنَ الرَّعِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْإِهْمَالِ وَالْخُرْقِ ^(٨) - وَإِنْ كَانَ عَدْلًا - أَفْسَدَ قُلُوبَهَا ^(٩) مِنْ عَشْرَةِ ثَوَاقِدَ مِنْهَا سِيَاسَةً عَلَى زِمَامٍ مَعْرُوفٍ ، وَرَسْمٍ مَالُوفٍ ، وَإِنْ كَانَ جَوْرًا ، فَلَا يَقُومُ السُّلْطَانُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَلَا لِأَهْلِ الْكُفْرَانِ ^(١٠) إِلَّا بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ النَّبَوِيِّ ، وَمَا يُشْبِهُ الْعَدْلَ مِنَ التَّرْتِيبِ الْإِصْطِلَاحِيِّ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ ^(١١) : الْمُلُوكُ ثَلَاثَةٌ : مَلِكٌ دِينٍ ، وَمَلِكٌ حَزْمٍ ، وَمَلِكٌ هَوَى ..

(١) في د م : « مَا أَقْرَبُهُ فِي نَصَابِهِ » . والنَّصَابُ : الْأَصْلُ .

(٢) في ط : « إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » .

(٣) في د م : « بِرِعَايَاتِهِمُ الْقَوَانِينِ » .

(٤) الْهَمَلُ : الْإِهْمَالُ .. وفي د م : « الْهَمَلُ » أَيْ : التَّخْلُفُ فِي الْخَيْرِ . وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ .

(٥) في د م : « وَكَانُوا » .

(٦) في د م : « وَعَنْ هَذَا » وَسَقَطَتْ « إِنْ » بَعْدَهَا . وَ [مَا] زِيَادَةٌ لَمْ تَرِدْ فِي د م وَ ط .

(٧) في د م : « الْإِصْلَاحِيَّةِ » .

(٨) الْخُرْقُ ، بَضْمُ الْحَاءِ لِلْمَعْجَةِ : الْجَهْلُ وَالْحُمُوقُ .

(٩) في د م : « أَفْسَدَ قُلُوبَهَا » .

(١٠) في د م : « الْكُفْرُ » بَدَلَ الْكُفْرَانِ .

(١١) هُوَ : عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْفُرْسِ ، وَوُلِدَ فِي الْعِرَاقِ سَنَةَ ١٠٦ هـ . وَكَانَ جَوْسِيًّا ، وَكَانَ اسْمُهُ رُوزِيَّةً قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، وَتَكَتَبَى بِأَنَّى عَمَرُو ، فَلَمَّا أَسْلَمَ تَسَمَّى بِعَبْدِ اللَّهِ ، وَتَكَتَبَى بِأَنَّى عَمَدٍ ، وَأَمَّا الْمُقَفَّعُ - أَبِيهِ - فَاسْمُهُ الْمُبَارَكُ ، وَلَقَّبَ بِالْمُقَفَّعِ لِأَنَّ الْحِجَاجَ ضَرَبَهُ فَخَفَّفَتْ يَدُهُ ، أَيْ تَشَجَّتْ . وَهُوَ مِنْ أُمَّةِ الْكُتَّابِ ، وَأَوَّلُ مَنْ =

فَأَمَّا مَلِكُ الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا أَقَامَ ^(١) لِأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ دِينَهُمْ كَانُوا رَاضِينَ ^(٢) ، وَكَانَ السَّاحِطُ فِيهِمْ ^(٣) بِمَنْزِلَةِ الرَّاضِي . وَأَمَّا ^(٤) مَلِكُ الْحَزْمِ فَيَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ ، وَلَا يَسْلُمُ مِنَ الطَّغْنِ وَالسَّخَطِ ، وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنُ الدَّلِيلِ مَعَ حَزْمِ الْقَوَى . وَأَمَّا مَلِكُ الْهَوَىٰ فَلْيَعْبُ سَاعَةً وَدَمَارُ دَهْرِ ^(٥) .

وَلَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ نَزَلَ بِهِ صَمَمٌ ، فَأَصْبَحَ مُسْتَرْجِعًا ^(٦) مُهْتَمًّا بِأُمُورِ الْمَظْلُومِينَ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ اسْتِعْاثَتِهِمْ ، فَأَمَرَ مُتَادِيَهُ أَنْ لَا يَلْبَسَ أَحَدٌ فِي مَمْلَكَتِهِ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُومٌ ^(٧) ، وَقَالَ : لَئِنْ مُنِعْتُ سَمْعِي لَمْ أَتَمْنَعْ بَصَرِي ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ ظَلِمَ لَيْسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ وَوَقَفَ تَحْتَ قَصْرِهِ فَكَشَفَ ^(٨) عَنْ ظُلَامَتِهِ . قَالَ شَيْخُنَا : وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَجَّازِيُّ ، وَكَانَ مِنْ دَخَلِ الصِّينِ ، بِسِيرَةٍ عَجِيبَةٍ غَرِيبَةٍ لِمُلُوكِهَا فِي سِيَاسَتِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ لِلْبَيْتِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْمَلِكُ تَاقُوسًا مَوْصُولًا بِسِلْسِلَةٍ ، وَطَرَفُ السِّلْسِلَةِ فِي خَارِجِ الطَّرِيقِ ، وَعَلَيْهَا أَمْتَاءٌ لِلسُّلْطَانِ وَحَفَظَةٌ ، فَيَأْتِي الْمَظْلُومُ فَيَحْرُكُ

= عُثِيَ فِي الْإِسْلَامِ بِتَرْجُمَةِ كِبِ الْمُنْطِقِ .. تَرْجَمَ كِبِ أَرْسُطُوطَالِيَسِ الثَّلَاثَةَ فِي الْمُنْطِقِ لِلْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ .. وَتَرْجَمَ عَنِ الْفَارْسِيَةِ كِتَابَ « كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ » وَهُوَ أَشْهُرُ كِتَابِهِ ، وَأَنْشَأَ رِسَالَتَيْنِ غَايَةَ فِي الْإِبْدَاعِ ، مِنْهَا : « الْأَدَبُ الصَّغِيرُ » وَالْأَدَبُ الْكَبِيرُ ، وَالْبَيْتَةُ ، وَغَيْرَهَا .. أَتَيْتُ بِالزَّنْدَقَةِ ، فَقَتَلَهُ أَمْرُ الْبَصْرَةِ سَفِيَّانُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْمُهَلَّبِيُّ سَنَةَ ١٤٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٤٠ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٥ ، وثمار القلوب ص ١٧٦ وص ١٩٩ ، ٢٠٠ وغيرها من الصفحات] .

(١) في م : : إذا قام . .

(٢) في م : : راضين ، يراعين ، وهو يخالف لقواعد اللغة - انظر الفیصل فی ألوان الجموع ص ١١ - وقد ورد هذا النص في « الأدب الكبير » - ص ٧٣ ط بيروت - تحت عنوان « الملک ثلاثة » باختلاف يسير في الأسلوب .

(٣) في ط : : فيه . .

(٤) في م : : قائماً . .

(٥) أي : أن الملک الذی يقوم على النهو والهوى لا يكتب له الدوام ، وسرعان ما يهلك ويُدْمَر .

(٦) هكذا في م .. ومُسترجعاً ، أي : قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .. وفي ط : : « منوجماً » .

(٧) في م : : « لأ مظلوماً » . وكلاهما له وجه في اللغة ، فالأول مرفوع على البدلية ، والآخر منصوب على الاستثناء .

(٨) في ط : : « فيكشف » .. والظلمة : ما يطلبه المظلوم .

السُّلْسِلَة ، فَيَسْمَعُ الْمَلِكُ صَوْتَ النَّاقُوسِ ، فَيَأْمُرُ بِإِدْخَالِ الْمَظْلُومِ ، فَكُلُّ مَنْ حَرَّكَ
السُّلْسِلَة تَمْسِكُهُ تِلْكَ الْحَفَظَةُ حَتَّى تُدْخِلَهُ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ .

(١) لِي « م » : تَدْخُلُ .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ
 فِي التَّصْيِيرِ عَلَى الْخِصَالِ الَّتِي رَعَمَ
 الْمُلُوكُ أَهْلَهَا أَرَاكَ دَوْلَتَهُمْ وَهَدَمَتْ
 سُلْطَانَهُمْ

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، اخْرِصْ كُلَّ الْجِرْصِ أَنْ تَكُونَ خَيْرًا بِأُمُورِ عَمَّا لَكَ ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ
 يَفْرُقُ ^(١) مِنْ خَيْرَتِكَ بِه قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ عُقُوبَتُكَ ، وَالْمُحْسِنُ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِكَ بِهِ قَبْلَ ^(٢)
 أَنْ يَأْتِيَهُ نَوَابُكَ .. قَالَ ^(٣) أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَا زَالَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ مُسْتَقِيمًا حَتَّى أَفْضَى
 أَمْرُهُمْ إِلَى أَهْلِهِمُ الْمُتَرَفِينَ ^(٤) ، فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ - مِنْ عَظِيمِ شَأْنِ الْمُلْكِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ
 - قَصْدَ الشُّهُوَاتِ ، وَإِثَارَ اللَّذَاتِ ، وَالِدُخُولِ فِي مَعَاصِي اللَّهِ وَمَسَاحِطِهِ ، جَهْلًا مِنْهُمْ
 بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمْنًا لِمَكْرِهِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٥) الْعِزَّ ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ
 التَّعَمَّةَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ ^(٦) وَمَرْوَانُ هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِمَرْوَانَ الْجِمَارِ ، وَهُوَ

(١) يَفْرُقُ : يَشْعُدُ عَزْفُهُ .

(٢) فِي م ١ : « يَحْلُمُكَ قَبْلَ » .

(٣) فِي م ١ : « وَقَالَ » .

(٤) أَفْضَى أَمْرُهُمْ : وَصَلَ وَانْقَهَى .. وَالْمُتَرَفِينَ : الْمُتَعَفِّينَ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْزِفِينَ عَنْ م ١ .

(٦) هَكَذَا فِي م ١ .. وَلِي ط : « عَيْدُ اللَّهِ » - وَهُوَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ - وَالْمَرَادُ هُنَا الْأَوَّلُ ،
 حَيْثُ إِنَّ عَيْدَ اللَّهِ هَلَكَ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ كَلًّا وَعَطَشًا ، وَالْقِصَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ هُنَا جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، =

أَجْرُ مَلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، قُتِلَ فِي أَرْضِ مِصْرَ فِي كَوْرَةِ بُوصِيرٍ ^(١) : لَمَّا زَالَ مُلْكُنَا وَهَرَبَتْ
إِلَى أَرْضِ الثُّوْبَةِ ^(٢) فِيمَنْ اتَّبَعَنِي ^(٣) مِنْ أَصْحَابِي ، فَسَمِعَ مَلِكَ الثُّوْبَةِ بِخَبْرِي ، فَجَاءَنِي ،
فَقَعَدَ عَلَيَّ الْأَرْضِ وَلَمْ يَقْعُدْ عَلَيَّ فِرَاشِ اقْتَرَشْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَقْعُدُ عَلَيَّ ثِيَابَنَا ؟ قَالَ :
لَا . قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي مَلِكٌ ، وَحَقٌّ عَلَيَّ كُلُّ مَلِكٍ أَنْ يَقَاضَعَ لِأَمْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ
إِذْ رَفَعَهُ . ثُمَّ قَالَ لِي : لِمَ تَشْرَبُونَ الْحَمْرَ وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ ؟ وَلِمَ تَطْوُونَ الزُّرْعَ
بِدَوَابِّكُمْ وَالْفَسَادَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؟ وَلِمَ تَسْتَعْمِلُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَتَلْبَسُونَ الدِّيَابِجَ
وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؟ فَقُلْتُ : زَالَ عَنَّا الْمُلْكُ ، فَقُلْنَا أَصَارْنَا ، وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ
مِنَ الْأَعَاجِمِ دَخَلُوا دِينَنَا ، وَلَنَا عَبِيدٌ وَاتَّبَاعٌ فَعَلُوا ذَلِكَ عَلَيَّ كَرِهًا مِنَّا . فَأَطْرَقَ مَلِيًّا يَنْقَلِبُ
كَفْيِهِ وَيَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ ^(٤) ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ ، بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ

= وقد أوردتها ابن العماد في شذرات الذهب عندما قرأ ، ثم غفر عليه وسُجِنَ ، وحدث بها أبا جعفر المنصور ..
وعبد الله هذا هو عبدالله بن مروان بن محمد الأموي ، وهو من بقايا بني أمية في الشام ، شهد وقائع الكارثة وزوال
دولتهم في أيام أبيه سنة ١٣٢ هـ . وقرَّ عبد الله بن مروان من عبد الله بن علي العباسي (عم السَّفَّاح) إلى بلاد النوبة ،
ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث في فلسطين - وقيل في جُدَّة - فأَجَذَّ وسُجِنَ في بغداد ، ومات نحو سنة
١٧٠ هـ في أيام الرشيد .

أما أبوه مروان بن محمد ، فقد لُقِّبَ بالجرَّار - أو حمار الجزيرة - لجرأته وصبره في الحرب .. وقيل غير ذلك .
واشتهر بمروان الجفندي ، نسبة إلى مؤدبه جفند بن درهم ، وكانت مدة خلافته - إلى أن بُوع السَّفَّاح - خمس سنين
وشهرًا .. وللي أن قُتِلَ : خمس سنين وعشرة أشهر .. وله غزوات وضوحات ، وحروب كثيرة مذكورة في كتب
التاريخ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ ، وج ٧ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، والإمامة والسياسة
ج ٢ صفحات متفرقة ، وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٧٤ - ٧٧ ، وتاريخ الطبري ج ٧ حوادث سنة ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٣٢ ، والكمال لابن الأثير ج ٤ حوادث السنوات نفسها التي عند الطبري ، ودول الإسلام للذهبي ج ١ ص ٨٧ ،
وشذرات الذهب ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٨ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٥٠٩] .

(١) في « م » : « كَرَّة » أي : الحملة التي قُتِلَ فيها ، اسم مَرَّةٍ من الكَرِّ .. والكَوْرَةُ : الصُّقْعُ ، أو البقعة التي
يُجْتَمَعُ فيها قَوْمٌ ومحالٌ . وبُوصِيرٌ : اسم لأربع قرى بمصر ، والتي قُتِلَ فيها مروان بن محمد هي : بوصير قورْبَيْسَ ، أو
بُوصِيرِ الأَمْهَوْنِينَ .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٥٠٩] .

(٢) في « م » : « الصين » . تحريف من الناسخ .

(٣) في « م » : « تَبَعَنِي » .

(٤) أي : يُؤَثَّرُ فيها بعُورٍ أو عُوه ، يفكر كأنما يُحَلِّثُ نفسه .. ومَلِيًّا : طويلاً .

الله ^(١) ، وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكَتُمْ ، فَسَلَبَكُمْ اللهُ الْعِزَّ بِذُنُوبِكُمْ ، وَللهُ فِيكُمْ نِقْمَةٌ لَمْ تَبْلُغْ غَايَتَهَا ، وَأَخَافُ أَنْ يَجْلَلَ بِكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ بِلَيْدِي فَيُصِيبَنِي مَعَكُمْ ، وَإِنَّمَا الضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَتَزَوَّدُوا مَا اخْتَجَجْتُمْ إِلَيْهِ وَارْتَحِلُوا عَنْ بَلَدِي ، فَتَزَوَّدْنَا وَارْتَحَلْنَا ^(٢) .

وَسُئِلَ بُزْرَجِمَهْرُ ^(٣) : مَا بَالُ مُلْكِ آلِ سَاسَانَ ^(٤) صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ، بَعْدَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ السُّلْطَانِ ، وَشِدَّةِ ^(٥) الْأَرْكَانِ ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَلَدُوا كِبَارَ الْأَعْمَالِ صِغَارَ الرِّجَالِ . وَعَنْ هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَوْتُ أَلْفٍ مِنَ الْعِلْيَةِ أَقْلُ ضَرَرًا مِنْ ارْتِفَاعِ وَاحِدٍ مِنَ السُّفْلَةِ ^(٦) . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِنَّ زَوَالَ الدُّوَلِ بِاصْطِنَاعِ السُّفُلِ ^(٧) . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ^(٨) : أَظْلَمَ النَّاسُ لِنَفْسِهِ اللَّيْمُ : إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا أَقَارِبُهُ ، وَأُنْكَرَ مَعَارِفُهُ ، وَاسْتَحَفَّ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَكَبَّرَ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ .

(١) في د م : « ما حَرَّمَ اللهُ عليكم » .

(٢) جملة : « فَتَزَوَّدْنَا وَارْتَحَلْنَا » عن ط ، ولم يُرَدِّ في د م .

(٣) اسم فارسي مُركَّب من جزأين : « بُزْرَج » وهو معرب : بزرگ ، أى : عظيم .. و « مَهْر » بمعنى : شمس .. والفَرَسُ تقدم الوصف على الموصوف فيكون التركيب على الشَّقِّ العربي : « عظيم كالشمس » .. وكان بُزْرَجِمَهْرُ من حُكَمَاءِ الفَرَسِ ، ووزيراً لأَبُو شِرْوَانَ .

[انظر أدب الدنيا والدين ، صفحات متفرقة ، وص ٣٥ حاشية) ط الدار المصرية اللبنانية ، وإعجام الأعلام

ص ٧٣ ، ٧٤] .

(٤) آل ساسان : ملوك الفَرَسِ .

(٥) في د م : « وشباب الأركان » .

(٦) السُّفْلَةُ وَالسُّفْلَةُ : أسافل الناس وغوغاؤهم .

(٧) الاصطناع : الاختيار .

(٨) في د م : « رحمه الله » .. والشافعي هو : الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القُرشي السُّلَيطِي ، أبو عبد الله ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة .. وُلِدَ في غزوة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ . ومات أبوه شاباً ، فنشأ يتيماً في حجر أمه .. وحُجِّلَ من غزوة إلى مكة وهو ابن ستين . ونشأ بها .. وكان من أحذق قريش بالزُّمَى ، يصيب من عشرة أسهم عشرة أو تسعة .. ثم أقبل على العربية والشعر ، فبدع في ذلك وتقدم .. ثم حُبِبَ إليه الفقه والحديث ، فسأد أهل زمانه .. وأُفِيَّ وهو ابن عشرين سنة ، وكان ذكياً مُفَرِّطاً .. وله تصانيف كثيرة ، أشهرها كتاب « الأم » في الفقه .. زار بغداد مرتين ، ثم قصد إلى مصر سنة ١٩٩ ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ وبقي معروف ويُزار .

[وَسِئِلُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بَعْدَ زَوَالِ مُلْكِهِ : مَا الَّذِي سَلَبَكَ مُلْكَكَ ؟ قَالَ : إِعْطَاؤُنَا مَنْ بَطَرَ وَطَعَى ، وَرَفَعَ عَمِلَ الْيَوْمِ لِقَدِّ] ^(١) . وَسِئِلُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بَعْدَ أَنْ سَلَبُوا مُلْكَهُمْ ^(٢) : مَا الَّذِي سَلَبَ عِزُّكُمْ ، وَهَدَمَ مُلْكُكُمْ ؟ فَقَالَ : شَغَلْتُنَا لَذَائِنَا عَنِ التَّفَرُّغِ لِمِهْمَاتِنَا ، وَوَرَقْنَا بِكُفَاتِنَا ^(٣) فَأَثَرُوا مُرَافِقَهُمْ عَلَيْنَا ، وَظَلَمَ عُمَّالُنَا رَعِيَّتَنَا ^(٤) فَأَتَقَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ لَنَا ، وَتَمَنَّوْا الرَّاحَةَ مِنَّا ، وَحُمِلَ عَلَى أَهْلِ خُرَاجِنَا ^(٥) قَقْلٌ دَخَلْنَا ، وَبَطَلَ عَطَاءُ عِبِيدِنَا ^(٦) فَزَالَتِ الطَّاعَةُ مِنْهُمْ لَنَا ، وَقَصَدْنَا عَدُوَّنَا ، قَقْلٌ نَاصِرُنَا . وَكَانَ أَعْظَمَ نَارَإِلَ بِهِ مُلْكُنَا اسْتِثَارَ الْأَخْبَارِ عَنَّا ، [ثُمَّ أَنَا وَلَيْتَنَا أَكْبَرَ الْأَعْمَالِ لِأَصْغَرِ الْعُمَالِ ، قَالَ أَمَرْنَا إِلَى مَا آل] ^(٧) .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَسْرَعَ الْخِصَالِ فِي هَذِهِ السُّلْطَانِ ، وَأَعْظَمُهَا وَأَسْرَعُهَا فِي إِنْسَادِهِ وَتَفْرِيقِ الْجَنَاحِ عَنْهُ : إِظْهَارُ الْمُحَابَاةِ ^(٨) لِقَوْمِ دُونَ قَوْمِ ، وَالْمَيْلُ إِلَى قَبِيلَةٍ دُونَ قَبِيلَةٍ ، فَمَتَى أَعْلَنَ بِحُبِّ قَبِيلَةٍ فَقَدْ بَرَىءَ مِنْ قِبَائِلٍ . وَقَدِيمًا قِيلَ : الْمُحَابَاةُ مَفْسَدَةٌ ^(٩) . وَقَالَ

= [انظر ترجمته في سر أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥ - ٩٩ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٥٦ - ٧٣ والتاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٤٢ والأعلام ج ٦ ص ٢٦ ، ٢٧ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٣ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩ - ١٢ ومعجم الأدباء ج ١٧ ص ٢٨١ - ٣٢٧ وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٠٣ وطبقات الشافعية (الذي على طبقات الشيرازي) ص ١٨٥ - ١٨٨ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٣ - ١٦٩ وغيرها من كتب التراجم] .

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : « بعد زوال مُلْكِهِ » .

(٣) كُفَاتُنَا : مَنْ يَقُومُونَ مَقَامَنَا .

(٤) من أول قوله : « فَأَثَرُوا » إلى قوله « رَعِيَّتَنَا » عن « ط » وساقط من « م » .

(٥) حُمِلَ عَلَى أَهْلِ خُرَاجِنَا ، أَيْ : أَثْقِلَ عَلَيْهِمْ . وَالْخُرَاجُ : الْجِزْيَةُ أَوْ الْإِثَارَةُ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ .

(٦) بَطَلَ عَطَاءُ عِبِيدِنَا ، أَيْ : ذَهَبَ رِضَاعُ .

(٧) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٨) في « م » : « عن إظهاره للمحابة » . وَالْمُحَابَاةُ : الْمَسَاحَةُ ، وَإِعْطَاءُ الشَّيْءِ بِلُونِ عَوْضٍ ، مَا عُوِذَ مِنْ : حَبْرَتِهِ ، إِذَا أُعْطِيَ .

(٩) الْمَفْسَدَةُ : الضَّرَرُ .. يُقَالُ : هَذَا الْأَمْرُ فِيهِ مَفْسَدَةٌ لَكُنْدا ، أَيْ : فِيهِ فَسَادٌ .

مَهْيُودُ الْمُؤَيَّدَانِ ^(١) : مِنْ زَوَالِ السُّلْطَانِ ^(٢) تَقَرِّبُ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُبَاعَدَ ، وَمُبَاعَدَهُ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَرَّبَ ، وَحَيْثُ حَانَ أَوَانُ الْعَذْرِ . وَقِيلَ لِمَلِكٍ بَعْدَ ذَهَابِ مُلْكِهِ : مَا الَّذِي أَذْهَبَ مُلْكَكُمْ ؟ قَالَ : ثِقْنِي بِدَوْلَتِي ، وَاسْتَبْدَادِي بِمَعْرِفَتِي ، وَاغْفَالِي ^(٣) اسْتِشَارَتِي ، وَاعْجَابِي بِشِدَّتِي ، وَاضَاعَتِي الْحِيلَةَ فِي وَقْتِ حَاجَتِي ^(٤) وَالتَّائِي عِنْدَ الْعَجَلَةِ ^(٥) .

وَلَمَّا أُحِيطَ بِمَرَوَانَ الْجَفِيدِيِّ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، قَالَ : لَهْفَاهُ ^(٦) عَلَى دَوْلَةِ مَائِصِرْتِ ، وَكَفَّ مَا ظَفَرَتْ ^(٧) ، وَنِعْمَةً مَا شَكِرْتَ ! فَقَالَ لَهُ خَادِمُهُ « تُسِيلُ » ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ أَشْرَافِ الرُّومِ : مَنْ أَغْفَلَ الصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبَرَ ، وَالْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ ، وَالْخَفِيَّ حَتَّى يَظْهَرَ ، أَصَابَهُ بِمِثْلِ هَذَا .. وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : مَا الَّذِي أَذْهَبَ مُلْكَ ^(٨) بَنِي مَرَوَانَ ؟ قَالَ : تَحَاسُّدُ الْأَكْفَاءِ ^(٩) ، وَانْقِطَاعُ الْأَخْبَارِ ، وَذَلِكَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَرَ ^(١٠)

(١) الْمُؤَيَّدَانِ : فقيه الفُرسِ ، وحاكم الجوس .. ولى لسان العرب : المؤيدُ : القاضي .. والمؤيدان للمجوس ، كقاضى القضاة للمسلمين .

[انظر اللسان — مادة موبذ ، والعقد الفريد ج ١ ص ٢٩٤] .

(٢) فى م : : من علامة زوال السلطان .

(٣) الإغفال : ترك الشيء إهمالاً من غير نسيان .. وفى م : : واستغفال ، وهو تَرْقُبُ الْعُقْلَةَ .

(٤) فى ط : : وقت حاجتى ، بدون فى .

(٥) فى م : : عند عَجَلَتِي . والمجلة : السرعة .

(٦) فى م : : يا لَهْفَاهُ .

(٧) كَفَّ مَا ظَفَرَتْ : ما نالت ، أو : ما غلبت .

(٨) فى م : : يَمْلِكُ .

(٩) الْأَكْفَاءُ : جمع كَفَّ ، وهو الْمُعَامِلُ والنظير .

(١٠) فى ط : : يزيد بن عمر خطأ .. وهو : يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ ، أبو خالد ، من بنى فزارة ، أمير ، وقائد ، ومن ولاية الدولة الأموية ، وُلِدَ سنة ٨٧ هـ ، وأصله من الشام ، وَلِيَ « قَنْسَرِينَ » للوليد بن يزيد ، ثم جُمِعَتْ له ولاية العراقين بالبصرة والكوفة سنة ١٢٨ هـ فى أيام مروان بن محمد ، واستفحل أمر الدولة العباسية فى زمن إمارته ، فقاتل أنشاعها مُتَّةً ، وتغلبت جيوش « خُرَاسَان » على جيوشه ، فرحل إلى واسط وتخصَّنَ بها ، فَوَجَّهَ « السُّفَّاحُ » أخاه « المنصور » لحربه ، فمكث المنصور زمناً بواسط يقاتله حتى أعياه أمره ، فكتب له بالأمان والصلح . وأمضى « السُّفَّاحُ » الكتاب ، فرضى ابن هُبَيْرَةَ وأطاع ، وأقام بواسط ، وعمل أبو مسلم الخراساني على الإيقاع به ، فنقض « السُّفَّاحُ » عهده له ، وبعث إليه مَنْ قَتَلَهُ بِقَصْرِ « واسط » سنة ١٣٢ هـ .. وكان سَجِيحاً ، جَسِيماً ، مَخْطِياً ، وفيه حَسَدٌ .. وكان أبو جعفر المنصور يقول : « لا يَمُرُّ مُلْكٌ هَذَا فِيهِ » .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ١٨٥ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣١٣ - ٣٢١] .

كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَضَعَ ^(١) مِنْ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ^(٢) ، وَكَانَ لَا يَمُدُّهُ بِالرُّجَالِ ، وَلَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ مَا يَرُدُّ ^(٣) عَلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ قَالَ ^(٤) :
أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِصْصَ نَارٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ ^(٥)

(١) يَضَعُ منه : يُذِلُّه وَيَحْطُ مِنْ قُدْرِهِ .

(٢) هو : نصر بن سيار بن رافع بن خَرْي بن ربيعة الليثي الكناني ، أمير من الدُّعاة الشجعان ، وكان من الخطباء الشعراء .. كان شيخ مُضَرِّ بِخُرَاسَانَ ، ووالى « بُلُخ » ثم وَلَّى إمْرَةَ خُرَاسَانَ سنة ١٢٠ هـ . وقويت الدعوة العباسية في أيامه ، فكتب إلى بنى مروان بالشام يعلِّمهم وينذرهم ، فلم يَأْبَهُوا لِلخَطَرِ ، فصار يدير الأمور إلى أَنْ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ ، وَتَغَلَّبَ أَبُو مُسْلِمٍ عَلَى « خُرَاسَانَ » فخرج نصر بن سيار من « مَرْو » سنة ١٣٠ هـ ورحل إلى « نيسابور » فَسَيَّرَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَيْهِ « قَحْطَبَةَ بْنِ شَيْبٍ » فَأَتَقَتْلَ نَصْرَ إِلَى « قَوْمِس » وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ - وَهُوَ بِوَأَسْطَ - يَطْلُبُ مِنْهُ مَدَدًا وَمَعُونَةً ، وَكَتَبَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ - وَهُوَ بِالشَّامِ - وَأَخَذَ يَنْتَقِلُ مِنْتَقَرًا مِنَ النُّجْدَةِ إِلَى أَنْ تَمَرَّضَ فِي مَقَارِفَ بَيْنَ الرَّيِّ وَهَمْدَانَ ، وَمَاتَ بِسِلَاطَةِ سَنَةِ ١٣١ هـ .

[انظر تاريخ الطبري ج ٧ صفحات متفرقة ، والكامل في التاريخ ج ٤ وغيرهما من كتب التاريخ المشهورة ، وانظر الأعلام ج ٨ ص ٢٣ . وفي المُصَنِّعِ لِابْنِ حَبِيبٍ ص ٢٥٥ أَنَّهُ حُصِرَ بِمَرْوِ ثَلَاثَ سِنِينَ - انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ ، وص ١٥٨ ، ١٥٩] .

(٣) فِي « م » : « سُلْطَانٌ » .. وَفِي « ط » : « بَعْدَهَا » : « مَا يُؤَرَّدُ » .. وَمَا يُرَدُّ : أَيْ : يُلْغَاهُ وَيُؤْفَاهُ .

(٤) هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ شِعْرِهِ ، وَقَدْ كَتَبَهَا لِيَزِيدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُبَيْرَةَ عِنْدَمَا بَدَأَتْ الْفِتْنَةُ تَطُلُ بِرَأْسِهَا ، وَبَدَأَ الْعَبَّاسِيُّونَ التَّحَرُّكَ فِي « خُرَاسَانَ » بِقِيَادَةِ أَمِيٍّ مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ لِلانْتِقَاضِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ .. وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ج ١ ص ١٥٨ ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ج ٧ ص ٣٦٩ ، وَالْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٤ ص ٣٠٣ ، وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ، كِتَابُ الْحَرْبِ ، ص ١٢٨ .

(٥) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » ، وَ « ط » .. وَفِي الْمَقْدِ الْقَرِيدِ : « وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ » .. وَفِي الطَّبْرِيِّ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِصْصِ نَارٍ فَأُخَيِّجُ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

وَفِي الْكَامِلِ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِصْصِ نَارٍ وَأُخَشِى أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِصْصِ جَرٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اضْطِرَامٌ

وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِصْصِ جَرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

وَأَنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذْكُو وَأَنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ ^(١)
فَقُلْتُ تَجَاهِلًا : يَا لَيْتَ شِعْرِي الْإِقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامٌ ؟ ^(٢)

وَكَانَ الْعَبَّاسِيُّونَ يُؤَسِّسُونَ لِدَوْلَتِهِمْ ، وَلَا تَصِلُ أَنْبَارُهُمْ إِلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ حَتَّى
اسْتَفْجَلَ ^(٣) أَمْرُهُمْ ، وَضَعَفَ أَمْرُ بَنِي أُمِّيَّةٍ .. وَسُئِلَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَرِيُّ ، وَهُوَ
آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمِّيَّةٍ : مَا الَّذِي أَضْعَفَ مُلْكَكَ بَعْدَ قُوَّةِ السُّلْطَانِ ، وَثَبَاتِ الْأَرْكَانِ ؟
فَقَالَ : الْاسْتِغْدَادُ بِرَأْيِي ، لَمَّا كَثُرَتْ عَلَيَّ كُتُبُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ أَنْ أُمِدَّهُ بِالْأَمْوَالِ
وَالرِّجَالِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ الْاسْتِكْثَارَ مِنَ الْأَمْوَالِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَسَادِ
الدَّوْلَةِ قَبْلَهُ ^(٤) ، وَهِيَاهُ أَنْ تَنْتَقِصَ ^(٥) عَلَيَّ خُرَاسَانَ .. فَانْتَقَضَتْ دَوْلَتُهُ مِنْ خُرَاسَانَ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بِالْعُودَيْنِ يُذَكُّ » ..

وفي الطبري :

لَبَانَ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ لَذْكُو وَأَنَّ الْحَرْبَ مَبْدُوهَا الْكَلَامُ
وفي الكامل « مبدؤها كلام » .

وفي عيون الأخبار بعد هذا البيت :

لَبَانَ لَمْ يُظْهِرْهَا غِلَاءَ قُرْع بِكَوْنِ زَعُودِهَا جُفَتْ وَهَامُ
(٢) هكذا البيت في « م » و « ط » ..

وفي الطبري وابن الأثير ، و« عيون الأخبار » ، والبيان والتبيين :

« فَقُلْتُ مِنَ التَّحَبُّبِ لَيْتَ شِعْرِي » .

وفي البيان والتبيين بعد هذا البيت :

لَبَانَ كَالْوَا يَحْيِيهِمْ نِيَامًا فَقُلْ : قَوْمُوا فَقَدْ طَالَ الْمَنَامُ

(٣) استفحل : تفاقم واشتد .. وفي « م » : « استفحل » تحريف من الناسخ .

(٤) الْقَيْلُ : الجهة أو الناحية .

(٥) وهيهات أَنْ تَنْتَقِصَ عَلَيَّ خُرَاسَانَ أَي : مِنْ الْمُسْتَعْدِ أَنْ يَخْرُجَ أَهْلُهَا عَلَيَّ وَيَحْلُمُوا طَاعَتِي .

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الصِّفَاتِ الدَّائِيَةِ الَّتِي زَعَمَ الْحُكَمَاءُ أَنَّهَا لَا تَدُومُ مَعَهَا مَمْلَكَةٌ^(٥)

وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَابِ دَوَامُ الْمُلْكِ مَعَ الْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ .. اعْلَمُوا أَنَّ الْكِبَرَ
وَالْإِعْجَابَ يَسْتَلْبِانِ الْقَضَائِلَ وَيُكْسِبَانِ الرِّذَائِلَ ، لِأَنَّ الْكِبَرَ ^(١) يَكُونُ بِالْمُنْزِلَةِ ،
وَالْعَجَبُ ^(٢) يَكُونُ بِالْفَضِيلَةِ ، وَالْمُتَكَبِّرُ يُجِلُّ نَفْسَهُ ^(٣) عَنْ رُتْبَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَالْمُعْجَبُ
يَسْتَكْبِرُ فَضْلَهُ عَنِ اسْتِزَادَةِ الْمُتَأَدِّبِينَ ^(٤) ، وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ
وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .

وَالْكِبَرُ يُكْسِبُ الْمَقْتَ ، وَيَمْنَعُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ ، وَكُلُّ كِبَرٍ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ فَمَقْرُونٌ
بِالشَّرِّ ، وَلِلَّذَلِكَ ^(٥) قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ : « أَتَهَاكَ عَنِ الشَّرِّ
بِاللَّهِ ، وَالْكَبَرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَغْضَبُ ^(٦) مِنْهُمَا » . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ

(٥) لِي ١ ط ١ : : الصِّفَاتِ الدَّائِيَةِ الَّتِي زَعَمَ الْحُكَمَاءُ أَنَّهَا لَا تَدُومُ مَعَهَا مَمْلَكَةٌ .

(١) لِي ١ م ١ : : الْكِبَرُ .

(٢) الْعَجَبُ : الْكِبَرُ وَالزُّهْوُ .

(٣) يُجِلُّ نَفْسَهُ : يُعْظِمُهَا .

(٤) أَيْ : يُعَلِّقُ نَفْسَهُ مِنَ الْفَضْلِ بِمَحِثٍ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ زِيَادَةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مِنْ ذَوِيهِ .

(٥) لِي ١ م ١ : : وَكَذَلِكَ .

(٦) لِي ١ م ١ : : فَإِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْهُمَا .. وَفِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ : « فَإِنَّ اللَّهَ يَحْجِبُ مِنْهُمَا » .

[انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ، الفصل الأول : في مجابة الكبر والإعجاب ص ٢٨٥ - ٢٩١ ط الدار المصرية اللبنانية] .

بَابَكَ ^(١) : مَا الْكِبَرُ إِلَّا فَضْلٌ حُنِيقٌ لَمْ يَذَرِ صَاحِبُهُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ ، فَصَرَفَهُ إِلَى الْكِبَرِ ..
وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَبَسٍ : مَا تَكْبَرُ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ ذِلَّةٍ ^(٢) يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ .. وَلَمْ تَزَلِ
الْحُكَمَاءُ تَتَحَامَى ^(٣) الْكِبَرَ وَتَأْتَفُ مِنْهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَقَى كَانَ عَذَبَ الرُّوجِ لَا مِنْ خَصَاصَةٍ وَلَكِنَّ كِبَرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرٌ ^(٤)
وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ ^(٥) إِلَى رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي
ظَنِّكَ ، وَأَنْ أُعْذِلَ مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ .. قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : قَدْ ^(٦) يَدْرُمُ الْمُلُوكَ مَعَ مُعْظَمِ
التَّقَائِصِ ، قَرَبَ فَقِيرٍ سَادَ قَوْمُهُ ، وَرُبَّ أحمَقٍ سَادَ قَبِيلَتُهُ ، مِنْهُمْ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ^(٧)

(١) هكذا بالراء المهملة في « ط » .. وفي « م » : « أَرْدَشِير » بالراء المعجمة ، وسقط منها « ابن بابك » ..
وكلاهما صواب ..

وهو : أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكِ بْنِ سَاسَانَ الْأَكْبَرِ ، وَيُقَلَّبُ بِسَاسَانَ الْأَصْفَرِ .. أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ أُمَّةَ الْفَرَسِ بعدما تفرقت
على يد الإسكندر إلى ملوك طوائف ، بملك كل ملك ناحية من البلاد ، وكان هو أحد هؤلاء الملوك .. وله كتاب في
حُسن السيرة يُفْتَرَبُ المثل به ، وتقبيس الملوك منه . ومن أقواله : « إِذَا رَغِبَ الْمَلِكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغَبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ
الطَّاعَةِ .. وَلِإِصْلَاحِ لِلخَاصَّةِ مَعَ فساد العامة .. وَلَا عِمَارَةَ إِلَّا بِعَدْلِ وَحُسْنِ سِيَاةِ .

وكلمة « أَرْدَشِير » مكونة من كلمتين : « أَرْد » بمعنى : دقيق و « شِير » بمعنى : حليب .

[انظر المعارف لابن قتيبة ص ٦٥٣ وما بعدها ، وثمار القلوب ص ١٧٨ وإعجام الأعلام ص ٦٢] .

(٢) الذَّلَّةُ : الهانة .

(٣) تتحامى : تتجنب .

(٤) الخصاصة : الفقر والحاجة وسوء الحال .

(٥) أفلاطون : من نوابغ الفكرين والحكماء ، ومن مشاهير فلاسفة اليونان ، ولد سنة ٤٢٧ قبل الميلاد تقريباً ،
وهو تلميذ « سقراط » ومُعلِّم « أرسطو » ، ومن مؤلفاته كتاب « الجمهورية » و « المحاورات » . توفي سنة ٣٤٧ قبل
الميلاد .

[انظر ترجمته وفلسفته في كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد فؤاد الأهواني سلسلة نوايغ الفكر العربي ط دار
المعارف] .

(٦) في « م » : وقد .

(٧) هو : الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ بْنِ عِقَالِ الْمَجَاشِمِيِّ الدَّارِمِيِّ التَّيْمِيُّ ، صحابيٌّ ، ومن سادات العرب في الجاهلية ،
قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَدَّ « دَارِم » من تميم ، فأسلموا ، وشهدوا حُنَيْنًا وفتح مكة والطائف . وسكن
المدينة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ورحل إلى « دومة الجندل » في خلافة أبي بكر ، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر
وقائع حتى البصرة ، واستشهد بالجوْرْجان سنة ٣١ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥ ، وأسد الغابة ج ١ ص ١٢٨ - ١٣٠ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ١
ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ والمعارف ص ٣٤٢] .

الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَلِكَ الْأَحْمَقُ الْمُطَاعُ » ^(١) .

قَالُوا : وَلَا يَدُومُ الْمُلْكُ مَعَ الْكِبَرِ ، وَحَسْبُكَ مِنْ رِذِيلَةٍ تُسَلِّبُ السِّيَادَةَ . وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « بَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُهْلِدُونَ غُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ^(٢) .

فَقَرَنَ الْكِبَرَ بِالْفُسَادِ وَمُتِمًّا مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ^(٣) : « مَا صَافِرُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » ^(٤) . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا رَأَيْتُ مُتَكَبِّرًا إِلَّا تَحَوَّلَ دَاوُهُ فِي ، يَنْبَغِي أَنِّي أَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِبَرَ يُوجِبُ الْمَقْتَ ، وَمَنْ مَفَقَهُ رِجَالُهُ لَمْ يَسْتَقِمَّ حَالُهُ ، وَمَنْ أَبْغَضْتَهُ بِطَائِفَتِهِ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ ^(٥) . وَمَنْ كَرِهَهُ الْحُمَاةُ تَطَاوَلَتْ عَلَيْهِ الْأَغْدَاءُ . وَأَمَّا الْإِعْجَابُ فَيَحْمِلُهُ عَلَى الْاسْتِزْدَادِ بِالرَّأْيِ ^(٦) وَتَرْكِ مَشُورَاتِ الرُّجَالِ .

(١) لى جبهة أنساب العرب ، وفى المعارف لابن قتيبة ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم . أطلق هذا على « عُبَيْتِة ابن جحش » ، وكان فى الجاهلية من الجرأرين ، ويقود عشرة آلاف ، ودعا النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فلم يجع ، ولم يدخل فيه ، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : إلى أريد أن أدنو من جوارك فواذعنى ، فواذعنى ثلاثة أشهر ، فلما انقضت المدة انصرف هو وقومه إلى بلادهم ، وقد أسنموا وأكثبوا ، ومن الحافر ، فأغار عُبَيْتَةُ بذلك الحافر على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الحارث بن عوف : هس ما جزيت به محمدا أسننت فى بلاده ثم غروته !

فقال : هو ما ترى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : « الأحمق المطاع » .

وكان عُبَيْتَةُ من الأعراب الأجلاف ، ثم أسلم ، ولوتد حين ارتدت العرب ، وبعت به خالد بن الوليد مُعِيْلًا إلى أبى بكر فى المدينة ، فكان صبيان المدينة يقولون : يا عدو الله ، أكفرت بعد إيمانك ؟ وله مع الرسول وأبى بكر وعمر وعثمان مواقف ذكرتها كتب السيرة والتاريخ تدل على غلظته وجفائه .

[انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣١ ، وجبهة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٦ ، والمعارف ص ٣٠٢ - ٣٠٤] .

(٢) سورة القصص - الآية ٨٣ . ولم ترد فى « ط » : « والعاقبة للمتقين » .

(٣) فى « ط » : « تجل وعز » .

(٤) سورة الأعراف - من الآية ١٤٦ .

(٥) غص بالماء : وقف لى خلقه فلم يكدر يسيفه .

(٦) بالرأى : عن « م » وساقطة من « ط » .

وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَقُومُ مَعَهَا الْمَمْلَكَةُ : الْكَذِبُ ، وَالْعَدْرُ ، وَالْخُبْتُ ، وَالْجَوْرُ .
وَالسُّخْفُ ^(١) . وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ : سِتُّ إِخْصَالٍ لَا تُعْتَفَرُ مِنَ السُّلْطَانِ :
الْكَذِبُ ، وَالْخَلْفُ ^(٢) ، وَالْحَسَدُ ، وَالْحِدَّةُ ، وَالْبُحْلُ ، وَالْجَبْنُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَّابًا لَمْ
يُوثِقْ بِوَعْدِهِ وَلَا بِوَعِيدِهِ ، فَلَمْ يَرَجَّ خَيْرُهُ ، وَلَمْ يُخَفَّ شَرُّهُ ، وَلَا بَهَاءَ إِسْلَاطِهِ
لَا يَرْهَبُ .. وَقَالَ الْحُكَمَاءُ : خَرَابُ الْبِلَادِ وَفَسَادُ الْعِبَادِ مَقْرُونَانِ يَابِطَالِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ
مِنَ الْمُلُوكِ .

وَالْكَذِبُ أَسْقَطُ الْأَخْلَاقِ ، وَأَغْلَبُ شَيْءٍ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَأُخْرَى أَنْ لَا يَنْتَرَعَ عَنْهُ
لِضَرَّائِهِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَمْ تَكْذِبْ ؟ قَالَ : لَوْ تَعَزَّزْتُ ^(٣) بِهِ مَا تَرَكْتُهُ . وَهُوَ نَوْعٌ
مِنَ الْفُحْشِ ، وَضُرْبٌ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَأَصْلُهُ اسْتِعْدَابُ الْمُتَى ، وَهُوَ أَضْعَافُ فِكْرِ
الْحَقِّقِيِّ ^(٤) وَمِنْ بَلِيَّتِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَى صَاحِبِهِ ذَنْبَ غَيْرِهِ ، فَإِذَا سَمِعَتْ بِكَذْبَةٍ ^(٥)
طَائِحَةٍ نُسِبَتْ إِلَيْهِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

حَسَبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَهَا نَةً بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ ^(٦)

فَإِذَا سَمِعَتْ بِكَذْبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ ^(٧)

وَقَالَ غَيْرُهُ ^(٨) :

(١) السُّخْفُ : النقص .

(٢) الخلف ، بفتح الحاء المعجمة : السقط والردىء من القول . وفي الأمثال : « سَكَتَ أَلْفًا وَطَلَّقَ تَحْلَقًا »

(٣) تعزَّزْتُ : صيرت عزيزًا .

(٤) أَضْعَافُ فِكْرِ الْحَقِّقِيِّ : اختلاط واضطراب أفكارهم .

(٥) في « ط » : « كَذْبَةٌ » اسم مرة من الكذب . وطائحة : منتشرة هاهنا وهاهنا .

(٦) في أدب الدنيا والدين للماوردي : وفي عيون الأخبار « مِنَ الْبَلِيَّةِ » .

(٧) هكذا في « م » وفي أدب الدنيا والدين .. وفي « ط » : « وَإِذَا » وفي عيون الأخبار : « مهمما » .

[انظر أدب الدنيا والدين الفصل الخامس ، في الصدق والكذب ص ٣١٨ ط الدار المصرية اللبنانية وانظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٤] .

(٨) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي ، أبو الحسن ، فقيه شافعي ، وشاعر ، كان ضريزًا ، سافر إلى بغداد ومدح فيها الخليفة المعتز .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨٩ - ٢٩٢ وشذرات الذهب

ج ٢ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠] .

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْتُمُ وَلَيْسَ فِي الْكَذِّابِ حِيلَةٌ ^(١)
 مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُولُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) . وَأَمَّا
 الْحَسَدُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ حَسُودًا لَمْ يُشْرَفْ أَحَدًا ^(٤) . وَإِذَا ضَاعَتِ الْأَشْرَافُ هَلَكَتِ
 الْأَجْبَاعُ ، وَلَا يَصْلُحُ النَّاسُ إِلَّا عَلَى أَشْرَافِهِمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَ لَهُمْ سَادُوا ^(٥)
 وَأَمَّا الْبُخْلُ ، فَإِنَّهُ إِذَا ^(٦) كَانَ بَخِيلًا لَمْ يُتَاصَحْهُ أَحَدٌ ، وَلَا تُصْلَحُ الْوِلَايَةُ إِلَّا
 بِالْمُتَاصِحَةِ ^(٧) . وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ يَخْلُ ، لِأَنَّ بَيُوتَ الْأَمْوَالِ فِي يَدَيْهِ .

وَأَمَّا الْجُبْنُ ، فَإِنَّهُ إِذَا ^(٨) كَانَ جَبَانًا اجْتَرَأَ عَلَيْهِ عُدُوَّهُ ، وَضَاعَتْ ثُغُورُهُ .

وَإِذَا كَانَ حَدِيدًا غَضُوبًا ^(٩) وَالْقُدْرَةُ مِنْ وَرَائِهِ هَلَكَتِ رَعِيَّتُهُ وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ
 يَغْضَبَ ، لِأَنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وَرَائِهِ حَاجَتِهِ . وَلَمَّا دَخَلَ أَسْفُفٌ ^(١٠) تَجَرَّانَ عَلَى مُصْطَبِ بْنِ
 الزُّبَيْرِ [فَكَلَّمَهُ بِشَيْءٍ أَغْضَبَهُ] ^(١١) ضَرَبَ وَجْهَهُ بِالْقَضِيبِ فَأَذَمَاهُ ، فَقَالَ الْأَسْفُفُ : إِنَّ

(١) فِيمَنْ يَنْتُمُ : أَيْ فِي الَّذِي يَرْفَعُ الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِ الْإِشَاعَةِ وَالْإِفْسَادِ .

(٢) فِي ١ : « » . وَقَالَ تَعَالَى « » .

(٣) سُورَةُ النُّحْلِ - مِنَ الْآيَةِ ١٠٥ . وَتَمَامُ الْآيَةِ : « أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ » . وَفِي ٢ : « م » : « الْخَاسِرُونَ ، خَطَأً مِنَ النَّاسِخِ » .

(٤) أَيْ : لَمْ يُعْظَمْ أَحَدًا .

(٥) السَّرَاةُ : الْأَشْرَافُ ، جَمْعُ سَرِيٍّ ، وَهُوَ جَمْعٌ لَا يَكَادُ يَوْجَدُ لَهُ نَظِيرٌ ، لِأَنَّهُ لَا يَجْمَعُ « فَيْعِلٌ » عَلَى « فَعْلَةٍ » ..
 وَفِي اللَّسَانِ : السَّرَاةُ : اسْمٌ لِلْجَمْعِ ، وَلَيْسَ يَجْمَعُ عِنْدَ سَبِيحِهِ ، قَالَ : وَالِدِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : سَرَوَاتُ . وَقَوْلُهُمْ :
 قَوْمُ سَرَاةٍ ، جَمْعُ سَرِيٍّ ، جَاءَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَالْقِيَاسُ : سَرَاةٌ ، مِثْلُ : قَضَاةٌ ، وَرَعَاةٌ ، وَغَرَاةٌ .

(٦) فِي ١ ط : « » . فَإِذَا .

(٧) سَقَطَتْ أَدَاةُ الْإِسْتِثْنَاءِ « إِلَّا » مِنْ ١ م « سَهَوَا مِنَ النَّاسِخِ ، وَلَا يَصِحُّ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا .

(٨) فِي ١ ط : « » . فَإِذَا .

(٩) حَدِيدًا غَضُوبًا : شَدِيدًا كَثِيرَ الْغَضَبِ .

(١٠) الْأَسْفُفُ ، بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا : رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى فَوْقَ الْقِسْيَسِ وَدُونَ الْمُطْرَانِ .

(١١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ عَنْ ٢ م « وَسَاقَطَ مِنْ ١ ط » .

شَاءَ الْأَمِيرُ أَخْبِرْتُهُ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهَا ^(١) . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : لَا يَتَّبِعُنِي إِلَّا نَامٌ أَنْ يَكُونَ سَفِيهَا وَمِنْهُ يُلْقَمَسُ الْجُلُمُ ، وَلَا جَائِزًا وَمِنْهُ يُلْقَمَسُ الْعَدْلُ .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ ^(٢) : يَهْلِكُ السُّلْطَانُ بِالْإِعْجَابِ وَالْإِحْتِجَابِ ، فَأَمَّا الْإِعْجَابُ فَقَدْ ذَكَرْتَاهُ ، وَأَمَّا الْإِحْتِجَابُ فَهُوَ أَوْحَى ^(٣) الْخِلَالِ فِي هَذِهِ السُّلْطَانِ ، وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا لِلدُّوَلِ ، لِأَنَّهُ ^(٤) إِذَا اخْتَجَبَ السُّلْطَانُ [سَاعَةً] ^(٥) فَكَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، لِأَنَّ الْحُجْبَةَ مَوْتُ حُكْمِي ، فَتَقْبُثُ بَطَانَتُهُ بِأَرْوَاحِ الْخَلَائِقِ وَحَرِيمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، لِأَنَّ الظَّالِمَ قَدْ أَمِنَ أَنْ لَا يَصِلَ الْمَظْلُومُ إِلَى السُّلْطَانِ . وَمُعْظَمُ مَا رَأَيْنَا فِي أَعْمَارِنَا ، وَسَمِعْنَا عَنْ سَمِعْنَا مِنْ دُخُولِ الْفَسَادِ عَلَى الْمُلُوكِ مِنْ حُجْبَتِهِمْ عَنْ مُبَاشَرَةِ الْأُمُورِ ، فَلَا تَزَالُ ^(٦) الرَّعِيَّةُ ذَا سُلْطَانٍ وَاحِدٍ مَا وَصَلُوا إِلَى سُلْطَانِهِمْ ، فَإِذَا اخْتَجَبَ فَهَنَّاكَ سَلَاطِينَ كَثِيرَةً .

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَعْرُورُ ، اخْتَجَبْتَ عَنِ الرَّعِيَّةِ بِالْحُجَابِ وَالْأَبْوَابِ ، وَجَعَلْتَ دُونَهُمْ بَرْوَجًا ^(٧) مُشِيدَةً ، وَحِطَّائِرَ بِالْحِجَارَةِ وَالْمَاءِ وَالطِّينِ مَانِعَةً ، وَبَابُ اللَّهِ مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ ، لَيْسَ هُنَاكَ حَاجِبٌ ^(٨) وَلَا بَوَابٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ ^(٩) . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَيْسَ بَيْنَ أَنْ يَمْلِكَ السُّلْطَانُ رَعِيَّتَهُ أَوْ تَمْلِكُهُ إِلَّا الْحَزْمُ وَالتَّوَانِي ، وَكَمَالُهُ أَمْرَانِ : شِدَّةٌ ^(١٠) فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَلِينٌ فِي غَيْرِ امْتِنَهِانٍ .

(١) في « ط » : قال : قُل . قال : لا تغضب بعدها .

(٢) الْأَوْزَاعِيُّ : هو عبد الرحمن بن عمرو ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، وقد مرت ترجمته .

(٣) أَوْحَى الْخِلَالِ : أَسْرَعَ الْخِصَالِ .

(٤) في « ط » : فَإِنَّهُ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) في « ط » : لا تَزَالُ .

(٧) في « م » : جِبَالًا . والبروج : الحصون ، جمع بُرْج ، ويُطلق على البناء العالي الذاهب في السماء .

(٨) هكذا في « م » .. وفي « ط » : لا حاجب .

(٩) سورة الفرقان — من الآية ٥٧ .

(١٠) في « م » : سعة شِدَّة .

وَسُئِلَ بَزْرُ جَمَهْرٍ : أَيُّ الْمُلُوكِ أَحْزَمُ ؟ فَقَالَ ^(١) : مَنْ مَلَكَ جِدُّهُ هَزَلَهُ ، وَفَهَرَ لُبُّهُ هَوَاهُ ، وَأَغْرَبَ عَنْ ضَمِيرِهِ فِعْلُهُ ، وَلَمْ يَخْتَدِعْهُ ^(٢) رِضَاهُ عَنْ حَظِّهِ ، وَلَا غَضَبُهُ عَنْ كَيْدِهِ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : زَوَالُ الدُّوَلِ فِي اصْطِنَاعِ السُّئْلِ ^(٣) ، وَمَنْ طَالَ عُذْوَانُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ . وَقَالُوا : مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْقِفْظَةِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفِظَةِ .. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ^(٤) : أَحْسَنُ مَا وَجَدْتُ فِي طِرَازِ الْحِكْمِ مِنَ الْبَلَاغَةِ : الْبُحْلُ وَالْجَهْلُ مَعَ التَّوَاضُعِ خَيْرٌ مِنَ السَّخَاءِ وَالْعِلْمِ مَعَ الْكِبَرِ ، فَيَا لَهَا حَسَنَةً غَطَّتْ عَلَى سَيِّئَتَيْنِ ! وَيَا لَهَا سَيِّئَةً غَطَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ !

* * *

(١) في « م » : قال .

(٢) يَخْتَدِعُهُ : يَخْدَعُهُ .

(٣) في « م » : « باصطناع » . والسُّئْلُ : الجهلاء والسُّقَاط من الناس وأراذلهم ، جمع « سافل » .

(٤) هو : يحيى بن خالد بن برمك ، مؤدب هارون الرشيد ، وقد مرت ترجمته .

البَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ

فِي الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي السُّلْطَانِ

وَقَدْ اتَّفَقَتِ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ عَلَيْهَا فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ قَصَرْتَ قُوَّتَكَ عَنْ
عَدُوَّكَ فَتَحَلَّتْ بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي لَيْسَ لِعَدُوِّكَ مِثْلُهَا ، فَإِنَّهَا الْكَافِيَةُ ^(١) مِنَ الْغَارَةِ
الشَّعْوَاءِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِصَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ ^(٢) : صِيفٌ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ] ^(٣) فَقَالَ : كَانَ عَالِمًا بِرِغْبَتِي ، عَادِلًا فِي قَضِيَّتِي ، غَارِبًا مِنَ الْكِبَرِ ، قَبُولًا لِلْعُذْرِ ،
سَهْلَ الْحِجَابِ ، مَصُونُ الْبَابِ ، مُتَحَرِّيًا لِلصُّوَابِ ، رَفِيقًا بِالضَّعِيفِ ، غَيْرَ مُحَابٍ
لِلْقَوَى ، وَلَا بَحَافٍ لِلْقَرِيبِ .

وَقَالُوا : الْمُنْفَعَةُ ^(٤) تُوجِبُ الْمَعِيَّةَ ، وَالْمَضَرَّةُ تُوجِبُ الْبِعْضَةَ ^(٥) ، وَالْمُخَالَفَةُ
تُوجِبُ الْعِدَاوَةَ ، وَالْمَتَابَعَةُ تُوجِبُ الْأَلْفَةَ ، وَالصَّدْقُ يُوجِبُ الثِّقَةَ ، وَالْأَمَانَةُ تُوجِبُ

(١) هكذا في م .. وى ط : : فإن الكفاية . لا تصح .. والغارة الشَّعْوَاءُ : المنتشرة الفاشية .

(٢) هو : صعصعة بن صُوحان بن حَجَر بن الحارث العبدى ، أسلم على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
ولم يَرَهُ ، وصغر عن ذلك ، وكان سيِّدًا من سادات قومه عبد القيس ، وُلِدَ في « دارين » قرب القطيف ، وكان خطيبًا
فصيحًا ، لَسِيْنَا ، ذَبِيْنَا ، فاضِلًا ، شهد « صفين » مع علي رضي الله عنه ، وله مع معاوية مواقف . وهو بمن سيرة
عثمان إلى الشام . توفى رحمه الله سنة ٥٦ هـ عن نحو ٧٠ عامًا ودُفِنَ في البحرين ، وقيل : مات بالكوفة .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢١ ، والأعلام ج ٣ ص ٢٥٥] .

(٣) ما بين المعقوفين عن ط . .

(٤) في م : : قالوا بالمنفعة .

(٥) البِعْضَةُ ، بكسر الباء المعجمة : شِدَّةُ الْبُغْضِ .

الطَّائِفَةِ ، وَالْعَدْلُ يُوجِبُ اجْتِمَاعَ الْقُلُوبِ ، وَالْجَوْرُ يُوجِبُ الْفُرْقَةَ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمَوَدَّةَ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمُبَاعَدَةَ ، وَالْإِسْطَاطُ يُوجِبُ الْمُوَالَسَةَ ، وَالْإِنْقِیَاضُ يُوجِبُ الْوَحْشَةَ ، وَالْكِبَرُ يُوجِبُ الْمَمَتَّ ، وَالْتَوَاضُعُ يُوجِبُ الْمِقَّةَ ^(١) ، وَالْجُودُ يُوجِبُ الْحَمْدَ ، وَالْبُحْلُ يُوجِبُ الْمَدَمَّةَ ، وَالتَّوَانِي يُوجِبُ التَّضْيِيعَ ، وَالْجِدُّ يُوجِبُ رَجَاءَ الْأَعْمَالِ ، وَالْهُوَيْنِي تُوجِبُ الْحَسْرَةَ ^(٢) ، وَالْحَزْمُ يُوجِبُ السُّرُورَ ، وَالتَّعْرِيفُ ^(٣) يُوجِبُ الثَّدَامَةَ ، وَالْحَذَرُ يُوجِبُ الْعُدْرَ ، وَإِصَابَةُ التَّدْبِيرِ تُوجِبُ بَقَاءَ النِّعَمَةِ ، وَبِالتَّائِي تَسْهَلُ الْمَطَالِبُ ، وَبِالْيَمْنِ كَنَفٌ ^(٤) الْمُعَاشَرَةِ تَدُومُ الْمَوَدَّةُ ، وَبِحِفْظِ الْجَانِبِ تَأْنَسُ النَّفُوسُ ، وَبِسَعَةِ خُلُقِ الْمَرْءِ يَطِيبُ عَيْشُهُ .

وَالِاسْتِيْهَانَةُ تُوجِبُ التَّبَاعُدَ ، وَبِكَثْرَةِ الصَّنَنِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ ^(٥) ، وَعَدْلُ الْمَنْطِقِ يُوجِبُ الْجَلَالََةَ ^(٦) ، وَبِالنِّصْفَةِ تَكْثُرُ الْمُوَالَسَةُ ^(٧) ، وَبِالْإِفْضَالِ يَعْظُمُ الْقُدْرُ ، وَبِالصَّالِحِ الْأَخْلَاقِ تَزْكُو ^(٨) الْأَعْمَالُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّوْدُ ^(٩) ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السُّبِيهِ يَكْثُرُ ^(١٠) الْأَصْرَارُ عَلَيْهِ ، وَبِالرَّفْقِ وَالتَّوَدَّةِ ^(١١) تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْكَرَمِ ، وَبِتَرْكِ مَا لَا يَغْنِيكَ يَسِمُ لَكَ الْفَضْلُ .

(١) أَلِيقَةُ : الْمَحَبَّةُ .

(٢) فِي ١ م : « يُوجِبُ الْحَسْرَةَ » . وَالْهُوَيْنِي هُنَا بِمَعْنَى الْمَهَابَةِ وَالذَّلَّةُ ، وَهِيَ تَصْغِيرُ « الْهُوَيْنِي » .

(٣) التَّعْرِيفُ : التَّعْرِضُ لِلْهَلَكَةِ .

(٤) الْكَنَفُ : جَانِبُ الشَّيْءِ .

(٥) فِي ١ م : « تَكُونُ الْهَيْبَةُ » .

(٦) فِي ١ م : « وَبِثَلَاثِ الْمَنْطِقِ تُحِبُّ الْجَلَالََةَ » .

(٧) أَيْ : وَبِالْإِفْضَالِ يَكْثُرُ الْإِحْسَانُ وَالْوِصَالُ .

(٨) تَزْكُو : تَزِيدُ وَتَتَمَرُّ .

(٩) الْمُؤْنُ : الْأَمْوَالُ . وَاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ : تَقْدِيمُ الْكَفَايَةِ مِنْهَا لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا . وَالسُّوْدُ : السِّيَادَةُ وَالْجِدُّ وَالشَّرَفُ .

(١٠) فِي ١ ط : « تَكْثُرُ » .

(١١) فِي ١ م : « وَبِالرَّفْقِ وَالتَّوَدُّدِ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السَّيَاسَةَ تُكْسُو أَهْلَهَا الْمَحَبَّةَ ، وَالْفَقَاطَةَ تُخْلَعُ عَنْ صَاحِبِهَا ^(١) تَوْبَ الْقَبُولِ . وَمِنْ صِعْرِ الْهِمَّةِ الْحَسَدُ لِلصَّدِيقِ عَلَى التَّعَمُّعِ ، وَالنَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ نَجَاةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَخْلُمْ ^(٢) لَيْدَمَ ، وَمَنْ صَبَرَ غَنِمَ ، وَمَنْ سَكَتَ سَلِمَ ، وَمَنْ خَافَ خَذِرَ ^(٣) ، وَمَنْ اِعْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَ ، وَمَنْ فَهَمَ عَلِمَ ، وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ضَلَّ ، وَمَعَ الْعَجَلَةِ التَّدَامَةُ ، وَمَعَ التَّائِي السَّلَامَةُ .

زَارِعُ الْبِرِّ ^(٤) يَخْصُدُ السُّرُورَ .. صَاحِبُ الْعَاقِلِ مَقْبُوطٌ ^(٥) .. صَدِيقُ الْجَاهِلِ نَعِبٌ ^(٦) .. إِذَا جَهَلْتَ فَاسْأَلْ ، وَإِذَا زَلَلْتَ فَارْجِعْ ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَانْدَمْ ، وَإِذَا تَدِمْتَ فَاقْلَعْ ^(٧) ، وَإِذَا أَفْضَلْتَ فَانْكُحْ ^(٨) ، وَإِذَا مَنَعْتَ فَاجْعِلْ ^(٩) ، وَإِذَا أُعْطِيتَ فَاجْزِلْ ^(١٠) ، وَإِذَا غَضِبْتَ ^(١١) فَاخْلُمْ .. مَنْ بَدَأَكَ بِبِرِّهِ فَقَدْ سَخَّلَكَ بِشُكْرِهِ .. الْمُرَوَّاتُ كُلُّهَا تَبِعَ لِلْعَقْلِ .. الرَّأْيُ تَبِعَ لِلتَّجَرِبَةِ .. الْعَقْلُ أَصْلُهُ التَّكْبُّثُ ، وَتَمَرَّتُهُ السَّلَامَةُ .. وَالتَّوْفِيقُ أَصْلُهُ الْعَقْلُ ، وَتَمَرَّتُهُ التَّجَنُّعُ ^(١٢) ، وَالتَّوْفِيقُ وَالْاجْتِهَادُ زَوْجَانِ ، فَلَا جِتِهَادَ ^(١٣) سَبَبَ ، وَالتَّوْفِيقُ يَنْجَحُ بِالْاجْتِهَادِ ^(١٤) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾

(١) في م : : تَخْلَعُ صَاحِبَهَا .

(٢) يَخْلُمْ : يَسْكُنُ وَيَهَاجِرُ عِنْدَ الْغَضَبِ .

(٣) خَذِرَ : تَقَطَّعَ وَاسْتَمَدَّ .

(٤) في م : : زَارِعُ الصَّبْرِ .

(٥) مَقْبُوطٌ : حَالُهُ حَسَنَةٌ يَهَيِّطُهُ النَّاسُ عَلَيْهَا .

(٦) في م : : مَصْرُوبٌ لَا تَصِحُّ . وَقَدْ سَبَقَ التَّوْفِيقُ عَلَيْهَا .

(٧) فَاقْلَعْ : أَيِ فَكِّفْ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي جَعَلَكَ تَدِمَ .

(٨) أَفْضَلْتَ : أَيِ أَحْسَنْتَ إِلَى إِنْسَانٍ .

(٩) فَاجْعِلْ : أَيِ فَأَخْسِرْ .

(١٠) اِجْزِلْ : اُتَوَسَّعْ وَاجْزِلْ .

(١١) في م : : عَصِيَتْ .

(١٢) التَّجَنُّعُ : النُّجَاحُ .

(١٣) في م : : وَالْاجْتِهَادُ .

(١٤) في ط : : بِالْاجْتِهَادِ .

سُبُلَنَا ﴿١﴾ . فَلَا عَمَالَ ﴿٢﴾ كُلُّهَا تَبِعَ لِلْمَقْلُورِ .

وَاخْتَارَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ مِنْ أَرْبَعِ كُتُبٍ .. مِنَ التَّوْرَةِ : مَنْ قَتَعَ شَيْعَ . وَمِنْ الزَّبُورِ ﴿٣﴾ : مَنْ سَكَتَ سَلِمَ . وَمِنْ الْإِنْجِيلِ : مَنْ اعْتَزَلَ نَجَا ﴿٤﴾ . وَمِنْ الْقُرْآنِ : ﴿٥﴾ وَمَنْ يَخْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦﴾ .

الْحِلْمُ شَرَفٌ ، وَالصَّبْرُ ظَفَرٌ ﴿٧﴾ ، وَالْمَعْرُوفُ كَنْزٌ ، وَالْجَهْلُ سَفَةٌ ، وَالْأَيَّامُ دَوْلٌ ، وَالْدَّهْرُ غَيْرٌ ﴿٨﴾ ، وَالْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَمَاخُودٌ بِعَمَلِهِ .. اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ يُكْسِبُ الْحَمْدَ .. أَكْرِمُوا الْجَلِيسَ يَغْمُرُ نَادِيَكُمْ .. انْصِفُوا مِنْ تَفْوسِكُمْ يُوثِقُ بِكُمْ .. إِهْلَاكُكُمْ وَالْأَخْلَاقُ الدَّنِيئَةُ ، فَإِنَّهَا تُضَيِّعُ الشَّرَفَ ، وَتَهْدِمُ الْمَجْدَ .. نَهْنَهَةُ الْجَاهِلِ أَهْوَنُ مِنْ جِرِيرَتِهِ ﴿٩﴾ .. رَأْسُ الْعَشِيرَةِ يَحْمِلُ أَثْقَالَهَا .

وَأَجْمَعَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : لَا تُحْمَلُ بِطَنِكَ مَالًا يُطِيقُ ﴿١٠﴾ ، وَلَا تَعْمَلْ عَمَلًا لَا يَنْفَعُكَ ، وَلَا تُقَرَّرْ بِأَمْرَةٍ ﴿١١﴾ ، وَلَا تُثِقَ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ .

(١) سورة العنكبوت - من الآية ٦٩ .

(٢) في ط : : والأعمال .

(٣) الزَّبُورُ : الكتاب المَزْمُور ، أى الذى أُلْفِتَتْ كِتَابَتُهُ ، وغلب على صُحُفِ داود عليه السلام . قال تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ . سورة النساء - من الآية ١٦٣ .

(٤) في م : : مَنْ سَكَتَ نَجَا .

(٥) سورة آل عمران - من الآية ١٠١ . وفي ط : : وَمَنْ اعْتَصَمَ . مخالف للآية .

(٦) ظَفَرٌ : قَوَزٌ وَتَوَالٌ .

(٧) الْأَيَّامُ دَوْلٌ : تدور وتنقل من حال إلى حال . وَغَيْرُ الدَّهْرِ : أحواله وأحداثه الْمُتَغَيِّرَةُ أيضًا .

(٨) النَّهْنَهَةُ : الصَّبَاحُ وَالزَّجَرُ . والجريئة : الجنابة والذنب .

(٩) في م : : لَا تُحْمَلُ طَنُكَ مَا لَا يَطِيقُ .

(١٠) في م : : بِأَمْرَةٍ .

البَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ

فِيمَا يَعِزُّ بِهِ السُّلْطَانُ .. وَهِيَ الطَّاعَةُ (٥)

قَالَ مَلِكُ فَارِسَ لِمُوبَدَّانَ مُوبَدَّ : مَا شَيْءٌ وَاحِدٌ يَعِزُّ بِهِ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ : الطَّاعَةُ .
 قَالَ : فَمَا مِلَاكُ الطَّاعَةِ (١) ؟ قَالَ : التَّوَدُّدُ إِلَى الْخَاصَّةِ ، وَالْعَدْلُ عَلَى الْعَامَّةِ . قَالَ :
 صَدَقْتَ . الْأَمَانَةُ مَعْقِلُ (٢) الطَّاعَةِ ، وَالطَّاعَةُ نَيْتَةُ الْمُلْكِ (٣) . وَكَانَ يُقَالُ : طَاعَةُ
 السُّلْطَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ : عَلَى الرِّغْبَةِ ، وَالرَّهْمَةِ ، وَالْمَحَبَّةِ ، وَالذَّبَائِنَةِ .. وَلَمَّا دَخَلَ
 سَعْدُ الْعَشِيرَةِ (٤) عَلَى بَعْضِ مُلُوكِ جَمَيْرٍ (٥) قَالَ لَهُ : يَا سَعْدُ ، مَا صَلَاحُ الْمُلْكِ ؟

(٥) في « د م » : « في بيان معرفة السلطان .. وهي الطاعة » .

(١) في « د م » : « ملال » تحريف .. وَمِلَاكُ الطَّاعَةِ ، بفتح الميم وبكسرهما : قِوَاهُهَا وَخِلَاصَتُهَا .

(٢) الْمَعْقِلُ : الْمَلْجَأُ وَالْجِصْنُ ، وَجَمْعُهُ : مَعَاقِلُ .

(٣) في « د م » : « زينة الجَلَّة » . وَالْجَلَّةُ : الشَّرِيعَةُ أَوِ الدِّينُ .

(٤) هو : سعد العشيرة بن مَذْحِجٍ — وَلى الْأَعْلَامَ : ابن مالك — بن أَدَدٍ ، من كَهْلَانٍ ، من الْقَحْطَانِيَّةِ ، من
 رَجَالَاتِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَبَنُوهُ عِدَّةٌ يُعَلُّونَ : الْحَكَمَ ، وَصَعْبَ ، وَجُفْعَى ، وَزَيْدَ اللَّهِ ، وَثَيْبَةَ ، وَجَسَرَ ، وَعَلَانَدَ
 اللَّهِ . وَشَقِيَ « سعد العشيرة » لِأَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ مَعَهُ أَبْنَاؤَهُ ، وَأَبْنَاءُ أَبْنَائِهِ ، وَهُمْ نَحْوُ مِائَةِ رَجُلٍ ، فَإِذَا سُئِلَ عَنْهُمْ
 قَالَ : هَؤُلَاءِ عَشِيرَتِي .

[انظر الْأَعْلَامَ ج ٣ ص ٨٦ ، والمعارف ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، وثمار القلوب ص ١٠٤] .

(٥) جَمَيْرٌ : أُمُو قَبِيلَةٍ مِنَ الْعَيْنِ ، وَهُوَ جَمَيْرٌ بْنُ سِبْأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَحْرَبَ بْنِ قَحْطَانَ . وَقِيلَ : هُوَ مِنْ مُلُوكِ الْعَيْنِ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَإِلَيْهِ تَنَسَّمِي الْقَبِيلَةُ ، وَمَدِينَةُ « ظَفَار » كَانَتْ لَهُ .

[انظر لسان العرب ، والمعجم الوسيط مادة : حمر .. ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٦ ، ٣٠٧] .

قَالَ : مُعِدِّلَةٌ شَائِعَةٌ ، وَهَيْبَةٌ وَارِعَةٌ ^(١) وَرَعِيَّةٌ ^(٢) طَائِعَةٌ . فَإِنَّ فِي الْمُعِدِّلَةِ حَيَاةَ الْأَنْهَامِ ، وَفِي الْهَيْبَةِ نَفَى الظُّلَامِ ، وَفِي طَاعَةِ الرَّعِيَّةِ الثَّالِفَ ^(٣) وَالْإِنْتِشَامَ .

طَاعَةُ الْأَئِمَّةِ فَرَضٌ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ ^(٤) طَاعَةَ السُّلْطَانِ مَقْرُونَةٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ .. اتَّقُوا اللَّهَ بِحَقِّهِ ^(٥) ، وَالسُّلْطَانَ بِطَاعَتِهِ ^(٦) . مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٧) إِجْلَالُ السُّلْطَانِ - عَادِلًا كَانَ أَوْ جَائِرًا .. الطَّاعَةُ تُؤَلَّفُ شَمْلَ الدِّينِ ، وَتُنْظَمُ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ .. عِصْيَانُ الْأَئِمَّةِ يَهْدِمُ أَرْكَانَ الْمِلَّةِ . أَوَّلَى النَّاسِ بِطَاعَةِ السُّلْطَانِ وَمُنَاصَحَتِهِ أَهْلُ الدِّينِ وَالتَّعَمُّ وَالْمُرُوءَاتِ ، إِذْ لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِالسُّلْطَانِ ^(٨) ، وَلَا تُكُونُ التَّعَمُّ وَالْحَرَمُ مَحْفُوظَةً إِلَّا بِهِ .. الطَّاعَةُ مِلَاكُ الدِّينِ .. الطَّاعَةُ مَعَاقِلُ ^(٩) السَّلَامَةِ ، وَارْفَعْ مَنَازِلَ السَّعَادَةِ الطَّرِيقَةُ الْمَثْلَى ، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى قِوَامُ الْأَمَّةِ ^(١٠) ، وَقِيَامُ السَّنَةِ بِطَاعَةِ الْأَئِمَّةِ عِصْمَةٌ ^(١١) مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ .. طَاعَةُ الْأَئِمَّةِ عِصْمَةٌ لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا ، وَحِرْزٌ ^(١٢) لِمَنْ دَخَلَ فِيهَا .

وَلَيْسَ لِلرَّعِيَّةِ أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَى الْأَئِمَّةِ فِي تَذْيِيرِهَا ، وَإِنْ سَوَّلَتْ لَهَا أَنْفُسُهَا ، بَلَّ عَلَيْهَا الْإِنْتِقَادَ ، وَعَلَى الْأَئِمَّةِ الْجَاهِدُ .. بِالطَّاعَةِ تَقُومُ الْحُدُودُ ، وَتُؤَدَّى الْقَرَائِصُ ، وَتُحَقَّنُ

(١) الْمُعِدِّلَةُ ، بِكَسْرِ الدَّالِ وَضَعُهَا : الْعَدْلُ وَالْإِسْتِقَامَةُ . وَوَارِعَةٌ : زَاجِرَةٌ وَمَانِعَةٌ .

(٢) فِي « م » : رَغِيَّةٌ ، بِدَلِّ « رَعِيَّةٌ » تَحْرِيفٌ .

(٣) الثَّالِفُ : اسْتِثْنَاءُ الْقُلُوبِ بِالْمَوْدَةِ وَالْإِحْسَانِ . وَفِي « م » : « : التَّالِيفُ » أَيْ : الْاجْتِمَاعُ وَالتَّحَابُّ .

(٤) « كَأَنَّ » عَنْ « ط » .

(٥) فِي « م » : لِحَقِّهِ .

(٦) فِي « م » : لِطَاعَتِهِ .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعَقُّوفَيْنِ عَنْ « م » .

(٨) فِي « م » : « : إِلَّا بِالسُّلْطَانِ » .

(٩) فِي « ط » : « : مَعَادِدُ » أَيْ : مَنَازِلُ : جَمْعُ مَقِيدٍ .

(١٠) أَيْ : عِمَادُ الْأَمَّةِ وَنِظَامُهَا يَقُومَانِ عَلَى مَا يُسْتَنْسَكُ بِهِ وَيُتَّقَصُّمُ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ الْمُحْكَمَةِ وَالدِّينِ الْحَنِيفِ .

(١١) فِي « ط » : « : الطَّاعَةُ عِصْمَةٌ » .

(١٢) فِي « م » : « : وَجُورٌ » تَحْرِيفٌ .

الدَّمَاءُ ، وَثَأْمُنُ السَّبِيلِ ^(١) .. الإمامة ^(٢) عِصْمَةُ لِلْعِبَادِ ، وَحَيَاةٌ لِلْبِلَادِ ، أَوْجَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَصَّهُ بِفَضْلِهَا وَحَمَلَهُ أَغْبَاءَهَا ^(٣) الطَّاعَةَ ، فَقَرَّبَتْهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) .. طَاعَةُ الْأُئِمَّةِ هُدًى لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِنُورِهَا ، وَمَوْزِلٌ ^(٥) لِمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا .. الْخَارِجُ ^(٦) مِنَ الطَّاعَةِ مُنْقَطِعُ الْعِصْمَةِ ، بَرَاءٌ مِنَ الذِّمَّةِ ، مُبَدَّلٌ بِالْكَفْرِ النَّعْمَةِ ^(٧) .. طَاعَةُ الْأُئِمَّةِ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَدِينُهُ الْقَوِيمُ ، وَجَنَّتُهُ الرَّاqِةُ ، وَكِفَايَتُهُ الْعَالِيَةُ .

إِيَّاكُمْ وَالْخُرُوجَ عَنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسْرِوْا غِشَّ الْأُئِمَّةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّصَبُّحِ .. مَا مَشَى قَوْمٌ إِلَى سُلْطَانٍ لِيُذْلُوهُ إِلَّا أَذْلَهُمُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا .. الطَّاعَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْمَحَبَّةِ .. طَاعَةُ الْمَحَبَّةِ أَفْضَلُ مِنْ طَاعَةِ الْهَيْبَةِ .. لِلرَّعِيَةِ عَلَى السُّلْطَانِ الْإِصْطِلَاحُ لَهُمْ ، وَالتَّعَهُدُ لِأُمُورِهِمْ ، وَحُسْنُ السَّيَرَةِ فِيهِمْ ، وَالْعَدْلُ عَلَيْهِمْ ، وَالتَّعْدِيلُ بَيْنَهُمْ ، وَحَقُّ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ^(٨) الطَّاعَةُ ، وَالِاسْتِقَامَةُ ، وَالشُّكْرُ . وَالْمَحَبَّةُ بِالرَّعِيَةِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الرَّاعِي مَا لَيْسَ بِالرَّاعِي مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ .. نَوَلَا الرُّعَاةُ هَلَكَتِ الرُّعِيَّةُ ، وَلَوَلَا الْمُسِيْمُ هَلَكَتِ السَّوَامُ ^(٩) .

• • •

(١) في م : : : ويأمل ، باللام . تحريف . والسبيل : الطرق ، جمع سبيل ، ويُطلق على الطريق المسلول .

(٢) في م : : : الطاعة ، بدل الإمامة .

(٣) في م : : : خصه فضلها ، وحمله غيها ، .

(٤) سورة النساء — من الآية ٥٩ .

(٥) موزل : ملجأ .

(٦) في م : : : الخروج .

(٧) الصواب لغة أن يقال : « مُبَدَّلُ الْكُفْرِ بالنعمة » فإياه تدخل على المتروك .

(٨) في م : : : على الرعية .

(٩) المُسِيْمُ : الراعي .. والسوام : جمع سائمة ، ويُطلق على الإبل والماشية التي تُرسل للرعي ولا تُغلف . وفي

م : : : ولولا المُسِيْمُ هَلَكَتِ السَّوَامُ .

البَابُ السَّادِسُ عَشَرُ

فِي مِلَاكِ أُمُور السُّلْطَانِ

قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ يَخْرُزَانِ الْمَلِكَ ^(١) . وَقَالَ زَيْدَادٌ ^(٢) : مَلَكَ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : السُّدَّةُ عَلَى الْمَذْنِبِ ، وَالْمُجَازَاةُ لِلْمُحْسِنِ ، وَصِدْقُ الْقَوْلِ . وَلَمَّا غَزَا سَابُورَ ذُو الْأُكْتَفِ ^(٣) مَلِكَ الرُّومِ ، وَأَغْرَبَ بِلَادَهُ ، وَقَتَلَ جُنْدَهُ ، وَأَفْتَى بَطَارِقَتَهُ ^(٤) قَالَ لَهُ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ وَأَغْرَبْتَ ، فَأَخْبِرْنِي ، مَا الْأَمْرُ الَّذِي تَشَبَّهْتَ ^(٥) بِهِ حَتَّى قَوَيْتَ عَلَى مَا أَرَى ، وَبَلَغْتَ فِي السِّيَاسَةِ مَا لَمْ يَلْغُهُ

(١) يَخْرُزَانِ الْمُلْكُ : يَصُونَانِهِ وَيَحْفَظَانِهِ .

(٢) هو : زياد بن أبيه ، أمير من النخعة ، ومن القادة الفاتحين ، من أهل الطائف . اختطفوا في اسم أبيه ، فقبل : عبيد الثقفي ، وقيل : أبو سفيان ، وأمه سُمَيَّة ، جارية الحارث بن كَلْدَةَ الثقفي .. أفرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وأسلم ، في عهد أبي بكر ، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة ، ثم لأبي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ، ثم ولأبي علي بن أبي طالب إمرة فارس ، ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية ، وتحصن في قلاع فارس . وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكتب إليه بذلك ، فقدم زياد عليه ، وألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ فكان عضده الأقوى ، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق ، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة ٥٣ هـ . وكان خطيباً فصيحاً ، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٥٣ والمعارف ص ٢٨٨ وغيرها من الصفحات ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٧ . (٣) هو : سائر بن هاشم بن محمد الميموني .]

الحرب . ولد سنة ٣١٠ ميلادية . وقبيل : لقب بذلك لانه امر بفك اكاف امري

[انظر ترجمته في المعارف لابن قتيبة ص ٦٥٦ - ٦٥٩] .

(٤) في م : : بطاركتُهُ بالكاف . وكلامها صواب .

(٥) في (م) : : شئت ، تحريف من الناسخ .

مَلِكٌ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يُضْبَطُ ^(١) الْأَمْرُ بِحِفْظِهِ أَذِيتُ إِلَيْكَ الْخَرَاجَ ، وَصِرْتُ كَبَغْضِ الرُّعْيَةِ فِي الطَّاعَةِ لَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ سَابُورُ : إِنِّي لَمْ أَزِدْ فِي السِّيَاسَةِ عَلَى ثَمَانٍ حِصَالٍ : لَمْ أَهْرُلْ فِي أَمْرٍ وَلَا نَهَيْ ، وَلَمْ أَخْلِفْ فِي وَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ ^(٢) ، وَوَلَّيْتُ أَهْلَ الْكِفَايَةِ ، وَأَثْبَتُ عَلَى الْعَنَاءِ لَا عَلَى الْهَوَى ، وَصَرَّيْتُ لِلْأَدَبِ لَا لِلْعُصْبِ ، وَأَوْدَعْتُ قُلُوبَ الرُّعْيَةِ الْمَحَبَّةَ مِنْ غَيْرِ جُرْأَةٍ ، وَالْهَيْبَةَ مِنْ غَيْرِ ضَعْفِيَّةٍ ^(٣) ، وَعَمَمْتُ بِالْقَوَاتِ ^(٤) ، وَمَنَعْتُ الْقُصُولَ ^(٥) . فَادَّعَنَ لَهُ ، وَأَدَّى إِلَيْهِ الْخَرَاجَ .

وَكَتَبَ الزُّوْلَيْدُ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ ^(٦) بِسِيرَتِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي أَقْبَضْتُ رَأْيِي وَأَثْمْتُ هَوَايَ ، وَأَذِيتُ السَّيِّدَ الْمُطَاعَ فِي قَوْمِهِ ، وَوَلَّيْتُ الْحَرْبَ الْحَازِمَ فِي أَمْرِهِ ، وَقَلَّدْتُ الْخَرَاجَ الْمُوفَى لِأَمَانِيهِ ^(٧) ، وَقَسَمْتُ لِكُلِّ حَصْنٍ مِنْ نَفْسِي قَسْمًا يُعْطِيهِ حَقًّا ^(٨) مِنْ تَطَرِّيٍّ وَلَطِيفٍ عِنَاتِي ، وَصَرَفْتُ ^(٩) السَّيْفَ إِلَى الْبَطْرِ ^(١٠) وَالْمُسِيءِ ، فَخَافَ الْمُذْبِذِبُ صَوْلَةَ الْعِقَابِ ^(١١) ، وَتَمَسَّكَ الْمُحْسِنُ بِحَظِّهِ مِنَ الثَّوَابِ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ^(١٢) : إِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحَصِّنًا لِسِرِّهِ ، بَعِيدًا مِنْ أَنْ يُعْرَفَ مَا فِي

(١) فِي م : : : مَا يَضْبَطُ .

(٢) الْوَعْدُ : يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَقِيلَ : الْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ ، لِأَنَّهُ حَاصِلٌ عَنْ كَرَمٍ ، وَالْوَعْدُ فِي الشَّرِّ ، لِأَنَّهُ حَاصِلٌ عَنْ غَضَبٍ .

(٣) ضَعْفِيَّةٌ : حَقْدٌ .

(٤) عَمَمْتُ : شَبَّلْتُ . يُقَالُ : عَمَّ الْقَوْمَ بِالْمَطِيَةِ : شَبَّلَهُمْ .

(٥) الْقُصُولُ : جَمْعُ قُصْلٍ ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ . وَأَدَّعَنَ : انْقَادَ .

(٦) فِي م : : : يَكْتُبُ إِلَيْهِ .

(٧) قَلَّدْتُ الْخَرَاجَ الْمُوفَى لِأَمَانَتِهِ : قَوَّضْتُ أَمْرَهُ لِلَّذِي يُؤَدِّي حَقَّهُ وَيُوفِيهِ .

(٨) قَسَمْتُ قَسْمًا : خَصَمْتُ جُزْأً .. وَالْحَقُّ : النَّصِيبُ .

(٩) صَرَفْتُ السَّيْفَ : رَدَدْتُهُ عَنْ وَجْهِهِ .. وَفِي ط : : : وَصَرَفْتُ .

(١٠) الْبَطْرِ : الَّذِي يَنْكَرُ الْحَقَّ وَلَمْ يَقْبَلْهُ .

(١١) صَوْلَةُ الْعِقَابِ : شِدْثُهُ .

(١٢) هُوَ : أَبُو عُبَيْدَةَ مَغْفَرُ بْنُ الْمُثَنَّى الْبَصْرِيُّ ، مِنْ أُمَّةِ الْعِلْمِ بِالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ ، وَلِدَهُ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١١٠ هـ ، وَاسْتَقْدَمَهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ ١٨٨ هـ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِنْ كُتُبِهِ .

نَفْسِهِ ، مُتَحَيِّرًا لِلْوَرَزَاءِ ، مَهِيًّا ^(١) فِي أَنْفُسِ الْعَامَّةِ ، مُكَافِئًا بِحُسْنِ الْبَلَاءِ ، لَا يَخَافُهُ
الْبَرِيُّ ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْمُجْرِمُ ^(٢) ، كَانَ خَلِيقًا لِبَقَاءِ مُلْكِهِ .

= قال عنه الجاحظ : « لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه » . وكان شعريًا .
وقال ابن قتيبة : « كان يفيض العرب ، وصنّف في مثالبهم كتبًا ، وكان مع سعة علمه ربما أنشد البيت فلم يقم
وزنه » . وكانت وفاته بالبصرة سنة ٢٠٩ هـ .
[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٧٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣٥ - ٢٤٣ ، وإنباه الرواة ج ٣
ص ٢٧٦ - ٢٨٧ ، وإشارة الصّين في تراجم النحاة واللغويين ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢ -
٢٥٨ ، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص ١٥٤ - ١٦٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ ، ٢٥] .
(١) مَهِيًّا : مُعْظَمًا .
(٢) فِي « م » : « الظالم المجرم » .

البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي خَيْرِ السُّلْطَانِ وَشَرِّ السُّلْطَانِ

أَفْضَلُ الْمُلُوكِ مَنْ كَانَ شِرْكَةً ^(١) بَيْنَ الرَّعَايَا ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ [فِيهِ] ^(٢) قِسْطُهُ ،
لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي خَفِيفِهِ ^(٣) ، وَلَا يَتَأَسَّرُ الضَّعِيفُ مِنْ
عَدْلِهِ . كَانَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَأْخُذُ بِيَدِ الْأُمَّةِ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهَا ^(٤) .
وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : أَفْضَلُ السُّلْطَانِ ، مَنْ أَمِنَهُ الْبَرِيُّ وَخَافَهُ الْمُجْرِمُ . وَشَرُّ
السُّلْطَانِ ، مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ وَأَمِنَهُ الْمُجْرِمُ . وَقَالَ عُمَرُ لِلْمُغِيرَةِ ^(٥) لَمَّا وَلَّاهُ الْكُوفَةَ :

(١) فِي م : شُرْكَةٌ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُقْرَفَيْنِ عَنْ ط : وَسَاقَطَ مِنْ م : .. وَقِسْطُهُ : حَقُّهُ وَنَصِيبُهُ .

(٣) فِي خَفِيفِهِ عَنْ ط : وَسَقَطَتْ مِنْ م : سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ . وَالْخَفِيفُ : الْمَجُورُ وَالظُّلْمُ .

(٤) هَكَذَا فِي م : .. وَفِي ط : « تَأْخُذُ بِيَدِ الْأُمَّةِ مِنْ إِمَامِ الْمَدِينَةِ فَتُطَوَّفُ بِهِ عَلَى سَكَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى يَقْضِيَ
حَاجَتَهَا » . وَالْأُمَّةُ : الْمَرْأَةُ الْمَمْلُوكَةُ ، خِلَافَ الْخُرَّةِ .

(٥) عُمَرُ ، هُوَ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ ..

وَالْمَغِيرَةُ هُوَ : الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَدُ ذُهَابِ الْعَرَبِ وَقَادِمِهِمْ وَوِلَايَتِهِمْ ،
صَحَابِيُّ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : « مَغِيرَةُ الرَّأْيِ » . وَوُلِدَ فِي الطَّائِفِ سَنَةَ ٢٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَغَادَرَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ
بَنِي مَالِكٍ ، فَدَخَلَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَانْفَلَا عَلَى الْمَقْرُوسِ ، وَعَادَ إِلَى الْحِجَازِ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ تَرَدَّدَ فِي قَبُولِهِ ، ثُمَّ أَسْلَمَ
سَنَةَ ٥ هـ . وَشَهِدَ الْخُدَيْيَّةَ وَالْبَهْمَةَ وَقُرُوحَ الشَّامِ ، وَذَهَبَتْ عَيْنُهُ بِالرُّمُوكِ ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَنِهَازُونَ وَهَمْدَانَ ،
وغيرها . وَلَمَّا وَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الْبَصْرَةِ فَفَتَحَ عِدَّةَ بِلَادٍ ، وَعَزَلَهُ ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْكُوفَةَ ، وَأَقْرَبَهُ عُمَانٌ عَلَى الْكُوفَةِ ، ثُمَّ
عَزَلَهُ ، وَلَمَّا حَدَّثَتْ الْفَتَنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ اخْتَرَهَا الْمَغِيرَةُ ، وَحَضَرَ مَعَ الْحَكَمَتَيْنِ . ثُمَّ وَلَّاهُ مَعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا
إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٥٠ هـ .

[انظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَعْلَامِ ج ٧ ص ٢٧٧ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ٥ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ، وَالْمَغِيرُ ص ١٨٤ وَالْمَعَارِفُ
ص ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

يَا مُعِيَّةُ، لِيَأْمَنَكَ الْأَمْرَارُ، وَلِيُخَفِكَ ^(١) الْفَجَارُ. وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ أَيْضًا: شَرُّ الْمَالِ مَالٌ لَا يَنْفَقُ مِنْهُ، وَشَرُّ الْإِخْوَانِ الْخَاذِلُ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ، وَشَرُّ الْبِلَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ ^(٢) حِصْبٌ وَلَا أَمْنٌ، وَخَيْرُ السُّلْطَانِ مَنْ أَشْبَهَ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الْجَيْفُ لَا مَنْ أَشْبَهَ الْحَيْفَةَ وَحَوْلَهَا ^(٣) النَّسُورُ. وَعَنْ هَذَا الْمَعْنَى قَالُوا: سُلْطَانٌ تَخَافُهُ الرَّعِيَّةُ خَيْرٌ لِلرَّعِيَّةِ مِنْ سُلْطَانٍ يَخَافُهَا. وَفِي الْأَمْثَالِ الْعَامَّةِ: رَهْبُوتٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ رَحْمَتٍ ^(٤). وَكَانَ يُقَالُ: شَرُّ خِصَالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنُ عَنِ الْأَعْدَاءِ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى الضُّعَفَاءِ، وَالْبُخْلُ عِنْدَ الْإِعْطَاءِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ثَلَاثَةٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ ^(٥) : جَارٌ مُلَاذِمٌ ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً سَتَرَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا ، وَامْرَأَةٌ إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا لِسْتَنكِ ^(٦) ، وَإِنْ غِيَتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا . وَسُلْطَانٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَحْمَدَكَ ، وَإِنْ أَسَاكَ فَكَلَّكَ . وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ : مَتَى أَضِلُّ وَأَنَا أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ ^(٧) : إِذَا مَلَكَتْكَ أُمَرَاءُ ، إِنْ أَطَعْتَهُمْ أَذْلُوكَ ، وَإِنْ عَصَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ . وَقَالَ أَبُو حَارِثٍ ^(٨) لِسُلَيْمَانَ بْنِ عُبَيْدِ الْمَلِكِ : السُّلْطَانُ سَوْقٌ ، مَا تَفَقَّ ^(٩) عِنْدَهُ أَتَى بِهِ .

وَفِي كِتَابِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ ^(١٠) النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا الْقَلِيلَ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْبُرِّ

(١) في «ط»: : لِيَتَحَفَّنَكَ .

(٢) في م : ١ : ١ وشر البلاد بلد ليس فيه ١ .

(۳) فی م : : حولها : بدون : واو .

(٤) الرَّهْبُوتُ : الرهبة . والرَّحْمُوتُ : الرحمة : والمعنى : لَأَنْ تُرَهَّبَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرَحَّمَ .

(٥) الْفَوَاقِرُ : التَّوَاهِي ، مفردُها : فاقرة .. وفي « م » : « الْمَفَاقِيرُ » ومعناها : وجوه الْفَقِيرِ ، يقال : سَدَّ اللَّهُ مَفَاقِرَهُ ، أى : أَغْنَاهُ .

(٦) لَسْتُكَ : عَابَتِكَ بِلِسَانِهَا وَذَكَرَتْكَ بِالسُّوءِ .. وَفِي ط ١ : « أَلَسْتُكَ » .

(۷) فی (م) : قال .

(٨) هو : أبو حازم الأعرج ، سلمة بن دينار ، وقد مرت ترجمته .

(۹) نَفَقَ : رَاجِعٌ .

(١٠) هو كتاب التاج الذي ترجمه عن الفارسية ، وقد سبقت الإشارة إليه .

وَالْمُرُوءَةُ عِنْدَهُ نِفَاقٌ ^(١) فَسَيَكْسُدُ بِذَلِكَ الْفُجُورُ وَالذَّنَاءَةُ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ ^(٢) . وَسَيَعِزُّ زَيْدًا رَجُلًا يَذُمُّ الزَّمَانَ ^(٣) فَقَالَ : لَوْ كَانَ يَذِرُ مَا الزَّمَانُ لَعَاقَبْتُهُ ، إِنَّ الزَّمَانَ هُوَ السُّلْطَانُ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ الْكَوَّاءِ ^(٤) : صِفْ لِي الزَّمَانَ . فَقَالَ : أَنتَ الزَّمَانُ ، إِنَّ نَصْلُكَ يَصْلُحُ ، وَإِنْ تَفْسُدُ يَفْسُدُ . وَالْمَثَلُ السَّائِرُ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَعَلَى كُلِّ لِسَانٍ : النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يُحَذَرَ : الْعُدُوُّ الْفَاجِرُ ، وَالصَّدِيقُ الْغَادِرُ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ . وَقَالَ بُزْجَمِيهِرُ : أَدْوَمُ التَّعَبِ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ السَّيِّئِ الْخُلُقِ ^(٥) . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا ابْتَلَيْتَ بِصُحْبَةِ سُلْطَانٍ لَا يُرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّتِهِ فَقَدْ خُيِّرْتَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ^(٦) لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ : أَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ فَهُوَ هَلَاكُ الدِّينِ ، وَأَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَهُوَ هَلَاكُ الدُّنْيَا ، فَلَا حِيلَةَ لَكَ ^(٧) إِلَّا الْمَوْتُ أَوْ الْهَرَبُ مِنْهُ . وَقَالُوا : الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَالْتَّهْرِ الصَّافِي ^(٨) يَتَنَفَّعُ بِهِ الْأَشْرَارُ وَالْأَخْيَارُ ، وَلَا يَضُرُّ أَحَدًا ، وَالْمَلِكُ السَّوُّءُ مِثْلُ الْجَيْفَةِ يُسْرِعُ إِلَيْهَا شِرَارُ الْحَيَوَانِ وَيَتَحَامَاهَا النَّاسُ ^(٩) .

(١) نِفَاقٌ : جمع نَفَقَةٍ ، وهي اسم من الإنفاق .

(٢) يَكْسُدُ الْفُجُورُ وَالذَّنَاءَةُ : يصيران كاسيذين لارَوَاجَ لهما ولا انتشار .

(٣) يَذُمُّ الزَّمَانَ : يعيبه .

(٤) فِي م : : لابن اللّوى ، تعريف من النامىخ .

وابن الكوّاء هو : عبد الله بن عمرو بن النعمان ، من بنى نَشْكُرَ . عالم كبير ، ونسابة مشهور . وقيل لأبيه الكوّاء لأنه كَوَّى في الجاهلية . وكان من أنصار عليّ ، وحارب معه في صفين ، ثم خرج عليه .

[انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٣٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٠٨ ، والبيان والبيان ج ٢ ص ٢٥٣] .

(٥) الْخُلُقُ : السَّجَّةُ . وفي م : : الْخُلَيْفَةُ : وهي : الطبيعة التي يُخْلَقُ المرء بها .

(٦) فِي م : : بين خيرتين .. والخيار : اسم بمعنى طلب خير الأمرين .

(٧) هَكَذَا فِي ط .. وفي م : : له . ولا يصح إرجاع الضمير هنا إلى الملك ، والألف فسد المعنى .

(٨) فِي م : : كالنهر الجاري الحافي .

(٩) يتحاماها : يتجنبها .

البَاب الثَّامِنَ عَشَرَ

فِي مَنَوَلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الْقُرْآنِ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ لَيَرْعُ بِالسُّلْطَانِ مَالًا يَرَّعُ ^(١) بِالْقُرْآنِ » . مَعْنَاهُ ^(٢) : يَذْفَعُ . وَقَالَ كَعْبٌ ^(٣) : مَثَلُ الْإِسْلَامِ وَالسُّلْطَانِ وَالنَّاسِ مَثَلُ الْفُسْطَاطِ وَالْعُمُودِ وَالْأُتُنَابِ ^(٤) وَالْأَوْتَادِ ، فَالْفُسْطَاطُ : الْإِسْلَامُ ، وَالْعُمُودُ : السُّلْطَانُ ، وَالْأُتُنَابُ ^(٥) وَالْأَوْتَادُ : النَّاسُ ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهُمْ إِلَّا بِبَعْضٍ .

وَقَالَ أُرْدَشِيرُ لِابْنِهِ . يَا بُنَيَّ ، إِنْ الْمَلِكَ وَالَّذِينَ أَخْوَانُ لَا غِنَى لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ، فَالَّذِينَ أَسُّ ، وَالْمَلِكُ حَارِسٌ ، وَمَنْ لَمْ ^(٦) يَكُنْ لَهُ أَسٌّ فَهُوَ مَهْذُومٌ ^(٧) ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ . يَا بُنَيَّ اجْعَلْ حَيْدُكَ مَعَ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ ، وَعَظِيمَتِكَ لِأَهْلِ الْجِهَادِ ،

(١) فِي « ط » : « يَرعى » بدل « يَرَّع » فِي الْمَوْضِعِينَ .

(٢) فِي « ط » : « مَعْنَاهُ : أَيْ » .

(٣) فِي « م » : « قَالَ » ، بِحَذْفِ الْوَاوِ . وَكَعْبٌ هُوَ : كَعْبُ الْأَحْبَارِ ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٤) الْفُسْطَاطُ : بَيْتٌ مِنْ شَجَرٍ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا مُجْتَمَعُ النَّاسِ . وَالْأُتُنَابُ : مَا يُخَدُّ بِهِ الْبَيْتُ مِنَ الْحِجَالِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالْعُرَاقِ .

(٥) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الْأُتُنَابِ » مِنْ « م » .

(٦) فِي « ط » : « وَمَا لَمْ » . وَالْأَسُّ : الْأَسَاسُ . وَقَدْ مَرَّتْ .

(٧) فِي « م » : « فَتَهْذُومٌ » .

وَبَشِّرْكَ ^(١) لِأَهْلِ الدِّينِ ، وَسِرِّكَ لِمَنْ عَنَاهُ مَا عَنَّاكَ ، وَلِتَكُنَّ ^(٢) مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ . وَكَانَ
يُقَالُ : الدِّينُ وَالسُّلْطَانُ تَوْأَمَانِ ^(٣) .

* * *

(١) البشِّرُ : طلاقة الوجه والسرور .

(٢) لى م م : وليكن .

(٣) هكذا فى م م و ط .. والصواب : تَوْأَمٌ ، أو تَوَّامٌ ، ويُطلق على المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين إلى ما زاد ، ذكرًا كان أو أنثى . والجمع : توائم .

البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ

فِي خِصَالِ جَامِعَةِ لِأَمْرِ السُّلْطَانِ

قَالُوا : ظَفَرُ ^(١) الْمَلِكِ يَبْدُوهُ عَلَى حَسَبِ عَدْلِهِ فِي رَعِيَّتِهِ ، وَنُكُوبُهُ ^(٢) فِي حُرُوبِهِ عَلَى حَسَبِ جَوْرِهِ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَإِصْلَاحُ الرُّعْيَةِ أَنْفَعُ مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ . وَقَالُوا : تَأَجُّجُ الْمَلِكِ عَفَافُهُ ، وَحِصْنُهُ إِصْصَافُهُ ، وَسِلَاحُهُ كُفَافُهُ ^(٣) ، وَمَالُهُ رَعِيَّتُهُ ^(٤) . وَقَالَتْ حُكْمَاءُ الْهِنْدِ : لَا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا صِيحَّةَ مَعَ نَهَمٍ ^(٥) ، وَلَا ثَنَاءَ مَعَ كِبَرٍ ^(٦) ، وَلَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ أَدَبٍ ، وَلَا يَرْ مَعَ شُحٍّ ، وَلَا اجْتِنَابَ مُحَرَّمٍ مَعَ جِرْصٍ ، وَلَا وِلَايَةَ حُكْمٍ مَعَ عَدَمِ فِقْهِ ، وَلَا سُودَّدَ مَعَ انْتِقَامٍ ^(٧) ، وَلَا ثَبَاتَ مُلْكٍ مَعَ تَهَاوُنٍ وَجَهَالَةٍ وَزَارَةٍ .

(١) الظَّفَرُ : الْقَلْبَةُ وَالْقَهْرُ .

(٢) فِي « م » : « وَيَكُونُ » . وَالنُّكُوبُ : الْمَصَالِبُ ، مَفْرَدُهَا : نَكْبٌ .

(٣) كُفَافُهُ : الَّذِينَ تَكُونُ بِهِمُ الْكِفَايَةُ وَيَسْتَفْنِي بِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ . وَفِي « ط » : « وَسِلَاحُهُ كِفَافَتُهُ » بِالْهَمْزِ ، وَهِيَ : الْمِمْلَاقَةُ فِي الْقُوَّةِ وَالشَّرَفِ ، وَمِنْهَا الْكِفَايَةُ فِي الزَّوْجِ . أَمَّا الْكِفَايَةُ بِمَعْنَى الْمَقْدَرَةِ أَوْ حُسْنِ التَّصَرُّفِ ، فَهِيَ « مُؤَلَّدَةٌ » لِذَا قَالَ أَوَّلَى هِيَ الْمَقْصُودَةُ هُنَا .

(٤) فِي « م » : « وَمَالُ رَعِيَّتِهِ » بِالْمَعْطَفِ عَلَى « كُفَافَتِهِ » .

(٥) التَّهَمُّ : الْإِفْرَاطُ فِي الشَّهْوَةِ .

(٦) فِي « ط » : « وَلَا بِنَاءَ » . وَالثَّنَاءُ : لِلدِّحِّ . وَالْكِبَرُ : الْعِظَمَةُ وَالتَّجَبُّرُ .

(٧) فِي « م » : « أَسْقَامُ » . تَحْرِيفٌ . وَالسُّودَّدُ (يَهْمُزُ وَبِفَرْقٍ هَمْزٌ) : السِّيَادَةُ وَالشَّرَفُ .

وَلَمَّا وَلَّى أَبُو بَكْرٍ [الصَّدِيقُ] ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، خَطَبَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا أَحَدَ أَقْوَى عِنْدِي مِنَ الْمَظْلُومِ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَلَا أضعِفُ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . وَقِيلَ لِلْإِسْكَانْدَرِ : بِمَ نَلْتَ مَا نِلْتَ ؟ قَالَ : بِاسْتِمَالَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ . وَقَالَ بِزْرَجِيهَرُ : سَمِعُوا أَحْرَارَ النَّاسِ بِمَخْضِ الْمَوَدَّةِ ^(٢) ، وَالْعَامَّةِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَالسُّفَلَةَ بِالْمَخَافَةِ . وَقَالَ الْمُؤَيَّدَانُ : السِّيَاسَةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْمَلِكِ : الرُّفْقُ بِالرَّعِيَّةِ ، وَأَخْذُ الْحَقِّ مِنْهُمْ ^(٣) فِي غَيْرِ مَشَقَّةٍ ، وَسَدُّ الْفُرُوجِ ^(٤) ، وَآمَنُ السَّبِيلِ ، وَأَنْ يَنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، وَلَا يَحْمِلَ الْقَوِيَّ عَلَى الضَّعِيفِ .

وَقَالُوا : الْوَلِيُّ مِنَ الرَّعِيَّةِ كَالرُّوجِ مِنَ الْجَسَدِ ، لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ [وَكَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، لَا بَقَاءَ لَهُ إِلَّا بِهِ] ^(٥) . وَيَعُدُّ الْوَلِيُّ مِنْ إِصْلَاحِ الرَّعِيَّةِ مَعَ إِفْسَادِ نَفْسِهِ ، كَبُعْدِ الْجَسَدِ مِنَ الْبَقَاءِ ^(٦) بَعْدَ ذَهَابِ الرَّأْسِ . وَالسُّلْطَانُ خَلِيقٌ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ الصَّبْرَ عَلَى مَنْ خَالَفَ رَأْيَهُ مِنْ ذُرَى النَّصِيحَةِ ، وَالتَّجَرُّعَ لِمَرَارَةِ قَوْلِهِمْ ، وَلَا يَتَّبِعِي أَنْ يَحْسُدَ الْوَلَاةَ ^(٧) إِلَّا عَلَى حُسْنِ التَّنْذِيرِ ، وَلَا أَنْ يَكْذِبَ ، لِأَنْ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ ، وَلَا أَنْ يَغْضَبَ ، لِأَنَّ الْغَضَبَ وَالْقُدْرَةَ لِقَاحُ الشَّرِّ وَالتَّدَامَةِ ، وَلَا أَنْ يَنْحَلَّ ، لِأَنَّهُ أَقْلُ النَّاسِ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَلَا أَنْ يَحْقِدَ ، لِأَنَّ قُدْرَةَ جَلٍّ عَنِ الْمَجَازَاةِ .

وَلَا يَتَّبِعِي لِلْوَلِيِّ أَنْ يَسْتَعْمِلَ سَبْقَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالسَّوْطِ ، وَلَا سَوْطَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالْحَبْسِ ، وَلَا حَبْسَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالْجَفَاءِ وَالْوَعِيدِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَا أضعُ سِتْفِي حَيْثُ يَكْفِينِي ^(٨) سَوْطِي ، وَلَا سَوْطِي حَيْثُ يَكْفِينِي لِسَانِي ، وَلَوْ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ

(١) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ « م » .

(٢) بِمَخْضِ الْمَوَدَّةِ ، أَيْ : بِالْمَوَدَّةِ الْخَالِصَةِ .

(٣) فِي « م » : « مِنْهُ » ، أَيْ : مِنَ الْمَلِكِ .

(٤) الْفُرُوجُ : الثُّغُورُ الَّتِي يُخَافُ مِنْهَا تَسَلُّ الْعَدُوِّ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ « م » ، وَسَاقَطَ مِنْ « ط » .

(٦) فِي « ط » : « مَعَ الْبَقَاءِ » .

(٧) سَقَطَتِ الْوَلَاةُ مِنْ « ط » .

(٨) فِي « م » : « يَكْفِي » .

النَّاسِ شَعْرَةً مَا انْقَطَعَتْ ، إِذَا مَدَّوْهَا حَلَّتْهَا ، وَإِذَا حَلَّوْهَا مَدَّدَتْهَا . وَنَحْوَ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ ^(١) : كَانَ مُعَاوِيَةُ كَأَجْمَلِ الطَّبِّ ^(٢) ، وَالْجَمَلُ الطَّبُّ هُوَ الْحَاذِقُ بِالشَّيْءِ ^(٣) ، لَا يَضَعُ يَدَهُ إِلَّا حَيْثُ تَبَصَّرَ عَيْنُهُ .

وَيَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ رَعِيَّتُهُ ^(٤) أَنَّهُ لَا بُصَابَ خَيْرِهِ إِلَّا بِالْمُعَوِيَةِ لَهُ عَلَى الْخَيْرِ . وَلَا يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَدَّعِ تَفَقُّدَ لَطِيفِ الْأُمُورِ ^(٥) أَتَكَالًا عَلَى نَظَرِهِ فِي جَسِيمِهَا ، فَإِنْ لِللَّطِيفِ مَرُوقًا يَتَّقِعُ بِهِ . وَقَدْ آتَى اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٦) مُلْكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(٧) ، ثُمَّ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَالِي لَا أَرَى الْهَذْهَذَ ؟ لَأَنَّ التَّهَاوُنَ بِالْيَسِيرِ أَسَاسُ الْوُقُوعِ فِي الْكَبِيرِ ^(٨) .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْمَعْنَى وَاجِدًا :

تَفَقَّدُ السَّادَاتِ إِخْوَانَهُمْ فَضِيلَةً لَا تُنْكَرُ السُّودَدَا
هَذَا سُلَيْمَانٌ عَلَى مُلْكِهِ قَدْ قَالَ : مَالِي لَا أَرَى الْهَذْهَذَا

(١) هو : عامر بن شراحيل بن عبيد ، الشَّعْبِيُّ ، الحميرِيُّ ، أبو عمرو ، كوفيٌّ جليل القَدَر ، ورواية من التَّابِعِينَ ، ويضرب المثل بحفظه ، ولد سنة ١٩ هـ في أثناء خلافة عمر ، وقيل غير ذلك . وقيل : إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . اتصل عامر بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وصهره ورسوله إلى ملك الروم . وهو من رجال الحديث الثقات ، واستقضاء عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه . واختلفوا في وفاته ما بين سنة ١٠٣ - ١٠٧ هـ .

و انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٥١ ، وروايات الأعيان ج ٣ ص ١٢ - ١٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٩ - ٨٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣١٠ - ٣٣٨ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٢٧ - ٢٣٤ ، والمعارف ٤٤٩ - ٤٥١] .
(٢) الطَّبُّ : الْحَاذِقُ الْمَاهِر ، وَالرَّفِيقُ الْحَكِيمُ .

(٣) في م : : بِالْمَشْيِ .

(٤) في م : : يَعْلَمُ مِنْ رَعِيَّتِهِ .

(٥) هكذا في م : : . وفي ط : : دُمُورِ الرِّعْيَةِ .

(٦) ما بين المعقوفين عن م : .

(٧) في م : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٨) في ط : : « الْكَبِيرُ » وما بعد ذلك ، من قوله : « وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ ... » إلى نهاية البيتين من م : وساقط من ط : .

وَقَالَ ^(١) الشَّاعِرُ :

لَا تُخْفِرَنَّ شَيْبًا كَمْ جَرَّ شُرًّا شَيْبٌ ^(٢)

وَقَالُوا : أَصْلُ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَلَا تُدْعُ ^(٣) مَبَاشَرَةَ جَسِيمٍ أَمْرُهُ ، فَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعٌ إِنْ غُيِّلَ عَنْهُ تَفَاقَمٌ ، وَلَا يُلْزَمُ نَفْسَهُ مَبَاشَرَةُ الصَّغِيرِ أَبَدًا فَيَضِيعُ الْكَبِيرُ .
وَقَالَ زِيَادٌ لِحَاجِبِهِ : وَلَيْتَكَ حِجَابَتِي ، وَعَزَلْتُكَ عَنْ أَرْبَعٍ : الْمُؤَذِّنِ لِلصَّلَاةِ ، وَصَاحِبِ الطَّعَامِ ، فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ سَخُنَهُ فَسَدَ ، وَصَارِخِ اللَّيْلِ لِشَرِّ دَهَائِهِ ، وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ ، فَالْتِهَافُونَ بِالْبَرِيدِ سَاعَةً يَخْرُبُ ^(٤) عَمَلُ سَنَةٍ .

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ ^(٥) يَقُولُ : لِأَعْمَلِنَ اللَّيْنَ ^(٦) حَتَّى لَا يَنْتَفِعَ إِلَّا بِالشَّدَةِ ^(٧) ، وَلَا يُخْفِرَنَّ مِنَ الْخَاصَةِ مَا أُمِيتَهُمْ عَلَى الْعَامَةِ ، وَلَا يُعْمِدَنَّ سَفِيحِي حَتَّى يَسْلُهُ الْحَقُّ ، وَلَا يُعْطِينَ حَتَّى لَا أَرَى لِلْعَطِيَةِ مَوْضِعًا . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ ^(٨) لَمَّا كَمَلَ مُلْكُهُ ، وَأَبَادَ

(١) في د ط : « وقد قال » .

(٢) الشَّيْبُ : أول شيبوب الفار . يريد : أن على الإنسان ألا يستعين بالشيء الصغير ، فمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشُّرَرِ .

(٣) في د ط : « ولا تُدْعُ » .

(٤) يَخْرُبُ : يُفْسِدُ .

(٥) هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو العباس ، أول خلفاء الدولة العباسية ، وأحد الجبارين الذُّهَاءِ مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ ، وَلِدَ سَنَةَ ١٠٤ هـ ، وَنَشَأَ بِالشَّرَاةِ (بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ) وَقَامَ بِدَعْوَتِهِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِي ، مُقَوِّضَ عَرْشِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَبَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي الْكَوْفَةِ سَنَةَ ١٣٢ هـ . وَكَانَ شَدِيدَ الْعَقُوبَةِ ، عَظِيمَ الْإِنْتِقَامِ ، تَبِعَ بِقَايَا الْأُمُوِيْنَ بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ وَالْإِحْرَاقِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ الْأَطْفَالِ وَالْجَالِينَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَلَقِبَ بِالسَّفَاحِ لَكثرة مَا سَفَحَ مِنْ دِمَائِهِمْ . وَبِرْغَمِ ذَلِكَ فَكَانَ جَوَادًا بِالْمَالِ ، نَصِيحًا ، عَلِيمًا ، وَلَهُ كَلِمَاتٌ مَأثُورَةٌ . مَرَضَ بِالْجُدْرَى وَمَاتَ شَابًا بِالْأَنْهَارِ سَنَةَ ١٣٦ هـ ، وَلَهُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ سَنَةً .

[انظر تاريخ الطبري ج ٧ ، وابن الأثير ج ٤ حوادث سنة ١٣٢ ، ١٣٦ ، ودول الإسلام للذهبي ج ١ ص ٩١ - ٩٣ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣١١ - ٣١٤ ، وانظر الأعلام ج ٤ ص ١١٦ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٦ - ٥٣] .

(٦) أَى : أَعْمَلُ بِهِ .

(٧) في د م : « حتى لا تنفع الشدة » .

(٨) في د م : « أُرْدَشِيرُ » بِالزَّوْىِ الْمَجْمُوعَةِ .. سَبَقَ التَّعْلِيْقُ عَلَيْهَا .

أَعْدَاءَهُ : إِنَّهُ لَمْ يَحْكَمْ حَاكِمٌ عَلَى الْعُقُولِ كَالْعَبِيرِ ، وَلَمْ يُحْكَمْهَا ^(١) مُحْكَمٌ كَالْجَرِيَةِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَجْمَعَ لِلْعَقْلِ مِنْ خَوْفِ حَاجَةٍ ^(٢) يَتَأَمَّلُ بِهَا صَفَحَاتِ خَالِهِ . وَكَانَ عَمْرُ يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعِيفٍ ^(٣) وَالْقُوَّةُ فِي غَيْرِ عَنُفٍ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ لِي الرَّشِيدُ : هَلْ تَعْرِفُ كَلِمَاتٍ جَامِعَاتٍ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، يَقُولُ لَفْظُهَا ، وَيَسْهَلُ حِفْظُهَا ، تَكُونُ لِأَغْرَاضِهَا لَفْقًا ^(٤) ، وَلِمَقَاصِدِهَا وَفْقًا ^(٥) ، تَشْرُحُ الْمُسْتَبْهَمَ ، وَتَوْضِعُ الْمُسْتَعْجَمَ ؟ ^(٦) . قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . دَخَلَ أَكْثَمُ بْنُ صَنْفِيٍّ حَكِيمَ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضِ مُلُوكِهَا فَقَالَ لَهُ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا تَزَالُ بِصَدْرِي مُحْتَاجَةً ^(٧) ، وَمَا تَزَالُ الشُّكُوكُ عَلَيْهَا وَالْجَنَّةُ ^(٨) ، فَأَبَيْتَنِي بِمَا عِنْدَكَ فِيهَا . فَقَالَ : أُبَيَّتُ اللَّعْنَ ^(٩) سَأَلْتَ خَيْرًا ، وَاسْتَبَيَّتَ بَصِيرًا ، وَالْجَوَابُ يَشْفَعُهُ ^(١٠) الصَّوَابُ ، فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ . قَالَ : مَا السُّؤْدُودُ ؟ قَالَ : اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْعَشِيرَةِ ، وَاجْتِمَاعُ الْجَرِيرَةِ ^(١١) . قَالَ : فَمَا الشَّرُّ ؟ قَالَ : كَفُّ الْأَذَى وَيَذْلُ الثَّدْيِ ^(١٢) . قَالَ : فَمَا الْمَجْدُ ؟ قَالَ : حَمْلُ الْمَقَارِمِ ^(١٣) وَإِتْنَاءُ الْمَكَارِمِ . قَالَ :

(١) يُحْكَمُهَا : يجعلها حكيمة . يُقَالُ : أَحْكَمْتُ التَّجَارِبُ فَلَانًا : جَمَعْتُهَا حَكِيمًا .

(٢) فِي هـ ط : « مِنْ خَوْفِ وَحَاجَةٍ » .

(٣) الضَّعْفُ ، بَفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ فِي لَفْظِ نَمِيمٍ ، وَبِضْمِهَا فِي لَفْظِ قُرْبَشٍ : الْغَزَالِ . وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : التَّرَاخِي .

(٤) أَيْ : تَصِيبُ أَهْدَافِهَا وَمَقَاصِدِهَا . وَفِي « م » : « لِأَغْرَاضِكَ » .

(٥) أَيْ : مُوَافَقَةُ لِلْمُرَادِ مِنْهَا .

(٦) فِي « م » : « أَلَيْسَتْهُمْ » بِدَلِّ الْمُسْتَبْهَمِ « تَصْحِيفُ مِنَ النَّاسِخِ .. وَالْمُسْتَبْهَمُ : الْغَامِضُ الَّذِي يَصْعَبُ إدْرَاكُهُ . وَالْمُسْتَعْجَمُ : غَيْرُ الْوَاضِحِ .

(٧) يُقَالُ : اخْتَلَجَ فِي صَدْرِي كَذَا ، أَيْ : تَخَطَّرَ مَعَ شَكٍّ وَمُتَازَعَةٍ . وَفِي « م » : « مُتَعَلِّجَةٌ » أَيْ : مُجْتَمِعَةٌ وَمُضْطَرِبَةٌ .

(٨) وَالْجَنَّةُ : دَاخِلَةٌ .

(٩) أُبَيَّتَ اللَّعْنَ : مِنْ تَحِيَةِ الْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَعْنَاهَا : أُبَيَّتَ أَنْ تَأْتِيَ مَا تُنْفَرُ عَلَيْهِ .

(١٠) يَشْفَعُهُ : يَتَّبِعُهُ .

(١١) الْجَرِيرَةُ : الْجَنَابَةُ وَالذَّنْبُ .

(١٢) الثَّدْيُ : الْخَيْرُ ، وَالْجُودُ ، وَالسَّخَاةُ .

(١٣) الْمَقَارِمُ : مَا يَلْزَمُ أَذْلَاؤُهُ مِنَ الْمَالِ ، تَأْدِيًا أَوْ تَمْوِيضًا . (الْغَرَامَاتُ) .

فَمَا الْكَرْمُ ؟ قَالَ : صِدْقُ الْإِخَاءِ فِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ ^(١) . قَالَ : فَمَا الْعِزُّ ؟ قَالَ شِدَّةُ
الْعُضْدِ وَكَثْرَةُ الْعَدَدِ ^(٢) . قَالَ : فَمَا السَّمَاخَةُ ؟ قَالَ : بَذْلُ النَّائِلِ ^(٣) وَحُبُّ السَّائِلِ .
قَالَ : فَمَا الْغِنَى ؟ قَالَ : الرِّضَا بِمَا يَكْفِي ، وَقَوْلَةُ التَّعْنِي . قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ :
لُبُّ ^(٤) تُعِينُهُ تَجَرِبَةٌ . قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَوْزَيْتَ زُنَادَ بَصِيرَتِي ^(٥) ، وَأَذْكَيْتَ نَارَ
خَبِيرَتِي ^(٦) فَاحْتَكِمَ . قَالَ : لِكُلِّ كَلِمَةٍ بِحِمَّةٌ ^(٧) . قَالَ هِيَ لَكَ . قَالَ الْأَصْنَعِيُّ : فَقَالَ
لِي الرَّشِيدُ : وَلَكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ بَذْرَةٌ ^(٨) ، فَانْصَرَفَتْ بِمِائَتَيْنِ أَلْفًا .

وَكَانَ قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ يَقْدُ عَلَى قَيْصَرَ فَيَكْرِمُهُ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : قَالَ : مَا أَفْضَلُ
الْعَقْلِ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ . قَالَ : مَا أَفْضَلُ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : وَقُوفُ الرَّجُلِ عِنْدَ
عِلْمِهِ . قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ الْمُرُوءَةِ ؟ قَالَ : اسْتِيقَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ وَجْهِهِ . قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ
النَّمَالِ ؟ قَالَ : مَا قُضِيَ بِهِ الْحَقُوقُ .

(١) « وَالرِّخَاءُ » عَنْ « م » ، وَسَقَطَتْ مِنْ « ط » .

(٢) فِي « م » : « وَثَرَةُ الْعَدَدِ » .. وَثَرَةُ الْعُضْدِ : الْقُوَّةُ .

(٣) بَذْلُ النَّائِلِ : بَذْلُ الْعَطَاءِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ .. وَفِي « م » : « نَيْلُ النَّائِلِ » أَيْ : إِصَابَةُ الْعَطَاءِ .

(٤) لُبُّ : عَقْلٌ .

(٥) أَوْزَيْتَ : أَوْقَعْتَ ، وَالزُّنَادُ ، جَمْعُ زَيْدٍ ، وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي تُقَدِّحُ بِهِ النَّارَ . وَتَقُولُ لِإِنِّ أَتَجَدِّدُكَ وَأَحْيَاكَ :
وَزَيْتَ بِكَ زُنَادِي .

(٦) فِي « ط » : « نَارُ حَبَرِي » . وَأَذْكَيْتَ : أَشْعَلْتَ .

(٧) هَكَذَا فِي « م » . وَالْحِمَّةُ : الْكَرَمَةُ مِنَ الْإِبِلِ .. وَفِي « ط » : « حِمْمَةٌ » وَهِيَ : الْعَدَدُ الْعَظِيمُ مِنَ الْإِبِلِ لَا يَبْلُغُ
الْمِائَةَ .

(٨) فِي « م » : « لَكَ بِلَوْنٍ وَارٍ » . وَالْبَذْرَةُ : كَيْسٌ فِيهِ مَقْدَارٌ مِنَ الْمَالِ يُقَدَّمُ فِي الْعَطَايَا ، وَيُعَامَلُ بِهِ ، وَيَخْتَلَفُ
بِاخْتِلَافِ الْمَهْرُودِ .

البَابُ الْمُوفَى عِشْرِينَ

فِي الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ أَرْكَانُ السُّلْطَانِ ^(١)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَا كَانَ أَخُوخَنِي أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِي أَرْبَعَةً ، لَا يَكُونُ عَلَى بَابِي أَعْفُ مِنْهُمْ . قِيلَ : مَنْ هُمْ ^(٢) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : هُمْ أَرْكَانُ الْمُلْكِ ، لَا يَصْلُحُ الْمُلْكُ إِلَّا بِهِمْ ، كَمَا أَنَّ السَّرِيرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِأَرْبَعِ قَوَائِمٍ ، فَإِنْ نَقَصَ قَائِمَةٌ وَاحِدَةٌ غَابَهُ ذَلِكَ : أَحَدُهُمْ قَاضٍ لَا تَأْخُذُهُ ^(٣) فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ شَرْطَةٍ يَنْصِفُ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَالثَّالِثُ صَاحِبُ خَرَاجٍ يَسْتَقْضِي ^(٤) وَلَا يَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ ، فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْ ظُلْمِهِمْ . ثُمَّ عَضَّ عَلَى أَصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ آوْ ، آوْ ^(٥) .

(١) في م : : الباب الموفى عشرون في معرفة الخصال ... الموفى : المم ، من توفية العدد .. وقوله عشرون : خطأ ، والصواب : عشرين مفعول لاسم الفاعل الموفى .

(٢) في م : : منهم م متصلة ، خطأ من الناسخ في الرسم الإملائي .

(٣) في م : : لا يأخذه .

(٤) يستقضى : يطلب من الناس قضاء ما عليهم . وفي ط : : يستقضى بالصاد المهملة . والأول أوجه .

(٥) في م : : كل مرة يقول آو .

فَقِيلَ ^(١) : مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : صَاحِبُ بَرِيدِ يَأْتِنِي ^(٢) بِخَبَرِ هَؤُلَاءِ عَلَى الصُّحَّةِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَصْلُحُ الْوَالِي إِلَّا بِأَرْبَعِ خِصَالٍ ، إِنْ نَقَصَتْ وَاحِدَةً لَمْ يَصْلُحْ لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ : قُوَّةٌ عَلَى جَمْعِ ^(٣) الْمَالِ مِنْ أَبْوَابِ حِلِّهِ ، وَوَضْعِهِ فِي حَقِّهِ ، وَثَبُتٌ فِيهَا ، وَلِينٌ لَا وَهْنَ فِيهِ .

(١) في ط : : فقال .

(٢) في ط : : يكتب .

(٣) في (م) : : جميع ، تصحيف من الناسخ .

البَابُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ حَاجَةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْعِلْمِ

قَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ ^(١) لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ^(٢) ذَلِكَ ، فَإِنْ رَوَّالَ الْكَرَامَةِ بِزَوَالِهَا ، وَلَكِنْ يُعْجِبُكَ إِنْ أَكْرَمُوكَ ^(٣) لِأَدَبٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ دِينٍ .

اعْلَمْ - أَرَشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ حَاجَةٌ إِلَى الْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ ^(٤) أَكْثَرُهُمْ عِيَالًا وَأَتْبَاعًا وَحَشَمًا [وَحَدَمًا] ^(٥) وَأَصْحَابًا ، وَالْخَلْقُ مُسْتَعِيلُونَ مِنَ السُّلْطَانِ مَالَهُ مِنْ الْخَلَائِقِ السَّيِّئَةِ ^(٦) ، وَالطَّرَائِقِ الْعَلِيَّةِ ، مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَقَطْعِ الشَّجَائِرِ ، وَفَصْلِ الْخَصَامِ ، فَهَوَّ أَخْرَجَ خَلْقَ اللَّهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ ، وَجَمْعِ الْحِكْمِ . وَشَخْصٌ بِلَا عِلْمٍ كَبَلَدٍ بِلَا أَهْلٍ ، وَكَشَجَرَةٍ بِلَا نَبَاتٍ ^(٧) . وَأَفْضَلُ مَا فِي السُّلْطَانِ خُصُوصًا ، وَفِي النَّاسِ عُمُومًا ، مَحَبَّةُ الْعِلْمِ وَالتَّحَلُّى بِهِ ، وَالشَّوْقُ إِلَى اسْتِمَاعِهِ ، وَالتَّعْظِيمُ لِحَمَلَتِهِ ،

(١) فِي م : « السُّلْطَانِ » .

(٢) فِي م : « يُعْجِبُكَ » .

(٣) فِي م : « أَكْرَمُوكَ » . وَالضَّمِيرُ يَمُودُ إِلَى السُّلْطَانِ فِي هَامِشِ رَقْمِ (١) .

(٤) فِي ط : « إِلَى التَّفَقُّهِ » .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّفَيْنِ عَنْ م : « فِي الْمَوْضِعِينَ » .

(٦) السَّيِّئَةُ : الرَّفِيعَةُ الْقُلُوبِ .

(٧) قَوْلُهُ : « وَكَشَجَرَةٍ بِلَا نَبَاتٍ » عَنْ م : « وَمَاقُطٍ مِنْ ط » .

فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِ ^(١) ، وَتَعْدِهِ مِنَ الْبَهِيمَةِ ^(٢) ، وَمُضَاهَاةِهِ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ ، وَهُوَ مِنْ أَوْكَيْدٍ ^(٣) مَا يَتَحَبَّبُ ^(٤) بِهِ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، وَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ خَالِيًا مِنَ الْعُلُومِ رَكِبَ هَوَاهُ ، وَأَضَرَّ بِرَعِيَّتِهِ ، كَالدَّابَّةِ بِلَا رَسَنِ ^(٥) تَمُرُّ فِي غَيْرِ طَرِيقٍ ، وَقَدْ تَتَلَفَ مَا تَمُرُّ بِهِ ^(٦) .

وَأَعْلَمُ أَنَّ زَهَرَ الْقَضَائِلِ ، وَحُسْنَ الْمَنَاقِبِ ، وَبَهَاءَ الْمَجَالِسِ ^(٧) ، وَمَا ضَادُّ ذَلِكَ ^(٨) مِنْ قُبْحِ الْمَنَالِبِ ^(٩) ، وَفُحْشِ الرَّدَائِلِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَظْهَرُ عَلَيْكَ وَيُعْظَمُ مِنْكَ بِقَدْرِ مَا أُوتِيْتَهُ مِنْ عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ ، وَشَرَفِ الْحُظُورَةِ ^(١٠) ، فَيَكُونُ حُسْنُكَ أَحْسَنَ ، كَمَا يَكُونُ قُبْحُكَ أَقْبَحَ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ السَّنِيَّةِ ، وَالْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ ، أَخُوَجَ إِلَى مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَصُحْبَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَدِرَاسَةِ كُتُبِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ، وَمُطَالَعَةِ دَوَائِنِ الْعُلَمَاءِ [وَمَجَامِعِ الْفُقَهَاءِ] ^(١١) ، وَسِيرِ الْحُكَمَاءِ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ^(١٢) كَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ ^(١٣) لِمُمَارَسَةِ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَفَصْلِ خُصُومَاتِهِمْ ، وَتَعَاطَى حُكُومَاتِهِمْ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ بَارِعٍ ، وَنَظَرٍ ثَاقِبٍ ، وَبَصِيرَةٍ بِالْعِلْمِ

(١) فيه : عن ط : ولم يرد في م .

(٢) في ط : البهيمه ، وهى : كل ذات أربع قوائم من ذوات البر والبحر ، ما عدا السباع .. ومضاهاته : مشابته .

(٣) وهو : أى العلم .. أوكيد : أوثق وأحكم . وفى م : « أكد » على الإبدال .

(٤) فى م : تحبب .

(٥) الرّسن : الخيل .

(٦) فى م : عليه . وكلاهما صواب ، يقال : تمر به ، وعليه .

(٧) فى ط : « الحاسين » .

(٨) فى م : « وما صار من ذلك » صار : تصحيف من الناسخ .

(٩) المنالِب : العيوب ، جمع مَنَلَة .

(١٠) المَظُورَةُ : بضم الحاء المهملة وكسرهما : المحبة وعلو الشأن عند الناس .

(١١) ما بين المقوفين عن ط : .

(١٢) فى م : « يكون » .

(١٣) فى م : « لتفسيه » .. تصحيف .

وَدِرَاسَةِ طَوِيلَةٍ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ لَوْ لَمْ يَعُدْ لِهَذِهِ الْأُمُورِ عِدَّتَهَا ، وَلَمْ يُقَدِّمْ لَهَا أَهْبَتَهَا ^(١) ؟

وَالثَّانِي : أَنَّ مَنْ سِوَاهُ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْدِمُونَ مَنْ يَنْكُرُ ^(٢) عَلَيْهِمْ وَيُعَارِضُهُمْ ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَسَاوِيَهُمْ ^(٣) ، وَيُخَالِفُهُمْ فِي مَذَاهِبِهِمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُعِينُهُمْ عَلَى رِيَاضَةِ أَنْفُسِهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَرَاشِدَهُمْ ^(٤) .

وَمُنَاطَرَةِ الْأَكْفَاءِ ، وَمُعَاشَرَةِ النُّظَرَاءِ تَلْقِيحَ لِلْعُقُولِ ^(٥) ، وَتَهْذِيبَ لِلنَّفُوسِ ^(٦) ، وَتَذَرِيبَ ^(٧) لِمَا خِذَ الْأَحْكَامَ ، بِخِلَافِ السُّلْطَانِ ^(٨) ، فَإِنَّ ارْتِفَاعَ دَرَجَتِهِ يَقْطَعُ عَنْهُ جَمِيعَ ذَلِكَ ، إِذْ لَا يَلْقَاهُ وَلَا يُجَالِسُهُ إِلَّا مُعَظَّمُ لِقَدْرِهِ ، مُبْجَلٌ ^(٩) لِشَأْنِهِ ، وَسَائِرُ لِمَسَاوِيهِ ، وَمَادِحٌ لَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا جَوَابُهُ لَهُمْ صِدْقُ الْأَمِيرِ . وَعَلَى قَدْرِ الْمَرْتَبَةِ يَكُونُ عُلُوُّ السَّقَطَةِ ، كَمَا أَنَّ عَلَى قَدْرِ ارْتِفَاعِ الْحَائِطِ ^(١٠) يَكُونُ صَوْتُ الْوَجِيءِ ^(١١) .

(١) في م : : : وَلَمْ يَمَّ لَهَا أَهْبَتُهَا ، وَالْأَهْبَةُ : الْمُدَّةُ .

(٢) في م : : : يَكْزُ : أَيْ : يَرُدُّ .

(٣) السَّوَادِي : الْمَلَابِيقُ وَالنَّقَاصُ ، (لَا تُهْمَزُ) قِيلَ : لَا وَاحِدَ لَهَا . وَقِيلَ : وَاحِدُهَا - سُوءٌ - عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ .

(٤) الْمَرَاشِدُ : الْمَقَاصِدُ .

(٥) في ط : : : الْعُقُولُ . وَتَلْقِيحُ الْعُقُولِ : تَهْذِيبُهَا وَاسْتِغْنَاءُهَا بِالْخَبِيرَةِ .

(٦) في ط : : : النَّفُوسُ .

(٧) في م : : : وَتَدْرِبُ .

(٨) سَقَطَتْ كَلِمَةُ «السُّلْطَانِ» مِنْ م : : : سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(٩) مُبْجَلٌ : مُعَظَّمٌ .

(١٠) في م : : : قَدْرُ الْحَائِطِ .

(١١) الْوَجِيءُ : صَوْتُ السَّاقَطِ .

فصل

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَيْسَ أَحَدٌ قَوْقَ أَنْ يُؤْمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ ذُونَ أَنْ يَأْمَرَ ^(١) بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ أَجَلَ قَدَرًا مِنْ أَنْ يَقْبَلَ أَمْرُ اللَّهِ ، وَلَا أَرْفَعَ خَطَرًا مِنْ أَنْ يَتَّعَلَّمَ حُكْمُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَى شَأْنًا مِنْ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ اللَّهِ ، وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٢) الْعِلْمُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ - سُبْحَانَهُ - نَفْسَهُ ، وَكَمَدَحَ بِسَعْتِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ^(٣) . وَالْكُرْسِيُّ هُوَ الْعِلْمُ ، وَالْكُرَاسِيُّ هُمُ الْعُلَمَاءُ . وَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ فَضِيلَةً فَرَّغَبَهُ الْمُلُوكُ وَدَوَى الْأَخْطَارِ وَالْأَقْدَارِ وَالْأَشْرَافِ وَالشُّيُوخِ فِيهِ أَوْلَى ، لِأَنَّ الْخَطَأَ فِيهِمْ أَقْبَحُ ، وَالْإِتْدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ .

حُكِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ ^(٤) دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفِقْهِ ، فَقَالَ : يَا عَمُّ ، مَا عِنْدَكَ فِيمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شَغَلُونَا فِي الصُّعْرِ ، وَاشْتَقَلْنَا فِي الْكِبَرِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِمَ لَا تَتَعَلَّمُ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ : أَوْ يَحْسُنُ بِمِثْلِي طَلَبُ الْعِلْمِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ لَأَنْ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعِيشَ قَانِعًا بِالْجَهْلِ . قَالَ : وَإِلَى ^(٥) مَتَى يَحْسُنُ طَلَبُ ^(٦) الْعِلْمِ ؟ قَالَ : مَا حَسُنْتُ بِكَ الْحَيَاةَ ^(٧) .

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يُؤْمَر » مكررة .

(٢) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٣) سورة البقرة - من الآية ٢٥٥ .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور العباسي ، الهاشمي ، أبو إسحاق ، ويقال له : ابن شكلة ، نسبة إلى أمه ، وكانت جارية سوداء . أخوه هارون الرشيد ، وعم المأمون ، ولد في بغداد سنة ١٦٢ هـ وولاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين ، ثم أعاده إليها ، فأقام فيها أربع سنين ، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون ، كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه ، وبايعه كثيرون ببغداد ، فطلبه المأمون ، فاستتر ، فأهدر دمه ، فجاءه مستسلماً ، فمسخه سنة أشهر ، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله ، فاعتذر ، فعفا عنه . ولم تكن له مواهب الحكم ، وكانت له دراية بالشعر والأدب ، كما كان يجيد الغناء والضرب على العود وحسن المخادمة . مات في « سُرَّ مَنْ رَأَى » سنة ٢٢٤ هـ وصلى عليه المعتصم .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١٤٢ - ١٤٨] .

(٥) في « م » : « قَالِي » .

(٦) سقطت « طَلَب » من « ط » .

(٧) انظر « أدب العلم » الباب الثاني من « أدب الدنيا والدين للماوردي » ص ٥٨ ط الدار المصرية اللبنانية .

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى شَخْصًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيُحِبُّ النَّظَرَ فِيهِ وَيَسْتَحْيِي ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، أَسْتَحْيِي أَنْ تَكُونَ فِي آخِرِ عُمْرِكَ أَفْضَلَ مِمَّا كُنْتَ فِي أَوَّلِهِ ؟ وَلَا نَ الصَّغِيرَ أَعْدَرَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَهْلِ عُدْرٌ .

وَفِي مَثَوَرِ الْحَكَمِ : جَهْلُ الشَّبَابِ مَعْدُورٌ ، وَعِلْمُهُ مَحْفُورٌ ، فَأَمَّا الْكَبِيرُ فَالْجَهْلُ بِهِ أَقْبَحُ ، وَتَقْصُهُ عَلَيْهِ أَفْضَحُ ، لِأَنَّ عُلُوَّ السِّنِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهِ فَضْلًا ، وَلَمْ يُعْذِهِ عِلْمًا ، كَانَ الصَّغِيرَ أَفْضَلَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْأَمَلَ فِيهِ أَقْوَى ، وَحَسْبُكَ نَقِصَةٌ فِي رَجُلٍ ^(١) يَكُونُ الصَّغِيرَ الْمُسَاوِي لَهُ فِي الْجَهْلِ أَفْضَلَ مِنْهُ . وَكُلُّ مَا ذَكَرْتَاهُ ^(٢) مِنْ حَاجَةِ الشَّيْخِ إِلَى الْعِلْمِ فَحَاجَةُ السُّلْطَانِ إِلَيْهِ أَكْثَرُ ، وَدَوَاعِيهِ إِلَى اخْتِسَابِهِ أَشَدُّ ، لِأَنَّ مَنْ عَدَاهُ إِنَّمَا تُخْصِمُهُ نَفْسُهُ الْوَالِحِدَةُ ، فَيَمُوتُ ^(٣) عَلَيْهِ تَحْصِيلُ مَا يَقُومُهَا بِهِ ، وَالْمَلِكُ مُتَّصِبٌ لِسِيَاسَةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَتَعْلِيمِهِمْ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِيهِمْ ، فَهُوَ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(٤) :

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَرُّ السِّنِّينَ مُتَرَجِّمًا عَنْ الْفَضْلِ فِي الْإِنْسَانِ سَمِيئُهُ طِفْلًا
وَمَا تَنْفَعُ الْأَعْوَامَ حِينَ تَعْلُدُهَا وَلَمْ تَسْتَفِدْ فِيهِمْ عِلْمًا وَلَا عَقْلًا ^(٥)
أَرَى الذُّهْرَ مِنْ سُوءِ التَّصَرُّفِ مَائِلًا إِلَى كُلِّ ذِي جَهْلٍ كَأَنَّ بِهِ جَهْلًا

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كُلُّ عِرْ لا يُؤْطِدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ ، وَكُلُّ عِلْمٍ لا يُؤَكِّدُهُ ^(٦) عَقْلٌ مُضَلَّةٌ ، وَكَيْفَ يَسْتَنْكِفُ ^(٧) مَلِكٌ أَوْ ذُو مَنْزِلَةٍ عَلَيْهِ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ ؟

(١) هكذا في المصدر السابق وفي ط .. وسقطت « في رجل » من م .

(٢) هكذا في م . وفيها جاءت « وكُلُّمَا » متصلة ، والصواب فصل « ما » عن « كل » .. وفي ط : : « وكما ذكرنا » .

(٣) هكذا في م .. وفي ط : : « فَيَقْرُب » . وكلاهما بمعنى .

(٤) انظر الأبيات في « أدب الدنيا والدين » الباب الثاني - أدب العلم ص ٥٨ ، ٥٩ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٥) في م : : « وما ينفع » .. وفي رواية :

« وما تنفع الأيام حين يَفْلُهَا وَلَمْ تَسْتَفِدْ فِيهِمْ عِلْمًا وَلَا فَضْلًا »

[انظر المرجع السابق - أدب العلم] .

(٦) في م : : « لا يؤيده » .

(٧) يستنكف : يأنف ويمتنع .

وَهَذَا ^(١) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ارْتَحَلَ [مِنْ الشَّامِ] ^(٢) إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ فِي أَقْصَى الْمَغْرِبِ عَلَى بَحْرِ الظُّلُمَاتِ ^(٣) إِلَى لِقَاءِ الْحَضِيرِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، فَلَمَّا ظَفَرَ بِهِ قَالَ : ﴿ هَلْ أَلْبِغُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتُ هَذَا ﴾ ^(٤) ، هَذَا وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ وَكَلِيمُهُ . وَهَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَفَوْنَهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، قَدْ أَوْصَاهُ رَبُّهُ ^(٥) وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَسْتَنْزِلُ مَا فِي خَزَائِنِهِ ^(٦) فَقَالَ : ﴿ وَلَقَدْ رَبُّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ^(٧) ، فَلَوْ كَانَ فِي خَزَائِنِهِ أَشْرَفُ مِنَ الْعِلْمِ لَنَبَّهَهُ عَلَيْهِ . وَهَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا فَخَرَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهَا وَتَقْدِيسِهَا لِرَبِّهَا فَخَرَّ ^(٨) آدَمُ بِالْعِلْمِ : ﴿ فَقَالَ الْبُحُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٩) ، فَلَمَّا عَجَزُوا ، أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَأُخْلِقَ بِخَصْلَةٍ تَسْتَدْعِي السُّجُودَ لِحَامِلِهَا أَنْ يَتَنَافَسَ فِيهَا كُلُّ ذِي لُبٍّ ، وَهَذَا فَصْلُ الْخِطَابِ لِمَنْ تُدَبِّرُهُ .

وَلَا تُنْصِبَنَّ لَكَ عُذْرًا بِمَا رَوَى فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ ، مِثْلُ : الَّذِي يَتَعَلَّمُ فِي الصَّغَرِ كَالْوُشْمِ فِي الْحَجَرِ ^(١٠) ، وَالَّذِي يَتَعَلَّمُ فِي الْكِبَرِ كَالْتَّقَشِ عَلَى الْمَاءِ ، فَقَدْ سَمِعَ الْأُخْنَفُ ^(١١) رَجُلًا يَقُولُ : التَّعَلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالْتَّقَشِ فِي الْحَجَرِ . فَقَالَ ^(١٢) الْكَبِيرُ أَكْبَرُ عَقْلًا ، وَلَكِنَّهُ أَشْغَلُ قَلْبًا ، فَفَحَصَ عَنِ الْمَعْنَى ، وَثَبَّ عَلَى الْعِلَّةِ ^(١٣) .

(١) في م : « وهذا » بدون الواو .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) بحر الظلمات : البحر المتوسط .

(٤) سورة الكهف - من الآية ٦٦ .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي م : « وهذا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قد أوصاه ربه سبحانه » .

(٦) في « ط » : « خزانته » في الموضعين .

(٧) سورة طه - من الآية ١١٤ . وفي م : « بعدما » : « ولو » .

(٨) فخر : جواب لما وفي م : « وفخر » ولا يصح المطف هنا .

(٩) سورة البقرة - من الآية ٣١ .

(١٠) هكذا في م : « .. وفي « ط » : « يتعلم العلم في الصغر كالوشم على الصخر » .

(١١) هو الأحنف بن قيس ، وقد مرت ترجمته .

(١٢) في م : « فقال الأحنف » .

(١٣) في م : « وثبَّه على البحر » أى : على الماء . وفي « ط » : « عن العلة » وفي أدب الدنيا والدين : « لقد فحص الأحنف عن المعنى وثبَّه ، وثبَّه على العلة ، لأن قواطع الكبير كثيرة » .

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) يُسَلِّمُونَ شَيْئَهَا وَكُھُولًا
وَأَحْدَاثًا ، وَكَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ ، وَهُمْ بِحُورِ الْعِلْمِ ، وَأَطْوَادِ الْحِكْمِ
وَالْفِقْهِ . غَيْرَ أَنَّ الْعِلْمَ فِي الصَّغَرِ أَرْسَخُ أَصُولًا ، وَأَبْسَقُ فُرُوعًا ^(٢) وَلَيْسَ إِذَا لَمْ يَحْزُهُ
[كُلُّهُ] ^(٣) يَفُوتُهُ كُلُّهُ . قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ
وَأَخَافُ أَنْ أَضْيِعَهُ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَفَى بِتَرْكِكَ ^(٤) لَهُ تَضْيِيعًا .

وَبَعْضُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ الشَّرِّ ، وَمَا مَثَلُ الْجَاهِلِ تَحْتَ غِيبٍ ^(٥) الْجَهْلِ مَثَلُ
الْحَمَالِ تَحْتَ حِمْلٍ ثَقِيلٍ ، فَإِنْ هُوَ ^(٦) كَلِمًا أَعْيَا تَقْصَهُ قَلِيلًا ^(٧) يُوشِكُ أَنْ يَنْقُصَهُ كُلُّهُ
فَيَسْتَرْيَحُ مِنْهُ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَطْرَحِ الْقَلِيلَ حَتَّى يَطْرَحَ الْكَثِيرَ ، فَمَا أَوْشَكُهُ أَنْ يَصْرَعَهُ
حِمْلُهُ ، وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ ، إِذَا تَعَلَّمَ قَلِيلًا قَلِيلًا ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى بَقِيَّتِهِ ، وَإِنْ لَمْ
يَتَعَلَّمْ فِي الْكِبَرِ لِمَا فَاتَهُ فِي الصَّغَرِ ، فَأَوْشِكُ بِهِ أَنْ يَمُوتَ تَحْتَ غِيبِ الْجَهْلِ .

(١) في د ط : : عليه السلام .

(٢) أَبْسَقُ فُرُوعًا : أُنْمُ ارْتِفَاعًا .

(٣) ما بين المعقوفين فقط عن د م . وفيها : : إِذَا لَمْ يَحْزَوْهُ كُلُّهُ يَفُوتُهُ . وجرم الفعل الأخير لاجلوجه له .
والصواب : يَفُوتُهُ .

(٤) في د م : : بتركه . لا تصح .

(٥) الثُّبُ : العاقبة . ولعلها تصحيف عن د عبه .

(٦) في د ط : : فإنه .

(٧) في د ط : : قَلِيلًا قَلِيلًا .

البَابُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

فِي وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ
فِي الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ^(١)

قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ النَّخَعِيُّ : خَرَجْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى
الْجَبَّائَةِ ، فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ^(٢) ثُمَّ قَالَ : يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، إِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ ،
فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ^(٣) لِلْخَيْرِ ، أَحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ :

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ^(٤) ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ^(٥) ، وَهَمَّاجٌ رَعَاغٌ ، أَتْبَاعُ

(١) هذا العنوان في م و ط ه ينتهي عند قوله « أَيْ طَالِبٍ » أما « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... » وما بعدها فهي بداية
الفقرة .

وكُمَيْلٌ هُوَ : كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ بْنِ لُثَيْلِ بْنِ النَّخَعِيِّ : تَابَعِيَ ثِقَةَ ، وَمِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وُلِدَ سَنَةَ ١٢ هـ ،
وَكَانَ شَرِيفًا مَطَاعًا فِي قَوْمِهِ ، شَهِدَ « صِفَيْنَ » مَعَ عَلِيٍّ ، وَسَكَنَ الْكُوفَةَ ، وَرَوَى الْحَدِيثَ . قُتِلَ الْحِجَابُ صَبْرًا سَنَةَ
٨٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٣٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤١٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٩١ ،
وقد وردت هذه الوصية في نهج البلاغة باختلاف يسير في بعض ألفاظها ، بدون إدخال في المعنى - انظر نهج البلاغة
بشرح الشيخ محمد عبده ص ٦٩١ - ٦٩٢ ط دار البلاغة - بيروت وص ٤٩٥ - ٤٨٧ ط دار الكتاب اللبناني] .

(٢) الْجَبَّائَةُ : الْمَقْبَرَةُ . وَأَصْحَرَ : صَارَ فِي الصَّحْرَاءِ . وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ : تَنَفَّسَ نَفْسًا طَوِيلًا مِنْ تَقَبُّ أَوْ كَرْبٍ .

(٣) أَوْعِيَّةٌ : جَمْعُ وَعَاءٍ .. وَأَوْعَاهَا : أَحْفَظَهَا .

(٤) الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ : الْمُتَأَلِّهُ ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ .

(٥) الْمُتَعَلِّمُ عَلَى سَبِيلِ النِّجَاةِ : إِذَا أَكْمَلَ عِلْمَهُ نَجَا .

كُلُّ تَاعِيٍّ ^(١) ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَظِفُوا بِثَوْرِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا مِنْهُ إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .

الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ الْمَالَ ، وَالْعِلْمُ يَرْكُوُ ^(٢) عَلَى الْإِتْقَانِ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ التَّفَقُّةُ ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعَالِمُ مَحْبُوبٌ ^(٣) ، وَمَحَبَّةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ ^(٤) ، يُكْسِبُهُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلُ الْأُخْدُونَةِ ^(٥) بَعْدَ وَفَاتِهِ .

مَا تَحْزَنُ الْأَمْوَالُ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ، أَشْخَاصُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ . هَا ، إِنْ هَا هُنَا - وَأَشَارَ يَدِهِ إِلَى صُلْبِهِ - لَعَلَّمَا جَمًّا لَوْ أَصَبَتْ لَهُ حَمَلَةٌ ^(٦) ، بَلَى قَدْ أَصَبَتْ لَهُ لَقِينًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ ^(٧) ، يَسْتَغْمِلُ آلَةَ ^(٨) الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، وَيَسْتَظْهَرُ ^(٩) بِمُحْجَجِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كِتَابِهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ ^(١٠) وَيَنْعَمِيهِ عَلَى عِبَادِهِ ، أَوْ مُنْقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ ^(١١) ، لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ ^(١٢) ، يَنْفَلِحُ الشُّكُّ فِي قَلْبِهِ

(١) الهمج : الخنقى من الناس .. والزراع : الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس . والناعق : مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق .

(٢) يركو : يزداد نماء .

(٣) قوله : « والعالم محبوب » عن « م » ولم ترد في « ط » ولا في نهج البلاغة .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « ومحبة العالم دين يُدان الله به » .

وفي نهج البلاغة ط دار الكتاب اللبناني : « معرفة العلم دين يُدان به » .

وسقطت كلمة « معرفة » من طبعة دار البلاغة .

(٥) الأخدونة : ما يتحدَّث به .

(٦) جَمًّا : كثيرًا .. لَوْ أَصَبَتْ لَهُ حَمَلَةٌ ، أَيْ : لَوْ وَجَدَتْ لَهُ حَامِلِينَ لِأَهْرَؤُهُ وَتَهَقُّهُ .

(٧) اللَّقِينُ : مَنْ يَفْهَمُ بِسُرْعَةٍ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يَطْبَعُ أَخْلَاقَهُ عَلَى الْقَضَائِلِ ، فَهُوَ يَسْتَعْمِلُ وَسَائِلَ الدُّنْيَا لِيَجْلِبَ الدُّنْيَا ، وَيَسْتَعِينُ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى لِيْذَاهُ عِبَادَهُ ، وَمِنْ هُنَا صَارَ غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَى الْعِلْمِ .

(٨) سقطت كلمة (آلَة) من « م » .. وفي نهج البلاغة : « مستعملًا آلَة الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا » .

(٩) في « ط » : « فيستظهر » .

(١٠) في نهج البلاغة : « ومُستظهرًا بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَبِمُحْجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ » .

(١١) في نهج البلاغة : « أو مُنْقَادًا لِلْحَمَلَةِ الْحَقِّ ، وَالشُّقَادَ لِأَهْلِ الْحَقِّ هُوَ الْمُقْلَدُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَلَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي دَقَائِقِ الْحَقِّ وَخَفَايَاهُ ، فَلِذَا يَسْرِعُ الشُّكُّ إِلَى قَلْبِهِ لِأَقْلٍ شَبِيهِ » .

(١٢) أَحْنَائِهِ : جَوَانِبِهِ . وَهَكَذَا وَرَدَتْ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ .. وَفِي « ط » وَ « م » : « إِنْجَابَتِهِ ، أَيْ : خَشْوَعِهِ وَتَوَاضُعِهِ . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ » .

بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شَيْئَةٍ ، أَلَا لَا ذَا ، وَلَا ذَاكَ ^(١) ، أَوْ مِنْهُمُومًا بِاللَّذَاتِ ^(٢) ، سَرِيعَ الْإِثْقَادِ لِلشَّهَوَاتِ ، أَوْ ^(٣) آخَرَ شَأْنُهُ جَمْعُ الْمَالِ وَالْإِدْخَارِ ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ [فِى شَيْءٍ] ، أَقْرَبُ [شَيْءٍ] شَبَّهَا بِهِمَا ^(٤) الْإِنْعَامُ السَّائِمَةُ ، اللَّهُمَّ فَكَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ .

وَلَكِنْ لَنْ تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٥) بِحُجَّةٍ ، لَفَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَيَبْنَاهُ . وَمَنْ أَوْلَيْكَ ؟ وَأَيْنَ أَوْلَيْكَ ؟ أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا ^(٦) ، الْأَكْثَرُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا ، تُخْزِنُ الْحِكْمَةَ فِى قُلُوبِهِمْ حَتَّى يَزْرَعُوهَا فِى قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ، وَيُودِعُوهَا فِى صُدُورِ نُظَرَائِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ ^(٧) فَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ ، فَاسْتَلَامُوا مَا اسْتَحْشَنَهُ الْمُتَرَفُّونَ ^(٨) ، وَاسْتَأْنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَجْسَادِ أَرْوَاحِهَا مُتَعَلِّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى ، أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِى بِلَادِهِ ^(٩) وَدُعَائُهُ إِلَى دِينِهِ ، آوِ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ !

- (١) أى : لا يصلح لحمل العلم واحد منهما .
 (٢) فى م : مهسوم بالرفع . خطأ . فى ط : مهسوماً .. وفى نهج البلاغة : مهسوماً أو مهسوماً باللذة ، وهى الأنسب . والمهسوم : المفرط فى شهوة الطعام .
 (٣) فى م : وط : م : أم : .. وفى نهج البلاغة : أو مُعَرِّمًا بالجمع والإدخار .
 (٤) سقطت بهما من م : .. وما بين المعقوفين عن نهج البلاغة .
 (٥) فى م : سبحانه وتعالى . وفى نهج البلاغة : لا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ ، إِثْمًا ظَاهِرًا مشهورًا ، أَوْ خَائِفًا مَعْمُورًا .
 (٦) هكذا فى م : وط : .. وفى نهج البلاغة : وكم ذا ؟ وأين أولئك ؟ أولئك - والله - الأقلون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً .
 (٧) فى نهج البلاغة : على حقيقة البصرة .
 (٨) هكذا فى م : .. وفى ط : استَوْحَشَهُ .. وفى نهج البلاغة : استَوْعَرَهُ : أى : رآه وعَرَا . والمعنى : أَنَّهُمْ عَدُّوا مَا اسْتَحْشَنَهُ الْمُتَعَمُّونَ لَنَا ، وَهُوَ : الزُّهْدُ .
 (٩) فى نهج البلاغة : أرضه .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْعَقْلِ وَاللَّهَاءِ وَالْمَكْرِ (٥)

قَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ الْأَسْرَارِ (١) حَقِيقَةَ الْعَقْلِ وَأَقْسَامَهُ (٢) ، وَمَحَلَّهُ وَأَحْكَامَهُ ، بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرُهَا مَتَابَعُهُ وَمَدَارِكُهُ وَلَبَابُ مَا تَحَرَّرَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ . إِنَّهُ (٣) الِاسْتِشْهَادُ بِالشَّاهِدِ عَلَى الْغَائِبِ ، فَمَنْ كَانَ فِي طَرَفِهِ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِمَا شَاهَدَ عَلَى مَا غَابَ عَنْهُ ، كَانَ مَعَهُ عَقْلٌ ، وَيُسَمَّى (٤) عَاقِلًا عِنْدَ الْمُؤَحِّدِينَ ، وَبِهِ يَتَوَجَّهُ التَّكْلِيفُ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ (٥) نَظَرَ إِلَى قَصْرِ قَدْ كَمَلَ بَنِيَانُهُ ، وَخَصَصَتْ أَرْكَانُهُ (٦) وَجُعِلَتْ فِيهِ مِنَ الْأَلَابِ مَا يَكْتَفِي بِهِ سَاكِنُوهُ ، فَاشْتَرَفَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ ، فَرَأَى ثِيوبًا مَقْطُوعَةً ، وَأُبُوَابًا مَنصُوبَةً ، وَفُرْشًا مَفْرُوشَةً ، وَزَّرَائِي مَبْثُوثَةً (٧) ، وَمَوَالِدَ مَوْضُوعَةً ، وَصِحَاحًا (٨)

(٥) فِي « ط » : « الْحَيْث » بدل « الْمَكْرِ » .

(١) هذا الكتاب من كتب أبي بكر الطرطوشي التي لم تشر إليها المراجع التي أُرْتِخَتْ له وأُخَصِّتْ مؤلفاته . وقد أشار إليه في أكثر من موضع في هذا الكتاب « سراج الملوك » .

[انظر أبي بكر الطرطوشي للدكتور جمال الشيال — سلسلة أعلام العرب (٧٤) ص ٧٨] .

(٢) سقطت « وأقسامه » من « م » .

(٣) ل « م » : « إِنَّ » .

(٤) فِي « م » : « يُسَمَّى » بدل « وَابِ » العطف .

(٥) فِي « م » : « وَذَلِكَ مَنْ » .

(٦) خَصَصَتْ أَرْكَانَهُ : صارت منيعة . وفي « م » : « حَضَّتْ » تحريف من الناسخ .

(٧) زَّرَائِي مَبْثُوثَةٌ : بُسِطَ أو وسائد مُفَرَّقَةٌ . مفردتها : زَّرِيَّةٌ ، وهي الوسادة تُبَسِطُ للجلوس عليها .

(٨) الصِّحَاحُ : آنية الطعام ، مفردتها : صَحْفَةٌ .

مَصْفُوفَةٌ ، وَأَرَاتِكَ ^(١) مَنْصُوبَةٌ ، وَحَجَّالًا مَسْدُولَةٌ ^(٢) ، وَطُسُونًا ^(٣) وَأَبَائِيْق ، وَيَبُوتَ مَاءٍ ،
وَمَيَائِبِ ثَمْبٍ الْمَاءِ وَتَحْتَهَا بَلَالِيْعٌ لَغِيْضِ الْمَاءِ ^(٤) [وَطَيْقَانٌ لِلضِّيَاءِ الْوَاقِعِ ، وَمَذَائِحِنَ
لِلدُّخَانِ الْخَارِجِ وَالْهَوَاءِ] ^(٥) إِلَى سَائِرِ مَا يَسْتَعِدُّهُ ^(٦) الْعَقْلَاءُ لِلْإِنْفَاعِ ، ثُمَّ فَكَّرَ : هَلْ
هَذَا الْقَصْرُ بِمَا حَوَاهُ صَنْعَةٌ قَادِرٍ صَانِعٍ عَالِمٍ حَيٍّ ، أَوْ اتَّفَقَ لِنَفْسِهِ ، وَتَرَكَّبَ عَلَى
صُورَتِهِ بِلَا صَانِعٍ ؟ فَيَسْتَقِرُّ فِي عَقْلِهِ بِالضَّرُورَةِ اسْتِحَالَةٌ وَجُودِهِ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ ، وَأَنَّهُ
مُنْفَقِرٌ إِلَى صَانِعٍ صَنْعَهُ .

وَهَذَا عِلْمٌ يَهْجُمُ عَلَى الْعُقُولِ ، لَا يَنْفَقِرُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، وَإِنَّمَا كَثُرَتْ لَكَ هَذِهِ
الْأُمُتِلَةُ ، لِأَنَّ مَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَلَطِيفِ الصَّنْعَةِ وَالْعَجَائِبِ أَكْثَرُ مِمَّا فِي الْقَصْرِ
بِاضْتِعَافِ مُضَاعَفَةٍ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ قَرَأَى مَا فِيهَا ^(٧) مِنَ الْعَجَائِبِ
وَالْتَرَكِبِ ، وَنَمَنَعَةٍ كُلِّ غَضْوٍ وَتَخْصِيصِهِ ، إِنَّمَا يَجْلِبُ نَفْعٌ أَوْ دَفْعٌ ضَرٌّ ، فَاتَّعَمَ ^(٨)
نَظَرُهُ فِي غَضْوٍ وَاحِدٍ مَثَلًا ، وَهُوَ فَمُهُ ، فَبَرَى فِي أَوَّلِهِ أَسْنَانًا تُشْبِهُ الْقُفُوسَ ^(٩) تُصْلِحُ
لِلْقَطْعِ ، وَفِي آخِرِهِ طَوَاجِينَ مُضَرَّةً ^(١٠) تُصْلِحُ لِلطَّحْنِ ، وَشِدْقَيْنِ ^(١١) كَأَنَّهُمَا يُفَالُ

(١) قوله : « وأراتك منصوبة » عن « ط » ، ولم ترد في « م » . والأراتك : المقاعد المُنْتَدَةِ ، مفردة : أَرَبَكَةٌ .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وحجلاً مسدولة » . والحجل والججال : الستائر ، مفردة : حَجَلَةٌ .

(٣) في « م » : « وطُسُونًا » . والطُسُن : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوي ، يُسَلُّ فِيهِ ، مُعْرَبٌ وَتَنَتْ ،

بالشين المعجمة .

(٤) الميائيب : قنوات ، أو أنابيب مصرف بها الماء من سطح بناء ، أو موضع عالٍ . وبلاليع لغرض الماء : ثقب

لتصريف الماء ، ومفردها : بِالْوَعَةِ .. وفي « م » : « بلاليع » خطأ من الناسخ .

(٥) ما بين المقومين عن « م » ، وساقط من « ط » . والطيقان : التوافد المستديرة .

(٦) يستعده : يَهَيِّئُهُ .

(٧) في « ط » : « قرأى فيها » .

(٨) في « م » : « فليتعلم » وتكررت كلمة « واحد » بعدها سهواً من الناسخ . واتَّعَمَ نَظَرُهُ فِي كَذَا : دَقَّقَهُ وَأَطَالَ

الفكرة فيه .

(٩) في « ط » : « الفأس » .

(١٠) مُضَرَّةٌ : مُجَرَّبَةٌ .

(١١) في « م » : « وشِدْقِيهِ » . والشِدْق : جانب الفم مما تحت الحَدِّ . والشِدْقَانِ ، بكسر الهمزة المشددة : ما يَسْتَسَطُّ

تحت الرُّخَى ، من جلد وغيره ، ليسقط عليه الدقيق ، ويضم الماء المشددة أيضاً : الحجر الأسفل من الرُّخَى . والأول

هو المراد .

الرَّحَى ، يَمْنَعَانِ أَنْ يَنْهَرَقَ الطَّعَامُ ^(١) إِلَى خَارِجٍ ، وَلِسَانًا يَرُدُّ مَا انْقَلَبَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَيْهِ عَلَى الطَّوَّاجِينِ ، ثُمَّ يَلِي ذَلِكَ بُلْعُومٌ لَا زِدْرَادِهِ بَعْدَ الطَّحْنِ ^(٢) ، عِلْمٌ بِأَذْنَى تَأْمِيلٍ أَنَّ هَذِهِ الْحِلْفَةَ مَا انْفَعَلَتْ بِنَفْسِهَا اتِّفَاقًا ، بَلْ هِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى قَصْدٍ قَاصِدٍ ، وَجَعَلُ جَاعِلٍ ^(٣) .
وَعَلَى هَذَا النَّمِطِ لَوْ ذَهَبْنَا نَذْكُرُ ^(٤) مَنَفْعَةَ كُلِّ عَضْوٍ لَوَقِفْتَ عَلَى الْعَجَبِ ^(٥) ، وَلَكِنْ تَرَكْنَاهُ كَرَاهِيَةَ التَّطْوِيلِ . وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى ثَبَّهَ الْكِتَابُ الْمُتَهَيِّمُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ^(٦) . وَبِهَذِهِ الْعِبَرَةِ تَسْتَقِيلُ الْعُقُولُ بِإثْبَاتِ الصَّانِعِ ، وَتَسْتَعْنِي عَنِ النَّظَرِ فِي الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ ^(٧) . فَالْعِلْمُ الْمُفِيدُ لِإثْبَاتِ الصَّانِعِ فِي الشَّاهِدِ ، مِثْلُ : الْبِنَاءِ ، وَالْتِجَارِ ، وَالْحَيَاطِ ، وَأَشْبَاهِهِمْ ، بَعْدَ النَّظَرِ فِي صَنَائِعِهِمْ عَلَى اضْطِرَّارٍ .

وَالْعِلْمُ الْمُثْبِتُ لِلصَّانِعِ - سُبْحَانَهُ - عِنْدَ النَّظَرِ فِي خُلُوثِ الْعَالَمِ ^(٨) عِلْمٌ اسْتِدْلَالٍ ، اِعْتِبَارًا ^(٩) لِلْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ ، إِذْ لَا فَرْقَ فِي الْعُقُولِ بَيْنَ صَنْعَةٍ وَصَنْعَةٍ فِي اقْتِضَاءِ صَانِعٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الشَّاهِدِ ضَرْوِيًّا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَزَلْ يَرَى الْبِنَاءَ يَبْنِي ، وَالْحَيَاطَ يَخِيطُ ، وَالتَّجَارَ يَتَجَرَّرُ الْحَشَبُ ، وَلَمْ تَرَ الْعُقَلَاءُ الْقَدِيمَ - سُبْحَانَهُ - يَخْلُقُ وَيَخْتَرِعُ ، وَإِنَّمَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الشَّاهِدِ ، فَإِنْ قِيلَ : فَأَيُّ الْعِلْمَيْنِ أَقْوَى فِي النُّفُوسِ وَاتَّبَتْ فِي

(١) في د م : « يَمْنَعَانِ الطَّعَامَ أَنْ يَنْهَرَقَ » . يُقَالُ هَرَقَ الْمَاءُ ، أَي : أَرَقَهُ وَصَبَّهُ ، وَالْمَاءُ فِيهَا لَيْسَتْ أَصْلِيَّةً ، وَإِنَّمَا هِيَ بِدَلٍّ مِنْ هِزَةٍ « أَرَقَ » وَفِيهَا لُغَاتٌ .

[انظر لسان العرب - مادة هرق] .

(٢) في د م : « بُلْعُومٌ يَصْلُحُ لِإِزْدِرَادِ هَذَا الطَّحْنِ » . وَالْإِزْدِرَادُ : التَّلْعُ .

(٣) جَعَلَ جَاعِلٌ : أَي : خَلَقَ خَالِقٌ .

(٤) ل د م : « وَنَصِفُ » .

(٥) في د م : « وَالْعُضْبُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٦) سورة الذَّارِيَاتِ - الْآيَةُ ٢١ .

(٧) الْجَوَاهِرُ : مَا قَامَ بِنَفْسِهِ ، وَيُقَابِلُهُ الْقَرَضُ ، وَهُوَ مَا قَامَ بِغَيْرِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ التَّلْقِيْقُ عَلَيْهِ بِتَوْسِعٍ فِي مَنْ مَقْدَمَةِ الْكِتَابِ .

(٨) هَكَذَا فِي ط .. وَفِي د م : « عِنْدَ الْخُذِّ النَّظَرُ فِي الْعَالَمِ » .

(٩) سَقَطَتْ « اِعْتِبَارًا » مِنْ د م .

الْعُقُول ، الْعِلْمُ بِالصَّانِعِ : النَّظَرُ فِي السَّرِيرِ ^(١) وَاقْتِصَائِهِ لِلشَّجَارِ ، أَمْ ^(٢) الْعِلْمُ بِالْإِلَهِ عِنْدَ النَّظَرِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا ؟ فَالْجَوَابُ : أَنَّ هَذَا يَسْتَدْعِي تَفْصِيلًا وَتَدْقِيقًا ، وَنَيْسَ هَذَا الْكِتَابُ مَوْضِعًا لِذَلِكَ ، فَحَيْثُ نَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُ عَقْلًا غَيْرِيًّا ، وَنُسَمِّيهِ عَاقِلًا ، وَنَوَجِّهُ التَّكْلِيفَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الْعَقْلُ التَّكْلِيفِيُّ .

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ : مَلَائِكَةً ، وَآدَمِيَّينَ ، وَشَيَاطِينَ ، وَبَهَائِمَ . فَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَعُقُولٌ بِلَا شَهَوَاتٍ وَلَا هَوَى يُقَارِنُهُ ، وَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَشَهَوَاتٌ بِلَا عُقُولٍ ، وَأَمَّا الشَّيَاطِينُ وَالْجِنُّ فَرُكِبَ اللَّهُ فِيهَا الْعُقُولُ وَالشَّهَوَاتُ وَالْهَوَى ، وَهَكَذَا رُكِبَ فِي بَنِي آدَمَ الْعَقْلُ وَالْهَوَى وَالشَّهَوَةُ ، فَغَلَبَتْ شَهَوَاتُ الشَّيَاطِينِ وَهَوَاهُمْ عُقُولُهُمْ ، فَقَطَّعُوا أَوْقَاتَهُمْ بِالْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ : بِالْكِبْرِ ^(٣) وَالْعُجْبِ ، وَالْمَقْتِ ^(٤) وَالْفَخْرِ ، وَالذَّغْوَى ، وَالْحَسَدِ ، وَالْأَذْيَةِ ، وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الْمُهْلِكَةِ . وَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَتَقَفَّضَتْ ^(٥) أَوْقَاتُهَا فِي شَهَوَاتِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ . وَأَمَّا الْآدَمِيُّونَ فَرُكِبَ فِيهِمْ عُقُولُ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَخْلَاقُ الشَّيَاطِينِ ، وَشَهَوَاتُ الْبَهَائِمِ ، فَصَنَ غَلَبَ عَقْلُهُ هَوَاهُ مِنْهُمْ فَكَانَتْهُ مِنْ عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ : كَالْأَنْبِيَاءِ ، وَالرُّسُلِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

وَأَمَّا مَنْ كَانَ عَقْلُهُ مَغْلُوبًا بِهَوَاهُ وَشَهَوَاتِهِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ ^(٦) مِنْ الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَاقِبِ وَالنِّسَاءِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ^(٧) فَأُكِّلَ وَتَمَتَّعَ بَعْدَ أَنْ كَسَبَهُ مِنْ حِلِّهِ ^(٨) فَهَذَا مِنْ عَالَمِ الْبَهَائِمِ [وَإِنَّمَا الْحَفَنَاءُ بِعَالَمِ الْبَهَائِمِ

(١) هكذا في ط .. م : « أقوى وأثبت في العقول عند النظر في السرير » .

(٢) في م : « للتحارم » . تحريف .

(٣) في م : « كالكبر » ، وسقطت منها المذمومة ، والسياق يتطلب وجودها .

(٤) والمقت ، عن ط .. وسقطت من م .

(٥) تقفّضت أوقاتها : فبّيت ، وانقطعت . وفي م : « تقفّضت أوقاتها » .

(٦) المباحات ، عن ط ، وسقطت من م .

(٧) الخرب ، عن ط ، وسقطت من م ، والمراد بها : الزرع .

(٨) أي : بعد أن كسبه من حلال .

لأنه لا تكليف على البهائم ^(١) وكذلك هذه المباحث لا حرج في الاستمتاع بها بعد أن يكون كسبه ^(٢) من حله . وإن كان الغالب عليه أخلاق الشياطين : من الكبير ، والعجب ، والحسد ، والغش ، إلى سائر الأخلاق المذمومة - فهذا من عالم الشياطين . وإن اجتمع في الشخص إفراط الشهوات وأتباع الهوى والأخلاق المذمومة ، فيكون آدمياً في صورته ، شيطانياً في أخلاقه ، بهيمة في شهواته ، فلا يصلح للصحية . وإن ثبت ^(٣) هذا فاعلم أن هذا العقل العريز أطول رقدة ^(٤) من العين ، وأخرج إلى الشهد من السيف ^(٥) .

فصل

فأما العقل المكسب ، وهو نتيجة العقل العريز ، فهو نقابة المعرفة ^(٦) ، وإصابة الفكرة ، وليس له حد ينتهي إليه ، لأنه ينمو إذا استعمل ، وينقص إن أهمل ^(٧) ونماؤه يكون بأحد وجهين :

إما أن يقارنه من مبدئ النشوء ذكاء وحسن فطنة ، كالذي قال الأصمعي : قلت لغلام حدث من أولاد العرب ، كان يحادثني ^(٨) وأمتعني الله بقصاحته وملاحته :

(١) ما بين المعرفين عن ط ، وساقط من م .

(٢) في م : : بعد أن كسبه .

(٣) في م : : وإذا ثبت .

(٤) الرقدة : التومة .

(٥) شغل السيف : أخذ ميثاقه . والمراد بقوله هذا : أن ذلك الإنسان الذي يتسم بهذه الصفات البهيمية ، كالإنسان المستغرق في نومه ، وكالسيف الذي ران عليه الصدأ فقدف صلاحه ، فهذا الإنسان في حاجة إلى من يوقظه من تلك الغفلة التي يحياها ، وإلى تهذيب وتقوم للنفس .

(٦) نقابة المعرفة : نقادها .

(٧) في م : : إذا أهمل .

(٨) هكذا في م ، وفي أدب الدنيا والدين ص ٢٨ من الباب الأول - فضل العقل وذم الهوى . ط الدار المصرية . ومحادثي : يكالمني .. وفي ط : : يحادثني .

أَسْرَكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِائَةُ أَلْفٍ ذِرْهِمٍ وَأَنْتَ أَخْمَقُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قُلْتُ : وَلِمَ ؟
قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَجْنِيَ عَلَيَّ حُمْقِي جَنَائَةً تَذْهَبُ بِمَالِي وَيَتَقَيَّ عَلَيَّ حُمْقِي . فَاسْتَخْرَجَ
هَذَا الصَّبِيَّ يَفْرِطُ ذَكَائِهِ مَا يَدُقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا .

وَقِيلَ لِنِعَاضِ الصَّبِيَّانِ : أَلَيْكَ أَبُ ؟ قَالَ : فَكَأَنِّي عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَقَدْ قَالَتْ
الْحِكَمَاءُ : آيَةُ الْعَقْلِ سُرْعَةُ الْفَهْمِ ، وَغَايَتُهُ إِصَابَةُ الْوَعْمِ ، وَلَيْسَ لِلذَّكَاةِ غَايَةٌ ، وَلَا
لِجَوْدَةِ الْقَرِيحَةِ نِهَائَةٌ ، أَلَا تَرَى أَنَّ إِيَّاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ^(١) [الَّذِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِذَكَائِهِ]
قَالَ لِأَبِيهِ - وَهُوَ طِفْلٌ ، وَكَانَ أَبُوهُ يُؤْزِرُ أَخَاهُ عَلَيْهِ : يَا أَبَتِ ^(٢) ، نَعْلَمُ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ
أَخِي مَعَكَ : أَنَا كَفَرَجِ الْحَمَامِ ^(٣) أَتَبِحُ مَا يَكُونُ أَصْغَرُ مَا يَكُونُ ^(٤) وَكُلَّمَا كَبُرَ زِدَادُ
مَلَاحَةٍ وَحُسْنًا ، فَتَبَنَّى لَهُ الْعَلَالِيُّ ^(٥) وَيَتَّخِذُ لَهُ الْمُرَبَّعَاتُ ، وَيَسْتَحْسِنُهُ الْمُلُوكُ ، وَمَثَلُ
أَخِي مَثَلُ الْجَحَشِ ، أَمْلَحُ مَا يَكُونُ أَصْغَرُ مَا يَكُونُ ، وَكُلَّمَا كَبُرَ قَبِيحَ وَصَارَ إِلَى
الْفَهْقَرَى ^(٦) إِنَّمَا يَصْلُحُ لِحِمْلِ الزُّبُلِ وَالتَّرَابِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : مَا يَصْلُحُ لِذَوِي الْحُنْكَةِ ^(٧) وَصِحَّةِ الرُّؤْيَةِ ، لِيُطَوِّلَ مُمَارَسَةَ الْأُمُورِ ،

(١) ما بين المقروضين عن ط . . وإيَّاس هو : إيَّاس بن معاوية بن قرة المزني ، أو وإيلة ، ولأه عمر بن
عبد العزيز قضاء البصرة ، وكان أحد أعاجيب الدهر في القطنة والذكاء ، وُلِدَ سنة ٤٦ هـ ، وضُرِبَ المَثَلُ بِذَكَائِهِ
فَقِيلَ : « أَذْكَى مِنْ إِيَّاس » . وقال عنه الجاحظ : إنه من مفاخر مُضَرٍّ ، ومن مقدمي القضاة ، كان صادق الخدس ،
نَفَّاسًا ، عجيب الفراسة ، ملهمًا ، وجهيًا عند الخلفاء . وللمدائني كتاب سماه « زَكَنُ إِيَّاس » والزَكَنُ : التَّفَرُّسُ فِي
الشَّيْءِ بِالظَّنِّ الصَّائِبِ . تَوَفَّى - رحمه الله - بواسط سنة ١٢٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٣ ، والبيان والتهيين ج ١ ص ٩٨ - ١٠١ ، والمعارف ص ٤٦٧ ، ووفيات الأعيان ج
١ ص ٢٤٧ - ٢٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٢٣ - ١٢٥ ، وثمار القلوب ص ٩٢ - ٩٤ ، وميزان الاعتدال
ج ١ ص ٢٨٣] .

(٢) ل م : « يَا أَبَتِ » . وكذا جاءت في وفيات الأعيان ج ١ ص ٤١٩ ط دار الثقافة - بيروت .

(٣) في م : « كَفَرَجِ حَمَام » .

(٤) يريد : عند أول خروجه من البهضة يكون قبيح المنظر .

(٥) الْعَلَالِيُّ : الثَّرْفُ الْعَالِيَةُ ، جَمْعُ عَلِيٍّ بضم العين وكسرهما .

(٦) الْفَهْقَرَى : الرَّجُوعُ إِلَى الْخَلِيفِ .

(٧) لِذَوِي الْحُنْكَةِ : لِأَصْحَابِ الثَّجَرَةِ وَالْبَصَرِ بِالْأُمُورِ .

وَكثرةِ التَّجَارِبِ ^(١) ، وَمُرُورِ الْغَيْرِ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ ، وَتَقَلُّبِ الْأَيَّامِ وَتَصَرُّفِ الْحَوَادِثِ ، وَتَنَاسُخِ الدُّوَلِ ^(٢) قَدْ مَرَّتْ عَلَى عَيْنِهِمْ وَجُوهُ الْغَيْرِ ^(٣) ، وَتَصَدَّدَتْ لَأَسْمَاعِهِمْ أَنْوَاعُ الْأَخْبَارِ وَأَتَارُ الْغَيْرِ ^(٤) .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا ^(٥) ، وَتَقَلُّبِ الْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالُوا : التَّجَرُّبَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ ، وَالْبُرَّةُ ^(٦) ثَمَرَةُ الْجَهْلِ ، وَلِذَلِكَ حُمِدَتْ آرَاءُ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالُوا : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ ، وَيَنْبِيعُ الْأَخْبَارِ ، لَا يَطْبِشُ لَهُمْ سَهْمٌ ، وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ ، وَعَلَيْكُمْ بِآرَاءِ الشُّيُوخِ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ عَدِمُوا ذِكَاءَ الطَّبِيعِ فَقَدْ أَفَادَتْهُمْ الْأَيَّامُ حُنْكَةً ^(٧) وَتَجَرُّبَةً .

وَقَدْ قَالَ ^(٨) الشَّاعِرُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ نَهْنٌ لِأَهْلِهِ
وَلَكِنْ تَمَامُ الْعَقْلِ طَوْلُ التَّجَارِبِ ^(٩)
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْأَيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا ^(١٠)
غَيْرَ أَنَّ لِلْعَقْلِ آفَاتٍ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَيْفَ يَرْجُو الْعَاقِلُ النَّجَاةَ ،

(١) في « ط » : « وكثر التجارب » . والغير : الأحوال والأحداث المتغيرة .

(٢) تناسخ الدُّوَل : تداولها ، فكان بعضها مكان بعض .

(٣) هكذا في « ط » : « وفي » م : « والغير » .

(٤) هكذا في « ط » : « وفي » م : « والغير » . والغير : جمع بَيْرَة ، وهي : الائتلاف والاعتبار بما نضى .

(٥) في « م » : « تأديبا » .

(٦) البرَّة : الغفلة .

(٧) في « م » : « حيلة » .

(٨) في « م » : « وقال » . والبيت منسوب إلى بلال الأنصاري . [انظر مجمع الحكم والأمثال ص ٣٣٧] .

(٩) الشطرة الثانية من هذا البيت في المرجع السابق : « وأن كمال العقل طول التجارب » .

(١٠) انظر : أدب الدنيا والدين ، الباب الأول : فضل العقل وذم الهوى .

وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةَ قَدْ اسْتَفْتَاهُ ^(١) ؟ وَالْهَوَى أَبْعَدُ مِنْ أَنْ تُنْفَذَ ^(٢) فِيهِ حِيلَةُ الْحَازِمِ الْمُحْتَالِ ، وَهُوَ أَغْمَضُ مَسْلَكًا فِي الْجَنَانِ مِنَ الرُّوحِ فِي الْجُنُونِ ، وَأَمْلَكُ بِالنَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ ، وَالْمَالِكُ لِلشَّيْءِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : كَمْ مِنْ عَقِيلٍ أُسِيرَ عِنْدَ هَوَى أَمِيرٍ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ حُرًّا فَلَا يَهْوَى ، وَإِلَّا صَارَ عَبْدًا . كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ ^(٣) :

أَنْفَسَ حُرَّةً وَنَحْنُ عَبِيدُ إِنْ رَقِيَ الْهَوَى لَرَقَى شَبِيدُ

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْعَقْلِ الْمُكْتَسَبِ ^(٤) إِذَا تَنَاهَى وَزَادَ فِي الْإِنْسَانِ ، هَلْ يَكُونُ فَضِيلَةً أَمْ لَا ؟ فَقَالَ مُعْظَمُ الْعُقَلَاءِ : إِنَّهُ فَضِيلَةٌ إِذَا كَانَ مَجْمُوعَ أَحَادٍ ، وَالْأَحَادُ فَضَائِلُ ، وَلَا شَكَّ ^(٥) أَنَّ كَثْرَةَ الْفَضَائِلِ فَضِيلَةٌ ، أَمَّا ^(٦) الشَّيْءُ الْمَحْدُودُ فَتَكُونُ الزِّيَادَةُ فِيهِ نَقْصًا ^(٧) مِنَ الْمَحْدُودِ ، كَالْتَهْوِيرِ فِي الشُّجَاعَةِ ، وَالتَّيْذِيرِ ^(٨) فِي الْكَرَمِ ، فَأَمَّا الزِّيَادَةُ فِي

(١) استفتاء : أحاطاً به .

(٢) في « ط » : ينفذ .

(٣) هو : أبو الحسن ، علي بن الجهم بن بدر ، من أهل بغداد ، وهو من الشعراء المجيدين ، وشعره فيه رقة ، كان معاصراً لأبي تمام ، وتخصّص بالتوكل العباسي ، ثم غضب عليه فنفاه إلى « خراسان » فأقام بها مدة ، وانتقل إلى « حلب » ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب ، فقاتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٩ - ٣٢٢ ، والأغاني ج ١٠ ص ٣٦٦٧ - ٣٦٩٨ ط الشعب] .

(٤) هكذا في « ط » وفي أدب الدنيا والدين ص ٣٢ .. وفي « م » : في المكتسب في العقل .

(٥) في « م » : فلا شك .

(٦) في « م » : وأنا .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : يكون فيه الزيادة والنقصان فيه نقصاً . وفي أدب الدنيا والدين : زيادة العقل فضيلة ، لأن المكتسب غير محدود ، وإنما تكون زيادة الفضائل المحمودة نقصاً مذموماً ، لأن ما جاوز الحد لا يُسمى فضيلة ، كالشجاع إذا زاد على حد الشجاعة تُسبب إلى التهور ، والسخي إذا زاد على حد السخاء تُسبب إلى التبيذير .

[انظر أدب الدنيا والدين - الباب الأول ص ٣٢ ، ٣٣ ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٨) سقطت كلمة « التبيذير » من « م » .

العقل المكتسب فزيادة علم بالأمور ، وحسن إصاية بالطئون ، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان .

وروى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الناس أعقل الناس . وقال عليه السلام ^(١) : العقل حيث كان الؤف ^(٢) مألوف . وقال القاسم بن محمد ^(٣) : من لم يكن عقله أغلب بحصال الخير عليه ، كان خفته في أغلب الخصال عليه . ولما مات بعض الخلفاء حشدت الروم ^(٤) واجتمعت ملوكها وقالوا : الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا ^(٥) الفرقة منهم ، والوثبة عليهم ، وضربوا في ذلك مشاورات ، وتراجعوا فيه بالمناظرات ، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وفرقة النحر ^(٦) وكان رجل منهم ^(٧) من ذوى الرأي والمعرفة غائباً عنهم ، فقالوا : من الحزم عرض الرأي عليه ، فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال : لا أرى ذلك صواباً ، فسألوه عن علة ذلك فقال ^(٨) : غداً أخبركم إن شاء الله [تعالى] ^(٩) ، فلما أصبحوا غدوا عليه فسألوه عن علة ذلك الوعد ^(١٠) وقالوا : لقد وعدتنا . قال : نعم . فأمر بإحضار كليتين عظيمين

(١) في م : : صل الله عليه وسلم .

(٢) في ط : : آلف .

والمنى : أن العاقل يتميز بحسن الخلق ، ومن ثم تسهل طبعه وتطبل معاشرته .

(٣) هو : القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، وُلد بالمدينة سنة ٣٧ هـ . وتولى بفتده - ثين مكة والمدينة - سنة ١٠٧ هـ . وكان صالحاً نفة ، ومن سادات التابعين . قال ابن حنبل : كان القاسم أفضل أهل زمانه .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ١٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٨٣]

- ١٨٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٤) حشدت الروم : اجتمعوا وتحفوا في التعاون ، وفي م : : حشحت أي : تحركوا للنهوض .

(٥) في م : : فمكننا .

(٦) فرقة النحر : الفرقة التي في الخلق ، أهل الصدر . والمراد هنا : أنها فرصة مناسبة للمواجهة .

(٧) هكذا في ط .. وفي م : : وكان رجل من ذوى الرأي منهم .

(٨) في م : : قال .

(٩) ما بين المعقوفين عن م .

(١٠) هكذا في م .. وفي ط : : فلما أصبحوا غدوا عليه للوعد .

فَدَّ أَعْدَهُمَا ، ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا ، وَأَلَبَّ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى الْآخَرِ ، فَتَوَاتَبَا وَتَهَارَشَا ^(١) حَتَّى سَأَلَتْ دِمَاؤُهُمَا ، فَلَمَّا بَلَغَا الْغَايَةَ فَتَحَ بَابَ يَبِّ عِنْدَهُ ، وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذُفْبًا عِنْدَهُ فَدَّ أَعْدَهُ ، فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ تَرَكَا مَا كَانَا عَلَيْهِ ، وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا ، وَوَتَّابَا جَمِيعًا عَلَى الذَّنْبِ فَتَالَا مِنْهُ مَا أَحَبَّا ، ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ ^(٢) : مَثَلُكُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هَذَا الذَّنْبِ مَعَ الْكِلَابِ ، لَا يَزَالُ الْهَرَجُ ^(٣) وَالْفِتْنَةُ بَيْنَهُمْ مَا لَمْ يَظْهَرِ لَهُمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ تَرَكُوا الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ وَتَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ ^(٤) . فَاسْتَحْسِنُوا قَوْلَهُ ^(٥) وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِمْ .

وَأَمَّا الْمَذْمُومُ فِي هَذَا الْبَابِ فَصَرَفُ ^(٦) الْعَقْلِ إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ . قَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٧) : وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَدَهَاءُ الْعَرَبِ سِتَّةٌ : مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(٨) وَالْمُعِيزَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَزِيَادُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عُبَادَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ بْنُ وَرْقَاءَ ^(٩) . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ : « أَنَا لِلْأَنَاءِ ، وَعَمْرُو لِلْبِدْيَةِ ، وَزِيَادُ لِلصَّغَارِ وَالْكَبَارِ ، وَالْمُعِيزَةُ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ .

(١) التحريش : الإغراء أو التهيج بين الإنسان والحيوان . أَلَبَّ : حَرَّشَ . وَتَهَارَشَا : تَفَاتَلَا .

(٢) في « م » : « قَالَ : مَثَلُكُمْ » .

(٣) الْهَرَجُ : الفتنه والاختلاط .

(٤) تَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ : اجتمعوا وتوافقوا على قتاله .

(٥) في « م » : « فَاسْتَحْسِنُوا ذَلِكَ مِنْهُ » .

(٦) في « م » : « صَرَفَ » . والصواب ما جاء في « ط » ، حيث إن الفاء تقع في جواب « أَمَّا » .

(٧) هو الْمُحَدَّثُ ، عالم الكوفة عامر بن شراحيل .. وقد مرَّ التعريف به .

(٨) معاوية بن أبي سفيان . مرَّ التعريف به ..

وعَمْرُو بن العاص بن وائل السهبي القُرَشِيُّ ، صحابيٌّ ، من أشهر الفاتحين ، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي لِيَسْلَمَ لَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قبل أن يدخل الإسلام . وكان من أولي الرأي والحزم والمكيهة .. فَتَحَ مِصْرَ ، وكان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر بن الخطاب ، وفتح يَثْرِبَ ، وصالح أهل حلب ومنيح وأنطاكية ، ولأه عمر فلسطين ثم مصر ، وعزله عثمان ، ولَمَّا كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ ، كان عمرو مع معاوية ، وَلَمَّا تَمَّ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ وَلَآهُ عَلَى مِصْرَ سَنَةَ ٣٨ هـ . وأطلق له خراجها ست سنين . تولى بالقاهرة سنة ٤٣ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٤٤ - ٢٤٨] .

(٩) الْمُعِيزَةُ بن شعبة بن أبي عامر ، صحابيٌّ ، وقد مرَّ التعريف به .

قَالَ قُيُصَّةُ بْنُ جَابِرٍ ^(١) : مَا رَأَيْتُ أُعْطِيَ لِحْزِيلٍ مَالٌ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ مِنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ^(٢) ، وَلَا رَأَيْتُ أَثْقَلَ حِلْمًا وَلَا أَطْوَلَ أَثَاةً مِنْ مُعَاوِيَةَ ، وَلَا رَأَيْتُ أَغْلَبَ لِلرِّجَالِ وَلَا أُنْذَلَهُمْ حِينَ يَجْتَمِعُونَ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَلَا أَشْبَهَ سِيرًا بِعَلَانِيَةٍ مِنْ زِيَادٍ ، وَلَوْ أَنَّ الْمُعِيرَةَ كَانَ فِي مَدِينَةٍ لَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ^(٣) لَا يُخْرَجُ مِنْ بَابٍ مِنْهَا إِلَّا بِالْمَكْرِ ، لَخَرَجَ مِنْ أَبْوَابِهَا كُلِّهَا .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٤) : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : يَا عُوَيْمِرُ ^(٦) ازْدَدْ عَقْلًا تَزِدُّ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا . قُلْتُ : يَا بَيْ [أَتَيْتُ] وَأُمِّي ^(٧) وَمَنْ لِي بِالْعَقْلِ ؟ قَالَ : اجْتَنِبْ

= وزباد بن أبيه - في « ط » : « زباد بن أمية » والأشهر : « ابن أبيه » وقد مر التعريف به .
وقيس بن سعد بن عباد ، مر التعريف به أيضًا .

وعبد الله بن بُكَيْل بن ورفاء الخُزَاعِي ، صحابيٌّ ، وكان من اللُّغَاةِ الفصحاء ، انتهت إليه السيادة في خِزَاعَةِ .. أسلم يوم الفتح ، وشهد حُتَيْبًا والطَّائِفَ وتبوك ، وقاتل مع عليٍّ بهيْقِينَ ، فكان قائدَ الرُّجَالَةِ ، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقعه ، فكاثر عليه أصحاب معاوية ، فُقِيلَ ، وكان ذلك سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٧٣ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، والخير ص ١٨٤] .

(١) هو : قُيُصَّةُ بْنُ جَابِرٍ بن وهب الأَسَدِيُّ الكوفيُّ ، تابعيٌّ ، من رجال الأحاديث والفقهاء ، كان فصيحًا ، ويُعد من الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة ، وهو آخر معاوية من الرضاة ، توفي سنة ٦٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٨ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٢٥] .

(٢) هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان التَّيَّيُّ اللَّفْرَشِيُّ المدني ، أبو محمد ، صحابيٌّ من الشجعان ، ومن الأجراد ، يُسمى طلحة الجود ، وطلحة الفياض ، وهو أحد العشرة المُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وأحد الستة أصحاب الشورى . وكان من ذُهاة قريش ومن علمائهم ، وشهد أُحُدًا مع رسول الله ، ﷺ ، وثبت معه ، وبابه على الموت ، فأصيب بأربعة وعشرين جرحًا وسَلِمَ . وشهد الخندق وسائر المشاهد ، وقُتِلَ يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ودفن بالبصرة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٨٥ - ٨٩ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٨٧ - ٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣ - ٤٠ ، والمعارف ص ٢٢٨ - ٢٣٤ ، والخير ص ٣٥٥] .

(٣) قوله : « لها ثمانية أبواب » عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) أبو الدرداء هو : عُوَيْمِرُ بن مالك . وقد مر التعريف به .

(٥) في « ط » : « عليه السلام » .

(٦) في « م » : « يا عَمْرُو » تحريف ، والصواب عُوَيْمِرُ . وقنمرٌ .

(٧) ما بين المعقوفين ورد في حديث عويمر مع رسول الله ، ولم يرد في « م » و « ط » .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ط الدار المصرية] .

مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَأَدُّ قَرَائِضِ اللَّهِ تُكُنْ عَاقِلًا ، ثُمَّ تَنْفُلْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ تَزِدُّ فِي الدُّنْيَا عَقْلًا ، وَتَزِدُّ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا ، وَعَلَيْهِ عِزًّا .

وَيُرَوَّى لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالْعَقْلُ أَوَّلُهَا وَالذِّينُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا ^(٢)
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللِّينُ عَاشِيَهَا ^(٣)
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصْدُقُهَا وَلَسْتُ أُرْشِدُ إِلَّا حِينَ أُغْصِبُهَا ^(٤)
وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ فِي عَيْنِي مُحَدِّثُهَا إِنْ كَانَ مِنْ جِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا ^(٥)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعَاقِلُ مَنْ عَقَلَهُ فِي إِرْشَادٍ ، وَمَنْ رَأَيْهُ فِي إِمْدَادٍ ، فَقَوْلُهُ سَدِيدٌ ، وَفَعْلُهُ حَمِيدٌ ، وَالْجَاهِلُ مَنْ جَهَلَهُ فِي إِغْوَاءٍ ^(٦) فَقَوْلُهُ سَقِيمٌ ، وَفَعْلُهُ ذَمِيمٌ ، فَأَمَّا مَنْ صَرَفَ فَضْلَ عَقْلِهِ إِلَى الْبُهَاءِ وَالْمَكْرِ وَالشَّرِّ ^(٧) وَالْحَيْلِ وَالْخَدِيعَةِ ، كَالْحَجَّاجِ

(١) في « ط » : « وَيُرَوَّى لِعَلِيِّ .. شعر » . وقد وردت في الديوان على أنها منسوبة إليه .

[انظر ديوانه الذي جمعه عبدالعزيز الكرم ص ١٣٢ ، وانظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ، ٣٥] وقد وردت الأبيات في « م » متصلة كأنها نثر .

(٢) هكذا البيت في « ط » وفي أدب الدنيا والدين .. وساديا : سادسا . وفي « م » : « والعرف سادسا » . وفي الديوان : « والفضل سادسا » .

(٣) هكذا البيت في « ط » وفي أدب الدنيا والدين .. وعاشيا : عاشرها . وفي « م » : « واللين عاشرها .. » وفي الديوان : « واللين باقيا » .

(٤) هكذا البيت في « ط » ، وفي أدب الدنيا والدين ، وفي « م » .. وفي الديوان : « والنفس تعلم أنني لا أصادقها » .

(٥) هكذا البيت في « ط » وفي « م » .. وفي أدب الدنيا والدين : « مَنْ كَانَ مِنْ جِزْبِهَا » وبعد هذا البيت :

عيناك قد دقتا عيني منك على أشياء لولاهما ما كنت لبيديا

ولم يرد هذا البيت الأخير في « م » و « ط » .. والبيتان الأخيران لم يردا في الديوان .

[انظر الديوان ص ١٣٢ ، وانظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ، وحاشية رقم ٥٧ للمحقق ط الدار المصرية]

(٦) في « م » : « إغواء » .

(٧) في « ط » : « والشكر » . خطأ .

وَزَيْدًا وَأَشْيَاهِمَا فَمَذْمُومٌ . وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَسْتُ بِالْخَبِثِ ،
وَالْخَبِثُ لَا يُحْدَعُنِي . وَقَالَ الْمُفِيرَةُ : كَانَ ^(١) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُحْدَعَ ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُجْدَعَ .

وَالْمُوصُوفُ بِالذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ مَذْمُومٌ ، وَصَاحِبُهُ مَحْنُورٌ ، تَخَافُ غَوَاثِلُهُ ، وَتَحْذَرُ
غَوَاقِبَ حَيَاتِلِهِ . وَقَدْ أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٢) أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَنْ
يَعَزَلَ زَيْدًا عَنْ وَلَاتِهِ ، فَقَالَ زَيْدٌ : أَعَنْ مَوْجِدَةً ^(٣) أَوْ حَيَاتَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :
لَا عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُحْمِلَ النَّاسَ عَلَى فَضْلِ عَقْلِكَ .. وَكَتَبَ زَيْدًا
إِلَى مُعَاوِيَةَ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ الْعِرَاقَ فِي شِمَالِي ، وَيَمِينِي فَارِغَةٌ ، فَوَلَّيْتُ الْجَحَازَ
أَكْفِكَ أَهْلَهُ . فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِهِ . فَطُعِنَ فِي إصْبَعِهِ ^(٥) بَعْدَ أَيَّامٍ ،
فَمَاتَ .. فَتَحَنَّنَ وَإِنْ كُنَّا نَرْغَبُ عَنِ الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، فَإِنَّا نَرْغَبُ فِي الْحِيلَةِ وَنُوصِي
بِهَا ^(٦) . وَالْإِثْسَاعُ فِي الْحِيلَةِ مِمَّا تَوَاصَى بِهِ الْعُقَلَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ
أُمُورِ الدُّنْيَا لَطَالِبِ الرُّفْعَةِ ، وَبَغَايِ الْوَسِيلَةِ ، وَمُرْتَادٍ أَيْ أَمْرٍ كَانَ ، دَقٌّ أَوْ جَلٌّ ،
غَيْرًا ^(٧) مِنَ الْحِيلَةِ . وَأَضْعَفُ الْحِيلَةِ أَنْفَعُ مِنْ كَثْرَةِ الشَّدَّةِ .

وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ ^(٨) : مَلَكَ الْعَقْلُ الْحِيلَةَ وَالتَّائِي لِلْسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَالْقَوَى مِنَ
الْأُمُورِ .. وَرَوَى أَنْ رَجُلًا وَقَفَ لِكِسْرَى فَقَالَ : أَنَا أَصْنَعُ مَا تُعْجِزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ .
قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : يُشَدُّ ^(٩) بِرِجْلِي حَبْلٌ ، طَرَفُهُ بِرَقِيقَةِ الْفِيلِ ، وَبِرِجْلِي

(١) فِي د م : : كَانَ - وَاللَّهُ ، قَسَمَ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُتَوَفِّينَ عَنْ ط .

(٣) الْمَوْجِدَةُ : الْغَضَبُ .

(٤) هَكَذَا فِي ط .. وَفِي د م : : كَتَبَ زَيْدًا إِلَى عُمَرَ ، وَهُوَ مِنَ النَّاسِخِ . وَالصَّوَابُ : : مُعَاوِيَةُ .

(٥) طُعِنَ فِي إصْبَعِهِ : أَصَابَهُ الطَّاعُونُ .

(٦) فِي ط : : وَتُرِضَى بِهَا . وَنَرْغَبُ عَنِ الذَّهَاءِ : نَكْرَهُهُ . وَنَرْغَبُ فِي الْحِيلَةِ : نَرْبِّدُهَا .

(٧) فِي د م ، وَط : : : غَيْرٌ . وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ - غَيْرَ لَيْسَ .

(٨) فِي ط : : : وَقَالَ بَعْضُ الْحَكَمَاءِ .

(٩) فِي د م : : : تُشَدُّ .

الأخرى ^(١) كذلك ، ويُشَدُّ طَرَفُهُ ^(٢) بِرَقَبَةِ الْفِيلِ ، ثُمَّ يُسَاقُ الْفِيلُ ^(٣) بِالضَرْبِ وَالزُّجْرِ فَلَا أُتْرَحُزُحُ ، ثُمَّ طَلَبَ ^(٤) أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِأَرْبَعٍ مِنَ الْفَيْلَةِ ، فَمَرَّتْ بِحَدِيثِهَا ، فَقَسَّوْهُ شَطْرَيْنِ ، فَقَالَ كِسْرَى : مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَ مَا فِيهِ عَقْلُهُ هَلَكَ بِأَكْبَرِ مَا فِيهِ ، فَتَنَظَّمَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ ^(٥) :

مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرُهُ عَقْلُهُ أَهْلَكَهُ أَكْبَرُ مَا فِيهِ ^(٦)

وَسَمِعْتُ أَسْتَاذَنَا أَبَا الْوَلِيدِ ^(٧) يَخْكِي أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ مَا تَعْجَزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : هَاتِ ، فَأَخْرَجَ اثْبُوتَهُ قَصَبٍ فِيهَا إِبْرَةٌ عِدَّةٌ ، ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ ، وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَجَعَلَ يَرْمِي إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ ، فَتَقَعَ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ ^(٨) الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ ، حَتَّى قَرَعَ دَسْتَهُ ^(٩) ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ بِأَمَّةٍ سَوِيَّةٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأَمَّةٍ دِينَارٍ ، فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالْهَوَانِ ، فَقَالَ : وَصَلْتُهُ لِحَبْوَةِ ذَكَائِهِ ، وَأَدَّبْتُهُ كَنَى لَا يَصْرِفُ قَرُطَ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ ^(١٠) .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْعَقْلَ الْمُكْتَسَبَ إِذَا تَنَاهَى لَا يَكُونُ فَضِيلَةً ، قَالَ : لِأَنَّ الْفَضَائِلَ هِيَ بَاتُ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ فَضِيلَتَيْنِ ^(١١) نَاقِصَتَيْنِ ، فَمَا جَاوَزَ التَّوَسُّطَ خَرَجَ عَنْ حَدِّ الْفَضِيلَةِ ،

(١) في م : : : : : الآخر .

(٢) في م : : : : : ونُشِدُّ طَرَفُهُ : أى : الحبل .

(٣) في م : : : : : ثُمَّ يُسَاقُ الْفَيْلَةُ .

(٤) في م : : : : : ثُمَّ تَعَاطَى : أى : أَقْدَمَ عَلَيْهِ وَقَعَلَهُ .

(٥) البيت أنشده ابن لُكَّاك لأبيه ، وهو : أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْبَصْرِيِّ ، وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ الْبَصْرَةِ ، وَأَكْبَرُ شُعْرِهِ فِي شُكْوَى الزَّمَانِ ، وَكَانَ مُعَاصِرًا لِلْمُتَنَبِّئِ .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٣ ، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص ٦ - ١١ ، والأعلام ج ٧ ص ٢٠ ، والصُّبْحُ الْمُنْبِئُ عَنْ حَيْثِيَةِ الْمُتَنَبِّئِ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ط دار المعارف] .

(٦) في أدب الدنيا والدين : : : : : أَهْلَكَهُ أَكْبَرُ مَا فِيهِ .

(٧) هو : أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاهِجِي ، سُلَيْمَانُ بْنُ خُلْفِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْدَلُسِيِّ . انظر المقدمة .

(٨) في م : : : : : مِنْ عَيْنِ .

(٩) دَسْتُهُ : لَيْبُهُ .

(١٠) في م : : : : : لَا يَصْرِفُ بِقَرُطِ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ ، أى : فيما لا خير فيه .

(١١) هكذا في ط : وفي أدب الدنيا والدين .. وفي م : : : : : من فضيلتين .

كَانَكَرَمُ الَّذِي هُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْبُحْلِ وَالتَّبَذِيرِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَسَطٍ بَيْنَ التَّهَوُّرِ وَالْجُبْنِ .
وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ لِلْأَسْكَانَدَرِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، عَلَيْكَ بِالاعتِدَالِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الزَّهَادَةَ
عَيْبٌ ، وَالتَّقْصَانُ عَجْزٌ .. وَفِي الْحَدِيثِ .. أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) قَالَ :
« خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خَيْرُ الْأُمُورِ
الْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْعَالِي ، وَمِنْهُ يُلْحَقُ التَّالِي . قَالُوا : لِأَنَّ زِهَادَةَ الْعَقْلِ ^(٢) تُفْضِي
بِصَاحِبِهَا إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ .

قُلْنَا : هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ بِمَا قَدَّمْنَاهُ لِنُصَرِّحَ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ ، وَهُوَ مَنْقُوضٌ بِالْعَقْلِ الْغَرِيزِيِّ ،
وَبِالْعُلُومِ ، وَبِسَائِرِ الْفَضَائِلِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ
[فَتَقُولُ] ^(٣) : الذَّهَاءُ وَالْمَكْرُ كَسْبٌ مَعَانٍ أُخَرَ غَيْرَ الْعَقْلِ ، لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ الْعَقْلِ ،
فَإِنْ شَاءَ تَذَاهَى وَمَكَّرَ ، وَإِنْ شَاءَ كَفَّ عَمَّا يَقُولُ فِي كُلِّ شَرٍّ يَكْتَسِبُهُ الْعَاقِلُ بِاخْتِيَارِهِ ،
وَلَيْسَ ^(٤) عَقْلُهُ أَوْقَعُهُ فِيهِ ، بَلْ إِنَّمَا أَوْقَعُهُ فِيهِ قِلَّةُ عَقْلِهِ ^(٥) . وَكَانَ بَزْجِيْمُهُرُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ
كِتَابِ أُمْتَالِهِ ، وَتَسَقَّى كُلَّ بَابٍ عَلَى حَيَالِهِ ^(٦) يَقُولُ : لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ حَفِظَ هَذِهِ
الْأُمْتَالَ ^(٧) فَصَارَ عَالِمًا ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ حَفِظَهَا وَلَمْ يَصِرْ عَالِمًا . وَأَنَا أَقُولُ : لَيْسَ
الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا وَصَارَ مُهَذَّبًا كَامِلًا ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يَصِرْ
مُهَذَّبًا كَامِلًا .

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) في « م » : « الزيادة في العقل » .

(٣) ما بين المعقوفين من عندنا .. وفي « ط » : « قلنا » بدون الفاء . وسقطت هذه الجملة سهواً من الناسخ إلى قوله : « كسب معاني » .

(٤) في « م » : « ليس » بدون واو العطف .

(٥) في « م » : « أوقعه قلة عقله » .

(٦) على حَيَالِهِ ، أى : بالخيال .

(٧) في « م » : « الأعمال » .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْوُزَرَاءِ وَصِفَاتِهِمْ ، وَالْجُلَسَاءِ وَآدَابِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴾ ^(١) فَلَمَّا كَانَ السُّلْطَانُ يَسْتَعِينِي عَنِ الْوُزَرَاءِ لَكَانَ أَحَقُّ النَّاسِ بِذَلِكَ كَلِيمُ اللَّهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ . ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةَ الْوُزَرَاءِ فَقَالَ : ﴿ اهُلِّدْ بِهِ أَوْزَرِي * وَأَهْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ ^(٢) . دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ الْوِزَارَةِ أَنْ يَشُدَّ ^(٣) قَوَاعِدَ الْمَمْلَكَةِ ، وَأَنْ يُفَضِّلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بِعُجْرِهِ ^(٤) وَيُجَرِّه إِذَا اسْتَكْمَلَتْ ^(٥) فِيهِ الْخِلَالُ الْمَحْمُودَةُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ كَفَى لِسَبْحِكَ كَثِيرًا * وَلَذِكْرُكَ كَثِيرًا ﴾ ^(٦) . دَلَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى أَنَّ بَصُوحَةَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ ^(٧) وَأَهْلَ الْخَبِيرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ تَنْتَظِمُ ^(٨) أُمُورَ الدُّنْيَا وَأُمُورَ الْآخِرَةِ ، وَكَمَا أَنَّ أَشْجَعَ النَّاسِ يَخْتَاجُ إِلَى

(١) الآية ٢٩ من سورة طه .

(٢) الآيتان : ٣١ ، ٣٢ من سورة طه .

(٣) فِي « ط » : « تَشَدَّد » .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « بِعُجْرِهِ » .. وَيُفَضِّلُ إِلَيْهِ بِعُجْرِهِ وَيُجَرِّه ، أَيْ : بِمُحَبَّةٍ وَأَمْرِهِ كُلِّهِ . وَقَدْ مَرَّتْ .

(٥) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « اسْتَكْمَل » . وَالْخِلَالُ الْمَحْمُودَةُ : الْخِصَالُ الْحَسَنَةُ ، جَمْعُ خَلَةٍ .

(٦) الآيتان : ٣٣ ، ٣٤ من سورة طه .

(٧) فِي « م » : « وَالسَّالِطِينَ » .

(٨) فِي « م » : « تَنْتَظِر » . تَعْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

السَّلَاج ، وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ إِلَى السَّوْطِ ^(١) وَأَحَدَ الشَّفَارِ إِلَى الْمِسْنِ ، كَذَلِكَ يَحْتَاجُ أَجَلَ الْمُلُوكِ وَأَعْظَمُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ إِلَى الْوَزِيرِ .

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا وَلَا اسْتَخْلَفَ خَلِيفَةً إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ : بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ^(٢) وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى » ^(٣) . وَإِنَّمَا اسْتَقْبَلَتِ الْوِزَارَةُ مِنَ الْوَزِيرِ ، وَهُوَ الثَّقَلُ ^(٤) يُرِيدُ : أَنَّهُ يَخِيلُ مِنْ أَمْرِ الْمَمْلَكَةِ وَأَعْبَائِهَا وَاتِّقَالِهَا مِثْلَ الْأَوْزَارِ .

أَسْعَدَ الْمُلُوكَ مَنْ لَهُ وَزِيرٌ صَدِيقٌ ^(٥) إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ . وَقَالَ وَهْبُ ابْنِ مُنَبِّهٍ : قَالَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِفِرْعَوْنَ : آمِنْ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَلَكَ مُلْكُكَ ، قَالَ : حَتَّى أَشَارَ هَامَانَ ، فَشَاوَرَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : بَيْنَمَا أَنتَ إِلَهٌ تُعْبَدُ إِذْ صِرْتَ تُعْبَدُ ، فَأَنْفَ وَاسْتَكْبَرَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ كَانَ وَزِيرُ الْحَجَّاجِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ^(٦) لَا يَأْلُوهُ خِيَالًا ، وَلَيْفَسَ الْفَرَنَاءُ شَرَّ قَرِينٍ لِشَرِّ خَدِيدٍ ^(٧) .

وَأَشْرَفَ مَنَازِلِ الْأَدَمِيِّينَ النَّبِيُّ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ الْوِزَارَةُ . الْوَزِيرُ عَوْنٌ عَلَى الْأُمُورِ ، وَشَرِيكٌ فِي التَّذْيِيرِ ، وَظَهِيرٌ عَلَى السِّيَاسَةِ ، وَمَفْرَعٌ عِنْدَ

(١) في د م : « وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ يَحْتَاجُ السَّوْطَ » . وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ : أَحْسَنَهَا وَأَمَرَهَا — أَفْعَلَ تَفْضِيلًا .

(٢) في د م : « وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ » فِي الْمَوْضِعِينَ . تَحْرِيفٌ .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَحْكَامِ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ ، وَالتَّسَائُلِ فِي الْبَيْعَةِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الزَّهْدِ .

(٤) بِمَعْنَى : أَنَّ الْوَزَرَ هُوَ الْجَنْدُ الثَّقِيلُ ، وَالْوَزِيرُ : خَاصَّةُ الْمَلِكِ الَّذِي يَحْمِلُ ثِقْلَهُ وَيُعِينُهُ بِرَأْيِهِ .

(٥) في د م : « مَلِكٌ لَهُ وَزِيرٌ صَدِيقٌ » .

(٦) هُوَ : يَزِيدُ بْنُ دِهْرَانَ التَّقْفِيُّ ، أَبُو الْعَلَاءِ ، وَأَبُو مُسْلِمٍ كُنْيَةُ أَبِيهِ ، وَإِلَى مِنَ الثَّلَاثَةِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ، وَكَانَ مِنْ مَوَالِي ثَقِيفٍ ، وَجَعَلَهُ الْحَجَّاجُ كَاتِبًا لَهُ ، فَظَهَرَتْ مَزَاهِيهِ ، وَلَمَّا احْتَضَرَ الْحَجَّاجُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْخَرَاجِ بِالْمَرَاقِ ، وَأَفَرَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ مَوْتِ الْحَجَّاجِ سَنَةَ ٩٥ هـ ، وَلَمَّا مَاتَ الْوَلِيدُ وَتَوَلَّى أَخُوهُ سُلَيْمَانُ سَنَةَ ٩٦ هـ عَزَلَهُ ، وَاسْتَبْقَاهُ فِي الشَّامِ عِنْدَهُ ، ثُمَّ وَلَّى إِيمَارَةَ إِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ ١٠١ هـ فَاتَّصَرَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوهُ سَنَةَ ١٠٢ هـ ، وَاتَّهَمُوا بِقَتْلِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ ، فَقَتَلَهُ بِشَرِّ بَنِ صَفْوَانَ الْكَلْبِيِّ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٨٢ ، وَوَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٦ ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، وَالْمَجْلِسُ ص ٤٩٢ ، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ وَابْنُ الْأَثِيرِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَمْثَلِ كُتُبِ التَّارِيخِ] .

(٧) لَا يَأْلُوهُ خِيَالًا : لَا يَقْصُرُ فِي إِسْنَادِهِ . وَالْخَدِيدُ : الصَّدِيقُ .

التَّائِلَةُ^(١) . الْوَزِيرُ مَعَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ .. وَفِي الْأَمْثَالِ : نِعَمَ الظَّهِيرُ الْوَزِيرُ .. وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَسْتَفِيدُ الْمَلِكُ مِنَ الْوُزَرَاءِ أُمْرَانِ : عِلْمٌ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ ، وَتَقْوَى عِنْدَهُ عِلْمٌ مَا كَانَ يَعْلَمُهُ ، فَيَزُولُ شَكُّهُ .

وَأَوَّلُ مَا يَظْهَرُ نَبْلُ السُّلْطَانِ وَقُوَّةُ تَمَيُّزِهِ ، وَجَوْدَةُ عَقْلِهِ فِي اسْتِنْحَابِ الْوُزَرَاءِ ، وَاسْتِنْفَادِ الْجُلَسَاءِ^(٢) وَمُحَادَثَةِ الْعُقَلَاءِ ، فَهَذِهِ ثَلَاثُ خِلَالٍ تُدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ ، وَبِهَا يَجْمَلُ فِي الْخُلُقِ ذِكْرُهُ ، وَيَجُلُّ فِي الْعُقُولِ^(٣) قَدْرُهُ ، وَتَرَسُّعُ^(٤) فِي النُّفُوسِ عَظَمَتُهُ ، وَالْمَرَّةُ مَوْسُومٌ بِقَرِينِهِ .

وَكَانَ يُقَالُ : جِلْبَةُ الْمُلُوكِ وَنَيْتُهُمْ وَرَزَاؤُهُمْ . وَفِي كِتَابِ « كَلِيلَةِ دِمْنَةِ »^(٥) لَا يَصْلُحُ السُّلْطَانُ إِلَّا بِالْوُزَرَاءِ ، وَلَا الْأَعْوَانُ^(٦) إِلَّا بِالْمَوَدَّةِ وَالنَّفِيسَةِ ، وَلَا الْمَوَدَّةُ^(٧) وَالنَّفِيسَةُ إِلَّا بِالسَّرِّ^(٨) وَالْعَفَافِ .. وَأَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ ضَرَرًا عَلَى النَّاسِ عَامَّةً وَعَلَى الْوَلَاةِ خَاصَّةً أَنْ يُخْرَجُوا صَالِحُ الْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ ، فَتَكُونُ أَعْوَانُهُمْ غَيْرَ ذِي جَذْوَى وَغِنَى^(٩) . وَتَحْذَرُ الْمَلِكُ أَنْ يُؤَلَّى الْوِزَارَةَ غَيْرَ الْمُتَحَرِّينَ ، كَنَى لَا تُضَيِّعُ الْأُمُورَ ، كَمَا يَحْذَرُ أَنْ يَتَطَلَّبَ بِغَيْرِ طَبِيبٍ بَصِيرٍ مَأْمُونٍ .

(١) الظهير : المأمون .. المنفرد : مَنْ يُلْجَأُ إِلَيْهِ عِنْدَ نَزُولِ الْخَطْبِ .

(٢) اسْتِنْفَادِ الْوُزَرَاءِ : انْقِاضَهُمْ وَاجْتِهَادَهُمْ . وَاسْتِنْفَادِ الْجُلَسَاءِ : اجْتِهَادَهُمْ فِيهِمْ .

(٣) فِي الْم : فِي الْعُقُولِ .

(٤) فِي الْم : تَرَسَّعَ .

(٥) هُوَ كِتَابٌ وَضَعَهُ الْفَلَسُوفُ الْهِنْدِيُّ « بَلْبَلَا » ، وَقِيلَ : وَضَعَهُ غَيْرُهُ ، وَقَدْ عَرَّبَهُ - عَنْ الْبَهْلَوِيَّةِ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ . وَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكِتَابُ مِنَ الدَّبَرِ وَبُعْدِ الشُّقَرَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ كِتَابُ مِثْلِهِ ، وَذَلِكَ لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْرَاسِ الْأَدَبِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ، وَلِمَا اسْتَعْبَلَهُ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ بِأَسْلُوبٍ سَهْلٍ مَحَبَّبٍ بِأَعْيَادٍ بَلْبَلٍ قَارِئِهِ . وَقَدْ اِهْتَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَحَضَّرَةِ بِهِ ، فَتَقَبَّلَتْ إِلَى اللُّغَاتِ : الْفَارْسِيَّةِ ، وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَالتُّرْكِيَّةِ ، وَالْيُونَانِيَّةِ ، وَاللَّاتِينِيَّةِ ، وَالْعَبْرِيَّةِ ، وَالسَّرِّيَانِيَّةِ ، وَالْإِيطَالِيَّةِ ، وَالْأَسْيَانِيَّةِ ، وَالْفَرَنْسِيَّةِ ، وَالْأَلْمَانِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ .

(٦) فِي ط : : وَالْأَعْوَانُ .

(٧) فِي ط : : وَالْمَوَدَّةُ .

(٨) فِي م : : إِلَّا بِالرَّأْيِ .

(٩) فِي م : : وَجَذْوَةُ . . . وَفِي ط : : غِنَاهُ .

قَالَ شُرَيْحُ بْنُ عَمِيْدٍ ^(١) : لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَلِكٌ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ حَكِيمٌ إِذَا رَأَاهُ غَضِبَانٌ ^(٢) كَتَبَ لَهُ ثَلَاثَ صَحَائِفَ ^(٣) فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ : اِرْحَمِ الْمُسْكِينِ ، وَانْحَشِ الْمَوْتِ ، وَادْكُرِ الْآخِرَةَ ، فَكُلَّمَا غَضِبَ الْمَلِكُ نَازَلَهُ صَحِيفَةٌ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُهُ .. وَقَالَ أُرْدَشِيرُ : يَحِقُّ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ أَلْفَ ^(٤) مَا يَكُونُ نَظَرًا أَعْظَمُ مَا يَكُونُ خَطَرًا ، وَلَا يَذْهَبُ حُسْنُ أَثَرِهِ فِي الرَّعِيَةِ بِخَوْفِهِ ^(٥) لَهَا ، وَلَا يَسْتَعْنِي بِتَدْوِيرِ الْيَوْمِ عَنْ تَدْوِيرِ غَدٍ ، وَأَنْ يَكُونَ حَذَرُهُ لِلْمَلَاقِينَ أَكْثَرَ مِنْ حَذَرِهِ لِلْمُتَبَاعِدِينَ ، وَأَنْ يَتَّقِيَ بِطَانَةَ السُّوءِ أَشَدَّ مِنْ اتِّقَائِهِ الْعَامَّةِ ، وَلَا يَطْمَعَنَّ فِي إِصْلَاحِ الْعَامَّةِ إِلَّا بِالْخَاصَّةِ . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ : لِكُلِّ مَلِكٍ بِطَانَةٌ حَتَّى يَجْمَعَ بِذَلِكَ ^(٦) جَمِيعَ الْمَمْلَكَةِ ، فَإِذَا أَقَامَ الْمَلِكُ بِطَانَةً عَلَى حَالِ الصُّوَابِ ، أَقَامَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بِطَانَتَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَى الصُّلَاحِ عَامَةُ الرَّعِيَةِ .

وَمِثَالُ الْمَلِكِ الْخَيْرِ وَالْوَزِيرِ السُّوءِ ^(٧) الَّذِي يَمْنَعُ النَّاسَ خَيْرَهُ ، وَلَا يُكْتَنُهُمْ مِنَ الدُّنُوِّ مِنْهُ ، كَالْمَاءِ الصَّافِي فِيهِ التُّمَسَاخُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ دُخُولَهُ ، وَإِنْ كَانَ سَابِحًا ، وَكَانَ إِلَى الْمَاءِ مُحْتَاجًا . وَمِثْلُ ^(٨) السُّلْطَانِ مِثْلُ الطَّيِّبِ ، وَمِثْلُ الرَّعِيَةِ كَمِثْلِ الْمَرْضَى ، وَمِثْلُ الْوَزِيرِ كَمِثْلِ السُّفِيرِ بَيْنَ الْمَرْضَى وَالْأَطِبَاءِ ، فَإِنْ كَذَبَ السُّفِيرُ بَطَلَ التَّدْوِيرُ ، وَكَذَا أَنَّ السُّفِيرَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا مِنَ الْمَرْضَى وَصَفَ لِلطَّيِّبِ نَقِيضَ ذَائِهِ ، فَإِذَا سَقَاهُ الطَّيِّبُ

(١) من رجال الحديث ، رَوَى عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، وَيَزِيدُ بْنُ مَسْرَةَ .

[انظر حلية الأولياء ج ٥ ، ص ٦٠ صفحات متفرقة] ولى م : « شرح بن عبدالله » تحريف .

(٢) فى م : « غضباناً » خطأ ، والصواب منعه من الصرف ، صفة مخومة بألف ونون زائدتين .

(٣) فى م : « كتب له صحائف » .

(٤) فى م : « يحق على الملك اللطف » أى : أن يكون اللطف .

(٥) فى ط : « خوفه » .

(٦) فى م : « ذلك » .

(٧) فى م : « الوزير الشرير » .

(٨) فى م : « ومثال » .

عَلَى صِفَةِ السُّفِيرِ هَلَكَ الْعَلِيلُ ، كَذَلِكَ الْوَزِيرُ ، يَنْتَقِلُ إِلَى الْمَلِكِ مَا لَيْسَ فِي الرَّجُلِ
يَقْتُلُهُ الْمَلِكُ ، فَمِنْ هَاهُنَا شَرْطُنَا ^(١) أَنْ يَكُونَ الْوَزِيرُ صَدُوقًا فِي لِسَانِهِ ، عَدْلًا فِي دِينِهِ ،
مَأْمُونًا فِي أَخْلَاقِهِ ^(٢) ، بَصِيرًا بِأُمُورِ الرِّعْيَةِ ، وَتَكُونُ بَطَانَةُ الْوَزِيرِ مِنْ أَهْلِ الْأَمَانَةِ
[وَالذِّمَّانَةِ] ^(٣) وَالْبَصِيرَةِ ، وَيَحْذَرُ الْمَلِكُ أَنْ يُؤَلَّى الْوِزَارَةَ لَيْيَمًا ، فَاللَّيْمُ إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا
أَقَابُهُ ، وَالْكَرَّ مَعَارِفُهُ ، وَاسْتَحْضَفَ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَكَبَّرَ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ .

وَلَمَّا أَرَادَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَسْتَكْتَبَ كَاتِبَ الْحِجَاجِ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ ،
قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَسَأَلْتُ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تُحْيِيَ ^(٤) ذِكْرَ الْحِجَاجِ
بِاسْتِكْتَابِكَ إِيَّاهُ . فَقَالَ ^(٥) : يَا أَبَا حَفْصٍ ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ عِنْدَهُ حَيَاةَ دِينَارٍ وَلَا ذَرْهَمٍ .
قَالَ عُمَرُ : أَنَا أُرْجِدُكَ مَنْ هُوَ أَعْفُ مِنْهُ فِي الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
إِبْلِيسُ ، مَأْمَسَ دِينَارًا وَلَا ذَرْهَمًا ، وَقَدْ أَهْلَكَ هَذَا الْخَلْقَ .. وَدَخَلَ رَجُلٌ لَهُ عَقْلٌ وَأَدَبٌ
عَلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلًا ذَمِيًّا ^(٦) كَانَ الْخَلِيفَةُ يَمِيلُ إِلَيْهِ وَيَقْرُبُهُ ، فَقَالَ :
يَا مَلِكُ طَاعَتُهُ فِي النَّوَرِ وَحُبُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبٌ ^(٧)
إِنَّ الَّذِي شَرُفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ

(١) فِي م : : : شَرْطُ .

(٢) هَكَذَا فِي م : : : وَفِي ط : : : مَأْمُونًا فِي الْخِلَافَةِ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ م : : : .

(٤) هَكَذَا فِي ط : : : وَفِي م : : : أَنْ تُحْيِيَ . وَسَقَطَتْ «لَا» سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ ، وَالسِّيَاقُ يَسْتَدْعِي
وُجُودَهَا .

(٥) فِي م : : : قَالَ .

(٦) قِيلَ : هَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الطَّرطُوشِيُّ نَفْسُهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهُ صَرَاحًا تَوَاضَعًا مِنْهُ ، وَقَدْ أَنْشَدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
الْآتَيْنِ عِنْدَمَا دَخَلَ عَلَى الْأَفْضَلِ «شَاهِنْشَاه» ابْنِ أَمِيرِ الْجَبِيوشِ ، لِيَوْعِظَهُ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ الْأَفْضَلِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ ،
فَوَعِظَ الْأَفْضَلُ حَتَّى بَكَى ، ثُمَّ أَنْشَدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَأَشَارَ إِلَى النَّصْرَانِيِّ ، فَأَقَامَهُ الْأَفْضَلُ مِنْ مَكَانِهِ ، وَحَدَّثَ مَا هُوَ
مَذْكُورٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

[انْظُرْ نَفْحَ الطَّيِّبِ ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وَوَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ٢٦٣ ، وَالْمُسْتَطَرَفُ ج ١ ص ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، وَفِيهِ نَسَبُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى بَعْضِ الْوُزَرَاءِ ، وَانْظُرِ الْمَقْدَمَةَ] .

(٧) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي ط : : : أَمَّا الشُّطْرَةُ الْأُولَى فَوُرِدَتْ فِي م : : : هَكَذَا : «يَا مَلِكُ طَاعَتُهُ لَا زَيْتَةَ» .. وَفِي وَفِيَاتِ
الْأَعْيَانِ وَنَفْحِ الطَّيِّبِ : «يَا ذَا الَّذِي طَاعَتُهُ قُرْبَةٌ» ..

وَأَشَارَ إِلَى الذَّمِّ : فَاسْأَلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ذَلِكَ .. فَسَأَلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يَقُولَ : هُوَ صَادِقٌ ، فَأَعْتَرَفَ بِالْإِسْلَامِ .

لَا يَعْرِفُ وَنَزِيرُ الْمَلِكِ مَالَهُ وَمَا عَلَيْهِ حَتَّى يُرَاعِيَ مِنْ صَاحِبِهِ الْوَائِقِ بِهِ مَا يُرَاعِيهِ ^(١) الْعَاشِقُ الْغَيُورُ مِنَ الْمَعشُوقَةِ الْمُتَهَمَةِ ^(٢) . وَكَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ ^(٣) قَدْ كَتَبَ ثَلَاثَ رِقَاعٍ وَقَالَ لَوَئِيْهِ : إِذَا رَأَيْتَنِي غَضَبَانِ ^(٤) فَادْفَعْ إِلَيَّ رُفْعَةً بَعْدَ رُفْعَةٍ ^(٥) فَكَانَ فِي الْوَاحِدَةِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ ، وَإِنَّكَ سَتَمُوتُ ^(٦) وَتَعُودُ إِلَى التُّرَابِ فَيَا كُلُّ بَعْضُكَ بَعْضًا . وَفِي الثَّانِيَةِ : ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ . وَفِي الثَّالِثَةِ : اقْضِ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ .

إِذَا كَانَ الْوَزِيرُ يُسَاوِي الْمَلِكَ فِي الرَّأْيِ وَالْهَيْبَةِ ^(٧) وَالطَّاعَةِ فَلْيَصْرَعْهُ الْمَلِكُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْعُلْ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ الْمَصْرُوعُ . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِذَا سَكَتَبَ الدُّهْمَاءُ خَافَ ^(٨) الْوُزَرَاءُ .. وَلَمَّا كَانَتْ أُمُورُ الْمَمْلَكَةِ عَالِدَةً إِلَى الْوُزَرَاءِ ، وَأَزِيمَةُ الْمُلُوكِ فِي أَكْفِ الْوُزَرَاءِ ^(٩) سَبَقَ فِيهِمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ الْمَكَلِّ السَّائِرِ فَقَالُوا : لَا تَغْتَرَّ بِمَوَدَّةِ الْأَمِيرِ إِذَا غَشَّكَ الْوَزِيرُ ، وَإِذَا أَحَبَّكَ الْوَزِيرُ فَلَا تَحْشَ الْأَمِيرَ . وَيُقَالُ : الْخَرْقُ مِمَّا رَأَى الْأَمِيرَ ^(١٠) وَمُعَادَاةُ الْوُزَرَاءِ ، وَرُبَّ أَمِيرٍ كَرِهَهُ الْأَمِيرُ فَتَمَّ بِالْوَزِيرِ ، وَكَمِنْ مِنْ أَمِيرٍ أَرَادَهُ الْأَمِيرُ فَنَقَاهُ عَنْهُ الْوَزِيرُ ، وَإِنَّمَا السُّلْطَانُ كَالدَّارِ ، وَالْوَزِيرُ بَابُهَا ، فَصَنْ أَلَى الدَّارِ مِنْ بَابِهَا وَلَجَّ ، وَمَنْ أَثَامَا مِنْ غَيْرِ بَابِهَا أُرْجِعَ ^(١١) .

(١) فِي د م : : مَا يُرَاعَى .

(٢) فِي ط : : الْمُتَهَوِّمَةُ .

(٣) فِي م : : بَعْضُ الْخُلَفَاءِ .

(٤) فِي م : : غَضَبَانِ .. لَا تَصِحُّ .

(٥) قَوْلُهُ : : بَعْدَ رَلْعَةٍ عَنْ د م : وَسَاقَطَ مِنْ ط .

(٦) فِي د م : : سَمُوتٌ .

(٧) فِي د م : : فِي الرَّأْيِ وَالْهَيْبَةِ .

(٨) فِي د م : : خَافَتْ ، وَالِدُّهْمَاءُ : عَائِمَةُ النَّاسِ وَسَوَادُهُمْ .

(٩) الْأَرْوَمَةُ : جَمْعُ رِثَامٍ ، وَهُوَ الْيَقُودُ . وَالْمِرَادُ هُنَا : أَنَّ الْوُزَرَاءَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ فِي تَصْرِيفِ أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ .

(١٠) الْمُشَارَاةُ : الْمُنَاطَرَةُ وَالْمُجَادَلَةُ .

(١١) أُرْجِعَ : طُرِدَ .

وَقَالَ أُنُوشِرَوَانُ : لَا يَتِمُّ لِلْمَلِكِ أَمْرُهُ حَتَّى يَرْفَعَ نَفْسَهُ عَنْ كُلِّ غَيْبٍ ، وَيَكُونَ لَهُ جَلِيسٌ مَأْمُونٌ الْغَيْبِ ، وَخَادِمٌ نَاصِحٌ الْغَيْبِ ^(١) . وَتَمَوْعُ الْوِزَارَةُ مِنَ الْمَمْلَكَةِ كَمَوْعِ الْبِرِّ مِنَ الْبَرِّ ، فَكَمَا ^(٢) أَنَّ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْبِرِّ لَا يَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ وَعُيُوبَهُ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ إِذَا ^(٣) لَمْ يَكُنْ لَهُ وَزِيرٌ لَا يَعْرِفُ ^(٤) مَحَاسِنَ دَوْلَتِهِ وَعُيُوبَهَا .. وَكَاتَبَ ^(٥) الْمَلِكُ مُسْتَقَرُّ أَسْرَارِهِ ، وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ عَنْهُ فِي آفَاقِ ^(٦) مَمْلَكَتِهِ ، وَالْمَخْصُوصُ بِقُرْبِهِ وَلِزُومِهِ دُونَ نَظَرَاتِهِ .. طَهِيرُ الْأَمِيرِ وَزِيرُهُ ، وَزَيْنَةُ حَاجِبُهُ ، وَلِسَانُهُ كَاتِبُهُ ، وَرَسُولُهُ عَيْنُهُ .. الْكِتَابَةُ قَوَامُ الْخِلَافَةِ ^(٧) وَفَرِيئَةُ الرِّيَاسَةِ ، وَغَمُودُ الْمَمْلَكَةِ .

لِلْكَاتِبِ عَلَى الْمَلِكِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : يَرْفَعُ الْحِجَابَ عَنْهُ ، وَيَتَهَمُّ الْوُشَاةَ عَلَيْهِ ، وَيُعْشِي سِرَّهُ إِلَيْهِ ^(٨) . وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبَرِ فِي الثَّنَاءِ ، وَلَا الْخُبُّ فِي كَثْرَةِ الصِّدِّيقِ ، وَلَا السَّيِّئُ الْأَدَبُ فِي الشَّرَفِ ، وَلَا الشَّجِيعُ فِي الْبِرِّ ، وَلَا الْحَرِيسُ فِي قِلَّةِ الدُّلُوبِ ، وَلَا الْمَلِكُ الْمُتَهَيِّزُ الضَّعِيفُ الْوُزَرَاءَ فِي بَقَاءِ الْمُلْكِ ، وَكَمَا أَنَّ الْبِرَّ لَا تَرْبِيكَ وَجْهَكَ إِلَّا بِصَفَاءِ جَوْهَرِهَا ، وَجُودَةِ صَفْلِهَا ، وَتَقَاتِلَهَا مِنَ الصَّدَا ، كَذَلِكَ الْأَمِيرُ لَا يَكْمُلُ أَمْرُهُ إِلَّا بِجُودَةِ عَقْلِ الْوَزِيرِ ، وَصِحَّةِ فَهْمِهِ ، وَصَفَاءِ نَفْسِهِ ، وَتَقَاتِلِ قَلْبِهِ . وَمِنْ شُرُوطِ ^(٩) الْوَزِيرِ : أَنْ يَكُونَ مَكِينًا لِلرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ ، زَعُوفًا بِهِمْ ، يَتَأَسَّرُ بِرَحْمَتِهِ مَا يَجْرَحُهُ السُّلْطَانُ بِغُلْظَتِهِ .

(١) ناصح الجيب ، أي : أمين .

(٢) في (م) : « د » و « ك » .

(٣) في (ط) : « د » ، « إِذَا » . والمناسب للسباق « إِذَا » .

(٤) في (م) : « د » ، « لَا يَرَى » .

(٥) في (م) : « د » ، « كَاتِب » بدون واو العطف .

(٦) في (م) : « د » ، « وَآفَاق » .

(٧) قوام الخلافة : عمادها .

(٨) « إِلَيْهِ » عن (ط) ، وساقط من (م) .

(٩) من شروط الوزير ، أي : من التزامه .. وفي (م) : « د » مشروط .

وَمِنْ شُرُوطِهِ : أَنْ يَكُونَ بَقِيَّ الْجَنِّبِ ، نَاصِحَ الْغَيْبِ ، لَا يَقْبَلُ دَقِيقَةً ^(١) وَلَا يَكْتُمُ نَصِيحَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِوَزِيرِهِ : لَا تُكُونَنَّ ^(٢) إِلَيَّ مَا تُسِرُّنِي بِهِ أُسْرَعُ ^(٣) مُبَادَرَةً مِنْ إِنْذَارِي فِيمَا يَخَافُ ^(٤) عَلَيَّ مِنْهُ .. وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ : أُعْطِ مَنْ أَتَاكَ بِمَا تُكْرَهُ ، كَمَا تُعْطِي مَنْ أَتَاكَ بِمَا تُحِبُّ ، فَإِنْ مِنْ أُنْذَرَ كَمَنْ بَشَّرَ .

وَمِنْ شُرُوطِهِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلًا كَلِيلَ نَهَامَةٍ لَا حَرَّ وَلَا قُرَّ ^(٥) . وَمَوْفِعُ الْوَزِيرِ مِنَ الْمَلِكِ مَوْفِعُ الْمَلِكِ ^(٦) مِنَ الْعَامَةِ . وَكَمَا أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا صَلَحَ صَلَحَتِ الرَّجِيَّةُ ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدُوا ، كَذَلِكَ الْوُزَرَاءُ ، إِذَا فَسَدُوا فَسَدَ الْمَلِكُ ، وَإِذَا صَلَحُوا صَلَحَ الْمَلِكُ .

وَكَانَ يُقَالُ : آفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى ، وَآفَةُ الْأَمِيرِ سَخَافَةُ الْوَزِيرِ . وَقَالَ الْمُفْتَدِرُ بِاللَّهِ لِوَزِيرِهِ عَلِيُّ بْنِ عِيْسَى ^(٧) : ائْتِنِ اللَّهَ يُعْطِفَنِي عَلَيْكَ ، وَلَا تَعْصِهِ فَيَسْلُطَنِي عَلَيْكَ . وَقَالَ

(١) الدقيقة : الأمر الحقيق الصغير .

(٢) في د م : ما يكون .

(٣) في م م : أُسْرَعُ مِنْكَ .

(٤) في م م : إلى إِنْذَارِي فِيمَا تُخَافُ .

(٥) نَهَامَةٌ : أَرْضٌ مَنْخَفِضَةٌ بَيْنَ سَاحِلِ الْبَحْرِ وَبَيْنَ الْجِبَالِ فِي الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ ، وَالْقُرَّ ، بَفَتْحِ الْقَافِ لِلْمُشَاكَلَةِ مَعَ الْخَرَّ : الْبَرْدُ .

(٦) موقع الملك : عن د ط ، وسقطت من د م : سهواً من الناسخ .

(٧) الْمُفْتَدِرُ بِاللَّهِ هُوَ : الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَلْحَةَ ، أَبُو الْفَضْلِ بْنِ الْمُحْتَضِدِ . وُلِدَ فِي بَغْدَادَ سَنَةِ ٢٨٢ هـ ، وَبَوَّعَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ الْمَكْتَفِيِّ سَنَةِ ٢٩٥ هـ ، فَاسْتَصَفَرَهُ النَّاسُ ، فَخَلَعُوهُ سَنَةِ ٢٩٦ هـ وَنَصَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الْمُعْتَزِ ، ثُمَّ قَتَلُوا ابْنَ الْمُعْتَزِ ، وَأَعْيَدَ الْمُقْتَدِرُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ ، فَطَالَتْ أَيَّامُهُ وَكَثُرَتْ فِيهَا الْفِتَنُ وَالْاضْطِرَابَاتُ إِلَى أَنْ قُتِلَ سَنَةِ ٣٢٠ هـ .

أَمَّا عَلِيُّ بْنُ عِيْسَى فَهُوَ : عَلِيُّ بْنُ عِيْسَى بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجُرَّاحِ ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الرَّؤَسَاءِ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ ، وُلِدَ سَنَةِ ٢٤٤ هـ ، وَهُوَ فَارِسِي الْأَصْلِ ، نَشَأَ كَاتِبًا كَاتِبَهُ ، وَوَلِيَ مَكَّةَ ، وَاسْتَقْدَمَهُ الْمُقْتَدِرُ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةِ ٣٠٠ هـ فَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ ، فَأَصْلَحَ الْأَحْوَالُ ، وَأَحْسَنَ الْإِدَارَةَ ، وَحُدِّثَتْ سِرَّتُهُ ، ثُمَّ عَزَلَهُ الْمُقْتَدِرُ سَنَةِ ٣٠٤ هـ ، وَجَسَدَهُ ، وَنَفَاهُ إِلَى مَكَّةَ سَنَةِ ٣١١ هـ ، وَمِنْهَا إِلَى صَنْعَاءَ ، ثُمَّ إِذِنْ لَهُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى مَكَّةَ سَنَةِ ٣١٢ هـ فَعَادَ ، وَوَلِيَ فِيهَا الْأَطْلَاعَ عَلَى أَعْمَالِ مِصْرَ وَالشَّامِ ، ثُمَّ أَعَادَهُ الْمُقْتَدِرُ إِلَى الْوِزَارَةِ ، فَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةِ ٣١٤ هـ ، وَعَادَ فَنَقِمَ مِنْهُ سَنَةَ ٣١٦ هـ فَعَزَلَهُ ، وَهَكَذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ مَلُؤَهَا الْأَضْطِرَابُ إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةِ ٣٣٤ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢١ ، وج ٤ ص ٣١٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤٠ - ٤٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢١٣ - ٢١٩ ، والكمال لابن الأثير ج ٦ ص ١٩٩ ، وصفيح الجليلية بكثرة وتفرقة] .

الْمَأْمُونُ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَزْدَادَ^(١) : إِيَّاكَ أَنْ تَعْصِيَ اللَّهَ فِيمَا تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيَّ فَيَسْلُطَنِي عَلَيْكَ .
وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْوَزِيرِ أَنْ يَكْتُمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَةً وَإِنْ اسْتَقْلَهَا . وَمَوْفِعُ الْوَزِيرِ مِنَ
الْمَمْلَكَةِ كَمَوْفِعِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَكَالْيَدَيْنِ ، فَإِنَّهُ إِذَا صَحَّ قَبْضُهُمَا وَبَسَطُهُمَا صَحَّ
التَّدْبِيرُ ، وَإِذَا سَقَمَا دَخَلَ النُّقْصُ عَلَى الْجَسَدِ . وَلَا تَصْلُحُ الْوِزَارَةُ أَنْ تَكُونَ فِي غَيْرِ
أَهْلِهَا ، كَمَا لَا يَصْلُحُ الْمُلْكُ أَنْ يَكُونَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ . وَشَرُّ الْوُزَرَاءِ مَنْ كَانَ الْأَشْرَارُ
[أَيْضاً]^(٢) لَهُ وَزَرَاءَ وَبَطَانَةً وَدَخَلًا^(٣) . وَأَوْصَتْ امْرَأَةً ابْنَهَا وَكَانَ مَلِكًا ، فَقَالَتْ :
يَا بُنَيَّ ، يَتَّبِعِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ : وَزِيرٌ يَتَّقِي بِرَأْيِهِ ، وَيُقْضَى إِلَيْهِ بِأَسْرَارِهِ ،
وَحِصْنٌ يَلْجَأُ إِلَيْهِ إِذَا فَرَعَ ، وَسَيْفٌ إِذَا نَازَلَ الْأَقْرَانُ لَمْ يَخُنْهُ^(٤) ، وَذَخِيرَةٌ خَفِيفَةٌ
الْمَخِيلُ ، إِذَا نَابَتْهُ^(٥) نَائِبَةٌ كَانَتْ مَعَهُ ، وَامْرَأَةٌ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَذْهَبَتْ هَمَّهُ ، وَطَبَّاعٌ
إِذَا لَمْ يَشْتَهَ الطَّعَامَ طَبَّخَ لَهُ مَا يَشْتَهِيهِ .

* * *

(١) المأمون هو : الخليفة العباسي عبدالله بن هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .
أما محمد بن يزداد فهو : محمد بن يزداد بن سويد المروزي ، من كتّاب الإنشاء في الدولة العباسية ، وقد استوزره
المأمون ، وتولى المأمون وهو على وزارته ، وعاش إلى أيام الواثق بالله ، وتولى يستر من رأى سنة ٢٣١ هـ .
[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٤٣] .

(٢) ما بين المعفوتين عن ط و ط واسقط من م م .

(٣) الدخّل : الفساد والعبث والرية .

(٤) في م م : لَمْ يَخْفُ أَنْ يَخُونَهُ .

(٥) في ط : نَابَتْهُ .

(٦) م م م

نحوه

(٧) قوله : « لَمْ يَخْفُ أَنْ يَخُونَهُ » : « لَمْ يَخْفُ أَنْ يَخُونَهُ » .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْجُلُوسِ وَأَدَابِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَعْلَاءُ يُؤْمِدُ بَعْضُهُمْ غُذْرُ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَا وَلَدَا لَيْسَ لَكَ الْغُذْرُ فَلَا تَحْلِلْهُ » لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ^(٢) .

يَتَّبِعِي ^(٣) لِلْمَلِكِ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ، وَذَوِي الرَّأْيِ وَالْحَسَبِ ، وَذَوِي الْقَبَارِبِ وَالْعِمْرِ ، فَمُجَالَسَةُ الْعُقَلَاءِ لِقَاحُ الْعَقْلِ وَمَادَّةُهُ ، وَلِذَلِكَ حُمِدَتْ آرَاءُ الشُّيُوخِ ^(٤) ، فَقَالَ الْقَدَمَاءُ : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ ، وَتَتَابِعُ الْأَحْبَارِ ، لَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ ، وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . وَقَالُوا : عَلَيْكُمْ بِآرَاءِ الشُّيُوخِ ^(٥) فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاةَ الطَّمَعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عَيْنِهِمْ وَجْهَةُ الْعِمْرِ ، وَتَصَدَّتْ لَأَسْمَاعِهِمْ آثَارُ الْعِمْرِ . وَقَالُوا : رَأَى الشَّيْخَ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْمَلَامِ .

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر .. والأعلاء : الأعياء في غير ذات الله .

(٢) الأيتان : ٢٨ ، ٢٩ من سورة الفرقان . وخدولاً : كثير الجدلان لئِنْ يواله .

(٣) في ط ١ .. و يبنى .

(٤) هكنا في ط ١ .. وفي م : : المشايخ . وانظر أدب الدنيا والدين - الباب الأول ص ٢٦ ط الدار المصرية .

(٥) في ط ١ : عليك بآراء المشايخ .

صِدْقَاءَ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقَعُ عَلَى الْعَقْلِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مُجَالَسَةُ الْعُقَلَاءِ تَزِيدُ ^(١) فِي لَشْرَفٍ . وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ^(٢) : إِنْ الرَّجُلُ يَمُنُّ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيَلْقَى الرَّجُلَ الْعَاقِلَ نَيْكُونُ [بِعَقْلِهِ] ^(٣) عَاقِلًا أَيَّامًا . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : مَرُّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بِقَصْرِ بَارِضٍ بِمِصْرَ ، فَوَجَدَ فِيهِ مَكْتُوبًا :

عَدَوْنَا مِنْ قُرَى اضْطَحَّرَ	إِلَى الْقَصْرِ فَعَلَّنَاهُ ^(٤)
فَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْقَصْرِ	فَمَبِينًا وَجَدْنَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ	إِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ ^(٥)
وَفِي الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ	عَلَامَاتٌ وَأَشْبَاهُ ^(٦)
فَلَا تُصَنَّبُ أَخَا الْجَهْلِ	وَأِيَّكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أُرْدَى	حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ ^(٧)

قَالَ : وَوَجَدَ ^(٨) عَلَيْهِ نَسْرًا وَاقِعًا ، فَدَعَاهُ فَقَالَ : مَنْ بَنَى هَذَا الْقَصْرَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قَالَ : كَمْ لَكَ مُنْذُ وَقَعْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : تِسْعُمِائَةِ سَنَةٍ . وَفِي الْأَمْثَالِ : يُظَنُّ بِالْمَرْءِ مَا يُظَنُّ بِحَلِيلِهِ . وَلَمَّا حَجَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ^(٩) نَزَلَ مَكَّةَ لَيْلًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ

(١) في م : يزيد .

(٢) هو : سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ مَيْمُون . مَرُّ التعريف به .

(٣) ما بين المعقوفين عن م : وساقط من ط .

(٤) اضْطَحَّرَ : من أقدم مُدُنِ فَارِسَ وَأَشْهَرَهَا ، وَبِهَا كَانَ قَصْرُ مَلِكِ فَارِسَ .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢١١] .

(٥) هَكَذَا فِي م : .. وَفِي ط : إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ .

(٦) أَيْ : لِمِثَالِهِ . وَأَشْبَاهُ : جَمْعُ شَيْءٍ أَوْ شَيْءٍ .

(٧) أُرْدَى حَلِيمًا : أَهْلَكَهُ حِينَ صَحَبَهُ .

(٨) فِي ط : .. وَوَجَدْنَا ، لَا تَصَحُّ .

(٩) فِي ط : : عَبْدُ اللَّهِ ، غَطًا .. وَهُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ الْهَاشِمِيِّ ، صَحَابِيُّ ، وَلَدَ بَارِضَ الْحِشْبَةِ لَمَّا هَاجَرَ أَبَوَاهُ إِلَيْهَا ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُثْمَانَ ، وَهُوَ أَخُو مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ لِأُمِّهِ ، وَكَانَ كَرِيمًا يُسَمَّى بَحْرَ الْجُودِ . وَلِلشُعْرَاءِ فِيهِ مَدَائِحُ . وَكَانَ أَحَدَ الْأَمْثَرَاءِ فِي جَيْشِ عَلِيٍّ يَوْمَ « صِفِّينَ » . وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٨٤ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ . [انظر الأعلام ج ٤ ص ٧٦ ، والمخير ص ١٤٧ - ١٥٠ ، والمعارف ص ٢٠٦ ، وأسَدُ الغَابَةِ ج ٣ ص ١٩٨ - ٢٠٠] .

قَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، عَرَفْنَا خِيَارَكُمْ مِنْ أَشْرَارِكُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالُوا : كَيْفَ ذَلِكَ ؟
قَالَ : نَزَّلْنَا وَمَعَنَا أَغْيَارٌ وَأَشْرَارٌ ، فَتَزَلْ أَغْيَارُنَا عَلَى أَغْيَارِكُمْ ^(١) وَأَشْرَارُنَا عَلَى
أَشْرَارِكُمْ ، فَعَرَفْنَاكُمْ .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ الدُّخَانُ عَلَى النَّارِ بِأَدَلٍّ مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ . وَقَالَ
الْأَوْزَاعِيُّ ^(٢) : الصَّاحِبُ لِلصَّاحِبِ كَالرُّقْعَةِ فِي الثَّوْبِ ، إِنْ لَمْ تُكُنْ مِفْلَهُ ^(٣) شَانَتْهُ .
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ مُسْنَعٍ ^(٤) لِلْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : يَا أَبَا بَخْرٍ ، مَا أَشْتَأُقُ إِلَى غَائِبٍ إِذَا
حَضَرْتُ ، وَلَا أَتَفِيعُ بِحَاضِرٍ إِذَا غَيْبَ ، فَأَخَذَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكَاتِبُ ^(٥) فَتَنَّمَهُ
فَقَالَ :

وَأَنْتَ هَوَى النَّفْسِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ الْمُطَاعُ
وَمَا بِكَ إِنْ بَعُدُوا وَخَشَنَ وَمَا مَعَهُمْ إِنْ بَعُدْتَ اجْتِمَاعُ ^(٦)

(١) في م : : فنزل خيارنا على خياركم .

(٢) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يُخَيْدِ الْأَوْزَاعِي ، وقد مر التعريف به .

(٣) في د ط : : في مِثْلِهِ . وشأنه : عاقبه .

(٤) في م : : و ط : : ملك . بدون ألف صغيرة فوق الميم تدل على الألف المحذوفة .

وهو : مالك بن مُسْنَعِ بْنِ سَيَّارٍ - وقيل : شيبان - و سنان - البكري ، سيد ربيعة في زمانه ، كان مقدماً
رئيساً ، وُلِدَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْمَسَافِقَةُ . أُصِيبَتْ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ الْجَنْفَرَةِ (مَوْضِعٌ
بِالْبَصْرَةِ) وَقِيلَ : قُبِضَ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٣ هـ ، وَكَانَ يُقَالُ : سَادَ الْأَخْنَفُ بِجُلَيْهِ ، و ساد مالك بن
مُسْنَعٍ بِمَحَبَةِ الْعَشِيرَةِ لَهُ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٦٥ ، والمهر ص ٢٦١ و ٣٠٢ ، والمعارف ص ٤١٩ ، وثمار القلوب ص ٣٩٨ ،
والحيوان ج ١ ص ٢٧٠] .

(٥) هو : إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُولٍ ، أبو إسحاق ، كاتب العراق في عصره ، وُلِدَ سَنَةَ ١٧٦ هـ
وَكَانَ جَدُّهُ مُحَمَّدٌ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَدَعَاها ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مُقَرَّباً مِنَ الْخُلَفَاءِ ، فَكَانَ كَاتِباً لِلْمُحْتَضَمِ وَالْوَاتِقِ
وَالْمُوَكَّلِ . وَنَقَلَ فِي الْأَعْمَالِ وَالِدُولِيِّينَ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٢٤٣ هـ بِسَرٍّ مَنْ رَأَى ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شِعْرٍ رَفِيقٍ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٤٥ ، ومعجم الأديباء لياقوت ج ١ ص ١٦٤ - ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١١٧ ،
١١٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤ - ٤٧ ، والأغاني ج ١٠ ص ٣٥٧ - ٣٥٣٢ ط الشعب] .

(٦) هكذا في م : : وفي د ط : : وَخَشَنَ بدل وَخَشَنَ . والوحشة : الحوف والانقطاع وبعُد القلوب
عن المودات .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ^(١) : الْمَالُ غَايَةٌ وَرَاحَتُهَا ، وَالسُّلْطَانُ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَالْإِخْوَانُ كُنُوزٌ وَاقِرَةٌ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : تَنَازَرُ رَجُلَانِ [مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ] ^(٢) وَأَغْرَابِي حَاضِرٌ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : مَنَازَرَةُ مِثْلِكَ فِي الدِّينِ قَرَضٌ ، وَالْإِسْتِمَاعُ مِنْكَ أَدَبٌ ، وَمُجَالَسَتُكَ نَعْنٌ ، وَمَعْرِفَتُكَ عِزٌّ ، وَمُنْذَاكَرَتُكَ تَلْقِيحٌ لِلْعُقُولِ ^(٣) وَشَحَذٌ ، وَإِخَاؤُكَ شَرَفٌ وَفَخْرٌ .. وَقَالَ السُّمَيْسِمَانِيُّ ^(٤) : عَنَى مُحَارِقٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ ^(٥) :

(١) هو : عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء ، أبو العباس ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي ، وُلِدَ سنة ١٨٢ هـ ، وكان جده الأعلى « زريق » من موالى طلحة بن عبد الله ، المعروف بطلحة الطُّلحات .. وَلِيَّ إِثْرَهُ الشَّامَ مُدَّةً ، فُقِلَ إِلَى مِصْرَ سنة ٢١١ هـ فَأَقَامَ سَنَةً ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الدِّيَّانِ ، ثُمَّ وَلِيَهُ الْمَأْمُونُ « خِرَاسَانَ » وَظَهَرَتْ كِفَايَتُهُ فَوُلِيَ طَبْرِسْتَانَ وَكِرْمَانَ وَالرِّيَّ وَالسُّودَانَ ، وَاسْتَمَرَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِنِيسَابُورَ - وَقَبِلَ بِسَبْرٍ - سنة ٢٣٠ هـ . وكان كريماً باذلاً للمال ، مع علم ومعرفة وتجربة ، وللشعراء فيه تراثٌ كثيرة . [انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٣ ، ٩٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٨٣ - ٤٨٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٣ - ٨٩ ، وأخباره كثيرة في ابن الأثير ، والطبري ، وعروج الذهب ، والأغانى] .

(٢) ما بين المعقوفين عن « م » ، وساقط من « ط » .

(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « تَلْقِيحُ الْعُقُولِ » .

(٤) هو : أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار ، أديب ولغوي ، سمع أبا بكر بن شاذان ، وأبا الفضل بن المأمون ، وكان صدوقاً ، ثقة في الرواية . وقد كتب الكثير ، وأكثر كتبه بخطه . توفى - رحمه الله - سنة ٤١٥ هـ . والسُّمَيْسِمَانِيُّ : قال ابن خُلِّكان : « لَا أَعْرِفُ نَسَبَهُ إِلَى مَاذَا هِيَ ، وَهِيَ بِكسر السينين المهملتين ، وسكون الميم الأولى وَضَعُ الثَّانِيَةِ ، وَبِالتَّوْنِ ، ثُمَّ وَجَدْتُ فِي ذُرَّةِ الثَّوَالِصِ لِلْحَرِيرِيِّ مَا مِثَالُهُ : وَيَقُولُونَ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الْفَاكِهَةِ وَالْبَاقِلَاءِ وَالسَّمْسَمِ : فَالْكُهَانِي ، وَبِالْقَلَانِ ، وَبِالسَّمَانِ ، فَيُخْطِئُونَ فِيهِ - وَيَبِينُ وَجْهُ الْخَطَأِ - ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَوَجْهُ الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ فِي الْمُنْسَوْبِ إِلَى السَّمْسَمِ : مَسْمَى . وَتُسَمَّى الْكَلَامُ إِلَى آخِرِهِ . فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى هَذَا ، عَلِمْتُ أَنَّ نِسْبَةَ أَبِي الْحَسَنِ الْمَذْكُورِ إِلَى السَّمْسَمِ ، وَأَنَّهُ اسْتِثْمَالٌ عَلَى اصطلاح النَّاسِ » . وقد ضبطه بياقوت في معجم الأديباء بالفتح ، ونسبه إلى « سَمْسَم » البلدة التي وردت في معجم البلدان فقال : « السُّمَيْسِيُّ » .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠ ، ومعجم مقيدات ابن خُلِّكان ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، وإتباع الولاة على أئمتنا النُّخَاعَةِ ج ٢ ص ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ومعجم الأديباء ج ١٤ ص ٥٨ - ٦١ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٢٥٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٢ ، ودررة الثوالم للحريري ص ١١٢ ، ١١٣] .

(٥) المأمون : مَرَّ الصَّريْفُ بِهِ .

وَسُخَارِقٌ هُوَ : أَبُو الْمُهَنْبِأ بْنِ يَحْيَى الْجَزَارِ ، إِمَامُ عَصَرِهِ فِي فَنِّ الْغَنَاءِ ، وَكَانَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ صَوْتًا ، كَانَ عَمَلُكَ لِعَاتِكَةِ بِنْتِ شَهْدَةَ بِالْكُوفَةِ ، وَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْهُ الْغَنَاءَ وَالضَّرْبَ عَلَى الْعُودِ وَبَاعَتْهُ ، فَصَارَ إِلَى الرَّشِيدِ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يَعْجَبُ بِهِ حَتَّى أَقْعَدَهُ مَرَّةً عَلَى السَّرِيرِ مَعَهُ وَأَعْطَاهُ ٣٠ ألفَ دِرْهَمٍ . وَاتَّصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَأْمُونِ ، وَزَارَ مَعَهُ دِمَشْقَ . وَتَوَفَّى بِسَبْرٍ مِنْ رَأْيِ سَنَةِ ٢٣١ هـ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٩١ ، والأغانى ج ٢٠ ص ٧١٧٤ - ٧٢٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٨٠]

وَأَتَى لَمُشْتَقٍ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُرُ إِنْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ ^(١)
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَا لِي ، وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْرَعٌ يَدِّيهِ ^(٢)
فَطَرَبَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : وَيْحَكَ ^(٣) يَا مُحَارِقُ ، خُذْ مِنِّي نِصْفَ الْخِلَافَةِ وَأَعْطِنِي هَذَا
الْإِنْسَانَ .

وَقَالَتْ ^(٤) الْحُكْمَاءُ : النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ تَلْقِيحُ الْعُقُولِ . وَقَالُوا : الْعَاقِلُ
لَا يَنْقَطِعُ صِدْقُهُ ، وَالْأَخْمَقُ لَا تَدُومُ مَوَدَّتُهُ ، فَاتَّخَذَ مِنْ نُصَحَائِهِ أَصْحَابَكَ مِرَاةً
لِطَبَائِعِكَ وَفَعَالِكَ ، كَمَا تَتَّخِذُ لَوَجْهِكَ الْمِرَاةَ الْمَجْلُوءَةَ ^(٥) ، فَإِنَّكَ إِلَى صَلَاحِ طَبَائِعِكَ
أَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى تَحْسِينِ صُورَتِكَ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ^(٦) نَظَرْتُ فِي اللَّذَاتِ ^(٧) فَوَجَدْتُهَا كُلُّهَا مَمْلُوءَةً ^(٨)
خَلَا سَبْعَةً . قَالَ : وَمَا السَّبْعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ^(٩) قَالَ : خُبْرُ الْحِنْطَةِ ،

(١) البيان لأبي المعاهية ، وقد وردا في ديوانه تحت عنوان « الصديق الصادق » . وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي :
« وإلى محتاج بدل » وإلى لمشتاق .

[انظر ديوان أبي المعاهية ص ٤٦٤ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٨٠] .

(٢) عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ : أَي مَنْ يَعَذِّرُنِي فِي أَمْرِهِ إِذَا جَازَيْتُهُ عَلَى قَوْلِهِ ، وَلَا يَلُومُنِي عَلَى مَا أَفْعَلُهُ .. وفي (م) :
« مِنَ الْإِحْوَانِ » . وفي الديوان : « كُنْتُ » بدل « صِرْتُ » .

(٣) فِي (م) : « وَيْلَكَ » .. وَوُضِعَ : كَلِمَةُ تَرْحُمُ وَتَوَجُّع . وقيل : هِيَ بِمَعْنَى « وَيْل » ، وَتَسْتَعْمَلُ أَصْلًا فِي
الدُّعَاءِ عَلَى الشَّخْصِ ، وَهِيَ كَلِمَةُ عَذَابٍ ، وَاسْتَعْمِلْتُ هُنَا لِلتَّعَجُّبِ .

(٤) فِي (م) : « وَقَالَ » . وكلاهما صواب .

(٥) فِي (م) : « الْمَجْلُوءَةُ » ، وكلاهما صواب .

(٦) هُوَ : الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّرْحَسِيُّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَزِيرُ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ ، تَوَلَّى وَزَارَةَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ
أَخِيهِ « الْفَضْلِ » ذِي الرِّبَاسَتَيْنِ . وَهُوَ أَحَدُ كِبَارِ الْقَادَةِ وَالْوَلَاةِ فِي عَصْرِهِ ، وُلِدَ سَنَةَ ١٦٦ هـ وَاشْتَهَرَ بِالنَّفَاحَةِ
وَالْأَدَبِ وَالذِّكَاةِ الْمَقْرُطِ ، وَحُسْنِ التَّوَقُّعَاتِ وَالْكَرَمِ ، وَهُوَ وَالِدُ « بُورَانَ » زَوْجَةِ الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ يُحِبُّهُ وَيُبَالِغُ
فِي إِكْرَامِهِ ، وَلِلشُّعْرَاءِ فِيهِ أُمَادِيخٌ . تَوَفَّى فِي « سَرَخْسَ » مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ سَنَةَ ٢٣٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٣١٩ - ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٠ -
١٢٣ ، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ ، وله أخبار وأقوال منثورة في كتب الأدب العربي ، كعميون الأخبار ،
والكامل ، وغيرها] .

(٧) فِي (م) : « فِي اللَّذَاتِ كُلِّهَا » .

(٨) فِي (م) : « فَوَجَدْتُهَا مَمْلُوكَةً » بِالْكَافِ . وَمَا وَرَدَ فِي « ط » ، أَصَحُّ مَعْنَى .

(٩) جَمَلَةٌ : « قَالَ : وَمَا السَّبْعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » عَنْ « ط » ، وَسَاقِطَةٌ مِنْ « م » .

وَلَحْمُ الْغَنَمِ ، وَالْمَاءُ الْبَارِدُ ، وَالثُّوبُ النَّاعِمُ ، وَالرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْفِرَاشُ الْوَطِئُ ،
وَالنَّظَرُ إِلَى الْحَسَنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُحَادَثَةِ
الرِّجَالِ ؟ قَالَ : صَدَقْتُ ، وَهِيَ أَوْلَاهُنَّ .

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : قَدْ قَضَيْتُ الْوَطَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَكَلْتُ الْحُلُوَّ
وَالْحَامِضَ حَتَّى لَا أُجِدَ [لِوَاحِدٍ] ^(١) مِنْهُمَا طَعْمًا ، وَشَمَنْتُ الطَّيِّبَ حَتَّى لَا أُجِدَ
لَهُ رَائِحَةً ^(٢) ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ حَتَّى مَا أَبَالِي امْرَأَةً أَتَيْتُ أَمْ حَائِطًا ، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَلَذَّ
مِنْ جَلِيسٍ يُسْقِطُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُوْتَةَ التَّحْفِظِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : قَدْ قَضَيْتُ الْوَطَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ مُحَادَثَةِ
الْإِخْوَانِ فِي اللَّيَالِي الزُّهْرِ عَلَى الْعَلَالِي الْغُمْرِ ^(٣) . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ قَرَّبَ السُّؤْلَةَ ^(٤)
وَأَذْنَاهُمْ ، وَبَاعَدَ ذَوِي الْعَقْلِ ^(٥) وَأَقْصَاهُمْ ، اسْتَحَقَّ الْخِذْلَانَ ^(٦) ، وَمَنْ مَنَعَ الْمَالَ مِنْ
الْحَمْدِ ^(٧) وَرَفَعَهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ .

وَمِنْ الْكَلَامِ الشَّرِيفِ قَوْلُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَخْوَجَ ذَا الْقُدْرَةِ إِلَى دِينٍ يَخْجِزُهُ ^(٨) ،
وَحَيَاءُ بَكْفُهُ ، وَعَقْلٌ يَبْدُلُهُ ^(٩) ، وَإِلَى تَجَرِبَةِ طَوِيلَةٍ وَعَيْبٍ ^(١٠) مَحْفُوظَةٍ ، وَإِلَى أَغْرَاقِ

(١) ما بين المعقوفين عن (م) .

(٢) هكذا في (م) .. وفي (ط) : : وَشَمَنْتُ الرَّائِحَةَ حَتَّى لَا أُجِدَ لَهَا رَائِحَةً .

(٣) الليالي الزُّهْر : الصَّافِيَّة .. والعلال الغُمْر : الأماكن الصلبة البعيدة . ويقال : هَجَرْتُ أَخِي عَلَى غُمْرٍ ، أَيْ :
عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْحَيِّ وَالْقَرَابَاتِ .. وفي (م) : : فِي التَّلَالِ الزُّهْرُ عَلَى اللَّيَالِي الْغُمْرُ .

(٤) السُّؤْلَةُ والسُّؤْلَةُ مِنَ النَّاسِ : غَوَاؤُهُمْ وَأَسَاطِلُهُمْ .

(٥) في (م) : : ذَوِي الْفَضْلِ .

(٦) الْخِذْلَان : عَدَمُ الثَّمَرَةِ .

(٧) الْحَمْد : الثَّناء الْجَمِيل ، يَرِيدُ : مَنْ أَمْسَكَ مَالَهُ بُخْلًا وَلَمْ يَقْبَلْ بِهِ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ .

(٨) يَخْجِزُهُ : يَمْنَعُهُ وَيَكْفُهُ عَنِ الْمَأْتِمِ .

(٩) في (م) : : وَعَدْلٌ يَبْدُلُهُ . وَالْعَدْلُ : الْقَصْدُ فِي الْأُمُور ، وَهُوَ خِلَافُ الْجَوْرِ .

(١٠) الْبُيُورُ : الْأَلْطَافُ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَا مَضَى ، مُفْرَدَةً : عَيْبَةٌ . وَفِي (م) : : يُبَيِّرُ مَحْفُوظَةً . وَالْبُيُورُ : أَحْوَالُ الدَّهْرِ
وَأَحْدَاثُهُ الْمُتَغَيِّرَةُ ، وَسَمَاتِي بِعَدِّ قَلِيلٍ .

تَسْرِي إِلَيْهِ ، وَأُخْلَقَ ^(١) تُسَهَّلُ الْأُمُورَ عَلَيْهِ ، وَإِلَى جَلِيسِ رَقِيقٍ ، وَرَأَيْدِ شَفِيقٍ ، وَإِلَى
عَيْنٍ تَنْظُرُ الْعَوَاقِبَ ، وَعَقْلٍ يَخَافُ الْغَيْرَ ^(٢) وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ يَوْمَ ظَفَرِ الْأَيَّامِ لَمْ يَخْتَرَسْ مِنْ
سَطَوَاتِ الدَّهْرِ ، وَلَمْ يَتَحَفَّظْ مِنْ فَلَاتَاتِ الزَّلِيلِ ، وَلَمْ يَتَعَاطَمَهُ ذَنْبٌ وَإِنْ عَظُمَ ، وَلَا تَنَاءٍ
وَإِنْ سَمَّجَ ^(٣) ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ جَلِيسِكَ أَمْرًا تُكْرَهُهُ ، أَوْ خَلَّةً ^(٤) لَا تُحِبُّهَا ، أَوْ صَدْرَتْ
مِنْهُ كَلِمَةٌ غَوْرَاءُ ، أَوْ هَفْوَةٌ غَبْرَاءُ ، فَلَا تَقْطَعْ حَبْلَهُ ، وَلَا تُصْرِمِ وُدَّهُ ، وَلَكِنْ دَاوِ كَلِمَتَهُ ،
وَاسْتَرْ عَوْرَتَهُ ، فَأَنْبِئِهِ ، وَابْتَزْ مِنْ عَمَلِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ
مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) . فَلَمْ يَأْمُرْ بِقَطْعِهِمْ ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالْبِرَاءَةِ مِنْ عَمَلِهِمْ [السُّوء] . قَالَ
الشَّاعِرُ ^(٦) :

إِذَا رَأَى مِنْهُ مَفْصِلٌ فَقَطَعَتْهُ يَفِيتُ وَمَا يَبِى لِلنُّهُوضِ مَفَاصِلُ ^(٧)
وَلَكِنْ أَذَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرْنِي وَإِنْ هُوَ أَغْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ ^(٨)

وَأُنَى رَجُلٍ إِلَى بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَشَكَا إِلَيْهِ صَدِيقَهُ ، وَعَزَمَ عَلَى قَطْعِيَّتِهِ ^(٩) وَالْإِتْقَامِ
مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : أَتَفْهَمُ مَا أَقُولُ لَكَ [فَأَكْلُمُكَ] ^(١٠) أَمْ بِكَ مِنْ قُوْرَةِ الْغَضَبِ

(١) هكذا في م .. وى ط : « أُخْلَقَ » وهى بمعنى نفائس أو صداقات . أما الأعراف ، فهى جمع عِرْق ، وهو مجرى الدم فى الجسد ، والمراد بها : الأصول .

(٢) في م : « العير » . تحريف .

(٣) هكذا في ط .. والثاني : التُّجْد . وسَمَّجَ : قَبَّحَ .. وى م : « ولا تناء وإن سَمَّجَ » أى : ولا مدح وإن لأن وسهل . وما ورد في ط : هو الأنسب للسياق .

(٤) الخَلَّةُ ، بفتح الحاء المعجمة : الخَصْلَةُ .

(٥) الآية ٢١٦ من سورة الشعراء .

(٦) ما بين المعقوفين عن ط : « .. وى م : « وقال » .

(٧) التفصيل : تُلَقَّى كُلَّ عَظْمَيْنِ فى الجسد . وراب : فسَدَ . وى م : « ومالى بالنهوض » .

(٨) أَغْيَا : أعجز ، أى : أعجزنى فلم أستطع مداواته . والتَحَامُلُ : تحمُّلُ الشَّيْءِ عَلَى مَشَقَّةٍ وَإِعْيَاءٍ .

(٩) القطيعة : المجران والصُّدُّ . وى ط : « فَعَطِيهِ » ، وهى بمعناها .

(١٠) ما بين المعقوفين عن ط : « ..

مَا يَشْغَلُكَ ^(١) عَنْهُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لِمَا تَقُولُ وَاعٍ . فَقَالَ ^(٢) : أَسْرُورُكَ بِمَوَدَّتِهِ كَانَ أَطْوَلَ
 أَمْ عَمَلُكَ بِذَنْبِهِ ؟ قَالَ : بَلْ سُرُورِي . قَالَ : أَفَحَسَنَاتُهُ عِنْدَكَ أَكْثَرُ أَمْ سَيِّئَاتُهُ ؟ قَالَ : بَلْ
 حَسَنَاتُهُ . قَالَ : فَاصْفَحْ بِصَالِحِ أَيَّامِكَ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَهَبْ لِسُرُورِكَ جُزْمَهُ ، وَاطْرَحْ مُوَدَّةَ
 الْعُضْبِ وَالْإِتْقَامِ مِنْهُ ، وَلَعَلَّكَ لَا تَنَالُ مَا أُمِلْتَ فَتَطُولُ مُصَاحَبَةُ الْعُضْبِ ، وَأَنْتَ صَائِرٌ
 إِلَيَّ مَا تُحِبُّ .

(١) هكذا في م م .. وفي ط : : ما شغلك .

(٢) في م : قال .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ

جَمَالُ السُّلْطَانِ

قَدْ ذَكَّرْنَا الْخِصَالَ الَّتِي تُجْرَى مِنْ الْمَمْلَكَةِ مَجْرَى الْأَسَاسِ مِنَ الْبُنْيَانِ ، وَذَكَّرْنَا الْآنَ الْخِصَالَ الَّتِي تُجْرَى مِنْ الْمَمْلَكَةِ مَجْرَى الثَّاجِ وَالطُّيْلَسَانِ وَحُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْكَمَالِ ، فَأَصْلُهَا ^(١) وَقَاعِدَتُهَا الْعَفْوُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لِحُدِّ الْعَفْوِ وَأَمْرٍ بِالْعُزْفِ وَأَعْرِضٍ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ . ^(٢) فَلَمَّا تَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ، فَذَهَبَ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ ^(٣) أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتُعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

وَأَعْلَمُوا ، أُرْسِدَكُمْ اللَّهُ ، أَنْ اللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالْعَفْوِ ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ ^(٤) وَذَكَرَ فَضِيلَتَهُ ، وَحَثَّ عَلَيْهِ ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ

(١) فِي د ط هـ : فَأَكْمَلَهَا .

(٢) الْآيَةُ ١٩٩ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .. لِحُدِّ الْعَفْوِ : مَاعِفًا وَتَسِيرًا مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَهُوَ مَا لَا يَجْهَدُهُمْ . وَأَمْرٍ بِالْعُزْفِ : بِالْمَعْرُوفِ حُسْنُهُ فِي الشَّرْعِ . وَأَعْرِضٍ عَنِ الْجَاهِلِينَ : بِالْإِحْتِمَالِ وَالصَّنْعِ .

(٣) هَكَذَا فِي د ط هـ .. وَفِي د م : رَبُّكَ يَأْمُرُكَ .

(٤) نَدَبَ إِلَيْهِ : دَعَا إِلَيْهِ .

عن الناس ، والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ^(١) . فَأَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَحَبَّةً لِلْعَافِينَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ^(٢) . وَعَزَّائِمُ الْأُمُورِ مِنْ صِفَاتِ الْمُصْطَفَيْنِ مِنَ الرُّسُلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ ^(٣) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(٥) . فَاسْتَعَطَفَ الْخَلْقَ ، وَلَذَنَّهُمْ إِلَى أَنْ يَغْفُوا ^(٦) عَنِ الْجُنَاةِ وَالظَّالِمِينَ وَالخَاطِئِينَ ، كَمَا يُحِبُّونَ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ بِهِمْ ، وَقَالَ فِيمَنْ اتَّصَرَ وَلَمْ يَغْفُفْ : ﴿ وَلَمَنْ اتَّصَرَ بِغَدِّ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ^(٧) . فَرَفَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْمُتَّصِرِ وَالْمُتَّقِمِ ، وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ فَضِيلَةً .

ثُمَّ كَشَفَ الْغِطَاءَ وَأَزَالَ ^(٨) الْعُذْرَ ، وَصَرَّحَ بِتَفْضِيلِ الْعَافِينَ عَلَى الْمُتَّصِرِينَ ، وَالْوَاهِبِينَ حُقُوقَهُمْ عَلَى الْمُتَّقِمِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(٩) . وَهَذَا نَصٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ، وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْإِتِّصَارَ عَدْلٌ ، وَالْعَفْوُ فَضْلٌ ، وَفَضَّلَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ عَذْلِهِ ، لِأَنَّهُ إِنْ عَدَلَ عَلَيْنَا فَاحْتَدْنَا بِحَقِّهِ هَلَكْنَا ، وَإِنْ عَفَا عَنَّا بِرَحْمَتِهِ تَخَلَّصْنَا ، وَلَوْ كَانَ الْعَدْلُ يَسْعُ الْخَلَائِقَ لَمَا قَرَنَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١٠) بِالْإِحْسَانِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْعَدْلَ ^(١١) امْتِنَافَسَةٌ وَمُنَافَسَةٌ - وَذَلِكَ بِمَا تُضِيقُ عِنْدَهُ النُّفُوسُ ، وَتُخْرِجُ لَهُ الصُّدُورُ - نَاطَ

(١) من الآية ١٣٤ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٤٣ من سورة الشورى .

(٣) من الآية ٣٥ من سورة الأحقاف .

(٤) من الآية ٣٧ من سورة الشورى .

(٥) من الآية ٢٢ من سورة النور .

(٦) في م : : : وَلَذَنَّهُمْ إِلَى الْعَفْوِ .

(٧) الآية ٤١ من سورة الشورى .

(٨) في م : : : وَلَازَاحٌ .

(٩) الآية ١٢٦ من سورة النحل .

(١٠) ما بين المعقوفين عن م : .

(١١) في م : : : وَأَنَّ فِي الْعَدْلِ .

الإِحْسَانَ بِالْعَدْلِ ^(١) فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٢) .
 وَأَيْضًا فَإِنَّ الْإِتِّصَارَ الْإِقَامَ وَعَذَابَ بِلَا اِمْتِنَانٍ ، وَالْعَفْوَ مَحَبَّةً مِنَ اللَّهِ وَالْإِحْسَانَ ^(٣) ،
 وَأَيْضًا فَلَا اِتِّصَارَ سَيِّئَةً وَالْعَفْوَ حَسَنَةً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا
 السَّيِّئَةُ ﴾ ^(٤) . وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْإِتِّصَارَ سَيِّئَةً قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
 مِثْلُهَا ﴾ ^(٥) ، غَيْرَ أَنَّهَا سُمِّيَتْ ^(٦) سَيِّئَةً لَمَّا كَانَتْ تَبْجِجَةُ سَيِّئَةٍ ، لَا أَنَّهُ ^(٧) لَا يَجُوزُ
 الْإِتِّصَارُ ، وَهُوَ كَقَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلثُومٍ التَّغْلِبِيُّ ^(٨) :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ ^(٩)
 فَسَمِيَ الْجَزَاءُ عَلَى الْجَهْلِ جَهْلًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ جَهْلًا .. وَعَنْ هَذَا رَوَتْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : ... وبحرج له الصدر نبط فقال ، وسقط « بالعدل » منها .. وناط : علق .

(٢) من الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٣) من أول قوله : وأيضًا .. إلى هنا . عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) من الآية ٣٤ من سورة فصلت .

(٥) من الآية ٤٠ من سورة الشورى .

(٦) في « ط » : « لَمَّا سُمِّيَتْ » .

(٧) في « م » : « لَأَنَّهُ » .. لا يصح .

(٨) في « م » : « التَّغْلِبِيُّ » . تحريف من الناسخ .

وهو : كُلثُومُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَبَّادٍ ، من بني تغلب ، وأمه ليلى بنت المهلهل ، أخى كُثَيْب . شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى ، وُلِدَ فِي هِمَالِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فِي بِلَادِ رَيْمَةَ ، وَتَجَمَّلَ فِيهَا فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَغَدِ ، وَكَانَ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ نَفْسًا ، وَهُوَ مِنَ الْفَتَاكِ الشُّجْعَانِ . سَادَ قَوْمَهُ « تَغْلِبَ » وَهُوَ فَتَى ، وَحُمُرٌ طَوِيلًا ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْمَلِكَ عَمْرُو بْنَ هَنْدٍ . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ تَقْرِيْبًا .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٤ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٦ ، وانظر معلقته في شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري ص ٣٦٩ - ٤٢٨ ، والأغاني ج ١١ ص ٣٨٣٨ - ٣٨٤٦ ، والخبر ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ونثر القلوب ص ١٢٨ ، ١٣٠ ، والمعارف ص ٩٦ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ١٨٣ - ١٨٥] .

(٩) هذا البيت من مُعَلَّقَتِهِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا : « أَلَا هُمَيُّ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحْنَا » . ومعنى « فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ » أَيْ : فَتَهْلِكُ أَوْ تَجْزَاهُ وَتَعَاقِبُهُ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ جَهْلِهِ ، فَسَبَّ الْجَهْلُ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ يَرِيدُ الْإِهْلَاكَ وَالْمَعَايَةَ ، لِيُزَوِّجَ اللَّفْظَانِ ، فَتَكُونُ الثَّانِيَةُ عَلَى مِثْلِ لَفْظِ الْأُولَى ، وَهِيَ تَخَالِفُهَا فِي الْمَعْنَى ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ . أَيْ : فَعَاقِبُوهُ عَلَى اعْتِدَائِهِ . وَالثَّانِي لَيْسَ اعْتِدَاءً فِي الْحَقِيقَةِ ، بَلْ هُوَ « عَدْلٌ » وَسَمِيَ اعْتِدَاءً لِلشَّكَاكَةِ وَالتَّوَهُُّقِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ .

[انظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢٦ ط دار المعارف] .

عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، مُتَّصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ^(١) ظَلَمَهَا قَطُّ ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا اتَّهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، فَلَا يَقُومُ لِعُضْبِهِ شَيْءٌ .

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ : « يُتَادَى مُتَادِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ ^(٢) فَلْيَقُمْ . فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا » . فَإِنْ عَفَوْتَ أَيُّهَا الطَّالِبُ كَانَ أَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنْ لَمْ تُعْفَ كَانَ حَقُّكَ قَبْلَ مَنْ ظَلَمَكَ ^(٣) ، وَلَئِنْ يَكُونُ أَجْرُكَ فِي ضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْثَقُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ مَخْلُوقٍ . وَأَيْضًا فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تُعْفَ ^(٤) نِلْتَ حَقَّكَ بِلَا زِيَادَةٍ عَلَيْهِ ، وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ [لَكَ] ^(٥) حَسَنَةٌ أَسَدَّتْهَا ^(٦) لِأُخِيكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا » ^(٧) .

وَشَفَعَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي مَخْبُوسٍ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانَ مُجْرِمًا فَالْعَفْوُ يَسَعُهُ ، وَإِنْ كَانَ بَرِيًّا ^(٨) فَالْعَدْلُ يَسَعُهُ . وَقِيلَ لِعَظْمَى الْكُتَّابِ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ أَمْرٌ ، فَقَالَ : لَا أَبَالِي . [فَقِيلَ لَهُ : وَلِمَ لَا تَبَالِي ؟] ^(٩) . قَالَ : إِنْ صَدَّقَ الثَّاقِلُ وَسِعَنِي عَفْوُهُ ^(١٠) ، وَإِنْ كَذَبَ الثَّاقِلُ وَسِعَنِي عَذْلُهُ . وَلَمَّا دَخَلَ عَيْنَتُهُ ابْنُ حِصْنٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : يَا بَنَ الْخَطَّابِ ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ ^(١١) وَمَا تُحْكِمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ وَهُمْ بِأَنْ يُوقَعَ بِهِ ، فَقَالَ ابْنُ أُخِيهِ : يَا أَمِيرَ

(١) الْمَظْلَمَةُ : مَا تَطْلِبُهُ مِنَ الظَّالِمِ ، وَهُوَ اسْمٌ مَا أُعْذَتْ مِنْكَ .

(٢) فِي « د » : « لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ » .

(٣) أَيْ : عِنْدَ مَنْ ظَلَمَكَ .

(٤) فِي « ط » : « فَإِنْ لَمْ تُعْفَ » .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْذَرَيْنِ عَنْ « د » وَاسْقَاطُ مِنْ « ط » .

(٦) أَسَدَّتْهَا : أَعْطَتْهَا .

(٧) مِنَ الْآيَةِ ١٦٠ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

(٨) مَكْنًى لِي « د » وَ « ط » « بِلُونِ هَمْزٍ . أَيْ : بَرِيًّا .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْذَرَيْنِ عَنْ « ط » وَاسْقَاطُ مِنْ « د » .

(١٠) فِي « د » : « فَغَضِبَهُ » .

(١١) الْجَزَلَ : الْكَثْرَ الْعَظِيمَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(١) يَقُولُ : ﴿ لِحِدِّ الْعَفْوِ وَأَمْرٍ بِالْعَزْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عَمْرٌ جِئَن ثَلَاثًا عَلَيْهِ ، وَكَانَ عَمْرٌ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ » . وَقَالَ : « اِرْحَمْ تَرْحَمْ » وَكَانَ يُقَالُ : أَوْلَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ أَحَقُّهُمْ بِالرَّافَةِ وَالرَّحْمَةِ .. وَفِي الْإِنْجِيلِ : أَفْلَحَ أَهْلُ الرَّحْمَةِ ، لِأَنَّهُمْ سَيَرْحَمُونَ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : لَقَدْ أَبْقَضَ اللَّهُ الْمُتَسَرِّعِينَ إِلَى إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ [فَاِلَيْهِمْ] ^(٣) انْتَهَبَ الْقَسْوَةَ وَالْغِلَظَةَ وَالتَّبَاعُدَ مِنَ الرَّحْمَةِ .. وَلَمَّا تَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ جَالُوتَ أَبْقَى عَلَيْهِ ، يَوْمِيذَ عَدُوِّهِ وَطَالِبِهِ ^(٤) وَقَالَ : يَا رَبِّ ^(٥) أَعْظَمَ دِمِي فِي عُيُونِ ^(٦) أَغْدَائِي كَمَا عَظُمْتَ فِي عَيْنِي دَمَ عَدُوِّي ، وَكَذَلِكَ خَلَصْنِي مِنْ جَمِيعِ الْهُمُومِ .

وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : لَا سُودُودَ مَعَ اتِّقَاعِ ، وَلَا سِيَّاسَةَ مَعَ عَزَازَةِ نَفْسٍ وَعُجْبٍ . وَقَالَتْ الْحُكَمَاءُ : لَيْسَ الْإِفْرَاطُ فِي شَيْءٍ أَجْوَدَ مِنْهُ فِي الْعَفْوِ ، وَلَا هُوَ فِي شَيْءٍ أَقْبَحَ مِنْهُ

(١) ما بين المعقوفين عن ط .

(٢) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف . وقد مرّت .

(٣) في م : « هَرَقَ الدِّمَاءَ » وهى بمعناها .. وما بين المعقوفين عن ط « وساقط من م » .

(٤) هكذا في م .. وفى ط : « أَبْقَى عَلَيْهِ وَهُوَ يَوْمِيذُ عَدُوِّهِ وَطَالِبِهِ » .. وجاء فى تفسير الفخر الرازى - الجزء السادس ، ص ٢٠٣ - « أَنْ طَالُوتَ » - وكان ملكاً على بنى إسرائيل - وعدّ داود أن قَتَلَ جَالُوتَ ، أَنْ تَزَوِّجَهُ ابنته ، ويعطيه نصف مُلْكِهِ ، فلما هزم الله جنود جَالُوتَ « قَتَلَ داود جَالُوتَ » ، حسده طَالُوتَ « وَلَمْ يَفْ لَهُ بَرْعُهُ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ مَمْلَكَتِهِ .. ثُمَّ نَدِمَ طَالُوتَ » ، فذهب يطلبه إلى أَنْ قُتِلَ ، وملك داود ، وحصلت له النبوة ... وقيل غير ذلك .

[انظر قصة طَالُوتَ وجَالُوتَ وكيف قَتَلَ داود جَالُوتَ فى القرآن الكريم ، سورة البقرة : الآيات من ٢٤٦ - ٢٥١ ، وانظر تفسير الفخر الرازى ج ٦ ص ١٨٢ وما بعدها ، والكشاف للزمخشرى المجلد الأول ص ٣٧٨ - ٣٨٢ ، والقرطبى المجلد الثانى ص ١٠٥١ - ١٠٦٦ وتفسير حمزة وآخرين ج ٢ ص ١٤٤ - ١٥٣ وغيرها من المصادر] .

(٥) في م : « رَبِّ » .

(٦) فى ط : « عَيْنِ » .

فِي الْعُقُوبَةِ . وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ ، مَذْمُومٌ فِي الْعَفْوِ ^(١) ، مَحْمُودٌ فِي الْعُقُوبَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ تُحْطِئَ فِي الْعَفْوِ فِي أَلْفِ قَضِيَّةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُحْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ ^(٢) فِي قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَأُزْعِجُ نَفْسِي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي ، وَجَهْلٌ أَكْثَرَ مِنْ حِلْمِي ، وَعَوْرَةٌ لَا يُوَالِيهَا سِتْرِي .. وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَيْسَ عَلَيَّ فِي الْحِلْمِ مُؤَنَّةٌ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ أَهْلَ الْجَرَائِمِ عَلِمُوا رَأْيِي فِي الْعَفْوِ فَيَذْهَبَ الْخَوْفُ عَنْهُمْ ^(٣) فَتَخْلُسَ لِي قُلُوبُهُمْ . وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَنْصُورِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ الْإِتْقَامَ الْإِصْصَافُ ، وَالْتَجَاوُزُ فَضْلٌ ، وَالْمُتَجَاوُزُ ^(٤) قَدْ جَاوَزَ حَدَّ الْمُنْصِيفِ ، وَنَحْنُ نُعِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوْكَسِ النَّصِيصِينَ ، وَأَنْ لَا يَرْتَفِعَ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَتَيْنِ ، فَأَعْفُ عَنَّا يَعْفُ اللَّهُ عَنْكَ . فَعَفَا عَنْهُمْ .

وَأَشْدُوا :

وَإِذَا بَعَى بَاغٍ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ فَاقْتُلْهُ بِالْمَعْرُوفِ لَا بِالْمُنْكَرِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ ^(٥) لَمَّا عَفَا عَنْهُ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَيَّ يَوْمِيكَ أَشْرَفُ ، أَيُّوْمَ ظَفِرْتُ ^(٦) أَمْ يَوْمَ عَفَوْتُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَا زِلْتُ فِي الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَاطِّ مَلَأْتُكَ جَانٍ بِجُزْمِهِ عَلِقَ ^(٧)

(١) فِي م : « وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ فِي مَذْمُومِ الْعَفْوِ » .

(٢) فِي م : « فِي الْفِعْلِ » .

(٣) عَنْهُمْ « عَنْ م ط » . وَبَعْدَهَا فِي م : « فَيُخْلَصُ » .

(٤) فِي م : « وَالتَّجَاوُزُ » .

(٥) هُوَ : مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمِ الْبَاهِلِ ، مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُوهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْفَاتِحِينَ ، وَكَانَ جَدُّهُ كَبِيرُ الْقَلْبِ عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ .

[انظر المعارف ص ٤٠٧ ، والأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، ١٩٠] .

(٦) ظَفِرَ بِمَلُوهُ : غَلَبَ عَلَيْهِ وَقَهَرَهُ .

(٧) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي م و ط .. وَالْبَيْتَانِ مِنَ الْمُنْسَرَحِ ، وَقَدْ وَرَدَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ، وَتَمَثَّلَ بِهِمَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ يَمْدَحُ بِهِمَا الْمَأْمُونُ عِنْدَمَا دَخَلَ بَغْدَادَ وَتَلَقَّاهُ وَجَّوْهُ أَهْلُهَا مَهْتَبِينَ مَادِحِينَ .

وَالْبَيْتُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ :

حَتَّى تَمْنَى الْعَفَاةُ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمْسَوْا فِي الْقَيْدِ وَالْحَلْقِ ^(١)

وَرَفَعَ إِلَى أُثُوشِرُونَ أَنَّ الْعَامَّةَ تُؤْتَبُ الْمَلِكُ فِي مُعَاوَذَةِ الصَّفْحِ عَنِ الْمُذْنِبِينَ مَعَ تَتَابُعِهِمْ فِي الذُّنُوبِ ، فَوَقَعَ ^(٢) : الْمُذْنِبُونَ مُرَضَى ، وَتَحَنُّنُ أَطِبَّاءَ ، وَلَيْسَ مُعَاوَذَةُ الدَّاءِ بِإِهْلَامِهِمْ بِمَانِعِنَا مِنْ مُعَاوَذَةِ الْعِلَاجِ لَهُمْ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣) : مَا قَرِنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ جَلَمٍ إِلَى عِلْمٍ ، وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ ... وَقَالَ رَجُلٌ لِعَبِيدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ^(٤) لَمَّا ظَفَرَ بِالْمَهْلَبِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلِمَ ظُلْمَكَ [وَلَا نُصِرَ نَصْرَكَ] ^(٥) وَلَا عَفَا عَفْوَكَ . وَقَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ : الْمُعَاقِبُ مُسْتَدْعٍ لِعِدَاوَةِ ^(٦) أَوْلِيَاءِ الْمُذْنِبِ ، وَالْعَافِي مُسْتَدْعٍ لِشُكْرِهِمْ ، أَوْ مُكَافَأَتِهِمْ أَيَّامَ قُدْرَتِهِمْ ، وَلَأنَّ يَتَنَى عَلَيْكَ بِاتِّسَاعِ الصَّدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضَيْقِهِ .. وَإِقَالَةُ الْعَثَرَةِ مُوجِبَةٌ إِقَالَةِ عَثْرَتِكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَعَفْوُكَ عَنِ النَّاسِ مُوَصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ^(٧) ، وَعِقَابُكَ مُوَصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْعَافِينَ .

وَقَالَ الْمَنْصُورُ : عَقُوبَةُ الْأَخْرَارِ التَّعْرِيفُ ، وَعَقُوبَةُ الْأَشْرَارِ التَّصْنِيحُ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ :

مَا زِلْتُ فِي التَّذَلُّ لِلتَّوَالِي وَاطِّ لَلِإِقَانِ بِجُزْمِهِ غَلِقِ =

وَالْعَافِي : الْأَسِيرُ . وَالْمُجْرِمُ : الذَّنْبُ . وَغَلِقَ : مَأْخُودٌ وَمَحَاسَبٌ . وَجَانٍ : الْجَانِ الَّذِي يَرْتَكِبُ جَنَاحَةً أَوْ جَرَمَةً تَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ .

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ :

حَتَّى تَمْنَى الْبِرَاءَةُ الْهَمُّ عِنْدَكَ أَسْرَى فِي الْقَيْدِ وَالْحَلْقِ

وَالْعَفَاةُ الْبِرَاءَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهِيَ الدِّينُ لَمْ يَرْتَكِبُوا مَا يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهِ الْعِقَابَ .

[انظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٢ ، ١٣] .

(٢) فَوَقَعَ : أَيْ كَسَبَ رَأْيَهُ بِإِيجَازٍ عَلَى مَا رَفَعَ إِلَيْهِ .

(٣) فِي (م) : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

(٤) سَقَطَتْ : ابْنُ مَرْوَانَ ، مِنْ (م) .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفِينَ عَنْ (ط) .

(٦) فِي (م) : مُبْتَدِعٌ لِعِلَاوَةِ . تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٧) فِي (م) : لَكَ . وَسَقَطَ مَا بَيْنَ عَنْكَ وَ لَكَ ، سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

لَمَّا رَأَيْتُ الذُّنُوبَ جَلَّتْ عَنِ الْمُجَازَاةِ بِالْعِقَابِ
جَعَلْتُ فِيهَا الْعِقَابَ عَفْوًا أَمْضَى مِنَ الضَّرْبِ لِلرَّقَابِ ^(١)

وَقَالَ الْأَخْفُفُ : لَا تَزَالُ الْعَرَبُ بَيِّنَةُ الْفَضْلِ مَا لَمْ تُعَدِّ الْعَفْوُ ضَمِيمًا ، وَالْبَذَلُ سَرَفًا ^(٢) .. وَفِي الْحِكْمَةِ : إِذَا اتَّقَمْتَ فَقَدْ اتَّصَفْتَ ، وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَدْ تَفَضَّلْتَ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَقْبِلِ الْعُذْرَ وَإِنْ كَانَ مَصْنُوعًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْجَبِ الْمُرُوءَةِ قَطِيعَتَهُ أَوْ يَكُونَ ^(٣) فِي قَبُولِكَ عُذْرُهُ تَشْجِيعُهُ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، أَوْ عَوْنُهُ عَلَى الشَّرِّ ، فَإِنْ قَبُولُكَ الْعُذْرَ ^(٤) فِيهِ اشْتِرَاكَ فِي الْمُنْكَرِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْفِيلُ دِمَشْقَ حُشِيرِ النَّاسِ لِرُؤْيِيهِ ، وَصَعِدَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عِلِّيَّةٍ ^(٥) لَهُ مُتَطَلِّعًا ، فَبَيْنَمَا ^(٦) هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ فِي بَعْضِ الْحُجَرِ فِي قَصْرِهِ رَجُلًا مَعَ بَعْضِ حُرَمِهِ ^(٧) ، فَأَتَى الْحُجْرَةَ وَذُقَ الْبَابَ ^(٨) ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ فَتَحِهِ بُدً ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ^(٩) أَفَى قَصْرِي وَتَحْتَ جَنَاحِي تُهْزِلُكَ حُرْمِي [وَأَنْتَ فِي قَبْضَتِي] ^(١٠) ؟ مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَبَيَّهَتْ ^(١١) الرَّجُلُ وَقَالَ : حِلْمُكَ أَوْفَعَنِي . قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : فَإِنْ عَفَوْتَ

(١) هكذا في (م) .. وقد ورد البيتان في ط ١ كثير في تقديم وتأخير في بعض الألفاظ مما أفقد الكلام الوزن مثل : جعلت العقاب فيها عفوا .. والبيتان من مخلع البسيط .

(٢) الضميم : الظلم أو الإذلال ، ونحوهما . والبذل : العطاء والجود . والسرف : الإسراف .

(٣) في (م) : : تكون .

(٤) في (ط) : : للعدو .

(٥) في (م) : : في عِلِّيَّةٍ . وقد سبق شرحها .

(٦) في (ط) : : فينا . وكلاهما صحيح .

(٧) الحُرْمُ : جمع حُرْمَةٍ ، وتطلق على المرأة ، وعلى أهل الرجل ، وما لا يحل انتهاكه .

(٨) هكذا في (ط) .. وفي (م) : : فَأَتَى الْبَابَ .

(٩) في (ط) : : فقال : يا هذا . وفي (م) : : في بدون همزة الاستفهام ، وهذا جائز في اللفظ - على

التقدير .

(١٠) ما بين المعقوفين عن (ط) وهو وارد في المستطرف للأبشيبي وساقط من (م) .

[انظر للمستطرف ج ١ ص ٤١١ ، ٤١٢] .

(١١) في (م) : : قال : فبيَّهَتْ ، أى : شخب لونه من الحيرة والدهشة مأخوذاً بالحجة .

عَنْكَ تَسْتَرْهَا عَلَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ . وَهَذَا مِنَ الدَّهَاءِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَلِمِ
الْوَامِعِ أَنْ يُطْلَبَ السِّرُّ مِنَ الْجَانِي ، وَهُوَ عَرُوضُ قَوْلِ الشَّاعِرِ ^(١) :

إِذَا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَنُذِيبُونَ فَنَاتِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ ^(٢)

وَأَتَى مُوسَى الْهَادِي ^(٣) بِرَجُلٍ قَدْ جَنَى ، فَجَعَلَ يُقَرِّعُهُ بِذُنُوبِهِ وَيَتَهَدَّدُهُ ، فَقَالَ
الرَّجُلُ : إِنْ اعْتَذَرِي ^(٤) مِمَّا تُقَرِّعُنِي [به] ^(٥) رَدُّ عَلَيْكَ ، وَإِقْرَارِي بِمَا ذَكَرْتُهُ ذَنْبٌ ^(٦)
وَلَكِنِّي أَقُولُ :

فَإِنْ كُنْتُ تَرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً فَلَا تَرْهَدَنْ عِنْدَ الْمُعَافَاةِ فِي الْأَجْرِ

فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ . وَقَالَ الْمُتَهَلِّبُ ^(٧) : لَا شَيْءَ أَبْقَى لِلْمَلِكِ مِنَ الْعَفْوِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا
وَقَفَتْ رَعِيَّتُهُ مِنْهُ بِحُسْنِ الْعَفْوِ لَمْ يُوحِشْهَا الذَّنْبَ وَإِنْ عَظَّمَ ^(٨) ، وَإِنْ خَشِيتُ مِنْهُ

(١) عَرُوضُ قَوْلِ الشَّاعِرِ ، أَيْ : فَخَوَاهُ وَمَعْنَاهُ .

(٢) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي (م) و (ط) . وَهُوَ مِنَ الْبَسِيطِ . وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ : « إِذَا مَرَضْتُمْ أَتَيْنَاكُمْ » وَهَذَا خِلَافَ الْمُرَادِ .

(٣) هُوَ : أَبُو مُحَمَّدٍ ، مُوسَى الْهَادِي بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِبَغْدَادَ ،
وُلِدَ بِالرَّيِّ سَنَةَ ١٤٤ هـ - وَقِيلَ : سَنَةَ ١٤٧ هـ - وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةَ ١٦٩ هـ - وَكَانَ غَافِقًا بِجُرْجَانَ ،
فَأَقَامَ أَخُوهُ «الرَّشِيدَ» بَيْعَتَهُ ، وَاسْتَبَدَّتْ أُمُّهُ «الْخِزْرَانُ» بِالْأَمْرِ ، وَأَرَادَ خَلْعَ أَخِيهِ «هَارُونَ الرَّشِيدَ» مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ
وَجَمَلَهَا لِابْنِهِ جَعْفَرٍ ، فَلَمْ تَرَأَهُ ذَلِكَ ، فَزَجَرَهَا ، فَاحْتَالَتَ عَلَيْهِ حَتَّى سَخَّه . وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . وَذُفِنَ بِعَيْسَى آهَادَ ،
وَمُنْتَدَى خِلَافَتِهِ سَنَةَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . وَكَانَ طَوِيلًا جَسِيمًا ، شَجَاعًا ، جَوَادًا ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٣٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٢١ - ٢٥ ، وفوات الوفيات ج ٤ ص ١٧٣ -
١٧٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٦ - ٣٤٠ ، والمعارف ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ودول الإسلام للذهبي ج ١ ص ١١٣ ،
وتاريخ الطبري ج ٨ ص ١٨٧ وما بعدها ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٣ وما بعدها] .

(٤) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « قَالَ : اعْتَذَرِي » وَسَقَطَتْ كَلِمَةُ « الرَّجُلِ » مِنْهَا ..

(٥) فِي (م) : « فِيمَا تُقَرِّعُنِي » . وَمَا بَيْنَ الْمُعْقُوبَيْنِ عَنْ (ط) وَعَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٦) هَكَذَا فِي (ط) .. وَفِي (م) : « وَإِقْرَارِي بِمَا ذَكَرْتَ ذَنْبًا » . وَقَوْلُهُ : « ذَنْبًا » بِالنَّصْبِ ، خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ
بِالرَّفْعِ . وَرَبَّمَا سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ سَهْوًا غَامِلُ النَّصْبِ فِيهَا ، وَهُوَ الْفَعْلُ «لَزِمَ» حَيْثُ جَاءَتْ الْعِبَارَةُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ
هَكَذَا :

.... وَإِقْرَارِي بِهِ يُلْزِمُنِي ذَنْبًا لَمْ أَجِئْهُ . [انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠] .

(٧) فِي (م) : « الْهَلْبُ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَهُوَ الْمُتَهَلِّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٨) مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : « عَظَّمَ » إِلَى قَوْلِهِ : « صَغُرَ » عَنْ (ط) ، وَسَقَطَ سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

الْعُقُوبَةُ أَوْحَشَهَا الذُّنْبُ وَإِنْ صَنَعَ ، حَتَّى يَضْطَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَغْصِيَةِ .

وَمِنْ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ فِي مِثْلِ هَذَا قَوْلُ سَابُورَ ^(١) ، وَقَدْ جَمَعَ أَوْلَادَهُ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ^(٢)
 إِنْ أُعْجِزَكُمُ أَنْ تُثْمَلُوا قُلُوبَ الرُّعِيَةِ حُبًّا فَأَمْلَقُوهَا خَوْفًا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَنْ تُحْمَلَ الْعُقُوبَةُ
 عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا ^(٣) وَلَكِنْ تُعْجِلُهَا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا . وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ فَشَرُّكُمْ بِهِمْ مِنْ حَلْفَتِهِمْ ﴾ ^(٤) . وَهَذَا مَعْنَى لَا يَحْتَلُ عَمَّا أُوجِبَتْهُ ^(٥) وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ
 سَابُورَ ، وَلَا يُخَالِفُ مَا قَرَرْنَا مِنْ حُسْنِ الْعَفْوِ ، بَلْ هُوَ ^(٦) مَحْمُولٌ عَلَى الْوَاجِبِ
 الْمُسْتَحَقِّ ، أَوْ عَلَى مَا فِي تَرْكِهِ إِغْرَاءٌ بِرُكُوبِ ^(٧) أُمَثَالِهِ ، فَهَذَا هُنَا يَكُونُ الْعَفْوُ مَفْسَدَةً .

فَيَا أَيُّهَا الْمَعَاقِبُ ، إِذَا أَقَمْتَ عَلَى مُذْنِبٍ عُقُوبَةً فَلَا تُكُنْ كَالْمُتَلَذِّذِ بِعَذَابِهِ ،
 لِأَنَّكَ وَإِيَّاهُ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ ، آدَمَ وَحَوَّاءَ ، لَمْ تَفْضُلْهُ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، بَلْ بِمَا فَضَّلَكَ
 اللَّهُ بِهِ تَطَوُّلاً عَلَيْكَ ، فَادَّكُرْ ^(٨) لَوْ كُنْتَ فِي مَقَامِهِ وَكَانَ فِي مَقَامِكَ ، وَلَا تَأْمَنْ تَقَلُّبَ
 الدَّهْرِ فَتَقَوِّمَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ لَا يَرْحَمُ وَلَا يَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَاحْذَرِ التَّفْرِيطَ
 وَالتَّقْصِيرَ ، وَأَقِمْ نَفْسَكَ مُذْنِبًا أَقِيمَ لِلْعُقُوبَةِ ، وَلْيَكُنْ عِقَابُكَ مُقَدَّرًا كَمَا كَانَ عَطَاؤُكَ
 مُقَدَّرًا ، وَلْيَكُنْ عِقَابُكَ لِلتَّقْوِيمِ لَا لِلْإِتْقَامِ ، وَلِلزَّجْرِ لَا لِلْهَوَى . وَعَنْ هَذَا قَالَ
 بُزْجَمَهُرُ : لَا يَتَنَبَّيْ لِلْمُلُوكِ أَنْ يُكْرِمُوا أَحَدًا يَهْوَانِ ^(٩) مَنْ لَيْسَ لِلْهَوَانِ أَهْلًا ، وَلَا أَنْ
 يُهَيِّنُوا أَحَدًا بِإِكْرَامِ ^(١٠) مَنْ لَيْسَ لِلْكَرَامَةِ أَهْلًا .. لَا تُكُنْ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى

(١) اسم يُطلق على عدَّة ملوك من ملوك الفرس . وقد سبق التعليق عليه .

(٢) فقال : يا بنيَّ « ط » وساقط من « م » .

(٣) في « م » : « هل من يستحقها » . والمعنى يتطلب وجود « لا » النافية ، كما ورد في « ط » .

(٤) من الآية ٥٧ من سورة الأنفال . ومعناها : ففرق وبئذ وُخِوف بهم .

(٥) في « م » : « عَمَّا أُوجِبَتْ » .

(٦) في « ط » : « بل هذا » .

(٧) هكنا في « م » .. وفي « ط » : « إغرائَ بِرُكُوبِ » .

(٨) هكنا في « ط » .. وفي « م » : « فإنك » ولم يأت بعدها خبر « فإن » .

(٩) في « م » : « فهو ان » تحريف .

(١٠) في « م » : « بكرامة » .

الإحسان ، وَلَا عَلَى الْبُخْلِ اسْتَرْعَ مِنْكَ إِلَى الْبَذْلِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

صَفَوْحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا ^(١)

فَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى بِالْكَرْهِ لَمْ يَعْنِ مُسْلِمًا ^(٢)

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : التَّنْكِيلُ وَالْعُقُوبَةُ أُمْنِيَّةُ الْمَلِكِ الشَّرِيفِ ، وَعَلَى يَفْلِهِ يَتَعَثُّ اللَّهُ مَلَكًا غَيْرَ رَحِيمٍ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ غَضَبٌ أَوْ رِضًا إِلَّا لِلثَّوَابِ ^(٣) أَوْ عِقَابٍ . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ ^(٤) : فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَى السُّوقَةِ إِنَّمَا هُوَ بِقُدْرَتِهِ عَلَى اقْتِنَاءِ الْمَحَامِدِ وَاسْتِفَادَةِ الْمَكَارِمِ ، فَكُلَّمَا اسْتَكْتَرَ مِنْهُمَا بَاءَتْ فَضِيلَتُهُ وَاسْتَحَقَّقَتْهُ لِمَوْضِعِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ ، وَكُلَّمَا نَقَصَ مِنْهُمَا ^(٥) قَرَّبَ مِنَ السُّوقَةِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنِّي لِأَجِدُ لِعَفْوِي لَذَّةً أَعْظَمَ مِنْ لَذَّةِ الْإِتِقَامِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا عَاقَبَ الْمَلِكُ أَوْ أَهَانَ ^(٦) عَلَى ظَنٍّ بِغَيْرِ ^(٧) يَقِينٍ أَدْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قُبْحِ الْخَطَا فِي الرَّأْيِ أَعْظَمَ مِمَّا أَدْخَلَ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْقَائِلُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ ، وَمَا ظَفِرَ مَنْ ظَفَرَ بِالْإِنِّمِ . وَقِيلَ لِأَفْلَاطُونٍ : أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ يُشْبِهُ أَفْعَالَ اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ .

(١) الْأَجْرَامُ : جمع جرْم ، وهو الجريمة والذنب .

(٢) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « إِذَا مَا لَذَى » تحريف من الناسخ . وَلَمْ يَعْنِ ، يقال : غَشِيَهُ الْعَذَابُ : إِذَا أَتَاهُ ، أَوْ لَا يَسَهُ وَبَاشَرَهُ .

(٣) في « م » : « ثَوَابٍ » .

(٤) في « م » : « أُرْدَشِيرُ » بالزاي المعجمة . وقد سبق التعليق عليها .

(٥) في « م » : « مِنْهُمْ » . لا تصح .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « عَاقَبَ وَأَهَانَ » . وسقطت كلمة « الْمَلِكِ » سهواً من الناسخ ، والسياق يستدعي وجودها .

(٧) في « م » : « غَيْرِ » .

وَقَالَ الْحَكِيمُ : الْجَلْمُ إِذَا مَا السَّيْفِ (١) وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الْعَقْلِ . وَقَالَ الْحَكِيمُ : السَّيِّدُ
الَّذِي لَا يَشِينُ حُسْنَ الظَّهِيرِ بِفُجْحِ الْإِنْتِقَامِ ، وَخَيْرُ مَنَاقِبِ الْمُلُوكِ الْعَفْوُ . وَكَانَ يَخْيِي بَنُ
مُعَاذٍ (٢) يَقُولُ : سَبَّحَانَ مَنْ أَذَلَّ الْعَبْدَ بِالذَّنْبِ ، وَأَذَلَّ الذَّنْبَ بِالْعَفْوِ .. إِلَهِي ، إِنْ
عَفَوْتَ فَخَيْرٌ رَاحِمٍ ، وَإِنْ عَذَّبْتَ فَخَيْرٌ ظَالِمٍ .. إِلَهِي ، إِنْ كُنْتُ لَا تَرْضَى إِلَّا عَنْ أَهْلِ
طَاعَتِكَ ، فَكَيْفَ يَصْنَعُ الْخَاطِئُونَ ؟ وَإِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا أَهْلُ وَقَائِكَ ، فِمَنْ يَسْتَعِثُّ
الْمُسْتَعِثُّونَ ؟ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَنَّ اللَّهَ ذُو جِلْمٍ وَلَكِنْ لِعِزِّ الْجِلْمِ يَنْتَقِمُ الْحَلِيمُ (٣)
وَرَوَى أَنَّ الْحَجَّاجَ أَخَذَ أَخَا لِقَطْرِيَّ بْنَ الْفَجَّاءِ (٤) فَقَالَ : لَأَقْتُلَنَّكَ إِنْ قَالَ : وَلِمَ ؟

(١) هكذا في « ط » . والفِئَامُ : ما يُوضَعُ عَلَى الْقَمِ مِثْلًا لَهُ . وقد جاء هذا القول في حديث للإمام عليٍّ ، كَرَّمَ
اللهُ وَجْهَهُ ، ومعنى : أَنَّ الْجِلْمَ مِنَ السَّيْفِ يَعْطَى قَاهُ وَيُسَكِّتُهُ عَنْ سَفِيهِهِ . وفي « م » : « قوام السفيه » . أى : يقيمه
ويزيل اعوجاجه .

[انظر لسان العرب والمعجم الوسيط - مادة فَعَمَ] .

(٢) هو : يحيى بن مُعَاذِ بْنِ جَعْفَرِ الرَّازِي ، أَبُو زَكْرِيَا ، مِنَ الْوُحَاظِ الرَّاهِدِينَ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَظَرٌ فِي
وَقْتِهِ . تَوَفَّى بِنِيسَابُورَ سَنَةَ ٢٥٨ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ١٧٢ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٥١ - ٧٠ ، وطبقات الصوفية ص ١٠٧ -
١١٤ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٨١ ، ٨٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ وغيرها من الصفحات ،
وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٦٥ - ١٦٨ ، وقاريع بغداد ج ١٤ ص ٢٠٨ - ٢١٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص
١٣٨ ، ١٣٩ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٣ ص ١٥ ، ١٦] .

(٣) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « يز » بدل « لعز » تحريف . وقد ورد البيت في عيون الأخبار ،
وفيه : « بَقْدَرِ الْجِلْمِ يَنْتَقِمُ الْحَلِيمُ » .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٥ كتاب السؤدد ، ط الهيئة العامة للكتاب] .

(٤) في « ط » : « القطري » .. وفي « م » : « أخذ قطري » خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وقطريُّ هو : أَبُو نَعَامَةَ
قَطْرِيُّ بْنُ الْفَجَّاءِ ، (واسمه : جَعُونَةُ) بْنِ مَازِنَ بْنِ يَزِيدِ الْكِنَانِيِّ الْمَازِنِيِّ الْهَجَمِيِّ ، مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَزْدِ (الْخَوَارِجِ)
وَأَبْطَالِهِمْ . كَانَ خَطِيئًا ، فَارِسًا ، شَاعِرًا .. اسْتَفْضَلَ أَمْرَهُ فِي زَمَنِ مَصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ لَمَّا وَلِيَ الْعِرَاقَ نِيَابَةً عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ
اللَّهِ . وَبَنَى قَطْرِيُّ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَهْتَاطِلُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالْخَلِيقَةِ وَإِمَارَةِ الْمُؤْمِنِينَ - وَقِيلَ عَشْرِينَ سَنَةً -
إِلَى بَلَدِهِ « قَطْر » بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ ، وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ فِي الْحَرْبِ أَبَا نَعَامَةَ ، (وَنَعَامَةُ فَرَسُهُ) وَهُوَ صَاحِبُ الْآيَاتِ
الْمَشْهُورَةِ الَّتِي أَوَّلَاهَا « أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَلَرَتْ شِعَاعًا » قِيلَ سَنَةَ ٧٨ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي مَقْتَلِهِ ،
فَقِيلَ : عَثَرَتْ بِهِ فَرَسُهُ فَانْدَلَقَتْ فَخَذَهُ فَمَاتَ ، وَجِئَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ . وَقِيلَ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ سَفِيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ
فَقَاتَلَهُ ، وَقُتِلَ فِي الْمِرْكَةِ بِالرَّيِّ أَوْ بِطَبْرِسْتَانَ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، والبيان والبيان ج ١ ص ٣٤١ وغيرها من الصفحات ،
وفيات الأعيان ج ٤ ص ٩٣ - ٩٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ، وديوان شعر الخوارج ص ١١٩ ،
وانظر تاريخ الطبري وابن الأثير وغيرها من كتب التاريخ والأدب] .

قَالَ : لِيُخْرُوجَ أُخِيكَ عَلَيَّ . فَقَالَ : إِنَّ ^(١) مَعِيَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَأْخُذَنِي بِذَنْبِ أَخِي . قَالَ : هَاتِيهِ . قَالَ : إِنَّ ^(٢) مَعِيَ أَوْكَدَ مِنْهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(٣) . فَتَعَجَّبَ مِنْ جَوَابِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ . وَلَمَّا وَقَدَّ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ^(٤) عَلَى مُعَاوِيَةَ أَمَرَ لَهُ بِجَائِةٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ ، رَأَى فِي الطَّرِيقِ جَائِةَ بَارِئِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ ، قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِهَا ^(٥) ؟ قَالَ : تِلْكَ لِي غُلَامًا ، فَإِنْ أَغْضَبَنِي يَضْرِبُ مَفْرَقَكَ ^(٦) بِالسَّيْفِ : فَأَمَرَ لَهُ بِهَا ، فَأَتْبَاعَهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُسْلِمٌ بْنُ عَقِيلٍ ^(٧) ثُمَّ قَدِمَ مُسْلِمُ الشَّامَ ، فَأَتْبَاعَ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ

(١) في ط : ، : قال : فإن : .

(٢) في م : ، : فإن : .

(٣) وردت في عدة سور من القرآن الكريم :

— في سورة الأنعام ، من الآية ١٦٤ .

— وفي سورة الإسراء ، من الآية ١٥ .

— وفي سورة فاطر ، من الآية ١٨ .

— وفي سورة الزمر ، من الآية ٧ .

(٤) هو : عقييل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، وكنيته : أبو يزيد ، وأمّه : فاطمة بنت أسد بن هاشم .. صحابي ، فصيح اللسان ، شديد الجواب ، وهو أخو « علي » و « جعفر » لأبيهما ، وكان أسنّ منهما .. وهو أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها ، أخرجه قريش كرهًا ليقاتل معها ضد المسلمين في غزوة بدر ، فشهدا معهم ، وأسره المسلمون ، ففداه العباس بن عبد المطلب ، فرجع إلى مكة ، ثم أسلم بعد الحديبية ، وهاجر إلى المدينة سنة ٨ هـ ، وشهد غزوة مؤتة ، وثبت يوم حنين ، وفارق أخاه عليًا في خلافة ، ووفد إلى معاوية في ذنن لحقه ، وعسى في آخر أيامه . وكان الناس يأخذون عنه الأنساب والأخبار في مسجد المدينة . تولى سنة ٦٠ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٤٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٤٢ - ٤٤ ، والمهر ص ٤٥٧ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٦٣ - ٦٦ ، والمعارف ص ١٢٠ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٢٤] .

(٥) فيها : عن ط : .

(٦) المَفْرُقُ من الرأس : حيث يُفْرَقُ الشَّعْرُ .

(٧) هو : مسلم بن عقييل بن أبي طالب بن عبد المطلب ، تابعي ، من ذوى الرأي والعلم والشجاعة ، كان مقيمًا بمكة ، وانتدبه الحسين بن علي بن أبي طالب ليتعرف له حال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم بدعونه ويأبسون له ، فرحل مسلم إلى الكوفة فأخذ بيعة ١٨,٠٠٠ من أهلها ، وكتب للحسين بذلك ، فشرع به عبيد الله بن زياد (أمير الكوفة) فطلبه ، فسنعه الناس ، ثم تفرقوا عنه ، فأوى إلى دار امرأة من كندة فأخفته ، ولم يلبث أن عرف مكانه ، فقبض عليه ابن زياد وقتله سنة ٦٠ هـ ثم صلبه . وفي الكوفة ضريح يُقال إنه قبره الذي دُفِنَ فيه ، وهو معروف باسمه . [انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢٢ ، والمهر ص ٥٦ و ٤٨٠ وغيرها من الصفحات ، وطبقات ابن سعد ج ٤ =

ضَيْعَةً ^(١) قَبَلَغَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ الْحَبْرَ ، فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : إِنِّي لَا أُجِيزُ بَيْعَ مُسْلِمٍ .
فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مُسْلِمٍ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ الْحُسَيْنِ يَأْمُرُ بِرَدِّ الْمَالِ . فَقَالَ مُسْلِمٌ : أَمَّا
دُونُ أَنْ أُضْرِبَ مَفْرَقَكَ بِالسَّيْفِ فَلَا . فَفَضَحَكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَهَدَّدَنِي أَبُوكَ
بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَشْتَرِيَ أُمُّكَ ، وَسَوْغَهُ الْمَالُ ^(٢) ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ [حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ] ^(٣) :
عَلَيْنَا مُعَاوِيَةُ جُلْمًا وَجُودًا .

= ص ٤٢ في ترجمة عفيف بن أبي طالب ، والمعارف ص ٢٠٤ ، والطبري ج ٥ ص ٣٤٧ - ٣٨١ ، وابن الأثير ج ٣ صفحات كثيرة متفرقة [.

(١) في م : : : جارية .

(٢) سَوْغَهُ الْمَالُ : تركه خالصاً له .

(٣) ما بين المقوقين عن م : وساقط من ط : .

البَابُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْمُشَاوَرَةِ وَالنَّصِيحَةِ

وَهَذَا الْبَابُ مِمَّا يَعْلَمُهُ ^(١) الْحُكَمَاءُ مِنْ أَسَاسِ الْمَمْلَكَةِ ، وَقَوَاعِدِ السُّلْطَنَةِ ، وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الرَّئِيسُ وَالْمَرْءُوسُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ^(٢) فِي بَابِ الْخِصَالِ الْفِرْقَانِيَّةِ ، وَنَذَكُرُ [هَاهُنَا] ^(٣) فَوَائِدَهَا وَمَحَاسِنَهَا .

اعْلَمُوا أَنَّ الْمُسْتَشِيرَ ، وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ رَأْيًا مِنَ الْمُسِيرِ ، فَإِنَّهُ يَزْدَادُ بِرَأْيِهِ رَأْيًا ، كَمَا تَزْدَادُ النَّارُ بِالسَّلِيطِ ^(٤) ضَوْءًا ، فَلَا يُقَدَّرَنَّ فِي رُوعِكَ ^(٥) أَنَّكَ إِذَا اسْتَشَرْتَ الرِّجَالَ ظَهَرَ [لِلنَّاسِ] ^(٦) مِنْكَ الْحَاجَةُ إِلَى رَأْيِ غَيْرِكَ ، فَيَمْنَعُكَ ذَلِكَ عَنِ الْمُشَاوَرَةِ ، فَإِنَّكَ لَا تَرِيدُ الرَّأْيَ لِلْفَخْرِ بِهِ ، وَلَكِنْ لِلِإِتِّفَاعِ بِهِ ، فَإِنْ ^(٧) أَرَدْتَ الذِّكْرَ كَانَ أَفْخَرُ لِلذِّكْرِ ، وَأَحْسَنُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ لِسِيَاسَتِكَ أَنْ يَقُولُوا : لَا يَنْفَرِدُ بِرَأْيِهِ دُونَ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ إِخْوَانِهِ ،

(١) لِي م : : : تَعْلَمُهُ ، وكلاهما صواب .

(٢) لِي م : : : ذَكَرْنَاهُ . والخصال الفرقانية : هي التي ورد الشرع بها ، والتي تفرق بين الحق والباطل .

(٣) ما بين المعرفين عن ط : وساقط من م : .

(٤) السَّلِيطُ : الزُّهْتُ . أو دهن الزيت الذي يستخدم في المصاييح .

(٥) أَيْ : فِي عَقْلِكَ ، أَوْ نَفْسِكَ ، أَوْ قَلْبِكَ .

(٦) ما بين المعرفين عن ط : وساقط من م : .

(٧) لِي م : : : وَإِنْ .

الْمَأْمُونُ لِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ^(١) : صِيفٌ لِي أَخْلَاقِ الْمَخْلُوعِ - يَغْنَى أَخَاهُ الْأَمِينُ -
فَقَالَ : كَانَ وَاسِعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقُ الْأَدَبِ ، يُتَبَّعُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْتَاهُ هِمَمُ الْأَخْرَارِ ،
وَلَا يَصْنَعُ ^(٢) إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةً ، يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ، فَيَرَى سُوءَ عَاقِبَتِهِ ، فَلَا ^(٣)
يَرُدُّهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُ بِهِ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَتْ حُرُوبُهُ ^(٤) ؟ قَالَ : يَجْمَعُ الْكَتَائِبَ
بِالتَّيْدِيرِ ^(٥) وَيُفَرِّقُهَا بِسُوءِ التَّيْدِيرِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِذَلِكَ مَاحِلٌ مَحَلُّهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ
لَذَاذَةَ النَّصَاحَةِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَةَ ^(٦) الرُّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ شَهَوَاتِهَا ، مَا ظَفِرَ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْغَادُ الْمُلُوكِ الْأُمُورَ بِغَيْرِ ^(٧) رُويَةٍ ، كَالْجَبَادَةِ بِغَيْرِ نِيَّةٍ . وَلَمْ تَزَلِ
الْعُقُلَاءُ عَلَى اخْتِلَافِ آرَائِهِمْ يَسْتَهْدُونَ الْعُيُوبَ ، وَيَسْتَشِيرُونَ ^(٨) صَوَابَ الرَّأْيِ مِنْ كُلِّ ،
حَتَّى الْأُمَةِ الْوَكْعَاءِ ^(٩) . هَذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى

(١) هو : طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، أبو الطيب ، وأبو طلحة ، من كبار الوزراء والقواد أديبا
وحكمة وشجاعة ، وهو الذي وطَّدَ المُلْكُ للمأمون ، وُلِدَ في بوشنج (من أعمال خراسان) سنة ١٥٩ هـ ، وسكن
بغداد ، فاتصل بالمأمون في صباه ، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد ، ولما مات الرشيد وولى الأمين ، كان المأمون في
« مرو » فالتفت طاهرا للزحف إلى بغداد ، فهاجها ، وظفر بالأمين وقله سنة ١٩٨ هـ . وعقد البيعة للمأمون ،
فولاه شرطة بغداد ، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب في السنة نفسها ، وولاه خراسان سنة ٢٠٥ هـ .
مات مقتولا بمرو - وقيل : مات مسموما سنة ٢٠٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٢١ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٥٣ - ٣٥٥ ، وشنرات الذهب ج ٢
ص ١٦ ، ١٧ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥١٧ - ٥٢٣ ، ونهار القلوب ص ٢٩١ ، والمعارف ص ٣٨٥ ،
وما بعدها . والطبرى ج ٨ صفحات متفرقة ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ، والبداية والنهاية ج ١٠] .

(٢) في « ط » : لا مُصْنِعًا .

(٣) في « م » : ولا .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : فكيف حروبه ؟

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : بالتدبير . تحريف .

(٦) في « م » : مشورات .

(٧) في « م » : من غير .

(٨) يستهدون العيوب : أى يطلبون مَنْ يهْدِي إليهم عُيُوبَهُمْ . وهذه عن « عيون الأخبار » .. وفي « م » ،
و « ط » : يستهدون العيوب .. ويستشرون : ينشرون .

(٩) هكذا في « عيون الأخبار » .. وفي « م » : من كُلِّ أَحَدٍ حَتَّى لِلأُمَةِ الْوَكْعَاءِ .. وفي « ط » : حَتَّى الإِمْعَةِ
الْوَكْعِ .. والوكعاء : مِنَ الْوَكْعِ ، وَهُوَ مِيلَانٌ فِي صَدْرِ الْقَدَمِ نَحْوَ الْخَيْصَرِ ، وَبِمَا كَانَ فِي إِبْهَامِ الْيَدِ ، وَأَكْثَرُ مَا
يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْإِمَاءِ اللَّائِقِ بِكَذِّذْنِ فِي الْعَمَلِ .. أَمَّا الْإِمْعَةُ ، فَهُوَ الْمُرْتَدُّ الَّذِي لَا يَبْقَى عَلَى شَيْءٍ . وَالْوَكْعُ :
المرضى .

إِلَى عِيُوبَى . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُنْعَمَ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُنْعَمَ
الْمَزِيدُ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الثَّوْبَةُ لَمْ يُنْعَمَ الْقَبُولُ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْاسْتِخَارَةَ لَمْ يُنْعَمَ الْخَيْرَةُ ^(١))
وَمَنْ أُعْطِيَ الْمَشُورَةَ لَمْ يُنْعَمَ الصَّوَابُ .. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فِطْرِهِ ،
وَأَخْيَرُهُ خَيْرٌ مِنْ تَقْدِيمِهِ .

وَذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ التَّاجِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وُزَرَاءَهُ ، فَقَالَ
أَحَدُهُمْ ^(٢) : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا ، فَإِنَّهُ أَمُوتُ لِلسَّرِّ ،
وَأَحْزَمُ فِي الرَّأْيِ ، وَأَجْدَرُ لِلسَّلَامَةِ ، وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ ^(٣) .. وَكَانَ بَعْضُ
مُلُوكِ الْعَجَمِ إِذَا شَاوَرَ مَرَاتِبَهُ فَقَصَّصُوا فِي الرَّأْيِ ، دَعَا الْمُوَكَّلِينَ ^(٤) بِأَرْزَاقِهِمْ فَعَاقَبَهُمْ ،
فَيَقُولُونَ تُحْطِئُ مَرَاتِبُكَ وَتُعَاقِبُنَا ١٩ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، لَمْ يُحْطِئُوا إِلَّا لِمَتَلَقَّ قُلُوبُهُمْ
بِأَرْزَاقِهِمْ ، وَإِذَا ^(٥) اهْتَمُّوا أَخْطَفُوا . وَكَانُوا إِذَا اهْتَمُّوا بِمُشَاوَرَةِ رَجُلٍ بَعَثُوا إِلَيْهِ بِقُوَّتِهِ .
وَقُوَّتُ عِيَالِهِ لِسِتَةٍ ^(٦) لِيَتَفَرَّغَ لَهُ . وَكَانَ يُقَالُ : النَّفْسُ إِذَا أَحْرَزَتْ قُوَّتَهَا اطمأنَّت .

وَإِذَا شَاوَرَتْ فَاصْذُقِ الْخَبَرَ تَصْذُقُكَ الْمَشُورَةُ ، وَلَا تُكْثِمِ الْمُسْتَشَارَ قُوَّتِي مِنْ قِبَلِ
نَفْسِكَ . وَقَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَجَمِ : لَا يَمْتَنِعُنِكَ شِدَّةُ بَاسِكَ فِي بَاطِنِكَ ، وَلَا عُلُوُّ
مَكَانِكَ فِي نَفْسِكَ مِنْ أَنْ تَجْمَعَ إِلَى رَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ ، فَإِنْ أُخْضِمْتَ ^(٧) أُخْبِتَتْ ، وَإِنْ
أُخْطِئَتْ ^(٨) عُذِرَتْ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خِصَالًا ، مِنْهَا : إِنْ وَافَقَ رَأْيُكَ رَأْيَ غَيْرِكَ إِذَا

(١) الْخَيْرَةُ : الْإِخْتِيَارُ .

(٢) هَكَذَا فِي « ط » ، وَهُوَ الْخَاسِبُ هُنَا لِلْسِّيَاقِ .. وَفِي « م » : « لِأَحَدِهِمَا ، لَا تَصَحُّ .

[انْظُرْ عِيُونَ الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢٧ - كِتَابُ السُّلْطَانِ ، بَابُ الْمَشَاوَرَةِ وَالرَّأْيِ] .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » مَا عَدَا « بَعْضٌ » فَهِيَ عَنْ « م » ، وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ .. وَالْعِبَارَةُ فِي « م » : « وَأَرْزَقَهُمُ الرَّأْيَ ،
وَأَخَذُوا وَأَعْفَى لِبَعْضٍ مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ » .

(٤) فِي « م » : « الْمُوَكَّلِينَ » .

(٥) فِي « م » : « فَإِذَا » .

(٦) فِي « ط » : « لِسِتَةٍ » .

(٧) أُخْضِمَ الرَّجُلُ : قُتِلَ مَا يُخْضَمُ عَلَيْهِ ، فَصَارَ عَمُودًا .

(٨) فِي « م » : « أَتُفَقِّتُ » .

رَأَيْكَ شِدَّةً عِنْدَكَ ، وَإِنْ خَالَفَكَ ^(١) عَرَضْتَهُ عَلَى نَظَرِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُعْتَلِيًا ^(٢) لِمَا رَأَيْتَهُ قَبْلَتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ مُنْصَبِحًا ^(٣) اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُ ، وَتَجِدُ بِذَلِكَ ^(٤) التَّصْبِيحَةَ مِنْ شَاوَرَتِهِ وَإِنْ أخطأ ، وَتَمَحَضُ ^(٥) لَكَ مَوَدَّتُهُ وَإِنْ قَصُرَ .. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضِيلَةِ الْمُشَاوَرَةِ إِلَّا أَنَّكَ إِنْ أَصَبْتَ ^(٦) مُسْتَبِدًا سَلِبْتَ فَايِدَةَ الْإِصَابَةِ بِالسَّيَةِ الْحَسَدَةِ ، وَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا اتِّفَاقٌ ، وَلَوْ فَعَلَ كَذَا ^(٧) لَكَانَ أَحْسَنَ ، وَإِذَا شَاوَرْتَ فَأَصَبْتَ أَحْمَدَ ^(٨) الْجَمَاعَةَ رَأَيْكَ ، لِأَنَّهُمْ لِنُفُوسِهِمْ يَحْمَدُونَ ، وَإِنْ أخطأكَ حَمَلَ الْجَمَاعَةَ عَنْكَ ^(٩) ، لِأَنَّهُمْ عَنْ نُفُوسِهِمْ يُكَافِهُونَ ^(١٠) .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَوْلَ الْغَلِيظَ يُسْتَمَعُ لِفَضْلِ عَاقِبَتِهِ ، كَمَا يُتَكَارَهُ شَرْبُ الدَّوَاءِ الْمُرِّ لِفَضْلِ مَعْنِيَتِهِ ^(١١) . وَقَالَ أَغْرَابِيُّ : مَا عَثَرْتُ قَطُّ حَتَّى عَثَرَ قَوْمِي . قِيلَ لَهُ ^(١٢) : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ .. وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبَسَ : مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ يَأْتِي عَبَسَ ! فَقَالَ ^(١٣) : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ ، وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ وَنَحْنُ نَطِيعُهُ ، فَكَاثَا أَلْفُ حَازِمٍ . [وَيُضْبِهُ هَذَا قَوْلَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا أَطَعْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ] ^(١٤) . وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صُحْبَةٍ مِنْ غَايَتِهِ نَحَاصَةُ

(١) فِي « ط » : « خَالَفَكَ » .

(٢) مُعْتَلِيًا : غَالِبًا مَرْتَفَعًا .

(٣) مُنْصَبِحًا : مِنَ الصُّبْحَةِ ، وَهِيَ خِلَافُ الرُّفْعَةِ فِي الْقَدْرِ .. وَفِي « ط » : « مُنْصَبِحًا » .

(٤) فِي « م » : « وَذَلِكَ أَنَّهُ تَجِدُ فِي ذَلِكَ » .

(٥) تَمَحَضُ : تَحْلُلُ .. وَفِي « ط » : « تَمَحَضُ » . وَفِي عِبَرِ الْأَخْبَارِ : « يَمَحَضُ » بِالْيَاءِ .

(٦) فِي « ط » : « أَصَبْتَهُ » .

(٧) فِي « م » : « فَعَلَ هَذَا » .

(٨) فِي « م » : « فَأَحْمَدَ » هِيَ : أَتَوْنَا عَلَيْكَ .

(٩) فِي « ط » : « حَمَلَ الْجَمَاعَةَ خَطَاكَ » .

(١٠) فِي « م » : « يَكَاغُفُوا » ، خَطَاً ، وَالصَّوَابُ ثُبُوتُ النَّوْنِ .

(١١) كَلِمَةُ « الْمُرِّ » عَنْ « ط » وَسَقَطَتْ مِنْ « م » . وَالْمَعْنَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ .

(١٢) فِي « ط » : « قَالُوا » .

(١٣) فِي « م » : « مَا بَنَى عَبَسَ ، مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ ! فَقَالُوا » .

(١٤) مَا بَيْنَ الْمُعَظِّمِينَ عَنْ « م » وَسَاقَطَ مِنْ « ط » .

الْأَزَاقَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ : إِنَّ مِنْ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ لِمَنْ يَمْلِكُهُ ذَوْنٌ مَنْ يَبْصُرُهُ ^(١) .

فَصَلِّ فِي النَّصِيحَةِ ^(٢)

اَعْلَمُوا أَنَّ النَّصِيحَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْجَارًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُؤِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ ^(٣) .. وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ^(٤) .. ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ ^(٥) .. وَقَالَ ﷺ ^(٦) : ﴿ إِنْ الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ﴾ ^(٧) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، قِيلَ : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ﴿ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِعَامَتِهِمْ ﴾ ^(٩) .

(١) هكذا في عيون الأخبار .. وفي م : « عند من يملكه » .. وفي ط : « دون من لا يبصره » ، بزيادة لا . لا تصح .

(٢) كلمة فصل ١ عن ط ولم ترد في م .

(٣) من الآية ٣٤ من سورة هود .

(٤) من الآية ٩٣ من سورة الأعراف .. وآسى : أْحْزَنَ .

(٥) من الآية ٧٩ من سورة الأعراف . وهذا القول حكاه الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا صالح - عليه السلام - حينما عقر قومه الناقة فأخذتهم الرجفة - أو الصيحة - فأصباحوا جثًا هاملة لا حراك بها ، ﴿ فَزَلْنِي عَنْهُم ﴾ وقال : يا قوم ، لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، ولكن لا تحبون الناصحين .

(٦) في ط : « عليه السلام » .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب العقق ، باب : العبد إذا أحسن عبادة ربه ، ونصح سيده .. ومسلم في كتاب الإيمان ، باب ثواب العبد إذا نصح لسيده . وما لك في الموطأ ، في كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في المملوك وبيته .

(٨) ما بين المعقوفين عن م .

(٩) هكذا الحديث في ط .. وفي م : جاءت عبارة « إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ » مرة واحدة لم تتكرر ، وكلاهما مَرْوًى .. وَرَوَى الحديث مرة عن أبي هريرة ، وأخرى عن ابن عمر ، وثالثة عن نعيم الدار . وقد أخرجه البخاري في آخر كتاب الإيمان .. ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة .. والترمذي في أبواب البر والصلة ، والنسائي في كتاب البيعة - النصيحة للإمام .. والدارمي في كتاب الرقائق ، باب الدين النصيحة .. وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في النصيحة .

فَالْتَصْنُحُ فِي الْجُمْلَةِ : فَعَلَ الشَّيْءَ الَّذِي بِهِ الصَّلَاحُ وَدَفَعَ الْمَلَامَةَ ^(١) ، مَاخُذٌ مِنَ النَّصَاحَةِ ، وَهِيَ السُّلُوكُ الَّتِي يُخَاطَبُ بِهَا ، وَتُصَغَّرُهَا نُصِيحَةٌ ، نَقُولُ الْعَرَبُ : هَذَا قَبِيصٌ مَنْصُوحٌ ، أَيْ : مَخِيطٌ ، وَنُصَحْتُهُ نُصْحًا إِذَا خِطَّتُهُ ^(٢) .

وَيَخْتَلِفُ النُّصْحُ فِي الْأَشْيَاءِ لِاخْتِلَافِ الْأَشْيَاءِ ، فَالْتَصْنُحُ لِلَّهِ ^(٣) هُوَ : وَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَتَرْبِيئُهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ عَقْلًا ^(٤) وَقَوْلًا ، وَالْقِيَامُ بِتَعْظِيمِهِ ، وَالْخُضُوعُ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّهِ ، وَالْتِبَاعُ مِنْ مَسَاحِطِهِ ، وَمُؤَالَاةٌ مِنْ أَطَاعِهِ ، وَمُعَاذَاةٌ مِنْ عَصَاةٍ ، وَالْجِهَادُ فِي رَدِّ الْعَصَاةِ إِلَى طَاعَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَإِرَادَةُ ^(٥) بَثِّ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي عِبَادِهِ .

وَالنُّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ : إِقَامَتُهُ فِي التَّلَاوَةِ ، وَتَحْسِينُهُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ ، وَتَفْهَمُ مَا فِيهِ ، وَاسْتِعْمَالُهُ ، وَالذَّبُّ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْمُجْرِمِينَ وَطَعْنِ الطَّاعِينَ ، وَتَعْلِيمُ مَا فِيهِ لِلْمُخَلَّاتِ أَجْمَعِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كِتَابُ الزُّكَاةِ إِلَيْكَ مَبَرَكًا لِيَذْكُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٦) .

وَالنُّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مُؤَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ ، وَالْحِمَايَةُ مِنْ ذَوْنِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِالطَّلَبِ ، وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ فِي بَثِّ الدَّعْوَةِ وَتَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الطَّاهِرَةِ .

وَالنُّصِيحَةُ لِلْإِثْمَةِ : مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى مَا تَكَلَّفُوا الْقِيَامَ بِهِ ، فِي تَنْبِيهِهِمْ عِنْدَ الْعَقْلَةِ ،

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « والملامة » .. وسقطت كلمة « دفع » سهواً من الناسخ . ولا يصح الكلام بدونها .

(٢) انظر لسان العرب -- مادة « نصح » .

(٣) هنا في « م » « كرر الناسخ جملة « الخضوع له » سهواً منه ، وستأتي بعد قليل .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « عَمَّا لَيْسَ بِأَهْلٍ لَهُ عَقْلًا » .

(٥) في « م » : « وإراد » .

(٦) الآية ٢٩ من سورة « ص » .

وَأَرْشَادِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ ، وَتَغْلِيهِمْ مَا جَهِلُوا ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِمَّنْ يُرِيدُ بِهِمُ السُّوءَ ، وَإِعْلَامِهِمْ بِأَخْلَاقِ عُمَالِهِمْ [وَسِيرِهِمْ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَسَدِّ خَلَّتِيهِمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَتُصْرَتِهِمْ فِي جَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ] ^(١) وَرَدَّ الْقُلُوبِ النَّافِرَةَ إِلَيْهِمْ .

وَالْتَّصُحَّ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ : الشُّفَقَةُ عَلَيْهِمْ ، وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ ، وَالرُّحْمَةُ لِصَغِيرِهِمْ ، وَتَغْيِيرُ كُرْبِهِمْ ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى مَا يُسْعِدُهُمْ ، وَتَوْقِي مَا يَشْغُلُ خَوَاطِرَهُمْ وَيَفْتَحُ بَابَ الْوَسَاوِسِ ^(٢) عَلَيْهِمْ . وَمِنَ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ رَفْعُ مُؤْنَةِ نَفْسِهِ وَتَبَذُّهُ وَخَوَاتِجِهِ عَنْهُمْ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : لَقَطَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثَوَاةً مِنَ الطَّرِيقِ ، فَأَمْسَكَهَا بِيَدِهِ حَتَّى مَرَّ بِدَارِ قَوْمٍ فَأَلْقَاهَا فِي الدَّارِ وَقَالَ ^(٣) : يَا كُلُّهَا دَا جَنَّهُمْ ^(٤) .

وَالْتَّصُحَّ لِجَمِيعِ النِّمْلِ : أَنْ يُحِبَّ إِسْلَامَهُمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْقَوْلِ ^(٥) ، وَيُحَذِّرَهُمْ سُوءَ مَعْبَةِ الْكُفْرِ ، وَبِالسَّيْفِ إِنْ كَانَ ذَا سُلْطَانٍ ، أَوْ يَكْفُوا عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَيَكُونُوا ذِمَّةً ، وَإِلَّا فَالْقَتْلُ نَصْحًا لِلَّهِ ^(٦) لِإِقَامَةِ أَمْرِهِ فِيهِمْ . وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ النَّبِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : « ثَلَاثٌ لَا يُقَالُ عَلَيْهِنَّ قُلُوبُ مُسْلِمٍ : الْعَمَلُ لِلَّهِ ، وَمُنَاصَحَةُ وَلَاةِ الْأَمْرِ ، وَالْإِعْتِصَامُ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تَحِيَّطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ » ^(٧) . وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٨) :

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : « الوسواس » وهو : الحديث الخفي المختلط الذي لا تقع فيه ولا خير . جمعه : « وسواس » .

(٣) في « م » : « وقال » .

(٤) الدَّاجِن : كُلُّ مَا أَلْفَ الْبُيُوتِ وَأَقَامَ بِهَا ، مِنْ حَيَوَانٍ وَطَيْرٍ . جَمْعُهُ : « دَوَاجِن » .. وفي « م » : « يأكلها » .

دَجَاجُهُمْ .

(٥) في « م » : « بالقبول » .

(٦) في « ط » : « نَصْحًا لِإِقَامَةِ » .

(٧) في « م » : « مَنْ وَرَأَاهُمْ » . والحديث أخرجه الترمذی فی أبواب العلم ج ١٠ ص ١٢٦ بشرح ابن العری .

(٨) هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي ، الأنصاري ، السلمي ، صحابي ، ولد سنة ١٦ قبل الهجرة ، وشهد العقبة في السبعين من الأنصار ، وهو من المكثرين في الرواية عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة .. غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له في أواخر أيام حياته حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم . روى له البخاري ومسلم وغيرهما . توفي - رحمه الله - سنة ٧٨ هـ على الأرجح ، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة .

« بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَلَقَنَنِي : فِيمَا اسْتَطَعْتُ ، وَالنَّصِيحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » ^(١) . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ^(٢) قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَلْعَلَّمُ يُلْفُهُ الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالْحِكْمَةُ يَنْطَلِقُ بِهَا الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالنَّصِيحَةُ لِلَّهِ تَعَالَى لَا تُثَبَّتُ ^(٤) إِلَّا فِي قُلُوبِ الْمُتَّخِبِينَ ، الَّذِينَ صَحَّتْ عُقُولُهُمْ ، وَصَدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ . وَاعْلَمْ أَنَّ جُرْعَةَ النَّصِيحَةِ مَرَّةٌ لَا يَبْقَلُهَا إِلَّا أَوْلُو الْعَزَمِ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَى عُيُوبِي . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ : قُلْ لِي فِي وَجْهِ مَا أُكْرَهُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْصَحُ أَخَاهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فِي وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ . وَقَالَ مَالِكٌ : النَّصِيحَةُ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ هِيَ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا أَنْبِيََاءَهُ .

وَمِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ الْقَصْدُ وَالنَّصِيحَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ فِي أُمُورِهِمْ ، وَالتُّفُوسُ مُسْتَقْبَلَةٌ لِلنَّصِيحِ ، نَافِرَةٌ عَنْ أَهْلِهِ ، وَمَائِلَةٌ إِلَى مَا وَافَقَ هَوَاهَا . وَفِي مَثُورِ الْحِكْمِ : وَدَكَ مَنْ نَصَحَكَ ، وَقَلَاكَ ^(٥)

= [انظر الأعلام ج ٢ ص ١٠٤ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، والتاريخ الكبير للبخارى ج ٢ ص ٢٠٧ ، والمخير ص ٢٩٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٤ ، وسر أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ١٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١١٢ ، ١١٣] .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، عن جرير بن عبد الله ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، وأبو داود فى كتاب الأدب ، باب فى النصيحة ، وجميع الزوائد ج ١ باب فى النصيحة .

(٢) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ج ١ ص ٥٧ من فتح البارى . ومسلم فى كتاب الإيمان ، باب « من خصال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك » ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ بشرح النووى .

(٤) أى : لا تستقر . وفى « ط » : « لا تثبت » .

(٥) قَلَاكَ : أَبْغَضَكَ .

مَنْ مَشَى فِي هَوَاكَ . وَكَانَ يُقَالُ : أَتُحَوِّكُ مَنْ احْتَمَلَ يُقَالَ ^(١) تَصِيحَتِكَ . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ ^(٢) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّي لِزَيْدٍ فَقَالَ غَشَشْتَنِي ، وَالنَّصْحُ مُرٌّ
وَمَالِي أَنْ أَكُونَ نَصَحْتُ زَيْدًا وَزَيْدٌ طَاهِرُ الْأَنْوَابِ بُرٌّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنْ زَيْدًا يُقَالُ عَلَيْهِ فِي مَعْنَاهُ شَرٌّ ^(٣)
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُقَالُ عَلَيْكَ ، إِنَّ الْحَرَّ حَرٌّ
وَقَالَ آخَرُ :

وَعَلَى النَّصُوحِ نَصِيحَتِي وَعَلَى عِصْيَانِ النَّصُوحِ ^(٤)
وَلِلْقَطَامِيِّ ^(٥) :

وَمَعْصِيَةُ الشُّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا تَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعًا ^(٦)

(١) في « ط » : : أنقل .

(٢) في « ط » : : وقال بعضهم شعراً .

(٣) في معناه : أي في المنزل الذي غشى به عن الناس .. وفي « م » : : في تقناه ، وهي الأرض العرة الطين المستوية ، أو القاع الذي يمسك الماء .

(٤) النصوح : الذي يبلغ إلى النصح أو يخلص فيه .

(٥) في « ط » : : وللقطامي شعر .

والقطامي هو : عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ بن عمرو بن عبَّاد ، من بني جُشَمِ بن بكر ، أبو سعيد التغلبي ، الملقب بالقطامي ، شاعر غزل ، فحل ، وهو أول مَنْ لُقِّبَ « صريع الغواني » ، وكا من نصارى تغلب في العراق ، وأسلم ، وهو ابن أخت الأخطل الشاعر النصراني المشهور ، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين ، وقال : الأخطل أبعد منه ذكراً ، وأتمن شعراً . توفي نحو سنة ١٣٠ هـ . والقطامي بضم القاف وضحها ، مأخوذ من الليث ، أو الصقر ، المشتهى اللحم .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ، ٨٩ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٢٣ - ٧٢٦ ، والأغاني ج ٢٨ ص ٩٤٥٧ - ٩٤٩٣ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧٢ ، وانظر سلسلة تاريخ الأدب العربي ج ٢ العصر الإسلامي ، د . شوقي ضيف ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والقطامي حياته وشعره . د . زكي عابدين ط المعارف - إسكندرية] .

(٦) الشفيق : المشفق .. وتزيدك منه استماعاً : وذلك لما وقع بك من سوء .. وفي العقد الفريد ، والشعر والشعراء : « يزيدك » . واليهتان من قصيدة يَتَوَهَّ الشاعر فيها يُوَفِّرُ بن الحارث الكلابي ويحده حين فُكِّه من الأسر ، وأعطاه مائة من الإبل ، وردَّ عليه ما سَلِبَ منه في الحرب التي نشبت بين قبيلة الشاعر « تغلب » و « قيس » في أثناء فتنة ابن الزبير .

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعَهُ الْبَاطِلُ
وَلَوْ رَقَّةٌ بِنِ تَوْفَلٍ ^(١) :

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَمٍ وَقُلْتُ لَهُمْ
لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتِهِ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هَرَمٍ ، يَوْمًا غَزَاؤُهُ
أَنَا التَّذِيرُ فَلَا يَمُرُّكُمْ أَحَدٌ ^(٢)
إِلَّا إِلَالَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ ^(٣)
وَالْحُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادَ فَمَا حَلَدُوا ^(٤)

= [انظر سلسلة تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، د . شوقي ضيف ، والعقد الفريد ج ١ ص ٦١ ،
والشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٢٤ . والقصيد في الأغاني ج ٢٨ ص ٩٤٨١ ، ٩٤٨٢ ولم يرد البيتان فيها .
(١) في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : أن هذا الشعر نسبوه إلى ورقة بن نوفل ، وزعموا أنه قاله حين رأى
قريشاً مُعَذَّبَ بِلَالاً على إسلامه . وكذا وردت في الحزانية ، وفي نسب قريش .

ورقة : هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، من قريش ، حكيم جاهل ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام وتَنَصَّرَ ،
وقرأ كتب الأديان ، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني .. أدرك ورقة أوائل عصر النبوة ولم يدرك الدعوة ،
وهو ابن عم السيدة خديجة أم المؤمنين .. وفي حديث ابتداء الوحي بغار حراء أن النبي ، صلى الله عليه وسلم رجع إلى
خديجة وقرانه يرغب ، فأخبرها ما حدث له ، فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل - وكان شيخاً كبيراً قد غيى -
فقال له خديجة : يا بن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا بن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره الرسول : صلى
الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ليتي فيها جَدْع (أى : شأناً
صغيراً ، ليكون أمكن لنصره) ليتي أكون حياً إذ يخرجك قومك ! فقال الرسول : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم
يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً .
وتولى ورقة سنة ١٢ قبل الهجرة تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١١٤ ، ١١٥ ، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٨ - ٣٠٢ ، والكمال ج ٢ ص ٣١ ،
والبدلية والنهاية ج ٢ ص ٢٢١ و ٢٢٥ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ج ١ ص ٢٣ ،
وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٩٧ - ٢٠٤ باب بدء الوحي ، والمغرب ص ١٧١ ، والمعارف ص ٥٩ ،
والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥٠٠ - ٥٠٤ ، وج ٩ ص ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ونسب قريش ص
٢٠٧ ، وحرزاة الأدب ج ٣ ص ٣٨٩ - ٣٩٥ .]

(٢) هذا البيت منسوب أيضاً إلى أمية بن أبى الصلت ، وزيد بن عمرو بن نفيل .

[انظر الأبيات الثانية التي منها هذه الأبيات الثلاثة في نسب قريش ص ٢٠٨ ، وحرزاة ج ٣ ص ٣٨٩ ، وانظر
المفصل ج ٩ ص ٧٠٣ .]

(٣) يودى : يهلك وبغنى بالموت .. وفي نسب قريش ، وحرزاة الأدب ، وطبقات ابن سعد : « تَبْقَى إِلَالَهُ » بدل
« إِلَّا إِلَالَهُ » والشرطة الأولى في طبقات ابن سعد : « لَا شَيْءَ فِيمَا تَرَى إِلَّا بِشَاشَتِهِ » قاله عمر بن الخطاب ممتثلًا به .

[انظر الطبقات ج ٣ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .]

(٤) هَرَمَز : من ملوك المعجم .. وعادَ : قوم هود .

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ ^(١) : إِنَّمَا يُحْسِنُ الْإِخْتِيَارَ لِغَيْرِهِ مَنْ يُحْسِنُ الْإِخْتِيَارَ لِنَفْسِهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِيمَنْ لَا خَيْرَ لَهُ فِي نَفْسِهِ . وَقَالَتِ الْعُلَمَاءُ ^(٢) : لَنْ يَنْصَحَكَ أَمْرٌ لَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ ^(٣) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ وَرَأَيْتُكَ فِي الْمَعْرِفَةِ أَمْثَلُ لِنَفْسِكَ مِنْ رَأْيِكَ ، لِأَنَّهُ جَلَوْ ^(٤) مِنْ هَوَاكَ . وَقَالَ أَبُو الذَّرْدَاءِ : إِنْ شِئْتُمْ لَا تُصَحِّحْ لَكُمْ : إِنْ أَحَبَّ عِبَادُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ نُصْحًا .. وَرَوَى أَنْ رَجُلًا لَطَمَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : إِلَهِي ، إِنْ كُنْتُ تُثَبِّتُنِي وَتُعَاقِبُهُ فَلَا تُثَبِّتُنِي وَلَا تُعَاقِبُهُ ^(٥) . وَمِنْ الْخِصَالِ الَّتِي تُجْرِي مَجْرَى الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ الْجِلْمُ ^(٦) .

(١) هو : عبد الله بن وهب بن مسلم ، الفهري بالولاء ، أبو محمد ، تقيه من الأئمة ، من أصحاب الإمام مالك ، ولد بمصر سنة ١٢٥ هـ ، وجمع بين الفقه والحديث والعبادة ، وله تصانيف كثيرة ، وكان حافظاً ثقة مجتهداً ، وعُرض عليه القضاء فحباً نفسه ولزم بيته . توفي - رحمه الله - بمصر سنة ١٩٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١٤٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨] .

(٢) في م : « الحكماء » .

(٣) في م : « نفسه » وكلاهما صحيح .

(٤) يَجْلُو : يَحَال .

(٥) في م : « إِنْ كُنْتُ تُثَبِّتُنِي وَتُعَاقِبُهُ ، فَلَا تُثَبِّتُنِي وَلَا تُعَاقِبُهُ » .

(٦) الْجِلْمُ : الْأَنَاءُ وَضَبُّ النَّفْسِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْجِلْمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْنَعِ الصَّنُفْعَ الْجَمِيلَ ﴾ ^(٢) . قَالَ عَلِيُّ ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّنُفْعُ الْجَمِيلُ ، الرُّضَا بِلَا عِتَابٍ . وَقِيلَ : الصَّنُفْعُ الْجَمِيلُ ، الرُّضَا بِلَا تَوْبِيخٍ فِيهِ وَلَا حِقْدٍ مَعَهُ .. وَفِي الْأَمْثَالِ الْقَدِيمَةِ : كَادَ الْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا . وَتَرَوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ وَلَا تُكْثِرَ ^(٤) عَلَيَّ فَأَنْسَى . قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجِلْمَ أَشْرَفُ الْأَخْلَاقِ وَأَحَقُّهَا بِدَوَى الْأَلْيَابِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ رَاحَةِ السَّرِّ وَاجْتِلَابِ الْحَمْدِ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهِ السُّلْطَانُ ، لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ لِإِقَامَةِ أَوْدِ الْخَلْقِ ^(٥) وَمُمَارَسَةِ أَخْلَاقِهِمْ ، وَلَا يُطِيفُونَ بِهِ فِي حَالِ سِلْمِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَغْشَوْنَ بَابَهُ حِينَ تَنَازَعِهِمْ

(١) الآية ٧٥ من سورة هود .

(٢) من الآية ٨٥ من سورة الحجر .

(٣) في « م » : « وقال علي بن أبي طالب » .

(٤) في « ط » : « ولا يكثر » . وأعيش بهن ، أى : أتضع بهن في معيشتى . والحديث رواه مالك في الموطأ ، في كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في الغضب ، وأخرجه البخارى في كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، والترمذى في كتاب البر .

(٥) في « ط » : « والحلائق » .

وَحُصُومَاتِهِمْ وَشُرُورِهِمْ ، وَكَذَّبُوا نُفُوسَهُمْ ، وَضَيَّقُوا خَلْقَهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ جِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ بَوَادِرَهُمْ ^(١) ، وَإِلَّا وَقَعَ تَحْتَ عِبَاءٍ ثَقِيلٍ . وَكَانَ أَنْوَشِيرُوَانُ ذَا جِلْمٍ وَأَنَاةٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : فِيَّ خَصْلَتَانِ ، لَوْلَا أَنَّهُمَا ظَاهِرَتَانِ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ لَضَرَبْتُ بِهِمَا ذَرْعًا : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ .

وَرَوَى أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ^(٢) لَقِيَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) فَقَالَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ الْأَشْيَاءِ [فِي الدَّائِنِ] ^(٤) . قَالَ : غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ : [يَا رُوحَ اللَّهِ] وَمَا يَنْجِيْنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ [تَعَالَى] ؟ قَالَ : تَرْكُ الْغَضَبِ . قَالَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، كَيْفَ بُدُّوْهُ ^(٥) الْغَضَبِ ؟ قَالَ : التَّعَزُّزُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالْفَخْرُ عَلَى النَّاسِ . وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَغْضَبَ فَحَرِمَ » .

وَالَّذِي يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَلُ ^(٦) فِي هَذَا الْبَابِ قِصَّةُ إِسْحَاقَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : « يَا بُنَيَّ إِنْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ

(١) بَوَادِرُهُمْ : مَا يَثُرُ مِنْهُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ مِنْ خَطَا أَوْ سَقَطٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : « فَلَنْ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ » . وَفِي « م » : « بَوَادِرِهِمْ » أَيْ : مَا يَلُو مِنْهُمْ .

(٢) هُوَ : سَيِّدُنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَعِنْدَ النَّصَارَى يُسَمَّى « يوحنا المعمدان » ، لِأَنَّهُ كَانَ يَحْتَمِدُ بِالْمَاءِ لِلتَّوْبَةِ .. مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَدْ وَهَبَهُ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا زَكَرِيَّا فِي شَيْخُوخَتِهِ ، وَبِرَغْمِ عَقَمِ زَوْجَتِهِ ، وَخَصَّةِ اللَّهِ بِمَوَاهِبِ عَظِيمَةٍ ، مِنْهَا جِدَّةُ الذِّكَاةِ وَالْقَطْعَةُ ، وَأَنَّهُ بَصِيرَةٌ فِي التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَتَفْهِيمِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ . وَكَانَ بَارًّا بِوَالِدَيْهِ وَخَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ .. قَتَلَهُ الْمَلِكُ « هِيرُودُس » وَقَدَّمَ رَأْسَهُ إِلَى « سَالُومِي » بِنَاءً عَلَى طَلْبِهَا ، وَذَكَرُوا فِي سَبَبِ قَتْلِهِ أَنَّهُ وَقَفَ ضِدَّ رَغْبَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ فِي زَوَاجِهِ بِهَا ، وَكَانَتْ مِنْ مَحَارِمِهِ .. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

[انْظُرْ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ لِأَمِنْ كَثِيرٍ ص ٤٧٠ - ٤٨٠ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٥٢ ، ٥٣ ، وَانْظُرْ تَقْسِيمَ الْآيَاتِ : ٣٨ - ٤٠ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، وَالْآيَاتِ مِنْ : ١ - ١٥ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ ، وَالْآيَاتِ ٨٩ ، ٩٠ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ] .

(٣) فِي « ط » : « عَلَيْهِمُ السَّلَامُ » .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضَيْنِ عَنْ « ط » وَسَاقِطٌ مِنْ « م » فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ .

(٥) بَدُّوا الْغَضَبَ : أَيْ بَدَأُوهُ وَظَهَرُوهُ ، مِنْ بَدَأَ يَبْدُو بُدْءًا ، إِذَا ظَهَرَ . أَمَّا « يَبْدُو » بِكَسْرِ الْبَاءِ وَضَعِ الدَّالِ مَعَ كَسْرِ الْوَاوِ الْمَشْدُودَةِ فَضَى : الْآفَةُ وَالْمَرَضُ . وَالْأَوَّلُ أَزْجَهُ .

(٦) هَكَذَا فِي « م » . وَفِي « ط » : « وَالَّذِي يَجْمَلُ أَنْ يُضْرَبَ » .

مَا تَوَمَّرُ سَجْدَتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ^(١) .. ثُمَّ إِنَّهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ ^(٢) وَأَمَرَ عَلَى خَلْقِهِ ^(٣) السَّكِينِ ، فَلَمْ يَقُلْ إِلَّا خَيْرًا ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَبِشْنَاهُ بِمَلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ^(٤) .

وَفِي الْأَخْبَارِ يَقُولُ إِبْلِيسُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ : إِنَّ الْحَدِيدَ مِنَ الرِّجَالِ لَمْ يَنَاسْ ^(٥) مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ يُخَيِّ الْمَوْتَى بِدُعَائِهِ ، لِأَنَّهُ ثَانِي عَلَيْهِ سَاعَةً يَحْتَدُّ فِيهَا فَيَصِيرُ مِنْهُ إِلَى مَا يُرِيدُ ^(٦) . وَيُرَوَّى أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ^(٧) دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ ، وَقَدْ اسْتَحْفَظَهُ الْغَضَبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ إِنَّمَا تَغْضَبُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَلَا ^(٨) تَغْضَبُ لَهُ بِأَكْثَرٍ مِنْ غَضَبِهِ لِنَفْسِهِ .

وَأَعْلَمُ - أُرَشِدَكَ اللَّهُ - أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَا قِيَمَةَ لَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ، فَمَا أَفْخَمَهَا وَأَجَلْ قَدَرَهَا وَأَعْظَمَ شَأْنَهَا ! لِأَنَّكَ إِذَا كُنْتَ أَيُّهَا السُّلْطَانُ إِنَّمَا تَنْصَرِّفُ فِي مُلْكِ اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَاللَّهُ ^(٩) تَعَالَى قَدْ حَدَّدَ حُدُودًا ، وَشَرَعَ شَرَائِعَ ، وَأَقَامَ

(١) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .. وقد اختلف المفسرون في الذبح مَنْ هو ، فقيل : إنه « إسحاق » ، وهذا قول عمر ، وعلي ، والعباس بن عبد المطلب ، وابن مسعود ، وكعب الأحبار ، وسعيد بن جبير ، وقاتدة ، ومسروق ، وعكرمة ، والزهري ، والسدي ، ومقاتل ، رضى الله عنهم . وقيل : إنه « إسماعيل » . وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، والشعبي ، ومجاهد ، والكلبي ، واحجوا على ذلك بقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « أَنَا ابْنُ الذَّيْحَيْنِ » يريد إسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب ، وأن الذبح كان بمكة ، وإسحاق لم يكن بمكة ، بل كان بالشام ، وإسماعيل هو الذي شارك في بناء البيت مع أبيه ، وهو الذي وصِفَ بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِكْفِيلًا كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ وهو صبره على الذبح .. وقد أورد المفسرون حججًا أخرى كثيرة على أن الذبح هو إسماعيل دون إسحاق ، وكان الزَّجَّاج يقول : الله أعلم أيهما الذبح . [انظر تفسير الفخر الرازي ، المجلد الثالث عشر ، الجزء السادس والعشرين ص ١٥٢ - ١٥٥] .

(٢) ثَلَاثَ لَيَالٍ : أَسْبَجَهُ عَلَى جَبْهِهِ عَلَى الْأَرْضِ .

(٣) فِي « م » : « وَأَمَرَ حَلَقَهُ عَلَى السَّكِينِ » .

(٤) الآية ١٠١ من سورة الصافات . وفي « م » و « ط » : « وَبَشَّرَنَاهُ » بالواو . والآية بالفاء .

(٥) فِي « م » : « نَاسٌ » .

(٦) فِي « م » : « فَصَبْرٌ مِنْهُ إِلَى مَا يُرِيدُ » .

(٧) هو : جعفر بن محمد بن الأشعث . من ولادة الرشيد على « خراسان » .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣١ وغيرها من الصفحات] .

(٨) فِي « ط » : « وَلَا » .

(٩) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فِي مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَاللَّهُ .. » .

فَرُوضًا وَسُنَّةً ، وَنَهَى عَنِ خُلُودٍ وَرُسُومٍ ، ثُمَّ قَدَّرَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ حَدًّا مَخْدُودًا ، وَنَهَى أَنْ يَتَجَاوَزَ ذَلِكَ الْحَدَّ ، فَلَا يُقْتَلُ مَنِ اسْتَحَقَّ الْقَطْعَ وَالْحَبْسَ وَالْأَدَبَ وَالْحَدَّ ، وَلَا يُحْبَسُ غَيْرُ مَنْ اسْتَوْجَبَ الْحَبْسَ .

وَكَاتِبَ الْخُلَفَاءِ يُؤَدَّبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ ، فَمَنْ عَثَرَ مِنْ ذَوِي الْمُرَوَّاتِ أُقِيلَتْ عَثْرَتُهُ وَلَمْ يُقَابَلْ بِشَيْءٍ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ » ^(١) . وَمَنْ سِيَّوَاهُمْ كَانَ يُقَابَلُ عَلَى قَدْرِ مَنَزَلِهِ وَهَفْوَتِهِ ، فَكَانَ ^(٢) يُقَامُ قَائِمًا فِي مَجْلِسٍ يَقْعُدُ فِيهِ نُظَرَاؤُهُ ، فَتَكُونُ هَذِهِ عُقُوبَتُهُ ، وَآخَرُ يُشَقُّ جَبِيَّتُهُ ^(٣) ، وَآخَرُ تُنَزَعُ عِمَامَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ ، وَآخَرُ يُكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الَّتِي فِيهِ بَعْضُ الْغِلْظَةِ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٤) : كَاتِبَ الْعَصَاةِ فِي زَمَنِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، إِذَا أُحِذَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ [بِعَثْرَةٍ] ^(٥) تُزَعَّتْ عِمَامَتُهُ ، وَطِيفَ بِهِ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى قَوْمِهِ ، وَقِيلَ : هَذَا أُحِذَ بِكُفْرِهِ ^(٦) ، فَلَمَّا وَلِيَ زِيَادَ ضَرْبَهُمْ وَنَزَعَ عِمَامَتَهُمْ ، فَلَمَّا وَلِيَ مُصَنَّبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ حَلَقَ مَعَ الضَّرْبِ رُءُوسَهُمْ ، فَلَمَّا وَلِيَ بِشَرِّ بْنِ مَرْوَانَ ^(٧) أَقَامَهُمْ عَلَى الْكُرَاسِيِّ ، ثُمَّ مَدَّتْ أَيْدِيَهُمْ وَسَمَرَهَا بِسِمَارٍ ، ثُمَّ نَزَعَ الْكُرْسِيَّ مِنْ تَحْتِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَحْرِمَ يَدَهُ ، فَمِنْ مَيِّتٍ وَمِنْ حَيٍّ ^(٨) ، فَلَمَّا وَلِيَ الرَّجُلُ الْمَعْرُوفُ بِالْحَجَّاجِ قَالَ : كُلُّ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الخلود ، باب في الحد يُشْفَعُ فِيهِ ج ٤ ص ١٣١ ط الدار المصرية ، واستثنى في آخره الخلود ، فقال : « أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَوَاصِمَ إِلَّا الْخُلُودَ » .

(٢) في م : « » وكان .

(٣) جيب القميص ونحوه : ما يُدْخَلُ منه الرأس عند نُبْسِهِ .

(٤) هو : عامر بن شراحيل ، وقد مرت ترجمته ، والشَّعْبِيُّ نسبة إلى « شعب » جبل باليمن ، وقيل : بطن من عُثْمَانَ .

(٥) ما بين المقنوعين عن م : « » .

(٦) أُحِذَ بِكُفْرِهِ : أَيْ يَسْقُطُ بِهِ . وفي م : « » لِقَوْلِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ : « لَقُلْتُ بِكُفْرِهِ » وَالْقُرْآنُ : مُزْجِعُ الْخَافَةِ مِنْ فُرُوجِ الْجُلْدَانِ يُمِثُّ عَلَى دَارِ الْحَرْبِ أَوْ الْقَوْرَةِ .

[انظر اللسان - مادة نغر] .

(٧) هو : بِشَرُّ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ ، مِنَ الْأُمَرَاءِ ، كَانَ سَمِيحًا جَوَادًا ، وَلَهُ إِثْرَةٌ مِنَ الْعَرَفِينَ (البصرة والكوفة) لأخيه عبدالملك سنة ٧٤ هـ ، وهو أول أمير مات بالبصرة . توفي سنة ٧٥ هـ عن أربعين سنة وتوفي .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٥٥ ، والمعارف ص ٣٥٥] .

(٨) في م : « » وبين مقتول .

هَوْلَاءِ يَلْمُ ، مَنْ أَخَذَ بِغُرِّهِ ، ضَرَبَ عَنْقَهُ ^(١) . وَقَالَ أُرْسِنَا طَالِيسُ : النَّفْسُ الدَّلِيلَةُ لَا تَجِدُ أَلَمَ الْهَوَانِ ، وَالنَّفْسُ الشَّرِيفَةُ يُؤَثِّرُ فِيهَا ^(٢) يَسِيرُ الْكَلَامُ ، وَفِيهِ قِيلَ :
مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَالِ الْجُرْجِ بِمَيِّتٍ إِبْلَامُ ^(٣)

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ تَجَاوَزَ فِي الْعُقُوبَةِ فَوْقَ مَا خَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا ، شَارَكَ الْمُجْرِمَ فِي الدُّنْبِ ، وَاسْتَوْجَبَ مَا اسْتَوْجَبَهُ الْمُجْرِمُ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَتَبَيَّنَ فِي الْآخِرَةِ ^(٤) أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَاقَبُ لِلْهَوَى وَالتَّشَفَّى ، إِذَا فَمَا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى . وَفِي كِتَابِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الْقَاهِرُ لِنَفْسِهِ أَشَدُّ مِمَّنْ يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ [وَخَدَهُ] ^(٥) ، وَصَدَّقَ نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٦) ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ وَيَقْهَرُ أَهْلَهَا ، وَيَغْلِبُ جُنُودَهَا وَحَمَائَهَا ، وَيَقْتُلُ أَبْطَالَهَا ، ثُمَّ يَغْلِبُهُ شَهْوَتُهُ وَيَبْقَى أُسِيرًا فِي ذُلِّ هَوَاهُ ، قَدْ قَهَرْتُهُ قِيَتُهُ يَطْنُبُورَهَا ^(٧) ، أَوْ قَدْ حُ خَمِرٍ يَذْهَبُ بِعَقْلِهِ .

وَقَالَ أَكُنْ مِنْ صَنِيفَى ^(٨) : الصَّبْرُ عَلَى جُرْعِ الْحِلْمِ أَغْذَبُ ^(٩) مِنْ جَنَى لَمَرِ النَّدَمِ .

(١) في م : « مَنْ أَخَذَ بِغُرِّهِ ضَرَبَتْ عَنْقَهُ » .


(٢) في م : « لَيْسَ » تحريف .

(٣) البيت لأبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي من قصيدة يمدح فيها أبا الحُسَيْنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ المُرِّي الحِرَاسِي ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مَوَدَّةٌ بِطَبْرِية . ومعنى البيت : أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ هَيِّئًا فِي نَفْسِهِ ، سَهَلَ عَلَيْهِ احْتِمَالُ الْهَوَانِ ، كَالْمَيِّتِ الَّذِي لَا يَتَأَلَّمُ بِالْجِرَاحَةِ .

[انظر ديوان المتنبي ج ٤ ص ٢١٧ للبرقوق ، وشرح ديوان أبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي لأبي العلاء المُرِّي ج ٢ ص ٢٢٢ سلسلة ذخائر العرب . ط دار المعارف] .

(٤) في م : « بِالْآخِرَةِ » .

(٥) ما بين الموقوفين عن « ط » .

(٦) في « ط » : «  » .

(٧) القِيَتَةُ : الْأُمَّةُ ، وَغَلِبَ عَلَى السُّنَّةِ . وَالطَّنْبُورُ : آتَةٌ مِنَ آلَاتِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ .

(٨) هو : أَكُنْ مِنْ صَنِيفَى بْنِ رِيَاحِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غُخَاشِ التَّيْمِيِّ ، حَكِيمِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَحَدِ الْمُعْجَرِينَ ، عَاشَ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَقَصَدَ الْمَدِينَةَ فِي مِائَةِ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُونَ الْإِسْلَامَ ، فَسَاتَ فِي الطَّرِيقِ سَنَةً ٩ هـ ، وَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ ﷺ ، وَأَسْلَمَ مِنْ بَلْغِ الْمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ . وَأَعْيَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٦ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، وَالْمُهَيَّرُ ص ١٣٤ ، وَالْمَعَارِفُ ٢٩٩] .

(٩) في م : « أَغْظَمُ » .

وَسَأَلَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَثِيرًا مِنْ كِبَرَاءِ فَارِسَ عَنْ أُجُودٍ
مُلُوكِهِمْ ^(١) عِنْدَهُمْ ، فَقَالَ : لِأَرْدَشِيرَ فَضْلُ السَّبِقِ ، غَيْرَ أَنْ أَحْمَدَهُمْ سِيرَةَ أُنُوشِرْوَانَ .
قَالَ : فَأَيُّ أَخْلَاقِهِ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْحِلْمُ وَالْأَمَانَةُ . فَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
هَمَا تَوَاقُمٌ يَتَّبِعُهُمَا ^(٢) غُلُوُّ الْهَيْمَةِ .

وَمِنْ مَخْمُودِ السَّيِّرَةِ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ مِنْ أَخْلَاقِكَ أَنَّكَ لَا تَعْجَلُ بِالثَّوَابِ
وَلَا بِالْعِقَابِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَذْوَمُ لِيَخُوفِ الْخَائِفِ وَرَجَاءِ الرَّاجِي . وَقَالَ مَخْمُودُ
الْوَرَّاقِ ^(٣) :

سَأَلْتُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ	وَأَنْ عَظُمَتْ مِنْهُ عَلَى الْجَرَائِمِ ^(٤)
فَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ	شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلُ مَقَامٍ ^(٥)
فَأَمَّا الَّذِي قَوْفِي فَأَعْرِفُ فَضْلَهُ	وَأَتَّبِعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَائِمٌ ^(٦)
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صُنْتُ عَنْ	إِجَابَتِهِ نَفْسِي وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ ^(٧)
وَأَمَّا الَّذِي يَتْلُو فَإِنْ زَلَّ أَوْهَمَا	تَفَضَّلْتُ إِنْ الْحِلْمَ بِالْفَضْلِ حَاكِمٌ ^(٨)

(١) هكذا في « م » وفي العقد الفريد .. وفي « ط » : « كثيرًا من كبراء فارس : مَنْ أَحْمَدَ مُلُوكَهُمْ ... » .
[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٣ باب الحِلْم] .

(٢) في « م » : « يتبعهما » .

(٣) هو : محمود بن حسن الوراق ، شاعر ، أكره شعره في المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبي الدنيا . وتوفي في
خلافة المعتصم في حدود سنة ٢٣٠ هـ على الأرجح . والأبيات الخمسة في « أدب الدنيا والدين » منسوبة إلى الخليل
ابن أحمد .

[انظر غوات الوفيات ج ٤ ص ٧٩ - ٨١ ، وطبقات الشعراء ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، والأعلام ج ٧ ص ١٦٧ ،
وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٨٧ - ٨٩ ، وأدب الدنيا والدين ، الفصل الرابع من الباب الخامس ص ٣٠٦ ، والعصر
النباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٤٠٩ - ٤١٣] .

(٤) هكذا البيت في « م » ، و « ط » وفي المستطرف ج ١ ص ٤١٨ .. وفي العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٢ وأدب
الدنيا والدين .. والشطرة الثانية من البيت في المرجعين الأخيرين : « وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَى الْجَرَائِمِ » .
(٥) في العقد الفريد : « وما » بدل « فما » .

(٦) في المستطرف وأدب الدنيا والدين : « فَأَعْرِفُ قَلْدَرَةً » في الشطرة الأولى .. وفي العقد الفريد : « والحق قالم »
في الشطرة الثانية .

(٧) هكذا البيت في « ط » وفي العقد والمستطرف ، ولم يرد في « م » . والبيت في أدب الدنيا والدين :

فَأَمَّا الَّذِي قَوْفِي فَأَعْلَمُ دَائِمًا أَصُونُ بِهِ عِزِّي وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ

(٨) في المستطرف : « إِنْ الْحُرَّ بِالْفَضْلِ حَاكِمٌ » .. وفي العقد : « إِنْ الْفَضْلُ لِلْحُرِّ لَائِمٌ » .. وفي أدب الدنيا
والدين : « إِنْ الْفَضْلُ بِالْفَضْلِ حَاكِمٌ » .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أُعْرَابِيًّا يَقُولُ : أَسْرَعَ النَّاسِ جَوَابًا مَنْ لَمْ يَغْضَبْ ..
لَا تُوقَدَنَّ بَيْنَ جَنَّتَيْكَ جَمْرَةٌ الْغَضَبِ ، وَارْذُدْ إِسَاءَتَهُ ^(١) بِالْحِلْمِ ، فَإِنَّ شَجَرَ النَّارِ إِذَا
الْحُتَّ عَلَيْهَا الرِّيحُ نَحَاكَتْ أَغْصَانَهَا فَتَشْتَعِلُ نَارًا وَتَحْتَرِقُ مِنْ أَصُولِهَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) : ثَلَاثٌ مَنِ اجْتَمَعْنَ فِيهِ فَقَدْ سَعِدَ : مَنْ
إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَإِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ، وَإِذَا قَدَّرَ
عَفَّ وَكَفَّ .. وَسُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَدِّ الْحِلْمِ فَقَالَ : وَكَيْفَ يُعْرَفُ فَضْلُ شَيْءٍ
لَمْ يَرِ كَمَالُهُ فِي أَحَدٍ ^(٣) ؟ .

وَقَالَ الْأَخْثَنْفُ [لِأَخِيهِ] ^(٤) : يَا بَنِيَّ ، إِنْ أُرِدْتَ أَنْ تُؤَاخِي رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ
أَنْصَلَكَ ^(٥) وَإِلَّا فَاحْذَرهُ .. وَكَانَ سَلَمٌ ^(٦) بِنُ نُوْفَلٍ سَيِّدَ بَنِي كِنَانَةَ ، فَضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ
قَوْمِهِ بِسَيْفِهِ ، فَأَخَذَ فَاتِيًّا بِهِ إِلَيْهِ ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَلْدَى فَعَلْتَ ؟ أَمَا خَشِيتُ الْإِتْقَامِي ؟
قَالَ : فَلِمَ سَوَّدْنَاكَ ^(٨) ، إِلَّا أَنْ تُكْظِمَ الْغَيْظَ ، وَتَعْفُوَ عَنِ الْجَانِي ، وَتَحْلَمَ عَنِ الْجَاهِلِ ،
وَتَحْتَمِلَ الْمَكْرُوهَ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ ؟ فَحَلَى سَبِيلَهُ ، فَقَالَ قَاتِلُهُمْ ^(٩) :
يُسَوِّدُ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بَلِ السَّيِّدُ الْمَعْرُوفُ سَلَمٌ بِنُ نُوْفَلٍ ^(١٠)

(١) في م : : : إساءتك .

(٢) في م : : : رحمة الله عليه .

(٣) قوله : : : في أحد ، عن ط .

(٤) ما بين المعرفتين عن ط . وساقط من م .

(٥) جواب الشرط محذوف ، تقديره : فأخيه .

(٦) في م : : : مسلم ، تحريف .

(٧) في العقد الفريد : : فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما ، فأتى به

[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٦] .

(٨) في العقد : : فَلِمَ سَوَّدْنَاكَ إِذَا : وَسَوَّدْنَاكَ : جعلناك سيئاً .

(٩) في ط : : : فقال قاتلهم شعراً .

(١٠) في العقد : : بل السيّد الصّديّد . والصّديّد من الناس : الشريف الشجاع .

وَقَالَ رَجُلٌ [مِنْ كَلْبٍ] ^(١) لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَّانَةَ ^(٢) : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ
لَأُعْطِيَنَّكَ عَطِيَّةً مَا يُعْطِيهَا الْعَبِيدُ ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ .. وَمِنْ أُمْتَالِ الْعَرَبِ :
أَحْلَمُ تُسَدُّ .. وَيُرْوَى أَنَّ هِشَامًا ^(٣) غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ فَشَتَّمَهُ ، فَوَبَّحَهُ
الرَّجُلُ وَقَالَ ^(٤) : أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تُشْتَمَنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؟ فَأَطْرَقَ هِشَامٌ
وَاسْتَحْيَا وَقَالَ لَهُ : اقْصُرْ . فَقَالَ : أَنَا إِذَا سَفِيتُ مِثْلَكَ . قَالَ : فَخُذْ بِذَلِكَ ^(٥) عِوَضًا
[مِنْ الْمَالِ] ^(٦) . قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ . قَالَ : فَهَبْنَاهَا لِلَّهِ . قَالَ مَيِّ اللَّهُ ثُمَّ لَكَ ..
فَتَكَسَّرَ هِشَامٌ رَأْسُهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا .. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدُ أَقْوَامَ وَإِنْ شَرُّوْا حَتَّى يَذِلُّوْا وَإِنْ عَزَّوْا لِأَقْوَامٍ ^(٧)
وَيُشْتَمُّوْا فَحَرَى الْأَلْوَانِ مُسْفِرَةً لاصْفَحْ ذَلَّ وَلَكِنْ صَفَحْ إِكْرَامٍ ^(٨)

(١) ما بين المعقوفين عن ط ١ . وكَلْبٌ : قبيلة معروفة .

[انظر نهاية الأرب للقلقشندي ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ط دار الكتاب المصري - اللبناني ، ومعجم قبائل العرب
لكحالة ج ٣ ص ٩٩١ ، ٩٩٢ .]

(٢) هو : الْحَكَمُ بْنُ عَوَّانَةَ الْكَلْبِيُّ ، كَانَ وَالِيًا عَلَى السَّنَدِ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى خِرَاسَانَ سَنَةَ
١٠٩ هـ بَعْدَ غَزْوِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ (أمير العراق) وَكَانَ عَالِمًا بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَنْسَابِهَا .

[انظر وفيات الأعيان ج ٧ ص ١٠٥ ، ١٠٨ ، والبداءة والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٧٠ ، والكمال لابن الأثير
ج ٤ ص ٢٠٠ ، وإنباء الزواة ج ٢ ص ٣٦١ .]

(٣) هو : الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وقد مر التعريف به .

(٤) ق ١ ط ١ : فَقَالَ لَهُ .

(٥) هكذا في م ١ .. وفي ط ١ : فَقَالَ : فَخُذْ مِنْ ذَلِكَ وَاسْقُطِ الضَّمِيرَ « أَنَا » قَبْلَهَا .

(٦) ما بين المعقوفين عن ط ١ . وساقط من م ١ .

(٧) هكذا البيت في ط ١ ، وفي المستطرف .. وفي م ١ : « لم يبلغ » . وزاد الناسخ ألقا في « الأقوام » سهواً
منه . والشرطة الأولى من البيت في العقد الفريد وأدب الدنيا والدين :

لَنْ يَهْدِيَكَ الْمَجْدُ أَقْوَامَ وَإِنْ كَرِهُوا ،

[انظر المستطرف ج ١ ص ٤١٩ ، والعقد ج ٢ ص ٣٨ ، وفي المصدر الأخير « لا » بدل « لن » .. وأدب الدنيا
والدين ص ٣٠٤ .]

(٨) هكذا البيت في م ١ ، و ط ١ والمستطرف .. ومُتَشَبِّهَةٌ : مُشْرِقَةٌ . وفي العقد الفريد :

وَيُشْتَمُّوْا فَحَرَى الْأَلْوَانِ كَاسِفَةً لِأَذَلَّ غَضِبَ وَلَكِنْ ذَلَّ أَخْلَامَ

وفي أدب الدنيا والدين : « صَفَحَ أَحْلَامَ » .. وكاسفة : متغيرة .

وَقَالَ آخَرُ :

وَجَهْلٌ رَدَدْنَاهُ بِفَضْلِ حُلُومِنَا وَلَوْ أَتْنَا شَيْئًا رَدَدْنَاهُ بِالْجَهْلِ ^(١)
رَجَحْنَا وَقَدْ خَفَّتْ حُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَعُدْنَا عَلَى أَهْلِ السَّفَاهَةِ بِالْفَضْلِ

وَقَالَ هِشَامُ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ^(٢) : صِيفٌ لِي الْأَخْفَافُ بْنُ قَيْسٍ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ شِئْتَ أَخْبِرْتُكَ عَنْهُ بِثَلَاثٍ ^(٣) ، وَإِنْ شِئْتَ بِاثْنَتَيْنِ ، وَإِنْ شِئْتَ بِوَاحِدَةٍ . فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْهُ بِثَلَاثٍ . قَالَ : كَانَ لَا يَحْرِصُ ، وَلَا يَجْهَلُ ، وَلَا يَدْفَعُ الْحَقُّ إِذَا نَزَلَ بِهِ ^(٤) . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ بِاثْنَتَيْنِ . قَالَ : كَانَ يُؤَيِّرُ الْخَيْرَ ، وَيَتَّقِي الشَّرَّ ^(٥) . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ بِوَاحِدَةٍ . قَالَ : كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ سُلْطَانًا عَلَى نَفْسِهِ ^(٦) . وَقَالَ أُنْكَمُ ابْنُ صَيْفَى : الْعَلْبَةُ وَالْعِزُّ لِلْحِلْمِ .

وَقَالَ الْأَخْفَافُ [بْنُ قَيْسٍ] ^(٧) : وَجَدْتُ الْحِلْمَ أَنْصَرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ .. وَصَدَقَ الْأَخْفَافُ ، فَإِنَّ مَنْ حَلِمَ كَانَ النَّاسُ أَنْصَارَهُ . كَمَا رُيِيَ أَنَّ رَجُلًا اسْتَرْفَ فِي شَيْءٍ بَغْضِي الْأَدْبَاءِ ، وَهُوَ سَاكِتٌ ، فَحَمَى لَهُ ^(٨) بَعْضُ الْمَنَانِ فِي الطَّرِيقِ ، وَقَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ،

(١) الحُلُومُ : العقول ، جمع حِلْمٍ ، وهو تقيض السَّقْوِ .

(٢) هو : خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهمم التميمي الجثقرى ، من فصحاء العرب المشهورين ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، وله منهما أخبار ، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان أبسر أهلها مالا ، وعاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي ، وحظي عنده . وكان أقدر الناس على مدح الشيء وذمه .. توفي نحو سنة ١٣٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١١ ، ١٢ في ترجمة أبي بردة الأشعري ، والمعارف ص

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ومنهاج اليقين ص ١١٩ ، ١٢٠ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ وصفحات منفردة] .

(٣) أى : بثلاث خلايل أو صفات أو مزايا .

[وانظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٧] .

(٤) في المرجع السابق : « كان لا يجهل ولا يخفى ولا ييخل » .

(٥) في العقد : « كان موقفى الشرِّ ، مُلقى الخير » .

(٦) في المرجع السابق : « كان أقوى الناس على نفسه » .

(٧) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٨) أى : منّته ودفع عنه .

أَلَا تُنْصِرُ لَكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : وَلِمَ ؟ ^(١) قَالَ : لِأُمِّي وَجَدْتُ الْجَلْمَ أَتَصَرَّ لِي مِنَ الرِّجَالِ ، وَهَلْ حَامَيْتَ فِيَّ إِلَّا لِجَلْمِي ؟ وَقَالَ رَجُلٌ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِي : وَاللَّهِ لَا تُفَرِّغَنَّ لَكَ . فَقَالَ لَهُ : الْآنَ وَقَعْتَ فِي الشُّغْلِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اسْتِضَافَ قَوْمًا ^(٢) فَأَضَافُوهُ ، وَلَهُمْ كَلْبَةٌ تَنْبُحُ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَتُبَحُّ ^(٣) ضَيْفَ أُمْلَى اللَّيْلَةِ ، فَعَوَى جِرَاؤُهَا ^(٤) فِي بَطْنِهَا فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيًّا لَهُمْ ، أَوْ قَلِيلًا مِنْ أَقْبَالِهِمْ ^(٥) ، فَقَالَ : مَثَلُ هَذَا مَثَلُ أُمَةٍ تُكُونُ بَعْدَكُمْ ، يَظْهَرُ سَفَهَاؤُهَا عَلَى حُلَمَائِهَا .

وَقَالَ الْأَخْنَفُ : إِيَّاكُمْ وَرَأَى الْأَوْغَادِ . قَالُوا : وَمَا رَأَى الْأَوْغَادِ ^(٦) ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَرَوْنَ الصَّنْفَحَ وَالْعَفْوَ عَارًا .. وَسُئِلَ الْأَخْنَفُ عَنِ الْجَلْمِ ، فَقَالَ : هُوَ الَّذِي تُصْبِرُ عَلَيْهِ ^(٧) ، وَأَسْتُ بِحَلِيمٍ وَلَكِنِّي صَبُورٌ . وَيُرْوَى أَنَّ الْمُهْلَبَ نَارَعَهُ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَتَاهُ ^(٨) عَلَى الْمُهْلَبِ ، وَالْمُهْلَبُ سَاكِتٌ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : كُنْتُ إِذَا سَبَيْتُ ^(٩) اسْتَحْيَيْتُ مِنْ سُخْفِ السَّبَابِ وَغَلْبَةِ اللَّقَامِ وَالسُّفْلَةِ ، وَكَانَ إِذَا سَبَيْتُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ ، وَشَمَخَتْ نَفْسُهُ ^(١٠) بِأَنْ ظَفِرَ بِفَضْلِ الْقَحَّةِ ^(١١) ، وَتَبَذَّ الْمَرْوَةَ ، وَخَلَجَ رِيقَهُ الْحَيَاءِ ^(١٢) ، وَقِلَّةِ الْاِخْتِرَاتِ بِسُوءِ الثَّنَاءِ .

(١) هكذا في ط .. وفي م : « أَلَا أَنْصِرُ لَكَ » . وسقطت أداة الاستفهام « وَلِمَ » منها .

(٢) استضاف قوماً : سألهم الضيافة .

(٣) في م : « فأنبح على » وكلامها صواب .

(٤) هكذا في م .. وفي ط : « جِرَاؤُهَا » .

(٥) القَيْلُ : من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم . وقد مر .

(٦) قوله : « قَالُوا : وَمَا رَأَى الْأَوْغَادِ » عن ط .. وساقط من م .

(٧) هكذا في ط .. وفي م : « هو الدَّلُّ تصير عليه » . وفي العقد الفريد : « هو الدَّلُّ ، أَتَصْبِرُ عَلَيْهِ ؟ » قاله الأخنف لرجل طلب منه أن يعلمه الجَلْمَ .

(٨) أَرَبَى : زاد .

(٩) في م : « سَبَيْتُ » تحريف .

(١٠) أَى : ارتفعت كثيراً وعظمت . وفي م : « سمحت » أى : لانت وسهلت . والأول أَوْجَهُ .

(١١) الْقَحَّةُ : الجفاء ولؤم الطبع . وفي م : « يَنْهَلُ الْقَحَّةُ » .

(١٢) الرِّيقَةُ في الأصل : غُرْوَةٌ في خَيْلٍ تُجْعَلُ فِي عُنُقِ الدَّائِيَةِ لَوْ يَدُهَا تُمَسِّكُهَا . والمراد هنا أنه تجاوز حدود اللياقة والأدب .

وَمَرَّ الْمَسِيحُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالُوا لَهُ شَرًّا ، وَقَالَ لَهُمْ خَيْرًا ، فَقِيلَ لَهُ ^(٢) : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ شَرًّا وَأَنْتَ تَقُولُ خَيْرًا ؟ فَقَالَ : كُلُّ يَتَفَقَّ بِمَا عِنْدَهُ .. وَقَالَ أَكُنْتُمْ بَنِي صَيْفَى : مَنْ حَلَمَ سَادَ ، وَمَنْ ثَفَهَ اَزْدَادَ ، وَكَفَرُ النِّعْمَةِ لَوْمْ ، وَصُحْبَةُ الْجَاهِلِ شُوْمٌ ، وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ غُنَمٌ ، وَالْمُبَاشَرَةُ يُمْنٌ ^(٣) وَمِنْ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ .. وَسَبَّ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ بِقَبَائِحَ نَسَبَهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي . وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَأَسْبِغَنَّكَ سَبًّا يَدْخُلُ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَعَكَ - وَاللَّهِ - يَدْخُلُ لَامِعِي .. وَقَالَ رَجُلٌ لِلْأَخْخَفِ [بَنِي قَيْسٍ] ^(٤) : إِنْ قُلْتَ لِي كَلِمَةً ^(٥) لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا ^(٦) . فَقَالَ لَهُ الْأَخْخَفُ : لَكِنَّكَ لَوْ قُلْتَ [لِي] عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً ^(٧) .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا سَبَّ الْأَخْخَفَ وَهُوَ يُمَاشِيهِ فِي الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَنْزِلِ وَقَفَ الْأَخْخَفُ وَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنْ كَانَ بَقِيَ مَعَكَ شَيْءٌ فَقُلْهُ هَاهُنَا ، فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَمِعَكَ فَيَتَيَّانَ الْحَيُّ أَنْ يُؤْذِيكَ .. وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : لَسْتُ ^(٨) أَذْخُلُ فِي حَرْبِ الْعَالِبِ فِيهِ ^(٩) شَرٌّ مِنَ الْمَغْلُوبِ . وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ ^(١٠) :

(١) ما بين المقوفين عن ط .

(٢) له عن ط .

(٣) مُبَاشَرَةُ الْأَمْرِ : أَنْ تُخَضَّرَ وَتَلْبَسَ بِنَفْسِكَ . وَالْيُمْنُ : الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ .

(٤) ما بين المقوفين عن ط .

(٥) هكذا في م .. وفي ط : إِنْ قُلْتَ كَلِمَةً .

(٦) هكذا في ط .. وفي م : لَأَقُولَنَّ لَكَ عَشْرًا .

(٧) ما بين المقوفين عن م . وقوله : لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً كَرَّرَهَا النَّاسُ سَهْوًا .

(٨) في م : مَا كُنْتُ .

(٩) فيه : أَيْ فِي الْقِتَالِ . فَالْحَرْبُ مُؤَنَّةٌ ، وَقَدْ تُذَكَّرُ عَلَى مَعْنَى الْقِتَالِ ، كَمَا هِيَ هُنَا .

(١٠) في ط : وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ شَيْعَرًا وَالْأَخْيَرَةُ وَرَدَّتْ بِدُونِ أَلْفٍ ، خَطَأً . وَلَقِيْطُ هُوَ : لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّاسِيِّ ، مِنْ تَمِيمٍ ، فَارِسٌ ، وَشَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو دُخْتُوسٍ ، وَهِيَ بَنَتُهُ .

وَلَا عَقِبَ لَهُ غَيْرُهَا ، وَيُقَالُ لَهُ : أَبُو نَهْشَلٍ ، قِيلَ يَوْمَ « شَيْبِ جَبَلَةٍ » فِي نَجْدٍ ، قَالَ يَأْقُوتُ : وَهُوَ يَوْمٌ بَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي حَامِرٍ بِنِصْمَعَةَ ، مِنْ أَكْظَمِ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشَدِّهَا ، وَكَانَ النَّصْرُ فِيهِ لِبَنِي عَامِرٍ ، وَكَانَ لَقِيْطُ رَئِيسَ تَمِيمٍ فِيهِ ، فَقَتَلَهُ عِمَارَةُ الْوَهَابِ الْمِصْبِيُّ ، وَقِيلَ : قَتَلَهُ شَرِيحُ بْنُ الْأَحْوَسِ سَنَةَ ٥٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

فَقُلْ لِّبَنِي سَعْدٍ فَمَا لِي وَمَا لَكُمْ ثُرُقُونَ مِنِّي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَعِتَّقُوا^(١)
 أَغْرَكُمُ أَنِّي بِأَحْسَنَ شَيْمَةٍ بَصِيرٍ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَحْدَقُ^(٢)
 وَأَنْتَ قَدْ سَابَقْتَنِي فَقَهَرْتَنِي هَنِيئًا مَرِيئًا أَنْتَ بِالْفَحْشِ أَحْدَقُ^(٣)

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي ذَرٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنْتَ الَّذِي نَفَاكَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الشَّامِ ؟ وَاللَّهِ^(٤) لَوْ
 كَانَ فِيكَ خَيْرٌ^(٥) مَا نَفَاكَ . فَقَالَ : يَابْنَ أَخِي ، إِنْ وَرَأَيْتَ عَقَبَةَ كَكُودًا^(٦) ، إِنْ نَجَوْتُ
 مِنْهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا قُلْتَ ، وَإِنْ لَمْ أُنَجْ مِنْهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا قُلْتَ .. وَقَالَ لَقَمَانُ لِإِبْنِهِ :
 يَابْنِي ، ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ثَلَاثَةٍ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ،
 وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَلَا أَخُوكَ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .. وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ
 الْحُلَمَاءِ^(٧) فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِيَّاكَ أَغْنَى . فَقَالَ الْحَلِيمُ^(٨) : وَعَنْكَ أَعْرَضُ . وَفِي
 هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ :

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ جَلِيٍّ أَصَمُّ وَأَذْنِي غَيْرُ صَمَاءَ^(٩)

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٤٤ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧١٠ ، ٧١١ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ١٠٤ ،
 وج ٣ ص ٣٤٧ ، والأغانى ج ١١ ص ٣٩١٧ - ٣٩٤٩] .

(١) ثُرُقُونَ مِنِّي : يَجْعَلُونَ مِنِّي رَقِيقًا ، أَيْ مَمْلُوكًا .
 (٢) فِي م : شَمَمَ بَصِيرًا ، تَحْرِيفٌ . وَالشَّيْمَةُ : الْخُلُقُ . وَأَحْدَقُ : أَكْثَرُ إِحَاطَةً . وَفِي ط : وَأَدَبَ الدُّنْيَا
 وَالِدِينَ : أَخْرَقَ ، أَيْ : أَجْهَلَ .

(٣) فِي م : هَنِيئًا ، بَدَلٌ مَرِيئًا . وَهُوَ مُصَدَّرٌ ، وَفِي اللِّسَانِ : هَنَاءٌ وَمَنَاءٌ : أَيْ ذِكْرُ الْمَهَائِ وَالْأَمَانِ .
 وَالْمُرَادُ بِهِ مَا يَحْضُرُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَحَادِيثِ النَّفْسِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ .. وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالِدِينَ : « وَإِنْ
 تَكُ قَدْ فَاحَشْتَنِي فَقَهَرْتَنِي » .

[انظر المرجع السابق ص ٣٠٥] .

(٤) لَفْظُ الْقَسَمِ عَنْ م : وَلَمْ يَوْدِ فِي ط .

(٥) فِي م : « غَيْرًا » بِالنَّصَبِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ بِالرَّفْعِ ، اسْمٌ لَكَانَ .

(٦) كَكُودًا : شَدِيدَةٌ صَعْبَةٌ . وَقَدْ وَرَدَتْ فِي م : بِالرَّفْعِ . لَا تَصَحُّحٌ .

(٧) فِي ط : « الْحُكَمَاءُ » .

(٨) فِي ط : « الْحَكِيمُ » .

(٩) جَلِيٍّ أَصَمُّ : وَاسِعٌ لَا يَتَرَعَّزُ . وَالْبَيْتُ فِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ ، فِي بَابِ الْجَلَمِ وَالْفُضْبِ ج ٣ ص ٢٨٤ ، وَفِي
 أَدَبِ الدُّنْيَا وَالِدِينَ ص ٣٠٧ ، وَهُوَ غَيْرُ مَنْسُوبٍ لِقَاتِلِهِ .

وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلْأَخْفِيفِ : مَا أَخْلَمَكَ ! فَقَالَ : لَسْتُ بِحَلِيمٍ ، وَلَكِنِّي أَتَحَالَمُ ^(١) ، وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَأَجِمْ ^(٢) لَهَا ثَلَاثًا ، مَا يَمْنَعُنِي مِنْ جَوَابِهَا إِلَّا الْخَوْفُ مِنْ أَنْ أَسْمَعَ
مَا هُوَ شَرُّ مِنْهَا .. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يَتِمُّ الْجِلْمُ لِلْمَرْءِ رَاضِيًا إِذَا كَانَ عِنْدَ السَّخِطِ لَا يَتَحَلَّمُ ^(٣)
كَمَا لَا يَتِمُّ الْجُودُ لِلْمَرْءِ مُوسِرًا إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعُسْرِ لَا يَتَحَشَّمُ ^(٤)

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا سَبَّ جَعْفَرَ ^(٥) بْنَ مُحَمَّدٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَمَا مَا قُلْتَ مِمَّا
هُوَ فِينَا فَإِنَّا نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ ، وَمَا قُلْتَ مِمَّا لَيْسَ فِينَا فَإِنَّا نَكِلُكَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .. وَقَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اخْذَرُوا الْغَضَبَ ، قَرَّبَ غَضَبُ اسْتَحَقَّ الْغَضَبَانِ بِهِ غَضَبَ اللَّهِ تَعَالَى ..
وَقَالَ أَكْثَرُ بَنِي صَيْفَى : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ حَلِيمًا حَتَّى يَقُولَ السَّيْفِيُّ إِنَّهُ لَضَعِيفٌ مُسْتَذِلٌّ ،
وَلَا يَكُونُ مُخْلِصًا حَتَّى يَقُولَ الْأَخْمَقُ : إِنَّهُ لَمُفْسِدٌ .. وَمِنْ أَشْعَرِ بَيْتٍ قِيلَ فِي الْجِلْمِ قَوْلٌ
كَتَبَ بَنِي زُهَيْرٍ ^(٦) :

(١) اتَّحَالَمَ : اْتَظَاهَر بِالْجِلْمِ .

(٢) فَأَجِمْ : أَسْكُثْ عَلَى غَيْظٍ .

(٣) هكذا البيت في م ، و ط ، .. والشطر الثاني في العقد الفريد : « إِذَا هُوَ عِنْدَ السَّخِطِ لَمْ يَتَحَلَّمْ » .
[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤١] .

(٤) هكذا البيت في م ، و ط ، . ويتحشم ، بالخاء المعجمة ، أى : يتوقاه ويتجنبه . والشطر الثاني في العقد
الفريد : « إِذَا هُوَ عِنْدَ الْعُسْرِ لَمْ يَتَحَشَّمْ » ويتحشم ، بالهمزة المعجمة : يَتَحَلَّمُ .
(٥) في م : « : الْأَخْفِيفُ » خطأ .

(٦) هو : كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ الْمَازِنِيُّ ، أَبُو الْمُضَرَّبِ ، أَحَدُ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضَّرِينَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ،
وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ هَجَا النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَظَلَّ يَشَبِّهُ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ،
فَأَهْدَرَ النَّبِيُّ دِمَهُ ، فَجَاءَهُ مُسْتَأْمِنًا ، وَقَدْ أَسْلَمَ ، وَأَنْشَدَهُ لَامِيئَةً الْمَشْهُورَةَ الَّتِي مَطَّلَعَهَا : « بَانَتْ سَعَادٌ » فَعَفَا عَنْهُ
النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ بُرْدَتَهُ . وَأَسْرَنَهُ عَرِيقَةً فِي الشَّعْرِ ، فَأَبْهَوهُ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَأَخُوهُ بُجَيْرٌ ،
وَابْنَةُ عَقِيَّةَ ، وَحَفِيدَةُ الْعَوَّامِ ، كُلُّهُمْ شُعْرَاءُ . تَوَفَّى كَعْبٌ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ٢٦ هـ تَقْرِيْبًا .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٢٦ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٦ ، والأغاني ج ١٨
ص ٦٣٥٨ - ٦٣٧١ ، والمعملة لابن رشيح ج ١ ص ٢٣ ، ٢٤ ، وأسد الغابة ج ٤٧٥ - ٤٧٧ ، وانظر مقدمة
ديوانه الذي حققه الأستاذ علي قاعود ص ٦٠] .

إِذَا أَنتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَنَّا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ ^(١)
 وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : أَحْلَمُ مِنْ فَرْخِ طَائِرٍ ^(٢) . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْقَضَبُ ^(٣)
 عَدُوُّ الْعَقْلِ ، وَلِلذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ . وَقَالَ صَعَصَعَةُ بْنُ
 صُوحَانَ : الْقَضَبُ مِقْدَحَةُ الْعَقْلِ ، فَرُبَّمَا أَصْلَدَ وَرُبَّمَا أُرْتَدَّ ^(٤) . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : إِذَا جَاءَ
 الْقَضَبُ تَسَلَّطَ الْعَطَبُ ^(٥) وَكَانَ ابْنُ عَزْوٍ ^(٦) إِذَا غَضِبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ قَالَ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ .. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : دَفَعَ أَرْدَشِيرُ ^(٧) إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَقُومُ
 عَلَى رَأْسِهِ كِتَابًا ، وَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَنِي اشْتَدَّ غَضَبِي فَأَذْفَعُهُ إِلَيْكَ ، فَكَانَ فِيهِ : أُسْكُنْ
 فَلَسْتُ بِإِلَيْهِ ، إِنَّمَا أَنتَ بَشَرٌ يَوْشِكُ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُكَ بَعْضًا ، وَتَصْمِيرٌ عَنْ قَرِيبٍ لِللُّؤُودِ
 وَالتَّرَابِ . وَهَذِهِ السِّيرَةُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّهَا مَلِكٌ ثُبَيْجٌ ، أَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي كِتَابٍ ، أُسْكُنْ
 فَلَسْتُ بِإِلَيْهِ ، وَقَالَ لِصَاحِبِهِ : إِذَا غَضِبْتُ فَأَعْرِضْهُ عَنِّي ، فَكَانَ إِذَا غَضِبَ عَرَضَهُ
 عَلَيْهِ ، فَإِذَا قَرَأَهُ سَكَنَ غَضَبُهُ .

(١) هكذا البيت في «م» و«ط» والمستطرف .. وفي الديوان : «لَمْ تُقَصِّرْ» بدل «لَمْ تُعْرِضْ» . وتقصير عن
 الجهل : تكف عن .. والحنا : الفحش في القول وغيره .

[انظر الديوان ص ٨٠ ، والمستطرف ج ١ ص ٤١٩] .

(٢) قيل : ضُرب به المثل في الجلم لأنه يخرج من بيضة في أرفع موضع في الجبل ، ولا يتحول من مكانه حتى
 يتوفر ريشه ويقوى على الطيران .

[انظر العقد الفرید ج ٢ ص ١٣٩] .

(٣) في «ط» : «إِنَّ الْقَضَبَ» .

(٤) الجفدحة : حديدة الرُّنْد يُقَدَّحُ بها لإشعال النار .. فربما أصلد : صَوَّتْ ولم يُورِ .. وربما أُرْتَدَّ : قدح .

(٥) العطب : الملاك والفساد .

(٦) في «ط» : «ابن عوان» خطأ .

وهو : عبد الله بن عون بن أَرْطَبَانَ ، المُرَنْزِيُّ بالولاء ، شيخ أهل البصرة ، كان إماماً في العلم ، ورأساً في العبادة ،
 ومن حُفَظ الحديث الثقات ، وأعلم أهل العراق بالسنَّة ، وكان يهجو ويركب الخيل ، أخذ عنه الثوري ، ويحيى
 القطان ، وغيرها .. قال عنه ابن المبارك : ما رأيت أفضل من ابن عون . توفي رحمه الله في رجب سنة ١٥١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، والمعارف ص ٤٨٧ ، ٤٨٨] .

(٧) في «م» : «أردشير» .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ ، فَإِذَا ذُكِرَ ذَكَرَ ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ ، وَإِذَا قَدَّرَ عَفَا ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَعْفَى ^(١) ، وَإِذَا وَعَدَ أُنْجَزَ .. وَفِي الْحِكْمَةِ مَكْتُوبٌ : [مَنْ أَطَاعَ الْوَأَسَى ضَيَّعَ الصِّدْقَ وَ] ^(٢) مَنْ أَطَاعَ الْغَضَبَ حُرِمَ السَّلَامَةُ ، وَمَنْ عَصَى الْحَقَّ غَمَرَهُ الدُّلُّ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٣) : كَظَمُ الْغَيْظِ حِلْمٌ ، وَالْحِلْمُ صَبْرٌ ، وَالتَّشَفُّي ضَرْبٌ مِنَ الْجَزَعِ . وَقَالَ آخَرُ : أَوَّلُ الْغَضَبِ جُنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٤) : إِذَا غَلَبَ عَلَى الرَّجُلِ أَرْبَعُ حِصَالٍ فَقَدْ عَطِبَ : الرُّغْبَةُ ، وَالرُّهْبَةُ ، وَالشَّهْوَةُ ، وَالْغَضَبُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ : إِنَّ فَلَانًا يَقَعُ فِيكَ ، فَقَالَ : لَا غِيظَنَ مِنْ أَمْرِهِ ، يَقْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَهُ ، قِيلَ لَهُ : وَمِنْ أَمْرِهِ ، قَالَ : الشَّيْطَانُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَخِيهِ : إِنِّي مَرَرْتُ بِفُلَانٍ وَهُوَ يَقَعُ فِيكَ ^(٥) وَيَذْكُرُكَ بِأَشْيَاءَ رَاحِمَتِكَ مِنْهَا : قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتَنِي أَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ ^(٦) : فَإِيَّاهُ فَارْحَمْ . وَقَالَ الْقُضَيْلُ : ثَلَاثَةٌ لَا يُلَامُونَ عَلَى الْغَضَبِ : الْمَرِيضُ ، وَالصَّائِمُ ، وَالْمُسَافِرُ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَقَدْ تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْيَنْقَرِيِّ ^(٧) .. إِنِّي لَجَالِسٌ ^(٨)

(١) اسْتَعْفَى : طَلَبَ الْعَفْوَ ، أَوْ طَلَبَ مِنْ مُكَلِّفِهِ أَنْ يُسْقِطَ عَنْهُ تَكْلِفَهُ ، إِذَا أَسَاءَ فِيمَا كُتِّفَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْذُوفِينَ عَنْ «م» وَاسْقَطَ مِنْ «ط» .

(٣) فِي «م» : «الْحُكَمَاءُ» .

(٤) فِي «م» : «الْحُلَمَاءُ» .

(٥) يَقَعُ فِيكَ : يَسْبُكُ وَيَغْتَابِكُ .

(٦) الْفِعْلُ «قَالَ» عَنْ «م» وَلَمْ يَرِدْ فِي «ط» .

(٧) هُوَ : قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بْنِ سَيَّانٍ الْيَنْقَرِيُّ السَّعْدِيُّ الْقَهْمِيُّ ، أَبُو عَلِيٍّ ، أَحَدُ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ وَعَقْلَاهُمُ الْمُوصُوفِينَ بِالْحِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَكَانَ شَاعِرًا اشْتَبَرَ وَسَادَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ يَمُنُّ حَرَمَ الْخَمْرِ عَلَى نَفْسِهِ فِيهَا . وَوَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي وَفْدِ تَمِيمِ سَنَةِ ٩ هـ فَأَسْلَمَ ، وَقَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَاهُ : هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الزُّبَيْرِ ، وَاسْتَمْلَعَهُ عَلَى صِدْقَاتِ قَوْمِهِ ، وَكَانَ لَهُ ٣٣ وَلَدًا . نَزَلَ الْبَصْرَةَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ وَمَلَّتْ بِهَا سَنَةٌ ٢٠ هـ . [انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٤٣٢ - ٤٣٤ ، وَالْمُهَرِّرُ ج ١٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وَانْظُرْ

جَالِسٌ تَغْلِبُ ج ١ ص ٢٩ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٣٠١] .

(٨) فِي «ط» : «إِنِّي جَالِسٌ» .

مَعَهُ فِي فِتَاءٍ وَهُوَ يُحَدِّثُنَا إِذْ جَاءَتْ ^(١) جَمَاعَةٌ يَحْمِلُونَ قَتِيلًا ، وَمَعَهُمْ رَجُلٌ مَأْمُورٌ ،
فَقِيلَ لَهُ : هَذَا ابْنُكَ قَتَلَهُ أَخُوكَ ^(٢) فَوَاللَّهِ مَا قَطَعَ حَدِيثَهُ وَلَا حَلَ حَبُونَهُ ^(٣) حَتَّى فَرَّغَ مِنْ
مَنْطِقِهِ ^(٤) ثُمَّ أُنْشِدَ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْنِيبًا وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ ^(٥)
كِلَاهُمَا خَلَفَ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَحْيَى حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي ^(٦)
ثُمَّ التَفَتَ ^(٧) إِلَى بَعْضِ وَلَدِهِ فَقَالَ : قُمْ فَأَطْلِقْ عَمَّكَ ، وَوَارِ أَخَاكَ ، وَسُقْ إِلَى أُمِّهِ
مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَأَيْلَهَا غَرِيَّةٌ .

وَمِنْ أَتْبَلِ يَتَبَّ قَالَتْهُ الْعَرَبُ ، قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
فُصِّحَ بِالْخَيْرِ خُرُسٌ بِالْحَنَّا رُجِحَ الْأَحْلَامُ ذَيْئَالُ الْأُرْزُ ^(٨)
وَقَالَ : آخِرُ ^(٩) :

بِأَحْلَامٍ عَادٍ لَا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ إِذَا نَطَقَ الْعَوْرَاءُ عُرْبُ لِسَانٍ ^(١٠)

(١) في « ط » : « جَاءَتْ » .

(٢) هكذا في « م » و « ط » والمستطرف .. وفي رواية أخرى : « قيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك » .
[انظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ وعيون الأخبار ص ٢٨٦] .

(٣) الحَبُونَةُ : الاحْتِبَاءُ ، وهو الجلوس على التَّيْبَةِ وَضَمَّ فَيَحْدِيهِ وَسَاقِيهِ إِلَى بطنه بِنِزَاعِهِ لِيَسْتَقِدَّ . « مثقلة الحاء » .

(٤) في عيون الأخبار ، والعقد الفريد - باختلاف يسير في لفظه : « حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى
ابن له في المجلس ، فقال له : قُمْ فَأَطْلِقْ عَن ابْنِ عَمِّكَ ، وَوَارِ أَخَاكَ ، وَاحِلْ إِلَى أُمِّهِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَأَيْلَهَا غَرِيَّةٌ ، ثُمَّ
أَنْشَأَ يَقُولُ ... » وذكر أَيْثًا أربعة ، ليس من بينها هذان البيتان . وقد وردا في المستطرف ج ١ ص ٤٠٦ .

(٥) في المستطرف : « أقول للنفس تصبراً » .

(٦) تَخَلَّفَ : عَيَّوَضَ .

(٧) في « م » : « انطلق » .

(٨) فُصِّحَ : جمع فصيح ، كقضيب وقضب .. رُجِحَ الْأَحْلَامُ : حقولهم ناضجة مكتملة .. ذَيْئَالُ : طويل الذيل .
وَالْأُرْزُ : جمع إزار . وَذَيْئَالُ الْأُرْزُ : كتابة عن اليمن .

(٩) في « ط » : « وقال غيره » .

(١٠) هكذا البيت في « م » و « ط » وهو من الطويل .. وقد ورد في كتاب الأمالي ، لأبي علي القالي : « أحلام
عَادٍ » بدون الباء ، وبهذه الرواية يكون قد دخله الحَرَمُ ، وهو حذف الفاء من « فعولن » .. والأحلام :
الأجسام ، وأضافها إلى عاد لأنهم كانوا ضخام الأجسام .. والقَوْرَاءُ : المعالي القامضة المبهمة .. عرب لسان : لسان
عربي فصيح . وفي الأمالي : « عَرَبَ لِسَانٍ » أى : في لسانه جِدَّةٌ ، والأول أَوْجَه .

إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يُخْشَ سُوءَ اسْتِمَاعِهِمْ وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا بِحُسْنِ بَيَانٍ ^(١)

وَقَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا جِلْمٌ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْجَهْلِ ؟ وَمَا قُوَّةٌ مَنْ لَمْ يَرُدَّ الْقَضَبَ ؟ وَمَا عِبَادَةٌ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعَ لِلرَّبِّ تَعَالَى ؟ وَقِيلَ لِلْمُسْكَنْدَرِ : إِنْ فَلَانًا وَفَلَانًا يَنْتَقِصَانِكَ وَيَتَلَبَّانِكَ ^(٢) فَلَوْ عَاقَبْتُهُمَا . فَقَالَ : هُمَا بَعْدَ الْعُقُوبَةِ أَعْذَرُ فِي ثَلَاثِي وَتَنْقِصِي . وَيُرَوَّى أَنَّ جَرِيرَ بْنَ عَنبِدِ اللَّهِ ^(٣) بَيْنَمَا هُوَ رَاكِبٌ قَدْ أُرْدَفَ ابْنُهُ ^(٤) إِذْ لَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ مِنْهُ ، وَجَرِيرٌ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ [لَهُ] ^(٥) ابْنُهُ :

يَا أَبَتِ ، لِمَ سَكَتَ عَنْهُ ؟ قَالَ : يَا بَنِي ، أَفَأَسْعُ جُرْحِي ؟! وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٦) : مَتَى أَشْفَى غَيْظِي ؟ أَحِينَ أَقْدِرُ فَيَقَالَ : لَوْ عَفَوْتُ ؟ أَمْ حِينَ أَعْجَلُ فَيَقَالَ : لَوْ صَبِرْتُ ؟ وَسُئِلَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَخْتَفِ : أَكَانَ الْأَخْنَفُ يَعْضَبُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، لَوْ لَمْ يَعْضَبْ مَا بَانَ جِلْمُهُ ، كَانَ يَغْضِبُهُ الشَّيْءُ يَبِينُ فِي رَجْهِهِ الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ وَهُوَ يَصْبِرُ وَيَحْلُمُ ^(٧) . وَمَنْ لَمْ يَعْضَبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِثْلُهَا يَعْضَبُ فَقَدْ فَقَدَ مِنَ الْفَضَائِلِ الشُّجَاعَةَ وَالْأَنَفَةَ ، وَالْجَمِيَّةَ وَالِدَفَاعَ ، وَالْأَخْذَ بِالثَّأْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ تَتَأَيَّجُ

(١) في الأملال : « لَمْ تُخْشَ » . وفي « م » : « أُوْدَى » بدل « أَدَّوْا » لا تصح .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٨ ط دار الجليل] .

(٢) يَتَلَبَّانِكَ : يعينانك .. وبعدها في « م » و « ط » : « فلو عاقبتهم » . فقال : هم ... » .

(٣) هو : جرير بن عبد الله بن جابر البجلي ، أبو عمرو ، أسلم في السنة التي توفي فيها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الصورة ، قال عنه عمر بن الخطاب : « جرير » يوسف هذه الأمة ، لحسنه . وهو سيد قومه ، أثره عمر بن الخطاب على « بجيلة » .. وأقام جرير بالكوفة ، واعتزل « عليا » و « معاوية » . وتوفي بقرقيشاء . وقيل : بالسرقة سنة ٥١ أو ٥٤ هـ .

[انظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، والمعارف ص ٢٩٢ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٣ ،

١٤٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١١٥ ، ١١٦ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٥٠٢] .

(٤) أَى : أَرْكَبُهُ خلفه .

(٥) ما بين العقوبتين عن « ط » .

(٦) في « م » : « الْحُلَمَاءُ » باللام ، وقد ورد هذا القول في « عيون الأخبار » على لسان عمر بن عبد العزيز .

[انظر المرجع السابق ص ٢٩٠] .

(٧) وَيَحْلُمُ : عن « ط » ولم ترد في « م » .

الْعَصَبُ ، وَمَنْ ^(١) فَقَدْ الْعَصَبَ فَقَدْ أَسَّ الْفَضَائِلَ - عَلَى مَا سَنَذَكُرُ فِي بَابِ الشَّجَاعَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَعِنْدَ فَقْدِ الشَّجَاعَةِ تَكُونُ الْمَهَانَةُ ، وَمِنْ الْمَهَانَةِ يَكُونُ ^(٢) سَفْسَافُ الْأَخْلَاقِ ، وَزْدَالَةُ الطَّبَاعِ ، فَلَا ^(٣) يَبْقَى لِسَائِرِ فَضَائِلِهِ مَوْقِعٌ . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ لَمْ يَعْصِبْ فَلَيْسَ بِحَلِيمٍ ، لِأَنَّ الْحَلِيمَ إِذَا مَا يُعْرِفُ عِنْدَ الْعَصَبِ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٤) الْجَاهِلُ حَصَنٌ ، وَالْحَلِيمُ حَاكِمٌ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : مَنْ اسْتَعْصِبَ فَلَمْ يَعْصِبْ فَهُوَ حِمَارٌ ، وَمَنْ اسْتَرْضَى فَلَمْ يَرْضَ فَهُوَ جَبَّارٌ . وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ^(٥) يَعْصِبُ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا كَانَ يَعْصِبُ ^(٦) لَا لِنَفْسِهِ ، بَلْ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ رَبِّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَامَدَحٍ مَنْ لَا يَعْصِبُ وَإِنَّمَا مَدَحَ مَنْ كَظَمَ الْغَيْظَ ، فَقَالَ : هُوَ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ^(٧) .

وَأَنْشَدَ ^(٨) النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ ^(٩) بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ^(١٠) :

(١) فِي م : : : فَنَ .

(٢) فِي م : : : تَكُونُ . وَالسَّفْسَافُ : الرَّدَى الْخَفِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَعَمَلٌ .

(٣) فِي م : : : وَلَا .

(٤) فِي م : : : وَكَانَ الشَّعْبِيُّ يَقُولُ .

(٥) فِي ط : : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) فِي م : : : يَعْصِبُ اللَّهُ .

(٧) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ - مِنَ الْآيَةِ ١٣٤ .

(٨) فِي ط : : : وَقَدْ أَنْشَدَ .

(٩) هُوَ : قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدَسٍ بْنِ رَيْعَةَ الْجَعْدِيُّ الْعَامِرِيُّ ، أَبُو لَيْلَى ، شَاعِرٌ مِفْلَقٌ ، وَصَحَابِيُّ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ - اللَّذَيْنِ مَعْنَاهُ - لِلنَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُ : لَا يَعْصِبُ اللَّهُ فَاكً ، فَمَاشَ مِائَةَ عَشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَسْقُطْ لَهُ سَنٌ وَلَا ضَرْسٌ ... وَكَانَ مِنْ أَشْهُرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَسُمِّيَ « النَّابِغَةُ » لِأَنَّهُ أَقَامَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَا يَقُولُ الشَّعْرَ ، ثُمَّ نَبَغَ فَقَالَ .. وَكَانَ مِنْ هَجَرِ الْأَوْتَانِ وَنَبِىَ عَنِ الْخَمْرِ قَبْلَ ظَهْرِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْلَمَ ، وَأَدْرَكَ « صِفَيْنِ » وَشَهِدَهَا مَعَ « عَلِيٍّ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - نَحْوَ سَنَةِ ٥٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٩١ - ٢٩٣ ، وأمالى السيد المرتضى ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٥ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٣٩ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٦ ، والأغاني ج ٥ ص ١٦٤٥ - ١٦٧٨] .

(١٠) فِي م : : : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تُخِمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا ^(١)
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا ^(٢)
فَلَمْ يَتَكَبَّرِ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهُ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَافَرَ اسْتَمْتَعَ سَفِيهَا وَيَقُولُ ^(٣) :
أَسْتَدْفِعُ بِهِ شَرَّ السُّفَهَاءِ عَنِّي .

وَأَعْلَمُوا - أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ - أَنْ أَحْسَنَ إِحْصَالِ الْمُلُوكِ وَأَجْلَهَا قَدْرًا - وَهِيَ حِلْيَةُ
الْأَنْبِيَاءِ ، وَرَبِيسَةُ ^(٤) الْأَصْفِيَاءِ ، وَجَمَالُ السُّوقَةِ وَالرُّسَاءِ ، وَأَعْظَمُهَا فِي النَّفْسِ مَوْقِعًا ،
وَأَعَمُّهَا عَلَى الرُّعَايَا نَفْعًا ، وَأَخْلَدُهَا عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ذِكْرًا ، وَأَجْمَلُهَا فِي الْمَحَافِلِ
وَالْمَحَاسِنِ نَشْرًا ، وَهِيَ الْفَضِيلَةُ الَّتِي تُعْمُ سَائِرَ الْفَضَائِلِ ، وَتُكْمَلُ بِهَا سَائِرُ الْمَحَاسِنِ
- الْحِلْمُ ^(٥) . وَهَا أَنَا أَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْضِي مِنْهُ ^(٦) الْعَجَبُ .

هَذِهِ ذَوْلَةُ آلِ الْعَبَّاسِ ، أُولَئِهِمْ أَبُو الْعَبَّاسِ السُّفَّاحُ ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ
أَحْلَمُ ^(٧) مِنَ الْمَأْمُونِ ، بَلَغَ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَالِي لَفِي لَذَّةِ الْعَفْوِ مَا
تَقَرَّبُوا إِلَيَّ إِلَّا بِالْحَرَامِ ، فَعَمَّ ^(٨) حِلْمُهُ سَائِرَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، حَتَّى صَارَ يُضْرَبُ
الْمَثَلُ بِحِلْمِهِ ^(٩) ، وَبِهَذِهِ الْخَصْلَةِ تَهَيَّأَ مُلْكُهُ وَقَهَرَ أَعْيَاهُ الْأَمِينُ ^(١٠) .

(١) هكذا البيت في « ط » ، والشعر والشعراء والعقد الفريد .. وفي « م » ، والأغاني وأسد الغابة وأدب الدنيا
والدين : « يكن » بالياء .. وجاء الفعل « يُكْذَرَا » بالياء في جميع المصادر السابقة ما عدا « م » ، فقد جاء بالياء
« يُكْذَرَا » .

(٢) الورد في اللغة خلاف الصنوبر . يقال : وَرَدَ الْمَاءُ : إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ . وَصَنَرَ عَنِ الْمَاءِ : إِذَا رَجَعَ عَنْهُ .

(٣) في « م » : « يقول » - بدون واو قبله .

(٤) الرِّبِيسَةُ : مَا يُهَيَّئُ .

(٥) هكذا في « ط » .. والحِلْمُ : خَيْرٌ « أَنْ » المتقدم .. وفي « م » : « وهي الحلم » .

(٦) في « ط » : « فيه » . و « ما » هنا نافية .

[انظر للمعجم الوسيط - مادة « قضى »] .

(٧) في « ط » : « أُجِلَّ » .

(٨) في « ط » : « فاق » .

(٩) في « م » : « يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَلُ » .

(١٠) هو : الخليفة العباسي محمد بن هارون الرشيد ، وُلِدَ في رصافة بغداد سنة ١٧٠ هـ ، وبيع بالخلافة بعد

وفاة أبيه سنة ١٩٣ هـ بعهد منه ، وكان « المأمون » وليّ العهد من بعده ، وفي سنة ١٩٥ هـ أعلن « الأمين » =

وَمِنْهَا دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، أُولَئِهِمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَآخِرُهُمْ مَرْوَانَ الْجَعْفَرِيُّ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ مُعَاوِيَةَ لَا جَرَمَ ^(١) ، ذَاتَ لَهُ الدُّنْيَا ، وَمَلَكَ ^(٢) بِهَا رِقَابَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَصَارَ جِلْمُهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ^(٣) وَيَقْتَدَى بِهِ الْخَلْقُ ، وَيَتَخَلَّقُ بِهِ الْعُقَلَاءُ ، حَتَّى حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ خَيْطٌ غَنَكُوبٌ ، أَوْ شَعْرَةٌ ، مَا انْقَطَعَتْ ، إِذَا جَذَبُوا أُرْسَلْتُ ، وَإِذَا أُرْسَلُوا جَذَبْتُ .

وَهَذِهِ دَوْلَةُ الْفُرْسِ ، وَكَانَتْ أَغْظَمَ دَوْلِ الْأَرْضِ وَأَشَدَّهَا بَأْسًا ، وَأَكْثَرَهَا عُلُومًا وَحِكْمًا ^(٤) ، لَمْ يَكُنْ فِي أَكَّاسِيرِهَا أَحَدٌ مِنْ كِسْرَى أُنُوشِروَانَ ، وَصَارَ يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَلُ ، وَتُطَرِّزُ بِسِمَرِهِ الْكُتُبُ وَالْمُصَنَّفَاتُ ، فَيُرَوَّى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَقِيَ كَبِيرًا مِنْ كُبَرَاءِ فَارِسَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَحْمَدُ خِصَالِ مُلُوكِكُمْ ، فَقَالَ : السَّبْقُ لِشِيرَوِيهِ ، وَأَحْمَدُهُمْ سِيرَةُ أُنُوشِروَانَ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَمَا كَانَ أَغْلَبَ خِصَالِهِ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ . قَالَ عَلِيٌّ : هُمَا تَوَامٌ يَنْتَجِعُهُمَا عُلُوُّ الْهَيْمَةِ .. وَلَقَدْ مِنْ جِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَضِيْقُ صَدْرُهُ بِجِلْمِهِ فَقَالَ : فَيُ غَصَلَتَانِ ، لَوْ لَا أَنَّهُمَا ظَاهِرَتَانِ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ لَضَيَّقَتْ بِهِمَا ^(٥) ذَرَعًا : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ .

فَاتَّخِلِقُ بِخِصَلَةٍ نَعْمٌ مَنْفَعَتُهَا ، وَيَقْيَى عَلَى الدَّهْرِ جَمَالَهَا ، وَيَتَحَلَّدُ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْعُقَلَاءِ ^(٦) وَالْمُلُوكِ وَالسُّوْقَةِ بِهَجَّتِهَا وَحُسْنُ مَصَادِيرِهَا وَمَوَارِدِهَا ، أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ

= خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، وقام النزاع بين الأمين والمأمون إلى أن قُتل الأمين سنة ١٩٨ هـ ، وكان سعى التدبير ، كثير التبذير ، منصرفاً إلى اللهو ومجالسة الندماء .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٢٧ ، وفوات الوفيات ج ٤ ص ٤٦ - ٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٣٦ - ٣٤٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٥ - ٣٦٤] .

(١) لَا جَرَمَ : حقاً .. وَلِي : ط : : وَلَا جَرَمَ : بالواري فليها .

(٢) فِي : م : : وَفُهِرَ : .

(٣) فِي : م : : وَصَارَ يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَلُ : .

(٤) فِي : م : : وَحِلْمًا : .

(٥) فِي : م : : بِهَا : خطأ من الناسخ .

(٦) فِي : م : : فِي الْعُقَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ : .

شِعَارًا وَدِنَارًا ، وَإِنَّمَا قَصَدْتُ الْحُكَمَاءَ مِنَ الْمُلُوكِ خَاصَّةً ، وَأَمَّا ^(١) مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ
الرُّعِيَّةِ - كَالْأَخْنَفِ وَنُظَرَائِهِ - فَلَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً .

(١) في ط : « فَأَنَا » .

الباب التاسع والعشرون

فيما يسكن به الغضب (٥)

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى تَغْيِيرِ اسْتِكَانِكَ (١) ، وَتَبَدُّلِ صُورَتِكَ ، وَاحْتِمَارِ وَجْهِكَ ، وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِكَ ، وَذَهَابِ جَنَانِكَ (٢) ، وَسَقَطِ كَلَامِكَ ، وَفُتْحِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَيْكِ ، لِأَمْسَكْتَ عَنِ الْغَضَبِ ، وَأَطَالَ مَا كُنْتَ تَسْتَجِي أَنْ تَتَكَلَّمَ [بَيْنَ يَدَيِ الْجُلَسَاءِ] (٣) بِالْيَسِيرِ الْجَائِزِ ، فَعَمَدْتَ تَهْدُرُ (٤) بِالْكَثِيرِ الْفَاجِسِ ، وَلَوْ أَنَّ مَنْ غَضِبَ اسْتَذَكَرَ إِذَا صَحَا وَسَكَنَ ، عَزَّ بِهِ (٥) انْقِلَابُ صُورَتِهِ ، وَتَغْيِيرُ وَجْهِهِ ، وَاضْطِرَابُ شَفَتَيْهِ ، وَارْتِعَادُ أَطْرَافِهِ ، وَسَقَطُ كَلَامِهِ ، وَفُتْحُ حِطَابِهِ ، وَالتِّفَافُ لِسَانِهِ ، وَخِفَةُ عَقْلِهِ ، وَطَبِيشُهُ ، وَوُثُوبُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ كَأَنَّهُ نِمِرٌ ، وَسُرْعَةُ التِّفَاتِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا كَأَنَّهُ قِرْدٌ ، وَغَدَمٌ فَهْمِهِ لَمَّا يَسْمَعُ ، وَقَلَّةُ التِّفَاتِهِ إِلَى مَنْ يَعْظُمُ وَيَنْصَحُهُ كَأَنَّهُ أَحْمَقٌ .

(٥) في ط : : فيما يسكن الغضب .

(١) استكانتك : هُدُوتك ووقارك . وفي ط : : أشكالك .

(٢) الجنان : القلب . والأوداج : ما أحاط بالحنق من العروق .

(٣) ما بين المعرفين عن ط .

(٤) تهذر ، بضم الدال المهملة وبكسرهما : تنطق وتصوت .

(٥) عزَّ به : اشتد وشق عليه .. وفي ط : غَرَّرَ به لعله يريد غَرَّرَ به ، بمعنى : عَرَّضَهُ لِلْهَلَاكَةِ .

وَمِنْ شُؤْمِ الْعُصْبِ وَعَظِيمِ بَلِيَّتِهِ أَنَّهُ قَدْ يَقْتُلُ النَّفْسَ ، وَيَسْلُبُ الرُّوحَ . وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ كَلَامٌ ، فَعَجَلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ فَقَالَ : يَا مَنْ يَلْحَقُ أُمُّهُ ^(١) فَفَتَحَ فَاهُ لِيُجِيبَهُ ، وَإِذَا بِجَنَبِهِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَمْسَكَ عَلَى فِيهِ وَرَدَّ كَلِمَتَهُ وَقَالَ : يَا بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخُوكَ ، وَمَامُكَ ، وَلَهُ السُّنُّ عَلَيْكَ . فَقَالَ : يَا أَبَا حَفْصٍ فَتَلَّتْنِي ! قَالَ : وَمَا صَنَعْتُ [بِكَ] ^(٢) ؟ قَالَ : رَدَدْتُ فِي جَوْفِي ^(٣) أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ .. وَمَالَ لِيَجَنِبِهِ فَمَاتَ . وَلَعَمْرِي إِنَّهُ يَزِيدُ ^(٤) عَلَى الْحَقَمَى .

وَمِنْهَا أَنَّهُ ^(٥) يَنْتَقِلُ مِنَ الْحَالَةِ ^(٦) الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِهَا .. كَانَتْ الْفَرَسُ تَقُولُ : إِذَا غَضِبَ الْقَائِمُ فَلْيَجْلِسْ ، وَإِذَا كَانَ جَالِسًا فَلْيَقُمْ ، وَبِهَذَا الْمَذْهَبِ كَانَ يَأْخُذُ الْمَأْمُونُ نَفْسَهُ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا شَكَاَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقَسْوَةَ ، فَقَالَ : اطْلُعْ فِي الْقُبُورِ ، وَاعْتَبِرْ بِالشُّوْرِ . وَكَانَ بَعْضُ مُلُوكِ الطُّوَايِفِ إِذَا غَضِبَ أَلْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ مَفَاتِيحَ ثَرْبِ الْمُلُوكِ فَيَزُولُ غَضَبُهُ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ ^(٧) يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ^(٨) يَعْنِي : إِذَا غَضِبْتَ ، فَإِنَّهُ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَخَافَ [مِنْهُ] ^(٩) فَيَزُولُ غَضَبُهُ ..

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطي : أنه قال له : « يا ابن اللعناء » . وهو سب .

[انظر المرجع السابق ص ٢٧١ ، ٢٧٢] .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) في « د م » : « رَدَدْتُ لِي » .. وفي تاريخ الخلفاء : « رَدَدْتُ فِي جَوْفِي » .

(٤) في « د م » : « قد يزيد » .

(٥) في « ط » : « أَنْ » .

(٦) في « د م » : « عن الحالة » .

(٧) هو : عِكْرِمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرَبَرِيُّ الْمَدَنِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، تَابِعِي ، أَصْلُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْتَّضْيِيرِ وَالْمَغَازِي ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٥ هـ ، وَطَافَ بِالْبِلَادِ ، وَرَوَى عَنْ زُهَاءٍ لثَلَاثَةِ رَجُلٍ ، مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ تَابِعًا . تَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٠٥ هـ وَكَثِيرٌ غَزَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، قَقِيلٌ : مَاتَ أَعْلَمُ النَّاسِ وَأَشْعَرُ النَّاسِ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٤ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٢٦ - ٣٤٧ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٣ -

٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٥ ، ٩٦ ، والمعارف ص ٤٥٥ -

٤٥٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦] .

(٨) سورة الكهف - من الآية ٢٤ .

(٩) ما بين المعقوفين عن « ط » ولم يرد في « د م » .

وَفِي التَّوْرَةِ : يَا بَنِي آدَمَ ، اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ اذْكُرَكَ حِينَ اَغْضَبَ ، وَلَا اُحْكَكَ ^(١) فِيمَنْ اُحَقُّ .

وَمِنْهَا اَنْ يَذْكُرَ نَفْرَةَ الْقُلُوبِ عَنْهُ ، وَسُقُوطَ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اُتْبَاءِ جَنْسِيهِ ، وَوَصْفَهُمْ لِمَقَابِحِهِ وَطَبِئِهِ وَسُخْفِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِرَوَالِ غَيْظِهِ .

وَمِنْهَا اَنْ يَذْكُرَ اِعْطَافَ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَاِنْطِلَاقَ الْأَلْسِنَةِ بِالتَّنَائِي عَلَيْهِ ، وَمِثْلَ النَّفُوسِ إِلَيْهِ ، وَأَنْ الْجَنَمَ عِزٌّ وَنَهْنٌ ، وَأَنْ السُّقَّةَ ذُلٌّ وَشَيْنٌ . رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : « مَا أَزْدَادَ رَجُلٌ بَغْوَ إِلَّا عِزًّا ، فَأَعْفُوا يُعْزِّكُمْ اللَّهُ » ^(٢) .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : مَنْ يَذْكُرْ قُدْرَةَ اللَّهِ لَمْ يَسْتَعِجِلْ قُدْرَتُهُ فِي ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَكَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفَرَسِ كِتَابًا وَدَفَعَهُ إِلَى وَهْبِهِ وَقَالَ لَهُ ^(٣) : إِذَا غَضِبْتُ فَنَاقِلِيهِ ، وَفِيهِ مَكْتُوبٌ : مَا لَكَ وَلِلْغَضَبِ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ ، أَرْحَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ .. وَكَانَ مُعَاوِيَةُ كَثِيرًا مَا يَنْشِدُ ^(٤) :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأُلْصَقَتِ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ ^(٥)

وَ اعْتَالَجَ النَّاسُ بِالْبَابِ بِهِمْ نَقَضِي بِحُكْمِ عَادِلٍ فَاصِلِ ^(٦)

(١) اُحْكُكَ : اُهْلِكُكَ .

(٢) في ٣ م : « فَأَعْفُوا يَعْفُوَكُمْ اللَّهُ » قوله : « يعفوكم » تصحيف . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر ، باب استحباب العفو والتواضع ، ج ١٦ ص ١٤١ بشرح النووي ، وأخرجه الترمذی في صحيحه في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في التواضع ج ٨ ص ١٨٤ بشرح ابن العري ، وأخرجه الدارمی في سننه في كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ج ١ ص ٣٩٦ . ونص الحديث كاملاً عند الثلاثة : عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَا نَقَضَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » .

(٣) له « عن ط » .

(٤) في البداية والنهاية : أن عبد الملك بن مروان كان إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السامعون على رأسه بالسيف ، فينشد .. وقال بعضهم : يأمر من ينشد هذه الأبيات التي ستأتي .. وفي العقد الفريد نسب هذه الأبيات لأبي الحقيق ، وكان عبد الملك يتمثل بها . وهي من السريع .

[انظر البداية ج ٩ ص ٦٩ والعقد ج ٥ ص ١٥٥] .

(٥) في العقد الفريد : « إني » بدل « إنا » وفي البداية والنهاية : « نالت » بدل « مالت » .

(٦) في ٣ م : « فاضل » بدل « فاصل » . وفي البداية والنهاية : « واضطروع » بدل « واعتلج » وهما بمعنى واحد . وفي العقد الفريد : « بأرائهم » بدل « بألبابهم » . وفي البداية والعقد بعد هذا البيت :

نَحَافُ أَنْ تُسَفِّهَ أَخْلَامُنَا فَتَحْمَلَ اللَّهْمَ مَعَ الْخَايِلِ ^(١)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِيَّاكَ وَعِزَّةَ الْغَضَبِ ، فَإِنَّهَا تُفْضِي إِلَى ذُلِّهِ الْعُذْرِ ^(٢) .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذَا مَا اغْتَرَّتْكَ فِي الْعُصْبِ الْعِزُّ فَادْكُرْ تَذَلُّلَ الْاِعْتِدَارِ ^(٣)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

زَرَرْنَا عَلَى غَيْرِ الْفَوَاحِشِ قُمْصَنَا وَلَمْ تَسْتَجِزْ إِلَّا الَّذِي هُوَ أُنْجُورُ ^(٤)

وَقَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ مُحَارِبٍ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أُلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَذْلَ مِثْلِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَبِالَّذِي هُوَ أَقْدَرُ عَلَى عِقَابِكَ مِنْكَ عَلَى عِقَابِي لَمَّا ^(٥) عَفَوْتَ عَنِّي . فَقَعَا عَنْهُ لَمَّا ذَكَرَهُ قُدْرَةُ اللَّهِ [تعالى] ^(٦) عَلَيْهِ . وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ لِعَبِيدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي أَسَارَى ابْنِ الْأَشْعَثِ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ مَا تُحِبُّ مِنَ الظَّفَرِ ، فَأَعْطِ اللَّهَ تَعَالَى مَا يُحِبُّ مِنَ الْعَفْوِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ ، وَكَانَ مَعَ أَخِيهِ عَلَيْهِ : إِنِّي شَاوَرْتُ فِي أَمْرِكَ فَأَشَارُوا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ ، إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ قَدْرَكَ فَوْقَ ذَلِكِ ، فَكَرِهْتُ الْقَتْلَ لِلْأَيِّمِ

= لَا تَجْعَلِ الْهَاطِلَ حُفَا وَلَا تُرَضِّى بَدُونِ الْخَلْقِ لِلْهَاطِلِ

غير أن في البداية جاء : « نلفظ دون » بدل « نرضى بدون » .

(١) تُسَفِّهَ أَخْلَامُنَا : تطيش وتجهل عقولنا . والخاصل : الخفى الساقط الذى لا تباهة له . والشطرة الثانية في البداية والنهاية : « شَجْهَلُ الْحَقِّ مَعَ الْجَاهِلِ » .

(٢) الْعُذْرُ : الحجة التى يعتذر بها . وفى « م » : « والفدر » لا تصح .

(٣) هكذا البيت فى « ط » وأدب الدنيا والدين ، وهو من الخفيف .. وفى « م » : « منهاج اليقين » : « وإذا ما اعتراك » أى اعترضك وغشيك .

[انظر الباب الخامس - الفصل الرابع من أدب الدنيا والدين ص ٣١٢ ومنهاج اليقين ص ٤٢٧] .

(٤) الْقُمْصُ : جمع قميص ، وشكت الميم لضرورة الشعر . والشطرة الأولى من البيت كتابة عن الطهارة وعدم ارتكاب ما يشين النفس ، والثانية كتابة عن التسامح والعفو ، وسلوك أسهل طريق في المعاملة .

(٥) هكذا فى « ط » وأدب الدنيا والدين .. وفى « م » : « أما » تحريف . واللام هنا واقعة فى جواب الْقَسَمِ .

(٦) ما بين المعفوفين عن « م » .

حُرْمَتِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمُشِيرَ أَشَارَ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي السِّيَاسَةِ ،
إِلَّا أَنَّكَ أُبَيِّتَ أَنْ تَطْلُبَ النُّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عُوذْتَهُ مِنَ الْعَفْوِ ، فَإِنْ عَاقَبْتَ فَلَكَ نَظِيرٌ ،
وَأَنْ عَفَوْتَ فَلَا نَظِيرَ لَكَ . وَأُلْشَأُ يَقُولُ :

الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطُلَا الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِي فِيمَا فَعَلْتُ فَلَمْ تُعَذِلْ وَلَمْ تُلِمْ ^(١)

وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ ^(٢)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٣) : الْعُصْبُ عَلَى مَنْ لَا تَمْلِكُ عَجْزٌ ، وَعَلَى مَنْ تَمْلِكُ لُؤْمٌ .

وَمِنْهَا أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا يَقُولُ إِلَيْهِ الْعُصْبُ مِنَ التُّدْمِ وَمَذَلَّةِ الْإِيتِقَامِ ، وَشُرُوعِ الْقَصَاصِ فِي
بَدَنِهِ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَرُدُّهُ مِنَ الْعُصْبِ ^(٤) .

(١) هكذا البيت في « ط » وأدب الدنيا والدين ، وهو من البسيط .. وفي « م » سقطت « ي » من الشطر
الأول ، سهواً من الناسخ .. والشطر الثانية من البيت في العقد الفريد : « فِيمَا أَنَاكَ فَلَمْ تُقْبَلْ وَلَمْ تُلِمْ » . والمعنى :
أَنْ يَرْكَبَ لِي مَهْذُوهً لِي الْعُذْرَ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ فَقَفَوْتُ عَنْهُ بِدُونِ تَأْنِيهِ أَوْلَوِي .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣١٣ والعقد ج ٢ ص ١٩] .

(٢) في أدب الدنيا والدين بعد هذا البيت :

لَنْ يَجْعَلَكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ إِلَى نَفْسِ اللُّؤْمِ أَخْطَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
تَعَوُّ بِعَدْلٍ وَتَسْطُو إِنَّ سَطَوْتَ بِهِ فَلَا عِدْمَتَكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمٍ

(٣) في « م » : « الْحَمَاء » .

(٤) يَرُدُّهُ مِنَ الْعُصْبِ : يَنْجُو مِنْهُ .. وفي « م » : « يُرْغَبُهُ عَنِ الْغَضَبِ » أى : يجعله يتركه ويذهب فيه .

البَابُ الثَّلَاثُونَ

فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ (٥)

وَهَذِهِ - الْخَصْلَةُ - الْجَلِيلُ قَدْرُهَا ، الْعَظِيمُ مَوْفَعُهَا ، الشَّرِيفُ مَوْرِدُهَا وَمَصْنَدُهَا (١) وَهِيَ إِحْدَى قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ وَأَسَاسُهَا (٢) وَتَاجُهَا وَجَمَالُهَا - نَعْنُو لَهَا الْوُجُوهَ ، وَنِذْلُ لَهَا الرُّقَابَ ، وَنَحْضَعُ لَهَا الْجَبَابِرَةَ ، وَنُسْتَرْقُ (٣) بِهَا الْأَحْرَارَ ، وَنُسْتَمَالُ بِهَا الْأَعْدَاءَ ، وَنُسْتَكْثُرُ بِهَا الْأَوْلِيَاءَ ، وَنَحْسُنُ بِهَا الشُّنَاءَ ، وَنُمْلِكُ بِهَا الْقُرَبَاءَ وَالْبُعْدَاءَ ، وَنَسُوذُ بِهَا فِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمُ الْغُرَبَاءَ .

وَهَذِهِ الْخَصْلَةُ بِالْعَزَائِمِ الْوَاجِبَاتِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْجَمَالِ وَالْمُتَمَمَّاتِ ، وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ كَافِرٍ تَرَكَ دِينَهُ وَالتَّزَمَ دِينَ الْإِسْلَامِ ابْتِغَاءَ عَرَضٍ قَلِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا يَنَاقِلُهُ ، وَكَمْ قَدْ سَمِعْنَا مِنْ مُسْلِمٍ ارْتَدَّ فِي أَرْضِ الشَّرِّكِ افْتِنَانًا يَبْسِيهِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا ، وَأَخْلَقَ بِخَصْلَةٍ يَتَرَكُ لَهَا الْإِنْسَانُ دِينَهُ الَّذِي يَنْذُلُ دُونَهُ نَفْسَهُ أَنْ تُكُونَ جَلِيلَةَ الْقَدْرِ ، عَظِيمَةَ الْحَظَرِ . وَأَخْوَجُ خَلَقَ اللَّهُ إِلَيْهَا أَفْقَرَهُمْ إِلَى عَطْفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَ الْوُجُوهَ إِلَيْهِ ، وَهَمَّ الْمُلُوكُ وَالْوُلَاةُ .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » أضاف إلى العنوان سطرا من المتن إلى قوله : « الشَّرِيفُ مَوْرِدُهَا وَمَصْنَدُهَا » .

(١) في « م » : « مَصْلَدُهَا وَمَوْرِدُهَا » .

(٢) في « م » : « وَسَيَّاسُهَا » أى : امتلاك أمورها .

(٣) في « م » : « نُسْتَرْقُ » .

وَأَعْلَمُوا يَأْمَعَشَر مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ آيَاهُ وَنِعْمَاهُ ^(١) أَنَّهُ لَيْسَ فِي
النَّجْنَةِ « لا » ، وَحَسْبُكَ بِكَلِمَةٍ لَا تَدْخُلُ النَّجْنَةُ سُقُوطاً وَضَعَةً ^(٢) ، وَإِنَّمَا أُثْبِتَ ^(٣)
النَّجْنَةُ عَلَى مَا تُشْتَبِهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ .

وَهَذِهِ الْحَصْلَةُ - أَغْنَى الْكَرَمَ وَالْجُودَ ، وَالسَّخَاءَ وَالْإِنْفَارَ - بِمَعْنَى وَاحِدٍ .. يُوصَفُ
الْبَارِي تَعَالَى بِالْجُودِ وَلَا يُوصَفُ بِالسَّخَاءِ ، كَمَا يُوصَفُ بِالْعِلْمِ وَلَا يُوصَفُ بِالْعَقْلِ ،
لِعَدَمِ التَّوْقِيفِ . وَحَقِيقَةُ الْجُودِ هِيَ أَنَّ لَا يَصْنَعُ عَلَيْهِ الْبَذْلُ . وَيُقَالُ : السَّخَاءُ هُوَ الرِّبْيَةُ
الْأُولَى ، ثُمَّ الْجُودُ ، ثُمَّ الْإِنْفَارُ ، فَمَنْ أُعْطِيَ الْبَعْضُ وَأُمْسِكَ الْبَعْضُ فَهُوَ صَاحِبُ
سَخَاءٍ ، وَمَنْ بَذَلَ الْأَكْثَرَ ^(٤) فَهُوَ صَاحِبُ جُودٍ ، وَمَنْ أَثَرُ غَيْرِهِ بِالْحَاضِرِ وَبَقِيَ هُوَ فِي
مُقَاسَاةِ الضَّرِّ فَهُوَ صَاحِبُ إِنْفَارٍ .

قَالَ ^(٥) ذُو النُّونِ ^(٦) : بِدَايَةِ السَّخَاءِ أَنْ تَسْخُو نَفْسُكَ بِمَا فِي يَدَيْكَ ^(٧) ، وَنَهَايَتُهُ أَنْ
تَسْخُو نَفْسُكَ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَأَنْ لَا تُبَالِيَ مِنْ كُلِّ ^(٨) الدُّنْيَا . وَتَذَاكُرُ قَوْمَ مَنْ

(١) في م : « وأسبغ عليه نعماءه » أي : أتم عليه الرفافة وطيب العيش .

(٢) الضَّعْفَةُ : الانعطاف .

(٣) في ط : « أُثْبِتَ » .

(٤) في ط : « الأكبر » .

(٥) في م : « وقال » .

(٦) في م : « ذَا النُّونِ » خطأ من الناسخ .

وهو : ذُو النُّونِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَصْرِيَّ ، أَبُو الْفَيْضِ ، وَيُقَالُ لَهُ : تُوْبَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمْلِي الْمَصْرِيَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ التُّوبَةِ ،
وَهُوَ أَسَدُ الزُّهَادِ الْعُبَادِ الْمَشْهُورِينَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، كَانَتْ لَهُ فَصَاحَةٌ وَحِكْمَةٌ وَشِعْرٌ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِمِصْرَ فِي
« تَرْتِيبِ الْأَحْوَالِ » ، وَمَقَامَاتِ أَهْلِ الْوِلَايَةِ « فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَاتَّهَمَهُ لَكْدَى الْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِي
بِالزُّنْدَقَةِ . فَاسْتَحْضَرَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَعَظَهُ ، فَبَكَى الْمُتَوَكِّلُ ، ثُمَّ أَمْلَقَهُ وَرَدَّهُ إِلَى مِصْرَ مُكْرَّمًا ، وَتَوَلَّى بِالْجِيزَةِ
سَنَةَ ٢٤٥ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٠٢ ، وطبقات الصوفية ص ١٥ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٣٣١ - ٣٩٥ ،
وج ١٠ ص ٣ ، ٤ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٠ - ٧٢ ، والرسالة القشورية ج ١ ص ٥٨ - ٦١ ، ووفيات
الأعيان ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٩٣ - ٣٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٥٣٢ -
٥٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٢١٨ - ٢٢٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٤٥٢ مادة أنجم] .

(٧) هكذا في ط .. وفي م : « بما في أيدي الناس » وستأتي ، وقد سقط ما بينهما سهواً من الناسخ .

(٨) في م : « أكل » .

مِنَ الرَّهَادِ عِنْدَ رَابِعَةِ الْعَدْوِيَّةِ ^(١) فَجَعَلُوا يَذْمُونَ الدُّنْيَا وَيُكْثِرُونَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ رَابِعَةُ :
مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ .

وَأَصْلُ السَّخَاءِ هُوَ السَّمَاحَةُ ، وَأَنْ يُؤْتِيَ مَا يُؤْتِيهِ عَنْ ^(٢) طِيَبَةِ نَفْسٍ [وَالشِّرَاجُ صَدْرٌ] ^(٣) . وَقَدْ يَكُونُ الْمُعْطَى بِخِيَالًا إِذَا صَعَبَ عَلَيْهِ الْبَذْلُ ، وَالْمُمْسِكُ سَخِيًّا إِذَا كَانَ لَا يَسْتَصْنِعُ الْعَطَاءَ وَإِنْ مَنَعَ ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَمَاؤُنَا : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ جَوَادًا وَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ عَطَاءٌ فِي الْأَزَلِ ، لِأَنَّ الْعَطَاءَ فِعْلٌ ، وَالْفِعْلُ فِي الْأَزَلِ مُسْتَحِيلٌ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَهْمُّ الْجَامِعِ ، لَا تُخْذَعَنْ ، فَالْمَأْكُولُ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبُ لِلْمَعَادِ ^(٤) ، وَالْمُتْرُوكُ لِلْعَدُوِّ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ^(٥) . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي جَائِعٌ فَأُطْعِمْنِي . قَبِعَتِ النَّبِيُّ ﷺ ، إِلَى أَزْوَاجِهِ ، فَقُلْنَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٧) مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَا يُطْعِمُكَ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .. فَحَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَقَالَ لِأَهْلِهِ : هَذَا ضَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأُكْرِمِيهِ ،

(١) هي : رابعة بنت إسماعيل العلوية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك البصرية ، صالحة مشهورة من أهل البصرة ، ومولدها بها ، ولها أخبار في العبادة والنسك ، ولها شعر ، ومن كلامها : « اكمسوا حسناتكم كما تكمسون سيئاتكم » . توفيت سنة ١٣٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٦٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٨ ، وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٧١ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤٠ في ترجمة محمد بن إسماعيل الشكلى ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٤١ - ٢٤٣] .

(٢) في « ط » : « من » . ويؤتي : يعطي ، من الإتياء .. و « م » : « ما بقى مآتيه » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « م » ، وساقط من « ط » .

(٤) المقاد : الحياة الآخرة .

(٥) سورة الحشر - من الآية التاسعة .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٧) في « م » : « بعثك بالحق نبيا » .

وَلَا تُدْخِرِي ^(١) عَنْهُ شَيْئًا . فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ الصَّبِيَّةِ . فَقَالَ ^(٢) : قَوْمِي فَعَلَّيْهِمْ
عَنْ قُوْتِهِمْ ^(٣) حَتَّى يَأْمُوا ، ثُمَّ أَسْرَجِي وَأُبْرِزِي [العشاء] ^(٤) فَإِذَا أَخَذَ الضَّيْفُ يَأْكُلُ ،
قَوْمِي كَأَنَّكَ تُصْلِحِينَ السَّرَاجَ فَأَطْفِئِيهِ ، وَتَعَالَى نُمُضْعُ السِّتْنَتَا لِضَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ ^(٥) .
فَفَعَلْتُ ، وَجَعَلَا يَمْضِعَانِ السِّتْنَتَهُمَا وَالضَّيْفُ يَطْنُ أَتُهُمَا يَأْكُلَانِ ، وَبَاثَا طَاوِثَيْنِ ^(٦) ،
فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمَا ، تَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ ^(٧)
هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَنَزَلَتْ ^(٨) ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۖ ﴾ الْآيَةَ ^(٩) .

وَقَالَ أَنَسٌ : أَهْدَى لِنِعْمِ الصَّحَابَةِ رَأْسُ شَاةٍ مَشْوِيَةٍ ، وَكَانَ مَجْهُودًا ^(١٠) ، فَوَجَّهَ بِهِ
إِلَى جَارٍ لَهُ ، فَوَجَّهَ بِهِ الْجَارُ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ آخَرَ ، فَتَدَاوَلَتْهُ سَبْعَةٌ ^(١١) أَبْيَاتٍ حَتَّى عَادَ إِلَى
الْأَوَّلِ ، فَتَزَلَّتْ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ الْعَدَوِيُّ : انْطَلَقْتُ يَوْمَ التَّرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّ لِي ، وَمَعِيَ شَيْءٌ مِنْ
مَاءٍ ، وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ ^(١٢) سَقَيْتُهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ بَيْنَ الْقَتْلَى ، فَقُلْتُ : أَسْنِيكَ ؟
فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : آه .. فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ انْطَلِقُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « د » : « وَلَا تُدْخِرِينَ » بالنون ، لا تصح . وفي الحديث الذي رواه البخاري : « لَا
تُدْخِرِيهِ » .

(٢) في « د » : « قَالَ » .

(٣) أى : اشغلهم وألهيهم عنه .

(٤) ما بين المعقوتين عن « د » . وأسرجي : حشني الطعام ، أو أوقدي السراج .

(٥) في « د » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٦) طَاوِثَيْنِ : جالِثَيْنِ .

(٧) في « د » : « وَفُلَانٍ » .

(٨) في « د » : « وَنَزَلَ » .

(٩) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ ج ٨ ص ٦٣١ من فتح
البارى .

(١٠) أى : فقيرًا مُضْطَرًا .

(١١) في « د » : « سَبْعٌ » خطأ ، والصواب « سبعة » فاليبت مذكر في اللغة .

(١٢) الرَّمَقُ : بقية الروح .

العاصي^(١) قُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : آو . فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْ يُطْلَقَ إِلَيْهِ ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ .

وَرَوَتْ عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ »^(٢) بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ ، وَالْبَحِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ »^(٣) . وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعَايِدِ الْبَحِيلِ »^(٤) . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « ابْنُ آدَمَ ، إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ »^(٥) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السَّخَاءَ عَلَى وَجْهِهِ : سَخَاءٌ فِي الدِّينِ ، وَسَخَاءٌ فِي الدُّنْيَا ، فَالسَّخَاءُ فِي الدُّنْيَا : الْبَذْلُ ، وَالْعَطَاءُ ، وَالْإِنْفَارُ ، وَسَمَاحَةُ النَّفْسِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(٦) ، وَعَلَامَتُهُ تَرْكُ الْأَدْعَاءِ ، وَبَعْضُ جَنِّجِ الْمَالِ ، وَتَعَاهُدُ الْإِخْوَانِ^(٧) ، مَسْرُورًا قَلْبُهُ بِذَلِكَ . وَالسَّخَاءُ فِي الدِّينِ : أَنْ تُسْخَرُوا

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » - بعد قوله : قُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ - « فَأَشَارَ أَنْ نَعْمَ » وسقطت بعض الكلمات سهواً من الناسخ مما جعل العبارة لا تستقيم معنى .

وهشام هو : هشام بن العاص بن وائل بن هاشم ، صحابي ، وهو أخو عمرو بن العاص ، وأصغر سنّاً منه ، أسلم بمكة قديماً ، وهاجر إلى بلاد الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم عاد إلى مكة حين بلغته هجرة النبي ، صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، يريد اللحاق به ، فحبسه أبوه وقومه بمكة ، فأقام إلى ما بعد وقعة الخندق ، ورحل إلى المدينة ، فشهد الوقائع وقُيِّلَ في أجناده سنة ١٣ هـ في خلافة أبي بكر ، وقيل : في اليرموك ، وكان - رحمه الله - شجاعاً صالحاً . [انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٣ و ص ٢٧١] .

(٢) عبارة « قريب من الجنة » عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٣) عبارة « قريب من النار » عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٤) الحديث أخرجه الترمذی في أبواب البرِّ والصَّلة ، باب ما جاء في السخاء ، ج ٨ ص ١٤٠ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد ج ١٨ ص ٩٤ بشرح النووي ، والترمذی في أبواب الزهد ج ٩ ص ٢٠٧ بشرح ابن العرفي .

(٦) سبق تخريجها .

(٧) تعاهد الإخوان : تفقدهم والاهتمام بأحوالهم .

بِنَفْسِكَ ^(١) .. أَنْ تُثْلِفَهَا فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَتُرِيْقَ دَمَكَ فِي اللَّهِ سَمَاحَةً مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ ^(٢) لَا تُرِيدُ بِذَلِكَ ثَوَابًا عَاجِلًا وَلَا آجِلًا ، وَإِنْ كُنْتُ ^(٣) غَيْرَ مُسْتَعْنٍ عَنِ الثَّوَابِ ، لِأَنَّ الْعَالِبَ عَلَى قَلْبِكَ ^(٤) حُسْنُ كَمَالِ السَّخَاءِ ، بِتَرْكِ الْاِخْتِيَارِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَفْعَلَ اللَّهُ بِكَ مَا لَا تُحْسِنُ أَنْ تُخْتَارَهُ لِنَفْسِكَ .

وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ السَّيِّدُ ؟ قَالَ : الْجَوَادُ إِذَا سُئِلَ ، الْحَلِيمُ إِذَا اسْتُجْهِلَ ، الْكَرِيمُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنْ جَالَسَهُ ، الْحَسَنُ الْخُلُقِ ^(٥) لِمَنْ جَاوَزَهُ . وَقَالَ التَّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ يَوْمًا لِجَلَسَائِهِ : مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ عَيْشًا ، وَأَنْعَمُهُمْ بَالًا ، وَأَكْرَمُهُمْ طِبَاعًا ، وَأَجْلَهُمْ فِي النَّفْسِ قَلْبًا ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ قَتِي : أَيُّتِ اللَّعْنِ ^(٦) ، أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَاشَ النَّاسُ فِي فَضْلِهِ . قَالَ : صَدَقْتَ .. وَقَالَ الْحَسَنُ : بَاعَ طَلْحَةَ [بْنُ عُثْمَانَ] ^(٧) أَرْضًا بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْمَالُ قَالَ : إِنَّ رَجُلًا يَبِيتُ هَذَا عِنْدَهُ لَا يَدْرِي مَا يَطْرُقُهُ لَعْرِيرٌ ^(٨) بِاللَّهِ .. ثُمَّ جَعَلَ رَسُولُهُ يَخْتَلِفُ حَتَّى قَسَمَهَا ، وَمَا أَصْبَحَ عِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ .

وَكَانَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ ^(٩) يَقُولُ : مَا أَحَبُّ أَنْ أُرَدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ، لِإِنَّهُ إِنْ كَانَ

(١) في ط : « تسخو نفسك أن يظفها الله تعالى » .

(٢) في م : « كراهية » .

(٣) في م : « وإن كان » .

(٤) في م : « على قلبه » .

(٥) في م : « الحسن المجاور » .

(٦) أَيُّتِ اللَّعْنِ : من تحية الملوك في الجاهلية ، ومعناها : أَيُّتِ أَنْ تَأْتِيَ مَا تُلْعَنُ عَلَيْهِ .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّفِينَ عَنْ ط : .. وَالْحَسَنُ هُوَ : الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ .. وَطَلْحَةُ هُوَ : طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَانَ .. وَكِلَاهُمَا سَبَقَ التَّعْرِيفَ بِهِمَا .

(٨) مَا يَطْرُقُهُ : مَا يَحْدُثُ لَهُ . وَالْعَرِيرُ : مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالشَّيْءِ .

(٩) هُوَ : أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حَصَنٍ بْنِ حَذِيفَةَ الْفَزَارِيِّ ، تَابَعِيَ مِنْ رِجَالِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالْعِرَاقِ ، كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، جَوَادًا ، مُقَدَّمًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٦ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٠٥ ، وفوات الوفيات ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، والكامل لابن الأثير ، حوادث سنة ٦٦] .

كَرِيمًا أَصُونُ عِرْضَهُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَمَّا أَصُونُ عَنْهُ عِرْضِي . وَكَانَ مُورِثُ ^(١) الْعِجْلِي
يَتَلَطَّفُ فِي إِذْخَالِ الرَّفِيقِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، فَيَضَعُ عِنْدَ أَحَدِهِمُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَيَقُولُ : أَمْسِكُوهَا
حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ ، ثُمَّ يَرْمِيهِمْ إِلَيْهِمْ : أَأَنْتُمْ مِنْهَا فِي جِلٍّ ^(٢) .. وَقَالَ الْعُتْبِيُّ ^(٣) : أُعْطِيَ
الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(٤) جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ ، فَلَمَّا نَفَذَ مَا عِنْدَهُ رَكِبَ قَرَسَهُ وَأَخَذَ
زُمَحَهُ يُرِيدُ الْغَزَا ، وَمَاتَ بِمَنْبِجٍ ^(٥) ، فَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَنْبِجٍ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا
الْحَكَمُ وَهُوَ مُمْلِقٌ ^(٦) لَا شَيْءَ مَعَهُ ، فَأَغْنَانَا .. قِيلَ : كَيْفَ أَغْنَاكُمْ وَهُوَ مُمْلِقٌ ؟
فَقَالَ ^(٧) : مَا أَغْنَانَا بِسَالٍ ، وَلَكِنَّهُ عَلَّمَنَا الْكَرَمَ ، فَعَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَعْتَيْنَا .

وَأَكْرَمُ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ بِرَحِمِ بَيْتِهِ وَبَيْتَهُ ،
فَقَالَ : هَذَا حَائِطِي بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ أُعْطِيتُ بِهِ سِتِّمَاتَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ يُرَاحُ بِالسَّالِ
إِلَى الْعَشِيَّةِ ، فَإِنْ شِئْتَ فَالْمَالُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَالْحَائِطُ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا بَعَثَ إِلَى
حَنْظَلَةَ بِجَارِيَةٍ ، فَوَاقَتْهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : قَبِيحٌ أَنْ أَخْذَهَا لِنَفْسِي وَأَنْتُمْ حُضُورٌ ،
وَأَكْرَهُ أَنْ أُحْصِيَ بِهَا وَاحِدًا مِنْكُمْ وَكُلُّكُمْ لَهُ حَقٌّ وَحَرَمَةٌ ، وَهَذِهِ لَا تَحْتَمِلُ الْقِسْمَةَ ،
وَكَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِجَارِيَةٍ أَوْ وَصِيفٍ ^(٨) .

(١) في « ط » : « مروان » خطأ . وهو مُورِثُ الْعِجْلِي « ابن المشرج » وقد مرَّ التعريف به .

(٢) أى : هى مُباحة لكم بلا ثبقة .

(٣) هو : محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموى ، من بنى هبة بن أبى سفيان ، وهو من أهل
البصرة ، كان أديبًا فصيحًا ، وشاعرًا ، كثير الأخبار ، وأكثر أخباره عن بنى أمية . توفى سنة ٢٢٨ هـ . وهو غير
« العتي » المؤرخ محمد بن عبد الجبار .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والمعارف ص ٥٣٨ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ، وشذرات
الذهب ج ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٩٨ - ٤٠٠ ، والمعبر للذهبي ج ١ ص ٣١٧] .

(٤) هكذا في « م » و « ط » . ولعله يريد الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب ، وهو من سادة قريش
ووجوهها ، وكان مُمْلِكًا كريمًا ، تَخَلَّى عن الدنيا في آخر أيامه ولزم الثغور ، وتوفى بالشام .

[انظر نسب قريش ص ٣٣٩ - ٣٤١] .

(٥) مَنْبِج : بلدة بالشام ، كانت شمال شرق حلب .

(٦) مُمْلِقٌ : أى تَفِدَ مَالُهُ مِنَ الْإِنْفَاقِ .

(٧) في « م » : قال .

(٨) الوصيف : الخادم .

وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ^(١) : هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ أَسْحَى مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .. نَزَلْنَا بِالنَّبَادِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ ، فَحَضَرَ زَوْجُهَا فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضَيْفَانٌ ، فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَتَحَرَّهَا وَقَالَ : شَأْنُكُمْ ^(٢) . فَلَمَّا كَانَ ^(٣) الْعَدُ جَاءَ بِأُخْرَى وَتَحَرَّهَا وَقَالَ : شَأْنُكُمْ ^(٤) . فَقُلْنَا : مَا أَكَلْنَا مِنْ أَلْيِ نَحَرَتِ الْبَارِحَةِ إِلَّا الْيَسِيرَ ، فَقَالَ : إِيَّيْ لَا أَطْعِمُ أَضْيَافِي الْفَالِثَ .. فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ أَيَّامًا وَالسَّمَاءُ تُمِطِرُ ، وَهُوَ يَفْعَلُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّجِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِي بَيْتِهِ ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ : اعْتَدِي لَنَا مِنْهُ ، وَمَضَيْنَا ، فَلَمَّا مَتَعَ ^(٥) النَّهَارُ إِذَا ^(٦) بِرَجُلٍ يَصْبِيحُ خَلْفَنَا : قِفُوا أَيُّهَا الرُّكْبُ اللَّعَامُ ، أُعْطِيتُمُونِي ^(٧) ثَمَنَ الْفَرَى ؟ ثُمَّ إِنَّهُ لَحِقَنَا وَقَالَ : لِنَأْخُذْهَا ^(٨) وَإِلَّا طَعْنْتُكُمْ بِرُمْحِي ، فَأَخَذْنَاهَا ، وَانْصَرَفَ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ طَلَبَ مَرْضَاةَ الْإِخْوَانِ بِلَا شَيْءٍ فَلْيَصْحَبْ أَهْلَ الْقُبُورِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثَةٍ : تَعَجُّلِهِ ، وَتَصْفِيغِهِ ، وَسِرِّهِ ، فَإِذَا عَجَلَهُ فَقَدْ هَنَأَ ^(٩) ، وَإِذَا صَغُرَ ^(١٠) فَقَدْ عَظُمَ ، وَإِذَا سَتَرَهُ فَقَدْ تَمَّعَ ^(١١) . وَقَالَ الْحَسَنُ : كَانَ أَحَدُهُمْ يَشُقُّ إِزَارَهُ لِأَخِيهِ يَتَصَفَّيْنِ . وَقَالَ الْمُغِيرَةُ ^(١٢) : فِي كُلِّ شَيْءٍ سَرَفٌ ^(١٣) إِلَّا فِي الْمَعْرُوفِ .. وَقِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : لَا خَيْرَ فِي السَّرَفِ ، فَقَالَ : لَا سَرَفَ فِي الْخَيْرِ ، فَقَلَّبَ اللَّفْظَ وَاسْتَوْفَى الْمَعْنَى ، وَنَظَّمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ ^(١٤) فَقَالَ :

(١) هو : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، أحد الأجداد المشهورين . وقد مر التعريف به . وقد وردت هذه القصة في الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(٢) الشَّانُ : القُدْرُ . ويُطلق أيضًا : على الحال والحاجة والمنزلة وغيرها .

(٣) في « م » : « فلما جاء » . (٤) في « م » : « ما شأنكم ؟ » .

(٥) متع النهار : بلغ غاية ارتفاعه .. وفي « م » : « امتنع » . ويقال أيضًا متع النهار ، بالحاء المهملة ، وامتنع ، أي : طال وأمتد .

(٦) في « م » : « وإذا » . (٧) في « م » : « أعطيتونا » .

(٨) هكذا في « م » ، بالجزم ، للأمر .. وفي « ط » : « لتأخذونها » .

(٩) أي : جعله صالحًا يُسرُّ به .

(١٠) في « م » : « فإذا » . وصغُرَ : قَلَّ مِنْ شَأْنِهِ .

(١١) في « م » : « غمَّ » أي : سَتَرَهُ .

(١٢) في « م » : « وقال : المعروف .. بدل المغيرة » . وهو . المغيرة بن شعبة ، وقد مرَّ التعريف به .

(١٣) السَّرَفُ : مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ .

(١٤) هو : محمد بن حازم بن عمرو ، الباهل بالولاء ، أبو جعفر ، شاعر مطبوع ، كثير الهجاء ، لم يمدح =

لَا الْفَقْرَ عَارَ وَلَا الْغِنَى شَرَفَ وَلَا سَخَاءَ فِي طَاعَةِ سَرَفَ ^(١)
مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ أُخَّرْتُهُ تُلْفَ

وَأَمَّا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفِ الْخَزَاعِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِطَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ^(٢) وَإِنَّمَا
سُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْبَذْلِ فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَكَانَ يَتَنَاقَشُ الرُّقَابَ فَيَعْتَقُهَا ^(٣) ،
وَكَانَ كُلُّ مُعْتَقٍ يُؤَدِّ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرَ سَمَاءُ طَلْحَةَ ، فَبَلَغَ عَدْدُهُمْ أَلْفَ رَجُلٍ كُلُّ يُسَمَّى
طَلْحَةَ ، فَسُمِّيَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ، ثُمَّ وَلِيَ سِجِسْتَانَ ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٤) :

نَضَّرَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنَوْهَا بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ^(٥)

وَبَلَغَهُ ^(٦) أَنَّ مُعَلِّمَهُ كَانَ فِي الْكُتَابِ ^(٧) بِالْحِجَازِ قَدْ قَعَدَ بِهِ الذُّهْرُ ^(٨) فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَ

= من الخلفاء غير المأمون العباسي . ولد ونشأ بالبصرة ، وسكن بغداد ، وأكثر شعره في القناعة ، ومدح الثَّوْنُونَ ،
وذم الجزم والطمع . توفي في بغداد سنة ٢١٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٩٥ ، والورقة لابن الجراح ص ١١٧ - ١١٩ ، وطبقات
الشعراء لابن المعتز ص ٣٠٧ - ٣١٠ ، والأغاني ج ١٤ ص ٤٩٦٥ - ٤٩٨٥] .

(١) البيتان من المنسرح ، وفي عيون الأخبار : « ما الفقر » بدل « لا الفقر » .

[انظر المرجع السابق ص ٢٤٦] .

(٢) هو : طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، أحد الأجيال المقلدتين ، كان أجود أهل البصرة في زمانه ، وكان
أبوه كاتب عمر بن الخطاب بالمدينة ، ذهبت عنه بسمرة ، وكان يميل إلى بني أمية فيكرمه ، ولأه زهاد بن مسلم
على « سجستان » وتوفي وهو والي عليها سنة ٦٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، والمهر ص ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٨ ، وفوات الوفيات ج ٢
ص ١٣٤ ، ١٣٥] .

(٣) يعتقها : يحررها . وفي « م » : « يعقها » تصحيف .

(٤) هو : عبيد الله بن قيس الرُّقَاتِ .

(٥) البيت في معجم البلدان ج ٣ ص ١٩١ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٨ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٥
وفيه : « رحم الله » بدل « نَضَّرَ الله » .

(٦) في « ط » : « قد بلغه » .

(٧) هكذا في « م » و « ط » .. والكتاب : موضع لتعليم الصبيان القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن . وقد
خطأها الفيروزابادي والمُرد ، فهما يريان أن الصُّوب هو : المكتب . ولكن أغلب المعاجم تقول : إن الكتاب أو
المكتب واحد ، وهو مكان تعليم الصبية . ومن ثم فلا خطأ .

[انظر لسان العرب ، والصحاح ، والقاموس المحيط ، والمعجم الوسيط ، وغيرها من المعاجم] .

(٨) أى : صَبْرُهُ هَرِمًا لَا يَسْتَطِيعُ السَّيرَ أَوْ الْكَسْبَ .

غَلَامِهِ مِائَةَ أَلْفٍ ، فَقَالَ : سَلَّمَهَا إِلَيْهِ ، فَإِنْ يَكُنْ مَاتَ وَلَهُ وَلَدٌ فَادْفَعْنَهَا إِلَيَّ وَلَدِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَفَرِّقْنَهَا عَلَى قَوْمِهِ ، فَوَافَقَهُ الرَّسُولُ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يُعْقِبْ ^(١) ، فَفَرَّقَهَا فِي قَوْمِهِ ^(٢) .. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، وَكَانَ مِنَ الْخَاشِعِينَ : يَابْنَ آدَمَ ، أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ كَرِيمًا وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ ^(٣) ، وَنَهَاكَ أَنْ تَكُونَ لَيْمًا وَتَدْخُلَ النَّارَ . وَقَالَ حَكِيمُ بْنُ جَزَاءٍ ^(٤) : مَا أَصْبَحْتُ قَطُّ صَبَاحًا لَمْ أَرِ بَيَّابِي طَالِبَ حَاجَةٍ إِلَّا عَدَدْتُهَا مُصِيبَةً أَرْجُو نَوَابَهَا .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيُّ : الْمَعْرُوفُ كَثَرُ لَا يَبْعُدُ مِنْ بُرٍّ وَلَا فَاجِرٍ . وَكَانَ الزُّبَيْرُ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ وَأَشْجَعِهِمْ ^(٥) ، وَلَمَّا ^(٦) مَاتَ وَجِدَ عَلَيْهِ مِائَةَ ^(٧) أَلْفٍ دِينَارٍ .. وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ : انْتَهَزِ الْفُرَصَ ^(٨) عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، وَلَا تُحْمِلْ عَلَى نَفْسِكَ هَمَّ مَا لَمْ يَأْتِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْيِيرَكَ عَلَى نَفْسِكَ تَوْفِيرٌ لِحِزَانِهِ غَيْرِكَ ، فَكَمْ مِنْ جَائِعٍ لِبَعْلِ حَلِيلَتِهِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٩) : مَا جَمَعْتُ مِنَ الْمَالِ نَوْقَ قُوْتِكَ ، فَإِنَّمَا أَلْتُ فِيهِ خَازِنَ لِعَيْرِكَ .

(١) أى : لم يترك ولداً .

(٢) فى م : : على قومه .

(٣) فى م : : ولك الجنة .

(٤) هو : حكيم بن جزام بن خويلد بن أسد بن عبدالمزى ، أبو خالد ، صحابى ، قرشى ، وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين ، وُلِدَ بمكة ، وشهد حرب الفجار ، وكان صديقاً للنبي ، صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، وعمر طويلاً ، وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام ، أسلم عام الفتح ، وله في كتب الحديث ٤٠ حديثاً ، وتوفي في المدينة سنة ٥٤ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٦٩ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٤٥ ، ٤٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٠ ، والمعارف ص ٣١١ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٢ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٣ ص ٢٠٢ ، ونسب قريش ص ٢٣١] .

(٥) من أول قوله : وقال أبو علي .. إلى هنا عن م : وساقط من ط .

(٦) فى م : : فلما .

(٧) هكذا فى م : .. وفى ط : : ما كنا ، بالرفع . لا تصح .

(٨) فى م : : الفرصة .

(٩) ما بين المعرفتين عن ط .

وَجَلَسُوا لِلطَّعَامِ إِلَى أَنْ كُفُّوا ، فَلَمَّا رُفِعَ إِذَا الطَّعَامُ بِحَالِهِ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ^(١) .
 إِثَارًا لِصَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ . وَرَوَى أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِالرُّمْلَةِ ^(٢) جَمَاعَةٌ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ ،
 فَحَضَرَ طَبَقٌ فِيهِ تَيْنٌ أَحْضَرُ وَقَدْ غَسَقَ اللَّيْلُ ^(٣) ، فَكَانَ الْوَاحِدُ يُمَدُّ يَدَهُ فَإِذَا ظَفِيرٌ بِحَبِيَّةٍ
 حِصْرِمٍ ^(٤) يَأْكُلُهَا ، وَإِنْ ظَفِيرٌ بِطَيِّبٍ ^(٥) دَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَأْكُلْهُ ، فَلَمَّا رُفِعَ الطَّبَقُ
 إِذَا الطَّيِّبُ كُلُّهُ فِي الطَّبَقِ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا .

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : دَخَلْتُ عَلَى يَشْرِ الْحَافِي ^(٦) فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ وَقَدْ تَعَرَّى مِنَ
 الثِّيَابِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا نَصْرٍ ، النَّاسُ يَزِيدُونَ الثِّيَابَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَنْتَ تَنْقُصُ ؟
 فَقَالَ : ذَكَرْتُ الْفُقَرَاءَ وَمَا هُمْ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي مَا أُوَسِّيهُمْ بِهِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرَافِقَهُمْ ^(٧)
 بِنَفْسِي فِي مُقَاسَاةِ الْبَرْدِ . وَقَالَ الْأَسَاطُذُ أَبُو عَلِيٍّ : لَمَّا سَعَى غَلَامٌ لِحَلِيلٍ ^(٨) بِالصُّوْفِيَّةِ

(١) في (م) : لم يأكل أحد منهم شيئاً .

(٢) يُطلق هذا الاسم على عبدة محالٍّ ومُدد ، أشهرها : رملة فلسطين .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩ مادة : رملة] .

(٣) غَسَقَ اللَّيْلُ : أَظْلَمَ .

(٤) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « فَإِنْ وَجَدَ لِحِيَّ حِصْرِمٍ ، لَا يَصِحُّ ، وَالصَّوَابُ : « فَإِنْ وَجَدَ الْحَبِيَّةَ حِصْرِمًا .. وَالْحِصْرِمُ : الشَّعْرُ قَبْلَ التَّضَجِّجِ .

(٥) الطَّيِّبُ : كُلُّ مَا تَسْتَلْذُهُ الْحَوَاسِ أَوْ النَّفْسُ ، وَيُرِيدُ بِهِ هُنَا : الْغَارِ النَّاضِجَةُ الْجِهْدَةُ .

(٦) هو : يَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرُوزِيِّ ، أَبُو نَصْرٍ ، الْمَعْرُوفُ بِالْحَافِي ، مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ ، لَهُ فِي الزَّهْدِ وَالرُّوْحِ أَخْبَارٌ ، وَهُوَ مِنْ ثِقَاتِ رِجَالِ الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ « تَمْرٍ » . وَلَدَ سَنَةَ ١٥٠ هـ ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ ، وَبَهَا تَوَلَّى سَنَةَ ٢٢٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥٤ ، وطبقات الصوفية ص ٣٩ - ٤٧ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٧٣ - ٧٧ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٢ - ٧٤ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٧ ، وحياة الأولياء ج ٨ ص ٣٣٦ - ٣٦٠ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٦٧ - ٨٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٦٩ - ٤٧٧ ، وطبقات الأولياء ص ١٠٩ - ١١٨] .

(٧) في طبقات الأولياء : « فَأَرَدْتُ أَنْ أُوَسِّيهُمْ » .

(٨) أَبُو عَلِيٍّ هُوَ : أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقِ . وَغَلَامٌ لَحِيلٌ هُوَ : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ غَالِبِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَرْدَاسٍ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزَّاهِدِ ، الْبَاهِلِي ، الْمَعْرُوفُ بِغَلَامِ لَحِيلٍ ، سَكَنَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا ، قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ زَاهِدًا صَالِحًا . قَالَ الدَّارِ قُطَنِي : مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ . وَقِيلَ : كَانَ يَرَوِي الْمَنَاكِرَ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولِينَ . تَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٢٧٥ هـ وَدُفِنَ بِالْبَصْرَةِ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٥ ص ٧٨ - ٨٠ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظر القصة في الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤] .

إِلَى الْخَلِيفَةِ ^(١) بِالرَّزْدَقَةِ أَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، وَأَمَّا الْجُنَيْدُ ^(٢) فَإِنَّهُ نَسَرَ بِالْفِقْهِ ، وَكَانَ يُفْتَى عَلَى مَذْهَبِ أَبِي ثَوْرٍ ^(٣) وَأَمَّا الشُّحَامُ وَالرُّقَامُ وَالتُّورِيُّ ^(٤) وَجَمَاعَةٌ فَقُبِضَ عَلَيْهِمْ ، وَبُسِطَ النَّطْعُ لِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، فَتَقَدَّمَ التُّورِيُّ أَمَامَهُمْ ^(٥) فَقَالَ لَهُ السَّيَافُ : أَتَدْرِي لِمَاذَا تَقَدَّمْتُ وَتُسَابِقُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا ^(٦) يُعْجِلُكَ ؟ قَالَ : أُورِثُ أَصْحَابِي بِحَيَاةِ

(١) هو الخليفة العباسي المعتمد على الله أحمد بن جعفر بن المعتصم ، وُلِدَ سنة ٢٢٩ هـ ، وولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ بعد مقتل المهدي بالله يومين ، وطالت أيام ملكه ، وكانت مضطربة ، كثيرة العزل والتولية . توفى سنة ٢٧٩ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٦٠ - ٦٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٥ - ٤٣٠ ، وغيرها من أمهات كتب التاريخ] .

(٢) هو : الجعيد بن محمد بن الجعيد ، أبو القاسم الحزاز ، صوفي ، من العلماء بالدين ، وُلِدَ ونشأ ببغداد ، وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور ، وعُدَّ العلماء شيخ مذهب التصوف ، لضبط مذهبه بالكتاب والسنة ، وكان كبير الشأن . توفى ببغداد سنة ٢٩٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٤١ ، وطبقات الصوفية ص ١٥٥ - ١٦٣ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٥٥ - ٢٨٧ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٨٤ - ٨٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤١ - ٢٤٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١١٦ - ١١٩ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٦٦ - ٧٠ ، وطبقات الأولياء ص ١٢٦ - ١٣٦] .

(٣) هو : إبراهيم بن خالد بن أبي إيمان الكلبي البغدادي ، أبو ثور ، الإمام الحافظ الفقيه ، صاحب الإمام الشافعي ، قال عنه ابن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً ، صنف الكتب ، وشرع على السنن ، ودافع عنها . مات ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥١٢ ، ٥١٣ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٦٥ - ٦٩ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٠١ ، ١٠٢ ، وطبقات المفسرين للدودي ج ١ ص ٩ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٣٣٩ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٩٧ ، ٩٨ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٧٢ - ٧٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤] .

(٤) الشُّحَامُ : بائع اللحم ، والرُّقَامُ : هو الذي يقوم بوضع علامة على الشيء تميزه عن غيره . والقصة وردت في حلية الأولياء ، وطبقات الأولياء ، وتاريخ بغداد ، وسر أعلام النبلاء ، ولم يرد فيها ذكر للشُّحَامِ أو الرُّقَامِ ، وورد ذكرهما في الرسالة القشيرية ..

أما التُّورِيُّ فهو : أحمد بن محمد التوري البغدادي ، أبو الحسين ، كان شيخ الصوفية في وقته ، وكان مذكوراً بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة ، ونسبته إلى « نور » بُيْلَةٍ بين « بخاري » و « سمرقند » . وقيل : لنور كان في وجهه فُشِبَ إليه . توفى - رحمه الله - سنة ٢٩٥ هـ .

[انظر ترجمته في سر أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٧٠ - ٧٧ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ١٣٠ - ١٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٦٢ - ٧٠ ، وطبقات الصوفية ص ١٦٤ - ١٦٩ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٩ - ٢٥٥ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، وج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤] .

(٥) قوله : « أَمَامَهُمْ » عن « ط » .

(٦) في « ط » : « وماذا » .

سَاعِيَةً ، فَتَحَيَّرَ السَّيَافُ ، وَاتَى النُّحْبُرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَرَدَّهُمْ إِلَى الْقَاضِي لِيَتَعَرَّفَ حَالَهُمْ ^(١) ، فَالْتَقَى الْقَاضِي عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ الثُّورِيِّ مَسَائِلَ فَمِهُيَّةً ، فَأَجَابَ عَنِ الْكُلِّ ، ثُمَّ أَخَذَ يَقُولُ : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا قَامُوا قَامُوا بِاللَّهِ ، وَإِذَا نَطَقُوا نَطَقُوا بِاللَّهِ ، وَسَرَدَ الْفَاطَا حَتَّى أَهْبَكَ الْقَاضِي ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَقَالَ : إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةً فَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ .

وَلَمَّا مَرَضَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بَنَ عِبَادَةَ اسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ قَبِيلَ ^(٢) : إِنْهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ ^(٣) عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ ، فَقَالَ : أَخْبَرَنِي اللَّهُ مَا لَا يَمْنَعُ الْإِخْوَانُ مِنَ الزَّيَارَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ مَنْ يَتَادَى : أَلَا ^(٤) مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عِنْدَهُ مَالٌ ^(٥) فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ ، فَكَسِرَتْ عَتَبَةُ بَابَهُ بِالْعَشِيِّ لِكَثْرَةِ الْعَوَادِ .. وَيُرْوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَجْوَادِ ، خَرَجَ إِلَى ضَيْعِهِ لَهُ ، فَتَزَلَّ عَلَى نَحِيلِ قَوْمٍ وَفِيهَا غُلَامٌ أَسْوَدُ يَقُومُ عَلَيْهَا ، فَأَتَى يَقُوتُهُ ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ ، وَدَخَلَ كَلْبٌ وَدَنَا مِنَ الْغُلَامِ ، فَرَمَى إِلَيْهِ ^(٦) بِقُرْصٍ فَأَكَلَهُ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ بِالثَّانِي وَالثَّالِثِ ، فَأَكَلَهُمَا وَعَبَدَ اللَّهُ يَنْظُرُ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، كَمْ قُوَّتُكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ . قَالَ : فَلِمَ أَثَرْتَ هَذَا الْكَلْبَ ؟ قَالَ : مَا هِيَ بِأَرْضٍ كِلَابٍ ، وَأَنَّهُ جَاءَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ جَائِعًا فَكَرِهْتُ رَدَّهُ . قَالَ : فَمَا أَنْتَ صَانِعُ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : أَطْوِي يَوْمِي هَذَا . قَالَ ^(٧) عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : أَلَا مَ عَلَى السَّخَاءِ وَهَذَا أَسْحَى مِنِّي ، فَاشْتَرَى الْغُلَامَ وَالْحَائِطَ ^(٨) وَمَا فِيهِ مِنَ الْآلَاتِ ، فَأُعْتَقَ الْغُلَامَ وَوَهَبَ ذَلِكَ لَهُ .

(١) في ١ م : « لَتَعَرَّفَ حَالَهُمْ » . وكان على القضاء يومئذ إسماعيل بن إسحاق .

[انظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ١٣٤] .

(٢) في ١ ط : « دَقَالَ » .

(٣) في ١ م : « لِمَا لَكَ » .

(٤) « أَلَا » عن ١ م .

(٥) في ١ م : « مَالًا » بالنصب . لا تصح .

(٦) في ١ م : « لَه » في الموضعين .

(٧) في ١ م : « دَقَالَ » .

(٨) هكذا في ١ م .. وفي ١ ط : « الرسالة القشيرية » فاشترى الحائط والغلام .

[انظر القصة في المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧] .

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ ^(١) : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سُوْقَةَ ^(٢) بِالْعَدَاةِ صَاحِبَ مِائَةِ أَلْفٍ ، وَبِالْعَشِيِّ سَأَلْنَا لَهُ ^(٣) مِنْ أَصْحَابِهِ خُبْرَةَ ^(٤) . وَقَالَ أَبُو عَيْدٍ الرَّحْمَنُ ^(٥) : دَخَلَ أَبُو عَيْدٍ اللَّهِ الرَّوْذِبَارِيُّ ^(٦) إِلَى دَارِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَوَجَدَهُ غَائِبًا ، وَهُنَاكَ يَتُّ مُقْفَلٌ ، فَكَسَّرَ الْقِفْلَ وَأَمَرَ بِجَمِيعِ مَا وَجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ فَأَتَقَفُوهُ ^(٧) إِلَى السُّوقِ فَبَاعُوهُ ، وَأَصْلَحُوا بِهِ وَقَتْنَا مِنَ الثَّمَنِ ^(٨) فَجَاءَ صَاحِبُ ^(٩) الرَّوْذِبَارِيِّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، وَدَخَلَتْ امْرَأَتُهُ ^(١٠) بَعْدَهُمُ الدَّارَ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ ، فَدَخَلَتْ يَتًّا وَرَمَتْ الْكِسَاءَ ^(١١) وَقَالَتْ : يَا أَصْحَابَنَا هَذَا

- (١) هو : سفيان الثوري . وفي « ط » : « الثوري » بالنون . خطأ .
 (٢) هو : محمد بن سوقة الثوري ، الكوفي ، وكنيته أبو بكر ، من القراء ، وأهل العبادة والفضل ، والدين والسخاء ، ومحدث ثقة ، ولكنه ليس بكثير الحديث ، ذكره النسائي وابن حبان في الثقات ، وقال عنه سفيان الثوري : كان محمد بن سوقة لا يحسن أن يعصي الله .
 [انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٥ ص ٣ - ١٤ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٥٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٨] .
 (٣) في « م » : « سألناه » .
 (٤) الخبزة : الخبز الذي يؤكل ، وتطلق على الطلعة ، وهي : عجين يوضع في الرماد الحار حتى يتضجع .
 (٥) هو : محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري ، أبو عبد الرحمن ، من علماء المتصوفة وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ، بلغت تصانيفه مائة مصنف أو أكثر ، ولد في نيسابور سنة ٣٣٠ هـ وتوفي بها سنة ٤١٢ هـ .
 [انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ٩٩ ، ومفتاح السعادة ج ٢ ص ١٠٨ ، ومقدمة طبقات الصوفية ص ١٦ - ٤٩ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٤٧ - ٢٥٥ ، وطبقات الأولياء ص ٣١٣ - ٣١٥ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧] .
 (٦) هو العارف الزاهد ، شيخ الصوفية : أحمد بن عطاء الروذباري ، أبو عبد الله ، شيخ الشام ، وشيخ الصوفية في وقته ، وهو ابن أخت الصوفي الشهير أبي علي الروذباري . نشأ ببغداد ، وأقام بها زمناً طويلاً ، ثم انتقل منها إلى « صور » من بلاد ساحل الشام ، وبها توفي سنة ٣٦٩ هـ .
 [انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٩ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، وطبقات الأولياء ص ٥٤ - ٥٨ ، وطبقات الصوفية ص ٤٩٧ - ٥٠٠ ، وانظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧٧ مادة « روذبار »] .
 (٧) هكذا في « ط » . وأتلفوه : أرسلوه .. وفي « م » : « وأثر بجميع ما وجد فيه فأتلفه » .
 (٨) أي : اشتروا بعض حاجات لهم من الثمن الذي باعوا به .
 (٩) سقطت « صاحب » من « م » . وفي الرسالة القشيرية : « فدخل صاحب المنزل » .
 (١٠) في « ط » : « فدخلت .. » وفي « م » : « امرأة » .
 (١١) في « ط » : « بالكساء » .

أَيْضًا ^(١) مِنْ جُمْلَةِ الْمَتَاعِ ، فَبَيْعُهُ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : لِمَ تَكَلَّفْتَ هَذَا بِاخْتِيَارِكَ ؟
فَقَالَتْ : اسْكُتْ ، مِثْلُ هَذَا الشَّيْخِ يَسَاطِطُنَا وَيَحْكُمُ عَلَيْنَا وَيَقِي لَنَا شَيْءًا نُدْخِرُهُ
عَنْهُ ^(٢) ؟ .

وَأَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَخْرِ فَوَرِثَ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى إِخْوَانِهِ
صُرَّرًا ^(٣) وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَسْأَلَ ^(٤) لِإِخْوَانِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي وَأُبْخُلُ عَلَيْهِمْ بِحَالِي .
وَيُرَوَّى أَنَّ الْأَشْثَثَ بْنَ قَيْسٍ ^(٥) أُرْسِلَ إِلَى عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ ^(٦) يَسْتَعِيرُ مِنْهُ قُدُورًا كَانَتْ
لِأَبِيهِ حَاتِمٍ ، فَمَلَأَهَا وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّا لَنُتَعِيرُهَا فَارِغَةً .

وَقَالَ بُزْرَجِيهْرُ : لَا عِزَّ أَثْبَتُ أَرْكَانًا وَلَا أَبْدُخُ بَنِيَانًا ^(٧) مِنْ بَثِّ الْكَرَمِ ^(٨) وَاتَّخِصَابِ

(١) في « م » : جاء الناسخ بالفعل « اسكت » سهواً منه ، بدلاً من « هذا أيضاً » وسيأتي بعد قليل .

(٢) انظر القصة في الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٦ وطبقات الأولياء ص ٥٦ .

(٣) جمع صُرَّة ، وهي ما يُجمع فيه الشيء ويُشَد .

(٤) في « م » : « كُنْتُ أَسْأَلُ » .

(٥) هو : الْأَشْثَثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ نَعْدِيٍّ كَرِبَ الْكَنْدِيُّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، أَمِيرُ كِنْدَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي حَضْرَمَوْتِ ، وَوَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ظَهْرِ الْإِسْلَامِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ فَأَسْلَمَ ، وَارْتَدَّ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ تَابَ ، وَشَهِدَ الْبُرْمُوكَ فَأُصِيبَتْ عَيْنُهُ ، وَشَهِدَ كَثِيرًا مِنَ الْوَقَائِعِ ، وَأَبْلَى الْبَلَاءَ الْحَسَنَ ، وَكَانَ جَوَادًا كَرِيمًا . تَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ هـ وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٣٣٢ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ١ ص ١١٨ ، ١١٩ ، وتَارِيخُ بَغْدَادٍ ج ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ودَاوِئَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ج ٣ ص ٤٢٧ - ٤٢٩ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وَغَمَارُ الْقُلُوبِ ص ٨٨ ، ٨٩] .

(٦) هو : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الْحَشْرِجِ الطَّائِي ، أَبُو وَهَبٍ ، أَمِيرُ صَحَابِيٍّ ، وَمِنْ الْأَجْوَادِ الْعُقَلَاءِ ، كَانَ رَئِيسَ طَيْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَقَامَ فِي حَرْبِ الرَّدَّةِ بِأَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ ابْنُ حَاتِمِ الطَّائِي الْمَوْصُوفِ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ سَنَةَ ٩ هـ ، وَشَهِدَ فَتْحَ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ سَكَنَ الْكُوفَةَ وَشَهِدَ مَعَ عَلِيِّ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ وَالتَّهْرَوَانَ ، وَفَقَّتْ عَنْهُ يَوْمَ صِفِّينَ ، وَمَاتَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ٦٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٢٠ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٨ - ١٠ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ الْبُلَاءِ ج ٣ ص ١٦٢ - ١٦٥ ، وتَارِيخُ بَغْدَادٍ ج ١ ص ١٨٩ - ١٩١ ، وَالتَّارِيخُ الْكَبِيرُ ج ٧ ص ٤٣ ، وَالْعَبَرُ ج ١ ص ٥٥ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ج ١ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، وَالْجَرَجُ وَالتَّعْدِيلُ ج ٧ ص ٢ ، وَمَرْجُوحُ الذَّهَبِ ج ٣ ص ١٣ ، وَشُرُحاتُ الذَّهَبِ ج ١ ص ٧٤ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ٢ ص ٥٨٩ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ج ٢ ص ١١٨] .

(٧) في « ط » : « أَنْدَحُ شَأْنًا » وَأَنْدَحُ : أَكْرَ سَعَةً .

(٨) في « ط » : « مِنْ بَيْتِ الْكَرَمِ » .

الشُّكْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عِزَّ التَّعْظِيمِ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ بَاقٍ ^(١) فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ ، وَمَنْ تَحَصَّنَ بِالْجُودِ وَتَحَرَّرَ بِالْمَعْرُوفِ فَقَدْ ظَفِرَ بِمَنْ نَاوَاهُ ^(٢) وَرَبَعَ الشُّكْرَ وَالْقَوَابَ .

وَيُرْوَى أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ ^(٣) ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَجْوَادِ ، عَطَشَ يَوْمًا فِي طَرِيقِهِ ، فَاسْتَسْقَى مِنْ مَنَزِلِ امْرَأَةٍ ، فَأَخْرَجَتْ كُوزًا وَقَامَتْ خَلْفَ الْبَابِ وَقَالَتْ : تَنَحُّوا عَنِ الْبَابِ وَلْيَأْخُذْهُ بَعْضُ غِلْمَانِكُمْ ، فَإِنِّي امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مَاتَ زَوْجِي ^(٤) مُنْذُ أَيَّامٍ . فَشَرِبَ عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٥) وَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ إِلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافٍ ^(٦) . فَقَالَتْ : سَبِّحَانَ اللَّهِ ! تَسْحَرُنِي ؟ فَقَالَ : يَا غَلَامُ احْمِلْ إِلَيْهَا عَشْرِينَ أَلْفًا . فَقَالَتْ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ! فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ ^(٧) أَلْفًا . فَقَالَتْ : أَفْ لَكَ .. فَحَمَلَتْ إِلَيْهَا ^(٨) ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَمَا أُمْسَتْ حَتَّى كَثُرَ خَطَايَاهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : قَصَدَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، فَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أُرْتَعِمَايَةَ دِرْهَمٍ عَلَى دَيْنٍ ^(٩) . فَدَعَلَ الدَّارَ وَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَعَلَ

(١) « بَاقٍ » ص ١ ط .

(٢) نَاوَاهُ : نَافَرَهُ وَعَادَاهُ .

(٣) فِي « م » وَ « ط » وَ « ل » : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، تَصْحِيفٌ ، وَالصُّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ ، وَقَدْ ذُكِرَ الْأَسْمُ صَحِيحًا فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ ، وَهُوَ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ التَّفَفِيُّ ، ابْنُ الصَّحَابِيِّ « أَبِي بَكْرَةَ » نَفِيعُ بْنُ الْحَارِثِ ، وُلِدَ سَنَةَ ١٠٤ هـ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالْأَلْحَانِ ، وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ حَزَنًا ، لَيْسَتْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَلْحَانِ الْغَنَاءِ ، وَكَانَ أَمِيرَ سِيَّجِسْتَانَ ، وَلَيْسَ سَنَةَ ٥٠ هـ - ٥٣ هـ . وَعَزَلَ عَنْهَا ، ثُمَّ وَلِيَهَا فِي إِسْرَةِ الْحِجَاجِ ، وَوَلَّى قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ ثَرَوَةٌ وَاسِعَةٌ فَاشْتَرَى بِأَخْبَارٍ مِنَ الْجُودِ تَشْبِهُ الْحَيَالِ . نَقَلَ النَّهْصِيُّ أَنَّهُ كَانَ يَنْفَقُ عَلَى جَوَارِيهِ ، وَيُزَوِّجُ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ الزَّوْجَ ، وَيُعْطِي فِي كُلِّ عِيدٍ مِائَةَ عَدٍ - وَسَيَّاتٍ بِعَدِّ قَلِيلٍ - تَوَلَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِسَجِسْتَانَ سَنَةَ ٧٩ هـ .

[انْظُرِ الْقِصَّةَ فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ ج ٢ ص ٥٠٤ ، وَالمُسْتَطَرَفُ ج ١ ص ٣٤٧ ، وَقَارِنْ مَا جَاءَ فِيهَا فِي الْأَعْلَامِ وَالرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ .. وَانْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٤ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وَسِرُّ الْأَعْلَامِ الْبِلَاءِ ج ٤ ص ١٣٨ ، وَالْمُهَبَّرُ ص ١٥٠ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٥٣٣ ، وَفَوَاتِ الْوَفَاةِ ج ٢ ص ١٧١ فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَالتَّارِخُ الْكَبِيرُ ج ٥ ص ٣٧٥ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ج ١ ص ٢٤٧ وَص ٢٥٢] .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » ، وَالمُسْتَطَرَفُ .. وَفِي « م » ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشْمِيرِيَّةُ : « مَاتَ خَادِمِي » .

(٥) فِي « ط » وَ « م » : « عَبْدُ اللَّهِ » تَصْحِيفٌ .

(٦) فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ وَالمُسْتَطَرَفُ : « عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ » .

(٧) فِي « ط » : « ثَلَاثِينَ » .

(٨) فِي « م » : « أَلْفًا » .

(٩) فِي « م » : « دَيْنٌ عَلَى » .

الذَّارَ بَاكِيًا ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلَّا تَعَلَّلْتَ حِينَ شَقْتُ ^(١) عَلَيْكَ الْإِجَابَةَ ؟ قَالَ ^(٢) :
 إِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي لَمْ أَتَقَدَّرْ حَالَهُ حَتَّى اخْتِاجَ إِلَى مُكَاشَفَتِي . وَقَالَ أَكْثَرُهُمْ بْنُ صَنِيْعٍ :
 صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لَا يَقَعُ ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَّكَأً . وَقَالَ الْفَضِيلُ : مَا كَانُوا يُعَدُّونَ
 الْقَرْضَ مَعْرُوفًا .

وَيَرَوَى عَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدَاتِ أَنَّهَا قَالَتْ لِحَبَّانَ بْنِ هِلَالٍ ^(٣) وَهُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ
 أَصْحَابِهِ : مَا السَّخَاءُ عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : الْبَذْلُ وَ الْإِثَارُ . قَالَتْ : فَمَا السَّخَاءُ فِي الدِّينِ ؟
 قَالَ : أَنْ تَعْبُدِيَ ^(٤) اللَّهَ تَعَالَى سَخِيَّةً بِهِ نَفْسُكَ غَيْرَ مُكْرَهَةٍ . قَالَتْ : أَفْتَرِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ
 جَزَاءً ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ عَلَى الْحَسَنَةِ بِعَشْرِ أَثْمَالِهَا . قَالَتْ : فَإِذَا
 أُعْطِيتُمْ وَاحِدَةً وَأَخَذْتُمْ عَشْرًا ، فَأَيُّ ^(٥) شَيْءٍ سَخِيتُمْ بِهِ ؟ وَإِنَّمَا السَّخَاءُ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ
 [تَعَالَى] ^(٦) مُتَّعِمِينَ مُتَلَذِّذِينَ بِطَاعَتِهِ ، غَيْرَ كَارِهِينَ ، لَا تُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَجْرًا ، أَلَا
 تَسْتَحْيُونَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ فَيَعْلَمَ مِنْهَا أَنَّهَا تُرِيدُ شَيْئًا بِشَيْءٍ ؟ .

وَقَالَتْ بَعْضُ الْمُتَعَبِّدَاتِ لِبَعْضِ الْمُتَعَبِّدِينَ : أَتُظُنُّ السَّخَاءَ فِي الدِّينِ وَالْزَّهْمَ فَقَطْ ؟
 إِنَّمَا السَّخَاءُ فِي بَذْلِ مَهِجِ النَّفْسِ لِلَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الدَّقَاقُ : لَيْسَ ^(٧) السَّخَاءُ أَنْ
 يُعْطِيَ الْوَاجِدُ الْمُعْدِمَ ^(٨) ، إِنَّمَا السَّخَاءُ أَنْ يُعْطِيَ الْمُعْدِمُ الْوَاجِدَ .

(١) في (م) : « شق » .

(٢) في (م) : « قال » .

(٣) هو الحافظ حَبَّانُ بْنُ هِلَالِ الْبَصْرِيِّ ، أَبُو حَيْبٍ ، مُحَلِّثُ ثَقَّةٍ ، وَثَقَّةُ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ ثَقَّةً
 ثَبَاتًا ، اِمْتَنَعَ مِنَ التَّحْلِيثِ قَبْلَ مَوْتِهِ . وَتَوَلَّى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٢١٦ هـ .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، والإكمال لابن
 ماكولا ج ٢ ص ٣٠٣ وفيه حَبَّانُ بفتح الحاء المهملة] .

(٤) في (م) : « تعبد » .

(٥) في (م) : « نُبأى » .

(٦) ما بين المعرفتين عن « ط » .

(٧) في « ط » : « وليس » . وأبو بكر هو : العارف بالله أبو بكر بن محمد بن أحمد بن دلويز الدَّقَاقُ .

[انظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥١١ و ص ٦٨٠ ، وصفحات أخرى مفرقة] .

(٨) الْمُعْدِمُ : الْفَقِيرُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ : كَانَ الْأَسَاقُذُ أَبُو سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيُّ ^(١) مِنَ الْأَجَوَادِ ، لَمْ يَكُنْ يَتَأَوَّلُ أَحَدًا شَيْفًا بِيَدِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَطْرَحُهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَيَتَأَوَّلُهُ الْآخِذُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَكَانَ يَقُولُ : الدُّنْيَا أَقْلُ خَطَرًا مِنْ أَنْ يَرَى مِنْ أَجْلِهَا يَدِي فَوْقَ يَدِ أُخْرَى ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » . وَكَانَ يَتَوَضَّأُ يَوْمًا فِي صَحْنٍ دَارِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَسَأَلَهُ شَيْفًا فَلَمْ يَحْضُرْهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ : اصْبِرْ حَتَّى أَفْرُغَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ : اخُذِ الْقُمُصَةَ ^(٣) وَاخْرُجْ ، فَلَمَّا خَرَجَ وَعَلِمَ أَنَّهُ بَعْدَ ، صَاحَ وَقَالَ : دَخَلَ الْإِنْسَانُ وَأَخَذَ الْقُمُصَةَ ، فَمَشَوْا خَلْفَهُ ، فَلَمْ يَدْرِكُوهُ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَلُومُونَهُ عَلَى الْبَذْلِ . وَفِي مَعْنَاهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

مَلَأْتُ يَدِي مِنَ الدُّنْيَا مِرَارًا فَمَا طَمِعَ الْعَوَازِلُ فِي اقْتِصَادِي ^(٤)
وَلَا وَجِئْتُ عَلَى زَكَاةٍ مَالٍ وَهَلْ نَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى جَوَادِي ^(٥)

وَكَانَ أَبُو مَرْزُودٍ أَحَدَ الْكِرَامِ ، فَمَدَّحَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ : مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ ، وَلَكِنْ قَدَّمْنِي إِلَى الْقَاضِي وَأَدِّعِ ^(٦) عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ ذِرْهَمٍ حَتَّى أَقِرَّ لَكَ بِهَا ، ثُمَّ احْبِسْنِي ، فَإِنْ أَهْلِي لَا يَتْرَكُونَنِي ^(٧) مَسْجُودًا . فَفَعَلَ ذَلِكَ ^(٨) ، فَلَمْ يُمَسِّ ^(٩) حَتَّى دُفِعَ

(١) هو : أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد العجلي ، المعروف بالصعلوكي ، الأصبهاني أصلاً ومولداً ، النيسابوري داراً وإقامة ، كان متصوفاً ، وإماماً في الفقه والتفسير والحديث والعلوم اللغوية كلها . توفي - رحمه الله - ببغداد سنة ٣٦٩ هـ . وصلى عليه ابنه « سهل » - وكان مثل أبيه علماً وورعاً - ودُفِنَ في المسجد الذي كان يدرس فيه .

[انظر وفیات الأعيان ج ٤ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٢٣ ، وطبقات الشافعية للحسيني ص ٢١٠ ، ٢١١ ، وانظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٨ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٤٦ .]

(٢) في « م » : عليه السلام ، وسقط منها « قال » سهواً من الناسخ .

(٣) القُمُصَةُ : إناء صغير من نحاس وغيره .

(٤) في العقد الفريد : « وما » بدل « فما » .

(٥) في « م » : « وما وجبت » . وفي العقد الفريد : « على الجواد » .

[انظر البيتين في المرجع السابق ج ١ ص ١٩٨ .]

(٦) في « م » : « فأدعي » خطأ ، أمر مني على حذف حرف العلة .

(٧) في « م » : « لا يتركوني » .

(٨) قوله : « ففعل ذلك » عن « ط » .

(٩) هكذا في الرسالة القشيرية .. وفي « م » و « ط » : « لم يمسه » .

إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ^(١) . وَقَالَ زِيَادُ بْنُ جَرِيرٍ : رَأَيْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فَرَّقَ مِائَةَ أَلْفٍ فِي مَجْلِسٍ ، وَهُوَ لَيَخِيطُ إِزَارَهُ بِيَدِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْمُتَكَبِّرُ عَلَى ^(٢) عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ لَهَا : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَصَابَتْكِ فَاقَةٌ ^(٣) . فَقَالَتْ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، فَلَوْ كَانَ ^(٤) عِنْدِي عَشْرَةُ آلَافٍ لَبَعُثْتُ بِهَا إِلَيْكَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا جَاءَتْهَا عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ^(٥) ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا فِي أَثَرِهِ ، فَاشْتَرَى بِهَا بِأَلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَقُلِدَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، فَكَانُوا عِبَادَ الْمَدِينَةِ : مُحَمَّدٌ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، بَنُو الْمُتَكَبِّرِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ^(٦) : كَانَ جَرِيرُ بْنُ يَزِيدَ فِي دَارِ الْمُطَّلِبِ ^(٧) ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ

(١) في (م) : « عشرة ألف » وسقطت منها لفظة « درهم » .

[انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٩] .

(٢) هكذا في (ط) ، والمستطرف ج ١ ص ٣٤٥ .. وفي (م) : « مولى » بدل « على » تصحيف .. والمتكبر هو : المتكبر بن عبد الله بن الهذيل ، القرشي التميمي ، ولد على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولم تثبت له صحبة .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٢٧٥] .

(٣) في (ط) : « أصابني » . والفاقة : الحاجة .

(٤) في (ط) : « كانت » .

(٥) هو : خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية القرشي ، أسلم عام الفتح ، ومات بمكة ، وهو أخو عتاب وعبد الرحمن ابني أمييد .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٨٩ ، والمعارف ص ٢٨٣] .

(٦) هو : يحيى بن معين بن غزن بن زياد ، البغدادي ، أبوزكريا ، من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله ، وإمام الجرح والتعديل ، نحه الذهبي بسيد الحفاظ ، ولد سنة ١٥٨ هـ ، وكان أبوه « معين » كاتباً للمطلب بن عبد الله بن مالك الخزازي . وقيل : كان على خراج « الرئي » ، فمات وخلف له يحيى ثروة كبيرة ، أنفقها كلها في طلب الحديث ، وعاش ببغداد ، وتوفي بالمدينة حاجاً سنة ٢٣٣ هـ وصل عليه أمورها .

[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٧١ - ٩٦ ، والأعلام ج ٨ ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٠ ، وطبقات الحفاظ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣١ ، والجرح والتعديل ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٨ ، وج ٩ ص ١٩٢ ، والتاريخ الكبير ج ٨ ص ٣٠٧] .

(٧) هو : المطلب بن عبد الله بن مالك الخزازي ، وأل ، كان في مكة ، وولى إمرة مصر للمأمون سنة ١٩٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٥٢] .

يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ لِلْعُلَامِ : اذْهَبْ إِلَى الْجَوَارِي ^(١) فَقُلْ لَهُنَّ : مَنْ أَرَادَتْ ^(٢) مِنْهُنَّ أَنْ تُصْنِعَ بَيْتَهَا ^(٣) فَلْتَبْعَثْ بِهَا ، فَجَاءَ الْعُلَامُ بِثِيَابٍ كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ : اخُذْهَا .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَتْ جَرَتْ ^(٤) حَرْبٌ بِالْبَادِيَةِ ثُمَّ ^(٥) اتَّصَلَتْ بِالْبَصْرَةِ ، فَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ فِيهَا ، حَتَّى مُشِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِالصَّلَاحِ ، فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، قَالَ : قَبِعْتُ - وَأَنَا غُلَامٌ - إِلَى ضِرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَازِمٍ ^(٦) فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَأُذِنَ لِي ، فَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ شِمْلَةٌ ^(٧) يَخْلُطُ بَرًّا لِعَنْزٍ لَهُ ^(٨) فَخَبَّرْتُهُ بِمُجْتَمَعِ الْقَوْمِ ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلْتُ الْعَنْزَ ، ثُمَّ غَسَلَ الْقَصْعَةَ وَقَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، غَدَيْنَا ، فَأَنْتُهُ بِزَيْتٍ وَتَمْرٍ ، قَالَ : فَدَعَانِي ، فَقَدِرْتُهُ أَنْ أَكُلَ مَعَهُ ^(٩) ، حَتَّى إِذَا قَضَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَتَهُ وَتَبَّ إِلَى طِينٍ مُلْقَى فِي الدَّارِ ، فَعَسَلَ بِهِ يَدَيْهِ ^(١٠) ثُمَّ صَاحَ بِالْجَارِيَةِ فَقَالَ : اسْقِنِي مَاءً ، فَأَنْتُهُ بِمَاءٍ فَشَرِبَتْهُ ، وَتَسَحَّ فَضَلُّهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَاءُ الْفُرَاتِ يَتَمَرُ الْبَصْرَةِ بِزَيْتِ الشَّامِ ^(١١) مَتَى تُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ ؟ ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِرِدَائِي ، فَأَنْتُهُ بِرِدَاءٍ عَدَنِي ، فَأَرْتَدَيْتُ بِهِ عَلَى تِلْكَ الشِّمْلَةِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَتَجَافَيْتُ ^(١٢) عَنْهُ اسْتِقْبَاحًا ، لِزِينَةِ

(١) في م : : للجواري .

(٢) في و ط : : أراد .

(٣) هكذا في و ط .. وفي م : : ثوبها .. لا تصح ، فقوله ، بعد ذلك : فلتبعث بها ، يقتضي الجمع .

(٤) جَرَتْ ، عن و ط .

(٥) في م : : يَمُ .

(٦) هكذا في م و ط .. وفي عيون الأخبار أنه : ضِرَارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَهُوَ الصَّحِيحُ ..

والقصة حكاهما الأصمعي عن أحد شيوخه ، أن قتيبة بن مسلم قال : أُرْسِلْتُ أُنِي إِلَى ضَرَارٍ ... الخ ، فهي حدثت لقتيبة هذا وليس للأصمعي .

[انظر القصة في المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .]

(٧) في م : : في شِمْلَةٍ ، والشِمْلَةُ : كساء من صوف أو شعر يُتَلَفُّ بِهِ .

(٨) الزُّبْرُ : القمح .. وفي و ط : : يخلط نوى لعنزٍ لَهُ حُلُوبٌ . يخلط : يندق .

(٩) أي : كرهتُ أَنْ أَكُلَ مَعَهُ لِقَدَرَتِهِ .

(١٠) في و ط : : يَدَيْهِ .

(١١) هكذا في و ط .. وفي م : : يتمر الشام بزيت البصرة .

(١٢) تَجَافَيْتُ : ابتعدت .

فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، وَمَشَى إِلَى الْقَوْمِ ، فَلَمْ تَبْقَ حَبْوَةٌ إِلَّا حُلَّتْ إِعْظَامًا لَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ فَحَمَلَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأُخْيَاءِ مِنَ الدَّهَابِ فِي مَالِهِ وَانْصَرَفَ .

وَكَانَ الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ ^(١) الْفَقِيهَ لَمَّا سُجِنَ يُعْطَى كُلُّ يَوْمٍ السَّجَانَ دِينَارًا ، فَاسْتَكْرَهَ أَصْحَابُهُ وَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ حَفْصُ بْنُ غُمَارَةَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : إِذَا كَمَلَ صِدْقُ الصَّادِقِ لَمْ يَمْلِكْ مَا فِي يَدَيْهِ . فَخَرُّ بُهْلُولٌ عَلَى يَدَيْهِ وَقَبَّلَهَا ، وَجَعَلَ يَقُولُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ ، أَتَيْتَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ هَذَا ؟ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ ^(٢) . وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

ذَيْنِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبًّا تُحْمِدِي غِيَّهُ غَدَا ^(٤)
أَيْنِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلْنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُحَلَّدًا ^(٥)

وَكَانَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ^(٦) يَنْفَقُ عَلَى أَرْبَعِينَ دَارًا مِنْ جِوَارِيهِ عَنْ يَمِينِهِ ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَسَارِهِ ^(٧) ، وَأَرْبَعِينَ أَمَامَهُ ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ ، وَيَبْعَثُ إِلَيْهِمُ بِالْأَضَاحِي

(١) هو : الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ ، أَبُو عمرو الحَجْرِي ، من العلماء الزُّهَّاد ، من أهل القيروان ، وأخباره في الزهد كثيرة ، وله كتاب في الفقه على مذهب الإمام مالك ، وعارض أمير إفريقية في زمنه ، محمد بن مقاتل المكي في أن يرسل ما يطلبه منه عبده (ملك أسبانيا) من السلاح ، فنصحه البهلُول ، وألح عليه أن يمتنع من إرسال السلاح له ، فبعث إليه المكي « مَن فُكِّه ، وَجُرِّدَ ، وَضُرِبَ عَشْرِينَ سَوْطًا ، وَحَبَسَ . وَبَقِيَ أَثَرُ السَّوَاطِ فِي جَسَدِهِ ، وَنَفِلَ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ مَوْتِهِ سَنَةَ ١٨٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٧٧] .

(٢) في ١ : ١ : يقول ١ .

(٣) هو خُطَّابُ بْنُ يَثْفَرٍ ، وقد قال هذا عندما عاتبته أمه على جوده .

[انظر خزائن الأدب ج ١ ص ٤٠٦ ، والأمال لأبي عليّ القائل ج ٢ ص ٧٩ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٩ ص ٤٧٥ ، ولسان العرب - مادة « علل »] .

(٤) غِيَّهُ : عَاتَبَتْهُ . وهذا البيت ترتبه الثاني ، والثاني ترتبه الأول في الخزائن .

(٥) في ١ : ١ : ما تَرَيْنِ : تصحيف . والتصويب من المصادر السابقة . وهذا البيت ورد في قصيدة مشهورة لحاتم ، ونُسب أيضًا للزُّهْدِ بْنِ الصَّنَمَةِ .

[انظر لسان العرب مادة « علل » ودويان دريد بن الصنمة ص ١١٨] .

(٦) في ١ : ١ : عبد الله بن أبي بكر : تصحيف . وقد مرَّ .

(٧) من هنا إلى قوله : ١ : ويعتق ١ : عن ١ : وساقط من ١ : ١ .

وَالْكُسْرَى فِي الْأَعْيَادِ ، وَيَعْتَمِدُ فِي كُلِّ عِيدٍ مِائَةَ مَمْلُوكٍ ، وَاشْتَرَى يَوْمًا جَارِيَةً بِعَشْرَةِ
آلَافٍ ، فَطَلَبَ ^(١) ذَابَةً يَحْمِلُهَا عَلَيْهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : هَذِهِ ذَاتِي ، فَقَالَ : اَحْمِلُوهَا عَلَيَّ
ذَاتِي إِلَى دَارِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زُهَيْرٍ ^(٢) :

وَعَاذِلَةَ تَحْشَى الرَّدَى أَنْ يُصِيبَنِي تُرْوَحُ وَتَعْلُدُو بِالْمَلَامَةِ وَالْقَسَمِ ^(٣)
تَقُولُ هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ ^(٤)
وَأَمَّا أَجِبُ الْخُلْدَ لَوْ أُسْتَطِيعَهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلَمْ ^(٥)

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ الْحَيَاءُ يَمْنَعُنِي أَنْ أَذْكُرَهَا . قَالَ : فَحُطَّهَا فِي الْأَرْضِ . فَحُطَّ
فِي الْأَرْضِ : أَيْ قَبِيرٌ . فَقَالَ لِلْعَلَامَةِ : يَا قَبِيرُ ، اكْنُ حُلَّتِي ، فَكَسَاهُ الْحُلَّةُ ، فَقَالَ :

كَسَوْنِي حُلَّةً ثَبَلَى مَحَاسِنَهَا فَسَوَّفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ حُلَلًا
إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي دِمَكْرَ صَاحِبِهِ كَالْقَبْرِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
إِنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَاءٍ نِلْتَ مَكْرَمَةً لَا تَبْغِينَ بِمَا قَدْ نِلْتَهُ بَدَلًا ^(٦)
لَا تَزْهَدْ الدُّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأَتْ بِهِ كُلُّ امْرِئٍ سَوَّفَ يُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَا

(١) في م : : وطلب .

(٢) هكذا في م : و ط .. ولم أقف عليه ، والأبيات المنسوبة إليه هنا تُنسبت لأكثر من شاعر ، ففي
الوَحْشِيَّاتِ ، منسوبة إلى « عُبَادَةَ بْنِ أَبِي الْكَلْبِ » وفي معجم البلدان تُنسبت إلى « مُضَرَّسِ بْنِ رَبِيعِ » وفي اللسان
نُسبت إلى « عُمَرُو بْنِ ثَأْسِ » .

[انظر الوَحْشِيَّاتِ لأبي تمام ص ٦٩ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٣ مادة « ضمر » ، واللسان مادة « زعم »] .

(٣) العاقلة : التي تلوم وتعيب .

(٤) زَعَمَ هنا بمعنى : قال ووَعَدَ .

(٥) في الوَحْشِيَّاتِ : « لَمْ أَذَمَّ » .

(٦) الشطرة الأولى من البيت في م : « إِنْ حُزْتُ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَاءٍ نِلْتَ مَكْرَمَةً ، أَفْهَمَ النَّاسِخَ الْفَعْلَ « حُزْتُ »
زيادة من عنده .. وربما كان يريد وضعه بدلًا من « نِلْتَ » ولا يستقيم الوزن إلا بحذف أحد الفعلين .

قَالَ عَلِيٌّ : زِدْهُ مِائَةَ دِينَارٍ . فَأَعْطَاهُ إِثْبَاها ، فَلَمَّا وَثَّى الْأَعْرَابِيُّ ^(١) قَالَ قَتَبِرُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فَرَّقْتَهَا فِي الْمُسْلِمِينَ لَأَصْلَحَتْ بِهَا مِنْ شَأْنِهِمْ . فَقَالَ : مَهْ يَأْقَتْبِرُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « اشْكُرُوا لِمَنْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ ، وَإِذَا أَثَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ » ^(٢) . وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ ^(٣) : إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ مِنْى حَاجَةً فَلْيَرْفَعْهَا فِي رُقْعَةٍ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى فِي وَجْهِهِ ذُلَّ الْحَاجَةِ .

قُرِئَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ ، وَأَنَا أَسْمَعُ ^(٤) :

وَأَمْرَةٍ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي فَلَيْسَ إِلَيْهِ مَا حَيْثُ سَبِيلُ ^(٥)
أَرَى النَّاسَ خُلَّانَ الْكَرَامِ وَلَا أَرَى بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ ^(٦)
وَأِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يَزِرِي بِأَهْلِهِ فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ ^(٧)

(١) قوله : « فلما وثى الأعرابى » من « ط » .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه مجتزأ في كتاب الأدب ج ٢ ص ١٢٢٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب قال أهل البغى ، باب ما على السلطان من إكرام وجوه الناس ج ٨ ص ١٦٨ ، وفيه سعيد بن مسلفة ، وهو ضعيف .
(٣) هو : مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرضى العامري ، أبو عبد الله ، زاهد ، من كبار التابعين ، له كلمات في الحكمة مأثورة ، وُلِدَ في حياة النبي ، ﷺ ، وهو ثقة فيما رواه من الأحاديث . كانت إقامته بالهجرة ، وفيها تولى سنة ٨٧ هـ على الأرجح .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٩٨ - ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١١ ، ونذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٤ ، ٦٥ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٤١ - ١٤٦] .
(٤) هو القاضي أبو الوليد الباجي شيخ الأندلس وعلمها في زمانه . وهو ممن سمع منه « الطرطوشي » وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وقد مر بنا ذلك في المقدمة .. والشعر ورد في الأملى لأبي علي الغالي ، والمقد الفريد ، ووفيات الأعيان ، والمستطرف ، وهو لإسحاق الموصلي ، وقد طلب منه « الرشيد » أن ينشده شيئاً من شعره ، فأنشده قصيدة ، منها هذه الأبيات .

[انظر الأملى ج ١ ص ٣١ ، والمقد ج ١ ص ٢١٧ ، والوفيات ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٧٨] .

(٥) هكذا البيت في « ط » والمستطرف .. وفي « م » والعقد ، والوفيات : « فليس إلى ما تأمرين سبيل » وفي الأملى : « فذلك شيء ما إليه سبيل » .

(٦) هكذا البيت في « م » و « ط » والوفيات .. وفي الأملى : « أرى الناس ثللاً الجواد... » . وفي المستطرف : « أرى الناس إخوان الكرم وما أرى .. » .

(٧) هكذا البيت في « م » و « ط » والوفيات .. وفي الأملى : « فإني « بدل « وإني » .

وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلِمَتْهُ إِذَا نَالَ خَيْرًا أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ^(١)
وَلَعُرْوَةُ بِنُ الْوَرْدِ^(٢) :

وَأَمَّا امْرُؤُ عَافِي إِنْ أَلَى شِرْكَةً وَأَنْتَ امْرُؤُ عَافِي إِنْ أَلَيْتَ وَاحِدَ^(٣)
أَتَضْحَكُ مِنِّي أَنْ سَمِنتَ وَأَنْ تَرَى بِجِسْمِي شَحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ^(٤)
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأُخْصُو قَرَارَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ^(٥)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَصْلُ الْمَحَاسِنِ كُلُّهَا الْكَرَمُ ، وَأَصْلُ الْكَرَمِ تَزَاهُ الْنَفْسِ عَنِ
الْخِرَامِ ، وَسَخَاوُهَا بِمَا مَلَكَتْ عَلَى الْخَاصِّ^(٦) وَالْعَامِّ ، وَجَمِيعُ خِصَالِ الْخَيْرِ مِنْ

(١) هكذا البيت في م ، و ، ط .. وفي الأمل والوفيات : « إذا نال شيئاً » .

(٢) هو عُرْوَةُ بِنُ الْوَرْدِ بِنُ زَيْدِ الْغُبَيْسِيِّ ، مِنْ غَطَفَانَ ، مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفُرْسَانِهَا وَأَجْوَادِهَا ، كَانَ يُنْقَبُ بِعُرْوَةِ الصَّعَالِيكِ ، لِيَجْمَعَهُ لِأَهْلِهِمْ ، وَقِيَامِهِ بِأَمْرِهِمْ إِذَا اخْتَفَقُوا فِي غَزَوَاتِهِمْ ، وَكَانَ يُمَيِّزُ بِأَخْلَاقِهِ كَرِيمَةً تَجَلَّى فِي كُلِّ مَكَانٍ يَصْنَعُهُ مِنْ إِحْسَانٍ ، وَيُذِلُّهُ مِنْ عَطْفِ تَحَايَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَرْضَى وَالضَّعْفَاءِ . تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ٣٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .
[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٢٧ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٧٥ - ٦٧٧ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤١١ - ٤١٣ ، والأغاني ج ٣ ص ٩١٩ - ٩٩٤ ، وشعراء النصرانية في الجاهلية ص ٨٨٣ - ٩١٦ ، وديوان عروة بِنُ الْوَرْدِ ص ٧ - ١٥ ط دار صادر] .

(٣) هكذا البيت في م ، و ، ط .. وفي الشعر والشعراء ، والأغاني ، والديوان ، وشعراء النصرانية « إني » بحذف الواو ، وبهذه الرواية يكون قد دخله « الحزم » بحذف الحرف الأول من « فعولن » كما مر . والعافي : الضيف طالب المعروف . ومعنى البيت يقول : إني أملكُ إناثي لبناً حتى يفيض ويكثر ، فإن طرقتني إنسان وجد ذلك مهيباً له ، وكان شريكى فيه ، قل أو كر عندى ، وأنت امرؤ عافى إنائك واحد ، أى : تستأثر به لنفسك وحدك دون أضيافك ، فتشبع وهم يجوعون ، وأنا أهزل وأضيافي يسمنون .
[انظر المصادر السابقة] .

(٤) هكذا البيت في م ، و ، ط .. وفي المصادر السابقة : « أتهزأ » مكان « أتضحك » .. وفي الشعر والشعراء ، والأغاني : « بجسمي من الحق » .. وفي الديوان وشعراء النصرانية : « بوجهي شحوب الحق » .. ومعنى قوله : « الحق جاهد » أى : يجهد الناس ، وذلك أن الحق يطرقه فيؤثره على نفسه وعلى عياله .. والحق الذى ذكره هنا هو : صلة الأرحام ، وإعطاء السائل وذوى القرى ، فمن فعل ذلك جهده .

(٥) هكذا البيت في م ، و ، ط .. والمصادر السابقة ، ماعدا « الأغاني » فيها « أترق » مكان « أقسم » . ومعنى البيت : أقسمُ قوتُ جسمي ، وأؤثر به الغير على نفسي ، وأجتزئُ بِخُصُو الْمَاءِ الْقَرَارِ الَّذِي لَا يَخَالُطُهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّبَنِ وَغَيْرِهِ .. والماء بارد : أى في الشتاء ، وذلك أشد .

وهذه الأبيات الثلاثة هي التي من أجلها قال عبد الملك بن مروان : « مايسرني أن أجد من العرب يمن ولذنى ، ثم يُلذنى ، إلا عُرْوَةُ بِنُ الْوَرْدِ » .

(٦) في م : « على الخاص » .

فَرُوْعِهِ . وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْبُهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ طَعَامٌ ، فَعَلَا السَّعْرُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَبِيعَ لَهُ ،
ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُشْتَرَى لَهُ رُبْعُ الْفَقِيرِ ^(١) ، فَبِيعَ لَهُ : تَبِيعَ وَتَشْتَرَى ؟ فَقَالَ : نَفْرَحُ إِذَا فَرِحَ
النَّاسُ وَنَحْزَنُ كَمَا حَزَنُوا .

وَلَا مَ حَاتِمَ طَيِّءٍ ^(٢) :

لَعَمْرِي لَقَدْ مَا عَضَّنِي الْجُوعُ عَضَّةً فَالَيْتُ أَلَا أَمْنَعُ الدَّهْرَ جَانِعًا
فَقُولَا لِهَذَا اللَّاحِمِ الْآنَ أَغْنِيَنِي فَإِنْ أَتَيْتَ لَمْ تَسْطِيعْ نَقْضُ الْأَصَابِعِ ^(٣)
فَهَلْ مَا تَرَوْنَ الْآنَ إِلَّا طَبِيعَةً فَكَيْفَ يَتْرَكِي يَابْنَ أُمَّ الطَّبَائِعِ ^(٤)

وَقَالَ آخَرُ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدْنِسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْغِرْضِ فِي الْمَالِ
أُحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أُوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْغِرْضِ إِنْ أُوْدَى بِمُحْتَالٍ

وَبَرَزَى ^(٥) أَنْ رَجُلًا سَأَلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، شَيْئًا ، فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَقَالَ : أَتَيْتُ بِحِمَالٍ يَحْمِلُهُ لَكَ ، فَأَتَاهُ بِحِمَالٍ ، فَأَعْطَاهُ

(١) في م : ربع الفقير من طعام . والفقير : مكبال كان يكال به قديماً ، ويختلف مقداره من بلد لآخر ،
ويعادل بالتقدير المصري نحو ستة عشر كيلو جراماً .

(٢) في ط : « زَلِمَ حَاتِمٌ طَيِّءٌ » فقال « خطأ » . والصواب ماورد في م : « فالشعر لأُم حاتم وليس له . وأمه
هي : غنية بنت عفيف ، وكانت ذات بصر ، ومن أسقى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لا تمسك شيئاً تملكه ،
فحجر عليها إخوتها ، ومنعوا ما لها ، حتى تلوق ألم الجوع .. حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها قطعاً من
الإبل ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتياها كل سنة تسألها المعطاء ، فقالت : والله لقد عضنى من الجوع ما لم أسمع
معه سائلاً أبداً ، فأعطتها الإبل ، وأنشدت هذه الأبيات التي معنا .. أما حاتم فهو : حاتم بن عبد الله بن سعد بن
الحشرج الطائي ، أبو عدى ، كان فارساً وشاعراً جاهلياً ، جواداً ، يُضرب المثل ببجده ، وقد تولى سنة ٤٦ قبل
الهجرة تقريباً ، وبعضهم أرخ وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ، ^{ص ٤٦} .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٥١ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٩ ، والأغانى ج ١٩ ص ٦٦٩٣ -
٦٧٣٠ ، وشعراء النصرانية ص ٩٨ - ١٣٤] .

(٣) هكذا في م ، و ط .. وفي المصادر السابقة واللاحى ، بالياء . « ولم تفعل » مكان « لم تسطع » .

(٤) هكذا البيت في م ، و ط .. والشطرة الأولى من البيت في الأغاني : « وما إن تَرَوْنَ اليومَ إِلَّا طَبَاعًا ..
وفي الشعر والشعراء : « وَلَا مَاتَرُونَ اليومَ إِلَّا طَبِيعَةً .. » وفي شعراء النصرانية : « وماذا ترون اليوم إلا طبيعة » .

(٥) في م : « وَرَوَى » .

طَبَّاسَتَهُ ^(١) وَقَالَ ، يَكُونُ كِرَاءُ الْحِمَالِ مِنْ قَبْلِي ^(٢) .

وَبَرَوَى أَنَّ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ ^(٣) سَأَلَتْهُ امْرَأَةٌ سُكْرَجَةً عَسَلٍ ^(٤) فَأَمَرَ لَهَا بِزُقٍّ عَسَلٍ ،
فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّهَا سَأَلَتْ عَلَى قَدَرٍ حَاجَتِهَا ، وَتَحَنُّنٌ تُعْطِيهَا عَلَى قَدَرٍ
نِعْمَتِنَا .. وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا اسْتَصَافَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كُرَيْبٍ ^(٥) ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ
يَرْجِعَ لَمْ يَعْثُرْ غِلْمَانَهُ ، فَسُئِلَ ^(٦) عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّهُمْ لَا يُعِينُونَ مَنْ ارْتَحَلَ
عَنَّا ، وَفِي مَعْنَاهُ يَقُولُ الْمُتَنَبِّيُّ ^(٧) :

(١) الطَّبَّاسَانُ : وشاح يُوَضَّعُ عَلَى الْكَتِفِ ، أَوْ يَحِيطُ بِالْبَدَنِ ، خَالٍ مِنَ التَّضْفِيلِ وَالْخِيَالَةِ . وَهُوَ مَأْهُرٌ فِي
الْعَامِيَةِ الْمِصْرِيَةِ « بِالشَّال » وَهُوَ لَفْظَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْرُوبَةٌ .

(٢) فِي « م » : « يَكُونُ هَذَا » أَيْ : هَذَا الطَّبَّاسَانُ .. وَكَرَاهِ الْحِمَالِ : أَجْرَتُهُ . مِنْ قَبْلِي : أَنْتَحِلُهَا مِنْ عِنْدِي .
(٣) هُوَ : اللَّيْثُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، الْقَهْمِيُّ بِالْوَلَاءِ ، أَبُو الْخَارِثِ ، إِمَامٌ مِصْرِيٌّ فِي عَصَرِهِ ، حَدِيثًا وَقَفَاهُ ،
وُلِدَ لَهُ ثَلَاثُونَ - مِنْ قَرَى مِصْرَ - سَنَةَ ٩٤ هـ ، وَكَانَ مِنَ الْكِرَمَاءِ الْأَجْوَادِ ، قَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : « اللَّيْثُ
أَقْبَهُ مِنْ مَالِكٍ ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَهُ لَمْ يَقُومُوا بِهِ » . تَوَلَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١٧٥ هـ ، وَدُفِنَ بِالْقَاهِرَةِ ، وَأَخْبَارُهُ
كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٤٨ ، وحلقة الأولياء ج ٧ ص ٣١٨ - ٣٣٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣ - ١٤ ،
ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٢٧ - ١٣٢ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣
ص ٤٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦] .

(٤) السُّكْرَجَةُ : إِنَاءٌ صَغِيرٌ يَوْضَعُ فِيهِ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ مِنَ الْأَذَمِ .

(٥) هَكَذَا فِي « ط » .. وَالْمَعْنَى : لَجَأَ إِلَيْهِ . وَفِي « م » : « اسْتَصَافَ عَبْدُ اللَّهِ » أَيْ : اسْتَجَارَ بِهِ .. وَجَدَّ اللَّهُ بَيْنَ
عَامِرٍ سَبْقِ التَّعْرِيفِ بِهِ .

(٦) لِي « م » : « فَسَأَلَ » .

(٧) هُوَ : الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ ، وَأَحَدُ مَافَاخِرِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ ، أَحَدُ بَنِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
عَبْدِ الصَّمَدِ الْجَيْفِيِّ ، الْكُوفِيُّ ، الْكِنْدِيُّ ، وَلِدَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ٣٠٣ هـ وَطُوفَ بِالْبِلَادِ ، وَمَدَحَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ ابْنَ حَمْدَانَ
بِالشَّامِ ، وَكَافُورَ الْإِصْهَيْدِيِّ بِمِصْرَ ، وَعَضَدَ الدَّوْلَةَ ابْنَ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ .. مَاتَ مَقْتُولًا سَنَةَ ٣٥٤ هـ ، وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ١١٥ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٠٢ - ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ١
ص ١٢٠ - ١٢٥ ، ومقدمة شرح ديوان المتنبّي للبرقوق ج ١ ص ٢٠ - ٨٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ١
ص ٥٢٨ - ٥٢٤] .

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ ^(١)

* * *

(١) البيت من قصيدة له يهاتب فيها سيف الدولة .. ومعنى البيت : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك ، حتى لا تضطر إلى مفارقتهم ، فهم المختارون لفراقك ، فكانهم هم الراحلون عنك .
[انظر الديوان ج ٤ ص ٨٩] .

البَابُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا

الشُّحُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : الْبُخْلُ وَمَنْعُ الْفَضْلِ . كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُحِّ نَفْسِي وَإِسْرَافِهَا وَوَسْوَاسِهَا » ^(١) . وَرَوَى جَابِرٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) قَالَ : « اتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَفْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَتَفَكَّروا الدَّمَاءَ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » ^(٣) . وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا مُفَرَّقُونَ فَقَالُوا ^(٤) : الشُّحُّ أَشَدُّ مِنَ الْبُخْلِ ^(٥) ، فَإِنَّ الْبُخْلَ أَكْثَرُ مَا يَقَالُ فِي التَّفَقُّهِ وَإِسْكَاتِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٧) . وَقَالَ تَعَالَى ^(٨) : ﴿ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَحْمِلْهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ^(٩) . وَقَالَ تَعَالَى فِي الشُّحِّ : ﴿ أَشِحَّةً

(١) ذكره القرطبي عن أنس عند تفسير الآية التاسعة من سورة الحشر [ج ٨ ص ٦٥٠ ط الشعب] .

(٢) في « ط » : « عليه السلام » .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه مجتزئاً في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ج ٨ ص ١٣٤ .
شرح النووي ، والقرطبي في تفسيره - انظر المصدر السابق .

(٤) في « م » : « فقال » لا تصح .

(٥) في « م » : « البخل » تصحيف .

(٦) في « م » : « عز وجل » .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٠ .

(٨) قوله : « تعالى » عن « ط » في المواضع الثلاث .

(٩) سورة محمد ، من الآية ٣٨ .

عَلَى الْغَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) .

وَالشُّحُّ ^(٣) يَتَنَبَّهُ عَلَى الْكَرَّازَةِ ^(٤) ، وَالْإِمْتِنَاعُ ، فَهُوَ يَكُونُ فِي الْمَالِ وَفِي جَمِيعِ مَنَافِعِ الْبَدَنِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَيْسَ الشُّحُّ أَنْ يَمْنَعَ الرَّجُلُ مَالَهُ ، وَإِنَّمَا الشُّحُّ أَنْ يَطْمَعَ فِيمَا لَيْسَ لَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ^(٥) : سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ مَسْعُودٍ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكَتْ ، سَمِعْتُ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٦) يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَأَنَا رَجُلٌ شَحِيحٌ ، لَا يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ يَدِي شَيْءٌ . فَقَالَ ^(٧) لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ : هَذَا لَيْسَ بِالشُّحِّ الَّذِي ذَكَرَهُ ^(٨) اللَّهُ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ ^(٩) أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَخِيكَ ظُلْمًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الْبُهْلُ ، وَبِئْسَ الشَّيْءُ ^(١٠) الْبُهْلُ ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا كَمَا تَرَى .

(١) سورة الأحزاب ، من الآية ١٩ .

(٢) سورة الحشر ، من الآية ٩ . وسورة التفاضل ، من الآية ١٦ .

(٣) في « ط » : « فالشُّحُّ » .

(٤) في « م » : « عن الكرَّازة » . والكرَّازة : التضيق والبُهل .

(٥) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح ، الحنظلي بالولاء ، البجلي ، المروزي ، أبو عبد الرحمن ، شيخ الإسلام ، وقدة الزاهد ، ولد سنة ١١٨ هـ أو بعدها بعام ، وأقضى عمره في الأسفار حاجًا وتاجرًا ، وجمع الحديث والفقه ، والعربية ، حدَّث عنه كثيرون من أهل الأقاليم ، منهم يحيى بن معين ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وحبان بن موسى ، وغيرهم . وكان من سكان « خراسان » .. توفى ببغيت (على الفرات) منصرفًا من غزو الروم سنة ١٨١ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١١٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٢ - ١٦٩ ، وطبقات الشعماني ج ١ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وطبقات المفسرين ج ١ ص ٢٥٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٧ ، والورقة لابن الجراح ص ١٥ - ١٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٧٨ - ٤٢١ ، والمعارف ص ٥١١ ، وطبقات الفقهاء ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، والجرح والتعديل ج ٥ ص ١٧٩ - ١٨١ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢١٢] .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٧) في « م » : « قال : ليس بالشُّح » .

(٨) في « م » : « يذكره » .

(٩) في « م » : « ولكن الشُّحُّ مكانه » .

(١٠) في « م » : « وبئس الاسم » . وفي تفسير القرطبي : « وبئس الشيء » .

[انظر ج ٨ ص ٦٥٩] .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الشُّعْ (١) أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَقْبَلِ الْإِيمَانَ . وَقَالَ طَاوُوسٌ : الشُّعْ أَنْ يَتَّخِلَ الْمَرْءُ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَالْبُخْلُ أَنْ يَتَّخِلَ بِمَا فِي يَدَيْهِ . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) قَالَ : « بَرِيءٌ مِنَ الشُّعِّ مَنْ أَدَّى الزُّكَاةَ ، وَفَرَى الضَّيْفَ ، وَأَعْطَى فِي النَّائِيَةِ » (٣) . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ (٤) : « مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَدْعُهُ الشُّعُّ إِلَى أَنْ يَمْتَنِعَ شَيْئًا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَقَدْ وَقَاهُ شُعَّ نَفْسِهِ .

وَقَالَ أَبُو التِّيَّاحِ الْأَسَدِيُّ (٥) : رَأَيْتُ رَجُلًا فِي الطَّوَائِفِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ قِنِي شُعَّ نَفْسِي ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِذَا وُقِيتُ شُعَّ نَفْسِي لَمْ أَسْرِقْ ، وَلَمْ أَزْنِ . وَلَمْ أَفْعَلْ [شَيْئًا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى] (٦) ، وَإِذَا الرَّجُلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ (٧) .

(١) سقطت « الشع » من « م » .

(٢) في « ط » : عليه الصلاة والسلام .

(٣) الحديث مروي أيضاً في المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) هكذا في « ط » وفي تفسير القرطبي .. وفي « م » : أبو زيد .. ولعله يريد به ثابت بن زيد بن النعمان بن مالك ، وكنيته أبو زيد ، صحابي ، وقيل : إنه أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وتوفي في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، فوقف عمر على قبره ، وقال : لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة .. وفيه خلاف .

[انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٥٠٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٧ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٦٩] .

(٥) هو : أبو التِّيَّاحِ يَزِيدُ بن حَمِيد ، فقيه ومحدث ثقة .

[انظر طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٣٨ ، و ج ٣ ص ٣٢٥ ، والمعارف ص ٤٦٨ ، وتفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٥٠٩ وفيه : أبو الهياج . خطأ] .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » ، والقرطبي .

(٧) هو : عبد الرحمن بن عَوْفٍ بن عبد عوف بن عبد الحارث ، أبو محمد ، الزُّهْرِيُّ النُّفَرِيُّ ، من كبار الصحابة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم ، وأحد السابِغِينَ إلى الإسلام ، وكان من الأجواد الشجعان ، ولد حوالي سنة ٤٤ قبل الهجرة ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها ، وكان يحترف التجارة . ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وخمسين ألف دينار في سبيل الله ، توفي في المدينة سنة ٣٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٣٢١ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٠ - ٤٨٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٩٨ - ١٠٠ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١ ص ٦٨ - ٩٢ ، وطبقات ابن سعد ص ١٣٠ - ١٣٧ ، والمعارف ص ٢٣٥ ، والجرح والصدل ج ٥ ص ٢٤٧ ، وشنكرات الذهب ج ١ ص ٣٨ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢٣٩ ، [٢٤٠] .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبُهْلَ يَكُونُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنْ لَا يُخْلِفَ وَلَا يُبَيِّبَ ، وَهَذَا يُؤْمِنُ
التَّصْدِيقُ بِمَا تَكْفُلُ اللَّهُ بِهِ ، وَيَطْرُقُ الْحَلَلُ وَالْامْتِنَاعُ إِلَى جَمِيعِ الْأَوَامِرِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ
الْخَالِقِ ، وَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ ^(١) فِي تَرْكِ مُعَاوَنَتِهِمْ وَالنُّصْحَ لَهُمْ . وَقَالَ كِسْرَى
لَأَصْحَابِهِ : أَيُّ شَيْءٍ أَضُرُّ بِأَهْلِ آدَمَ ؟ قَالُوا : الْفَقْرُ . فَقَالَ ^(٢) كِسْرَى : الشُّحُّ أَضُرُّ مِنَ
الْفَقْرِ ، لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا وَجَدَ اتَّسَعَ ، وَالشَّحِيحَ لَا يَتَّسِعُ أَبَدًا .

وَلَمَّا قَدِمَ الشَّافِعِيُّ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، كَانَ مَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَقَالُوا لَهُ :
تَشْتَرِي بِهَا ضَيْعَةً ، فَضَرَبَ خِيَمَتَهُ خَارِجَ مَكَّةَ ، وَصَبَّ الدِّنَانِيرَ ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ
كَانَ يُعْطِيهِ قَبْضَةً قَبْضَةً ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الظُّهْرِ قَامَ وَنَفَضَ الثُّوبَ وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ . وَلَمَّا
قَرِئَتْ وَفَاتُهُ قَالَ : مُرُوا فَلَانَا يُعْشَلُنِي ^(٣) ، وَكَانَ الرَّجُلُ غَائِبًا ، فَلَمَّا قَدِمَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ ،
فَدَعَا بِتَذْكِيرِهِ ^(٤) فَوَجَدَ عَلَيْهِ ^(٥) سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ دَيْنًا ، فَقَضَاهَا وَقَالَ : هَذَا غَسَلِي
إِيَّاهُ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ أَنْ يُؤْذِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، فَأَتَى وَجْهَ الْبَلَدِ ^(٦) وَقَالَ : يَقُولُ
لَكُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ : تَعْلَمُوا الْيَوْمَ عِنْدِي ، فَأَتَوْهُ فَمَلَعُوا الدَّارَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرَ
الْخَبِيرَ ، فَأَمَرَ أَنْ تُشْتَرَى الْفَاكِهَةُ ^(٧) فِي الْوَقْتِ ، وَأَمَرَ بِالْخُبْزِ وَالطَّبِيبِ ، فَأَصْلَحَ الْفَرَى ،
فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لِوُكَلَايِهِ : أُمُوجُودُ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَلْيَتَعَدَّ هَؤُلَاءِ
كُلُّهُمْ كُلُّ يَوْمٍ عِنْدَنَا !

وَمِنْ الْخِصَالِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ ، وَلَعَلَّهَا مِنَ الْأُصُولِ ، الصَّبْرُ .

(١) في م : : وبين العبد والخلق .

(٢) في م : : قال .

(٣) أوصى بأن يفعله محمد بن عبد الحكم .

(٤) التذكير : ما تستذكر به الحاجة .

(٥) في م : : فوجد فيها .

(٦) وجوه البلد : سادته وأشرافه .

(٧) في ط : : الفواكه .

البَابُ الثَّانِي والثَّلَاثُونَ

في الصَّبْرِ

الصَّبْرُ زِمَامُ سَائِرِ الْخِصَالِ ^(١) ، وَزَعِيمُ الْغَنَمِ وَالظَّفَرِ ^(٢) ، وَمَلَاكُ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَبِهِ
يُنَالُ كُلُّ خَيْرٍ وَمَكْرَمَةٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَمُتْ كَلِمَةً رَبُّكَ الْحُسْنَى عَلَى نَبِيٍّ
إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ [تَعَالَى] ^(٤) : ﴿ إِنَّمَا يُجَلَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴾ ^(٥) . فَمُعْظَمُ وَطَائِفِ الدِّينِ ذَكَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ جَزَاءَ مَعْلُومًا لِمَنْ أَقَامَهَا ، إِلَّا
الصَّبْرَ ، فَإِنَّهُ [مُجَازَاةٌ] ^(٦) بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ^(٧) . قِيلَ : عَنِ الدُّنْيَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا أَخَذُوا بِرَأْسِ
الْأَمْرِ جَعَلَهُمُ اللَّهُ رُؤَسَاءَ ، وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا
يَقُولُونَ ﴾ ^(٨) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ

(١) في ١ م : « زمام الخصال » .

(٢) الغنم : الفوز بالشيء من غير مشقة . والظفر : الفوز والفلاح . وملاك : يوزن .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية ١٣٧ .

(٤) ما بين المعقوفين عن « ط » فيما سيأتي من قوله : « تعالى » .

(٥) سورة الزمر ، من الآية ١٠ .

(٦) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٧) سورة السجدة ، من الآية ٢٤ .. ول ١ م : خلط الناسخ بين جزء من الآية ٧٣ من سورة الأنبياء وهو -
قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ وجاء بقية الآية من سورة السجدة ، الآية ٢٤ حتى معنا ، وهي ﴿ لَمَّا
صَبَرُوا ﴾ .

(٨) سورة الجعفر ، الآية ٩٧ .

وَالثَّانِي : رَابِطُوا عَلَى الْإِظَارِ الصَّلَوَاتِ ، بِدَلِيلِ مَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أُذَلِّكُمْ عَلَى مَا يَحْطُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ^(٢) وَالْإِظَارُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، ^(٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهَنَّ ﴾ ^(٤) قَالَ : ابْتَلَاهُ بِالْكَوْكَبِ فَصَبَّرَ [وَبِالْقَمَرِ فَصَبَّرَ] ^(٥) وَابْتَلَاهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ فَصَبَّرَ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ [وَتَعَالَى] ^(٦) : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٧) . فَبَدَأَ بِالصَّبْرِ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَجَعَلَ نَفْسَهُ مَعَ الصَّابِرِينَ دُونَ الْمُصَلِّينَ . وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) لِلْأَنْصَارِ : « مَا يَكُنْ ^(٩) عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُذْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُغْفِرْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَعِزْ ^(١٠) يُعِزَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ

(١) في « م » : « قال النبي » .

(٢) قوله : « وكثرة الخطا إلى المساجد » من « ط » ، وهي مذكورة في نص الحديث .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ج ٣ ص ١٤١ بشرح النووي ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ج ١ ص ١٤٨ ، وكتاب المساجد والجماعات ، باب المشي إلى الصلاة ج ١ ص ٢٥٥ ، والبيهقي في سننه ، في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في فضل المشي إلى المسجد للصلاة ج ٣ ص ٦٢ .

(٤) سورة البقرة ، من الآية ١٢٤ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٧) سورة البقرة ، من الآية ١٥٣ . وفي « م » : « واستعينوا » بالواو . ونعم وخلط من الناسخ ، إذ أن الواو ذكرت في الآية الخامسة والأربعين من السورة نفسها .. والآية بتامها : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .

(٨) في « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٩) هكذا في « م » و « ط » وصحيح مسلم .. وفي الموطأ والبخاري : « ما يكون » . وكلاما صواب . وسبب هذا الحديث أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ، ﷺ ، فأعطاهم ، ثم سأله فأعطاهم حتى نفذ ماعنده ، فقال لهم هذا الحديث .

(١٠) مَنْ يَسْتَعِزْ : أى يظهر العِزَّ .

الله ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرَ أُوسَعٍ مِنَ الصَّبْرِ ^(١) . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا لَيْدٌ بِهَا وَجْهُ اللهِ ، فَأُخْبِرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) فَشَقَّ عَلَيْهِ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُخْبِرْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِّر » ^(٣) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ ، فَقَالَ لَهَا : « أَتَقِي ^(٥) اللهُ وَأَصْبِرِي » فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمِثْلِ مُصِيبَتِي ^(٦) ، فَلَمَّا قِيلَ لَهَا هَذَا رَسُولُ اللهِ ، جَاءَتْ إِلَيْهِ تَعْتَذِرُ أَنَّهَا لَمْ تَعْرِفْهُ ، وَقَالَتْ : سَأَصْبِرُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » ^(٨) ، وَيَحْتَمِلُ ^(٩) هَذَا الْحَدِيثُ وَجْهَيْنِ : أَمَّا الْخَطَأِيُّ ^(١٠) فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّبْرَ الْمَحْمُودَ عِنْدَ أَوَّلِ

(١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب الاستغفار عن المسألة ، وآخره : « ... عطاء خيرًا ولوسع ... » وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر ، وآخره : « وما أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عطاء خيرٍ وأوسع من الصبر » رفع « خير » والتقدير : هو خير . ورواه مالك فى الموطأ فى كتاب الصدقة ، باب ما جاء فى التعفف عن المسألة ، والدارمى فى كتاب الزكاة ، باب فى الاستغفار عن المسألة .

(٢) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، باب من أخبر صاحبه بما يُقال فيه وغيره . وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب إعطاء المولفة ومن يخاف على إيمانه إن لم يُعط ، والترمذى فى المناقب .

(٤) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٥) فى « م » : « اتق » خطأ من الناسخ .

(٦) فى « م » : « بمصيبتى » .

(٧) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٨) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ج ٣ ص ١٤٨ من فتح البارى .. ومسلم فى كتاب الجنائز ، باب الصبر على المعية عند الصدمة الأولى ج ٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ بشرح النووي .

(٩) من قوله : « ويحتمل » إلى قوله : « الصدمة الأولى » عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(١٠) فى « ط » : « الطائى » خطأ ، والتصويب من فتح البارى ، فالقول الذى معنا هنا منسوب له فى المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٩ ، ١٥٠ . وهو : الفقيه المحدث حمَّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستى ، أبو سليمان الخطائى ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٧٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠١٨ - ١٠٢٠] .

تُزُولُ الْمُصِيبَةِ ، وَقَدْ فَاتَكَ بِالْجَزَعِ . وَأَمَّا الْقَابِسِيُّ ^(١) فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّدْمَةَ الْأُولَى ^(٢) وَتُتُّ أَمْرَهَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) بِالصَّبْرِ . وَكَانَ هَذَا تَعْلِيماً لِكُلِّ مَنْ فَاتَهُ الصَّبْرُ بِذَهْوِلٍ أَوْ نِسْيَانٍ أَوْ غَلَبَةٍ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ ، فَقَالَ : « الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ » . وَفِي مَثْنَوِي الْحَكَمِ : قَالَتِ الصَّحَّةُ : أَنَا لَاحِقَةٌ بِأَرْضِي الْمَغْرِبِ ، قَالَ الْجُوعُ ^(٥) وَأَنَا مَعَكَ . قَالَ الْإِيمَانُ : أَنَا لَاحِقٌ بِأَرْضِي الْحِجَازِ ، قَالَ الصَّبْرُ : أَنَا مَعَكَ . قَالَ الْمُلْكُ : أَنَا لَاحِقٌ بِأَرْضِي الْعِرَاقِ ، قَالَ الْفَتْكُ : أَنَا مَعَكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَجَلَةَ خُرِقَ ^(٦) وَمَخْرَجُهَا مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ ، وَأَخْرَقَ مِنْ ذَلِكَ التَّفْرِيطُ فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ ، وَمَثَلُ ^(٧) ذَلِكَ كَالْفَلَنِرِ عَلَى النَّارِ ، إِنْ كَانَ مَأْوَاهُ ^(٨) قَلِيلًا غَلَّتْ يَسِيرُهُ مِنَ النَّارِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً لَمْ تَغْلَ ^(٩) حَتَّى تَكْثُرَ نَارُهَا وَتَطُولَ مُدَّتُهَا . وَفِي كِتَابِ « جَاوِيدَانِ خِرَد » ^(١٠) وَلَيْسَ ^(١١) لِلْعَجَمِ كِتَابٌ مِثْلُهُ ، قَالَ : مُحَرَّمٌ عَلَى السَّامِعِ

(١) هو : الحافظ ، الْمُحَدَّثُ ، الْفَقِيهُ الْأَصُولِيُّ ، عَلِي بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خُلْفٍ الْمَعَارِفِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، مِنْ أَهْلِ الْقِيَرَوَانِ مِنْ قَرَى قَابِسَ ، وَلِدَ سَنَةَ ٣٢٤ هـ وَكَانَ ضَرِيراً ، وَلَهُ كُتُبٌ غَايَةُ فِي الصَّحَّةِ ، وَكَانَ يَضْبِطُهَا لَهُ ثَقَاتُ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ زَوْجاً زَاهِداً تَقِيّاً . نَوْفٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْقِيَرَوَانِ سَنَةَ ٤٠٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٠ -

٣٢٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٦٨] .

(٢) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي السَّاقِطُ مِنْ م .

(٣) فِي م : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٤) فِي ط : عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

(٥) فِي م : الْجُوعُ ، تَصْحِيفٌ .

(٦) الْخُرْقُ : الْجَهْلُ وَالْخَطَأُ .

(٧) فِي م : وَمَثَلُ .

(٨) فِي م : مَلُوهَا . وَفِي ط : مَأْوَاهُ . وَالْقِلْتُرُ : مُؤْتَقَةٌ ، وَقَدْ تُدْرِكُ .

(٩) فِي م : دَلَّمْ يَغْلُ .

(١٠) جَاوِيدَانِ : لَفْظَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا : الْخَالِدُ ، أَوْ الطَّوِيلُ الْعُمُرُ . وَيُخْرَدُ : الْعَقْلُ وَالذِّكَاءُ . وَبَضَمَ الْخَاءَ وَسَكُونُ الدَّالِ : الصَّغِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وَهَذَا الْكِتَابُ مَنْسُوبٌ إِلَى « هَوْسَنِكَ شَاه » وَقَدْ غَرَّبَهُ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ، وَزَيْدُ الْمَأْمُونِ ، وَلَخَصَهُ أَيْضاً فِي تَعْرِيهِ . وَابْرُودُ الشَّيْخِ عَلِيُّ بْنُ مَسْكُوهِ هَذَا الْمُلَخَّصُ فِي كِتَابِهِ النَّسْخِيُّ بِأَدَابِ الْعَرَبِ وَالْفَرَسِ .

[انظر كشف الظنون للحاجي خليفة ج ١ ص ٣٨٧] .

(١١) فِي م : لَيْسَ بِدُونِ الْوَاوِ .

تُكَذِّبُ الْقَائِلَ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ، هُنَّ غَيْرُ الْحَقِّ : صَبْرُ الْجَاهِلِ عَلَى مَضَضِ الْمُصِيبَةِ ، وَغَاقِلُ أُنْعَضَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَحِمَاةُ أَحَبَّتْ سَكَنَهُ ^(١) .

فصل

وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى أَقْسَامٍ : صَبْرٌ عَلَى مَا هُوَ كَسْبٌ لِلْعَبْدِ ، وَصَبْرٌ عَلَى مَا لَيْسَ بِكَسْبٍ ، فَالصَّبْرُ عَلَى الْكَسْبِ عَلَى قِسْمَيْنِ : صَبْرٌ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَصَبْرٌ عَلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى مَا لَيْسَ بِكَسْبٍ لِلْعَبْدِ ، فَكَصْبُهُ ^(٢) عَلَى مُقَاسَاةٍ ^(٣) مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا لَهُ فِيهِ مَشَقَّةٌ ، وَيَنْقَسِمُ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ ^(٤) عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : فَأَوَّلُ أَقْسَامِهِ وَأَوَّلَاهَا ^(٥) : الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَالِاتِّهَاءِ عَمَّا ^(٦) نَهَى عَنْهُ . وَالثَّانِي : الصَّبْرُ عَلَى مَافَاتٍ إِذْرَاكُهُ مِنْ مَسْرَّةٍ ، أَوْ تَقْصُصُتْ أَوْفَاتُهُ مِنْ مُصِيبَةٍ . وَالثَّلَاثُ : الصَّبْرُ فِيمَا يَنْتَظَرُ وُرُودَهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ يَرْجُوهَا ، أَوْ يَخْشَى حُدُوثَهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ يَخَافُهَا . وَالرَّابِعُ : الصَّبْرُ عَلَى مَا نَزَلَ مِنْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ حَلَّ مِنْ أَمْرٍ مَخُوفٍ ، وَجَمِيعُ أَقْسَامِهِ مَحْمُودَةٌ ^(٧) بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَفِي كُلِّ مِلَّةٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ أُمَّةٍ مُؤْمِنَةٌ أَوْ كَافِرَةٌ .

وَقَالَ أَكْتُمُ بْنُ صَيْفِي : مَنْ صَبَرَ ظَهَرَ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٨) : الصَّبْرُ مَطِيلَةٌ لَا تُكْبَرُ ، وَالْفَنَاءَةُ سَيْفٌ لَا يَنْبُو ^(٩) . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ : الصَّبْرُ

(١) الكثرة : امرأة الابن .

(٢) في م : : : كصبره .

(٣) في م : : : مقامات ، تصحيف .

(٤) في م : : : وجوه آخر .

(٥) في م : : : وأولاه .

(٦) في م : : : عمن ، لا تصح هنا ، إذ أن من اسم موصول للعاقل بعكس ما التي تستعمل للعاقل .

(٧) في ط : : : محمود .

(٨) في ط : : : رضى الله عنه وكرّم الله وجهه معاً .

(٩) لا تكبر : لا تكب على وجهها : وسيف لا ينبو : يصيب الضرب .

الدَّرَك . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ^(١) : « الصَّبْرُ ضِيَاءٌ . وَبِالصَّبْرِ يَتَوَقَّعُ الْفَرَجُ » .
 وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الصَّبْرُ سِتْرٌ مِنَ الْكُرْهِ وَغَوْثٌ عَلَى الْخُطُوبِ » . وَقَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ : أَفْضَلُ الْعُدَّةِ ^(٢) الصَّبْرُ عِنْدَ الشَّدَّةِ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ ^(٣) : لَمْ
 أَسْمَعْ أُعْجِبَ مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) : لَوْ كَانَ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ
 مَعْطِيَتَيْنِ ^(٥) مَا بَالَيْتُ أَنَّهُمَا رَكِبْتُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِالصَّبْرِ عَلَى مَوَاقِعِ الْمَكْرُوهِ
 تُدْرِكُ الْحُظُوظُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّعِ فِي كِتَابِ : « الْيَتِيمَةِ » ^(٦) : الصَّبْرُ صَبْرَانِ ^(٧) ، فَالْقَامُ أَصْبَرُ
 أَجْسَامًا ، وَالْكِرَامُ أَصْبَرُ نُفُوسًا . وَلَيْسَ الصَّبْرُ الْمَمْدُوحُ صَاحِبُهُ أَنْ يَكُونَ قَوِيَّ
 الْجَسَدِ ^(٨) عَلَى الْكَدِّ وَالْعَمَلِ ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ صِفَاتِ ^(٩) الْحَمِيرِ ، وَلَكِنْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ
 غَلَبًا ، وَلِلْأُمُورِ مُحْتِمَلًا ، وَلِجَانِبِهِ عِنْدَ الْحِفَاطِ مُرْتَبِطًا ^(١٠) . وَفِي مَثَوْرِ الْحِكْمَةِ :
 مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ فَلْيَعِدْ لِلْمَصَائِبِ قَلْبًا صَبُورًا . وَقَالَ بَزْرَجِيهَرُ : لَمْ أَرُ ظَهِيرًا ^(١١) عَلَى

(١) في د م : « وعليه السلام » في الموضعين .

(٢) العُدَّة : ما أُعِدَّ لأمرٍ يحدث .

(٣) هو : عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، العامري بالولاء المعروف بالكاتب ، عالم بالأدب ، ويضرب به المثل في
 البلاغة ، سكن الشام ، وصار كاتباً لمروان بن محمد آخر ملوك الدولة الأموية .. توفي سنة ١٣٢ هـ .
 [انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٨ - ٣٣٢ ، وثمار القلوب
 ص ١٩٦ - ١٩٩] .

(٤) مابن المعقوفين عن د ط .

(٥) في د م : « لو كان الشكر والصبر مطيتين » والأخيرة خطأ من الناسخ ، والصواب : « مطيتين » .

(٦) وفي الأدب الكبير أيضاً .

(٧) هكذا في د م و د ط .. والكلام هكذا يبدو ميتوراً ، ففي الأدب الكبير : « الصبر صبران : صبر المرء على
 ما يكره ، وصبره عما يحب ، والصبر على المكروه أكبرهما وأشبههما - يعني أمثلهما - أن يكون صاحبه مضطراً .
 وعلم أن القام أصبر أجساداً .. » الخ .

[انظر المصدر السابق ص ١١٠] .

(٨) في د م : « الجسم » .

(٩) في د م : « وصف » .

(١٠) الجأش : النفس والقلب .. والمراد : أن يكون ثابتاً عند الشدائد .

(١١) ظهراً : مُعِيناً .

تَنْقِلُ الدُّوَلُ كَالصَّبْرِ ، وَلَا مُذِلًا لِلْحُسَادِ كَالْتَّجَمُلِ ، وَلَا مَكْسَبَةً لِلْإِجْلَالِ كَكُتُوبِ
الْمُرَاجِ (١) ، وَلَا مَجْلَبَةً لِلْمَقْتِ كَالْإِعْجَابِ ، وَلَا مَتَلَفَةً لِلْمُرُوءَةِ كَاسْتِعْمَالِ الْهَزْلِ فِي
مَوْضِعِ الْجِدِّ .

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ (٢) وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالِإِنتِهَاءِ عَنْ
مَحَارِمِهِ ، فَبِهِ يَصِحُّ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَاسْتِكْمَالُ السُّنَنِ ، وَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا
يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣) . وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ . وَقَالَ الْجُنَيْدُ : الْمَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا
سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، وَهَجْرُ الْخَلْقِ فِي جَنْبِ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَالْمَسِيرُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى
اللَّهُ [تَعَالَى] (٤) شَدِيدٌ ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى شَدِيدٌ . وَسُئِلَ عَنِ الصَّبْرِ فَقَالَ : تَجَرُّعُ
الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ نَعِيسٍ (٥) . وَكَانَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ (٦) إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّا
وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٧) بَكَى ثُمَّ قَالَ : وَاعْجَبَاهُ ! أُعْطِيَ وَأُنْتَى (٨) .
وَقَالَ الْخَوَاصُ (٩) : الصَّبْرُ : الثَّبَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ

(١) المُرَاج : الهَزْل .

(٢) هكلا في ١ ط .. وفي ١ م : : القسم الثاني ، خطأ من الناسخ .

(٣) سورة الزمر ، من الآية العاشرة .

(٤) ما بين المعقوفين عن ١ م .

(٥) النعيس : التَّجَمُّعُ .

(٦) من رواية الحديث . [انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٥٢] .

(٧) سورة ١ ص ١ من الآية ٤٤ .

(٨) في ١ م : : وَاعْجَبَاهُ والمراد بقوله : « أعطى » قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا ﴾
وذكرى لأولى الأبياب ﴿ .. وَهِيَ الْآيَةُ الثَّالِثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ مِنْ سُورَةِ (ص) والمراد بالثناء ، قوله تعالى : ﴿ نَعْمَ الْعَبْدُ
إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .

(٩) هو : إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، أبو إسحاق ، صوفي من أقران الجنيد ، وكان أوحده المشايخ في وقته ، وُلِدَ
في « سُرَّ مَنْ رَأَى » وتوفي في جامع الرُّمِّي سنة ٣٩١ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٢٨ ، وطبقات الصوفية ص ٢٨٤ - ٢٨٧ ، وطبقات الشعرائي ص ٩٧ ،

٩٨ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٧ - ١٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٢٥ - ٣٣١ ، والرمالة القشورية ج ١

ص ١٤٧] .

ابْنُ تَيْمٍ (١) : مَنْ تَوَى الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى صَبْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَقَوَاهُ (٢) ، وَمَنْ عَزَمَ عَلَى الصَّبْرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ [تَعَالَى] (٣) أَغَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُ مِنْهَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَوْصِنِي . فَقَالَ الْقَاسِمُ : عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي مَوَاضِعِ الصَّبْرِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ، وَصَبْرٌ عَمَّا (٤) نَهَى اللَّهُ [تَعَالَى] (٥) عَنْهُ ، وَهُوَ الْأَفْضَلُ . وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ الصَّبْرُ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، فَإِنَّ (٦) مَنْ خَافَ شَيْئًا صَبَرَ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهُ ، وَصَبَرَ عِنْدَ الْكَرَاهِيَةِ لِمَا يَخْذَرُ (٧) مِنْ صَرَرِهِ ، وَمَنْ رَجَا شَيْئًا صَبَرَ عَلَى طَلَبِهِ لِيَقْظَرَ بِهِ (٨) .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَاقَاتِ إِفْرَاكِهِ مِنْ مَسْرَةٍ ، أَوْ تَقَعُّضِ أَوْقَاتِهِ مِنْ مُصِيبَةٍ ، فَإِنَّهُ يَتَّعَجَّلُ بِهِ الرَّاحَةَ مَعَ اكْتِسَابِ الْمُثُوبَةِ ، فَإِنَّ صَبْرَ طَائِعًا اسْتِرَاحَ وَأَخْرَجَ الثَّوَابَ ، وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ حَمَلَ الْهَمَّ وَالْوِزْرَ (٩) . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ (١٠) : إِنْ تَجَزَّعَ فَقَدْ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ مِنْكَ بِالرَّجَمِ ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَقَدْ قَبِلَ ثَوَابَ اللَّهِ تَعَالَى خَلْفَ مِنْ أَيْنِكَ ، وَإِنْ صَبِرْتَ (١١) جَزَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَلَّتْ

(١) هو : عبد الواحد بن زيد البصري ، الزاهد ، من رواة الحديث ، وأحد أعلام الصوفية ، لحق الحسن وغيره ، وكان مستجاب الدعوة ، توفي سنة ١٧٧ هـ .

[انظر طبقات الأولياء ص ١٨٣ ، والرسالة القشورية صفحات متفرقة ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧] .

(٢) هكنا في « ط » .. وفي « م » : « مَنْ تَوَى الصبر على طاعة الله عز وجل صبره الله عليها » . وسقط « وقواه » منها .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٤) في « م » : « عندما » تصحيف .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) « فإن » عن « ط » .

(٧) في « م » : « وصبر عن كرامته ما يحذر » تحريف .

(٨) ابتداء من هنا إلى قوله : « يتعجل به الراحة » عن « ط » وساقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٩) الوزر : الذنب .. وفي « م » : « والوزرة » لا تصح بهذا المعنى .

(١٠) قاله علي ، كرم الله وجهه ، يُعْزَى الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَيُوسِيهِ عَنْ ابْنِ لَهُ .

[انظر ضج البلاغة ص ٥٢٧ ط دار الكتاب اللبناني] .

(١١) في « ط » : « إن تصبر » .

مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ ^(١) . وَنَظَمَهُ أَبُو ثَمَامٍ ^(٢) فَقَالَ :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَاذِي لِأَشْعَثَ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآئِمِ
أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوَى عِزَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجَرُ أَمْ تُسَلُّو سُلُو الْبِهَائِمِ ^(٣)
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْعِزَا وَتِلْكَ الْأَيَّامِ لِلْبُكََا وَالْمَآئِمِ ^(٤)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِرَجُلٍ : إِنْ صَبَرْتَ مَضَى أَمْرُ اللَّهِ وَكُنْتَ
مَأْجُورًا ، وَإِنْ جَزَعْتَ مَضَى أَمْرُ اللَّهِ وَكُنْتَ مَأْزُورًا . وَقَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ لَوْ كُفِّتُنَا
الْجَزَعُ ^(٥) مَا قُتْنَا بِهِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آجَرَنَا عَلَى مَا لَوْ نَهَانَا عَنْهُ لَصِيرْنَا إِلَيْهِ . وَعَنْ
هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ ، الْجَزَعُ أَثْعَبُ مِنَ الصَّبْرِ ، فَيُفِي الْجَزَعُ الثَّعْبَ وَالْوُزْرَ ، وَفِي الصَّبْرِ
الرَّاحَةُ وَالْأَجْرُ . وَلَوْ صَوَّرَ الصَّبْرُ وَالْجَزَعُ لَكَانَ الصَّبْرُ أَحْسَنَ صُورَةً وَأَكْرَمَ
طَبِيعَةً ، وَكَانَ الْجَزَعُ أَقْبَحَ صُورَةً وَأُخْوَرَ ^(٦) طَبِيعَةً ، وَلَكَانَ الصَّبْرُ أَوْلَاهُمَا بِالْعَلِيَّةِ

(١) في (م) : جَرَى عَلَيْكَ الْمَقْدُورُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ أي : مقترف للوزر ، وهو : الذنب .

(٢) هو الشاعر : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، ولد في (جاسم) من قُرَى « حوران »
بمصر ، سنة ١٨٨ هـ . ورحل إلى مصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازته وقدمه على شعراء عصره .. وله
تصانيف ، منها : ديوان الحماسة ، ومختار أشعار القبائل ، ونقائض جرير والأخطل ، والوحشيات ، وغيرها .. توفي
سنة ٢٣١ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٦٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١١ - ٢٦ ، وطبقات الشعراء ج ٢ ص ٢٨٦
٢٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٤٨ - ٢٥٣ ، والأغاني ج ١٧ ص ٦٢٢٧ - ٦٢٥٠ ، وخزانة الأدب ج ١ ص
٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧٢ - ٧٤ ، والموازنة بين شعر أبي تمام والبحري ج ١] .
وقد وردت هذه الأبيات الثلاثة في ديوانه ضمن قصيدة من تسعة عشر بيتاً يمدح فيها مالك بن طوفٍ ويعزيه عن
أخيه القاسم بن طوف .

(٣) هكذا البيت في « ط » ، والديوان .. وفي « م » : وأدب الدنيا والدين : « خَشْيَةٌ » بدل « حِسْبَةٌ » .

[انظر أدب الدنيا والدين ، في الصبر والجزع ص ٣٤٦] .

(٤) الأيَّامى : اللاتى قَفَذْنَ أَرْوَاجَهُنَّ .. والبيت في الديوان :

« خُلِقْنَا رِجَالًا لِلصَّبْرِ وَالْأَمْسَى .. وَتِلْكَ الْعَوَانِي لِلْبُكََا وَالْمَآئِمِ » .

[انظر ديوان أبي تمام ج ٢ ص ٢٥٩ ط دار المعارف] .

(٥) هكذا في « ط » .. ويقال : كَلَّفَهُ الْأَمْرَ : أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ .. وفي « م » : « وَاللَّهِ لَوْ قَدْ كُفِّتُنَا بِالْجَزَعِ » . والأول
أصح .

(٦) أخْوَر : أضعف . وفي « م » : « أَمْجُورٌ » أي : أظلم . والأول أَوْجَه .

لِحُسْنِ الْخَلْقَةِ وَكَرَمِ الطَّبِيعَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَوْ وَكَّلَ النَّاسُ بِالْجَزَعِ لِلْجَنُودِ إِلَى الصَّبْرِ . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ لِلْمُهْدِيِّ ^(١) : إِنَّ الْمَرْءَ ^(٢) أَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَجِدْ سَبِيلًا إِلَى دَفْعِهِ ^(٣) ، وَأَلْشَدَّ :

وَإِذَا تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا عَظُمَتْ مُصِيبَةٌ مُبْتَلَى لَا يَصْبِرُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَعَوَّضْتَ أَجْرًا مِنْ قَعِيدٍ فَلَا تُكُنْ قَعِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَيْسَ بِمَجْمُوعٍ لَهُ الرُّشْدُ مَنْ تَابَعَ التَّلَهُّفَ عَلَى قَائِتٍ ، أَوْ أَكْثَرَ الْفَرَحِ عِنْدَ مُسْتَطَرَفٍ ^(٤) . وَقَالَ الْحَكِيمُ : إِنْ كُنْتَ جَارِعًا عَلَى مَا أَفَلْتَ مِنْ يَدِّكَ فَاجْزَعْ عَلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَمَنْ يُقِنُّ أَنْ كُلَّ قَائِتٍ إِلَى الْقَضَاءِ ^(٥) حَسَنَ عَزَاؤُهُ عِنْدَ تَزُولِ الْقَضَاءِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا طَالَ بِالْمَحْزُونِ أَيَّامُ صَبْرِهِ كَسَاهُ ضَنَا طُولِ الْمَقَامِ عَلَى الصَّبْرِ ^(٦)
وَلَا شَكَّ أَنَّ الصَّبْرَ يُحْمَدُ غَيْهِ وَلَكِنْ إِنْفَاقِي عَلَيْهِ مِنَ الْعُمْرِ ^(٧)

وَقَالَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ : الصَّبْرُ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ : عَلَى الشُّوقِ ، وَالِاشْتِقَاقِ ، وَالزُّهْدِ ^(٨) ، وَالتَّرَقُّبِ ، فَمَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ بِالْمُصِيبَاتِ ، وَمَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ أَقْصَرَ عَنِ الْخَطِيئَاتِ .

(١) فِي « م » : : الْمُهْدِيُّ ، تَصْحِيفٌ .

(٢) « الْمَرْءُ » عَنْ « ط » .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » ، وَأَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ .. وَفِي « م » : : « مَا لَا يَجِدُ إِلَى دَفْعِهِ سَبِيلًا » .

(٤) مُسْتَطَرَفٌ : مُسْتَعْدِدٌ . وَفِي « ط » : : « مُسْتَطَرَقٌ » .

(٥) فِي « ط » : : « إِلَى الْقَضَاءِ » .

(٦) فِي « م » : : « ضَنَا » ، بَدَلُ « ضَنَا » ، تَصْحِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٧) يُحْمَدُ غَيْهِ ، أَيْ : آخِرَتُهُ حَمِيدَةٌ .. وَفِي « م » : : « غَيْهِ » ، تَصْحِيفٌ .

(٨) فِي « م » : : « الزَّهَادَةِ » .

وَأَمَّا ^(١) الْقِسْمُ الثَّالِثُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ فِيمَا ^(٢) يَنْتَظِرُ وُرُودَهُ مِنْ رَغْبَةٍ يَرْجُوهَا ، أَوْ يَخْشَى خُذُولَهُ مِنْ رَهْمَةٍ يَخَافُهَا فَيَالصَّبْرَ وَالتَّلَطُّفَ يَدْفَعُ ^(٣) عَادِيَةَ مَا يَخَافُ ، وَيَتَأَلَّ ^(٤) نَفْعَ مَا يَرْجُو . قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : « اِنْتَظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ » ^(٦) . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ ^(٧) .

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اسْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَبَا ^(٨)
لَا تِيَأَسَنَّ وَإِنْ طَالَ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا ^(٩)
أَخْلُقُ يَذَى الصَّبْرُ أَنْ يَخْطِئَ بِحَاجَتِهِ وَمُذِمِّنُ الْفَرْجِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ ^(١٠)
وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : دَخَلْتُ مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا « ذِفَار » ^(١١) ، فَبَيَّنَّا أَنَا أَطُوفُ فِي خَرَائِبِهَا
إِذْ رَأَيْتُ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ خَرَابٍ :

(١) في م : : : : : فَاثْمًا .

(٢) في م : : : : : عَلَى مَا .

(٣) في ط : : : : : تَدْفَعُ .

(٤) في م : : : : : وَيَقْتُلُ لَا تَصَحُّ .

(٥) في ط : : : : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) في الترمذی ، في كتاب الدعوات : « أفضل العادة انتظار الفرج » .

(٧) هو : محمد بن بشر بن محمد ، أبو بكر المعافري ، قاضي أندلسي ، من أهل بلجة ، كان كاتباً لأحد الوزراء ، حج ولقي أنس بن مالك ، وسمع علماً كثيراً ، واستقضى الحَكَمَ بن هشام بقرطبة ، واستمر في القضاء إلى أن توفي سنة ١٩٨ هـ . وله شعر في نفع الطيب وغيره . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٥٢ ، والمغرب في حُلَى المغرب ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٦ ، ونفع الطيب ج ٢ ص ٣٤٧ - ٣٥٣ ، وقضاة قرطبة ص ٧٣ - ٨٨] .

(٨) هكذا البيت في : م و فيها « استدَّتْ » بدل « انسلت » .. وفي ط : : « اشتدت » بالشين المعجمة . وفيها : « ما رتجبا » بدل « ما ارتجبا » والأخيرة بمعنى : استقلق . وفي أدب الدنيا والدين ، والمنهاج : « مطالبا » بدل « مسالكها » وفي العقد الفريد وأدب الدنيا والدين .. يفتق « مكان » يفتح .

(٩) هكذا البيت في ط : : ومنهاج اليقين ، وأدب الدنيا والدين .. وفي م : : « يَأْتَسَنَّ » تحريف من الناسخ . والشرطة الثانية في العقد الفريد : « إذا تضائق أَمَّرَ أَنْ تَرَى فَرْجًا » .

(١٠) أَخْلُقُ : جدير ، أو أجدر وأخرى .. وبلج : يدخل .

[انظر الأبيات في العقد الفريد ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ومنهاج اليقين ص ٤٧٦ ، وأدب الدنيا والدين ص ٣٤٨ ط الدار المصرية] .

(١١) هكذا في م و ط : : ولم أقف عليها ، ولعله يريد « ذِمَار » بالميم ، وهي قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ، يُنسب إليها نفرٌ من أهل العلم .. أو يريد « دفا » بالذال المهملة والقاء المعجمة ، وهي أيضاً باليمن .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧ مادة « ذمار » و ج ٢ ص ٤٥٨ مادة « دفا »] .

يَا مَنْ أَلَحَّ عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْفِكْرُ وَغَيَّرَتْ حَالَهُ الْأَيَّامُ وَالْفَيَسْرُ
أَمَّا سَمِعْتُ بِمَا قَدْ قِيلَ فِي مَثَلٍ عِنْدَ الْإِلَاسِ قَائِنِ اللَّهِ وَالْقَدَرِ ^(١)
نَمْ لِلْخُطُوبِ إِذَا أَخَذَتْهَا طَرَقَتْ وَأَصْبِرْ فَقَدْ فَارَ أَقْوَامٌ بِمَا صَبَرُوا
فَكُلُّ ضَيْقٍ سَيَأْتِي بَعْدَهُ سَعَةٌ وَكُلُّ قَوْبٍ وَشِيكٍ بَعْدَهُ الظُّفْرُ

وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ بِخَطِّ آخَرَ : لَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ صَبَرَ أُعْقِبَ الظُّفْرَ صَبْرَتْ ، وَلَكِنَّا نَجِدُ
الصَّبْرَ فِي الْعَاجِلِ يَفْنَى الْعُمَرُ ، وَيُدْنِي مِنَ الْقَبْرِ ، وَمَا كَانَ أَصْلَحَ لِدَى الْعَقْلِ مَوْتُهُ وَهُوَ
طِفْلٌ ، وَالسَّلَامُ . قُلْتُ : لَوْ رَأَيْتُهُ لَكُنْتُ تَحْتَهُ : فِي الصَّبْرِ اسْتِغْجَالَ الرَّاحَةِ ، وَاتِّظَارُ
الْفَرَجِ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، وَأَجْرٌ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَفِي الْجَزَعِ اسْتِغْجَالَ الْهَمِّ ، وَنَهْكَ
الْبَدَنِ ، وَاسْتِشْعَارُ الْحَيَاةِ ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، وَحُمُلُ الْإِنِّامِ مَعَ الْعُقُوبَةِ ، وَمَا أَحْسَنَ
لِدَوَى الْعُقُولِ ^(٢) اجْتِنَابَ هَذَا ، وَالسَّلَامُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَنْ صَبَرَ نَالَ الْمُنَى ، وَمَنْ شَكَرَ حَصَنَ النِّعْمَاءَ ^(٣) . وَقَالَ
الشَّاعِرُ :

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَكُلُّ شَيْءٍ بِهِ يَهْوُنُ ^(٤)
أَصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَّيَالِي فَرُبَّمَا سَاعَدَ الْحُرُونَ ^(٥)
وَرُبَّمَا نِيلَ بِأَصْطَبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٦) : مَا أُنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَاتَّزَعَهَا

(١) في م : : : : مِنْ مَثَلٍ .

(٢) في ط : : : : لِدَى الْعَقْلِ .

(٣) النِّعْمَاءُ : اللَّذَّةُ وَطِيبُ الْعِيشِ .

(٤) في ط : : : : وَكُلُّ شَيْءٍ بِهِ يَهْوُنُ .

(٥) في م : : : : الْحُرُونَ : بِالرَّأْيِ الْمَجْمَعَةِ ، وَمَعْنَاهَا : النَّاسُ الْغِلَاطُ الَّذِينَ تَحْتَشَّتْ مَعَالِمُهُمْ . وَمِفْرَدُهَا : خَزَنٌ .. وَالْحُرُونَ ، بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ : صَعْبُ الْإِنْقِيَادِ . وَيُقَالُ : فَرَسٌ حُرُونٌ : أَيْ : لَا يَنْقَادُ ، إِذَا اشْتَدَّ بِهِ الْجُرَى وَوَقَفَ .

(٦) في م : : : : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

مِنْهُ ^(١) وَعَوِضُهُ مَصِيرًا إِلَّا كَانَ مَا عَوِضَهُ أَفْضَلَ مِنْهَا لِنَزَعِهِ مِنْهُ . وَقَرَأَ : ﴿ إِنَّمَا يُؤَيِّتُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٢) . وَرَوَى أَنَّ جَارِيَةً كَانَتْ لَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٣) تَتَصَرَّفُ فِي خَوَانِجِهِ ، فَكُلَّمَا ^(٤) خَرَجَتْ تُصَدِّى لَهَا خِيَاطٌ كَانَ يَقْرُبُ دَارِ عَلِيٍّ وَيَقُولُ لَهَا : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ^(٥) فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ شَكَنَتْهُ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ ، إِذَا قَالَ لَكَ مَرَّةً أُخْرَى فَقُولِي لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ ، مَا الَّذِي تُرِيدُ ؟ فَمَادَ فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ : وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ فِيهِ . فَقَالَ لَهَا . تَصْبِرِينَ وَأَصْبِرُ حَتَّى يُؤَيِّتَ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . فَرَجَعَتْ ^(٦) الْجَارِيَةُ وَأُخْبِرَتْ مَوْلَاهَا ، فَدَعَا عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٧) الْخِيَاطَ ، فَوَجَدَ أَمْرَهُ عَلَى الصَّحَةِ ، فَوَهَبَهَا لَهُ مَعَ نَفَقَةٍ يَسْتَعِينُ بِهَا .

وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ كَفِيلٌ بِالنَّجَاحِ ، وَالْمُتَوَكِّلُ لَا يَخِيبُ ظَنُّهُ ^(٨) ، وَالْعَاقِلُ لَا يَدُلُّ بِأَوَّلِ نَكْبَةٍ ، وَلَا يَفْرَحُ بِأَوَّلِ رَفْعَةٍ . وَكَانَ يُقَالُ : الصَّبْرُ سَلَامَةٌ ، وَالطَّيِّشُ نَدَامَةٌ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الرَّابِعُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَا نَزَلَ مِنْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ حَلٍّ مِنْ أَمْرٍ مَخُوفٍ ، فَيَا صَبْرٍ ^(٩) فِيهِ تَنْفِيعٌ وَجُوهُ الْآرَاءِ ، وَتَتَوَقَّى مَكَايِدُ الْأَعْدَاءِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكُفَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْمُحْسِنِ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ^(١٠) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا

(١) في (م) : عنه .

(٢) سبق تخريجها .

(٣) في (م) : : لعلي رضي الله عليه .

(٤) في (م) : : فكلما .

(٥) في (ط) : : الله .

(٦) في (م) : : ثم رجعت .

(٧) في (م) : : رضي الله عليه .

(٨) في (ط) : : : والتوكل لا يُخِيطُ .

(٩) في (ط) : : : فالصبر .

(١٠) سبق تخريجها .

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢).

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) قَالَ : ﴿إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ
لِللَّهِ بِالرِّضَا فِي الْيَقِينِ فَافْعَلْ ، وَإِنْ (٤) لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ ، فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا نَكَرَهُ خَيْرًا
كَثِيرًا (٥) ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ (٦) وَالْيُسْرَ مَعَ
الْعُسْرِ (٧) . وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ مُنَاضِلُ الْجِدَّتَانِ (٨) وَالْجَزَعُ مِنْ
أَعْوَانِ الزَّمَانِ (٩) . وَقَالَ الْحَكِيمُ : يَمِفْتَاحُ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُعَالِجُ مَعَالِيقُ الْأُمُورِ .
وَأَنْشُدُوا :

إِنَّمَا أَجْزَعُ مِمَّا أَتَقَى فَإِذَا حُلَّ فَمَا لِي وَالْجَزَعُ
وَلَمَّا حَبَسَ أَبُو أَيُّوبَ فِي الْحَبْسِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً (١٠) ضَاقَتْ جِيلَتُهُ ، وَقَلَّ صَبْرُهُ ،
وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَشْكُو طَوْلَ حَبْسِهِ وَقَلَّةَ صَبْرِهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ جَوَابَ رَفَعْتِهِ (١١) :

صَبْرًا أَبَا أَيُّوبَ صَبْرٌ مُبْرَجٌ فَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْخُطُوبِ فَمَنْ لَهَا ؟
إِنَّ الَّذِي عَقَدَ الَّذِي اتَّعَقَدْتَ بِهِ عَقْدَ الْمَكَارِهِ فَيْكَ يَمْلِكُ حَلَهَا

(١) سورة النحل ، من الآية ١٢٧ .

(٢) سورة لقمان ، من الآية ١٧ .

(٣) في ط : « عليه السلام » .

(٤) في م : « فَإِنْ » .

(٥) في م : « و » ط : « غير كثير » بالرفع ، خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) في م : « و » ط : « واعلم أَنَّ الصبر مع الكرب » .

(٧) الحديث رواه أحمد بن حنبل .

(٨) في نهج البلاغة : « يناضل » بدل « مناضل » . والجِدَّتَانِ : نواب الدهر ، أى : أَنَّ الصبر يُدافع نواب الدهر

وحوادثه .

(٩) أى : أَنَّ الْجَزَعُ - وهو : شدة الْفَزَعِ - يعين على الإضرار بصاحبه .

[انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٧٠٥ ط دار البلاغة] .

(١٠) في م : « خمسة عشرة سنة » خطأ من الناسخ ، وأبو أيوب هو : أبو أيوب المورياني ، سليمان بن أبي

سليمان ، مغلد . كان وزيراً لأبي جعفر المصور . [انظر ترجمته في وفيات الأعيان . ج ٢ ص ٤١٠ - ٤١٤] .

(١١) في م : « وكتب إلى بعض إخوانه يقول » .

صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يَغْفُبُ رَاحَةً فَلَمَّعَهَا أَنْ تَشْجَلِي وَلَمَّعَهَا ^(١)
فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا أَبُو أَيُّوبَ ^(٢) كَتَبَ إِلَيْهِ :

صَبْرَتِي وَوَعظتني فَأَنَا لَهَا وَسْتَجَلِي بَلْ لَا أَقُولُ لَمَّعَهَا
وَيَحْلُهَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ عَقْدِمَا كَرَمًا بِهِ إِذْ كَانَ يَمْلِكُ حَلَهَا

فَمَا لَبِثَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى أُطْلِقَ مُكْرَمًا . وَلِتَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ ^(٣) :

سَأَسْأَلُكَ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنِّي أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ قُلُولُ ^(٤)
عَذَابِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنِّي عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ غَلِيلُ ^(٥)
وَأَنْ أَلِدَى بِشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ وَيَسْكُو بِمَا فِي نَفْسِهِ لَجْهُولُ ^(٦)

وَأُنْشِدُوا :

دَعِ الدُّهْرَ يَجْرِي بِإِقْدَارِهِ وَيَقْضِي عَجَائِبَ أَوْطَارِهِ ^(٧)
وَتَمِ نَوْمَةً عَنْ وِلَاةِ الْأُمُورِ وَحُلِ الزَّمَانِ بِتَلَوَارِهِ

(١) في م : : ولعلها أن تجلي .

(٢) في م : : دأبأ أيوب ، لا تصح .

(٣) في م : : المعتز ، تصحيف . وهو : تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي ، أبو علي أمير ، وُلِدَ سنة ٣٢٧ هـ ، وكان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب ، فُرِّقَ في أخفان النعم ، ومال إلى الأدب ونظم الشعر الرقيق ، وله ديوان شعر مطبوع . وكان فاضلاً ، ولَمْ يَلِ الْمُلْكَةَ ، لأن ولاية العهد كانت لأخيه نزار وتوفي بمصر سنة ٣٧٤ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٣ ، والحلة السيرة ج ١ ص ٢٩١ - ٣٠١ ، وعصر الدول والإمارات - مصر والشام - ص ٣٠٦ - ٣١١] .

(٤) القُلُولُ : الكسور في حد السيف .. وهذا البيت هو البيت الأخير من قطعة مكونة من ستة أبيات في الديوان . [انظر ديوان تميم بن المعز ص ٣٢٦ ط دار الكتب] .

(٥) ترتيب هذا البيت هو الرابع في القطعة السابقة من الديوان ، والشطرة الأولى منه : : عدائي إلى الشكوى إلى الناس أنني .

(٦) وهذا هو البيت الثالث في القطعة المشار إليها ، والشطرة الأولى منه : : وإن أُمراً يشكوى إلى غير نافع .. وفي م : : وإن أُمراً .. خطأ من الناسخ ، فبهذه الصورة الأخيرة ينكسر وزن البيت .

(٧) في م : : يجرى بمقداره .

فَإِنَّكَ تَرْحَمُ مَنْ قَدْ غَبِطْتَ وَتَنْجِبُ مَنْ قُبِحَ آثَارُهُ ^(١)
وَالشَّدِيدِي بَعْضُهُمْ :

وَيَمْتَنِعِي الشُّكُوى إِلَى النَّاسِ أَنِّي عَظِيمٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَظِيمٌ
وَيَمْتَنِعِي الشُّكُوى إِلَى اللَّهِ أَنَّهُ عَظِيمٌ بِمَا آفَاهُ قَبْلَ أَقُولُ ^(٢)
وَلَاخِرَ :

إِذَا ابْتَلَيْتَ فِتْنَى بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلْوى هُوَ اللَّهُ
الْيَاسُ يَنْقُطُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ لَا تَيَاسُنْ فَإِنَّ الصَّابِعَ اللَّهُ
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَاسْتَسْلِمَ لِقُدْرَتِهِ مَا لِمَرُوءٍ حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللَّهُ

وَصَرَفَ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ : صَابِرٌ ، وَصَبُورٌ ، وَصَبَّارٌ ، وَمُتَصَبِّرٌ . قَالَ مُتَصَبِّرٌ : مَنْ
صَبَرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، فَتَارَةً يَعْجُزُ ، وَتَارَةً يَصْبِرُ . وَالصَّابِرُ : مَنْ لَا يَشْكُو
وَلَا يَعْجُزُ . وَالصَّبَّارُ : الَّذِي لَوْ دُفِعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْبَلَاءِ وَالْمِحَنِ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَجْهُهُ فِي
الْحَقِيقَةِ ، وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْ وَجْهِهِ الرُّسْمُ وَالْبَشَرِيَّةُ وَالْخِلْقَةُ ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

صَابِرَ الصَّبْرِ فَاسْتَفَاتَ بِهِ الصَّبُّ رُفَصَاحَ الصَّبُورِ يَا صَبْرَ صَبْرًا
وَهَذَا أَقْوَى يَتَبَيَّنُ فِي الصَّبْرِ وَأَحْسَنُهُ ، وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

صَبْرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ صَبْرًا أَصَارَنِي إِلَى أَنْ يَتَأَدَّى الْحَالُ لَا صَبْرَ لِلصَّبْرِ
وَالصَّبُورُ : هُوَ الثَّابِتُ عَلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ . وَقِيلَ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : تَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي ، وَإِنْ مِنْ أَخْلَاقِي أَنِّي أَنَا الصَّبُورُ . وَيُقَالُ : الصَّبْرُ اللَّهُ

(١) فِي (١) : وَ تَضَحَّكُ مِنْ سِوَةِ آثَارِهِ . وَ غَبِطْتَ : تَحَنَّنْتَ مِثْلَ مَا عِنْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرِيدَ زَوَالَهُ عَنْهُ .

(٢) فِي (٢) : عَظِيمٌ بِمَا أُبْدِيهِ .

غَيَّى^(١) ، وَالصَّبْرُ بِاللَّهِ تُقَى^(٢) ، وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ بَلَاءٌ ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ وَقَاءٌ^(٣) ، وَالصَّبْرُ عَنِ اللَّهِ جَفَاءٌ . وَأَلْشَدُّوا :

إِذَا لَعِبَ الرَّجَالُ بِكُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتُ الْحُبَّ يَلْعَبُ بِالرَّجَالِ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَمَّنْ حُلَّ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ مَعَ الشِّمَالِ

وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ^(٤) : بَيْنَ الصَّبْرِ وَالتَّصَبُّرِ حَالَةٌ هِيَ : التَّنْعُمُ ، وَذَلِكَ^(٥) إِذَا رَفَعَ اللَّهُ لَكَ عَلَماً مِنْ أَعْلَامِ الْآخِرَةِ يَذُلُّهُ عَلَى مَنَازِلِ الصَّابِرِينَ عِنْدَهُ ، فَيَتَنَعَّمُ الْقَلْبُ بِسُرُورِ التَّعْيِيمِ^(٦) . وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ^(٧) : الصَّبْرُ هُوَ : الْأَنْفَرَقُ^(٨) بَيْنَ حَالِ النُّعْمَةِ

(١) في (م) : « غَيَّأ » . والصبر لله تُشِيرُ الاستقلال بالفعل .

(٢) في (م) : « بقاء » . والصبر بالله يُؤَدِّنُ بالتبري من الحول والقوة .

[انظر الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٥٤] .

(٣) في (م) : « وقار » .

(٤) هو : الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد الله ، من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد سنة ٢٤٣ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٥٣ ، وطبقات الصوفية ص ٥٦ - ٦٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٧٣ - ١٠٩ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ - ٢١٦ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٧ ، ٥٨ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٠٣ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٧٨ - ٨٠ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٢ ص ١١٠ - ١١٢ ، وطبقات الأولياء ص ١٧٥ - ١٧٧] .

(٥) في (م) : « وكان » بدل « وذلك » .

(٦) في (م) : « التَّعْم » .

(٧) في (م) : « الحارث » بدل « الجريري » تصحيف . وقد ورد هذا القول منسوباً إليه في الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٥٦ باب الصبر . وهو : أحمد بن محمد بن الحسين ، أبو محمد الجريري ، والأخير نسبة إلى جرير بن عباد من بني بكر بن وائل ، وقد غلبت عليه كنيته ، وهو من كبار مشايخ الصوفية ، وكان عالماً بعلومهم ، صاحب الجنييد ، وسهل بن عبد الله ، وأقعد مكان الجنييد بعد وفاته لغزارة علمه ، تولى - رحمه الله - سنة ٣١١ هـ .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٧ ، ٣٤٨ ، وطبقات الصوفية ص ٢٥٩ - ٢٦٤ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٤٣٠ - ٤٣٤ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٤] .

(٨) في (م) : « الصبر ألا تُفَرَّقَ » .

وَالْمَحْنَةُ مَعَ سُكُونِ الْخَاطِرِ فِيهِمَا . وَالصَّبْرُ ^(١) هُوَ السُّكُونُ مَعَ الْبَلَاءِ مَعَ وَجْدَانِ انْقَالِ
الْمَحْنَةِ ^(٢) . وَالْمَشْدُودَا :

صَبْرْتُ وَلَمْ أُطْلِعْ هَؤَالِكَ عَلَى صَبْرِي وَأَخْفَيْتُ مَا بِي مِنْكَ عَنْ مُوَضِيعِ السَّرِّ
مَخَافَةَ أَنْ يَشْكُو ضَمِيرِي صَبَاتِي إِلَى دَمْعَتِي سِرًّا فَتَجَرِي وَلَا أَدْرِي
وَقِيلَ لِلْمُحَاسِبِيِّ : بِمَاذَا يَقْوَى الصَّابِرُ عَلَى صَبْرِهِ ؟ فَقَالَ : إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي صَبْرِكَ
رِضًا مَوْالِكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْحَكِيمِ :

رَضِيْتُ وَقَدْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا صَاحِبِ الْأَمْرِ ^(٣)
وَفِي مَعْنَاهُ :

سَاصْبِرْ كَيْ تَرْضَى وَأُتْلِفْ حَسْرَةً وَحَسْبِي أَنْ تَرْضَى وَيَتْلَفَنِي صَبْرِي ^(٤)
قَالَ شَيْخُنَا : وَتُكَلِّكُ ^(٥) لِمَنْ تُجِبُهُ أَعْظَمُ مِنْ تُكَلِّكَ لِنَفْسِكَ ، هَذَا أَيُّوبُ لَمَّا أُصِيبَ
بِنَفْسِهِ قَالَ : ﴿ مَسْنَى الضَّرِّ ﴾ . وَيَقْتُوبُ لَمَّا أُصِيبَ بِحَبِيبِهِ قَالَ : ﴿ وَأَسْتَفَا عَلَى
يُوسُفَ ﴾ . قَالَ أَحْمَدُ ^(٦) : قَالَ لِي أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ ^(٧) : أَتُدْرِي بِمَاذَا ^(٨) أُرْزِلَ الْعَقْلَاءُ

(١) هكذا في م ، و ط .. وفي الرسالة القشورية : « والصبر » .

(٢) هكذا في ا ط .. وفي م : « مع وجدان البلاء وانْقَالِ المحبة » ، وفي الرسالة القشورية : « المحنة » بالنون ، بدل « المحبة » .

(٣) سقط « ما فيه » من م ، سهواً من الناسخ .

(٤) البيت في الرسالة القشورية منسوب لابن عطاء . [انظر ج ١ ص ٤٥٦] .

(٥) التَّكَلُّلُ : قَدْ الحبيب .

(٦) هو : أحمد بن أبي الحواري . وقد مرَّ التعريف به .

(٧) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية القنسِي ، أبو سليمان الدَّارَانِي ، من أهل « دارنا » بغوطة دمشق ... زاهد مشهور ، ومن كبار المصوفين ، ولد في حدود ١٤٠ هـ . ورحل إلى بغداد وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفي بهدرا سنة ٢١٥ هـ . والنسبة إليها على غير قياس .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وطبقات الصوفية ص ٧٥ - ٨٢ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٢٥٤ - ٢٨٠ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٤٨ - ٢٥٠ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٩ ، ٨٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٣١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٣ ، وفيها وفاته سنة ٢٠٥ هـ ، والرسالة القشورية ج ١ ص ٩٦ - ٩٨ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٠ ص ١٨٢ - ١٨٦] .

(٨) في م : « بما » خطأ ، والصواب : « بيم » بحذف الألف .. أو « بماذا » .

اللَّيْمَةُ ^(١) عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : لِيَعْلَمِيَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَلَاهُمْ بِذَلِكَ فَصَبَرُوا . وَهَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ : أُنْزِلْتُ ^(٢) بِعَبْدِي بِلَايٍ ، فَدَعَانِي ، فَمَا طَلَنَتْهُ إِلَّا جَايَةً ، فَشَكَانِي ، فَقُلْتُ : عَبْدِي ، كَيْفَ ^(٣) أَرْحَمُكَ مِنْ شَيْءٍ بِهِ أَرْحَمُكَ ؟ وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ ^(٤) إِنَّهُ الصَّبِيرُ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ وَلَا بَثٌ ^(٥) . قَالَ أَنَسٌ : مَا صَبَرَ مَنْ بَثٌ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تَسْتَغْزِرُوا ^(٦) الدُّمُوعَ بِالتَّذْكُرِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

* وَلَا يَبْعَثُ الْأَخْزَانَ مِثْلَ التَّذْكُرِ ^(٧) .

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى عَظِيمِ الْأَسَى وَشِدَّةِ الْحَزَنِ ^(٨) تَذْكُرُ الْمَسَارِّ الْمُتَقَضِّيَةِ ، وَتَصَوُّرُ ^(٩) الْمَضَارِّ الذَّاهِبَةِ ، وَكَثْرَةُ الشُّكْوَى [وَالْأَسَفِ] . وَقَالَ ^(١٠) الشَّاعِرُ :

لَا تُكْثِرِ الشُّكْوَى إِلَى الصَّدِيقِ وَارْجِعْ إِلَى الْخَالِقِ لَا الْمَخْلُوقِ
لَا يَخْرُجُ الْغَرِيقُ بِالْغَرِيقِ ^(١١)

(١) اللَّيْمَةُ : اللُّؤْمُ .

(٢) هكذا في م ، والرسالة القشرية ج ١ ص ٤٦١ .. وفي ط : : إذا أنزلت .

(٣) هكذا في م ، والرسالة القشرية .. وسقطت كيف من ط .

(٤) سورة الماعز ، الآية الخامسة .

(٥) في م : : لا بَثٌ فيه ولا شكوى . والبَث : شدة الحزن .

(٦) أى : لا تطلبوا غزارتها وكرها .. وفي أدب الدنيا والدين : لا تستغزوا ، أى : لا تخرجوها بتذكرك ما أصيبت به ، بل اجتهدوا في تناسيه .

[انظر المرجع السابق ، في الصبر والجوع ص ٣٥٥ .

(٧) الشطرة الأولى من البيت : : سَجَعَنَ سَجْعًا أَوْ جَعَفَتْ فَذَكَرْتُهُ . معنى : سَجَعَنَ كلمة بشارية ووصلة أطارت قوادحين ، وأذهبت عقولهن لما ذكرن ما كانت هن من تلك الوصلة ، فَحَزَنَ على انقطاعها وفواتها .. ولا يبعث الأمحزان ، أى : لا يبرها ولا يبركها شيء مثل التذكُّر .

[انظر منهاج اليقين ص ٤٨٥ .

(٨) في م : : وشدة الحسرة .

(٩) في م : : وتصرف ، أى : تقلب وتوالى .

(١٠) في م : : قال . وما بين المعقوفين عن ط .. والشعر في أدب الدنيا والدين غير منسوب لقائل ، وهو من الرجز المشطور .

(١١) يريد : أنَّ كل المخلوقات غَزَقَى في بحر المصائب والنواب ، فَعَلَى الإنسان حيناً مُصَابٌ أَوْ يُحْتَلُّ بِشَيْءٍ ، أَلَّا يُلْجَأَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ - غَزَّ وَجَلَّ - في كشف الضُرِّ عنه .

وَفِي مَثَوْرِ الْحِكْمِ : الْمُصِيبَةُ بِالصَّبْرِ أَعْظَمُ الْمُصِيبَتَيْنِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَلٌّ مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّةٍ إِلَّا وَتَالَ مَا يَرْجُوهُ مِنْ فَرَجٍ . وَيَتَّبِعِي لِمَنْ نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ ، أَوْ كَانَ فِي شِدَّةٍ أَنْ يُسَهِّلَهَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَعْظَلَ ^(١) عَنْ تَذَكُّرِ مَا يَتَّقِيهِ مِنْ وَجُوبِ الْفَنَاءِ ، وَتَقْضَى الْمَسَارُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ ، وَلَهَا يَسْتَعِي مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ ، مَنْ صَحَّ فِيهَا سَيْمٌ ، وَمَنْ سَقَمَ فِيهَا بَرَمٌ ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَرَنٌ ، وَمَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا قُتْنٌ ، حَلَّالَهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامَهَا عِقَابٌ ، وَمُتَشَابِهَهَا عِتَابٌ ، لَا خَيْرَ لَهَا يَدُومُ ، وَلَا شَرَّهَا يَبْقَى ، وَلَا فِيهَا لِمُخْلُوقٍ بَقَاءٌ ، فَإِذَا تَصَوَّرَ ^(٢) حَقِيقَتَهَا فَحِينَئِذٍ يَرَى ^(٣) الْحَوَادِثَ سَهْلَةً ، وَالْمَصَائِبَ هَيْئَةً . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

يُمَثِّلُ ذُو اللَّبِّ فِي نَفْسِهِ مَصَائِبَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا ^(٤)
فَإِنْ نَزَلَتْ بَقْعَةٌ لَمْ تُرْعَهُ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا ^(٥)
رَأَى الْأَمْرَ يُقْضَى إِلَى آخِرٍ فَصَبَرَ آخِرُهُ أَوَّلًا ^(٦)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ حَازَرَ لَمْ يُخْلَعْ ، وَمَنْ رَاقَبَ لَمْ يَهْلَعْ ^(٧) ، وَمَنْ كَانَ مُتَوَقِّعًا لَمْ يُلَفَّ مُتَوَجِّعًا ، وَمَنْ لَمْ يُشْعِرْ نَفْسَهُ مَا ذَكَرْنَا ^(٨) - مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا ، وَتَقْضَى الْمَسَارُ ^(٩) ثُمَّ التَّوَاءُ فِي اللُّحُودِ ^(١٠) يَسَّرَ أَطْبَاقِ

(١) في م : : يمتنى تسهيلها على نفسه فلا يعطل .

(٢) في م : : تصورته .

(٣) في م : : ترى .

(٤) في م : : إذا بدل ذو خطأ . والشرطة الثانية في ط : : مصائب من قبل أن تنزلا .. وفي

العقد الفريد ج ٢ ص ١١٦ : بدل اللب وما بمعنى واحد .

(٥) بقعة : فجأة من غير توقع .. ولم ترعه : لم تحفه .

(٦) هكذا البيت في م : و ط : ونفع الطيب ج ٩ ص ٤٤ .. وفي العقد الفريد : اللهم بدل الأمر .

(٧) لم يهْلَعْ : لم يكن شديد الجزع .

(٨) في م : : ما ذكرناه .

(٩) تقضى المسار : فناء اللذات ، وكل ما يسر الإنسان به .. وفي م : بعد ذلك ، كرر الناسخ - سهوا ما سبق

من قوله : فإن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له .. الخ .

(١٠) في م : : القوى وهي بمعناها . والتواء في اللحد : الإقامة والاستقرار في القبر بعد الموت .

- فَلَوْ كَانَ يُعْنَى أَنَّ يَرَى الْمَرْءَ جَارِعًا لِنَائِبَةٍ أَوْ كَانَ يُعْنَى التَّبَدُّلُ ^(١)
 لَكَانَ التَّعْزَى عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَنَائِبَةٍ بِالْحُرِّ أَوَّلَى وَأَجْمَلُ ^(٢)
 فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَغْدُو حِمَامَهُ وَمَا لِأَمْرِيءَ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَرْحَلُ ^(٣)
 فَإِنْ تَكُنِ الْآيَامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ يَبُوسُ وَنَعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ ^(٤)
 فَمَا لَيْتَ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيَّةٍ وَلَا ذَلَّلْنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمَلُ ^(٥)
 وَلَكِنْ وَجَدْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً تُحْمَلُ مَا لَا تَسْتَطِيعُ فَتَحْمَلُ ^(٦)
 وَقَيْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ مِنَّا نُفُوسَنَا فَصَحَّتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هَزَلُ ^(٧)

* * *

تم الجزء الأول من كتاب « سراج الملوك » ، بتجزئة محققه - غفر الله له -
 وبإياله - إن شاء الله تعالى - الجزء الثاني ، وأوله الباب الثالث والثلاثون
 « في كتمان السر »

- (١) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي الأمل لأبي علي القالي - ج ١ ص ١٧١ : « لِنَائِبَةٍ » مكان « لنائبة »
 وهي بمعنىها . « والتبدل » . مكان « التبديل » .
 (٢) هكذا البيت في « ط » والأمل .. وفي « م » : « ونائبة » مكان « ونائبة » . وربما أتى بها الناسخ سهواً ،
 وقد وردت في البيت السابق .
 (٣) هكذا البيت في « ط » .. والجمام : قضاء الموت وقدره .. والمرحل : المكان يرحل إليه .. وفي « م » :
 « مَعْدِل » أي : مصير . وفي الأمل : « مَرْحَل » بالزاي المعجمة ، أي : ملجأ .. وكلها تؤدي المعنى .
 (٤) التعمى : التعماء وطيب العيش .
 (٥) في « م » : « قَنَاء » بدل « قَنَاء » تصحيف .
 (٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » والأمل : « رَحَلْنَاهَا » مكان « وجدناها » أي : رُضْنَاهَا وَصَبَرْنَاهَا ..
 وفي الأمل أيضاً : « يُسْتَطَاع » بالباء للمجهول ، بدل « تستطيع » .
 (٧) الشطرة الأولى من البيت في الأمل : « وَقَيْنَا بِعِزِّ الصَّبْرِ مِنَّا نُفُوسَنَا » . والأعراض : ما يطرأ ويَزُول من مرض
 ونحوه .. وصَحَّتْ : برئت من المرض والعيوب .. وَهَزَلُ : ضَعْفَاء .

عبد الرحمن النجدي
وأسكنه الله الفردوس

سيرة الملك

للإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الططوشي
٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

محققه ومطبعة وعلّنه عليه ووضع فهارسه

محمد فتحي أبو بكر

تقديم
دكتور شوقي ضيف

المجلد الثاني

الناشر
دار الفكر للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البَابُ الثَّالِثُ وَالْثَّلَاثُونَ

فِي كَيْفَانِ السَّرِّ

رفع
عبد الرحمن الشنبري
(سكنه الله الفردوس)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَغْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ ^(١) ، فَلَمَّا أَفْشَى يُوسُفُ رُؤْيَاهُ بِمَشْهَدِ امْرَأَةٍ يَغْقُوبَ أَخْبَرَتْ إِخْوَتَهُ ، فَحَلَّ بِهِ مَاحِلٌ . وَفِي الْحَدِيثِ : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِالْكِفَّانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْسُودٌ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كَيْفَانَ السَّرِّ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ ، وَمِنَ اللِّوَاظِمِ فِي حُقُوقِ الْمُلُوكِ ^(٢) ، وَمِنَ الْفَرَائِضِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْوُزَرَاءِ وَجُلَسَاءِ ^(٣) الْمُلُوكِ وَالْأَتْبَاعِ . قَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٤) : سِرُّكَ أَسِيرُكَ ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمْنَاءَ الْأَسْرَارِ أَشَدُّ تَعَدُّرًا وَأَقْلَ وَجُودًا مِنْ أَمْنَاءِ الْأَمْوَالِ ، وَحِفْظُ الْأَمْوَالِ أَيْسَرُ مِنْ كَتْمِ الْأَسْرَارِ ، فَإِنَّ أَخْرَازَ الْأَمْوَالِ مَنِيعَةٌ بِالْأَبْوَابِ وَالْأَقْفَالِ ، وَأَخْرَازَ الْأَسْرَارِ

(١) سورة يوسف ، من الآية الخامسة .

(٢) في (م) : « وفي جميع الحقوق للملوك » .

(٣) في (م) : « والجُلَسَاء » .

(٤) قوله : « علي رضي الله عنه » عن « ط » ، وأدب الدنيا والدين .. وسقطت من « م » سهوًا من الناسخ .

[انظر المرجع السابق - الفصل الرابع من الباب الخامس - في كَيْفَانِ السَّرِّ ص ٣٦٧ ، ومنهاج اليقين

زَةُ يُذِيعُهَا لِسَانًا نَاطِقًا ، وَيُشِيمُهَا كَلَامًا سَابِقًا . وَعِيبُ الْأَسْرَارِ أَثْقَلُ مِنْ عِيبِ (١)
نَوَالٍ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَسْتَقِيلُ بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ بَحِمْلِهِ وَيَمْسِي بِهِ وَيُقْلُهُ (٢) وَلَا يَسْتَطِيعُ
سَمَ السَّرِّ . وَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ سِرَّهُ فِي قَلْبِهِ ، فَيَلْحَقُهُ مِنَ الْقَلْبِ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَلْحَقُهُ
مِنْ الْأَثْقَالِ ، فَإِذَا أَدَاعَهُ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ ، وَسَكَنَ جَأَشُهُ ، وَكَانَمَا أَلْقَى عَنْ نَفْسِهِ
بَلًا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ ، وَالشَّفَاهُ أَثْقَالُهَا ، وَاللِّسُنُ مَفَاتِيحُهَا (٣) ،
يُحْفَظُ كُلُّ أَمْرٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ . وَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ (٤) أَنَّ أَغْلَاقَ (٥) الدُّنْيَا كُلَّمَا
تُرِثَ خَزَائِنُهَا كَانَ أَوْثَقَ لَهَا ، إِلَّا السَّرُّ ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَ خَزَائِنُهُ كَانَ أَضْيَعَ لَهُ . وَكَمْ
نَ إِظْهَارِ سِرِّ أَرَأَى دَمَ صَاحِبِهِ ، وَنَمَعَ مِنْ بُلُوغِ مَآرِيهِ ، وَلَوْ كَتَمَهُ أَمِنْ مِنْ سَطَوَاتِهِ .
أَلْ أَوْشِرُونَ : مَنْ حَصَنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَحَصُّنِهِ حَصْلَتَانِ (٦) : الطَّفَرُ بِحَاجَتِهِ ، وَالسَّلَامَةُ
نَ السَّطَوَاتِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : سِرُّكَ مِنْ دِمِكَ (٧) فَلَا تُجْرِهِ فِي غَيْرِ أَوْدَاجِكَ ،
إِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَقَدْ أَرَقْتَهُ .

وَكَانَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَاتِبٌ يُقَالُ لَهُ حُمْرَانُ (٨) ، فَاشْتَكَى

(١) فِي « م » : « عِبَ » فِي الْمُرْضِعِينَ .. تَصْغِيفَ .

(٢) يُقْلُهُ : مِنْ : أَثَقَلَ الشَّيْءُ ، إِذَا حَمَلَهُ وَرَفَعَهُ . وَهُوَ عَنْ « ط » وَاسْقَطَ مِنْ « م » .

(٣) فِي « ط » : « مِفْتَاحُهَا » .

(٤) فِي « م » : « وَمِنْ الْعَجَائِبِ » .

(٥) الْأَغْلَاقُ : الْأَقْفَالُ الَّتِي تُحْفَظُ مَا بِهَا خَلْفَهَا . جَمْعُ غَلَقَ .

(٦) فِي « م » : « وَحَالَاتَانِ » .

(٧) فِي « م » : « سِرُّكَ أَسِيرُكَ وَهُوَ مِنْ دِمِكَ » .

(٨) فِي « م » : « اسْمُهُ حُمْرَانُ » وَهُوَ حُمْرَانُ بْنُ أَبَانَ بْنِ عَمْرٍو ، وَيَكْنَى أَبَا زَيْدٍ ، وَكَانَ يَهُودِيًّا ، وَسَبَّيَ فِي « عَيْنِ
الْهَرِّ » أَهَامَ أَبِي بَكْرٍ ، وَاشْتَرَاهُ عُمَانُ وَأَعْتَقَهُ ، وَصَارَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَكَانَ عَامِلَهُ
بِهَا . وَلَمَّا قَدِمَ الْحِجَاجَ الْبَصْرَةَ آذَاهُ وَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَكُتِبَ حُمْرَانُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِشِكْوِهِ ، فَأَمَرَ
عَبْدَ الْمَلِكِ الْحِجَاجَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ وَيُحْسِنَ بِجَاوِرَتِهِ .

عُثْمَانُ ^(١) فَقَالَ : ائْتِبِ الْعَهْدَ بَعْدِي لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَرْفٍ . فَقَالَ حُمْرَانُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : الْبُشْرَى . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَكَ الْبُشْرَى ^(٢) بِمَاذَا ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ ، فَاطْلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَخْبَرَ عُثْمَانَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : أَعَاهِدُ اللَّهَ أَنْ لَا يُسَاكِنَنِي حُمْرَانُ أَبَدًا ، وَنَمَاهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قُتِلَ عُثْمَانُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كِثْمَانَ الْأَسْرَارِ ^(٣) يَدُلُّ عَلَى جَوَاهِرِ الرِّجَالِ ، وَكَمَّا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آيَةٍ لَا تُنْسِيكَ مَا فِيهَا ، فَلَا خَيْرَ فِي إِنْسَانٍ لَا يُنْسِيكَ سِرَّهُ ^(٤) . وَهَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَوْدَعَ سِرَّهُ عِنْدَ رَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَفْهِمْتُ ؟ قَالَ : بَلْ جَهَلْتُ . قَالَ : أَحْفَظْتَ ؟ قَالَ : بَلْ نَسِيتُ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : كَيْفَ كَتَمْتَ لِلسَّرِّ ؟ قَالَ : أَجَحَدُ الْمُخْبِرِ ^(٥) ، وَأَخْلِفُ لِلْمُسْتَحْبِرِ ^(٦) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى كِثْمَانٍ مَا اسْتَمَلْتُ مِنْهُ الضُّلُوعَ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْخَبِيرِ ^(٧)

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ إِذْ كُنْتُ مِنْ تَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى غَطَرٍ

قَالَ شَيْخُنَا : وَمِنْ أَحْسَنَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ ^(٨) فِي كِثْمَانِ السَّرِّ ، مَا أَتَشَدَّنِيهِ بَعْضُ فَتَهَاءِ الْبَصْرَةِ ^(٩) بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ :

(١) أَيْ : مَرْحُومٌ .

(٢) قَوْلُهُ « لَكَ الْبُشْرَى » عَنْ « ط » .

(٣) فِي « م » : « كِثْمَانِ السَّرِّ » .

(٤) فِي « م » : « يَمْلِكُ سِرَّهُ » تَحْرِيفٌ .

(٥) أَيْ : أَنْكَرُهُ عَنِ الَّذِي يَقْلَهُ إِلَى النَّاسِ .. وَفِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ : « أَجَحَدُ الْخَبِيرِ » مِنَ الْمَجْهُودِ ، وَهُوَ إِنكَارُ الْأَمْرِ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ .

(٦) أَيْ : أَخْلِفُ - لَعَنًا - لِمَنْ يَسْأَلُنِي عَنْهُ بَأْنِي لَا أَعْرِفُهُ .

(٧) فِي « م » : « وَلَقَدْ كَتَمْتُ » بَدَلُ « وَلَوْ قَدَرْتُ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ ... وَالْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ ، وَالشَّاعِرُ فِيهِمَا يَحْتَسِرُ عَلَى عِلْمِ قَدْرَتِهِ عَلَى النِّسْيَانِ فَيَقُولُ : لَوْ اسْتَطَعْتُ نَسْيَانَ مَا احْتَوَتْهُ جَوَانِحِي مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْأَخْبَارِ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ ، إِذْ كُنْتُ مِنْ شَرِّ حَافِظِهَا عَلَى غَطَرٍ إِذَاعَتَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ .

(٨) فِي « م » : « لَا سَمِعْتُ » .

(٩) فِي « م » : « فَتَهَاءُ الْبَصْرِيِّينَ » .

وَلَهَا سَرَائِرٌ فِي الضَّمِيرِ طَوَيْتَهَا نَسِيَ الضَّمِيرُ بِأَنْهَا فِي طَيِّهِ ^(١)
وَفِي مَعْنَاهُ :

وَمُسْتَوْدَعِي سِرًّا كَتَمْتُ مَكَانَهُ عَنِ الْجَسِّ خَوْفًا أَنْ يَنْمُ بِهِ الْجَسُّ ^(٢)
وَحِخْتُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَى النَّفْسِ شَهْرَةً فَأَوْدَعْتُهُ فِي حَيْثُ لَا يَبْلُغُ النَّفْسُ ^(٣)

قَالَ الْقُتَيْبِيُّ ^(٤) : أَسْرُ مُعَاوِيَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَتَبَةَ ^(٥) حَدِيثًا ،
فَقُلْتُ لِأَيِّ ^(٦) : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرُ إِلَى حَدِيثًا ، أَفَأَحَدُكَ بِهِ ؟ قَالَ : لَا ^(٧) ، مَنْ
كَتَمَ حَدِيثًا كَانَ الْخِيَارُ لَهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ مَمْلُوكًا بَعْدَ
أَنْ كُنْتَ مَالِكًا . قُلْتُ : يَا أَبَتِ ^(٨) ، أَفَيَدْخُلُ هَذَا بَيْنَ الرَّجُلِ وَآبِيهِ ؟ قَالَ :
لَا يَا بَنِي ^(٩) ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ تُذَلَّلَ ^(١٠) لِسَانَكَ بِإِفْشَاءِ السِّرِّ . قَالَ : فَحَدَّثْتُ بِهِ

(١) في م : « الظهير » بالطاء المعجمة ، بدل « الضمير » ، في الموضعين ، وهي على الإبدال ، فمن سنن
العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض ، فهم يقولون : فاض وفاظ ، ومكة وبكة . الخ .
[انظر فقه اللغة للثعالبي — فصل في الإبدال — ص ٥٦٤] .

(٢) هذا البيت لم يرد في م : وسقط سهواً من الناسخ .. والبيتان وردا في منهاج اليقين ص ٥٠١ ، والمستطرف
ج ١ ص ٤٤٥ .. ويُنم : يشمر إليه ويديه .

(٣) في منهاج : « شهوة » بدل « شهرة » .. و « يبلغ » بالياء ، مكان « تبلغ » . والبيت في المستطرف :
وَحِخْتُ عَنْهُ مِنْ هَوَى النَّفْسِ شَهْوَةً فَأَوْدَعَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَبْلُغُ الْجَسُّ

(٤) في م : « وقال » . والقُتَيْبِيُّ هو : محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموي ، من بني عتبة
ابن أبي سفيان بن حرب ، وقد مرَّ التعريف به .

(٥) مابين المقوفتين عن ط . عثمان بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب . [انظر المعارف ص ٣٤٥ ، ونسب
قريش ص ١٣٤] .

(٦) القتال هنا هو : عثمان .

(٧) في م : « أَفَأَحَدُكَ بِهِ أَوْ أَكْتَمَهُ ؟ قَالَ : فَأَكْتَمُهُ ، فَإِنَّ مَنْ كَتَمَ حَدِيثَهُ » الخ

(٨) في م : « يَا أَبَتِ » .

(٩) قوله : « يَا بَنِي » عن م .

(١٠) في م : « وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ يُذَلَّلَ ... » .

مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : اَعْتَقَكَ اَيْحَى ^(١) مِنْ رِقِّ الْحَطَا . وَقِيلَ لِيُعْضِيَ الْمُلُوكُ : مَا اَصْنَعُبُ
الْأَشْيَاءَ عَلَى الْإِنْسَانِ ؟ قَالَ : اَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَكْتُمَ سِرَّهُ . وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْحَخِيمِ ^(٢) :

أَجُودُ بِمَكْنُونِ التَّلَادِ وَإِنِّي بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَأَلَنِي لَضَنِينُ ^(٣)
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ بِنْتُ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ ^(٤)
وَأَنْ ضَيَّعَ الْأَقْوَامُ سِرًّا فَإِنِّي كَتُمُ لَأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينُ ^(٥)
يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا ضَمِئْتُهُ مَكَانَ بِسُودَاءِ الْفُؤَادِ كَبِينُ ^(٦)

(١) في م : : : يا أَيْحَى ، الياء زيادة من الناسخ ، فقد مر بنا أن عنيسة هو أخو معاوية .
(٢) في م : : : و ط : : : الحطيم ، بالحاء المهملة ، خطأ ، والصواب بالخاء المعجمة ، واسم الحطيم : ثابت ،
وهو : قيس بن الحطيم بن عدى الأوسى ، أبو يزيد ، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية ، أدرك الإسلام
وزيغرت قبل قوله ، وقُتِلَ قبل أن يدخل فيه ، وكان ذلك في السنة الثانية قبل الهجرة ، وشعره جيد ، وديوانه مطبوع .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٥ ، والأغاني ج ٣ ص ٨٤٧ - ٨٧٢ ، وخزانة الأدب ج ٧ ص ٣٤ - ٣٧ ،
والفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٩ ص ٧٢٥ - ٧٢٧ والأصمعيات ص ١٩٦] .
(٣) في م : : : لسرك ، باللام .. وفي ط : : : اليلاد ، بالياء ، بدل التلاد . ومكنون التلاد : المال الذي
يحافظ عليه . والشطرة الثانية من البيت في المستطرف ج ١ ص ٤٤٥ :
بِسِرِّي عَمَّنْ سَأَلَنِي لَضَنِينُ .

وهي بهذه الصورة غير مستقيمة الوزن . وهذا البيت لم يرد في ديوان قيس ، غير أنه جاء في عدة مصادر أخرى ،
منها كتاب أمالي القالي ، ج ٢ ص ١٧٧ و ص ٢٠٢ وفيها : بمضنون التلاد بدل بمكنون التلاد .

(٤) هكذا البيت في م : ودرة الغواص ص ٢٥٦ ، ولسان العرب ، مادة نث : .. وفي ط : :
نِثْ بدل بِنْتُ ، والنِثْ : نشر الحديث وإفشائه . وقيل : هو نشر الحديث الذي كَتُمَهُ أَحَقُّ من نشره ..
وفي الديوان : بنشر . والألف في اثنين : ألف وصل ، وقطعت هنا لضرورة الشعر ، ولذلك ذكر السُّرْدُ أن
الرواية في هذا البيت : إِذَا جَاوَزَ الْجَلَيْنِ لِلتَّغْلُصِ مِنْ قَطْعِ مِزَّةِ اثْنَيْنِ .. وفي أمالي القالي والديوان : وتكثير
الحديث . وفي رواية : وتضييع الوشاة قمين : أى : تحريي وخليقي .

[انظر الديوان ص ١٦٢ ط دار صادر ، ودرة الغواص للحريص ص ٢٥٦ ، ٢٥٧] .

(٥) هكذا البيت في م : و ط : والديوان ، وأمالي القالي .. وفي المستطرف : سِرِّي مكان سِرًّا .
(٦) هكذا البيت في الأمالي ج ٢ ص ١٧٧ ، وفي رواية ثانية وردت الشطرة الأولى في المرجع نفسه ص ٢٠٢ :
وعندي له يوماً إذا ما ضَمِئْتَنِي .. والشطرة الثانية من البيت في م : و ط : : مكان سويداء الفؤاد
مكين .. وفي نصيحة الملوك للمواردى : مكان سويداء الفؤاد دفين . وفي الديوان : مقر بسوداء الفؤاد
كنين .. وسويداء الفؤاد وسواده : حته .. والكنين : المكنون ، أى : المستور البعيد عن الأعين . وهناك روايات
أخرى انظرها لـ [ديوان قيس بن الحطيم ص ١٦٤ ، وانظر نصيحة الملوك ص ٢٥٠ ، ٢٥١] .

قَالَ شَيْخُنَا : قُلْتُ : النَّاسُ يَقُولُونَ : أَرَادَ بِالْاِثْنَيْنِ الْمُودِعَ وَالْمُودِعَ ، وَلَا يَتَعَدُّ أَنْ يُرِيدَ ^(١) بِهِ الشَّفِيعَيْنِ . وَكَانَ يُقَالُ : أَصْبَرُ النَّاسِ مَنْ صَبَرَ عَلَى كِتْمَانِ سِرِّهِ فَلَمْ يَبْدِهِ ^(٢) لِصَدِيقِهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَهْمِرَ عَدُوًّا ^(٣) . وَقَدْ رَوَى ^(٤) فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ ثُمَّ انْتَفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ » ^(٦) . قُلْتُ : وَإِذَا كَانَتْ أَمَانَةٌ حُرِّمَتْ ^(٧) فِيهَا الْخِيَانَةُ ، كَأَلْأَمَانَةِ فِي الْأُمُومَالِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ حَزْمٍ ^(٨) : « إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، فَلَا يَجِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ . وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ^(٩) : مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْتَقِصُ ^(١٠) مِنْ أَمَانَتِهِ إِلَّا نَقَصَ إِيْمَانَهُ . وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ ^(١١) :

(١) في (م) : « يُرَادُ » .

(٢) في (م) : « ظَلَمَ يَذِلُّهُ » .

(٣) في (م) : « عَدُوُّهُ » .

(٤) في (م) : « وَرَوَى » .

(٥) في (ط) : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٦) أخرجه الترمذى في صحيحه في البر والصلة ، باب ما جاء أن الجالس أمانة ج ٨ ص ١٣٨ بشرح ابن العربي .. والبيهقى في السنن الكبرى ، في كتاب الشهادات ج ١٠ ص ٢٤٧ .

(٧) في (م) : « حُرِّمَتْ » .

(٨) في (م) : « ابن حُرَّه » تصحيف . وهو : أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، كان قاضى المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، ولم يكن أحد بالمدينة عنده علم القضاء — في عصره — ما كان عند أبى بكر بن حزم .

[انظر التاريخ الكبير للبخارى ج ٨ كتاب الكنى ص ١٠ ، وانظر المهر ص ٢٦ ، ٢٧] .

(٩) هو : هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشى الأندلسى ، أبو المنذر ، تابعى ، من أئمة الحديث من علماء المدينة ، ولد سنة ٦١ هـ ، وعاش في المدينة ، وزار الكوفة ، ودخل بغداد وأفذا على المنصور العباسى ، فكان من خاصته ، وتوفى بها سنة ١٤٦ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٧ - ٤٢ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٨٠ - ٨٢ ، ونسب قريش ص ٢٤٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٠١ ، ٣٠٢] .

(١٠) في (م) : « يَنْقُصُ » .

(١١) هو : جعفر بن عثمان بن نصر ، أبو الحسن ، الحاجب ، المعروف بالْمُصَنِّفِ ، وزير ، وأديب أندلسى ، وله شعر جيد ، وأصله من بربر بلنسية ، استوزره المستنصر الأموى إلى أن مات ، ولما ولى الْحَكَمُ استوزره وضم إليه ولاية الشرطة ، ثم آلت الخلافة إلى هشام المؤيد ابن الْحَكَم ، فقلد حجابه ، وتصرف في أمور الدولة ، =

يَا ذَا الَّذِي أَوْدَعَنِي سِيرَهُ لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي ^(١)

لَمْ أُجِرِهِ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَخِرْ فِي أَذْنِي ^(٢)

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(٣) يَقُولُ : مَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى رَجُلٍ فَأَفْشَاهُ عَلَى فُلْمَتِهِ ،
إِذْ ^(٤) كَانَ صَنْدَرِي أَضْيَقَ بِهِ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : يَضِيقُ صَنْدَرُ أَحَدِهِمْ بِسِرِّهِ حَتَّى
يُحَدِّثَ بِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اكْتُمُهُ ^(٥) عَلَى .. وَفِي مَثْوَرِ الْحَكَمِ : انْفِرْ بِسِرِّكَ وَلَا تُودِعْهُ
حَازِمًا قَبِيرًا ، وَلَا جَاهِلًا قَبِيحًا . وَأَنْشَدُوا ^(٦) :

إِذَا ضَاقَ صَنْدَرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَنْدَرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ ^(٧)

= وقوى عليه منصور بن أقي عامر - أمير الأندلس في عهد هشام - فاعتقله وضيق عليه ، فاستعطفه جعفر بمنظومه
ومثوره ، فلم يرق له ، وصادر أمواله ، حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسألون به أرمالهم ، ثم قتله وبعث بجسده إلى
أهله سنة ٣٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٥ ، والحلة السراء ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٦٧ ، ونفع الطيب ج ٢ ص ١٣٢ -
١٣٦ ، وجنود المقتبس ج ١ ص ٢٨٩ .]

(١) البتان من السريع ، وقد وردا في نفع الطيب ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ وجنود المقتبس ج ١ ص ٢٨٩
والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ .. ولي م : : لا تَحْتَنُ مكان لا تَرْجُ .

(٢) هكذا البيت في ط والمستطرف .. وفي م : : على خاطري مكان على فكرتي .. وفي نفع
الطيب وجنود المقتبس :

لَمْ أُجِرِهِ بَعْدَكَ فِي خَاطَرِي كَأَنَّهُ مَامَرٌ فِي أَذْنِي

(٣) في م : والمستطرف هذا القول منسوب إلى عمر بن الخطاب وهو وهم .. والصواب أنه لعمرو بن
العاص ، ونصه : ما وضعت عند أحد من الناس سيرا فأفشاه فُلْمَتُهُ فسئل : ولم ؟ قال : أنا كنت به أضيق
صندرا حين استودعته لئلا .

[انظر العقد الفريد ج ١ ص ٦٢ ، وانظر عمرو بن العاص لباس المقاد ص ١٨٣ .]

(٤) في ط : : إذا .

(٥) في م : : اكْتُم .

(٦) في م : : وقال الشاعر .

(٧) في المستطرف وأدب الدنيا والدين قبل هذا البيت :

إِذَا الْعَزْمُ الْفَتَى سِيرَهُ بِلِسَانِهِ وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ لَهْوُ أَهْلِي

وَفِي مَثُورِ الْحِكَمِ : مَنْ أَفْشَى سِرَّهُ كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَتَّامِرُونَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(١) :
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ
وَقَالَ آخَرُ :

فَلَا تَنْطِقْ بِسِرِّكَ كُلِّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ فَاشِئى ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ :

تُبْرُحْ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ وَتَبْغِي لِسِرِّكَ مَنْ يَكْثُمُ ^(٣)
وَكَيْمَانُكَ السَّرَّ فِيمَا تَخَافُ وَفِيمَا تُحَاذِرُهُ أَحْزَمُ
إِذَا ذَاعَ سِرُّكَ مِنْ مُطْهِرٍ فَأَنْتَ إِذَا لُمْتَهُ الْوَمُ
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ حَدِيثٍ وَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ ^(٤)
وَإِنْ عَابَتْ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الْمَلُومُ ^(٥)

وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَا كَتَمْتَهُ مِنْ عَدُوِّكَ فَلَا تُطْلَعَنَّ عَلَيْهِ صَدِيقُكَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بُدٌّ
مِنْ إِذَاعَتِهِ لِقَرِينَةٍ تَقْتَضِيهِ مِنْ صَدِيقٍ مُسَاهِمٍ ، أَوْ اسْتِثَارَةِ نَاصِحٍ مُسَالِمٍ ، فَمِنْ صِفَاتِ
أَمِينٍ ^(٦) الْأَسْرَارُ أَنْ يَكُونَ ذَا عَقْلٍ وَدِينٍ وَنُصْحٍ وَمُرُوءَةٍ ^(٧) ، فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ تَمْنَعُ مِنَ

(١) في م : « وقال آخر » . والبيت من المقارب ، وهو للصّلتان العبدي ، نُحْمُ بْنُ عُيَيْفَةَ ، مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ .
[انظر ترجمته والقصيدة التي منها هذا البيت في الشعر والشعراء ج ١ ص ٥٠٠ — ٥٠٢ ، وانظر منهاج اليقين
ص ٥٠٠] .

(٢) في ط : « : ولا تنطق » .

(٣) الأبيات من المقارب ، والضيق والضيق : كل ما لا يحتمل ، كالشك والألم والحزن وغيرها .

(٤) في منهاج اليقين ص ٤٩٩ والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ : « عن حديث » .

(٥) في م : « : فإن عابت » .

(٦) في م : « : أمانة » بالجمع ، والسياق فيها يتطلب الأفراد .

(٧) في م : « : ومروءة » تصحيف .

الإِدَاعَةِ ، وَتَوْجِبُ حِفْظَ الْأَمَانَةِ ، وَمَنْ كَمَلَتْ فِيهِ فَهُوَ عَفَاءٌ مُغْرِبٌ ^(١) . وَلَا تُودِغُ سِرَّكَ عِنْدَ مَنْ يَسْتَنْدِعِيهِ ، فَإِنَّ طَالِبَ الْوَدِيعَةِ خَائِنٌ .

قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ^(٢) : لَا تُذِغْ سِرًّا إِلَى طَالِبِهِ مِنْكَ ، فَالطَّالِبُ ^(٣) لِلْسَّرِّ مُذِيعٌ .

وَفِي الْجُمْلَةِ : إِذَا زَالَ سِرُّكَ عَنْ عَذْبَةِ لِسَانِكَ ^(٤) فَلَاذَاعَةَ مُسْتَوَلِيَةٍ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَوْدَعْتَهُ قَلْبُ نَاصِحٍ مُجِبٍّ فَاحْتِمَالُ مَرَارَةِ الْكَيْفَانِ عَلَى قَلْبِكَ أَسْهَلُ عَلَيْكَ مِنَ التَّمَلُّلِ بِتَمْلِيلِكَ سِرِّكَ غَيْرِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ إِفْشَاءَ سِرِّ غَيْرِكَ ^(٥) أَقْبَحُ مِنْ إِظْهَارِ سِرِّ نَفْسِكَ ، لِأَنَّهُ يُبَوِّحُ بِإِخْدَى وَصْمَتَيْنِ ^(٦) : إِمَّا الْحَيَاةَ ، إِنْ كَانَ مُؤْتَمَنًا ، أَوْ النَّيْمَةَ إِنْ كَانَ مُسْتَحْجِرًا . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِإِيْنِهِ : يَا بَنِيَّ ، كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوَاضِعِ الْحَقِّ ، ضَنِينًا بِالْأَسْرَارِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودِ الْمَرْءِ الْإِتْفَاقُ فِي وَجْهِ الْبِرِّ ، وَالْبُخْلُ بِمَكْتُومِ السَّرِّ . وَكَانَ يُقَالُ : صُدُورُ الْأَخْرَارِ قُبُورُ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٧) :

السَّمُ تَرَّ أَنْ وَشَاءَ الرَّجَا لِي لَا يَتْرُكُونُ أَدِيمًا صَحِيحًا ^(٨)

(١) في « م » : « عتق » تصحيف . وعفاء مغرب : طائر غرق لا وجود له . والمعنى المراد هنا : أن هذا الشخص الذي فيه هذه الصفات من الصعب وجوده .

(٢) هو : صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الأزدي ، أبو الفضل ، شاعر حكيم ، كان متكلماً ، يعظ الناس في البصرة ، وله مع أبي المنذبل العلاف مناظرات ، أتهم عند المهدي العباسي بالزندقة . فقتله ببغداد سنة ١٦٠ هـ تقريباً . [انظر الأعلام ج ٣ ص ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٣ - ٣٠٥ ، وآمال المرتضى ص ١٠٠ ، ١٠١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١١٦ ، ١١٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨] .

(٣) في « ط » : « والطالب » .

(٤) عَذْبَةُ اللِّسَانِ : طَرَفُهُ .

(٥) في « م » : « سرك غيرك » .

(٦) في « م » : « خصمتين » .

(٧) هو : أنس بن أسيد . [انظر منهاج اليقين ص ٤٩٨ ، وأدب الدنيا والدين ص ٣٦٧] .

(٨) هكذا البيت في « م » و « ط » وهو من المتقارب .. وفي المصدرين السابقين : « فَإِنِّي رَأَيْتُ وَشَاءَ الرِّجَالِ » . وفي العقد الفريد ج ١ ص ٦٢ : « إِلَى رَأَيْتُ غَوَاةَ الرِّجَالِ » . وجاء ترتيب هذا البيت مكان البيت الثاني ، والثاني مكان الأول .. والأدمج الجملد . والمراد : أن الوشاة يمزقون أعراض الناس . وفي البيت إيماء إلى تقييد حالهم ، بتشبيههم بالكلاب .

فَلَا تُفَشِّ سِيرَكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا ^(١)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

مَا كُلُّ مَكْتُومٍ يُبَاحُ بِهِ اخْذَرْ لِسَانَكَ مِنْ جَوَالِيهِ ^(٢)
فَمَرَارَةُ الْكِتْمَانِ أَغْدَبُ مِنْ بَتْ يُحَاذِرُ مِنْ عَوَاقِبِهِ ^(٣)
لَيْسَ الْهَوَى مَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ أَيَّامٌ تَلْعَبُ فِي جَوَانِبِهِ
هَذَا هَوَى لَوْ قَدْ فَصَحْتَ بِهِ ضَحِكَ الْحُسَامِ إِلَى مَضَارِبِهِ ^(٤)

(١) في المصادر السابقة : « وَلَا تُفَشِّ » .

(٢) من جَوَالِيهِ : يَمًا يَجْلِبُهُ عَلَيْكَ وَيُسَبِّهُ لَكَ .

(٣) هذا البيت عن « م » ولم يرد في « ط » .

(٤) في « م » : « هَذَا هُوَ فَصَحْتُ » تصحيف . وَفَصَحَتْ بِهِ : أَظْهَرَتْهُ . وَضَحِكَ الْحُسَامِ : الضحك هنا بمعنى الانجلاء والإهانة ، ومنه : ضَحِكَ السَّحَابُ : إِذَا بَرَقَ وَتَلَأَلَا ، وَضَحَكَتِ الْأَرْضُ : إِذَا أَخْرَجَتْ نَبَاتَهَا وَزَهَرَتْهَا . وَالْحُسَامُ : السيف القاطع .

رفع
عبر الرعمس النجدي
أسكنه الله الفردوس

البَابُ الرَّابِعُ وَالْثَلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ رَهْنٌ بِسَائِرِ الْخِصَالِ ،
وَزَعِيمٌ بِالْمَزِيدِ مِنَ التَّعْمَاءِ وَالْآلَاءِ مِنْ ذِي الْجَلَالِ ، وَهِيَ : الشُّكْرُ ^(٥)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، حِكَايَةً عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ مُلْكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَالْإِنْسِ ، وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَالرِّيحَاتِ تُجْرِي بِأَمْرِهِ كَيْفَ أَرَادَ ، فَلَمَّا اسْتَمَنَّ مُلْكُهُ قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي الشُّكْرُ أَمْ أَكْفُرُ ؟ ^(١) . فَمَا عَدَّهَا
نِعْمَةً كَمَا عَدَّهَا مُلُوكُ الْأَرْضِ ، وَلَا حَسِيبَهَا كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا حَسِبُوهَا ^(٢) ، بَلْ
خَافَ أَنْ تَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي أُمَّةٍ أَرَادَ هَلَاكَهُمْ ^(٣) :
« سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » وَأَنْبِئِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ^(٤) . جَاءَ فِي
التَّفْسِيرِ : أَصْبُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ وَالنِّسْبَهُمُ الْإِسْتِغْفَارَ . وَلَمَّا أَلْفَرَحَ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا ،
وَالْفَيْضَةِ بِزَهْرَتِهَا ، وَالْإِعْتِرَازُ بِزُخْرُفِهَا مِنْ شِعَارِ الْكُفَّارِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ قَارُونَ اللَّعِينِ :

(٥) هذا العنوان ينتهي عند قوله : « الخصال » . وفي « ط » عند قوله : « ذى الجلال » .

(١) سورة المل ، من الآية ٤٠ .

(٢) في « ط » : « كما ظنها ملوك الأرض » .

(٣) في « م » : « في وصفه أقوام أَرَادَ هَلَاكَهُمْ » .

(٤) سورة القلم ، الآيتان : ٤٤ ، ٤٥ .

﴿ إِنَّمَا أُوتِيْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ^(١) . وَكَانَ ^(٢) جَوَابُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَحَسْبُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ ^(٣) . وَلَمَّا خَافَ سُلَيْمَانُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا ، كَانَ جَوَابُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٤) .

وَاعْلَمْ ، أُرْسِدَكَ اللَّهُ ، أَنَّ الشُّكْرَ لَيْسَ هُوَ حَافِظًا ^(٥) لِلنَّعْمِ فَقَطْ ، بَلْ هُوَ - مَعَ حِفْظِهِ لَهَا - زَعِيمٌ ^(٦) بِيَزَادَةِ النِّعَمِ ، وَأَمَانٌ مِنْ حُلُولِ النَّقَمِ ^(٧) . وَالشُّكْرُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ : شُكْرٌ بِالْقَلْبِ ، وَشُكْرٌ بِاللِّسَانِ ^(٨) ، وَشُكْرٌ بِالْجَوَارِحِ .. فَأَمَّا الشُّكْرُ الْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَشُكْرُ الْقَلْبِ ، وَهُوَ أَنْ تَعْلَمَ ^(٩) أَنَّ النِّعْمَةَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَلَا ^(١٠) نِعْمَةً عَلَى الْخَلْقِ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا وَبِدَائِئِهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَكُونَ الشُّكْرُ لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ غَيْرِكَ بِمَعْرِفَةِ نِعَمِ ^(١١) اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ وَعَلَى غَيْرِكَ ، وَهَذَا التَّرَوُّعُ هُوَ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ : يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(١٢) عَلَى نِعْمَةٍ أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ غَيْرِهِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الشُّكْرَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ، وَهُوَ الْمَعْرِفَةُ ، قَوْلُهُ ^(١٣) تَعَالَى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ^(١٤) أَيْ : اتَّقِنُوا أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ، وَإِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ انْتَهَى جَمِيعُ

(١) سورة القصص ، من الآية ٧٨ .

(٢) في (م) : « فكان » .

(٣) سورة القصص ، من الآية ٨١ .

(٤) الآية ٣٩ من سورة (ص) .

(٥) في (م) : « حافظ » خطأ . والصواب بالنصب ، خير ليس ، والضمير قبله ضمير فصل

(٦) زعيم : كميل .

(٧) في (م) : « وأمان من النقم » . والنقم : جمع نعمة ، وهى العقوبة .

(٨) في (م) : « وشكر باللسان وشكر بالقلب » .

(٩) في (م) : « يعلم » .

(١٠) في (م) : « وأن لا » .

(١١) في (م) : « نعمة » .

(١٢) ما بين المعفوتين عن (م) .

(١٣) في (م) : « فقله » .

(١٤) سورة النحل ، من الآية ٥٣ .

إِذَا مَسَّ بِالْإِسْرَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَاءِ أَغْقَبَهَا الْأَجْرُ
فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيْقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالسَّرُّ وَالْجَهْرُ^(١)

وَمَنْ أَقْرَبُ يَنْعِمَ اللَّهُ وَإِحْسَانِهِ فَقَدْ أَقْرَبَ بِقَدْرِ مَا كَلَّفَ^(٢) ، لَأَنْ أَحَدًا لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُوَازِيَ
شُكْرَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى .. وَفِي مُنَاجَاةِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَهِي خَلَقْتَ آدَمَ بِيَدِكَ ،
وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ، فَكَيْفَ شُكْرَكَ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَعْلَمَ^(٣) أَنْ ذَلِكَ مِنِّي ، فَكَانَ مَعْرِفَتُهُ
بِذَلِكَ شُكْرَهُ لِي .

فصل

وَأَمَّا شُكْرُ اللِّسَانِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ^(٤) : ﴿ وَأَمَّا نِعْمَةٌ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝^(٥) .
قِيلَ : يَعْْنِي النُّبُوَّةَ . وَقِيلَ : يَعْْنِي الْقُرْآنَ . وَحُكْمُ الْآيَةِ عَامٌّ فِي جَمِيعِ النُّعَمِ . وَرَوَى
النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ^(٦) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٧) قَالَ : ﴿ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ
يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ ۝^(٨) . وَالتَّحَدُّثُ بِالنُّعَمِ شُكْرٌ .

(١) في (م) : « يضيق » بدل « تضيق » .

(٢) كَلَّفَ : اخْتَلَفَ .

(٣) في (م) : « أن تعلم » .

(٤) « فيه » عن (م) .

(٥) الآية ١١ من سورة الضحى .

(٦) هو : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، أبو عبد الله ، أمير وخطيب ، وشاعر ، من
أجللاء الصحابة ، من أهل المدينة ، وله ١٢٤ حديثاً ، ولد سنة ٢ هـ ، وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة ،
ولم يكن لهم لمعاوية ، ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر وعزله ، ثم ولّاه حمص . ومات مقتولاً بالشام سنة ٦٥ هـ .
[انظر الأعلام ج ٨ ، ص ٣٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٢٦ — ٣٢٩ ، والمهر ص ٢٧٦ ، ورجال صحيح
البخاري ج ٢ ص ٧٥١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٩٣ ، والمعارف ص ٢٩٤] .

(٧) في (م) : « عليه الصلاة والسلام » .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه مجتزئاً عن أبي هريرة في كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ج ٤ ص ٢٥٦
وأخرجه الترمذي في صحيحه في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ج ٨ ص ١٣٢ ،
١٣٣ بشرح ابن العربي .

وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، أَنَّهُمْ قَالُوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَغَدَهُ ﴾ ^(١) .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : تَذَاكُرُوا النِّعَمَ ، فَإِنَّ فِي ذِكْرِهَا شُكْرًا ^(٢) . وَكَتَبَ عِدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(٣) - لَمَّا حَفَرَ نَهْرَ الْبَصْرَةِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ نَهْرُ عُمَرَ : إِنِّي حَفَرْتُ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ نَهْرًا عَذَبَ لَهُمْ مَشْرَبُهُ ، وَجَادَتْ عَلَيْهِ أَمْوَالُهُمْ ^(٤) ، وَلَمْ أَرْ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا ، فَإِنْ أَذِلَّتْ لِي فَسَنْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْفَقْتُ عَلَيْهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنِّي لَا أَحْسِبُ ^(٥) أَهْلَ الْبَصْرَةِ خَلَوْا ^(٦) مِنْ رَجُلٍ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ حِينَ حَفَرَكَ هَذَا النَّهْرَ ، وَإِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٧) قَدْ رَضِيَهَا شُكْرًا مِنْ جَنَّتِيهِ ، فَارْضَ بِهَا شُكْرًا مِنْ نَهْرِكَ ، وَالسَّلَامَ .

وَحَقِيقَةُ الشُّكْرِ فِي هَذَا الْقِسْمِ ، الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِيهِ ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يُوصَفُ الرَّبُّ تَعَالَى بِأَنَّهُ شَكُورٌ حَقِيقَةٌ ، فَشُكْرُ الْعَبْدِ لِلَّهِ ثَنَائُهُ عَلَيْهِ بِذِكْرِ إِحْسَانِيهِ ، وَشُكْرُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ ثَنَائُهُ عَلَيْهِ بِإِحْسَانِيهِ ، وَإِحْسَانُ الرَّبِّ لِلْعَبْدِ إِعْآمُهُ عَلَيْهِ ،

(١) سورة الزمر ، من الآية ٧٤ .

(٢) في « م » : « شكر » بالرفع ، خطأ . ومن أول قوله : « وقال عمر » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

(٣) في « ط » : « قال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله » . وعدى بن أرتاة الغزاري ، أمير من أهل دمشق ، كان من العقلاء الشجعان ، ولله عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ . فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط ، في فتنة أبيه (يزيد) بالعراق سنة ١٠٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢١٩ والمعارف ص ٣٦٢ ، ٣٦٣] .

(٤) في « ط » : « وجادت عينه » .

(٥) لا أَحْسَبُ : لا أَطْنُ ، من باب « تعب » في لغة جميع العرب إلا بنى كنانة ، فإنهم يكسرون المضارع ، مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس . وفي « ط » : « : إلى لأَحْسَبُ » . تصحيف .

(٦) في « م » : « خلوا » بدون الألف . سهو من الناسخ .

(٧) ما بين المقوقين عن « م » .

وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : ذَابَتْ شُكُورٌ ، إِذَا أَظْهَرَتْ ^(١) مِنَ السَّمَاءِ فَوْقَ مَا تُعْطَى مِنَ الْعَلَفِ . وَيُقَالُ : وَجْهٌ شُكُورٌ ، إِذَا كَانَ مُنْتَلِئًا الْمَحَاسِنِ ظَاهِرًا ، وَفِي الْحَدِيثِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « أَنَا وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَا عَظِيمٍ ، أَخْلَقْتُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكِرُ غَيْرِي » وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا أُوتِيَ ^(٢) النَّاسُ لِأَنَّهُمْ فِي مَوْضِعٍ صَبَرَهُمْ يَحْسِبُونَ ^(٣) أَنَّهُمْ فِي مَوْضِعٍ شُكِرَ .

فصل

وَأَمَّا الَّذِي عَلَى الْجَوَارِحِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ ^(٤) . فَجَعَلَ الْعَمَلَ شُكْرًا . وَقَالَ عَطَاءٌ ^(٥) : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ^(٦) فَقَالَ لَهَا عُبَيْدٌ : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِّثِينَا بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ ^(٧) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَكَتْ وَقَالَتْ : وَأَيُّ شَأْنِهِ لَمْ يَكُنْ عَجَبًا ؟ إِنَّهُ أ ^(٨) فِي لَيْلَةٍ ، فَدَخَلَ مَعِيَ ^(٩) فِي فِرَاشِي حَتَّى مَسَّ جِلْدِي جِلْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنَّةَ أَبِي بَكْرٍ ، ذَرِينِي أُتَعَبِدُ لِرَبِّي . قَالَتْ : قُلْتُ : إِنِّي أُحِبُّ قُرْبَكَ ، فَأَذْنُتُ لَهُ ، فَقَامَ إِلَى فِرَّةٍ مِنْ مَاءٍ ^(١٠) فَتَرَضَّأَ ، وَأَكْثَرَ صَبَّ الْمَاءِ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَبَكَى حَتَّى

(١) في (م) : « ظهرت » تعريف . وفي اللسان : الشكور من الدواب : الذي يَسْتَبِنُ عَلَى قَلَّةِ الْعَلَفِ ، كَأَنَّهُ يَشْكُرُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْإِحْسَانُ قَلِيلًا .

(٢) في (ط) : « أُنِي » .

(٣) في (م) : « موضع صبر وهم يحسبون » .

(٤) سورة سبأ ، من الآية ١٣ .

(٥) هو : عطاء بن أبي رباح القرشي الفهري ، تابعي ثقة ، وكان مفتي أهل مكة في زمانه ، وهو كثير الحديث [انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٠ ، وانظر الحديث الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٣٦ باب الشكر] .

(٦) هو : عبيد بن عمر بن قتادة اللبني ، وقد مرَّ التعريف به .

(٧) هكذا في (ط) والرسالة القشيرية .. وفي (م) : « بأعجب شيء رأيته » .

(٨) في (م) : « فدخل فراشي » .

(٩) في (م) : « فَرَّةٌ مِنْ مَاءٍ » .

سَأَلَتْ دُمُوعُهُ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ رَكَعَ قَبَكِي ، ثُمَّ سَجَدَ قَبَكِي ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبَكِي ، فَلَمْ ^(١) يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ بِلَالٌ ^(٢) فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَسْكُرُكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ ^(٣) : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ فَلَمْ ^(٤) لَا أَفْعَلْ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٥) .

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) الشُّكْرَ بِالْعَمَلِ ، وَبَيَّنَّ بِهِ مُرَادَ الْكِتَابِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ ^(٧) [أَيْ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ الْآخَرَ ، فَمَنْ فَاتَهُ الْعَمَلُ فِي أَحَدِهِمَا عَمِلَهُ فِي الْآخَرِ ، فَجَعَلَ الْأَوْرَادَ وَالْأَعْمَالَ بِالْجَوَارِحِ شُكْرًا] وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) قَامَ حَتَّى اتَّفَحَتْ قَدَمَاهُ ^(٩) ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَفْعَلْ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ : ﴿ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ ﴾ .

وَقَالَ أَبُو هَارُونَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي حَازِمٍ ^(١٠) فَقُلْتُ لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ ؟ قَالَ ^(١١) : إِذَا رَأَيْتَ بِيْهَمًا خَيْرًا أَذْعَنَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِيْهَمًا شَرًّا سَتَرْتَهُ .

(١) في م : : : وَلَمْ .

(٢) هو الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الله ، مؤذن الرسول (ﷺ) وغزاه على بيت ماله .

(٣) في م : : : قَالَ .

(٤) في م : : : وَلَمْ .

(٥) هكذا في ط ، والرسالة التشريعية . انظر سورة البقرة ، الآية ١٦٤ وآل عمران الآية ١٩٠ . وفي م : :

وقد أنزل عليَّ ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ الآية ، وهي الآية السادسة من سورة يونس .

(٦) في ط : : : عليه الصلاة والسلام .

(٧) سورة الفرقان ، الآية ٦٢ ، وما بين الموقوفين بعدها عن ط : ولم يرد في م : .

(٨) في ط : : : عليه السلام .

(٩) في م : : : انتفخت أوداجه ، والأوداج : حروق في العنق .. والمعروف أنه قام حتى تورمت قدماءه .

(الله) .

(١٠) في م : : : أبي حاتم ، تصحيح . والصاب : أبي حازم . وهو : أبو حازم الأعرج ، سلمة بن

دينار ، وقد مر التعريف به .

[انظر ماورد من أقواله هنا في الحلية ج ٣ ص ٢٤٣] .

(١١) في م : : : فقال .

قُلْتُ ^(١) لَهُ : فَمَا شُكْرُ الْأَذْنَيْنِ ؟ فَقَالَ : إِذَا سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا حَفِظْتُهُ ، وَإِذَا سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا نَسِيتُهُ ^(٢) . قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ ؟ قَالَ : أَنْ لَا تَأْخُذَ ^(٣) بِهِمَا مَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَا تَمْنَعَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا . [قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْبَطْنِ ؟ قَالَ أَنْ يَكُونَ أَسْفَلُهُ صَبْرًا ، وَأَعْلَاهُ عِلْمًا] ^(٤) قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْفَرْجِ ؟ قَالَ : كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ^(٥) . فَإِنْ أَتَيْتَ فَعَلْتَ ، فَأَنْتَ الشَّاكِرُ حَقًّا .

وَفِي حِكْمَةِ إِدْرِيسَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ^(٦) بِمِثْلِ الْإِلْعَامِ عَلَى خَلْقِهِ ، لِيَكُونَ صَانِعًا إِلَى الْخَلْقِ مِثْلًا صَنَعَ بِهِ ، الْخَالِقُ ^(٧) تَعَالَى . وَإِذَا ثَبَتَ أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَاتِ شُكْرًا ، فَإِنَّ فِيهَا مَا هُوَ أَشَدُّ مُلَازِمَةً ^(٨) مِنْ غَيْرِهِ ، فَالطَّاعَةُ فِي مُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ أَشْكَلُ ^(٩) بِالشُّكْرِ عَلَى الْغِنَى مِنْ غَيْرِهَا ، لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ النِّعْمَةِ ، فَإِذَا أُرْذِتَ أَنْ تُخْرُسَ دَوَامَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَأَدِمِ مُوَاسَاةَ الْفُقَرَاءِ .. وَالطَّاعَةُ فِي رَفْعِ ذَوِي الضُّعْفَةِ ^(١٠) وَالْخُمُولِ وَالْمَسْكِينَةِ بِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ ^(١١) أَشْبَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى رَفْعِ قَدْرِكَ ، وَالتَّنْوِيهِ بِأَسْمِكَ .. وَالطَّاعَةُ فِي تَمْرِيضِ الْفُقَرَاءِ وَتَلَطِيفِ أَعْدَائِهِمْ أَشْبَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى الْعَافِيَةِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ .. وَالطَّاعَةُ ^(١٢) فِي الشَّفَاعَاتِ عِنْدَ

(١) فِي ٤ م : : قُلْتُ .

(٢) فِي ١ ط : : سَمِعْتَهُ . وَفِي الْحَلِيقَةِ : إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتَهُ ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا دَفَعْتَهُ .

(٣) فِي ٤ م : : قَالَ : لَا تَأْخُذَ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ ١ ط : : وَلَمْ يَرِدْ فِي ٤ م .

(٥) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ، الْآيَاتُ : ٥ ، ٦ وَسُورَةُ الْمَارِجِ ، الْآيَاتُ : ٢٩ ، ٣ .

(٦) فِي ١ ط : : أَنْ يَشْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةٍ .

(٧) فِي ٤ م : : مَا صَنَعَ الْخَالِقُ .

(٨) فِي ٤ م : : مَلَامَةٌ .

(٩) أَشْكَلُ : أَشْبَهَ .

(١٠) فِي ٤ م : : ذَوِي الضُّعْفَةِ . وَالضُّعْفَةُ : خِلَافُ الرُّقْمَةِ فِي الْقَدْرِ .

(١١) فِي ٤ م : : بِغَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

(١٢) فِي ٤ م : : : وَالطَّاعَاتِ .

السُّلْطَانِ ، وَفَضَاءُ حَوَائِجِ الْغُرَبَاءِ وَالْإِخْوَانِ أَشْبَهُ بِذَوِي الْجَاهِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ . وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ يَتَّبِعِي أَنْ تُقَابِلَ ^(١) سَائِرَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبِيدِ .. وَمِنْ الْعِبَارَاتِ الْجَامِعَةِ لِلشُّكْرِ أَنْ يُقَالَ : الشُّكْرُ ^(٢) مَعْرِفَةُ بِالْجَنَانِ ، وَذِكْرُ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ .

فصل

فِي الْكَلَامِ عَلَى الزِّيَادَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ^(٣) ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِذَا ، وَيَقُولُهُ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ اذْهَبْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(٥) قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّا نَرَى مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْغِنَى ثُمَّ يَتَلَى بِالْفَقْرِ ، وَمَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْعَافِيَةِ ثُمَّ يَتَلَى بِالْمَرَضِ ، وَاللَّهُ ^(٦) تَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ : لَأَزِيدَنَّكُمْ نِعَمَ ^(٧) الْآخِرَةِ ، فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا تَكُونُ الزِّيَادَةُ مِنْ جِنْسِ الْمَزِيدِ عَلَيْهِ ، فَأَجَابُوا : إِنَّ النِّعَمَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرَوِيَّةَ ، وَإِنْ تَفَاضَلَتْ وَاخْتَلَفَتْ ، فَكُلُّهَا مُتَجَانِسَةٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ .

وَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ : لَأَزِيدَنَّكُمْ خَيْرًا ، وَالْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ قَدْ يَكُونُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ بِالْمَنْعِ وَالسَّقَمِ وَتَحْوِيهِمَا ، فَإِنْ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعْطِيَهُ مَالًا ، أَوْ يُصِحِّحَ جِسْمَهُ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ وَهَبَهُ الْمَالُ أَتَّفَقَهُ فِي الْمَعَاصِي ، أَوْ وَهَبَهُ الصِّحَّةَ صَرَفَ ^(٨) صِحَّتَهُ إِلَى الْمَشْيِ فِي الْأَثَامِ ، فَالْمَنْعُ هَاهُنَا مَوْهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى جَزِيلَةٌ ، وَعَنْ هَذَا قَالَ

(١) فِي « ط » : « يُقَالَ » مَكَانَ « تُقَابِلَ » .

(٢) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الشُّكْرُ » مِنْ « ط » . وَالْجَنَانُ : الْقَلْبُ

(٣) سُورَةُ الْإِسْرَافِ ، مِنَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ .

(٤) قَوْلُهُ : « تَعَالَى » عَنْ « م » .

(٥) سُورَةُ غَافِرٍ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٠ .

(٦) فِي « م » : « فَاللَّهُ » .

(٧) فِي « ط » : « نِعْمَةٌ » .

(٨) صَرَفَ : أَتَّفَقَ . وَفِي « م » : « أَصْرَفَ صِحَّتَهُ » أَيْ : قَدَمَهَا خَالِصَةً

الْعُلَمَاءُ : مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَطَاءً . وَقَالَ قَوْمٌ : يُمَكِّنُ تَقْدِيرُ الْإِسْتِثْنَاءِ فِيهَا ، أَيْ : لَيْسَ شَكَرْتُمْ ^(١) لِأَيِّدِيكُمْ إِلَّا أَنْ تَعَصُوا فَأَعَابَكُمْ بِالْجُرْمَانِ ، فَأَجْعَلَ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَكُمْ ، وَهُوَ أَصْلَحُ مِنْ أَنْ أَعَابَكُمْ فِي الْآخِرَةِ .

وَالنَّاسُ لَا يَسْلُمُونَ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَلَوْ تَهَيَّأَ أَنْ يَسْلَمُوا مِنَ الذُّنُوبِ لَدَرَّتِ الزِّيَادَاتُ ^(٢) قَالَ اللَّهُ ، تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْمَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ ^(٣) . وَقَالَ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ قَوْمٌ : الْآيَةُ خَاصَّةٌ لَا مَحَالَةَ ، إِذْ لَوْ كَانَتْ عَلَى عُمُومِهَا لَوَجِبَ أَنْ لَا يَمُوتَ مَنْ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٥) عَلَى الْحَيَاةِ . قَالَ الشَّيْخُ : قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ الزِّيَادَةَ ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْعِبَادَةَ عِلَامَةً يُعْرِفُ بِهَا الشَّاكِرُ ، فَمَنْ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ الْمَزِيدُ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَشْكُرْ ، فَإِذَا رَأَيْنَا الْعَبْدَ يَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى يِلْسَانِيَةً وَمَالَهُ فِي تَقْصَانٍ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ أَحْلَلَ بِالشُّكْرِ الَّذِي أَخَذَ ^(٦) عَلَيْهِ ، إِمَّا أَنْ لَا يُزَكِّيَهُ ، أَوْ يُزَكِّيَهُ لِغَيْرِ أَهْلِيهِ ، أَوْ يُؤَخِّرُهُ عَنْ وَفِيهِ ، أَوْ يَمْنَعُ حَقًّا وَاجِبًا عَلَيْهِ فِيهِ ، مِنْ كُسُوفَةِ غُرَيَّانٍ ، أَوْ إِطْعَامِ جَائِعٍ وَشَبَّهِهِ ، فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ » .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٧) بِتَرْكِ آدِبٍ ، أَوْ إِحْلَالِ بِحَقٍّ ، أَوْ إِمْلَاءِ بِذَنْبٍ . كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : أَذْنَى الشُّكْرِ أَنْ لَا تَعْصِيَ اللَّهَ بِنِعْمِهِ ، فَإِنَّ جَوَارِحَكَ كُلَّهَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَلَا تَعْصِيهِ ^(٨) بِهَا . وَيَحْتَمِلُ

(١) فِي (م) : « الْإِسْتِثْنَاءُ فِيهَا : إِنْ شَكَرْتُمْ » .

(٢) دُرَّتِ الزِّيَادَاتُ : كَثُرَتْ وَدَامَتْ وَلَمْ تَنْقُطْ .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٦ . وَقَدْ أُنْزِلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

(٤) سُورَةُ نُوحٍ ، الْآيَاتُ مِنْ ١٠ - ١٢ .

(٥) قَوْلُهُ : « اللَّهُ تَعَالَى » عَنْ (م) .

(٦) فِي (م) : « وَقَدْ أَخَذَ » .

(٧) سُورَةُ الرِّعْدِ ، مِنَ الْآيَةِ ١١ .

(٨) فِي (م) : « فَلَا تَعْصِيهِ » لِاتِّصَاحِ .

أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْآيَةِ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إِنْ شِئْنَا ^(١) ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ خَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ^(٢) . وَكَبِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يُرِيدُونَ خَرْثَ الدُّنْيَا وَلَا يُؤْتُوهُ ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : نُؤْتِهِ مِنْهَا لِمَنْ نَشَاءُ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ ^(٣) . وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(٤) . ثُمَّ إِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ يَدْعُونَ فَلَا يَسْتَجَابُ ^(٥) لَهُمْ ، وَلَكِنْ مَعْنَى الْآيَةِ : أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ شِئْتُ ، وَلَمْ تَنْ شِئْتُ ^(٦) ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ ^(٧) . وَهَذَا مِنْ بَابِ حَمَلِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ .

قَالَ الْجَنَيْدُ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّرِيِّ ^(٨) وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الشُّكْرِ ، فَقَالَ لِي : يَا غُلَامُ ، مَا الشُّكْرُ ؟ فَقُلْتُ : أَنْ لَا يُعْصَى ^(٩) اللَّهُ

(١) في م : « لئن شكرتم » إِنْ شِئْتُ .. وربما يريد : لأزيدنكم إِنْ شِئْتُ .

(٢) سورة الشورى ، من الآية ٢٠ . والآية بتمامها : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ خَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي خَزَائِنِهَا مِمَّا يُوقُونَ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ خَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ .

والحرث : الثواب .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية ١٨ ، والآية بتمامها : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ . والعاجلة : الدنيا . ومدحورًا : مطرودًا من رحمة الله تعالى ، والمعنى : مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ وَمَنَاقِبَهَا فَقَطَّ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ تَعْجِيلَهُ مِنْ نَعِيمِهَا وَمَظَاهِرِهَا لِمَنْ نُرِيدُ مِنَ الْخَلْقِ حَسَبَ مَشِئَتِنَا ، فَضَعِيقَةً قَدْرًا - لَا كَمَا يَشَاءُ هُوَ ، بَلْ كَمَا نَشَاءُ نَحْنُ . أَيْ : أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالشَّيْئَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَحْدَهَا .

(٤) سورة غافر ، من الآية ٦٠ .

(٥) في ط : « يستجيب » .

(٦) قوله : « وَلَمْ تَنْ شِئْتُ » عن م : « . »

(٧) سورة الأنعام ، من الآية ٤١ .

(٨) في م : « فَإِنَّ الْجَنَيْدَ كَتَبَ ... تَصَحِيفُ . وَالسَّرِيُّ هُوَ : سَرِيُّ بْنُ الْمُغَلَّبِيِّ السَّقَطِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، مِنْ كِبَارِ الْمُتَصَوِّفَةِ ، وَلَدَ وَنَشَأَ فِي بَغْدَادَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي بَغْدَادَ بِلِسَانِ التَّوْحِيدِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ ، وَكَانَ إِمَامَ الْبَغْدَادِيِّينَ وَشَيْخَهُمْ فِي وَقْتِهِ ، وَهُوَ خَالَ الْجَنَيْدِ وَأَسْتَاذُهُ ، تَوَفَّى فِي بَغْدَادَ سَنَةَ ٢٥٣ هـ . »

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٢ ، وطبقات الصوفية ص ٤٨ - ٥٥ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٨٧ - ١٩٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٦٩ - ٧٢ ، وطبقات الشعرا ج ١ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ١٨٥ - ١٨٧] .

(٩) في م : « فَقُلْتُ : لَا يُعْصَى » .

إِذَا رُجِعَتِ النَّعْمُ بِالشُّكْرِ فِيهِ أَطْوَقَ ، وَإِذَا رُجِعَتْ بِالْكَفْرِ فِيهِ أَغْلَلَّ . قَالَ حَبِيبٌ ^(١) :

نَعْمٌ إِذَا رُجِعَتْ بِشُكْرٍ لَمْ تَزَلْ نِعْمًا فَإِنْ لَمْ تُرَعْ فَهِيَ مَصَائِبٌ ^(٢)

وَبَعَثَ الْحَاجُّاجُ إِلَى الْحَسَنِ ^(٣) بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَكَرْنِي . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تُكُنْ مِمَّنْ يَعْجُزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَتَغَيَّبُ الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ ، يَنْتَهِي وَلَا يَنْتَهِي ^(٤) وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَأْتِي .. تُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا تَعْمَلُ بِأَعْمَالِهِمْ ^(٥) ؟ وَتَبْغِضُ الْمُسِيئِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ؟ تُكَرِّهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِكَ وَلَا تُدْعِيهَا فِي طَوْلِ حَيَاتِكَ ؟ .

وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : أَشْكُرُ مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْكَ ، وَأُنْعِمُ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ ، فَإِنَّهُ ^(٦) لَابْقَاءٌ لِلنَّعْمَةِ إِذَا كُفِّرَتْ ، وَلَازَوَالٌ لَهَا إِذَا شُكِّرَتْ ، وَإِنَّ الشُّكْرَ زِيَادَةٌ مِنَ النَّعْمِ ، وَأَمَانٌ مِنَ النَّعْمِ . وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : ابْنُ آدَمَ ، مَتَى تَتَفَكَّرَ مِنْ شُكْرِ النَّعْمِ وَأَنْتَ مُرْتَبِعٌ بِهَا ، كُلَّمَا شَكَرْتَ نِعْمَةً تَجِدُ لَكَ بِالشُّكْرِ أَعْظَمَ مِنْهَا عَلَيْكَ ، فَأَنْتَ ^(٧) لَا تَتَفَكَّرُ بِالشُّكْرِ مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا . وَقَالَ سُفْيَانُ ^(٨) : لَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ

(١) هو : حبيب بن عيسى بن محمد العجمي ، أبو محمد ، كان زاهدًا عابدًا مجاب الدعوة ، فارسي الأصل ، سكن البصرة ، وها توفي سنة ١١٩ هـ . وقيل سنة ١٢٥ .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٦ - ١٤٩ - ١٥٥ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٥٧ ، وطبقات الأولياء ص ١٨٢ - ١٨٦ ، وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ١٧ - ٢٠] .

(٢) في (م) : « وإن لم تُرَعْ » .

(٣) هو الحسن البصري ، وقد مر التعريف به .

(٤) في (م) : « ويتغيب الزيادة فيما بقي منها ولا ينتهي » .

(٥) في (م) : « يأمر الناس بما لا يجب أن يأتي » .

(٦) في (م) : « يجب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم » .

(٧) في (م) : « وإله » .

(٨) في (م) : « وأنت » .

(٩) هو : سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وقد مرَّ التعريف به .

إِلَى يَغْفُوبَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : عَلَى أَى دِينٍ تَرَكْتَهُ ؟ قَالَ : عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ^(١) .
قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْآنَ تَمَّتِ النِّعْمَةُ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، دُعِيَ إِلَى قَوْمٍ لِيَأْخُذَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ ،
فَافْتَرَقُوا قَبْلَ أَنْ يَتْلُقَهُمْ ، فَأَعْتَقَ عُمَانُ رَقَبَةً شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ لَا يَكُونَ جَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ
فَضِيحَةٌ رَجُلٍ مُسْلِمٍ . وَيُرَوَّى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ التَّزَمَ الرُّكْنَ ^(٢) وَقَالَ : إِلَهِي ،
نَعَمْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي شَاكِرًا ، وَابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي صَابِرًا ، فَلَا أَنْتَ سَلَبْتَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ
الشُّكْرِ ، وَلَا أَنْتَ أَدَمْتَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ .. إِلَهِي ، مَا يَكُونُ مِنَ الْكَرِيمِ إِلَّا الْكَرَمُ ،
وَلَا مِنَ الْجَافِي إِلَّا الْجَفَاءُ . وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) : الْخَيْرُ الَّذِي لَاشْرَ فِيهِ : الشُّكْرُ
مَعَ الْعَافِيَةِ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ .

وَرَوَى أَنَّ ثُمْلَةَ قَالَتْ لِإِسْلِمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَنَا عَلَى قَدَرِي
أَشْكُرُ اللَّهَ ^(٤) مِنْكَ ! وَكَانَ رَاكِبًا عَلَى فَرَسٍ ذَلُولٍ ^(٥) فَخَرَّ عَنْهُ سَاجِدًا ^(٦) شُكْرًا لِلَّهِ
[تَعَالَى] ^(٧) ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنِّي أُبْجِلُكَ ^(٨) لَسَأَلْتُكَ أَنْ تَنْزِعَ مِنِّي ^(٩) مَا أُعْطَيْتَنِي .

(١) في م ١ : « عن الإسلام » .

(٢) التزم الركن : أى الركن الجانبي من الكعبة ، والتزمه : اعتقه ، ولذا سُمِّيَ « الْمُتَقَرَّم » لأنَّ الناس يحتقونهُ
ويَضُمُّونَهُ إِلَى صَلَوَتِهِمْ ، وهذا مُسْتَحَبٌّ لِلطَّائِفِ بِالْكَعْبَةِ .

(٣) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، خطيب ، ورواية وزاهد ، كان من آدب أهل المدينة ،
وسكن الكوفة ، فاشتهر فيها بالمبادة والقراءة ، وصحب عمر بن عبد العزيز في خلافته ، وكان ذا منزلة عنده . وتوفى
سنة ١٥٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٩٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٧٢ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٨ ،
٣٢٩ ، والمعارف ص ٢٥٠] .

(٤) في م ١ : « لَا شُكْرَ لِلَّهِ » .

(٥) الذَّلُولُ : السهل الانقياد .

(٦) في م ١ : « فخر ساجدا » .

(٧) ما بين المعقوفين عن م ١ .

(٨) أى : أُعْظِمُكَ وَأَوْفَرُكَ .

(٩) في م ١ : « تنزع عني » وكلاهما وارد .

وَقَالَ صَدَقَهُ بْنُ يَسَارٍ ^(١) : بَيْنَمَا ^(٢) دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِغْرَابِهِ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ دُودَةٌ ، فَتَكَرَّرَ فِي خَلْقِهَا وَقَالَ : مَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِخَلْقِ هَذِهِ ^(٣) ؟ فَأَنْطَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا دَاوُدُ ^(٤) تُعْجِبُكَ نَفْسُكَ ؟ لَأَنَا عَلَى قَدْرِ مَا آتَانِي اللَّهُ أَذْكَرُ لَكَ وَأَشْكُرُ لَهُ مِنْكَ فِيمَا آتَاكَ .

وَلَمَحْمُودُ الْوَرَّاقُ :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَتَتْ أَهْلُهُ عَلَى نِعْمَةٍ مَا كُنْتُ مِنْكَ لَهَا أَهْلًا ^(٥)
مَتَى أَزْدَدْتُ تَقْصِيرًا تَزِدْنِي تَفْضُلًا كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الْفَضْلَ ^(٦)

وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ صَدِيقٌ فَحَبَسَهُ السُّلْطَانُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَضَرِبَ الرَّجُلُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَجِئَءَ بِمَجُوسٍ مُبْطُونٍ ^(٧) وَقِيدَ فَجَعَلَ خَلْقَةً فِي رِجْلِهِ وَخَلْقَةً فِي رِجْلِ الْمَجُوسِ فَكَانَ الْمَجُوسِيُّ ^(٨) يَقُومُ بِاللَّيْلِ مَرَاتٍ ، وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَى أَنْ يَقُومَ مَعَهُ وَيَقِفَ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَفْرُغَ ، فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَقَالَ : إِلَى مَتَى تَقُولُ ؟ وَأَيُّ بَلَاءٍ قَوْفُ هَذَا ؟ فَقَالَ

(١) هو : صليقة بن يسار الجزري ، محدث ثقة ، قليل الحديث ، نزل مكة ، وحلث عن طاووس ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهما ، وروى عنه شعبة ، ومالك ، والسيافان ، والضحاك بن عثمان ، وقد وثقه أحمد بن يحيى .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣١٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٩ ، وحقية الأولياء ج ٨ ص ٢٠١] .

(٢) في « ط » : « بينا » .

(٣) ما يَعْبَأُ اللَّهُ بِخَلْقِ هَذِهِ : لم يعلما شيئا ، ولم يبالها .

(٤) في « م » : « فقالت : يا بني الله » .

(٥) الشطرة الثانية من البيت في المستطرف :

« على نعم ما كنت قط لها أهلا » .

(٦) مطلع البيت في المستطرف : « إن زدت تقصيرا .. » .

[انظر البيهقي في الفصل الثاني من الباب الثاني والأربعين ، في شكر النعمة ص ٥٠٨] .

(٧) هكذا في « م » : وفي الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٤١ .. وفي « ط » : « فجِئَءَ بِمَجُوسٍ مَبْطُونٍ قِيدَ » . والمبطون : المريض ببطنه .

(٨) قوله : « فكان المجوسى » من « م » ولم ترد في « ط » ولا يستقيم المعنى إلا بها .

صَاحِبُهُ : لَوْ وُضِعَ الزُّنَارُ الْبِذَى فِي وَسْطِهِ فِي وَسْطِكَ كَمَا وُضِعَ الْقَيْدُ الْبِذَى فِي رِجْلِهِ
رِجْلِكَ ، مَاذَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟

وَلِبَعْضِهِمْ :

وَمِنْ الرِّزْيَةِ أَنْ شُكِّرِيَ صَامِتٌ عَمَّا فَعَلْتُ وَأَنْ بَرَّكَ نَاطِقٌ ^(١)

أَرَى الصَّيِّعَةَ مِنْكَ ثُمَّ أُسْرِهَا إِنِّي إِذَا لِنَدَى الْكَرِيمِ لَسَارِقٌ ^(٢)

وَقَالَ رَجُلٌ لِسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) : إِنْ اللَّصُّ دَخَلَ دَارِي وَأَخَذَ مَتَاعِي : فَقَالَ :
اشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى ، لَوْ دَخَلَ اللَّصُّ قَلْبَكَ - وَهُوَ الشَّيْطَانُ - فَأَخَذَ ^(٤) التَّوْحِيدَ ، مَاذَا
كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ وَلَمَّا بُشِّرَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَغْفِرَةِ ، سَأَلَ الْحَيَاةَ ^(٥) ، فَقِيلَ لَهُ
فِيهِ ، فَقَالَ : لِأَشْكُرَهُ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَعْمَلُ قَبْلَهُ لِلْمَغْفِرَةِ ، فَبَسَطَ الْمَلِكُ جَنَاحَهُ فَرَفَعَهُ إِلَى
السَّمَاءِ ^(٦) .

(١) هكذا البيت في ط ، والرسالة القشيرية .. وفي م : « سُرَّكَ » مكان « بَرَّكَ » .

(٢) في م « والرسالة القشيرية : « ليد الكريم » مكان « لندي الكريم » والمراد بها : نعمة الله سبحانه وتعالى ..
وأُسْرِها : أخفيها .

(٣) هو : سهل بن عبد الله بن يونس الششتري ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، وأحد المتكلمين في
علوم الإخلاص والرياضيات ، وعبوب الأفعال .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ١٤٣ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٦ - ٢١١ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص
٧٧ - ٧٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٩٢ - ٩٥ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ١٨٩ - ٢١٢ ، ووفيات الأعيان
ج ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤ ، وسمو أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٣٠ -
٣٣٣ ، ومعجم البلدان ج ٢ مادة « تشر »] .

(٤) في م : « د وسرَّ » . مكان « وأخذ » .. وفي الرسالة القشيرية : « وأفَسَدَ التَّوْحِيدَ » .

(٥) في م : « فسأل المغفرة » .. وفي ط : « سأل المغفرة » ولا تستقيم معنى ، والتصويب من الرسالة
القشيرية . و « سأل الحياة » أي : إطالة حياته .

[انظر للمصدر السابق ج ١ ص ٤٤٢] .

(٦) أشار القرآن إلى هذا في سورة مريم . انظر الآيتين : ٥٦ ، ٥٧ .

وَيُرَوَّى ^(١) أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] ^(٢) مَرَّ بِحَجَرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ ، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ : مُنْذُ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَأَنَا ^(٣) أَبْكِي مِنْ خَوْفِهِ ، فَدَعَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) رَبَّهُ أَنْ يُجِيرَهُ ^(٥) مِنَ النَّارِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنِّي أُجَرُّهُ مِنَ النَّارِ ، فَمَرَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَ الْحَجَرَ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ مِثْلُ مَا كَانَ ، فَتَعَجَّبَ ^(٦) فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَجَرَ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ تَبْكِي ^(٧) ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ بُكَاءُ الْحُزَنِ وَالْخَوْفِ ، وَهَذَا بُكَاءُ الشُّكْرِ وَالسُّرُورِ .

وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَرْحَمُ عِبَادِي : الْمُتَبَلِّى وَالْمُعَافَى ^(٨) . فَقَالَ ^(٩) : إِلَهِي ، مَا بَالُ الْمُعَافَى ؟ فَقَالَ : لِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ عَلَى عَافِيَتِي إِيَّاهُمْ .. وَأَوَّلَى رَجُلٍ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا خَيْرًا ^(١٠) فَقَالَ : لَا أَهْلَكَ اللَّهُ بِلَاءَ يَعْجَزُ عَنْهُ صَبْرَكَ ^(١١) ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ ^(١٢) نِعْمَةً يَعْجَزُ عَنْهَا شُكْرُكَ .

وَالشَّدَّ بَعْضُهُمْ :

(١) في م : « وَيُرَوَّى » .

(٢) ما بين المعقوفين عن ط : « . »

(٣) هكذا في الرسالة القشيرية .. وفي م : « ط : « قَاتَا » .. وقوله تعالى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ورد في سورة التحريم ، من الآية السادسة ، والبقرة من الآية ٢٤ .

(٤) في م : « : عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٥) في م : « : وَأَنْ يَجِيرَهُ اللَّهُ تَعَالَى » .

(٦) في م : « : فَتَعَجَّبَ » .

(٧) في م : « : لِمَ تَبْكِي » خطأ من الناسخ .

(٨) في م : « : أَرْحَمُ الْمُعَافَى وَالْمُتَبَلِّى » .

(٩) في م : « : قَالَ » .

(١٠) هكذا في المستطرف ج ١ ص ٥٠٧ والمعنى : حباه وأنعم عليه .. وفي م : « : وَأَوَّلَى رَجُلٍ أَعْرَابِيًّا بِلَاءَ حَسَنًا » .

حَسَنًا . وفي ط : « : وَبِلَا رَجُلٍ أَعْرَابِيًّا بِلَاءَ حَسَنًا » .

(١١) في م : « : يَعْجَزُ صَبْرَكَ عَنْهُ » .

(١٢) في م : « : عَنْكَ » تحريف .

سَأَشْكُرُ لَا أُكْفِي أَجَارِيكَ مُنْعِمًا بِشُكْرِي وَلَكِنْ كَيْ يُرَى ذَلِكَ الشُّكْرُ ^(١)
وَأَذْكُرُ أَيَّامًا لَدَيْهِ اصْطَلَعْتُهَا وَآخِرُ مَا يَنْقِي عَلَى الشَّاكِرِ الذِّكْرُ ^(٢)
وَأَتَسْتَدُوا :

أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا أَبُوحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الْأُمُورِ بِأُسْرِهَا
فَلَا شُكْرُكَ مَا حَيِّتُ وَإِنْ أُمْتُ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِهَا
وَلَبَعْضِ الْأَغْرَابِ :

إِلَهِي قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
فَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُذْرِي إِقْرَارِي بَأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرٌ

وَكَانَ مُطَرِّفٌ ^(٣) يَقُولُ : إِلَهِي ، مِنْكَ تَكُونُ النِّعْمَةُ ، وَعَلَيْكَ تَمَامُهَا ، وَأَنْتَ تُعِينُ
عَلَى شُكْرِهَا ، وَعَلَيْكَ ثَوَائِهَا . وَهَذَا بَابُ عَظِيمٍ مِنَ النِّعَمِ عَلَى الْعِبَادِ . وَقَدْ أَتَيْتُ عَلَى
بَعْضِ عِبَادِهِ فَقَالَ ^(٤) : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا » ^(٥) . وَقَالَ تَعَالَى : « شَاكِرًا لِنِعْمِهِ
اجْتِبَاهُ » ^(٦) . وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا أَتَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَمَنْ شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ » ^(٧) . « وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ » ^(٨) . وَقَالَ ^(٩) : « إِنْ
أَخْسَنْتُمْ أَخْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ » ^(١٠) . لَيْسَ لِلرَّبِّ تَعَالَى فِيهَا لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، فَإِنَّهُ أَجَلُ

(١) في المستطرف : « ولكن كَيْ يُرَادَ لَكَ الشُّكْرُ » .

(٢) اصطلعها ، بفتح التاء : أَحْسَنْتَ إِلَيَّ فِيهَا . وَالْمُخَاطَبُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(٣) هُوَ : مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشُّعْبِيِّ الْعَامِرِيُّ ، وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٤) فِي « م » : « وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّهْلِ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ » .

(٥) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، مِنَ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي سَيِّدِنَا « نُوحٍ » عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) سُورَةُ الْحَجِّ ، مِنَ الْآيَةِ ١٢١ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي سَيِّدِنَا « إِبْرَاهِيمَ » عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٤٠ .

(٨) سُورَةُ فَاطِمَةَ ، مِنَ الْآيَةِ ١٨ . وَفِي « م » : « وَمَنْ يَتَزَكَّى » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ

(٩) « وَقَالَ » عَنْ « م » وَلَمْ يَرِدْ فِي « ط » .

(١٠) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، مِنَ الْآيَةِ السَّابِعَةِ .

مِنْ أَنْ تَنَالَهُ ^(١) الْحُظُوظُ ، وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُلْحَقَهُ نِشَاءُ مِثْنٍ ^(٢) أَوْ شُكْرُ شَاكِرٍ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ
الْعُلُوَّ وَالْجَلَالَ لَهُ دُونُهُمْ ، وَأَلَّهُ يَتَقَدَّسُ ^(٣) عَنِ النَّاسِ بِنِشَاءِ مِثْنٍ ، أَوْ كُفْرِ كَافِرٍ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ يَذُوقُكُمْ لَيْفُهُمْ لَكُمْ ﴾ ^(٤) . فَوَاعَجَبْنَا ، أَعْطَى ثُمَّ أَتَى !

وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُفِّرَ النِّعَمَةُ دَاعِيَةَ الْمَقْتِ ، وَمَنْ جَازَاكَ بِالشُّكْرِ فَقَدْ
أَعْطَاكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ مِنْكَ . وَحَقِيقٌ بِمَنْ ^(٥) أُسْدِثَ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ ، أَوْ قُضِيَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَنْ
يُكَافِيَءَ ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَشْكُرْ ، فَإِنْ شَكَرَهَا فَقَدْ أَذَى حَقَّهَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَعِينِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جِدَّ لِرِفْقَةٍ حَالٍ أَوْ عُلُوٍّ مَكَانٍ ^(٦)
لَمَّا أَمَرَ الرَّحْمَنُ بِالشُّكْرِ خَلَقَهُ فَقَالَ اشْكُرُونِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ^(٧)
وَقَالَ الْبُسْتِيُّ ^(٨) :

لَيْفٌ عَجَزَتْ عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ قُوْنِي وَأَقْوَى الْوَرَى عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ عَاجِزُ ^(٩)
فَإِنْ ثَنَائِي وَاعْتِقَادِي وَطَاعَتِي لِأَفْلَاكِ مَا أَوْلَيْتِيهِ مَرَكَزُ ^(١٠)

(١) في « ط » : « يَنَال » . والمُحْظُوظُ ، جمع حظ ، وهو : النصيب والمطاء .

(٢) أى : مُذْجُ مَادِجٍ .

(٣) في « م » : « فَإِنَّهُ يَتَقَدَّسُ » أى : يَتَزَوَّدُ - جَلُّ وَعَلَا .

(٤) سورة إبراهيم ، من الآية العاشرة .

(٥) في « م » : « يَمُنُّ » .

(٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٢ : « لكثرة مالٍ » مكان « لرفعة حالٍ » ..

والبيت في عيون الأخبار ج ٣ ص ١٨١ ط دار الكتب العلمية :

« فَلَوْ كَانَ يَسْتَعِينِي عَنِ الشُّكْرِ سَيِّدٌ لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلُوٍّ مَكَانٍ ،

تنبه : فيما سبق كان اعتمادنا على عيون الأخبار المطبوع في الهيئة العامة للكتاب ، ومن هنا وإلى نهاية الكتاب -
إن شاء الله تعالى - سيكون اعتمادنا على طبعة دار الكتب العلمية .

(٧) البيت في العقد الفريد :

« لَمَّا تَلَذَّ اللَّهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ .. فَقَالَ اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ » والشطرة الأولى في عيون الأخبار :

« لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْجَلِيلُ بِشُكْرِهِ » . وَتَذَبَّ : دعا . والثقلان : الإنس والجن .

(٨) هو الكاتب الشاعر : أبو الفتح ، علي بن محمد .

(٩) أَقْوَى الْوَرَى : أَشَدُّ الْخَلْقِ .

(١٠) مطلع البيت في « م » : « فَإِنْ ثَنَائِي .. » ما أَوْلَيْتِيهِ : ما أكرمته به من يتم .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ ^(١) : وَقَفْتُ عَلَيْنَا امْرَأَةً فَقَالَتْ : يَا قَوْمُ ، تَغَيَّرَ عَلَيْنَا الدَّمَرُ إِذْ قُلْنَا مِنَ الشُّكْرِ ، وَفَارَقْنَا الْغِنَى ، وَحَافَلْنَا الْفَقْرَ ، فَرَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا فِيهِمْ بِعَقْلِ ، وَأَعْطَى مِنْ فَضْلٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كَفَافٍ ^(٢) ، وَأَعَانَ عَلَى عَفَافٍ .
وَأَسْتَدُوا :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ ^(٣)
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرٌ شَاكِرٌ ^(٤)
وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ فِي الضَّمِيرِ يُحَرِّكُهُ الْكَلِمُ السَّائِرُ ^(٥)

وَقِيلَ لِكِسْرَى : مَا الشُّكْرُ ؟ فَقَالَ : الْمُكَافَأَةُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَةِ . قِيلَ : فَمَا الْكُفْرُ ^(٦) ؟ قَالَ : تَرْكُ الْجَزَاءِ وَلَوْ بِالْثَنَاءِ . قِيلَ : وَهَلْ يَكُونُ أَحَدٌ أَبْخَلَ مِمَّنْ يَتَحَلَّى بِالثَّنَاءِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ عَادَى عَلَى الصَّنِيعَةِ ^(٧) .

(١) هو : إسحاق بن إبراهيم بن ماهان الموصل ، أبو محمد ، التميمي بالولاء ، المعروف بابن النديم الموصل ، فارسي الأصل ، من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرّد بصناعة الغناء ، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، وكان شاعراً وراويّاً للشعر ، وحافظاً للأخبار ، وُلِدَ في بغداد سنة ١٥٥ هـ ، وكانت وفاته بها سنة ٢٣٥ هـ . وألف الكثير من الكتب والتصانيف .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٢٩٢ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٣٨ - ٣٤٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ٦ ص ٥ - ٥٨ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٥٩ - ٣٦١ ، والأغاني ج ٥ ص ١٩١٢ - ٢٠٧٩ ، وإنباه الرواة ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٨٢ - ٨٤] .
(٢) الكفاف : ما كان مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان .

(٣) يبين : يفسح عنه ويوضحه .. وفي (م) : « إذا تأمله » ، وسقطت « ما » منها سهواً من الناسخ ، ولا يستقيم الوزن إلا بها . والأبيات في عيون الأخبار ج ٣ ص ١٨٠ وهي من المقاربات .

(٤) لَمَثَلْتُهُ لَكَ : لَشَبَّهْتُه وَصَوَّرْتُهُ لَكَ . وفي عيون الأخبار : « تَبَيَّنَتْ لَكَ » .

(٥) الْكَلِمُ السَّائِرُ : الكلام الذي شاع في الناس .

(٦) الكفر : الجحود .

(٧) عَادَى عَلَى الصَّنِيعَةِ : خَاصَمَ مَنْ قَتَمَ لَهُ الْخَيْرَ وَالْفِعْلَ الْحَسَنَ ، وَصَارَ عَدُوًّا لَهُ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ السَّيَرَةِ الَّتِي يَصْلُحُ عَلَيْهَا
الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ ، وَتَسْتَرْيَحُ إِلَيْهَا
الرَّئِيسُ وَالْمَرْءُوسُ ، مُسْتَخْرِجَةً
مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ ﴾ (١) . فَأَثَبَتْ اللَّهُ تَعَالَى الْمُمَازَلَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَائِرِ الْبَهَائِمِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَا يُمَازِلُونَنَا (٢) فِي خَلْقِنَا وَأَشْكَالِنَا ، وَلَا فِي عُقُولِنَا (٣) ، وَسَائِرِ مَا تُدْرِكُهُ الْعَيْنُ (٤) مِنْهُمْ وَمِنَّا ، فَتَبَقِيَ الْمُمَازَلَةُ فِي الْأَخْلَاقِ ، فَلَا أَحَدَ مِنَ الْخُلُقِ إِلَّا وَفِيهِ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْبَهَائِمِ ، وَلِهَذَا نَجِدُ أَخْلَاقَ الْخَلَائِقِ مُخْتَلِفَةً : فَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْإِنْسَانِ خُلُقًا تَحَارَّجًا عَنِ الْإِعْتِدَالِ ، فَأَبْصِرْ مَا يُمَازِلُ ذَلِكَ الْخُلُقَ مِنْ خُلُقِ سَائِرِ الْحَيَوَانَ (٥) فَالْحَقُّ بِهِ ، وَعَامِلُهُ

(١) سورة الأنعام ، من الآية ٣٨ .

(٢) فِي د م ا و ا ط : لا يماثلونا .

(٣) قوله : لا في عقولنا عن د م ا .

(٤) فِي د م : وسائر ما يدركه حواسنا .

(٥) فِي د م : من سائر الحيوان .

تُعَامِلُ بِهِ الْكَلْبُ إِذَا تَبَحَّكَ ، أَلَسْتَ تَذْهَبُ فِي شَأْنِكَ وَلَا تُحَاصِمُهُ وَلَا تُسَبِّهُ ؟ فَافْعَلْ
بِمَنْ يَهْتَضِمُ عِرْضَكَ مِثْلَ ذَلِكَ ^(١) .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا قَدْ جُبِلَ عَلَى الْخِلَافِ ، إِنَّ ^(٢) قُلْتَ : لَا ، قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ
قُلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَا ، فَالْحَقُّ بِعَالِمِ الْحَمِيرِ ، فَإِنَّ ذَابَ الْحِمَارِ إِنْ أُذْنِيَتْهُ ^(٣) بَعْدَ ،
وَإِنْ أَبْعَدَتْهُ قَرَبَ ، وَأَنْتَ تَسْتَمْتِعُ بِالْحِمَارِ وَلَا تُسَبِّهُ ، وَلَا تُفَارِقُهُ ، فَاسْتَمْتِعْ أَيْضًا بِهِذَا
الْإِنْسَانِ وَلَا تُسَبِّهُ وَلَا تُفَارِقُهُ ^(٤) . وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَطْلُبُ عَقَرَاتِ النَّاسِ وَسَقَطَاتِهِمْ ،
فَمَثَلُهُ فِي الْآدَمِيِّينَ ^(٥) كَمَثَلِ الذُّبَابِ فِي عَالِمِ الطَّيْرِ ، فَإِنَّ الذُّبَابَ يَقَعُ عَلَى الْجَسَدِ
فَيَتَحَامَى ^(٦) صَحِيحُهُ ، وَيَطْلُبُ الْمَوَاضِعَ النَّعْلَةَ ^(٧) مِنْهُ وَذَوَاتِ الْمَادَّةِ وَالْدَّمِ وَالتَّجَاسَةِ .
وَإِذَا يُلَيِّتُ بِسُلْطَانٍ ^(٨) يَهْجُمُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَاحِ فَالْحَقُّ بِعَالِمِ الْأَسُودِ ، وَخُذْ
حِذْرَكَ مِنْهُ كَمَا تَأْخُذُ حِذْرَكَ مِنَ الْأَسَدِ ، وَلَيْسَ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ ^(٩) .
• وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ ^(١٠) •

(١) قوله : « فافعل ... مثل ذلك » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) في « م » : « فَإِنْ » . وجبيل على الخلاف : طبع عليه .

(٣) في « م » : « إِذَا أُذْنِيَتْهُ أَيْ : فُرِّيَتْهُ » .

(٤) قوله : « فَاسْتَمْتِعْ أَيْضًا ... وَلَا تُفَارِقُهُ » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٥) في « م » : « فَمَثَلُهُ فِي النَّاسِ » .

(٦) يتحامى : يتجنب .

(٧) النعلة : المتغيرة الزينة .

(٨) في « م » : « وَإِذَا يُلَيِّتُ بِإِنْسَانٍ » .

(٩) هو النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضباب الغطفاني المضمرى ، أبو أمامة ، شاعر جاهل من الطبقة الأولى ، من أهل الحجاز ، كانت تُضَرَّبُ له قُبَّةٌ من جلد أحمر يسوق عكاظ ، تفصله الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان حطياً عند النعمان بن المنذر ، حتى شُبِّبَ في قصيدة له بالمتجردة « زوجة النعمان » ، فغضب عليه النعمان ، وغاب زمناً ، ثم رضى عنه . وسُمِّيَ النابغة لأنه لم يقل شعراً قط حتى صار رجلاً . وساد قومه ، وتوفى نحو سنة ١٨ قبل الهجرة .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٥٤ ، ٥٥ ، والأغاني ج ١١ ص ٣٧٨٩ - ٣٨٢٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٧ - ١٧٣ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٨ ، ودبوان النابغة ص ٣ ط دار المعارف ، وشعراء النصرانية ص ٤٦٠ - ٧٣٢] .

(١٠) قوله هذا من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه ممَّا بلغه عنه فيما وشى به لديه في أمر

المتجردة . ومطلعا :

وَإِذَا بُلِيتْ بِإِنْسَانٍ خَبِيثٍ كَثِيرِ الرُّوَغَانِ وَالْمُفَاجِرَةِ ^(١) فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الثَّعَالِبِ . وَإِذَا بُلِيتْ بِمَنْ يَمْشِي بِالثَّمَائِمِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ ، فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الظَّرْيَانِ ^(٢) ، وَهِيَ دَابَّةٌ صَغِيرَةٌ ، تَقُولُ الْعَرَبُ عِنْدَ تَفَرُّقِ الْجَمَاعَةِ : فَسَا ^(٣) بَيْنَهُمْ ظَرْبَانِ فَتَفَرَّقُوا ، وَخَاصِيَّةٌ ^(٤) هَذِهِ الدُّوَيَّةُ ^(٥) إِذَا حَصَلَتْ وَسَطَ جَمَاعَةٍ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، وَكَذَا أَنَّ الْجَمَاعَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ هَذِهِ الدَّابَّةُ طَرَدَوْهَا وَمَنَعَوْهَا الدُّخُولَ بَيْنَهُمْ ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي إِخْرَاجُ النَّعَامِ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ ^(٦) ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ^(٧) يُوشِكُ أَنْ يُفَرَّقَ مَا بَيْنَهُمْ ^(٨) وَيُفْسِدَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا لَا يَسْمَعُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ ، وَيَتَفَرُّقُ مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَيَأْلَفُ سَمَاعَ أَخْبَارٍ ^(٩) أَهْلِ الدُّنْيَا وَسَائِرَ الْخُرَاقَاتِ وَمَا يَجْرِي فِي مَجَالِسِ الْعَوَامِّ ، فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الْخَنَافِسِ ، فَإِنَّهُ يُعْجِبُهُ أَكُلُ الْعِذْرَاتِ ، وَيَأْلَفُ رَوَائِحَ النَّجَاسَاتِ ، وَلَا تَرَاهُ

« يَادَارُ مَيَّةً بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَّيِّدِ » . وَالْبَيْتُ بِتِمَامِهِ :

« أَلَيْتُ أَنَّهَا قَابُوسٌ أَوْعَدَنِي .. وَلَا فِرَازَ عَلَى رَأْسٍ مِنَ الْأَسَدِ » .

وأبو قابوس : هو النعمان بن المنذر . وأوعدني : هددني . وزأر الأسد وزئيره : صوته . يقول : وعيد النعمان تستقر معه نفسي ولا تطمئنُ هَيْئَةً لَهُ ، كَمَا لَا تَطِيقُ وَلَا تَسْكُنُ فِي مَكَانٍ يُسْتَمْنَعُ فِيهِ إِلَى زَيْهِرِ الْأَسَدِ .

[انظر الديوان ص ٢٦ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٦٧ ، وشعراء النصرانية ص ٦٦٧ ، وخراتة الأدب ج ٧ ص ١٣٧] .

(١) الرُّوَغَانُ : المُفَاجِرَةُ .. الْإِنْسَادُ .. وَلِى « ط » : « الْمَفَاخِرَةُ » بِالْخَاءِ الْمُجْمَعَةِ ، أَيْ : الْمِبَاهَاةُ بِمَا لَهُ مِنَ الْمَحَاسَنِ .

(٢) الظَّرْيَانُ : حَيَوَانٌ مِنْ رَتَبَةِ الْوُحَاكِمِ ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنَ الْمَسْتَوْرِ ، أَصْلُهُمُ الْأَذْيَانُ ، قَصِيرُ الْقَوَائِمِ ، مُتَيْنُ الرَّاحَةِ .

(٣) فِى « م » : « مَتْنٍ » . وَالْأَوَّلُ أَشْهُرُ .

(٤) فِى « ط » : « وَخَاصَّةٌ » . وَكُلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَتَعْنِيَانِ : الصِّفَةُ الَّتِي تُمَيِّزُ الشَّيْءَ وَتُعَدِّدُهُ .

(٥) الدُّوَيَّةُ : تَصْغِيرُ دَابَّةٍ .

(٦) فِى « م » : « مِنْ بَيْنِ الْحَلِيقَةِ » .

(٧) فِى « م » : « فَإِنْ يَفْعَلُوا » لَا تَصِحُّ مَعْنَى .

(٨) فِى « م » : « فِيمَا بَيْنَهُمْ » .

(٩) فِى « م » : « وَتَأْلِيفُ أَخْبَارٍ » .

إِلَّا مُلَابِسًا لِلْأَخْلِيَّةِ ^(١) وَالْمَرَاجِيزِ ، وَيَتَفَرُّ مِنْ رَوَائِحِ الْمِسْكِ وَالْوَرْدِ ، وَإِذَا طُرِحَ عَلَيْهِ الْمِسْكِ وَالْوَرْدُ مَاتَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا ^(٢) إِنَّمَا دَأْبُهُ حِفْظُ الدُّنْيَا ، لَا يَسْتَحْيِ فِي التَّوْبِ عَلَيْهِا ، فَالْحِفْهُ بِعَالَمِ الْأَخْدِيَّةِ ^(٣) بِأَنْ تُنَحِّي رِجْلَكَ عَنْهُ ، وَإِذَا بُلِيتَ ^(٤) بِالرَّجُلِ نَظَّهُرُ عَلَيْهِ الدَّيَّانَةُ ^(٥) وَالسَّكِينَةُ ، وَقَدْ نَصَبَ أَشْرَاكَهُ لِإِفْتِنَاصِ الدُّنْيَا وَأَكْلِ أَمْوَالِ الْوَدَائِعِ ^(٦) وَالْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى ، فَالْحِفْهُ بِعَالَمِ الذُّنَابِ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ ^(٧) :

ذَنْبٌ تَرَاهُ مُصْلِيًا فَإِذَا مَرَزَتْ بِهِ رَكَعٌ
يَلْعُو وَجُلُّ دُعَائِهِ مَا لِلْفَرَسَةِ لَا تَقَعُ
عَجَلُ بِهَا يَأْذَا الْعَلَا إِنَّ الْفُؤَادَ قَدْ انْصَدَغَ

فَاخْتَرَزَ ^(٨) مِنْهُ كَمَا تَخْتَرِزُ مِنَ الذُّنْبِ .

وَإِذَا بُلِيتَ بِصُحْبَةِ إِنْسَانٍ كَذَّابٍ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْكَذَّابَ كَالْمَيْتِ فِي الْحُكْمِ ، لَا يَقْبَلُ لَهُ خَيْرٌ ، كَمَا لَا يَقْبَلُ خَيْرٌ الْمَيْتِ ^(٩) ، وَكَمَا تَصْنَعُ الْمَوْتَى لَا تَصْنَعُ الْكَذَّابُ ، وَقِيلَ ^(١٠) فِي الْمَثَلِ : كُلُّ شَيْءٍ شَيْءٌ ، وَصُحْبَةُ الْكَذَّابِ لَأَشْيَاءَ ، وَيَجُوزُ أَنْ

(١) مُلَابِسًا لِلْأَخْلِيَّةِ ، أَيْ : مُلَازِمًا لِلْمُسْكِنَةِ الْخَالِيَةِ .

(٢) مِنْ قَوْلِهِ : « وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا .. » إِلَى قَوْلِهِ : « بُلِيتَ » مِنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٣) الْأَخْدِيَّةُ : جَمْعُ جَدَاءٍ ، مِثْلُ لَوَاءِ وَالْوَيْتَةِ ، وَكَيْسَاءٍ وَأَكْسِيَّةٍ . وَالجَدَاءُ : جَمْعُ جَدَاءَةٍ ، وَهِيَ الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَقْضَى عَلَى الْجُرْدَانِ وَالِدَوَاجِنِ وَغَوَاهَا . وَيَضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ يُقَالُ : « انْخَطَفَ مِنْ جَدَاءَةٍ » . كَمَا تَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى جَدَائٍ وَجَدَائٍ .

(٤) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي السَّاقِطُ مِنْ « م » .

(٥) فِي « م » : « دَيَّانَةٌ » .

(٦) فِي « ط » : « الْوَدَائِعُ وَالْأَمَانَاتُ » .

(٧) فِي « ط » : « كَمَا قَالَ فِيهِ الْقَائِلُ » .

(٨) فِي « ط » : « اخْتَرَزَ » .

(٩) فِي « ط » : « لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ لَهُ خَيْرٌ ، كَمَا لَا خَيْرَ لِلْمَيْتِ » .

(١٠) فِي « م » : « وَقَدْ قِيلَ » .

يُلْحَقُ بِعَالَمِ النَّعَامِ ، فَإِنَّهُ يَذْفِنُ جَمِيعَ بَيْضِهِ تَحْتَ الرَّمْلِ ثُمَّ يَتْرُكُ وَاحِدَةً عَلَى وَجْهِ الرَّمْلِ ، وَأُخْرَى تَحْتَ طَاقَةِ مِنَ الرَّمْلِ ، وَسَائِرُ بَيْضِهِ فِي قَعْرِ الْحُفْرَةِ ، فَإِذَا رَأَى الْغُرَّ (١) يَأْخُذُ (٢) تِلْكَ الْبَيْضَةَ وَيَنْصَرِفُ ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الرَّمْلِ فَيَجِدُ الْأُخْرَى ، فَيَظُنُّ أَنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ (٣) شَيْءٌ آخَرُ ، وَالْخَبِيرُ بِحَالَةِ النَّعَامِ إِذَا رَأَى الْبَيْضَةَ لَا يَزَالُ يَخْفِرُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى حَاجَتِهِ ، وَلَا يَقْتَرِ بِتِلْكَ الْبَيْضَةِ (٤) ، كَذَلِكَ الْكَذَّابُ ، إِذَا سَمِعَتْ مِنْهُ خَبْرًا لِاتِّصَادِهِ حَتَّى تَبْلُغَ الْقَايَةَ فِي الْكَشْفِ عَنْهُ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ إِنَّمَا دَاهُهُ أَنْ يَصْنَعَ بِنَفْسِهِ (٥) كَمَا تَصْنَعُ الْعُرُوسُ لِجَلِيلِهَا : يَبْضُرُ ثِيَابَهُ ، وَيُعَدِّلُ عِمَامَتَهُ ، وَيَتَّقِي أَنْ يَمَسَّهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَيَنْظُرُ عِطْفِيهِ (٦) ، وَيَطْرَحُ الْقَدَى عَنْ ثَوْبِهِ (٧) ، لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ بَيْنَ الْجُلُسَاءِ إِلَّا نَظَرُهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَإِصْلَاحُ مَا انْتَنَى مِنْ ثِيَابِهِ ، فَالْحَقُّ بِعَالَمِ الطُّوَارِيسِ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ (٨) ، فَإِنَّهُ يَتَبَحَّثُ فِي مِشْيَتِهِ (٩) وَيَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَيَفْرِشُ ذَنْبَهُ ، فَيَتَّخِذُهُ (١٠) الْمُلُوكُ اسْتِحْسَانًا لَهُ .

وَإِذَا يُلِيتُ بِنَاسٍ حَقُودَ لَا يَنْسَى الْهَفَوَاتِ ، وَيُجَازِي بَعْدَ الْمُدَّةِ عَلَى السَّقَطَاتِ ، فَالْحَقُّ بِعَالَمِ الْجِمَالِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : فَلَانٌ (١١) أَحْقَدُ مِنْ جَمَلٍ ، وَتَجَنَّبُ (١٢) قُرْبَ الْجَمَلِ الْحَقُودِ ، فَاجْتَنِبْ صُحْبَةَ الرَّجُلِ (١٣) الْحَقُودِ .

(١) الْغُرُّ : مَنْ يَجْهَلُ الْأُمُورَ ، أَوْ مَنْ يَخْدَعُ إِذَا خُدِعَ . وَفِي م : : : الْغَيْرُ . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٢) فِي م : : : وَأَخَذَ : : : الْوَاوُ زِيَادَةً مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) ثُمَّ : هُنَاكَ .

(٤) فِي م : : : بِتِلْكَ الْحَالَةِ .

(٥) فِي م : : : يَصْنَعُ نَفْسَهُ .

(٦) عِطْفِيهِ : جَانِبِيهِ ، وَهِيَ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكَهِ .

(٧) فِي م : : : تَوْبِيهِ .

(٨) فِي م : : : الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ .

(٩) فِي م : : : فِي مِشْيَتِهِ .

(١٠) فِي م : : : فَخَذُهُ . وَذَنْبُهُ : ذِيْلُهُ .

(١١) قَوْلُهُ : فَلَانٌ : عَنْ م : : .

(١٢) أَيْ : وَتَجَنَّبُ .

(١٣) فِي م : : : الْجَمَلِ .

وَإِذَا بُلِيتْ بِإِنْسَانٍ مُنَافِقٍ ^(١) يَبِطُنْ خِلَافَ مَا يُظْهَرُ ، فَالْحِفُّهُ بِعَالِمِ الزُّبُوعِ ، فَإِنَّ الزُّبُوعَ - وَهُوَ قَارٌّ يَكُونُ فِي الْبَرِّيَّةِ - يَتَّخِذُ جُحْرًا تَحْتَ الْأَرْضِ يُقَالُ لَهُ : النَّافِقَاءُ ، وَلَهُ فُوهَتَانِ ، يَدْخُلُ مِنْ إِحْدَاهُمَا وَيَخْرُجُ مِنَ الْأُخْرَى ، وَمِنْهُ أُشْتُقَ اسْمُ الْمُنَافِقِ ، فَإِذَا هُمْ أَحَدٌ بِأَخِيذِهِ دَخَلَ ^(٢) جُحْرَهُ وَخَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخِرِ ، فَيَحْفِرُ الصَّيَادَ حَلْفَهُ فَلَا يَظْفَرُ بِشَيْءٍ ، كَذَلِكَ حَالُ الْمُنَافِقِ لَا يَصِحُّ مِنْهُ شَيْءٌ ^(٣) . وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ كُنْ فِي صُحْبَةِ النَّاسِ ، تَسْتَرِيحُ مِنْهُمْ وَتُرِيحُهُمْ مِنْكَ ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَا اسْتَقَامَتْ لِي صُحْبَةُ النَّاسِ وَسَكَتَتْ نَفْسِي وَاسْتَرَحَّتْ ^(٤) مِنْ مَكَابِدَةِ أَخْلَاقِهِمْ إِلَّا مِنْ حَيْثُ سِرْتُ مَعَهُمْ بِهَذِهِ السَّيْرَةِ .

وَقَالَ الرَّيَّاحِيُّ ^(٥) : يَا بَنِي رِيَّاحٍ ، لَا تَحْفَرُوا ، صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ ، فَإِنِّي أُخَذْتُ مِنَ الثَّعْلَبِ رَوْعَانَهُ ^(٦) ، وَمِنْ الْقِرْدِ مَكَابِدَهُ ^(٧) ، وَمِنْ السُّنُورِ ضَرَعَهُ ^(٨) ، وَمِنْ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ ، وَمِنْ ابْنِ آوَى حَذَرَهُ ، وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ مَشَى اللَّيْلِ ، وَمِنْ الشَّمْسِ الظُّهُورَ فِي الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ ^(٩) .

(١) فِي م : : بِإِنْسَانٍ مُبِطُنْ .

(٢) فِي م : : فَإِذَا هُمْ بِأَخِيذِهِ وَدَخَلَ

(٣) قَوْلُهُ : : كَذَلِكَ حَالُ الْمُنَافِقِ لَا يَصِحُّ مِنْهُ شَيْءٌ ، عَنْ ط : : وَسَاقَطٌ مِنْ م .

(٤) فِي م : : وَاسْتَرَحَّتْ .

(٥) هُوَ : خَالِدُ بْنُ غَثَابِ بْنِ وَرْقَانَ الرَّيَّاحِيُّ ، شَجَاعٌ مِنَ الْأَبْطَالِ ، كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ ، وَأَحَدُ الَّذِينَ حَارَبُوا شَيْبَةَ الْخَارِجِيِّ فِي جَيْشِ الْحِجَابِ ، وَهُوَ الَّذِي قُتِلَ مُصَادَاهُ أَخَا شَيْبَةَ ، وَ « غَزَالَةُ » امْرَأَةُ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحِ الْخَارِجِيِّ ، وَالتَّحَمُّ مَعَهُ أَصْحَابُ شَيْبَةَ فِي مَعْرَكَةِ بَنَاحِيَةِ الْمَدَائِنِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ خَالِدٍ ، فَتَرَجَعَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى دَجَلَةٍ فَالْقَى نَفْسَهُ فِيهِ بِقَرْبِهِ وَلَوَاؤُهُ بِيَدِهِ ، فَفَرَّقَ ، فَقَالَ شَيْبَةُ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ، هَذَا أَشَدُّ النَّاسِ ! وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٧٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٩٧ ، والحيوان للجاحظ ج ٥ ص ٥٩٠ ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ٥٨ - ٦٠ ، وانظر النص في العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠] .

(٦) الرُّوْعَانُ : الْمَكْرُ وَالْإِحْتِيَالُ .

(٧) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « خُكَايَتُهُ » أَيْ : مَحَاكَاتِهِ .

(٨) الضَّرْعُ : الدَّلَّةُ وَالْخُضُوعُ .

(٩) فِي م : : وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ : : الظُّهُورُ الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ .

البَابُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْحَصَلَةِ الَّتِي فِيهَا غَايَةُ كَمَالِ
السُّلْطَانِ ، وَشِفَاءِ الصُّدُورِ ، وَرَاحَةِ
الْقُلُوبِ ، وَطِبَّةِ النُّفُوسِ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ مَتَى كَمَلْتَ فِيكَ ^(١) الْخِصَالَ الْمَحْمُودَةَ ، وَالْأَخْلَاقَ
الْمَشْكُورَةَ ، وَالسَّيْرَةَ ^(٢) الْمُسْتَقِيمَةَ ، وَمَلَكَتْ نَفْسَكَ ، وَقَهَرْتَ هَوَاكَ ، وَوَضَعْتَ
الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا ، ثُمَّ إِنَّ الرِّعِيَّةَ اهْتَضَمَتْ حَقَّكَ ، وَجَهَلْتَ قَدْرَكَ ، وَلَمْ تُؤْفِكَ ،
حَظَّكَ ، فَبَلَغَكَ مِنْهُمْ مَا يَسُوءُكَ ، وَرَأَيْتَ مِنْهُمْ مَالًا يُعْجِبُكَ ، فَأَعْلَمَ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهِ ،
فَلَا تَطْمَعَنَّ أَنْ يَصْنُفُوا ^(٣) لَكَ مِنْهُمْ مَالًا يَصْنُفُوا ^(٤) مِنْهُمْ لِلْإِلَهِ .

وَفَصَّلَ الْخِطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلَائِقَ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْعَمَ
عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ ، فَأَكْمَلَ حَوَاسَهُمْ ، وَخَلَقَ فِيهِمُ الشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِمُ

(١) فِي د م : : أَنْ مَنْ كَمَلَتْ فِيهِ .

(٢) فِي د م : : وَالسَّيْرُ جَمْعُ سِيرَةٍ .

(٣) فِي د م : : أَنْ يَصْنُفُوا .

(٤) فِي د م : : يَصْنُفُوا لَكَ .. لَكَ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ

بِعَمِّهِ ، وَكَمَلَتْ ^(١) لَهُمُ اللَّذَاتُ ، وَبَعْدَ هَذَا فَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَا عَظَمُوهُ ^(٢) حَقَّ عَظَمَتِهِ ، بَلْ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ ، وَوَصَفُوهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ، وَأَضَافُوا إِلَيْهِ مَا يَتَقَدَّسُ ^(٣) عَنْهُ ، وَسَلَبُوا مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، وَالصِّفَاتِ الْعُلَى ^(٤) ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ^(٥) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ زَوْجَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ ابْنٌ ^(٦) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ الْبَنَاتُ ^(٧) ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَسِّمُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَبِّهُهُ ^(٨) ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَكَرَّهُ رَأْسًا وَقَالَ : مَا لِلْخَلْقِ صَانِعٌ ، كَمَا حَكَاهُ الْخَالِقُ عَنْهُ فَقَالَ : هُوَ يَخْتُلُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ^(٩) . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُخَيِّمُهُمْ وَيَقْبِيهِمْ ، وَيُصَيِّحُ أَجْسَامَهُمْ وَحَوَاسِيَهُمْ ، وَيَرْزُقُهُمْ ^(١٠) وَيَنْعِشُهُمْ ، وَيَقْضِي مَا يَرْهَبُهُمْ وَأَوْطَارَهُمْ ، وَيَمْتَتِعُهُمْ مَتَاعًا

(١) في د م : : فكمَلَتْ .

(٢) في د م : : عَظَمُوهُ « تحريف .

(٣) يتَقَدَّسُ : يَتَزَّوُّ .

(٤) في د م : : الْعُلَى .

(٥) الذين قالوا بالثلاث طائفة من النصارى ، ويعنون به أن الله أحد أقانيم - أى أصول - ثلاثة ، والأقنومان الآخران : عيسى وأُمُّهُ - الأب والابن والروح القدس - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا . [انظر الآية ٧٣ من سورة المائدة] .

(٦) هم اليهود والنصارى ، فقالت اليهود : عَزَّزَ ابن الله . وقالت النصارى : المسيح ابن الله . [انظر الآية ٣٠ من سورة التوبة ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ الباب الثاني ص ٢٠٨ وما بعدها] .

(٧) هم السفهاء من قريش من قبائل جهينة وبنى سلَمة وخزاعة وغيرهم ، اتَّكَبَرُوا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله . [انظر سورة الصفات ، الآيات ١٤٩ - ١٥٤ ، والآية ٣٩ من سورة الطور] .

(٨) انظر القول في صفة « الجسمية » في مناهج الأدلة في عقائد الجيلة لابن رشد ، بتحقيق د . محمود قاسم ص ١٧١ وما بعدها ، وانظر دراسات في الفلسفة الإسلامية لمحمود قاسم أيضاً ص ١٦٦ ، وانظر « المُشَبَّهَةُ » في الملل والنحل ج ١ ص ١٠٣ وما بعدها .

(٩) هؤلاء هم الدهريون الذين عطلوا حواسيهم وعقولهم ، فتركوا النظر والمشاهدة والسمع والتفكير ، وأنكروا البعث والحساب ، ووجود إله الخالق الذي يحيى ويميت ، وقالوا : ليس وراء حياتنا التي نحياها في الدنيا حياة أخرى ، لكننا نغيا ونموت وينتفى أمرنا عند ذلك ، وليس لهم عل قولهم هذا حجة أو دليل ، فهم كالأنعام ، بل هم أختل .. والآية بنامها : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا يظنون ﴾ .

[سورة الجاثية ، الآية ٢٤] .

(١٠) في د م : : كرر الناسخ - سهواً - الفعل « ويرزقهم » .

حَسَنًا ، وَيَبْلُغُهُمْ آمَالَهُمْ فِي مُعْظَمِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَمَعَاصِيَهُمْ إِلَيْهِ صَاعِدَةً ، وَبَرَكَاتُهُ ^(١) عَلَيْهِمْ تَارِلَةً ﴿ كُلُّ يَفْعَلٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ^(٢) ، وَيَتَّفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ ، وَكُلُّ ذِي حَالَةٍ ^(٣) أُولَى بِهَا .

وَفِي مُنَاجَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَالَ ^(٤) : إِلَهِي ، أَسْأَلُكَ أَنْ لَا يُقَالَ فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ .. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : ذَلِكَ شَيْءٌ مَا فَعَلْتُهُ لِنَفْسِي ^(٥) فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِكَ ؟ وَفِي هَذِهِ السَّيْرَةِ عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَذِكْرٌ لِمَنْ اذْكُرَ ^(٦) ، مَعَ أَنَّكَ إِنْ التَّمَسَّتَ رِضَا جَمِيعِ النَّاسِ ^(٧) التَّمَسَّتَ مَا لَا يُدْرِكُ ، وَكَيْفَ يُدْرِكُ رِضَا الْمُخْتَلِفِينَ ^(٨) ؟ .

فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ ، وَالْعُمُرَ الْقَصِيرَ ، وَالزَّمَانَ الْيَسِيرَ ، وَالْأَيَّامَ الْمَعْدُودَةَ ، وَالْأَنْفَاسَ الْمَحْصُورَةَ ، كَيْفَ أُرَدَّتْ أَنْ يَصْنُفُوا لَكَ مِنَ الرَّعِيَّةِ مَا لَمْ يَصْنُفْ مِنْهُمْ لِخَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ وَمُحْيِيهِمْ وَمُمِيتِهِمْ ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، بَعِيدٌ مَا أُمِلْتُ ، وَمُسْتَحِيلٌ مَا طُلِبْتُ ، فَلَكَ فِي اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ أَنْ تُرْضِيَ مِنْهُمْ بِمَا رَضِيَ مِنْهُمْ خَالِقُهُمْ ^(٩) ، وَتَسِيرَ فِيهِمْ بِسِيرَةِ رَبِّهِمْ فِيهِمْ ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَرَضِي مِنْكَ ^(١٠) بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَأَكْثَرَ لَكَ ^(١١) مِنَ النَّعَمِ ، مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوْلِ ،

(١) فِي م : : : وَتَر .

(٢) هَكَذَا فِي ط : : : وَفِي م : : : كُلُّ يَفْعَلٍ . وَمَا وَرَدَ فِي ط : : : مُطَابِقٌ لِمَا وَرَدَ فِي آيَةِ الرَّابِعَةِ وَالْثَّانِيَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ .. وَشَاكِلَتُهُ : مَذْهَبُهُ الَّذِي يَشَاكُلُ حَالَهُ . أَوْ : سَجِيَّتُهُ وَطَبْعُهُ .

(٣) فِي ط : : : حَالٍ . وَالْحَالُ وَالْحَالَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٤) أَنَّهُ قَالَ : عَنْ ط : : .

(٥) فِي م : : : يَا مُوسَى ، ذَلِكَ شَيْءٌ مَا فَعَلْتُهُ لِنَفْسِي .

(٦) اذْكُرْ : اتَّقَطَّ .

(٧) فِي م : : : إِذَا التَّمَسَّتَ رِضَا جَمِيعِ الْخَلْقِ .

(٨) فِي م : : : وَكَيْفَ تُرْضِي الْمُخْتَلِفِينَ ؟ .

(٩) فِي م : : : خَالِقُهُمْ ، وَرَازِقُهُمْ ، وَمُحْيِيهِمْ ، وَمُمِيتِهِمْ . تَكَرَّرَ لِمَا سَبَقَ .

(١٠) فِي م : : : أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، فَرَضِي مِنْهُمْ ، بَعْضُهُمُ الْغَالِبِينَ .

(١١) فِي م : : : وَأَكْثَرَ لَهُمْ .

فَانْظُرْ ^(١) كَيْفَ يَسْتُرُ زَلَّاتِكَ ، وَيَتَعَمَّدُ ^(٢) سَيِّئَاتِكَ ، وَلَا يَفْضَحُكَ فِي خَلَوَاتِكَ ، فَقَى هَذَا ^(٣) مَا يَمَهِّدُ النَّفْسَ ^(٤) ، وَيُؤَدِّبُ ذَوِي الْعُقُولِ ^(٥) ، وَيَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ ، وَيُوضِّحُ طُرُقَ الرِّشَادِ ، وَلِلَّهِ دُرُّ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) ، لَقَدْ كَانَ رَاعِيًا لِمَا تَلَوْنَاهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ^(٧) : كُنْ لِزَعِيَّتِكَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .

* * *

(١) لى م : : وانظر . والخول : عطية الله من التعم والغريم من الأتباع والحشم : للواحد والجمع والذكر والأنثى .

(٢) يتعمد : يستر ويغشى .

(٣) لى م : : فقى مثل هذا .

(٤) يمهّد النفس : يجعلها سهلة مهيأة لتقبل النصيح .

(٥) لى م : : ويؤدّب العقول .

(٦) ما بين المحققين عن ط .

(٧) لى م : : رضى الله عنه .

البَابُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْحَصَلَةِ الَّتِي فِيهَا مَلَجَأُ
الْمُلُوكِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَمَغْقَلُ
السَّلَاطِينِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْأُمُورِ
وَلتَغْيِيرِ الْوُجُوهِ وَالْأَحْوَالِ (٥)

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِذَا اعْتَلَجْتَ (١) الْأُمُورَ فِي صَدْرِكَ ، وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْكَ الْقَوَاعِدُ ،
وَمَرَجَتْ (٢) فِي قَلْبِكَ رُجُوهُ الرُّأْيِ ، وَتَنَكَّرَتْ عَلَيْكَ الْمَعَارِفُ ، وَكَفَهَرُ لَكَ وَجْهُ
الزَّمَانِ ، وَرَأَيْتَ آثَارَ الْغَيْرِ (٣) فَلَا يَغْلِبُنكَ حَصَلَتَانِ : أَثَرُكَ لِلنَّاسِ دِينَهُمْ وَذُنْيَاهُمْ ، وَلَكَ
الْأَمَانُ مِنْ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ (٤) ، وَمَا يَأْتِي بِهِ الْمَلَوَانِ (٥) . وَقَدْ رُويَ أَنَّ الْمَأْمُونَ قَالَ (٦)

(٥) فِي « م » : « السُّلْطَانُ » مَكَانَ « السَّلَاطِينِ » .. وَ « اضْطِرَابِ الْمَالِكِ » مَكَانَ « اضْطِرَابِ الْأُمُورِ » .

(١) اعْتَلَجْتُ : اصْطَرَعْتُ .

(٢) مَرَجَتْ : اخْطَلَّتْ .

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَنْ « م » ، وَلَمْ تَرُدْ فِي « ط » . وَالْغَيْرُ : الْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

(٤) طَوَارِقُ الْحَدَثَانِ : حَوَادِثُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

(٥) الْمَلَوَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

(٦) فِي « م » « وَلَهُ قَرُّ الْمَأْمُونِ فَإِنَّهُ قَالَ » .

فِي آخِرِ مَوَاقِفِهِ ^(١) مَعَ أُخِيهِ الْأَمِينِ ، وَقَدْ نَفَّذَتْ ^(٢) ثُبُوتُ الْأَمْوَالِ ، وَالْحُبُّ الْأَجْنَادُ فِي طَلَبِ الْأَرْزَاقِ الْمَأْمُونِ ^(٣) : بَقِيَتْ لِأُخِي حَصْلَةُ لَوْ فَعَلَهَا مَلَكٌ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ .. قِيلَ لَهُ : وَمَا هِيَ ^(٤) ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُضِنُّ ^(٥) بِهَا عَلَى نَفْسِي ، فَكَيْفَ عَلَى غَيْرِي ؟ فَلَمَّا خَلَصَ لَهُ الْأَمْرُ سُئِلَ عَنِ تِلْكَ الْحَصْلَةِ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الْأَمِينَ نَادَى فِي جَمِيعِ بِلَادِهِ ^(٦) أَنَّهُ قَدْ حَطَّ الْخَرَاجَاتِ وَالْوُظَايِفِ السُّلْطَانِيَّةِ وَسَائِرِ الْجَبَايَاتِ عَشْرَ سِنِينَ لَمَلَّكَ ^(٧) الْأَمْرُ عَلَيَّ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

وَلَمَّا حَشِيَ الْمَأْمُونُ الْبِقَاضِ بَعَثَهُ مَعَ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي أَمْرِ قِتْنَتِهِ مَعَ أُخِيهِ الْأَمِينِ ، اسْتَشَارَ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ ، وَكَانَ وَبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : قَدْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ، وَحَدِيثَ الرَّسُولِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) ، وَالَّذِي عِنْدِي : أَنَّ تَجَمُّعَ الْفُقَهَاءِ وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ ، وَإِخْيَاءِ السَّيِّرَةِ ، وَبَسْطِ الْعَدْلِ ، وَالْقُعُودِ عَلَى اللَّبُودِ ^(٩) ، وَتَوَاصِلِ النَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ ، وَتُكْرِمِ الْقَوَادِ وَالْمُلُوكِ وَأَتَاءِ الْمُلُوكِ ، وَتَعِدُّهُمْ ^(١٠) بِالْمَوَاعِيدِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْمَرَاتِبِ السَّيِّئَةِ ، وَالْوِلَايَاتِ الْمُشَاكِلَةِ ^(١١) . فَقَعَلَ ذَلِكَ ، وَحَطَّ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ^(١٢) رُبْعَ الْخَرَاجِ ، فَمَاتَتْ وَجُوهُ الْحَلَائِقِ إِلَيْهِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : ابْنُ أُخْتِنَا ،

(١) فِي وَط : : فِي آخِرِ مَوَاقِفِهِ .

(٢) فِي وَط : : نَفَّذَتْ الْأَمْوَالِ ، وَ نَفَّذَتْ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ لَا يَصِحُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ . وَنَفَّذَتْ - بِالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ

فَيَنْتِ وَتَقَطَّعَ مَا بَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ .

(٣) فِي وَط : : فِي طَلَبِ الْأَرْزَاقِ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ .

(٤) فِي وَط : : وَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ .

(٥) لِأُضِنُّ : لِأَبْهَلُ .. وَفِي وَط : : لَا أَظُنُّ تَحْرِيفَ .

(٦) فِي وَط : : عَسَاكَرَهُ بِلَادِهِ ، خَلَطَ مِنَ النَّاسِ .

(٧) فِي وَط : : مَلَّكَ .

(٨) فِي وَط : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٩) اللَّبُودُ : جَمْعُ لَيْدٍ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبُسْطِ يُتَخَذُ مِنَ الصَّوْفِ .

[انْظُرِ الْكَامِلَ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٥ ص ١٣٧] .

(١٠) فِي وَط : : وَتَعَهَّدَ .

(١١) الْمَشَاكِلَةُ : الْمِمَاتِلَةُ .

(١٢) فِي وَط : : وَحَطَّ عَنْهُمْ .

وَابْنُ عَمِّ نَبِيْنَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَائِقَادَ إِلَيْهِ رَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ ^(١) ، وَكَانَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُلُوكِ بِخُرَّاسَانَ .

وَيَدْخُلُ ^(٢) تَحْتَ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ أَمْرٌ اتَّفَقَ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ ^(٣) وَالرُّومِ وَالْفَرَسِ وَالْهِنْدِ ، وَهُوَ أَنَّ تُصْطَنِعَ ^(٤) وَجْهَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَالْمُتَقَدِّمِينَ ^(٥) مِنْ كُلِّ عَشِيرَةٍ ، وَتُحْسِنَ إِلَى حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ^(٦) وَالْعِلْمِ وَحِفَاطِ الشَّرِيعَةِ ، وَتُذْنَبَ ^(٧) مَجَالِسَهُمْ ، وَتُقَرَّبَ ^(٨) الصَّالِحِينَ وَالْمُتَزَهِّدِينَ ، وَكُلُّ مُتَمَسِّكٍ بِعُرْوَةِ الدِّينِ ، وَكَذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ بِالْأَشْرَافِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَالرُّؤَسَاءِ الْمُتَبَوِّعِينَ مِنْ كُلِّ نَمَطٍ ، فَهَؤُلَاءِ ، هُمْ أَرْزَمَةُ الْخَلْقِ ^(٩) ، وَبِهِمْ يَمْلِكُ مَنْ سِوَاهُمْ .

فَمِنْ كَمَالِ السِّيَاسَةِ وَالرِّيَاسَةِ أَنْ تُبْقَى عَلَى كُلِّ ذِي رِيَاسَةٍ رِيَاسَتُهُ ، وَعَلَى كُلِّ ذِي عِزٍّ عِزُّهُ ^(١٠) ، وَعَلَى كُلِّ ذِي مَنْزِلَةٍ ^(١١) مَنْزِلَتُهُ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرُّؤَسَاءُ لَكَ أَعْوَانًا ، وَمَنْ دَانَتْ لَهُ الْفَضْلَاءُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ يَدُومَ سُلْطَانُهُ . وَالْعَامَّةُ وَالْأَتْبَاعُ دُونَ

(١) هو : رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، ثائر ، من بيت إمارة ورياسة ، كان مقيماً فيما وراء النهر بسمرقند ، وناب فيها أيام الرشيد ، وغُزِلَ وحُجِسَ ، وهرب من الحيس ، فقتل العامل على سمرقند واستولى عليها سنة ١٩٠ هـ . وخلع طاعة الرشيد ، ودعا إلى نفسه ، وتوجَّه إليه الرشيد سنة ١٩٢ هـ لقتاله ، فانهزم رافع سنة ١٩٣ هـ وضعف أمره واختلف المؤرخون في مصيره . قال ابن كثير : لما قامت الفتنة بين الأمين والمأمون بعد وفاة الرشيد - بعث رافع إلى المأمون يسأله الأمان ، فأمنه ، فصار إليه بمن معه سنة ١٩٤ هـ فأكرمه المأمون وعظمه وتوفي سنة ١٩٥ هـ . [انظر الأعلام ج ٣ ص ١٢ ، ١٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٢٢ و ١٢٦ - ١٢٨ وغيرها من الصفحات ، والبدایة والنهاية ج ١ ص ٢١١] .

(٢) في ١ م : : : ودخل .

(٣) في ١ م : : : العرب والمجم .

(٤) في ١ م : : : يصطنع : بالياء .. وتصطنع وجوه كل قبيلة : تحسن إليهم .

(٥) في ١ م : : : والمقدم .

(٦) في ١ م : : : حَمَلَةُ الْعِلْمِ .

(٧) في ١ م : : : ويذنب .

(٨) في ١ م : : : وتقرب .

(٩) أَرْزَمَةُ الْخَلْقِ : قُرَاطُهُمْ وَمُقَدِّمُوهُمْ .

(١٠) في ١ ط : : : عزَّته .

(١١) في ١ ط : : : منزل .

مَقْدِيهِمْ وَسَادَاتِهِمْ ، وَأَتْبَاعُهُمْ ^(١) أَجْسَادُ بِلَا رُؤُوسٍ ، وَأَشْبَاحُ بِلَا أَرْوَاحٍ .. وَلَمَّا
 قَامَتِ الْعَامَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ بِقُرْطَبَةَ وَلَبَسُوا السَّلَاحَ ، كَانَ شَيْخٌ جَالِسٌ ^(٢) عَلَى كَبِيرِهِ ^(٣)
 يُعَالِجُ صَنْعَتَهُ ، فَقَالَ : مَا بَأَلُ النَّاسِ ؟ قَالُوا : قَامَتِ ^(٤) الْعَامَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ . قَالَ ^(٥) :
 وَلَهُمْ رَأْسٌ ^(٦) ؟ . قَالُوا : لَا .. قَالَ : شَقُّ الْكَبِيرِ يَا صَبِيُّ .. فَذَهَبَتْ مَثَلًا .

* * *

(١) سقطت « وأتباعهم » من « م » والسياق يتطلب وجودها .

(٢) في « م » : « جالسا » وكلاهما له وجه ، فالتنصب هل أنها خير لكان ، والرفع على الوصفية .

(٣) في « م » : « على كبير » والكبر : جلد غليظ ذو حافات يستخدمه الخلداء وغيره للنفخ في النار وإشعالها .

(٤) في « م » : « قد قامت » .

(٥) في « م » : « فقال » .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ولهم رأس ما ؟ » و « ما » هنا للإيهام ، أي : وهل لهم أي رئيس ؟

البَابُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْإِخْصَالِ الْمُوجِبَةِ لِلذَّمِّ الرُّعْيَةِ لِلسُّلْطَانِ

قَالَ حَكِيمُ الْفَرَسِ : ذَمُّ الرُّعْيَةِ [لِلْمَلِكِ] ^(١) عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : إِمَّا كَرِيمٌ قُصِّرَ بِهِ عَنْ قُدْرِهِ ^(٢) فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ ضِعْفًا ^(٣) ، وَإِمَّا لَيْيَمٌ يُلِغُ بِهِ فَوْقَ قُدْرِهِ فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ بَطَرًا ^(٤) ، وَإِمَّا رَجُلٌ مُنِعَ حَظُّهُ مِنَ الْإِنْصَافِ .. وَفِي الْأَمْثَالِ : إِحْسَانُكَ إِلَى الْخَرُّ يُنْعِثُ عَلَى الْمُكَافَأَةِ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى اللَّيِّيمِ الْخَسِيسِ يُنْعِثُ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ .

وَقِيلَ لِلْأُسْكَنْدَرِ : إِنْ فَلَانًا يَتَّقِصُّكَ وَيُسِيءُ الشُّنَاءَ عَلَيْكَ .. فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرِيرٍ ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ هَلْ نَالَهُ مِنْ نَاحِيَتِنَا أَمْرٌ دَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَبَحَثَ عَنْ حَالِهِ فَوَجَدَهَا رُثَةً ^(٥) ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ سِنِيَّةٍ ^(٦) ، فَبَلَغَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَسَطَ لِسَانَهُ بِالشُّنَاءِ عَلَيْهِ ،

(١) مابين المعقوفين عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) في « م » : « قُدْرَتُهُ » والأول أَوْجَهُ .

(٣) الضُّعْفُ : الحَقْدُ الشَّدِيدُ .

(٤) بَطَرًا : اسْتِخْفَافًا ، وَكُفْرًا بِالنِّعْمَةِ .

(٥) رُثَةٌ : رَدِيْقَةٌ لَا تُحْمَدُ .

(٦) صَلَّةٌ سَنِيَّةٌ : عَطَاءٌ جَزِيلٌ .

فَقَالَ : أَمَا تَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْنَا ^(١) أَنْ يُقَالَ فِينَا خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ ؟
وَيَتَّبِعِي لِلسُّلْطَانِ أَنْ لَا يَتَّخِذَ الرُّعِيَّةَ مَالًا وَفُتْنَةً ^(٢) ، فَيَكُونَ عَلَيْهِمْ ^(٣) بَلَاءٌ وَفُتْنَةٌ ،
وَلَكِنْ يَتَّخِذُهُمْ أَهْلًا وَإِخْوَانًا ، فَيَكُونُونَ لَهُ جُنُودًا وَأَعْوَانًا ، وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : إِصْلَاحُ
الرُّعِيَّةِ خَيْرٌ مِنْ كَثَرَةِ الْجُنُودِ .

* * *

(١) في « م » : « إِلَيْنَا » .

(٢) الْفُتْنَةُ ، بضم الفاء وكسرها : مَا يُكْسَبُ وَيَكُونُ خَالِصًا لَهُ .

(٣) في « ط » : « فَيَكُونُوا عَلَيْهِ » .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْثَلَاثُونَ

فِي مَثَلِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ وَالْجَائِرِ (٥)

مَثَلُ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ مَثَلُ الْيَاقُوتَةِ النَّفِيسَةِ الرَّفِيعَةِ فِي وَسْطِ الْعَقْدِ ، وَمَثَلُ الرُّعْيَةِ مَثَلُ سَائِرِ الشُّذُرِ (١) ، فَلَا تُلْحَظُ الْعُيُونُ إِلَّا الْوَاسِطَةَ (٢) ، وَأَوَّلُ مَا يَبْصُرُ الْمُقْلَبُونَ (٣) وَيَنْقُذُ النَّاقِذُونَ الْوَاسِطَةَ ، وَإِنَّمَا يَبْقَى الْمُثْنُونَ عَلَى الْوَاسِطَةِ ، وَكَلَّمَا حَسَنَتْ الْوَاسِطَةُ غَمَرَتْ (٤) سَائِرُ الشُّذُرِ فَلَا يَكَادُ يُذَكَّرُ . كَمَا قَالَ ابْنُ صَعْدَةَ : لَقِيتُ بِالْحِجَازِ ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ (٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٦) ، فَسَفَرْتُ لِي عَنْ وَجْهِ

(٥) فِي « م » : « السَّائِر » وَهِيَ صِفَةُ لِلْمَثَلِ .

(١) الشُّذُرُ : تَخَرَّرَ مُفَصَّلٌ بِهِ بَيْنَ حَبَابِ الْعَقْدِ وَنَحْوِهِ .

(٢) بِمَعْنَى : وَاسِطَةُ الْيَقِيدِ ، أَيْ : الْيَاقُوتَةُ النَّفِيسَةُ الَّتِي فِي وَسْطِهِ ، وَالْمُرَادُ بِهَا السُّلْطَانُ

(٣) الْمُقْلَبُونَ : التَّجَارِ الَّذِينَ يُقْلَبُونَ السَّلْمَةَ لِاخْتِبَارِهَا .

(٤) غَمَرَتْ ، بِالْعَيْنِ الْمَعْجَمَةِ : غَطَّتْ وَأَخْفَتْ .. وَفِي « م » : « وَكَلَّمَا حَسَنَتْ غَمَرَتْ » .. وَفِي « ط » : « جَاءَ الْفَعْلُ أَيْضًا بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ الْأَنْسَبُ لِلْسِّيَاقِ ، وَالْأَقْرَبُ لِلْأَفْهَامِ .

(٥) هِيَ : سَكِينَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَاسْمُهَا : أَمِيمةٌ أَوْ آمَنَةُ ، وَسَكِينَةُ لَقَبٌ لَهَا ، وَهِيَ سَيِّدَةٌ فَاضِلَةٌ ، وَشَاعِرَةٌ كَرِيمَةٌ ، كَانَتْ تَجَالِسُ الْأَجَلَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَتَجْمَعُ إِلَيْهَا الشُّعْرَاءُ فَيَجْلِسُونَ بِحَيْثُ تَرَاهُمْ وَلَا يَرُونَهَا ، وَتَسْمَعُ كَلَامَهُمْ فَتُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ ، وَتُنَاقِشُهُمْ ، وَتُجَيِّزُهُمْ ، وَكَانَتْ إِقَامَتُهَا وَوَفَاتُهَا بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ١١٧ هـ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٣ ص ١٠٦ ، وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ج ٨ ص ٤٧٥ ، وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ج ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٧ ، وَنَسَبُ قُرَيْشٍ ص ٥٩ ، وَالْأَغَانِي ج ١٦ ص ٥٩٢١ - ٥٩٦١] .

(٦) فِي « م » : « عَنْهَا » . وَسَقَرْتُ : كَشَفْتُ .

ابْتَيْهَا ، وَإِذَا وَجَّهَ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَقَدْ أَصْفَلَتْهَا بِالْجَوَاهِرِ وَالْيَوَاهِرِ وَالنَّوَارِجِ الدُّرُ (١) ،
فَالْتَفَتَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عَلَّقْتُه عَلَيْهَا إِلَّا لِتَفْضَحْتَهُ (٢) .

وَكَمَا أَنَّ جَمَالَ السُّلُوكِ (٣) أَنَّ يَلِيَّ الْوَاسِطَةِ الْأَفْضَلَ فَلَا فُضْلَ مِنَ الشَّدْرِ ، وَإِنْ كَانَ
السُّلُوكُ (٤) عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَ النَّظْمِ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ ، يَتَبَيَّنُ أَنْ يَكُونَ
الْأَقْرَبَ فَلَا اقْرَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ (٥) ، وَالْأَدَبِ وَالرَّأْيِ ، وَالْأَصَالَةِ وَالشَّرَفِ ،
وَالْحَصَافَةِ وَذَوِي الْكَمَالِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كَانَ نَقْصًا فِي
التَّذْيِيرِ ، وَكََمَا أَنَّ جَمَالَ الْعَقْدِ بِوَاسِطَتِهِ ، كَذَلِكَ جَمَالَ الرُّعْيَةِ بِكَمَالِ سُلْطَانِهِمْ وَفَضْلِهِ
وَبِرَاعَتِهِ وَعَدْلِهِ .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ الْجَائِرِ مَثَلُ الشُّوْكَ فِي الرَّجُلِ ، فَصَاحِبُهَا نَحْتُ أَلَمٍ وَقَلَقٍ ،
وَيَتَدَاعَى (٦) لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، وَلَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَرُومُ قَلْعَهَا ، وَيَسْتَعِينُ بِمَا فِي مِيسُورِهِ
مِنَ الْآلَاتِ وَالْمَنَاقِشِ وَالْإِبْرِ عَلَى إِخْرَاجِهَا ، لِأَنَّهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا الطَّبِيعِيِّ ، وَيُوشِكُ
أَنْ تُقْلَعَ بِالْأَجْرَةِ ، فَأَيُّ غَرْزِ الْيَاقُوتِ مِنْ شَوْكِ الْقَتَادِ (٧) ؟

(١) في « ط » : « الدُّر » .

(٢) في « م » : « لتفضحه » .

(٣) السُّلُوكُ : الحَيْطُ الَّذِي يَتَقَلَّمُ فِيهِ الْحَرْزُ وَغَرَاهُ .. وفي « م » : « الملك » تحريف .

(٤) السُّلُوكُ « عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٥) في « م » : « أهل العلم والفضل » .

(٦) يتداعى : ينهار .

(٧) غَرْزُ الْيَاقُوتِ : الْغَرْزُ : الْفُصْنُ يُغْرَسُ فِي قَضِيبِ الْكَرْمِ لِلْوَصْلِ . وَالْقَتَادُ : نَبَاتٌ صَلْبٌ ، وَلَهُ شَوْكٌ كَالْإِبْرِ .

البَابُ الْمُوفِيُّ أَرْبَعِينَ

فِيمَا يَجِبُ عَلَى الرَّعِيَّةِ إِذَا جَارَ السُّلْطَانُ

اعْلَمْ - أُرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ الزَّمَانَ وَغَاءَ لِأَهْلِهِ ، وَرَأْسُ الْوِعَاءِ أَطْيَبُ مِنْ أَسْفَلِهِ ، كَمَا أَنَّ رَأْسَ الْجَرَّةِ أَرْقُ وَأَصْفَى مِنْ أَسْفَلِهَا ، فَلَقِنْ قُلْتُ : إِنْ الْمُلُوكُ الْيَوْمَ لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ ^(١) فَالرَّعِيَّةُ أَيْضاً لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الرَّعِيَّةِ ، وَلَسْتُ بِأَنَّ تَذَمُّ أَمِيرِكَ إِذَا نَظَرْتَ آثَارَ مَنْ مَضَى مِنْهُمْ بِأَوْلَى ^(٢) مِنْ أَنَّ ^(٣) يَذْمُكَ أَمِيرُكَ إِذَا نَظَرَ آثَارَ مَنْ مَضَى مِنَ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا جَارَ عَلَيْكَ السُّلْطَانُ فَعَلَيْكَ الصَّبْرُ وَعَلَيْهِ الْوُزْرُ .

رَوَى ^(٤) الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ^(٥) قَالَ : « بَايَعْنَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ

(١) هكنا في « ط » .. ولي « م » : « ليسوا كمثل من مضى من الرعية » وستأق .

(٢) لي « م » : « وأولى » .

(٣) « أن » عن « م » .

(٤) لي « م » : « ورَوَى » .

(٥) هو : عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ، الخزرجي ، أبو الوليد ، صحابي من الموصفين بالورع ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد يدرأ وسائر المشاهد ، ثم حضر فتح مصر ، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين ، وتولى بالرملة أو بيت المقدس سنة ٣٤ هـ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٥٨ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، والمهر ص ٢٧٠ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠ ، ٢١] .

فِيمَا ^(١) أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ^(٢) ، وَعُسْرِنَا
وَيُسْرِنَا ، وَآثَرَةَ عَلَيْنَا ^(٣) ، وَأَنْ لَا تَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ^(٤) ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا ^(٥)
عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ ^(٦) . وَمِنْهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ
عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْئًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » ^(٧) . وَمِنْهُ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ :
« قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي آثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا .
قَالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ^(٩) يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَذُوا لَهُمْ حُقُوقَهُمْ ^(١٠) ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ
حَقَّكُمْ » ^(١١) .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ : أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١٢) قَالَ : « سَيَأْتِيَكُمْ
رُكْبٌ ^(١٣) مُبْغَضُونَ يَطْلُبُونَ مِنْكُمْ مَا لَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا سَأَلُوا ذَلِكَ فَأَعْطُوهُمْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ » وكرر الفعل الأخير .. وفي البخاري : « دَعَانَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَايَعَنَا فَقَالَ : فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا » .

(٢) مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا : أى في حالة نشاطنا ، وفي الحالة التي نكون فيها عاجزين عن العمل بما نُؤَمِّرُ بِهِ . والظاهر أنه أراد وقت الكسل والمشقة في الخروج .

(٣) هكذا في « م » وفي البخاري .. وفي « ط » : « وَآثَرَتِهِ » والمراد بقوله : « وَآثَرَةُ عَلَيْنَا » : أَنْ طَاعَتِهِمْ لِمَنْ يَتَوَلَّى عَلَيْهِمْ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى إِيصَالِهِمْ حُقُوقَهُمْ ، بَلْ عَلَيْهِمُ الطَّاعَةُ وَلَوْ مِنْهُمْ حَقُّهُمْ .

(٤) أى : الْمُلْكُ وَالْإِمَارَةُ .

(٥) بَوَاحًا : ظَاهِرًا بَادِيًا .

(٦) برهان : نص آية ، أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل .. وهذا الحديث رواه البخاري في كتاب الفتن ، باب قول النبي (ﷺ) سَتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا .. ج ١٣ ص ٥ ، ٦ من فتح الباري ، وصحيح البخاري ج ٩ ص ٥٩ ، ٦٠ دار الشعب .

(٧) الحديث رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) في كتاب الفتن أيضاً [انظر المصدرين السابقين] .

(٨) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .. ووقع هنا خلطٌ من الناسخ في « م » بين هذا الحديث والحديث السابق .

(٩) في « م » : « فِيمَا تَأْمُرُ » .

(١٠) نص البخاري : « أَذُوا إِلَيْهِمْ حَقُّهُمْ » .

(١١) رواه البخاري في كتاب الفتن [انظر المصدرين السابقين] .

(١٢) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(١٣) الرُّكْبُ : الرَّاكِبُونَ ، العشرة فما فوق .. وفي سنن أبي داود : « رُكْبٌ » بالتصغير .

وَلَا تَسُبُّوهُمْ ، وَلْتَدْعُوا لَهُمْ ۖ ^(١) . وَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ الْمَوْقِعُ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَتَدْفَعُ إِلَيْهِمْ مَا طَلَبُوا مِنَ الظُّلْمِ ، وَلَا تَنَازِعُهُمْ فِيهِ ، وَتَكْفُفُ السِّتْنَا عَنْ سَبِّهِمْ ^(٢) .

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَجْعَلَ سِلَاحَكَ عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ الثِّقَةَ بِاللَّهِ ، فَلَا مِحْنَةَ فَوْقَ مِحْنَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا جَعَلُوهُ فِي كِفَّةِ الْمُنْجِنِيقِ ^(٣) لِيُقَدِّفَ بِهِ فِي النَّارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِيْمَانِي بِكَ ، وَعَدَاوَةَ قَوْمِي فِيكَ ، فَأَنْصُرْنِي عَلَيْهِمْ ، وَافْكُنِي كَيْدَهُمْ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِيْنِي أَنَا اللَّهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ ^(٤) ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِي ، فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ رَحْمَةً ، وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ نِقْمَةً ، فَلَا تَشْفَعُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ ، وَلَكِنْ تَوْبُوا إِلَيَّ أُعْظِفْهُمْ عَلَيْكُمْ ^(٥) . وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ : ابْنُ آدَمَ ، تَدْعُو عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ ، وَيَدْعُو عَلَيْكَ مَنْ ظَلَمْتَهُ ، فَإِنْ شِئْتَ أَجَبْنَاكَ وَأَجَبْنَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أُخْرِجْتَ الْأَمْرَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَسْأَلُكَ الْمَقْرُورُ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(٦) : لَا تَجْعَلَ مَلَجَاكَ فِي الْأَعْدَاءِ الْمُكَافَأَةِ ^(٧) ، وَلَكِنْ الثِّقَةَ بِاللَّهِ . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، قَالَ : سُرِقَتْ وَلَمَحَفَةٌ

(١) فِي « م » : « وَلْيَدْعُوا لَكُمْ » .. وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ : « فَإِذَا جَاءَكُمْ فَرَحُّوهُمْ بِهِمْ ، وَخَلُّوْا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغُونَ ، فَإِنْ عَدَلُوا فَلَا تُفْسِدُهُمْ ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهَا ، وَأَرْضَوْهُمْ ، فَإِنْ تَمَّ زَكَاتُكُمْ رِضَاهُمْ ، وَلْيَدْعُوا لَكُمْ » . [انظر كتاب الزكاة ، باب رضا المصدق ج ٢ ص ١٠٨ الحديث رقم ١٥٨٨ من سنن أبي داود] .

(٢) فِي « م » : « عَنْهُمْ وَعَنْ سَبِّهِمْ » .

(٣) السَّجْنِيقُ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكسرها : آلةٌ مِنْ آلَاتِ الْحَصَارِ ، تَرْمَى بِهَا الْحِجَارَةُ . وَالْكِفَّةُ ، بِكَسْرِ الْكَافِ : كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ ، وَمِنْهَا كِفَّةُ الْمِيزَانِ .

(٤) فِي « م » : « مَالِكُ الْمُلُوكِ » .

(٥) فِي « ط » : « تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ » . وَأُعْظِفْهُمْ عَلَيْكُمْ : أَجْعَلْ قُلُوبَهُمْ تَعَطُّفَ عَلَيْكُمْ وَتَرْحَمَكُمْ .

(٦) فِي « م » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٧) الْمُكَافَأَةُ : التَّسَاوَى وَالْمِثَالَةُ .

لِعَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى مَنْ أَخَذَهَا ، فَسَمِعَهَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) فَقَالَ : « لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ » ^(٢) يَعْنِي : لَا تُحْفَظِي عَنْهُ ، فَتَهَايَا عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ كَمَا تَرَى . فَإِذَا قَالَ الْمَظْلُومُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لَا تُؤَقِّفْهُ ، فَقَدْ دَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى سَائِرِ الرِّعْيَةِ ، لِأَنَّهُ مِنْ قِلَّةِ تَوَفِّيقِهِ ظَلَمَكَ ، وَلَوْ كَانَ مُوَفَّقًا مَا ظَلَمَكَ . فَإِنْ اسْتَجِيبَ دُعَاؤُكَ فِيهِ زَادَ ظَلْمُهُ لَكَ .

وَمِنَ الْأَلْفَافِ الْمَرْبُوبَةِ عَنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأَمَّةِ ، قَوْلُهُمْ : لَوْ كَانَتْ عِنْدَنَا دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْنَاهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : لَوْ ظَفِرَتْ بَيْتِ الْمَالِ لَأَخَذْتُ مِنْ حَلَالِهِ وَصَنَعْتُ مِنْهُ أَطْيَبَ الطَّعَامِ ، ثُمَّ دَعَوْتُ الصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْفَضْلِ مِنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَبْرَارِ ، فَإِذَا فَرَعُوا ^(٣) قُلْتُ لَهُمْ : تَعَالَوْا تَدْعُوا رَبَّنَا أَنْ يُؤَفَّقَ ^(٤) مُلُوكُنَا وَسَائِرَ مَنْ يَلِي عَلَيْنَا وَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرُنَا .

وَلَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ دَخَلَ دَارَ عُمَانَ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ ابْنَةُ عُمَانَ : وَابْنَةُ ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا بِنْتُ أَخِي ، إِنَّ النَّاسَ أَعْطَوْنَا طَاعَةً وَأَعْطَيْنَاهُمْ أَمَانًا ، وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ حِلْمًا تَحْتَ غَضَبٍ ، وَأَظْهَرُوا طَاعَةً ^(٥) تَحْتَهَا حَقْدٌ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ سَيْفُهُ ، وَهُوَ يَرَى مَكَانَ أَنْصَارِهِ ، فَإِنْ ^(٦) نَكَلْنَا بِهِمْ نَكَلُوا بِنَا ، وَلَا نُدْرِي أَعَلَيْنَا نَكُونُ أَمْ لَنَا ^(٧) ، وَلَآنَ نَكُونِي ابْنَةُ عَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَكُونِي امْرَأَةً مِنْ غُرَضٍ ^(٨) الْمُسْلِمِينَ .

(١) في « ط » : عليه السلام .

(٢) لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ ، أَيْ : لَا تُحْفَظِي عَنْهُ إِنَّهُ الَّذِي اسْتَحَقَّه بِالسَّرِقَةِ بِدَعَائِكَ عَلَيْهِ . يريد : أَنْ السَّارِقُ إِذَا دَعَا عَلَيْهِ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ خَفَّفَ ذَلِكَ عَنْهُ .. وفي « ط » : لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ بِالنَّوْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْهَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهِيَ بِعَيْنِهَا . [انظر نص الحديث في سنن أبي داود في كتاب الأدب ، باب فيمن دعا على من ظلم ج ٤ ص ٢٧٩ الحديث رقم ٤٩٠٩ ، وانظر لسان العرب ، والمعجم الوسيط ، مادة « سَبَّحَ »] .

(٣) أَيْ : انْتَهَوْا مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ .

(٤) في « د م » : يَوْفَى « مَكَانَ يَوْفَقَ » تَصْحِيفٌ .

(٥) في « م » : وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ طَاعَةً تَكَرُّارٌ وَتَغْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) في « د م » : وَإِنْ « . »

(٧) يَعْنِي : الْخِلَافَةَ وَالْحُكْمَ .. وفي « د م » : وَلَا نُدْرِي أَهَيَّوْنَا عَلَيْنَا أَمْ لَنَا « . »

(٨) غُرَضُ الْمُسْلِمِينَ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمُهْلَتَيْنِ : مُغْلَبُهُمْ وَعَامَّتُهُمْ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعُقَلَاءِ غَضِبَهُ بَعْضُ الْوَلَدِ ^(١) ضَيْعَةً لَهُ ، فَاسْتَعْدَى ^(٢) عَلَيْهِ إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ أَضْرِبُ ^(٣) لَكَ قَبْلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَ : بَلِ اضْرِبْ لِي قَبْلَهَا ^(٤) . مَثَلًا . قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إِنَّ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ فَإِنَّهُ يَهْرُ إِلَى أُمِّهِ ، إِذَا لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا ، وَظَنًّا مِنْهُ أَنَّهَا ^(٥) لَا نَاصِرَ فَوْقَهَا ، فَإِذَا تَزَعَّرَ وَاشْتَدَّ وَأَوْذَى ^(٦) كَانَ فِرَارُهُ وَشُكْوَاهُ إِلَى أَبِيهِ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ ^(٧) أَبَاهُ أَقْوَى مِنْ أُمِّهِ عَلَى نُصْرَتِهِ ، فَإِذَا بَلَغَ وَصَارَ رَجُلًا وَحَزَبَهُ أَمْرٌ ، شَكََا إِلَى الْوَالِي ^(٨) ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ ^(٩) أَقْوَى مِنْ أَبِيهِ ^(١٠) ، فَإِذَا زَادَ عَقْلُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ شَكََا إِلَى السُّلْطَانِ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْ سِوَاهُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْصِفْهُ السُّلْطَانُ ، شَكََا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ تَزَلَّتْ بِي نَازِلَةٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ أَقْوَى مِنْكَ ، فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي ، وَإِلَّا رَفَعْتُ أَمْرَهَا ^(١١) إِلَى اللَّهِ فِي الْمَوْصِمِ ، فَأَتَانِي مُتَوَجِّهٌ إِلَى بَيْتِهِ وَحَرَمِهِ ، إِذْ لَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ : بَلِ ^(١٢) . نَنْصِفُكَ .. وَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ إِلَى وَالِيهِ بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ إِلَيْهِ ^(١٣) .

(١) في « م » : « غَضِبَهُ السُّلْطَانُ » .

(٢) استعدى : استعان واستنصر .

(٣) في « م » : « أَوْ أَضْرِبُ » .

(٤) في « م » : « فِيهَا مَكَانٌ قَبْلَهَا » .

(٥) في « ط » : « أُمُّهُ » .

(٦) في « ط » : « وَأَوْذَى » .

(٧) في « م » : « أَنَّ » .

(٨) هنا في « م » : « فَإِذَا بَلَغَ وَزَادَ عَقْلُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، شَكََا إِلَى السُّلْطَانِ ، وَاسْتَأْنَى .. وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ : فَوَيْ قَلْبِهِ وَصَارَ ذَا أَتَقَةٍ وَإِيَاءٍ .. وَحَزَبَهُ أَمْرٌ : أَصَابَهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ .

(٩) في « م » : « أُمُّهُ » .

(١٠) في « م » : « مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ » . بعدها : « فَإِنْ لَمْ يَنْصِفْهُ السُّلْطَانُ شَكََا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » وَاسْتَأْنَى .

(١١) في « م » : « أَمْرِي » .

(١٢) في « م » : « فَإِنْ لَمْ » مَكَانَ « بَلِ » تَحْرِيفٌ .

(١٣) « إِلَيْهِ » عَنْ « ط » .

البَابُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ

في : كَمَا تَكُونُونَ يُؤْلَى عَلَيْكُمْ ^(٥)

لَمْ أَرْزُ أَسْمَعْ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَعْمَالُكُمْ عُمَالُكُمْ ، كَمَا تَكُونُونَ ^(١) يُؤْلَى عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ ظَفِرْتُ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ تُؤْلَى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ ^(٢) . وَكَانَ يُقَالُ : مَا أَكْثَرْتَ مِنْ زَمَانِكَ فَإِنَّمَا أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ عَمَلُكَ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : أَتُصِفُونَا يَا مَعْشَرَ الرُّعِيَّةِ ^(٣) ، تُرِيدُونَ مِنَّا سِيرَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ وَلَا تُسَيِّرُونَ ^(٤) . فِينَا وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ بِسِيرَتِهِمَا ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا كُلًّا عَلَى كُلِّ . وَقَالَ قَتَادَةُ ^(٥) : قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : إِلَهَنَا ، أَنْتَ فِي

(٥) فِي د م و ط : : كَمَا تَكُونُوا . ، وَلَا تَصِحْ ، لِأَنَّ كَمَا لَيْسَتْ شَرْطِيَّة . وَالصَّوَابُ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : : كَيْفَمَا تَكُونُوا يُؤْلَى عَلَيْكُمْ .

(١) فِي د م و ط : : تَكُونُوا - انْظُرِ الْخَامِشَ السَّابِقَ - وَعُمَالُكُمْ : حُكَاةُكُمْ .
(٢) فِي د م : : اجْتَزَأْ بِقَوْلِهِ : : وَكَذَلِكَ تُؤْلَى . فَقَطَّ .. وَالآيَةُ بِهَامِهَا : ﴿ وَكَذَلِكَ تُؤْلَى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . سُورَةُ الْأَنْعَامِ ، آيَةُ ١٢٩ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ الظُّلْمَ إِذَا فُشِيَ وَانْتَشَرَ فِي أُمَّةٍ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَاكِمًا ظَالِمًا وَابْتَلَاهَا بِهِ ، وَوَجَدَ يَمُنُّ حَوْلَهُ مِنْ يَعْنُونَهُ عَلَى الظُّلْمِ .

(٣) فِي د م : : يَا مَعْشَرَ الظُّلَّةِ .

(٤) فِي د م و ط : : وَلَا تُسَيِّرُوا . لَا تَصِحْ .

(٥) هُوَ : قَتَادَةُ بْنُ دِعْأَمَةَ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ عَزِيزٍ ، أَبُو الْخَطَّابِ السُّلَمِيُّ الْبَصْرِيُّ ، مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ ، وَكَانَ مِنْ حُقَّاطِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَكَانَ أَعْمَى ، جَالَسَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَبَاهُ ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : قُمْ يَا عُمَى فَقَدْ نَزَفْتَنِي . وَقَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : قَتَادَةُ أَحْفَظُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ . تَوَفَّى بِوَسْطِ سَنَةِ ١١٧ هـ ، وَقِيلَ : بَعْدَهَا بَسَنَةً ، وَوُلِدَ

السَّمَاءِ ^(١) وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ ، فَكَيْفَ نَعْرِفُ رِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ بَعْضُ أُنْيَابِهِمْ : إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ فَقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ ، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَقَدْ سَخَطْتُ عَلَيْكُمْ .

وَقَالَ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ ^(٢) لِعَلِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا بَالُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ انْطَاعَ النَّاسَ لَهُمَا وَالذُّنْيَا عَلَيْهِمَا أَضْيَقُ مِنْ شِبِيرٍ فَأَتَسَعَتْ عَلَيْهِمَا ، وَوَلَيْتَ أَنْتَ وَعُثْمَانُ الْخِلَافَةَ وَلَمْ يَنْطَاعُوا لَكُمَا ، وَقَدْ اتَّسَعَتْ فَصَارَتْ عَلَيْكُمَا ^(٣) أَضْيَقُ مِنْ شِبِيرٍ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ رَعِيَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ كَانُوا مِنْبَلِي وَمِثْلَ عُثْمَانَ ، وَرَعِيَّتِي أَنَا الْيَوْمَ مِثْلُكَ وَشَبَهْتُكَ .

وَكَتَبَ أَخُو لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ يَشْكُو إِلَيْهِ جَوْرَ الْعُمَّالِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ : بَلَّغْنِي كِتَابَكَ تَذَكُّرًا مَا أَتَمُّ فِيهِ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ يَعْمَلُ ^(٤) بِالْمَعْصِيَةِ أَنْ يَنْكَرَ

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٣ - ٣٤٥ ، ورجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥١ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٨٥ ، وطبقات الحفاظ ص ٥٤ ، ٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٤ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، وطبقات الفقهاء للشرازى ص ٩٤ ، ٩٥ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٨٥ ، ٨٦] .

(١) لما كان من عادة الناس أن يتجهوا بالدعاء إلى السماء ، ظن البعض أن الله - عز وجل - في السماء فقط ، وهذا مفهوم خاطئ . والحقيقة أنه - سبحانه وتعالى - في كل مكان ، وليس له جهة تحده ، لأن الجهة لا يفهم لها معنى إلا بالنسبة للأجسام ، والله - سبحانه وتعالى - ليس كمثل شيء ، وهو منزّه عن ذلك . وهذه المسألة من المسائل التي ناقشها علماء المسلمين وعلماء الكلام بإفاضة ، وعلى رأسهم المعتزلة والأشاعرة وغيرهما .

[انظر مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢ - ٨١] .

(٢) عبيدة - بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة : على التعييد . وهو : عبدة بن عمرو « أو ابن قيس » السَّلْمَانِيُّ المرادى ، ويكنى أبا مسلم ، تابعى ، أسلم باليمن أيام فتح مكة ، ولم ير النبي ﷺ ، وكان عريف قومه ، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب ، وسمع منه ، ومن على بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله ابن الزبير ، ونزل الكوفة ، فرؤى عنه عامر الشعبي ، وإبراهيم النخعي ، وأبو حصين ، والنعيمان بن قيس ، ومحمد بن سيرين ، وغيرهم . وكان يوازى شريفاً في القضاء ، توفى سنة ٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٩ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٧ - ١٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠] .

(٣) في « م » : « عليهما » تحريف .

(٤) في « م » : « عمل » .

الْعُقُوبَةَ ، وَمَا أَرَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَّا مِنْ شُؤْمِ الذُّنُوبِ ، وَالسَّلَامُ ^(١) .

(١) قوله : « والسلام » عن « ط » .

البَابُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

فِي بَيَانِ الْحَصَلَةِ الَّتِي تُصْلَحُ بِهَا الرِّعْيَةُ

اَعْلَمَ أَنَّ اُدْعَى حِصَالِ السُّلْطَانِ إِلَى إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ ، وَأَقْوَاهَا أَثَرًا فِي تَمَسُّكِهِمْ
بِأَدْيَانِهِمْ ، وَحِفْظِهِمْ لِمُرَوَاتِهِمْ ، إِصْلَاحُ السُّلْطَانِ نَفْسَهُ ^(١) ، وَتَرْفُؤُهُ عَنِ سَفْسَافٍ ^(٢)
الْأَخْلَاقِ ، وَتُعْذُهُ عَنِ مَوَاضِيحِ الرَّيْبِ ، وَتَرْفِيعُهُ نَفْسَهُ ^(٣) عَنِ اسْتِصْحَابِ أَهْلِ ^(٤) الْبَطَالَةِ
وَالْمُجُونِ ، وَاللَّهْبِ وَاللُّهُو ^(٥) ، وَالْإِعْلَانِ بِالْفُسُوقِ .

وَقَدْ كَانَتْ صُحْبَةُ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ^(٦) لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْخَلِيعِ ، وَالْمَاجِنِ الرَّقِيعِ ، أَبِي نُوَّاسٍ

(١) فِي م : : إِصْلَاحُ نَفْسِهِ .

(٢) السُّفْسَافُ : الرَّدَى وَالْحَقِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٣) تَرْفِيعُهُ نَفْسَهُ : تَنْزِيعُهَا وَالْإِرْتِفَاعُ بِهَا .

(٤) سَفَطَتِ « أَهْلُ » مِنْ « ط » .

(٥) فِي « ط » : : « وَاللَّهُو وَالطَّرِبُ » .

(٦) فِي م : : « مُحَمَّدُ الْأَمِينِ كَذَلِكَ » وَهُوَ ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

الشاعر^(١) وَصَمَّةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهِ ، أَوْهَنَ^(٢) بِهَا سُلْطَانُهُ ، وَوَضَعَ^(٣) عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ قَلْرُهُ ، وَأَطْلَقَ^(٤) أَلْسِنَةَ الْخَلْقِ بِالشِّتْمِ وَالنَّشَاءِ الْقَبِيحِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَخَلَعَهُ بِذَلِكَ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ عَنِ الْوِلَايَةِ ، وَوَجَّهَ^(٥) طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ لِمَحَارَبَتِهِ بِبَغْدَادَ ، وَحَارَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَأَلْفَدَ^(٦) بِرَأْسِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ يَعْمَلُ كُتُبًا تُقْرَأُ عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَيَقِفُ الرَّجُلُ فَيَذُمُّ أَهْلَ الْإِرَاقِ فَيَقُولُ : أَهْلُ فُسُوقٍ وَخُمُورٍ وَمَنَاحِيرٍ ، وَيَعِيبُ الْأَمِينَ بِذَلِكَ فَيَقُولُ : اسْتَصْحَبَ أَبَا نُوَّاسٍ شَاعِرًا^(٧) مَاجِنًا ، كَافِرًا ، اسْتَخْلَصَهُ مَعَهُ لِشُرْبِ الْخُمُورِ ، وَارْتِكَابِ الْمَآثِمِ ، وَتَبِيلِ الْمَحَارِمِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَلَا فَاسْتَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تُسْقِنِي سِرًّا إِذَا أُمَكَّنَ الْجَهْرُ^(٨)
وَبُحْ بِاسْمٍ مِنْ تَهْوَى وَدَغْنِي مِنَ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِثْرُ^(٩)

(١) هو : الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح ، الحكيم بالولاء ، أبو نُوَّاس ، شاعر العراق في عصره ، ولد في الأهواز سنة ١٤٦ هـ - تقريباً - ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد ، فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ، وولد بعضهم ، واشتهر بشعره في الحمر والمجون . وتوفي سنة ١٩٨ هـ وفي تاريخ ولادته ووفاته خلاف .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٢٥ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٣٦ - ٤٤٩ ، والأغانى ج ٢٢ ص ٧٦٩٧ - ٧٧١٣ ، ومخزاة الأدب ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٩٦ - ٨٢٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ - ٣٤٧] .

(٢) أَوْهَنَ : أضعف .

(٣) وَضَعَ ، بالضَّم : صار وضعياً .

(٤) فِي م : « فَأَطْلَقَ » .

(٥) فِي م : « وَتَوَجَّهَ » .

(٦) أَلْفَدَ : أَرْسَلَ .

(٧) فِي م : « اسْتَصْحَبَ أَبُو نُوَّاسٍ رَجُلًا » ولا يستقيم المعنى بهذه العبارة ، لأن الذي اسْتَصْحَبَ هو الأمين ، والمستصحَب أبو نواس .

(٨) هكنا البيت في ط .. والديوان .. والشطرة الثانية من البيت في م : « وَلَا تُسْقِنِي جَهْرًا فَقَدْ أُمَكَّنَ الْجَهْرُ » ، تحريف من الناسخ .

(٩) في الديوان « فَبُحْ » .. وفي م : « أَهْوَى » مكان « تَهْوَى » .. والمجاهرة بالمصبيان - في رأى أبى نُوَّاس - فيها لَذَنان : لَذَّةُ توكيد الشعور بالحربة ، ولذَّةُ رؤية تشهيبها في عيون الآخرين ، فهو لهذا يطلب من الساق أن يسقيه جهراً ما أمكن ، وأن يوح باسم مَحْبُوبِهِ صريحاً بلا كتابة ولا تورية .

[انظر ديوان أبى نواس ص ٢٨ ط دار الكتاب العربي] .

حَتَّى تَغِيْرَتْ عَلَيْهِ نَفْسُ الْخَلْقِ ، وَتَنَكَّرَتْ لَهُ وَجُوهُ الْوَرَى ^(١) ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَمِينُ حَبْسَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ بَعْدَ أَنْ أُخِذَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَشْرَبَ خَمْرًا ، وَلَا يَقُولَ فِيهِ شَيْعْرًا .

فَمَتَى أَرَادَ السُّلْطَانُ إِصْلَاحَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ مُتَمَادٍ ^(٢) عَلَى سَيِّئِ أَخْلَاقِهِ ، كَانَ كَمَنْ أَرَادَ بَقَاءَ الْجَسَدِ مَعَ فَقْدِ رَأْسِهِ ، أَوْ أَرَادَ اسْتِقَامَةَ الْجِسْمِ ^(٣) مَعَ عَدَمِ حَيَاتِهِ ، وَكَمَنْ أَرَادَ تَقْوِيمَ الضُّلْعِ مَعَ اغْوِجَاجِ الشَّخْصِ ، وَكَيْفَ يَحْيَا الثُّونُ ^(٤) مَعَ فَسَادِ الْمَاءِ ، وَلَقَدْ أَصَابَ الْخُلَيْلُ ^(٥) فِي قَوْلِهِ : أَصْلِحْ نَفْسَكَ لِتَفْسِكَ يَكُونُ النَّاسُ لَكَ تَبَعًا ^(٦) . وَقَدِيمًا قِيلَ : مَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ أَرْغَمَ أَنْفَ أَغْدَائِهِ ، وَمَنْ أَعْمَلَ جِدَّهُ ^(٧) بَلَغَ كُنْهَ أَمَانِيهِ ، وَسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِمِ يَنْتَقِمُ الْإِنْسَانُ مِنْ عَدُوِّهِ ؟ فَقَالَ : بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ .

وَلِأَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

إِذَا عَدَا مَلِكٌ بِاللَّهِوِ مُشْتَفِلًا فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ ^(٨)
أَمَّا تَرَى الشَّمْسَ فِي الْعِيزَانِ هَابِطَةً لَمَّا عَدَا وَهُوَ بَرُّجُ اللَّهِوِ وَالطَّرَبِ

(١) في م : : : وَجُوهُ الرُّأْيِ .

(٢) في م : : : مُتَمَادٍ بِالْبَاءِ ، لَا تَصَحُّ .

(٣) في م : : : الْجَسَدِ .

(٤) الثُّونُ : الْحَبُوتُ .

(٥) هُوَ : الْخُلَيْلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو الْفَرَاهِيدِي ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مِنْ أَعْلَمَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، وَوَضَعَ عِلْمَ الْعُرُوضِ ، وَكَانَ شَاعِرًا ذَكِيًّا قَلِيلًا ، وَلَهُ مَصْنُوعَاتٌ أَشْهَرُهَا كِتَابُ « الْعَيْنِ » فِي اللُّغَةِ . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَفِيفَ النَّفْسِ ، وَمِنْ أَزْهَدِ النَّاسِ ، كَانَ الْمُلُوكُ يَحْضُرُونَ لِإِعْطَائِهِ وَهُوَ لَا يَقْبَلُ ، وَعَاشَ فَقِيرًا ، تَوَفَّى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٧٠ هـ وَقِيلَ : ١٧٥ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام - وفيها أنه ولد بالبصرة ، والصواب أنه ولد بعمان - ج ٢ ص ٣١٤ ، وطبقات اللغويين والنحويين للزبيدي ص ٤٧ - ٥١ ، وإشارة التحيين في تراجم النحاة واللغويين ص ١١٤ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٤ ، وإنباه الرواة ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٨٢ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٨ ، والمعارف ص ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ومعجم الأدباء ج ١١ ص ٧٢ - ٧٧ ، ومعجم المؤلفين ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ، وشنكرات الذهب ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٧] .

(٦) في ط : : : تَكُونُ النَّاسُ تَبَعًا لَكَ .

(٧) أَعْمَلَ جِدَّهُ : بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْإِحْسَانِ .

(٨) الْحَرْبُ : الْهَلَاكُ .

وَصَحْبَةُ الْأَشْرَارِ ثَوْرِيُ الشَّرِّ ، كَالرَّيْحِ إِذَا مَرَّتْ عَلَى التَّنِّ حَمَلَتْ تَنَّا ^(١) ،
وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيْبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا ، فَمَحَالُ اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِكَ وَأَنْتَ ^(٢) فَاسِدٌ ،
وَأَرْشَادُهُمْ وَأَنْتَ غَاوٍ ، وَهِدَايَتُهُمْ وَأَنْتَ ضَالٌّ ، وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَعْمَشُ
كَحَالٍ ^(٣) . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : يَا طَيِّبُ ، طِبْ نَفْسَكَ ^(٤) . وَكَيْفَ يَقْدِرُ الْأَعْمَى عَلَى أَنْ
يَهْدِيَ ^(٥) وَالْفَقِيرُ عَلَى أَنْ يُعْنَى ؟ وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنْ يِعِزَّ ؟ فَبَعْدُكَ عَنْ تَطْهِيرِ غَيْرِكَ مِنْ
الْعُيُوبِ قَبْلَ تَطْهِيرِ نَفْسِكَ ^(٦) كَبَعْدِ الطَّيِّبِ عَنْ إِبْرَاءِ غَيْرِهِ مِنْ ذَايِهِ بِهِ ^(٧) . مِثْلُهُ .

وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ ^(٨) : لَنْ يَتْلُعَ أَلْفُ رَجُلٍ فِي إِصْلَاحِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِحُسْنِ
الْقَوْلِ دُونَ حُسْنِ الْفِعْلِ مَا يَتْلُعُ ^(٩) رَجُلٌ وَاحِدٌ فِي إِصْلَاحِ أَلْفِ رَجُلٍ بِحُسْنِ الْفِعْلِ دُونَ
الْقَوْلِ ، وَفِيهِ قَالَ الْقَائِلُ ^(١٠) :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ ^(١١)
نُصِيفُ الدَّوَاءِ لِذِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَى كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ ^(١٢)

(١) التَّنُّ : الرائحة الخبيثة . وفي « د م » : « إِذَا مَرَّتْ عَلَى التَّنِّ حَمَلَتْ تَنَّا » . تحريف .

(٢) في « د م » : « فَانْتَ » تحريف .

(٣) الْأَعْمَشُ : الذي ضعف بصره ويسيل دمع عينيه في أكثر الأوقات . والكُحَالُ : مَنْ يَدَاوِي الْعَيْنَ بِالْكُحْلِ .

(٤) طِبْ نَفْسَكَ : عَلِيجُهَا وَدَاوِ أَمْرَاضِهَا .

(٥) يَهْدِي : يُرْشِدُ السَّائِرَ إِلَى الطَّرِيقِ وَيُضِيئُهُ لَهُ .

(٦) هنا في « د م » كَرَّرَ النَّاسُ الْجُمْلَةَ السَّابِقَةَ « وَكَيْفَ يَقْدِرُ الْأَعْمَى سَهْوًا مِنْهُ .

(٧) في « د م » : « مِنْ ذَايِهِ » .

(٨) في « د م » : « وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ » .

(٩) في « ط » : « كَمَا يَتْلُعُ » .

(١٠) بعض هذه الأبيات يُنْسَبُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَهْشَلٍ الْبَيْهِيِّ ، مِنْ شُعْرَاءِ « الْحِمَاسَةِ » ، وَكَانَ عَلَى
عَهْدِ مُعَاوِيَةَ .. وَتُنْسَبُ أَيْضًا إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ الْمُتَوَلَّى سَنَةَ ٦٩ هـ .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٧٥ ، والأغانى ج ١٢ ص ٤٣٢٥ - ٤٣٣٤ ، ومنهاج
القيين ص ٤٤ ، وأدب الدنيا والدين ص ٤٤ ، ٤٥] .

(١١) الأبيات من الكامل . وهَلَّا : حَرْفُ تَحْضِيضٍ ، وَهُوَ حَمْلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الشَّيْءِ . وَ « ذَا » اسْمُ إِشَارَةٍ . أَيْ :
هَلَّا كَانَ ذَلِكَ التَّعْلِيمُ لِنَفْسِكَ . وَهَلَّا هُنَا لِلزَّمَنِ الْمُخَاطَبِ ، لِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْمَاضِي .

(١٢) الشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنَ الْبَيْتِ فِي « ط » : « نُصِيفُ الدَّوَاءِ مِنَ السَّقَامِ لِذِي الضَّنَى » .

- مَا زِلْتَ تُلْقِحُ بِالرُّشَادِ عُقُولَنَا عِظَةً وَأَنْتَ مِنَ الرُّشَادِ عَدِيمٌ ^(١)
 أَبَدًا بِنَفْسِكَ فَالْتَهَهَا عَنْ غِيهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ ^(٢)
 فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا نَقُولُ وَيُقْتَدَى بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ ^(٣)
 لَأَنَّهُ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ ^(٤)

وَلَكِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي صَلَاحِهِمْ عِنْدَ قَوْتِ صَلَاحِهِ ^(٥) اسْتِعْمَالُهُ عَلَيْهِمُ الْخَاصَّةَ مِنْهُمْ ، وَذَوَى الْأَحْلَامِ الرَّاجِحَةِ ^(٦) ، وَالْمُرَوَّاتِ الْقَائِمَةِ ، وَالْأَذْهَالِ الطَّاهِرَةِ ^(٧) ، فَمَتَى رَأْسُ الْعَامَةِ سَرَّاهُمْ ^(٨) فَهَوَ الطَّرِيقُ إِلَى حِفْظِ أَذْيَانِهِمْ ^(٩) وَمُرُوءَتِهِمْ ، وَتَمَاسُكِهِمْ عَنِ الْإِهْمَاكِ فِي الْمَحْظُورَاتِ ، وَمَلَابَسَةِ ^(١٠) الْمُحَرَّمَاتِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

= والشرطة الثانية في م م : : وَمِنَ الصَّنَا مَذْ كُنْتُ أَنْتَ سَقِيمٌ .

وما ورد في ط هو المشهور .. والسَّقام : المرض . والضئى : المرض العضال أو الهزال الشديد ، وعطفه على المقام من عطف الخاص على العام .. ويصح : يراً من مرضه .

(١) هكذا البيت في ط .. ولى م م : : صِفَةً مكان عِظَةً . والبيت في منهاج اليقين :

ونراك تصلح بالرشاد طفولنا أبداً وأنت من الرشاد عديم

ومعنى تُلْقِحُ هنا : تُهَلِّبُ وتصلح .. وعديم : معلوم .

(٢) هكذا البيت في ط . والمقد الفريد وعيون الأخبار .. ولى م م : : فَإِنْ انْتَهَتْ عَنْهُ ، والضمير في عنه .

راجع إلى « التَّمْيِ » .

(٣) البيت في عيون الأخبار ، وفي منهاج اليقين ، وأدب الدنيا والدين :

فهناك لَعْدَرُ إِذْ وَعَطْتُ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ

والمصدرين الآخرين : إِنَّ ، بَدَلْ إِذْ .

(٤) وتأْتِي : وتفضل ، الواو هنا للجمعية ، و « تَأْتِي » مضارع منصوب بأن مُضْمَرَةٌ ، وعند الكوفيين : الواو

للصرف ، وسُمِّيَتْ هكذا لأن الفعل يُصَنَّبُ بعدها إرشاداً بصرفه عن سنن الكلام إلى أنها ليست عاطفة ، فالصورة هنا صورة السلف ، والمعنى على الصرف ، إذ ليس القرض نبى الإتيان : أى : ولا تَأْتِي « عطف على لَأَنَّهُ » .

(٥) في م م : : عند قرب صَلَاحِهِمْ .

(٦) ذوى الأحلام الراجحة : أصحاب العقول الرزينة المتزنة ، و « الراجحة » عن م م .

(٧) طاهر الذيل ، أى : مُتَزَرَّةٌ عَفِيفٌ .. والأذْهَالُ الطَّاهِرَةُ : الرجال الذين يتصفون بالأخلاق الحميدة .. وهى

كتابة من العفة والنزاهة .

(٨) سررائهم : أشرائهم .

(٩) في م م : : أَوْقَاتِهِمْ « مكان » أَذْيَانِهِمْ « تصحيف .

(١٠) مُلَابَسَةٌ : مُخَالَطَةٌ .. ولى م م : : مُلَازِمَةُ الْمُحَرَّمَاتِ .

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَتْهُمْ سَادُوا ^(١)
وَقَالَ مَزْدَكُ الْفَارِسِيُّ ^(٢) خَلَقَانِ ^(٣) فِي السُّلْطَانِ أَقْرَبُ إِلَى صَلَاحِ الرَّعِيَّةِ ^(٤) مِمَّا
سِوَاهُمَا : ثِقَّةُ الرَّأْيِ ^(٥) ، وَشِدَّةُ الرَّحْمَةِ .

وَمَا أَحَقُّ السُّلْطَانَ أَنْ يَسْلُكَ بِالرَّعِيَّةِ كُلِّ سَبِيلٍ يَصْلُحُونَ عَلَيْهِ وَيَسُودُونَ مَعَهُ ،
فَجَبِيذٌ يَكُونُ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ ^(٦) ، وَأَمِيرًا عَلَى السَّادَةِ وَالْفَضَلَاءِ ، وَإِنْ أَهْمَلَهُمْ وَرَكُوبَ
شَهَوَاتِهِمْ وَتَوَسَّطَ لَذَائِهِمْ ، ذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُمْ ، وَاضْمَحَلَّتْ أَذْيَانُهُمْ ^(٧) ، وَتَقَوَّا - كَمَا
جَاءَ الْمَثَلُ ^(٨) - فِي الْجَمَاعَةِ الْمَذْمُومَةِ ، تَقُولُ الْعَرَبُ فِي الْقَوْمِ لَا رُؤْسَاءَ فِيهِمْ ،
وَلَا سَرَاةَ ^(٩) بَيْنَهُمْ : هُمْ ^(١٠) سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْتَانِ الْجِمَارِ . وَتَقُولُ : سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْتَانِ
الْمِشْطِ .. وَفِيهِمْ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

سَوَاسِ كَأَسْتَانِ الْجِمَارِ فَلَا تَرَى لِيذِي شَيْئَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلًا ^(١١)
وَلَا أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الْفَضَلَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الْأَخْسَاءِ

(١) في « م » : لا تصلح الناس ، وسادوا : صاروا سادةً وأشرافاً .

(٢) صاحب مذهب في الأمة الفارسية ، ظهر على أيام كسرى المُسَمَّى « قُبَاد » وكان يرى أن الله جعل الأرض للعباد بالسوء ، فتظالم الناس واستأثر بعضهم على بعض ، ومن ثَمَّ رأى أن يعدل القسمة بين الناس ، ويرد على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، فكان أعوانه يدخلون على الرجل فيغلبون على أموال ونسائه ويحلبونها نهباً مُباحاً .. ولكن رجلاً من الأشراف - اسمه ابن ماجور - نهض في جماعة من أصحابه قتلوه سنة ٥٣١ من الميلاد .
[انظر إجماع الأعلام ص ١٨٤] .

(٣) في « م » : « تحصَّلتان » وهي بمحاها .

(٤) في « م » : « أقرب إلى الرعية » .

(٥) ثقة الرأي : إحكامه : وفي « م » : « ثِقَّةُ الرَّأْيِ » أى : خلاصته وجوْده .

(٦) في « م » : « يكون رئيساً وأميراً » .

(٧) في « ط » : « ذَهَبَتْ أَذْيَانُهُمْ ، وسقطت مروائهم » .

(٨) في « م » : « كما قال المَثَلُ » .

(٩) في « ط » : « سَرَوَات » وهي جمع « سَرَاة » ، وسرارة جمع « سَرِيٌّ » فهي جمع الجمع .

(١٠) الضمير « هم » عن « ط » .

(١١) في « م » : « سواسية ولا يستقيم بها الوزن » .

وَالرَّمَادِيَّةِ وَالْعَوَاغِ وَالْأَذْنِيَاءِ ^(١) . وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمًا ، وَقَدْ اسْتَقَامَ لَهُ
الْأَمْرُ : مَنْ يَغْلِبُنِي ^(٢) مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَإِنَّهُ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ فِي سُلْطَانِي ؟ فَقَالَ
بَعْضُ جُلَسَائِهِ : تَسْتَحْضِرُهُ وَتَضْرِبُ عُنُقَهُ وَتَسْتَرِيحُ مِنْهُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَيْلَكَ ! إِذَا
فَقَلْتُ ابْنَ عُمَرَ ، عَلَى مَنْ أَكُونُ أَمِيرًا ؟

وَلَمَّا صَارَ دَاوُدُ ^(٣) إِلَى الْحِجَازِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ لِيَقْتُلَ مَنْ هُنَاكَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ،
قَالَ ^(٤) لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ ^(٥) : يَا بْنَ عَمٍّ ^(٦) ، إِذَا أَسْرَعْتَ فِي قَتْلِ أَكْفَائِكَ فَمَنْ
تُبَاهِي بِسُلْطَانِكَ ؟ أَعَفُ يَعْفُ اللَّهُ عَنْكَ ، فَقَعَا . وَقَالَ أَرْسَطَا طَالِيسُ لِلْإِسْكََنْدَرِ :
اسْتَصْلِحِ الرُّعِيَّةَ وَأَذِيبْ شَرَّهُمْ ، تَكُونُ رَئِيسًا لِاخْتِيَارِ ^(٧) مَمْدُوحِينَ ، وَلَا تُكُنْ ^(٨)
رَئِيسًا لِأَشْرَارِ مَذْمُومِينَ فَتَكُونُ كَرَاعِي الْبَقَرِ .

* * *

(١) في م : : : والغاغة والدُّنَاء .. والرمادية ، نسبة إلى الرُّمَاد ، والمراد بها هنا : الكثرة التي لا فائدة تُرْجَى منها . والعَوَاغ : السُّفْلَةُ مِنَ النَّاسِ . والدُّنَاء : جمع دَنَى ، وهو الخسيس اللُّون .

(٢) يَغْلِبُنِي مِنْ فُلَانٍ أَيْ : يُلَوِّمُهُ عَلَى فِعْلِهِ .

(٣) هو : داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو سليمان ، أمير من بني هاشم ، و هو عم السُّفَّاحِ العباسي ، كان خطيباً فصيحاً ، ومن كبار القائمين بالثورة على بني أُمَيَّةَ ، ولَّاهُ السُّفَّاحُ إمارة الكوفة ثم عزله عنها ، وولَّاهُ إمارة المدينة ومكة واليمن والجماعة والطائف ، فانصرف إلى الحجاز وأقام في المدينة ، وتوفى بها سنة ١٣٣ هـ ، وهو أول من وَلَّى المدينة من بني العباس .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٣٣ ، والمحرر ص ٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٣ ، ١٤ ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٦ ، و ٣٤٠ ، ٣٤١] .

(٤) في م : : : فَقَالَ .

(٥) في م : : : الحسين تصحيف . وهو : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٤١ ، حوادث سنة ١٣٣ هـ] .

(٦) هكذا في ط .. وفي م : : : يا عَمٍّ .. وفي المصدر السابق : : : يا أُنْخَى .

(٧) في م : : : لِأَجْنَادٍ .

(٨) في ط : : : وَلَا تَكُونُ .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِيمَا يَمْلِكُ السُّلْطَانُ مِنَ الرِّعْيَةِ

كَتَبَ أَرِسْطَا طَالِيْسُ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِ : اَمْلِكِ الرِّعْيَةَ بِالْإِحْسَانِ نَظْفَرَ مِنْهُمْ بِالْمَحَبَّةِ ، فَإِنْ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ هُوَ أَذْوَمُ ^(١) بَقَاءَ مِنْهُمْ بِالْإِعْتِسَافِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَمْلِكُ الْأَبْدَانَ ، فَتَحْطَأْهَا إِلَى الْقُلُوبِ بِالْمَعْرُوفِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ مَلَكَ قُلُوبَ الرِّعْيَةِ ، وَإِذَا جَارَ لَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّبَاءَ وَالتَّصْنُغَ ^(٢) . وَفِي سَبِيلِ الْمُتَقَدِّمِينَ : قُلُوبُ الرِّعْيَةِ خَزَائِنُ مُلُوكِهَا ، فَمَا أَوْدَعُوها مِنْ شَيْءٍ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ فِيهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّعْيَةَ إِذَا قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَقُولَ ، قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَفْعَلَ ، فَاجْتَنِبْ أَنْ لَا تَقُولَ تَسْلَمَ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ . وَلَيْسَ هَذَا خِلَافَ مَا رَوَى عَنْ مُعَاوِيَةَ : أَنَّ رَجُلًا أَغْلَظَ لَهُ ، فَحَلَمَ عَنْهُ ^(٣) ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَحْلُمُ عَنْ ^(٤) مِثْلِ هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ

(١) فِي هـ هـ : : طَلَبَ ذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ أَذْوَمُ هـ .

(٢) التَّصْنُغُ : التَّظَاهَرُ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ .

(٣) حَلَمَ : صَفَحَ . . وَفِي هـ ط هـ : : حَلَمَ عَلَيْهِ هـ .

(٤) فِي هـ ط هـ : : عَلَى هـ .

وَالسَّيِّئَةُ مَالَهُمْ يَحُولُوا ^(١) بَيْنَنَا وَبَيْنَ سُلْطَانِنَا ، وَذَلِكَ أَنْ تُفْسِرَ قَوْلَهُ : فَاجْتَهِدْ أَنْ لَا تَقُولَ ، يَعْنِي : إِذَا عَدَلْتُ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِشَيْءٍ .

وَهَذِهِ السَّيِّرَةُ أَحْسَنُ مِنْ سَيِّرَةِ أَرْدَشِيرَ ^(٢) لَمَّا رُفِعَ إِلَيْهِ أَنْ جَمَاعَةٌ مِنْ بَطَائِنِهِ قَدْ فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ^(٣) ، فَوَقَّعَ : نَحْنُ مَعَاشِرَ الْمُلُوكِ ، إِنَّمَا نَمْلِكُ الْأَجْسَادَ لَا النَّيَّاتِ ^(٤) ، وَنَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لَا بِالرَّضَا ، وَنَفْخَصُ عَنِ الْأَعْمَالِ ^(٥) لَا عَنِ السَّرَائِرِ . قُلْتُ : وَإِنَّمَا تَحْسُنُ هَذِهِ السَّيِّرَةَ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الْأَوَّلَى ، لِأَنَّ مِلْكَ الْأَجْسَادِ قَدْ يَكُونُ بِالْعَدْلِ وَالظُّلْمِ ، وَمِلْكُ الْقُلُوبِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَدْلِ ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ - وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ رَكِيبَتْ أُمْسٍ فِي عِدَّةٍ قَلِيلَةٍ ، وَتِلْكَ حَالَةٌ لَا يُؤْمَنُ اغْتِيَالُ الْأَعْدَاءِ فِيهَا ، فَوَقَّعَ : مَنْ عَمَّ إِحْسَانُهُ أَمِنَ أَعْدَاءُهُ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ ^(٦) الرَّائِحِ عَلَى فِرَاحِهِ ، يُنْقَى عَنْهُمْ الْقَذَرُ ^(٧) ، وَيُنَاعِدُ عَنْهُمْ الْحَجَرُ ، وَيَكْنُتُهُمْ مِنَ الْمَطَرِ ^(٨) ، وَيَحْجِمِيهِمْ مِنَ الضُّبَابِ ^(٩) وَيَحْرُسُهُمْ مِنَ الذُّنَابِ .. يَا أَهْلَ الشَّامِ ، أَنتُمْ الْجُبَّةُ ^(١٠) وَالرِّدَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْجَدَاءُ ^(١١) . وَقَالَتِ الْعَجَمُ : أَسْتَوْسُ الْمُلُوكِ مَنْ قَادَ

(١) في (م) : « يحونا » تصحيف .

(٢) في (م) : « أزدشير » .

(٣) في (م) : « قلوبهم » ، ولا فرق بينهما ، فالتَّيَّةُ عملها القلب .
وَوَقَّعَ : كَتَبَ فِي أَسْفَلِ الصَّحِيفَةِ أَوْ الْفُرْطَاسِ الَّذِي رَفَعَ إِلَيْهِ .

(٤) في (م) : « لا القلوب » .

(٥) في (م) : « الإهمال » .

(٦) الظَّلِيمُ : ذَكَرَ التُّعَامَ .

(٧) يُنْقَى : يَنْظَفُ .. وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ : يَنْقَى ، أَيْ : يَعِدُ . وَالْقَذَرُ : الْوَسَخُ .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٦٣] .

(٨) يَكْنُتُهُمْ : يَسْتُرُّهُمْ وَيَحْمِيهِمْ .

(٩) الضُّبَابُ : جَمْعُ ضَبٍّ ، وَهُوَ دَوَّيَّةٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ ، يُشْبِهُ الْوَزَلَ .

(١٠) هَكَذَا فِي (م) وَ (ط) .. وَالْجُبَّةُ : ثَوْبٌ وَاسِعُ الْكُمَيْنِ ، مُشَقَّقُ الْمُقَدَّمِ ، يُلبَسُ فَوْقَ الثِّيَابِ .. وَفِي

عِيُونِ الْأَخْبَارِ « الْجُبَّةُ » أَيْ : الْمُسْتَرَّةُ ، وَكُلُّ مَا وَفَى مِنْ سِلَاحٍ .

(١١) الْعُدَّةُ : الْقَوْنُ ، أَوْ مَا يُعَدُّ لِأَمْرِ بِحَدَثٍ .. وَالْجَدَاءُ : الْقَتَاءُ وَالنَّفْعُ .

رَعِيَّتُهُ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُلُوبِهَا . وَلَا يَتَّبِعِي لِلْوَالِي أَنْ يَرْعَبَ فِي الْكِرَامَةِ الَّتِي يَنَالُهَا مِنَ الْعَامَّةِ
كُرْهَا ، وَلَكِنْ فِي الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا بِحُسْنِ الْأَثَرِ ، وَصَوَابِ التَّذْيِيرِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(١) : إِنِّي لِأَجْمِعُ ^(٢) أَنْ أُخْرِجَ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرًا
مِنَ الْعَدْلِ ، فَأَخَافُ أَنْ لَا تَحْمِلَهُ قُلُوبُهُمْ ، فَأُخْرِجُ مَعَهُ طَمَعًا مِنْ طَمَعِ الدُّنْيَا ، فَإِنْ
تَقَرَّبَ الْقُلُوبُ مِنْ هَذَا سَكَنَتْ إِلَى هَذَا . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادَ : مَنْ أَسْوَسَ النَّاسَ ، أَنَا أَوْ
أَنْتَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا جَعَلَ اللَّهُ رَجُلًا حَفِظَ النَّاسَ ^(٣) بِسَيْفِهِ كَمَنْ أَسْمَعَ
النَّاسَ ^(٤) وَأَطَاعُوا لَهُ بِاللَّيْنِ . وَيُرْوَى أَنَّ سُلَيْمًا ^(٥) مَوْلَى زِيَادَ فَحَرَ زِيَادَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ،
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَسْكُتْ ، فَمَا أَذْرَكَ صَاحِبِكَ بِسَيْفِهِ أَذْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ يَلْسَانِي ^(٦) .

* * *

(١) رحمه الله عن م . م .

(٢) أجمع : أغرم . أو : أعقد نيتي على كذا .

(٣) في م . م . : « حَفِظَ الدِّينَ » .. وحفظ الناس بسيفه : جعلهم يطيعونه ويتقادون له بالقوة .

(٤) في م . م . : « كَمَنْ سَمِعَ النَّاسَ » .

(٥) في م . م . : « سليم » والصواب بالنصب . وهو : سُلَيْمٌ ، بالتصغير ، مولى زياد بن أبيه .

[انظر عيون الأخبار ج ١ ص ٦٢] .

(٦) هكذا في ط .. وفي م . م . : « لَا أَذْرَكَتُ » .. وفي عيون الأخبار : « مَا أَذْرَكَ صَاحِبِكَ شَيْئًا قَطُّ بِسَيْفِهِ إِلَّا

وَقَدْ أَذْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ يَلْسَانِي » .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٦٣ ط دار الكتب العلمية] .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي التَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ

اِتَّفَقَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَوَصَايَاهُمْ عَلَى التَّنْهَى عَنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ ، قَالَ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ ^(١) : ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَمُ عَلَيْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَشُرْبُ السُّمِّ عَلَى التَّجَرِّيَةِ . وَكَانَ يُقَالُ : قَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ خَطَرًا صُحْبَةُ السُّلْطَانِ . وَقَالَ مَزْدَكُ : أَحَقُّ الْأُمُورِ بِالتَّيَبُّتِ فِيهَا ، أَمْرُ السُّلْطَانِ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ يَغْيِرَ عَقْلَ ، فَقَدْ لَيْسَ شِعَارَ الْغُرُورِ . وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ أَيْضًا : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ - عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ - عَظِيمَةُ الْخَطَرِ ، وَإِنَّمَا تُشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوَعْرِ ، فِيهَا ^(٢) الثَّمَارُ الطَّيِّبَةُ ، وَالسَّبَاغُ الْعَادِيَةُ ^(٣) ، وَالنَّعَائِينُ الْمُهْلِكَةُ ، فَالْإِرْتِقَاءُ ^(٤) إِلَيْهِ شَدِيدٌ ، وَالْمَقَامُ فِيهِ أَشَدُّ .

(١) هو كتاب في تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق ، تجري أحاديثه البليغة على ألسنة الطير والحيوان ، وقد وضعه علماء الهند ، ونقله عبد الله بن المقفع من الفهلوية إلى العربية ، ولهذا الكتاب طبعات كثيرة .

[انظر مقدمة كليله ودمنة التي كتبها عبد الوهاب عزام ، وتصدير طه حسين ط دار المعارف] .

(٢) تُشَبَّهُ ، أَيْ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ .. الْجَبَلِ الْوَعْرِ : الصَّعْبُ الْخَفِيفُ .. وَفِي « م » : « يُشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوَعْرِ فِيهِ » أَيْ : السُّلْطَانِ .

(٣) العادية : التي تملو على غيرها من الحيوان وتفتقرسها .

(٤) فِي « م » : « وَالْإِرْتِقَاءُ » أَيْ : الصُّعُودُ .

وَلَيْسَ يَتَكَافَأُ خَيْرَ السُّلْطَانِ وَشَرُّهُ ، لِأَنَّ خَيْرَ السُّلْطَانِ لَا يَعْدُو مَزِيدَ الْحَالِ ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ قَدْ يُزِيلُ الْحَالَ ، وَيَتَلَفُ النَّفْسَ الَّتِي لَهَا طَلَبُ الْمَزِيدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِي سَلَامَتِهِ مَالٌ وَجَاهٌ ، وَفِي تَكْثِيرِهِ الْجَائِحَةُ ^(١) وَالتَّلَفُ ، وَلِهَذَا لَمَّا قِيلَ لِلْعَتَابِيِّ ^(٢) : لِمَ لَا تَصْحَبِ السُّلْطَانَ عَلَى مَا فِيكَ مِنَ الْأَدَبِ ؟ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُهُ يُعْطِي عَشْرَةَ آلَافٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَيُرْدِي مِنَ الصُّورِ ^(٣) فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَلَا أَدْرِي أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَكُونُ .

وَأُخْبِرَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَحَازِيُّ ، وَكَانَ مِمَّنْ دَوَّخَ أَرْضَ الصِّينِ ^(٤) إِلَى جَبَلِ الْيَاقُوتِ بِالْهِنْدِ ، وَأَنَّ فِيهِ نَعَابِينَ لَيْسَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْهَا ، فَإِنَّ ^(٥) الْوَاحِدَ مِنْهَا لَيَبْلُغُ ^(٦) الثَّوَرُ صَحِيحًا ، فَلَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ ، وَلَا يَقْرُبُهُ ، فَإِذَا كَثُرَتِ الْأَمْطَارُ أُحْدِرَتِ السُّيُولُ مِنْهُ الْحَصَى ^(٧) وَسَارَتْ مَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ إِلَى مُسْتَقَرِّ الْمِيَاءِ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ ^(٨) مِنَ الْجَبَلِ ، فَيَبْحَثُ النَّاسُ ذَلِكَ الْحَصَى ، فَيُوجَدُ فِيهِ الْوَاحِدَةُ بَعْدَ الْوَاحِدَةِ مِنْ أَحْجَارِ الْيَاقُوتِ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ^(٩) : إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ ، فَإِنَّهُ يَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِيِّ ، وَيَرْضَى رِضَا الصَّبِيِّ ، وَيَبْطِشُ بَطْشَ الْأَسَدِ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَوْ كُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَامَّةِ مَا صَحَبْتُ السُّلْطَانَ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : ثَلَاثَةٌ لَا أَقُولُهُنَّ إِلَّا لِيُعْتَبَرَ بِهِنَّ :

(١) الجائحة : الضميمة .

(٢) هو كلثوم بن عمرو التغلبى ، وقد مر التعريف به .

(٣) يردي من الصور : يهلك من أمثالهم وقربهم إليه .

والصور : مصدر من : صارَ يَصُور ، بمعنى أمال وقرب .

(٤) هكذا في م .. وفي ط : دَوَّخَ أَرْضَ الْهِنْدِ وَالصِّينَ ، وانتهى إلى صين الصين ، ودَوَّخَ أَرْضَ الصِّينِ ،

أى : سار فيها حتى عرفها ، ولم يُلْحَفْ عليه طَرَفُهَا .

(٥) في م : : : : : وَإِنَّ .

(٦) في ط : : : : : لِيَبْلُغَ ، بِالْفَعْلِ الْمُعْجَمَةِ . أَى : فِي حَاجَتِهِ .

(٧) أُحْدِرَتِ السُّيُولُ الْحَصَى : دَفَعَتْهُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلِ .. وفي م : : : : : أَحْدَرَتْ ، مَكَانَ : أَحْدَرَتْ .

(٨) في ط : : : : : مَسِيرَ أَيَّامٍ .

(٩) قاله معاوية لأبي الجهم القلوذي ، وهو من قريش ، من بني عُذَيٍّ بْنِ كَعْبٍ .

[انظر عيون الاخبار ج ١ ص ٣٩٨ ط دار الكتب العلمية] .

لَا أُخْلَفُ جَلِيسِي ^(١) إِلَّا بِمَا أَخْضَرُّهُ بِهِ ، وَلَا أُدْخَلُ فِي أَمْرِ لَا أُدْخَلُ فِيهِ ^(٢) ، وَلَا آتِي السُّلْطَانَ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ إِلَيَّ . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ لِإِيَّاهُ : إِنْ وَجَدْتَ مِنَ السُّلْطَانِ وَصْحِيئِهِ ^(٣) غَنًى ، فَأَغْنِ عَنْهُ نَفْسَكَ ^(٤) ، وَاعْتَزِلْهُ جَهْدَكَ ^(٥) ، فَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ السُّلْطَانُ بِحَقِّهِ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا ^(٦) ، وَمَنْ لَا يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ يُكْسِبُهُ الْفُضِيحَةَ ^(٧) فِي الدُّنْيَا ، وَالْوُزْرَ فِي الْآخِرَةِ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا مَيْمُونُ ، اخْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا : لَا تَصْحَبْ سُلْطَانًا وَإِنْ أَمَرْتَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا تَخْلُوقَ بَامْرَأَةٍ وَإِنْ أَقْرَأَتْكَ الْقُرْآنَ ، وَلَا تَصِلْ مَنْ قَطَعَ رَحِمَهُ ، فَإِنَّهُ لَكَ ^(٨) أَقْطَعُ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِ الْيَوْمِ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا .

وَفِي مَثْنَوِي الْحَكِيمِ : كَثْرَةُ الْأَشْغَالِ مُذْهِلَةٌ عَنْ وُجُودِ اللَّذَاتِ بِكُنْهَيْهَا . وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا وَبَلَّغْنَا ^(٩) مِمَّنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالَّذِينَ يُصْلِحُهُ ، فَقَسَدَ هُوَ بِهِ ^(١٠) ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

عَدَوِي الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةً وَالْجَمْرُ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَحْمَدُ ^(١١)

(١) أى : لا آخذ مكانه .

(٢) لا أدخل فيه ، أى : لم أذع إليه .

(٣) فى م : : : فى صحبته .

(٤) فى ط : : : عن نفسك .. وفى الأدب الكبير لابن المقفع : « فَأَغْنِ عَنْ ذَلِكَ نَفْسَكَ » .

[انظر المصدر السابق ص ٩٦]

(٥) أى : يَفْتَرِ طَائِفَتَكَ .

(٦) فى الأدب الكبير : « لَذَّةُ الدُّنْيَا وَعَمَلُ الْآخِرَةِ » .

(٧) فى المصدر السابق « يَخْتَلِ الْفُضِيحَةُ » .

(٨) فى م : : : « فَايْبَاكَ » مكان « فَإِنَّهُ لَكَ » تحريف .

(٩) قوله « وَبَلَّغْنَا » عن م : .

(١٠) فى م : : : ففسده به .

(١١) البيت من الكامل ، وهو فى أدب الدنيا والدين منسوب لأبي بكر الخوارزمي . ومعناه : أن عدوى الفساد تنتقل إلى صاحب الصالح أو العاقل أسرع من الفاسد ، ولا عكس .. ويَحْمَدُ : يسكن فيه .. وقبل هذا البيت : « لَا تَصْحَبِ الْكِسْلَانَ فِي حَالِهِ كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِهِ آخَرَ يَفْسَدُ » .

[انظر المرجع السابق ص ١٢٨]

وَمَثَلٌ مِّنْ يَصْحَبُ السُّلْطَانَ يُصْلِحُهُ ^(١) مَثَلٌ مِّنْ ذَهَبٍ لِّقِيمِ حَائِطًا مَّائِلًا فَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ لِقِيمَتِهِ ، فَخَرَّ الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَأَهْلَكَهُ . وَفِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْتَه : لَا يَسْعَدُ مَنِ ابْتَلَى بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ ، فَإِنَّهُ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وِفَاءَ ، وَلَا قَرِيبَ وَلَا حَمِيمَ ، وَلَا يُكْرَمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ ^(٢) إِلَّا أَنْ يَطْمَعُوا فِيْمَا عِنْدَهُ فَيَقْرَبُوهُ ^(٣) عِنْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا قَضَوْا حَاجَتَهُمْ تَرَكُوهُ ، وَلَا وَدَّ وَلَا إِحْسَاءَ ، إِلَّا الْبَلَاءُ يُجْزَى ، وَالذُّنْبُ لَا يُغْفَرُ لَهُ .

وَقَالَ بُزْجَمَهَرُ : لَا تَصْنَحْ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَالْبَذْلِ ، وَلَا مُوَاحَاةَ الْإِخْوَانِ إِلَّا بِاللِّينِ وَالْمُوسَاةِ . وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْفَرَسِ : الْمَالُ وَالسُّلْطَانُ مُفْسِدَانِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، إِلَّا لِرَجُلٍ لَهُ عَقْلٌ كَامِلٌ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَائِبِ الْأَسَدِ ، يَخَافُهُ ^(٤) النَّاسُ ، وَهُوَ لِمَرْكَبِهِ ^(٥) أَغْوَفٌ .

وَقَالُوا ^(٦) : مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ بِصِتْرِ جَمِيلٍ ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ ، وَاطْرَاجِ الْأَذَى ، وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ ، كَالْكُرْمِ ^(٧) لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ ، لَكِنْ بِأَذْنَاهَا . وَكَانَتْ ^(٨) الْعَرَبُ تَقُولُ : إِنْ لَمْ تُكُنْ مِنْ قُرْبَاءِ الْمَلِكِ ، فَكُنْ مِنْ بَعْدَائِهِ .. وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : إِنَّمَا مَثَلُ السُّلْطَانِ فِي قَلْبِهِ وَفَائِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ ^(٩) ، وَسَخَاءِ نَفْسِهِ عَمَّنْ فَقَدَهُ مِنْهُمْ ، كَمَثَلِ الصَّبِيِّ وَالْمُكْتَبِ ^(١٠) ، كُلَّمَا ذَهَبَ وَاحِدٌ جَاءَ آخَرُ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : السُّلْطَانُ دُو

(١) في م : : « لمصلحة » .

(٢) سقطت « أَحَدٌ » من ط .

(٣) في م : : « يَقْبَلُوهُ » .

(٤) في م : : « يُخَافُهُ » وكلاهما صواب .

(٥) الْمَرْكَبُ : ما يَرْكَبُ عليه ، وهو هنا « الأسد » .

(٦) في م : : « وقال » .

(٧) الْكُرْمُ : العنب .. والعبارة في م : : « كَالْأَمِّ لَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّجَرِ » وقوله : : « كَالْأَمِّ » تحريف .

(٨) في م : : « وقد كانت » .

(٩) في م : : « في أصحابه » .

(١٠) الْمَكْتُبُ : معلم الكتابة .. وفي م : : « كَمَثَلِ الْبَيْتِيِّ وَالْكَاتِبِ » .

والأول أَوْجَهُ تَمْثِيلًا .

عَدَوَاتٍ ، وَذُو بَكَوَاتٍ ، وَذُو تَدَارُؤٍ ^(١) تُرِيدُ : أَنَّهُ سَرِيعُ الانْصِرَافِ ، كَثِيرُ الْبَدَوَاتِ ،
هَجَّامٌ عَلَى الْأُمُورِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الذَّرَاءِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ .

* * *

(١) في « م » : « ذُو عَدَوَاتٍ » أى : سريع الانصراف والملايل .. وفي عيون الأخبار : « ذُو عَدَوَاتٍ وَذُو بَكَوَاتٍ »
بَكَوَاتٍ : كثير البَنَوَات . والعرب تقول للرجل الحازم : ذُو بَكَوَاتٍ ، أى : ذُو آرَاءٍ تَظْهَرُ لَهُ فَيَخْتَارُ بَعْضاً وَيُسْقِطُ
بَعْضاً .. والتَّدَارُؤُ : الدَّفْعُ . يعنى أَنَّهُ ذُو حِفَايَافٍ وَمَنْعَةٍ وَقُوَّةٍ عَلَى أَعْدَائِهِ وَمُدَافَعَةٍ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ لِي أَبِي : يَا بُنَيَّ ^(١) ، إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَخْلِيكَ ^(٢) وَيَسْتَشِيرُكَ ، وَيُقَدِّمُكَ عَلَى الْأَكْبَارِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) ، وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِخِلَالٍ ثَلَاثٍ ^(٤) : لَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا يُحَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ، وَلَا تُغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، قَالَ الشَّعْبِيُّ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ . قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَمِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ .. وَقَالُوا : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ^(٥) بِالْحَذَرِ ، وَالصَّدِيقُ بِالتَّوَاضُّعِ ، وَالْعَدُوُّ بِالْجَهْرِ ^(٦) ، وَالْعَامَّةُ بِالْبِشْرِ ، وَلَا تَحْكُمَ لِأَحَدٍ بِحُسْنِ رَأْيِ الْمَلِكِ إِلَّا بِحُسْنِ أَثَرِهِ .

قَالَ ^(٧) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَسْتَطِيعَ السُّلْطَانُ مَا كَتَمَكَ ، وَلَا تَفْشِيَ مَا أَطْلَعَكَ

(١) « يَا بُنَيَّ » عَنْ « ط » .

(٢) يَسْتَخْلِيكَ : يَخْلُو وَيَفْرُدُ بِكَ .

(٣) فِي « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٤) فِي « م » : « فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِخِلَالٍ » أَيْ : بِخِصَالٍ . وَسَقَطَ مِنْهَا « ثَلَاثٌ » .

(٥) فِي « م » : « وَقَالَ : أَصْحَابُ لِلْسُّلْطَانِ » وَالْأَخِيرَةُ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي « م » : « بِالْجَهْدِ » .

(٧) فِي « م » : « وَقَالَ » .

عَلَيْهِ .. مَنْ أَذَلَّ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ اسْتَقْلَلَهُ ، وَمَنْ ائْتَنَّ عَلَيْهِ عَادَاهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَ أَنَّهُ يَسْتَشِيرُ بَاعْدَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا زَادَكَ السُّلْطَانُ تَائِيْسًا فَرَدَّهُ إِجْلَالًا ، وَإِذَا جَعَلَكَ السُّلْطَانُ أُنْحَا فَاَجْعَلْهُ أَبَا ، وَإِنْ زَادَكَ إِحْسَانًا فَرَدَّهُ فِعْلَ الْعَبْدِ مَعَ سَيِّدِهِ ^(٢) ، وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِالذُّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ مَعَ النَّاسِ فَأَخْذُوا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، فَعَلَيْكَ بِالذُّعَاءِ لَهُ ^(٣) ، وَإِنْ تَزَلَّتْ مِنْهُ مَنْرِلَةُ الثَّقَةِ فَاغْزِلْ عَنْهُ كَلَامَ الْمَلِكِ ^(٤) ، وَلَا تُكْخِرْ فِي الدُّعَاءِ لَهُ ^(٥) عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ شِبْهٌ بِالْوَحْشَةِ وَالْعُرْبَةِ ، إِلَّا أَنْ تُكَلِّمَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ ، فَلَا تَأَلَّ ^(٦) بِمَا عَظُمَتُهُ وَذَكَّرْتُهُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ : لِيَكُنْ حَاجَتُكَ فِي سُلْطَانِكَ ثَلَاثَ خِلَالٍ : رِضَا رَبِّكَ ، وَرِضَا سُلْطَانِكَ ، وَرِضَا مَنْ تَلَى عَلَيْهِ . وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تُلْهُو عَنِ الْمَالِ وَالْمُدَّخَرِ ^(٧) ، فَسَيَأْتِيكَ مِنْهُمَا ^(٨) مَا يَكْفِي وَيَطِيبُ . وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ عَمْرٍو ^(٩) لِمَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ : لَا تَقْتَرُ بِالسُّلْطَانِ إِذَا أَذْنَاكَ ^(١٠) ، وَلَا تَتَغَيَّرَ إِذَا أَقْصَاكَ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ اسْتَصْحَبَ حَكِيمًا فَقَالَ لَهُ : أَصْحَبُكَ عَلَى ثَلَاثَ خِلَالٍ ، قَالَ : وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ : لَا تَهْتِكَ لِي سِرِّي ، وَلَا تُشْتَمَّ لِي عِرْضًا ، وَلَا تُقْبَلْ فِي قَوْلٍ قَائِلٍ حَتَّى تَسْتَشِيرَ فِي ^(١١) . قَالَ : هَذَا لَكَ ، فَمَا لِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ : لَا أَفْشِي لَكَ سِرًّا ، وَلَا أَذْخِرُ عَنْكَ نَصِيحَةً ، وَلَا أُوَرِّثُ عَلَيْكَ أَحَدًا . قَالَ : نِعَمَ الصَّاحِبِ الْمُسْتَصْحَبِ أَنْتَ .

(١) أَذَلَّ : اجترأ .. وفي « م » : « أَذَلَّ » تحريف .

(٢) في « م » : « وَإِذَا زَادَكَ فَرَدَّهُ » ، يعني فَعَلَ السَّيِّدَ مَعَ عَبْدِهِ .

(٣) في « م » : « فَأَخْذُوا فِي الثَّنَاءِ فَخُذْ أَنْتَ فِي الدُّعَاءِ » .

(٤) الْمَلِكُ : التضرع فوق ما ينبغي .

(٥) « لَهُ » عن « ط » .

(٦) فَلَا تَأَلَّ : أَيْ فَلَا تَقْوَانَ أَوْ تَبْخُلْ أَوْ تُقَصِّرَ . وفي « ط » : « فَلَا تَأَلَّوْا » بصيغة الجمع .. وفي « م » : « تَسْأَلُوا »

تحريف .

(٧) الْمُدَّخَرُ ، بالذال المعجمة : الْمُدَّخَرُ وَالْمُخْتَارُ .. وفي « ط » : « الدَّخَر » وهي بمعناها .

(٨) في « م » : « بَيْنَهُمَا » تحريف .

(٩) هر : مسلم بن عمرو بن الحصين ، وكان مُعَيَّنًا ليزيد بن معاوية ، وكان عظيم القلبي عنده .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ ، والمعارف ص ٤٠٦] .

(١٠) في « م » : « إِذَا جَفَاكَ » .

(١١) في « م » : « حَتَّى تَسْتَشِيرَنِي » .

وَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : مَا الْخَرْقُ ؟ قَالَ : الدَّالَّةُ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ ، وَالْوَبْئَةُ قِيلَ
 الْإِمْكَانِ ^(٢) . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : أَوْلَى النَّاسِ بِالْهَلَكَةِ ^(٣) الْفَاجِئَةُ الْمُقَدِّمُ عَلَى السُّلْطَانِ
 بِالدَّالَّةِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ^(٤) : الدَّالَّةُ تُفْسِدُ الْحُرْمَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَتَضُرُّ بِالْمَحَبَّةِ
 الْمُتَأَكَّدَةِ . وَقَالَ بُرْزُجِيمُ : إِذَا خَدَمْتَ مَلِكًا ^(٥) مِنْ الْمُلُوكِ فَلَا تُطْعِمُهُ فِي مَعْصِيَةِ
 خَالِقِكَ ، فَإِنَّ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ فَوْقَ إِحْسَانِ الْمَلِكِ ، وَإِنْقَاعُهُ بِكَ أَغْلَظُ مِنْ إِيقَاعِهِ .
 اصْحَبِ ^(٦) الْمُلُوكَ بِالْهَيْبَةِ لَهُمْ وَالْوَقَارِ ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا احْتَجَبُوا عَنِ النَّاسِ لِقِيَامِ الْهَيْبَةِ ،
 فَلَا تَتْرِكِ الْهَيْبَةَ وَإِنْ طَالَ أَسْكَ بِهَمْ ، فَهَوَ حَسْبُهُمْ مِنْكَ .. لَا تُعْطِ السُّلْطَانَ مَجْهُودَكَ
 فِي أَوَّلِ صُحْبَتِكَ لَهُ ، فَلَا تَجِدْ بَعْدَ ^(٧) لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا ، وَلَكِنْ دَعْ لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا ^(٨) ..
 عِلْمُ السُّلْطَانِ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَأَمِيرٌ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ تَسْتَشِيرُهُ . إِذَا أَحْلَكَ السُّلْطَانُ مِنْ
 نَفْسِهِ بِحَيْثُ يَسْمَعُ مِنْكَ وَيَتَّقِي بِكَ ، فَإِيَّاكَ وَالِدُحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَطَانَتِهِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
 مَتَى يَتَغَيَّرُ لَكَ ، فَيَكُونُونَ ^(٩) عَوْنًا عَلَيْكَ .. إِيَّاكَ ^(١٠) أَنْ تُعَادِيَ مَنْ إِذَا شَاءَ يَطْرُحُ ثِيَابَهُ
 وَيَدْخُلُ مَعَ الْمَلِكِ فِي ثِيَابِهِ فَعَلَّ . وَفِي الْأَمْثَالِ الْقَدِيمَةِ : احْذَرِ زِمَارَةَ الْمِخْدَةِ ^(١١) .
 وَفِيهِ قِيلَ ^(١٢) :

(١) الدَّالَّةُ : الخِزَانَةُ .

(٢) الْإِمْكَانُ : الاستِطَاعَةُ وَالْقُوَّةُ .

(٣) الْهَلَكَةُ : الْهَلَاكُ .

(٤) هُوَ : يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، مُؤَدِّبُ الرَّشِيدِ وَمُعَلِّمُهُ وَمُرِيَّهُ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٥) فِي « د » : « سُلْطَانًا » .

(٦) فِي « د » : « وَاصْحَبْ » .

(٧) فِي « د » : « لَا تَجِدْ لِلْمَزِيدِ » .

(٨) قَوْلُهُ : « وَلَكِنْ دَعْ لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا » عَنْ « ط » .

(٩) فِي « ط » : « فَيَكُونُ » .

(١٠) فِي « د » : « وَقَالَ : إِيَّاكَ » . وَالضَّمِيرُ فِي « قَالَ » يَعُودُ عَلَى بُرْزُجِيمِ .

(١١) زِمَارَةُ الْمِخْدَةِ : انْقِبَاضُهَا وَتَضَاوُلُهَا .. وَفِي « ط » : « زِمَارَةُ الْمَخْدَةِ وَالْمَخْدَةُ حَدِيدَةٌ تُشَقُّ بِهَا الْأَرْضُ » .

(١٢) الْبَيْتُ فِي وَفَايَاتِ الْأَعْيَانِ لِلْفَرَزْدَقِ .

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَرِّزًا مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانًا ^(١)

وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا تُدِلْ قَتْلٌ ، وَلَا تُوجِفْ قَتْعَجَفٌ ^(٢) . وَقَالَ الرَّشِيدُ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ صَبِيحٍ ^(٣) : يَاكَ وَالذَّالَّةَ ، فَإِنَّهَا تُفْسِدُ الْحُرْمَةَ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا ^(٤) السَّلَامُ : لَا تَعْنِ السُّلْطَانَ وَلَا تَقْعُدْ عَنْهُ ^(٥) . وَقَالَ ^(٦) الْحُكَمَاءُ : شِدَّةُ الْإِثْقَابِ عَنِ السُّلْطَانِ تُورِثُ التَّهْمَةَ ^(٧) ، وَشِدَّةُ الْإِثْسَاطِ تَفْتَحُ بَابَ الْمَلَالَةِ ^(٨) . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِلَا ذُلٍّ كَانَتْ ثَمَرُهُ سَعِيهِ الذُّلُّ .

أَخْرَجَ مِنْ رِثْقِكَ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِمِثْلِ مَا اكْتَسَبَتْهَا مِنَ الْجِدِّ وَالْمُنَاصَحَةِ ، وَاخْذَرْ أَنْ يَحْطُوكَ التَّهَانُ عَمَّا رَقَاكَ إِلَيْهِ التَّحَفُّظُ . إِنَّ أَشَقَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ صَاحِبُهُ ، كَمَا أَنَّ

(١) الشفيع العريان : الذي لا تردُّ شفاعته .. وهذا البيت قاله الفرزدق من جملة أبيات في عبد الله بن الزبير لما طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق في أيام عبد الملك بن مروان الأموي ، وكان الفرزدق قد اختصم هو وزوجته « الثَّوَار » فمضيا من البصرة إلى مكة ليفصل في الحكم بينهما عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ، ونزلت « الثَّوَار » عند زوجة عبد الله ، وشفع كل واحد لنزله ، فقضى عبد الله للثَّوَار وترك الفرزدق ، فقال الأبيات التي منها هذا البيت ، فصار الشفيع العريان مثلاً يُضرب لكل من تُقبِل شفاعته .

[انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

(٢) في اللسان : أدل فأمل ، وأوجف فأعجف .. وتوجف : تُسرع السير . وتعجف : تمزج وتضعف .

[انظر لسان العرب ، مادق ، دلى ووجف . وعيون الأخبار ج ١ ص ٧٨]

(٣) صبيح ، بفتح الصاد ، وهو : كاتب مشهور ، كان من كُتَّابِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَمَّا آتَتِ الْخِلاَفَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اسْتَكْبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ « عم المنصور » فكان من خاصته ، وله فيه أشعار ، ثم استكبه المنصور ، واستمر في خدمة العبَّاسيين ، وهو أول من بشر هارون الرشيد بالخلافة يوم مات أخوه المهدي سنة ١٧٠ هـ ، وبشره في الساعة نفسها بولادة ابنه المأمون . توفي نحو سنة ١٨٠ هـ .

[انظر المعارف ٣٨٤ ، والأعلام ج ٨ ص ٢٤٥ ، واسمه فيه : يوسف بن القاسم بن صبيح الصجلي ، والمشهور : إسماعيل وقد ورد هكذا في العقد الفريد وفي عيون الأخبار وغيرها] .

(٤) في « م » : عليه .

(٥) يعني : لا تُكْثِرْ مِنْ إِتْيَانِ السُّلْطَانِ وَالتَّرَدُّدِ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتَأَخَّرْ عَنْهُ .. وفي « م » : « ولا تقعد عليه » مكان « عنه » تحريف .. وقعد عن الأمر : تأخر عنه .

(٦) في « م » : « وقالت » وكلاهما صواب .

(٧) التَّهْمَةُ وَالتَّهْمَةُ : الاتِّهَامُ : وتطلق على الظن والريبة .

(٨) الملاله : السَّامَةُ وَالضَّجْرُ .. وفي « م » : « الملاله » من اللؤم .

أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا اخْتِرَاقًا . مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ بِصَبْرِ جَمِيلٍ ، وَكَظِيمِ الْغَيْظِ ، وَاطَّرَاجِ الْأَدَى ، وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ .

وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَا تَنْقَبِضُوا عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا تَهَالِكُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ ^(١) مَنْ أَشْرَفَ عَلَى السُّلْطَانِ أَرَادَهُ ^(٢) ، وَمَنْ تَضَرَّعَ لَهُ تَخَطَّاهُ ^(٣) .. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ثَلَاثَةٌ مَنْ عَادَاهُمْ عَادَتْ عِزَّتُهُ ذِلَّةٌ : السُّلْطَانُ ، وَالْوَلَدُ ، وَالْغَرِيمُ ^(٤) .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا يَسْتَطِيعُ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا فَاجِرٌ مُصَانِعٌ ، يَتَأَلَّ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَيَسْلُمُ بِمُصَانَعَتِهِ ^(٥) ، وَإِمَّا مُغْفَلٌ ^(٦) ، مَهِينٌ لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ . فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْحَبَ السُّلْطَانَ بِالصَّدْقِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْعَفَافِ فَقَلَّمَا تَسْتَقِيمُ لَهُ صُحْبَتُهُ ^(٧) ، لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ ، أَمَّا ^(٨) الصَّدِيقُ فَيَنَافِسُهُ فِي مَنَازِلَتِهِ ، فَيَطْعَنُ عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لَهُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَذَانِ الصَّنَفَانِ ، كَانَ قَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ ^(٩) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ .. لَا يُوحِشُكَ ^(١٠) مِنَ السُّلْطَانِ إِكْرَامُ الْأَشْرَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِمْ ، كَمَا يَضْطَرُّ

(١) في م : « فَإِنَّ » .

(٢) أشرف عليه : علا وتكبر عليه ، وتكون أيضا بمعنى : قاربه .. وأراداه : أهلكه .. وفي عيون الأخبار ج ١

ص ٧٨ : « أذراه » بمعنى أسقطه وأبعد .

(٣) تخطأه : نخأه ودفعه . وفي المصدر السابق : « تحظاه » أي : تربه ورفع مكانته .

(٤) الغريم : الدائن .

(٥) بمصانعته : بخداعه ومُداراته .

(٦) المغفل : من لاحسب له من الرجال . أو من لا يترجي خيره ، ولا يحسن شؤره .

(٧) في م : « : نستقيم أصحابهم » .

(٨) في م : « : وأما » .

(٩) في م : « : هو يُعرض للهلاك »

(١٠) في م : « : ولا يوحشك » والوخشة : الانقطاع وعدم المودة والخوف .

الْمَلِكُ إِلَى الْحَجَامِ فَيَشْرِطُ ^(١) قَفَاهُ وَيُخْرِجُ دَمَهُ . وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا جِلْمَ لِمَنْ لَا سَوِيَّةَ لَهُ .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَافَرَ إِلَى مَكَّةَ اسْتَصْحَبَ مَعَهُ رَجُلًا فِيهِ مَا فِيهِ ، يَسْتَدْفِعُ بِهِ شَرَّ السُّفَهَاءِ وَأَهْلِ الزَّوَادَةِ وَالذَّعَارَةِ ^(٢) . وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ : إِنَّ لِلسُّلْطَانِ لَسَكَرَاتٍ ، فَمِنْهَا : الرُّضَا عَمَّنْ ^(٣) اسْتَوْجَبَ السُّخْطَ ، وَالسُّخْطُ عَلَى مَنْ اسْتَوْجَبَ الرُّضَا . وَمِنْهُ قَوْلُ الْحُكَمَاءِ : خَاطَرَ مَنْ لَجَّجَ فِي الْبَحْرِ ^(٤) ، وَأَعْظَمَ مِنْهُ خَطَرًا مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ ^(٥) . وَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّجِ لِإِخِيهِ ، لَا تُعَدُّنْ شَتْمَ السُّلْطَانِ شَتْمًا ، وَلَا إِغْلَظْهُ إِغْلَظًا ، فَإِنَّ رِيحَ الْعِزَّةِ تَبْسُطُهُ فِي غَيْرِ بَأْسٍ وَلَا سَخَطٍ ^(٦) .

وَقَالَ سَامِيدُ ^(٧) أَحَدُ حُكَمَاءِ الْفُرْسِ : أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ ^(٨) يَنْبَغِي أَنْ تُفَسَّرَ لِلْفَهِيمِ ^(٩) كَمَا تُفَسَّرُ لِلْبَلِيدِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ ^(١٠) فِيهَا عَلَى ذِكَاةٍ أَحَدٍ : تَأْوِيلُ الدِّينِ ، وَأَخْلَاطُ الْأَذْوِيَّةِ ، وَصِفَةُ الطَّرِيقِ الْمَخُوفِ ^(١١) ، وَالرَّأْيُ فِي السُّلْطَانِ ^(١٢) .

(١) بشرط : بكسر الراء وضمة : يشق . وفي « م » : فيشترط قفاه يخرج : بدون واو العطف . والحجامة : محترف الجحامة ، وهي امتصاص الدم من الجسم بأداة معينة .

(٢) أهل الزوادة والذعارة : الأراذل والخمفي ، والأدنياء الذين يسببون الخوف والفرع ، وهم قطاع الطرق .

(٣) في « م » : « لَنْ » ، وَالسُّخْطُ وَالسُّخْطُ وَاحِدٌ .

(٤) أى : أبحر فيه حتى وصل إلى حيث تتلاطم أمواجه وتختلط .

(٥) في « م » : « وَأَعْظَمَ مِنْ خَطَرِ مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ » .

(٦) في « م » : « وَلَا تَسْخِطُهُ » . وفي الأدب الكبير لابن المففع : « فَإِنَّ رِيحَ الْعِزَّةِ قَدْ تَبْسُطُ اللِّسَانَ بِالْغُلْظَةِ فِي غَيْرِ سَخَطٍ وَلَا بَأْسٍ » .

(٧) في « م » : « سَامِيدٌ » ، بالذال المعجمة .

(٨) قوله : « أَشْيَاءٌ » عن « ط » .

(٩) في « م » : « الْفَهْمُ » وهما بمعنى واحد ، ويدل على الإنسان الذى لديه استعداد ذهني لاستنباط المعنى والكشف عنه .

(١٠) في « م » : « وَلَا يَتَكَلَّمُ » .

(١١) في « م » : « لِلْمَخُوفِ » تصحيح .

(١٢) في « م » : « وَالرَّامِي فِي السُّلْطَانِ » يعنى الذى يقول فيه رأيه ويقذفه بما ليس فيه .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا انْقَطَعَ مِنْكَ فِي الْآخِرِ نَسِيَ الْأَوَّلَ ، فَأَرْحَامُهُمْ ^(١) مَقْطُوعَةٌ ، وَحِبَالُهُمْ مَصْرُومَةٌ ، إِلَّا مَنْ رَضُوا عَنْهُ فِي وَفْيِهِمْ وَسَاعَتِهِمْ .. وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْوَالِي خِلَالًا لَا تَنْبَغِي ^(٢) ، فَلَا تُكَابِدْهُ عَلَى رَدِّهَا ، فَإِنَّهَا ^(٣) رِيَاضَةٌ صَغْبَةٌ ، لَكِنْ أَحْسِنِ مُسَاعَدَتَهُ عَلَى أَحْسَنِ رَأْيِهِ ، فَإِذَا اسْتَحْكَمْتَ مِنْهُ نَاحِيَةَ مِنَ الصَّوَابِ ، كَانَ ذَلِكَ الصَّوَابُ هُوَ الَّذِي يُبَصِّرُهُ السَّخَطَاتِ اللَّطِيفَةِ أَكْثَرَ مِنْ تَبْصِيرِكَ . وَاجْعَلِ ^(٤) الْعَدْلَ مِنْ حِكْمَتِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ ^(٥) يَدْعُو بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا تَمَكَّنَ اقْتَلَعَ السَّخَطُ .

وَلَا تُطْلَبُ مَا قَبِلَ الْوَالِي ^(٦) بِالْمَسْأَلَةِ ، وَلَا تَسْتَبِطُهُ وَإِنْ أُبْطَأَ ، وَلَكِنْ اطْلُبْ مَا قَبِلَهُ بِالِاسْتِخْقَاقِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ^(٧) ، فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَحَقَّقْتَهُ أَنَّكَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ ^(٨) ، وَإِذَا لَمْ تَسْتَبِطْهُ كَانَ أُعْجَلَ لَهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : إِذَا صَحِبْتَ السُّلْطَانَ فَدَارِهِ مُدَارَاةَ الْمَرْأَةِ الْعَاقِلَةِ الْقَبِيحَةِ لِلزَّوْجِ الْأَحْمَقِ الْمُبْغِضِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ : تَنَكَّرْ لِي هَارُونُ الرَّشِيدُ . فَقَالَ لَهُ : اَرْضَ بِقَلِيلِهِ مِنْ كَثِيرِهِ ، وَإِنَّكَ أَنْ تَسْخَطَ فَيَكُونَ اسْخَطَ مِنْكَ .

* * *

(١) أرحامهم : قرايبهم .. وفي الأدب الكبير : « وإن الكثير من أولئك - يعنى السلاطين - أرحامهم مقطوعة ، وحبالهم مصرومة ، إلا ممن رضوا عنه ، وأغنى عنهم في يومهم وساعتهم » .

[انظر المصدر السابق ص ٨٤] .

(٢) في م : « : إذا رأيت من الرجل خللاً لا ينبغي » .

(٣) في م : « : ولها » .

(٤) في م : « : والعدل ، وسقط الفعل » اجعل » منها .

(٥) في م : « : وإن العدل » .

(٦) ما قبل الوالي : ماعنه .

(٧) الاستثناء : الشرفق .. وفي م : « : الاستثناء » .

(٨) في م : « : طالب » .

البَابُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ مَعَ الْجُنْدِ

اعْلَمْ أَنَّ الْجُنْدَ عِدَدُ الْمَلِكِ ^(١) وَحُصُونُهُ وَمَعَايِلُهُ وَأَوْتَادُهُ ^(٢) ، وَهُمْ حِمَاةُ الْبَيْضَةِ ، وَالذَّابُّونَ عَنِ الْحَرَمَةِ ^(٣) ، وَالذَّافِعُونَ عَنِ الْقَوَرَةِ ، وَهُمْ جُنُنُ الثُّغُورِ ^(٤) ، وَحُرَّاسُ الْأَبْوَابِ ، وَالْعِدَّةُ لِلْحَوَادِثِ ، وَأَمْدَادُ الْمُسْلِمِينَ ^(٥) ، وَالْحَدُّ الَّذِي يَلْقَى الْعَدُوَّ ، وَالسَّهْمُ الَّذِي يُرْمَى بِهِ ^(٦) ، وَالسَّلَاحُ الْمَدْفُوعُ فِي نَحْرِهِ ^(٧) ، فَبِهِمْ يُدَبُّ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَتُؤَمَّنُ السَّبِيلُ ^(٨) ، وَتُسَدُّ الثُّغُورُ ، وَهُمْ عِزُّ الْأَرْضِ ، وَحِمَاةُ الثُّغُورِ ، وَالذَّادَةُ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَالشُّوْكَةُ عَلَى الْعَدُوِّ ^(٩) .

-
- (١) عِدَدُ الْمَلِكِ ، بكسر العين : جماعته : وبضمها : ما يُعَدُّ لأمرٍ يحدث .
 (٢) مَعَايِلُهُ جمع مَعْلٍ ، وهو الحصن والملجأ .. والأوتاد : جمع وَتْد ، وهو ما رُزَّ في الأرض أو الحائط من خشب ونحوه ، وهنا شبه الجنود بالأوتاد ، حيث إنَّ الملك يبيت ، أو يقوى ، بهم .
 (٣) البَيْضَةُ : أصلُ القوم وجماعتهم ، يُقال : أَتَاهُمُ الْعَدُوُّ فِي بَيْضَتِهِمْ ، يريد : جماعتهم وموضع سلطانهم .
 (٤) الذَّابُّونَ : المدافعون .
 (٥) الْجُنُنُ : جمع جُنَّة ، وهي السُّترة ، وكل ما وقى من سلاح وغيره .
 (٦) أَمْدَادُ : جمع مَدَد ، وهو ما يُعَدُّ به من الأعوان والأنصار ليقوى .
 (٧) فِي « م » : « يُؤَمَّنُ بِهِ » .
 (٨) فِي « م » : « وَالسَّلَاحُ الَّذِي فِي نَحْرِهِ » .
 (٩) تُوَمَّنُ السَّبِيلُ : أى تصير الطرق آمنة يطمئن السائر فيها ولا يخاف .
 (٩) الشُّوْكَةُ : القوة والبأس .. وفي « م » : « وَالشُّوْكَةُ عَلَى الثُّغُورِ » .

وَعَلَى الْجُنْدِ الْجِدُّ عِنْدَ اللَّقَاءِ ^(١) ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ الْعَلَبَةُ فَلْيَمِجُّوْا فِي الطَّلَبِ ^(٢) ، وَإِنْ تَكُنْ عَلَيْهِمْ فَلْيَكْسِرُوا الْأَعْنَةَ ، وَلْيَجْمَعُوا الْأَسِنَّةَ ، وَلْيَذْكُرُوا أَخْبَارَ غَدٍ .

وَيَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَتَفَقَّدَ جُنْدَهُ كَتَفَقَّدَ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ بُسْتَانَهُ ، فَيَقْلَعُ الْعُشْبَ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُ ، فَمِنْ الْعُشْبِ مَا لَا يَنْفَعُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَضُرُّ بِالنَّبَاتِ النَّافِعِ ، فَهُوَ بِالْقَلْعِ أَجْدَرُ . وَلَا يُسْتَنْصَحُ ^(٣) الْجُنْدُ إِلَّا بِإِذْرَارِ أَرْزَاقِهِمْ ، وَسَدِّ حَاجَاتِهِمْ ، وَالْمُكَافَأَةِ لَهُمْ عَلَى قَدْرِ عَنَائِهِمْ وَبِلَايِهِمْ . وَجُنُودُ الْمُلُوكِ وَعُدْدُهَا وَقَفَ عَلَى سُعُودِ ^(٤) الْأَثَمَةِ وَتُحُوسِهَا . وَقَالَ أَبُو رُوَيْثٍ لِأَيِّهِ شِيرَوَيْه ^(٥) : لَا تُوسِّعَنَّ عَلَى جُنْدِكَ فَيَسْتَعْنُوا عَنْكَ ، وَلَا تُضَيِّقْ عَلَيْهِمْ فَيَضِجُوا مِنْكَ ، وَأَعْطِطِهِمْ عَطَاءً قَصْدًا ، وَامْتَنِعْهُمْ مَنًّا جَمِيلًا ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّخَاءِ ^(٦) ، وَلَا تُوسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ .

وَلَمَّا أَقْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ^(٧) الْمَنْصُورِ ، أُلْفَذَ جَيْشًا ، وَقَالَ لِقَوَادِمِهِ : سِيرُوا بِمِثْلِ هَذِهِ السَّيْرِ . ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ .. أَجِيعْ كَلْبَكَ يَتَبَعَكَ . فَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ الطُّوسِيُّ ^(٨) فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخَشَى أَنْ يُلَوِّحَ لَهُ غَيْرُكَ بِرَغِيفٍ فَيَتْبَعُهُ وَيَذْعَكَ .

(١) أى : عند لقاء العدو .

(٢) أى : فى طلب الأعداء .

(٣) فى م : « يستطلع » .

(٤) السُّعُود : التوفيق واليمن والسعادة .

(٥) أبو رُوَيْثٍ هو : أَبُو رُوَيْثٍ بنُ هُرْمُز بنِ كَسْرَى ، من ملوك الفرس ، وطالت مدة ملكه حتى ضجر منه الناس ، وخطبوه بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكه ، ثم جعلوا مكانه ابنه « شيرويه » وهو ابن بنت « فيسر » فأمر بأبيه فُسِمِلَتْ مِيتُهُ ، وقُتِلَ من إخوته ثمانية عشر رجلا ، وهرب بقية أهل بيته ، ثم ظهر الطاعون فى بلده ، فهلك فىمن هلك ، وكان موته لخمس سنين وأشهرًا من هجرة النبى ﷺ إلى المدينة . وكانت مدة ملكه سبعة أشهر .

[انظر المعارف ص ٦٦٥] .

(٦) فى م : « الرجال » مكان : الرخاء » تحريف .

(٧) فى م : « ابن جعفر » تحريف ، والصواب « أبو » .

(٨) أبو العبَّاس الطُّوسى : من ولاة خراسان ، جعله أبو جعفر المنصور على حرسه بالمدينة الهاشمية بالكوفة بعد موت عيسى بن نيهك قائد حرسه .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٦ ، وج ٥ ص ١٣١] .

وَرَوَى أَنَّ كِسْرَى صَنَعَ طَعَامًا فِي سِمَاطٍ ^(١) ، فَلَمَّا فَرَعُوا وَرَفَعَتِ الْآلَاتُ ^(٢) ، وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ أَخَذَ جَامًا ^(٣) ، لَهُ قِيمَةٌ كَبِيرَةٌ ^(٤) ، فَسَكَتَ عَنْهُ ، وَجَعَلَ الْخَدَمُ يَرْفَعُونَ الْآلَاتِ فَلَمْ يَعِدُوا الْجَامَ ، فَسَمِعَهُمْ كِسْرَى يَتَكَلَّمُونَ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ ؟ فَقَالُوا : فَقَدْ نَا جَامًا مِنَ الْجَامَاتِ . فَقَالَ : لَا عَلَيْكُمْ ، أَخَذَهُ مَنْ لَا يَرُدُّهُ ، وَرَأَاهُ مَنْ لَا يَفْضَحُهُ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، دَخَلَ الرَّجُلُ عَلَى كِسْرَى ، وَعَلَيْهِ حِلْيَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَحَالٌ مُسْتَجِدَّةٌ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : هَذَا مِنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَلَمْ يَقُلْ لَهُ ^(٥) شَيْئًا .

وَسُئِلَ عَمْرُو بْنُ مُعَاذٍ - وَكَانَ عَلَى الصَّوَائِفِ ^(٦) : بِمَ قَدَرْتَ ^(٧) عَلَى جُيُوشِ الصَّائِفَةِ ؟ وَكَانَ يَعْزُو فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَيَجْرُ الْجُيُوشَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَقَالَ : بِسَمَانَةِ الظُّهْرِ ، وَالْقَدِيدِ ^(٨) ، وَكَثْرَةِ الْكَلْعِكِ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ أُمَرَاءِ الْعَرَبِ كَانَ ظَالِمًا لِرَعِيَّتِهِ ، شَدِيدَ الْأَذَى لَهُمْ ^(٩) فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَجْعَ كُلَّكَ يَتْبَعُكَ ، فَوَتَّبِعُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، فَمَرَّ بِهِ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : رَبُّمَا أَكَلَ الْكَلْبُ صَاحِبَهُ إِذَا لَمْ يُشْبِعْهُ .

* * *

(١) السِّمَاطُ : مَا يُمَدُّ لِيُوضَعَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ فِي الْمَادَبِّ وَنَحْوِهَا .

(٢) الْآلَاتُ : الْأَتِيَّةُ : وَفِي « م » : « الْأَيْدِي » .

(٣) الْجَامُ : إِنَاءٌ لِلشَّرَابِ وَالطَّعَامِ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِهَا ، وَقَدْ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى قَدَحِ الشَّرْبِ .

(٤) فِي « ط » : « كَثِيرَةٌ » .

(٥) فِي « م » : « لَمْ يَقُلْ شَيْئًا » .

(٦) فِي « م » : « الطَّوَائِفُ » ، تَحْرِيفٌ . وَالصَّوَائِفُ : جَمْعُ صَائِفَةٍ ، وَهِيَ الْغَزْوَةُ فِي الصَّيْفِ ، وَبِهَا سُمِّيَتْ غَزْوَةُ الرُّومِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُعْزُونَ صَيْفًا اتِّقَاءَ الْبَرْدِ وَالطَّلَجِ .

(٧) فِي « م » : « بِمَ » ، مَكَانَ « بِمَ » تَحْرِيفٌ .. وَقَدَرْتُ : قَوَيْتُ .

(٨) بِسَمَانَةِ الظُّهْرِ ، أَيْ : بِكَوْثَرِ لَحْمِهِ وَشَحْمِهِ .. وَالْقَدِيدُ مِنَ اللَّحْمِ : مَا قُطِعَ وَمُلِحَ وَجُفِفَ فِي الْمَوَاءِ وَالشَّمْسِ .

(٩) فِي « م » : « شَدِيدُكَ لِإِذْلَالِهِمْ » .

البَابُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي اسْتِجْبَاءِ الْخَرَاجِ

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَنْ طَالَ عُدْوَانُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ قُوَّةُ السُّلْطَانِ ، وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَلِقَاحُهُ الْأَمْنُ ^(١) ، وَنَتَاجُهُ الْعَدْلُ ^(٢) ، وَهُوَ حِصْنُ السُّلْطَانِ ، وَمَادَّةُ الْمُلْكِ . وَالْمَالَ أَقْوَى الْعُدُوِّ عَلَى الْعُدُوِّ ، وَهُوَ ذَخِيرَةُ الْمُلْكِ ، وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَحَيَاةُ الْأَرْضِ ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَقِّهِ وَيُوضَعَ فِي حَقِّهِ ، وَيُمْتَنَعَ مِنْ سَرَفٍ ، وَلَا يُؤْخَذَ مِنَ الرَّعِيَّةِ إِلَّا مَا فَضَلَ ^(٣) عَنْ مَعَاشِهَا وَمَصَالِحِهَا ، ثُمَّ يَنْفَقَ ^(٤) ذَلِكَ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يَعُودُ عَلَيْهَا ^(٥) نَفْعُهَا ، فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، اخْرِصْ كُلَّ الْخِرَاصِ عَلَى عِمَارَةِ الْأَرْضَيْنِ ، وَالسَّلَامِ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مُرْجِبَاةُ الْأَمْوَالِ بِالرَّفْقِ ، وَمُجَابِتَةُ الْخَرْقِ ^(٦) ، فَإِنَّ الْمَلَقَةَ ^(٧) تَنَالُ مِنَ

(١) يعنى : أنه وليد الأمن .

(٢) أى : وهو ثمرة العدل .

(٣) فَضْلُ زَادَ عَلَى الْحَاجَةِ .

(٤) فِي م : : : : : بَلْ يَنْفَقُ .

(٥) فِي م : : : : : تَعُودُ عَلَيْهِ .

(٦) الْخَرْقُ : الْحِمَاقَةُ .

(٧) الْمَلَقَةُ : دُرْدَةُ سَوْدَاءٍ تَمْتَصُّ الدَّمَ ، تَكُونُ فِي الْمَاءِ الْأَمِينِ ، وَإِذَا شَرِبَتْهُ الدَّابَّةُ غَلِقَ بِخَلْقِهَا .

اللِّدْمَ بِغَيْرِ أَذَى وَلَا سَمَاعٍ صَوْتٍ مَا لَا تَقَالُهُ الْبُعُوضَةُ بِلِسَانِهَا وَهَوْلُ صَوْتِهَا .

وَلَمَّا غَزَلَ عُثْمَانُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِي عَنْ مِصْرَ ، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَ أَبِي السَّرِّجِ ، فَحَمَلَ مِنَ الْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْمِلُهُ عَمْرُو ، فَقَالَ ^(١) عُثْمَانُ : يَا عَمْرُو ، أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّقَاحَ ذَرَّتْ بَعْدَكَ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ أَعْجَفْتُمْ أَوْلَادَهَا ^(٢) . وَقَالَ زِيَادُ : أَحْسِنُوا إِلَى ^(٣) الْمُزَارِعِينَ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَزَالُوا سِمَانًا مَا سَمِنُوا . وَفِي مَثَوْرِ الْحَكَمِ ^(٤) : مَنْ جَاوَزَ فِي الْحَلَبِ حَلَبَ الدِّمِّ ^(٥) . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِذَا اسْتَقْصَى ^(٦) الْعِجْلُ فِي مَصٍّ أُمِّهِ رَفَسَتْهُ ^(٧) .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ^(٨) : الْحَرَاجُ عَمُودُ ^(٩) الْمُلْكِ ، وَمَا اسْتَعَزَّ بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، وَلَا اسْتَنْزَرَ ^(١٠) بِمِثْلِ الظُّلْمِ . وَأَسْرَعَ الْأُمُورِ فِي خَرَابِ الْبِلَادِ تَعْطِيلُ الْأَرْضِيِّينَ ، وَهَلَاكُ الرُّعْيَةِ ، وَالْكَسَارُ الْحَرَاجُ بِالْجَوْرِ وَالْتَحَامِلِ ^(١١) .

(١) في م : : : وقال .

(٢) يريد : أرهقهم أهلها بما لا يتحملون .

(٣) في م : : : في مكان إلى .

(٤) في ط : : : الحكمة .

(٥) يعني : إذا تجاوز الأمر حده انقلب إلى ضده .

(٦) استقصى : بالغ .. وفي م : : : استقصى : تحريف .

(٧) في م : : : رفضته ، بالصاد المهملة . لا تصح . وربما أراد : رفضته ، بالصاد المعجمة ، بمعنى : طرده أو تركه جانباً .

(٨) هو : جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، وزير هارون الرشيد ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ هـ واستوزره الرشيد ، وألقى إليه مقاليد الملك ، وكان يدعوه « أخى » فانقاد له الدولة يحكم بما يشاء ، إلى أن قتم الرشيد على البرمكية ، فقتله سنة ١٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٣٠ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٥٢ - ١٦٠ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٤٦] .

(٩) عمود الملك : قوامه الذي لا يستقيم إلا به . وفي م : : : عماد المملكة .

(١٠) في م : و ط : كليهما : استتر ، والتصويب من المعجم الوسيط ، مادة « غر » إذ جاء فيه : « الحراج عمود الملك ، وما استعزَّ بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، ولا استنزرَ بِمِثْلِ الْجَوْرِ » . والأولى من الغزارة بمعنى الكثرة .. والثانية من النزارة ، وهي : الإقْلَّةُ .

(١١) التحامل : الجور والظلم ، وتكليف الرعية ما لا تطيق .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ إِذَا حَمَلَ عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ حَتَّى ضَعُفُوا ^(١) عَنْ عِمَارَةِ الْأَرْضَيْنِ ^(٢) مَثَلٌ مَنْ يَقْطَعُ لَحْمَهُ وَيَأْكُلُهُ مِنَ الْجُوعِ ، فَهُوَ وَإِنْ قَوَى مِنْ نَاجِيَةٍ ، فَقَدْ ضَعُفَ مِنْ نَاجِيَةٍ ، وَمَا أَذْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْوَجَعِ وَالضَّعْفِ ^(٣) أَكْثَرَ مِمَّا دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ أَلَمِ الْجُوعِ . وَمَثَلٌ ^(٤) مَنْ كَلَّفَ الرَّعِيَّةَ مِنَ الْخَرَاجِ فَوْقَ طَاقَتِهَا ، كَالَّذِي يَطْلِي سَطْحَهُ بِتَرَابٍ أَسَاسَ بَيْتِهِ ^(٥) . وَمَنْ يُدْمِنُ حَزَّ الْعُمُودِ ^(٦) يُوشِكُ أَنْ يَضْعُفَ فَتَقَعَ الْخِيْمَةُ . وَإِذَا ضَعُفَ الزَّارِعُونَ ^(٧) عَجَزُوا عَنْ عِمَارَةِ الْأَرْضَيْنِ ، فَيَتْرَكُونَهَا فَتَحْرَبُ الْأَرْضُ ، وَيَهْرُبُ الزَّرَّاعُ ^(٨) فَتَضْعُفُ الْعِمَارَةُ ، فَيَضْعُفُ الْخَرَاجُ ، وَيَنْتَبِجُ ذَلِكَ ضَعْفَ الْأَجْنَادِ ، وَإِذَا ضَعُفَ الْجُنْدُ طَمِعَ الْأَعْدَاءُ فِي السُّلْطَانِ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنْ بِمَا يَبْقَى فِي يَدِ رَعِيَّتِكَ أَفْرَحَ مِنْكَ بِمَا تَأْخُذُ مِنْهَا .. لَا يَقِلْ مَعَ تَسْلَاحِ شَيْءٍ ، وَلَا يَبْقَى ^(٩) مَعَ الْفَسَادِ شَيْءٌ ، وَصِيَانَةُ الْقَلِيلِ أَوْلَى مِنْ تَرْبِيَةِ الْجَلِيلِ ^(١٠) ، فَلَا مَالَ لِأَخْرَقٍ ، وَلَا عِيْلَةَ لِمُصْلِحٍ ^(١١) . وَرَوَى أَنَّ الْمَأْمُونُ أَرَقَ لَيْلَةً ، سَتَدْعَى سَمِيرًا ^(١٢) فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ بِالْمُوصِلِ بَوْمَةٌ بِأَلْبَصَرَةٍ بَوْمَةٌ ، فَخَطَبْتُ بَوْمَةَ الْمُوصِلِ إِلَى بَوْمَةِ الْبَصْرَةِ بِتَنَاهَا لِأَيُّهَا ، فَقَالَتْ بَوْمَةُ الْبَصْرَةِ : لَا أَنْكِحَكَ إِبْنَتِي إِلَّا أَنْ تُجْعَلِي فِي صَدَاقِهَا مِائَةَ ضِعْفَةِ خَرَابٍ . فَقَالَتْ بَوْمَةُ الْمُوصِلِ :

(١) ضَعُفُوا : مَرَضُوا وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُمْ .. وَفِي « م » : : « حَتَّى مُنِعُوا » .

(٢) فِي « م » : : الْأَرْضَيْنِ . وَكَلَامُهَا جَمْعُ « أَرْضٍ » .

(٣) فِي « م » : : مِنَ الْجُوعِ وَالضَّعْفِ ، بِتَشْدِيدِ الضَّادِ الْمَجْمُوعَةِ وَفَتْحِهَا أَوْ ضَمِّهَا : الْهَزَالُ .

(٤) قَوْلُهُ : وَمَثَلٌ عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » وَتَرَكَ النَّاسُ بَيَاضاً مَكَانَهَا .

(٥) يَطْلِي سَطْحَهُ : يَطْلِيهِ أَوْ يَطْلِيهِ بِالطِّينِ .

(٦) يُدْمِنُ حَزَّ الْعُمُودِ : يُدَامِرُ عَلَى الْقَطْعِ مِنْهُ فِي غَيْرِ لُبَانَةٍ .. وَفِي « م » : : « جَر » مَكَانَ « حَز » وَالْأَوَّلُ أَصَوَّبُ .

وَأَرْجَهُ .

(٧) فِي « ط » : : « الْمَزَارِعُونَ » .

(٨) فِي « م » : : وَيَهْرُبُ الزَّرَّاعُ « مَكَانَ » وَيَهْرِبُ الزَّرَّاعُ .

(٩) فِي « م » : : « وَلَا يَبْقَى » مَكَانَ « وَلَا يَبْقَى » .

(١٠) فِي « م » : : « فَلَيْسَ بِتَرْبِيَةِ الْجَلِيلِ » .

(١١) الْعِيْلَةُ : الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ .

(١٢) السَّمِيرُ : الْمَسَايِرُ الَّتِي يُجِيدُ الْحَكَايَاتِ الَّتِي يُسَمِّرُ بِهَا .

لَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا الْآنَ ، وَلَكِنْ إِنْ دَامَ وَإِلَيْنَا - سَلَّمَهُ اللَّهُ - عَلَيْنَا سَنَّةً وَاحِدَةً فَعَلْتُ لَكَ ذَلِكَ . قَالَ : فَاسْتَيْقِظَ الْمَأْمُونُ ^(١) وَجَلَسَ لِلْمَظَالِمِ ، وَأَلْصَفَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الرِّوَاةِ .

وَسَمِعْتُ بَعْضَ شُيُوخِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُونَ : مَا زَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ ^(٢) ظَاهِرِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَأَمْرُ الْعَدُوِّ فِي ضَعْفٍ وَانْتِقَاضٍ ^(٣) لَمَّا كَانَتْ الْأَرْضُ مُقْطَعَةً ^(٤) فِي أَيْدِي الْأَجْنَادِ ، فَكَانُوا يَسْتَعْبِلُونَهَا وَيَرْفُقُونَ ^(٥) بِالْفَلَاحِينَ وَيُرْبُونَهُمْ كَمَا يُرْبِي التَّاجِرُ تِجَارَتَهُ ^(٦) ، وَكَانَتْ الْأَرْضُ عَامِرَةً ، وَالْأَمْوَالُ وَافِرَةً ، وَالْأَجْنَادُ مُتَوَافِرِينَ ، وَالْكِرَاعُ ^(٧) وَالسَّلَاحُ فَوْقَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، إِلَى أَنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ ابْنِ عَامِرٍ ^(٨) ، فَرَدَّ عَطَايَا الْجُنْدِ مُشَاهِرَةً بِقَبْضِ الْأَمْوَالِ عَلَى النَّطْعِ ^(٩) ، وَقَدَّمَ عَلَى الْأَرْضِ جِبَاةً يَجْبُونَهَا ، فَأَكَلُوا الرِّعَايَا ، وَاجْتَاخُوا أَمْوَالَهُمْ ^(١٠) وَاسْتَضَعُّوهُمْ ، فَتَهَارَبَتْ ^(١١) الرِّعَايَا وَضَعُفُوا عَنِ الْعِمَارَةِ ، فَقَلَّتِ الْجِبَايَاثُ الْمُتَرَفِّعَةُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَضَعُفَتِ الْأَجْنَادُ ، وَقَوِيَ الْعَدُوُّ عَلَى

(١) في « م » : « فاستيقظ لها المأمون » والضمير في « لها » يعود على الحكاية .

(٢) « أهل الإسلام » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٣) انتقاض : هُذِمَ وإفساد .. وفي « م » : « انتقاص » بالصاد المهملة ، أى : ذهاب .

(٤) مُقْطَعَةٌ : مملوكة .

(٥) يرفقون : يعاملون يرفق ولين جانب .

(٦) يربى التاجر تجارته : ينمّيها ويزيدها .

(٧) الكِرَاع : الخيل .

(٨) هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ، من آل أبي عامر ، من ملوك الدولة العامرية في الأندلس ، أيام ملوك الطوائف ، بويغ بعد موت أبيه سنة ٤٥٢ هـ ، وسكن « بنسبة » وساعت سيرته ، قبض عليه صهره صاحب « طليطلة » يحيى بن ذى النون غدراً سنة ٤٥٧ هـ ، وأخرجه إلى مدينة « شنت برية » فأقام بها سيراً ، ثم توفى سنة ٤٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٦٠] .

(٩) يعنى : أنه منع عن الجند عطاياهم الراتبية التى كانوا يتقاضونها كل شهر ، وأنزلها إلى النصف . والنطع ، بفتح النون المشددة وكسرهما ، من نَطَعَ اللَّقْمَةَ : إذا أكل منها جزءاً ثم ردها إلى الجوّان .

(١٠) اجتاجوا أموالهم : نهبوا وأهلكوها .. وفي « م » : « واحتجبوا أموالهم » .

(١١) في « ط » : « فَتَهَارَبَتْ » .

بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أُحْذَ الْكَثِيرَ مِنْهَا ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ فِي تَقْصِي وَأَمْرِ الْعَدُوِّ فِي
ظُهُورٍ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا الْمُتَلَثَّمُونَ ^(١) ، فَرَدُّوا الْإِقْطَاعَاتِ كَمَا كَانَتْ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، وَلَا
أُذْرَى مَا يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ .

(١) المتلثمون - أو المُلْتَمُونَ : قومٌ من المغاربة ، كانت لهم في إفريقيا والأندلس دولة .. وفي « م » : « المسلمون »
تحريف .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي بَيْتِ الْمَالِ

وَهَذَا بَابٌ سَلَكَتْ فِيهِ مُلُوكُ الطُّوَائِفِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالسِّنْدِ ، وَبَعْضُ مُلُوكِ الرُّومِ خِلَافَ سِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، فَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَتَحْتَجِبُهَا دُونَ الرِّعْيَةِ ، وَتُعِدُّهَا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ^(١) عَلَى مَا بَيَّنَّا فِي الْبَابِ قَبْلَهُ . وَكَانَتْ الرُّسُلُ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُمْ تَبْذُلُ الْأَمْوَالَ وَلَا تَدْخِرُهَا ، وَتَصْطَلِعُ الرِّعْيَةَ ^(٢) وَتُوسِّعُ عَلَيْهَا ، فَكَانَتْ الرِّعْيَةُ هُمْ الْأَجْنَادُ وَالْحِمَاءُ .

وَهَذِهِ سِيرَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ جُوعَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ شَبَعِهِ ، وَأَنَّهُ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي صَاعِ شَعِيرٍ عِنْدَ يَهُودِيٍّ ، وَكَذَلِكَ ^(٣) الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَابْنُهُ الْحَسَنُ ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَأَنَّ النَّبِيَّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْيَمَنَ ، كَانَتْ ^(٥) تُجْبَى لَهُ الْأَمْوَالَ

(١) أى : تمهيزها وتدخرها لتوابل الدهر ونوازعه .

(٢) أى : تحسن إليها .

(٣) فى م : : : وكانت ، مكان ، وكذلك .

(٤) فى م : : : وكان النبى ﷺ .

(٥) فى م : : : كان .

فَيَفْرُقُهَا لِيَوْمِهَا ، وَقَدْ تَوَضَّعَ فِي الْمَسْجِدِ وَتُفْرَشُ الْأَطْطَاغُ وَيُفْرَقُهَا مِنَ الْعِيدِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ مَالٍ .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ حُجْرَتَهُ وَخَرَجَ مُسْرِعًا وَفِي يَدَيْهِ خُرَيْقَةٌ ^(٢) فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَسَّمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا ظَنُّ آلِ مُحَمَّدٍ لَوْ أَذْرَكَهُ الْمَوْتُ وَهَذَا عِنْدَهُ ؟ وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) بَيْتٌ مَالٍ ، وَلَا لِلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْخُلَفَاءُ تَقْسِمُ الْأَمْوَالَ الَّتِي جُعِلَتْ مِنْ جِلْهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَبَّمَا ^(٤) يَفْضَلُ مِنْهَا فَضَلَاتٌ فَتُجْعَلُ ^(٥) فِي بَيْتٍ [أَوْ يَكُونُ بِالنَّاسِ عَنَّا غِنَاءٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَتَحْصُلُ فِي بَيْتٍ] ^(٦) فَمَنْ حَضَرَ مِنْ غَائِبٍ ، أَوْ احْتِاجَ مِنْ حَاضِرٍ ، قُسِمَ ^(٧) لَهُ حِظُّهُ ، ثُمَّ يُفْرَقُ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ مِنْهُ ذَرَاهُ . كَمَا رَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٨) أَشْرَفَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ وَفِيهِ مَالٌ ، فَقَالَ : يَا بَيْضَاءُ وَيَا حَمْرَاءُ ^(٩) ابْيَضِي وَاحْمَرِّي وَغُرِّي غَيْرِي . ثُمَّ أَمَرَ فَقُسِمَ جَمِيعُ مَا فِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ قَتَبَر ^(١٠) أَنْ يَكُنْسَهُ وَيُرْسَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى فِيهِ .

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُلُوكِ سَارُوا فِي الْأَمْوَالِ عَلَى نَحْوِ هَذِهِ السَّيَرَةِ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ ، وَمُلُوكِ الرُّومِ . وَمُعْظَمُ مَا أَهْلَكَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا الرُّومُ أَنَّ ^(١١) الرُّومَ الَّتِي

(١) فِي « ط » : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٢) الْخُرَيْقَةُ : تَصْغِيرُ « خِرْقَةٍ » وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الثَّوْبِ الْمَمْرُقِ .

(٣) فِي « م » : : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) فِي « م » : : وَرَبَّمَا كَانَ يَفْضَلُ .

(٥) فِي « ط » : : فَيُجْعَلُ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ « م » : : وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » : : .. وَتُحْصَلُ : تُجْمَعُ .

(٧) فِي « م » : : قَسِمَ .

(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ « ط » .

(٩) فِي « م » : : يَا حَمْرَاءُ : بَلَا عَطْفٍ .

(١٠) هُوَ خَادِمٌ عَلَى : كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ [انْظُرْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ج ٦ ص ٤٠٠] .

(١١) فِي « م » : : « لَا » مَكَانَ « أَنْ » تَحْرِيفٌ .

كَانَتْ تُجَاوِرُنَا لَمْ يَكُنْ ^(١) لَهُمْ يَبُوتُ أَمْوَالٌ ، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ الْحِزْيَةَ مِنْ سَلَاطِينِ
الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْكَنِيسَةَ فَيَقْسِمُهَا سُلْطَانُهُمْ عَلَى رِجَالِهِ بِالطَّاسِ ، وَيَأْخُذُ مِثْلَ
مَا يَأْخُذُونَ ، وَقَدْ لَا يَأْخُذُ شَيْئًا مِنْهَا . وَإِنَّمَا كَانُوا يَصْطَلِعُونَ بِهَا الرِّجَالُ [وَكَانَتْ
سَلَاطِينُنَا تَحْتَاجِبُ الْأَمْوَالِ وَتُضَيِّعُ الرِّجَالُ] ^(٢) ، فَكَانَ لِلرُّومِ ^(٣) يَبُوتُ رِجَالٌ ،
وَلِلْمُسْلِمِينَ يَبُوتُ أَمْوَالٌ ، فَيَهْدُوهُ الْخَلَّةُ ^(٤) قَهْرُونَا وَظَهَرُوا عَلَيْنَا .

وَكَانَ مَنْ يَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبَ وَلَا يَدْخِرُ الْأَمْوَالِ تُضَرَّبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ . وَيُقَالُ :
عَدُوُّ الْمَلِكِ يَبُوتُ الْمَالِ ، وَصَدِيقُهُ جُنْدُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ أَحَدُهُمَا قَوَى الْآخَرُ ، وَإِذَا
ضَعُفَ يَبُوتُ الْمَالِ يَذِلُّهُ لِلْحِمَاةِ ، قَوَى النَّاصِرُ وَاشْتَدَّ بِأَسُ الجُنْدِ ، وَقَوَى الْمَلِكُ ، وَإِذَا
قَوَى يَبُوتُ الْمَالِ وَامْتَلَأَ بِالْأَمْوَالِ ، قَلَّ النَّاصِرُ ، وَضَعُفَتِ الْحِمَاةُ ، فَضَعُفَ الْمَلِكُ ،
فَوَبَسَتْ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءُ ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مُشَاهَدَةً . وَإِذَا كَانَ الدَّفَاعُ فِي
الرِّجَالِ ^(٥) لَا فِي الْأَمْوَالِ ، وَإِنَّمَا يُدْفَعُ بِالْأَمْوَالِ بِوَاسِطَةِ الرِّجَالِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ يَبُوتَ
رِجَالٍ خَيْرٌ مِنْ يَبُوتِ مَالٍ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِإِبنِهِ : يَا بَنِي ، لَا تَجْمَعِ الْأَمْوَالِ لِتَتَقَوَّى بِهَا ^(٦) عَلَى
الْأَعْدَاءِ ، فَإِنَّ فِي جَمْعِهَا ثَقُوبَةً الْأَعْدَاءِ - يَعْنِي ^(٧) إِذَا جَمَعْتَ الْأَمْوَالِ أَضْعَفْتَ الرِّجَالِ
- فَيُطَمَعُ فِيكَ الصَّدِيقُ ، وَيَبُوتَ عَلَيْكَ الْعَدُوُّ ، وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمَلِكِ فِي مَمْلَكَتِهِ مِثْلُ رَجُلٍ لَهُ
بُسْتَانٌ فِيهَا عَيْنٌ مَعِينَةٌ ^(٨) ، فَإِنَّهُ هُوَ قَامَ عَلَى الْبُسْتَانِ فَأَحْسَنَ تَذْيِيرَهَا [فَهَنْدَسَ

(١) في ط : : تكن .

(٢) ما بين المقوقين عن ط : ولم يرد في م .

(٣) في م : : الروم تحريف .

(٤) في م : : الحيلة تحريف .

(٥) في م : : في الأموال ، والأول أوجه .

(٦) في م : : لا تجمع المال لتقوى به .

(٧) في م : : يعني أنك .

(٨) عين مقيمة : أى جارية ، والبستان هنا مؤنث على معنى الحديقة .

أَرْضَهَا] ^(١) ، وَغَرَسَ أَشْجَارَهَا [وَحَظَرَ عَلَى جَوَانِبِهَا ^(٢) ، ثُمَّ أُرْسِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ ، اخْضَرَّ عُودُهَا ، فَقَوِيَتْ أَشْجَارُهَا ، وَأَتَيْتْ ثِمَارُهَا] وَرَكَتْ بَرَكَاتُهَا ^(٣) ، فَكَانُوا جَمِيعًا فِي أَمَانٍ مِنَ الضَّيْعَةِ ، لَا يَحْفَاوْنَ ^(٤) فَقَرَأُوا وَلَا شَتَاءًا . وَإِنْ هُوَ رَغِبَ فِي غَلَّتِهَا وَجَنَانَهَا وَلَمْ يُتَّفَقْ فِيهَا مَا يَكْفِيهَا ، وَلَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ مَا يَرْوِيهَا رَغْبَةً فِي الْعَلَّةِ ، وَضَنَّةً ^(٥) بِالْمَالِ ، ضَعُفَتْ عِمَارَتُهَا ، وَذُقَتْ أَشْجَارُهَا ^(٦) وَقَلَّتْ ثِمَارُهَا ، وَذَهَبَتْ غُلَّتُهَا ، وَمَحَقَ ^(٧) الدَّهْرُ مَا جَنَى مِنْ غُلَّتِهَا ، فَافْتَقَرَ الْقَوْمُ وَهَلَكُوا وَتَشَتَّتُوا . وَمِثَالُ الْمَلِكِ فِي جَمْعِ الْمَالِ لِيَتَّقَى بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ مِثْلَ طَائِرٍ يَتَّيْفُ رِيشَةً ، وَيَمَصُّ أُصُولَهَا ، وَيَأْكُلُ مَا نَعِمَ ^(٨) مِنْهَا ، فَلَذَّ لَهُ طَيِّبُهَا ، وَأَعْجَبَهُ خَصْبُ جِسْمِهِ عَلَى ذَلِكَ وَقُوَّتُهُ ^(٩) عَلَى عَدُوِّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَفَّ رِيشُهُ ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَكَلَتْهُ الْهَوَامُّ وَالْحَشَرَاتُ .

وَرَأَيْتُ فِي أَتْحَابِ بَعْضِ الْمُلُوكِ أَنَّ وَرِيْرَهُ أَشَارَ عَلَيْهِ بِجَمْعِ الْأُمُودِ وَاقْتِنَاءِ الْكُنُوزِ ، وَقَالَ : إِنَّ الرِّجَالَ ، وَإِنْ تَفَرَّقُوا عَنْكَ الْيَوْمَ ، فَمَتَى اخْتَجَجْتَهُمْ ^(١٠) عَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الْأُمُودَ فَتَهَاقُوا عَلَيْكَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : هَلْ لِهَذَا مِنْ شَاهِدٍ ^(١١) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هَلْ يَحْضُرُنَا السَّاعَةَ ذُبَابٌ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَمْرٌ بِإِحْضَارِ جَفَنَةٍ فِيهَا عَسَلٌ ، فَحَضَرَتْ ، فَسَاقَطَ عَلَيْهَا الذُّبَابُ لِوَقْتِهَا ، فَاسْتَشَارَ السُّلْطَانُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فِي ذَلِكَ ^(١٢) ، فَتَهَاهُ عَنْ

(١) مابين المعقوفين عن « ط » ولم يرد في « م » في كل ما يأتي .

(٢) أى : حَوَّطَ عَلَيْهَا ، مِنَ الْخَطَرِ ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ حَجَزَ بَيْنَ شَيْعَيْنِ ، كَالْحَائِطِ .

(٣) في « م » : « فَرَكَتْ ثِمَارُهَا » أى : تَمَّتْ وَزَادَتْ .

(٤) في « ط » : « وَلَا يَحْفَاوْنَ » .

(٥) في « م » : « ظَنَّةٌ » تحريف .

(٦) ذُقَتْ أَشْجَارُهَا : صَارَتْ رَفِيعَةً ضَعِيفَةً ، عَكْسَ غُلُظَتْ .. وفي « م » : « رَقَّتْ » وهى بمعناها .

(٧) مَحَقَ : أَبَادَ وَأَهْلَكَ .

(٨) نَعِمَ : طَابَ وَرَفَقَ .. وَلَذَّ : صَارَ شَهِيًّا .

(٩) في « م » : « وَأَعْجَبَهُ خَصْبُ جِسْمِهِ وَقُوَّتُهُ » .

(١٠) في « م » : « اخْتَجَجْنَاهُمْ » .

(١١) في « م » : « فَقَالَ الْمَلِكُ : هَلْ لِدَلِكِ مِنْ دَلِيلٍ » . وفيها : « يَحْضُرُنَا » مكان « يَحْضُرُنَا » .

(١٢) « فِي ذَلِكَ » عَنْ « ط » .

ذَلِكَ وَقَالَ : لَا تُغَيِّرْ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَدْتُهُمْ حَضَرُوا . فَسَأَلَ ^(١) : هَلْ لِدَلِّكَ مِنْ دَلِيلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا أُمْسَيْتَا سَأَخْبِرُكَ . فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ قَالَ لِلْمَلِكِ : هَاتِ الْجَفْنَةَ ، فَحَضَرَتْ ، وَلَمْ تَحْضُرْ ذُبَابَةٌ وَاحِدَةٌ .

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ سِيرَةِ بَعْضِ السَّلَاطِينِ فِي أَرْضِ مِصْرَ - وَكَانَ قَدْ مَلَكَهَا ، وَكَانَ اسْمُهُ بِلْدَقُورَ - أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ وَلَا يَحْفَلُ بِالرِّجَالِ ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْجِيُوشِ بِالشَّامِ ، وَهُوَ يَتَوَاعَدُكَ وَكَأَنَّهُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْكَ ^(٣) ، فَاسْتَعِدِّ الرِّجَالَ ^(٤) ، وَأَنْفِقْ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ . فَأَوَّماً إِلَى صِنَادِيقِ مَوْضُوعَةٍ عِنْدَهُ وَقَالَ : الرِّجَالُ فِي الصِّنَادِيقِ ^(٥) . فَعَزَا أَمِيرُ الْجِيُوشِ ذَلِكَ الْمَلِكُ فِي مِصْرَ وَقَتْلَهُ ، وَتَسَلَّمَ الصِّنَادِيقَ وَالْمَلِكُ ، فَكَانَ رَأْيُهُ رَأْيَا فَاسِدًا ، لِأَنَّ رِجَالًا يُقِيمُهُمْ لَوَفِيهِ وَيَصْطَلِحُهُمْ لِحَاجَةٍ ^(٦) ، إِنَّمَا يَكُونُونَ أَخْيَافًا مُجْمَعِينَ ^(٧) ، وَشِرْذِمَةً مُلَفَّقِينَ ، لَيْسَ فِيهِمْ غِنَى ^(٨) ، وَلَا عِنْدَهُمْ دِفَاعٌ وَلَا مُمَارَسَةٌ لِلْحُرُوبِ .

وَمِنَ السَّيْرِ الْمَرْوِيَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ ، أَنَّهُ لَمَّا فُتِحَتِ الْعِرَاقُ ، جِئَ بِالْمَالِ إِلَى عَمَرَ ^(٩) ، فَقَالَ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ : أَذْخِلْهُ بَيْتَ الْمَالِ ؟ فَقَالَ : لَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، لَا يُؤْزِي نَحْتَ سَقْفِ بَيْتٍ حَتَّى تُقْسِمَهُ ، فَعُطِيَ فِي الْمَسْجِدِ بِالْأَنْطَاعِ ، وَحَرَسَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَظَرَ إِلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّبُرِجِدِ

(١) فِي « م » : « قَالَ » .

(٢) لَا يَحْفَلُ بِالرِّجَالِ : لَا يَبَالِي أَوْ لَا يَعْنِي بِهِمْ .

(٣) أَيْ : وَكَأَنَّهُ عَاهَدَ عَلَى أَنْ يَوَافِكَ فِي وَقْتٍ أَوْ مَوْضِعٍ مَعِين .

(٤) فَاسْتَعِدِّ الرِّجَالَ ، أَيْ : اسْتَعِزْ وَاسْتَنْصِرْ بِهِمْ .

(٥) فِي « م » : « وَقَالَ لِلرِّجَالِ » . وَمِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ : « وَتَسَلَّمَ الصِّنَادِيقَ » عَنْ « ط » : « وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٦) فِي « ط » : « لِحَاجَتِهِ » .

(٧) أَخْيَافًا ، أَيْ : رِجَالًا مُخْتَلَفِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَشْكَالِ .. وَفِي « ط » : « أَجْنَادًا مُجْمَعِينَ » .

(٨) فِي « ط » : « عَنَاءَ » بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَبِمَا يَرِيدُ بِهَا عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى تَحْمِلِ الْمَشَقَّةِ .

(٩) فِي « م » : « عَمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

وَالدُّرُّ بَتْلَاءُ ، فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ ^(١) أَوْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا هَذَا ^(٢) يَبْزُمُ بَكَاءَ ، وَلَكِنَّهُ يَوْمَ شُكْرِ وَسُرُورٍ . فَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا ذَهَبْتُ حَيْثُ ذَهَبْتُ ، وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا كَثُرَ هَذَا فِي قَوْمٍ إِلَّا وَقَعَ بِأُسْهُمَ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَبِيلَةِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَدْرَجًا ، فَأَتِي أَسْمَعَكَ ^(٣) تَقُولُ : « سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » ^(٤) . ثُمَّ قَالَ : أَمِينَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشِمٍ ^(٥) ، فَأَتَيْتُ بِهِ أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ دَقِيقَهُمَا ، فَأَعْطَاهُ سِوَارِي كِسْرَى وَقَالَ : الْبَسْهُمَا . فَفَعَلَ . فَقَالَ : قُلِ : اللَّهُ أَكْبَرُ . قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ . قَالَ : قُلِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَالْبَسْهُمَا سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشِمٍ أُعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ ، ثُمَّ قَبْلَهُمَا وَقَالَ : إِنَّ الَّذِي أَدَّى هَذَا لِأَمِينٍ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنَا أَخْبِرُكَ ، أَنْتَ أَمِينَ اللَّهِ تَعَالَى [وَهُمْ يُؤْذُونَ إِلَيْكَ مَا أَدَّيْتَ لِلَّهِ تَعَالَى] ^(٦) ، فَإِذَا رَغَبْتَ رَتِّعُوا . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَإِنَّمَا الْبَسْهُمَا سُرَاقَةَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسُرَاقَةَ ^(٧) وَنَظَرَ إِلَى ذِرَاعَيْهِ : كَأَنِّي بِكَ قَدْ ^(٨) لَبَسْتَ سِوَارِي كِسْرَى . وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ إِلَّا السَّوَارِي .

(١) في م : « فقال له عبد الرحمن بن عوف » ولم يرد فيها اسم العباس .

(٢) في م : « ما هو » .

(٣) في م : « سمعتك » أي : في القرآن الكريم .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية ١٨٢ .. وسورة القلم ، من الآية ٤٤ .

(٥) هو : سراقه بن مالك بن جُعْشِمِ الْمُدَلِجِيِّ الْكَثَائِي ، أبو سفيان ، شاعر ، كان ينزل « قديداً » - موضع بقرب مكة - وكان في الجاهلية قائماً بقتص الأثر ، وهو الذي أخرجه أبو سفيان ليقناف أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج مع أبي بكر مهاجراً من مكة إلى المدينة ، ففاصت أقدام فرسه في الرمال ، وسقط عنه ثلاث مرات ، فشاخ من متابعتهما وقال لهما : « والله لا أريكما ولا يأتيكما مني شيء تذكرونه ، ثم رجع ولم يذكر شيئاً مما كان .. وفي حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له : « كيف بك إذ لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه » . فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقه وألبسه إياها . وتوفى سراقه سنة ٢٤ هـ في أول خلافة عثمان ، رضى الله عنه .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٨٠ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣ ، وثمار القلوب ص ١٢٠] .

(٦) ما بين المقوسطين عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٧) قوله : « قال لسراقه » سقط من « ط » .

(٨) في م : « وقد » .

وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جَاءَهُ مَالٌ مِنَ الْعُمَّالِ ، فَصَبَّ فِي الْمَسْجِدِ ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى ^(١) : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينَ أَوْ عِدَّةٌ ^(٢) فَلْيَحْضُرْ . قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ^(٣) : فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَوْ جَاعَنِي ^(٤) مَالٌ أُعْطَيْتَكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ، وَأَشَارَ بِكَفِّهِ ، فَسَكَتَ أَبُو بَكْرٍ ، فَانْصَرَفْتُ ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ ، فَسَكَتَ عَنِّي ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، وَعَاوَدْتُهُ فَقُلْتُ : إِمَّا أَنْ تُعْطِيَنِي ، وَإِمَّا أَنْ تَبْحَلَ عَنِّي ^(٥) . فَقَالَ : مَا أَبْحُلُ عَنْكَ ، اذْهَبْ فَخُذْ . فَحَفَنْتُ حَفْنَةً ^(٦) قَالَ : عُدَّهَا ، فَعَدَدْتُهَا ، فَوَجَدْتُ فِيهَا خَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ . قَالَ : عُدْ بِمِثْلَيْهَا ، فَعَدَدْتُ مِثْلَيْهَا ، فَانْصَرَفْتُ بِأَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ^(٧) . وَأَبُو أَيُّوبَ مِنَ أَغْنِيَاءِ الْأَنْصَارِ ^(٨) ، وَهُوَ نَزِيلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ بَيْتَ الْمَالِ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ ، وَدَلَّ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ يُسَاوَى فِيهِ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ ذَلِكَ ، مُوَكَّلٌ إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ .

(١) في « ط » : « وَأَمْرٌ فَنَادَى » .

(٢) عِدَّةٌ : وَغَدٌّ مَثَلُهُ بِهِ .

(٣) هذا الحديث ورد في البخارى ، والقاتل هو جابر بن عبد الله ، وليس أبا أيوب الأنصارى .. انظر فتح البارى ج ٦ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨] .

(٤) في « ط » : « قَالَ لِي : لَوْ قَدْ جَاعَنِي » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « عَلَيَّ » . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا وَرَدَ بِالْبُخَارَى .. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ ، آيَةِ ٣٨ : « وَمَنْ يَخْلُ فَاِذَا يَخْلُ مِنْ نَفْسِهِ » .

(٦) هكذا في « ط » .. أَى : أَخَذْتُ يِلَاءَ كَفِّي .. وَفِي « م » : « اذْهَبْ فَخُذْ حَفْنَةً » وَمَا وَرَدَ فِي « ط » مُوَافِقٌ لِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْأَسْقَى .

(٧) مِنْ قَوْلِهِ : « قَالَ : عُدْ بِمِثْلَيْهَا ... » إِلَى هُنَا عَنْ « م » ، وَلَمْ يَرِدْ فِي « ط » .. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ .

(٨) تَقْدِمُ فِي الْهَامِشِ رَقْمَ (٣) أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ حَدَّثَ لُجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَلَيْسَ لِأَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ .. وَأَبُو أَيُّوبَ هَذَا مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ، وَاسْمُهُ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كَلْبِ بْنِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا إِلَى أَنْ بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ .. وَقَدْ شَهِدَ أَبُو أَيُّوبَ الْعَقِيَّةَ ، وَبَدْرًا ، وَاحِدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمِنْ خَاصَّتِهِ ، وَكَانَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ يَوْمَ الْبُحْرَانَ ثُمَّ غَزَا - أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ - أَرْضَ الرُّومِ مَعَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ ٥١ هـ ، وَتَوَفَّى عِنْدَ مَدِينَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَدُفِنَ هُنَاكَ .

انظر أَسَدُ الْغَابَةِ ج ٦ ص ٢٥ ، ٢٦] .

فصل

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسَدِيُّ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : وَجَدْتُ فِي كِتَابِ قِبْطِيٍّ بِاللُّغَةِ الصَّعِيدِيَّةِ ، مِمَّا ثَقُلَ ^(١) بِالْعَرَبِيَّةِ مَبْلَغٌ مَا كَانَ يُسْتَحْرَجُ لِإِزْعَوْنَ يُوسُفَ مِنْ أَمْوَالِ مِصْرَ بِحَقِّ الْخُرَاجِ ، مِمَّا يُؤْخَذُ مِنْ وَجُوهِ الْجَبَابِيَةِ لِإِزْعَوْنَ لِسَنَةِ وَاحِدَةٍ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَالرُّسُومِ الْجَارِيَةِ مِنْ غَيْرِ اضْطِهَادٍ وَلَا مُنَاقَشَةٍ ، وَيَبْعَدُ وَضْعُ مَا يَجِبُ وَضْعُهُ لِحَوَادِثِ الزَّمَانِ ، نَظَرًا لِلْعَامِلِينَ ، وَتَقْوِيَةً لِحَالِهِمْ ^(٢) ، مِنْ الْعَيْنِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَار . وَمِنْ ^(٣) ذَلِكَ مَا يَنْصَرَفُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ لِحَفْرِ الْخُلُجِ ^(٤) وَالْأَنْفَاقِ عَلَى الْجُسُورِ ، وَسَدِّ التُّرُوعِ ، وَإِصْلَاحِ الْمُنَشَّاتِ ، ثُمَّ فِي تَقْوِيَةِ ^(٥) مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْوِيَتِهِ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ عَلَيْهِ بِهَا لِإِقَامَةِ الْعَوَامِلِ ، وَالتَّوَسُّعِ فِي الْبَذَارِ ^(٦) ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآلَاتِ ، وَأُجْرَةٍ مَنْ يُسْتَعَانُ ^(٧) بِهِ لِحِمْلِ الْبَذَارِ ، وَسَائِرِ نَفَقَاتِ تَطْبِيقِ الْأَرْضِينَ ثَمَانِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَار . وَلَمَّا يَنْصَرَفُ فِي أَرْزَاقِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُؤَسَّرِينَ بِالسَّلَاحِ ، وَمَنْ فِي جُمْلَتِهِمْ مِنَ الشَّادِيَةِ ^(٨) وَالْعِلْمَانِ وَأَشْيَاعِهِمْ ، وَعِدَّةٌ جَمِيعِهِمْ - مَعَ أَلْفِ كَاتِبِ مُؤَسَّرِينَ بِالْأَدْوَابِ ، سِوَى أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ - مِائَةُ أَلْفٍ وَأَحَدٍ ^(٩) عَشَرَ أَلْفٍ دِينَار ، وَثَمَانِيَةُ أَلْفِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ^(١٠) ، وَلَمَّا يَنْصَرَفُ

(١) في « م » : « بما ثقل » .. ويريد بقوله « باللغة الصعيدية » أنه كتب بلهجة قبطية صعيدية .. واللغة القبطية تطور في اللغة المصرية القديمة ، وكانت اللغة المستعملة في عهود المسيحية الأولى .
(٢) في « م » : « بمالهم » .
(٣) في « ط » : « من » بدون الواو .
(٤) الخُلُج : جمع خليج ، وهو الثَّهِيرُ يقطع من النهر الكبير إلى جهة يَنْتَفِعُ به .. وفي « ط » : « لحفر الخليج » بالإنفراد .

(٥) في « ط » : « ثم تقوية » .
(٦) البَذَارُ : بكسر الباء ، جمع بَذَرٍ وهو كل خَبٍّ يُزْرَعُ فِي الْأَرْضِ .
(٧) في « م » : « ما يُسْتَعَانُ بِهِ » .
(٨) من الشادية : المغنين أو الحداة .. وفي « م » : « من الشاكزية » ويريد بهم : الفلمنان أو الرعاة الصغار .
(٩) في « م » و « ط » : « إحدى » خطأ ، والصواب ما أثبتناه .
(١٠) في « م » : « ثمانية ألف دينار » .

لِلْأَرَامِلِ ^(١) وَالْأَيْتَامِ يَرْضَوْنَ بِهِ مِنْ تَيْتِ الْمَالِ ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ مُحْتَاجِينَ ، حَتَّى لَا يَحُلُوْا
 أَمْثَالَهُمْ مِنْ بَرِّ فِرْعَوْنَ ، أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَلَمَّا يَنْصَرِفُ فِي كَهَنَةِ إِبْرَاهِيمَ ^(٢) وَسَائِرِ
 نُبُوتِ صَلَوَاتِهِمْ مِائَتَا أَلْفٍ دِينَارٍ ^(٣) ، وَلَمَّا يَنْصَرِفُ فِي الصَّدَقَاتِ مِمَّا يُصَبُّ صَبًّا ،
 وَيُنَادَى : بَرِئْتُ الدِّمَّةَ مِنْ رَجُلٍ كَشَفَ وَجْهَهُ لِفَاقَةِ وَلَمْ يَحْضُرْ ^(٤) ، فَيَحْضُرُ لِذَلِكَ مَنْ
 يَحْضُرُ ، وَلَا يُرَدُّ أَحَدٌ ^(٥) ، وَالْأَمْثَاءُ جُلُوسٌ ، فَإِذَا رَأَوْا إِنْسَانًا لَمْ يُجَرَ رَسْمُهُ بَانَ يَأْخُذُ ،
 أَفْرَدُوهُ ^(٦) بَعْدَ قَبْضِهِ مَا قَبَضَهُ ، حَتَّى إِذَا فُرِقَ الْمَالُ ، وَاجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَدَدٌ ،
 دَخَلَ أَمْثَاءُ فِرْعَوْنَ إِلَيْهِ وَهَنُوهُ بِتَفْرِيقَةِ الْمَالِ ، وَدَعَوْا ^(٧) لَهُ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ ، وَدَوَامِ الْعِزِّ ^(٨)
 وَالسَّلَامَةِ ، وَالْهَيْ إِلَى حَالِ تِلْكَ الطَّائِفَةِ ، فَيَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ شِعْنِهَا ^(٩) بِالْحِمَامِ وَاللِّبَاسِ ، ثُمَّ
 يُعَدُّ السَّمَاطُ فَيَأْكُلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْرَبُونَ ، وَيَسْتَعْلِمُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ سَبَبَ فَاقَتِهِ ، فَإِنْ
 كَانَ ذَلِكَ مِنْ آفَةِ الزَّمَانِ رَدُّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا كَانَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ سُوءِ رَأْيٍ ^(١٠)
 وَتَذْيِيرٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ ، ضَمَّهُ إِلَى مَنْ يُشْرِفُ عَلَيْهِ ، وَيَأْخُذُهُ بِالْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَا
 يَصْلُحُ إِلَّا بِهَا ^(١١) ، مِائَتَا أَلْفٍ [دِينَارٍ] ^(١٢) . وَلَمَّا يَنْصَرِفُ مِنْ تَفَقَّاتِ فِرْعَوْنَ الرَّائِبَةِ
 لِسِتْنَتِهِ مِائَتَا أَلْفٍ دِينَارٍ ، تُكُونُ التَّفَقَّاتُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهَا تِسْعَةَ آلَافِ أَلْفٍ

(١) في (م) : : في الأراميل .

(٢) أى : هياكلهم ومعابدهم .. وفي (م) : : في ترابهم ، تحريف .

(٣) في (م) : : مائة ألف دينار .

(٤) في (م) : : إلا حضر . والفاقة : الفقر والحاجة .

(٥) في (م) : : أحداً ، أى : ولا يُردُّ الأيمنُ أحداً . بالبناء للمعلوم .

(٦) أى : عزلوه بمفرده .. وفي (م) : : قُرْدُ ، أى : أعيد .

(٧) في (م) : : ودعا ، بالإنفراد ، والسياق يتطلب الجمع .

(٨) في (م) : : ودوام النعماء .. وفي المستطرف : : ودوام العز والنعماء والسلامة .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٣] .

(٩) أى : بتغيير هيئتهم ومظهرهم غير اللائق .

(١٠) في (ط) : : وإن كان سوء رأي .

(١١) في (م) : : إلى أن يصلح .

(١٢) هكذا في (م) : : و (ط) ، وما بين المعقوفين عن (ط) .

وَتَمَاتِمَاتِ أَلْفِ دِينَارٍ . وَيَحْصُلُ ^(١) بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَسْأَلُهُ يُوسُفُ الصَّدِيقُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَيَحْصُلُهُ لِفِرْعَوْنَ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِتَوَاتِبِ الزَّمَانِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتُّمِائَةِ أَلْفٍ
دِينَارٍ .

وَقَالَ أَبُو رُفَيْمٍ : كَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ ، أَرْضًا مُدَبَّرَةً ^(٢) حَتَّى إِنْ الْمَاءَ لَيَجْرِي نَحْتَ
مَنَازِلِهَا وَأَفْتِنَتِهَا ، فَيَحْسِبُونَهُ كَيْفَ شَاءُوا ، وَيُرْسِلُونَهُ ^(٣) كَيْفَ شَاءُوا ، وَذَلِكَ قَوْلُ
فِرْعَوْنَ : « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ » ^(٤) .
وَكَانَ مُلْكُ مِصْرَ عَظِيمًا ^(٥) ، لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَعْظَمُ ^(٦) مِنْ مُلْكِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ
الْجَنَاطُ بِحَافَتِي الثَّيْلِ مُتَّصِلَةً ، لَا يَنْقَطِعُ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ، وَالزُّرْعُ كَذَلِكَ مِنْ
أُسْوَانٍ إِلَى رَشِيدٍ ، وَكَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ كُلُّهَا تُرَوَّى مِنْ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا لِمَا دَبَّرُوا ^(٧) فِي
جُسُورِهَا وَحَافَتَيْهَا ، وَالزُّرْعُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ مِنْ أُولَاهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
« كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَغَيْبُونَ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا
لَا يَكْتُمُونَ » ^(٨) . وَالْمَقَامُ الْكَرِيمُ : الْمَنَابِرُ ، وَكَانَ بِهَا أَلْفُ مِثْقَلٍ ^(٩) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ^(١٠) : اسْتَعْمَلَ فِرْعَوْنُ هَامَانَ عَلَى حَفْرِ خَلِيجٍ

(١) يحصل : يبقى .

(٢) مُدَبَّرَةٌ : كثيرة المياة .

(٣) في ا ط : « فيجسوه .. ويرسلوه » ولا وجه لها ، فالفاء هنا ليست للسببية .

[وانظر المستطرف ج ١ ص ٢٤٣]

(٤) سورة الزخرف ، من الآية ٥١ .

(٥) في م : « ملكاً عظيماً » .

(٦) في م : « ملكاً أعظم » بالنصب ، ولا تصح .. وفي المستطرف - الباب السابق : « ولم يكن في الأرض
أعظم منه ملكاً » .

(٧) دَبَّرُوا : نَظَّمُوا واعتنوا .

(٨) سورة الدخان ، الآيات من ٢٥ - ٢٧ .

(٩) المنبر : كل مُرتَفَعٍ يُرْقَى . والمراد بالمنابر هنا : القصور العالية ، أو المنازل الحسنة .

(١٠) هكذا في ا ط .. وفي م : والمستطرف ج ١ ص ٢٤٤ : « عبد الله بن عمر » تحريف .. وفي معجم

البلدان - مادة « سردوس » تقلد عن ابن عبد الحكم : أنه عمرو بن العاص . وهو الأرجح .. ولعل عبد الله بن عمرو
رواه عن أبيه .

سَرْدُوسٌ^(١) ، فَأَخَذَ فِي حَفْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، فَجَعَلَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُجَرِيَ الْخَلِيجَ تَحْتَ قَرْيَتِهِمْ وَيُعْطَوْهُ مَالًا ، وَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ ، مِنْ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ، وَمِنْ الشَّمَالِ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَيَسْأَلُهُ كَيْفَ أَرَادَ ، فَلَيْسَ فِي مِصْرَ خَلِيجٌ أَكْثَرُ عُطُوفًا^(٢) مِنْهُ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْوَالٌ ، عَظِيمَةٌ ، فَحَمَلَهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْبَرَهُ بِالْحَبْرِ ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى عِبِيدِهِ ، وَيُفِيضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِهِ وَذَخَائِرِهِ ، وَلَا يَرْغَبَ فِيمَا بَأْيَدِيهِمْ ، رُدُّ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ مَا أَخَذْتَ مِنْهُمْ . فَرَدُّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالُهُمْ .

فَهَذِهِ سِيرَةٌ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ ، وَلَا يَرْجُو لِقَاءَهُ ، وَلَا يَخَافُ عَذَابَهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، فَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُكُونَ سِيرَةٌ مَنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُوقِنُ بِالْحِسَابِ وَالْقَوَابِ وَالْعِقَابِ^(٣) ؟

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٤) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾^(٥) ، قَالَ : هِيَ خَزَائِنُ مِصْرَ ، وَكَانَتْ أَرْبَعِينَ فَرَسَخًا^(٦) فِي مِثْلِهَا . وَلَمْ يُعْطَ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ وَيُخْلَقْ وَيُنَبِّ^(٧) عَنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ^(٨) فَأَسْلَمَ ، فَحَبِشْتُهُ قَالَ : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ .

[= انظر ترجمة عبد الله بن عمرو في الأعلام ج ٤ ص ١١ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٩٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٧٣ ، وغيرها من الصفحات ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٩ - ٣٥١] .

(١) كانت خلجان مصر سبعة ، على جوانبها الجنات ، ومنها خليج سَرْدُوسُ هذا .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٠] .

(٢) الْعُطُوفُ : الميل والانحناء .

(٣) في م : « سورة من يؤمن بالحساب ويقول : لا إله إلا الله » .

(٤) في م : « عنه » .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٥٥ .

(٦) أى : وكانت مصر أربعين فرسَخاً في مثلها .. كذا وردت في المستطرف - ج ١ ص ٢٤٤ - والفرسخ : مقياس قديم يقدر بثلاثة أميال .

(٧) في م : « و » ط : « : » ينوب « ل » لاتصح ، معطوفة على مجزوم .

(٨) هكذا في ط : « والمستطرف .. وفي م : « : » السلام ، تحريف .

وَلَمَّا اسْتَوْنِي أَمْرُ يُوسُفَ الصَّدِّيقِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) وَكَمَلَ ، وَصَارَتْ الْأَشْيَاءُ إِلَيْهِ ،
وَأَرَادَ رُبُّكَ ^(٢) أَنْ يُعْرَضَهُ عَلَى صَبْرِهِ لَمَّا لَمْ يَرْكَبْ ^(٣) مَحَارِمَهُ ، وَحَلَّتْ سِنُو الْفَلَاءِ ^(٤)
وَالْجُوع - مَاتَ الْعَزِيزُ ، وَذَهَبَتِ الدَّخَائِرُ ، وَافْتَقَرْتُ « زُلَيْخَا » وَعَمِيَ بَصَرُهَا ،
وَجَعَلْتُ تَتَكَفَّفُ النَّاسَ ^(٥) ، فَقِيلَ لَهَا : لَوْ تَعْرَضْتِ لِلْمَلِكِ لَعَلَّهُ يَرْحَمُكَ وَيُعِينِكَ ،
فَطَالَمَا حَفِظْتِيهِ وَأَكْرَمْتِيهِ . ثُمَّ قِيلَ لَهَا : لَا تَفْعَلِي ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَتَذَكَّرُ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَيْهِ
مِنَ الْمُزَادَةِ وَالْحَسْبِ قَيْسَى إِلَيْكَ وَبِكَافِكَ فِيمَا سَبَقَ مِنْكَ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : أَنَا أَعْلَمُ
بِحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ .

وَوَجَلَسْتُ لَهُ عَلَى رَأِيَّةٍ فِي طَرِيقِهِ يَوْمَ خُرُوجِهِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ فِي زُهَاءٍ مِائَةِ أَلْفٍ مِنْ
عُظَمَاءِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ قَامَتْ وَقَالَتْ : سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْمُلُوكَ
عَبِيدًا بِمَعْصِيَتِهِمْ ، وَجَعَلَ الْعَبِيدَ مُلُوكًا بِطَاعَتِهِمْ ^(٦) . فَقَالَ يُوسُفُ : مَنْ ^(٧) أَنْتِ ؟
قَالَتْ : أَنَا الَّتِي كُنْتُ أُخْدِمُكَ عَلَى صُدُورِ قَدَمِي ^(٨) ، وَأَرْجُلُ جُمُتِكَ ^(٩) يَبْدَى ،
وَأَكْرَمُ مَثْوَاكَ ^(١٠) بِجَهْدِي ، وَكَانَ مِنِّي مَا كَانَ ، وَقَدْ ذُقْتُ وَبَالَ أَمْرِي ^(١١) ، وَذَهَبَتْ
قُوَّتِي ، وَتَلَفَ مَالِي ، وَعَمِيَ بَصْرِي ، وَصِرْتُ أَسْأَلَ النَّاسَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْحَمُنِي وَمِنْهُمْ

(١) ما بين المعنويين عن « ط » .

(٢) « رَبُّكَ » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٣) في « ط » : « يركب » لعله خطأ مطبعي .

(٤) في « م » : « وجاءت » مكان « وحلت » وسنو الفلاء : السنون التي حصل فيها الفلاء .

(٥) تتكفف الناس : تطلب عطاياهم .

(٦) في « م » : « سبحانه من جعل العبيد ملوكاً بطاعتهم ، وجعل الملوك عبيداً بمعصيتهم » بتقديم الجملة الثانية على الأولى .

(٧) في « ط » : « ومن » .

(٨) هكذا في « م » و « ط » .. وفي المستطرف : « أخدمك بنفسى » .

(٩) أُرْجُلُ جَمَتِكَ : أَسْرَحُ وَأَزِينُ شعر رأسك .

(١٠) في « ط » : « مسواك » خطأ .. وأكرم مثواك : أجعل مقامك عندنا كريماً .

(١١) في « ط » : « وَذُقْتُ وَبَالَ أَمْرِي » أى : سوء عاقبتى .

مَنْ لَا يَرْحَمُنِي ، وَبَعْدَمَا ^(١) كُنْتُ مَغْبُوطَةً أَهْلَ بَصَرَ كُلَّهَا صِرْتُ ^(٢) مَرْحُومَتَهُمْ ، بَلْ
مَتْحَرُومَتَهُمْ .. هَذَا جَزَاءُ الْمُفْسِدِينَ .

فَبَكَى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُكَاءً شَدِيدًا وَقَالَ لَهَا : هَلْ بَقِيَ فِي قَلْبِكَ مِنْ حُبِّكَ إِيَّايَ
شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ : وَالَّذِي اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، لَنَظَرَةٍ إِلَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ
ذَهَبًا وَفِضَّةً . فَمَضَى يُوسُفُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٣) وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنْ كُنْتَ أَيْمًا ^(٤)
تَزَوَّجْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ ذَاتَ بَغْلٍ أَغْنَيْنَاكَ . فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : الْمَلِكُ ^(٥) أَعْرَفُ بِاللَّهِ مِنْ
أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِي ، هُوَ لَمْ يُرْذِنِي ^(٦) فِي أَيَّامِ شَبَابِي وَجَمَالِي ، فَكَيْفَ يَقْبَلُنِي وَأَنَا عَجُوزٌ
عَمِيَاءُ فَقِيرَةٌ ؟ فَأَمَرَ ^(٧) بِهَا يُوسُفُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَهَّزَتْ ، فَتَزَوَّجَهَا ، وَأَدْخَلَتْ ^(٨)
عَلَيْهِ فَصَفَ قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَصْلِي ، وَدَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، فَرَدَّ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) عَلَيْهَا
شَبَابَهَا وَجَمَالَهَا وَبَصَرَهَا ، كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ رَاوَدَتْهُ ، فَوَاقَعَهَا فَإِذَا هِيَ بِكَرٍّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ
أَفْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ ، وَمِمَّا بَنَى يُوسُفُ ^(١٠) ، وَطَابَ فِي الْإِسْلَامِ عَيْشُهُمَا حَتَّى فَرَّقَ الدَّهْرُ
بَيْنَهُمَا .

فَيَجِبُ لِلْقَوِيِّ أَنْ لَا يَنْسَى الضَّعِيفَ ، وَلِلْعَنِيِّ أَنْ لَا يَنْسَى الْفَقِيرَ ، قَرَبَ مَطْلُوبٍ
يَصِيرُ طَالِبًا ، وَمَرْغُوبٍ إِلَيْهِ يَصِيرُ رَاغِبًا ، وَمَسْئُولٍ يَصِيرُ سَائِلًا ، وَرَاجِحٍ يَصِيرُ
مَرْحُومًا ، فَهَذَا يُوسُفُ الصَّدِيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْظَرَ إِلَى ضَعْفِهِ فِي يَدِ إِخْوَتِهِ يَوْمَ الْحُبِّ ،

(١) في م : و ط : : عندما ، بدون الواو ، وهي هنا عن المستطرف .

(٢) في م : : قَصِرْتُ ، ومغبوبة بمعنى الناس ما أنا فيه من نعمة .

(٣) ما بين المعقوفين عن م : .

(٤) أَيْمًا : بلا زوج .

(٥) في م : : فقالت لرسول الملك ، .

(٦) يُرْذِنِي : يطلبني من رَأَى الشَّيْءِ ، إِذَا طَلَبُهُ .

(٧) في م : : : وَأَمَرَ .

(٨) في م : : : ودخلت .

(٩) ما بين المعقوفين عن ط : .

(١٠) هكذا في م : و ط : والمستطرف .. وفي قصص الأنبياء لابن كثير : : أفرايم أو أفرايم ، والأخيرة

بالهاء ، و : منسا ، بالسین المهملة .

وجاء فيها سبب بكارعها ، بأن زوجها - قبل يوسف - كان لا يأتى النساء .

[انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٥]

ثُمَّ ضَعَفِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الصَّاعِ ، وَهَذِهِ زُلَيْخَا مَلِكَةُ مِصْرَ وَسَيِّدَةُ أَهْلِهَا عَادَتْ تَنْكُفُفُ النَّاسَ فِي الطَّرِيقَاتِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ ^(١) . فَكَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ هَذَا يَجُوعُ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَلَا يَشْبَعُ . فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ ^(٢) : أَتَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى الْجَائِعِينَ .

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْحِقَّةَ بِمَنْقِبَةِ ^(٣) فِي مِثْلِهَا يَتَنَافَسُ الْعُقَلَاءُ ، وَيَرْغَبُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْوُزَرَاءُ ، وَذَلِكَ أَتَى لَمَّا كُنْتُ بِالْعِرَاقِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلِكِ ^(٤) ، وَالْعَالِبُ عَلَى أَقْبَاهِهِ « خَوَاجَا بَزْرَك » ^(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] قَدْ وَزَّرَ ^(٦) لِإِبْنِي الْفَتْحِ مَلِكِ التُّرْكِ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٣٧ .

(٢) في « ط » : « قَالَ » .

(٣) الْمَنْقِبَةُ : الْمُصَغَّرَةُ وَالْفِعْلُ الْكَرِيمُ .

(٤) هو : الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ، أبو علي ، الملقب بقوام الدين نظام الملك .. وزير حازم ، متدين ، عالي الهمة ، أصله من نواحي طوس ، تأدب بآداب العرب وسمع الحديث الكثير ، واشتغل بالأعمال السلطانية ، فاقصَل بالسلطان ألب أرسلان ، فاستوزره ، فأحسن التدبير ، وبقي في خدمته عشر سنين ، وبعد أن مات ألب أرسلان خلفه ولده مُلْك شاه ، وفي عهده صار الأمر كله لنظام الملك ، وليس للسلطان إلا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة ، فبهر العقول بسميته ، وكان جوداً كريماً ، وببالغ في الخضوع للمصالحين ، وكان مجلسه عامراً بالقرناء والفقهاء ، وازدهرت في أيامه دولة العلم .. وقُتِل - رحمه الله - في رمضان سنة ٤٨٥ هـ ، قُتِلَ دِهْلَمِي غيلة . وكان مولده سنة ٤٠٨ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٠٢ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٩٤ - ٩٦ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٨ - ١٣١ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، والكامل لابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٤٨٥ وصفحات أخرى متفرقة ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٣ - ٣٧٥ ، ودول الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٣ ، ولبيران والعراق في العصر السلجوقي ص ٨١ وما بعدها] .

(٥) في « م » : « خَوَاجَا بِرَرْحَك » تحريف .. وفي « ط » : « بِرَرْك » وأملت جميع المصادر السابقة هذا اللقب وذكرت لقب « قوام الدين » . و « خَوَاجَه » كلمة فارسية تعني : الأستاذ أو العالم أو الحاكم .. وكلمة « بَزْرَك » التي أثبتناها هنا بالإحصام معناها : العظيم أو الجليل أو الرئيس .

[انظر قاموس الفارسية د . عبد النعيم حسنين ص ١٠٣ و ص ٢٢٢]

(٦) ما بين المقوفتين عن « ط » .. وَوَزَّرَ : صار وزيراً .

ابنِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ ^(١) ، وَكَانَ قَدْ وَزَرَ لِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَقَامَ بِدَوْلَتِهِمَا أَحْسَنَ قِيَامٍ ، فَشَدَّ أَرْكَائَهَا ، وَشَدَّ بَنِيَانَهَا ، وَاسْتَمَالَ الْأَعْدَاءَ ، وَوَالَى الْأَوْلِيَاءَ ، وَاسْتَعْمَلَ الْكُفَاةَ ، وَعَمَّ إِحْسَانُهُ الْعُلُوَّ وَالصَّدِيقَ ، وَالنَّبِيضَ ^(٢) ، وَالْحَبِيبَ ، وَالنَّبِيدَ وَالْقَرِيبَ ، حَتَّى أَلْفَى الْمُلُوكَ بِجَرَائِهِ ^(٣) ، وَذَلَّ الْخُلُقَى لِسُلْطَانِيهِ ، وَكَانَ الَّذِي مَهَّدَ لَهُ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ ، أَنَّهُ أَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى مُرَاعَاةِ حِمْلَةِ الدِّينِ ^(٤) فَبَنَى دَوْرَ الْعِلْمِ لِلْفُقَهَاءِ ، وَأَثْبَتَا الْمَدَارِسَ لِلْعُلَمَاءِ ، وَأَسَّسَ الرِّبَاطَاتِ ^(٥) لِلْعَبَادِ وَالزُّهَادِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْفَقَرَاءِ ، ثُمَّ أُجْزِيَ لَهُمُ الْجَرَائِيَاتِ وَالْكُسَا ^(٦) وَالْتَفَقَاتِ ، وَأُجْزِيَ الْخَيْرَ وَالرُّزْقَ ^(٧) لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّلِبِ لِلْعِلْمِ مُضَافًا إِلَى أَرْزَاقِهِمْ ، وَعَمَّ بِذَلِكَ سَائِرَ أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَوَائِلِ الشَّامِ - وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ إِلَى سَائِرِ الشَّامِ الْأَعْلَى ، وَدِيَارِ بَكْرِ ، وَالْعِرَاقَيْنِ ، وَخُرَاسَانَ بِأَقْطَارِهَا ، إِلَى سَمَرْقَنْدَ مِنْ وَرَاءِ نَهْرِ جَنْجُونٍ ، مَسِيرَةَ زَهَاءِ مِائَةِ يَوْمٍ - حَامِلٌ عِلْمَ ، أَوْ طَائِفُهُ ، أَوْ مُتَعَبَّدٌ ، أَوْ زَاهِدٌ ^(٨) فِي زَاوِيَتِهِ إِلَّا وَكْرَامَتُهُ شَامِلَةٌ لَهُ ، وَسَابِغَةٌ عَلَيْهِ . وَكَانَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بُيُوتِ أَمْوَالِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ سِتِّمِائَةِ ^(٩) أَلْفٍ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَوُشِيَ بِهِ الْوُشَاءُ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ [الْمَلِكِ] ^(١٠) ، وَأَوْغَرُوا صَدْرَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الْمَالَ الْمُخْرَجَ مِنْ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ يُقِيمُ بِهِ جَيْشًا يَرْكُزُ رَايَتُهُ فِي سُورِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَحَامَرَ ذَلِكَ قَلْبَ أَبِي الْفَتْحِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ ^(١١) يَا أَبَتِ ، بَلَّغْنِي أُنْكَ تَخْرُجُ مِنْ

(١) فِي « د » : « الْبَارِسْلَان » .. وَفِي الْأَعْلَامِ ضَبْطُ الزَّرْكَلِيِّ « أَرْسِلَان » بِسُكُونِ الرَّاءِ وَالسَّيْنِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ بِكَسْرِ السَّيْنِ . وَهِيَ لَفْظَةٌ تَرْكِيَّةٌ وَمَعْنَاهَا : الْأَسَدُ الشَّجَاعُ .

[انْظُرْ : إِعْجَامُ الْأَعْلَامِ ص ٦٦] .

(٢) فِي « د » : « وَالْمُبْغِضُ » .

(٣) أَلْفَى الْمُلُوكَ بِجَرَائِهِ ، أَيْ : ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ .

(٤) فِي « ط » : « وَجَهَالِ الدِّينِ » .

(٥) الرِّبَاطَاتُ : مَلَاجِئُ الْفُقَرَاءِ مِنَ الصَّوْفِيَّةِ ، جَمْعُ رِبَاطٍ .

(٦) الْكُسَا : جَمْعُ كِسْوَةٍ .. وَفِي « ط » : « وَالْكُسَاوَى » .

(٧) فِي « د » : « وَالْوَرَقُ » ، وَهِيَ الْقِضَّةُ ، وَلَمْلَمَهَا تَصْخِيفٌ ، وَالْأَوَّلُ أَوْجُهُ .

(٨) فِي « د » : « وَزَاهِدٌ » .

(٩) فِي « د » : « سِتَّةَ مِائَةٍ » خَطَأً .

(١٠) مَا بَيْنَ الْمُعَقِّفَيْنِ عَنْ « ط » .

(١١) فِي « د » : « قَالَ لَهُ » .

يُؤْتِ الْأَمْوَالَ كُلَّ سَنَةٍ ^(١) سِتِّمِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ إِلَى مَنْ لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يُغْنِي ^(٢) عَنَّا . فَبَكَى
نِظَامُ الْمَلِكِ وَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، أَنَا شَيْخٌ أَعْجَبِي لَوْ تُودَى عَلَى فِيمَنْ يَزِيدُ ^(٣) لَمْ أُحْفَظْ
خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَأَنْتَ غُلَامٌ تُرَكِّي لَوْ تُودَى عَلَيْكَ عَسَاكَ تُحْفَظُ ^(٤) ثَلَاثِينَ دِينَارًا ،
وَأَنْتَ مُسْتَفْعِلٌ بِلَدَاتِكَ ، مِنْهُمْكَ ^(٥) فِي شَهَوَاتِكَ ، وَأَكْثَرُ مَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
مَعَاصِيكَ دُونَ طَاعَاتِكَ ، وَجُيُوشُكَ الَّذِينَ تُعْذُهُمُ لِلتَّوَائِبِ إِذَا اخْتَشَدُوا كَافَحُوا عَنْكَ
بِسَيْفِ طَوْلِهِ ذِرَاعَانِ ^(٦) ، وَقَوْسٍ لَا يَنْتَهِي مَدَى مَرْمَاهُ ^(٧) ثَلَاثِمِائَةَ ذِرَاعٍ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ
مُسْتَعْرِقُونَ فِي الْمَعَاصِي وَالْخُمُورِ وَالْمَلَاهِي وَالْوِزْمَارِ وَالطُّنْبُورِ ^(٨) ، وَأَنَا أَقْمَتُ لَكَ
جَيْشًا يُسَمَّى جَيْشَ اللَّيْلِ ، إِذَا نَامَتْ جُيُوشُكَ لَيْلًا قَامَتْ جُيُوشُ اللَّيْلِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ
صُفُوفًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ ، فَأَرْسَلُوا دُمُوعَهُمْ ، وَأَطْلَقُوا بِالْدُّعَاءِ السُّتْهُمْ ^(٩) ، وَمَدُّوا إِلَى اللَّهِ
أَكْفَهُمُ بِالْدُّعَاءِ لَكَ وَلِجُيُوشِكَ ، فَأَنْتَ وَجُيُوشُكَ فِي خِفَارَتِهِمْ ^(١٠) تَعِيشُونَ ، وَبِدُعَائِهِمْ
تَبِيتُونَ ^(١١) . وَبِرَّكَاتِهِمْ تُمَطَّرُونَ وَتُرَزَقُونَ ، تَخْرُقُ سِهَامُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِالْدُّعَاءِ
وَالضَّرْعِ . فَبَكَى أَبُو الْفَتْحِ الْمَلِكُ بُكَاءً شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ ^(١٢) : شَابَاشِ يَا أَبَتِ
شَابَاشِ ^(١٣) ، أَكْثَرُ لِي مِنْ هَذَا الْجَيْشِ .

(١) في م : : في كل سنة .

(٢) في م : : بهضم ، خطأ من الناسخ .

(٣) قوله : : فيمن يزيد ، عن ط .

(٤) في م : : لم تحفظ .

(٥) في م : : ومنهمك ، أي : منغمس .

(٦) في م : : طولها ذراعان ، لاتصح .

(٧) القوس : آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام ، تُذَكَّر وتؤنث .

(٨) الطنبور : آلة من آلات اللهب والطرب .

(٩) في م : : وأطلقوا السُّتْهم .

(١٠) خِفَارَتِهِمْ : حراستهم وهمايتهم .

(١١) في م : : : تببتون ، أي : في الحرب .

(١٢) في م : : : وقال .

(١٣) شَابَاش : كلمة فارسية ، وهي كلمة استحسان وعشقة ، وهي غنقة من « شاد باش » أي : كُنْ مسروراً .

[انظر قاموس الفارسية ص ٤٠٣ ط دار الكتاب المصري] .

وَمِنْ مَنَاقِبِ هَذَا الرَّجُلِ وَفَضَائِلِهِ أَنَّ رَجُلًا قَصَدَهُ يُقَالُ لَهُ : أَبُو سَعِيدٍ الصُّوفِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا خَوَاجَا ، أَنَا أُنَبِّئُ لَكَ مَدْرَسَةً بَبْغَدَادَ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، لَا يَكُونُ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ مِثْلُهَا ، يَخْلُدُ بِهَا ذِكْرُكَ إِلَى أَنْ تُقَوِّمَ السَّاعَةَ . قَالَ : أَفْعَلْ . وَكَتَبَ إِلَى وَكَلَاهِهِ بَبْغَدَادَ ^(١) أَنْ يُمَكِّنُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَأَتْبَعَ بَقْعَةً عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ ، وَخَطَّ الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ ، وَبَنَاهَا أَحْسَنَ بَنِيَانٍ ، وَكَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَبَنَى حَوْلَهَا أَسْوَاقًا تُكُونُ مُحَبَّسَةً ^(٢) عَلَيْهَا ، وَأَتْبَعَ ضِيَاعًا ^(٣) وَخَائِنَاتٍ وَحَمَامَاتٍ وَأَوْقَفَتْ عَلَيْهَا ، فَكَمَلَتْ ^(٤) لِنِظَامِ الْمُلْكِ بِذَلِكَ رِياسَةً وَسُودَدَ ^(٥) ، وَذَكَرَ جَمِيعَ طَبَقِ الْأَرْضِ خَبْرَهُ ^(٦) ، وَعَمَّ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ أَثَرُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سِنِي عَشْرِ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ^(٧) ، ثُمَّ رَفَعَ حِسَابَ التَّفَقَّاتِ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَبَلَغَ مَا يُقَارِبُ سِتِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ نَسَى الْخَبْرَ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ مِنَ الْكُتَابِ وَأَهْلِ الْحِسَابِ ^(٨) أَنَّ جَمِيعَ مَا أُتِفِقَ فِيهَا نَحْوُ مِنْ ^(٩) تِسْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَّ سَائِرَ الْأَمْوَالِ احْتَجَبَهَا لِنَفْسِهِ وَخَائِنَاتٍ فِيهَا . فَدَعَا نِظَامَ الْمُلْكِ إِلَى أَصْبَهَانَ ^(١٠) لِلْحِسَابِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو سَعِيدٍ بِذَلِكَ أَرْسَلَ

(١) قوله : بَبْغَدَادَ عَنْ « ط » .

(٢) مُحَبَّسَةً : مَوْقُوفَةٌ .

(٣) فِي « م » : « ضِيَاع » بِالرَّفْعِ ، لَانْصَحَ . وَالضِّيَاعُ : الْعَقَارَاتُ ، وَتَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْأَرْضِ الْمُقِلَّةِ . مَفْرُودًا : ضِيعَةٌ .. وَالْخَائِنَاتُ : جَمْعُ خَائِنٍ ، وَهِيَ مَا يَنْزِلُ بِهَا الْمَسَافِرُونَ .

(٤) فِي « م » : « وَكَمَلَتْ » .

(٥) السُّودَدُ : يَهْمَزُ وَيَغْيَرُ هَمْزُ : السِّيَادَةُ وَالْمَجْدُ وَالشَّرَفُ .

(٦) طَبَقِ الْأَرْضِ خَبْرُهُ : عَمَّمَهَا وَانْتَشَرَ فِي أُنْحَائِهَا .

(٧) فِي « م » وَ« ط » : « لَا فِي سِنِي عَشْرِ الْخَمْسِينَ » .. وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ بَبْغَدَادَ شَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا سَنَةَ ٤٥٧ هـ وَأَفْتِيَتْ لِلتَّدْرِيسِ سَنَةَ ٤٥٩ هـ ، وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ نِظَامَ الْمُلْكِ قَدْ أَنْشَأَ عِدَّةَ مَدَارِسٍ أُخْرَى عَلَى شَاكْلِهَا ، مِنْهَا الْمَدْرَسَةُ النَّظَامِيَّةُ بِبَيْسَابُورَ ، وَأُخْرَى بِطُوسَ ، وَقَدْ قَامَ بِالتَّدْرِيسِ فِيهَا حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ .

(٨) فِي « م » : « مِنَ الْكُتَابِ وَالْحُسَابِ » . وَنَسَى الْخَيْرَ : شَاعَ وَانْتَقَلَ .

(٩) فِي « م » : « نَحْوُ » مِنْ « بِالنَّصَبِ » ، لَانْصَحَ .

(١٠) فِي « م » : « أَصْبَهَانَ » بِالتَّوَّاءِ ، وَكَلَاهُمَا صَوَابٌ .

إِلَى الْخَلِيفَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ ^(١) يَقُولُ ^(٢) : هَلْ لَكَ فِي أَنْ أُطَبِّقَ الْأَرْضَ بِدُكْرِكَ ، وَأُشْرُ لَكَ
فَخَرًا لَا تُمَحُّوهُ الْأَيَّامُ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ تُمَحُّوْا اسْمَ نِظَامِ الْمُلِكِ عَنْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ
وَتَكْتُبُ عَلَيْهَا اسْمَكَ ^(٣) وَتَرِنُ لَهُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَقُولُ لَهُ :
أَرْسِلْ ^(٤) مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ مِنْهُ مَضَى إِلَى أَصْبَهَانَ ^(٥) ، فَقَالَ لَهُ نِظَامُ
الْمُلِكِ : إِنَّكَ قَدْ رَفَعْتَ ^(٦) إِلَيْنَا نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ نَفَقَةً ، وَاجِبٌ إِنْخِرَاجِ
الْحِسَابِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : لَا تُطِيلِ الْخُطَابَ ، إِنْ رَضِيتَ وَإِلَّا مَحَوْتُ اسْمَكَ
الْمَكْتُوبَ عَلَيْهَا وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا اسْمَ غَيْرِكَ ، وَأَرْسِلْ مَعِيَ مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا أَحَسَّ
نِظَامُ الْمُلِكِ بِذَلِكَ قَالَ : يَا شَيْخُ قَدْ سَوَّغْنَا ^(٧) لَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تَمْنَحْ اسْمَنَا .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ بَنَى بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الرِّبَاطَاتِ لِلصُّوفِيَّةِ ، وَاشْتَرَى الضِّيَاعَ وَالْحَنَاتِ
وَالنِّسَابَاتِينَ وَالْدُّورَ ، وَأَوَقَفَ ^(٨) جَمِيعَ ذَلِكَ عَلَى الصُّوفِيَّةِ ، فَالصُّوفِيَّةُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِي
رِبَاطِ أَبِي سَعِيدٍ الصُّوفِيِّ وَأَوَاقِفِهِ يَتَقَلَّبُونَ بَعْدَازٍ ، فَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ ^(٩) فَلْيَتَنَافَسِ

(١) هكذا في « ط » . وفي « م » : « أبا العباس » بالنصب ، خطأ من الناسخ .. وقد وَهَمَ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله -
حينما ذكر الخليفة أبا العباس ، والصواب أنه الخليفة القائم بأمر الله أبو جعفر ، عبد الله بن القادر ، وقد ولي الخلافة
سنة ٤٢٢ هـ وتوفي سنة ٤٦٧ هـ . وكان - رحمه الله - وَرِعًا ، ذَهَبًا ، زَاهِدًا ، قَوِيَّ الْيَقِينِ بِاللَّهِ تَعَالَى .
أَمَّا أَبُو الْعَبَّاسِ فَهُوَ الْمُسْتَظْهَرُ بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَدٍ الْمُقْتَدِي بِاللَّهِ ، وَقَدْ وَلَدَ سَنَةَ ٤٧٠ هـ ، وَبَوَّعَ لَهُ عِنْدَ مَوْتِ
أَبِيهِ وَلَهُ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥١٢ هـ . وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ بِبَغْدَادِ فُرِغَ مِنْ إِثْنَائِهَا وَاصْتُبِحَتْ سَنَةَ
٤٥٩ هـ ، أَيْ : قَبْلَ أَنْ يُولَدَ الْخَلِيفَةُ الْمَذْكُورُ بِأَحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً .
[انظر تاريخ الخلفاء ص ٤٨٠ - ٤٨٤ ، وص ٤٩٠ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٩٤] .

(٢) في « م » : « ويقول » .

(٣) في « م » : « تمحو .. وتكتب اسمك عليها » .

(٤) في « ط » : « أنفذ » وكلاهما بمعنى واحد .

(٥) في « م » : « أصفهان » .

(٦) في « م » : « إنك رفعت » .

(٧) سَوَّغْنَا : أَبْخَنَّا وَأَجَزْنَا .

(٨) في « ط » : « وَوَقَّفَ » .

(٩) في « ط » : « ففى هذه المناقب » .

الْمُتَنَافِسُونَ ، وَلِيُمَثِّلَ هَذَا ^(١) فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ، فَإِنَّ فِيهَا عِزَّ الدُّنْيَا وَشَرَفَ الْآخِرَةِ ،
وَحَسَنَ الصِّبَةِ ، وَخُلُودَ جَمِيلِ الذِّكْرِ ، فَإِنَّا ^(٢) لَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَنْقَى عَلَى الدُّهْرِ ^(٣) إِلَّا
الذِّكْرَ - حَسَنًا كَانَ أَوْ قَبِيحًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا شَيْءَ يَدُومُ فَكُنْ حَدِيثًا جَمِيلَ الذِّكْرِ فَالِدُنْيَا حَدِيثٌ

فَاتَّهَزْ فُرْصَةَ الْعُمْرِ وَمُسَاعَدَةَ الدُّنْيَا وَتُفَوِّذِ الْأَمْرَ ، وَقَدِّمْ لِنَفْسِكَ كَمَا قَدَّمُوا ، تُذَكِّرُ
بِالصَّالِحَاتِ كَمَا ذَكَّرُوا ، وَادَّخِرْ لِنَفْسِكَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا ادَّخَرُوا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَأْكُولَ
لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبَ لِلْمَعَادِ ، وَالْمَتْرُوكَ لِلْعَدُوِّ ، فَاخْتَرْ أَيُّ الثَّلَاثِ شِئْتَ ، وَالسَّلَامَ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ ^(٤) الْوَزِيرُ وَاسِعَ النَّفْسِ ، مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ ، يُعْطَى الْجَزِيلَ ،
وَيَسْتَقْبَلُ الْكَثِيرَ ، وَلَا يَرُدُّ سَوْأًا ^(٥) ، وَيَتَدَبَّعُ بِالنُّوَالِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٦)
يَوْمًا : بَلِّغْنِي ^(٧) بَسْطَ يَدِكَ بِالْإِعْطَاءِ ، وَهَذَا يَتَلَفُ بَيُوتُ الْأَمْوَالِ .. فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ
رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ذَخَائِرُ أَجْرُهَا وَاصِلٌ إِلَيْكَ ، وَمَفَاتِيحُ شُكْرِهَا

(١) في م : : وليُمثِّلها .

(٢) في ط : : فَإِنَّا .

(٣) في م : : في الدهر .

(٤) في م : : ابن داود ، تحريف .. وهو : أحمد بن أبي دُوَادٍ بن جرير بن مالك الإبادي ، أبو عبد الله
المعتزل ، قاضي قضاء المعتصم والوائق ، وهو رأس فتنه القول بخلق القرآن ، وكان من الشرف والكرم بالمنزلة
العالية .. قال عنه الذهبي : حَمَلَ الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن ، ولولا ذلك لاجتمعت عليه الألسنة .. توفي
مفلوجاً ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٢٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٤١ - ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٨١ - ٩١ ،
وطبقات المعتزلة ص ٦٢ وصحفات أخرى متفرقة ، وثمار القلوب ص ٢٠٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩٣ ،
والعبر للذهبي ج ١ ص ٣٢٥ ، ٣٣٩ ، ودول الإسلام ج ١ ص ١٣٩] .

(٥) السؤال : طلب الصدقة .

(٦) هو : الوائق بالله هارون بن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد .. من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ،
ولد ببغداد سنة ١٩٠ هـ - وقيل سنة ١٩٦ هـ - وولى الخلافة بعهد من أبيه سنة ٢٢٧ هـ ، وامتحن الناس بخلق
القرآن ، وقتل أحمد بن نصر الخراساني لكونه أغظ له ، وكان إماماً قَوَّالاً للحق ، آمراً بالمعروف ، وتوفي الوائق سنة
٢٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٦٢ ، ٦٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٥ - ٢١ ، ودول الإسلام ج ١ ص ١٣٨ -
١٤١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٠٠ - ٤٠٦] .

(٧) في ط : : قد بلغني .

مَوْصُولٌ ^(١) بِكَ ، وَإِنَّمَا لِيَ ^(٢) مِنْ ذَلِكَ تَعَشُّفِي فِي إِبْصَالِ الشَّاءِ إِلَيْكَ . فَقَالَ الْوَائِي : اللَّهُ
أَنْتَ ، جُذْ بِالْعَطَاءِ ، وَأَكْثَرُ بِالشُّكْرِ وَالشَّاءِ !

(١) فِي « ط » : « مَوْصِلَةٌ » .

(٢) فِي « م » : « ذَلِكَ » .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي الْإِتْفَاقِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَسِيرَةِ الْعُمَالِ

اعْلَمْ أَنَّ يُوسُفَ الصَّدِّيقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) لَمَّا مَلَكَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ كَانَ يَجُوعُ وَيَأْكُلُ
خُبْزَ الشَّعِيرِ ^(٢) ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ
فَأَنْسَى الْجَائِعِينَ . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : لَمَّا اسْتَحْلَفَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، غَدَا إِلَى السُّوقِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟
قَالَ : السُّوقُ . قَالَ : قَدْ جَاءَكَ مَا يَشْغُلُكَ عَنِ السُّوقِ . قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ^(٣) ! اللَّهُ ! يَشْغُلُنِي
عَنْ عِيَالِي ؟ قَالَ : نَفَرُضُ لَكَ بِالْمَعْرُوفِ . قَالَ : فَأَتَّفَقَ فِي سَتَتَيْنِ وَبَعْضُ أُخْرَى ^(٤)
ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَوَصَّى أَنْ تُرَدَّ مِنْ مَالِهِ فِي بَيْتِ الْمَالِ ^(٥) .

(١) فِي د م : : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) فِي د ط : : وَيَأْكُلُ الشَّعِيرَ .

(٣) فِي د م : : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ .

(٤) وَبَعْضُ أُخْرَى : أَى وَبَعْضُ شَهْوَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ .

(٥) فِي د م : : وَوَصَّى أَنْ تُرَدَّ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنْ مَالِهِ .

[وَالحديث رواه البيهقي في السنين الكبرى ، باب ما يكون للوالى الأعظم ووالى الإقليم من مال الله ج ٦ ص ٣٥٣ ،
وفى باب ما يكره للقاضى من الشراء والبيع والنظر فى النفقة على أهله ج ١٠ ص ١٠٧] .

وَرَوَى هَذِهِ الْقِصَّةَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ الْوَفَاةُ ، قَالَ : انْظُرُوا كَمْ أَنْفَقْتُ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، فَوَجَدُوا قَدْ أُلْفَقَ فِي سِتِّينَ ، وَنِصْفٍ ^(١) ثَمَانِيَةَ آلَافٍ ذَرَاهِمٍ . قَالَ : أَقْضُوهَا عَنِّي . فَقَضَوْهَا عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَا تَرَوْنَ ، وَلَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ رَجُلٍ يَلِي أُمُورَكُمْ ، وَيُصَلِّي بِكُمْ ، وَيُقَاتِلُ عَدُوَّكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ اجْتَمَعْتُمْ وَاتَّخَرْتُمْ ^(٢) لَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ اجْتَهَدْتُ لَكُمْ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَلُوكُمْ وَتَقَسَّى خَيْرًا ^(٣) . فَبَكَوْا وَقَالُوا : أَنْتَ خَيْرُنَا وَأَعْلَمُنَا فَاخْتَرْنَا . فَقَالَ : قَدْ اخْتَرْتُ لَكُمْ عُمَرَ .

وَرَوَى مَالِكٌ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا وَلَّى لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ مَالِ اللَّهِ شَيْعًا ، وَغَدَا يَوْمًا مِنْ بَنِي عُمَرُو بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانَتْ لَهُ هُنَاكَ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي جَمَالٍ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهَا ^(٤) ، فَلَقِيَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ هَذَا يَشْعُلُكَ عَنِ النَّاسِ وَعَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِهِمْ ^(٥) . قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالُوا : تَخْفَرُ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِهِمْ وَتَسْتَفِيقُ مِنْ هَذَا الْمَالِ . فَبَاعَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَغَيْرَهَا مِنْ مَالِهِ ، إِلَّا الْأَرْضَ ، ثُمَّ طَرَحَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فَكَانَ يَتَفَقَّحُ مِنَ الْمَالِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عِيَالِهِ . ثُمَّ كَانَ عُمَرُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، ثُمَّ وَلِيَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمْ يَتَّفِقْ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ قَدْ صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَا قَدْ عَلِمْتَ . قَالَ : أَجَلْ ، وَلَكِنِّي أَخَذْتُ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، فَإِنْ يَكُنْ لِي فِيهِ حَقٌّ فَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ وَزِدْتُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْتُ . قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ ^(٦) : قُلْتُ

(١) هذا على التقريب ، فقد كانت مدة خلافته - رضى الله عنه - ستين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ .. وقيل : ستين وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ . [انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٣٣٤] .

(٢) اتَّخَرْتُ : اسْتَعْمْتُ وَأَطْلَعْتُ .

(٣) أَيْ : لَا أَجْعِدُ لَكُمْ إِلَّا خَيْرًا .

(٤) فِي ١ م : : فِي جَمَالٍ لَهَا تَرِيدُ بَيْعَهَا .

(٥) فِي ١ ط : : أُمُورِهِمْ .

(٦) فِي ١ م : : ابْنُ غَانِمٍ ، تَحْرِيفٌ .. وَابْنُ الْقَاسِمِ هُوَ : عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ جُنَادَةَ الْحَنْظَلِيُّ الْمَصْرِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُعرفُ بِابْنِ الْقَاسِمِ ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، جمع بين الزهد والعلم وتقنه بالإمام مالك ونظراته ولد بمصر سنة ١٣٢ هـ وتوفى بها سنة ١٩١ هـ .

انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٥٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٢٩ .

لِمَالِكٍ : فَأَيَّنَ قَوْلُهُمْ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ رَدَّ ثَمَانِينَ أَلْفًا ؟ قَالَ : كَذَبُوا ، إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا أَعْدَاءُ اللَّهِ ، هُوَ لَمْ يُجِزْ لَوَلَدِهِ سَلَفَ أَبِي مُوسَى إِيَّاهُ حِينَ ^(١) أَخَذَ مِنْهُ نِصْفَهُ ، فَكَيْفَ يَأْخُذُ مِنْ مَالِ اللَّهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا ؟

فَلَمَّا ثَوَّقَى أَبُو بَكْرٍ اسْتَرْجَعَ عَلَيَّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَجَاءَ مُسْرِعًا بَاكِيًا ، وَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ كُنْتُ ^(٢) وَاللَّهِ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا ، وَأَكْمَلَهُمْ إِيْمَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَخْوَفَهُمْ لِلَّهِ ^(٣) تَعَالَى ، وَأَخْوَطَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشَبَّهُهُمْ بِهِ هَدْيًا وَخُلُقًا ، وَسَمَنًا وَفَضْلًا ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَرْفَعَهُمْ عِنْدَهُ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا ، صَدَقْتَ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ كَذَبَهُ النَّاسُ ، فَسَمَّاكَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ صِدِّيقًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٤) . وَأَنْتَهُ حِينَ تَخْلَفُوا ^(٥) ، وَكُنْتَ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وَصَحْبَتُهُ فِي الشَّدَّةِ حِينَ تَفَرَّقُوا ، أَكْرَمَ الصُّحْبَةَ ، ثَانِي اثْنَيْنِ ، وَصَاحِبَهُ فِي الْفَارِ ، وَرَفِيقَهُ فِي الْهَجْرَةِ ، وَالْمُنْزَلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ ، وَخَلَقْتُهُ فِي أُمِّهِ أَحْسَنَ الْخِلَافَةِ ، فَقَوِيَتْ حِينَ ضَعُفَ أَصْحَابُكَ ، وَبَرَزْتَ حِينَ اسْتَكَاثُوا ، وَكُنْتَ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ^(٦) ، وَمَضَيْتَ بِقُوَّةٍ إِذْ وَقَفُوا ^(٧) ، كُنْتَ أَطْوَلَهُمْ صَمَنًا ، وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلًا ، وَأَشَجَّعَهُمْ قَلْبًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَحْسَنَهُمْ عَمَلًا ، كُنْتُ ^(٨) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ ، قَوِيًّا فِي أَمْرِ دِينِكَ ،

(١) في ٣ م : : : حتى ، تحريف .

(٢) في ٣ م : : : يا أبا بكر ، كُنْتُ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا .

(٣) في ٣ م : : : اللَّهُ ، تصحيف من الناسخ .

(٤) صورة الزمر ، الآية ٣٣ .. والذي جاء بالصديق هو سيدنا محمد ﷺ ، والذي صدق به : أبو بكر ، رضى الله عنه .

(٥) وفي رواية : : : وواسيته حين يخلوا .

(٦) ففشلوا : تراخوا .

(٧) في ٣ م : : : حين وقفوا .

(٨) في ١ م : : : أنت .

مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِكَ ، عَظِيمًا مَحْبُوبًا إِلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(١) ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنِ
الإِسْلَامِ خَيْرًا .

وَقَالَ عُمَرُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ تَعَبًا شَدِيدًا ^(٢) . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ
عَنْ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي أُنْزِلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَةِ ^(٣) وَلِيِّ
الْيَتِيمِ ، إِنْ أَسْتَعْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ ، وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ .. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى :
إِنْ احْتَجَجْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ ، فَإِذَا ^(٤) أَيْسَرْتُ رَدَدْتُهُ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَخْبِرْكُمْ بِمَا
أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى - وَمَا قَالَ : يَحِلُّ لِي - أَسْتَحِلُّ مِنْهُ خُلَّتَيْنِ : حُلَّةٌ لِلشَّتَاءِ ،
وَحُلَّةٌ لِلْقَيْظِ ^(٥) وَمَا أُحْجُ عَلَيْهِ وَأَعْتَمِرُ ، وَقُوَّتِي وَعِيَالِي كَقُوَّتِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ
لَا مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَلَا مِنْ فَقَرَائِهِمْ ^(٦) ، ثُمَّ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُصِيبُنِي
مَا أَصَابَهُمْ ^(٧) .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : غَلَا الطَّعَامُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) ، فَأَكَلَ خُبِيرَ
الشَّعِيرِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُهُ ، فَاسْتَنْكَرَهُ بَطْنُهُ فَصَوَّتْ ، فَضَرَبَهُ ^(٩) بِيَدِهِ وَقَالَ :
هُوَ وَاللَّهِ مَا تَرَى حَتَّى يُوسِّعَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ التَّهْدِيُّ ^(١٠) : رَأَيْتُ

(١) في (م) : « وأهل الأرض » .

(٢) في (م) : « تعباً عظيماً » والأول هو الأشهر والوارد في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٣ .

(٣) هكنا في (ط) وفي نص الحديث في المرجع السابق .. وفي (م) : « مَنْزِلَةٌ » .

(٤) في (م) : « وإذا » .

(٥) في (م) : « للقيظ » بالضاد على الإبدال .

(٦) في (م) : « ولا فقرائهم » .

(٧) انظر هذه الروايات في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ باب ما يكون للوالي .

(٨) ما بين المعقوضين عن (ط) .

(٩) في (م) : « فضرِب » .

(١٠) هو : عبد الرحمن بن مَلٍّ - اللام مُشَدَّدة والميم مثناة - من قُضَاعَةَ ، أدرك النبی ﷺ ، ولم يره ، وشهد
فتح القادسية وجُلُولَاءَ ، وثُسُتَر ، وناهوند ، والريموك ، وأذربيجان ، وكان من ساكني الكوفة ، فلما قُتِلَ الحسين ،
رضي الله عنه ، نَحَلَ إلى البصرة فنزلها وقال : لَا أَسْكُنُ بِلْدًا قُتِلَ فِيهَا ابْنُ بَنَتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وتوفي في أول ولاية
الحجاج بالبصرة .

[انظر المعارف ص ٤٢٦] .

عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَطُوفُ بِالنَّبِيِّ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ ^(١) فِيهَا اثْنَا عَشْرَةٌ ^(٢) رُقْعَةً ، إِحْدَاهَا بِأَدَمِ ^(٣) أَحْمَرَ .

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ^(٤) : اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّائِبَ بْنَ الْأَقْرَعِ ^(٥) عَلَى الْمَدَائِنِ ، فَدَخَلَ إِيَّوَانًا مِنْ إِيَّوَانِ ^(٦) كِسْرَى ، فَإِذَا صَنَمٌ يُشِيرُ بِإصْبَعِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ عَقَدَ أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يُشِيرُ هَذَا إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا وَتَمَّ شَيْءٌ . فَاحْتَضَرُوا فَاسْتَحْرَجُوا مِنْهُ سَقَطًا ^(٧) فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي دَخَلْتُ إِيَّوَانًا مِنْ إِيَّوَانِ كِسْرَى قَرَأْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَاحْتَضَرْتُ فَأَخْرَجْتُ سَقَطًا فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ فِتْيَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَقْسِمُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّمَا أَصَبْنَا شَيْئًا تَحْتَ الْأَرْضِ . فَلَمَّا قَدِمَ السَّقَطُ عَلَى عُمَرَ وَعَلَيْهِ خَاتَمُ السَّائِبِ ، قَرَأَ عُمَرُ [فِي مَنَابِهِ] ^(٨) فِيمَا يَرَى النَّاسُ كَانَ نَارًا أُجِجَتْ وَهُوَ يُرَادُّ أَنْ يُلْقَى ^(٩) فِيهَا . فَكَتَبَ إِلَى السَّائِبِ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيَّ . قَالَ : فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَطُوفُ فِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ ، فَطَلَعْتُ مَعَهُ إِلَى نَصِيفِ النَّهَارِ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَاغْتَسَلَ ، وَدَعَا لِي بِمَاءٍ فَاغْتَسَلْتُ ، ثُمَّ ذَهَبَ

(١) في ط : : جُبَّةٌ صُوفٌ .

(٢) في م : : اثنا عشر لا تصح .

(٣) الأدم ، بفتحين ، وبضمّتين أيضاً ، جمع آدم ، وهو : الجلد المدبوغ .

(٤) هو : عطاء بن السائب بن زيد الثقفي ، ويكنى أبا زيد الكوفي ، محدث ، وأحد علماء التابعين ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى ، وأنس ، ووالده ، وغيرهم . وغلط وساء حفظه في آخر عمره ، وتوفى سنة ١٣٦ هـ . [انظر المعارف ص ٤٧٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٧٠ - ٧٣]

(٥) هو السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر ، من بني مالك ، من ثقيف .. وأمه مليكة .. دخل مع أمه على النبي ﷺ فمسح رأسه ودعا له .. شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن ، ثم استعمله عمر على المدائن ، وولى أصبهان ، ومات بها .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٣١١ ، والمعارف ص ٩١] .

(٦) في م : : من أبواب تحريف .. والإيوان : مجلس كبير على هيئة صفة واسعة ، لها سقف محمول من الأمام على عقد ، يجلس فيها كبار القوم .

(٧) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٨ والفاروق عمر ص ٣٠ - ٣٢ أنهما سَقَطَانِ .

(٨) ما بين الموقوفين عن م : .

(٩) في ط : : وهو يُرَادُّ يُلْقَى .

إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَتَى بِلَحْمٍ غَلِيظٍ وَخُبْزٍ مُتَحَمِّشٍ ^(١) فَقَالَ : انْظُرْ مَنْ عَلَى الْبَابِ ، فَإِذَا سُودَانُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ^(٢) فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مَعَهُمْ ، فَإِذَا لَحْمٌ غَلِيظٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَيِّعَهُ ، وَقَدْ كُنْتُ تَعَوَّدْتُ ذَرْمَكَ ^(٣) أَصْبَهَانِ ، إِذَا وَضَعْتَهُ فِي فَمِي دَخَلَ بَطْنِي . ثُمَّ دَعَا بِالسَّقَطِ وَقَالَ : أَتَعْرِفُ خَائِمَكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : كَتَبْتُ تَرْفُقُ لِي ^(٤) تَرْغَمُ أُنَى أَحَقُّ بِهِ ! مِنْ أَيْنَ أَصَبْتَهُ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . قَالَ : أَذْهَبَ فَاجْعَلُهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ .

وَقَالَ قَتَادَةُ : قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّامَ ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامَ لَمْ يَرِ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، فَقَالَ : هَذَا لَنَا ؟ فَمَا لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ لَا يَشْبَعُونَ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ ؟ قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : لَهُمُ الْجَنَّةُ . فَأَعْرُوزَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : لَيْنَ كَانَ حَظُنَا فِي هَذَا الطَّعَامِ وَذَهَبُوا بِالْجَنَّةِ ، لَقَدْ بَايْتُونَا بَوْنًا بَعِيدًا ^(٥) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْعُمَرِيُّ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حِينَ قَدِمَ الشَّامَ قَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ^(٦) : أَذْهَبَ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ . قَالَ : مَا تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَغْضُ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ ^(٧) : قَالَ : فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا . فَقَالَ عُمَرُ : أَيْنَ مَنَاعُكَ ؟ لَا أَرَى إِلَّا لِبْدًا وَشَاً وَصَحْفَةً ^(٨) وَأَنْتَ أَمِيرٌ ! أَعِنْدَكَ طَعَامٌ ؟ فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى جُودِيَّةٍ ^(٩) فَأَخْرَجَ مِنْهَا

(١) خبز متحمش : أسود جاف .

(٢) سودان من الصوفية : أشخاص من يلبسون الصوف تقشفاً .

(٣) الذَّرْمُ : الخبز الجيد المصنوع من الدقيق الأبيض .

(٤) قوله : « قلت : نعم » عن « ط » .. وفي « م » : « قال : كتبت ترفق لي .. » ورفق به وله وعليه ، يرفق : لأن جانيه وخمس صبيحة .

(٥) بايونا بوناً بعيداً : طاولونا وسبقونا في الفضل والمروعة .

(٦) هو : أبو عبيدة بن الجراح ، عامر بن عبد الله بن الجراح ، صحابي جليل ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ولد بمكة سنة ٤٠ قبل الهجرة ، وتوفي في طاعون « عمواس » سنة ١٨ هـ . وذفن في غور بيسان .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٥٢ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠٩ - ٤١٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٢٨ - ١٣٠] .

(٧) هكذا في « م » .. ونغض عينك ، أى : تحفضهما استحباء أو تولهما .. وفي « ط » : « ماتريد إلى أن تقصر عينك علي » وتقصر : تؤلم .. وفي رواية « تقصر » بالعين المهملة .

(٨) في « ط » : « أو شاة » ، أو « خطأ مطبعي . واللبد : بساط من صوف أو شعر .. والشن : القربة الصغيرة .. والصحفة : إزاء من آتية الطعام .

(٩) الجودنة : السلعة الصغيرة .

كِسْرَاتٍ^(١) . فَبَكَى عُمَرُ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، قَدْ قُلْتَ لَكَ إِنَّكَ تُعْضُ^(٢) عَيْنِكَ عَلَيَّ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَكْفِيكَ مِنَ الدُّنْيَا^(٣) مَا بَلَغَكَ الْمَقِيلُ^(٤) . فَقَالَ عُمَرُ : غَرَّتْنَا الدُّنْيَا بِعَدْلِكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ .

وَقَالَ النَّخَعِيُّ^(٥) : بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُصَدِّقِينَ^(٦) ، فَأَبْطَلُوا عَلَيْهِ ، وَبِالنَّاسِ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا بِالصَّدَقَاتِ ، فَقَامَ فِيهَا مُتَزِرًا بِعِبَاءَةٍ يَخْتَلِفُ فِي أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا ، يَقُولُ : هَذِهِ لِآلِ فُلَانٍ ، وَهَذِهِ لِآلِ فُلَانٍ ، حَتَّى اتَّصَفَ النَّهَارَ وَجَاعَ ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ ، حَتَّى إِذَا أُمِكَنْ أَكْلُهُ^(٧) أَكَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ^(٨) أَبْعَدَهُ اللَّهُ . وَقَالَ طَاوُوسُ : أَجْدَبَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ عُمَرُ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَمَا أَكَلَ سَمَنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٩) إِنَّ عَلِيًّا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَدِمَ الْكُوفَةَ وَهُوَ خَلِيفَةُ وَعَلَيْهِ

(١) في « م » : « كِسْرَاتٍ يَابِسَةٍ » وهى القِطْعُ المكسورة من الخبز .. مفردتها : كِسْرَةٌ .

(٢) في « ط » : « تَقْصُر » انظر الهامش رقم ٤٥ .

(٣) في « م » : « مِنَ الزَّادِ » .

(٤) الْمَقِيلُ : الموضع يُعْضَى فيه وقت القيلولة ، وهى الاستراحة نصف النهار ، والمراد هنا ألا يمسك أو يجزن من المال أو الطعام إلا فَنَقَرَ حاجته في يومه .. وفى الحديث : « كَانَ لَا يَقْبَلُ مَالًا وَلَا يَبِيتُهُ » أى : كَانَ لَا يَمْسِكُ مِنَ الْمَالِ مَا جَاءَهُ صَبَاحًا إِلَى وَقْتِ الْغَائِلَةِ ، وَمَا جَاءَهُ مَسَاءً لَا يَمْسِكُهُ إِلَى الصَّبَاحِ .
[انظر لسان العرب ، مادة : قَبِيل]

(٥) هو : مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي ، المعروف بالأشتر ، أمير من كبار الشجعان ، كان رئيس قومه ، أدرك الجاهلية ، وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة « عمر » فى الجابية .. وسكن الكوفة ، وشهد اليرموك ، وذهبت عينه فيها .. وكان يَمُتُّ أَلْبَ على عثمان وحضر حصاره فى المدينة ، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي ، وكان من أشد أنصاره ، وولاه علي « مصر » فقصدها ، لكنه مات فى الطريق سنة ٣٧ هـ .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٩ ، والمعارف ص ١٩٦ ، ٥٨٦ ، ووفيات الأعيان ج ٧ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤١٢ - ٤١٤]

(٦) الْمُصَدِّقِينَ : الَّذِينَ يَأْخُلُونَ الْحَقُّوقَ مِنَ الْإِبْلِ وَالْفُضْمِ .

(٧) أى : جَاءَهُ أَوْ تَبَسَّرَ لَهُ .

(٨) قوله : « النَّارِ » عن « م » ولم ترد فى « ط » .

(٩) هو : سعيد بن جبير ، أبو عبد الله ، الأسدي بالولاء ، الكوفي .. تابعى ، من أصل حبشى ، ولد سنة ٤٥ هـ وكان عالماً فذاً ، ورعاً ، تقياً ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر .. قتله الحجاج بواسط سنة ٩٥ هـ ودُفِن بها .. قال ميمون بن مهران : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفقر إلى علمه . =

إِزَارَانِ قَطْرِيَّانِ ، قَدْ رَفَعَ إِزَارَهُ بِخِرْقَةٍ لَيْسَتْ بِقَطْرِيَّةٍ مِنْ وَرَائِهِ ، فَجَاءَهُ أُعْرَابِيٌّ فَنَظَرَ إِلَى تِلْكَ الْخِرْقَةِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُلُّ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ ، وَالنَّسِ ، وَارْكَبْ ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ أَوْ مُقْتُولٌ . قَالَ : إِنَّ هَذَا ^(١) خَيْرٌ لِي فِي صَلَاحِي ، وَأُصْلَحُ لِقَلْبِي ، وَأُشْبِهُ بِسُنَّةِ ^(٢) الصَّالِحِينَ قَبْلِي ، وَأَجْدُرُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِي مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِي ^(٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) بَيْنَمَا هُوَ يَعْشُ ^(٥) فِي الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ تَحْمِلُ قَرْنَةً ، فَسَأَلَهَا ، فَذَكَرَتْ أَنَّ لَهَا عِيَالًا ، وَأَنَّ لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ ، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ فَتَسْقِيهِمُ الْمَاءَ ، وَتُكَرِّهُ أَنْ تَخْرُجَ بِالنَّهَارِ ، فَحَمَلَ عُمَرُ عَنْهَا الْقَرْنَةَ حَتَّى بَلَغَ مَنْزِلَهَا وَقَالَ : اغْدِي عَلَى عُمَرَ غُدْوَةً ^(٦) يُحْدِثُكَ خَادِمًا ^(٧) . قَالَتْ : لَا أَصِلُ إِلَيْهِ . قَالَ : إِنَّكَ سَتَجِدِيَنَّهُ ^(٨) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَعَدَّتْ عَلَيْهِ فَإِذَا هِيَ بِهِ ، فَعَرَفَتْ أَنَّهُ الَّذِي حَمَلَ قَرْنَتَهَا ، فَذَهَبَتْ تَوَلَّى ، فَأَرْسَلَ فِي إِثْرِهَا ، وَأَمَرَ لَهَا بِخَادِمٍ وَتَقَفَةٍ . وَلَمَّا حَجَّ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَمْ بَلَغَتْ نَفَقَتُنَا يَا يَرْفَا ^(٩) ؟ قَالَ : ثَمَانِيَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَيَحْكُ ، أَجَحَفْنَا ^(١٠) بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ !

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٣ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٧٢ - ٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٤ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٥٦ - ٢٦٧ ، وطبقات الشيرازي ص ٨٢ ، ٨٣ ، وانظر كتاب « الموعد الله » لخالد محمد خالد ص ١١٦ - ١١٨] .

(١) إشارة إلى الإزار .

(٢) في « ط » : « يشبه » .

(٣) في « م » : « يقتدى به من أتى بعدى » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) في « ط » : « بينا » وهي بمعناها . ويُسُّ : يطوف بالليل ليحرس الناس ويكشف أهل الريّة .

(٦) في « م » : « اغد » بدون ياء .. لاتصح .. والغُدْوَةُ : الغَدَّةُ .

(٧) أى : بأنك بخادم يخدمك .

(٨) في « ط » : « ستجديه » لاتصح .

(٩) يَرْفَاً : مولى عمر .. وقد مرَّ .

(١٠) أَجَحَفَ : اشتدَّ في الإضرار به .

وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ^(١) : لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ طَافَ بِكُورِهَا ^(٢) حَتَّى نَزَلَ حِمَصَ ^(٣) فَقَالَ : اكْتُبُوا إِلَيَّ فَقَرَاءَهُمْ . فَرَفَعُوا إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ ، وَإِذَا فِيهَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ^(٤) ، فَقَالَ : مَنْ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالُوا : أَمِيرُنَا ! فَعَجِبَ عُمَرُ وَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ أَمِيرُكُمْ فَقِيرًا ؟ فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُمْسِكُ شَيْئًا ^(٥) ، فَبَكَى عُمَرُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْفِ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا فِي حَاجَتِهِ ، فَجَعَلَ يَسْتَرْجِعُ ^(٦) ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : مَا لَكَ ^(٧) ؟ أَصَابَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ ^(٨) : أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ! أَتُتْبَى الدُّنْيَا ، دَخَلْتَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ^(٩) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنْ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهَا ^(١٠) بَارِئِينَ عَامًا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَبِسْتُ عَنِ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، وَأَنْ لِي بِهِ مَا طَلَعْتُ

(١) هو : شهر بن حوشب الأشعري ، فقيه قارئ ، من رجال الحديث ، شامي الأصل ، ولد سنة ٢٠ هـ وسكن العراق ، وكان يتربأ بزي الجند ، وولى بيت المال مدة .. وكان يسمع الفناء بالآلات ، وهو متروك الحديث .. توفي سنة ١٠٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٧٨ ، والمعارف ص ٤٤٨ ، وثمار القلوب ص ١٦٩ ، وكتاب المرح والتعديل ج ٤ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والضعفاء الكبير ج ٢ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٥] .
(٢) أى : بأصقاعها أو بملدنها وقراها .

(٣) فى م : « حمصاً » بالتثنية ، لاتصح .. وهى بلدة بين دمشق وحلب .. وقال سيويه : هى أعجمية ، ولذلك لم تنصرف .. وقال الجوهري حمص : يَذْكُرُ وَيُؤْنَت .

[انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٢ مادة « حمص » ولسان العرب - المادة نفسها] .

(٤) هر : سعيد بن عامر بن جندب الجهمي القرشي ، صحابي ، من الولاة .. أسلم وهاجر إلى المدينة ، وشهد فتح خيبر ومابعدا من المشاهد .. ولأه عمر امرأة « حمص » بعد افتتاح الشام ، وكان - رحمه الله - مشهوراً بالزهد ، وله فيه أخبار .. توفي بالشام سنة ٢٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ونسب فريش ص ٣٩٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٩٨ ، ٣٩٩] .
(٥) أى : لا يَدْتَرُ شَيْئًا .

(٦) فى م : « فجعلت » تحريف .. ويسترجع ، أى : يقول : إنا لله ، وإنا إليه راجعون .. والإنسان عادة يسترجع عندما تهل به مُصِيبَةٌ ، والعياذ بالله .

(٧) قوله : « مالك ؟ » عن « ط » .

(٨) فى م : « فقال » .

(٩) فى م : « رسول الله » .

(١٠) فى م : « إن فقراء الجنة يدخلون قبل أغنيائها » .

عَلَيْهِ الشَّمْسُ ! قَالَتْ : فَاصْنَعْ فِيهِ مَا شِئْتَ . قَالَ : هَلْ عِنْدَكَ مَعُونَةٌ ^(١) ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَاتَّخِذْ بِخِمَارِهَا ، فَصَرَ الدُّنَانِيرَ فِيهَا صَرًّا ، ثُمَّ جَعَلَهَا فِي مِحْلَاةٍ ، وَبَاتَ يُصَلِّي وَيَكْبِي حَتَّى أَصْبَحَ ، فَأَعْرَضَ جَبِيضًا مِنْ جُبُوشِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، لَوْ حَبَسْتَ مِنْهَا شَيْعًا نَسْتَعِينُ بِهِ ! فَقَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَوْ أَطْلَعَتِ ^(٤) امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتِ الْأَرْضَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا اخْتَارَكَ عَلَيْهِنَّ . فَسَكَتَتْ .

وَوَرَى أَنْ عُمَرَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) اسْتَعْمَلَ عَلَى حِمَصٍ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ ^(٦) فَلَمَّا مَضَتْ السَّنَةُ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ عُمَرُ إِلَّا ^(٧) أَنْ قَدِمَ مَاشِيًا حَافِيًا ، مَعَهُ ^(٨) عُكَاظُهُ وَإِدَاوُهُ وَمِزْوَدُهُ وَقَصْعَتُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ^(٩) ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ : يَا عُمَيْرُ ، أَتُحِبُّنَا أَمْ الْبِلَادُ بِلَادُ سُوءٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا تَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُجَهَرَ بِالسُّوءِ وَعَنْ سُوءِ الظَّنِّ ؟ وَمَا تَرَى مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَقَدْ جِئْتُكَ بِالْذُّنْيَا أُجْرُهَا بِقَرَابِهَا ^(١٠) ؟ فَقَالَ : وَمَا مَعَكَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : عُكَاظَةٌ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَأَذْنَعُ بِهَا عَدُوًّا

(١) أى : ماعون .

(٢) أنزلهم عليه واحداً واحداً ليعطهم الدنانير .

(٣) فى م : رسول الله .

(٤) فى م : طلعت . وكلاهما بمعنى واحد ، أى : ظهرت أو نظرت .

(٥) ما بين المعوقين عن ط .

(٦) هو : عمر بن سعد بن عبيد الأوسى الأنصارى ، من فضلاء الصحابة ، ومن الولاة الزهاد ، شهد فخر الشام ، واستعمله عمر على حمص ، فأقام سنة ، ودعاه إلى المدينة ، فجاها ، فأراد عمر إعادته ، فأبى .. وكان عمر يقول : وِدِدْتُ أَنْ لِي رَجُلًا مِثْلَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ .. توفى رحمه الله - فى أيام عمر .. وقيل : عاش إلى خلافة معاوية نحو ٤٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٥٠]

(٧) سقطت « إلا » من م : سهواً من الناسخ .

(٨) معه « عن ط » ولم ترد فى م .

(٩) العُكَاظَةُ : عصا يتوكأ عليها .. والإداوة : إناء صغير يُحْمَلُ فِيهِ الْمَاءُ .. والمِزْوَدَةُ : وعاء الزاد . وسَتَاقٌ .

(١٠) فى الرحلية : « أجرتها بقرابها » والقراب : صوان من جلد يضع فيه المسافرين أدواته وزاده .

إِنْ لَقِيتُهُ ، وَمَزَوْدَى أُحْمِلُ فِيهِ طَعَامِي ، وَإِذَا وَتَيْ هَذِهِ أُحْمِلُ فِيهَا مَاءً لِشُرْبِي وَصَلَاتِي ،
وَقَصَصْتَنِي هَذِهِ اتَّوَضُّأُ فِيهَا وَأَغْسِلُ فِيهَا رَأْسِي وَأَكُلُ فِيهَا طَعَامِي ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا الدُّنْيَا بَعْدَ إِلَّا تَبَعَ ^(١) لِمَا مَعِيَ . قَالَ : فَقَامَ عُمَرُ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بَكْرٍ فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ ^(٢) اللَّهُمَّ الْحَقْنِي بِصَاحِبِيْ غَيْرِ مُفْتَضِّحٍ
وَلَا مُبْدِلٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا صَنَعْتَ فِي عَمَلِكَ يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : أَخَذْتُ
الرُّقَّةَ مِنْ أَهْلِ الرُّقَّةِ ^(٣) وَالْإِبِلَ مِنْ أَهْلِ الْإِبِلِ ، وَأَخَذْتُ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ عَنْ يَدِ ^(٤)
وَهُمْ صَاغِرُونَ ، ثُمَّ قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ لَوْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدِي أَتَيْتُكَ بِهِ . فَقَالَ عُمَرُ : عُدْ إِلَى عَمَلِكَ . فَقَالَ عُمَرُ :
أَنْشُدْكَ اللَّهُ أَنْ لَا تُرْدِنِي ^(٥) إِلَى عَمَلِي ، فَإِنِّي لَمْ أَسْلَمْ مِنْهُ ^(٦) حَتَّى قُلْتُ لِدِمِّي : أَخْزَاكَ
اللَّهُ ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَخْصِمَنِي لَهُ مُحَمَّدٌ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٧) وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ ^(٨)
يَقُولُ : « أَنَا حَجِيجُ الْمَظْلُومِ ، فَمَا حَاجَجْتُهُ حَاجَجْتُهُ » ^(٩) ، وَلَكِنْ أَتَذُنْ لِي آتِي
أَهْلِي ^(١٠) . فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَتَى أَهْلَهُ ، فَبَعَثَ عُمَرُ رَجُلًا يَقَالُ لَهُ حُيَيْبٌ ^(١١) بِمَائَةِ دِينَارٍ ،
فَقَالَ : اثْبِ عُمَيْرًا فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ^(١٢) فَإِنْ يَكُ خَائِنًا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فِي عَيْشِهِ وَحَالِ

(١) في « م » و « ط » : « ما الدنيا إلا تبعاً » بالنصب ، ولا تصح .. وفي الحلية : « ما الدنيا إلا تبع لماعى » .

(٢) في « م » : « وقال » .

(٣) الرُّقَّة : الأرض المستوية السهلة ، والمراد أنه جبا ما عليها من خراج .

(٤) قوله : « من أهل الذمة » عن « ط » وسقطت من « م » ، وعن يد : عن انقياد وطاعة .

(٥) في « م » : « أن تردني » وسقطت منها « لا » سهواً من النسخ .. وفي الحلية : قال لعمر : « لاعملك لك
ولا لأحد بعدك ، والله ماسلمت » ، بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني : أى أخزأك الله .. فهذا ما عرضتني له يا عمر .

[انظر الحلية ج ١ ص ٢٤٨]

(٦) في « م » : « ولم أسلم منه » . وحي قُلْتُ ، أى : حين قلت .

(٧) ما بين المعقوفين عن « ط » .. ويخصمني : يغلبني في الخصام .

(٨) في « م » : « فلما سمعته » .

(٩) حاججته : جادلته .. وحججته : غلبته بالحجة .

(١٠) أتى أهلي : أعود إلى منزلي .. وفي « ط » : « إلى مكان » آتني ، وسقطت جملة : « فأذن له » من « م » .

(١١) في « م » : « حبيب » بالخاء المعهلة في المواضع كلها .. وفي الحلية : « الحارث » .

(١٢) أى : تكون في ضيافته ثلاث ليالٍ .

أَهْلِي بَيْتِي ، وَإِنْ لَمْ يَكْ (١) خَلَاتَنَا لَمْ يَخُفْ عَلَيْكَ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ الْيَمَانَةَ . فَأَتَاهُ خُبَيْبٌ فَتَنَزَّلَ بِهِ (٢) ثَلَاثًا ، فَلَمْ يَرَ لَهُ عَيْشًا إِلَّا الشَّعِيرَ وَالزَّيْتِ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثٌ (٣) قَالَ : يَا خُبَيْبُ ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْوَلَ إِلَى جِيرَانِنَا فَلْعَلَّ أَنْ يَكُونُوا أَوْسَعَ عَيْشًا مِنَّا ، أَمَا نَحْنُ ، فَوَاللَّهِ (٤) لَوْ كَانَ عِنْدَنَا غَيْرُ هَذَا لَأَتَرْنَاكَ بِهِ . قَالَ : فَادْفَعْ إِلَيْهِ الْيَمَانَةَ وَقَالَ : بَعَثَ (٥) بِهَا إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعَا بِفَرَسٍ خَلِيقٍ (٦) لِأَمْرَاتِهِ فَصَرَّهَا الْخُمْسَةَ ، وَالسَّتَةَ ، وَالسَّبْعَةَ ، فَقَسَمَهَا ، فَقَدِمَ خُبَيْبٌ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَزْهَدِ النَّاسِ ، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ (٧) عُمَرُ وَقَالَ : مَا صَنَعْتَ فِي الْيَمَانَةِ يَا عُمَيْرُ ؟ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي عَنْهَا . قَالَ : لِتُخْبِرَنِي . قَالَ : قَسَمْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَانِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقَى طَعَامٍ (٨) وَتَوْبَتَيْنِ ، فَقَالَ (٩) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا التَّوْبَتَانِ فَأَقْبَلْ ، وَأَمَا الْوَسْقَانِ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، عِنْدَ أَهْلِي صَاعٌ مِنْ بُرٍّ (١٠) هُوَ كَافِيهِمْ حَتَّى أَرْجِعَ (١١) إِلَيْهِمْ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، صَرَّ أَرْبَعِيَّةَ دِينَارٍ ، وَقَالَ لِلْعَلَامِيِّ (١٢) : اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ تَلَكَّا سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَرَى

(١) في م : : يَكُنْ .

(٢) في م : : فَتَنَزَّلَ عَلَيْهِ .

(٣) في م : : ثَلَاثًا : بِالنَّصْبِ خَطَأً ، وَالصَّوَابُ بِالرَّفْعِ .

(٤) قوله : : فَوَاللَّهِ عَنْ ط : ولم ترد في م : .

(٥) في م : : قَدْ بَعَثَ .

(٦) تَخَلَّقَ : بِالِ .

(٧) في م : : فَبَعَثَ لَهُ .

(٨) الْوَسْقُ : سِتُونَ صَاعًا ، وَالصَّاعُ : خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثَلَاثٌ . وَالْمُرَادُ هُنَا : جُمْلُ الْبَعِيرِ أَوْ نَحْوِهِ .

(٩) في م : : قَالَ .

(١٠) الْبُرُّ : الْقَمْحُ .

(١١) في م : : أَعُودُ .

(١٢) في م : : لِلْعَلَامِ .

مَا يَصْنَعُ . فَذَهَبَ بِهَا الْعَلَامُ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ . قَالَ : وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَى يَا جَارِيَّةُ ، اذْهَبِي بِهِدِ السَّبْعَةَ إِلَى فُلَانٍ ، وَبِهِدِ الْخُمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ ، حَتَّى أَتُفَدَّهَا ^(١) ، وَرَجِعِ الْعَلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ ، وَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبِي بِهِدِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ^(٢) وَتَلَكَّا فِي النَّبْتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ فِيهَا ، فَذَهَبَ ^(٣) . بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ ، فَقَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ ^(٤) ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، اذْهَبِي إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا ، وَإِلَى فُلَانٍ بِكَذَا ، فَقَالَتِ امْرَأَةُ مُعَاذٍ : وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا ^(٥) ، وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْخُرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ ، فَرَمَى بِهِمَا إِلَيْهَا ^(٦) . فَرَجَعَ الْعَلَامُ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عُمَرَ ^(٧) ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

* * *

(١) أَتُفَدَّهَا : أَفْضَاهَا .. وَفِي « د » : « أَتُفَدَّهَا » بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ : أَمْضَاهَا .

(٢) فِي « د » : « » وَقَالَ : مَرَّ بِهَا إِلَيْهِ .

(٣) فِي « د » : « » قَدِيمٌ .

(٤) وَوَصَلَهُ : أَحْسَنَ إِلَيْهِ .. وَفِي « ط » : « » وَوَصَلَهُ : أَيْ : أَبْلَغَهُ مَا يُمْكِنُ .

(٥) فِي « د » : « » فَأَعْطِنَا : بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ .. لَا تَصِحُّ .

(٦) فِي « د » : « » فَدَحَا : مَكَانٌ فَرَمَى ، وَهِيَ بِمَعْنَى : دَفَعَ .. وَ « إِلَيْهَا » مَكَانٌ « إِلَيْهَا » تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي « م » : « » فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ .

البَابُ الْمُؤَوَّلِيُّ خَمْسِينَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي ثَلَاثِينَ الدَّوَاوِينَ

وَقَرَضَ الْأَرْزَاقِ وَسِيرَةِ الْعَمَالِ

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) - أَنَّ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الدَّوَاوِينَ وَقَرَضَ الْأَرْزَاقَ ^(٢) - عَلَى مَا رَوَى ^(٣) - عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يُفَضِّلُ أَهْلَ السَّابِقَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، حَتَّى أَجْرَى عَلَى الْعَامَةِ شَيْئًا وَاحِدًا ، ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ ، وَقَرَضَ لِلْعِيَالِ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُسَاوِي بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعَطَاءِ ، وَلَا يُفَضِّلُ أَهْلَ السَّابِقَةِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا عَمِلُوا لِلَّهِ ، فَأَجُورُهُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْخُذُهُ ^(٥) الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَلَيْسَ ثَمَنًا لِأَعْمَالِهِمْ .

(١) فِي د م : : « اعلَمُوا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ » .

(٢) فِي ط : : « وَأَجْرَى الْأَغْطِيَةَ » وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .

(٣) فِي د م : : « مَا رَأَى » .

(٤) فِي د م : : « أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ » .

(٥) فِي ط : : « يَأْكُلُهُ » .

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لَا أَجْعَلُ مَنْ قَاتَلَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَهُ ، وَلَمْ يُقَدِّرْ عُمَرُ الْأَرْزَاقَ إِلَّا فِي وَلَايَةِ عَمَّارٍ ^(١) ، فَأَجْرِي عَلَى عَمَّارٍ سِتْمِائَةِ دِرْهَمٍ ، مَعَ عَطَائِهِ لِوَلَايَتِهِ ، وَكُتَابِهِ ، وَمُؤَذِّنِيهِ ^(٢) ، وَمَنْ كَانَ يَلِي مَعَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَمَّا بَعَثَهُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ حُنْتِيفٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ ^(٣) إِلَى الْعِرَاقِ ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ نِصْفَ شَاةٍ وَرَأْسَهَا وَجِلْدَهَا وَكَأَرَعَهَا ^(٤) ، وَنِصْفَ جَرِيْبٍ كُلِّ يَوْمٍ ^(٥) ، وَأَجْرِي عَلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنْتِيفٍ رُبْعَ شَاةٍ وَخُمْسَةَ دِرْهَمٍ كُلِّ يَوْمٍ مَعَ عَطَائِهِ ، وَكَانَ عَطَاؤُهُ خُمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَأَجْرِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَرُبْعَ شَاةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَأَجْرِي عَلَى شُرَيْحِ الْقَاضِي ^(٦) مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَعَشْرَةَ أَجْرِيَّةٍ ، وَإِنَّمَا فَضَّلَ عَمَّارًا عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى الصَّلَاةِ .

(١) هو : عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى ، أبو اليقظان ، صحابى جليل ، وأحد السابقين إلى الإسلام .. شهد بدرًا ، وأُحُدًا والخندق ، وبيعة الرضوان ، وغيرها .. وكان من الولاة الشجعان ذوى الرأى ، ولأه عمر الكوفة ، فأقام زمانًا وعزله عنها . وشهد الجمل وصُفِّين مع عليٍّ ، رضى الله عنه ، وقتل فى صفون سنة ٣٧ هـ وعمره ثلاث وتسعون سنة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٣٦ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ١٢٩ - ١٣٥ ، والمحير ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٣ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٦ - ٢٤٤ ، والمعارف ص ٢٥٦ - ٢٥٨] .
(٢) فى « م » : « ومؤذنه » تحريف .

(٣) ابن مسعود هو : الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل .. وقد مرَّ التعريف به .. أمَّا عثمان فهو : عثمان ابن حنْطِيف بن وهب الأنصارى ، الأوسى ، أبو عمرو ، صحابى ، من الولاة ، شهد أُحُدًا وما بعدها .. وولاه عمر على سواد العراق ، ثم ولَّاه على البصرة . وسكن الكوفة ، وتولى سنة ٤١ هـ فى خلافة معاوية .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٠٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٧٧ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٧ وما بعدها] .

(٤) الأكرع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم ما دون الركبة إلى الكعب ..
(٥) فى « م » : « فى كل يوم » . والجريب : مكبال قدره أربعة أَقْفَزة ، والقفيز : مكبال يختلف مقداره فى البلاد ، ويحادل بالتقدير المصرى الحديث نحو ستة عشر كيلو جرامًا .

(٦) هو : شرح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى ، أبو أمية ، من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الإسلام .. وأصله من اليمن ، وولى قضاء الكوفة فى زمن عمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، ومعاوية .. وكان ثقة فى الحديث ، مأمونًا فى القضاء ، وله باع فى الأدب والشعر ، وعُمر طويلاً ، ومات بالكوفة عن ١٢٠ سنة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٦١ ، والمعارف ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ١٣٢ - ١٤١ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٣١ - ١٤٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٠ - ٤٦٣ ، وشرحات الذهب ج ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٠ ، ٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٩] .

قَالَ مَالِكٌ : وَكَانَ عُمَرُ لَا يَفْرِضُ لِصَغِيرٍ رَضِيعٍ ، فَإِذَا فُطِمَ فَرَضَ لَهُ ، فَمَرٌّ مِنَ اللَّيْلِ وَصَبِيٌّ يَتَكَبَّرُ يَنْهَى الرُّضَاعَ ، وَأُمُّهُ لَا تُرْضِعُهُ ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : ارْضِعِيهِ . قَالَتْ : إِذَا لَا يَفْرِضُ لَهُ عُمَرُ . قَالَ : بَلَى هُوَ يَفْرِضُ لَهُ . ثُمَّ فَرَضَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَوْلُودِ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ ^(١) : وَفَرَضَ عُمَرُ لِلْعِيَالِ ، لِكُلِّ عَيْلٍ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى جَرِيئِينَ مِنْ بَرٍّ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَقَسْطَيْنِ ^(٢) مِنْ ذَيْبٍ ، وَقَسْطًا مِنْ خَلٍّ ^(٣) ، وَمِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، قَالَ : وَالْجَرِيبُ قَفِيزٌ بِالْقُرْطُوبِيِّ ، وَالْقَسْطُ قَدْرُ ثُمْنِ رُبْعِ الزَّيْتِ بِالْقُرْطُوبِيِّ .

قَالَ الْحَسَنُ : وَكَانَ عَطَاءُ سَلَمَانَ ^(٤) خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَكَانَ عَلَى زُهَاءٍ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ^(٥) مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ يَحْطُبُ النَّاسَ ^(٦) فِي عَبَاةٍ يَلْبَسُ نِصْفَهَا وَيَقْتَرِشُ نِصْفَهَا ، فَإِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ أَمْضَاهُ ، وَكَانَ يَسْفُ الْخُوصَ وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ ^(٧) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) وَفَدَّ مِنَ الْبَصَرَةِ مَعَ

(١) هكذا في « م » .. ولعله محمد بن حبيب بن أمية ، الهاشمي بالولاء ، وهو من موالى بنى العباس ، وعُلمةً بالأنساب والأخبار واللغة والشعر ، وله العديد من المصنفات والتأليف ، أشهرها « المهر » وكتبه صحيحة .. ولد في بغداد وتوفي بسرٍّ من رأى سنة ٢٤٥ هـ .. وفي « ط » : « قال ابن جيلة » وربما كان هذا القول له أيضاً ، فابن جيلة (عبد الله بن حيان الكتاني ، المتوفى سنة ٢١٩ هـ) فقيه ، وإمام من أهل الكوفة ، وله عدة مصنفات ، منها : « الرجال » و « النوادر » و « الصفة في الفية » وغيرها .

[انظر ابن حبيب في الأعلام ج ٦ ص ٧٨ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، والمهر ص ٥٠٦ - ٥٢٠ .. وانظر ابن جيلة في الأعلام ج ٤ ص ٧٦ ، وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ، الباب الثامن عشر ص ١٧٢ - ١٧٤] .

(٢) التَّيْلُ : أهل بيت الرجل الذين يَتَّفَقُ عليهم .. والقسط : المقدار ، أو الحصة والتصيب .

(٣) في « م » : « عَيْلٍ » تحريف .

(٤) هو الصحابيُّ الجليل سلمان سلمان الفارسي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « ثمانين ألف » هكذا . خطأ .. وما ورد في « م » مطابق لما ورد في طبقات ابن سعد عن الحسن بنصه .

[انظر المصدر السابق ج ٤ ص ٨٧] .

(٦) في « م » : « للناس » وكلاهما صواب .

(٧) أَمْضَاهُ : فَرَّقَهُ . وَيَسْفُ الْخُوصَ : ينسجه بأصابعه . وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ ، أى : مما ينسجه من خُصِيٍّ ومكائيل .

(٨) ما بين المعقوختين عن « م » .

أَبَى مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، قَالَ : فَكُنَّا نَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ ^(١) خُبْزٌ ثَلَاثٌ ، قَرِيبًا
وَأَفْقَاها مَادُومَةً يَسْمَنُ ، وَأَخْيَانًا يَزِيْتُ ، وَأَخْيَانًا بِلَبَنٍ ^(٢) ، وَرُبَّمَا وَأَفْقَا الْقَدِيدَ الْيَاسَ
قَدْ دُقَ ، ثُمَّ أَغْلَى عَلَيْهِ بِمَاءٍ ، وَرُبَّمَا وَأَفْقَا اللَّحْمَ الْغَرِيضَ ^(٣) ، وَهُوَ قَلِيلٌ ، فَقَالَ لَهُمْ
يَوْمًا : إِنِّي أَرَى - وَاللَّهِ - تَقْدِيرَكُمْ وَكَرَاهِيَتَكُمْ ^(٤) لِبَطْعَامِي ، فَإِنِّي لَوْ شِئْتُ لَكُنْتُ
أَطْيَبَكُمْ طَعَامًا ، وَأَرْفَقَكُمْ عَيْشًا ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَجْهَلَ كَرَائِرَ وَأَسْنِمَةً ، وَأَعْرِفُ صِلَاءَ ،
وَصَنَابًا وَصَلَاتِي ^(٥) قَالَ : وَالصَّلَاءُ : الشَّوَاءُ ^(٦) ، وَالصَّنَابُ : الْخُرْدُلُ ، وَالصَّلَاتِي :
الْخُبْزُ الرَّقَاقُ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى عِبْرَ أَقْوَامًا بِأَمْرِ فَعَلُوهُ ، فَقَالَ : ﴿ أَذْهَبْتُمْ
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ ^(٧) . فَكَلَّمَنَا أَبُو مُوسَى ^(٨) فَقَالَ : لَوْ كَلَّمْتُمْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَفَرَضَ لَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ طَعَامًا فَأَكَلْتُمُوهُ ، [فَكَلَّمْنَاهُ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
الْأَمْرَاءِ ، هَلْ تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ مَا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي ؟] ^(٩) فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ
الْمَدِينَةَ أَرْضٌ ^(١٠) أَلْعِيشُ بِهَا شَدِيدٌ ، وَلَا تَرَى طَعَامًا ^(١١) يُغْنِينَا ، وَلَا يُؤْكَلُ طَعَامُكَ ،
وَأَنَا بِأَرْضِ ذَاتِ رَيْفٍ ، وَإِنَّ أَمِيرَنَا يُغْنِينَا ، وَإِنَّ طَعَامَهُ يُؤْكَلُ . قَالَ : فَتَطَّرَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ

(١) فِي م : : فِي كُلِّ يَوْمٍ .

(٢) فِي ط : : بِاللَّبَنِ .

(٣) الْغَرِيضُ : الطَّرِيُّ .

(٤) وَكَرَاهِيَتَكُمْ : عَنْ ط .

(٥) الْكَرَائِرُ : جَمْعُ كَرَاكَرَةٍ ، وَهِيَ صِنْتُ كُلِّ ذِي خُفٍّ .. وَالْأَسْنِمَةُ : جَمْعُ سَنَامٍ ، وَهِيَ تَكُلُّ مِنَ الشَّحْمِ مُخَذَّبَةٌ
عَلَى ظَهْرِ الْبَعْرِ وَالتَّافَةِ . وَالصَّنَابُ : طَعَامٌ يُؤَدُّ بِهِ مِنَ الْخُرْدُلِ وَالزَّيْتِ .. أَمَّا الصَّلَاتِي فَهِيَ جَمْعُ صَلِيْقٍ ، وَهُوَ اللَّحْمُ
النَّضِيجُ الْمَشْوِيُّ ، وَالْخُبْزُ الرَّقِيقُ .

(٦) فِي م : : الشَّوِيُّ .

(٧) فِي م : : ط : : وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا : خَطَأً .. وَالصَّوَابُ مَا ثَبَتَهُ .. انْظُرْ سُورَةَ الْأَحْقَاقِ - آيَةُ ٢٠ .

(٨) فِي م : : وَكَلَّمَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْذِفَيْنِ عَنْ ط : : وَلَمْ يَرِدْ فِي م .

(١٠) فِي م : : بَلَدٌ .

(١١) فِي ط : : طَعَامُكَ .

رَأْسُهُ فَقَالَ ^(١) : قَدْ قَرَضْتُ لَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ شَاتَيْنِ وَجَرِيَّتَيْنِ ، فَإِذَا كَانَ بِالْعَدَاةِ فَضْغٌ ^(٢) إِحْدَى الشَّاتَيْنِ عَلَى أَحَدِ ^(٣) الْجَرِيَّتَيْنِ وَكُلُّ أُتَتْ وَأَصْحَابُكَ ، ثُمَّ أَدْعُ بِشَرَابٍ ، ثُمَّ اسْقِ الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ ، ثُمَّ اسْقِ الَّذِي عَنْ شِمَالِكَ ، ثُمَّ قُمْ لِحَاجَتِكَ ، وَإِذَا ^(٤) كَانَ الْعِشَاءُ ^(٥) فَضْغِ الشَّاةَ الْغَائِرَةَ ^(٦) عَلَى الْجَرِيْبِ الْآخَرِ ، فَكُلْ أُتَتْ وَأَصْحَابُكَ ، أَلَا وَأَوْسِعُوا النَّاسَ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَأَطْعِمُوا عِيَالَهُمْ ، وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ رُسْتَاقًا ^(٧) يُؤْخَذُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ شَاتَانِ وَجَرِيَّتَانِ إِلَّا يُسْرِعَانِ فِي خَرَائِهِ . وَكَانَ عُمَرُ ^(٨) قَدْ أَطْعَمَ جَرِيَّتَيْنِ بِالْخَلِّ وَالزَّيْتِ لِكُلَّامَيْنِ رَجُلًا فَكَفَاهُمُ ، فَأَجْرَاهُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِمَّنْ كَانَ فِي الدِّيَوَانِ مَكَانَ مَا كَانَتْ قَارِسٌ تُجْرِيهِ عَلَى خُمُولِهِمْ وَأَسَاوِيرِهِمْ ^(٩) .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ ^(١٠) : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَبَا الْعِيَالِ ، يُسَلِّمُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ وَيَقُولُ : أَلَكُنْ حَاجَةٌ ؟ وَأَيُّكُنْ تُرِيدُ أَنْ تُشْتَرِيَ شَيْئًا ؟ فَيُرْسِلُنَ مَعَهُ بِحَوَائِجِهِمْ ، وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهَا شَيْءٌ اشْتَرَى لَهَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَإِذَا قَدِمَ الرَّسُولُ

(١) في م : « وقال » .

(٢) كان حق السياق أن يقال : « فضعوا » ولكن الكلام هنا موجه إلى أبي موسى الأشعري وحده .

(٣) في م : « و ط » : « إحدى » وهذا جائز على تأنيث « الجريب » بمعنى « الكيلة » أو المزرعة .. وما أثبتناه أوجه .

(٤) في م : « فإذا » .

(٥) العشاء ، بكسر العين المهملة : وقت العشي . وفتحها : طعام العشي .

(٦) الغائرة : الباقية .

(٧) الرُستاق ، أو الرُزداق : لفظة معربة وتُطلق على الناحية أو الموضع الذي فيه مُزْدَرَجٌ وقَرْى ، أو بيوت مجتمعة .

(٨) في م : « م » : « عمر بن الخطاب » .

(٩) الأساور : القواد من الفُرسان .

(١٠) هو : سعيد بن المسيب . بن خازن بن أبي وهب المخزومي ، القرشي ، أبو محمد ، سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة والزيت ، ولا يأخذ عطاءً ، كان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سُمِّيَ رلوبة عمر .. وتوفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ . ومولده سنة ١٣ هـ .

مِنْ بَعْضِ الثُّغُورِ يَتَّبِعُهُنَّ بِنَفْسِهِ فِي مَنَازِلِهِنَّ يَكْتُبُ أَزْوَاجَهُنَّ وَيَقُولُ : أَزْوَاجُكُمْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ ، وَأَنْتُنَّ فِي بَلَدٍ ^(١) رَسُولُ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ مَنْ يَقْرَأُ وَلَا فَاقرئين مِنَ الْأَبْوَابِ
 حَتَّى أَقْرَأَ لَكُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ : الرَّسُولُ يَخْرُجُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَاتَّخِذْنَ حَتَّى تَبْعَثَ
 بِكُتُبِكُنَّ ، ثُمَّ يَدُورُ عَلَيْهِنَّ بِالْقَرَّاطِيسِ وَالذَّوَاةِ يَقُولُ : هَذِهِ ذَوَاةٌ وَفَرَطَاسٌ ، فَاذْنَبِينَ مِنْ
 الْأَبْوَابِ ^(٢) حَتَّى أَكْتُبَ لَكُمْ ، وَيَهْرُ إِلَى الْمُغَيَّيَاتِ ^(٣) فَيَأْخُذُ كُتُبَهُنَّ فَيَبْعَثُ بِهَا ^(٤) إِلَى
 أَزْوَاجِهِنَّ .

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ ^(٥) : كُنْتُ عَامِلًا لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ،
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِأَمْرِهِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ هُوَ وَعَمَّالُهُ ، وَأَنْ يَسْتَحْلِفُوا جَمِيعًا ،
 فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ أَتَيْتُ يَرْفَأَ ، فَقُلْتُ : يَا « يَرْفَأُ » مُسْتَرْشِدُ وَابْنِ سَبِيلٍ ، أَيُّ الْهَيْئَاتِ
 أَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرَى فِيهَا عَمَّالَهُ ؟ فَأَوْثَمًا إِلَى الْخُشُونَةِ ، فَاتَّخَذْتُ خُفَيْنِ
 مُطَارَقَيْنِ ^(٦) ، وَلَبِسْتُ جُبَّةَ صُوفٍ ، وَلَبِسْتُ عِمَامَتِي عَلَى رَأْسِي ، فَدَخَلْنَا عَلَى عَمَرَ
 فَصَفَفْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَعَّدَ فِينَا وَصُوبَ ^(٧) فَلَمْ تَأْخُذْ عَيْنُهُ غَيْرِي ، فَدَعَانِي فَقَالَ : مَنْ
 أَنْتَ ؟ قُلْتُ : الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ . قَالَ : وَمَا تَعْتَرِي مِنْ أَعْمَالِنَا ؟ قُلْتُ : الْبَحْرَيْنِ .

= أما أبو سلمة ، فهو : الفقيه أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . وقد مر التعريف به .

[انظر ترجمة سعيد بن المسيب في الأعلام ج ٣ ص ١٠٢ ، وطبقات الشيرازي ص ٣٩ ، ٤٠ ، وطبقات ابن
 سعد ج ٥ ص ١١٩ - ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٥ - ٣٧٨ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٦١ - ١٧٥ ،
 والمعارف ص ٤٣٧ ، ٤٣٨] .

(١) في ١ ط : : بلاد .

(٢) في ١ م : : الباب .

(٣) الْمُغَيَّيَاتِ : النساء اللاتي غاب عنهن أزواجهن . جمع مُغَيِّبٍ .

(٤) في ١ م : : ويصحب بين ، أي : الرسائل .

(٥) هو : الربيع بن زياد بن أنس الحارثي ، من بني الديان ، أمير فلاح ، أدرك عصر النبوة ، وولى البحرين ، وقدم
 المدينة في أيام عمر ، وولاه عبد الله بن عامر سجستان سنة ٢٩ هـ ففتحت على يديه . وله مع عمر بن الخطاب
 أخبار ، وكان - رحمه الله - شجاعاً ثقيلاً .. وتولى سنة ٥٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٤ ، والمعارف ص ٤٤١] .

(٦) مُطَارَقَيْنِ : مَخْصُوفَيْنِ .

(٧) فَصَعَّدَ فِينَا وَصُوبَ : نظر فينا إلى أعلى وأسفل بتأملنا .

قَالَ : وَكَمْ تُرْزَقُ ؟ قُلْتُ : أَلْفًا . قَالَ : كَثِيرٌ ، فَمَا تَصْنَعُ بِهَا ^(١) ؟ قُلْتُ : أَتَقَرُّ بِهَا شَيْئًا وَأَعُوذُ عَلَى أَقَارِبِ لِي ، فَمَا فَضَّلَ عَنْهُمْ ^(٢) فَعَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : فَلَا بَأْسَ ، ارْجِعْ إِلَى مُوْضِعِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى مُوْضِعِي مِنَ الصَّفِّ ، فَصَعِدْ فِينَا وَصَوَّبَ ، فَلَمْ تَقَعْ عَيْنُهُ إِلَّا عَلَيَّ ، فَدَعَانِي فَقَالَ : كَمْ سِنَّكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، قَالَ : الْآنَ حِينَ اسْتَكْمَلْتَ ^(٣) . ثُمَّ دَعَا بِالطَّعَامِ ، وَأَصْحَابِي حَدِيثُوا عَهْدَ يَلِينِ الْعَيْشِ ، وَقَدْ تَجَوَّعْنَا ^(٤) لَهُ ، فَأَتَى بِخُبْزٍ وَأَعْصَاءٍ بَعِيرٍ ، فَجَعَلَ أَصْحَابِي يَمَافُونَ ذَلِكَ ^(٥) ، وَجَعَلْتُ آكُلُ ، وَجَعَلْتُ ^(٦) أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَلْحَظُنِي مِنْ بَيْنِهِمْ ، ثُمَّ سَبَقَتْ مِنِّي كَلِمَةٌ تَمَنَيْتُ أَنِّي سُبَحْتُ ^(٧) فِي الْأَرْضِ وَلَمْ أَقْلَهَا ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيَّ سَلَامَتِكَ ، فَلَوْ عَمَدْتُ ^(٨) إِلَى طَعَامِ الْإِنِّ مِنْ هَذَا ! فَزَجَرَنِي ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ تَنْظُرُ إِلَى قُوَّتِكَ مِنَ الطَّحِينَ أَنْ يُخَبِّرَ لَكَ قَبْلَ إِرَادَتِكَ إِيَّاهُ بَيِّنًا ، وَيُطَيِّعَ لَكَ اللَّحْمُ كَذَا ، فَتَوَثَّى ^(٩) بِالْخُبْزِ لَيْتًا ، وَبِاللَّحْمِ غَرِيضًا ^(١٠) . فَسَكَنَ غَيْظُهُ ثُمَّ قَالَ : هَاهُنَا رُغَتْ ^(١١) ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ ^(١٢) : يَا رَبِيعُ : إِنَّا لَوْ شِئْنَا لَمَلْنَا هَذِهِ الرُّحَابَ مِنْ صَلَاتِقٍ وَسَنَابِكٍ ، يَعْنِي خُبْزَ الْحَوَارَى ^(١٣) ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى غَابَ عَلَى قَوْمٍ شَهَوَاتِهِمْ فَقَالَ : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ

(١) فِي « م » : « قَالَ : فَمَا تَصْنَعُ بِهَا ؟ » .

(٢) فَضَّلَ عَنْهُمْ : زَادَ عَلَى الْحَاجَةِ .

(٣) فِي « م » : « اسْتَحْكَمْتَ » .

(٤) تَجَوَّعْنَا : تَمَنَّيْنَا الْجُمُوعَ .

(٥) يَمَافُونَ ذَلِكَ ، أَيْ : كَرِهُوا ذَلِكَ الطَّعَامَ وَتَرَكُوهُ .

(٦) فِي « م » : « ثُمَّ جَعَلْتُ » .

(٧) سُبَحْتُ : غَضَبْتُ .

(٨) عَمَدْتُ : قَصَدْتُ .

(٩) فِي « م » : « فَيَوَثَّى » .

(١٠) غَرِيضًا : طَرِيًّا طَلَرَجًا .

(١١) هَا هُنَا رُغَتْ ؟ أَيْ : آلَانَ كَفَفْتُ ، وَأَنْهَيْتُ كَلَامَكَ ؟ .

(١٢) فِي « م » : « فَقَالَ » .

(١٣) الْحَوَارَى : الدَّقِيقُ الْأَيْضُ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى كُلِّ مَاخُورٍ مِنْ طَعَامٍ ، أَيْ : يُبَيِّضُ .

بِهَا ١. ثُمَّ أَمَرَ أَبَا مُوسَى بِإِقْرَارِي عَلَى عَمَلِي ، وَأَنْ يَسْتَبْدِلَ بِأَصْحَابِي .

وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ ^(٢) : دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ^(٣) ، وَكَانَ عَلَى أَهْلِ حِمَصَ ، فَقَالَ : عَلَامَ يُحِبُّكَ أَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُمْ فَأَحْبُونِي . قَالَ : مَا لَكَ الْيَوْمَ ^(٤) ؟ قُلْتُ : عُبَيْدِي ، وَفَرَسِي ، وَبَعْلِي ^(٥) وَخَدَائِمِي . قَالَ : فَمَاذَا تُلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ ؟ قُلْتُ : عَصَابَةٌ أَشَدُّ بِهَا رَأْسِي ، وَجُبَّةٌ وَكِسَاءٌ . قَالَ : فَمَا تُلْبَسُ فِي الصَّيْفِ ؟ قُلْتُ : قَبِيصًا وَرِطْلَةً ^(٦) . فَأَعْطَانِي عُمَرُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَقَالَ : خُذْهَا وَاسْتَنْفِقْ ^(٧) مِنْهَا ، وَأَعْطِ مِنْهَا . قُلْتُ : لَا أَرْبَ لِي فِيهَا ، وَسَتَجِدُ مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهَا مِنِّي ، قَالَ : خُذْهَا ، فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَفَعَ إِلَيَّ مَالًا وَهُوَ دُونَ الَّذِي أُعْطَيْتُكَ فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتُ لِي ، فَقَالَ لِي ^(٨) : يَا عُمَرُ ، مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ عَطَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِضَ لَهُ أَوْ تَشْرَفَ ^(٩) لَهُ نَفْسُكَ فَأَقْبَلُهُ . فَأَخَذَهُ فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَمْرَأَتِي ، فَقَالَ : أَتَرَيْنِ رَجُلًا لَهُ هَذَا ، مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ هُوَ أُمِّ ^(١٠) مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ؟ فَقَالَتْ : بَلْ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ . فَقَسَمَهَا حَتَّى ^(١١) يَبْقَيْتَ مِنْهَا صَرَّةً ، أَطْنُ فِيهَا ثَلَاثِينَ دِينَارًا ^(١٢) أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ أَمْرَأَتُهُ ، أَلَيْسَ لِي أَنَا حَقٌّ ؟ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا ^(١٣) .

(١) « واستمتع بها » لم ترد في « م » . والآية سبق تخريجها .

(٢) هو : قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبِ الْحَزَائِيُّ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، صَحَابِي ، وَمِنْ وَجْهِ الْفُقَهَاءِ ، وَلَدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ كَانَ عَلَى خَاتَمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالشَّامِ . وَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٨٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والمعارف ص ٤٤٧] .

(٣) في « م » : « عبد الله بن سعيد » . لم أقف عليه .

(٤) « اليوم » عن « م » .

(٥) في « ط » : « وبعل » بالعين المهملة ، أي : وزوجي .

(٦) الرِّطْلَةُ : كل ثوب ثين رقيق .

(٧) استنفق : أنفق .

(٨) في « ط » : « فقال : يا عمر » .

(٩) تَشَرَّفَ لَهُ : تَطَّلَعَ إِلَيْهِ .

(١٠) في « م » : « أو مكان » أم .

(١١) في « م » : « حين » مكان « حتى » تخريف .

(١٢) « دينارًا » عن « م » .

(١٣) في « ط » : « إياها » .

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَبِوَةَ ^(١) بَيْنَا نَحْنُ بِمُتَنَاصِرَةٍ ^(٢) إِذَا بَأْمَرًاؤُا سَأَلَ عَنْ دَارِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
 الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَرْشَدَنَا هَا إِلَى الدَّارِ ، قَرَأْتُ ^(٣) دَارًا مُتَهَشِّمَةً ، فَقَالَتْ لِحَيَّاطٍ
 هُنَاكَ : اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى فَاطِمَةَ امْرَأَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : فَادْخُلِي ^(٤) وَصَوِّبِي
 بِهَا ، فَإِنَّهَا تَأْذُنُ لَكَ . فَدَخَلْتُ ، فَلَمَّا أَبْصَرْتُ مَا هُنَاكَ ^(٥) قَالَتْ : جِئْتُ أَرُمُ فَقْرِي مِنْ
 بَيْتِ الْفُقَرَاءِ ، وَإِذَا رَجُلٌ ^(٦) يَعْمَلُ فِي الطَّيْنِ ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَتْ : هُوَ
 ذَاكَ ^(٧) يَعْمَلُ فِي الطَّيْنِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ زَوْجِي وَكَرَّكَ لِي ثَمَانِي
 بَنَاتٍ ^(٨) . فَبَكَى عُمَرُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَا تُرِيدِينَ ؟ قَالَتْ : تُفْرِضُ لَهُنَّ ،
 قَالَ : تُفْرِضُ لِلْكُبْرَى ، مَا اسْمُهَا ؟ قَالَتْ : فُلَانَةُ . فَكَتَبَهَا ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ . قَالَ :
 مَا اسْمُ الثَّانِيَةِ ؟ قَالَتْ : فُلَانَةُ . فَكَتَبَهَا ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٩) ، حَتَّى كَتَبَ السَّابِعَةَ ،
 فَقَالَتْ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَطَرَحَ الْقَلَمَ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ لَهَا : أَمَا أَتُكِّ لَوْ
 وَلَيْتَ الْحَمْدُ أَهْلَهُ ^(١٠) لَا لِمُتَمَنَّا هُنَّ لَكَ ، مُرَى السَّبْعِ فَلْيُؤَاسِسِنَّ الثَّامِنَةَ ^(١١) .

* * *

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « زباد بن حيوه » خطأ . وهو : رَجَاءُ بْنُ حَبِوَةَ بْنِ جَزُولِ الْكِنْدِيِّ ، شَيْخُ
 أَهْلِ الشَّامِ ، وَكَانَ مَلَازِمًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِاسْتِخْلَافِ عُمَرَ .. وَقَدْ
 أَشْرْنَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ .

(٢) مُتَنَاصِرَةٌ : بُكَيَّةٌ مِنْ أَعْمَالِ « حَلَب » تَحَاذَى « قَسْرِينَ » نَحْوِ الْبَادِيَةِ .

(٣) في « م » : « فَرَأَى » تَحْرِيفٌ .

(٤) في « م » : « فَقَالَ : ادْخُلِي » .. وَصَوِّبِي بِهَا ، أَيْ : نَادِيهَا .

(٥) في « م » : « هُنَاكَ » .

(٦) في « م » : « بِرَجُلٍ » .

(٧) في « ط » : « ذَلِكَ » .

(٨) في « ط » و « م » أيضا : « ثَمَانِ » بِدُونِ الْيَاءِ ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ « الثَّانِيَةَ » إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى مُؤَنَّثٍ تَبَيَّنَ الْيَاءُ فِيهَا
 ثُبُوتًا فِي « الْقَاضِي » وَتُعْرَبُ إِعْرَابَ الْمَقْصُوفِ . تَقُولُ : جَاءَ ثَمَانِي نِسْرَةٍ ، وَرَأَيْتُ ثَمَانِي نِسْرَةٍ .

[انظر - المصباح المنير - مادة ثَمَن] .

(٩) قوله : « فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ » عَنْ « ط » .

(١٠) في « م » : « لِأَهْلِهِ » .

(١١) لِي « ط » : « هَذِهِ الثَّامِنَةُ » .

البَابُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ

فِي أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ

رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ ^(١) قَالَ : كَتَبْنَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جِئِنَ صَالَحَ نَصَارَى أَهْلِ الشَّامِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا : إِنَّكُمْ لَمَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَذُرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا ^(٢) . وَأَهْلِ مِلَّتِنَا ، وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا نُحَدِّثَ فِي مَدَائِنِنَا وَلَا فِيمَا حَوْلَهَا دِيْرًا وَلَا كَنِيْسَةً وَلَا قَلِيَّةً ^(٣) وَلَا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ ، وَلَا نُجَدِّدَ مَا خَرِبَ مِنْهَا ، وَلَا مَا كَانَ مُحْتَطًّا مِنْهَا ^(٤) فِي خِطَطِ الْمُسْلِمِينَ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، وَأَنْ نُوَسِّعَ أَبْوَابَهَا لِلْمَارَّةِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ، وَأَنْ نُنْزِلَ مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، نَطْعِمُهُمْ ، وَلَا نَأْوِي فِي كَنَائِسِنَا وَلَا فِي مَنَارِلِنَا جَاسُوسًا ، وَلَا نَكْتُمُ غَشًّا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نُعْلِمُ أَوْلَادَنَا الْقُرْآنَ ، وَلَا نُظْهِرَ شَرْعَنَا ، وَلَا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا ، وَلَا نَمْنَعُ أَحَدًا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا الدُّخُولَ فِي

(١) هو : عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، رأس التابعين وشيخ أهل فلسطين ، وفتيه الشام في عصره ، ولد في حياة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان من أصحاب معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها .. وكان - رحمه الله - عالمًا كبير القدر .. وتوفي سنة ٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٢٢ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥١] .

(٢) في « م » : « وَأَمْوَالِنَا وَذُرَارِينَا » .

(٣) قَلِيَّةٌ : صَوْمَعَةٌ .

(٤) في « م » : « وَلَا مَا كَانَ مِنْهَا » .

الإسلام إن أرادَهُ ، وَأَنْ تُوقِرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتُعَوِّمَ لَهُمْ مِنْ مَجَالِسِنَا إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ ، وَلَا تَقْشَبْهُ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ : مِنْ ^(١) قَلَنْسَوَةٍ ، وَلَا عِمَامَةٍ ، وَلَا نَعْلَيْنِ ، وَلَا فَرْقِ شَعْرٍ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَتَكَنَّى بِكُنَاهُمْ ، وَلَا تَرْكَبْ بِالسُّرُوجِ ، وَلَا تَقْلُدْ ^(٢) بِالسُّيُوفِ ، وَلَا تَتَّخِذْ شَيْئًا مِنَ السَّلَاحِ ، وَلَا نَحْمِلَهُ مَعًا ، وَلَا تَتَّقَشَ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَلَا نَبِيعَ الْخُمُورَ ، وَأَنْ نَحْزِرَ مَقَادِمَ رُعُوسِنَا ، وَنَلْزِمَ زِينًا حَيْثُمَا كُنَّا ، وَأَنْ نَشُدَّ الزَّنَائِرَ ^(٣) عَلَى أَوْسَاطِنَا ، وَلَا نُظْهِرَ صُلْبَانَنَا وَكُتُبَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ ^(٤) الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا أُسْوَاقِهِمْ ، وَلَا نُضْرِبَ نَوَاقِسَنَا فِي كَنَائِسِنَا إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا ، وَلَا نَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا بِالْفِرَاوَةِ فِي كَنَائِسِنَا فِي شَيْءٍ مِنْ حَضَرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نُخْرِجَ شَعَائِنَنَا وَلَا بَاعُوثَنَا ^(٥) ، وَلَا نَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا مَعَ مَوْتَانَا ، وَلَا نُظْهِرَ التَّيْرَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أُسْوَاقِهِمْ ، وَلَا نُجَاوِرُهُمْ بِمَوْتَانَا ، وَلَا تَتَّخِذْ مِنَ الرَّبِيقِ مَا جَرَى ^(٦) عَلَيْهِ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَطْلُعَ ^(٧) عَلَى مَنَازِلِهِمْ .

فَلَمَّا أَتَيْتُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِالْكِتَابِ زَادَ فِيهِ : « وَلَا تُضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، شَرَطْنَا ^(٨) ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَهْلِ مِلَّتِنَا ، وَقَبَلْنَا عَلَيْهِ الْأَمَانَ ^(٩) ، فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا فِي شَيْءٍ يَمَّا شَرَطْنَاهُ لَكُمْ وَضَمِنَاهُ ^(١٠) عَلَى أَنْفُسِنَا فَلَا ذِمَّةَ لَنَا ، وَقَدْ حُلَّ مِنَّا مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ الْمُعَانَدَةِ وَالشَّقَاقِ » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَمْضِيَ مَا سَأَلُوهُ ،

(١) في « م » : « في » مكان « من » .

(٢) في « م » : « يركب .. ولا يقلد .. بالياء .. تحريف من الناسخ .

(٣) الزنائر : جمع زنار ، وهو ما يشده النصارى على وسطه .

(٤) من هنا إلى قوله : « حضرة المسلمين » عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٥) الشعاين : عيد مسيحي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح ، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس .. والباعوث : صلاة ثالي الفصح عند النصارى ، وهي لفظة سريانية معربة .

(٦) في « م » : « ما يجرى » .

(٧) في « ط » : « تطلع » .

(٨) في « م » : « وشرطنا » .

(٩) « الأمان » عن « ط » .

(١٠) في « م » : « عن شيء مما وصفتنا لكم وشرطنا » .

وَالْحَقُّ فِيهِ خَرْفَيْنِ اشْتَرَطْتُهُمَا ^(١) عَلَيْهِمْ ، مَعَ مَا شَرَطُوا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَنْ لَا يَشْتَرُوا شَيْئًا مِنْ سَبَايَا الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْ ضَرَبَ مُسْلِمًا عَمْدًا فَقَدْ خَلَعَ عَهْدَهُ .

وَرَوَى نَافِعٌ عَنْ أَسْلَمَ ^(٣) مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فِي النَّصَارَى أَنْ يُقَطَعَ رِكْبُهُمْ ، وَأَنْ يَرْكَبُوا عَلَى الْأَكْفِ ^(٥) ، وَأَنْ يَرْكَبُوا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ ^(٦) ، وَأَنْ يَلْبَسُوا خِلَافَ زِيِّ الْمُسْلِمِينَ لِيُعْرِفُوا .

وَرَوَى أَنْ بَنِي تَغْلِبَ ^(٧) دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ ، افْرِضْ لَنَا . قَالَ : نَصَارَى ؟ قَالُوا : نَصَارَى . قَالَ : ادْعُوا لِي حَجَّامًا ، فَفَعَلُوا ، فَجَزَّ نَوَاصِيَهُمْ ^(٨) ، وَشَقَّ مِنْ أُرْدِيَتِهِمْ ^(٩) حُرْمًا يَخْتَرِمُونَهَا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَرْكَبُوا السَّرُوجَ ، وَيَرْكَبُوا ^(١٠) الْأَكْفَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ .

وَرَوَى أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلَ ^(١١) أَقْصَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَلَمْ يَسْتَغْلِبْهُمْ ،

(١) في « م » : « اشترطتهما » .

(٢) في « م » : « شرطوه » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « سالم » خطأ .. وهو : أسلم ، أبو زيد العلوي ، مولى عمر بن الخطاب ، من كبار التابعين ، وأصله حبشي ، اشتراه عمر سنة ١١ هـ لما حج .. وقيل : هو من سبي « عين التمر » . وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٠ هـ .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ، ٥٣] .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) الْأَكْفُ : جمع [كف] ، وهو برذعة الحمار وغيره .

(٦) « واحد » عن « م » .. والشَّقُّ : الجانب والناحية .

(٧) في « م » : « تغلب » تحريف .. وتغلب قبيلة عظيمة تنتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن دُعْيَى ، وتفرع منها فروع عديدة .

[انظر لسان العرب ، مادة « غلب » ، ومعجم قبائل العرب ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٣] .

(٨) أَى : قَصَّ مُقْلَمَ شَعْرَ رُءُوسِهِمْ .

(٩) في « م » : « وشق أرديتهم » .

(١٠) أَى : وَأَنْ يَرْكَبُوا .. وفي « م » : « ويركبون » . والأول أصح .

(١١) هو الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر ، أبو الفضل بن المهتصم بن هارون الرشيد .. ولد ببغداد سنة

٢٠٦ هـ . وبويع له بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ . وكان جوادًا محبًّا للعرمان ، ومات مقتولاً سنة ٢٤٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٦٥ - ١٧٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٠٦ - ٤١٧] .

وَأَذْلَهُمْ ^(١) وَأَقْصَاهُمْ ، وَخَالَفَ بَيْنَ رَيْبِهِمْ وَرَيْ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ عَلَى أُنْبِيَائِهِمْ وَمَثَلًا لِلشَّيَاطِينِ ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ ، وَقَرَّبَ مِنْهُ أَهْلَ الْحَقِّ ، وَبَاعَدَ عَنْهُ ^(٢) أَهْلَ الْبَاطِلِ وَالْأَهْوَاءِ ، فَأَحْيَا اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ ، وَأَمَاتَ بِهِ الْبَاطِلَ ^(٣) فَهُوَ يُذَكِّرُ بِذَلِكَ ، وَيُتَرَحَّمُ عَلَيْهِ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ : لَا تُسْتَعْمِلُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ رِشَا فِي دِينِهِمْ ، وَلَا تَحِلُّ فِي دِينِ اللَّهِ الرِّشَا ^(٤) . وَلَمَّا اسْتَفْتَدَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ مِنَ الْبَصْرَةِ - وَكَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا - لِلْحِسَابِ ، دَخَلَ عَلَى عُمَرَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَاسْتَأْذَنَ لِكِتَابَتِهِ ^(٥) وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : قَاتِلَكَ اللَّهُ ، وَضَرَبَ يَدَيْهِ عَلَى فَخِذِهِ ، وَلَيْتَ ذِمًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؟ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٦) أَلَا اتَّخَذْتُ حَبِيبًا ^(٧) ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِينُهُ . فَقَالَ : لَا أَكْرِمُهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أُعِزُّهُمْ إِذْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أُذِنِّيهِمْ ، إِذْ أَقْصَاهُمْ اللَّهُ .

وَكَتَبَ بَعْضُ الْعُمَّالِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) أَنَّ الْعُدُوَّ ^(٩) قَدْ كَثُرَ ، وَأَنَّ الْجَزْيَةَ قَدْ كَثُرَتْ ، فَتَسْتَعِينُ بِالْأَعَاجِمِ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ^(١٠) : أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ

(١) « وَأَذْلَهُمْ » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٢) في « م » : « بَاعَدَ مِنْهُ » .

(٣) في « م » : « أَهْلُ الْبَاطِلِ » .

(٤) في « م » : « وَلَا يَحِلُّ الرِّشَا » .

(٥) في « م » : « لِكِتَابَتِهِ حُضْرَانِ » .

(٦) سورة المائدة - من الآية ٥١ .

(٧) حنيفاً : مسلماً ثابتاً على الإسلام .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٩) هكذا في « م » وفي المستطرف ج ١ ص ٢٤٩ .. وفي « ط » : « الْعَدَدُ » خطأ .

(١٠) في « م » : « عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » .

الله ، وَأَنَّهُمْ لَنَا غَشَشَةٌ ^(١) فَأَنزَلْنَاهُمْ حَيْثُ أُنزِلْنَاهُمْ اللَّهُ ، وَلَا تُرْثُوا إِلَيْهِمْ شَيْئًا . وَقَالَ
عِمْرَانُ ^(٢) بَنُ أَسِيد : أَنَا كِتَابُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْتَشِرِ : أَمَا بَعْدُ ،
فَإِنَّهُ بَلَّغْنِي أَنَّ فِي عَمَلِكَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : حَسَّانُ بْنُ بَرَزَى ، عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفُوفَ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) . وَإِذَا
أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَادْعُ حَسَّانَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمَ فَهُوَ مِنَّا وَتَحْنُ مِنْهُ ، وَإِنْ أُمِّي
فَلَا تَسْتَعِينْ بِهِ ^(٤) وَلَا بِأَحَدٍ مِنْ ^(٥) غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ .
فَقَرَأَ الْكِتَابَ عَلَيْهِ ، فَاسْلَمَ .

وَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) إِلَى بَدْرٍ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
فَلَحِقَهُ ^(٧) عِنْدَ الْحَرَّةِ ، فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ وَأَصِيبَ مَعَكَ . قَالَ ^(٨) : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أُسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَفَرِحَ
بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩) ، وَكَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ وَجَلَدٌ ، فَقَالَ ^(١٠) : جِئْتُكَ
لَأَتَّبِعَكَ وَأَصِيبَ مَعَكَ ، قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أُسْتَعِينَ
بِمُشْرِكٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ . فَخَرَجَ بِهِ . وَهَذَا أَصْلُ عَظِيمٍ فِي أَنَّ لَا يُسْتَعَانُ بِكَافِرٍ ، هَذَا وَقَدْ خَرَجَ

(١) غَشَشَةٌ : جمع غاشٍ .

(٢) في م : : عمر .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٧ .

(٤) في م : : فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِهِ .

(٥) في ط : : وَلَا تَأْخُذْ بِخَطَا .. و من ، عن ط : ولم ترد في م .

(٦) في ط : : عليه السلام .

(٧) في م : : فَلَاقِهِ .

(٨) في م : : فقال .

(٩) في ط : : عليه السلام .

(١٠) في م : : فقال .

لِيَقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) وَيُرَاقَ دُمُهُ ، فَكَيْفَ اسْتَعْمَلَهُمْ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَالِهِ أَنْ لَا تُؤْلُوا عَلَى أَعْمَالِنَا إِلَّا أَهْلَ الْقُرْآنِ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ : إِنَّا وَجَدْنَا فِيهِمْ حَيَاتَةً . فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ : إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْقُرْآنِ خَيْرٌ فَاجْدُرُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي غَيْرِهِمْ خَيْرٌ .

فصل

وَمَتَى تَقْضَى الدِّمَى الْعَهْدُ ^(٢) بِمُخَالَفَتِهِ لِشَيْءٍ مِنَ الشُّرُوطِ الْمَأْخُودَةِ عَلَيْهِ لَمْ يَرُدَّ إِلَى مَأْمَرِهِ ، وَالْإِمَامُ فِيهِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْاسْتِرْقَاقِ . وَقَالَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ : وَيَلْزَمُهُمْ أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي اللَّبَاسِ ، فَإِنْ ^(٣) لَبَسُوا قَلَانِسَ مَيِّزُوهَا عَنْ قَلَانِسِ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَرِقِ ، وَيَشُدُّونَ الزَّانِيْرَ فِي أَوْسَاطِهِمْ ، وَيَكُونُ فِي رِقَابِهِمْ ^(٤) خَائِثٌ مِنْ رِصَاصٍ أَوْ نُحَاسٍ ^(٥) ، أَوْ جَرَسٍ يَدْخُلُ مَعَهُمُ الْحَمَامُ ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا الْعَمَائِمَ وَالطَّلِيسَانَ ^(٦) .

وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَتَشُدُّ الزَّانِرَ تَحْتَ الْإِزَارِ ، وَقِيلَ : فَوْقَ الْإِزَارِ ، وَهُوَ الْأَوَّلَى ، وَيَكُونُ فِي عُنُقِهَا خَائِثٌ يَدْخُلُ مَعَهَا الْحَمَامُ ، وَيَكُونُ أُخَذَ خُفْيَهِهَا أَسْوَدَ وَالْآخِرُ أَبْيَضَ ، وَلَا يَرْكَبُونَ النَّخِيلَ ، وَيَرْكَبُونَ الْبَيْعَالَ وَالْحَمِيرَ بِالْأَكْفِ عُرْضًا ^(٧) ، وَلَا يَرْكَبُونَ بِالسُّرُوجِ ، وَلَا يَتَصَدَّرُونَ ^(٨) فِي الْمَجَالِسِ ، وَلَا يَتَدَبَّعُونَ بِالسَّلَامِ ، وَيُلْجَعُونَ إِلَى أَصْبَحِ الطَّرِيقِ ^(٩) ،

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) في « م » : « عهد الدِّمَى » .

(٣) في اللباس ، عن « ط » .. وفيها : « وإن » مكان « فإن » .

(٤) في « م » : « أَرْقَابِهِمْ » خطأ . فجمع رقبة : رَقَبَ وَرَقَبَاتٍ وَرِقَابَ .

(٥) قوله : « أو نحاس » عن « ط » .

(٦) الطَّلِيسَانُ : ضَرْبٌ مِنَ الْأَوْشَاحِ يُلْبَسُ عَلَى الْكَفِّ ، أَوْ يَحِيطُ بِالْيَدَيْنِ ، خَالٍ مِنَ التَّضْفِيلِ وَالْحَيَاظَةِ ، وَهُوَ مَا يُعْرِفُ بِالْعَامِيَةِ الْمَصْرِفَةِ بِالشَّالِ .. وَهُوَ فَارِسِي مُعَرَّبٌ .

(٧) الْعُرْضُ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ : الْجَانِبِ وَالنَّاحِيَةِ ، أَيْ : مِنْ نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ .

(٨) في « م » : « لا يَصْدُرُونَ » وكلاهما صواب .

(٩) في « ط » : « الطريق » .

وَيُمنَعُونَ أَنْ يَعلَوْا ^(١) عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبِنَاءِ ، وَتُجَوَّزُ الْمُسَاوَاةُ ، وَقِيلَ : لَا تُجَوَّزُ ، بَلْ يُمنَعُونَ . وَإِنْ تَمَلَّكُوا دَارًا عَالِيَةً أَقْرَأُوا عَلَيْهَا ، وَيُمنَعُونَ مِنْ إِظْهَارِ الْمُنْكَرِ ، كَالْحَمْرِ ^(٢) وَالْخِنْزِيرِ وَالنَّافُوسِ ، وَالْجَهْرِ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ ، وَيُمنَعُونَ مِنَ الْمَقَامِ ^(٣) فِي الْحِجَازِ ، وَهِيَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْحِمَاةُ .

وَيَجْعَلُ الْإِمَامُ عَلَى كُلِّ طَائِفَةٍ ^(٤) مِنْهُمْ رَجُلًا يَكْتُبُ أَسْمَاءَهُمْ وَحُلَاهُمْ ، وَيَسْتَوْفِي جَمِيعَ مَا يُؤْتَحَدُونَ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُوطِ . وَإِنْ ائْتَنَعُوا مِنْ أَداءِ الْجِزْيَةِ وَالْتَزَامِ أَحْكَامِ الْمِلَّةِ ^(٥) انْتَقَضَ عَهْدُهُمْ . وَإِنْ رَأَى أَحَدُهُمْ بِمُسْلِمَةٍ ، أَوْ أَصَابَهَا بِنِكَاحٍ ، أَوْ آوَى عَيْنًا ^(٦) لِلْكَفَّارِ ، أَوْ دَلَّ عَلَى عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ قَتَلَ مُسْلِمًا عَنْ دِينِهِ ، أَوْ قَتَلَهُ ، أَوْ قَطَعَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، أَوْ ذَكَرَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٧) وَرَسُولَهُ بِمَا لَا يَجُوزُ ، قِيلَ : يَنْتَقِضُ ، وَقِيلَ : لَا يَنْتَقِضُ ^(٨) . وَإِنْ فَعَلَ مَا يُمنَعُ مِنْهُ ، بِمَا لَا ضَرَرَ فِيهِ ، كَتَرَكَ الْغِيَارِ ، وَإِظْهَارِ الْحَمْرِ ، وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، عَزَّرَ عَلَيْهِ ^(٩) . وَمَتَى فَعَلَ مَا يُوجِبُ ^(١٠) نَقْضَ الْعَهْدِ رُدُّهُ إِلَى مَأْمَرِهِ ، فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، وَقِيلَ فِي الْآخَرِ ، فِي الْقَوْلِ الْآخَرِ .

فصل

فِي ^(١١) تَقْدِيرِ الْجِزْيَةِ اخْتِلَافِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، فَقِيلَ : إِنَّهَا مَقْدِيرَةُ الْأَقْلِ وَالْأَكْثَرِ ^(١٢)

(١) فِي م : « وَيُمنَعُونَ » لَا تَصِحُّ .. وَفِيهَا : « أَنْ يَصْلُوا » مَكَانَ « أَنْ يَعلَوْ » نَحْرَفُ .

(٢) فِي م : « وَالْحَمْرِ » .

(٣) فِي م : « وَيُمنَعُونَ الْمَقَامَ » .

(٤) فِي م : « عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ » .

(٥) فِي م : « مِنْ أَحْكَامِ الْمِلَّةِ وَأَدَاءِ الْجِزْيَةِ » .

(٦) عَيْنًا : جَاسُوسًا .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعَظَّمِينَ عَنْ م : « » .

(٨) قَوْلُهُ : « لَا يَنْتَقِضُ » عَنْ م : « وَلَمْ تَرُدَّ فِي د » .

(٩) عَزَّرَ : أَدَّبَ وَعُوقِبَ عَلَيْهِ .

(١٠) فِي م : « وَمَتَى فَعَلَ مَا لَا يُوجِبُهُ » .

(١١) فِي م : « دَوَى » .

(١٢) مَكْنَا فِي د : « وَالْمُسْتَطَرَفُ .. وَفِي م : « بِالْأَقْلِ » .

عَلَى مَا كَتَبَ بِهِ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ بِالْكُوفَةِ ، فَوَقَعَ عَلَى الْغَنِيِّ ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَعَلَى مَنْ دُونَهُ أَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَعَلَى مَنْ دُونَهُ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنِ حَنْبَلٍ ، وَأَخَذَ قَوْلِي الشَّافِعِيُّ ، وَجَعَلُوهُ كَأَنَّهُ حُكْمُ إِمَامٍ فَلَا يَنْقُضُ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مُرْدُودَةٌ إِلَى الْإِمَامِ فِي الزَّيَادَةِ وَالْتَقْصَانِ ، وَهُوَ الْأَقْبَسُ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مُقَدَّرَةٌ الْأَقْلَ دُونَ الْأَكْثَرِ ، فَيَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَزِيدَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ عُمَرُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْقُصَ عَنْهُ ^(١) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَجُوزُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَهُمْ ، مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ دِينَارٌ . وَقَالَ مَالِكٌ : يُؤْخَذُ مِنَ الْمُوسِرِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَمِنَ الْفَقِيرِ دِينَارٌ وَعَشْرَةُ دِرْهَمٍ . وَيَتَخَرَّجُ ^(٢) عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ فِي وَجُوبِ تَقْدِيرِ طَرَفَيْهَا قَوْلَانِ ، بِنَاءً عَلَى الْعَشْرِ الْمَأْخُودِ مِنْهُمْ ^(٣) . هَلْ هُوَ تَقْدِيرٌ شَرْعِيٌّ لَا ^(٤) تَجُوزُ فِيهِ الزَّيَادَةُ وَالْتَقْصَانُ ؟ وَعَنْ مَالِكٍ فِيهِ رَوَايَتَانِ ، وَلَا جِزْيَةَ عَلَى النِّسَاءِ وَالْمَمَالِكِ وَالصَّبْيَانِ وَالْمَجَانِينِ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٥) : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ أَصَابَتْهُمْ بَلَاءٌ وَشِدَّةٌ وَجَوْرٌ مِنَ الْعُمَّالِ ، وَسَمَنَ سَيْئَةُ سَنَتِهَا عَلَيْهِمْ عُمَّالُ السُّوءِ ، فَأَحْزَرُوا عَلَيْهِمْ أَرْضَهُمْ ، وَلَا تُحْمِلُ غَرَابًا عَلَى عَامِرٍ ، وَلَا عَامِرًا عَلَى غَرَابٍ ، وَلَا تَأْخُذُ مِنَ الْغَرَابِ إِلَّا مَا يُطْلِقُونَ ، وَلَا مِنَ الْعَامِرِ إِلَّا وَظِيفَةُ الْخَرَاجِ ، إِلَّا وَزْنَ سَبْعَةِ لَيْسَ لَهَا أَمْسٌ ، وَلَا أَجُورِ الضَّرَائِينَ ^(٦) ، وَلَا أَدَاةَ الْفِضَّةِ ، وَلَا هَدِيَّةَ

(١) فِي (م) : (: مِنْهُ) .

(٢) فِي (م) : (: وَخَرَجَ) .

(٣) فِي (ط) : (: مِنْهُ) .

(٤) فِي (م) : (: وَلَا) .

(٥) هو : عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، أبو عمر ، وإل من أهل المدينة ، وثقة في الحديث .. استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة . وتوفي بخران في خلافة هشام بن عبد الملك نحو سنة ١١٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والمعارف ص ١٨٠ ، ٤٦٥] .

(٦) الضَّرَائِينَ : الْحَاسِبِينَ الَّذِينَ يُجْبَوْنَ أَوْ يُفْرَضُونَ الْأَنْصَبَةُ - وَفِي (م) : (: الْفَرَّائِينَ) عَلَى الْإِبْدَالِ .

البَابُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

فِي بَيَانِ الصِّفَاتِ (٥) الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْوَلَاةِ

اعْلَمْ أُرْشَدَكَ اللهُ [تَعَالَى] (١) أَنَّ مَنْزِلَةَ الْعُمَالِ مِنَ الْوَالِي مَنْزِلَةُ السَّلَاحِ مِنَ الْمُقَاتِلِ ، فَاجْتَنِدْ جَهْدَكَ فِي اِئْتِمَاءِ صَالِحِ (٢) الْعُمَالِ . وَإِذَا فَقَدَ الْوَالِي عُمَالَ (٣) الصَّدَقِ ، كَانَ كَفَقْدِ الْمُقَاتِلِ السَّلَاحِ يَوْمَ الْحَرْبِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَى طَبَقَاتِ الرُّجَالِ كَمَا نَحْتَاجُ الْحَرْبِ (٤) إِلَى أَصْنَافِ الْعُدَّةِ ، فَمِنْهَا الدَّرَقُ لِلْإِسْتِجْنَانِ (٥) ، وَالسِّيفُ لِلْمُنَاجَزَةِ ، وَالرُّمْحُ لِلْمُطَاعَنَةِ ، وَالسَّهْمُ لِلْمُبَاعَدَةِ (٦) ، وَالذَّرْعُ لِلتَّحْصِينِ ، وَلِكُلِّ مِنْهَا مَوْضِعٌ لَيْسَ لِلْآخَرِ .

وَالرُّجَالُ لِلْمَلِكِ كَالْأَدَاةُ لِلصَّانِعِ ، لَا يَسُدُّ بَعْضُهَا مَسَدَ بَعْضٍ ، كَذَلِكَ طَبَقَاتُ الرُّجَالِ لِلْمَلِكِ ، مِنْهُمْ لِلرَّأْيِ (٧) وَالْمَشُورَةِ ، وَمِنْهُمْ لِإِدَارَةِ الْحَرْبِ ،

(٥) فِي م : : : فِي الصِّفَاتِ .

(١) مَا بَيْنَ الْمُقَرَّبَيْنِ عَنْ ط .

(٢) فِي م : : : مَصَالِحُ .

(٣) فِي م : : : عِيَالٌ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي ط : : : يَحْتَاجُ بِالْيَاءِ .. وَالْحَرْبُ مُؤَنَّةٌ فِي الْغَالِبِ ، وَقَدْ تُذَكَّرُ عَلَى مَعْنَى الْقِتَالِ .

(٥) فِي م : : : وَالْإِسْتِجْنَانُ .. وَالذَّرَقُ : جَمْعُ ذَرَقَةٍ ، وَهِيَ الثَّرْسُ مِنْ جِلْدٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ .. وَقَوْلُهُ لِلْإِسْتِجْنَانِ ، أَيْ : لِلْإِسْتِجَارَةِ .

(٦) لِلْمُنَاجَزَةِ : لِلْمُقَابَلَةِ وَالزَّلَالِ .. وَالْمُطَاعَنَةُ ، صِبْغَةٌ مُفَاعَلَةٌ تَدُورُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، أَيْ : يَطْلَعُنِ كُلُّ مَنِهَا الْآخَرَ .. وَالسَّهْمُ لِلْمُبَاعَدَةِ ، لِلْمُقَابَلَةِ عَنْ بُعِيدٍ .

(٧) فِي م : : : الرَّأْيُ .

وَمِنْهُمْ لِمُبَاشِرَةِ الْحَرْبِ ، وَمِنْهُمْ لَجَمْعِ الْأَمْوَالِ ، وَمِنْهُمْ لِحِفْظِهَا ، وَمِنْهُمْ لِلجِبَايَةِ ^(١) ،
وَمِنْهُمْ لِلْكِتَابَةِ ، وَمِنْهُمْ لِلْجَمَالِ وَالْفَخْرِ ، وَمِنْهُمْ لِلْمُبَاهَاةِ وَالذِّكْرِ ، وَمِنْهُمْ لِلدُّعَاءِ
وَالْوَقَارِ ، وَمِنْهُمْ لِلْعِلْمِ وَالْفَتْيَا وَحِفْظِ أَسَاسِ الْمِلَّةِ ، فَلَا يَكْمُلُ لِلْمَلِكِ مُلْكٌ مَا لَمْ يَجْمَعْ
هَذِهِ الطَّبَقَاتِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا مَاتَ كِسْرَى بَلَغَ مَوْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَنِ اسْتَخْلَفُوا ؟ قَالُوا : ابْنَتُهُ « بُرَّانَ » ^(٢) قَالَ : لَنْ يُفْلِحَ
قَوْمٌ أَسْتَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ الْحَرَّةِ ^(٣) قِيلَ : مَنِ
اسْتَعْمَلَ الْقَوْمَ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ ^(٤) عَلَى قُرَيْشٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ
الرَّاهِبِ ^(٥) عَلَى الْأَنْصَارِ . قَالَ : أَمِيرَانِ ؟ هَلَكَ وَاللَّهِ الْقَوْمُ .

(١) في « ط » : « للحماية » مكان « للجباية » .

(٢) حينما وليت بوران بنت كسرى ملكاً أيها لم نجيبى الحراج ، وفرت الأموال بين الجند والأشراف ، فكانت
مدة ملكها سنة وستة أشهر .

[انظر المعارف ص ٦٦٦] .

(٣) الحرّة : هي حرّة واقم بالمدينة ، وبها كانت وقعة الحرّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ . وكان
سببها تخلع أهل المدينة ليزيد ومبايعتهم لعبد الله بن الزبير .. وكان أمر الجيش فيها من قبل يزيد مسلم بن عقبة المُرِّي ،
وصموه - لقيح صنعه - « مُسْرِفًا » ، فبينما قديم المدينة نزل حرّة واقم ، وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه ، فكسرهم ،
وقتل من الموالى ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ، ومن الأنصار ألفاً وأربعمائة ، وقيل : ألفاً وسبعمائة ، ومن قريش ألفاً
وفلثمائة ، ودخل جنوده المدينة فنهبوا الأموال ، وسبوا الذريرة ، وفعلوا ما يندى له جبين الحر .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢١٩ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٩ ، مادة « حرّة واقم »] .

(٤) هو : عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي العدوي ، من جيلة قريش جلدًا وشجاعة ، وكان على قريش
يوم الحرّة ، فلما انتهزم أصحابه توازى في المدينة ، ثم سكن مكة ، واستعمله ابن الزبير على الكوفة فأخرجته المختار بن
أبي عبيد منها ، فعاد إلى مكة ، فلم يزل فيها إلى أن قُتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له سنة ٧٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٩ ، والمعارف ص ٣٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، والمحرر ص ٤٩٤ ،
٤٩٥] .

(٥) هو : عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري الأوسي .. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقُتل أبوه في أحد شهيدًا وخلفه جنيثًا في بطن أمه ، فنشأ يتيمًا ، وغُرِف بالشجاعة .. ولما ثار أهل المدينة
يوم الحرّة ، وأخرجوا عُثْمَانَ بنِي أُمَيَّةَ ، أجمعوا عليه ، فوكلوه أمرهم ، فبايعهم على الموت ، فلم يزل يقاتل حتى قُتل
سنة ٦٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٥ - ٦٨] .

وَلَيْسَ يُشْتَرَطُ النَّسَبُ ^(١) إِلَّا فِي الْإِمَامَةِ الْعُظْمَى دُونَ سَائِرِ الْوِلَايَاتِ . وَلَمَّا اسْتَحْضَرَ
هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ ^(٢) مِنَ الْخُطَبَاءِ ، قَالَ لَهُ هِشَامُ :
بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ الْخِلَافَةَ وَلَا تَصْلُحُ لَهَا ، لِأَنَّكَ ابْنُ أُمَةٍ . قَالَ زَيْدٌ : فَقَدْ كَانَ
إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ أُمَةٍ ، وَإِسْحَاقُ ابْنُ حُرَّةٍ ، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَلَدِ
إِسْمَاعِيلَ . ثُمَّ اتَّهَمَهُ فِي أَمْرِ ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : أَنَا أُخْلِفُ لَكَ . قَالَ هِشَامُ : وَمَنْ
يُصَدِّقُكَ ؟ قَالَ زَيْدٌ : إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يَأْمُرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ دُونَ أَنْ يُؤْمَرَ
بِتَقْوَى اللَّهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ : دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى أَمْرِ قَدْ أَهْمَنِي . قَالُوا : وَكَيْفَ
تُرِيدُهُ ؟ قَالَ : إِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ وَلَيْسَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ ، وَإِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ
وَهُوَ أَمِيرُهُمْ ^(٣) كَانَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ . قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ .
قَالَ : صَدَقْتُمْ هُوَ لَهَا .

وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ اسْتَشَارَ فِي قَوْمٍ يَسْتَعْمِلُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ :
عَلَيْكَ بِالْأَهْلِ الْعَدْلِ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالُوا : الَّذِينَ إِنْ عَدَلُوا فَهُوَ مَا رَجَوْتَ ، وَإِنْ

(١) النسب عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٢) في « م » : « وكانوا » تحريف من الناسخ .. وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه أم ولد
سندية .. من خطباء بني هاشم ، قال عنه أبو حنيفة : ما رأيت في زمانه أفقه منه ، ولا أسرع جواباً ، ولا أبين
قولاً .. وكانت إقامته بالكوفة وأشخص إلى الشام ، فضيق عليه هشام بن عبد الملك وحسبه خمسة أشهر ، وعاد إلى
العراق ، ثم إلى المدينة ، فلحق به بعض أهل الكوفة يجرؤونه على قتال الأمويين ، ورجعوا إلى الكوفة سنة ١٢٠ هـ
فباعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، ورد
الظالم .. ونشبت بينه وبين بني أمية معارك انتهت بمقتله في الكوفة على يد يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٢ هـ في
عهد هشام ، وكان عمره اثنين وأربعين عاماً . وأخباره كثيرة في المصادر التاريخية الكبرى ، كالطبري وابن الأثير
وغيرهما .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٥٩ ، والمعارف ص ٢١٦ و ٣٦٥ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥ - ٣٨ ، وطبقات
المختلة ص ١٧ و ٣٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦] .

(٣) في « م » : « وإذا كان أميرهم » .

قَصَرُوا قَالَ النَّاسُ : اجْتَهَدَ عُمَرُ . وَلَمَّا قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنْ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ سَأَلَهُ عَنْ بَشْرِ ، فَقَالَ ^(١) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ غَنَفٍ ، اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعِيفٍ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ الْأَغْرُ ^(٢) الْأَجُودُ ، الَّذِي كَانَ يَأْمَنُ ^(٣) عِنْدَهُ الْبَرِيُّ ، وَيَخَافُ لَدَيْهِ السَّقِيمُ ، وَيُعَاقِبُ عَلَى قَدْرِ الذَّنْبِ ، وَيَعْرِفُ مَوْضِعَ الْعَفْوِ ، الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ غَنَفٍ ^(٤) اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعِيفٍ ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١ وَقَالَ الْحَكِيمُ : اَعْتَبِرِ الرَّجَالَ بِأَفْعَالِهِمْ لَا بِعِظَمِ أَجْسَامِهِمْ ، فَإِنَّ النَّسْرَ مَعَ عِظْمِهِ ^(٥) لَا يَأْكُلُ إِلَّا مَيْتًا ، وَطَيْرَ الْمَاءِ مَعَ ضَعْفِهِ يَتَحَامَى مَيْتَ السَّمَكِ ^(٦) وَيَأْكُلُ الْحَيَّ مِنْهَا .
٢ وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : السُّلْطَانُ الْحَازِمُ رُبَّمَا أَحَبَّ الرَّجُلَ فَأَقْصَاهُ وَأَطْرَحَهُ مَخَافَةَ ضَرِّهِ ، كَالْمَلْسُوعِ يَقْطَعُ أَصْبَعَهُ لئَلَّا يَنْتَشِرَ السُّمُّ فِي جَسَدِهِ ، وَرُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ فَأَكْرَهَ نَفْسَهُ عَلَى تَوَلِّيهِ وَتَقْرِيبِهِ لِإِنْفَاءِ يَجْدُهُ عَنْهُ ، كَتَكَارِهِ الْمَرْءِ عَلَى الدَّوَاءِ الْبَشِيعِ لِنَفْعِهِ .

إِلَّا أَنْ لِلْإِسْلَامِ شُرُوطًا ، فَلَا تَسْتَقِيمُ هَذِهِ السَّيْرَةُ عَلَيْهَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ ، كَانَ مُعَاوِيَةُ وَالْيَا عَلَى الشَّامِ مِنْ قَبْلِ عُمَرَ ، ثُمَّ عُثْمَانَ ، فَاسْتَشَارَ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : أَفَرُّهُ عَلَى إِمْرَتِهِ وَأَرْسِلْ إِلَيْهِ بَعْدِيهِ ، فَإِذَا دَخَلَ فِي بَيْعَتِكَ فَأَعَزَّهُ . فَقَالَ لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَنَا مُرِنِي أَنْ أَطْلُبَ الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ ؟ ثُمَّ عَزَلَهُ ، فَكَانَ سَبَبَ عِصْيَانِهِ . وَهَكَذَا أُشَارُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ

(١) في ١ ط : : قال ١ .

(٢) في ١ ط : : ذاك الأعسر ، أي : الذي يعمل بيده اليسرى .

(٣) في ١ م : : الذي يأمن ١ .

(٤) في ١ ط : : ضَعَفٌ ١ .

(٥) في ١ م : : مع ضعفه ١ تحريف .

(٦) يتحامى مَيْتَ السَّمَكِ : يتجنب المَوْتَ منه .

الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فَضَّلْتَ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافَ وَمَنْ تَتَخَوَّفُ ^(١) مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا النَّاسُ أَصْحَابُ دُنْيَا ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْتَقُوا الْأَمْرَ عُدَّتْ إِلَى التَّسْوِيَةِ . فَقَالَ : أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وَلِيَتْ عَلَيْهِ ؟ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَالِي ^(٢) لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ وَلَمْ أَفْضَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَكَيْفَ وَالْمَالُ لَهُمْ .

وَإِعْطَاءُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْدِيرٌ وَسَرْفٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ ذِكْرَ صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَضَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَنْ يَصْعَ أَمْرُو ^(٣) مَالُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى شُكْرَهُمْ ، وَيَصِيرُ لِغَيْرِهِ وَدُهُمْ ، فَإِنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ لَهُ الْوُدَّ وَالشُّكْرَ ، فَذَلِكَ مَلَقٌ وَخِدِيعَةٌ لِيَنَالُ مِنْهُ ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ التَّعَلُّلُ يَوْمًا مَا ^(٤) فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِ وَمُكَافَأَتِهِ عَلَى ^(٥) مَا سَلَفَ مِنْ مَبَرَّتِهِ فَشَرُّ خَلِيلٍ ، وَالْأَمُّ خَلِيدٍ ^(٦) .

وَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْوَالِي وَحُبُّ الْمَدْحِ ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ الْمَدْحَ عُدَّ ^(٧) كَمَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ مِنْكَ جَعَلَهُ النَّاسُ سُلْطَمًا لِقَضَائِهِ حَوَائِجِهِمْ مِنْكَ ، فَحَيْثُ يَكُونُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ لِنَفْسِكَ لَا لَهُمْ . وَقَالَ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اخْتُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَاجِينِ التُّرَابَ » . وَسَمِعَ الْإِمْقَادُ رَجُلًا يَمْدَحُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَاتَّخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَأَلْقَاهُ فِي وَجْهِهِ . وَسَمِعَ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا يَمْدَحُ رَجُلًا فَقَالَ : « قَطَعْتَ ظَهْرَ أَخِيكَ ، لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ بَعْدَهَا » .

وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ أَمِيرًا فَقَالَ : كَانَ إِذَا وَلَّى لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفُونِهِ ، وَأَرْسَلَ الْعُيُونُ عَلَى عُيُونِهِ ، فَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ ، شَاهِدٌ مَعَهُمْ ، فَالْمُخْسِنُ رَاجٍ ، وَالْمُسِيءُ خَائِفٌ .

(١) في م : : تخوف ، أى : تتخوف .

(٢) في م : : لو كان لي مال .

(٣) في م : : أمر ، تخريف .

(٤) ما عن ط .

(٥) على عن م : وسائط من ط .

(٦) سقطت الأم ، من م . والخدين : الصاحب والصدق .

(٧) في م : : هو مكان عُدَّ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا : لَا يَتَعَدَّنْ ابْنُ هِنْدٍ ^(١) أَنْ كَانَتْ فِيهِ لَمَحَارِجُ مَا نَجِدُهَا فِي أَحَدٍ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَاللَّهِ أَنْ كُنَّا لَنَعْرِفُهُ ^(٢) وَمَا اللَّيْثُ الْحَرْبُ عَلَى بَرَائِيهِ بِأَجْرًا مِنْهُ ، فَيَتَفَارَقُ لَنَا ^(٣) وَإِنْ كُنَّا لَنَتَخَذَعُهُ ، وَمَا ابْنُ لَيْلَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بِأَذْهَى مِنْهُ ، وَاللَّهِ ^(٤) لَوَدِدْتُ أَنَا مُتَعَتًا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا حَجَرٍ ، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ ^(٥) ، لَا يَتَخَوَّنُ لَهُ عَقْلٌ ، وَلَا يَنْتَقِصُ لَهُ قُوَّةٌ .

وَقَالَ الصَّنَائِحِيُّ ^(٦) : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٧) إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ كِتَابًا فِي مِثْلِ أُذُنِ الْفَارَةِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ ^(٨) إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ ، بَعِيدُ الْغُرَّةِ ^(٩) ، لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى غُزْوَةٍ ، وَلَا يَخْتَنُقُ ^(١٠) فِي الْحَقِّ عَلَى الْجُرَّةِ ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً .

وَقَالَ مَالِكٌ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا فِي أَمْرِ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ إِلَى مَنْزِلِنَا فَأَتَيْنِي بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَجِدْ ، فَقَالَ : اطْلُبْ عَنْدهُمْ شَيْئًا ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْدهُمْ إِلَّا أُذُنَ مَزُودٍ ، فَكَتَبَ لَهُ فِي تِلْكَ الْأُذُنِ .

(١) يريد بابن هند : معاوية بن أبي سفيان .. وأمه : هند بنت عُتْبَةَ .

(٢) قوله : « وَاللَّهِ أَنْ كُنَّا لَنَعْرِفُهُ » عن « ط » . والليث الحرب : الشديد الغضب .

(٣) فيفارق لنا ، أى : فيظهر لنا الجزع والخوف .

(٤) فى « م » : « وَاللَّهِ » .

(٥) أبو قُبَيْسٍ : جبل مشرف على مكة .. ولا يتخون له عقل : لا ينقص عقله .

(٦) هو : صفوان بن عَسَالٍ ، من بنى الزُّبَيْرِ بن زاهر ، صحابى ، غزا مع النبى ، صلى الله عليه وسلم ، انتهى عشرة غزوة ، وسكن الكوفة . والصَّنَائِحِيُّ : نسبة إلى صَنَائِح ، بطن من العرب ، « من مراد » .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢٧ ، ولسان العرب ، مادة « صنيع »] .

(٧) رضى الله عنه « م » .

(٨) فى « م » : « والناس » .

(٩) فى « ط » : « حصيف العقدة » أى : جيد الرأى ، ومُحَكَّمُ الْعَقْلِ .. وبعيد الغُرَّة : كثير الخبرة . أو : سيد

القوم وشريفهم .

(١٠) يَخْتَنُقُ : يغناظ .

وَلَمَّا وَلَّى الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَمَحَنَ ^(١) غَفْلَهُ وَعِلْمُهُ ، وَامْتَحَنَهُ بِمَسَائِلَ فَوَجَدَهُ فَوْقَ مَا يُرِيدُ ، فَتَلَقَّاهُ رُجُوهُ الْبَصْرَةِ ، قَرَأُوا شَابًا صَبِيًّا مَا بَقِلَتْ لِحْيَتُهُ ^(٢) ، فَتَعَجَّبُوا ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يُقَالُونَ الْأَكْفُفُ ، وَيَعْمُرُونَ الْحَوَاجِبَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : كَمْ سِنَّ الْقَاضِي ، أَصْلَحَهُ اللَّهُ ؟ قَالَ : مِثْلُ سِنَّ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ لَمَّا وَلَّاهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) مَكَّةَ ، فَهَابُوهُ لِجِدَّةِ جَوَابِهِ ، وَعَرَفُوا فَضْلَهُ ، وَكَانَ لِعَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً لَمَّا وَلَّى مَكَّةَ .

وَكَانَ عَمَّرُ يَقُولُ : لَا يَصْلُحُ أَنْ يَلِيَ أُمُورَ النَّاسِ ^(٤) إِلَّا حَصِيْفُ الْعَقْلِ ، وَافِرُ الْعِلْمِ ، قَلِيلُ الْغِرَّةِ ^(٥) ، بَعِيدُ الْهِمَّةِ ، شَدِيدُ فِي غَيْرِ غَنَفٍ ، لَيِّنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، جَوَادٌ فِي غَيْرِ سَرَفٍ ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً . وَقَالَ أَيْضًا : يَتَنَبَّأُ أَنْ يَكُونَ فِي الْوَالِي مِنَ الشَّدَّةِ مَا يَكُونُ ضَرْبُ الرِّقَابِ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ كَقَتْلِ عُصْفُورٍ ، وَيَكُونُ فِيهِ ^(٦) مِنَ الرِّقَّةِ وَالْحَنُونِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ مَا يَجْزَعُ مِنْ قَتْلِ عُصْفُورٍ بِغَيْرِ حَقٍّ .

(١) استمحن : استخبر واختبر .

(٢) ما بقلت لحيته : ما نبت . وفي « م » : « ما بقلت » تحريف .

(٣) في « ط » : « عليه السلام » .. وعَتَّابُ بنُ أُسَيْدٍ بنُ أَبِي الْبَيْضِ بنُ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، صَحَابِيٌّ ، أُمَوِيٌّ ، قُرَشِيٌّ ، مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ ، أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى « حَنْزَلِ » سَنَةِ ٨ هـ . وَأَقْرَبُهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَاسْتَمَرَّ فِيهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ، يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ، وَفِي الْمَوْرَعِينَ مَنْ يَذْكُرُ أَنَّهُ عَاشَ وَالِيًّا عَلَى مَكَّةَ إِلَى أَوَّلِ خَلْفِ أَبِيهِ عُمَرَ ، فَتَكُونُ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢٣ هـ . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - رَجُلًا خَيْرًا صَالِحًا .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٥ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٩ ، والمعارف ص ٧٣ و ٢٨٣] .

(٤) في « م » : « يلى على أمور المسلمين » .

(٥) الغيرة : الغفلة .

(٦) في « م » : « ويكون عنده » .

وَيُرَوَّى أَنَّ الرَّشِيدَ أَخْضَرَ رَجُلًا لِوَلِيِّهِ الْقَضَاءَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي لَا أَحْسِنُ الْقَضَاءَ ، وَلَا أَنَا قَبِيحٌ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : فِيكَ ثَلَاثٌ خِلَالٌ : لَكَ شَرَفٌ ، وَالشَّرَفُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَلَكَ حِلْمٌ يَمْنَعُكَ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ قُلَّ خَطْوَهُ ^(١) ، وَأَلَتْ رَجُلٌ تُشَاوِرُ فِي أَمْرِكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ كَثَرَ صَوَابُهُ ، وَأَمَّا الْفَقْهُ فَتَضُمُّ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ ^(٢) ، فَوَلِيَّ ، فَمَا وَجَدُوا فِيهِ مَطْعَنَا .

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ : اسْتَحْضَرَنِي عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ^(٣) فَحَضَرْتُ ، فَسَأَلَنِي (٤) فَسَكَتُ ، فَلَمَّا أَطْلُتُ قَالَ : إِلَيْهِ ^(٥) . قُلْتُ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ . قَالَ : أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تُقْرَضُ الْفَرَائِضَ ^(٦) . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تُعْرِفُ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : أَنَا بِهَا أُعْلِمُ . قَالَ : أَنَا بِهَا أُعْلِمُ . قَالَ : فَهَلْ تُعْرِفُ ^(٧) مِنْ أَيَّامِ الْعَجِمِ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : أَنَا بِهَا أُعْلِمُ . قَالَ : إِنِّي أُبَيِّدُ أَنْ أَسْتَعِينَ بِكَ . قُلْتُ : إِنْ فِى ثَلَاثًا - أَصْلَحُ مَعَهُنَّ لِلْعَمَلِ . قَالَ : مَا ^(٨) هُنَّ ؟ قُلْتُ : أَنَا دَمِيمٌ كَمَا تَرَى ، وَأَنَا حَدِيدٌ ، وَأَنَا عَمَى ^(٩) .

(١) في م : « قل خطوه وكثر صوابه » وستأتي .. وسقط ما بينهما .

(٢) في م : « فَيَضُمُّ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ » .

(٣) هو : عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى الغزاري ، أبو المنى ، أمير ، من الدهاة الشجعان ، صحب عمرو بن معاوية العقيلي في سيره لغزو الروم ، فأظهر بسالة ، وشارك في مقتل مطرف بن المغيرة المناوي للحجاج الثقفي ، وأخذ رأسه ، وسيره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فسُرَّ به عبد الملك .. وولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة .. وفي خلافة يزيد بن عبد الملك ولَّاه إمارة العراق وخراسان ، فكانت إقامته في الكوفة ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ومات سنة ١١٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٦٨ ، ٦٩ ، والمعارف ص ٤٠٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٧١ وغيرها من الصفحات ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ١٨١ وغيرها من الصفحات] .

(٤) سَأَلَنِي : طلب سكوتي .

(٥) إِلَيْهِ : اسم فعل بمعنى « حَسْبُكَ » .. ويكون أيضًا بمعنى الاستزادة .. والأول هو المراد هنا .

(٦) في م : « قَالَ : تُعْرِفُ الْفَرَائِضَ ؟ » . وتُقْرَضُ الفرائض ، بالتشديد ، أى : تستطيع أن تُبَيِّنَ ما فيها من الحلال والحرام والحدود .. وبالتخفيف : تلزم بما فُرِضَ فيها .

(٧) في م : « تَعْلَمُ » .

(٨) في م : « وَمَا » .

(٩) حَدِيدٌ : حادٌ سبب الخلق .. وَالْعَمَى وَالْعَمَى : العاجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود .

قَالَ : أُمَّا الدَّمَامَةُ فَإِنِّي لَا أُبِيدُ أَنْ أَحَاسِنَ ^(١) بِكَ ، وَأُمَّا النُّعَى فَإِنِّي أُرَاكَ تُعْرِبُ عَنْ
نَفْسِكَ ، وَأُمَّا سُوءُ الْخُلُقِ فَيَقْوَمُكَ السُّوْطُ ، فَوَلَّانِي وَأَعْطَانِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَهُوَ أَوَّلُ
مَا تَمَوَّلْتُهُ ^(٢) . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : مَا مُلَاقَاةُ كِبَرَةٍ ^(٣) سُلِبَتْ
أَشْبَالُهَا بِأَصْعَبِ مَنْ لِقَاءِ جَاهِلٍ رَاضٍ عَنْ نَفْسِهِ .

(١) في د م : « أحاسن » تحريف .

(٢) في د م : « أول مال تمولته » .

(٣) الكِبَرَةُ ، بهز ويغير من : انتهى الأسد .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

فِي بَيَانِ الشُّرُوطِ وَالْمُهِودِ الَّتِي تُؤْخَذُ عَلَى الْعَمَالِ

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُؤَلَّى عَلَى الْأَعْمَالِ أَهْلُ الْحَزْمِ وَالْكِفَايَةِ ^(١) وَالصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَتَكُونَ التَّوَلِيَةُ لِلْفَتَاءِ ^(٢) لَا لِلنَّهْوَى . وَمَلَكَ الْوَلَايَاتِ ^(٣) وَأَسَاسُهَا أَنْ لَا يُؤَلَّى الْأَعْمَالَ طَالِبٌ لَهَا ، وَلَا رَاغِبٌ فِيهَا ^(٤) . رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعِيَ رَجُلٌ ، فَلَمَّا سَلَّمْنَا عَلَيْهِ قَالَ صَاحِبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْمِلْنِي ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٥) مَا عَرَفْتُ الَّذِي فِي نَفْسِهِ . »

وَقَدْ رَوَى عَنْ بُرْزَجِمَهَرَ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : مَا هَالِكُ مُلْكِ آلِ سَاسَانَ ^(٦) صَارَ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ قَلَّدُوا كِبَارَ الْأَعْمَالِ صِغَارَ الرُّجَالِ . وَلِلَّهِ دَرُ عَمْرٍو بَنِ

(١) فِي « م » : « وَالِدِيَانَةُ » مَكَانٌ « وَالْكِفَايَةُ » .

(٢) الْفَتَاءُ : النِّفْعُ وَالْكِفَايَةُ .

(٣) فِي « م » : « وَمَلَكَ السِّيَاسَاتِ » .. وَمَلَكَ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا ، أَيْ : قَوَّامُهَا وَخِلَاصَتُهَا .

(٤) فِي « م » : « رَاغِبٌ فِيهَا وَلَا طَالِبٌ لَهَا » .

(٥) فِي « م » : « وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا » .

(٦) فِي « م » : « مُلْكُ سَاسَانَ » .

العاصي ^(١) حَيْثُ قَالَ : مَوْتُ الْإِيفِ مِنَ الْعِلَّةِ ^(٢) أَقْلُ ضَرَرًا مِنْ اِرْتِفَاعِ وَاحِدٍ مِنَ السُّفْلَةِ . وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ : غَضِبَ الْمَأْمُونُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ غَضَبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَا أَمَّاكَ اللَّهُ أَوْ يَتْلُكَ ذَوَلَةُ السُّفْلِ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) لِرَجُلٍ قَدْ آذَاهُ : « أَذْرَكَكَ إِمْرَةُ الصَّبِيَّانِ » . وَقَالَ الْمُسْتَوْفِرُ الْأَكْبَرُ ^(٤) ، وَكَانَ قَدْ عَمَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ :

وَمَا سَقَطَتْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ أُمَّةٌ إِلَى الذُّلِّ إِلَّا أَنْ يَسُودَ ذِمَّتُهَا
إِذَا سَادَ فِينَا بَعْدَ ذُلِّ لَيْمَتِنَا نَصْدَى لَنَا ذُلٌّ وَقَدْ أَدِيمُهَا
وَمَا قَادَهَا لِلْخَيْرِ إِلَّا مُجَرَّبٌ عَلِيمٌ بِإِقْبَالِ الْأُمُورِ كَرِيمُهَا
وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ وَلَكِنْ لِتَذْيِيرِ الْأُمُورِ حَكِيمُهَا ^(٥)

وَأَعْلَمُوا ^(٦) أَنَّ مُعْظَمَ مَا يَدْخُلُ عَلَى الثُّوَلِ مِنَ الْفَسَادِ مِنْ تَقْلِيدِ الْأَعْمَالِ أَهْلَ الْحَرَصِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ لَا يَخْطِئُهَا ^(٧) إِلَّا لَصٌّ فِي ثَوْبِ نَاسِكٍ ، وَذَنْبٌ فِي مِسْلَاجٍ ^(٨) عَائِدٍ حَرِيصٍ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا ، نَائِذٌ لِدِينِهِ وَمُرُوءَتِهِ ^(٩) ، ذَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ ، يَتَّخِذُونَ عِبَادَ اللَّهِ حَوْلًا ^(١٠) وَأَمْوَالَهُمْ قَوْلًا ^(١١) . وَإِذَا اهْتَضَيْتِ حُقُوقُ الْمُسْلِمِينَ وَأُكِلَتْ

(١) في « ط » : « العاصي » وكلاهما صواب .

(٢) في « ط » : « العلة » خطأ .

(٣) في « م » : « عليه السلام » .

(٤) في « م » : « المستعين » تحريف .. والمستوفِر هو : عمرو بن ربيعة بن كعب الجمي السعدي ، أبو يَتَّهَس ، شاعر ، من المعمرين الفرسان في الجاهلية .. وقيل : أدرك الإسلام ، أو كاد يدرك أوله .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٧ ، وأمال المرتضى ج ١ ص ١٦٩ - ١٧١ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥] .

(٥) في « م » : « حليمها » .

(٦) في « م » : « واعلم » .

(٧) لا يخطئها : لا يظلمها .

(٨) مسلاج : جلد .

(٩) جاء في « م » بعد هذا : « يتنى عَرَضُ الحياة الدنيا ، وقد سبق المثل والحرص على الأمانة » .

(١٠) حولًا : عبيدًا وأتباعًا .

(١١) قَوْلًا : مُقْدَوْلًا .

أَمْوَالُهُمْ فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ، وَقَلَّتْ طَاعَاتُهُمْ ^(١) ، فَأَتَقَفَصَتِ الْأُمُورُ ، وَدَبَّ الْفَسَادُ إِلَى الْمَمَالِكِ ، وَقَدْ ذَكَّرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ الْآثَارَ فِي كَرَاهِيَةِ الْوَلَايَاتِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : مَا فِئَتْ ^(٢) عَلَيَّ قَطُّ فِتْنٌ فِي مَمْلَكَتِي إِلَّا وَجَدْتُ سَبِيَهُ جَوْرَ الْعُمَالِ . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ يُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَلِكِ : « اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِيَّاهُ حَافِظٌ غَلِيمٌ » ^(٣) ، قُلْنَا : يُوسُفُ كَانَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاتِّقَا مِنْ نَفْسِهِ ^(٤) بِالْكَفَايَةِ وَالْأَمَانَةِ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ لَا يَتَحَقَّقُ بِوَاطِنِ أَسْرَارِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ خَصَائِصَهُ ^(٥) وَفَضَائِلَهُ ، وَيَرَى الْأُمُورَ وَالْأَعْمَالَ وَالْوَلَايَاتِ فِي أَيْدِي مَنْ لَيْسُوا أَهْلًا لَهَا ، وَيَجُوزُ مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ لِمَنْ حَصَلَ بَيْنَ يَدَيِ جَبَّارٍ لَا يَعْلَمُ مَنْزِلَتَهُ وَلَا مَاعِنْدَهُ مِنَ الْخِصَالِ وَالْفَضَائِلِ أَنْ يَذْكُرَ بَعْضُ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ لِيُعْلِمَ قُدْرَهُ ، فَيَسْلَمَ بِذَلِكَ مِنْ شَرِّهِ . وَعَنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ : إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ فِي يَدِ مَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ ، وَجَبَ أَنْ يَحْطَبُهُ مَنْ يَصْلُحُ لَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ قَرْضًا عَلَيْهِ . وَفَقَّهَاءُ الْأُمُصَارِ عَلَى خِلَافِ هَذَا الرَّأْيِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أُوجِيَ إِلَيْهِ بِمَا يَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْعَدْلِ وَنَشْرِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، فَلِهَذَا ثَبَّهَ عَلَى نَفْسِهِ .

وَمِنْ عَجِيبٍ مَا يَرَوَى فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ حَبَشِيًّا غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ ، مُصَفَّحَ الْقَدَمَيْنِ ^(٦) ، لِأَمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي الْحَسَنَاسِ ^(٧) ، وَكَانَ جَلِيسًا لِذَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَنَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّبُوءَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي يَصْطَفِي لِنُبُوَّتِهِ مَنْ

(١) فِي « م » : « طَاعَتِهِمْ » .

(٢) الْفِتْنُ : الشَّفَاقُ وَالْخِلَافُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ ، وَتَصَدُّعُ الْكَلِمَةِ .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ - آيَةُ ٥٥ .

(٤) فِي « م » : « وَاتَّقَا مِنْ اللَّهِ نَفْسَهُ » .

(٥) فِي « م » : « خَصَائِلُهُ » .

(٦) مُصَفَّحُ الْقَدَمَيْنِ : مَسْتَوِي الْقَدَمَيْنِ .

(٧) بَنُو الْحَسَنَاسِ : قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ - مِنْ الْأَزْدِ . وَفِي « م » : « بَنُو الْحَشْحَاشِ » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ . تَحْرِيفٌ .

[انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ، مَادَّةُ « حَسَسَ » ، وَانْظُرْ لِقِمَانِ الْحَكِيمِ لِعَبْدِ اللَّهِ كُنُونِ ط دَارِ الْمَعَارِفِ ص ١٩] .

بَشَاءٌ ، فَقَالَ لُقْمَانُ : يَا جَبْرِيلُ ، إِنْ أَمَرَنِي ^(١) رَبِّي فَسَمِعَ وَطَاعَةً ، وَإِنْ خَيْرَنِي اخْتَرْتُ الْحِكْمَةَ ، فَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ ، فَأَعْطَاهُ ^(٢) الْحِكْمَةَ ، وَصَرَفَ عَنْهُ الرِّسَالَةَ ^(٣) إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ دَاوُدُ يَقُولُ : طُوبَى لَكَ يَا لُقْمَانُ ، أُوْتِيتَ الْحِكْمَةَ وَأُوْتِيَ دَاوُدُ الْبِلْيَةُ . وَرَوَى أَنَّهُ جَالَسَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَدَاوُدُ يَعْمَلُ الدُّرُوعَ ^(٤) ، فَأَقَامَ حَوْلًا يُصِيرُ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ وَلَا يَعْلَمُ مَا يَصْلُحُ لَهُ ، وَلَا يَسْأَلُ ^(٥) عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا تَمَّ حَوْلُ ^(٦) لَيْسَ دَاوُدُ الدُّرُوعَ وَقَالَ : ذِرْ عَ حَصِينَةَ يَوْمِ حَرْبٍ ! فَقَالَ لُقْمَانُ : الصَّمْتُ حِكْمَةٌ ^(٧) وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذَا بَعَثَ عَامِلًا اشْتَرَطَ عَلَيْهِ ^(٨) أَنْ لَا يَرْكَبَ الْبَرَادِيزَ ، وَلَا يَلْبَسَ الرِّقِيْقَ ، وَلَا يَأْكُلَ الثَّقِيْبَ ، وَلَا يَتَّخِذَ حَاجِبًا ، وَلَا يَغْلِقَ بَابًا عَنْ حَوَائِجِ النَّاسِ وَمَا يَصْلِحُهُمْ ، وَيَقُولُ لَهُ : إِنِّي ^(٩) لَا أَسْتَعْمِلُكَ عَلَى أُبْشَارِهِمْ ^(١٠) وَلَا أَغْرَاضِهِمْ وَلَا أَعْمَالِهِمْ ^(١١) ، وَإِنَّمَا أَسْتَعْمِلُكَ لِتُصَلِّيَ بِهِمْ ، وَتَقْضَى بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ .

(١) في م : : جبرئيل .

(٢) في م : : وأعطاه .

(٣) في م : : وصرف الرسالة .

(٤) في م : : أنه كان جالساً عند داود ، وداود يعمل الدروع ، والدروع ، يُذَكَّرُ وَيؤنث ، وهو : قميص من حلقات من الحديد متشابهة ، يلبس وقاية من السلاح ، وجمعه : أدراع أو أدرع ، وفروع .

(٥) في م : : ولا يسأله .

(٦) حَوْلٌ : سنة .. وفي م : : حولاً بالنصب .. لا تصح .

(٧) في م : : حكم : تحريف .

(٨) في م : : اشترط عليه أربعة : لا يركب .. وما هنا أكثر من أربعة شروط .

(٩) في م : : ويقول : إلى .

(١٠) أبشارهم ، أى : ظاهر جلودهم .. وفي الحديث : « لم أبعث عُثَالِي لِيُضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ » جمع بَشَرَةٍ .

(١١) قوله : : ولا أعمالهم : عن ط .

وَرَوَى عِبَادَةُ بْنُ رِفَاعَةَ ^(١) قَالَ : بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ^(٢) أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ اتَّخَذَ قَصْرًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ بَابًا وَقَالَ : انْقَطَعَ الصَّوْتُ ^(٣) ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ ^(٤) ، وَكَانَ عُمَرُ إِذَا أَحَبَّ أَنْ يُؤْتَى بِالْأَمْرِ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ بَعَثَهُ ، فَقَالَ لَهُ ^(٥) : اثْبَتْ سَعْدًا فَأَحْرِقْ عَلَيْهِ بَابَهُ . فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ، فَلَمَّا أَتَى الْبَابَ أَخْرَجَ زُنْدَهُ ، وَاسْتَوْرَى ^(٦) نَارًا ، ثُمَّ أَحْرَقَ الْبَابَ ، فَأَتَى سَعْدًا الْخَبَرَ ، وَوَصَفَ لَهُ بِصِفَتِهِ فَعَرَفَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَعْدٌ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قُلْتَ : انْقَطَعَ الصَّوْتُ ^(٧) ، فَحَلَفَ سَعْدٌ بِاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : نَفْعُ الْإِذَى أَمْرُنَا بِهِ ^(٨) وَتَوَدَّى عَنْكَ مَا تَقُولُ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ ، فَلَمَّا كَانَ يَبْطِنُ الْبَرِّيَّةَ أَصَابَهُ مِنَ الْخُمُصِ ^(٩) وَالْجُوعِ مَا اللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ ، فَأَبْصَرَ غَنَمًا ، فَأَرْسَلَ غَلَامَهُ بِعِمَامَتِهِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَابْتَغِ مِنْهُمْ شَاءً ، فَجَاءَ الْغَلَامُ بِالشَّاةِ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَأَرَادَ ^(١٠) ذَبْحَهَا ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ

(١) في « م » : « عبادَة » . تحريف . وهو عبادَة بن رفاعَة بن خديج ، أبو رفاعَة الأنصاري الحارثي .. من رواة الحديث الثقات .

[انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٩٤ ، ولسان العرب ، مادة « عبا »] .

(٢) قوله « قال » : بلغ عمر بن الخطاب « عن » ط « ولم ترد في « م » .

(٣) في « م » : « الصووت » .. والصووت : الكثير التصوت .

(٤) هو : محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي ، الأوسي الأنصاري ، الحارثي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، من الأمراء ، من أهل المدينة ، شهد بدرًا وما بعدها ، إلّا غزوة تبوك ، واستخلفه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على المدينة في بعض غزواته ، وولاه عمر على صدقات جهينة .. واعتزل الفتنة في أيام علي ، فلم يشهد الجمل ولا صفين ، وكان عند عمر متعديًا لكشف أمور الولاة في البلاد .. وتوفي بالمدينة ، واختلف في تاريخ وفاته ما بين سنة ٤٣ هـ إلى ٤٧ هـ وقيل . كان عمره سبعاً وسبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٩٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١١٢ ، ١١٣ ، والمعارف ص ٢٦٩] .

(٥) « له » عن « ط » .

(٦) في « م » : « أخرج زندياً فاستورى » . والزند : العود الأعلى الذي تقود به النار . واستورى : أخرج ناره .

(٧) في « م » : « الصووت » .

(٨) في « م » : « أمرنا به عمر » .

(٩) الخُمُصُ : الجوع .

(١٠) في « م » : « فلما أراد » .

كُفَّ^(١) ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ : أَنْظُرْ ، فَإِنْ كَانَتْ مَمْلُوكَةٌ مُسَيِّمَتُهَا^(٢) فَارْزُدِ الشَّاةَ وَخُذِ الْعِمَامَةَ ، وَإِنْ كَانَتْ^(٣) حُرَّةً فَادْبِجِ^(٤) الشَّاةَ . فَذَهَبَ ، فَإِذَا هِيَ مَمْلُوكَةٌ ، فَرَدَّ الشَّاةَ وَأَخَذَ الْعِمَامَةَ ، فَأَخَذَ بِخَطَامِ^(٥) نَاقَتِهِ ، فَجَعَلَ^(٦) لَا يَمُرُّ بِقَلْبَةٍ إِلَّا حَطَفَهَا ، حَتَّى آوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى قَوْمٍ ، فَأَتَوْهُ بِخُبْرٍ وَلَيْتِنِ وَقَالُوا : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ غَيْرَ هَذَا أَثْنَيْنَاكَ بِهِ ، فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، كُلُّ حَلَالٍ أَذْهَبَ السُّعْبَ^(٧) خَيْرٌ مِنْ مَا كَلِ السُّوءِ ، حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَتَزَلَّ بِأَهْلِهِ ، فَأَتَرَدَ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ رَاحَ ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ : لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ مَا رَأَيْنَا أُنْكَ أَذْنَيْتَ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَسْرَعَ السَّيْرِ^(٨) ، فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَهُوَ يَتَعَدَّرُ وَيُخْلِفُ بِاللَّهِ مَا قَالَ^(٩) . فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ أَمَرُ لَكَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ^(١٠) مَكَائِلًا أَنْ تَأْمُرَ^(١١) لِي . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ أَرْضَ الْعِرَاقِ^(١٢) أَرْضُ رَفِيقَةٍ ، وَإِنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يُمُوتُونَ حَوْلِي مِنَ الْجُوعِ ، فَخَشِيتُ أَنْ أَمُرَ لَكَ بِشَيْءٍ يَكُونُ لَكَ بَارِدُهُ وَلِي الْحَارُّ .

وَرَوَى تَهْدُ بْنُ أَسْلَمَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هَبِيًّا ، عَلَى الْحِمَى ، فَقَالَ : يَا هَبِيُّ ، اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ^(١٣) ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ

(١) في م : : : أَنْ يَكْفُفَ .

(٢) أى : : راعيتها . وفي م : : : مُسَيِّمَتُهَا .

(٣) في م : : : : كَانَ .

(٤) في م : : : : فَارْزُدْ : لَا تَصْحَعْ مَعْنَى .

(٥) في م : : : : وَأَخَذَ .. وَالْخَطَامُ : الزَّوَامُ .

(٦) في م : : : : وَجَعَلَ .

(٧) السُّعْبُ : الْجُوعُ .

(٨) في م : : : : الْمَسِيرُ .

(٩) في م : : : : وَهُوَ يَتَعَدَّرُ بِاللَّهِ وَيُخْلِفُ مَا قَالَهُ .

(١٠) في م : : : : قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ .

(١١) في م : : : : بِأَمْرٍ .

(١٢) في م : : : : : إِنَّ الْعِرَاقَ .

(١٣) اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، أى : اِلْتَمِسْ جَانِبَكَ لَهُمْ .

الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَأَدْخِلَ رَبُّ الصُّرَيْمَةِ وَالْعُنَيْمَةِ ^(١) ، وَإِيَّاكَ
وَنَعَمْ ^(٢) ابْنِ عَوْفٍ ، وَنَعَمْ ابْنِ عَفَانَ ^(٣) فَإِنَّهُمَا أَنْ تَهْلِكَ مَا شِئْتُهُمَا يَرْجِعَانِ إِلَى زَرْعٍ
وَنَحْلٍ ، وَإِنَّ رَبَّ الصُّرَيْمَةِ وَالْعُنَيْمَةِ ^(٤) أَنْ تَهْلِكَ مَا شِئْتُهُمَا يَأْتِنِي بَيْنَهُ فَيَقُولُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، أَفَأَتْرَكُهُمْ ^(٥) أَنَا لَا أَبَا لَكَ ؟ فَالْمَاءُ ^(٦) وَالْكَلَأُ أَمْسُرُ عَلَى مِنَ الذَّهَبِ
وَالْوَرَقِ ^(٧) ، وَإِنَّمِ اللَّهُ ، إِنَّهُمْ لَيَرَوْنَ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُهُمْ ، إِنَّهَا لَتِلَادُهُمْ ^(٨) قَاتِلُوا عَلَيْهَا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَسْلَمُوا عَلَيْهَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَالَّذِي تَفْسِي يَدِيهِ ، لَوْلَا الْمَالُ الَّذِي أُحْمِلُ
عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا حَمَيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ شَيْئًا ^(٩) . وَمَرَّ يَوْمًا بَيْنَاءٍ يَتْنِي بِحِجَارَةٍ
وَجِصٍّ ^(١٠) فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ ^(١١) لِعَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ،
فَقَالَ : أُبَيْتُ الدَّرَاهِمَ إِلَّا أَنْ تُخْرَجَ ^(١٢) أُعْتَقَافَهَا ، وَقَاسَمَهُ مَالَهُ . وَكَانَ يَقُولُ : عَلَى كُلِّ
خَائِنٍ أَمِيَّتَانِ : الْمَاءُ وَالطَّيْنُ .

وَكَانَ أَبُو شُرَّوَانَ يَكْتُبُ عَلَى عَهْدِ الْعُمَالِ : سُنْ خِيَارَ النَّاسِ بِالْمَحَبَّةِ ، وَأَمْرُجْ
لِلْعَامَةِ الرَّغْبَةَ بِالرَّهْمَةِ ، وَسُنْ سِيفَلَةَ ^(١٣) النَّاسِ بِالْإِخَافَةِ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ،

(١) يعنى : فى الجمنى والمزعى ، يريد صاحب الإبل القليلة ، والقنم القليلة .

(٢) فى م م : « ولأى » تحريف .. والتقم : الإبل ، وجمعه : أبقام وأبقان .. وهو جمع لا واحد له من لفظه ..
وابن عوف هو : عبد الرحمن بن عوف .

(٣) فى م م : « عنان » بالنون ، تحريف .. وهو عنان بن عفان .

(٤) فى م م : « ورب الثنينة والصريمه » .

(٥) فى م م : « أفأتركههم » .

(٦) فى م م : « فالملأ » تحريف .

(٧) فى م م : « أيسر من الذهب والرزق » ، والأخيرة تحريف .. والورق : الفضة .

(٨) لتلادهم ، أى : أموالهم الأصلية القديمة .. ول م م : « لبلادهم » .

(٩) فى م م : « شيا » .. وما حيث عليهم من بلادهم ، أى : ما جعلتها حتى لا يُقرب .

(١٠) الجِصُّ ، بفتح الجيم وكسرها : من مواد البناء ، لفظه معرفة .

[انظر الصحاح والقاموس] .

(١١) فى م م : « فذكروا أنه » .

(١٢) فى م م : « أن لا تخرج » .

(١٣) فى م م : « سفلى » .

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : كَمَا يَصْلُحُ الْيَهُمَزُ لِلْفَرَسِ ، وَالرَّسَنِ ^(١) لِلْحِمَارِ ، كَذَلِكَ يَصْلُحُ الْقَضِيبُ لظَهْرِ الْجُهَالِ ^(٢) . وَفِي الْأَمْثَالِ : مَنْ لَمْ يَصْلُحْ بِاللَّيْنِ أُصْلِحَ بِالتَّلِينِ . وَقَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَافَ ^(٣) : « اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَقْدَادَ ^(٤) عَلَى سَرِيَّةٍ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ رَأَيْتَ الْإِمَارَةَ أَبَا مَعْبِدٍ ^(٥) ؟ قَالَ : خَرَجْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَرَى لِي فَضْلًا عَلَى الْقَوْمِ ^(٦) فَمَا رَجَعْتُ إِلَّا وَكَأَنَّهُمْ عَبِيدٌ لِي . قَالَ : وَكَذَلِكَ الْإِمَارَةُ أَبَا مَعْبِدٍ ، إِلَّا مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا . قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٧) لَا أَعْمَلُ عَلَى عَمَلٍ أَبَدًا » .

وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُفَشِيَ الْعَمَلَ ^(٨) فِي الْأَفَاضِلِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ ^(٩) : هُمْ أَجَلٌ مِنْ أَنْ

(١) الْيَهُمَزُ : مَا يُهْمَزُ بِهِ .. وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْحَدِيدَةِ الَّتِي فِي مَوْخَرِ حِذَاءِ الْفَارَسِ .. وَفِي « م » : « النَّهْرُ » .. وَالرَّسَنُ : مَا كَانَ مِنَ الْأَرْيَمِ عَلَى الْأَنْفِ .

(٢) فِي « م » : « وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ الْقَضِيبُ لظَهْرِ الرِّجَالِ » وَالْقَضِيبُ : الْعَصَا تُتَّخَذُ مِنَ الْغَصَنِ الْمَقْطُوعِ . (٣) فِي « م » وَ « ط » : « هَلَالُ بْنُ يَسَافَ » وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْتَاهُ ، وَهُوَ : هَلَالُ بْنُ يَسَافَ - أَوْ إِسَافَ - الْأَشْجَعِيُّ ، الْكُوفِيُّ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو الْحَسَنِ ، تَابِعِي ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ ، ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثَّقَاتِ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ ثَقَّةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، رَوَى عَنْ أَبِي هِنْدٍ ، وَسُوَيْدِ بْنِ مِقْرَنٍ ، وَغُرَافَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَزَوْيَ عَنْهُ مِنْصُورُ بْنُ الْمُحْتَسِرِ ، وَحَصِينَ بْنِ عَبْدَةَ .

[انظر رجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٥ ، والمغنى في ضبط أسماء الرجال ص ٢٧٦ ، وعيون الأخبار ج ٢ ص ٣٣١] .

(٤) هُوَ : الْقَدَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ ، وَيُحَرِّفُ بَابِنَ الْأَسْوَدِ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو مَعْبِدٍ .. صَحَابِيُّ مِنَ الْأَطْبَالِ ، وَهُوَ أَحَدُ السَّبْعَةِ الَّذِينَ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ .. تَوُفِّيَ سَنَةَ ٣٣ هـ - وَقِيلَ سَنَةَ ٣٠ هـ - وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٨٢ ، وأمد الغاية ج ٥ ص ٢٥١ - ٢٥٤ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٦ ، والجرح والتعديل ج ٨ ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، والمعارف ص ٢٦٢] .

(٥) فِي « ط » : « أَبَا مَغِيرَةَ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، خَطَأً ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو مَعْبِدٍ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي الْهَامِشِ السَّابِقِ .

(٦) فِي « ط » : « وَمَا أَدْرَى أَنْ لِي فَضْلًا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ » .

(٧) فِي « م » : « بَعْثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا » .

(٨) تُفَشِي الْعَمَلَ : يُكْفِرُهُ وَتَنْشُرُهُ .

(٩) فِي « م » : « قَالَ » .

أُدْنَسَهُمْ بِالْعَمَلِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ ^(١) : كَانَ عُمَرُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ الْوَفْدُ سَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ وَأَسْتَعَارِهِمْ ، وَعَمَّنْ يَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ ، وَعَنْ أُمِيرِهِمْ : هَلْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الضَّعِيفُ ؟ وَهَلْ يَعُودُ الْمَرِيضُ ؟ فَإِنْ قَالُوا : نَعَمْ ، حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنْ قَالُوا : لَا ، كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْبَلَ .

وَمَثَلَ السُّلْطَانِ إِذَا وَلَّى الْعُمَّالَ الظَّالِمِينَ ، مَثَلُ مَنْ يَسْتَرْعِي غَنَمَهُ الدَّفَاقَ ، وَمَثَلُ مَنْ يَرْبِطُ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِيَابِهِ . وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَتَشْتُمُ الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسَفَ ، وَالْخَاصَّةُ تُلُومُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ ، لِأَنَّهُ اسْتَرْعَاهُ ^(٢) الرُّعِيَّةَ . وَقَدْ قِيلَ :

وَمَنْ يَرْبِطُ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِيَابِهِ فَتَعْرِ جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ رَابِطِ الْكَلْبِ

وَكَانَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ لَمَّا وَلَّى فَارِسَ مِنْ قِبَلِ الْعَامُونَ يَكْتُبُ عَهْدَ الْعُمَّالِ فَيَقْرُؤُهُ عَلَى مَنْ يَحْضُرُهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَمَلِ ، وَيَقُولُ : أَنْتُمْ عِيُونِي عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْفُوهُ مِنْهُ ، وَمَنْ تَظَلَّمَ إِلَيَّ مِنْهُ فَعَلَيْ إِنْصَافِهِ وَتَفَقُّهُ جَائِئِيًا وَرَاجِعًا ، وَيَأْمُرُ الْعُمَّالَ أَنْ يَقْرَءُوا ^(٣) عَهْدَهُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ وَيَقُولُ ^(٤) لَهُمْ : هَلِ اسْتَوْفَيْتُمْ ؟

(١) في « م » : « أبو هريرة » .. وقد رواه إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد في تاريخ الطبري ، الجزء الرابع ص ٢٢٦ .. وإبراهيم النخعي هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي ، أبو عمران ، من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية ، وحفظًا للحديث ، روى عن علقمة بن قيس ، وعبيدة السلماني ، ومسروق ، والأسود بن يزيد ، وغيرهم .. وتوفي - رحمه الله - سنة ٩٦ هـ متخفيًا من الحجاج ، وفي تاريخ وفاته اختلاف .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٨٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٧٠ - ٢٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥ ، ٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٢٠ - ٥٢٩ ، والمعارف ج ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٦٠ ، ٦١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٣] .

(٢) في « م » : « ولأنه الذي استرعاه » . واسترعاه : ولأه أمر الرعية .

(٣) في « م » : « ويأمر العامل أن يقرأ » .

(٤) في « م » : « وأن يقول » .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي هَدَايَا الْعُمَّالِ وَالرُّشَا عَلَى الشَّفَاعَاتِ

رَوَى ^(١) أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ شَفَاعَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرَّيَا » ^(٢) . وَالسِّرُّ فِيهِ أَنَّكَ إِذَا قَدَرْتَ عَلَى قَضَاءِ حَاجَتِهِ ^(٣) مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ الظَّالِمِ ، أَوْ الْيَدِ الْقَاهِرَةِ ، صَارَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْكَ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اسْتَعْمَلَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ « ابْنُ اللَّيْثِيَّةِ » ^(٤) ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِي .. فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « مَا بَالُ الرَّجُلِ » ^(٦) نَسْتَعْمِلُهُ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِي ^(٧) ، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ هَلْ يُهْدَى لَهُ ۚ ^(٨) .

(١) فِي « م » : « وَرَوَى » .

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْيُرُوعِ ، بَابُ فِي الْهَدِيَّةِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ ج ٣ ص ٢٩٠ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٣) فِي « ط » : « حَاجَةٌ » .

(٤) هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ اللَّيْثِيَّةِ الْأَزْدِيُّ ، اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صِلَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، وكتاب الخراج لأبي يوسف ص ٨٨] .

(٥) فِي « ط » : « قَالَ : فَغَضِبَ النَّبِيُّ .. » .

(٦) فِي الْبُخَارِيِّ : « فَمَا بَالُ الْعَامِلِ » وَفِي مُسْلِمَ : « مَا بَالُ عَامِلٍ ... » .

(٧) فِي الْبُخَارِيِّ : « هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أَهْدَى لِي .. » وَفِي مُسْلِمَ : « هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدَى لِي » .

(٨) فِي الْبُخَارِيِّ : « هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا ۚ » .

قَالَ مَالِكٌ : وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُشَاطِرُ الْعُمَالِ ، فَيَأْخُذُ
بِصَفِّ أَمْوَالِهِمْ ، وَشَاطِرُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْمَالُ ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :
دَوَابُّ ثَنَائِجَتِ ، وَتِجَارَاتٍ ثَدَاوَلْتُ . فَقَالَ أَدُّ الشُّطْرَ . وَإِنَّمَا شَاطِرُهُمْ حِينَ ظَهَرَتْ
لَهُمْ ^(١) أَمْوَالُ بَعْدِ الْوِلَايَةِ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ لَهُمْ .

وَرَوَى مَالِكٌ ^(٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ اشْتَرَى هُوَ وَعَبِيدُ اللَّهِ ^(٣) أَخُوهُ إِبِلًا ، فَبَعَثَا بِهَا إِلَى
الْحِمَى ، فَرَعَتْ ، فَقَالَ عُمَرُ : رَعَيْتُمَا ^(٤) فِي الْحِمَى ؟ فَشَاطِرَهُمَا . وَشَاطِرُ سَعْدِ بْنِ
أَبِي وَقَاصٍ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْكُوفَةِ . كَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ مَا أَصَابَ الْعَامِلَ مِنْ غَيْرِ رِشْوَةٍ - وَإِنْ
كَانَ حَلَالًا - فَلَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ ، لِأَنَّ لَهُ بِالْأَمْرِ قُوَّةً عَلَى أَنْ يَتَالَ مِنَ الْحَلَالِ مَالًا يَتَالُهُ
غَيْرُهُ ، فَجَعَلَهُ كَالْمُضَارِبِ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا دَفَعَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مَالًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِعَبِيدِ اللَّهِ وَعَبِيدِ اللَّهِ ابْنَيْ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ بِالْبَصْرَةِ ، اشْتَرَيَا مِنْهُ بِضَاعَةً قَرِيبَتْ ^(٥) بِالْمَدِينَةِ ، فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَأْخُذَ ^(٦)
جَمِيعَ الرِّبْحِ ، فَرَاجَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِنِصْفِ الرِّبْحِ ، فَأَخَذَا جَمِيعًا نِصْفَ
الرِّبْحِ ، وَأَخَذَ عُمَرُ النِّصْفَ لِبَيْتِ الْمَالِ .

= [انظر الحديث في صحيح البخارى ، في كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبی ، صلى الله عليه
وسلم ، المجلد الثالث ج ٨ ص ١٦٢ ط دار الشعب ، وج ١١ ص ٥٢٤ من فتح الباری ط دار المعرفة .. وصحيح
مسلم باب تحريم هذابا العمال ج ١٢ ص ٢١٨ - ٢٢٢ ، وسنن الدارمی ج ٢ ص ٢٣٢ باب فی العامل إذا أصاب
شيئا من عمله] .

(١) : لهم « ط » .

(٢) : في م : : مالك عن أبيه عن ابن عمر ، .. وهو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ، وقد مر
التعريف به .

(٣) : في م : : عبد الله « تحريف .. وهو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، والقرشي ، أخو عبد الله بن
عمر لأمه ، صحابي من أنجاد قريش وفُرسانهم ، ولد في عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأسلم بعد أبيه ، ثم
سكن المدينة ، وغزا إريقية مع عبد الله بن سعد ، ورحل إلى الشام في أيام علي ، وشهد « صفين » مع معاوية ، وقُتل
فيها سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٢٧ - ٥٢٩] .

(٤) : في م : : رعيتهما « على الأفراد .

(٥) : في م : : « خرجت » .

(٦) : في م : : « يأخذها » .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَمَّالِهِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِمَنْعِهِمْ
الْحَقَّ حَتَّى يَشْتَرَى ، وَبَسْطِهِمُ الْبَاطِلَ حَتَّى يُفْتَدَى ^(١) .. الْمُلْكُ بِالْذِّينِ يَقْوَى ، وَالذِّينُ
بِالْمُلْكِ يَتَّقَى . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَأْمُرُ إِذَا قَدِمَ ^(٢) عَلَيْهِ الْعُمَّالُ
أَنْ يَدْخُلُوا نَهَارًا وَلَا يَدْخُلُوا لَيْلًا ، كَيْلًا يَحْتَاجُوا ^(٣) شَيْئًا مِنَ الْأَمْوَالِ .

وَقَالَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ : وَاللَّهِ مَا أَصَبْتُ فِي عَمَلِي الَّذِي وَلَّيْنِي النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، إِلَّا ثَوْبَيْنِ مُقَعَّدَيْنِ ^(٤) كَسَوْتُهُمَا مَوْلَايَ كَيْسَانَ . وَرَوَى أَنْ عَلِيًّا ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، اسْتَعْمَلَ أَبَا مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى السَّوَادِ ^(٥) ، فَرَجَعَ إِلَى دَارِهِ وَقَدْ امْتَلَأَتْ ،
فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : كَذَلِكَ يَصْنَعُونَ بِالرَّجُلِ إِذَا اسْتَعْمِلَ . قَالَ : كُلُّ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ
يَأْكُلُوا فِي أَمَانَتِي ! وَيُرَوَّى : فِي إِمَارَتِي . فَرَجَعَ إِلَيَّ عَلِيٌّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) وَقَالَ :
لَا حَاجَةَ لِي فِي الْعَمَلِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ
ابْنَ سَمُرَةَ ^(٧) لِيَسْتَعْمِلَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْتَرْ لِي . قَالَ : اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ .. وَفِي
الْأَمْثَالِ : إِنَّ الْهَدِيَّةَ تُعْمِي وَتُصْمِرُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الرِّشْوَةُ رِشَاءُ الْحَاجَةِ ^(٨) .
وَأَشَدُّ بَعْضُهُمْ :

إِذَا أَتَتْ الْهَدِيَّةُ دَارَ قَوْمٍ نَطَّائِرَتِ الْأُمَانَةُ مِنْ كُورَاهَا ^(٩)

(١) في « ط » : « يُفْتَدَى » بالفاء الموحدة .

(٢) في « م » : « قَدِمُوا » .

(٣) في « م » : « كَيَّ يَحْتَاجُوا » بالنون ، أَيْ : يَحْتَاجُونَ .

(٤) في « م » : « مَقْعَدَيْنِ » تحريف .. وَالْمَقْعَدُ : ضَرْبٌ مِنْ بَرْدٍ « هَجَرَ » .

(٥) السَّوَادُ : مَا حَوْلَ الْكَوْفَةِ مِنَ الْقُرَى .. أَمَّا أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ فَهُوَ : عَقِبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيُّ ،
الْبَدْرِيُّ ، وَكَتَبَتْهُ أَبُو مَسْعُودٍ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِهَا ، شَهِدَ الْعَقِبَةَ وَأُخْدًا وَمَا بَعْدَهَا ، وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا ، وَإِنَّمَا سَكَنَ بِهَا ،
وَنَزَلَ الْكَوْفَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، فَاسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهَا لَمَّا سَارَ إِلَى « صَفِّينَ » . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٠ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٥٧ ، وَانظر معجم البلدان ، مادة « سور »] .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْتَقَيْنِ عَنْ « م » .

(٧) هُوَ الصَّحَابِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبِ الْقُرَشِيِّ ، وَقَدْ مَرَّ الصَّرِيفُ بِهِ .

(٨) الرِّشَاءُ : الْحَبْلُ .. وَالرَّادُ هُنَا : الرُّوسُلَةُ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ بِالْمَصَانِعَةِ .

(٩) الْبَيْتُ مِنَ الزَّوَارِفِ .. وَكُورَاهَا : نَوَافِذُهَا ، جَمْعُ كُورَةٍ .

وَلِبَعْضِهِمْ :

إِنَّ الْهَدِيَّةَ حُلْوَةٌ كَالسَّخْرِ تَجْتَلِبُ الْقُلُوبَا (١)
تُدْنِي الْبَعِيدَ مِنَ الْهَوَى حَتَّى تُصَيِّرَهُ قَرِيْبَا (٢)
وَتُرْدُّ مُضْطَلَّعِينَ الْعَدَا وَبَعْدَ جَفَوْتِهِ حَيَا (٣)
وَمِمَّا قَلَّتْهُ فِي الرِّشْوَةِ :

وَأَكْرَمُ مَنْ يَدُقُّ الْبَابَ شَخْصٌ ثَقِيلُ الْحَمْلِ مَشْغُولُ الْيَدَيْنِ
يُنَوِّءُ إِذَا مَشَى نَفْسًا وَنَفْحًا وَيَنْطَحُ بِأَبِهِ بِالرُّكْبَتَيْنِ
وَأَكْرَمُ شَافِعٍ يَمْشِي عَلَيْهَا أَبُو الْمَنْقُوشِ فَوْقَ الصَّفْحَتَيْنِ (٤)
وَقُلْتُ (٥) أَيْضًا :

إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأُلْتُ بِإِنْجَازِهَا مُقَرَّمٌ (٦)
فَارْسِلْ بِأَكْمَةِ خَلَابَةٍ بِهِ صَمَمٌ أَغْطَشَ أَبْكَمُ (٧)
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدَّرْهَمُ
وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى قَاضِيهِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ ، وَقَدْ ارْتَشَى بِكَرْمَةٍ (٨) :
إِذَا رِشْوَةٌ مِنْ بَابٍ تَيْتَ تَفَحَّمَتْ لِتَسْكُنَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ (٩)
سَعَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حَلِيمٌ تَوَلَّى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ (١٠)

(١) الأبيات من مجزوء الكامل المرفل ، وتجتلب : تجذب .

(٢) في عيون الأخبار : « تدنى البغيض » .

[انظر ج ٢ ص ٤٢ ط دار الكتب العلمية] .

(٣) في المصدر السابق : « تُفَرِّتُهُ » مكان « جَفَوْتُهُ » . والمُضْطَلَّعِينَ : المنطوى على الحقد .

(٤) هذا البيت عن « ط » ولم يرد في « م » .. وأبو المنقوش كتابة عن الدرهم والدينار .

(٥) في « م » : « وقال » .

(٦) الأبيات من المتقارب ، ومُقَرَّم : مولع وحرص .

(٧) الأَكْمَةُ : الأعمى . والخلابة : الذى يسلب العقل بلطف حديثه .. والأغطش : المتغافل المتعمى .

(٨) الكَرْمَةُ : حديقة العنب .

(٩) البيتان من الطويل ، وتَفَحَّمَتْ : دخلت بعد رِشْوَةٍ .

(١٠) هَرَبًا مِنْهُ ، أى : من البيت الذى دخلته الرشوة .. وفي « م » : « هَرَبًا مِنْهَا » أى : من الرشوة .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخَلْقِ

اعْلَمُوا ، أُرْسِدَكُمْ اللهُ [تَعَالَى] ^(١) أَنَّ هَذَا الْبَابَ مِمَّا غَلِطَ الْخَلْقُ فِيهِ ، وَقَلَّبُوا الْقَوْسَ رَكْوَةً ^(٢) ، فَعَمِدُوا إِلَى أُخْلَاقِ الْعَامَّةِ وَخَلَاتِقِ الْقَوَاعِ وَالْأَذْيَاءِ ^(٣) ، وَمَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِذَا تَلَاقَوْا وَتَعَاشَرُوا مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي مَدْحِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَتَعَاطِيهِمُ الْكَذِبَ وَالتَّصْنُوعَ وَالْمَلَقَ وَالْمَرَاةَ وَالْمَعَارِيضَ ^(٤) عَنِ الْأُمُورِ الْمَكْنُونَةِ الَّتِي يَسُوءُ إِظْهَارُهَا ، وَالْإِخْرَاطُ فِي سَبِيلِ الْمَزَاجِ وَالْمَهَابَةِ ^(٥) ، فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ عِنْدَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا يَقِضُ مَانَصَ اللهِ عَلَيْهِ وَرَسُولُهُ مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ .

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ تَخْتَوِ ^(٦) الْأَرْضُ عَلَى بَشَرٍ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ مُحَمَّدٍ ،

(١) ما بين المقوفتين عن « ط » .

(٢) أصل الرُّكْوَةُ : الدلو الصغيرة .. وقلبوا القوس ركوة : نكل يُضْرَبُ فِي الْإِذْثَارِ وَانْقِلَابِ الْأُمُورِ .

[انظر لسان العرب - مادة : ركو] .

(٣) فِي « م » : « وَالْأَذْيَاءُ » وَهِيَ بِمَعْنَاهَا ، فَكَلَامُهَا جَمْعُ دَلَى ، بِمَعْنَى خَسِيسٍ وَدُونَ .

(٤) الْمَرَاةُ : أَنْ يُظْهَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مُتَصِفٌ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ . وَالْمَعَارِيضُ : جَمْعُ مِعْرَاضٍ ، وَأَصْلُهُ التَّوْبَةُ وَالسُّتْرُ .. وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنْ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ » .

(٥) الْمَزَاجُ : الْمَدَاعِيَةُ .. وَالْمَهَابَةُ : الْقَوْلُ الَّذِي يَقْضِي بَعْضُهُ .. بَعْضًا .

(٦) فِي « م » : « لَا تَخْتَوِي » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكُلُّ مَنْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(١) أَوْ قَارَبَهَا ، أَوْ بَعْضُهَا ^(٢) كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ، وَكُلُّ خُلُقٍ لَيْسَ يُعَدُّ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَهَذَا فَضْلُ الْخُطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ لِمَنْ عَقَلَ ، وَإِنَّمَا أُوتِيَ النَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَنَّهُمْ اسْتَحْسَنُوا الْأَخْلَاقَ الْعَامِيَّةَ ، وَاسْتَحْسَنُوا الْأَخْلَاقَ النَّبَوِيَّةَ ، لِجَهْلِهِمْ بِأَخْلَاقِ الْمُصْطَفَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا أَنَا أَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَا نَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَصْفِيهِ مُحَمَّدٍ ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٤) . فَحَصَّرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَاعِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، مِنَ الْحَيَاءِ ^(٥) وَالْكَرَمِ ، وَالصَّفْحِ ^(٦) وَحُسْنِ الْعَهْدِ بِمَا لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرُهُ ، ثُمَّ مَا أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِهِ بِمِثْلِ مَا أَتَى عَلَيْهِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . وَعَنْ هَذَا قَالَ الشَّيْخُ : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ دَعَا الْخُلُقَ إِلَى حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَدَعَا نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ .

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٧) بْنُ عُمَيْرٍ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] ^(٨) : صِفِي لِي خُلُقُ ^(٩) رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ لِي : أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ كَانَ

(١) ما بين المعرفتين عن « ط » .

(٢) يفتح الضاد المعجمة على المفعولية ، أى : قارب بعضها .. وبكسرهما على تقدير حرف الجر التقدم ، أى : « أو تخلق ببعضها » .

(٣) « محمد » عن « ط » .

(٤) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٥) فى « م » : « الحفا » تحريف .

(٦) فى « م » : « والصفح عن الجاني » .

(٧) فى « م » : « عبد الله » تحريف .. وهو : عبيد الله بن عمر - أبو عبيد بن عمر - بن قنادة ، أبو عاصم اللبى الكنى ، وهو ممن سمع عائشة وأبا موسى .. وقد مر التعريف به .

(٨) ما بين المعرفتين عن « م » .

(٩) فى « م » : « أخلاق » .

خُلِقَهُ الْقُرْآنَ . وَحَسْبُكَ بِهَذَا الْقَوْلَ مَنْقَبَةٌ لِلرَّسُولِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْرِيفًا لَكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، فَإِذَا كَانَ خُلُقُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْقُرْآنَ ، فَالْقُرْآنُ يَجْمَعُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَيَحْتُ عَلَيْهِا ، وَيَنْتَهِي عَنْ كُلِّ تَقْصِيصَةٍ وَرَذِيلَةٍ ، وَيُوضِّحُهَا وَيُبَيِّنُهَا ، وَلِذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . فَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ كَمَا تَرَى . فَأَنْظُرْ أَيْنَ اخْتَلَأَ الْعَامَّةُ مِنْ هَذَا التَّمْطِ ؟ وَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَقْطَعُ مَنْ وَصَلَهُ ، وَيَحْرِمُ مَنْ أَعْطَاهُ ، وَيَظْلِمُ مَنْ سَأَلَهُ ، وَيَعْصِبُ عَلَى مَنْ أَثَمَهُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، لِأَنَّهَا أَصُولُ الْفَضَائِلِ ، وَيَتَّبِعُ الْمَنَاقِبِ ، لِأَنَّ فِي اخُذِ الْعَفْوِ صِلَةَ الْقَاطِعِ ، وَالصَّفْحِ عَنِ الظَّالِمِ ، وَإِعْطَاءِ الْمَانِعِ ، وَفِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ نَفْوَى اللَّهِ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ ، وَصَوْنَ اللِّسَانِ ، وَغَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَفِي تَقْوَى اللَّهِ يَدْخُلُ جَمِيعُ آدَابِ الشَّرْعِ ، فَرَضُهَا وَتَقْلُهَا ، وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّفْحُ وَالْحِلْمُ ، وَقُوَّةُ النَّفْسِ عَنْ مُمَارَاةِ السُّفِيهِ وَمُجَارَاةِ اللُّحُوجِ ^(٣) ، فَهَذِهِ الْأَصُولُ الثَّلَاثُ تَتَضَمَّنُ مَحَاسِنَ الشَّرْعِ نَصًّا وَتَبْيِيهَا ، وَضَمِنًا ^(٤) وَاعْتِبَارًا .

وَرَوَى أَنَسٌ : « قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ ^(٥) الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » . وَرَوَى أَبُو ذَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بُعِثْتُ لِأَكْمَمِ مَكَارِمِ ^(٦) الْأَخْلَاقِ » . اقْتَضَى الْحَدِيثُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مَبْعُوثٍ إِلَى أُمَّةٍ إِنَّمَا بُعِثَ

(١) في د م : « منقبة للرسول عليه السلام » والمنقبة : المفضلة والفعل الكريم .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٣) قوة النفس : غلبتها .. وفي د م : « عن مجاراة اللوح ومماراة السفية » .. والمماراة : المسايرة .

(٤) في د م : « وتبنيها واعتبارا » .

(٥) في د م : « أي : مكان » أي : تحريف .

(٦) في د م : « محاسن » . والأول أشهر .

لِيَعْلَمَ الْخُلُقُ حُسْنَ الْخُلُقِ ، وَأَنْ نَبَيَّنَا مُحَمَّدًا ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بُعِثَ لِيَتَمَمَّ مَكَارِمُ ^(٢) الْأَخْلَاقِ ، فَإِذَنْ حُسْنُ الْخُلُقِ ^(٣) امْتِثَالُ الشَّرَائِعِ بِأَسْرِهَا . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ يَكُنْ فَاجِحًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، قَالَ : « وَإِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » .

وَكَانَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ تَجَرَّأَنِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَجَبَذَهُ ^(٥) أَغْرَابِيٌّ جَبَذَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى أَثَرَتْ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ فِي عُنُقِهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مُرِّبِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكَ ، فَلَسْتَ تَأْمُرُ لِي بِمَالِكَ وَلَا بِمَالِ أَيْكَ ^(٦) ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) وَقَالَ : مُرُّوا لَهُ ، وَلَمْ يُكَلِّمُهُ بِشَيْءٍ . وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ ^(٨) : حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ ^(٩) بَنَ جَبَلٍ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ أَفْضَلُ مَنَاقِبِ الْعَبْدِ ، وَبِهِ يَظْهَرُ جَوَاهِرُ الرُّجَالِ . وَالْإِنْسَانُ مَسْتُورٌ بِخُلُقِهِ ، مَشْهُورٌ بِخُلُقِهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ نَبِيَّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١٠) بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ ، ثُمَّ لَمْ يَتْنِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ خِصَالِهِ بِغَيْرِ مَا أَتَى عَلَيْهِ بِخُلُقِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(١١) .

(١) في (م) : محمد لا تصح .. والنصب هنا على البدلية .

(٢) في (م) : محاسن .

(٣) في (م) : إِذَنْ فَحُسْنُ الْخُلُقِ .. .

(٤) في (م) : عليه السلام .

(٥) جَبَذَهُ : جَلَبَهُ .

(٦) في (م) : من مالك ولا من مال أهلك .

(٧) هنا كرر الناسخ « إليه » سهواً .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) في (م) : معاذ بنون « يا » .

(١٠) في (م) : عليه السلام .

(١١) سبق تحريمها في هذا الباب .

قَالَ : لَا تُخَاصِمَ وَلَا تُخَاصِمَ مِنْ شِدَّةِ مَعْرِفَتِكَ بِاللهِ تَعَالَى ^(١) . وَقِيلَ : لَمْ يُؤْثَرِ فِيكَ جَفَاءُ الْخَلْقِ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ بِالْحَقِّ . وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ ^(٢) : كَظُمَ الْغَيْظُ ، وَظَهَرَ الطَّلَاقُ وَالْبُشْرُ ، إِلَّا لِمُتَبَدِّعٍ أَوْ فَاجِرٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاجِرًا إِذَا انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ اسْتَحْيَا وَأَقْلَعَ ^(٣) ، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِمِينَ إِلَّا بِأَدَبٍ ^(٤) أَوْ إِقَامَةِ حَدٍّ ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُعَاهِدٍ ، إِلَّا لِتَغْيِيرِ مُنْكَرٍ ، أَوْ اخْتِذَ مَظْلَمَةً لِمَظْلُومٍ ^(٥) ، فَهَذَا حُسْنُ الْخُلُقِ .

وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَتَغَيَّرَ مِنْ يَقِفَ فِي الصَّفِّ بِجَنَبِكَ . وَقِيلَ لِلْأَخْنَفِ : مِنْ تَعَلَّمْتَ حُسْنَ الْخُلُقِ ؟ قَالَ : مِنْ قِيَسِ بْنِ عَاصِمٍ الْيَنْقَرِي ، قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي دَارِهِ إِذْ جَاءَتْهُ خَادِمٌ لَهُ بِسُفُودٍ ^(٦) عَلَيْهِ شِوَاءٌ ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، فَوَقَعَ عَلَى ابْنِ لَهْ فَنَاسَ ، فَدَهَشَتْ الْجَبَابَةُ ^(٧) ، فَقَالَ : لَا زَوْعَ عَلَيْكَ ، أَنْتَ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ^(٨) . وَكَانَ ابْنُ عَمَرَ إِذَا رَأَى وَاحِدًا مِنْ عِبِيدِهِ يُحْسِنُ الصَّلَاةَ يُعْتِقُهُ ، فَعَرَفُوا ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ ، فَكَانُوا يُحْسِنُونَ الصَّلَاةَ مُرَآةً لَهُ ، فَكَانَ يُعْتِقُهُمْ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَنْ خَدَعَنَا فِي اللهِ اخْدَعْنَا لَهُ . وَقَالَ الْفَضْلُ ^(٩) : لَوْ أَنَّ امْرَأً أَحْسَنَ الْإِحْسَانَ كُلَّهُ ، وَكَانَتْ لَهُ دَجَاجَةٌ وَأَسَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

وَكَانَ الْمُحَاسِبِيُّ يَقُولُ : فَقَدْ نَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : حُسْنَ الْوَجْهِ مَعَ الصِّيَاةِ ، وَحُسْنَ الْقَوْلِ مَعَ الْأَمَانَةِ ، وَحُسْنَ الْإِحْسَانِ مَعَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ :

(١) في م : : معرفة الله تعالى .

(٢) هو : أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٣) هكذا في م : : وفي ط : : إذا انبسطت استحيا .

(٤) في م : : إلا بإذن .

(٥) أي : ردَّ ما أُخِذَ منه ظلماً .

(٦) في م : : لها مكان له تحريف .. والسفود ، عود شيخ من حديد يُنْظَمُ فِيهِ اللَّحْمُ لِشَوَى .

(٧) دهشت الجارية : ذهب عقلها خوفاً واهلماً .. وهذه الجملة عن ط : : ولم ترد في م : .

(٨) في م : : فقال : أنت حرة لوجه الله .

(٩) هو : أبو علي ، الفضل بن عياض ، وقد سبق التعريف به .

عُنَوَانُ الشَّرَفِ حُسْنُ الْخُلُقِ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ ^(١) يَقُولُ : حُسْنُ الْخُلُقِ اسْتِصْفَارُ مَا مِنْكَ ، وَاسْتِعْظَامُ ^(٢) مَا إِلَيْكَ . وَقَالَ سَهْلٌ ^(٣) : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَطْمَعَ فِيمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَيْسَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ : تَحْمُلُ اثْقَالِ الْخُلُقِ . وَقَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيُّ ^(٤) : عَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ كَفُّ الْأَذَى ، وَاحْتِمَالُ الْمُؤْنِ . وَقِيلَ ^(٥) : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ تُكُونَ مِنَ النَّاسِ قَرِيْبًا ، وَفِيمَا بَيْنَهُمْ غَرِيْبًا . وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ قَبُولُ مَا يَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ جَفَاءِ الْخُلُقِ ، وَقَضَاءُ الْحَقِّ بِلَا ضَحْرٍ وَلَا قَلْبٍ . وَقِيلَ : الْخُلُقُ الْحَسَنُ اخْتِمَالُ الْمَكْرُوهِ بِحُسْنِ الْمُدَارَاةِ . وَقَالَتِ امْرَأَةٌ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ^(٦) : يَا مُرَاتِي ! فَقَالَ : يَا هَذِهِ ، وَجَذِبَ ^(٧) أَسْمَى الَّذِي أَضْلَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ !

وَفِي الْحَدِيثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَنْ تَسْمُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ سَمَوْهُمْ بِسِنِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ » . وَرَوَى أَنَّ أَبَا عَثْمَانَ ^(٨) اجْتَازَ بِسِيكَةِ ^(٩)

(١) هو العارف بالله أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز ، المشهور بالرازي ، تلميذ العالم الزاهد أبي عثمان الحيري ، من أهل الري ، وجاور بالحرم ستين سنة ، وكان من الورعين القائلين بالحق .. صاحب الجنيد ، وأبا جعفر ، وأبا عمران الكبير ، وكان ثقة عظيم الشأن .. توفي سنة ٣٨٣ هـ وقيل : العشر والثلاثمائة .

[انظر سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٦٥ ، ٦٦ ، وطبقات الصوفية ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ، وطبقات الشمراني ج ١ ص ٩٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٨] .

(٢) في (م) : « واستصغار » مكررة .

(٣) هو : سهل بن عبد الله التستري ، وقد مرَّ التعريف به .

(٤) في (م) : « اشاء » تحريف .. وهو : شاه بن شجاع الكيرماني ، أبو الفوارس ، من أولاد الملوك ، صحبَ أبا تراب الحشبي ، وأبا عبيدة البصري ، وكان من أجلّ الثقات والعلماء ، وله رسائل مشهورة .. ويقال : إن أصله من « مرو » .. ومات قبل سنة ٣٠٠ هـ .

[انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٣٦ ، وطبقات الصوفية ص ١٩٢ - ١٩٤ ، وطبقات الشمراني ص ٩٠] .

(٥) في (م) : « وقد قيل » .

(٦) هو العارف بالله مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى ، وقد مرَّ التعريف به .

(٧) في (م) : « : « فقدت » أي : افضت ، بمعنى : طلبت .

(٨) في (م) : « : « وروى أبا عثمان » وسقطت « أن » سهواً من الناسخ ، والسياق يتطلب وجودها هنا .

(٩) بسِيكَةٍ : بطريق .

وَقَتِ الْهَاجِرَةَ ، فَاتَّقَى عَلَيْهِ مِنْ قَوْيِ سَطْحِ طَسْتُ ^(١) رَمَادٍ ، فَتَغَيَّرَ أَصْحَابُهُ وَبَسَطُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِي الْمُلْقَى ، فَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ : لَا تَقُولُوا شَيْئًا ، مَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُصَبَّ ^(٢) عَلَيْهِ النَّارُ فَصُولِحَ عَلَى الرَّمَادِ لَمْ يَجْزْ ^(٣) أَنْ يَغْضَبَ . وَقِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ : هَلْ فَرِحْتَ فِي الدُّنْيَا قَطُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَرَّتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا : كُنْتُ قَاعِدًا ذَاتَ يَوْمٍ فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَبَالَ عَلَيَّ ، وَالثَّانِيَةُ : كُنْتُ جَالِسًا فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَصَفَعَنِي ^(٤) . وَكَانَ أُوَيْسُ الْقَرْنِيُّ ^(٥) إِذَا رَأَى الصَّبِيَّانَ رَمَوْهُ ^(٦) بِالْحِجَارَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنْ كَانَ لَابُدَّ ^(٧) فَارْمُونِي بِالْحِجَارَةِ الصُّغَارِ كَيْلًا تَذْمُونَا عَلَى سَاقِي فَتَمْنَعُونِي الصَّلَاةَ ^(٨) .

وَرَوَى أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، دَعَا غُلَامًا لَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَدَعَاهُ ثَانِيًا وَثَالِثًا فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَرَأَهُ مُضْطَجِعًا ، فَقَالَ : أَمَا تَسْمَعُ يَا غُلَامُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ جَوَابِي ؟ قَالَ : أَيْنْتُ عُقُوبَتَكَ فَتَكَاسَلْتُ . قَالَ : امْضِ ، فَأَنْتَ حُرٌّ لَوْحِهِ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) . وَهَذَا كَمَا تَرَى قُوَّةَ إِلَهِيَّةِ يَفْرِغُهَا اللَّهُ عَلَى الْمُصْطَفَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ ^(١٠) ، وَأَهْلِ الصُّفُوفِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَيْمَّا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ

(١) في « م » : : طشت « بالشين المعجمة .. والطَّسْتُ : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه .. وهي لفظة أعجمية .. وقال الأزهري : هي لفظة دخيلة في كلام العرب ، لأن التاء والطاء لا يجتمعان في كلمة عربية .

(٢) في « م » : : نُصَبَ .

(٣) في « م » : : لم ينبغي ، هكذا .

(٤) في « م » : : وصَفَعَنِي .

(٥) هو : أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ جَزْءٍ بْنِ مَالِكِ الْقَرْنِيِّ ، مِنْ بَنِي قُرْنٍ بْنِ زُرْهَانَ ، مِنْ بَنِي مُرَادٍ .. أَحَدُ الشُّمَّاكِ الْمُتَّبَاعِ الْمُقْلَعِينَ ، وَمِنْ سَادَاتِ الشَّاهِبِينَ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ ، أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ يَرَهُ ، وَوَفَدَ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ سَكَنَ الْكُوفَةَ ، وَشَهِدَ رُقْعَةً صِفَيْنَ « مع علي » ، وَبَرَجَعَ الْكُثْرُونَ أَنَّهُ قُتِلَ فِيهَا سَنَةَ ٣٧ هـ . [انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٢ ، وحيلة الأولياء ج ٢ ص ٧٩ - ٨٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٨٢] .

(٦) في « م » : : يرموه ، لا تصح ، إذ لم يتقدمها ناصب ولا جازم .

(٧) في « م » : : ولا بد .

(٨) في « م » : : كي لاتذموا ساقى فتمنوني عن الصلاة .

(٩) ما بين المعقوفين عن « م » .

(١٠) في « م » : : « قوة المُصْطَفَيْنِ الإلهية يفرغها الله على من يشاء من عباده » .

لَتَلْت لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا عَلِيْظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ خَزَائِكَ ١) ، فَجَرَّدَهُ عَنْ حَقَائِقِ
الْبَشَرِيَّةِ ، وَالْبَسَهُ مِنْ نُعُوبِ ٢) الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّى قَوَّاهُ عَلَى صُحَّتِيَّتِهِمْ ، وَصَبَّرَهُ ٣) عَلَى تَبْلِيغِ
الرَّسَالَةِ إِلَيْهِمْ ، مَعَ الَّذِي كَانَ يُقَاسِيهِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ ، مَعَ كَوْنِهِ مُسْتَعْرِفًا بِاسْتِعْلَاءِ الْحَقِّ
تَعَالَى عَلَيْهِ ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ آلَفٌ ٤) مَأْلُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ
لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ » . وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِالْأَدَمِيِّ ٥) لِأَنَّهُ تَأَلَّفَ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَلْوَانِ . وَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلَيْنِ مُتَبَاغِضَيْنِ : « آدَمَ ٦) اللَّهُ بَيْنَكُمَا » . أَيْ آلَفٌ بَيْنَكُمَا ، وَمِنْهُ سُمِّيَ
الْأَدَمُ ٧) الْمَأْكُولُ ، لِأَنَّهُ يُؤْلَفُ الطَّعَامُ وَيُحَسِّنُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، لِرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً : « أَنْظِرْ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا » ، أَيْ
يُؤْلَفُ بَيْنَكُمَا . وَرَوَى أَنَّ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ نَزَلَ الدَّجَلَةَ يَتَوَضَّأُ ، وَوَضَعَ مُصْحَفَهُ
وَمِلْحَفَتَهُ ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَأَخَذَتْهُمَا ، فَتَبِعَهَا مَعْرُوفٌ وَقَالَ : يَا أُخْتِي ، أَنَا مَعْرُوفٌ ،
لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، أَلَيْكَ ابْنٌ يَفْرَأُ ؟ قَالَتْ : لَا ٨) . قَالَ : فَرَزَوْجُ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ :
فَهَاتِي الْمُصْحَفَ وَخُذِي الثَّوبَ .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ عَلَى حَوْضٍ يَسْقِي إِبِلَهُ ، فَأَسْرَعَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَالْكَسَرَ
الْحَوْضَ ، فَجَلَسَ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٩ .

(٢) في م : « جَرَّدَهُ » بدون الفاء .. « وألبسه من نعت » .

(٣) في م : « وصبر » .

(٤) في م : « آلوف » .

(٥) في م : « آدم » .

(٦) في م : « أدام » تحريف .

(٧) الأدم : الإدام وما يشتقُّ من الحبز ، ويُطلق أَيْضاً على الألفة والاتفاق .

(٨) في م : « فلا » .

وَسَلَّمَ ^(١) أَمَرْنَا إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ أَنْ يَجْلِسَ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ ، وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ . وَقَالَ
عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّا لَتَصَافِحُ أَكْفَا تَرَى قَطْعَهَا . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّا
لَتَكْثِيرُ فِي وَجْهِهِ قَوْمٌ ^(٢) وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنُهُمْ . وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ ^(٣) : يُعْجِبُنِي مِنَ
الْقُرَاءِ كُلِّ طَلِيقٍ مُضْحَاكِ ^(٤) ، فَأَمَّا الَّذِي تَلَقَّاهُ بِيَشْرٍ وَيَلْقَاكَ بِعُبُوسٍ يَمْنُ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ ،
فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ . وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ : بَنِي ،
لِتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً ، وَلِتَكُنْ وَجْهُكَ طَلْقًا ، وَلِتَكُنْ ^(٥) أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يَعْطِيهِمْ
الْعَطَاءَ ، وَمَنْ يَصْنَحُ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَصْنَحُ صَاحِبًا صَالِحًا يَنْتَمِ .
وَرَوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمَ خَرَجَ إِلَى بَعْضِ الْبَرَارِي ، فَاسْتَقْبَلَهُ جُنْدِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ :
أَيْنَ الْعُمَرَانُ ؟ فَأَشَارَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، فَضَرَبَ رَأْسَهُ فَأَوْضَحَهُ ^(٦) ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ قِيلَ لَهُ :
هَذَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَذْهَمَ زَاهِدٌ حُرَّاسَانٌ ، فَجَاءَهُ ^(٧) يَتَغَلَّبُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَمَّا ضَرَبْتَنِي
سَأَلْتُ اللَّهَ لَكَ النِّجَةَ . فَقَالَ : لِمَ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّي أُوجَرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ أَرِدْ أَنْ
يَكُونَ نَصِيبِي مِنْكَ الْخَيْرَ وَنَصِيبُكَ مِنِّي الشَّرَّ .

وَحَكِيٌّ أَنَّ أَبَا عَثْمَانَ الْحِمَرِيَّ ^(٨) دَعَاهُ إِنْسَانٌ إِلَى ضِيَايَةٍ ، فَلَمَّا وَافَى بَابَ الدَّارِ
قَالَ : يَا أَسْتَاذُ ، لَيْسَ لِي وَجْهٌ فِي دُخُولِكَ وَقَدْ نِدِمْتُ ، فَانْصَرِفْ رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَرَجَعَ

(١) في ٥ م : عليه السلام .

(٢) تَكْثِيرُ فِي وَجْهِهِ الْقَوْمِ : نَضْحُكَ فِي وَجْهِهِمْ وَتُبَاسُطِهِمْ .

(٣) الحارث بن قيس : من أصحاب عبد الله بن مسعود الذين حفظوا حديثه ، ومن القراء .

[انظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٠ ، ١١]

(٤) طَلِيقٌ مُضْحَاكٌ : منطلق كثير الضحك والبشاشة .. وفي ٥ م : طَلِيقٌ وهي بمعناها .

(٥) في ٥ م : تكون .

(٦) فَأَوْضَحَهُ : فَشَجَّهَ حَتَّى وَضَحَ الْعَظْمَ .

(٧) في ٥ م : فجاء .

(٨) هو : أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن منصور الحميري ، وُلِدَ بِالرِّيِّ وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ انتَقَلَ إِلَى نَيْسَابُورٍ فَسَكَنَهَا إِلَى
أَنْ تَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ٢٩٨ هـ . والحميري : نسبة إلى قرية يُقَالُ هَا « الْحَمِيرَةُ » مِنْ قَرْيَةِ نَيْسَابُورٍ .. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
أَوْحَدَ الْمَشَافِقِ فِي سِيرَتِهِ ، وَقَدْ صَحِبَ يَحْيَى بْنَ عَمَّازٍ ، وَشَاهَدَ شِجَاعَ الْكِرْمَانِيِّ .. قَالَ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
الرَّازِيُّ : لَمْ أَرِ أَحَدًا أَحْرَفَ بِالطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَبِي عَثْمَانَ الْحَمِيرِيِّ .

أَبُو عُثْمَانَ ، فَلَمَّا وَافَى مَنْزِلَهُ عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَقَالَ : يَا أَسْتَاذُ ، نِدِمْتُ ، وَأَخَذَ يَتَعَذَّرُ
 وَقَالَ : احْضُرِ السَّاعَةَ ، فَقَامَ أَبُو عُثْمَانَ وَمَضَى مَعَهُ ، فَلَمَّا وَافَى ذَارَهُ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ
 فِي الْأَوَّلَى ، وَأَخَذَ يَتَعَذَّرُ ، ثُمَّ كَذَلِكَ فَعَلَ ^(١) فِي الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ ، وَأَبُو عُثْمَانَ يَنْصَرِفُ
 وَيَحْضُرُ ، ثُمَّ قَالَ ^(٢) : يَا أَسْتَاذُ إِنَّمَا أُرِذْتُ اخْتِيَارَكَ وَالْوُقُوفَ عَلَى أَخْلَاقِكَ ، وَجَعَلَ
 يَتَعَذَّرُ إِلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ ، فَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ : لَا تَمْدَحْنِي عَلَى خُلُقٍ تَجِدُ مِثْلَهُ مَعَ الْكِلَابِ ،
 فَالْكَلْبُ إِذَا دُعِيَ حَضَرَ ، وَإِذَا رُجِرَ انْتَجَرَ .

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْفُقَرَاءِ نَزَلَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَكَانَ جَعْفَرٌ يَخْدُمُهُ وَالْفَقِيرُ
 يَقُولُ : نِعَمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ يَهُودِيًّا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ ^(٣) : عَقِيدَتِي لَا تَقْدَحُ فِيمَا
 نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، فَسَلْ لِنَفْسِكَ الشُّفَاءَ وَلِىَ الْهَدَايَةَ . وَرَوَى أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ
 الْقُمُودِيَّ ^(٤) الْمَتَّبِعَ لِقَبِيضِ الْأَجْنَادِ وَمَعَهُ كَلْبٌ لِلصَّيْدِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذَا الْكَلْبَ
 وَقُدِّهِ خَلْفِي ، فَأَبَى ، فَضَرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّوِطِ حَتَّى أَوْجَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمَأْمُورِينَ :
 وَتَحَكَّ ، هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ الْعَابِدُ ^(٥) ! فَتَزَلَّ عَنْ فَرْسِهِ وَجَعَلَ يُقْبَلُ يَدَيْهِ وَيَتَعَذَّرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ
 لَهُ : أَنْتَ ^(٦) فِي جِلٍّ . قَالَ ^(٧) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ الْقُمُودِيَّ لَيَالَى

= [انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٤ - ٢٤٦ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٩٩ - ١٠٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وطبقات الصوفية ص ١٧٠ - ١٧٥ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٢] .

(١) فعل ، عن م .

(٢) في م : « قال له » .

(٣) في م : « أبو » زيادة من الناسخ .. وجعفر بن حنظلة من مُعاصري الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، وممن كانوا يدخلون عليه .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٤ ، والرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٠] .

(٤) لم أنف على ترجمة له .. والقمودى من الرجال - بضم القاف والميم : الذى يتصف بالشدة والإباء .. وقد تكون النسبة هنا إلى « قمودة » وهى بلدة فى إفريقيا ورد ذكرها فى الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٣١ ، ١٣٢ فى حوادث سنة ٢٩٦ هـ ولم ترد فى معجم البلدان .

(٥) فى ط : « أبو جعفر القمودى العابد » .

(٦) فى ط : « فقال : أنت » .

(٧) فى م : « وقال » .

عِدَّةٌ ^(١) إِذَا فَرَّغَ مِنْ حِزْبِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَدْعُو وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِصَاحِبِ الْكَلْبِ وَارْحَمَهُ .

وَقِيلَ : مَكْتُوبٌ فِي الْإِلْجِيلِ : عَبْدِي ، أَذْكُرْنِي حِينَ تَعْصَبُ أَذْكُرَكَ حِينَ أَغْضَبُ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(٢) أَيْ : كُلُّ مَنْ لَقِيْتَهُ فَقُلْ لَهُ حُسْنًا مِنْ الْقَوْلِ . وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ : الْحَلِيمُ ^(٣) عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَالشُّجَاعُ فِي الْحَرْبِ ، وَالْأَخُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ الْخَيَّاطَ كَانَ لَهُ مَجُوسِيٌّ يَخِيطُ عِنْدَهُ الثِّيَابَ وَيَدْفَعُ لَهُ دِرَاهِمَ زُهْرًا ^(٤) ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَأْخُذُهَا ، فَجَاءَ الْمَجُوسِيُّ يَوْمًا بِالْدِّرَاهِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَعْطَاهَا لِتَلْمِيذِهِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، فَدَفَعَ لَهُ صَحَاحًا ، فَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ تَلْمِيذُهُ ^(٥) : وَهَذِهِ دِرَاهِمُ الْمَجُوسِيِّ ، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : بِسْمَا فَعَلْتَ ، إِنَّهُ يُعَامِلُنِي ^(٦) بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ مِثْلَ أَغْوَامٍ وَأَنَا أَصْبِرُ عَلَيْهَا وَالْقِيَهَا فِي الْبَيْرِ لِفُلٍّ يَغْرِبُ بِهَا غَيْرِي .

وَرَوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ يَضْرِبُ أُمَةً لَهُ ، فَقَالَ : أَتَضْرِبُ مَنْ لَا تَمْتَنِعُ مِنْكَ ^(٧) ؟ لَقَدْ حَالَتْ الْقُدْرَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلَى التَّرَاتِ ^(٨) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ ضَيْقُ الصَّدْرِ ^(٩) ، وَضَيْقُهُ عَلَى قِسْمَتَيْنِ ، أَذْنَاهُ وَأَهْوُونُهُ أَنْ لَا يَتَّسِعَ لِمُرَادِ الْخُلُقِ ، وَأَقْصَاهُ وَشَرُّهُ أَنْ لَا يَتَّسِعَ لِمُرَادِ الْحَقِّ ^(١٠) . وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ

(١) فِي « ط » : « عِدَّةٌ » .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، مِنْ آيَةِ ٨٣ .

(٣) فِي « ط » : « الْحَلِيمُ » .

(٤) زُهْرًا : مُزَيَّنَةٌ .

(٥) فِي « م » : « لِتَلْمِيذِهِ » ، اللَّامُ الْأُولَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي « ط » : « مُعَامِلِي » .

(٧) فِي « م » : « عَلَيْكَ » .

(٨) فِي « م » : « التَّرَاتِبُ » مَكَانَ « التَّرَاتِ » تَحْرِيفٌ .. وَأَوْلَى التَّرَاتِ : أَصْحَابُ النَّارِ .

(٩) فِي « ط » : « ضَيْقُ الْقَلْبِ » .

(١٠) فِي « م » : « لِمُرَادِ الْخَالِقِ » .

الإعجاب^(١) ، وَهَلْ يَسُوءُ^(٢) خُلُقُ الرَّجُلِ إِلَّا مِنْ عُجْبِهِ وَتَكْبَرِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى^(٣) فَرْقَهُ أَحَدًا ، وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ نَفْسِهِ فَتَدَاخَلُهُ^(٤) الْعِزَّةُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجِبَانِكَ فِطْرًا ﴾^(٥) أَيْ : وَخُلُقِكَ فَحَسَنٌ . وَكَانَ لِبَعْضِ النُّسَاكِ شَاةٌ ، فَرَأَاهَا عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ ، فَقَالَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَا ؟ فَقَالَ غُلَامُهُ : أَنَا فَعَلْتُهُ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَعْمَلِكِ بِهَا ، فَقَالَ : لِأَعْمَنُ مِنْ أَمْرِكَ بِهَذَا^(٦) اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « رَأَى عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٧) - رَجُلًا يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ^(٨) أَتَسْرِقُ ؟ فَقَالَ : كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي^(٩) . »

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَسَادُ الْأَخْلَاقِ مُعَاشَرَةُ السُّفَهَاءِ . وَقِيلَ : الْخُلُقُ السَّيِّئُ يُضَيِّقُ قَلْبَ صَاحِبِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَسَعُ فِيهِ غَيْرَ مُرَادِهِ ، كَالْمَكَانِ الضَّيِّقِ لَا يَسَعُ فِيهِ غَيْرَ صَاحِبِهِ . وَيُقَالُ : مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ أَنْ يَقَعَ بِصُرْكَ عَلَى سُوءِ خُلُقٍ غَيْرِكَ .

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الشُّؤْمِ ، فَقَالَ : « سُوءُ

(١) في م : : : الأصحاب ، مكان « الإعجاب » تحريف .

(٢) في م : : : نُسِيَ ، والأول من « ساء » والثاني من « أساء » .

(٣) في م : : : لا يرى . والعُجْبُ : التكبر والتزهو .

(٤) فتدَاخَلَهُ ، أَيْ : فتداخَلَهُ .

(٥) سورة المدثر ، الآية الرابعة .

(٦) في م : : : بها .

(٧) في ط : : : عيسى بن مريم .. و « عليه السلام » عن م : .

(٨) « له » عن ط : .

(٩) في م : : : عيناى .

الْخُلُقِ^(١) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قِيلَ لَهُ : أَدْعُ اللَّهَ^(٢) عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا يُعِثُّ رَحْمَةً وَلَمْ أَتِ بِعَذَابٍ » .

وَلَمَّا وَصَّى يَنْعُقُوبَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَوْلَادَهُ قَالَ : اخْفَظُوا عَنِّي خَصَلَتَيْنِ^(٣) : مَا اتَّصَفْتُ مِنْ ظَالِمٍ قَطُّ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَمَا رَأَيْتُ حَسَنَةً إِلَّا وَأَفْشَيْتُهَا ، وَمَا رَأَيْتُ سَيِّئَةً إِلَّا وَسَتَرْتُهَا ، كَذَلِكَ فَافْعَلُوا .

وَقَالَ ابْنُ عُثْمَرَ : إِذَا سَمِعْتُمُونِي أَقُولُ لِمَمْلُوكٍ : أَخْزَاهُ اللَّهُ ، فَاشْهَدُوا أَنَّهُ حُرٌّ . وَيُقَالُ : السَّيِّئُ الْخُلُقِيُّ هُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَقِيلَ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِيِّ مُطَالَبَةٌ غَيْرِكَ أَنْ يُوَافِقَكَ^(٤) دُونَ أَنْ تَطْلُبَ نَفْسَكَ بِمُوَافَقَةِ غَيْرِكَ . وَعَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِيِّ أَنْ تَحْتَمِلَ مُعَامَلَةَ سَيِّئِ الْخُلُقِيِّ لِتَسْتُرَ بِهِ سُوءَ الْخُلُقِيِّ . وَقِيلَ : الْغَارِفُ يُعَاتِبُ نَفْسَهُ وَلَا يُعَاتِبُ خُلُقَهُ ، وَعَلَامَةُ مَنْ بَيَّنَّه وَبَيَّنَ نَفْسِهِ عِتَابٌ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُلُقِهِ عِتَابٌ .

وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ فِي جَنْبِهِ^(٥) يَتِيمٌ سَيِّئُ الْخُلُقِيِّ ، فَمَاتَ ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَجِدُ غَيْرَهُ ، قَالَ : فَمَنْ لِي بِسُوءِ خُلُقِهِ^(٦) . وَكَانَ لِيَحْيَى بْنُ زَيْدٍ الْحَارِثِيُّ^(٧) غُلَامٌ سُوءٍ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ تُسَمِّيكَ هَذَا الْغُلَامَ ؟ قَالَ^(٨) لِأَتَعْلَمَ عَلَيْهِ الْجِلْمَ .

(١) قوله : « وسئل النبي » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) لفظ الجلالة عن « ط » .

(٣) الظاهر هنا ثلاث خصال ، إلا إذا عدنا إنشاء الحسنه وستر السيئة بمثابة جملة واحدة .

(٤) في « م » : « بموافقتك » .

(٥) في جنبه : في كنفه ورعايته .

(٦) في « م » : « بمثل سوء خلقه » .

(٧) هو : يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي ، أبو الفضل ، شاعر ماجن من أهل الكوفة ، وكان يرمى بالزندقة ، وله في السُّفَاح والمهدي العباسيين مدائح ، وهو ابن خال السفاح .. أقام بهقدا مدة ، ولم يحمد زمانه فيها ، فخرج عنها ، وتوفي في أيام المهدي نحو سنة ١٦٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ من ١٤٥ ، وتاريخ بهقدا ج ١٤ ص ١٠٦ - ١٠٨ ، وأمال المرتضى ج ١ ص ٩٩] .

(٨) في « م » : « فقال » .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ ^(١) الظَّاهِرَةُ : تَسْوِيقُهُ
الْخَلْقَ ، وَالْبَاطِنَةُ : حُسْنُ الْخُلُقِ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : لِأَنَّ يَصْنَعُنِي فَاجِرٌ حَسَنُ الْخُلُقِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَصْنَعُنِي عَابِدٌ سَيِّئُ الْخُلُقِ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ رُويَ أَنَّ عِيسَى بْنَ
مَرْيَمَ ^(٢) وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، اتَّفَقَا ، فَقَالَ يَحْيَى لِعِيسَى : ثَلَاثَانِ
ضَاجِحَاكَ كَأَنَّكَ آمِنٌ ! فَقَالَ عِيسَى : وَأَنْتَ ثَلَاثَانِ عَابِسَاكَ كَأَنَّكَ آيِسٌ ! فَأَوْحَى اللَّهُ ^(٣)
إِلَيْهِمَا أَنَّ أَحَبَّكُمَا إِلَيَّ أَبْشُكُمَا بِصَاحِبِهِ . قُلْنَا : كَذَلِكَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ .

وَلَيْسَ إِطْلَاقُ التَّوَجُّهِ ^(٤) وَالتَّبَسُّمُ فِي وَجْهِ أَحَدِكُ مِنْهَا ^(٥) عَنْهُ ، وَإِنَّمَا الْمَكْرُوهُ
مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَوَّلِ الْبَابِ مِنَ التَّمَلُّقِ ^(٦) وَالتَّصْنُّعِ ، وَفَصَّلُ الْخِطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ ^(٧)
مَا رَوَى هُنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ^(٨) فِي صِفَةِ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
كَانَ أَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطُّيْرُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ لَا يَتَرَحُّ
وَلَا يَتَحَرَّكُ ^(٩) وَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَلَا يَطْرُفُ بِعَيْنَيْهِ ، حَدَرًا أَنْ يَنْفِرَ الطَّائِرُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّعِ : كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي ، وَكَانَ رَأْسَ مَا عَظَّمَهُ

(١) سورة لقمان ، من الآية ٢٠ .. وأسبغ : اكمل وأنم .

(٢) في « ط » : : عيسى ويحيى .

(٣) لفظ الجلالة عن « ط » .

(٤) في « م » : : طلاقة الوجه « أى : ظهور الفرح والبشاشة عليه .

(٥) في « م » : : منى « لا تصح .

(٦) في « م » : : التملق « وهى بمعناها .

(٧) في « م » : : فى الباب .

(٨) فى « م » : : محمد « مكان « هند » تحريف من الناسخ .. وهو : هند . بن أبى هالة ، واختلف فى اسم أبى
هالة ، فقيل : ثيَّاس بن زرارة ، وقيل مالك بن زرارة .. وكان أبو هالة زوج السيدة خديجة قبل النبى (ﷺ) فولدت
له هند بن أبى هالة ، وشهد هند بدرًا ، وقيل : بل شهد أحدًا ، وقيل مع عليٍّ يوم الجمل .

[انظر ترجمته والحديث الذى رواه فى صفة النبى (ﷺ) فى أسد الغابة ج ٥ ص ٤١٧ - ٤١٩] .

(٩) فى « ط » : : « فإنه لا يتحرك » .

فِي غَيْبِي صِعْرُ الدُّنْيَا فِي غَيْبِهِ ، كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَسْتَهْيِي مَا لَا يَجِدُ ،
وَلَا يَكْثُرُ إِذَا مَا وَجَدَ ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ ^(١) فَرْجِهِ ، فَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُؤْنَةً ^(٢) ،
وَلَا يَسْتَخِفُّ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَأًا ^(٣) ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ ، فَلَا يَقْدِمُ أَبَدًا إِلَّا
عَلَى ثِقَةٍ بِمَنْفَعَةٍ ^(٤) . كَانَ أَكْثَرَ ذَمِّهِ صَامِتًا ، فَإِذَا قَالَ بَدْءُ ^(٥) الْقَائِلِينَ ، وَكَانَ
مُتَضَاعِفًا ^(٦) مُسْتَضْعَفًا ، فَإِذَا جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ اللَّيْثُ عَادِيًا ^(٧) . كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي
دَعْوَى ، وَلَا يَشْتَرِكُ فِي مِرَاءٍ ، وَلَا يَذِلُّ بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا عَدْلًا وَشَهُودًا عَدْلًا ،
وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَكُونُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا اغْتِذَارُهُ . كَانَ لَا يَشْكُو
وَجَعًا إِلَّا إِلَى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبَرَّ ، وَلَا صَاحِبًا ^(٨) إِلَّا لِمَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ لَهُمَا
جَمِيعًا ^(٩) . وَكَانَ لَا يَتَّبِعُ وَلَا يَتَسَخَّطُ وَلَا يَشْتَكِي ، وَكَانَ لَا يَنْتَقِمُ عَلَى الْوَلِيِّ ،
وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْعَدُوِّ ^(١٠) ، وَلَا يَخْصُرُ نَفْسَهُ دُونَ إِخْوَانِهِ بِشَيْءٍ مِنْ اهْتِمَامِهِ وَحِيلَتِهِ
وَقُوَّتِهِ ، فَاقْفُ ^(١١) هَذِهِ الْأَخْلَاقَ ، فَإِنْ لَمْ تُطِيقْ فَخُذْ الْقَلِيلَ ^(١٢) خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ .
وَرَوَى أَنَّ حَكِيمًا سَمِعَ رَجُلًا ^(١٣) يَذُمُّ الزُّمَانَ وَأَهْلَهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ

(١) من قوله : « بطنه » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » ، وهذا الوصف في الأدب الكبير ص ١٣٣ ، وانظر
المصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ط دار المعارف .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مؤونة » ولعله يريد بهما « المأنة » وهي السرة وماحولها من البطن .. أما في
المصدرين السابقين فجاءت مكانهما كلمة « ربة » وهي أوضح .

(٣) قوله « ولا يبتدأ » عن « ط » والمصدرين السابقين ، ولم ترد في « م » : .

(٤) هكذا في « ط » والمصدرين السابقين .. وفي « م » : « لمنفعة » .

(٥) في « م » : « فإذا ماقال » .. وبَدْءٌ غَلَبَ وَفَاقَ .

(٦) هكذا في « م » و « ط » .. وفي المصدرين السابقين : « وكان يترى » . ومتضاعفًا أي : يبلو ضعيفًا .

(٧) عادياً : واثباً .

(٨) في الأدب الكبير : « وكان لا يستشير صاحباً » .

(٩) قوله : « لهما جميعاً » لم ترد في المصدرين السابقين .

(١٠) هكذا في المصدرين السابقين .. وفي « م » و « ط » : « ولا ينتقم من الولي على العدو » ، ولا يغفل عن

الولي . والولي المحب والصديق .

(١١) فاقف : فاقف .. وفي الأدب الكبير : « فعليك بهذه الأخلاق إن أطقف » أي : إن استطعت .

(١٢) في « م » : « فإن لم تقدر فاقف القليل » .

(١٣) في « م » : « وروى أن رجلاً سمع حكيماً » . وما ورد في « ط » هو المناسب للمعنى هنا .

النَّاسُ ^(١) وَلَمْ يَتَّقِ أَحَدٌ يُصَنِّبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَنْتَ طَلَبْتَ صَاحِبًا تُؤْذِيهِ فَلَا يَنْتَصِرُ ، وَتَنَالُ مِنْهُ فَلَا يَنْتَصِفُ ، وَتَأْكُلُ رَحْلَهُ وَلَا يَرْزُوكَ بِشَيْءٍ ، وَتَجْفُو عَلَيْهِ فَيَحْلُمُ ، فَلَمْ تَنْصِفْ فِي الطَّلَبِ ، فَلَمْ تَجِدْ حَاجَتَكَ ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ صَاحِبًا يُؤْذِيكَ فَلَا تَنْتَصِرُ ، وَتَجْفُوكَ فَلَا تَنْتَقِمُ ، وَيَأْكُلُ رَحْلَكَ فَلَا تَنَالُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَجَدْتَ أَصْحَابًا وَإِخْوَانًا وَخُلَائًا ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَصْنَعُكَ .

فصل

في الفرق بين المداينة والمداراة

مَنْ دَارَى سَلَمَ ، وَمَنْ دَاهَنَ أَيْمَ ^(٢) ، وَهَذَا بَابُ اخْتَلَطَ عَلَى مُعْظَمِ الْخَلْقِ ، فَدَاهَنُوا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُدَارُونَ ^(٣) ، فَالْمُدَاهَنَةُ مِنْهَى عَنْهَا ^(٤) ، وَالْمُدَارَاةُ مَأْمُورٌ بِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمُدَاهَنَةِ : ﴿ وَذُوقُوا لَوْلَدِهِمْ فَيَلْدُهُنَّ ﴾ ^(٥) . وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْمُدَارَاةِ : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ^(٦) التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ، وَأُمِرْتُ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أُمِرْتُ بِإِدَاءِ الْفَرَائِضِ » ^(٧) .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا سَقِمَتِ ^(٨) الْمُدَارَاةُ صَارَتْ مُدَاهَنَةً ، وَالْمُدَاهَنَةُ ^(٩) أَنْ تُدَارِيَ النَّاسَ عَلَى وَجْهِ يَذْهَبُ فِيهِ دِينُكَ ، وَالْمُدَارَاةُ مُخَالَفَتُهُمْ عَلَى وَجْهِ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ،

(١) قوله : « قد فسد الناس » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) دَارَى : لَاطَفَ وَلَاتَنَ وَاقْتَى .. وَدَاهَنَ : أَظْهَرَ بِخِلَافِ مَا أَبْطَنَ ، أَوْ : خَادَعَ وَغَشَّ .

(٣) في « م » : « يُدَارُوا » لا تصح .

(٤) في « م » : « عليها » تحريف .

(٥) سورة القلم ، الآية التاسعة .

(٦) في « م » : « بعد المعرفة بالله » وماورد في « ط » : « هو المطابق لنص الحديث .

(٧) الحديث ورد مجزئاً في السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٠٩ في كتاب آداب القاضي .

(٨) سَقِمَتْ : طَالَتْ .

(٩) في « ط » : « فَالْمُدَاهَنَةُ » .

وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ^(١) نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ :
 يَا مُحَمَّدُ ، اُعْبُدْ آلِهَتَنَا سِتَّةَ وَثُومِينَ بِكَ ، فَأَبَى . قَالُوا : فَشَهْرًا ، فَأَبَى . قَالُوا : فَيَوْمًا ،
 فَأَبَى . قَالُوا : فَسَاعَةً ^(٢) ، فَأَبَى . قَالُوا : فَاسْتَلِمَهَا ^(٣) بِيَدِكَ وَثُومِينَ بِكَ . فَوَقَّفَ النَّبِيُّ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي ذَلِكَ ، وَطَمِعَ إِنْ فَعَلَ أَنْ يُؤْمِنُوا ^(٤) : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ وَدُّوا لَوْ كُنْهُمْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٥) . وَقِيلَ لَهُ : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ بُشِّتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَهُهُمْ
 شَيْئًا قَلِيلًا . إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ ^(٦) . وَمِثَالُهُ أَنْ تَقُولَ
 لِلظَّالِمِ : أَتُبَاكَ اللَّهُ ، وَمَنْ دَعَا لِلظَّالِمِ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصِيَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ^(٧) ، وَهَذَا
 بَابٌ يَتَّبِعِي ^(٨) لِدَوَى الدِّينِ حِفْظُهُ .

وَقَدْ رَأَى بَعْضُ الْفُقَهَاءِ الْخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الْعَهْدَةِ بِالْتَّعْرِِيضِ ^(٩) ، وَكَانَ الْفَقِيهُ ابْنُ
 الْحَصَّارِ ^(١٠) يَفْرُطِبُهُ لَهُ جَارٌ نَصْرَانِيٌّ يَقْضِي حَوَائِجَهُ وَيَنْفَعُهُ ، وَكَانَ الْفَقِيهُ يُكْثِرُ أَنْ
 يَقُولَ لَهُ ^(١١) : أَتُبَاكَ اللَّهُ وَلَوْلَاكَ ، أَفَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ ، يَسُرُّنِي وَاللَّهُ مَا يَسُرُّكَ ، جَعَلَ اللَّهُ

(١) في م : « أَنْ الْآيَةَ » .

(٢) في ط : « سَاعَةً » .

(٣) فاستلمها : المسها . ومنه : استلم الحاج الحجر الأسود ، أي : لمسه بالقبلة أو باليد .

(٤) في م : « إِنْ فَعَلَ يُؤْمِنُوا » .

(٥) سبق تخريجها في هذا الفصل .

(٦) في م : « كِدْتَ أَنْ تَرْكُنَ » .. « أَنْ » زيادة من الناسخ .. والآيات من سورة الإسراء : ٧٤ ، ٧٥ .

(٧) في م : « أَنْ يُعْصِيَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ » .

(٨) في م : « وَهَكَذَا يَتَّبِعِي » .

(٩) التعريض : التورية .

(١٠) في ط : « الحصار » بالضاد المعجمة .. خطأ ، والصواب بالصاد المهملة المشددة ، وهو : أبو المطرف
 عبد الرحمن بن أحمد بن بشر ، المعروف بابن الحصار ، وكان فقيهاً وعالمًا وأديبًا ، وقاضياً الجماعة بقرطبة ، وتوفي
 سنة ٤٢٢ هـ .

[انظر ترجمته في المُنْغَرِبِ فِي حُلِّ الْمَرْبِ ج ١ ص ١٥٨ ، و«جنوة المتقرب» في تاريخ علماء الأندلس للحميدى ج
 ٢ ص ٤٢٧ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٢٣] .

(١١) « له » عن م : « » .

يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِكَ . لَا يَزِيدُهُ ^(١) عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَيَنْتَهِجُ ^(٢) النَّصْرَانِيُّ بِهَا
وَسْرَهُ ، فَغَوَّيَ الْفَقِيهَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَدْعُو بِمَعَارِضَ قَدْ ^(٣) عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ
نَبِيِّي ، أَمَّا قَوْلِي : أَبْقَاكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاكَ ، فَأَرِيدُ أَنْ يَبْقِيَ اللَّهُ لِقُرْمِ الْجَزِيَّةِ ، وَيَتَوَلَّاهُ ^(٤)
بِالْعَذَابِ ، وَأَمَّا قَوْلِي : أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ ، فَأَرِيدُ أَنْ تُقَرَّ حَرَكَتُهَا بِسِتْرِ يَعْزُضُ لَهَا
فَلَا تَتَحَرَّكَ جُفُونُهَا ، وَأَمَّا قَوْلِي : يَسُرُّنِي وَاللَّهُ مَا يَسُرُّكَ ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ تَسُرُّنِي كَمَا
تَسُرُّهُ ، وَأَمَّا قَوْلِي : جَعَلَ اللَّهُ يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِكَ ، فَأَرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَوْمَ الَّذِي
أَدْخُلُ فِيهِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ النَّارَ بِكَفَرِهِ .

* * *

(١) لِيَوْمِكَ : لَا يَزِيدُهُ .

(٢) فَيَنْتَهِجُ : مَكَانٌ فَيَنْتَهِجُ .. وَيُقَالُ : أَنْجَحَ الرَّجُلُ ، إِذَا قَضَيْتَ لَهُ الْحَاجَةَ .

(٣) لِيَوْمِكَ : وَقَدْ .

(٤) لِيَوْمِكَ : وَتَوَلَّاهُ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ فِي الظُّلْمِ وَشُؤْمِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(١) . وَقَالَ
تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(٢) . وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٣) . فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا
جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(٤) كَمَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَوْصَافُ الثَّلَاثَةُ : الْكُفْرُ ، وَالظُّلْمُ
وَالْفِسْقُ ^(٥) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ ﴾ ^(٦) . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَضْرَوَيْهِ ^(٧) : لَوْ أُذِنَ لِي فِي الشَّفَاعَةِ مَا بَدَأْتُ إِلَّا

(١) سورة المائدة ، من الآية ٤٤ . ولفظه « تعالى » بعدها عن « ط » في الموضعين .

(٢) سورة المائدة ، من الآية ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، من الآية ٤٧ .

(٤) في « م » : « وعند رسوله » .

(٥) في « م » : « الظلم والكفر والفسوق » .

(٦) سورة إبراهيم ، من الآية ٤٢ .

(٧) هو الزاهد الكبير أحمد بن حَضْرَوَيْهِ - أو الحَضِير - البلخي ، وكنيته أبو حامد ، وهو من كبار مشايخ
عراسان ، صحب أبا تراب النُحَاشِيَّ وحائماً الأصم ، ورحل إلى أفي يزيد البسطامي ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ .
[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، وطبقات الصوفية ص ١٠٣ - ١٠٦ ، وطبقات
الأولياء ص ٣٧ - ٣٩ ، وطبقات الشعرائي ج ١ ص ٨٢ ، وجامع كرامات الأولياء ج ١ ص ٤٨٠ ، ٤٨١ ، وحلية
الأولياء ج ١٠ ص ٤٢ ، ٤٣ ، وكشف المحجوب للهجویری ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٣٧ ،
١٣٨] .

بِالظَّالِمِينَ ، لَأَنِّي ثَبِّتُ لِتَعْزِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) . قَالَ : وَلَا أُغْنِيُمْ سَفَرًا لَا يَكُونُ فِيهِ مَنْ لَا يُؤْذِينِي وَيَظْلِمُنِي ، شَوْقًا مِنِّي لِتَعْزِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَظْلُومِينَ . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : كَفَى بِهِذِهِ الْآيَةُ وَعَيْدًا لِلظَّالِمِ وَتَعْزِيَةً لِلْمَظْلُومِ . وَقَالَ كَعْبٌ لِأَيِّ هُرَيْرَةَ : فِي التَّوْرَةِ : مَنْ يَظْلِمُ يُحْرَبْ بَيْتُهُ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ يَكُونُ لَكُمْ حَاجَةٌ بِمَا ظَلَمْتُمْ ﴾ ^(٢) . فَالظُّلْمُ ^(٣) أَدْعَى شَيْءٌ إِلَى سَلْبِ النِّعَمِ وَحُلُولِ النِّقَمِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ^(٤) عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ ، قَالَ : « يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهِدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ^(٥) ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكَسُونِي أَكْسِيكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُحْطِفُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي ^(٦) فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أُولَئِكَ وَآجِرَكُمْ وَإِسْكَنْكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ^(٧) مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أُولَئِكَ وَآجِرَكُمْ وَإِسْكَنْكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أُولَئِكَ وَآجِرَكُمْ وَإِسْكَنْكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ

(١) سورة إبراهيم ، من الآية ٤٢ .

(٢) سورة المل ، من الآية ٥٢ .

(٣) في م : : د والظلم .

(٤) في د ط : : د في الصحيح .

(٥) في م : : د استطعمته . تحريف .

(٦) الضَّرُّ ، بضم الضاد المعجمة : الفاقة والفقر ، وفتحها : ما كان ضد النفع ، وهو المراد هنا ، وكذا ورد في صحيح مسلم .

(٧) هكذا في د ط .. وفي م : : د رجل منكم . في الموضعين .

مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْيَحْيَى (١) إِذَا دَخَلَ فِي الْبَحْرِ . يَاعِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ [تَعَالَى] (٢) ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ (٣) . يَرْوِيهِ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ (٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَمُسْتَدًّا إِلَى النَّبِيِّ (٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَبُو إِدْرِيسَ إِذَا حَدَّثَهُ جَنَّا (٦) عَلَى رُكْبَتَيْهِ .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٧) . وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » (٨) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ

(١) في (م) : « إِلَّا كَمَا أُذْخِلَ الْيَحْيَى إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » . والخط : آلة الخياطة ، كالإبرة ونحوها .. والمعنى : لا ينقص شيئاً ، لأن ما عند الله لا يدخله النقص ، وإنما يدخل النقص المخلود الفاني ، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه ، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص ، فغضب للثل بالخط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة ، والمقصود التقرب إلى الأفهام بما شاهده ، فإن البحر من أعظم المراتب عياناً وأكبرها ، والإبرة من أصغر الموجودات ، مع أنها صغيرة لا يتعلق بها ماء .

[انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٣٣] .

(٢) ما بين المقوفين عن (م) .

(٣) في (م) : « يَوْمَ » . وما هنا هو الأشهر والمطابق لنص الحديث .. والحديث رواه مسلم في كتاب البر ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٢ ، وأبو نعيم في الحلية ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الغصب ج ٦ ص ٩٣ ، والمنذرى في الترغيب والترهيب ، في الترغيب في كرامة الدعاء وما جاء في فضله ج ٢ ص ٤٢٣ - ٤٧٦ ط دار الحديث .

(٤) هو عالم أهل الشام عاقل الله بن عبد الله بن عمرو ، أبو إدريس الخولاني ، من فقهاء التابعين ، ولد عام حنين (سنة ٨ هـ) وروى عن معاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وأبي ذرٍّ ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم .. وكان واعظاً أهل دمشق وقاضياً .. وتوفي سنة ٨٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٣٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ١٢٢ -

١٢٩] .

(٥) في (م) : « رسول الله » .

(٦) جنا : جلس .

(٧) أي : أن الظلم يكون ظلمات على صاحبه يوم القيامة فلا يجدي سيلاً يوم يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم . ويحتمل أن يكون المراد بالظلمات : الشدائد .

[انظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب البر ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٤ ، وضع الباري ج ٥ ص ١٠٠ باب الظلم ظلمات يوم القيامة ، والبيهقي في السنن الكبرى ، باب الغصب ج ٦ ص ٩٣] .

(٨) أخرجه البخاري في باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ج ٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ من فتح الباري ، والبيهقي في المصداق السابق .

رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ عَرَضٍ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ ، إِنْ ^(٢) كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ ^(٣) لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » ^(٤) .

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ^(٥) قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا ^(٦) طَوْفَهُ مِنْ سِتِّينَ أَرْضِينَ » قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُقَلَّبُ شَجَاعًا أَقْرَعَ فَيَطْوِفُهُ ^(٧) . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَانِعُ الزَّكَاةِ ^(٨) يَجِيءُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ يَتَّبَعُهُ ^(٩) » وَيَقُولُ : أَنَا مَالِكٌ ، أَنَا كَثْرُكَ ، فَكَانَ هَذَا دَاخِلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « صَيِّطُونَ مَا بَإِخْلَاوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(١٠) .

(١) في « م » : « قال النبي » .

(٢) سقطت « إِنْ » من « م » سهواً من الناسخ .

(٣) في « م » : « فَإِنْ » .. وفي البخاري : « وَإِنْ لَمْ تَكُنْ » .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل ج ٥ ص ١٠١ .. والمُظْلَمَةُ ، بكسر اللام على المشهور ، وقد سبق شرحها .

(٥) هو : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العلوي القرشي ، أبو الأعرور ، من خيار الصحابة ، ولد بمكة سنة ٢٢ قبل الهجرة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخيه قاطمة ، وقد أسلم هو وأمرأته قبل عمر ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلا بلخاً ، فقد كان غالباً في مهمة أرسله بها النبي ﷺ ، وضرب له رسول الله بسهمه وأجره فيها .. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان من ذوى الرأي والبسالة ، وشهد الرمك وحصار دمشق ، وولاه أبو عبيدة دمشق .. وتوفي في المدينة سنة ٥١ هـ . وله في كتب الحديث ٤٨ حديثاً . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٩٤ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٧٩ - ٣٨٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٩٥ - ٩٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٩] .

(٦) في البخاري : « شيئاً » مكان « شيئاً » وكلاهما مروي .

[انظر كتاب المظالم في المصدر السابق ، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض .. وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٦٧ كتاب البيوع ، باب من أخذ شيئاً من الأرض] .

(٧) أى : يسلط عليه ثعباناً ضخماً يجعله له طوقاً فيعذبه بذلك .. وقد يكون المراد : أن الظلم المذكور لازم له في عنقه لزوم الإثم .

(٨) في « ط » : « في مانع الزكاة » .

(٩) « يتبعه » عن « ط » .

(١٠) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٠ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » ^(١) .
 وَرَوَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ يُخْلِي
 لِلظَّالِمِ ^(٢) حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُعْلَئَهُ » ، وَقَرَأَ : « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى
 وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » ^(٣) . وَرَوَى أَنَسُ بْنُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 قَالَ : « انْصَرَّ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ هَذَا ؟ انْصَرَّهُ مَظْلُومًا
 فَكَيْفَ انْصَرَّهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » ^(٤) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٥) أَنَّ النَّبِيَّ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : نَاسٌ ^(٦) مَعَهُمْ سِيَاطٌ
 كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ^(٧) ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ ، مَائِلَاتٌ

(١) أراد الغني : القادر على أداء ما استحق أدائه ، ولو كان فقيراً ، ومطله : منع أدائه وتأخير . وبقيّة الحديث :
 « وَإِذَا أُجِلَّتْ عَلَى غَيْرِهِ فَاتَّقِ » . أو « فَلْتَتَّقِ » . والمثل : الغنى الكريم .. واتبعه : اتّبعه ..

[الحديث رواه البخاري مجزئاً في الاستعراض ، باب مظل الغني ظلم ج ٥ ص ٦١ من فتح الباري ، ورواه أيضاً
 في الحوالات .. ورواه مسلم في المساقاة ، باب تحريم مظل الغني وصحة الحوالة واستحباب قبولها ج ١٠ ص ٢٢٧ ،
 ٢٢٨ وزاد فيه الزيادة المذكورة آنفاً .. ورواه ابن ماجه في سننه في الصدقات ، باب الحوالة ج ٢ ص ٨٠٣ ..
 والدارمي في البيوع ، باب مظل الغني ظلم ج ٢ ص ٢٦١ ، وأبو داود في البيوع ، باب في المظل ج ٣ ص ٢٤٥ ،
 والنسائي في البيوع في مظل الغني ج ٧ ص ٣١٦ بشرح جلال الدين السيوطي ، والترمذي في البيوع باب ماجاء في
 مظل الغني ج ٦ ص ٤٣ - ٤٥ بشرح ابن العربي] .

(٢) في سنن ابن ماجه : « يُخْلِي » .. ويُمل للظالم : يمهله ويتركه مدة .

(٣) سورة هود ، الآية ١٠٢ .. وانظر الحديث في سنن ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب العقوبات ج ٢
 ص ١٣٣٢ .

(٤) هكذا في « م » و « ط » .. وفي البخاري : « هذا نصره مظلوماً ، فكيف نصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق
 يديه أي : تكفه عن الظلم بالقلع إن لم يكف بالقول .. والحديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب أين أخاك
 ظالماً أو مظلوماً ج ٥ ص ٩٨ من فتح الباري .

(٥) في « م » : « وَرَوَى » بالبناء للمجهول .. والحديث في صحيح مسلم عن أبي هريرة .

(٦) في صحيح مسلم : « قَوْمٌ » .

(٧) المراد بأصحاب السياط : غلمان والى الشرطة ، ولم يكونوا على عهد رسول الله ، ﷺ ، لذا فإن النووي غد
 هذا الحديث من معجزات النبوة ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ .

مُمِيلَاتٌ ^(١) ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ مِثْلُ أُسْنِمَةِ الْبُحَيْثِ ^(٢) لَا يَرَيْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجْذَنُ بِحَيْثُهَا ^(٣) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا ^(٤) أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ^(٥) . وَفِي الْآيَةِ تَأْوِيلَانِ ، أَحَدُهُمَا : أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ فَفَسَقُوا ، أَيْ : خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ ، وَالثَّانِي عَلَى قِرَاءَةِ الْمَدِّ ^(٦) أَيْ : كَثَرْنَا عَدَدَهُمْ ، وَأُسَبَّغْنَا النَّعَمَ عَلَيْهِمْ ، فَعَصَوْا وَتَبَاغَوْا . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ » ^(٧) ، أَيْ : كَثِيرَةُ النَّتَاجِ .

(١) أَيْ : كَاسِيَاتٌ مِنَ الثِّيَابِ ، عَارِيَاتٌ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْإِهْتِمَامِ بِآخِرَتِهِنَّ ، وَالِاتِّعَاضُ بِالطَّاعَاتِ .. أَوْ : يَكْشِفُنَّ شَيْئًا مِنْ أَيْدَانِهِنَّ يُظَاهِرُ الْجَمَاحِينَ ، فَهِنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ .. أَمَّا مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ فَتَعْنِي : زَائِغَاتٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَمَا يُلْزِمُهُنَّ مِنْ حِفْظِ الْفُرُوجِ وَغَيْرِهَا ، وَيُعْلِمُنَّ غَيْرَهُنَّ مِثْلَ فَعْلُهُنَّ .

(٢) فِي مُسْلِمٍ : « رُءُوسُهُنَّ كَأُسْنِمَةِ الْبُحَيْثِ » .. وَالْبُحَيْثُ : نَوْعٌ مِنَ الْإِبِلِ .. وَالْمُرَادُ بِتَشْبِيهِ رُءُوسِهِنَّ بِأُسْنِمَةِ الْبُحَيْثِ إِنَّمَا هُوَ لَارْتِفَاعُ الْغَدَائِرِ (الضَّفَائِرِ) وَشَدَّهَا إِلَى فَوْقَ وَجْهِهَا فِي وَسْطِ الرَّأْسِ حَتَّى تَمِيلَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ جَوَانِبِ الرَّأْسِ ، كَمَا يَمِيلُ السَّمَامُ ، فَتَنَّةٌ لِلنَّاسِ .. وَقِيلَ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : أَنَّهُنَّ يَطْمَحْنَ إِلَى الرِّجَالِ وَلَا يَفْضِضْنَ عَنْهُمْ أَبْصَارَهُنَّ ، وَلَا يَنْكُسْنَ رُءُوسَهُنَّ حَيَاءً .. وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) فِي مُسْلِمٍ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » . وَهَذَا عَمَلٌ عَلَى مَنْ اسْتَحَلَّتْ حَرَامًا مَعَ عِلْمِهِا بِتَحْرِيمِهِ .. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْجَنَّةِ وَصَفَةَ نَعِيمِهَا ، بَابُ جَهَنَّمَ - أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا . ج ١٧ ص ١٩٠ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ .

(٤) فِي « م » : « فَإِذَا » بِالْفَاءِ .. غَخْلَفَ لِلْآيَةِ .

(٥) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، الْآيَةُ ١٦ .

(٦) أَيْ : بِمَدِّ الْهَمْزَةِ « آمَرْنَا » . هَكَذَا فِي أَثْنَاءِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ .. وَفِي « م » : « الْمَدَائِنِ » وَهِيَ تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمَتَيْنِ : « لِلْمَدِّ ، أَيْ : .. وَفِي « ط » : « عَلَى قِرَاءَةِ الْمَدِّ » وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ قَالُونَ الْمَدِّ ، وَقَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي مِهْرَانَ ، وَهَذَا الْأَخِيرُ جَاءَ فِي اللِّسَانِ وَفِي كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ أَنَّهُ قَرَأَ « آمَرْنَا » بِالْمَدِّ .

[انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ مَادَّةُ « أَمَر » وَطَبَقَاتُ الْقِرَاءَةِ ج ١ ص ١٨٢ ، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ج ٨ ص ٣٩٤ كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا » ، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ج ٥ ص ٣٨٤٨ - ٣٨٥١ ، وَتَفْسِيرَ الْكَشَافِ لِلزَّخَرِيِّ ج ٢ ص ٤٤٢ ، وَتَفْسِيرَ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ج ١٠ ص ١٧٥ - ١٧٨ ، وَتَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٣ ص ٣٢ ، ٣٣ ، وَالْمُنْصِي فِي تَوْجِيهِ الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ الْمُتَوَاتِرَةِ ج ٢ ص ٣٤٠] .

(٧) السِّكَّةُ : الطَّرِيقُ الْمُصْطَفَى مِنَ النَّخْلِ .. وَالْمَأْبُورَةُ : الْمَلْقُوحَةُ . يُرِيدُ : خَيْرُ الْمَالِ نَتَاجُ وَزَرْعِ .

[انْظُرْ الْقُرْطُبِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ التَّفَاسِيرِ السَّابِقَةِ] .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ وَهَوَامَّهَا تَلْعَنُ الْعَصَاةَ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : إِذَا أَشْعَبَتْ الْأَرْضُ ^(١) تَقُولُ الْبَهَائِمُ : هَذَا مِنْ أَجْلِ عَصَاةِ بَنِي آدَمَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ ^(٢) . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الْجِسَلَ لَتَمُوتُ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ » ^(٣) . يَعْنِي : أَنَّ بِذُنُوبِ الْخَلْقِ يَمْتَنِعُ الْقَطَرُ ^(٤) . فَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ، فَتَهْلِكُ الدَّوَابُّ وَالْحَشَرَاتُ . وَسَمِعَ أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٥) رَجُلًا يَقُولُ : إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ . فَقَالَ : بَلَى ، وَاللَّهِ إِنَّ الْحُبَارَى ^(٦) لَتَمُوتُ هَزْلاً ^(٧) فِي وَكْرِهَا بِظُلْمِ الظَّالِمِ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : خَطِيئَةُ بَنِي آدَمَ قَتَلَتِ الْجِسَلَ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ انْقَطَعَ حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِبَيْمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيئًا مِنْ أَرَاكِ » ^(٨) . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَا ظَهَرَ الْعُلُولُ » ^(٩) فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، وَلَا فَتَا الرُّبَى فِي قَوْمٍ إِلَّا ^(١٠) فَتَا فِيهِمُ الْمَوْتُ ، وَلَا تَقْصَرُ قَوْمُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ إِلَّا انْقَطَعَ عَنْهُمْ ^(١١)

(١) أَشْعَبَتِ الْأَرْضُ : تَمَثَّرَتْ وَقَلَّ خَيْرُهَا .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٥٩ .

(٣) الْجِسَلُ : وَلَدُ الضَّبِّ . وَالْحَدِيثُ لَمْ يَرِدْ فِي الْكُتُبِ السَّتَةِ .

(٤) الْقَطَرُ : الْمَطَرُ .

(٥) فِي ١ م : : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٦) فِي ٢ م : : حَتَّى إِنَّ الْحُبَارَى . وَالْحُبَارَى : طَائِرٌ طَوِيلُ الْعُنُقِ ، رَمَادَى اللَّوْنِ ، عَلَى شَكْلِ الْإِوَرَّةِ ، الذَّكَرُ

وَالْأُنْثَى وَالْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ .

(٧) هَزْلاً : ضَعْفًا .. وَفِي ١ م : : مَزْلاً : تَحْرِيفٌ .

(٨) قَضِيئًا مِنْ أَرَاكِ : عَوْدًا مِنْ شَجَرِ الْأَرَاكِ ، وَهُوَ شَجَرٌ كَثِيرُ الْفُرُوعِ ، مُتَقَابِلِ الْأَوْرَاقِ ، نَبَتٌ فِي الْبِلَادِ الْحَارَةِ ، وَيَتَخَذُ مِنْهُ الْمَسَاكِينُ .. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِهَلْئَةِ رَوَايَاتٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ ، بَابِ وَعِيدٍ مِنْ انْقِطَاعِ حَقِّ مُسْلِمٍ بِبَيْمِينِهِ فَاجِرَةٌ بِالنَّارِ ج ٢ ص ١٥٧ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ .

(٩) الْعُلُولُ : الْحَيَاةُ وَالسَّرَقَةُ فِي الْمَغْنَمِ وَغَيْرِهِ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(١٠) قَوْلُهُ : : أَلْقَى اللَّهُ إِلَيَّ هُنَا .. عَنْ ١ م : : وَسَاقَطٌ مِنْ ٢ ط .

(١١) فِي ٢ م : : قُطِعَ مِنْهُمْ .

الرُّزْقُ ، وَلَا حَكَمَ قَوْمٍ يَغْيِرُ حَقَّ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الدَّمُ ، وَلَا خَرَّ قَوْمٌ بِالْمَهْدِ ^(١) إِلَّا سُلْطَ عَلَيْهِمُ الْقَدَرُ ^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَذْكَرُ عِنْدَ الظُّلْمِ عَذْلُ اللَّهِ فِيكَ ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَا ^(٣) يُمَجِّبُكَ رَحْبُ الذَّرَاعَيْنِ بِسُفْلِكَ الدَّمَاءِ ، فَإِنَّ لَهُ قَاتِلًا لَا يَمُوتُ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ رَقَمَ عَلَى بِسَاطِهِ ^(٤) :

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ مَصْدَرُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَنَصِّبٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ ^(٥)

وَأَنْشَدَنَا قَاضِي الْقَضَايَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ بِعَدَادَ :

إِذَا مَا هَمَمْتَ بِظُلْمِ الْعِبَادِ فَكُنْ ذَاكِرًا هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْمَعَادِ

فَإِنَّ الْمَظَالِمَ يَوْمَ الْقِصَاصِ لِمَنْ قَدْ تَزَوَّدَهَا شَرُّ زَادٍ ^(٧)

(١) هكذا في «م» : «وَالْمُوطَأُ .. ومعنى خَرَّ بالمهْد : نقضه وغَرَبَه .. ولي «ط» : «تَحَفَّرَ» وهي بمعنىها .

(٢) في «م» : «إِلَّا سُلْطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ» .. والحدث رواه مالك في موطئه في كتاب الجهاد ، باب ماجاء في القتل ص ٤٦٠ ط دار الكتاب المصري .

(٣) في «م» : «لَا» بدون واو المطف .. وَرَحْبُ الذَّرَاعَيْنِ : واسع القوة .

(٤) رَقَمَ عَلَى بِسَاطِهِ : كتب عليه .. والبيتان من البسيط .

(٥) هكذا في «م» و «ط» .. والشطرة الأولى في المستطرف - ج ١ ص ٢٣٦ : «تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَنَبِّهٌ» .

(٦) في «ط» : «أَنْشَدَنَا» بدون عطف .. وأبو عبد الله الدامغانى هو : محمد بن علي بن حسن بن عبد الملك ، أبو عبد الله الدامغانى ، شيخ الحنفية في زمانه ، وتبع بقاضى القضاة ، وُلِدَ بِدَامَغَانَ - بلد بين الرى وبنيسابور - سنة ٣٩٨ هـ - وفى معجم البلدان سنة ٤٠٠ هـ - وتفق بها وبنيسابور ، ثم ببغداد سنة ٤١٨ هـ ، وولى بها القضاء سنة ٤٤٧ هـ ، وطالت أيامه ، وكان مثل القاضى أبى يوسف فى أيامه حشمة وجاهاً وسؤدداً وعقلاً ، وبقي فى القضاء ثلاثين سنة ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٧٦ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٠٩ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٤٣٣ مادة «دَامَغَانَ»] .

(٧) البيتان من المتقارب .. ويوم المعاد ، ويوم القصاص : يوم القيامة .

وَقَالَ سَخْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ ^(١) : كَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ ^(٢) يَقُولُ : مَا هَبْتُ شَيْئًا قَطُّ هَبْتَنِي رَجُلًا ظَلَمْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَقُولُ لِي : حَسْبُكَ اللَّهُ ^(٣) ، اللَّهُ بَنِي وَبَيْتِكَ . وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ ^(٤) : اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ . وَقَالَ أَبُو سَلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ : لَمَّا دَخَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٥) عَرَفَهُمْ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ بَرْقَعٌ ، فَحَلَا بِكَبِيرِهِمْ ، وَكَانَ ابْنُ خَالَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَمَّ ^(٦) أَوْصَاكَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : بِأَرْبَعٍ ، قَالَ : وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ : يَا بَنِي لَا تُتَّبِعْ هَوَاكَ فَتَفَارِقَ إِيْمَانَكَ ، فَإِنَّ الْإِيْمَانَ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالْهَوَى يَدْعُو إِلَى النَّارِ ، وَلَا تُكْثِرْ مَنْطِقَكَ بِمَا ^(٧) لَا يَغْنِيكَ فَتَسْقُطَ

(١) هو : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التَّوْحِي ، الملقَّب بِسَخْنُون ، قاضٍ وفقه مالكي ، انتبث إليه رئاسة العلم في المغرب ، وكان عفيف النفس زاهداً ، لاياب سلطاناً في حق بقوله ، وُلِدَ في القيروان سنة ١٦٠ هـ ، وولي القضاء بها سنة ٢٣٤ هـ ، واستمر إلى أن توفي سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨٢ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٣٤٠ ، وقضاة قرطبة للخشني ، صفحات متفرقة ، وجذوة المقتبس ، صفحات متفرقة ، وشنرات الذهب ج ٢ ص ٩٤ ، وطبقات الشيرازي ص ١٦٠ ، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٣٧] .

(٢) في « ط » : يزيد بن حاتم الحكيم .. وفي « م » : يزيد بن حكيم ، والأخير تحريف من « حاتم » .. وهو : يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، أبو خالد ، أمير ، من القادة الشجعان في العصر العباسي ، ولي الديار المصرية سنة ١٤٤ هـ للمنصور ، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر ، وصرفه المنصور سنة ١٥٢ هـ ، ثم ولّاه إفريقية سنة ١٥٤ هـ ، فوجه إليها وقاتل الخوارج ، واستقر بها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، قضى في خلالها على أكثر من الفتن . وتوفي بالقيروان سنة ١٧٠ هـ . وكان جواداً مملوحاً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٨٠ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٢٠١ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٢١ - ٣٢٦ ، وخزانة الأدب للبغدادى ج ٦ ص ٢٩٠ - ٢٩٦ ، وفيها إشارة إلى قوله : « ما هبت شيئاً .. الخ »] .

(٣) الحسب : المحابيب .. وفي « م » : « حَسْبُكَ اللَّهُ » أى : كافيك .

(٤) هكذا في « م » وفي الحلية .. وفي « ط » : « ابن سعيد » خطأ . وهو من العبَّاد الزاهدين ، وكان واعظاً ومُحدِّثاً .. قال عبد الله بن المبارك : كان محل بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بن أبي الحسن بالبصرة . [انظر ترجمته وأقواله في حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٢١ - ٢٣٤] .

(٥) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٦) في « م » : « بما » لاتصح ، فاليم هنا استفهامية سُبقت بحرف جر ، فتحذف ألفها . ومثلها : عَمَّ ، ومِمَّ ، وعلام الخ ..

(٧) في « م » : « بما » فيما .

مِنْ عَيْنِهِ ، وَلَا تُسِئْ بِرَبِّكَ الظَّنَّ فَلَا يَسْتَجِيبَ لَكَ ، وَلَا تُكُنْ ظَالِمًا فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَمْ تَخْلُقْ لِلظَّالِمِينَ .

وَبَكَى عَلَى بَنِي الْفَضِيلِ ^(١) يَوْمًا ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَكِيكَ ؟ فَقَالَ : أَبْكِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي إِذَا وَقَفَ غَدًا ^(٢) بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ تُكُنْ ^(٣) لَهُ حُجَّةً .

وَلِمَحْمُودِ الْوَرَّاقِ ^(٤) :

إِنِّي وَهَبْتُ لِظَالِمِي ظُلُمِي وَتَرَكْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي ^(٥)
وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ جِلْمِي ^(٦)
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِخْرَاسَانِي قَابَ مُضَاعَفِ الْجُرْمِ ^(٧)
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وَغَدَا بِكَسْبِ الدَّمِّ وَالْإِنِّمِ ^(٨)
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحُمُهُ حَتَّى رَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ ^(٩)
وَكَاثِمًا الْإِحْسَانَ كَانَ لَهُ وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ

(١) في « م » : « الفضل » خطأ .. وهو علي بن الفضل بن عياض ، من كبار الصالحين .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٩٧ - ٣٠٠ ، وانظر طبقات الأولياء ص ٢٧٠] .

(٢) قوله : « غدا » عن « ط » .

(٣) في « ط » : « يمكن » بالياء .

(٤) مر التعريف به .. والأبيات من الكامل ، وقد وردت في العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٣ صفة الحلم وما يصلح له .

(٥) في العقد الفريد : « غفرت » مكان « وتركت » .

(٦) أسدئ إلى هذا : قلتم إلى معروفاً .

(٧) هكذا البيت في « ط » .. وجاء البيت في « م » : مكسوراً ، حيث سقطت منه كلمة « وإحساناً » .. وفيه « ضاد » مكان « قاف » . والبيت في العقد الفريد :

رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِخْرَاسَانِي إِلَى مُضَاعَفِ الْعُتْمِ .

(٨) في العقد الفريد : « بكسب الظلم والإثم » .

(٩) في « م » : « يظلمني فأرحمه » . وترتيب هذا البيت في العقد الفريد بعد الذي يليه ، وأوله : « وما زال » والواو هنا زيادة لاتصح ، فيها ينكسر الوزن .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرِي». وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْ قَوْمِ يُوسُفَ تَرَادُّوا الْمُظَالِمَ ^(٢)، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ ^(٣) لَيَقْلَعُ الْحَجَرَ مِنْ أَسَاسِهِ فَيَرُدُّهُ إِلَى صَاحِبِهِ. وَقَالَ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ^(٤): الْحَجَرُ فِي النَّبْيَانِ مِنْ غَيْرِ جِلِّهِ غُرْبُونَ عَلَى خَرَابِهِ ^(٥). وَقَالَ غَيْرُهُ: لَوْ أَنَّ الْجَنَّةَ - وَهِيَ ذَارُ الْبَقَاءِ - أُسْسَتْ عَلَى حَجَرٍ مِنْ الظُّلْمِ لَأَوْشَكَ أَنْ تَحْرَبَ. وَقَالَ الْحَكِيمُ: الْعَدْلُ حُرْمَةٌ، وَالظُّلْمُ ظُلْمَةٌ، فَالْعَدْلُ ^(٦) يَجْرُ إِلَىكَ الْحَوَائِجُ، وَبِالْجَوْرِ تَهْجُمُ عَلَيْكَ الْجَوَائِعُ ^(٧)، فَاحْذَرْ مَنْ لَا جُنَّةَ ^(٨) لَهُ إِلَّا الثُّقَّةَ بِنَزُولِ الْغِيَرِ، وَلَا سِلَاحَ لَهُ إِلَّا الْإِتِّهَالَ إِلَى مَقْلَبِ الدُّوَلِ.

قَالَ ^(٩) مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: يَا مَعْشَرَ الظُّلَمَةِ ^(١٠)، لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُونِي ذَكَرْتُهُمْ بِرَحْمَتِي، وَإِذَا ذَكَرْتُمُونِي ذَكَرْتُكُمْ بِلَعْنَتِي.

(١) مابين المحققين عن «ط».

(٢) تَرَادُّوا الظالم: رد كل واحد منهم ما أخذه من أخيه ظلماً.

(٣) في «ط»: «حتى إن كان الرجل».

(٤) في «م» و«ط» كليهما: زيد مكان يزيد وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، حيث ورد قوله هنا في الحلية منسوباً إليه، وقد شبه على المصنف بثور بن زيد شيخ مالك، وهو غير ثور بن زيد.. وهو: أبو خالد ثور بن يزيد الحمصي، أحد الحفاظ، روى عن خالد بن معدان، وعطاء، وطائفة، وروى عنه يحيى القطان وأبو عاصم وغيرهما.. قال أحمد بن حنبل: كان ثور يرى القدر.. وكان أهل حمص نفوه وأخرجوه وأحرقوا داره لكلامه في القدر.. وتوفي سنة ١٥٣ هـ.

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٠٢، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٧٤، ٧٥، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٩٣ - ١٠٠، وج ٥ ص ٢١٠ وما بعدها، وشنوات الذهب ج ١ ص ٢٣٤].

(٥) في الحلية: «عربون خرابه».

(٦) في «م»: «والعدل»: ويحجب.

(٧) في «ط»: «والجور يهجم عليك الجوائح».. والجوائح: المصائب، مفردتها: جائحة.

(٨) الجُنَّة: السترة، وكل ما وقى، من سلاح وغيره.

(٩) في «م»: «وقال».

(١٠) في «م»: «الظلماء»: على وزن فُعلاء.. وكلاهما صحيح.

والظلمة: المانعون أهل الحقوق حقوقهم.

[انظر لسان العرب مادة «ظلم»، والفصل في ألوان الجُمُوع ص ٧٣].

وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ ^(١) : يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ وَعَرَفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْزِعُوا مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتٍ ^(٢) حُمِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلَ مَا ظَلَمُوا ، حَتَّى يَرِدُوا الدَّرَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ . وَمِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ ^(٣) مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أَنَاسٍ ، وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ ، قَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَجِ ! فَقَالَ ^(٤) : أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِنْ اللَّهُ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا » ^(٦) .

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَقْرَأُ الْعِلْمَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ : كَانَ هَا هُنَا شَيْخٌ كَانَ ^(٧) عَيْنًا لِلْمَكَّاسِينَ ، يَدُورُ حَوْلَهُمْ ، فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟

(١) هو : صَدْقُ بْنُ عَجَلَانَ بْنِ الْحَارِثِ - وقيل : ابن وهب - الباهلي ، صحابي ، غلبت عليه كُنْيَتُهُ ، وكان مع عليٍّ في « صِفَيْنَ » ، وسكن الشام ، وتوفي في أرض جنص سنة ٨١ هـ ، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة ، وله في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٠٣ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦ وج ٦ ص ١٦ ، ١٧ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٣٦٦ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٢٠ ، وكتاب المجرم والتعديل ج ٤ ص ٤٥٤] .
(٢) في « م » : « فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَنَاتٍ » .

(٣) هو : هشام بن حكيم بن حزام بن مخويل القرشي ، الأسدي ، صحابي ابن صحابي ، أسلم يوم الفتح ، ودخل الشام في أيام الفتوح ، وعاش كالسائح ، لم يتخذ أهلاً ، ولا كان له ولد ، وكان ينتقل ومعه نفر من أهل الشام للإصلاح والنصيحة ، والترغيب بالخير والزجر عن الشر ، وليس لأحد عليهم إمارة .. وتوفي بعد سنة ١٥ هـ قبل أبيه حكيم .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٨ - ٤٠٠ ، والمعارف ص ٢١٩ وص ٣١١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٤] .

(٤) في « ط » : « قَالَ » .

(٥) في « ط » : « أَلَيْسَ » .

(٦) رواه مسلم في كتاب البر ، باب الوعد الشديد لِمَنْ عَذَّبَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقِّ ج ١٦ ص ١٦٧ بشرح النووي .. ورواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفتى ، باب في التشديد في جباية الجزية ج ٣ ص ١٦٦ .

(٧) في « م » : « شَيْخٌ عَيْنًا » والأخيرة بالنصب على تقدير فعل الكينونة .. وفي « ط » : « يَكُونُ عَيْنًا » . وكان عيناً للمكَّاسين : كان جاسوساً للمكَّاس وغيرهم الذين يجيئون المكوس « الضرائب » من التجار .

فَقَالَ لِي ^(١) : لَا تَسْأَلْ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَا تَسْأَلْ ^(٢) ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : مِنْ الْجَحِيمِ . فَقُلْتُ لَهُ : فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قَالَ : إِلَى مِثْلِ الدَّارِ الَّتِي خَرَجْتُ مِنْهَا . قُلْتُ : فَكَيْفَ لَقِيتَ ؟ قَالَ : وَمَاذَا لَقِيتُ ؟ كَانَ لَحْمِي قَدْ جُعِلَ فِي هَاوُنٍ ^(٣) وَدُقَّ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْمَخِّ ^(٤) .

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، قَالَ : رَأَيْتُ فَلَانًا الْبَيْعَ فِي التَّوَمِ بَعْدَ وَقَاتِهِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ .

قَالَ : أَنَا مَحْبُوسٌ عَنِ الْجَنَّةِ . قُلْتُ : فِيمَاذَا ؟ قَالَ : كُنْتُ أُبِيعُ فِي الدُّكَّانِ فَيَزِدُّجُمُ النَّاسُ عَلَيَّ ، فَأَتَّخِذُ دَرَاهِمَهُمْ فَأَضَعُهَا فِي فَمِي ، وَكُلَّمَا تَفَرَّغْتُ ^(٥) وَرَزَتْهَا وَأُعْطِيتُ كُلَّ إِنْسَانٍ حَقَّهُ ، فَأَخْتَلَطْتُ فِي فَمِي الْفَضْلَاتِ ^(٦) ، فَجَاءَ اثْنَانِ ، فَدَفَعْتُ ^(٧) لِأَحَدِهِمَا بِفَضَّةٍ الْآخَرِ ، وَكَانَتْ أُنْقَصَ مِنْ فَضَّتِي بِحَبَّةٍ ، ثُمَّ حُوسِبْتُ فَبَقِيَ عَلَيَّ حَبَّةٌ ، فَقُلْتُ ^(٨) : فَأَذْفَعُ لَهُ الْحَبَّةَ وَتَخْلُصُ ، فَجَعَلَ يَقْلُبُ كَفِّهِ وَيَقُولُ : مِنْ أَيْنَ أَذْفَعُ لَهُ ؟ مِنْ أَيْنَ أَذْفَعُ لَهُ ؟ فَكَرَّرَهَا مَرَّاتٍ ^(٩) .

وَيُرْوَى أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا بُذِيَ بِالْعَرَاءِ ، وَأُتِيتُ اللَّهُ عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِنْ يَفْعُطِينَ ^(١٠) كَانَ يَأْوِي إِلَى ظِلِّهَا ، فَبَيَسَتْ ، فَبَكَى عَلَيْهَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ :

(١) لِي ، عَنْ « ط » .

(٢) قوله : « فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَا تَسْأَلْ » عَنْ « ط » . ولم ترد في « م » .

(٣) الهاوون ، بضم الواو ويفتحها : وعاء مجوف من الحديد أو النحاس يُدَقُّ فِيهِ .

(٤) الشخ : بقى العظم ، أو ما أُخْرِجَ مِنَ الْعَظْمِ .

(٥) أَي : تَخَلَّيْتُ لَهَا .

(٦) الفضلات : ما بقى وَفَضَّلَ .. وفي « م » : « الْفَضْلَانِ » .

(٧) قوله : « فَجَاءَ اثْنَانِ » عَنْ « ط » .. وفي « م » : « وَدَفَعْتُ » .

(٨) فِي « م » : « قُلْتُ لَهُ » .

(٩) فِي « م » جَاءَ قَوْلُهُ : « مِنْ أَيْنَ أَذْفَعُ لَهُ » مَرَّةً وَاحِدَةً لِمَرَّتَيْنِ .. وَفِيهَا : « يَكْرَرُهَا » مَكَانَ « فَكَرَّرَهَا » .

(١٠) الْيَفْعُطُونَ : مَا لَا سَاقَ لَهُ مِنَ النَّبَاتِ ، كَالْقِثَاءِ وَالْبَطِيخِ وَنَحْوِهَا ، وَغَلِبَ عَلَى الْفَرْعِ .

تَبْكِي عَلَى شَجَرَةٍ فَقَدْنَهَا وَلَا تَبْكِي عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ أَرَدْتَ أَنْ أَهْلِكَهُمْ ؟ وَقِيلَ لِابْنِ السَّمَاكِ الْأَسَدِيِّ ، أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : بَيْنَ مَظْلُومٍ لَا يَتَصِفُ وَظَالِمٍ لَا يَنْتَهِي . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفْقَرُ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ كَسْبًا مِنْ حَرَامٍ ، لِأَنَّهُ اسْتَدَانَ بِالظُّلْمِ مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رَدِّهِ . وَقَالَ رَجُلٌ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَذَكَرَ الْحَجَّاجُ فَسَبَّيْتُهُ وَوَقَعْتُ فِيهِ ^(١) ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنْ الرَّجُلُ لَيَظْلِمُ بِالْمَظْلَمَةِ فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَشْتُمُ الظَّالِمَ وَيَسْبُوهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ ، فَيَكُونُ لِلظَّالِمِ حَقٌّ عَلَيْهِ ^(٢) .

وَقَالَ عُمَرُو بْنُ دِينَارٍ ^(٣) : نَادَى رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٤) : مَنْ رَأَى فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا ، وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ ذِرَاعُهُ مِنْ عَضِيدِهِ ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ : مَنْ رَأَى فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : يَتِمُّنَا أَنَا أُسِيرٌ ^(٥) عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي بَعْضِ سَوَاحِلِ الشَّامِ إِذْ مَرَزْتُ بِبَطْنِي ^(٦) قَدْ اصْطَلَدَ تِسْعَةَ أُنْوَانٍ ^(٧) ، فَأَخَذْتُ مِنْهُ ثَوْبًا وَهُوَ كَارِهِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبْتُ رَأْسَهُ ، فَغَضَّ الثَّوْبُ إِنْهَامِي عَضَّةً يَسِيرَةً ، ثُمَّ أَكَلْنَاهُ ، فَوَقَعَتْ الْأَكْلَةُ فِي إِنْهَامِي ^(٨) ، فَانْفَقَتِ الْأَطْبَاءُ عَلَى قَطْعِهِ ، فَقَطَعْتُهُ ^(٩) ، فَوَقَعْتُ فِي كَفِّي ثُمَّ

(١) وقع فيه : شتمه وعابه .

(٢) في م م : : فَضَّلَ عَلَيْهِ .

(٣) هو : عمرو بن دينار ، الجُمُحِيُّ بالولاء ، أبو محمد الأثرم ، فقيه ومُحَدِّث ، كان مفتى أهل مكة ، فارسي الأصل ، ولد بصنعاء سنة ٤٦ هـ ، وتوفي بمكة سنة ١٢٦ هـ - وقيل سنة ١٢٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٧ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٨ ، ٥٩ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٨ ، ٦٩ ، والمعارف ص ٤٦٨] .

(٤) قوله : « نادى رجل ... » وما بعده عن « ط » .. وفي م م : « إن الرجل في بني إسرائيل يقول : من رأى فلا يظلمنَّ أحدًا .. فُسِّلَ عن حالة .. » وسأقي .

(٥) « أسير » عن « ط » ولم ترد في م م .

(٦) نسبة إلى التَّجْبِيط . والأنباط - أو النبط - شعب سابي كانت له دولة في شمال الجزيرة العربية ، وعاصمتهم « سَلْع » وتُعرف اليوم بالبراء .

(٧) أُنْوَانٌ : جمع نون ، وهو الحوت ، أو السمكة الكبيرة .

(٨) الْأَكْلَةُ وَالْأَكْلَةُ : الْحِكْمَةُ .. ووقعت فيه : أغرته وأفسدته .

(٩) في م م : « على قطعها فقطعتها » وكلاهما صواب ، فالأصحح لُذْكَرُ وَتَوَلَّتْ .

سَاعِدِي ^(١) ، ثُمَّ عَضِدِي ، فَمَنْ رَأَى فَلَا يَظْلِمُنْ أَحَدًا ، فَخَرَجْتُ أَسِيحُ فِي الْبِلَادِ ،
وَأُرِيدُ قَطْعَ عَضِدِي إِذْ رُمِيتُ لِي شَجَرَةٌ ، فَأَوَيْتُ إِلَى ظِلِّهَا ، فَتَعَسْتُ ، فَقِيلَ لِي فِي
الْمَنَامِ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَقْطَعُ أَعْضَاءَكَ ؟ رُدَّ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجِئْتُ الصَّيَادَ فَقُلْتُ لَهُ ^(٢) :
يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَنَا مَمْلُوكُكَ فَأَغْنِنِي ، فَقَالَ : مَا أَعْرِفُكَ . فَأُخْبِرْتُهُ ، فَبَكَى وَتَضَرَّعَ
وَقَالَ : أَنْتَ فِي حِلٍّ . فَلَمَّا قَالَهَا تَنَاقَرُ ^(٣) الدُّودُ مِنْ عَضِدِي ، وَسَكَنَ الرُّوجُ . فَقُلْتُ
لَهُ : بِمَاذَا دَعَوْتَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : لَمَّا ضَرَبْتَ رَأْسِي وَأَتَّخَذْتُ السَّمَكَةَ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ
وَبَكَيتُ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ عَدْلٌ ، تُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَهَذَا مِنْكَ عَدْلٌ ^(٤) وَأَنَّكَ
الْحَقُّ ، تُحِبُّ الْحَقَّ ، وَخَلَقْتَنِي وَخَلَقْتَهُ ، وَجَعَلْتَهُ ^(٥) قَوِيًّا وَجَعَلْتَنِي ضَعِيفًا ، فَأَسْأَلُكَ
يَا مَنْ ^(٦) خَلَقْتَنِي وَخَلَقْتَهُ أَنْ تَجْعَلَهُ عِبْرَةً لِحَلْفِكَ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَمْرِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْإِتْقَامِ ، وَإِنْ أَنْقَصَ النَّاسَ عَقْلًا
مَنْ ظَلَمَ مِنْ دُونِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الظُّلْمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ^(٧) : ظَلَمَ لَا يَعْفُرُهُ
اللَّهُ ، وَظَلَمَ لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ ، وَظَلَمَ لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ ^(٨) ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَعْفُرُهُ اللَّهُ فَهُوَ
الشَّرْكُ بِاللَّهِ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ فَمَطَّالِمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَمَّا الظُّلْمُ
الَّذِي لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ فَظُلْمُ الْعَبِيدِ مَا ^(٩) بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) فِي د م : : فِي كَفْ ثَم فِي سَاعِدِي .

(٢) فِي ط : : دَقُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ .

(٣) فِي د م : : تَنَاقَرَتْ .

(٤) قَوْلُهُ : : تُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَهَذَا مِنْكَ عَدْلٌ عَنْ ط .

(٥) قَوْلُهُ : : وَجَعَلْتَهُ عَنْ ط .

(٦) فِي د م : : : فَأَسْأَلُكَ بِالَّذِي .

(٧) فِي د م : : : الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ .

(٨) فِي ط : : : لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ شَيْئًا .

(٩) د م : : : عَنْ ط .

وَقَالَ مِمَّنْ بَنُ مِهْرَانَ : مَنْ ظَلَمَ رَجُلًا مَظْلَمَةً فَقَاتَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا فَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ، رَجَوْتُ ^(١) أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَظْلَمَتِهِ . وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ ^(٢) : تُؤْفَى رَجُلٌ مِنَ الْحَوَائِيَيْنِ فَوَجَدُوا ^(٣) عَلَيْهِ وَجْدًا شَدِيدًا ، وَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى ^(٤) الْمَسِيحِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥) ، فَوَقَّفَ عَلَى قَبْرِهِ وَدَعَا ، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي رِجْلَيْهِ تَغْلَانِ مِنْ نَارٍ ، فَسَأَلَ عِيسَى ^(٦) عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَصَيْتُ قَطُّ ، إِلَّا أَنِّي مَرَزْتُ بِمَظْلُومٍ فَلَمْ أُنْصَرِّهِ ، فَتَعَلَّتْ هَاتَيْنِ التَّغْلَيْنِ ^(٧) . وَأَمَّا أَنَا فَأَوْصِيكَ إِذَا فَعَلْتَ بِأَحَدٍ مَكْرُومًا فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ ^(٨) وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ، كَمَا فَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٩) لَمَّا آذَى هَارُونَ وَأَخَذَ يَلْحِقِيهِ وَرَأْسِيهِ ^(١٠) ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بَرَاءَتُهُ ، وَأَنْ ^(١١) بَنَى إِسْرَائِيلَ غَلْبُوهُ عَلَيْهِ وَعَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَذْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(١٢) .

(١) في م : : : : : كلاءه : بالكاف مكان : صلاة : تحريف من الناسخ .. وفيها : : : : : وجب : مكان : رجوت : :
(٢) هو : يوسف بن أسباط الشيباني ، الزاهد الواعظ ، رَوَى عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ الشَّيْبِيُّ بْنُ وَاضِحٍ ، وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ حَبِيبٍ الْأَنْطَاكِيَّ .. وَقَدْ بَحِثَ بَنُ مَعِينٍ .. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : : : : : كَانَ قَدْ دَفِنَ كَتَبَهُ ، فَكَانَ لَا يَمْسِيهِ بِحَدِيثِهِ كَمَا يَبْغِي .

[انظر طبقات الصوفية ص ٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤٦٢ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٥٣]
(٣) وَجَدُوا : حَزَبُوا .

(٤) في م : : : : : على : تحريف .

(٥) في ط : : : : : صلى الله عليه وسلم .

(٦) عيسى : عن ط : .

(٧) تَعَلَّتْ : لَبَسَتْ الثَّغْلَ . وفي م : : : : : فَعَلَتْ هَاتَيْنِ التَّغْلَيْنِ .

(٨) له : عن ط : .

(٩) في م : : : : : صلى الله عليه وسلم .

(١٠) أَخَذَ يَلْحِقِيهِ وَرَأْسُهُ : جَذَبَهُ مِنْ شَعْرِ لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ ، وَذَلِكَ حِينَمَا عَادَ مُوسَى مِنْ مُنَاجَاةِ رَبِّهِ فَوَجَدَ قَوْمَهُ قَدْ أَضَلُّوا السَّابِقَ بِمَجْلِهِ فَصَلُّوا ، فَغَضِبَ مُوسَى عَلَى أَخِيهِ لِأَنَّهُ أَمَرَهُ أَنْ يَخْلُفَهُ فِي قَوْمِهِ ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَصَرَ فِي الْإِطَاعَةِ بِوَجْهِهِ عَنْهُمْ ، فَقَالَ لِأَخِيهِ : أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ تَخْلُفَنِي فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَأَنْ تَصْلَحَ فِيهِمْ ؟ فَمَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ اغْتَدَعُوا بِكَ السَّابِقَ وَخَلُّوا بِاتِّبَاعِهِ ، وَمَالُوا إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ أَنْ تَبْجُنِي وَتَلْحَقَ فِي تَخْفِرِي بِمَالِهِمْ ؟ فَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ نَصَحَهُمْ وَأَمَرَهُم بِالْإِتِّبَاعِ عَلَى دِينِهِمْ ، فَصَوَّهُ ..

[انظر سورة طه ، الآيات من ٨٥ وما بعدها .. وسورة الأعراف ، الآيات من ١٤٨ وما بعدها] .

(١١) في م : : : : : فَإِنَّ : .

(١٢) سورة الأعراف - الآية ١٥١ .

وَرَوَى أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ كَانَتْ فِيهِمْ عَشْرٌ خِصَالٍ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) بِهَا : كَانُوا يَتَغَوَّطُونَ ^(٢) فِي الطَّرْقَاتِ ، وَتَحْتَ الْأَشْجَارِ الْمُتَمِرَةِ ، وَفِي الِغِيَاءِ الْجَارِيَةِ ، وَفِي شُطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَكَانُوا يَحْدِفُونَ ^(٣) النَّاسَ بِالْحَصَى فَيُدْمِئُونَهُمْ ^(٤) ، وَإِذَا اجْتَمَعُوا فِي الْمَجَالِسِ أَظْهَرُوا الْمُنْكَرَ بِإِخْرَاجِ الرِّيحِ مِنْهُمْ ، وَاللُّطَمِ عَلَى رِقَابِهِمْ ، وَكَانُوا يَرْفَعُونَ ثِيَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَغَوَّطُوا ، وَيَأْتُونَ بِالطَّامَةِ ^(٥) الْكُبْرَى ، وَهِيَ اللَّوَاطَةُ ^(٦) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ائْتِكُمْ لِقَائِكَ الرُّجَالِ وَلْتَقَطُوا السَّبِيلَ وَتَأْكُلُوا فِي نَادِيِكُمْ الْمُنْكَرَ ﴾ ^(٧) . وَالتَّادِي : الْمَجْلِسُ . وَيَلْعَبُونَ بِالْحَمَامِ ، وَيَرْمُونَ بِالْجَلَامِقِ ^(٨) وَضَرْبِ الدُّفِّ ^(٩) ، وَشَرْبِ الْخَمْرِ ^(١٠) ، وَفَصِّ اللَّحْيَةِ ، وَتَطْوِيلِ الشَّارِبِ ، وَالتَّصْفِيقِ ، وَلُبْسِ الْخُمُرَةِ ^(١١) وَتَزْيِيدِ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِإِثْنَيْنِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(١٢) ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى إِثْنَيْنِ الرُّجَالِ أَنَّهُمْ كَانَتْ لَهُمْ بُنَارٌ كَثِيرَةٌ فِي مَنَازِلِهِمْ وَحَوَائِطِهِمْ ^(١٣) فَأَصَابَهُمْ فَخْطٌ وَقَلَّةٌ مِنَ الثَّمَارِ ، فَقَالُوا : يَا بَى

(١) تعالى ، عن د م .

(٢) في د م ، و ط : عشرة خصال .. خطأ في اللغة ، والصواب ما أثبتناه . وكلمة يتغوطون : يهزؤون .

(٣) يحدفون : يقلفون .

(٤) أى : حتى يسيل منهم الدم .. وفي د م : فيمورونهم ، أى : يصيرونهم غورا .

(٥) في د م : الطامة ، أى : الداهية العظيمة .

(٦) اللوطة : نوع من الشنوذ الجنسي .. وفي د م : اللوطة ، مصدر صناعي من : لاط يلوط ، إذا غيل

عَمَل قَوْم لوط .

(٧) سورة العنكبوت ، من الآية ٢٩ .

(٨) الجلامق : جمع جملق ، وهى : القوس - فارسي معرب - وفي ط : بالجلالق ، وهو : البندق الذى

ترمى به .. أو هو الطين المتكور الأملس .. وهى أيضاً لفظة فارسية مُعَرَّبَةٌ .

(٩) الدف : آلة من آلات الطرب .. وضرب الدف : التقر عليه .

(١٠) في ط : الخمر .

(١١) الخُمُرَةُ : اللون الأحمر .

(١٢) في ط : إثنين النساء بعضهن بعضاً .

(١٣) حوائطهم : مساكنهم .

شَيْءٍ نَمْنَعُ يَمَارَنَا حَتَّى لَا يَطْرُقَهَا ^(١) أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ مَنْ وَجَدُوهُ فِيهَا لَكَحُوهُ وَغَرَمُوهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، فَفَعَلُوا ، وَمَا سَبَقَهُمْ بِهَا أَحَدٌ ^(٢) مِنَ الْعَالَمِينَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَكَانَ بَدْءُ الْفَاجِشَةِ فِيهِمْ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِذَلِكَ ، فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ صَبِيٍّ أَجْمَلَ شَيْءٍ رَأَاهُ النَّاسُ ^(٣) ، فَتَكَحُّوهُ وَتَجَرَّعُوا ^(٤) عَلَى ذَلِكَ .
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوُؤْمٌ وَلَكِنَّ الْمُسِيءَ هُوَ الظُّلْمُ
إِلَى دَيَّانٍ يَوْمَ الدِّينِ لَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَبِيلَ الْأَيَّامِ عَنْ أُمِّهِ تَقْضَتْ فَتَحْبِرَكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

وَرَوَى أَنَّ أُتُوشِيرَوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّأْدِيبِ ، فَعَلَّمَهُ حَتَّى فَاقَ فِي الْعُلُومِ ^(٥) ، فَضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ ، فَحَقَّقَ أُتُوشِيرَوَانُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَلَّى الْمُلْكَ قَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ مِنْ ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ظُلْمًا ؟ قَالَ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تُرْغَبُ فِي الْعِلْمِ رَجَوْتُ لَكَ الْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيكَ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَذِيقَكَ طَعْمَ الظُّلْمِ لِئَلَّا تُظْلِمَ ، فَقَالَ أُتُوشِيرَوَانُ : زَهْ ^(٦) .

(١) يطرقها : يأتيها ويسلك إليها .

(٢) في م م : : مِنْ أَحَدٍ .

(٣) في م م : : أَجْمَلَ مَا يَكُونُ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ رَأَاهُ النَّاسُ .

(٤) في م م : : وَجَرَعُوا .

(٥) فاق في العلوم : تَفَوَّقَ فِيهَا .

(٦) زَهْ : كلمة فارسية تُقال عند الاستحسان ، وقد تُقال عند الاستهجان معكًا وسُخرية .. وهي هنا

للاستحسان .. ولي م م : : زاه تعريف .

البَابُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي تَحْرِيمِ السَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَقَبْحِهِمَا وَمَا يَقُولُ إِلَيْهِ

أَمْرُهُمَا مِنَ الْأَفْعَالِ الرَّدِيئَةِ وَالْعَوَاقِبِ الذَّمِيمَةِ (٥)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَطْغَ كُلُّ حَلَالٍ مَهِينٍ * هُمَا زِيَارَةُ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُغْنٍ أَيْمٍ * عَتَلٌ يَغْدُ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ (١) ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ أَصْنَافَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِنْحَادِ ، وَالتَّثْلِيثِ وَأَهْلِ الذُّهْرِ (٢) وَالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ وَأَشْبَاهَهُمْ ، وَلَمْ يَسُبَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا مِنْهُمْ ، إِلَّا التَّعَامُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَحَسْبُكَ بِهَا حِسَّةٌ (٣) وَرَذِيلَةٌ وَسُقُوطًا وَضَعَةٌ (٤) . وَهَذِهِ الْآيَةُ تَزَلَّتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ (٥) فِي أَصَحِّ الْأَقْوَالِ . وَالْهَمَّازُ :

(٥) فِي « م » : « النَّمِيمَةُ وَالسَّعَايَةُ .. وَالْأَخْلَاقُ الذَّمِيمَةُ وَمَعْنَى السَّعَايَةِ : الْوَشَايَةُ .

(١) سُورَةُ الْقَلَمِ ، الْآيَاتُ مِنْ ١٠ - ١٣ .. وَالْحَلَالُ : الْكَثِيرُ الْحَلِيفُ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالتَّهْنِيزُ : الْحَقِيرُ فِي الرَّأْيِ وَالْتِهْمِيزُ ، أَوْ الْكُذَابُ . وَالْهَمَّازُ : الْعِيَابُ ، أَوْ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ .. وَمَشَاءٌ بَنَمِيمٍ : يَسْمَى بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ وَالْإِنْسَادِ .. وَالْعَتَلُ : الْعَلِيظُ الْجَافُ ، أَوْ الْفَاحِشُ اللَّغِيمُ .. وَالزَّيْمُ : الدَّعِيُّ الْمُلْتَصِقُ بِقَوْمِهِ ، أَوْ الشَّرِيرُ ، وَسَتَانِي .

(٢) أَهْلُ التَّثْلِيثِ : النَّصَارَى .. وَأَهْلُ الدَّهْرِ : الدَّهْرِيُّونَ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٣) فِي « م » : « بِفَاحِشَةٍ » وَهِيَ تَحْرِيفٌ مِنْ قَوْلِهِ : « بِهَا خِسَّةٌ » حَيْثُ جَاءَ مَا يَهْدِيهَا مَنْصُوبٌ عَلَى التَّهْمِيزِ ، وَلَوْ كَانَتْ الْأَوَّلَى لَكَانَ الْعَطْفُ عَلَيْهَا بِالْجَرِّ ، وَهَذَا غَيْرُ وَارِدٍ .

(٤) الضَّمَّةُ : الْإِعْطَاطُ وَاللُّؤْمُ وَالِدِنَاعَةُ .

(٥) هُوَ : الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغْفَرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَبُو عَبْدِ فَحْسٍ ، مِنْ قُضَاةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمِنْ زَعَمَاءِ قُرَيْشٍ ، وَمِنْ زَنَادِقِهَا .. وَلِدَ سَنَةَ ٩٥ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَتَوَفَّى فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنْهَا ، وَهُوَ وَالِدُ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٢٢ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٥٥١] .

الْمُعْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ ، الطَّاعِنُ فِيهِمْ . وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : هُوَ الَّذِي يَغْمِزُ بِأَخِيهِ ^(١) فِي الْمَجْلِسِ ، وَهُوَ الْهَمْزَةُ اللَّمَزَةُ . وَالْعُتْلُ فِي اللَّعَةِ : الْعَلِيْظُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعُتْلِ ، وَهُوَ : الدَّفْعُ بِالْقُوَّةِ وَالْعُنْفِ ^(٢) . وَقَالَ عَلِيُّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : الْعُتْلُ : الْفَاحِشُ السَّيِّئُ الْخُلُقِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْعُتْلُ : الْفَاتِكُ الشَّدِيدُ ، الْمَنَافِقُ . وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ : الْعُتْلُ : الْأَكُولُ ، الشَّرُّوبُ ^(٤) الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ ، يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَلَا يَزِنُ شَعِيرَةً . وَقَالَ يَمَانُ ^(٥) : هُوَ الْجَافِي الْقَاسِي اللَّيْمُ الْعَمِيرُ ^(٦) . وَقَالَ مُقَاتِلٌ ^(٧) : الْعُتْلُ : الضَّحْمُ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ ^(٨) : الشَّدِيدُ فِي كُفْرِهِ عِنْدَ الْعَرَبِ عُتْلٌ ^(٩) . وَقِيلَ : الْعُتْلُ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ ، وَالزَّيْنِمُ : هُوَ الَّذِي لَا يُعْرِفُ مَنْ أَبُوهُ .. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ^(١٠) :

(١) يغمز بأخيه : يسعى به شراً .

(٢) في م م م : وهو الدفع بالعنف .

(٣) مابن المعقوفين عن ط .

(٤) الشروب : الكثير الشرب .

(٥) هو الصحابي حُسَيْلٌ - أو حَسْلٌ - بالتكبير - بن جابر بن ربيعة العبسي ، وهو والد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ، واليمان لقب له . قُتِلَ حَسِيلُ يَوْمَ أُحُدٍ خَطَأً ، اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، فَارْتَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ ، فَصَدَّقَ حَذِيفَةُ يَدَيْتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ ، و ج ٥ ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، والمعارف ج ٢٦٣] .

(٦) العسير : الصعب .

(٧) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، من أعلام المفسرين . وقد مرت ترجمته .

(٨) هو : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي ، أبو النظر ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب والأنساب ، وقد أجمعوا على تركه ، وقد اتهم بالكذب والرفض .. ولد بالكوفة ، وبها توفي سنة ١٤٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ١٣٣ ، والمعارف ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٥٦ - ٥٥٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، والعيبر للذهبي ج ١ ص ١٥٨] .

(٩) في م م م : هو : الشديد في كفره ، وكل شديد عند العرب عُتْلٌ .

(١٠) هو : أبو الوليد ، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، من بني النجار ، صحابي ، وأحد المخضرمين الذين أدرکوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، وكان من سكان المدينة ، وعمى قبل وفاته .. لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً ، لأنه كان جباناً ، ويُعَدُّ من فحول الشعراء ، كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر الجانبيين في الإسلام ، وكان شديد المهجاء . توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ =

وَأَنْتَ زَيْنَمٌ يَبْطُ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا يَبْطُ حَلْفُ الرَّكِيبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ ^(١)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

زَيْنَمٌ لَيْسَ يُعْرِفُ مَنْ أَبُوهُ بَغْيُ الْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَيْمٍ ^(٢)

وَقَالَ أَكْثَرُ الثَّقَلَةِ : هَذَا رَجُلٌ إِنَّمَا ادَّعَاهُ أَبُوهُ بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ^(٣) . وَعَنْ هَذَا
قَالَ الْقَدَمَاءُ : لَا يَكُونُ ثَمَامًا إِلَّا وَفَى نَسَبِهِ شَيْءٌ . وَسَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ
بِرَجُلٍ ^(٤) ، وَكَانَ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ لَهُ : انْصَرِفْ حَتَّى أَكْشِفَ عَنْكَ ، فَكَشَفَ
عَنْهُ ^(٥) ، فَإِذَا هُوَ لِغَيْرِ رَشْدَةٍ ^(٦) ، يَعْنِي وَلَدَ زَيْنَى . وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ : لَا يَبْغِي
عَلَى النَّاسِ إِلَّا وَلَدَ بَغْيٍ .

وَقِيلَ : الزَّيْنَمُ الَّذِي لَهُ زَنْمَةٌ ^(٧) فِي عُنُقِهِ يُعْرِفُ بِهَا ، كَمَا تُعْرِفُ الشَّاةُ . قَالَ ابْنُ

= [انظر الأعلام ج ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥ - ٧ ، والمعارف ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، والشعر
والشعراء ج ١ ص ٣٠٥ - ٣٠٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٠ ، وديوان حسان بن ثابت « التمهيد » ص ٩ ط
دار المعارف ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والأغاني ج ٤ ص ١٣٤٨ - ١٣٨٤] .

(١) البيت من الطويل ، وهو من قصيدة يهجو بها حسانُ أباسُفَيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان قد هجا
النبي ﷺ ، فقال النبي : « مَنْ لِهَذَا ؟ » فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَقَالَ
لِحَسَّانَ : اهْجِهْ وَجَبْرِيلَ مَعَكَ ، أَيْنَكَ اللَّهُ بَرُوحَ الْقَدَسِ .

ونبط بالقوم ، أى : ليس منهم ، أو : لا يتعلق بنسبهم .. وَالْقَدْحُ الْفَرْدُ : القَدْحُ الَّذِي يُعْلَقُ فِي آخِرِ الرُّحْلِ عِنْدَ
فَرَاغِهِ مِنْ تَرْخَالِهِ . وَالْمَرَادُ : أَنَّهُ مُؤَخَّرُ فِي الذِّكْرِ .. وَفِي رِوَايَةٍ : « وَكُنْتُ دَجِيًّا » مَكَانَ « وَأَنْتَ زَيْنَمٌ » .. وَفِي الْأَغَانِي :
« وَأَنْتَ هَجِينٌ » .

[انظر ديوان حسان بن ثابت ط دار المعارف ص ١١٨ ، وديوان حسان ط مطبعة السعادة ص ١٣٣ ، واللسان ،
مادة « قَدَح » و « زَم »] .

(٢) البيت من الوافر ، وَذُو حَسَبٍ لَيْمٍ : ليس لأبائه شرف أو مناقب يفخر بها .

(٣) فِي « م » : « ثمانية عشر سنة » لا تسع .

(٤) قوله : « بِرَجُلٍ » عَنْ « ط » .. وَسَعَى بِرَجُلٍ : وَشَى بِهِ . وَبِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ الْأَشْعَرِي ، أَمِيرُ الْبَصْرَةِ
وَقَاضِيهَا . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٥) فِي « م » : « انْصَرَفْ حَتَّى أَكْشِفَ لَكَ عَنْهُ » .

(٦) الرُّشْدَةُ ، بَفَتْحِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ الْمَشْدُودَةِ وَكسرها : صحيح النسب .

(٧) زَنْمَةٌ : لُحْمَةٌ مُثْلِيَّةٌ .

عَبَّاسٌ : لَمَّا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الْحَالِ الْمَذْمُومَةِ لَمْ يُعْرِفْ ^(١) حَتَّى قِيلَ : زَيْمٌ ، فَعَرَفَ ، لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَيْمَةٌ يُعْرِفُ بِهَا ، كَمَا تُعْرِفُ الشَّاةُ بِزَيْمَتِهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ ^(٢) ، نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ^(٣) ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ بَعْدَ الْوُقْعَةِ ^(٤) ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَخَرَجُوا يَتْلُقُونَهُ نَغْظِيمًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَزِعَ وَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : مَنَعُونِي صِدْقَاتِهِمْ وَأَرَادُوا قَتْلِي ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ^(٥) ، ثُمَّ كَشَفَ أَمْرَهُمْ فَوَجَدَ مَا قَالَهُ كَذِبًا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاسِقًا .

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ ^(٦) .. فَشَرَكْ

(١) فِي (م) : « لَمْ نَعْرِفْهُ » .

(٢) فِي (م) : « بِجَهَالَةٍ » تحريف .. وتقام الآية : ﴿ فتصحبوا على ما تعلم نادمين ﴾ وهي الآية السادسة من سورة الحجرات .. ومعنى فاسق : كاذب .. فتبينوا : فتبينوا .. بجهالة : بخطأ .

(٣) هو : الوليد بن عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، أَبُو وَهَبِ الْأُمَوِيِّ ، الْقُرَشِيُّ ، مِنْ فِزْيَانَ قُرَيْشٍ وَشَعْرَانِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ ، فِيهِ ظَرْفٌ وَمَجُونٌ وَهُوَ ، وَهُوَ أَخُو عَثَانَ لِأُمِّهِ ، أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، عَلَى صِدْقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عَمَرَ صِدْقَاتِ بَنِي تَغْلِبَ ، وَوَلَّاهُ عَثَانَ الْكُوفَةَ بَعْدَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ سَنَةَ ٢٥ هـ فَانْصَرَفَ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ إِلَى سَنَةِ ٢٩ هـ فَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ عِنْدَ عَثَانَ بِشَرْبِ الْخَمْرِ ، فَغَزَلَهُ ، وَدَعَا بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَحَسِبَهُ ، وَلَمَّا قُتِلَ عَثَانُ تَحَوَّلَ الْوَلِيدُ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَةِ فَسَكَنَهَا ، وَاعْتَزَلَ الْفِتْنَةَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى عَثَانَ وَحَرَضَ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْأَخْذِ بِأَمْرِهِ . وَمَاتَ بِالرَّقَّةِ سَنَةَ ٦١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٢٢ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٥١ - ٤٥٣ ، والمعارف ص ٣١٨ ، ٣٢٠ .]

(٤) الْوُقْعَةُ : غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ .

(٥) « عَلَيْهِمْ » عَنْ « ط » .. وَكَانَ سَبَبُ غَضَبِهِ ، ﷺ ، أَنَّ عُقْبَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ، ﷺ ، إِلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَبَيَّنَ وَلَا يَتَعَجَّلَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ ، فَانْطَلَقَ خَالِدٌ حَتَّى أَتَاهُمْ لَيْلًا ، فَبَعَثَ عِيُونَهُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا عَادُوا أَخْبَرُوا خَالِدًا أَنَّهُمْ مَتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ ، وَسَمِعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خَالِدٌ ، وَرَأَى صِحَّةَ مَا ذَكَرُوا ، فَقَادَ إِلَى النَّبِيِّ ، ﷺ ، وَأَخْبَرَهُ ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ .

(٦) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٤٢ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ .. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ : يَسْمَعُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ الْكَاذِبِ وَالْمَقْتَرِبَاتِ .. أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ : أَكْأَلُونَ لِلْكُسْبِ الدُّنْيَى وَالْحَرَامِ ، كَالرَّشْوَةِ وَنَحْوِهَا .

مَلْعُونٌ كُلُّ سَفَّارٍ ^(١) مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَانٍ . فَالسَّفَّارُ : الْمُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِي بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ ، وَالْفَتَاتُ : التَّمَامُ ، وَالْمَنَانُ : الَّذِي يَعْمَلُ ^(٢) الْخَيْرَ وَيَمْنُنُ بِهِ .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ » ^(٣) ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرِي مِنَ الْبَوْلِ ^(٤) ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ^(٥) ، فَأَخَذَ ^(٦) جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ^(٧) ، فَعَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسَا » ^(٨) . وَذَلِكَ لِبَرَكَةِ يَدِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا السَّعَايَةُ إِلَى السُّلْطَانِ وَإِلَى كُلِّ ذِي قُدْرَةٍ وَمُكْنَةٍ ^(٩) فَهِيَ الْمُهْلِكَةُ وَالْحَالِقَةُ ، لِإِنِّهَا ^(١٠) تُجْمَعُ إِلَى الْخِصَالِ الْمَذْمُومَةِ الْعُيُوبَةِ وَلَوْ أَنَّ النَّمِيمَةَ ^(١١) ، وَالتَّعْرِيزَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ^(١٢) ، وَالْقَدْحَ فِي الْمَنَازِلِ وَالْأَحْوَالِ ^(١٣) ، وَتَسْلُبُ الْعَزِيزَ عِزَّهُ ، وَتَحْطُ الْمَكِينِ

= [انظر الترغيب والترهيب للمحافظ المنذرى .. ترهيب ذى الوجهين وذى اللسانين ج ٣ ص ٦٠٢ - ٦٠٤ ، وجمع الزوائد للهيتمي ، باب فى ذى الوجهين واللسانين ج ٨ ص ٩٨ ، ٩٩] .

(١) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « سفار » فى الموضوعين ، بالشين المعجمة ، ولم أقف عليها فى نص الحديث فى المصدرين السابقين ، ولا فى الكتب الستة أيضاً .

(٢) فى « م » : « يفعل » .

(٣) أى : أنهما لم يعذباً فى أمر كان يكبر ويشق عليهما الاحتراز عنه .. وفى « ط » : « فى كثير » .

(٤) لا يستبرى : لا يظهر .. وفى رواية : « لا يستنزه » أى : لا يجنب ولا يحرص من وقوعه عليه .

(٥) فى « م » : « ثم أخذ » .

(٦) فى « م » : « بنصفين » .

(٧) الحديث رواه البخارى فى كتاب الوضوء ، باب من الكباثر ألا يستتر من بوله ، وباب ماجاء فى غسل البول ، وغيرها من الأبواب ج ١ ص ٣١٧ ، ٣٢٢ فى فتح البارى .. وابن ماجه فى سننه فى كتاب الطهارة ، باب التشديد فى البول ج ١ ص ١٢٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ، فى الترهب من النجاسة ج ٣ ص ٤٩٨ باختلاف يسير فى ألفاظه ، وابن حبان فى صحيحه ، فى ذكر الخبر الدال على أن عذاب القبر قد يكون أيضاً من النجاسة ج ٥ ص ٥٢ .

(٨) فى « م » : « كل ذى مكنة » . والمكنة : القلوة والاستطاعة .

(٩) لأنها « عن « م » .. وفيها : « فهى الحالقة للمهلكة » . والخالقة : النية .. والستة تأتى على كل شئ .

(١٠) فى « م » : « النجاسة والنجاسة » .

(١١) التعرير بالنفوس والأموال : تعريضها للهلكة .

(١٢) القدح فى المنازل والأحوال : العيب والتقص لذوى المراتب والمكانة الرفيعة .

عَنْ مَكَاتِيهِ ^(١) ، وَالسَّيِّدَ عَنْ مَرْثِيَّتِهِ ، فَكَمْ مِنْ دَمٍ ^(٢) أَرَاكَ سَعَى سَاعٍ ، وَكَمْ حَرِيمٍ ^(٣) أَسْتَبِيحُ بِنَمِيمَةٍ بَاغٍ ^(٤) ، وَكَمْ مِنْ صَفِيٍّ تَقَاطَعًا ، وَمِنْ مُتَوَاصِلَيْنِ تَبَاعَدًا ، وَمِنْ مُجِبِّينِ تَبَاعُضًا ، وَمِنْ الْفَوْنِ تَهَاجَرًا ، وَمِنْ زَوْجَيْنِ افْتَرَقَا ، فَلْيَتَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ رَجُلٌ سَاعَدْتُهُ الْإِيمَانُ ، وَتَرَاخَتْ عَنْهُ الْأَقْدَارُ ، أَنْ يَصِيحَ لِسَاعٍ ^(٥) ، أَوْ يَسْمَعَ لِنَمَامٍ .

وَرَوَى ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا ذَبُوتٌ وَلَا قَلَاعٌ » . فَالذَّبُوتُ : الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ^(٦) ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُدْبِثُ بَيْنَهُمْ ^(٧) ، وَالْقَلَاعُ : السَّاعِي الَّذِي يَقَعُ فِي النَّاسِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ ، لِأَنَّهُ يَقْصِدُ الرَّجُلَ الْمُتَمَكِّنَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، فَلَا يَزَالُ يَقَعُ فِيهِ حَتَّى يَقْلَعَهُ ^(٨) . وَقَالَ كَعْبٌ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ شَدِيدٌ عَلَى عَهْدِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٩) ، فَخَرَجَ مُوسَى يَسْتَسْقِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمْ يُسْقُوا ، ثُمَّ خَرَجَ ثَانِيَةً ، فَلَمْ يُسْقُوا ، ثُمَّ خَرَجَ الثَّالِثَةَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : إِنِّي لَا أَسْتَجِيبُ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ ، فَإِنَّ فِيكُمْ ثَمَامًا . فَقَالَ : يَا رَبِّ مَنْ هُوَ حَتَّى تُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِنَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا مُوسَى ، أَنَهَا كُمْ عَنِ النَّمِيمَةِ وَآرِيهَا ^(١٠) ؟ فَتَابُوا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١١) عَلَيْهِمُ الْغَيْثَ .

(١) تحط المكين عن مكاتيه : تسلب العظيم منزله ورفعة شأنه وقدره .

(٢) في م : « فكم دم » .

(٣) الحرم : ما حُرِّمَ فلا يَنْتَهَك .

(٤) في م : « بنميمة من باغ » .

(٥) يصيح لساع : يستمع لولاش نمام .

(٦) في م : « بين الرجال والنساء » .

(٧) أى : يُدْبِلُ وَيُسَهِّلُ بَيْنَهُمُ الْعُقَابَ ، وَهِيَ مِنْ « دَبَّطَ » .. وَفِي م : « دَطَطَ » : « دَبَّطَ » ، مِنْ « دَبَّطَ » وَمَعْنَاهُ : دَفَعَ .

(٨) أى : يَحْوِضُ فِي حَقِّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ بِالْبَاطِلِ لَدَى السُّلْطَانِ حَتَّى يَعْزِلَهُ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٩) في م : « صلى الله عليه وسلم » .

(١٠) في م : « وأكون ثماماً ؟ » .

(١١) في م : « تعالى » .

وَلَمَّا لَقِيَ أُسْقُفٌ ^(١) نَجْرَانَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، احْذَرِ قَاتِلَ الثَّلَاثَةِ . قَالَ : وَمَنْ قَاتِلُ الثَّلَاثَةِ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ يَأْتِي الْإِمَامَ بِالْحَدِيثِ الْكَذِبِ فَيَقْبَلُهُ ^(٢) الْإِمَامُ ، فَيَكُونُ قَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ وَصَاحِبَهُ وَإِمَامَهُ . فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَاكَ أُبْعَدْتَ ^(٣) . وَوَجَدْنَا فِي حِكْمِ الْقَدَمَاءِ : أُبْعِضُ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ الْمُثَلَّثُ ^(٤) ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ الرَّجُلُ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ بِأَخِيهِ إِلَى الْإِمَامِ ، فَيَهْلِكُ نَفْسَهُ وَأَخَاهُ وَإِمَامَهُ . وَذَكَرَ السَّعَاءُ ^(٥) عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ : لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِيْبِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أُبْعِضُ مَا يَكُونُونَ ^(٦) عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ حَكِيمُ الْفَرَسِ : الصَّدَقُ زَيْنٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ^(٧) إِلَّا السَّعَايَةَ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ أَذَمُّ وَأَتَمُّ مَا يَكُونُ إِذَا صَدَقَ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا سَعَى بِجَارٍ لَهُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَمَا أَنْتَ فَتُخْبِرُنَا أَنَّكَ جَارُ سُوءٍ ، إِنْ شِئْتَ أُرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أُبْعِضْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقَبْنَاكَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَارَكْنَاكَ ^(٨) . قَالَ : تَارَكْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : قَدْ تَارَكْنَاكَ . وَلِلَّهِ دُرُّ الْإِسْكَانَدَرِ حِينَ وَشَى إِلَيْهِ وَاشِ بِرَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ الْإِسْكَانَدَرُ : إِنْ شِئْتَ قَبْلْنَاكَ عَلَى صَاحِبِكَ بِشَرْطٍ أَنْ نَقْبَلَهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَقْلَنَّاكَ ^(٩) . قَالَ : أَقْلِنِي . قَالَ : قَدْ أَقْلَنَّاكَ . كُفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكُفُّ عَنْكَ الشَّرُّ .

(١) الْأُسْقُفُ ، بتشديد الفاء وتخفيفها : من رؤساء النصارى ، فوق القسيس ودون المطران .

(٢) فِي « م » : « فَيَقْبَلُهُ » .

(٣) أُبْعِدْتُ : شَطَطْتُ ، أَوْ جَاوَزْتُ الْحَقِيقَةَ فِيمَا قُلْتُ .

(٤) فِي « م » : « الثَّلَاثُ » ، تحريف .. فِي اللِّسَانِ : « شَرُّ النَّاسِ الْمُثَلَّثُ » [انظر المصدر السابق ، مادة : ثَلَث]

(٥) فِي « ط » : « وَذُكِرَتِ السَّعَايَةُ » .

(٦) فِي « ط » : « مَا يَكُونُ » .

(٧) أَيْ : جَمِيلٌ وَحَسَنٌ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ .. فِي « ط » : « زَيْنٌ كُلُّ أَحَدٍ » .

(٨) تَارَكْنَاكَ : صَالَحْنَاكَ عَلَى تَرْكِهِ .

(٩) أَقْلَنَّاكَ : أَعْفَيْنَاكَ .

وَمِنَ الْعَجَبِ الَّذِي لَاعَجَبَ بَعْدَهُ ، أَنَّ الرَّجُلَ يَشْهَدُ عِنْدَكَ فِي بَاقَةِ بَقْلِ فَلَا تَقْبَلُهُ حَتَّى تَسْأَلَ النَّاسَ عَنْهُ : هَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الثَّقَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالصِّيَانَةِ ، ثُمَّ يَنْبُتُ عِنْدَكَ ^(١) بِحَدِيثٍ فِيهِ الْهَلَاكُ وَقَسَادُ الْأَحْوَالِ فَتَقْبَلُهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ ^(٢) : قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا سَقَى السَّمَّ : أَخْبِرْنِي مَنْ سَفَاكَ ؟ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : أَنَا فِي آخِرِ قَدَمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ قَدَمٍ مِنَ الْآخِرَةِ تَأْمُرُنِي أَنْ أَغِيرَ ^(٣) ؟ قَالَ رَجُلٌ لِلْمَهْدِيِّ : عِنْدِي نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لِمَنْ نَصِيحَتُكَ هَذِهِ ؟ أَلَنَا ، أَمْ لِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : لَيْسَ السَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةً ، وَلَا أَقْبَحَ حَالًا ، مِمَّنْ قَبْلَ سِعَايَتِهِ ، وَلَا تَحُلُو مِنْ أَنْ تُكُونَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا تُشْفِي ^(٤) لَكَ غَيْظًا ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا تُعَاقِبْ لَكَ عَدُوَّكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا لِلَّهِ فِيهِ رِضًا وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ صَلَاحٌ .

وَرَوَى أَنَّ سَاعِيًا سَعَى بِرَجُلٍ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ ^(٥) ، فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : نَحْنُ

(١) في « م » : « عنك » تحريف .

(٢) هو : يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار مع أبيه علي بن مروان ، وقتل أبوه وصُلِبَ بالكوفة ، فانصرف إلى « بلخ » ودعا إلى نفسه سِرًّا ، فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر فقبض عليه ، وقُتِلَ يحيى في « الجوزجان » سنة ١٢٥ هـ ، وحُمل رأسه إلى الوليد بن يزيد في دمشق ، وصُلِبَ جسده بالجوزجان وبقى مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على « خراسان » فأنزل جثة يحيى وصلى عليها ودُفِنَتْ هناك .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٦ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ١٢٣ ، والمحرر ص ٤٨٣ ، ٤٨٤]

(٣) أغير ، أي : أسنى في الشر .

(٤) في « م » : « يشفي » .

(٥) هو : الفضل بن سهل السرخسي ، أبو العباس ، وزير المأمون وصاحب تدبيره ، اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ ، وكان مجوسياً ، وصحبه قيل أن بلى الخلافة فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً ، فكان يُلقَّبُ بذي الرهاستين (الحرب والسياسة) .. وكان حازماً عاقلاً ومن الأخفاء .. وقد ولد الفضل سنة ١٥٤ هـ ، وتولى في « سرخس » بخراسان سنة ٢٠٢ هـ ، قتلته جماعة حينما كان في الحمام .. وقيل : إن المأمون دسهم له وقد ثقل عليه أمره .. وأخبراه كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٤٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٣ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١ - ٤٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٤ ، ٥ ، ومروج الذهب ج ٤ ص ٥ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥]

تَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ أَشْرَ مِنَ السَّعَايَةِ ، لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ وَقَبُولُ إِجَازَةٍ ^(١) ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ كَمَنْ قَبْلَهُ وَأَجَازَةٌ ^(٢) ، لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ أَشْرَ مِمَّنْ قَالَ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا رَفَعَ إِلَى الْمَنْصُورِ نَصِيحَةً ^(٣) فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهَا : هَذِهِ نَصِيحَةٌ لَمْ يُرَدْ ^(٤) بِهَا وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا جَوَابَ عِنْدَنَا لِمَنْ آتَرْنَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَرُوي أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلْمَأْمُونِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُ اللَّهُ ^(٥) فِي أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ إِنْ أُعْطُوا كَذَبُوا ، وَإِنْ حُرِّمُوا كَذَبُوا ، فَإِنْ ^(٦) أُعْطُوا مَدَحُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ ، وَإِنْ حُرِّمُوا دُمُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : اللَّهُ دُرُّهَا مِنْ كَلِمَةٍ مَا أُصْدَقَهَا ^(٧) وَأَبَيَّنَ فَضْلَهَا ! وَأَمَرَ أَنْ تُثَبَّتَ فِي أُمُورِ ^(٨) أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ . وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ زُبَيْعٍ الْعَبْسِيُّ ^(٩) : يَا بَنِي عَبْسٍ ، اخْفَظُوا عَنِّي ثَلَاثًا : مَنْ نَقَلَ إِلَيْكُمْ نَقَلَ عَنْكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّزْوِيجَ فِي الْبَيِّنَاتِ السُّوءِ ، وَاسْتَكْثَرُوا مِنَ الصِّدِّيقِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَاسْتَقِيلُوا مِنَ الْعَدُوِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ اسْتِكْثَارَهُ مُمَكِّنٌ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اخْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَلُصُوصَ الْمَوَدَّاتِ ، وَهُمْ السَّعَاةُ وَالنَّمَامُونَ ، إِذَا سَرَقَ اللَّصُوصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا الْمَوَدَّاتِ . وَقَالَ حَكِيمُ الْعَرَبِ : إِيَّاكَ

(١) الدَّلَالَةُ : الإِرشَادُ .. والإِجَازَةُ : الإِمضاء والتنفيد .

(٢) في ط : : قَبْلَ وَأَجَازَ .

(٣) في م : : رَفَعَهُ .

(٤) في م : : لَمْ يُرَدْ .

(٥) في م : : كَرَّرَ لَفْظَ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) ثَلَاثَ مَرَاتٍ .

(٦) في م : : : وَإِنْ .

(٧) في ط : : : مَا أَفْضَلُهَا ، أَيْ : مَا أَسْلَمَهَا .

(٨) في م : : : فِي أَصْحَابِ .

(٩) هو : مروان بن زُبَيْعٍ بن جَلِيلَةَ بن رَوَاحَةَ الْعَبْسِيُّ ، جاهلي ، من الْمُشَوِّرينَ ، كان يغير على أهل الْقَرْظِ - في اليمن - فَسَبَّ إلى ذلك ، فقتل : مروان الْقَرْظُ .. ويُعَدُّ من أَوْفِيَاءِ الْعَرَبِ في الجاهلية ، وكان من وفاته أن أخذ عُودًا من الأرض فدفعه رهاً بمائة من الإبل ، فوفي بها .

[انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤٠٥ ، والمحرر ص ٣٤٩ - ٣٥١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٥١ ، ولسان العرب مادة : قَرْظَ] .

وَالسَّعَاةَ ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ عَقْلِكَ وَلُصُوصُ عَذْلِكَ ، فَيَفْرُقُونَ بَيْنَ قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ . وَفِي الْمَثَلِ (١) السَّائِرُ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشَى ضَيَّعَ الصِّدْقَ . وَقَدْ يَقْطَعُ الشَّجَرُ فَيَنْبُثُ ، وَيُقْطَعُ اللَّحْمُ بِالسَّيْفِ فَيَنْدَمِلُ (٢) ، وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ .

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِرِعَايَةِ مَا رَسَمْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ ، وَتَقَلُّتُهُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَمِ ، وَاسْتَوْذَعْتُهُ مِنْ هَذِهِ السَّرِّ ، مَنْ آتَاهُ اللَّهُ سُلْطَانًا ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ قَدَمًا ، فَذُو الْقُدْرَةِ إِذَا أَطَاعَ الْوَأَشَى هَلَكَ الْعَالَمُ . وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ (٣) يَقُولُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ الْإِثْمِ وَيَبْقَى لَهُ الْإِخْوَانُ فَيَجْعَلَ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قَاضِيًا عَدْلًا ، وَيَحْكُمَ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَقْبَلُ أَحَدًا فِي أَحَدٍ ، وَلَا فِي نَفْسِهِ ، إِلَّا بِشُھُودٍ وَتَعْدِيلٍ (٤) ، فَإِنَّا قَدْ أَحْبَبْنَا بِقَوْلِ أَقْوَامٍ وَأَبْغَضْنَا بِقَوْلِ آخَرِينَ (٥) فَأَصْبَحْنَا نَادِمِينَ .

وَمِنْ لَطِيفِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّيْمَةِ ، لِمَا عَلِمَ مِنْ شُؤْمِهَا ، وَاسْتِطَارَةِ شُرُورِهَا (٦) ، وَعُومُومِ مَضَرَّتِهَا فِي الْوَرَى ، حَكَمَ بِفَسْقِ النَّمَامِ حَتَّى لَا يَقْبَلَ لَهُ قَوْلٌ فَيَسْتَرِيحَ الْخَلْقُ مِنْ شُرِّهِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَقَدْ أَلَّهِ الْحَاجُّ ، وَقَدْ الشَّيْطَانُ قَوْمَ يَرْسِلُهُمُ السُّلْطَانُ (٧) إِلَى النَّاسِ ، وَيَسْأَلُهُمْ (٨) عَنْ حَالِهِمْ ، فَيُخْبِرُونَهُ أَنَّ النَّاسَ رَاضُونَ (٩) وَلَيْسُوا بِرَاضِينَ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى أَثْنَاءِ شَتَّى (١٠) ، لَسْنَا نَذْكُرُهَا الْآنَ لِكَثْرَتِهَا

(١) فِي « م » : « وَالْمَثَلُ » .

(٢) يَنْدَمِلُ : يَبْرَأُ وَيَهْفَى .

(٣) فِي « م » : « بَعْضُ الْعُلَمَاءِ » .

(٤) التَّعْدِيلُ : التَّسْوِيَةُ .

(٥) فِي « م » : « يَقُولُ أَقْوَامٌ وَآخَرِينَ » .

(٦) فِي « م » : « شُرُّهَا .. وَالْإِسْطَارَةُ : الْإِفْشَاءُ وَالْإِنْشَارُ .

(٧) فِي « م » : « الشَّيْطَانُ » تَحْرِيفٌ .

(٨) فِي « م » : « فَيَسْأَلُهُمْ » .

(٩) فِي « م » : « رَاضِينَ » لِاصْصَح ، خَيْرٌ أَنَّ .

(١٠) قَوْلُهُ : « شَتَّى » عَنْ « ط » .

وَطَوَّلَ تَتْبُعَهَا ، فَخَلَقَ اللَّهُ الْحَوَاسَّ الشَّرِيفَةَ ، وَالْأَعْضَاءَ النَّافِعَةَ النَّفِيسَةَ ^(١) ، فَمِنْ أَفْضَلِ مَا رَكَّبَ فِيهِ اللِّسَانَ ، الَّذِي هُوَ آلَةُ النُّطْقِ وَالْبَيَانِ ، وَبِهِ فَصَلَ ^(٢) بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ ، ثُمَّ فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانِ ، وَأَمْتَنَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ ^(٣) فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(٤) . وَخَلَقَ فِيهِ ^(٥) أَعْضَاءَ تُذَلُّ ^(٦) وَتُسْتَهَانُ وَجَعَلَهَا مَجْرَى لِفُضُولِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَمَنْ يَتَّبِعْ مَقْطَاطَ الْكَلَامِ ^(٧) وَيَرَوِ عَوْرَاتِ الْأَنَامِ الَّتِي هِيَ كَالْعَوْرَاتِ الْوَاجِبِ سِتْرُهَا وَدَفْنُهَا ، كَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ أَشْرَفَ الْآلَاتِ فِي أَحْسَنِ ^(٨) الْمُسْتَعْمَلَاتِ ، فَصَارَ كَمَنْ لَحَسَ بِلِسَانِهِ سُوءًا أَخِيهِ ، وَجَعَلَ أَكْرَمَ جَوَارِحِهِ لِأَحْسَنِ أَجْنَاسِ الْمُسْتَعْرِضِينَ ^(٩) ، وَرَضِيَ أَنْ يَقَعَ مِنَ النَّاسِ ^(١٠) مَوْقِعَ الذُّبَابِ مِنَ الطَّيْرِ ، يَتَّبِعُ ثَقُلَ الْجَسَدِ ^(١١) وَيَتَحَامَى صَحِيحَتَهُ ، وَقَدْ كَانَ لَهُ فِي نَشْرِ الْمَحَامِينِ ^(١٢) شُغْلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُ كُلِّ ذِي حَالٍ ^(١٣) أُولَى بِهَا ، وَفِي هَذَا سَبَقَ الْمَثَلُ : إِنْ لَمْ تَكُنْ مِلْحًا تُصْلِحُ فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا تُفْسِدُ ^(١٤) . وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَمِيعِ الْفَضَائِلِ فَلَتَكُنْ هِمَّتُهُ تَرْكُ الرِّذَائِلِ . وَإِذَا تَتَّبَعَ الْإِمَامَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ .

(١) فِي (م) : : فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَعْضَاءَ النَّافِعَةَ النَّفِيسَةَ .

(٢) فِي (م) : : « فَضِلْ » بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ .. تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (م) : : « فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ » .

(٤) سُورَةُ الرَّحْمَنِ ، الْآيَاتُ مِنْ ١ - ٤ .

(٥) فِي (م) : : « وَخَلَقَ فِيهِ أَيْضًا » .

(٦) فِي (ط) : : « تُذَلُّ » .

(٧) مَقْطَاطُ الْكَلَامِ : الْخَطَأُ وَالزَّلَلُ .

(٨) فِي (م) : : « أَحْسَنَ » تَحْرِيفٌ .. وَفِي (ط) : : « أَحْصَى » بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ .

(٩) الْمُسْتَعْرِضِينَ : الَّذِينَ يَحْتَوْنَ عَنْ مَعَايِبِ النَّاسِ وَنَقَائِصِهِمْ .

(١٠) فِي (م) : : « بَيْنَ النَّاسِ » .

(١١) ثَقُلَ الْجَسَدِ : مُوَاضِعُ الْمَرَضِ وَالْعَفْوَةِ فِيهِ ، كَالْجُرُوحِ وَنَحْوِهَا .. وَفِي (ط) : : « ثَقُلَ الْجَسَدِ » أَيْ :

فَضْلَاتِهِ .. وَيَتَحَامَى : يَتَجَنَّبُ .

(١٢) فِي (م) : : « الْفَضَائِلُ » .

(١٣) فِي (م) : : « كُلِّ حَالٍ » .

(١٤) فِي (م) : : « إِنْ لَمْ يَكُنْ مِلْحًا يُصْلِحُ فَلَا يَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ » .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَمَّ بِالْخُرُوجِ يَوْمًا ، فَسَمِعَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ ، فَامْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ، حَذَرَ أَنْ لَا يَفْسَدَ ^(١) قَلْبُهُ عَلَيْهِمْ . وَلَوْ عَلِمَ الَّذِي يَسْمَعُ أَخْبَارَ النَّاسِ مَا جَنَى عَلَى نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّ الصَّمَمَ كَانَ أَهْنًا ^(٢) لِعَيْنَيْهِ ، وَأَلْعَمَ لِإِلَهِهِ مِنْ سَمَاعِ الْأَخْبَارِ ... مَاذَا عَمِلَ ثَقَلَةُ الْأَخْبَارِ ^(٣) ؟ حَمَلُوا إِلَيْكَ الصَّدَقَ أَوْ الْكَذِبَ ^(٤) ، فَتَكُونُ فِي سَمَاعِ الْكَذِبِ مِثْلُ مَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ^(٥) : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ ^(٦) . وَتَكُونُ ^(٧) فِي سَمَاعِ الصَّدَقِ حَمَلًا لِلَّهِمْ ، حَرَجَ الصَّدْرِ عَلَى الْخَلْقِ . مُعَادِيًا لَهُمْ ، مُتَّبِعًا لِعَثَرَاتِ الْخَلْقِ ، وَخَزَائِنًا لِسَقَطَاتِهِمْ ، قَدْ وَعَيْتَ مِنْهُمْ مَا يَجِبُ سِتْرُهُ ، وَحَفِظْتَ مَا يَجِبُ نِسْيَانُهُ ، ثُمَّ لَا تَسْتَطِيعُ التَّصَفَّةَ مِنْ قَائِلٍ ^(٨) ، لِأَنَّكَ إِنْ كُنْتَ ذَا قُدْرَةٍ أَهْلَكَتَ الرُّعْيَةَ ، ثُمَّ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُهْلِكَ جَمِيعَ الرُّعْيَةِ ، وَإِنْ كُنْتَ سُوقَةً لَمْ يَشْفِ غَيْظُكَ ، ثُمَّ أَفْسَدْتَ إِخْوَانَكَ وَأَبْغَضْتَ ^(٩) مَنْ يَجِبُ أَنْ تُحِبَّهُ ، وَأَخْبَيْتَ مَنْ يَجِبُ أَنْ تُبْغِضَهُ ، ثُمَّ لَا تَزَالُ تَحْمِلُ الْحَسَائِفَ ، وَتَزِيدُ ^(١٠) الْأَحْقَادَ وَالضُّعْفَانَ ، وَتَرْصُدُ لِكُلِّ قَائِلٍ مَا يَشْفِي غَيْظُكَ فِيهِ ^(١١) ، فَمَا أَغْنَى الْعَاقِلَ عَنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ ، وَلِلَّهِ دَرُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِي ، رَوَى أَنَّهُ لَأَخَاهُ ^(١٢) رَجُلٌ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ عِشْتُ لَأَقْرَعَنَّ لَكَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي ^(١٣) : الْآنَ وَقَعْتُ فِي الشُّغْلِ يَا بْنَ أُبْحَى .

* * *

(١) في (م) : « حذرا ألا يفسد » وكلاهما صواب .

(٢) في (م) : « أهنا » .

(٣) في (ط) : « باواحد ماذا عمِلَ ثقله الأخبار » ولم ترد هذه العبارة في (م) .

(٤) في (م) : « الصدق والكذب » .

(٥) فيه : عن (ط) .. وفي (م) : « فيكون » مكان « فتكون » .

(٦) سورة المائدة ، من الآية ٤٢ .. السُّخْتُ : المال الحرام .. والآية نزلت في اليهود .

(٧) في (م) : « ويكون » .

(٨) في (م) : « النِّصْفَةُ بينهم من قائل .. والنِّصْفَةُ : الإنصاف .. وقد مرت .

(٩) في (م) : « فَأَبْغَضْتُ » .

(١٠) في (م) : « ثم لا يزال يتحمل الحسائِفَ ويزيد » والحسائِفُ : النقائص والعيوب .

(١١) في (ط) : « يوما يشقى صدرُك فيه » .

(١٢) لآخاه : نازعه وخاصمه .

(١٣) في (م) : « فقال له عمرو : الآن » .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الْقِصَاصِ وَحُكْمِيهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١) . يَعْنِي : إِذَا عَلِمَ الْقَاتِلُ وَالْقَاطِعُ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ أَحْجَمَ وَلَمْ يَقْدَمْ عَلَى الْفِعْلِ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ الَّذِي هَمَّ بِهِ . رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ » ^(٢) . رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا » ^(٣) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ » . وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٤) . فَإِنْ قِيلَ : يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ

(١) سورة البقرة ، من الآية ١٧٩ .

(٢) أخرجه الترمذی فی أبواب الدیات ، باب الحكم فی الدماء ج ٦ ص ١٧٣ ، ١٤٨ بشرح ابن العری ... والبیهقی فی السنن الکبری ، فی کتاب الجنایات ، باب تحریم القتل ج ٨ ص ٢١ .

(٣) فی « م » : « فليتحللها منها » والأخيرة تحريف .. ونص الحديث فی البخاری : « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ - يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. » الخ . وللحديث أكثر من رواية .

(٤) أخرجه البخاری فی کتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلها له ، ج ٣ ص ١٧٠ وفي الرقائق ، باب القصاص يوم القيامة ج ٨ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ط دار الشعب ، وج ٥ ص ١٠١ وج ١١ ص ٣٩٥ من فتح البازي ، والحديث سبق التعليق عليه .

تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(١) ، فَكَيْفَ يُؤْخَذُ الظَّالِمُ بِذُنْبِ رَبِّهِ ^(٢) الْمَظْلُومُ ؟ قُلْنَا : مَعْنَى الْآيَةِ : لَا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بِذُنْبِ أَحَدٍ ابْتِدَاءً ، وَأَمَّا فِي مَسْأَلَتِنَا فَمَظْلَمَةٌ بَقِيَتْ عِنْدَهُ وَلَيْسَ لَهُ وَقَاءٌ بِهَا ، فَهُوَ الَّذِي اكْتَسَبَ هَذَا الْوِزْرَ ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ ^(٣) .

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « يَخْلُصُ ^(٤) الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لِيُقْتَصَّ ^(٥) لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا ^(٦) وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ^(٧) لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى لِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا » ^(٨) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي مَظْلَمَةٌ فَلْيَأْتِ حَتَّى أَقْصَهُ ^(٩) مِنْ نَفْسِي » . فَقَامَ سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةٍ ^(١٠) فَقَالَ : يَا رَسُولَ

(١) أَيْ : لِأَتَحْمِلَ نَفْسُ آيَمَةٍ جَمْلَ نَفْسِ أُخْرَى ، فَكُلُ نَفْسٍ مَأْخُودَةٌ بِجُرْمِهَا ، وَمُعَاقِبَةٌ بِإِثْمِهَا .. وَقَدْ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى هَذَا فِي عِدَّةٍ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

وَرَدَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٦٤ .

وَفِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٥ .

وَفِي سُورَةِ فَاطِرٍ ، مِنَ الْآيَةِ ١٨ .

وَفِي سُورَةِ الزُّمَرِ ، مِنَ الْآيَةِ ٧ .

(٢) رَبِّهِ : فَعَلَهُ .

(٣) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٣ .

(٤) فِي « م » : يَخْلُصُونَ ، وَهِيَ مُخَالَفَةٌ لِلْفُظِّ الْحَدِيثِ .. وَمَعْنَى يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، أَيْ : بَعْدَ نَجَاتِهِمْ مِنَ

السَّقُوطِ فِيهَا بَعْدَمَا جَاوَزُوا أَعْلَى الصَّرَاطِ .

(٥) وَفِي رِوَايَةٍ : « فَيُقْتَصُّ » . وَأُخْرَى : « فَيُقْتَصُّ » .

(٦) فِي « م » : « هُذِّبُوا » تَحْرِيفٌ .. وَهُذِّبُوا وَنُقُوا : تَخَلَّصُوا مِنَ التَّيَبَّاتِ .

(٧) فِي الْبُخَارِيِّ : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِمُحَمَّدٍ بِيَدِهِ » .

(٨) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الرَّاقِ ، بَابُ الْيَقْصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ج ١١ ص ٣٩٥ مِنْ فَتْحِ الْبَارِي ، وَج ٨ ص ١٣٨ ،

١٣٩ ط الشَّعْبِ .

(٩) حَتَّى أَقْصَهُ : حَتَّى أُمَكَّنَهُ مِنَ الْيَقْصَاصِ .

(١٠) فِي « ط » : « سَوَادٌ » بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ ، وَآخِرُهُ رَاءٌ مَهْمَلَةٌ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ : « سَوَادٌ »

بِالْوَاوِ الْمَخْفِضَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَآخِرُهُ دَالٌ مَهْمَلَةٌ ، وَهُوَ : سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةٍ الْأَنْصَارِيُّ ، مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ الشَّجَارِ ، وَقِيلَ : هُوَ حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي يَلْفٍ بْنِ عَمْرِو .. شَهِدَ بِدْرًا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ ، وَكَانَ عَامِلَ رَسُولِ اللَّهِ ، ﷺ ، عَلَى خَيْبَرَ .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٤٨٤] .

الله ، إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي عَلَى بَطْنِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فَأَوْجَعْتَنِي ^(١) . فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : دُونَكَ فَأَنْتَصِرُ ، فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي وَأَنَا مَكْشُوفُ الْبُطْنِ ^(٣) . فَكَشَفَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَطْنَهُ ، فَإِذَا هُوَ ^(٤) كَالْقَبَاطِيِّ ^(٥) ، يَعْنِي ثِيَابَ مِصْرَ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ ، فَقَالَ : يَا سَوَادُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَنَا لِقَاءَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ وَلَا نَذَرِي ^(٦) ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ أُقْبَلَ بِطْنِكَ .

فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقْصُ ^(٧) مِنْ نَفْسِهِ ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَدْعُ الْفِصَاصَ فِي الْمَطَالِمِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْدَلَ مِنْ أَنْ يَدْعَ مَظْلَمَةً لِأَحَدٍ عِنْدَ نَبِيٍّ ، وَلَا غَيْرِهِ . وَفِي الْحَدِيثِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَنَا ظَالِمٌ إِنْ فَاتَنِي ظُلْمُ ظَالِمٍ » . وَيُرْوَى أَنَّ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُقَدِّمُهُ خَصْمُهُ ^(٨) إِلَى اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقْضِي لَهُ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فَأَوْجَعْتَنِي .. » وقوله : « لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ » وهم من المصنف ، رحمه الله ، فالمعروف أنه يوم بدر ، وليس لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، فقد كان النبي ، ﷺ ، يُعْدِلُ الصُّفُوفَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَفِي يَدِهِ قَدْحٌ - قِطْعَةٌ مِنَ الْحَشَبِ - يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةٍ وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ مِنَ الصَّفِّ ، فَطَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، بِالْقَدْحِ وَقَالَ : اسْتَوَ يَا سَوَادُ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْجَعْتَنِي ، وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ ، فَأَقْدَنِي .. فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ : اسْتَقْدَّ .. فَأَعْتَقَهُ سَوَادُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ !! فَقَالَ ، ﷺ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَضَرْتُ مَا تَرَى - أَيْ مِنَ الْقِتَالِ - وَلَمْ أَمْنُ مِنَ الْقَتْلِ ، فَإِنِّي أُجِبُ أَنْ أَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدُكَ ! فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، بِخَيْرٍ .

[انظر المصدر السابق] .

(٢) في « م » : « عليه السلام » .

(٣) في « م » : « إِنَّكَ لَضَرَبْتَنِي وَأَنَا لَمَكْشُوفُ الْبُطْنِ » .

(٤) في « م » : « هِي » وَالْبُطْنُ مُذَكَّرٌ فِي اللَّغَةِ .

(٥) الْقَبَاطِيُّ ، بَظْمُ الْقَافِ وَفَتْحُهَا ، جَمْعُ قَبْطِيَّةٍ ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَهِيَ : ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ أَيْضَ رَفِيقٍ .

(٦) أَيْ : وَلَا نَذَرِي ، فَرِمَا أَقْتُلْ .. وَفِي « م » : « دَنَا لِقَاءَ هَؤُلَاءِ ، يَعْنِي : لِقَاءَ الْمَشْرِكِينَ » وَسَقَطَ مِنْهَا قَوْلُهُ : وَلَا نَذَرِي وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ يُؤَكِّدُ أَنَّهَا حَدَّثَتْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، وَلَيْسَ فِي لَيْلَةِ الْعَقَبَةِ كَمَا ذَكَرَ أَوَّلًا .

(٧) فِي « ط » : « يَقْصُ » أَيْ : يَأْخُذُ الْفِصَاصَ .

(٨) الْخَصْمُ : الْمُخَاصِمُ .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْظَمَيْنِ عَنْ « م » .

عَلَيْهِ ، فَبَدَفَعَهُ إِلَى أُورِيَّا سِلْمًا ^(١) ، ثُمَّ يَسْتَوْهِبُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أُورِيَّا ^(٢) ، ثُمَّ يَعْوِضُ أُورِيَّا عَنْ ^(٣) ذَلِكَ الْمَجَنَّةَ .

وَقَالَ حَبِيبٌ ^(٤) : دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَجَدَ غُلَامَهُ يَعْلِفُ نَاقَةً لَهُ ، وَإِذَا فِي عِلْفِهَا شَيْءٌ ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَعَرَّكَهَا ، ثُمَّ نَدِمَ ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ : قُمْ فَأَقْصِرْ مِنِّي ، فَأَتَى الْغُلَامُ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ : اُعْرُكْ اُعْرُكْ ^(٥) وَهُوَ يَقُولُ : شَدُّ شَدُّ ، حَتَّى عَرَفَ عُثْمَانُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاهَا لِقِصَاصِ الدُّنْيَا قَتَلَ قِصَاصِ الْآخِرَةِ .

رَوَى ^(٦) عَزُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٧) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا خَادِمًا لَهُ ^(٨) فَلَمْ يُجِبْهُ ، أَوْ كَانَ نَائِمًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا الْقِصَاصُ ^(٩) »

(١) سِلْمًا : مُسَلِّمَةً .. وَأُورِيَّا ، هُوَ : أُورِيَّا بْنُ حَنانَ ، أَحَدُ الْقُوَادِ فِي جَيْشِ دَاوُدَ ، تَزَوَّجَ دَاوُدَ امْرَأَةً أُورِيَّا ، بَعْدَ الْفِتْنَةِ ، وَأُنْجِبَ مِنْهَا سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَلِلْمُقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ كَلَامٌ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقِصَّةِ ، وَفَسَّرَهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ يَرَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ فَيَسْتَحْسِنُهُ ، فَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَهُ ، فَفِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ - فَضْلًا عَلَى النَّبِيِّ - لَا يَجُوزُ لَهُ بِحَالٍ أَنْ يَمْدُ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا يَمْلِكُهُ غَيْرُهُ ، سِوَاهُ أَكْلَانِ هَذَا الشَّيْءِ زَوْجَةً ، أَمْ خَطِيئَةً ، أَمْ مَالًا ، أَمْ عِبَالًا ، أَمْ أَى شَيْءٍ آخَرَ .

[انظر تفسير سورة ص : الآيات من ٢١ - ٢٥ ، والمعارف ص ٤٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٠٢] .

(٢) في م : : من أوريا لداود .

(٣) في ط : : على .

(٤) هُوَ : حَبِيبُ بْنُ مُسْلِمَةَ بْنِ مَالِكِ الْفَهْرِيِّ الْقُرَشِيِّ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَائِدٌ مِنْ كِبَارِ الْفَاتِحِينَ ، وَلَدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٢ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَخَرَجَ مُجَاهِدًا إِلَى الشَّامِ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ ، فَشَهِدَ الْيَرْمُوكَ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، فَوَلَّاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْطَاكِيَةَ ، وَوَلَّاهُ عَمْرَ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيْجَانَ ، ثُمَّ عَزَلَهُ ، فَأَقَامَ فِي الشَّامِ .. وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : « حَبِيبُ الرُّومِ » لِكَثْرَةِ دُخُولِهِ بِلَادَهُمْ وَنِيْلِهِ مِنْهُمْ .. وَتَوَفَّى فِي أَرْمِينِيَةِ سَنَةَ ٤٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٦٦ ، والمعارف ص ٦١٥] .

(٥) هكذا في م : .. وفي ط : : ثم قال : يَتْرُكْ .

(٦) في م : : وَرَوَى .

(٧) هُوَ : عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودِ الْهَلَلِيِّ ، مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِينَ .. وَقَدْ مَرَّ .

(٨) هُوَ : عَنْ ط .

(٩) في م : : لَوْلَا قِصَاصُ الدُّنْيَا .

لَأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا . وَرَوَى ابْنُ وَهَبٍ فِي مُوطَّئِهِ ^(١) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : وَقَدْ أَقَادَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخَلِيفَتَانِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِيُسْتَنَّ بِهِمَا ، وَلَمْ يَتَعَمَّدُوا حَيْفًا ^(٢) وَكَانُوا سَلَاطِينَ . وَمِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ ^(٤) وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِذَا فَنِيَتْ ^(٥) حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » ^(٦) .

قَالَ مَالِكٌ وَبَلَّغَنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ ضَرَبَ رَجُلًا ، ثُمَّ نَدِمَ وَقَالَ : مَالِي وَلِهَذَا ، أَلَا رَدَدْتُهَا عَلَيْهِمْ ^(٧) . فَسَمِعْتُهُ ^(٨) عَائِشَةَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُمَرَ ، فَجَاءَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ ضَرَبْتُ رَجُلًا ، وَقَدْ كُنْتُ مُعَافًى مِنْ هَذَا أَنْ أَضْرِبَ ، فَقَالَ عُمَرُ كَذَلِكَ الْإِمَامُ . فَقَالَ ^(٩) : فَمَا الْمَخْرُجُ ؟ قَالَ : أَنْ تَأْتِيَ الرَّجُلَ فَتَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَكَ فِي جِلٍّ . فَأَتَيْاهُ فَاسْتَحَلَّاهُ ^(١٠) .

دَلَّتِ الْأَثَارُ عَلَى أَنَّ الْأَمِيرَ وَالْمَأْمُورَ فِي الْقِصَاصِ سَوَاءٌ إِذَا جَنَى أَحَدُهُمَا عَلَى

(١) هو : الحافظ عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى ، فقيه من الأئمة ، ومن أصحاب الإمام مالك ، ومن كتبه : الموطأ في الحديث ، والجامع ، في الحديث أيضاً . وقد مرت ترجمته .

(٢) حَيْفًا : جَوْرًا وَظُلْمًا .

(٣) في « م » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

(٤) في « م » : « يَأْتِي بِصَلَاةٍ » .

(٥) في « م » : « فَإِنْ فَنِيَتْ » .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٥ ، ١٣٦ بشرح النووي .

(٧) أى : الخلافة .

(٨) في « م » : « فَسَمِعْتُ » .

(٩) في « م » : « قَالَ » .

(١٠) فَاسْتَحَلَّاهُ : طَلَبَا مِنْهُ أَنْ يُجِلَّهُ مِنَ الشَّيْءِ .

الآخر ، وَأَنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ظَلَمَ الْمَأْمُورَ زَالَ تَأْمُرُهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَكَانَ الْأَمِيرُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى كَبَعْضِ الْمُؤْمَرِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَتَحَاكَمُوا إِلَى السُّلْطَانِ ^(١) وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : إِنَّمَا بَعَثْتُ أُمَرَائِي لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ ، وَيُقَسِّمُوا بَيْنَهُمْ فَيْتَهُمْ ، وَيَعْدِلُوا فِيهِمْ ^(٢) ، وَلَمْ أُبْعَثْهُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَهُمْ ، وَيَخْلِقُوا أَشْعَارَهُمْ ، فَمَنْ ظَلَمَهُ أَمِيرٌ فَلَا إِمْرَةَ عَلَيْهِ دُونِي حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ . قَالَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ : اللَّهُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَدَبَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ رَعِيَّتِهِ ، إِنَّكَ لَتَقْصُهُ مِنْهُ ^(٣) ؟ فَقَالَ عُمَرُ : كَيْفَ ^(٤) لَا أَقْصُهُ مِنْهُ وَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقْصُ مِنْ نَفْسِهِ ؟

فَأَمَّا الْقِصَاصُ بَيْنَ الْبَهَائِمِ فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حَشْرِهَا ، وَفِي جَرَيَانِ الْقِصَاصِ بَيْنَهَا ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : حَشَرُهَا : مَوْتُهَا . قَالَ : وَحَشَرُ كُلِّ شَيْءٍ الْمَوْتُ ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ، فَإِنَّهُمَا يُؤَافِقَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٥) . وَقَالَ مُعَظَّمُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّهَا تُحْشَرُ وَيُقْتَصُّ مِنْهَا . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : تُحْشَرُ الْبَهَائِمُ . وَقَالَ قَتَادَةُ : يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ^(٦) : لَا تَقْطَعُ بِإِعَادَةِ الْبَهَائِمِ وَالْمَجَانِينِ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ

(١) في « ط » : « السلطان الأعظم » .

(٢) في « م » : « ويقسمون بينهم ويعدلون فهم » بثبوت النون في الفعلين .. وهذا لا يصح ، ووجه الخطأ أن الفعلين هنا من الأفعال الخمسة ومعطوفان على الفعل « يُعَلِّمُوا » المنصوب بلام التعليل ، وعلامة النصب حذف النون .

(٣) أى : إنك تمكثك من الاقتصاص منه .

(٤) في « م » : « أنا » مكان « كيف » والأخيرة هي المناسبة للسياق .

(٥) يوافيان يوم القيامة ، أى : يُحْشَرَانِ وَيُخَاسِبَانِ عَلَى أفعالهما ، وينال كُلُّ منهما جزاء ما قدم من عمل وافيًا تامًا .

(٦) « الأشعري » عن « ط » .. وهو : على بن إسماعيل بن إسحاق ، أبو الحسن ، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ، من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ومؤسس مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة سنة ٢٦٠ هـ وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ وبلغت مصنفاته حوالي ٣٠٠ ثلاثمائة كتاب .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٦٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ - ٢٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، والخطط المقرئية ج ٢ ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، والعبر للذهبي ج ٢ ص ٢٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤٣١ - ٤٣٥] .

الدَّعْوَةُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعَادُوا وَيُدْعَلُوا الْجَنَّةَ ، وَيَجُوزُ أَنْ لَا يُعَادُوا ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ثُبُوتِ
الإِعَادَةِ فِي الْجُمْلَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ :
﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ^(٢) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :
« لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءُ مِنَ الشَّاةِ
الْقَرَنَاءِ » ^(٣) . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : انْتَطَحَتْ شَاتَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَ : « أَتُذْرُونَ فِيْمَ ^(٤) انْتَطَحَتَا ؟ قُلْتُ : لَا أَذْرِي . قَالَ : لَكِنَّ اللَّهَ يَذْرِي وَسَيَفْضِي
بَيْنَهُمَا » . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ تَرَكْنَا النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُقَلِّبُ طَائِرٌ
جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْماً . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّ الْحَجَرَ لَيَسْتَلُّ عَنْ نَكْبِهِ أَصْبَعُ
الرَّجُلِ . وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي مُسْلِمٍ وَالْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَا يَأْتِينِي أَحَدُكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ^(٥) ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَقَرَةٌ
لَهَا حَوَارٌ ، وَعَلَى ^(٦) رَقَبَتِهِ شَاةٌ تُثْعَرُ ^(٧) ، ثُمَّ يُسِطَ لَهَا بِقَاعٌ قَرَقَرٌ ^(٨) قَتَطُوهُ بِأَظْلَافِهَا ،

(١) سورة التكويد ، الآية ٥ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٣) هكذا في ط .. وفي م : « حَتَّى يُقَادَ الشَّاةُ » .. وما هنا هو المطابق لنص الحديث ، وقد رواه مسلم في
كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٦ بشرح النووي .. والشاة الجلحاء ، هي الجماء التي لا قرن لها .

(٤) في م ، و ، ط : « فِيمَا » . سبق التعليق عليها .

(٥) في البخاري ومسلم : « لَا يَأْتِينِي أَحَدُكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَغْنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ ... » . أَيْ : لَا تَعْمَلُوا عَمَلًا أَجْدَمَ بِسَبَبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَذِهِ
الصفة .. والرُّغَاءُ : صوت البعير .

(٦) في م ، و ، ط : « عَلَى » بلون واو العطف في الموضعين .. والخَوَار : صوت البقر .

(٧) تُثْعَرُ : تصيح .. وفي النسائي : « لَهَا يَمَارٌ » واليَمَار : صوت المعز .. وفي مسلم : « لَهَا ثُقَاءٌ » .

(٨) في م : « يَسِطُهَا » تحريف .. وفي رواية : « أَقْبَعُهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٌ » .. وَأَقْبَعُهَا : بَعْنَى صَاحِبِهَا .. وَقَاعٌ
قَرَقَرٌ ، أَيْ : أَمْسَسَ .

وَتَنْتَضِحُهُ بِفُرُوزِهَا ، كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ أَوَّلَاهَا عَادَتْ أُخْرَاهَا ^(١) . وَالْحَدِيثُ وَارِدٌ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : لَا تَجُوزُ الْمُقَاصَّةُ ^(٢) بَيْنَ الْبَهَائِمِ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُكَلَّفَةٍ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهَا الْقَلَمُ . قَالَ : وَمَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) : « يُقْتَصُّ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقَرَنَاءِ » وَ « يُسْتَلُّ الْعُودُ لِمَ حَدَسَ الْعُودُ » فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ وَالْإِنْخِبَارِ عَنْ شِدَّةِ التَّقْصِي فِي الْحِسَابِ ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُقْتَصَّرَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الطَّالِبِ . وَأَبَى ذَلِكَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْأُسْفَرَايْنِيُّ ^(٤) ، قَالَ فِي الْجَامِعِ الْجَلِيِّ : يُجْرَى الْقِصَاصُ بَيْنَهَا . قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْقِلُ هَذَا الْقَدْرَ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، فَلِهَذَا أُجْرِيَ فِيهِ الْقِصَاصُ .

وَكَلَامُ الْأُسْتَاذِ لَهُ وَجْهٌ فِي الصَّحَّةِ ، لِأَنَّ الْبَهِيمَةَ تَعْرِفُ النَّفْعَ وَالضَّرَّ ، فَتَنْفِرُ مِنَ الْعَصَا ، وَتَقِيلُ إِلَى الْعَلْفِ ، وَيَتَزَجَرُ الْكَلْبُ إِذَا رَجَرَ ، وَيَسْتَأْسِدُ إِذَا أُشْلِيَ ^(٥) ، وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ يَفِرُّ مِنَ الْجَوَارِحِ اسْتِدْفَاعًا لِشَرِّهَا ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَخِرْ عَلَيْهَا ^(٦) الْقَتْلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا رُفِعَ ^(٧) الْقَتْلُ عَنْهَا فِي الْأَحْكَامِ ، فَإِنْ قِيلَ : الْقِصَاصُ انْتِقَامٌ ، وَهُوَ جَزَاءٌ عَلَى

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ج ٣ ص ٢٦٧ من فتح البارى ، وأخرجه أيضاً فى عدة أبواب أخرى .. ومسلم فى كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ج ٧ ص ٧٠ ، وفى كتاب الإمارة ، باب تحريم غلظ الغلول ج ١٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وفى تحريم هدايا العمال ص ٢١٩ بشرح النووى .. والنسائى فى كتاب الزكاة ، باب مانع زكاة الإبل ج ٥ ص ٢٣ ، ٤٤ بشرح جلال الدين السيوطى .. ورواه غيرهم باختلاف فى ألفاظه .
(٢) الْمُقَاصَّةُ : الْمُحَاسَبَةُ .

(٣) فى « م » : عليه السلام .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، عالم بالفقه والأصول ، وكان يُلقب بركن الدين ، نشأ فى « أسفرايين » بين « نيسابور » و « جرجان » .. ثم خرج إلى نيسابور ، وبيّث له فيها مدرسة عظيمة ، فدرس فيها ، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق ، فاشتهر .. وله كتاب « الجامع » فى أصول الدين ، ورسالة فى أصول الفقه ، وكان ثقة فى رواية الحديث .. وله مناضرات مع المعتزلة .. ومات فى نيسابور سنة ٤١٨ هـ ودفن فى أسفرايين .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٦١ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٩ ، ٢١٠] .
(٥) أى : ينجس جُرَّةُ الْأَسَدِ إِذَا أَغْرَى عَلَى الصَّيْدِ وَغَوَّه .

(٦) فى « م » : عليهم . والأول أَوْجَه ، لأن الضمير لغير العاقل .

(٧) فى « م » : وقع « تحريف .

جَنَائِدَ وَقَعَتْ مِنْ مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ ، وَالْبَهَائِمُ لَيْسَتْ بِمُكَلَّفَةٍ وَلَا لَهَا عُقُولٌ ، وَلَا جَاءَهَا رَسُولٌ ، وَالْعُقُولُ عِنْدَكُمْ لَا يَجِبُ ^(١) بِهَا شَيْءٌ عَلَى الْعُقَلَاءِ فَضْلًا عَنِ الْبَهَائِمِ ، وَفِي هَذَا انْفِصَالٌ عَنْ قَوْلِ الْأُسْتَاذِ : إِنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ هَذَا الْقَدْرَ ، إِذْ لَا يَجِبُ بِالْعَقْلِ شَيْءٌ ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ^(٢) ، فَالْجَوَابُ : أَنَّهَا لَيْسَتْ مُكَلَّفَةٌ ^(٣) ، لِأَنَّ مِنْ ضَرُورَةِ التَّكْلِيفِ أَنْ يَعْلَمَ ^(٤) الرَّسُولُ وَالْمُرْسَلُ ، وَذَلِكَ مِنْ خِصَائِصِ الْعُقَلَاءِ ، وَهُمْ الثَّقَلَانِ ^(٥) ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ مُكَلَّفَةٌ كَانَتْ فِي الْمَشِيقَةِ ^(٦) يَفْعَلُ اللَّهُ بِهَا مَا أَرَادَ ^(٧) كَمَا سَلَّطَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا الِاسْتِسْحَارَ ^(٨) وَالذَّبْحَ ، فَلَا اغْتِرَاضَ عَلَيْهِ ، وَلِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ فِي مُلْكِهِ مَا أَرَادَ ^(٩) مِنْ تَنْعِيمٍ وَتَعْذِيبٍ ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يُؤْلِمَ الْبَهِيمَةَ ^(١٠) ابْتِدَاءً ، جَازَ أَنْ يُؤْلِمَهَا بَعْدَ حَيَاتِهَا ، وَالآيَةُ مَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ الرَّسُولُ وَالْمُرْسَلُ ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَجْرَ عَلَيْهِمُ الْقَلَمُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا ^(١١) رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْهَا فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَكِنْ فِيمَا بَيْنَهَا تَوَاحُدٌ ^(١٢) .

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَقْتُلُوا الزَّرْعَ فَإِنَّهُ كَانَ

(١) فِي « م » : « لَمْ يَجِبْ » .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، مِنْ آيَةِ ١٥ .

(٣) فِي « م » : « وَالْجَوَابُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمُكَلَّفَةٍ » .

(٤) فِي « م » : « تَعْلَمَ » .

(٥) الثَّقَلَانِ : الْإِنْسُ وَالْجِنُّ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « وَإِذَا لَمْ يَكُونَا مُكَلَّفَيْنِ كَانُوا فِي الْمَشِيقَةِ » .. يَرِيدُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ ، وَلَا يَبْصَحُ هَذَا بِمَعْنَى .. وَمَا وَرَدَ فِي « ط » هُوَ الْمَقْصُودُ .

(٧) فِي « م » : « يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ مَا يَشَاءُ » .

(٨) فِي « م » : « سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الِاسْتِسْحَارَ » .. وَالِاسْتِسْحَارُ : السُّحْرَةُ ، وَهِيَ التَّكْلِيفُ بِالْعَمَلِ بِمَا أُجْرَ وَلَا تَمْنُ .

(٩) فِي « م » : « مَنْ شَاءَ » .. الصَّوَابُ : « مَا شَاءَ » .

(١٠) فِي « م » : « الْبَهَائِمُ » .

(١١) فِي « م » : « وَفِيمَا » .

(١٢) فِي « م » : « وَلَكِنْ فِيمَا بَيْنَهُمْ يُؤَاغِلُونَ بِهِ » .

يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ^(١) . فَهَذِهِ عَجَمَاءُ ^(٢) عُوْقِيَتْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِ جَنْسِهَا ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَ ^(٣) بِمَلِكِهِ لَا بِالْمَعْصِيَةِ . وَقَدْ ضَرَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَجَرَ الَّذِي قَرَّ بِثَوْبِهِ ^(٤) وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْظُرُونَ عَورَتَهُ ^(٥) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « فَضْرَتُهُ بِعَصَاهُ وَالْحَجَرُ يَقْرُ ، وَمُوسَى يَقُولُ : ثَوْبِي حَجَرٌ ، ثَوْبِي حَجَرٌ » ^(٦) . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَتَنْدِبَ بِالْحَجَرِ سِتَّةً أَوْ سَبْعَةً ^(٧) .

وَرَوَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقُوْذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ^(٨) أَنَّهَا الْحِجَارَةُ الَّتِي يَكْسِرُ النَّاسُ ^(٩) فِي الدُّنْيَا . وَرَوَى أَنَّ الْمَسِيحَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَرَّ بِجَبَلٍ فَسَمِعَ أَيْنَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : « وَقُوْذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » فَلَا أَذْرِي أَكُونُ مِنْ تِلْكَ الْحِجَارَةِ أَمْ لَا ؟ وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ : حَشَرَهَا مَوْتُهَا ، تُحْشَرُ لِضَرْبِ مَنْ الْفَقَاصِي يَبْنِيهَا ، ثُمَّ تُصِيرُ تُرَابًا . قُلْتُ : وَتَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بَعِيدٌ ،

(١) في ١٠١ : « فَإِنَّمَا كَانَتْ تَنْفُخُ ... » والحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ج ٦ ص ٣٨٩ ، وكتاب بدء الخلق ج ٦ ص ٣٥١ من فتح الباري .. ورواه ابن ماجه في كتاب الصيد ، باب قتل الوزغ ج ٢ ص ١٠٧٦ ، ورواه غيره .. والوزغ ، جمع وَرَغَةٌ : ضرب من الزواحف ، يطلقون عليه : سَامٌ أَوْ مَرَسٌ .

(٢) العجماء : البهيمة

(٣) في ١٠١ : « أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ أَنْ يُعَذِّبَ » .

(٤) في ١٠ ط : « مَرَّ بِثَوْبِهِ » أى : تدرج .. وفي البخاري : « عَدَا بِثَوْبِهِ » أى : مَضَى مسرعاً .

(٥) كان بنو إسرائيل يقتسلون عرايا ، وكان موسى خجلاً ، يقتسل وحده ، ويستر عند اغتساله ، فادَّعَى قوم منهم أَنَّهُ أَدْر - منقطع الخصى ، لَهُ قَلِيطٌ « قَلِيطَةٌ » - وقالوا : ما يستر إلا لعب في يده .. فانطلق يوماً يقتسل ، وجعل ثيابه على حجر ، فطارت ثيابه ليهوب الريح ، وانطلق وراءها عرياناً ، حتى انتهى إلى مَلَأٍ من بنى إسرائيل ، فنظروا إليه فرأوه على غير ماظنوا ، وبراء الله مما ظنوا .

[انظر تفسير القرآن لحزمة وآخرين - ج ٢٢ ص ٤٤ تفسير الآية ٦٩ من سورة الأحزاب] .

(٦) ثَوْبِي ، هو بفتح الباء الأخيرة ، أى : أعطنى ثَوْبِي ، أو رُدْ ثَوْبِي .. وحجر ، بالضم ، على حذف حرف النداء ، أى يا حَجَرُ .

(٧) قَتِيدٌ : تركت ثوباً ، أى : علامات من أثر الضرب .. وفي رواية : « إِنَّ فِي الْحَجَرِ لَنَدَباً مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا » .. والحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ج ٦ ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ من فتح الباري ، وأخرجه غيره .

(٨) سورة البقرة ، من الآية ٢٤ . وسورة النحر من الآية ٦ .

(٩) في ١٠ ط : « تَكْسِرُ النَّاسُ » .

لَأَنَّ الْحَشَرَ الْجَمْعُ ، وَلَيْسَ فِي مَوْتِهَا جَمْعُهَا ، بَلْ فِيهِ تَفْرِقَتُهَا ^(١) وَتَفْرِقَةُ أَجْزَائِهَا ، ثُمَّ قَدْ
 قَالَ : ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ ﴾ ^(٢) ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْحَشَرُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى بِإِعَادَةِ الْحَيَاةِ
 إِلَيْهَا ، وَجَمْعِهَا إِلَى رَبِّهَا .

(١) لِي « م » : « وَلَيْسَ فِي مَوْتِهَا جَمْعاً ، بَلْ فِيهِ تَفْرِقَتُهَا » .

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ، مِنَ الْآيَةِ ٣٨ . وَالْآيَةُ بِتَمَامِهَا : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أَمَّ أَمْثَالَكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ هَؤُلَاءِ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ ﴾ .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ ^(١) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ :
 ﴿ أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ^(٢) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ الْحَسَنُ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « أُبَشِّرُوا ، فَقَدْ جَاءَكُمْ الْيُسْرُ ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ » . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي جُحْرِ لَطَلَبَهُ الْيُسْرُ ، وَلَنْ ^(٤) يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ .
 وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ عَرَّفَ ^(٥) الْعُسْرَ وَنَكَرَ الْيُسْرَ ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرْتَ اسْمًا
 مُعْرِفًا ^(٦) ثُمَّ أَعَادْتَهُ كَذَلِكَ ^(٧) فَهُوَ هُوَ ، فَإِذَا نَكَرْتَهُ ^(٨) ثُمَّ كَرَّرْتَهُ كَذَلِكَ فَهُمَا اثْنَانِ .
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(٩) :

(١) سورة الشورى ، من الآية ٢٨ ، ولم ترد هذه الآية في « م » في هذا الموضع ، بل أتت بعد قوله : « ولن يغلب عُسْرُ يُسْرَيْنِ » وسأنا .

(٢) سورة المل ، من الآية ٦٢ .

(٣) سورة الشرح ، الآية ٦ .

(٤) في « ط » : « لن » بدون الواو .

(٥) في « م » : « أنه لَمَّا عَرَّفَ » .

(٦) في « م » : « معروفًا » تحريف .

(٧) قوله : « كذلك » عن « ط » في الموضعين .

(٨) في « م » : « ذكرته » مكان « نكرته » تحريف .

(٩) الأبيات في المستطرف ج ٢ ص ١٤١ وهي غير منسوبة لقاتلها .

إِنْ يَكُنْ تَالِكَ الزَّمَانُ يَبْلُوَى عَظُمْتَ عَنْدَهَا الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ ^(١)
وَتَلَّتْهَا قَوَارِعُ نَاكِياتٍ سُمِعَتْ دُونَهَا الْحَيَاةُ وَمُلَّتْ ^(٢)
فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ مَدَاهَا فَالْزَّايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ ^(٣)
وَإِذَا أَوْهَنْتْ قَوَاكٍ وَجَلَّتْ كُشِفَتْ عَنْكَ جُمْلَةُ فَجَلَّتْ ^(٤)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ التَّنَطُّقَ ^(٥) مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ، اتَّخَذَتْ مُنْطَلِقًا لَتُعْفَى أَثَرُهَا ^(٦) عَلَى سَارَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِنِّي إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تَرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ ، عِنْدَ دَوْحَةٍ ^(٧) فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهَا هُنَاكَ ، وَوَضَعَ عَنْدَهَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، ثُمَّ قَتَلَ ^(٨) إِبْرَاهِيمَ مُنْطَلِقًا ، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا ^(٩) الْوَادِي ، لَيْسَ فِيهِ أُنْيَسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ إِذَا لَا يُضِيعُنَا .

(١) البيت في المصدر السابق :

« وَإِذَا تَمَسَّكَ الزَّمَانُ بِضُرٍّ عَظُمْتَ دُونَهُ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ »
والخطوب : الحوادث والزوايا .

(٢) قوراع : مصائب .. ناكيات : قاتلات .. والبيت في المستطرف :

« وَأَنْتَ بَعْدَهُ نَوَابِ أُنْخَرَى سَمِعْتَ نَفْسَكَ الْحَيَاةَ وَمُلَّتْ »

(٣) الشطرة الأولى في المصدر السابق : « فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ الْأَمَانِ » .

(٤) في المصدر السابق : « وَتَحَلَّتْ ، مَكَانٌ فَجَلَّتْ » .

(٥) التَّنَطُّقُ : جمع نَطَاقٍ ، وَهُوَ حَبْلٌ تَشْتَدُّ بِهِ الْمَرْأَةُ وَسَطُهَا .. وَفِي « م » وَ« الْبَخَارِيُّ » : « الْيَنْطِقُ » وَهُوَ بِمَعْنَاهُ .

(٦) لَعْنَى أَثَرُهَا : لِنَحْفِيهِ .. وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ « سَارَةَ » كَانَتْ وَهَبَتْ « هَاجِرَ » لِإِبْرَاهِيمَ ، فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِإِسْمَاعِيلَ ، فَلَمَّا وَلَدَتْهُ غَارَتْ مِنْهَا ، فَاتَّخَذَتْ هَاجِرَ مُنْطَلِقًا فَشَدَّتْ بِهِ وَسَطُهَا وَخَرَجَتْ ، وَجَرَّتْ ذَهَبًا لِنَحْفِي أَثَرُهَا عَلَى سَارَةَ .

[انظر ضح الباري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ج ٦ ص ٣٩٦ ، ٤٠٠] .

(٧) الدَّوْحَةُ : الشجرة الكبيرة .

(٨) قَتَلَ : رَجَعَ .. وَفِي « ط » وَ« الْبَخَارِيُّ » : « قَتَّى » أَيْ : وَلَّى رَاجِعًا إِلَى الشَّامِ .

(٩) فِي « م » : « فِي هَذَا » .

ثُمَّ رَجَعْتُ ، فَأَنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ ^(١) خَبِثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِهَوْلَاءِ الدَّعَوَاتِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ ^(٢) : « رَبَّنَا ^(٣) إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُرَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » ^(٤) حَتَّى بَلَغَ « يَشْكُرُونَ » .

وَجَعَلْتُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ تُرَضِعُ إِسْمَاعِيلَ ^(٥) وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلْتُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى ، فَأَنْطَلَقْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ الْوَادِي ^(٦) هَلْ تَرَى أَحَدًا ؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، ثُمَّ سَعَتْ سَعَى الْإِنْسَانِ الْمَجْهُورِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي ، ثُمَّ أَتَيْتِ الْمَرْوَةَ فَقَامْتُ عَلَيْهَا فَتَنْظَرْتُ هَلْ تَرَى أَحَدًا ؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَقَعَلْتُ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ ^(٧) بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا ، فَقَالَتْ : صَهْ ^(٨) ، تُرِيدُ نَفْسَهَا ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا ، فَقَالَتْ : قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاتٌ ^(٩) ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ ^(١٠) عِنْدَ مَوْضِعٍ زَمَرَمَ ، فَبَحَثَ بِعَقِيهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ ، فَجَعَلْتُ تُحَوِّضُهُ ^(١١) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا ^(١٢) ، وَجَعَلْتُ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي

(١) في « م » : « الرندة الثنية » . ولم ترد لفظة « الرندة » في نص الحديث الذي رواه البخاري .

(٢) في « م » : « وقال » .

(٣) في « م » و « ط » : « رَبِّ » .. وما هنا مطابق لنص الآية .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ٣٧ .

(٥) في « م » : « لإسماعيل » .

(٦) نص الحديث في البخاري : « ثم استقبلت الوادي تنظر ... » .

(٧) في البخاري : « فذَلِكَ سَعَى النَّاسِ » .

(٨) صَهْ : يفتح الصاد المهملة وسكون الهاء ، وبكسرهما مُتَوَكِّة ، كأنها خاطبت نفسها فقالت لها : اسكبي .

(٩) هَكَذَا في « ط » و البخاري .. وفي « م » : « عليك » مكان « عندك » تحريف .. وجواب الشرط محذوف ،

والتقدير : « إن كان عندك غوات فَأَغْبِي » .

(١٠) الْمَلِكُ : جبريل ، عليه السلام .

(١١) تُحَوِّضُهُ : أى تجعله مثل الحوض .. وفي « م » : « تحوضه » بالخاء المعجمة .. والأول هو المطابق لما ورد في

البخاري .

(١٢) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا : هو حكاية فعلها ، وهذا من إطلاق القول على الفعل .. وفي حديث عليّ : « فجعلت

نحس الماء ، فقال : دعيه فإنها رواء » .

سَقَاتِهَا ، وَهُوَ يُقَوِّرُ بَعْدَمَا تُعْرِفُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) : يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكْتُ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ : لَوْ لَمْ تُعْرِفْ ^(٢) لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا ^(٣) . قَالَ : فَشَرِيتُ وَأَرْضَعْتُ وَلَدَهَا ، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ : لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ ^(٤) ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَهُ هَذَا الْغَلَامُ وَأَبُوهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ .

وَمِنْهَا قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ، وَذَلِكَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ^(٥) ، وَمُرَّارَةَ بْنَ الرَّبِيعِ ^(٦) ، وَهَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ ^(٧) ، تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ « ثُبُوك » ، وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) عَنْ كَلَامِ الثَّلَاثَةِ ، قَالَ كَعْبٌ ^(٩) : فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَتَكَرَّرَ لَنَا الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ، فَمَا هِيَ إِلَّا الَّتِي أَعْرِفُ ، وَكُنْتُ أَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَلَّمَ ^(١٠) عَلَيْهِ ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَكْتُ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَى مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ ، تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ^(١١) ، وَهُوَ ابْنُ عُمَى وَأَحَبُّ النَّاسِ

(١) في م : : عليه السلام .

(٢) في م : : أو قال : لم تعرف ، وسقطت « لو » منها سهواً من الناسخ .. وهذا القول شك من الراوى .

(٣) في م : : لكانته تحريف .. وعيناً معيناً ، أى : كان الماء ظاهراً جارياً على وجه الأرض .

(٤) الضيعة : الهلاك .

(٥) هو : كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصارى السلمي الخزرجي ، صحابي من أهل المدينة ، ومن أكابر الشعراء ، ومن شعراء النبي ﷺ ، شهد أكثر الوقائع معه .. توفي سنة ٥٠ هـ تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٦) هو : مُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الأنصارى ، من بني عمرو بن عوف ، صحابي ، وهو ممن شهدوا بدرًا .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ١٣٤ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٧) هو : هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصارى الواقفي ، صحابي ، قديم الإسلام ، شهد بدرًا وأُحُدًا ، وهو الذي كسر أضنام بني واقف ، وكانت معه رايته يوم فتح مكة .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٨) في م : : عليه السلام .

(٩) كعب ، عن ط .

(١٠) في م : : وأسلم .

(١١) في م : : حائط جدار أبي قتادة . وأبو قتادة هو : أبو قتادة الأنصارى ، واسمه : الحارث بن ربيعة بن بلدعة الخزرجي السلمي ، فارس رسول الله ﷺ ، وشهد معه المشاهد كلها .. توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ .. وقيل : توفي بالكوفة في خلافة عليٍّ ، وصلى عليه عليٌّ ، رضى الله عنهما .

[انظر أسد الغابة ج ٦ ص ٢٥٠ ، ٢٥١] .

إِلَى ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللهَ مَا رَدَّ عَلَى السَّلَامِ ، فَلَمَّا تَمَّتْ خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ يَوْمِ نَهَى رَسُولُ اللهِ عَنْ كَلَامِنَا ، صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيَّنَّا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى ، قَدْ ضَاقتْ عَلَى نَفْسِي ، وَضَاقتْ عَلَى الْأَرْضِ بِمَا رَحِبَتْ ، وَمَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ، أَوْ يَمُوتَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَكُونُ مِنَ النَّاسِ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، لَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ ، فَأَنْزَلَ اللهُ [تَعَالَى] ^(٢) ثَوْبَتَنَا ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ ^(٣) مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَبْشِيرْ ! فَخَرَزْتُ سَاجِدًا لَهِىَ تَعَالَى ، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرْجُ ، فَجَعَلْتُ ثَوْبِي عَلَى الصَّارِخِ لِبُشْرَاهُ ^(٤) ، وَاللهَ مَا أَتَمَّلْتُ غَيْرَهُمَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، فَقَالَ : أَبْشِيرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرُّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتُكَ أُمَّكَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ مِنْ ثَوْبَتِي أَنْ أُخْلِجَ مِنْ مَالِي صَدَقَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ^(٦) .

وَرَوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا شَبَّ وَدَرَجَ فِي مَوْضِعٍ رُبِّي ^(٧) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ^(٨) رَأَى كَوْكَبًا ۖ يَقَالُ : إِنَّهُ رَأَى الزُّهْرَةَ ۖ قَالَ ^(٩) هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ : لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَقْبَلَ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ۖ قَالَ : لَيْنٌ لَمْ يَهْدِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا ۖ

(١) « صل الله عليه وسلم » عن « م » .

(٢) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٣) في « م » : « خارج » تحريف .

(٤) في « ط » : « بُشْرَاهُ » بدلون اللام .

(٥) في « م » : « عليه السلام » .

(٦) انظر الحديث في فتح الباري ، كتاب التفسير ، سورة براءة « التوبة » باب « وعلى الثلاثة الذين خلفوا »

ج ٨ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٧) في « ط » : « رُبِّي » فيه « . » ودرج : ذب . يقال : درج الصبي : أخذ في الحركة وابتدأ في المشي .

(٨) جَنَّ عليه الليل : ستره .

(٩) في « م » و « ط » : « فقال » .. وما هنا مطابق للآية . والزُّهْرَةُ : أحد كواكب المجموعة الشمسية التسعة ، وهو ثاني

كوكب في البعد عن الشمس ، يقع بين عطارد والأرض ، وهو ألمع جُرم سماوي ، باستثناء الشمس والقمر .

أَصْبَحَ وَ رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالُ : هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي
 بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَيفًا وَمَا أَنَا
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ : أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ؟ يَغْنَى إِلَى الْإِسْلَامِ
 ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴾ . قَالُوا : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَمَا تَخَافُ مِنْ آلِهَتِنَا أَنْ تُصِيبَكَ بِسُوءِ إِنْ أَنْتَ سَبَيْتَهَا
 أَوْعَيْتَهَا ؟ قَالَ : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ
 بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وَكَانَ آرَرُ يَصْنَعُ أَصْنَامًا يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ ، ثُمَّ يُعْطِيهَا إِبْرَاهِيمَ يَبِيعُهَا ، فَيَكْسِرُهَا وَيَذْهَبُ
 بِهَا إِلَى نَهْرٍ لَهُمْ فَيَصُبُّهَا فِيهِ عَلَى رُءُوسِهَا ، وَيَقُولُ لَهَا ^(٢) : اشْرَبِي ، اسْتِهْزَأَ بِهَا ،
 وَإِظْهَارًا لِقَوْمِهِ فَسَادَ مَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَفَسَادَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ نَمْرُودَ ، فَأَوَّلُ
 مَا بَدَأَ قَوْمُهُ أَنْ ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً ^(٣) فِي النُّجُومِ ﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * يَعْنِي : مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْهِمْ
 وَعَلَى أَصْنَامِهِمْ ، فَظَنُّوا أَنَّهُ مَطْعُونٌ ، وَكَانُوا يَقْرُونَ مِنَ الطَّاغُوتِ إِذَا سَمِعُوا بِهِ ﴿ فَتَوَلَّوْا
 عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ ﴾ فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَهُمْ قَدْ وَضَعُوا لَهَا طَعَامًا وَشَرَابًا
 ﴿ فَقَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾ فَرَاغَ ^(٤) عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * وَكَسَرَهَا ،
 وَقَطَعَ أَيْدِيهَا وَأَرْجُلَهَا حَتَّى جَعَلَهَا جُذَاذَا ^(٥) ، وَأَرَاقَ طَعَامَهَا وَشَرَابَهَا ، وَعَمَدَ إِلَى
 النَّفَاسِ فَعَلَّقَهَا ^(٦) بِيَدِ إِلَهِهِمُ الْأَعْظَمِ ^(٧) ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا ، فَلَمَّا

(١) من قوله تعالى : ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ إلى هنا من سورة الأنعام - الآيات من ٧٦ - ٨١ .

(٢) في م : : : فيصبيها فيه ثم يقول لها .

(٣) نص الآية : ﴿ فَنظَرَ نَظْرَةً ﴾ .

(٤) هكذا في م ، وهو مطابق لما ورد في القرآن .. وفي ط : : فأقبل عليهم . والمعنى : أنه مال إلى آهتهم
 خفية ليحطمها .. والآيات من سورة الصفات ، من الآية ٨٨ - ٩٣ .

(٥) جُذَاذَا : قطعاً صغيراً .

(٦) في م : و ط : : فعلقها ، والناس مؤنثة في اللغة .. وعَمَدَ : قصَدَ .

(٧) في ط : : : المظيم .

رَجَعَ قَوْمُهُ مِنْ عِيْدِهِمْ دَخَلُوا ^(١) بَيْتَ أَصْنَامِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا صُنِعَ بِهَا رَاعَهُمْ ذَلِكَ
وَأَعْظَمُوهُ ^(٢) و « قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ » قَالُوا ^(٣) : سَمِعْنَا قَتْلَى
يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ « سَمِعْنَاهُ يَسْبُحُهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا ، فَقَالَ ثَمْرُودُ : « قَاتِلُوا بِهِ عَلَى
أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ » . فَلَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) « قَالُوا : أَأَنْتَ فَعَلْتَ
هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ » قَالَ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ «
فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا : إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ « قَالُوا ^(٥) : إِنَّا قَدْ ظَلَمْنَاهُ بِمَا نَسَبْنَا
إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا ^(٦) وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ : « لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطَلِقُونَ »
قَالَ : أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ « أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ « ^(٧) فَقَالَ لَهُ ثَمْرُودُ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ ^(٨) : صَيْفٌ لَنَا ^(٩)
إِلَهًا الَّذِي تَعْبُدُ وَتَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ . « قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّي ^(١٠) الَّذِي يُخْبِي وَيُخْشِي
قَالَ « ثَمْرُودُ : و « أَنَا أُخْبِي وَأُخْشِي » . قَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : آخُذْ رَجُلَيْنِ قَدْ
اسْتَرْجَبَا الْقَتْلَ فِي حُكْمِي ، فَأَقْتُلْ أَحَدَهُمَا ، فَأَكُونُ قَدْ أَمُتُّهُ ، وَأَعْفُو عَنِ الْآخَرِ ، فَأَكُونُ
قَدْ أَحْيَيْتُهُ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَخِي الَّذِي قَتَلْتَ بِرِغْمِكَ ، وَأُخْرِجْ رُوحًا
مِنْ جَسَدٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقْتُلَهُ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا . وَإِنَّ ^(١١) « اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ

(١) في « م » : « ودخلوا » .

(٢) أى : أنكروهُ .. وفى « م » : « عَظَمُوهُ » أى : رأوه عظيمًا .

(٣) هكذا فى « م » ، وهو مطابق لما ورد فى القرآن .. وفى « ط » : « فقال بعضهم » .

(٤) فى « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .

(٥) « قالوا » عن « ط » ولم يرد فى « م » .

(٦) فى « م » : « ثم قال » .

(٧) من قوله تعالى : « قال من فعل هذا بآلهتنا » إلى هنا ، من سورة الأنبياء ، الآيات من ٥٩ - ٦٧ بتصرف

يسير .

(٨) فى « م » : « حين سمع منه ذلك » .

(٩) فى « م » : « صيف لى » .

(١٠) هكذا فى « م » ، وهو مطابق لنص الآية .. وفى « ط » : « إن ربى » .

(١١) فى « م » : « فإن » . وكذا وردت فى القرآن .

فَلَمَّا وَضَعُوهُ ^(١) فِي كَيْفَةِ الْمَنْجَنِيْقِ وَقَذَعُوهُ قَالَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِيْمَانِي بِكَ ، وَعَدَاوَةَ قَوْمِي فِيكَ ، فَالْصِّرْنِي عَلَيْهِمْ ، وَتَجْنِنِي مِنَ النَّارِ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى النَّارِ ^(٢) أَنْ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَاطَاعَتِ النَّارُ رَبَّهَا ، وَلَوْ لَمْ يَقُلْ سَلَامًا لَمَاتَ مِنَ شِدَّةِ الْبُرْدِ . وَلَبِثَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَظَنَّ قَوْمُهُ أَنَّهُ قَدْ اخْتَرَقَ ، ثُمَّ قَالَ لِمُرُودُ : انْظُرُوا مَاذَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي نَوْمِي أَنَّ جِدَارَ هَذَا الْحَيْرِ ^(٣) قَدْ تَهَلَّمَ وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَمْشِي ، قَالَ : وَذَابَ الْحَاسُ الَّذِي سُدَّ بِهِ بَابُ الْحَيْرِ ، وَاخْتَرَقَ الْجِدَارُ فَصَارَ رَمَادًا ، فَاطْلَعُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَرَأُوهُ صَاحِبِهَا سَلِيمًا ^(٤) ، وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ^(٥) ، فَلَمَّا رَأَوْهُ خَرَجَ يَمْشِي حَتَّى ^(٦) قَعَدَ إِلَى أُمِّهِ ، وَهِيَ فِي الْجَمْعِ ، وَأَقْبَلَتْ سَارَةً ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ، حَتَّى جَلَسَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، إِنِّي آمَنْتُ بِالَّذِي جَعَلَ النَّارَ عَلَيْكَ ^(٧) ، بَرْدًا وَسَلَامًا . قَالَتْ لَهَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ : اخْذِرِي الْقَتْلَ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَتْ ^(٨) : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنِّي لَا أَخَافُ شَيْئًا وَقَدْ آمَنْتُ بِإِلَهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَحَوَّلَ إِبْرَاهِيمَ جَمْعَ مِنَ النَّاسِ لَا يُخْصِي عَدَدُهُمْ ، يَأْتِمِرُونَ لِيُجَدِّدُوا لَهُ عَذَابَهَا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحًا عَاصِفًا ، فَسَفَّتْ ^(٩) رَمَادَ تِلْكَ النَّارِ فِي وُجُوهِهِمْ وَغَيَّرَتْهُمْ فَقَرَأُوا عَنْهُ ، وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمُذَكِّرًا بِهِ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا ^(١٠) : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ،

(١) فِي ١ م : : فلما وضع .

(٢) فِي ١ م : : إِلَيْهَا .

(٣) فِي ١ م : : الْحَيْرِ فِي الْمَوْضِعِينَ .. انظر الماشى رقم ٢٠ من ص ٦٤٠ .

(٤) فِي ١ م : : سَلَامًا .

(٥) فِي ١ م : : الْحَالَةَ .

(٦) فِي ١ م : : حِينَ تَخْرُجُ .

(٧) عَلَيْكَ عَنْ ١ م .

(٨) فِي ١ م : : قَالَتْ .

(٩) فَسَفَّتْ : فَطَيَّرَتْ .

(١٠) فِي ١ م : : وَغَيْرُهُمْ لَا تَنْصَحُ لَفَةً .

انْطَلَقَ إِلَى الْحَمَامِ ^(١) وَمَعَهُ جَنَى يُقَالُ لَهُ صَحْرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْخُلُ
الْخَلَاءَ ^(٢) بِالْحَائِمِ ، فَدَخَلَ الْحَمَامَ وَأَعْطَى الشَّيْطَانَ حَائِمَهُ ، فَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، فَالْتَمَعَتْهُ
سَمَكَةٌ ، وَنَزَعَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ مِنْهُ ^(٣) ، وَالْقَى عَلَى الشَّيْطَانِ شَبَهُ سُلَيْمَانَ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ
عَلَى كُرْسِيِّهِ ، وَسَلَطَ عَلَى جَمِيعِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ غَيْرَ نِسَائِهِ ، فَجَعَلَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ
وَالنَّاسُ يَتَكَبَّرُونَ قَضَائَاهُ ، حَتَّى قَالُوا : لَقَدْ فُتِنَ نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ ، وَمَكَتَ عَلَى ذَلِكَ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ فِي حَالَتِهِ تِلْكَ وَهُوَ جَائِعٌ نَائِعٌ ^(٤) ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى صَيَّادِينَ فِي
الْبَحْرِ ، فَاسْتَطَعَمَ ^(٥) أَحَدَهُمْ مِنْ صَيْدِهِ وَقَالَ لَهُ : أَنَا سُلَيْمَانُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَضَرَبَهُ
بِعَصَا ^(٦) فَشَجَّ وَجْهَهُ ، فَجَعَلَ ^(٧) يَغْسِلُ دَمَهُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَلَامَ الصَّيَّادُونَ
صَاحِبَهُمْ عَلَى ضَرْبِهِ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَغْطَوْا سُلَيْمَانَ سَمَكَتَيْنِ مِمَّا قَدْ تَغَيَّرَ عِنْدَهُمْ وَتَنَنَ ^(٨) ،
وَلَمْ يَشْغُلْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الضَّرْبِ عَنْ أَنْ يَقُومَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَشَقَّ بَطْنَيْهِمَا ^(٩)
وَوَسَّلَهُمَا ، فَوَجَدَ حَائِمَهُ فِي بَطْنِ أَحَدِهِمَا ^(١٠) فَأَخَذَهُ فَلَبَسَهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَهَاءَهُ
وَمُلْكَهُ ، وَجَاءَتِ الطَّيْرُ فَحَامَتْ ^(١١) عَلَيْهِ ، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهُ سُلَيْمَانُ ، فَجَاءُوا يَعْتَذِرُونَ
إِلَيْهِ .

وَرَوَى وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَهَبَ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ ، فَلَمَّا كَانَ ابْنُ سَبْعِ
سِنِينَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحْهُ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ قُرْبَانًا ، فَكَتَمَ إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ
عَنْ إِسْحَاقَ وَأُمِّهِ وَجَمِيعِ النَّاسِ ، وَأَسْرَهُ إِلَى خَلِيلٍ لَهُ ، يُقَالُ لَهُ : الْغَاوِرُ ، وَكَانَ أَوَّلُ

(١) في م : : : الحمام : تحريف .

(٢) المراد بالخلاء : المكان الذي يقضى فيه الإنسان حاجته .

(٣) في م : : : فيه : تحريف .

(٤) نائع : عطش .. وقيل : نائع اتباع لجائع .

(٥) فاستطعم : فطلب طعاماً .

(٦) في م : : : فضربه ضرباً .. وشج : جرح .

(٧) في م : : : قال : فجعل ... : .

(٨) أى : خبثت رائحته .

(٩) في م : : : بطونهما . والصواب ما أثبتناه .

(١٠) هكذا في م : : : وط : .. والصواب : : : إحداهما .

(١١) في م : : : حتى حامت : .

مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ يَوْمَ أُخْرِقَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَفَعَ اسْمَكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَاءِ ، حَتَّى كُنْتُ أَرْفَعُهُمْ بَيْلَةً ، لِيَرْفَعَكَ اللَّهُ بِقَدْرِ ذَلِكَ فِي الْمَنَازِلِ وَالْفَضَائِلِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتْلِكَ ^(١) بِذَلِكَ لِيَفْتِنَكَ ، وَلَا لِيُضِلَّكَ ، فَلَا يَسْؤُنَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَقًّا ^(٢) مِنِّي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ سَخَطًا بِحُكْمِهِ الَّذِي حَكَمَ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَكِنْ هَذَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، فَإِنْ عَزَمَ رَبُّكَ عَلَى ذَلِكَ فَكُنْ عِنْدَ أَحْسَنِ عِلْمِهِ بِكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

فَتَعَزَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ ، وَأَسْتَدُّ لَهُ رَأْيَهُ وَبَصِيرَتَهُ ، وَانْطَلَقَ بِإِسْحَاقَ ، فَلَمَّا صَعِدَ الْجَبَلَ وَمَعَهُ السُّكَيْنُ وَالْحَبْلُ وَأَدَاةُ الْقُرْبَانِ ، فَقَالَ لَهُ ^(٣) إِسْحَاقُ : يَا أَبَتِ ، أَرَى مَعَكَ أَدَاةَ الْقُرْبَانِ وَلَا أَرَى قُرْبَانًا ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا بُنَيَّ ، الْقُرْبَانُ بَيْنَ رَبِّكَ ^(٤) يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ شَاءَ رَجِمَ أَبَاكَ . فَلَمْ يَقْطَعْ ^(٥) إِسْحَاقُ ، فَلَمَّا وَافَى رَأْسَ الْجَبَلِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَذْبَحَكَ وَأَجْعَلَكَ قُرْبَانًا يَرْفَعُكَ إِلَيْهِ ^(٦) وَيَقْبَلُكَ ، فَاظْطَرُّ مَاذَا تَرَى ؟ فَتَهَلَّلَ إِسْحَاقُ وَاسْتَبَشَرَ ، فَقَالَ لَهُ وَالِدُهُ : لَقَدْ فَجَعْتُكَ ^(٧) يَا بُنَيَّ بِأَمْرِ مَافَجَعَ بِهِ وَالِدَ وَلَدُهُ ، وَإِنِّي لَأَرَى ^(٨) مِنْ سُرُورِكَ بِذَلِكَ وَشُكْرِكَ لِرَبِّكَ أَمْرًا أَرْجُو بِهِ الْعَاقِبَةَ وَالْفَرَجَ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْبِرِّ بِكَ وَيَأْمُرِي ، وَقَدْ حَرَمَنِي رَبِّي ، فَإِذَا أُرِدْتُ ذَنْبِي فَاشْتَدُّ وَتَأَلَّى ^(٩) فَإِنِّي أَخَافُ حِينَ يُفَارِقُنِي عَقْلِي وَأُجِدُّ أَلَمَ الْحَدِيدِ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنِّي عُضْوٌ فَيُؤْذِيكَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُحَيِّمَ بِذَلِكَ عَمَلِي ،

(١) في م : : لم يتليك : خطأ في اللغة .

(٢) في م : : أن يكون حقاً .

(٣) د : ه : عن ط .

(٤) في م : : بين الله .

(٥) لم يقطع ، بفتح الطاء المهمله وبضمها : لم يترك مقصد والده .

(٦) في م : : يرفعك الله .

(٧) فجعتك : ألمتك إيلاماً شديداً .

(٨) في م : : وإني أرى .

(٩) الزنات : ما يشد به ، كالجليل ونحوه .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِي فَأَقْرِئْهُ أُمِّي السَّلَامَ ^(١) وَقُلْ لَهَا : لَا تَجْزَعِي ، فَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ ابْنَكَ فِي جَنَاتِهِ ^(٢) .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ وَصِيَّتِهِ عَمَدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) إِلَيْهِ فَعَصَبَهُ بِعِمَامَتِهِ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ^(٤) إِلَى الْكَفَّيْنِ ، ثُمَّ كَبَّهَ لَوَجْهِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ وَجْهَهُ لِكَيْلَا ^(٥) تُدْرِكُهُ لَهُ رَحْمَةٌ إِذَا هُوَ تَشَحُّطٌ ^(٦) ، فَأَذْخَلَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ حَلْقِهِ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْزُرَ انْقَلَبَ السُّكُنُ ، فَأَوَجَسَ إِبْرَاهِيمُ فِي نَفْسِهِ ^(٧) ، ثُمَّ عَادَ الثَّانِيَةَ ^(٨) ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْزُرَ ، انْقَلَبَ السُّكُنُ ، وَتَوَدَّى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُئِمِّنُ * وَلَقَدْ نَاهَى بِذَنْبِ عَظِيمٍ ﴾ ^(٩) ، هَذَا يَدَاءُ ابْنِكَ قَدْ فَدَاهُ اللَّهُ لَكَ بِهِ ، فَتَنَظَّرَ إِبْرَاهِيمُ خَلْفَهُ فَإِذَا بِكَبْشٍ ^(١٠) قَدْ لَوَّى قَرْنُهُ الْأَيْمَنُ عَلَى سَاقِ شَجَرَةٍ ، فَوَجَّهَهُ ^(١١) إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَفَبَلَّتُهُ يَوْمَئِذٍ مَكَّةَ ^(١٢) ، فَذَبَحَهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَصَبَهُ ^(١٣) اسْتَحَاقً ، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْهُ وَضَعَاهُ قُرْبَانًا ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَتَقَبَّلَهُ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَلَمَّا صَارَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِصْرَ وَاسْتَرْقَى ^(١٤) بَعْدَ الْحُرِّيَةِ جَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ يَمْكِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى أَبِييهِ وَإِخْوَتِهِ وَوَطْنِهِ وَمَا ابْتَلَى بِهِ

(١) فِي م : : فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ عَلَى أُمِّي .

(٢) فِي ط : : أَكْرَمَ اللَّهُ لَكَ ابْنَكَ . . . فِي م : : حَيَاتِهِ . مَكَانَ وَجَنَاتِهِ .

(٣) فِي ط : : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . وَعَمَدَ : ذَهَبَ وَقَصَدَ .

(٤) عَصَبَهُ : شَدَّهُ وَلَفَّهُ . . . وَالنَّكَبُ : مَجْمَعُ رَأْسِ الْعِضْدِ وَالْكَفِّ .

(٥) فِي ط : : وَكَيْ لَا .

(٦) تَشَحُّطٌ : اضْطَرَبَ وَتَحَوَّطَ فِي ذَمِّهِ .

(٧) يَمْحُزُ : يَقْطَعُ . . . أَوَجَسَ : وَقَعَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفُ .

(٨) فِي م : : : الثَّالِثَةَ . . . وَهِيَ الْمَحَاوَلَةُ الثَّانِيَةُ لَا الثَّالِثَةَ .

(٩) سُورَةُ الصَّافَّاتِ ، الْآيَاتُ مِنْ ١٠٤ - ١٠٧ .

(١٠) فِي م : : : فَإِذَا هُوَ بِكَبْشٍ .

(١١) فِي م : : : فَوَجَّهَهُ .

(١٢) فِي م : : : بِمَكَّةَ .

(١٣) قَصَبَهُ : قَطَعَهُ .

(١٤) اسْتَرْقَى : صَارَ مُلُوكًا يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْأَرْقَاءِ .

مِنَ الرُّقِّ ، فَاحْيَا لَيْلَةً مِّنَ اللَّيَالِي يَدْعُو رَبَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَخْرِجْنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي وَأَبَوَيَّ وَوَطَنِي ، فَاجْعَلْ لِي فِي ذَلِكَ خَيْرًا وَرَجَاً وَمَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ اخْتَسِبْتُ ، وَمِنْ حَيْثُ لَا اخْتَسِبُ ، وَحَبِّبْ إِلَيَّ الْبِلَادَ الَّتِي أَنَا فِيهَا ، وَحَبِّبْهَا إِلَيَّ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُهَا ^(١) وَحَبِّبْنِي إِلَى أَهْلِهَا ، وَحَبِّبْهُمْ إِلَيَّ ، وَلَا تُعْزِئْنِي حَتَّى تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبَوَيَّ وَإِخْوَتِي ^(٢) فِي يُسْرِ مِثْلِكَ وَنِعْمَةٍ وَسُرُورٍ ^(٣) تَجْمَعُ لَنَا بِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

فَأَنَّى ^(٤) يُوسُفُ فِي تَوْبِهِ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اسْتَجَابَ لَكَ دُعَاكَ وَأَعْطَاكَ مَنَّاكَ ، وَوَرِّثَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ وَسُلْطَانَهَا ، وَجَمَعَ إِلَيْكَ أَبَوَيْكَ وَإِخْوَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، فَطَبَّ نَفْسًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ . وَيَدْعَا يُوْسُفَ صَارَتْ مِصْرُ مَحْبُوبَةً ، بِحُبِّهَا مَنْ دَخَلَهَا فَلَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْهَا ، قَالَ قَتَادَةُ : مَا سَكَنَهَا نَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَلَمَّا جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ وَتَكَامَلَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ اشْتَقَى إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى لِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ تَوَفَّى مُنْئِمًا وَالْحَقِّقَى بِالصَّالِحِينَ ﴾ ^(٥) .

وَلَمَّا وَجَّهَ سَلِيمَانُ بْنُ عَيْدِ الْمَلِكِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ^(٦) إِلَى الْعِرَاقِ لِيُطْلِقَ أَهْلَ

(١) قوله : « وَحَبِّبَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ يَدْخُلُهَا » عَنْ « ط » .

(٢) فِي « م » : « بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي وَأَبَوَيَّ » .

(٣) فِي « م » : « عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ وَسُرُورٍ » .

(٤) فِي « م » : « قَالَ » مَكَانَ « فَأَنَّى » .

(٥) سُورَةُ يُوسُفَ ، آيَةُ ١٠١ .

(٦) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، الْقُرَشِيُّ بِالْوَلَاءِ ، أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةِ ، أَرْسَلَهُ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ الشَّامِ سَنَةَ ٩٧ هـ ، وَالْيَا عَلَيْهَا ، وَكَانَتْ الْأَنْدَلُسُ تَابِعَةً لَهَا .. وَعَزَلَهُ الْخُلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ وَفَاةِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ ٩٩ هـ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سِتِينَ وَأَشْهُرًا .. وَلَمَّا وَلِيَ الْخُلَافَةُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ ١٠١ هـ ، وَلَّى عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ يَزِيدَ ابْنَ أَبِي مُسْلِمٍ ، كَاتِبَ الْحِجَااجِ ، فَأَرَادَ هَذَا أَنْ يَسِيرَ فِي إِفْرِيقِيَّةِ بِسُورَةِ الْحِجَااجِ ، فَقَتَلَهُ أَهْلُهَا ، وَأَعَادُوا مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَكَبَرُوا إِلَى الْخُلِيفَةِ : إِنْ لَمْ تَنْخَلِ أَبْدِينَا مِنَ الطَّاعَةِ ، وَلَكِنْ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ سَأَلَنَا مَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَقَتَلْنَاهُ ، وَأَعْدَلْنَا عَلَيْنَا مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ .. فَكَبَرَ إِلَيْهِمُ الْخُلِيفَةُ : إِنْ لَمْ أَرْضَ بِمَا صَنَعَ ابْنُ أَبِي مُسْلِمٍ .. وَأَقْرَعَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَلَى عَمَلِهِ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٤٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٤] .

السُّجُونِ ، وَيُقَسِّمُ الْأَمْوَالَ ، ضَيَّقَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَزِيدَ الْمَلِكِ الْخِلَافَةَ وَلَّى يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ إِفْرِيقِيَّةً ، فَاسْتَحْفَى مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَطَلَبَهُ يَزِيدُ ابْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَأَتَى بِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ ، وَفِي يَدِ ابْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عُنُقُودُ عَنَبٍ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ حِينَ ذَا مِنْهُ : مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَطَالَمَا (١) سَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُمَكِّنَنِي مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَنَا وَاللَّهِ فَطَالَمَا سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُجِيرَنِي مِنْكَ وَيُعِيدَنِي . فَقَالَ يَزِيدُ : فَوَاللَّهِ مَا أَجَارَكَ وَلَا أَعَاذَكَ ، وَإِنْ سَابَقَنِي مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى قَبْضِ رُوحِكَ لَسَبَقْتُهُ (٢) ، وَاللَّهِ لَا أَكُلْتُ هَذِهِ الْحَبَّةَ حَتَّى أَتْكُلَكَ . فَأَقَامَ الْمُؤَذِّنُ الصَّلَاةَ ، فَوَضَعَ يَزِيدُ الْعُنُقُودَ وَتَقَدَّمَ لِيُصَلِّيَ ، وَكَانَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَلَمَّا رَكَعَ ضَرْبَهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ بِعُمُودٍ فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ ابْنِ يَزِيدَ : اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ . فَسَبَحَانَ مَنْ قَتَلَ الْأَمِيرَ وَأَحْيَا الْأَسِيرَ ، سَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ، طُلُوعَ الْحَيَاةِ مِنْ شِفَارِ الْمَوْتِ (٤) ، وَحُضُورَ الْمَوْتِ مِنْ مَعْدِنِ الْحَيَاةِ .

وَبَرَزَى أَنَّ سُلْطَانَ صِيقَلِيَّةٍ أَرَقَى ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمُنِعَ النَّوْمَ ، فَأُرْسِلَ إِلَى قَائِدِ الْبَحْرِ وَقَالَ : ائْتِنِي (٥) الْآنَ مَرْكَبًا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ يَأْتُونِي بِأَخْبَارِهَا ، فَعَمَرَ الْقَائِدُ الْمَرْكَبَ (٦) وَأَرْسَلَهُ لِحَبِيئِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا بِالْمَرْكَبِ فِي مَوْضِعِهِ لَمْ يَبْرَحْ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَلَيْسَ قَدْ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ (٧) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ امْتَكَلْتُ أَمْرَكَ وَأَلْفَذْتُ الْمَرْكَبَ ، فَارْجِعْ بَعْدَ سَاعَةٍ ، وَسَيُخْبَرُكَ مُقَدِّمُ الْمَرْكَبِ (٨) ، فَجَاءَ [مُقَدِّمُ الْمَرْكَبِ] (٩) وَمَعَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ

(١) في م : : طالا .

(٢) في م : : قُبِضْتُهُ .

(٣) قد : عن ط .

(٤) شفار الموت : حافته .

(٥) ائْتِنِي : أُرْسِلْ .

(٦) عَمَرَ الْمَرْكَبَ : أَعَدَّهُ .. وفي م : : عمد بالذال ، أى : أقامه بمواده ودَعَمَهُ .

(٧) به : عن ط .. ولم ترد في م : .. وكذا قد بعدها .

(٨) قوله : : وَسَيُخْبَرُكَ مُقَدِّمُ الْمَرْكَبِ : عن ط .. ومُقَدِّمُ الْمَرْكَبِ : قائده والمسئول عنه .

(٩) مابين المقوفين عن م .

الْمَلِكُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ قَالَ : ذَهَبْتُ بِالْمَرْكَبِ ^(١) فَبَيَّنَّا أَنَا فِي
جُوفِ اللَّيْلِ وَالْبَحَارُونَ يُقَدِّفُونَ ^(٢) إِذَا أَنَا بِصَوْتٍ يَقُولُ : يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ ، يَا غِيَاثُ
الْمُسْتَغِيثِينَ ^(٣) ، يُكْرِّرُهَا مِرَارًا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ صَوْتُهُ فِي أَسْمَاعِنَا نَادَيْتَاهُ مِرَارًا : يَا لَيْكَ يَا
لَيْكَ ، وَهُوَ يُنَادِي : يَا اللَّهُ يَا غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَنَحْنُ نُجِيبُهُ : يَا لَيْكَ يَا لَيْكَ ،
وَقَدَفْنَا ^(٤) الْمَرْكَبَ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَالْفَيْنَا هَذَا الرَّجُلَ غَرِيقًا فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنَ الْحَيَاةِ ،
فَأَخَذْنَاهُ ^(٥) مِنَ الْبَحْرِ ، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : كُنَّا مُقْلَعِينَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ فَعَرَقَتْ سَفِينَتُنَا
مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَمَا زِلْتُ أَسْبِغُ حَتَّى وَجَدْتُ الْمَوْتَ ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِالْغَوْثِ مِنْ نَاجِحَتِكُمْ !
فَسَبَّحَانَ مَنْ أَسْهَرَ سُلْطَانًا ، وَأَرَقَّ جَبَّارًا فِي قَصْرِهِ لِغَرِيقٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ مِنْ
تِلْكَ الظُّلُمَاتِ : ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ ، وَظُلْمَةِ الْوَحْشَةِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ !

وَأَخْبِرَنِي رَجُلٌ كَانَ إِمَامَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ : كُنْتُ بِصِيقَلِيَّةِ أَيَّامَ بَنِي
الْعُدُوِّ ، فَزَحَفَ إِلَيْنَا فِي الْبَحْرِ سَفْنٌ ثَقَابُ مِائَةٍ ^(٦) سَفِينَةٍ ، وَأُرْسَتْ فِي السَّاحِلِ ، فَزَأَيْنَا
أَمْرًا مَهُولًا ، وَفِينَا الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ ابْنُ الْمُسْتَطَارِي ^(٧) ، فَلَجَأَ النَّاسُ إِلَيْهِ ،
وَأَسْتَجْمَعُوا حَوْلَهُ يَتَّبِعُونَ بِهِ ، وَيَنْتَظِرُونَ الْفَرَجَ عَلَى يَدَيْهِ ، قَالَ : فَنَظَرُ إِلَى السَّمَاءِ حِينًا
وَسَجَدَ وَعَفَّرَ خَدَيْهِ بِالْأَرْضِ يُقَلِّبُهُمَا ^(٨) يَمِينًا وَشِمَالًا ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبْنَا حَتَّى هَبَّتْ
رِيحٌ مَرْقُفَتَا كُلِّ مَمْرُقٍ ^(٩) ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا اثْنَانِ .

(١) فِي الْمَرْكَبِ .

(٢) يُقَدِّفُونَ .. وَمِنَ الْقَدَفِ ، وَالْقَدَفُ ، وَهُوَ : الْمَجْدَافُ .

(٣) فِي الْم : يَا غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَنَحْنُ نُجِيبُهُ .. .

(٤) قَدَفْنَا : دَقَفْنَا .

(٥) فِي الْم : فَاسْتَقَيْنَاهُ .. وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .

(٦) فِي ط : ثَلَاثَةُ .

(٧) فِي الْم : ابْنُ الْمُسْتَطَارِي .. لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ .

(٨) فِي الْم : يُقَلِّبُهَا ، لَا يَصْح .

(٩) أَيْ : فَرَقَتْ سَفْنُ الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ جِهَةٍ .

وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ فَاتِلٍ ^(١) رَجِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : كُنْتُ فِي طَرِيقِ الْحِجَازِ ، فَعَطِشَ النَّاسُ ^(٢) فِي مَفَارِةِ ثُبُوكَ ، فَفَقِدَ ^(٣) الْمَاءَ ، وَلَمْ يُوجَدْ إِلَّا عِنْدَ صَاحِبِ لِي جَمَّالٍ ، فَجَعَلَ يَبِيعُهُ بِالذَّنَائِيرِ بِأَرْفَعِ الْأَثْمَانِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ كَانَ مَوْسُومًا بِالصَّلَاحِ ، عَلَيْهِ مُقَطَّعَةٌ ، يَحْمِلُ رِكْوَةً ^(٤) ، وَمَعَهُ شَيْءٌ مِنْ دَقِيقٍ ، فَتَشَفَّعَ بِي إِلَى الْجَمَّالِ لِيَبِيعَهُ الْمَاءَ بِذَلِكَ الدَّقِيقِ ، فَكَلَّمْتُهُ فَأَبَى ^(٥) ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ فَأَبَى ، قَالَ : فَبَسَطَ الرَّجُلُ النُّطْعَ فِي الْأَرْضِ وَنَثَرَ عَلَيْهِ الدَّقِيقَ ، ثُمَّ رَمَى السَّمَاءَ ^(٦) وَقَالَ : إِلَهِي ، أَنَا عَبْدُكَ ، وَهَذَا دَقِيقُكَ ، وَلَا أَمْلِكُ غَيْرَهُ ، وَقَدْ أَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَيْهِ فِي النُّطْعِ وَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَبْرَحُ ^(٧) حَتَّى أَشْرَبَ ، فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا حَتَّى نَشَأُ السَّحَابُ ، فَأَمْطَرَ لِلْحَجَّينَ ، فَشَرِبَ الْمَاءَ وَلَمْ يَبْرَحْ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرُ ذِي طِمْرَيْنِ » ^(٨) لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرُهُ ^(٩) .

وَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ مُسْنِدٌ مِمَّنْ كَانَ يَصْحَبُ الْعُلَمَاءَ بِالْقَيْرَوَانِ ، يُقَالُ لَهُ : جَرِيرٌ ^(١٠) قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْكَافِي الدِّيَاجِي ، قَالَ : رَأَيْتُ بِالْقَيْرَوَانِ آيَةً عَظِيمَةً ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ بِصَبِيٍّ ^(١١) لَهُ وَقَدْ أَسْكَبَتْ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَدَخَلَ بِهِ إِلَى الْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ

(١) في م : هامل مكان فاتك .

(٢) في م : فعطش القالد .

(٣) في م : ففقد .

(٤) في م : عليه قطعة ينطع يحمل ركوة .. والمقطعة : القصير من الملابس ، وكل ما يفتصل ويخاط ويحمل ملابس ، كالقمصان والجباب وغيرها .. والنطع : البساط من الجلد .. والركوة : الإناء الصغير .. وقد مرت .

(٥) في ط : فأتى على .

(٦) السماء لم ترد في م .. ورمى السماء : أدام النظر إليها .

(٧) لا يبرح : لا يغادر مكاناً .

(٨) في م : « رُبُّ ذِي طِمْرَيْنِ » والطمر : الثوب البالي .

(٩) لا يؤبه له : لا يلتفت إليه ولا يحتفل به .. وأبره : أجابه إلى ما أقسم عليه .. والحديث رواه مسلم في كتاب

البر .. والرملى في المناب .

(١٠) في ط : جرير .

(١١) في م : « لَصِي » تحريف .

الرَّحْمَنِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ ابْنِي هَذَا قَدْ أُسْكِتَ مِنْذُ أَيَّامٍ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرَجَّ مَا نَزَلَ بِهِ ، قَالَ : فَدَعَا الشَّيْخُ سَاعَةً ، ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَ الصَّبِيِّ ، فَاسْتَفَاقَ الصَّبِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ الصَّبِيُّ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : اكْتُمَهَا عَلَيَّ إِلَى الْمَوْتِ ، ثُمَّ التَفَتَ ^(١) إِلَى جَارِيَتِهِ فَقَالَ : اكْتُمِي عَلَيَّ هَذَا ^(٢) إِلَى الْمَوْتِ وَأَنْتِ حُرَّةٌ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ تَوَفَى الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِحَجَازَتِهِ ، وَكَثَارَتِ الْأُمَمُ ، قَامَ ^(٣) الرَّجُلُ فَاسْتَنْصَتَ النَّاسُ ، فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْفَقِيرَوَانِ ، اسْمَعُوا قِصَّتِي مَعَ هَذَا الشَّيْخِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ كَمَا سَمِعْتُمُوهُ .

وَحَدَّثَنِي هَذَا الشَّيْخُ قَالَ : نَزَلَ ^(٤) عِنْدَنَا بِالْفَقِيرَوَانِ قِصَّةٌ لَمْ يُسْمَعْ فِي السَّالِفِينَ بِمِثْلِهَا ^(٥) ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْجَزَائِرِ أَضْجَعَ كَبْشًا لِيَذْبَحَهُ ، فَتَحَبَّطَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَقْلَتَ مِنْهُ وَذَهَبَ ، فَقَامَ الْجَزَّارُ يَطْلُبُهُ ، وَجَعَلَ يَمْشِي إِلَى أَنْ دَخَلَ حَرْبَةً ، فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ مَذْبُوحٌ يَتَحَبَّطُ فِي دَمِهِ ، فَفَرَعَ وَخَرَجَ هَارِبًا ، وَإِذَا ^(٦) صَاحِبُ الشَّرْطَةِ وَالرُّجَالَةُ ^(٧) عِنْدَهُمْ خَبِرَ الْقَتِيلَ ، وَجَعَلُوا يَطْلُبُونَ خَبَرَ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ ، فَأَصَابُوا بِيَدِهِ السَّكِينِ وَهُوَ مُلَوَّثٌ بِالدَّمِ ، وَالرَّجُلُ مَقْتُولٌ بِالْحَرْبَةِ ، فَفَقَبَضُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ قَتَلْتَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا زَالُوا يَسْتَطِيقُونَهُ ^(٨) وَهُوَ يَعْتَرِفُ اعْتِرَافًا لَا إِشْكَالَ فِيهِ ، فَأَمَرَ بِهِ

(١) في (م) : : ثم التفت الرجل .

(٢) في (م) : : اكتمى هذه علي .

(٣) في (م) : : فقام . والجنابة ، بفتح الجيم وكسرهما : التعش ووراءه المشيعون .

(٤) نزل : حدث . وفي (م) : : نزلت .

(٥) في (م) : : بمثلها .

(٦) في (م) : : فإذا .

(٧) الرجالة : جمع راجل ، وهو خلاف الفارس .

(٨) يستطيقونه : يطلبون منه أن يتكلم بإسهاب .

السُّلْطَانُ لِيُقْتَلَ ، فَأُخْرِجَ لِلْقَتْلِ ، وَاجْتَمَعَ الْأُمَمُ لِيُصِيرُوا ^(١) قَتْلَهُ ، فَلَمَّا هَمُّوا بِقَتْلِهِ انْدَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الْحَلْفَةِ الْمُجْتَمِعِينَ ^(٢) فَقَالَ لَهُمْ : لَا تَقْتُلُوهُ ، أَنَا قَاتِلُ الْقَتِيلِ ، فَقَبِضَ وَحْمِلَ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَعْتَرَفَ ، وَقَالَ : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ : قَدْ كُنْتَ مُعَافًى مِنْ هَذَا ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى الْإِعْتِرَافِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ يُقْتَلُ ظُلْمًا فَكَرِهْتُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِدَمِ رَجُلَيْنِ ! فَأَمَرَ بِهِ السُّلْطَانُ فَقُتِلَ ، ثُمَّ قَالُوا لِلرَّجُلِ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، مَا دَعَاكَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْقَتْلِ وَأَنْتَ بَرِيٌّ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : فَمَا جِئْتَنِي ؟ رَجُلٌ مَقْتُولٌ بِالْخَرِيبَةِ ، وَأَخَذُونِي وَأَنَا خَارِجٌ مِنَ الْخَرِيبَةِ ^(٣) وَبِيَدِي السُّكِينُ مُلَطَّخَةٌ بِالدِّمِّ ، فَإِنْ أَتَكَرَّثَ مَنْ يَقْبَلُنِي ؟ وَإِنْ اِعْتَبَدْتُ مَنْ يَعْذِرُنِي ؟ فَحُلِيَ سَبِيلُهُ وَانْصَرَفَ مُكْرَمًا .

وَلَمَّا وَزَّرَ ^(٤) فَخَرُ الْمُلْكِ نِظَامُ الدِّينِ لِسَنَجَارِ الْمَلِكِ ^(٥) ، وَكَانَ لِفَخْرِ الْمَلِكِ ابْنُ عَمٍّ يُقَالُ لَهُ شِهَابُ الْمُلْكِ ، وَكَانَ يَخَافُ مِنْهُ عَلَى مَنَازِلِهِ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ سَنَجَارُ : لَا حَيَاةَ لِي مَعَكَ إِلَّا أَنْ تُقْتَلَ ابْنُ عَمِّي شِهَابُ الْمُلْكِ ، فَأَبَى سَنَجَارُ ، فَمَا زَالَ يَرَاجِعُهُ إِلَى أَنْ أَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ فِي بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ ^(٦) بِيَهْقُ ، وَكَانَ وَالِي ذَلِكَ الْبَلَدِ ^(٧) يُكْرِمُهُ لِجَلَالَتِهِ وَجَلَالَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَخْلَى لَهُ دَارًا فِي الْقَلْعَةِ مُشْرِفَةً ^(٨) ، ثُمَّ جَعَلَ فَخْرُ الْمُلْكِ يُفْسِدُ قَلْبَ

(١) ليصروا : ليروا وينظروا .

(٢) في (م) : : المجتمعة « وكلاهما صواب .

(٣) في (م) : : في الخربة .

(٤) وَزَّرَ : صار وزيرًا .

(٥) في (م) : : لسنجار « بدون إضافة « الملك » إليه .. واسمه في ابن الأثير وغيره من المصادر : « سَنَجَر » وفخر المُلْك هو : علي بن الحسن بن علي بن إسحاق ، أبو المظفر ، فخر المُلْك ابن نظام المُلْك .. وزير ، وأصل أبيه من طوس .. تولى الوزارة للسُّلْطَان « بركيارق » سنة ٤٨٨ هـ ، ثم فارقه فاصيدًا نيسابور ، فاستوزره صاحبها الملك « سنجار » فاغتناله فيها أحد الباطنية . وكان أكبر أولاد نظام المُلْك .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٧٣] .

(٦) في (ط) : : لها .. وبِيَهْقُ : لفظه فارسية معناها : الأجود .. وهي كورة واسعة ، كانت كثيرة البلدان والعمارة ، من نواحي نيسابور . [انظر معجم البلدان - مادة بيهق] .

(٧) في (م) : : تلك البلدة .

(٨) مُشْرِفَةٌ : عالية .

سَنَجَارَ وَيَحْمِلُهُ عَلَى قَتْلِ شِهَابِ الْمَلِكِ ، إِلَى أَنْ أُرْسَلَ سَنَجَارُ إِلَى وَالِيهِ يَقْتُلُ شِهَابِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَغْطَمَ الْوَالِي قَتْلَهُ وَأَحْرَقَهُ أَيْمَانًا ، ثُمَّ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ قَتْلِهِ ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَبَيَّنَّا شِهَابُ الْمَلِكِ يَطْلُعُ مِنْ طَاقَاتِ الدَّارِ ، إِذَا ^(١) بِقَارِسٍ يَرْكُضُ ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مِنْهُ ، وَقَالَ : هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَنِي ^(٢) ، فَوَصَلَ الْقَارِسُ وَقَالَ : مَاتَ فَحَرُّ الْمَلِكِ ، فَخَلَّى سَبِيلَ شِهَابِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ وَزَرَ ^(٣) لِسَنَجَارٍ ! فَسَبَّحَانَ الْفَعَالِ لِمَا يُرِيدُ .

أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْمُعَبَّرُ بِمَصْرَ قَالَ : كَانَ بِمَصْرَ مُلُوكُ بَنِي حَمْدَانَ ^(٤) ، وَكَانَ الرَّئِيسُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ ^(٥) ، وَكَانَ يَشْكُو وَجَعَ الْقَوْلَنْجِ ^(٦) ، فَأَعْيَا الْأَطِبَّاءَ وَلَمْ يَوْجِدْ لَهُ شِفَاءً ، ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ دَسَّ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَرْصِدَ لَهُ رَجُلٌ مَعَهُ خِنْجَرٌ ، فَلَمَّا جَاءَ ^(٧) فِي بَعْضِ دَهَالِيزِ الْقَصْرِ ، وَتَبَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ وَضَرَبَهُ بِالْخِنْجَرِ ، فَجَاءَتِ الضَّرْبَةُ فِي أَسْفَلِ خَاصِرَتِهِ ^(٨) فَاصَّابَ طَرَفُ الْخِنْجَرِ الْيَمْنَى الَّذِي هُوَ الْقَوْلَنْجُ ، فَخَرَجَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَلْطِ ^(٩) ، ثُمَّ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَصَحَّ وَبَرِيَءَ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ .

(١) في د م : : : وإذا .

(٢) في د م : : : يريد قتلي .

(٣) في د م : : : ثم ولَّى لسنجار .

(٤) ملوك بني حمدان يُنسبون إلى مؤسس دولتهم حمدان بن حمدون الذي كان عاملًا على الموصل للمعتضد بالله العباسي .. ولَّى العباسيون الحمدانيين في الموصل وأرض الجزيرة والشام ، ثم استقل الحمدانيون بالأمر ، وبسطوا سلطانهم على حلب وشمال سورية في عهد علي بن عبد الله سيف الدولة ، وكانت بداية انحطاطهم في عهد سعد الدولة ، وقضى عليهم الفاطميون .

(٥) ناصر الدولة هو : الأمير أبو علي الحسن الحمداني ، نشأ بمصر ، وولى فيها قيادة جيوش المستنصر لدين الله الفاطمي .

(٦) القولنج : مرض يوقى يصعب معه خروج البراز والريح ، وسببه التهاب القولون (اليمى الغليظ الضيق الذي يتصل بالمستقيم) .

(٧) في د م : : : فلما كان .

(٨) في د م : : : أسفل في خاصرته ، والخاصرة : ما بين رأس الزورك وأسفل الأضلاع .. وهما خاصرتان .

(٩) قوله : : من الخلط عن د ط .

وَلَمَّا كُنْتُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ تَزَلْتُ سَفُنَ الْعُلُوِّ بِسَاحِلِ مَدِينَةِ بَرْقَا ^(١) ، فَأَخَذُوا قَوْمًا
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ وَأَسْرَوْا بَعْضَهُمْ ، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَشَدَّ كِتَافَهُ مِنْ
 خَلْفِهِ ^(٢) ، فَلَمَّا نَهَبُوا السَّفِينَةَ عَمَدَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَعْلَاجِ ^(٣) قَرْفَسَهُ وَالْقَاءُ فِي الْبَحْرِ ،
 ثُمَّ طَعَنَهُ بِرُمْحٍ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمْ يُخْطِئْ ^(٤) نَصْلُ الرُّمَحِ حَبْلَ الْكِتَافِ فَقَطَعَهُ وَانْحَلَّتْ
 يَدُ الرَّجُلِ ، فَسَبَّحَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّاطِئِ سَلِيمًا ، وَوَصَلَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي عَاقِبَةِ
 وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الشَّامِيِّينَ أَنَّ رَجُلًا خَبَرَا ^(٥) بَيْنَمَا هُوَ يَخْبِرُ فِي ثَنُورِهِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ
 إِذْ عَبَّرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَبِيعُ الْبَشِيمِشَ ^(٦) ، قَالَ : فَاسْتَتَرَى مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ بِالْخُبْزِ
 الْحَارَّ ، فَلَمَّا قَرَعَ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَتَنَظَّرُوا ^(٧) فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ ، فَجَعَلُوا يَتَرَبَّصُونَ
 بِهِ ، وَيَحْمِلُونَ لَهُ الْأَطِبَاءَ فَيَلْمِسُونَ دَلَالَتَهُ وَمَوَاضِعَ ^(٨) الْحَيَاةِ مِنْهُ ، فَقَضَوْا بِأَنَّهُ
 مَيِّتٌ ، فَفُتِّلَ وَكُفِّنَ وَحُمِلَ إِلَى الْجَبَانَةِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ تَخَارِجُونَ بِهِ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ
 اسْتَقْبَلَهُمْ رَجُلٌ طَيِّبٌ يُقَالُ لَهُ : الْبُهِرُودِيُّ ، وَكَانَ طَيِّبًا مَاهِرًا حَازِقًا بِالطُّبِّ ، فَسَمِعَ
 النَّاسَ يَلْهَجُونَ بِقِصَّتِهِ ^(٩) فَقَالَ لَهُمْ : حُطُّوهُ حَتَّى أَرَاهُ ، قَالَ : فَحَطُّوهُ ، وَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ
 وَيَنْظُرُ فِي أَمَارَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَغْرِفُهَا ، ثُمَّ فَتَحَ فَمَهُ وَسَقَفَهُ شَيْئًا ، أَوْ قَالَ : حَقَنَهُ ،
 فَأَنْدَفَعَ مَا هُنَالِكَ يَسِيلُ ، وَإِذَا الرَّجُلُ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَتَكَلَّمَ ، وَعَادَ كَمَا كَانَ إِلَى دُكَّانِهِ .

(١) « بَرْقَة » هكذا في « م » ، وفي معجم البلدان .. وفي « ط » : « بَرْقَا » بالألف .. وهي اسم صنم كبير
 يشتمل على مئذن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية .

(٢) في « م » : « وَشَدَّ كِتَافَهُ وَخَلْفَهُ » .. والكتاف : ما شدَّ به ، من حبل ونحوه .

(٣) أى : قَصَدَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرِّجَالِ الْيَلاطِ الْأَشْدَاءِ .

(٤) في « م » : « فَلَمْ يُخْطِئْ » .

(٥) في « م » : « وَكَانَ رَجُلًا خَبَرَا » .. والثَنُور : القرن .

(٦) الشمس : الفلكة المعروفة ، وهو مثلث اليمين .

(٧) في « م » : « فَتَنَظَّرَ » .

(٨) في « م » : « وَمَوَاضِعَ » .

(٩) يلهجون بقِصَّتِهِ : يَرُدُّونَهَا .

وَكَانَ رَجُلٌ يَمْشِي بِبَعْدَادَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ إِذَا بِدَارٍ قَدْ وَقَعَتْ ^(١) عَلَيْهِ فَخَرَّتْ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ ، وَإِذَا فِي الْحَائِطِ طَاقَةٌ فَمَا أَخْطَأَتْ رَأْسَهُ ، فَصَارَتْ الدَّارُ كَوْمًا ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنَ الطَّاقَةِ سَلِيمًا .

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ : كُنْتُ بِالْيَمَنِ فِي أَرْضِ الصُّلَيْحِيِّ ^(٢) فَوُشِيَ بِي إِلَى السُّلْطَانِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِي ، فَأَخْرَجْتُ وَقُدِّمْتُ ^(٣) لِلْقَتْلِ ، وَتَرَكَنِي السَّيَافُ ثُمَّ قَالَ لِي ^(٤) : مَدَّ رَقَبَتَكَ ، فَمَدَدْتُ عَنْقِي لِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ قَالَ لِي السَّيَافُ : اسْتَنْدُ ، فَقُلْتُ : دُونَكَ يَا هَذَا ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا بِصَائِحٍ مِنْ دَاخِلِ الْقَصْرِ : لَا تَقْتُلُوهُ ، لَا تَقْتُلُوهُ ، فَحَلُّوا سَبِيلِي ^(٥) .

وَجَرَتْ بِقُرْطُبَةَ قِصَّةٌ غَرِيبَةٌ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا يُعْرَفُ بِقَاسِمٍ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّنْبَسِيِّ ^(٦) شَهِدَ عَلَيْهِ بِالزُّنْدَقَةِ ، فَحَبَسَهُ الْمَنْصُورُ مُدَّةً مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ مِنْ وَجْهِ قُرْطُبَةَ يَوْمَقُونَ ^(٧) بِالْإِنْهَمَاكِ فِي الزُّنْدَقَةِ ^(٨) ، وَكَانَ يُنَادِي عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يُوقِفُونَ إِثْرَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِيَابِ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ فِيهِمْ فَلْيُؤَدِّهَا . فَتَبَتَ عَلَى قَاسِمٍ عِنْدَ الْقَاضِي سِجْلُ شَهَادَاتِ الشُّهُودِ ^(٩) بِأَنْوَاعِ مُنْكَرَةٍ ^(١٠) تَتَضَمَّنُ الزُّنْدَقَةَ وَالْكَفْرَ ، فَطُلِعُوا إِلَى الْقَصْرِ وَعَقَّنُوا مَجْلِسًا

(١) في م : : إذا بدار وقعت .

(٢) الصُّلَيْحِيُّ : نسبة إلى الصُّلَيْحِيِّين ، وهم سلالة حكمت اليمن ، وكانت تابعة للخلافة الفاطمية .

(٣) في م : : قُدِّمْتُ .

(٤) في م : : وقال لي .

(٥) في م : : لا تقتلوه وتحلوا سبيله .

(٦) نسبته إلى سَنَبَسٍ وهو أبو حنيفة من طيء .

[انظر لسان العرب - مادة : سنيس .. والأعلام ج ٦ ص ١١٦ ترجمة السَّنْبَسِيِّ محمد بن خليفة] .

(٧) هكذا في م .. ويرمقون : يتهمون . أو يُنظر إليهم شئراً نظر العداوة .. وفي ط : : « مرمقون » بالرفع ، على أنها خبر لمبتدأ مَحْذُوف ، والأفضل فيها الجبر على الوصفية .

(٨) في ط : : بالإنهماك والزندقة .

(٩) في م : : « سيجل الشهادة من الشهود » .

(١٠) « مُنْكَرَةٌ » عن ط .

عَظِيمًا ^(١) ، وَاسْتَشِيرَ الْفُقَهَاءَ فِيهِ ، فَأَوْجِبُوا قَتْلَهُ ، فَاسْتَحْضَرَ قَاسِمٌ فَحَضَرَ ، وَحَضَرَ
أَبُوهُ ، وَحَضَرَ ابْنَانِ صَغِيرَانِ لِقَاسِمٍ ، وَلِيسُوا ثِيَابَ الْحَدَادِ ، وَحَمَلَ أَبُوهُ مَعَهُ نَعْشًا
وَحَمَالَيْنِ ^(٢) ، وَجَعَلَ أَبُوهُ وَالصَّبِيَّانِ يَكُونَنَّ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَأَخْضَرَ ^(٣) لِيَضْرِبَ
عُنُقَهُ سَيْفٌ يُعْرِفُ بِأَبْنِ الْجُنْدِيِّ ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهِ أَسْيَافٌ مِنَ الْقَصْرِ ، فَجَعَلَ يُرْوِزُهَا
وَيَلْمِسُ شِفَارَهَا ^(٤) ، وَأَبُوهُ وَابْنَاهُ يَنْظُرُونَ ^(٥) ، وَحَضَرَ الْفَقِيهَ أَبُو عَمْرِو الْمَكُودِيُّ
الْإِسْبِيلِيُّ ^(٦) عَلَى كُرْهِ مِنْهُ ، وَكَانَ يَأْتِي الْحُضُورَ ، فَاسْتَفْتَوْهُ فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنَّ
الدَّمَاءَ لَا تُسْفَكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْوَاضِحِ ^(٧) دُونَ الشُّبْهِ ، احْسَبُوا أَنَّ السَّبِيحَ قُرُوجًا ،
بِمَاذَا تَذْبَحُونَهُ ^(٨) ؟ فَقَالَ الْقَاضِي ابْنُ الشَّرَفِيِّ : بِمَا ثَبَتَ عِنْدِي وَأَمْنَعْتُ النَّظَرَ فِيهِ .
قَالَ الْفَقِيهَ : أَوْقَفْنِي عَلَيْهِ . فَأَخَذَ السَّجْلَ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي بِمَنْ قَتَلْتَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ
الشُّهُودِ ؟ قَالَ بِهِذَا وَهَذَا ، حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً . قَالَ الْفَقِيهَ : فَجَمِيعِهِمْ تَقْتُلُهُ ؟ قَالَ :
نَعَمْ ^(٩) . قَالَ : فَلَوْ شَهِدَ مِنْهُمْ ابْنَانِ خَاصَّةً كُنْتَ تَقْتُلُهُ ؟ قَالَ لَا ، إِنَّمَا قَوَى بَعْضُهُمْ
بَعْضًا ، وَزَكَّى أَكْثَرُهُمْ عِنْدِي . فَالْتَفَتَ الْفَقِيهَ إِلَى الْفُقَهَاءِ الْمَشَاوِرِينَ فَقَالَ ^(١٠) :

(١) في م : : : وعُقِدَ مجلسٌ عظيمٌ .

(٢) في م : : : نعشٌ وحمالونٌ بالرفع ، لاتصح .. والصواب بالنصب على المفعولية .

(٣) في م : : : فأخضر .

(٤) يرونها : يختبرها ويحبرها .. وشفارها : حذوها وحروفها .

(٥) في ط : : : ينظران .

(٦) في م : : : أبو عمرو بن الملوئ الإشبيلي لم أقف على ترجمة له .

(٧) الواضح : عن ط .

(٨) في م : : : تلجوه . لاتصح .

(٩) من قوله : قال نعم إلى تقتله عن ط : وساقط من م .

(١٠) في ط : : : فقالوا .. والأول هو المراد .

يَا هَوْلَاءِ ، بِالْذَّعَائِمِ يُقْتَلُ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَكُمْ وَتُسْفِكُ ^(١) دِمَاؤَهُمْ ، فَلَسْتُ أَرَى قَتْلَهُ
وَلَا أَشِيرُ بِهِ .

فَرَجَعَ الْفَقَّاهُ إِلَى قَوْلِهِ وَلَمْ يَرَوْا عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَمَا أَقْتُوا بِقَتْلِهِ مِنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَانْقَضَ
الْجَمْعُ وَشِيمَ السَّيْفِ ^(٢) وَطَارَ الْبَشِيرُ إِلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَأَخْبَرَهُ بِالْمَجْلِسِ ، فَقَالَ ابْنُ
أَبِي عَامِرٍ : مَضَيْتُمْ تَقْتُلُونَ ابْنَ السَّنْبُوسِيِّ ، فَذَقْتُمْ الْقَاضِيَّ .. قَدْ اجْتَهَدْنَا لِلدِّينِ وَلَا قَاتِلَ
لِمُؤْجِلٍ ، فَحُبِسَ أَيَّامًا ثُمَّ أُطْلِقَ ، فَكَانَ ابْنُ ذَكْوَانَ الْفَقِيهَ يَقُولُ لِلْقَاضِي فِي مِثْلِ هَذَا
إِذَا سُئِلَ ^(٣) : بِمَ عَرَفْتَ اللَّهَ ؟ قَالَ : بِتَقْضِيهِ عَزَائِمِي ، وَمَعْنَى الذَّعَائِمِ عَلَى لِسَانِ
الْفَقِيهِ ، هُمْ الشُّهُودُ الَّذِينَ لَوْ انْفَرَدَ مِنْهُمْ اثْنَانِ لَمْ يَثْبُتِ الْحُكْمُ ، وَلَا قَبْلًا فِيهِ ، فَإِذَا
كَثُرُوا قَوَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَا يَثْبُتُ الْحُكْمُ بِهِمْ .

وَفِي تَقْيِيزِ هَذَا حَدَّثَنِي ^(٤) الْقَاضِي أَبُو مَرْوَانَ الدَّائِي بِطَرُوشَةَ ، وَقَدْ وَلَّى
قَضَاءَهَا ، فَقَدْ أَكْرَأَ ^(٥) يَوْمًا فَقَالَ : تَرَكْتُ قَافِلَةً بِقَرْيَةِ حَرَبِيَّةٍ مِنْ أَعْمَالِ دَائِيَّةٍ ^(٦) فَأَوَّوْا
إِلَى دَارِ خَرَابٍ هُنَاكَ لِيَسْتَكْبِتُوا ^(٧) مِنَ الرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ ، وَاسْتَوْقَدُوا نَارَهُمْ ، وَسَوَّوْا
مَعِيشَتَهُمْ ، وَقُرِبَ تِلْكَ الْحَرَبِيَّةُ حَائِطٌ مَائِلٌ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْوُقُوعِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ
لِأَهْلِ الْقَافِلَةِ : يَا هَوْلَاءِ ، لَا تَفْعَلُوا تَحْتَ هَذَا الْحَائِطِ وَلَا تَدْخُلُوا هَذِهِ الْبُقْعَةَ ، فَأَبَوْا
إِلَّا دُخُولَهَا ، وَبَاتَ الرَّجُلُ مُتَتَبِّدًا ^(٨) خَارِجًا عَنْهُمْ ، لَمْ يَقْرَبْ ذَلِكَ الْمَكَانَ ، ثُمَّ
أَصْبَحُوا فِي عَافِيَةٍ ، وَحَمَلُوا ذَوَابَّهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الرَّجُلُ الْحَرَبِيَّةَ

(١) فِي « ط » : : : وَتُسْفِكُ .

(٢) شِيمَ السَّيْفِ : أَغْيَمَ .

(٣) فِي « ط » : : : فِي مِثْلِ هَذَا خَالَ الْقَاتِلَ : إِذَا سُئِلَ .

(٤) فِي « ط » : : : مَا حَدَّثَنِي .

(٥) فِي « م » : : : فَذَاكَرَ .

(٦) دَائِيَّةٌ : مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ ، كَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ بَلَنْسِيَّةٍ عَلَى ضِفَةِ الْبَحْرِ شَرْقًا .

(٧) لِيَسْتَكْبِتُوا : لِيَسْتَرُوا .

(٨) مُتَتَبِّدًا ، أَيْ : مَخْذًا مَكَانًا بَعِيدًا عَنِ الْقَوْمِ وَمَعْرُلاً عَنْهُمْ .

لَيْسَتْ وَقَدْ^(١) يَبْقَى النَّارِ ، فَحَرَّ عَلَيْهِ الْحَائِطُ ، فَمَاتَ مَكَانَهُ^(٢) .

وَبَلَّغْنِي عَنْ بَعْضِ الْفَقَهَاءِ أَنَّ جَيْشَنَا مِنَ الْجَبُوشِ كَانَ بِصِيفَلِيَّةٍ نَاهِيَةً مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَقَعَدُوا سَاعَةً لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ، فَإِذَا عَقَرَبٌ يَدْبُ^(٣) ، فَضَرَبَهُ بَعْضُ الْأَجْنَادِ بِمِقْرَعَةٍ كَانَتْ مَعَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ الْمِقْرَعَةَ إِلَى نَحْوِ عُنُقِهِ ، فَإِذَا بِالْعَقَرَبِ قَدْ^(٤) تَشَبَّثَ بِأَهْدَابِ الْمِقْرَعَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، فَلَدَغَتْهُ فِي عُنُقِهِ ، فَقَضَى مَكَانَهُ^(٥) .

وَأَخْبَرَنِي الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ شَاهِينَ يَبْعُدَادَ جُزْءًا مِنَ الْحَدِيثِ فِي حَاثُوتِ رَجُلٍ يَبِيعُ الْعِطْرَ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ مَعَهُ فِي الْحَاثُوتِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الطَّوَّافِينَ مِنْ بَيْعِ الْعِطْرِ فِي طَبَقِ^(٦) يَحْمِلُهُ فِي يَدِهِ ، فَأَعْطَاهُ^(٧) عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيَّ^(٨) أَشْيَاءَ سَمَّاهَا مِنَ الْعِطْرِ ، فَأَخَذَهَا فِي طَبَقِهِ وَمَشَى ، فَسَقَطَ الطَّبَقُ مِنْ يَدِهِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ ، فَكَى الطَّوَّافُ وَجَرَغَ حَتَّى رَجَمْنَاهُ ، فَقَالَ أَبُو حَفْصٍ لِصَاحِبِ الْحَاثُوتِ : لَعَلَّكَ تُجَبِّرُ لَهُ^(٩) بَعْضَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، قَالَ : نَعَمْ . فَتَزَلَّ وَجَمَعَ مَا تَجَمَّعَ مِنْهَا ، وَجَبَرَ لَهُ مَا نَقَصَ ، وَأَقْبَلَ^(١٠) الشَّيْخَ عَلَى الطَّوَّافِ يُصَبِّرُهُ وَيَقُولُ لَهُ : لَا تُجَرَغَ ، فَأَمُرُّ

(١) في م : : ليسخن .

(٢) في م : : فقتله .

(٣) في م : : تدب ، وكلاما صواب ، فالعقرب تطلق على الذكر والأنثى ، فإذا أريد تأكيد التذكير ، قيل : عَقْرَبَان ، بضم العين والراء .

(٤) في م : : حتى ، مكان ، قد ، تحريف .

(٥) قَضَى : فَمَاتَ .. وفي م : : فلَدَغَتْهُ فَمَاتَ مَكَانَهُ .

(٦) من قوله : : فَبَيْنَا إِلَى هُنَا عَنْ م : : .. ومكانها في م : : فجاء رجل طواف بيطبق .

(٧) في م : : وأعطاه .

(٨) في م : : ادفع لي .

(٩) في م : : تجبر لنا ، من جَبَرَ الشَّيْءَ ، إِذَا أَخَذَ فِي سَبِيلِ إِصْلَاحِهِ وَتَعْوِضِهِ .

(١٠) في م : : فأقبل .

الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ الطَّوْأَفُ : أَتُظَنُّ أَيُّهَا الشَّيْخُ أَنْ جَزَعِي لِضِيَاعٍ مَا ضَاعَ ؟
لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنِّي ^(١) كُنْتُ فِي الْقَافِلَةِ الْفَلَانِيَّةِ ، فَضَاعَ لِي هِمَيَانٌ ^(٢) فِيهِ أَرْبَعُمِائَةٍ
دِينَارٍ ، أَوْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ - الشُّكُّ مِنْ أَبِي ذَرٍّ - وَمَعَهَا فُصُوصٌ قِيَمَتُهَا مِثْلُ ذَلِكَ ،
فَمَا جَزَعْتُ لِضِيَاعِهَا ^(٣) ، وَلَكِنْ وَلَدْتُ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَوْلُودٌ فَاحْتَاجْتُ ^(٤) فِي الْبَيْتِ
إِلَى مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّفْسَاءُ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي غَيْرُ هَذِهِ الْعَشْرَةِ الدَّرَاهِمِ ^(٥) ، فَأَشْفَقْتُ
أَنْ أَشْتَرِيَ بِهَا حَوَائِجَ النَّفْسَاءِ فَأَبْقَى ^(٦) بَعِيرَ رَأْسِ مَالٍ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى التَّكْسِبِ ،
فَقُلْتُ : أَشْتَرِي بِهَا شَيْئًا وَأَطُوفُ بِهِ صَدْرَ نَهَارِي ^(٧) فَحَسَى اسْتَفْضِيلُ مِنْهُ شَيْئًا أَسَدُّ
بِهِ رَمَقٌ أَهْلِي ^(٨) وَيَتَقَى ^(٩) رَأْسُ الْمَالِ أَتَصَرَّفُ فِيهِ ، فَلَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِضِيَاعِهِ
جَزَعْتُ ، فَقُلْتُ : لَا عِنْدِي مَالٌ أَرْجِعُ بِهِ ^(١٠) إِلَيْهِمْ ، وَلَا مَا أُكْسِبُ بِهِ ، وَعَلِمْتُ
أَنَّهُ لَمْ يَتَّقِ لِي إِلَّا الْفِرَارَ مِنْهُمْ وَتَرْكُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَهْلِكُونَ بَعْدِي ، فَهَذَا الَّذِي
أَوْجَبَ جَزَعِي .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرٍّ ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْجُنْدِ جَالِسًا عَلَى بَابِ دَارِهِ يَسْتَوْعِبُ
الْحَدِيثَ ، فَقَالَ لِلشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ : أَنَا أُرْغَبُ إِذَا تَمَنَّمْتُ أَمْرَهُ ^(١١) أَنْ تَدْخُلَ مَعَهُ

(١) « تعالى » عن « ط » وفيها : « متى » مكان « أنى » .

(٢) هِمَيَانٌ : كَيْسٌ لِلتَّفَقُّعِ يُشَدُّ فِي الْوَسْطِ .

(٣) فِي « م » : « فَمَا جَزَعْتُهَا » .

(٤) فِي « م » : « وَلَكِنْ طَلَعْتُ لِي اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ فَاحْتَاجُ .. » .

(٥) فِي « م » وَ « ط » : « الْعَشْرَةُ دَرَاهِمٍ » .

(٦) فِي « م » : « وَأَبْقَى » .

(٧) فِي « ط » : « وَأَطُوفُ صَدْرَ نَهَارِي » .

(٨) فِي « ط » : « اسْتَفْضَلُ شَيْئًا أَسَدُّ بِهِ رَمَقِي » .

(٩) فِي « م » : « وَرَمَقٌ » مكان « وَيَتَقَى » تحريف .

(١٠) فِي « م » : « مَا عِنْدِي مَا أَرْجِعُ بِهِ » .

(١١) فِي « م » : « فَقَالَ لِلشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ : إِذَا تَمَنَّمْتُ أَمْرَهُ فَأُرِيدُ .. » .

عِنْدِي ، وَقَامَ ، فَظَنْنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ ^(١) شَيْئًا ، قَالَ : فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَنَا ،
فَقَالَ الْجُنْدِيُّ لِلطَّوْافِ : عَجِبْتُ مِنْ جَزَعِكَ ! فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ :
وَكُنْتُ فِي تِلْكَ الْقَافِلَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَكَانَ بِهَا مِنْ عِظَامِ النَّاسِ ^(٢) فُلَانٌ وَفُلَانٌ ،
فَعَلِمَ الْجُنْدِيُّ صِحَّةَ قَوْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَامَةُ الْهِمَيَّانِ ؟ وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ سَقَطَ
مِنْكَ ؟ فَوَصَفَ ^(٣) الْمَكَانَ وَالْعَلَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنْدِيُّ : لَوْ رَأَيْتُهُ كُنْتُ تَعْرِفُهُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . فَأَخْرَجَ الْجُنْدِيُّ هِمَيَّانًا ^(٤) وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ ^(٥) : هَذَا هِمَيَّانِي ،
وَعَلَامَتُهُ صِحَّةُ قَوْلِي أَنَّ فِيهِ مِنَ الْأُحْجَارِ مَا صِفْتُهُ كَذَا وَكَذَا ، فَفَتَحَ الْهِمَيَّانُ فَوَجَدَ
الْأُحْجَارَ عَلَى مَا ذَكَرَ ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : خُذْ مَا لَكَ ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ ، فَقَالَ الطَّوْافُ :
هَذِهِ الْأُحْجَارُ قِمَّتُهَا مِثْلُ الدَّنَائِيرِ أَوْ أَكْثَرُ ، فَخُذْ أَنتَ الدَّنَائِيرَ ، فَتَفَسَّى طَيِّبَةً بِذَلِكَ .
فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : لَا آخُذُ ^(٦) عَلَى أَمَانَتِي شَيْئًا . فَدَخَلَ الطَّوْافُ وَهُوَ مِنَ الْفُقَرَاءِ ،
وَأَخْرَجَ وَهُوَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ . فَبَكَى الْجُنْدِيُّ بُكَاءً شَدِيدًا وَاتَّحَبَ ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ
أَبُو حَفْصٍ : عَلَامٌ ^(٨) تَبْكِي وَقَدْ أَدَّى اللَّهُ أَمَانَتَكَ ، وَقَدْ بَدَلَ لَكَ مَالًا كَثِيرًا ، وَإِنْ
شِئْتَ عَرَضْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَبْكِي لِذَلِكَ ، وَلَئِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي أَعْلَمُ
أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَجَلِي ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ بَقِيَ ^(٩) أَمَلٌ أَوْ مَلَّةٌ وَلَا أُمْنِيَّةٌ أَتَمْنَاهَا إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنِي

(١) في م : يريد يعطيه .

(٢) في م : وكنت في تلك القافلة ، وكان بها من أعلام الناس .

(٣) في م : ووصف .

(٤) في م : هيمان ، بالرفع ، لا تصح .

(٥) في م : قال .

(٦) في م : ما كنت آخذ .

(٧) الانتحاب : البكاء الشديد .

(٨) في م : على ما والصواب : وصل ما بحرف الجر وحذف ألفها ، وقد سبق التعليق عليها .

(٩) في م : وإنه ما كان بقي لي .

الله بِصَاحِبِ هَذَا الْمَالِ فَيَأْخُذْهُ ^(١) ، فَلَمَّا فَضَى اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَلَمْ يَتَّقِ لِي
أَمَلٌ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَجَلِي . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرٍّ : فَمَا انْقَضَى شَهْرٌ حَتَّى تُوفِّيَ
وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ .

قَالَ الْقَاضِي ، وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ ^(٢) بِالْمَوْصِلِ ، قَالَ : لَقَدْ جَرَتْ
هَاهُنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَهَذِهِ الدَّارِ وَهَذَا الْحَاثُوتِ ^(٣) - وَأَشَارَ إِلَيْهَا - قِصَّةٌ
عَجِيبَةٌ ، كَانَ يَسْكُنُ هَذِهِ الدَّارَ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ مِمَّنْ يُسَافِرُ إِلَى الْكُوفَةِ فِي تِجَارَةِ
الْخَزْرِ ، فَيَبِئَمَا هُوَ يُحْمَلُ الْخَزْرُ فِي خُرْجِهِ ^(٤) عَلَى حِمَارِهِ ^(٥) وَهُوَ جَمِيعُ مَالِهِ ، تَزَلَّتْ
الْقَافِلَةُ ، فَأَرَادَ إِتْرَالَهُ عَنِ الْحِمَارِ ، فَثَقُلَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ إِنْسَانًا هُنَاكَ فَأَعَانَهُ عَلَى إِتْرَالِهِ ،
ثُمَّ جَلَسَ يَأْكُلُ ، فَاسْتَدْعَى ذَلِكَ الرَّجُلَ لِيَأْكُلَ مَعَهُ ، فَأَجَابَهُ وَأَكَلَ مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ
عَنْ أَمْرِهِ ، فَأُخْبِرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ لِأَمْرِ أَرْعَجَهُ ذُوْنَ رَادٍ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :
تَكُونُ مَعِيَ وَتُعِينَنِي عَلَى سَفَرِي وَيَكُونُ طَعَامُكَ عِنْدِي ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي حَرِيصٌ
عَلَى خِدْمَتِكَ وَمُحْتَاجٌ إِلَى طَعَامِكَ .

فَسَارَ مَعَهُ فِي طَرِيقِهِ ، فَخَدَّمَهُ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ ، قَالَ : فَوَصَلَا تَكْرِيتَ ^(٦) ،
فَتَزَلَّتِ الرُّفْقَةُ ^(٧) خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ
لِلْخَادِمِ : احْفَظْ رَحْلَتَنَا حَتَّى أَدْخُلَ وَأُشْتَرِيَ حَاجَتَنَا ، ثُمَّ دَخَلَ وَقَضَى حَوَائِجَهُ ، فَأَبْطَأَ
هُنَاكَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمْ يَجِدِ الرُّفْقَةَ وَلَا وَجَدَ صَاحِبَهُ ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمَّا رَحَلَتْ

(١) في م : : بصاحب هذا الهيمان فيأخذ ماله .

(٢) في م : : أبو القاسم بن حبش .

(٣) في ط : : والحاثوت وهو دكان البائع .

(٤) في م : : يُعْزَلُ الْخَزْرُ .. والخُرْج : وعاء من شعر أو جلد ذو عذقين ، يوضع على ظهر الدابة

لوضع الأمتعة فيه .

(٥) في م : : على حمار له .

(٦) تكريت : مدينة في العراق على شاطئ دجلة الأيمن شمالي سامراء .

(٧) في م : : ونزلت القافلة .. والرَّفْقَةُ : الصُّحْبَةُ .

الرُّفْقَةُ ^(١) رَحَلَ مَعَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْعَى حَتَّى وَصَلَ إِلَى الرُّفْقَةِ بَعْدَ الْجَهْدِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَقَالُوا : مَا جَاءَ مَعَنَا وَلَا رَأْيُنَا ، وَلَكِنَّهُ ارْتَحَلَ الْأَسْبَابَ عَلَى الْحِمَارِ وَدَخَلَ ^(٢) عَلَى إِثْرِكَ ، وَظَنْنَاكَ أَمْرَهُ بِذَلِكَ .

فَكَرَّرَ الرَّجُلُ رَاجِعًا إِلَى تِكْرِيتَ وَسَأَلَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا ، وَلَا سَمِعَ لَهُ خَبِيرًا ، فَيَسَّرَ مِنْهُ ، وَسَارَ إِلَى الْمُوصِلِ مُسْلُوبَ الْمَالِ ، فَوَافَاها ^(٣) نَهَارًا جَائِعًا غُرِيانًا فَقِيرًا مَجْهُودًا ، فَاسْتَحْيَا أَنْ يَدْخُلَ نَهَارًا فَيَشْمَتَ الْعَدُوُّ وَيَحْزَنُ الصَّدِيقُ ، فَبَقِيَ حَتَّى أَمْسَى ثُمَّ دَخَلَ فَدَقَّ بَابَ الدَّارِ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ فَلَانٌ ، يَعْنِي نَفْسَهُ ، فَأَظْهَرُوا سُورًا عَظِيمًا وَحَاجَةً إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَاءَ بِكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ ^(٤) ، حَمَلْتَ جَمِيعَ مَالِكَ ، وَطَالَ سَفَرُكَ ، وَاحْتَاجَ ^(٥) أَهْلُكَ ، وَقَدْ وُلِدَتْ ^(٦) الْيَوْمَ وَلَدًا ، وَوَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا مَا نَشْتَرِي بِهِ شَيْئًا لِلنَّفْسَاءِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ طَاوِيَةً عَلَى حَالِهَا ^(٧) فَتَحَيَّلْنَا فِي ذَقِيقِي وَدُهْنِ تُسْرُجٍ بِهِ ^(٨) ، فَلَا سِرَاجَ عِنْدَنَا . فَرَاذَهُ ذَلِكَ غَمًّا ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِحَالِهِ فَيَحْزَنُوهُمْ .

وَأَخَذَ ^(٩) وَعَاءً لِلزَّيْتِ وَجَرَّابًا لِلذَّقِيقِ ، وَخَرَجَ إِلَى هَذَا الْحَاثُوتِ ، وَكَانَ فِيهِ

(١) في م : : « القافلة » .

(٢) في م : : « ودخل المدينة .. وارتحل الأسباب على الحمار : جعل عليه الرحل .

(٣) فوافاها : فأتاها وأدركها .

(٤) في ط : : « والحاجة والفاقة » .

(٥) في م : : « فاحتاج » .

(٦) وُلِدَتْ : أنجبت لك زوجتك .

(٧) طابوة على حالها ، أي : باتت جائعة .. وتَحَيَّلَ ، أي : استعمل الحيلة في أن تأتى لنا ذقيق .. الخ .

(٨) ودُهْنِ تُسْرُجٍ بِهِ ، أي : وزيت نوقد به المصباح .

(٩) في م : : « فأخذ » .

رَجُلٌ يَبِيعُ الدَّقِيقَ وَالرَّيْثَ وَالْعَسَلَ وَنَحْوَهُ ، وَقَدْ أَغْلَقَ دُكَّانَهُ وَأَاطَفًا مِصْبَاحَهُ
وَنَامَ ، فَتَأَدَّاهُ ، فَأَجَابَهُ وَعَرَفَهُ ، وَشَكَرَ ^(١) اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِهِ ، فَقَالَ التَّاجِرُ
لِصَاحِبِ الْحَاثُوتِ : أَقْدَحَ زَنَادًا ^(٢) أَرِنُ لَكَ الدَّرَاهِمَ فِي دَقِيقٍ وَزَيْتٍ وَعَسَلٍ
اخْتَجْتُ إِلَيْهِ السَّاعَةَ ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِتَأْخِيرِ الثَّمَنِ فَيَمْتَنِعَ مِنْهُ ، فَقَدَحَ النَّيَّاعُ
الرُّنَادَ وَاسْتَصْبَحَ ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : زِنْ لِي مِنَ الدَّقِيقِ كَذَا ، وَمِنَ الرَّيْثِ
كَذَا ، وَمِنَ الْعَسَلِ كَذَا ، وَمِنَ السُّنَنِ كَذَا ، وَمِنَ الْمِلْحِ كَذَا ، وَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ ^(٤) إِذْ حَاتَتْ مِنْهُ الْيَقَاتَةُ إِلَى قَعْرِ الْحَاثُوتِ فَرَأَى ^(٥) فِيهِ خُرْجَهُ الَّذِي
هَرَبَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَلَمْ يَنْلِكْ أَنْ وَثَبَ عَلَيْهِ وَالتَزَمَهُ ^(٦) ، وَأَلْقَى يَدَهُ فِي
أُطْوَاقِ ^(٧) صَاحِبِ الْحَاثُوتِ ، وَجَذَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَيْنَ
مَالِي ؟ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْحَاثُوتِ : مَالُكَ يَا فُلَانُ ؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ مُتَعَدِّيًا
وَلَا عِلْمَتِي جَنَيْتُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى سِوَاكَ ، فَمَا هَذَا ؟ قَالَ : خُرْجِي قَرَّ ^(٨)
بِهِ خَادِمِي لِي خَدَمَنِي بِجَمِيعِ مَالِي وَبِحِمَارِي . قَالَ : مَالِي عِلْمٌ غَيْرُ أَنْ رَجُلًا
وَرَدَ عَلَيَّ بَعْدَ الْعِشَاءِ ^(٩) وَاشْتَرَى مِنِّي عِشَاءً وَاسْتِضَافِي ^(١٠) فَأَضْفَعْتُهُ ، وَجَعَلْتُ
هَذَا الْخُرْجَ فِي حَاثُوتِي ، وَهَذَا الْحِمَارُ فِي دَارِ جَارِنَا ، وَالرَّجُلُ فِي الْمَسْجِدِ
بَابِثٌ . فَقَالَ لَهُ ^(١١) : اَحْمِلْ مَعِيَ ^(١٢) الْخُرْجَ وَانْهَضْ إِلَى الرَّجُلِ ، فَرَفَعَ

(١) فِي د م : : فَشَكَرَ .

(٢) أَقْدَحَ زَنَادًا : أَشْجَلَ حَوْذًا .

(٣) اسْتَصْبَحَ : أَوْقَدَ الْمِصْبَاحَ .

(٤) قَوْلُهُ : وَيَبْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، عَنْ ط : وَلَمْ تَرِدْ فِي م .

(٥) فِي د م : : فَوَافَى .

(٦) التَزَمَهُ : تَغَلَّقَ بِهِ .

(٧) الْأُطْوَاقُ : جَمْعُ طَوْقٍ ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَحَاطَ وَالتَّفَّ بِالشَّيْءِ .

(٨) فِي د م : : مَرَّ وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٩) الْعِشَاءُ ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ : أَوَّلُ ظِلَامِ اللَّيْلِ .. وَبِفَتْحِهَا : طَعَامُ الْعِشَاءِ .

(١٠) فِي د م : : فَاشْتَرَى .. وَاسْتِضَافَتِي : طَلَبَ مِنِّي أَنْ يَنْزِلَ ضَيْفًا عِنْدِي .

(١١) لَهُ : عَنْ ط .

(١٢) مَعِيَ : عَنْ د م .

الْخُرْجَ مَعَهُ وَالْقَاهُ ^(١) عَلَى عَاتِقِهِ ، وَمَشَى مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَأِذَا ^(٢) الرَّجُلُ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَرَكَضَهُ ^(٣) بِرِجْلِهِ ، فَقَامَ الرَّجُلُ مَذْعُورًا ، فَقَالَ ^(٤) : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ مَالِي يَا خَائِرُ ؟ قَالَ : هُوَ ذَا عَلَى عُنُقِكَ ، وَاللَّهِ مَا تَعَادَرُ ^(٥) مِنْهُ ذَرَّةٌ . قَالَ : فَأَيْنَ الْجِمَارُ ؟ قَالَ : هُوَ عِنْدَ هَذَا الْجَائِي ^(٦) مَعَكَ ، فَتَهَضَّ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ مَتَاعَهُ سَلِيمًا ، وَاسْتَخْرَجَ الْجِمَارَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، وَوَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ وَأَخْبَرَهُمْ بِقِصَّتِهِ ، فَرَادَ ^(٧) أَهْلُهُ قَرَحًا وَتَبَرُّكًا بِذَلِكَ الْمَوْلُودِ .

وَلَمَّا وَفَى ^(٨) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصِهرِهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَجَلَ الَّذِي أُجِّلَ لَهُ ^(٩) لِرَغْبِي غَنَمَ شُعَيْبٍ ^(١٠) الَّتِي رَغَاَهَا مُوسَى عَوَضًا عَنْ مَهْرِ ابْنَتِهِ ، أَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَتَهُ وَكَرَّرَ رَاجِعًا مِنْ « مَدْيَنَ » ، فَلَمَّا وَافَى الْوَادِي الْمُقَدَّسَ عِنْدَ جَانِبِ الطُّورِ أُجِّنَّهُمْ ^(١١) اللَّيْلُ بِظُلْمَتِهِ ، فَأَمْسَوْا بَايِتِينَ ، فَبَيْنَمَا هُم كَذَلِكَ إِذْ صَرَبَ زَوْجَتَهُ الطَّلُقَ ^(١٢) ، وَكَانَتْ حَامِلًا ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا تُحْتَاجُ إِلَيْهِ التَّفْسَاءُ مِنَ الْغِذَاءِ وَالِدُّوَاءِ ، وَمَا يَصْلُحُ بِهِ شَأْنُهُمْ ، فَبَقُوا فِي ضَيْيقٍ مِنَ الْحَالِ وَقِلَّةٍ مِنَ الْحِيلَةِ ،

(١) م : : « فَأَقَاهُ » .

(٢) م : : « وَإِذَا » .

(٣) م : : « فَرَفَسَهُ » أَيْ : ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، غَيْرَ أَنَّهَا وَرَدَتْ بِالْإِصْبَاعِ مَكَانَ السِّنِّ ، وَلَا تَصَحُّ .

(٤) ق : « ط » : « فَقَالَ لَهُ » .

(٥) مَا تَفَادَرَتْ : مَا تَخَلَّفَتْ ، أَوْ مَا نَقَصَ .

(٦) ق : م : : « عِنْدَ الْجَائِي » وَالْأَخْيَرَةُ جَاءَتْ مَكْرَرَةً ، وَيَعْنِي بِهَا : الشَّخْصَ الَّذِي أَقَى مَعَهُ .

(٧) م : : « فَرَادُوا » .

(٨) وَفَى الْأَجَلَ : أَكْمَهُ .

(٩) أَيْ : الْمُدَّةَ الَّتِي اتَّفَقَا عَلَيْهَا .. وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ ، مِنَ الْآيَةِ ٢٧ وَمَا بَعْدَهَا .

(١٠) م : : « لِرَغْبِي غَنَمَ لَشُعَيْبٍ » .

(١١) أُجِّنَّهُمْ اللَّيْلُ : سَتَرَهُمْ .. وَجَاءَ هُنَا بِضَمِّ الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةً : مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَزَوْجَتُهُ ، وَابْنُهُ ، وَتَابِعُ لَهُ .

(١٢) الطَّلُقُ : وَجَعُ الْوِلَادَةِ .

فَخَرَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْتَمِشُ وَيَنْظُرُ ^(١) ، يَمِينًا وَشِمَالًا عَسَى فَرَجٌ ^(٢) لِمَا أُمْسُوا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ ^(٣) ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ : امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجَلٍ عَلَى النَّارِ هَذِي ﴾ ^(٤) ، فَلَمَّا أَتَاهَا أُضِيقَ مَا يَكُونُ ذَرْعًا ، وَأَخْرَجَهُ قَلْبًا ، وَآيَسَهُ عَنْ رَفَقِي ^(٥) نُودِيَ مِنْ شَاطِئِىِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ : يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ . وَهَكَذَا لَطَائِفُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَعَ مَنْ سَلَّمَ لِأَمْرِهِ ، وَرَجَا فَضْلَهُ ، وَتَكَلَّمَ بِالْهُدَى وَالْبَشَرَى ، يَفْسَحُ اللَّهُ فِيهِ أَمَلَهُ ، وَيُعْطِيهِ فَوْقَ مَاسَأَلِهِ .

هَذَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَرَجَ يَفْتَبِسُ نَارًا ، نُودِيَ بِالْبُيُوتَةِ . وَعَنْ هَذَا قَالَ عَلَمَاؤُنَا : لَيْسَ فِي حِصَالِ الْخَيْرِ - وَإِنْ جَلَّتْ - وَلَا فِي الْأَوَاعِ الْأَعْمَالِ ^(٦) - وَإِنْ عَظُمَتْ - أَعْلَى مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى . وَنَظَّمَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ ^(٧) :

أَيُّهَا الْعَبْدُ كُنْ لِمَا لَسْتَ تَرْجُو مِنْ نَجَاحٍ أَرْجَى لِمَا أَنْتَ رَاجٍ
إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَقْبِسَ نَارًا مِنْ ضِيَاءِ رَأَاهُ وَاللَّيْلِ دَاجٍ
فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّـهَ وَنَاجَاهُ وَهُوَ خَيْرُ مُنَاجٍ
وَكَذَا الْكَرْبُ كُلَّمَا اشْتَدَّ بِالْعَبْدِ بِدَتْ مِنْهُ رَاحَةُ الْإِنْفِرَاجِ

وَرَوَى أَنَّ الْعَدُوَّ نَزَلَ بِسَاحِلِ ^(٨) إِفْرِيقِيَّةٍ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَاجِبِ ، فَفَنَى مَاؤُهُمْ وَغَطِّشُوا ، فَتَفَرَّ ^(٩) الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ مِنْ تِلْكَ السَّوَاحِلِ وَالْحُصُونِ ،

(١) فِي « م » : « يَلْتَمِشُ يَنْظُرُ » .

(٢) أَيْ : عَسَى أَنْ يَأْتِيَ فَرَجٌ .

(٣) فِي « م » : « مِنْ الضَّرَرِ » .

(٤) سُورَةُ طه ، آيَةُ ١٠ .

(٥) الرَّفَقِيُّ : الْمَطْلَبُ السَّهْلُ .

(٦) فِي « م » : « أَنْوَاعِ الْيَوْمِ » .

(٧) فِي « م » : « فَقَالَ فِي ذَلِكَ » .. وَالْأَيَّاتِ مِنَ الْخَفِيفِ .

(٨) فِي « ط » : « بِسَاحَةِ » .

(٩) تَفَرَّرَ : فَاسْتَرَعَ .

فَمَنَعُوهُمْ النَّزُولَ ^(١) لِاسْتِقَاءِ الْمَاءِ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُخْلَوْهُمْ ^(٢) وَاسْتِقَاءَ الْمَاءِ ، فَأَبَوْا ، فَتَضَاعَفَ عَطَشُهُمْ حَتَّى اشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ ^(٣) ، فَتَقَتَحُوا أَنْاجِيلَهُمْ وَأَخَذُوا فِي الدُّعَاءِ وَالِاسْتِسْقَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ^(٤) ، فَلَمْ يَكْ بِأَوْشَكَ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ أَلْقَتْ بَارُوقَهَا ^(٥) ، ثُمَّ أَرْخَتْ مَاءً كَثِيرًا ، فَبَسَطَ ^(٦) الْقَوْمُ أَلْطَاعَهُمْ وَجَفَائِلَهُمْ وَآلَانَهُمْ ، فَشَرِبُوا ^(٧) وَمَلَأُوا أَوَانِيَهُمْ ، فَضَجَّ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالُوا ^(٨) : هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ وَأَعْدَاءُ اللَّهِ ^(٩) وَرَسُولِهِ ، قَدْ أَخْلَصُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ وَسَلَّوْهُ ^(١٠) مَاءً يُحْيُونَ ^(١١) بِهِ رَمَقَهُمْ ، فَأَغَاثَهُمْ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْدُّعَاءِ ^(١٢) وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَوْلَى بِالْإِجَابَةِ مِنْهُمْ ، ثُمَّ جَدَّ ^(١٣) الْمُسْلِمُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ^(١٤) يَقْوَى بِهَا قُلُوبُ الضَّعَفَاءِ ، وَيَتَزَايَدُ شُكْرُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ^(١٥) وَالْأَوَّلِيَاءِ ، فَبَيِّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١٦) عَلَيْهِمْ رِيحًا فَبَدَّدَتْهُمْ ، وَمَزَقَتْهُمْ كُلَّ مُزَقٍّ ، وَكَسَرَتْ مَرَاجِيَهُمْ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهُمْ اثْنَانِ .

(١) في م : « فَمَنَعُوهُمْ مِنَ النَّزُولِ » وكلاهما صواب ، فالفعل « منع » يمدى بنفسه ويعرف الجر .

(٢) في م : « وراسلوا مكان » وأرسلوا .. « ويخْلَوْهُمْ : يتركوهم .

(٣) في م : « حتى هربوا بالهلاك » والأول أوجه .

(٤) في م : « فأخذوا في الدعاء والتضرع والاستسقاء » .

(٥) في م : « أَلْقَتْ » تحريف .. وألقت السماء بَارُوقَهَا ، أى : بدأت تسقط أمطارها .

(٦) في م : « فبسطوا » .

(٧) في م : « وشربوا » .

(٨) في م : « فقالوا » . وضجَّ : فزع .

(٩) في م : « كفار أعداء الله » .

(١٠) في م : « وأنابوا وسألوه » .

(١١) في م : « ما يخلو » تحريف .. والرَّمَقُ : بقية الروح .

(١٢) في م : « فنحن بالدعاء أحقُّ منهم » .

(١٣) في م : « ثم أخذ » .

(١٤) في م : « يريهم الله آية » .

(١٥) في م : « أهل النعمة » .

(١٦) ما بين المقرضين عن م » .

وَمِنْ عَجَائِبِ ^(١) صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ دِيَارِ بَكْرِ جَاءَ إِلَى يَسَى الْمَقْدِسِ وَزَارَ قَبْرَ الْخَلِيلِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٢) وَأَكَلَ مِنْ ضِيَّافَتِهِ ، فَطَارَتْ حَبَّةُ عَدَسٍ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ فِي خَيْشُومِهِ ، وَرَامَ خُرُوجَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ فَأَعْجَزَتْهُ ، حَتَّى تَرَكَتْهُ مُضْنَى ^(٣) ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ عَطَسَ فَطَارَتْ الْعَدَسَةُ ^(٤) فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا طَائِرٌ قَدِ اتَّقَطَهَا لَوْقَتِهَا ، وَبَرِئَ الرَّجُلُ ، فَسَبَّحَانَ مَنْ جَعَلَ أَنْفَ هَذَا الرَّجُلِ حِرْزًا لِقُوتِ هَذَا الطَّائِرِ عَلَى بُعْدِ الشُّقَّةِ وَالْمَسَافَةِ ^(٥) .

وَأَمَّا أَنَا ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالرَّحِيلِ مِنْ بَلَدِي إِلَى الْمَشْرِقِ ^(٦) فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، كُنْتُ لَا أَغْرِفُ النَّجَارَةَ ، وَلَا لِي جُرْفَةٌ أَرْجِعُ إِلَيْهَا ، فَجَزَعْتُ مِنَ الْخُرُوجِ ، وَكُنْتُ أَقُولُ : إِنْ ذَهَبْتُ نَفَقَتِي مَاذَا أَفْعَلُ ؟ وَكَانَ أَقْوَى الْأَمَالِ ^(٧) فِي نَفْسِي أَنْ أُحْفَظَ الْهَسَاتَيْنِ بِالْأَجْرَةِ وَأُذَرَسَ الْعِلْمُ بِاللَّيْلِ ، ثُمَّ اسْتَحَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَرَحَلْتُ ، وَكَانَ مَعِيَ ^(٨) نَفَقَةٌ وَافِرَةٌ فِي هِمَيَانٍ عَلَى وَسْطَى ^(٩) ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ الْمُسَافِرِينَ يَقُولُونَ : مَنْ نَامَ بِاللَّيْلِ فِي الْفَيَافِي وَلَهُ نَفَقَةٌ عَلَى وَسْطِهِ فَلْيُحْلُهَا ، فَإِنَّ اللَّصُوصَ إِذَا كَابَرَتْ الْخُلُقُ ^(١٠) يَتَبَدَّرُونَ أَوْسَاطَهُمْ ^(١١) ، فَخَرَجْتُ مِنْ بِلَادِ السُّوَيْدِيَّةِ ^(١٢) إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ

(١) في د م : : ومن عجيب .

(٢) ما بين المقولتين عن ط .

(٣) مضى : مريضاً سقيماً .. وفي د م : : مضى : تحريف .

(٤) في د م : : فطارت الحبة .

(٥) في د م : : وطول المسافة .

(٦) في د م : : الشرق .

(٧) في د م : : أمل .

(٨) في د م : : فرحلت وكانت معي .

(٩) في د م : : على هيمان في وسطى .

(١٠) كابرت الخلق : طاولتهم وغالبتهم .. وفي د م : : كابرت الناس : أى : غالبتهم بالكثرة .

(١١) يتبدرون أوساطهم : يسارعون إليها لكي يسرقوا ماحولها .. وفي د م : : يتبدرون : يحذف النون .. خطأ .

(١٢) السُّوَيْدِيَّةُ : بلدة صغيرة كانت ترسو فيها مراكب الإفريج ، يرفعون منها أمتعتهم على الدواب إلى أنطاكية .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٨ - مادة أنطاكية] .

حَرْبٍ لِلرُّومِ ، فَسَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَأَصْبَحْنَا ^(١) عَلَى بَابِ أُنْطَاكِيَّةَ ، فَأَخَذْنِي عَيْنِي ، وَحَلَلْتُ الْهِمْيَانَ وَنِمْتُ ، وَلَمْ أُسْتَيْقِظْ إِلَّا ضُحْوَةَ النَّهَارِ ^(٢) فَاسْتَيْقِظْتُ ، وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى الْهِمْيَانِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْقَافِلَةِ وَالتَّحْتُ إِلَى النَّاسِ ^(٣) وَقَدْ أُسْقِطُ فِي يَدِي ، وَلَمْ يَبْقَ لِي حِيلَةٌ ، فَاسْتَرْجَعْتُ ^(٤) وَرَفَعْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِذَا ^(٥) رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَافِلَةِ مُلْتَفِتًا إِلَيَّ ، فَوَقَعَ وَجْهِي فِي وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ يَضْحَكُ لَمَّا رَأَى مَا بِي ، فَقَالَ : مَا لَكَ أَيُّهَا الْفَقِيهُ ؟ قُلْتُ : خَيْرٌ ، فَرَاَجَعْنِي ، فَقُلْتُ : خَيْرٌ ^(٦) . فَقَامَ إِلَيَّ وَقَالَ : خُذْ هِمِّيَّاتَكَ عَافَاكَ اللَّهُ . فَسَأَلْتُهُ : كَيْفَ ظَفِرْتُ ^(٧) بِهِ ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُكَ قَدْ تَدَخَّرَجْتَ ^(٨) ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، وَالتَّفْتُ فَرَأَيْتُ سَوَادًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ نَائِمًا ، فَسِرْتُ إِلَيْهِ وَأَخَذْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ الْهِمْيَانُ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَرِضْوَانُهُ لَدَيْهِ .

(١) في م : « فأصبحنا » .. ومررنا ليلتنا : قطعناها بالسر .

(٢) في م : « إلى ضحوة نهار » .. وضحوة النهار : قُرب انتصاف النهار .

(٣) في م : « وأنظر إلى وجوه الناس » .

(٤) فاسترجعت ، أي : قُلْتُ : إنا لله ، وإنا إليه راجعون .

(٥) في م : « إلى الله تعالى فإذا ... » .

(٦) في م : « وقال : مالك ؟ قلت : خيرا .. فقال : أيها الفقيه ، ما بك ؟ قلت : خيرا .. فراجعتني ، فقلت : خيرا .. خيرا بالنصب : أي أنزل الله بي خيرا .. وبالرفع : أي هو خير ، أو : نزل بي خير .. فكلاهما له وجه في اللغة .

(٧) في م : « ظفرت » .

(٨) في م : « رأيتك قد خرجت » .. وفي ط : « رأسك » مكان « رأيتك » .

البَابُ السُّتُونُ

فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْخِصَالِ

وَيَتَّبِعُ الْفَضَائِلَ ، وَمَنْ فَقَدَهَا لَمْ تَكْمُلْ ^(١) فِيهِ خَصْلَةٌ ، وَهِيَ الشَّجَاعَةُ ،
وَيُعْبَرُ عَنْهَا بِالصَّبْرِ ، وَيُعْبَرُ عَنْهَا بِقُوَّةِ النَّفْسِ

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَصْلُ ^(١) الْخَيْرَاتِ كُلُّهَا فِي ثَبَاتِ الْقَلْبِ ، وَمِنْهُ تُسْتَمَدُّ جَمِيعُ
الْفَضَائِلِ ، وَهُوَ ^(٢) الثَّبُوتُ وَالْقُوَّةُ عَلَى مَا يُوجِبُهُ الْعَدْلُ ^(٣) وَالْعِلْمُ . وَالْجُنُودُ غَرِيزَةٌ
بِجَمْعِهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَالشَّجَاعَةُ غَرِيزَةٌ يَجْمَعُهَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ^(٤) .
سُئِلَ الْأَخْنَفُ عَنِ الشَّجَاعَةِ فَقَالَ ^(٥) : صَبْرٌ سَاعَةً . وَسُئِلَ أَبُو جَهْلٍ عَنِ الشَّجَاعَةِ
نَقَالَ : تَصْبِرُونَ عَلَى حَرِّ السُّيُوفِ فَوَاقٍ نَاقَةً . وَهُوَ مَا بَيْنَ الْحَلِيتَيْنِ ^(٦) .

(١) فِي « ط » : « بِكَمَل » .

(٢) فِي « م » : « وَأَصْل » .

(٣) فِي « م » : « وَمِنْهَا تَسْتَمَدُّ جَمِيعُ الْفَضَائِلِ ، وَهِيَ .. » .

(٤) فِي « م » : « الْعَقْلُ ، مَكَانُ الْعَدْلِ » .

(٥) فِي « م » : « وَالشَّجَاعَةُ حَالَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْجَهْلِ وَالتَّهَوُّرِ ، وَسُئِلَ .. » .

(٦) فِي « م » : « قَالَ » .

(٦) حَرُّ السُّيُوفِ : اشْتِدَادُ الْقِتَالِ ، أَيْ : تَصْبِرُونَ عَلَى شِدَّةِ الْقِتَالِ وَهَذَا قَدَّرَ الزَّمَانُ الَّذِي بَيْنَ الْحَلِيتَيْنِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ الْفَارَّ مِنَ الْقِتَالِ ^(١) طَرِيدَةٌ مِنَ طَرَائِدِ الْمَوْتِ ، فَاسْتَقْبَالَ ^(٢) الْمَوْتَ خَيْرَ
مِنْ اسْتِدْبَارِهِ . وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ ^(٣) : رَبُّ حَيَاةٍ سَبَّبَهَا التَّعَرُّضُ لِلْوَفَاةِ ، وَوَفَاةٍ سَبَّبَهَا
طَلَبُ الْحَيَاةِ ^(٤) . وَمَنْ حَرَصَ عَلَى الْمَوْتِ فِي الْجِهَادِ وَهَبَتْ ^(٥) لَهُ الْحَيَاةُ . وَقَالُوا :
الْعَزِيمَةُ شَفَرَةٌ مِنْ شِفَارِ الْمَوْتِ . وَالْفَارُّ يُمْكِنُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالْمُقَاتِلُ يَذْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ .
وَقَالُوا : ثَمَرَةُ الشَّجَاعَةِ الْأَمْنُ مِنَ الْعَدُوِّ .

وَاعْلَمَ أَنَّ مَنْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مُدْبِرًا أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ مُقْبِلًا . وَقَالُوا : تَأْخِيرُ الْأَجَلِ
جِصْنُ الْمُحَارِبِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : فِي أَيِّ جُنَّةٍ تُحِبُّ أَنْ تُلْقَى عَدُوُّكَ ؟ قَالَ : فِي
أَجَلٍ مُتَأَخِّرٍ . وَقِيلَ لِآخَرَ : فِي أَيِّ سِلَاحٍ تُحِبُّ أَنْ تُلْقَى عَدُوُّكَ ^(٦) ؟ قَالَ : بِإِذْبَارِ
دَوْلَتِهِ وَانْقِضَاءِ مُدَّتِهِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّجَاعَةَ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ الدَّوْلَةُ ، وَإِذَا انْقَضَتْ الْمُدَّةُ لَمْ تُعْنِ كَثْرَةُ الْعَدَدِ .
وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا انْقَضَتْ الْمُدَّةُ كَانَتْ الْهَلَكَةُ فِي الْحِيلَةِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ كُلَّ كَرِهِيَةٍ تَرْفَعُ ، أَوْ مَكْرَمَةٍ تُكْتَسَبُ ^(٧) لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالشَّجَاعَةِ ، أَلَا
تَرَى أَنَّكَ إِذَا هَمَمْتَ أَنْ تَمْنَحَ ^(٨) شَيْئًا مِنْ مَالِكَ نَحَارَ طَبْعُكَ ، وَوَهَنَ قَلْبُكَ ،
وَعَجَزَتْ نَفْسُكَ ، فَشَحَحَتْ بِهِ ، وَإِذَا ^(٩) حَقَّقْتَ عَزْمَكَ ، وَقَوَّيْتَ نَفْسَكَ ، وَقَهَّرْتَ
ذَلِكَ الْعَجْزَ ، أَخْرَجْتَ الْمَالَ الْمَضْثُونُ بِهِ ، وَعَلَى قَدْرِ قُوَّةِ الْقَلْبِ وَضَعْفِهِ تُكُونُ ^(١٠)

(١) في « ط » : « أَنْ الْقَادِمَ لِلْقِتَالِ » وَالْأَوَّلُ أَوْجَه .

(٢) في « م » : « وَاسْتَقْبَالَ » .

(٣) الأول : جَمْعُ الْأَوَّلِ .

(٤) في « م » : « وَوَفَاةٍ طَلَبَهَا سَبَبُ الْحَيَاةِ » .

(٥) في « م » : « وَجَبَتْ » .

(٦) مِنْ قَوْلِهِ : « قَالَ : فِي أَجَلٍ مُتَأَخِّرٍ » إِلَى هُنَا عَنْ « م » وَاسْقَاطُ مِنْ « ط » .

(٧) في « م » : « أَنْ كُلَّ كَرِهِيَةٍ تَذْفَعُ ، أَوْ مَكْرَمَةٍ تَكْتَسِبُ » .

(٨) في « م » : « تَمْنَحُ » مَكَانَ « تَمْنَحُ » تَحْرِيفٌ .

(٩) في « م » : « فَلِذَا » .

(١٠) في « م » : « يَكُونُ » .. وَطَبِيعَةُ النَّفْسِ : سَمَاحَتُهَا .

طَبِيعَةُ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهِ ، أَوْ كَرَاهِيَةِ النَّفْسِ لِإِخْرَاجِهِ مَعَ إِخْرَاجِهِ ، وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ جَمِيعُ الْفَضَائِلِ ، مَهْمَا لَمْ تَقَارِنَهَا ^(١) قُوَّةُ نَفْسٍ لَمْ تَتَحَقَّقْ ، وَكَانَتْ مَخْلُوعَةً ^(٢) .

وَرَوَى أَنَّ الرَّسُولَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الشُّجَاعَةُ وَالْجَبِينُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » . فَالْجَبَانُ يُفَرُّ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَالشُّجَاعُ يُقَاتِلُ عَمَّنْ لَا يُقُوبُ بِهِ ^(٣) إِلَى رَحْلِهِ ، فَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُصَابُ امْتِنَالُ الْأَوَامِرِ وَالِانْتِهَاءِ عَنِ الزُّوَاجِرِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُصَابُ اكْتِسَابُ الْفَضَائِلِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُنْتَهَى عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالتَّضَمُّنِ بِالرَّذَائِلِ ^(٤) قَالَ الشَّاعِرُ :

جَمَعَ الشُّجَاعَةُ وَالْخُسُوعَ لِرَبِّهِ مَا أَحْسَنَ الْمِخْرَابَ فِي الْمِخْرَابِ ^(٥)

وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَصْنُرُ الْجَلِيسُ عَلَى إِبْدَاءِ ^(٦) الْجَلِيسِ وَجَفَاءِ الصَّاحِبِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ وَيَدْفَعُ الْعَارَ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَفْتَحِمُ الْأُمُورَ الصَّعَابَ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَتَحَمَّلُ أَثْقَالَ الْمَكَارِهِ ^(٧) ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَصْنُرُ عَلَى أُخْلَاقِ الرُّجَالِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ تُنْفَذُ كُلُّ عَزِيمَةٍ وَرَوِيَّةٍ أَوْجَبَهَا الْحَزْمُ وَالْعَدْلُ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَضْحَكُ ^(٨) الرُّجَالُ فِي وُجُوهِ الرُّجَالِ وَقُلُوبُهُمْ ^(٩) مَشْحُونَةٌ بِالضَّغَائِنِ وَالْأَحْقَادِ ، كَمَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ : « إِنَّا

(١) في « ط » : « يقارنها » .

(٢) في « م » : « مخدوجة » أي : ناقصة .

(٣) في « م » : « مَنْ لَا يَجُوبُ بِهِ » ويوجب : يرجع .

(٤) التَّضَمُّنُ بِالرَّذَائِلِ : التَّلَطُّعُ بِهَا .

(٥) البيت من الكامل .. والمراد بالهَرَابِ الأول : الشُّجَاعُ الخبير بالحرب .. والهَرَابِ الثاني : مقام الإمام في

المسجد .

(٦) في « م » : « أَدَّى » .

(٧) من قوله : « وبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَفْتَحِمُ الْأُمُورَ الصَّعَابَ » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .

(٨) في « م » : « تضحك » .

(٩) في « م » : « وقلوبها » .

لنَكْثِيرُ^(١) فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنَهُمْ^(٢) . وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
« إِنَّا لَنَصَافِحُ أَكْثَرُ تَرَى قَطْعَهَا » .

وَلَيْسَ الصَّبْرُ وَالشَّجَاعَةُ وَقُوَّةُ النَّفْسِ أَنْ تَكُونَ مُصِيرًا فِي الْمَحَالِ^(٣) ، لَجُوجًا فِي
الْبَاطِلِ ، وَلَا أَنْ تَكُونَ جَلْدًا عِنْدَ الضَّرْبِ ، صَبُورًا عَلَى التَّعَبِ ، مُصَمِّمًا عَلَى
التَّعْزِيرِ^(٤) وَالتَّهْوِيرِ ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الْخَيْرِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ صَبُورًا عَلَى
أَذَاءِ الْحُقُوقِ عَلَيْكَ ، صَبُورًا عَلَى سَمَاعِهَا وَلِقَائِهَا إِلَيْكَ ، غَالِبًا لِهَوَاكَ ، مَالِكًا
لِشَهَوَاتِكَ ، مُلْتَمِزًا لِلْفَضَائِلِ بِجَهْدِكَ ، غَائِبًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي لَا يُجِيلُكَ^(٥)
عَنْهَا حَيَاةٌ وَلَا مَوْتٌ ، حَتَّى يَكُونَ عِنْدَكَ مَوْتُكَ عَلَى الْخَيْرِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ الْعِلْمُ وَأَوْجَبَهُ
الْعَدْلُ ، خَيْرًا^(٦) مِنَ الْبَقَاءِ عَلَى مَا أُوجِبَ رَفْضُ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ . كَمَا قَالَ عَلِيٌّ
لِلْحُسَيْنِ^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٨) : يَا بُنَيَّ ، وَمَا يَمُنُّ بِأَبُوكَ لَوْ أَنَّ الْخَلْقَ خَالَفُوهُ إِذَا
كَانَ عَلَى الْحَقِّ ، وَهَلِ الْخَيْرُ كُلُّهُ لِلْمُحِقِّ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ وَعَنْ^(٩) هَذَا قَالَتْ
حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَلِكِ مِنْ نَفْسِهِ مُعِينٌ^(١٠) كَانَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ضَعِيفًا
مَخْذُولًا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَبْنَ مَقْتَلَةٌ ، وَالْخَرَصَ مَحْرَمَةٌ ، وَالْعَجْزَ ذُلٌّ ، وَالْجُبْنَ ضَعْفٌ . وَالْجَبَانُ
يُؤْمِنُ عَلَى نَفْسِهِ ، يَفِرُّ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبِيَّتِهِ وَيَنِيهِ .

(١) فِي « ط » : « وَأَنَا » .. وَنَكْثِيرُ : تَقْسِمٌ .

(٢) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي الثَّوْرَاءِ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ ، بَابِ الْمَدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ ج ١٠ ص ٥٢٧
مِنْ فَتْحِ الْبَارِي .

(٣) فِي « م » : « الْحَالُ » ، تَحْرِيفٌ .. وَالْمَحَالُ : مَا لَيْسَ مُوَالٍ بِالْحِيلَةِ أَوْ الْقُوَّةِ الشَّدِيدَةِ .. وَلِجُوجًا : مُتَادِمًا .

(٤) التَّعْزِيرُ : التَّأْدِيبُ .

(٥) لَا يُجِيلُكَ : لَا يَمْنَعُكَ .

(٦) فِي « م » : « خَيْرٌ » بِالرَّفْعِ .. خَطَأً .

(٧) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « عَلَى مِنَ الْحُسَيْنِ » وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

(٨) فِي « م » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

(٩) فِي « ط » : « وَمِنْ » .

(١٠) فِي « م » : « مِنْ مُعِينٍ » .

وَاعْلَمَ أَنَّ كُلَّ كَرِيهَةٍ مَاتَيْنِ الْحَلْبَتَيْنِ ^(١) ، وَالشَّجَاعُ يَحْمِي عَمَّنْ لَا يُنَاسِيهِ ، وَيَقِي مَالَ النَّجَارِ وَالرُّيْقَ بِمُهَجِّهِ ، وَالْجَبَانُ يَخَافُ مَا لَا يُحْسِبُ بِهِ ^(٢) ، وَالْجَبَانُ حَقْفُهُ مِنْ قَرْقِهِ ^(٣) .

وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّجَاعَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ عَلَى ^(٤) ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : رَجُلٌ إِذَا تَقَى الْجَمْعَانِ وَتَرَاحَفَ الرُّحْفَانِ وَاسْتَحْلَحَتِ الْأَحْدَاقُ بِالْأَحْدَاقِ ^(٥) بَرَزَ مِنَ الصَّفِّ إِلَى وَسْطِ الْمُعْتَرِكِ ، يَحْمِلُ وَيَكْبُرُ ، وَيُنَادِي : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ .
وَالثَّانِي : إِذَا تَحَمَّ الْقَوْمُ وَاسْتَخْلَطُوا ^(٦) وَلَمْ يَنْدِرِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ ، يَكُونُ رَاطِبُ النَّجَاشِ ، سَاكِنِ الْقَلْبِ حَاضِرِ اللَّبِّ ، لَمْ يُخَايِرُهُ الدَّهْشُ ، وَلَا تَحَالَفَتْهُ الْحَيْرَةُ ، فَيَتَقَلَّبُ ^(٧) بِقَلْبِ الْمَالِكِ لِأَمْرِهِ ، الْقَائِمِ عَلَى نَفْسِهِ .

وَالثَّالِثُ : إِذَا انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ يَلْزُمُ السَّاقَةَ ^(٨) ، وَيَضْرِبُ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ ، وَيَحْوِلُ يَتَنَهَّمُ وَيَتَنَ عَدُوَّهُمْ ، وَيَقْرَى قُلُوبَ أَصْحَابِهِ ، وَيَرْجِي ^(٩) ضَعِيفَهُمْ ، وَيَمْلِكُهُمْ بِالْكَلَامِ الْجَمِيلِ ، وَيُسْجَعُ نَفْسَهُمْ ، فَمَنْ وَقَعَ أَقَامَهُ ، وَمَنْ وَقَفَ حَمَلَهُ ، وَمَنْ كَرَدَسَ قَرَسَهُ ^(١٠) كَشَفَ عَنْهُ حَتَّى يَنْشَأَ الْعَدُوُّ مِنْهُمْ ، وَهَذَا أَحْمَدُهُمْ شَجَاعَةً ، وَعَنْ هَذَا قَالُوا : الْمُقَاتِلُ مِنْ ^(١١) وَرَاءِ الْقَارِيْنِ كَالْمُسْتَغْفِرِ مِنْ وَرَاءِ الْعَافِلِينَ . وَمِنْ أَكْرَمِ الْكَرَمِ الدَّفَاعُ عَنِ الْحَرَمِ ^(١٢) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « الحلبتين » .

(٢) في « م » : « مَنْ لَا يُحْسِبُ بِهِ » .

(٣) حظه من قَرْقِهِ : هلاكه من خوفه الشديد .. وفي « م » : « من قوقه » بالواو ..

(٤) « على » عن « ط » .

(٥) استحلحت الأحداق بالأحداق : نظر بعضهم إلى بعض .

(٦) في « م » : « إِذَا بَايَتِ الْقَوْمَ وَاسْتَخْلَطُوا » .. وبايت : أقام معهم ليلا .

(٧) في « ط » : « فَيَتَقَلَّبُ » .. والنجوة : التردد والاضطراب .

(٨) الساقة : مؤخر الجيش .

(٩) يرجي : يؤخر .

(١٠) كَرَدَسَ قَرَسَهُ : قَيَّدَهُ وَأَوْتَقَهُ .

(١١) « من » عن « م » .

(١٢) في « م » : « « الحريم » .. والحريم : ما حُرِّمَ فَلَا يَتَنَهَكُ .

وَقَالُوا : لِكُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ لَهْدٌ مِنْهُمَا ، أَحَدُهُمَا : لَا يَنْجَلُ عَلَيْهِ ، وَالثَّانِي : لَا يَغْفُلُ عَنْهُ ، فَمَا لِلْجَبَانِ وَالْفِرَارِ ؟ . وَكَانَ ^(١) شِيُوخُ الْجُنْدِ يَحْكُونَ فِي بِلَادِنَا ، قَالُوا : دَارَتْ حَرْبٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ ، ثُمَّ اقْتَرَفُوا ، فَوَجَدُوا فِي الْمُعْتَرِكِ قِطْعَةً مِنْ بَيْضَةِ الْحَدِيدِ ، قَدْ ^(٢) ثَلَّثَهَا بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الرَّأْسِ ، فَيَقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَرِ قَطُّ ضَرْبَةً أَقْوَى مِنْهَا ^(٣) .

وَكَانَ شِيُوخُ الْجُنْدِ فِي بِلَادِنَا طَرُوشَةَ يَحْكُونَ ^(٤) أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِي أَيَّامِ سَيْفِ ^(٥) الْجِلَّةِ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى بِلَادِ الْعُلُوِّ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ ^(٦) إِذْ لَقِيَتْهُمْ سَرِيَّةٌ لِلرُّومِ يُرِيدُونَ مِنَّا مَا نُرِيدُ ^(٧) مِنْهُمْ ، قَالَ : وَعَرَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(٨) ، وَكَانَ فِيْنَا صَنَادِيدُ الْفَرَسَانِ ، وَفِيهِمْ صَنَادِيدُ الرُّومِ ^(٩) ، فَوَاقَفْنَا سَاعَةً ، ثُمَّ شَدَدْنَا وَشَدُّوا ، فَالْتَقَيْنَا وَتَجَالَدْنَا ^(١٠) سَاعَةً ، ثُمَّ مَتَحَنَا اللَّهُ تَعَالَى ^(١١) أَكْثَافَهُمْ ، فَجَعَلَنَاهُمْ حَصِيدًا كَأَنَّهُمْ جُزُرٌ عَلَى الْأَوْضَامِ ^(١٢) ، وَكَانَ هُنَاكَ بِقُرْبِهِمْ قِرْبَةٌ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَمْرِ ، فَشَرِبْنَاهُ وَسَكَّرْنَا ، ثُمَّ اسْتَهَبْنَا شَرَائِحَ اللَّحْمِ ، فَصَمْنَا نَقْطَعُ مِنَ لُحُومِهِمْ وَنَجْعَلُ عَلَى النَّارِ ، وَنَأْكُلُ

(١) من أول قوله : « وكان » إلى نهاية الفقرة ، عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٢) أى : شق .. وفى « ط » : « قَلَز » .. والأول أوجه . وبيضة الحديد : عودة الرأس .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « م » .

(٤) في « م » : « يحكمون » تحريف .

(٥) في « م » : « سيد » تحريف .

(٦) في « م » : « يسهرون » تحريف .

(٧) في « م » : « مانريده » .

(٨) هكذا في « ط » .. وفى « م » : « فواقفنا ساعة » مكان « قال » وعرف بعضهم بعضاً .

(٩) قوله : « وفيهم صناديد الروم » عن « ط » ولم ترد في « م » :

(١٠) تَجَالَدْنَا : تضاربنا بالسيف .

(١١) « تعالى » عن « ط » .

(١٢) في « م » : « جُزُرٌ فِي الْأَوْضَامِ » . والجُزُرُ : جمع جُزُرٍ ، وهو ما يصلح للذبح ، كالإبل ونحوها من

الأنعام ، والمراد هنا : اللحوم .. أمَّا الْأَوْضَامُ ، فهى : جمع وَضَمَ ، وهو كل ما يوضع عليه اللحم ، من خشب ونحوه ، كالألثة .

بينها ^(١) ، فَفَزِعَ مَنْ كُنَّا أَسْرَانَهُ مِنْهُمْ ^(٢) ، وَبَلَغَ الْحَدِيثُ إِلَى الرُّومِ ، فَقَضَتِ
النَّصَارَى ^(٣) نَجْجَنَا مِنَّا ، وَقَذَفَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَرَوَى أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَقِيَ عَمْرُو بْنَ مَعْدَى كَرِبَ ^(٤)
فَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ، أَيُّ السَّلَاحِ أَفْضَلُ فِي الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ : عَنْ أَهْلِئِنَّا نَسْأَلُ ؟ قَالَ :
مَا تَقُولُ فِي السَّهَامِ ؟ قَالَ : مِنْهَا مَا يُحْطِطُ وَيُصِيبُ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي الرُّمَحِ ؟
قَالَ : أُنْحَوِكُ ، وَرُبَّمَا نَحَاكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي السِّيفِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ ذَلِكَ لَا أُمُّ
لَكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي التَّرْسِ ^(٥) ؟ قَالَ : هُوَ الدَّائِرَةُ ، وَعَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ ^(٦) .

وَكَانَ عَمْرُو هَذَا مِنْ شُجْعَانِ الْعَرَبِ وَأَبْطَالِهَا ، تَزَلُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى النَّهْرِ ،
فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي غَابِرٌ عَلَى الْجِسْرِ ، فَإِنْ أَسْرَعْتُمْ مِقْدَارَ جَزْرِ الْجَزُورِ ^(٧)
وَجَدْتُمُونِي وَسْتَفِينِي يَبْدَى أَقَاتِلُ بِهِ تَلْقَاءَ وَجْهِ ^(٨) وَقَدْ عَقَرَنِي الْقَوْمُ وَأَنَا قَائِمٌ
بَيْنَهُمْ ، وَإِنْ أَبْطَأْتُمْ وَجَدْتُمُونِي قَتِيلًا بَيْنَهُمْ . ثُمَّ انْغَمَسَ ^(٩) فَحَمَلَ عَلَى

(١) في « ط » : « وأكلنا منها » .

(٢) في « م » : « مَنْ كَانَ أَسْرَانَهُ مِنَ الرُّومِ » .

(٣) قَضَتِ النَّصَارَى ، أَيْ : أَحْجَمَتْ عَنِ الْمُحْجَمِ خَوْفًا مِنْهَا .. وَفِي « م » : « فَانْقَلَبَتِ النَّصْرَانِيَّةُ » .

(٤) هُوَ : عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرِبَ بْنِ رَيْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزَّيْلِيِّ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو ثَوْرٍ ، فَارِسُ الْيَمَنِ ، وَصَاحِبُ
الْفَارَاتِ لِلْمَذْكُورَةِ .. وَفَدَّ عَلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٩ هـ فِي عَشْرَةِ مِنْ بَنِي زَيْدٍ ، فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمُوا ، وَعَادُوا ، وَلَمَّا تَوَفَّى
النَّبِيُّ ﷺ ارْتَدَّ عَمْرُو فِي الْيَمَنِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَبِعْثَهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الشَّامِ ، فَشَهِدَ الْيَوْمُوكَ ، وَذَهَبَتْ
فِيهَا إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، وَبَعَثَهُ عَمْرُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ ، وَكَانَ قَصَصُ النَّفْسِ ، أَيْبًا ، فِيهِ قِسْوَةُ الْجَاهِلِيَّةِ ،
وَلَهُ شَرٌّ جَدِيدٌ .. تَوَفَّى عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الرَّيِّ سَنَةَ ٢١ هـ .. وَقِيلَ : قُبِلَ عَطْشًا يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٥ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٧٢ -
٣٧٥ ، والمهر ص ٢٦١] .

(٥) التَّرْسُ : مَا يَتَوَقَّى بِهِ فِي الْحَرْبِ ، وَهُوَ مُسَدِّدُ الشَّكْلِ .

(٦) عَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ : تَنْزِلُ بِهِ الْمَكَارِهِ .

(٧) مِقْدَارُ جَزْرِ الْجَزُورِ ، أَيْ : مِقْدَارُ الْوَقْتِ الَّذِي يَسْتَعْرِقُ فِي ذَيْبِهَا .

(٨) فِي « م » : « أَتَاتِلُ تَلْقَاءَ وَجْهِ » .. وَالتَّلْقَاءُ مُصْدَرُ لَقِي ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَاسْتَعْمَلُوهُ ظَرْفَ مَكَانٍ بِمَعْنَى
جِهَةِ التَّلْقَاءِ وَالْمُقَابَلَةِ ، وَنَصَبُوهُ عَلَى الظَّرْفَةِ .. وَعَقَرَنِي الْقَوْمُ ، أَيْ ، أَصَابُونِي .
(٩) انْغَمَسَ : رَمَى نَفْسَهُ وَسَطَ الْحَرْبِ .

القوم ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، يَا بَنِي زَيْدٍ ^(١) ، عَلَامَ تَدْعُونَ ^(٢) صَاحِبَكُمْ ؟ وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنَّ تَدْرِكُوهُ حَيًّا . فَحَمَلُوا ^(٣) فَأَتَتْهُوَ إِلَيْهِ وَقَدْ صَرِخَ عَنْ قَرْسِيهِ ^(٤) وَقَدْ أَخَذَ بِرِجْلِ رَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ فَأَمْسَكَهَا ، وَإِنَّ الْفَارِسَ لَيَضْرِبُ قَرْسَهُ ^(٥) فَمَا يَقْدِرُ الْفَرَسُ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، فَلَمَّا غَشِيَتْهُ رَمَى الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَخَلَّى قَرْسَهُ ، فَرَكِبَهُ عَمَرُو وَقَالَ : أَنَا أَبُو نُورٍ ^(٦) كِدَلْتُمْ وَاللَّهِ تَقْفِلُونِي ! قَالُوا : أَتَيْنَ قَرْسَكَ ؟ قَالَ : رُمِيَ بِنُشَابَةٍ ^(٧) فَقَارَ وَشَبَّ فَصَرَعَنِي ^(٨) .

وَيَرَوْنَ أَنَّ عَمْرًا حَمَلَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى رُسْتَمَ ^(٩) ، وَهُوَ الَّذِي قَلَعَهُ يَزْدَجَرْدُ ^(١٠) مَلِكُ الْفَرَسِ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَقْبَلَ عَمَرُو رُسْتَمَ ^(١١) عَلَى فِيلٍ ، فَقَطَعَ عُرْقُوبَهُ ، فَسَقَطَ رُسْتَمَ وَسَقَطَ الْفِيلُ عَلَيْهِ مَعَ خُرْجٍ كَانَ عَلَيْهِ ، فِيهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

(١) زَيْدٌ ، بِالضَّمِّ : رَهْطُ عَمْرُو بْنِ مَعْدَى كَرَب .

(٢) فِي « م » : « تَدْرِكُونَ » .

(٣) فِي « م » : « فَحَمَلُوا عَلَيْهِ » .

(٤) صَرِخَ عَنْ قَرْسِيهِ : اسْتَقَطَّ .. وَفِي « م » : كَرَّرَ النَّاسُ بِمَعْنَى « قَدْ » سَهْوًا .

(٥) فِي « م » : « لَيَضْرِبُهُ » .

(٦) فِي « ط » : « أَبُو نُورٍ » ، بِالنُّونِ ، خَطَأً ، وَالصَّوَابُ « أَبُو ثَوْرٍ » ، بِالتَّاءِ الْمُعْجَمَةِ لِلثَّلَاثَةِ ، وَهِيَ كُنْيَتُهُ ، وَقَدْ مَرَّتْ فِي التَّعْرِيفِ بِهِ .

(٧) النُّشَابَةُ : وَاجِدَةُ النَّبْلِ .

(٨) فَقَارَ وَشَبَّ فَصَرَعَنِي ، أَيْ : فَحَاقَ عَنِ السَّوْرِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَأَلْقَانِي عَلَى الْأَرْضِ .

(٩) رُسْتَمَ ، بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّهَا ، وَالضَّمُّ أَشْهُرُ ، وَهُوَ : رُسْتَمُ بْنُ الْفَرَحْزَادِ ، قَائِدُ فَارِسِيٍّ مِنْ قَوَادِ يَزْدَجَرْدَ ، وَكَانَ جَرِيحًا طَمُوحًا ، وَيَذْكُرُ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّهُ كَانَ عَلَامًا بِالنُّجُومِ .. وَقِيلَ فِي وَقْعَةِ الْقَادِسِيَّةِ .

[انظر الفاروق عمر ص ١٠٥ وما بعدها ، وص ١٦٧ ط دار المعارف] .

(١٠) هُوَ : يَزْدَجَرْدُ بْنُ شَهْرِبَارِ بْنِ كَسْرَى ، تَوَلَّى مُلْكَ أَبِيهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، وَقِيلَ : كَانَ فِي الْحَادِيَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ عَمَرِهِ .. وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ الْفَرَسِ ، قُتِلَ فِي « مَرَوْ » - أثناء هروبه من العرب الفاتحين - فِي طَرِيقِ « سَجِسْتَان » سَنَةَ ٣٢ هـ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

[انظر المصدر السابق ص ١١٩ ، والمعارف ص ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، وإعجام الأعلام ص ١٩٨] .

(١١) فِي « م » : « وَطَط » : « رَسَمًا » لِلْمُوضِعِينَ ، خَطَأً ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَاهُ ، فَهُوَ مَنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالْمُعْجَمَةِ .

فَقَتَلَ رُسْتَمَ وَانْهَزَمَتِ الْعَجَمُ . وَرَوَى أَنَّ قَاتِلَ رُسْتَمَ زَيْنُ بْنُ فَلَانٍ ^(١) .

وَأَمَّا الضَّرْبَةُ الَّتِي حَكَيْنَاهَا الَّتِي حَارَتْ ثُلُثُ الْبَيْضَةِ ^(٢) بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الرَّأْسِ ، فَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، فَحَمَلَتْهَا الرُّومُ وَعَلَقَتْهَا فِي كَنِيْسَةٍ لَهُمْ ، وَكَانُوا إِذَا عَمَرُوا بِأَهْزَامِهِمْ يَقُولُونَ : لَقِينَا أَقْوَامًا هَذَا ضَرْبُهُمْ ، فَيَرْحَلُ ^(٣) أَبْطَالُ الرُّومِ إِلَيْهَا لِيَرَوْهَا . وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تُفَخَّرُ فِي هَذَا الْبَابِ بِقَوْلِ الثَّعْلَبِ بْنِ قَوْلَبٍ ^(٤) يَصِفُ ضَرْبَةَ سَيْفٍ :

أَبْقَى الْحَوَادِثَ وَالْأَيَّامَ مِنْ نَمِرٍ آثَارُ سَيْفٍ قَدِيمٍ أَثَرُهُ بَادِي ^(٥)
تُظَلُّ تُخْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ بَعْدَ الذَّرَاعَيْنِ وَالْقَيْدَيْنِ وَالْهَادِي ^(٦)
وَيَتَشَدُّ قَوْلُ النَّابِغَةِ ^(٧) فِي السَّيْفِ أَيْضًا :

(١) في الفاروق عمر لميكل : أن الذي قتله هو هلال بن علقمة .

[انظر المصدر المذكور ج ١ ص ١٦٧] .

(٢) في م : « تلك البيضة » . وهي خوذة الرأس ، وقد مرت في هذا الباب ص ٦٧٢ .

(٣) في م : « فخرحل » .

(٤) هو : الثعلب بن قَوْلَب بن زهر بن أنش العملي ، شاعر مخضرم ، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية ، وكان فيها شاعر « الرباب » .. ولم يمدح أحداً ولا هجا .. وكان من ذوى النعمة والوجاهة ، جواداً . وأدرك الإسلام وهو كبير السن ، وفقد على النبي ﷺ ، وأسلم ، فكتب عنه كتاباً لقومه .. وقد توفي سنة ١٤ هـ تقريباً . و « نير » يُضَبِّط في كثير من الكتب بفتح النون وكسر الميم ، وفي بعض الكتب بكسر النون وتسكين الميم .. وفي الأغاني : كل غمر في العرب - كاتمر بن قاسط - مكسور النون مجزوم الميم ، إلا التمر بن تولب ، فهو بفتح النون وكسر الميم .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٤٨ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ، والأغاني ج ٢٦ ص ٩٠٣ - ٩٠١٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، وانظر مايقع فيه التصحيف والتحريف لابن سعيد العسكري ص ٣٩٠ ط مصطفى الحلبي ، والإكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٣٦٤] .

(٥) البيتان من البسيط .. وأثر السيف : تستسله ودجاجته ، والمراد هنا : أثره ، بالتحريك ، أى : ضربه ، أو مابقى من رسم الشيء ، وسكن هنا للضرورة .

(٦) هكذا البيت في م : و ط « والعقد الفريد ج ١ ص ١٥٥ .. وفي الشعر والشعراء ج ١ ص ٣١١ : « والسائقين مكان « والقيدتين » .. والهادى : الثقي .. أى : أنه قطع ذلك كله ثم رسب في الأرض حتى احتاج إلى أن يخفر عنه ، وهذا من الإفراط والكذب ، والمبالغة في الوصف .. وقد عيَّب ذلك على الشاعر .

(٧) هو النابغة الذبياني ، زياد بن عمرو بن معاوية وقد مر التعرف به .

يَقْدُ السُّلُوقَى الْمُضَاعَفَ نُسْجُهُ وَيُوقَدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحَبَاجِ (١)
وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَدْ الْحَدِيدِ بِمَا حَوَاهُ مِنَ الرَّأْسِ (٢) ؟ وَأَيْنَ الثُّرَيَّا مِنَ الثُّرى (٣) ؟
وَأَيْنَ الْحُسَامُ مِنَ الْمُنْجَلِ (٤) ؟ وَلَوْلَا كَرَاهَةُ التَّطْوِيلِ لَذَكَّرْنَا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا مَا فِيهِ
الْعَجَبُ . وَقَدْ قَالُوا : السَّيْفُ ظِلُّ الْمَوْتِ . السَّيْفُ لُعَابُ الْمَيِّتَةِ ، وَالرُّمْحُ رِشَاءُ
الْمَيِّتَةِ (٥) ، وَالسَّهْمُ رُسْلٌ لَا تُؤَامِرُ (٦) مَنْ أَرْسَلَهَا ، وَالرُّمْحُ أَخْوَكُ وَرُبَّمَا خَائِكَ ،
وَالذَّرْعُ مُشَغَلَةٌ لِلرَّاجِلِ (٧) وَمَتَّعَبَةٌ لِلْفَارِسِ (٨) ، وَإِنَّهَا لَحِصْنٌ حَصِينٌ ، وَالتَّرْسُ
يَجْنُ (٩) وَعَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ .

- (١) هكذا البيت في « م » و « ط » وهو من الطويل ، ومن قصيدة النابغة الشهبوية التي مطلعها :
« كَلِمَتِي لِيَهُمْ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٌ » و « يَقْدُ » : يقطع .. وفي الديوان : « قَدْ » أى : السيف . والسُّلُوقَى :
دروع منسوبة إلى مكان تُنسب إليه الدروع والكلاب .. والمضاعف : الذى تُسج حلقتيه حلقتيه ، وخصه هنا
لأنه أشد على السيف .. والصُّفَّاح : حجارة عراض .. والحَبَاج : دَوِيَّة تضيء بالليل ، فضربها الشاعر مثلاً
لما ينقدح من الحجارة إذا قرعتها السيف .. ويوقد بالصُّفَّاح ، يعنى : يضرب السيف الحجارة فنقدح نازراً ..
وفي الديوان : « تُوقد » .. يريد أن يقول : إن هذا السيف يقطع الدروع وكل شيء حتى يصير إلى الحجارة
فيورى فيها - أى : ينقدح النار - وهذا إفراط غير مستحب في الوصف .
[انظر ديوان النابغة الذبياني ص ٤٦ ، والعقد الفريد ج ١ ص ١٥٥] .
(٢) في « م » : « بما حوته الرأس » والرأس مُذَكَّر في اللغة .
(٣) الثُّرى : مجموعة من النجوم في صورة الثور .. والثرى : الأرض .
(٤) الحُسَام : السيف .. والمنجل : آلة لحصد الزرع .
(٥) رِشَاء المنيّة ، أى : الحبل الذى يوصل للموت .
(٦) لا تُؤَامِرُ : لا تُشاورُ .
(٧) مشغلة للراجل ، أى : تشغل المحارب الذى يقاتل وهو مُتَرَجِّل ، وهو عكس الفارس .
(٨) في « م » : « متعبة للفارس » بدون واو والعطف .. أى : وتعب الذى يقاتل على فرس .
(٩) يَجْنُ : يحفظ ويستتر .

البَابُ الْحَادِي وَالسُّتُونَ فِي ذِكْرِ الْخُرُوبِ وَلَدِيرِهَا وَحِيلِهَا وَأَحْكَامِهَا

مِنْ حَزْمِ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُحَقِّرَ ^(١) عَدُوَّهُ وَإِنْ كَانَ ذَلِيلًا ، وَلَا يَغْفُلَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ خَفِيرًا ، فَكَمْ مِنْ بَرُغوثٍ ^(٢) أَسْهَرَ بَيْلًا ، وَمَتَعَ الرَّقَادَ مَلِكًا جَلِيلًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
فَلَا تُخَفِّرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصْرٌ ^(٣)
فَإِنَّ السَّيُوفَ تُحْزِرُ الرَّقَابَ وَتَعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرَ
وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا تُخَفِّرَنَّ الذَّلِيلَ ، قَرِيبًا شَرِقَ ^(٤) بِالذُّبَابِ الْعَزِيزِ . وَمَثَلُ ^(٥) الْعَدُوِّ
مَثَلُ النَّارِ ، إِنْ تَدَارَكْتَ أَوَّلَهَا سَهْلٌ إِطْفَأُوهَا ، وَإِنْ تُرِكَتْ حَتَّى اسْتَحْكَمَ ضَيْرَاهُمَا ^(٦)
صَعِبَ مَرَامُهَا ، وَتَضَاعَفَتْ يَلِيَّتُهَا . وَمَثَلُهُ ^(٧) أَيْضًا مَثَلُ الْجُرْحِ الرَّدِيِّ ، إِنْ تَدَارَكْتَهُ

(١) فِي ١ م : « مِنْ حَزْمِ الْمَلِكِ أَلَّا يُخَفِّرَ » .

(٢) فِي ١ م : « فَكَمْ بَرُغوثٍ » .

(٣) الْبَيْتَانِ مِنَ الْمُتَقَارِبِ ، وَقَدْ وَرَدَا فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ مَنْسُوبِينَ إِلَى الْفَكِيكِ ، ج ٤ ص ٢١٩ ، وَج ١١ ص ٧٤ .

(٤) شَرِقَ : غَصَصَ (وَقَفَ فِي حَلْقِهِ) .. وَفِي ١ م : « لَا يُشْرِقُ » .

(٥) فِي ١ م : « وَمَثَالُ » .

(٦) ضَيْرَاهُمَا : اشْتَغَالُهَا ..

(٧) فِي ١ م : « وَمَثَالُهُ » .

سَهْلَ بَرُوءَهُ ، وَإِنْ أَغْفَلْتُهُ حَتَّى يَغْلَ (١) عَظُمْتَ بِلَيْتِهِ ، وَأَعْيَا (٢) الْأَطْبَاءَ بِرُوءِهِ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ قَدْ وَضَعُوا فِي تَذْيِيرِ الْحُرُوبِ كُتُبًا ، وَرَتَّبُوا فِيهَا تَرْتِيبًا ، فَلَا يَسْعُ أَهْلُ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ حَمْلُهَا (٣) ، إِذْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِي الْغَالِبِ نَوْعٌ مِنَ التَّذْيِيرِ ، وَصَنَفَ مِنَ الْحِجَلَةِ ، وَضَرَبَ مِنَ الْمَكِيدَةِ ، وَجَنَسَ مِنَ اللَّقَاءِ وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ ، وَنَعَيْتِ الْمَوَاقِبِ (٤) ، وَحَمَلَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَكِنْ نَصَفَ مِنْهُ أَشْيَاءَ تُجْرَى مَجْرَى الْمَعَاقِدِ (٥) ، لَا تَكَادُ (٦) تُخْتَلِفُ فِي إِنْهَاءِ أَزْمَةِ الْحُرُوبِ .

وَيَبْدَأُ أَوَّلًا بِمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٧) ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ مَا فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدَّةِ وَالْآلَةِ وَالْحِجَلَةِ . وَفَسَّرَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُوَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى أَنَسٍ يَرْمُونَ ، فَقَالَ : « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ » . وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِذَا أَرَادَ الْغَزْوَ لَا يَقْصُرُ أَظْفَارَهُ وَيَتْرَكُهَا عُدَّةً (٨) ، وَيَرَاهَا قُوَّةً ، فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّقَاءِ عَمَلًا صَالِحًا ، مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ ، وَرَدِّ مَظْلَمَةٍ ، وَصَلَةِ رَجِيمٍ ، وَدُعَاءٍ مُخْلِصٍ ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ ، وَنَهْيٍ بِمُنْكَرٍ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيَقُولُ : إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ . وَرَوَى أَنَّ بَرِيدًا (٩)

(١) أَيْ : فَسَدَ .

(٢) فِي م : « وَأَغْضَلَ » .. وَأَغْضَلَ الْأَطْبَاءَ بِرُوءِهِ : أَعْجَزَهُمْ أَنْ يَدَاوَوْهُ .

(٣) « حَمْلُهَا » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي م .

(٤) نَعْيَةُ الْمَوَاقِبِ وَتَصْنِيفُهَا : نَعْيُهَا .

(٥) الْمَعَاقِدُ : مَوَاضِعُ انْتِقَادِ الْمَجَالِسِ .. جَمْعُ مَعْقِدٍ .. وَجَرَى مَجْرَى فُلَانٍ ، أَيْ : كَانَتْ حَالُهُ كَحَالِهِ .

(٦) فِي م : « وَلَا تَكَادُ » .

(٧) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٠ .

(٨) عُدَّةٌ : اسْتِعْدَادًا .. أَوْ مَا يُعَدُّ لِأَمْرٍ يَحْدُثُ .

(٩) الْبَرِيدُ : الرَّسُولُ .. وَفِي م : « زَيْدًا » تَحْرِيفٌ .

وَرَدَ عَلَيْهِ يَفْتَحُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيُّ وَقْتٍ لَيْسَتْمُ الْعُدُو ؟ قَالَ : غَلَوَةٌ .
قَالَ : وَمَتَى انْهَزَمَ ؟ قَالَ عِنْدَ الزَّوَالِ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَقَامَ
الشَّرْكُ لِلْإِيمَانِ مِنْ غَدَوَةٍ إِلَى الزَّوَالِ ؟ لَقَدْ أَخَذْتُمْ بَعْدِي حَدَّثًا ، أَوْ أَخَذْتُ بَعْدَكُمْ
حَدَّثًا !

وَالشَّائِنُ كُلُّ الشَّائِنِ فِي اسْتِجَادَةِ الْقَوَادِ (١) ، وَاتِّخَابِ الْأُمَرَاءِ وَأَصْحَابِ
الْوِلَايَةِ (٢) ، فَقَدْ (٣) قَالَتْ حُكْمَاءُ الْعَجَمِ : أَسَدٌ يَقُودُ أَلْفَ ثَغْلَبٍ خَيْرٌ مِنْ ثَغْلَبٍ
يَقُودُ أَلْفَ أَسَدٍ . فَلَا يَتَّبِعُنِي أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيَّ الْجَيْشُ إِلَّا الرَّجُلُ ذُو الْبَسَالَةِ وَالنَّجْدَةِ ،
وَالشُّجَاعَةِ وَالْجَوَافِ ، ثَبَّتَ الْجَنَانِ (٤) ، صَارِمُ الْقَلْبِ جَرِيئُهُ (٥) ، رَابِطُ الْجَاشِرِ ،
صَادِقُ النَّاسِ ، يَمُنُّ قَدْ تَوَسَّطَ الْحُرُوبِ ، وَمَارَسَ الرِّجَالَ وَمَارَسُوهُ ، وَتَنَزَّلَ الْأَقْرَانَ
وَتَنَازَلُوهُ (٦) ، وَقَارَعَ الْأَبْطَالَ ، عَارِفًا بِمَوَاضِعِ الْفَرَسِ (٧) ، خَبِيرًا بِمَوَاقِعِ الْقَلْبِ
وَالْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ مِنَ الْحُرُوبِ ، وَمَا الَّذِي يَجِبُ شَحْنُهُ بِالْحِمَاةِ وَالْأَبْطَالِ مِنْ ذَلِكَ ،
بَصِيرًا بِصُنُوفِ الْعُدُوِّ وَمَوَاقِعِ الْغُرَّةِ مِنْهُ (٨) وَمَوَاقِعِ الشَّدَةِ (٩) ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
وَصَدَرَ (١٠) الْكُلُّ عَنْ رَأْيِهِ ، كَانَ جَمِيعُهُمْ (١١) كَأَنَّهُ مِثْلُهُ ، فَإِنْ رَأَى لِقْرَاعِ الْكُتَائِبِ
وَجَنَهَا ، وَإِلَّا رُدَّ رَدُّ الْغَنَمِ (١٢) لِلزُّبُرِيَّةِ .

(١) فِي م : : الْقَوَادِينِ .

(٢) فِي م : : الْأَكْبَرِيَّةُ وَهِيَ جَمْعُ لَوَاءٍ .. وَاتِّخَابِ الْأُمَرَاءِ وَأَصْحَابِ الْوِلَايَةِ : اخْتِيَارُهُمْ .

(٣) فِي م : : وَقَدْ .

(٤) ثَبَّتَ الْجَنَانِ : الشُّجَاعُ الثَّابِتُ الْقَلْبُ .

(٥) فِي م : : حَزْمُهُ ، مَكَانُ جَرِيئِهِ .

(٦) وَتَنَازَلُوهُ عَنْ م : .

(٧) فِي م : : الْغُرْضُ أَيُّ : الْهَدَفُ .

(٨) فِي م : : بَصِيرًا بِمَوْضِعِ الْغُرَّةِ وَصُنُوفِ الْعُدُوِّ .

(٩) فِي م : : وَمَوَاضِعُ الشَّدَةِ .

(١٠) فِي م : : فَصْتَرُ . وَصَدَرَ الْكُلُّ عَنْ رَأْيِهِ ، أَيُّ : رَجَعُوا إِلَى رَأْيِهِ وَانْتَهَوْا إِلَيْهِ .

(١١) فِي م : : جَمْعُهُمْ .

(١٢) فِي م : : وَإِلَّا رُدَّ الْغَنَمُ وَسَقَطَتْ رُدًُّ وَلَا تَنْصَحُ .

وَأَغْلَمَ أَنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ ، وَآخِرُ ^(١) مَا يَجِبُ رُكُوبُهُ قَرْعُ الْكَتَائِبِ ، وَحَمْلُ الْجُيُوشِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَلْتَبْدَأْ بِتَصْرِيفِ الْحِيلَةِ فِي تِلْكَ الظُّفْرِ .

قَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ : كُنْتُ أَمِيرَ خُرَاسَانَ مِنْ قَبْلِ مَرْوَانَ الْجَعْفَرِيِّ ، آخِرَ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، قَالَ : وَكَانَ ^(٢) عُظَمَاءُ التُّرْكِ يَقُولُونَ : يَنْبَغِي لِلْقَائِدِ الْعَظِيمِ ^(٣) أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَشْرَةُ أَخْلَاقٍ مِنْ إِخْلَاقِ الْبَهَائِمِ ^(٤) : شَجَاعَةُ الدَّيْلِكِ ، وَبَحْثُ الدَّجَاجَةِ ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ ، وَحَمْلَةُ الْخَنْزِيرِ ^(٥) ، وَرَوْعَانُ الثَّغْلِبِ ^(٦) ، وَصَبْرُ الْكَلْبِ عَلَى الْجِرَاحِ ، وَحِرَاسَةُ الْكُرْكِيِّ ^(٧) ، وَغَارَةُ الذَّنْبِ ^(٨) وَسِمَنُ الثَّعِيرِ ، وَهِيَ دُورِيَّةٌ تَكُونُ بِخُرَاسَانَ تَسْمَنُ عَلَى الثَّعْبِ وَالشَّقَاءِ .

وَكَانَ يُقَالُ : أَسَدٌ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى عَشْرَةَ : فَأَسَدٌ خَلَقَ اللَّهُ الْجِبَالَ ^(٩) ، وَالْحَدِيدَ يَنْجَحُ الْجِبَالَ ، وَالتَّارُ تَأْكُلُ الْحَدِيدَ ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ ، وَالسَّحَابُ يَحْمِلُ ^(١٠)

(١) فِي م : : وَأَحْسَنَ ، مَكَانٌ وَآخِرُ .

(٢) فِي م : : كَانَ ، يَدُونَ وَابْنُ الْعَطَفِ .

(٣) فِي ط : : الْعَظِيمُ الْقَائِدُ .

(٤) مَا وَرَدَ فِي م ، وَ ط : : تِسْعَ صِفَاتٍ وَلَيْسَ عَشْرًا كَمَا ذَكَرَ .

(٥) حَمْلَةُ الْخَنْزِيرِ : كَرُّهُ فِي الْحَرْبِ .. وَفِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكَبِيرِ لِلدَّمِيمِ : أَنَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ حَتَّى إِنَّهُ يَضْرِبُ

بَنَاهُ صَاحِبُ السِّيفِ وَالرَّحِمِ فَيَقْطَعُ كُلَّ مَا لَاقَ مِنْ جَسَدِهِ مِنْ عَظْمٍ وَعَصَبٍ .

[انْظُرِ الْمَصْدَرُ الْمَذْكُورُ ج ١ ص ٤٣١] .

(٦) رَوْعَانُ الثَّغْلِبِ : خَدِيعَتُهُ .

(٧) الْكُرْكِيُّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ ، طَوِيلُ الشَّنْقِ وَالرَّجْلَيْنِ ، أَهْرُ الذَّنْبِ ، قَلِيلُ اللَّحْمِ ، يَأْوِي إِلَى الْمَاءِ أحيانًا ، وَمِنْ طَبْعِهِ الْحَذَرُ وَالتَّحَارُّسُ بِالنُّوبَةِ ، وَالَّذِي يَحْرُسُ يَهْتَفُ بِصَوْتٍ خَفِيِّ يَنْلُرُ بِأَنَّهُ « حَارَسٌ » ، فَإِذَا قَضَى نَوْبَهُ فِي الْحِرَاسِ قَامَ الَّذِي كَانَ نَائِمًا لِيَحْرُسَ مَكَانَهُ .

[انْظُرِ الدَّمِيمِيُّ ج ٢ ص ٢٤٤] .

(٨) الْمَعْرُوفُ عَنِ الذَّنْبِ أَنَّهُ إِذَا كَلَّمَهُ الْجُوعُ عَوَّى ، فَتَجْتَمِعُ لَهُ الذَّنَابُ ، وَيَهْرُونَ مَجْتَمِعِينَ عَلَى الْفَرِيسَةِ .

(٩) قَوْلُهُ : : فَأَسَدٌ خَلَقَ اللَّهُ ، عَنْ م ، وَلَمْ تَرِدْ فِي ط .

(١٠) فِي ط : : تَحْمِيلُ .

الْمَاءَ ، وَالرَّيْحُ تُصَرِّفُ السَّحَابَ ^(١) ، وَالْإِنْسَانُ يَفْنَى الرِّيحَ ^(٢) لِحَاجَتِهِ ، وَالسُّكْرُ ^(٣)
يَصْرَعُ الْإِنْسَانَ ، وَالتَّوَمُ يَذْهَبُ السُّكْرَ ، وَالْهَمُّ يَمْنَعُ التَّوَمَ ، فَاشْتَدَّ خَلْقُ رَبِّكَ الْهَمُّ .
فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يَيْتُ ^(٤) جَوَاسِيسُهُ فِي عَسْكَرِ عَدُوِّهِ ، يَسْتَعْلِمُ أَخْبَارَهُ مَعَ
السَّاعَاتِ ، وَيَسْتَعْلِمُ رُؤُسَاءَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَذَوِي الشَّجَاعَةِ مِنْهُمْ ، وَيَدُسُّ إِلَيْهِمْ ^(٥) ،
وَيَعْدُهُمْ وَغَدًا جَمِيلًا ، وَيُوجِّهُ إِلَيْهِمْ بِضُرُوبِ الْخُدْعَةِ ، وَيَقْوَى أَطْمَاعَهُمْ فِي أَنْ
يَتَأَلَّوْا ^(٦) مَا عِنْدَهُ مِنَ الْهَبَاتِ الْفَاحِشَةِ ، وَالْوَلَايَاتِ ^(٧) السَّيْنِيَّةِ ، وَإِنْ رَأَى وَجْهًا
عَاجِلَهُمْ بِالْهَدَايَا ^(٨) ، وَالتَّحْفِ ، وَسَأَلَهُمْ ^(٩) إِمَّا الْقَدَرَ بِصَاحِبِهِمْ وَإِمَّا اغْتِزَالَهُ وَقَتَ
الْلِقَاءِ ، وَيَنْشِئُ عَلَى السَّيْتِهِمْ كُتُبًا مُدْلَسَةً إِلَيْهِ ^(١٠) وَيُنْثِلُهَا فِي عَسْكَرِهِ ، وَيَكْتُبُ عَلَى
السَّهَامِ أَخْبَارًا مُزَوَّرَةً وَيَرْمِي بِهَا فِي جُيُوشِهِمْ ، وَيَضْرِبُ بَيْنَهُمْ بِمَا فِي الْمَسُورِ مِنْ
ذَلِكَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا ذَكَرْنَا تَنَفَّقَ فِيهِ الْأَمْوَالُ وَالْحَيَلُ ، وَالْلِّقَاءُ تَنَفَّقَ فِيهِ الْأَرْوَاحُ
وَالنُّفُوسُ ^(١١) ، وَوُجُوهُ الْخِدَاعِ فِيهِ لَا تُحْصَى ، وَالْحَاضِرُ فِيهِ ^(١٢) أَبْصَرُ مِنْ

(١) تُصَرِّفُ السَّحَابَ : تُوجِّهه .. وَلِ م : : تُثْرِقُ السَّحَابَ .

(٢) يَفْنَى الرِّيحَ : يَتَخَلَّصُهَا لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا لِحَاجَتِهِ .. وَلِ م : : يَفْنَى الرِّيحَ .

(٣) السُّكْرُ : غَيْبُوبَةُ الْعَقْلِ وَاخْتِلَاطُهُ مِنَ الشَّرَابِ الْمُسْكِرِ .

(٤) يَيْتُ م : : يَنْجِيَتْ .

(٥) يَدُسُّ إِلَيْهِمْ : يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ خَفِيَّةً .

(٦) يَتَأَلَّوْا م : : يَتَنَالُّ .

(٧) الْوَلَايَاتِ م : : الْوَلَايَاتُ .

(٨) بِالْهَدَايَا م : : وَإِنْ رَأَى وَجْهًا قَابِلَهُمْ بِالْعَطَايَا . وَالْوَجْهَ هُنَا بِمَعْنَى الْقَبُولِ وَالْإِنْقِيَادِ لِرَأْيِهِ .

(٩) سَأَلَهُمْ م : : وَسَامَهُمْ . تَحْرِيفٌ .

(١٠) كُتُبًا مُدْلَسَةً : رِسَالَاتٌ مُزَيَّفَةٌ يَخْدَعُ بِهَا الْعَدُوَّ .

(١١) فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَالرُّعُوسُ .

(١٢) فِيهِ : فِي اللَّقَاءِ .. وَلِ م ط : : فِيهَا ه : أَيْ : فِي الْحَرْبِ .

الغائب . وَللهِ دُرُّ الْمُهْلَبِ لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَسْتَعِجِلُهُ فِي حَرْبِ الْأَزَارِقَةِ ^(١) .
رَدُّ الْجَوَابِ فَقَالَ : إِنْ مِنْ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ يَمْلِكُكَ لَا عِنْدَ مَنْ يَصِيرُهُ .
وَقَالَ الْمُخْتَارُ لِيَزِيدَ بْنِ أَنَسٍ ^(٢) حِينَ وَلَاهُ الْجَزِيرَةَ وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ
زِيَادٍ ^(٣) : امْضِ إِلَى عَدُوِّكَ بِرَأْيٍ غَيْرِ مُسْتَبَدٍّ ، وَبِحَزْمٍ غَيْرِ مُتَكِلٍ ، وَلَا تُرَكِّنْ إِلَى
الدَّوْلَةِ ، قَرَبًا انْقَلَبْتَ ، وَاسْتَشِيرَ مَنْ لَا يَطْمَعُ فِي عَمَلِكَ ، وَلَا تَسِرْ بِقَلْبِكَ ، وَاسْتَخِرِ
اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ إِقْدَامِكَ تُوفَّقَ .

وَأَوْصَتْ أُمُّ الدِّيَالِ الْعَبْسِيَّةُ ابْنَهَا الْفَتَاكَ ، وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ الْعَرَبِ : يَا بُنَيَّ لَا تَنْشَبْ
فِي حَرْبٍ ^(٤) إِنْ وَثَقَتْ بِشِدَّتِكَ ^(٥) حَتَّى تَعْرِفَ وَجْهَ الْمَهْرَبِ مِنْهَا ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَقْوَى
شَيْءٍ إِذَا وَجَدَتْ سَبِيلَ الْحِيلَةِ ، وَأَضْعَفُ شَيْءٍ إِذَا يَسَسَتْ مِنْهَا ، وَأَحْمَدُ الشَّدَةِ ^(٦)
مَا كَانَتْ الْحِيلَةُ مُدْبِرَةً لَهَا ، إِذَا لَمْ يَكُنِ النُّصْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَأَبْدَلَهَا ، وَاخْتَلَسَ مِنْ

(١) في م : : يعجله ، أى : يحته .. والأزارقة : فرقة من الخوارج ، تُسبوا إلى نافع بن الأزرق الحنفى ،
كفروا علياً بالتحكيم ، وأصحابه ، والقاعدين عن القتال ، وجوزوا قتل المخالفين لهم وسبى نساءهم .
[انظر التعريفات للجرجاني ص ٣٢ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١١٨ - ١٢٢] .
(٢) المختار ، هو : المختار الثقفى ، وقد مرَّ التعريف به .. ويزيد هو : يزيد بن أنس المالكي الأسدى ، قائد
من الشجعان من أصحاب المختار الثقفى ، خرج معه على بنى أمية مطالباً بدم الحسين ، فكان من قادة جيشه ،
ووجهه المختار على رأس ثلاثة آلاف من الكوفة لدخول الموصل ، وفيها عبيد الله بن زياد ، وعلم ابن زياد بخبره ،
فأرسل لقتاله قِلَقَيْنِ ، كل منهما ثلاثة آلاف ، وعلى الأول ربيعة بن غزاق الغنوى ، وعلى الثانى عبد الله بن جملة
الختمى ، وتقدم ربيعة يوماً ، فانهزم من معه بعد معركة ، وقتل ، وأقبل الختمى ، قَتِلَ أيضاً ، وتفرق رجاله ،
وكان يزيد فى حالة إعياء شديد من مرض حلَّ به ، فأوصى بمن يخلقه إن مات . وشهد المعركة الأولى وهو على
حمار يمسكه بعض الرجال ، وشهد الثانية وهو فى قلب جيشه على سرير . وسقط ميتاً فى المساء بعد الظهر فى
الحريين سنة ٦٦ هـ .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، والأعلام ج ٨ ص ١٧٩ ، ١٨٠] .

(٣) في م : : عبد الله ، والصواب ما أثبتناه .. وهو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وقد مرَّ التعريف به .
(٤) لا تنشَبْ فى حرب ، أى : لا تقع فيها .

(٥) فى م : : إن وثقت شدتك ، أى : صارت محكمة فى القوة .

(٦) فى م : : السورة ، تحريف .. وأحمد الشدة : الشدة المحمودة ، والفعل أفعل تفضيل من الحمد .

الْمُحَارِبِ ^(١) خَلَسَ الذَّنْبِ ، وَطَرَّ مِنْهُ طَيْرَانُ الْغُرَابِ ، فَإِنَّ الْحَذَرَ زِمَامُ الشَّجَاعَةِ ، وَالتَّهَوُّرُ عَدُوُّ الشَّدَّةِ .

وَقَالَ أَبُو السَّرَّاءِ - وَكَانَ أَحَدَ الْفَتَاكِ ^(٢) - لَا يَنْبِي : يَا بَنِي ، كُنْ بِحِيلَتِكَ أَوْتَقِ مِنْكَ بِشِدَّتِكَ ، وَبِحَذَرِكَ ^(٣) أَوْتَقِ مِنْكَ بِشَجَاعَتِكَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ حَرْبُ الْمُتَهَوِّرِ وَغَنِيمَةُ الْحَذِيرِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّوَلَ إِذَا زَالَتْ صَارَتْ حِيلَهَا ^(٤) وَبَالًا عَلَيْهَا ، وَإِذَا أُذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي حُلُولِ الْبَلَاءِ كَانَتْ الْآفَةُ فِي الْحِيلَةِ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ كَانَ الْقَطَبُ ^(٥) فِي الْحِيلَةِ ، وَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ الدُّوَلِ أَذْبَرَتْ سِنَّةُ الْعَفَلَةِ عَنْ سِنَّةِ الْحَذَرِ ^(٦) وَيَغْلِبُ الضَّعِيفُ بِاقْبَالِ دَوْلَتِهِ ، كَمَا يَغْلِبُ الْقَوِيُّ بِفَنَاءِ مُدَّتِهِ ^(٧) .

وَقَالُوا : سُوءُ الدُّوَلِ وَتُحُوسُهَا مَقْرُونَةٌ بِسُوءِ الْمُلْكِ وَتُحُوسِيهِ ^(٨) . وَقَالُوا : أَبْهَى زَيْ ^(٩) عَلَى كُلِّ أَمْرٍ دَوْلَتُهُ ، فَإِذَا انْقَضَتْ بَدَتْ عَوْرَتُهُ . وَقَالَ ^(١٠) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا وَلَّتْ دَوْلَةٌ ، وَلَّتْ أُمَّةٌ ، وَإِذَا زَالَتْ دَوْلَةٌ نُسِخَتْ أُمَّةٌ ^(١١) . وَقَالُوا : رُبُّ حِيلَةٍ أَهْلَكَتِ الْمُخْتَالَ . فَمِنْ الْحَزَمِ الْمَالُوفِ عِنْدَ سُؤْسِ الْحُرُوبِ ^(١٢) أَنَّ

(١) احتلس : اختطف بسرعة وغفلة ، والخلصة بفتح الخاء المعجمة : اسم مَرَّة ، وبالضم : ما يُخْلَسُ .. وفي « م » : « وأخلص من محارب » وهي بمعناها .

(٢) الفتاك : جمع فاتك ، وهو الذي يركب الشدائد ولا يبال بالموت .

(٣) في « م » : « وبجذتك » .

(٤) في « م » : « حيلها » .

(٥) القطب : الملك والفساد .

(٦) السنّة : الطبيعة ، والصورة ، والطريقة . والسنة : القوة والنماس . وكلاهما له وَجْهٌ .

(٧) أي : بانتهاء أجله .

(٨) السُّوء : الخسار - تقيض الشقاء .. والتُّحُوس : الجهد والضرر .

(٩) سقطت لفظة « زَيْ » من « م » سهواً من النسخ .

(١٠) من قوله : « قال .. » إلى قوله : « نُسِخَتْ أُمَّةٌ » عن « م » . وساقط من « ط » .

(١١) إلى هنا ينتهي الساقط من « ط » .. ونُسِخَتْ أُمَّةٌ : أُزِيلَتْ .

(١٢) سُؤْسُ الحروب : سَامَتْهَا .. والكُماة : جمع كَيْي ، وهو : الشجاع الجريء من الأبطال .

تَكُونُ حُمَاةَ الرُّجَالِ وَكُمَاةَ الْأَبْطَالِ فِي الْقَلْبِ ، فَإِنَّهُ مِنْهُمَا الْكَسَرُ الْجَنَاحَانِ فَالْعُمُودُ
 نَاطِرَةٌ إِلَى الْقَلْبِ ، فَإِذَا كَانَتْ رَايَاةُ تَحْفُضُ ، وَطَبُولُهُ تُضْرَبُ ، كَانَتْ حِصْنًا
 لِلْجَنَاحَيْنِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَنْتَهَرٍ ، وَإِذَا انْكَسَرَ الْقَلْبُ تَمَزَّقَ الْجَنَاحَانِ ، مِثَالُ ذَلِكَ :
 الطَّائِرُ إِذَا انْكَسَرَ إِحْدَى جَنَاحَيْهِ يَرْجَى عَوْدَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ، وَإِنْ انْكَسَرَ ^(١) الرَّأْسُ
 ذَهَبَ الْجَنَاحَانِ ، وَلَا تُخْصَى كَثَرَةُ انْكِسَارِ جَنَاحِي الْعَسْكَرِ وَثَبَاتُ الْقَلْبِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ
 الْفَارُونَ إِلَى الْقَلْبِ وَيَكُونُ الظُّفْرُ لَهُمْ . وَقُلْ عَسْكَرُ الْكَسَرِ قَلْبُهُ فَأَقْلَحْ أَوْ تَرَاوَجْ ^(٢) ،
 اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكِيدَةً مِنْ صَاحِبِ الْجَيْشِ ، فَيُخِلَّ الْقَلْبَ ^(٣) قَصْدًا وَتَعَمُّدًا ،
 وَلَا يُعَادِرُ بِهِ كَبِيرُ أَمْرِ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَهُ الْعَدُوُّ اشْتَغَلَ بِنَهْيِهِ ^(٤) ، وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ
 الْجَنَاحَانِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَكَائِدِ فِي الْحَرْبِ الْكُمْنَاءُ ^(٥) ، وَلَا يُخْصَى كَثَرَةُ . كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ
 اسْتَبِيحَتْ يَبُصَّتُهُ وَقُلْ عَزَمُهُ بِالْكُمْنَاءِ ^(٦) ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَارِسَ لَا يُزَالُ عَلَى حَيِيَّةٍ فِي
 الدَّفَاعِ وَحِمَى الدَّمَارِ ^(٧) حَتَّى يَلْتَفِتَ فَيَرَى وَرَاءَهُ بَنَدًا مَنشُورًا ^(٨) ، أَوْ يَسْمَعَ ضَرْبَ
 الطَّبُولِ ^(٩) ، فَحَبِيبِيذِ هِمَّتِهِ خَلَاصُ نَفْسِهِ . وَلَتَكُنْ هِمَّتُكَ وَرَاءَ ذَلِكَ ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ
 الْحُرُوبِ فِي اصْطِلَاحِ الشُّجْعَانِ ^(١٠) ، وَاخْتِيَارِ الْأَبْطَالِ ، فَاصْطَلَحَ ذَوِي الْبَسَالَةِ
 وَالْإِقْلَامِ وَالْجَرَاءَةِ ^(١١) ، وَلَا عَلَيْكَ إِلَّا يَكْثُرُوا ، وَبَعِيدٌ ^(١٢) عَلَيْكَ أَنْ يَكْثُرُوا ،
 وَلَا تَنْسَ يَتَّ الشَّاعِرِ :

(١) لِي د ط : « كَسِر » .. وجناحا المسكر : جانيه .

(٢) لِي م : « فَأَقْلَحْ وَتَرَاوَجْ » .

(٣) فَيُخِلُّ الْقَلْبَ : يَضِبُّ عَنْهُ وَيَرْكَبُ .

(٤) لِي م : « وَاشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ » .

(٥) الْكُمْنَاءُ : الْقَوْمُ الَّذِينَ يَكْمُنُونَ وَيَهْرُونَ فِي الْحَرْبِ ، حِيلَةٌ .. وَمِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ : « قُلْ عَزَمَهُ بِالْكُمْنَاءِ »
 ساقط من « م » .

(٦) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي السَّاقُطُ مِنْ « م » .. وَمَعْنَى اسْتَبِيحَتْ يَبُصَّتُهُ ، أَيْ : دَخَلَ الْعَدُوُّ مَكَانَهُمْ وَاسْتَبَاحَ جَنَاحَهُمْ .

(٧) لِي م : « عَلَى حَيِيَّتِهِ » .. وَالْدَّمَارُ : مَا يَنْبُي حِيَاطَتَهُ وَالزُّوْدُ عَنْهُ ، كَالْأَهْلِ وَالْبِرْضِ .

(٨) بَنَدًا مَنشُورًا : عَلَمًا مَرْفُوعًا .

(٩) لِي م : « أَوْ ضَرْبَ الطَّبُولِ » .

(١٠) اصْطِلَاحُ الشُّجْعَانِ : اخْتِيَارُهُمُ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ .

(١١) لِي م : « وَالْجَرَاءَةُ » .

(١٢) لِي م : « أَوْ بَعِيدٌ » .

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أَمُرَ عَنَى ^(١)

بَلْ قَدْ جُرِبَ ذَلِكَ فَوَجِدَ مِنْهُمْ خَيْرًا ^(٢) مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَسَأَخِي لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَقْضِي مِنْهُ الْعَجَبَ ^(٣) ، فَهُمْ فِي الْجَيْشِ ، وَإِنْ قَلُّوا ، كَالْإِنْفِخَةِ فِي اللَّبَنِ ^(٤) ، فَمِنْ ذَلِكَ لَمَّا التَقَى الْمُسْتَعِينُ بْنُ هُوْدٍ ^(٥) مَعَ الطَّاعِيَةِ ابْنِ رُذَمِيلَ ^(٦) النَّصْرَانِيَّ عَلَى مَدِينَةِ « وَشَقَّة » ^(٧) فِي ثُغُورِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ الْعَسْكَرَانِ كَالْمَتَكَافَيْنِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرَاهُ ^(٨) عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ بَيْنَ خَيْلٍ وَرَجُلٍ ^(٩) ، فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ حَضَرَ النُّوْقَةَ مِنَ الْأَجْنَادِ ، قَالَ : لَمَّا دَنَا اللَّقَاءُ قَالَ الطَّاعِيَةُ ابْنُ رُذَمِيلَ لِمَنْ يَتَّقِي بِعَقْلِهِ وَمُمَارَسَتِهِ لِلْحُرُوبِ ^(١٠) مِنْ رِجَالِهِ : اسْتَغْلِمَ مَنْ فِي عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشُّجْعَانِ الَّذِينَ تَعْرِفُهُمْ كَمَا يَعْرِفُونَنَا ، وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ وَمَنْ حَضَرَ . فَلَذَهَبَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : فِيهِمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَةَ رِجَالٍ . قَالَ : انْظُرْ

(١) عَنَى : نَزَلَ وَوَقَعَ .

(٢) فِي « م » : « خَيْرٌ » .. لَا تَصَحُّ .

(٣) فِي « م » : « مَا يَفْضِي فِيهِ الْمَجِبُ » .

(٤) الْإِنْفِخَةُ ، بِتَشْدِيدِ الْحَاءِ الْمُهْلَةِ وَتَخْفِيفِهَا : مَادَّةٌ خَاصَّةٌ تُسْتَخْرَجُ مِنْ مَعْدَةِ الرِّضِيعِ مِنَ الْحَبُولِ وَالْجِلْدَاءِ .

أَوْ نَحْوَهَا ، بِهَا حِمَاةٌ لَجَبِيْنُ اللَّبَنِ .

(٥) فِي « م » : « الْمُسْتَجِيبُ بْنُ هُوْدٍ » . تَحْرِيفٌ .. وَهُوَ : الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ أَحْمَدُ يَوْسُفُ بْنُ هُوْدٍ ، رَابِعُ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْهُودِيَّةِ - مِنْ دُولِ الطَّوَالِفِ بِالْأَنْدَلُسِ - وَكَانَ مَقَامَ مُلُوكِهَا فِي سَرَقِطَةَ .. وَوَلَّى بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةَ ٤٧٨ هـ . وَكَانَ مِنَ الْفُرَاةِ .. وَكَانَتْ فِي أَهَامِهِ وَقْعَةُ « وَشَقَّة » سَنَةَ ٤٨٩ هـ ، وَقُتِلَ فِيهَا نَحْوَ ١٠ أَلْفٍ مِنْ جَيْشِهِ .. وَاسْتَمَرَ فِي الْإِمَارَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ شَهِيدًا فِي مَعْرَكَةِ لِنْفِخِ الْعُلُوِّ بِظَاهَرِ سَرَقِطَةَ سَنَةَ ٥٠٣ هـ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامُ ج ١ ص ٢٧٣ ، وَتَفْعُ الطِّيبِ ج ١ ص ٤٢٣] .

(٦) فِي « م » : « ابْنُ بَرْدَمِيلَ » فِي الْمَوَاضِعِ كُلِّهَا .. وَهُوَ تَحْرِيفٌ .. وَقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ :

« ابْنُ رَدْمِرٍ » بِالرَّاءِ .. [انْظُرِ ابْنُ الْأَثِيرِ ج ٨ ص ٣٠٢ وَغَيْرُهَا] .

(٧) وَشَقَّةٌ : مَدِينَةٌ شَرْقِ أَسْبَانِيَا . فَضَحَهَا الْعَرَبُ سَنَةَ ٩٥ هـ .

(٨) يُرَاهِقُ : يُقَارِبُ .

(٩) فِي « م » : « مِنْ خَيْلٍ وَرَجُلٍ ، وَالرَّجُلُ ، جَمْعُ رَاجِلٍ ، وَهُوَ : الْمَاشِي عَلَى رِجْلَيْهِ .

(١٠) فِي « م » : « وَمُمَارَسَةُ الْحُرُوبِ » .

الآن ^(١) مِنَ الرِّجَالِ الْمَعْرُوفِينَ بِالشُّجَاعَةِ وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ . فَعَدُّوهُمْ فَوَجَدُوهُمْ ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ لَا يَزِيدُونَ ، فَقَامَ الطَّائِفَةُ ضَاحِكًا مَسْرُورًا وَهُوَ يَقُولُ : يَا يَيَاضَكَ مِنْ يَوْمٍ ! ثُمَّ نَاشَبَ ^(٢) الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ ، فَلَمْ تَزَلِ الْمُصَابِرَةُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، لَمْ يُؤَلَّ أَحَدُهُمْ ذُبْرَهُ ^(٣) ، وَلَا تَزْخَرْ عَنْ مُقَامِهِ ^(٤) حَتَّى فَنِيَ أَكْثَرُ الْعَسْكَرَيْنِ وَلَمْ يَبْقَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ نَظَرُوا إِلَيْنَا سَاعَةً ، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْنَا حَمْلَةً وَاحِدَةً ^(٥) وَدَاخَلُونَا مُدَاخِلَةً ، فَفَرَقُوا بَيْنَنَا وَصَبَرْنَا شَطْرَيْنِ ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَصْحَابِنَا ، وَصَارُوا بَيْنَنَا ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَهْنِنَا وَضَعْفِنَا ، وَلَمْ نَقِمِ الْحَرْبَ إِلَّا سَاعَةً وَنَحْنُ فِي خَسَارَةٍ مَعَهُمْ ، فَأَشَارَ مُقَدِّمُو ^(٦) الْعَسْكَرِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَنْجُو بِنَفْسِهِ ، وَالْكَسَرَ ^(٧) عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ وَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ ، وَمَلَكَ الْعَدُوُّ مَدِينَةَ « وَشَقَّة » . فَلْيَعْتَبِرْ ذُو الْحِزْمِ وَالْبَصِيرَةُ مِنْ جَمْعٍ يَحْتَوِي عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ وَلَا يَخْضَرُهُ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَعْدُودِينَ إِلَّا خُمُسَةً عَشَرَ رَجُلًا ، وَلْيَعْتَبِرْ بِضَمَانِ الْجُلُجِ ^(٨) بِالظَّفْرِ وَاسْتِيشَارِهِ بِالْقَنِيمَةِ لَمَّا زَادَ فِي أَبْطَالِهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ .

وَسَمِعْتُ أَسْتَاذَنَا الْقَاضِي أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَخْكِي ، قَالَ : يَتَنَمَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ إِذْ وَقَفَ عَلَى تَشْرِ ^(٩) مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفِعٍ ، فَرَأَى جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ ^(١٠) قَدْ مَلَفُوا السَّهْلَ

(١) في « م » : « قال : الآن انظر » .

(٢) ناشب : ناهد وجاهر .

(٣) لم يؤلَّ أحدهم ذُبْرَهُ : لم يهزم .

(٤) مقاميه : موقع إقامته ومكانه .

(٥) قوله : « واحدة » عن « م » .

(٦) في « م » : « مقدم » .

(٧) في « م » : « فأنكسر » أي : فانهزم .

(٨) أصل الجُلُج : حمار الوحش الغليظ ، وأطلق على الرجل الضخم من كُفَّار المعجم ، وبعض العرب يطلقونه على الكافر مطلقاً .. وقد مر .

(٩) التَّشْرُ ، بفتح الشين وسكونها : ما ارتفع وظهر من الأرض .

(١٠) في « م » : « وعن يساره » .

وَالْجَبَلِ ، فَاتَّفَتْ إِلَى مُقَدِّمِ الْعَسْكَرِ ، وَهُوَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُصْحَفِيِّ ، فَقَالَ :
 كَيْفَ تَرَى هَذَا الْعَسْكَرَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ؟ قَالَ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : أَرَى جَمْعًا كَثِيرًا وَجَيْشًا
 وَاسِعًا . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : لَا يَعْجُزُ ^(١) أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الْجَيْشِ أَلْفُ مُقَاتِلٍ ^(٢)
 مِنْ أَهْلِ الشُّجَاعَةِ وَالْبَسَالَةِ ؟ فَسَكَتَ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَمَا سُكُوتُكَ ؟
 أَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْجُيُوشِ ^(٣) أَلْفُ مُقَاتِلٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَتَعْجَبُ الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ
 انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَيُّهُمْ خَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَهْطَالِ الْمَعْدُودِينَ ؟ قَالَ : لَا . فَحَقِيقُ
 الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَيُّهُمْ مِائَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَهْطَالِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ :
 أَيُّهُمْ خَمْسُونَ مِنَ الْأَهْطَالِ ؟ قَالَ : لَا . فَسَبَّهَ الْمَنْصُورُ وَاسْتَحَفَّ بِهِ ^(٤) ، وَأَمَرَ بِهِ
 فَأُخْرِجَ عَلَى أَقْبَحِ صِفَةٍ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ اجْتَمَعَتِ الرُّومُ ، وَتَصَافَّ ^(٥)
 الْجُمْهُانُ ، فَبَرَزَ ^(٦) عِلْجٌ مِنَ الرُّومِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، شَالِكٌ فِي سِلَاحِهِ يَكْرُ وَيَقْرُ ^(٧) وَهُوَ
 يُتَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً ، فَقَتَلَهُ ^(٨)
 الْعِلْجُ ، فَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ وَصَاحُوا ^(٩) ، وَاضْطَرَبَ لَهَا الْمُسْلِمُونَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْعِلْجُ
 يَمْرُحُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَيُتَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ اثْنَيْنِ لَوَاحِدٍ ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
 فَتَجَاوَلَا سَاعَةً فَقَتَلَهُ ^(١٠) الْعِلْجُ ، وَجَعَلَ يَكْرُ وَيَحْمِلُ ^(١١) وَيُتَادَى : هَلْ

(١) في « ط » : « لَا يَعْجُزُ » .

(٢) هنا في « م » : « قَالَ : لَا .. قَالَ : فَتَعْجَبُ الْمَنْصُورُ ثُمَّ انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَمَا فِي هَذَا الْجَيْشِ أَلْفُ

مُقَاتِلٍ » ، وَتَأَنَّى مَعَ تَغْيِيرِ طَفِيفٍ .

(٣) في « م » : « فِي هَذَا الْجَيْشِ » .

(٤) لَحَقِيقٌ : فَاعْتَظَ .. وَاسْتَحَفَّ بِهِ : اسْتَبَانَ بِهِ وَأَهَانَهُ .

(٥) تَصَافَّ الْجُمْهُانُ : وَقَفُوا فِي صُفُوفٍ مُتَقَابِلَةٍ .. وَفِي « م » : « وَتَضَافَّى » أَيْ : انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

(٦) في « م » : « وَبَرَزَ » .

(٧) أَيْ : يَحْمِلُ عُذَّةَ الْحَرْبِ وَمُتَأَهَّبٌ لِلْقِتَالِ .

(٨) في « م » : « ثُمَّ قَتَلَهُ » .

(٩) في « م » : « وَصَاحُوا بِهِ » .

(١٠) لِي « م » : « ثُمَّ قَتَلَهُ الْعِلْجُ فَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ » .

(١١) لِي « م » : « يَكْرُ وَيَقْرُ » .

مِنْ مَبَارِزِ ثَلَاثَةِ لَوَاحِدٍ ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(١) فَقَتَلَهُ الْعِلْجُ ، فَصَاحَ الْمُشْرِكُونَ ، وَذَلَّ الْمُسْلِمُونَ ، وَكَادَتْ تُكُونُ كَسْرَةً ، فَقِيلَ لِلْمَنْصُورِ : مَا لَهَا غَيْرَ ابْنِ الْمُصْحَفِيِّ ؟ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَحَضَرَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ الْكَلْبُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : بَعْنِي جَمِيعَ مَا جَرَى . قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِيهِ ؟ قَالَ : وَمَا الَّذِي تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَنْ تُكْفِي ^(٢) الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُ . قَالَ : نَعَمْ الْآنَ .

ثُمَّ قَصَدَ إِلَى رِجَالٍ يَعْرِفُهُمْ ، فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ عَلَى قَرَسٍ قَدْ نَشَرَتْ أَوْرَاكُهَا هُزَالًا ^(٣) ، وَهُوَ يَحْمِلُ قِرْبَةً مَاءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْقَرَسِ ، وَالرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّتِيهِ غَيْرَ مُتَصَنِّعٍ ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُهُ ، فَمَاذَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ أُرِيدُ رَأْسَهُ الْآنَ ^(٥) . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمَلَ الْقِرْبَةَ إِلَى رَحْلِهِ ، وَلَبَسَ لِأَمَةِ خَرِبَةٍ وَبَرَزَ إِلَيْهِ ^(٦) ، فَهَجَاوَا سَاعَةً ، فَلَمْ يَرِ النَّاسُ إِلَّا الْمُسْلِمَ خَارِجًا إِلَيْهِمْ بِرُكْضٍ ، وَلَا يَذْرُونَ مَا هُنَالِكَ ، وَإِذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ رَأْسَ الْعِلْجِ ، فَالْقَى الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : عَنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي عَسْكَرِكَ مِنْهُمْ أَلْفٌ ، وَلَا خَمْسُمِائَةٍ ، وَلَا مِائَةٌ ، وَلَا خَمْسُونَ ، وَلَا عِشْرُونَ ، وَلَا عَشْرَةٌ ^(٧) . فَرَدَّ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ إِلَى مَنْزِلِيهِ وَأَكْرَمَهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ الْحَرْبِ شَكْوَى ، وَأَوْسَطُهَا نَجْوَى ، وَآخِرُهَا بَلْوَى . الْحَرْبُ شَتَاءٌ ^(٨) غَابِسَةٌ ، شَوْهَاءٌ ، كَالْحَيَّةِ ، خُرُورٌ ^(٩) فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ ، شُمُوسٌ فِي

(١) قوله : من للمسلمين : عن م . .

(٢) في م : : قال : أكفى .

(٣) أى : ظهرت وبرزت عظامها من الضعف .

(٤) في م : : غير متصنع . ربما يريد أنه غير فقير .

(٥) في م : : قال : فما ترى فيه ؟ قال له : أريد رأسه الآن .

(٦) في م : : ونزل إليه واللائمة : أداة الحرب كلها ، من رمح وبيضة ومقعر وسيف ودرع .

(٧) في م : : : ولا خمسون ولا عشرة . .

(٨) الحرب شتاء ، أى : تشبه المرأة الشقاء الشعر في هيئتها وقبح منظرها .

(٩) الخُرُور : الريح الحارة .. . وفي م : : : جزور .. . والجزور : ما يُذبح .

الْوَيْطِيسُ ^(١) ، تَتَغَدَّى بِالنَّمُوسِ . الْحَرْبُ أُولُهَا الْكَلَامُ وَآخِرُهَا الْحِمَامُ ^(٢) . الْحَرْبُ مَرَّةُ الْمَذَاقِ إِذَا قَلَصَتْ ^(٣) عَنْ سَاقٍ ، مَنْ صَبَرَ فِيهَا عَرَفَ ، وَمَنْ ضَعُفَ عَنْهَا تَلَفَ ^(٤) . جِسْمُ الْحَرْبِ الشَّجَاعَةُ ، وَقَلْبُهَا التَّذْيِيرُ ، وَعَيْنُهَا الْحَذَرُ ، وَجَنَاحُهَا الطَّاعَةُ ، وَلِسَانُهَا الْمَكِيدَةُ ، وَقَائِدُهَا الرُّفْقُ ، وَسَائِقُهَا النُّصْرُ ^(٥) . وَقَالَ الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) : « الْحَرْبُ مُخْدَعَةٌ » . وَقَالُوا : الْحَرْبُ غَشُومٌ ^(٧) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَمُخِّطُ إِلَى غَيْرِ الْجَانِي . قَالَ ^(٨) الشَّاعِرُ :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلِمَ الدِّدِ وَإِنِّي بِحَرْبِهَا الْيَوْمَ صَالِي ^(٩)

وَقَالَ آخَرُ :

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَجْنِيهَا أَنْاسٌ وَيَصْلِي حَرْبَهَا قَوْمٌ بَرَاءٌ ^(١٠)

وَقَالَ آخَرُ :

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تُكُونُ فَيَّةٌ تَسْعَى بِبَيْتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ ^(١١)

حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ تَحْلِيلٍ ^(١٢)

(١) الشَّمْسُوسُ : الثُّورُ الْقَمِيرُ الْمُتَعَبُ . وَالْوَيْطِيسُ : شِدَّةُ الْحَرْبِ .

(٢) أَى : الْمَوْتُ .

(٣) قَلَصَتْ : كَشَفَتْ .

(٤) تَلَفَ : هَلَكَ .

(٥) فِى م : « النَّصْرَةُ » .

(٦) فِى م : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٧) الْقَشُومُ : الَّذِى يَخِيطُ النَّاسَ وَيَأْخُذُ كُلَّ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ .

(٨) فِى م : « كَمَا قَالَ » .

(٩) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ .. وَهُوَ فِى م :

« لَمْ أَكُنْ مِنْ خُدَاتِهَا عِلِمَ اللَّهِ وَإِنِّي لِحَرْبِهَا الْيَوْمَ صَالِي »

لَمْ أَكُنْ مِنْ خُدَاتِهَا : لَسْتُ سَبِيًّا فِي قِيَامِهَا وَلِحَثِّ عَلَيْهَا .. وَصَالٍ : مُحَرِّقُ بَنَارِهَا .

(١٠) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ .. وَفِى م : « يَجْنِيهَا أَنْاسٌ » .. وَفِى عِيُونِ الْأَخْبَارِ ج ٢ ص ٦١ : « يَجْنِيهَا رِجَالٌ » .

(١١) الْآيَاتُ مِنَ الْكَامِلِ .. وَتَسْعَى بِبَيْتِهَا ، أَى : بَيِّعَتْهَا وَشَارَعَتْ .. وَفِى الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ٨٦ ، وَعِيُونِ الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢١٠ : « تَسْعَى بِبَيْتِهَا » .. وَالْجَهُولُ : الْبُورُ .

(١٢) شَبَّ ضِرَامُهَا : انْتَفَدَتْ نَهْبَتُهَا .. وَفِى الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « حَتَّى إِذَا حَمِثَ » .. وَفِى عِيُونِ الْأَخْبَارِ : « حَتَّى إِذَا اسْتَعْرَثَ » .

شَمْطَاءُ يَنْكُرُ لَوْنَهَا وَتَعْيَرَتْ مَكْرُوهَةٌ لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ ^(١)

قَالَ ^(٢) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : قَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) آدَابَ الْحَرْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » ^(٤) . وَاسْتَوْصَى قَوْمٌ ^(٥) أُنْكَمَ بَيْنَ صَيْفِي فِي حَرْبٍ أَرَادُوهَا ^(٦) فَقَالَ : أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَائِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّبَاحِ فَشَلٌ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ ^(٧) ، وَتَثَبَّتُوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرُّكْبَيْنِ ^(٨) .

وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَرَوْنَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ جَيْشًا ^(٩) عَلَى الرُّكْبِ كَأَنَّهُمْ خُرْسٌ يَلْمِظُونَ تَلْمِظَ الْحَيَاتِ ^(١٠) . وَرَأَيْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَلْفَ فِي الْحُرُوبِ يَكْرَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالتَّكْبِيرِ ، وَيَقُولُونَ : يَذْكُرُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ .

وَاعْلَمْ أَرْشَدَكَ ^(١١) اللَّهُ تَعَالَى ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْضَحَ لَنَا فِي كِتَابِهِ عِلَّةَ النَّصْرِ وَعِلَّةَ الْهَزِيمَةِ ^(١٢) وَالْفِرَارِ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصَبَّرُوا اللَّهُ يَنْصُرَكُمْ

(١) يَنْكُرُ لَوْنَهَا : يَصِيرُ مَنكُورًا ، مِنْ تَكْرَرِ يَنْكُرُ .. وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ :

« شَمْطَاءٌ جَرَتْ رَأْسُهَا وَتَعْيَرَتْ مَكْرُوهَةٌ لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ »

وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنَ الْبَيْتِ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ تُشَابِلُ مَا وَرَدَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ .. وَالشَمْطَاءُ : الْمَرَأَةُ الَّتِي خَالَطَ سَوَادَ شَعْرِهَا الْبَيَاضَ .

(٢) وَقَالَ :

(٣) فِي م : : جَمَعَ اللَّهُ - تَعَالَى - لَنَا .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، الْآيَاتَانِ : ٤٥ ، ٤٦ .

(٥) اسْتَوْصَى قَوْمٌ : طَلَبُوا الرُّصِيَّةَ وَالنَّصِيحَةَ .

(٦) فِي م : : أَرَادَهَا .

(٧) فِي م : : لَيْسَ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ .

(٨) الرُّكْبَيْنِ : الشَّدِيدُ الَّذِي يُعْقَدُ عَلَيْهِ .

(٩) جَيْشًا عَلَى الرُّكْبِ : جَالِسِينَ .. وَفِي م : : جَنَى . .. لَا تَصَحُّ .

(١٠) فِي م : : خُرْسٌ « بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، أَيْ : كَالْجِرَابِ الْوَاقِفَةِ .. وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .. وَيَلْمِظُونَ تَلْمِظَ

الْحَيَاتِ : يُخْرِجُونَ أَلْسِنَهُنَّ كَالْحَيَاتِ ، وَهِيَ هُنَا كِتَابَةٌ عَنِ الْغَيْظِ وَالتَّحَفُّزِ .

(١١) فِي م : : وَاعْلَمُوا - أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ .

(١٢) فِي م : : عِلَّةُ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ .

وَيُبَيِّنُ أَفْعَادَكُمْ^(١) يَغْنَى : إِنْ ثَنَصَّرُوا رَسُوْلُهُ وَدِيْنَهُ . وَأَمَّا الْفِرَارُ فَعِلَاتُهُ الْمَعَاصِي^(٢) ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الْاَلِدِيْنَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(٣) أَيْ : بِشَوْمِ ذُنُوْبِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْمَرْكَزَ الَّذِي رَسَمَهُ لَهُمُ رَسُوْلُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤) رَبَّ الرَّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى ثَلَاثَةِ الْجَبَلِ^(٥) لِيَمْنَعُوْا قُرَيْشًا أَنْ يَخْرُجُوا عَلَيْهِمْ كَيْفَا^(٦) مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، ثُمَّ التَقَى الْمُسْلِمُونَ ، فَالْتَهَزَمَ الْكُفَّارُ ، فَقَالَ الرَّمَاةُ : لَا تَقْوُوتُنَا الْعَنَائِمُ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الْعَنَائِمِ وَتَرَكُوا الْمَرْكَزَ الْأَوَّلَ ، فَخَرَجَتْ خَيْلُ الْمُشْرِكِيْنَ^(٧) مِنْ هُنَاكَ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ ، فَكَانَتْ مَقْتَلَةٌ أُحُدٍ^(٨) .

وَلِيُخْفِ قَائِدُ الْجَيْشِ الْعَلَامَةَ الَّتِي هُوَ مَشْهُورٌ بِهَا ، فَإِنْ عَدُوُّهُ قَدْ يَسْتَعْلِمُ حِيلَتَهُ^(٩) وَالْوَانَ خَيْلَهُ وَرَأَيْتَهُ ، وَلَا يَلْزُمُ خَيْمَتَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَلِيُبَيِّنَ زَيْهَ ، وَيُعَيِّرَ خَيْمَتَهُ ، وَيُعْمَى مَكَائِهِ^(١٠) كَيْلًا يَلْتَمِسُ عَدُوُّهُ غُرَّتَهُ ، وَإِذَا سَكَنَتِ الْحَرْبُ فَلَا يَمُشِ فِي النَّفْرِ الْيَسِيرِ مِنْ قَوْمِهِ خَارِجَ عَسْكَرِهِ ، فَإِنْ عَيَّوْنَ عَدُوُّهُ قَدْ أَتَيْتَ عَلَيْهِ^(١١) . وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَسَرَ الْمُسْلِمُونَ جِيُوشَ إِفْرِيقِيَّةَ عِنْدَ فَتْحِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَرْبَ سَكَنَتْ فِي وَسْطِ النَّهَارِ ، فَخَرَجَ مُقَدِّمُ الْعَدُوِّ يَمْشِي خَارِجَ الْعَسْكَرِ يَتَمَيَّزُ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِيْنَ ،

(١) سورة محمد ، الآية ٧ .

(٢) في م : : فَمِنْ غَلَبَةِ الْمَعَاصِي .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٥ .

(٤) في م : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٥) ثَلَاثَةُ الْجَبَلِ : حَافِظُهُ .

(٦) في م : : أَنْ يَخْرُجُوا كَيْفَا أَيْ : كَمَا نَبَى : كَمَا نَبَى : كَمَا نَبَى : كَمَا نَبَى .

(٧) في م : : فَخَرَجَتْ الْمُشْرِكُونَ .

(٨) في م : : فَكَانَتْ قَتْلَةُ أُحُدٍ .. وَالْمَقْتَلَةُ : الْمَرْكَزُ .

(٩) في م : : قَدْ اسْتَعْلِمَ حِيلَتَهُ وَالْوَانَ حِيلَتَهُ وَاعْلَمَتْهُ وَعَرَفَهَا .

(١٠) يَمْشِي مَكَائِهِ : يَمْشِيهِ .

(١١) في م : : فَإِنْ عَيَّوْنَ عَدُوُّهُ قَدْ أَتَيْتَ عَلَيْهِ .. وَعَيَّوْنَ الْعَدُوِّ : جَوَاسِيَهُ .. وَأَذْكَيْتَ : أُرْبَيْتَ .

فَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ ^(١) وَهُوَ نَائِمٌ فِي قُبَيْهِ ، فَخَرَجَ ^(٢) فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ رِجَالِهِ وَحَمَلَ عَلَى الْعَدُوِّ ، فَقَتَلَ الْمَلِكَ ، وَكَانَ الْفَتْحُ .

وَلَمَّا عَبَّرَ طَارِقُ ^(٣) مَوَلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِيَفْتِخَهَا ، وَمُوسَى إِذْ ذَاكَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، خَرَجُوا فِي الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَتَحَصَّنُوا فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُسَمَّى الْيَوْمَ جَبَلُ طَارِقِ ، وَهُمْ فِي أَلْفٍ وَتِسْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَطَمَعَتِ الرُّومُ فِيهِمْ ، فَأَقْبَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ عَلَى الرُّومِ « تَدْمِيرٌ » اسْتَحْلَفَهُ لَدْرِيقُ ^(٤) مَلِكُ الرُّومِ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ

(١) في « م » : « ابن السرح » خطأ . وهو : عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري ، من بني عامر بن لؤي .. يطل من أبطال الصحابة وقاتح إفريقية ، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاة ، أسلم قبل فتح مكة - وهو من أهلها - وكان مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وكان على مينة عمرو بن العاص حين افتتح مصر .. وولى مصر سنة ٢٥ هـ بعد عمرو بن العاص ، فاستمر نحو ١٢ عاماً ، زحف في خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص ، وعقبة بن نافع ، ولحق بهم عبد الله بن الزبير ، فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة ، ودانت له إفريقية كلها ، وغزا الروم بمراً وظفر بهم في معركة ذات الصواري سنة ٣٤ هـ ، وعاد إلى المشرق ، وبينما كان في طريقه بين مصر والشام - علم بمقتل عثمان ، وأن علياً أرسل إلى مصر والياً آخر ، هو فليس بن سعد بن عباد ، فوجهه إلى الشام قاصداً معاوية ، واعتزل الحرب بينه وبين علي بن أبي طالب ، ومات بمسقلان فجأة سنة ٣٧ هـ وهو قائم بصل . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٨٨ ، ٨٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٥٩ - ٢٦١ ، والمعارف ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .]
(٢) قوله : « فخرج » عن « ط » .

(٣) هو : طارق بن زياد ، الليثي بالولاء ، فاتح الأندلس ، أصله من البربر ، وأسلم على يد موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله ، ولما تم لموسى فتح طنجة وكى عليها طارقاً سنة ٨٩ هـ ، فأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢ هـ . وقاد الجيش الذي أعده موسى من البربر لغزو الأندلس ، فنزل بهم البحر واستولى على جبل طارق ، وفتح حصن فرطاجنة ، وتغلغل في أرض الأندلس بعد أن أحرق السفن التي جاء عليها بجيشه ، وحاربه الملك ردفريق ، فقتله طارق ، وافتتح إشبيلية ، وأستجة ، وأرسل من استولى على قرطبة وملقة ، ثم احتل طليطلة ، عاصمة الأندلس ، وتوجه شمالاً واستولى على عدة مدن ، ثم عاد إلى طليطلة سنة ٩٣ هـ فالتقى بموسى بن نصير ، وكان قد حفره من التوغل في الفتوح والمغامرة بمن معه ، فهاجمه بالهزل من القيادة ، ثم أعاده الوليد بن عبد الملك ، وأصلح ما بينه وبين موسى ، وعاد طارق إلى غزواته فصعد من طليطلة شرقاً إلى منابع نهر التاجية ، واستعان بموسى على فتح سرسطة ، فافتتحها ، واحتل طرطوشة وبلنسية ، وشاطبة ، ودانية ، واستدعاه الوليد إلى الشام ، فقصدها مع موسى سنة ٩٦ هـ .. وأقوال المؤرخين مضطربة في خاتمة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢١٧ ، والمعارف ص ٥٧٠ ، وفروج البلدان للبلاذري ص ٢٣٨ وما بعدها ، ونفع الطيب ج ١ ص ٢١٩ وما بعدها .]

(٤) في « ط » : « لدريق » بالبدال المهملة .. ولاسمه عدة صور أخرى ، منها « رودريك » و « رودريجيو » =

إِلَى لُذْرِيقٍ يُعْلِمُهُ أَنَّ قَوْمًا لَا تُذَرَى أَمِينَ الْأَرْضِ ^(١) أَمْ مِنْ السَّمَاءِ قَدْ وَصَلُوا إِلَى بِلَادِنَا ، وَقَدْ لَقِيْنَهُمْ ، فَأَنَّهُمْ إِلَى ^(٢) يَنْفَسِك .

فَأَنَّهُ لُذْرِيقٌ فِي يَسْنِينَ أَلْفَ عِثَانٍ ^(٣) ، وَلَقِيَهُمْ طَارِقٌ وَعَلَى خَيْلِهِ مُغِيثُ الرُّومِيِّ ^(٤) مَوْلَى الْوَلِيدِ ^(٥) بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَشَدَّ قِتَالٍ ، قَرَأَى طَارِقٌ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الشَّدَّةِ ، فَقَامَ فَحَضَّهُمْ ^(٦) عَلَى الصَّبْرِ ، وَرَغَّبَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ ، وَبَسَطَ فِي أَمَانِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الْمَقَرُّ ؟ الْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ ، فَلَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ مِنْكُمْ ، وَالنَّصْرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَأَنَا فَاعِلٌ شَيْئًا فافْعَلُوا كَفَعَلِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَقْصِدُنَّ طَاعَتَهُمْ ، فَأَمَّا أَنْ أَقْتُلَهُ ، وَأَمَّا أَنْ أَقْتَلَ دُونَهُ .

فَاسْتَوْفَى طَارِقٌ مِنْ خَيْلِهِ ، وَعَرَفَ حِلْيَةَ ^(٧) لُذْرِيقٍ وَغَلَامَتَهُ وَخَيْمَتَهُ ، ثُمَّ حَمَلَ

Roderic والعرب تسميه « لُذْرِيق » .. وهو آخر ملوك القوط الغربيين في أسبانيا ، ولم يكن من أبناء الملوك ، ولا بصحيح النسب في القوط ، وإنما نال الملك عن طريق الغصب والتسور ، وقد قُتل بعد معركة نهر وادي « بكة » بينه وبين طارق بن زياد .

[انظر الأعلام المصدر السابق ، ونفع الطيب ج ١ ص ١٣٩] .

(١) ل : م : : « مِنْ الْأَرْضِ هُمْ » .

(٢) في : م : : « إِلَيْنَا » .

(٣) ألبان : سر اللجام الذي تُمسك به الدَّابَّةُ ، والمراد هنا : الفارس .

(٤) قال المقرئ : هو ليس برومي على الحقيقة ، وتصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جيلة ابن الأييم القسائي ، سُمِّيَ من الروم بالمشرك وهو صغير ، فأَذَبَهُ عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد ، وأنجب ل أولاده ، وصار منه « بنو مغيث » الذين نجبوا في قرطبة وسادوا .. ونشأ مغيث بدمشق ، فأصبح بالمرية ، وقال الشعر ، وتدرَّب على ركوب الخيل وخوض المراكب ، ووجههُ عبد الملك إلى الأندلس غازيًا مع طارق بن زياد ، فقدمه طارق لفتح قرطبة في سبعمائة فارس ، فافتتحها سنة ٩٢ هـ وأسر ملكها .. وتولى نحو سنة ١٠٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٧٦ ، ونفع الطيب ج ٤ ص ١٢ وما بعدها] .

(٥) في : ط : : « مَوْلَى الْوَلِيد » .

(٦) في : م : : « فَقَامَ فَحَضَّهُمْ وَحَضَّهُمْ » .

(٧) في : م : : « حِلْيَةُ » .

مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ حَمْلَةٌ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَتَلَ اللَّهُ تَعَالَى لُذْرِيْقَ بَعْدَ قَتْلِ ذَرِيْعٍ فِي الْعَدُوِّ ، وَحَمَى اللَّهُ تَعَالَى ^(١) الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ^(٢) ، وَانْهَزَمَ الرُّومُ ، فَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَاخْتَرَّ طَارِقُ رَأْسَ لُذْرِيْقَ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى مُوسَى ، وَبَعَثَ بِهَا مُوسَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَسَارَ ^(٣) مُبْعِثٌ إِلَى قُرْطَبَةَ ، وَسَارَ طَارِقُ إِلَى طَلَيْطَلَةَ ^(٤) ، وَلَمْ يَكُنْ هُمُ غَيْرَ الْمَائِدَةِ الَّتِي يَذْكُرُ ^(٥) أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهَا مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُ أُتْحَمِتَ لُذْرِيْقَ الْمَائِدَةَ وَالثَّجَاجَ ، فَقَوِّمَتِ الْمَائِدَةُ بِمِائَتَى أَلْفٍ ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الَّتِي لَمْ يَرِ مِثْلُهَا .

وَبِهَذِهِ الْحِيلَةِ قَهَرَ أَلْبُ أَرْسِلَانُ ^(٦) مَلِكَ التُّرْكِ مَلِكَ الرُّومِ وَقَمَعَهُ ^(٧) ، وَقَتَلَ رِجَالَهُ وَأَبَادَ جَمْعَهُ ، وَكَانَتِ الرُّومُ قَدْ جَمَعَتْ جُيُوشًا يَقُولُ أَنَّ يَجْتَمِعُ ^(٨) لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِثْلُهَا ، وَكَانَ مَبْلُغُ عَدَدِهِمْ سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ ، كِتَابٌ مُتَوَاصِلَةٌ ، وَعَسَاكِرُ مُتَرَادِفَةٌ ، وَكَرَادِيسَ ^(٩) يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا لَا يُدْرِكُهُمُ الطَّرْفُ ، وَلَا يُحْصِيهِمُ الْعَدَدُ ، وَقَدْ

(١) تعالى : عن ط . .

(٢) في م : : ولم يُقتل منهم كثير شيء .

(٣) في م : : وصار : في الموضعين .

(٤) طَلَيْطَلَةُ : مدينة في أواسط أسبانيا ، قرب مدريد .

(٥) في ط : : تذكر ، .. وفي م : : لم يكن لهم هيئة غير المائدة : بالجمع .

(٦) في م : : و ط : : ألب أرسلان : ومعناه : أسد شجاع ، فألب : شجاع ، وأرسلان : أسد .. وقد وُلد الْمُسَمَّى بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ أَلْبُ أَرْسِلَانُ : ومعناه : أسد شجاع ، فألب : شجاع ، وأرسلان : أسد .. وقد وُلد أَلْبُ أَرْسِلَانُ سَنَةَ ٤٢١ هـ . وقد ملك بعد عمه طُغْرُكُوكَ .. وكان عمه قد أوصى لأخيه داود ، ولكنه تغلب عليه ، فاستولى على الممالك ، وعظمت هيئته . وهو من ملوك الدولة السلجوقية .. وقد قُتِلَ سَنَةَ ٤٦٥ هـ وهو في الرابعة والأربعين من عمره .

[انظر ليران والعمراق في العصر السلجوقي ، الفصل الرابع ص ٥٣ ، وإعجام الأعلام ص ٦٦ ، ٦٧] .

(٧) في م : : وقبضه .

(٨) في ط : : يُجْمَعُ .

(٩) قوله : : كراديس : عن ط : ، وهو جمع كُردوسَة ، ويُطلق على الطائفة العظيمة من الحيل والجيش .

اسْتَعْدُوا مِنَ الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ وَالْمَجَانِيقِ ^(١) وَالْآلَاتِ الْمُعَدَّةَ لِفَتْحِ الْحُصُونِ ^(٢) فِي الْحَرْبِ بِمَا لَا يُحْصَى ^(٣) ، وَكَانُوا قَدْ قَسَمُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ : الشَّامَ ، وَمِصْرَ ، وَالْعِرَاقَ ، وَخُرَاسَانَ ، وَدِيَارَ بَكْرِ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ ^(٤) ذَارَتْ لَهُمْ ، وَأَنَّ نُجُومَ السُّعُودِ ^(٥) قَدْ خَدَمَتْهُمْ .

ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَوَارَثَ أَخْبَارُهُمْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاضْطَرَبَتْ لَهَا مَمَالِكُ الْإِسْلَامِ ، فَاخْتَشَدَ لِلْقَائِمِينَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ التُّرْكِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْمَلِكُ الْعَادِلُ ، وَجَمَعَ جُمُوعَهُ بِمَدِينَةِ أَصْبَهَانَ ^(٦) ، وَاسْتَعَدَّ بِمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمَهُمْ ، فَلَمْ يَزَلِ الْعَسْكَرَانِ يَتَدَايِيَانِ إِلَى أَنْ عَادَتْ طُلُوحُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ^(٧) وَقَالُوا لِأَلْبِ أَرْسِلَانَ : عَدَا يَتَرَاءَى الْجَمْعَانِ ، قَبَاتِ الْمُسْلِمُونَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَالرُّومُ ^(٨) فِي عَدَدٍ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَمَا الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ ^(٩) إِلَّا أَكَلَةٌ جَائِعَةٌ ، فَبَقِيَ الْمُسْلِمُونَ وَاجِبِينَ لِمَا دَهَاهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَبَاحَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَهَالَ الْمُسْلِمِينَ مَا رَأَوْا مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ ^(١٠) وَقُوَّتِهِمْ وَأَلَانِهِمْ ، فَأَمَرَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ أَنْ يُعَدَّ ^(١١) الْمُسْلِمُونَ ، فَبَلَّغُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ تُرْكِيٍّ ، وَإِذَا هُمْ

(١) فِي د م : : : : : وَالْمَجَانِيقِ . تَحْرِيفٌ ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ .

(٢) فِي د م : : : : : وَالْآلَاتِ الْعُدَّةُ وَفَتْحِ الْحُصُونِ .

(٣) قَوْلُهُ : : : : : بِمَا لَا يُحْصَى عَنْ د ط .

(٤) وَ قَدْ عَنْ د ط .

(٥) نَجُومُ السُّعُودِ : عِدَّةُ كَوَاكِبٍ يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا : سَعْدٌ كَذَا ، وَمِنْهَا سَعْدُ السُّعُودِ .

(٦) فِي د م : : : : : أَصْفَهَانَ ، وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ

(٧) فِي د م : : : : : فَلَمْ يَزَلِ الْعَسَاكِرُ تَتَوَاصَلُ إِلَى أَنْ تَلَدَاتِ الْعَسْكَرَانِ ، فَعَادَتْ طُلُوحُ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُسْلِمِينَ .

(٨) فِي د م : : : : : وَالْقَوْمُ .

(٩) فِي د م : : : : : وَمَالِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ .

(١٠) فِي د م : : : : : مِنْ كَثْرَةِ الْقَوْمِ .

(١١) فِي د م : : : : : يَحْتَدُّ .

مِنْهُمْ كَالرُّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ ^(١) ، فَجَمَعَ قَوَى الرُّأْيِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ وَالتَّدْبِيرِ
وَالشَّفَقَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالتُّظَرِّ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَاسْتَشَارَهُمْ ^(٢) فِي اسْتِخْلَاصِ صَوَابِ
الرُّأْيِ ، فَتَشَاوَرُوا بَرَهَةً ، ثُمَّ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى اللِّقَاءِ ، فَتَوَادَعَ الْقَوْمُ وَتَحَالَفُوا ^(٣)
وَنَاصَحُوا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ تَأَهَّبُوا أَهْبَةَ اللِّقَاءِ ^(٤) وَقَالُوا لِأَلْبِ أَرْسِلَانَ : نُسِّىَ اللَّهُ
تَعَالَى ^(٥) وَنَحْمِلْ عَلَى الْقَوْمِ ، فَقَالَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ : يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ،
أَمْنِيْلُوا ^(٦) فَإِنَّ هَذَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَخْطُبُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَيَدْعُونَ لَنَا فِي شَرْقِ
الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَفَاعَتِ الْأَقْيَاءُ ^(٧) وَعَلِمْنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَلَّوْا
وَدَعَوْا لَنَا وَصَلَّيْنَا نَحْنُ عَمِلْنَا أَمْرَنَا .

فَصَبَرُوا إِلَى أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّوْا ^(٨) وَدَعَوْا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ ،
وَأَنْ يَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِالصَّبْرِ ، وَأَنْ يُوهِنَ عَدُوَّهُمْ ، وَأَنْ يُلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ .
وَكَانَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ قَدْ اسْتَوْقَى مِنْ خِيَمَةِ مَلِكِ الرُّومِ وَعَلَامَتِيهِ وَفَرَسِيهِ وَزِيَّهِ ، ثُمَّ
قَالَ لِرَجُلِهِ ^(٩) : لَا يَتَحَلَّفُ أَحَدُكُمْ ^(١٠) أَنْ يَفْعَلَ كِفْعَلِي ، وَيَضْرِبَ بِسَيْفِهِ ^(١١)

-
- (١) الرُّقْمَةُ ، بضم الراء المشددة وفتحها : هَنَّةٌ ناهية تشبه الظفر في ذراع الدابة ، أو هي نقطة سوداء كالدرهم .
(٢) فِي « م » : « فاستشارهم » .
(٣) فِي « م » : « وتعالوا » أى : سأل كل واحد منهم رفيقه أن يخلصه من التبعات التي عليه ، وأن يُجِله
منها .. وتوَادَعَ القوم : تصالحوا أو تهادنوا .
(٤) فِي « م » : « تأهبوا للقاء » .
(٥) « تعالى » عن « م » .
(٦) أمهلوا : لا تتعجلوا وانهدوا .
(٧) فَاعَتِ الْأَقْيَاءُ : رجعت الظلال بعد الزوال .
(٨) فِي « م » : « وصلوا » .
(٩) فِي « م » : « لرجاله » وها معنى واحد .
(١٠) فِي « م » : « أحد منكم » .
(١١) فِي « م » : « بسيفي » تحريف .

وَرَمَى بِسَهْمِهِ حَيْثُ أَضْرِبَ بِسَهْمِي وَأَرْمِي بِسَهْمِي ، ثُمَّ حَمَلَ ^(١) جَمِيعَهُمْ حَمَلَةً
 رَجُلٌ وَاحِدٌ إِلَى خَيْمَةِ ^(٢) مَلِكِ الرُّومِ ، فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ دُونَهَا ، فَخَلَصُوا إِلَيْهِ ، وَقُتِلَ
 مَنْ حَوْلَهُ ، وَأَسِيرَ مَلِكُ الرُّومِ ، وَجَعَلُوا يُنَادُونَ بِلسَانِ الرُّومِ : قُتِلَ الْمَلِكُ ، قُتِلَ
 الْمَلِكُ ^(٣) ، فَسَمِعَتِ الرُّومُ أَنَّ مَلِكَهُمْ قَدْ قُتِلَ ، فَتَبَدُّوا وَتَمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ ، وَعَمِلَ
 السَّيْفُ فِيهِمْ أَيَّامًا ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُمْ وَغَنَائِمَهُمْ ، وَاسْتَحْضَرَ مَلِكُ الرُّومِ نَيْنَ
 يَدَى أَلْبِ أَرْسِلَانَ بِحَبْلِ فِي عُنُقِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَلْبِ أَرْسِلَانَ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِي لَوْ
 أَخَذْتَنِي ^(٤) ؟ قَالَ : فَهَلْ تَشْكُ أُنَى كُنْتُ أَقْتُلُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ أَلْبِ أَرْسِلَانَ : أَنْتَ أَقْلُ
 فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ ، اذْهَبُوا بِهِ وَيَعُوهُ ^(٥) فِيمَنْ يَزِيدُ ، فَكَانَ يُقَادُ بِالْحَبْلِ فِي عُنُقِهِ
 وَيُنَادَى عَلَيْهِ : مَنْ يَشْتَرِي مَلِكَ الرُّومِ ؟ وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ يَطُوفُونَ بِهِ عَلَى الْخِيَامِ وَمَنَازِلِ
 الْمُسْلِمِينَ ^(٦) وَيُنَادَى عَلَيْهِ بِالْدَّرَاهِمِ وَالْفُلُوسِ ، فَلَمْ يَدْفَعْ ^(٧) فِيهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، حَتَّى
 بَاعُوهُ مِنْ إِنْسَانٍ بِكَلْبٍ ، فَأَخَذَ الَّذِي كَانَ ثَوَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ الْكَلْبَ وَالْمَلِكَ ،
 وَحَمَلَهُمَا إِلَى أَلْبِ أَرْسِلَانَ ، وَقَالَ : قَدْ طَفْتُ جَمِيعَ الْعَسْكَرِ وَنَادَيْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْدُلْ
 فِيهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ دَفَعَ لِي فِيهِ كَلْبًا . قَالَ : قَدْ أَنْصَفَ ^(٨) ، لِأَنَّ الْكَلْبَ
 خَيْرٌ مِنْهُ ، فَأَقْبَضَ الْكَلْبَ وَادْفَعَهُ إِلَيْهِ هَذَا الْكَلْبَ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِطْلَاقِهِ ، فَذَهَبَ
 إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَعَزَلَتْهُ الرُّومُ وَكَحَلَتْهُ ^(٩) بِالنَّارِ . فَانْظُرْ مَاذَا يَتَأَتَّى عَلَى الْمُلُوكِ إِذَا عَرَفُوا
 فِي الْحُرُوبِ مِنَ الْحِيلَةِ وَالْقَصْدِ فِي الْمَكِيدَةِ ^(١٠) ! .

(١) فِي د م : : وَحَمَلَ .

(٢) فِي د م : : إِلَى خَيْمَةِ الْمَلِكِ .

(٣) فِي د ط : : قُتِلَ الْمَلِكُ ، لَمْ تَتَكَرَّرْ .

(٤) فِي د م : : لَوْ أَخَذْتَنِي بِحَبْلِ فِي عُنُقِي .

(٥) فِي د م : : فِيَعُوهُ .

(٦) فِي د م : : وَنَائِرَ الْمُسْلِمِينَ .

(٧) فِي د م : : وَلَمْ يَدْفَعْ ، وَسَقَطَتْ أَحَدٌ مِنْهَا سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(٨) فِي د م : : قَدْ أَنْصَفَكَ .

(٩) فِي د م : : وَكَحَلُوهُ .

(١٠) فِي د م : : بِالْمَكِيدَةِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ الْقَدَمَاءَ قَالُوا : الْكَثْرَةُ لِلرُّغْبِ ، وَالْقَلَّةُ لِلتَّنَصُّرِ . وَقَدْ قَالَ ^(١) تَعَالَى : **« وَيَوْمَ حُتَيْنَ إِذْ أَغْجَبْتَكُمْ كُفِّرْتُكُمْ فَلَمَّ ثَغْنٌ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلِيْتُمْ مَذْبِيبِينَ »** ^(٢) ، فَالْكَثْرَةُ أَبَدًا يَصْنَحُهَا ^(٣) الْإِعْجَابُ ، وَمَعَ الْأَعْجَابِ الْهَلَاكُ . وَخَيَّرَ الْأَصْحَابُ أَرْبَعَةً ، وَخَيَّرَ السَّرَايَا أَرْبَعِيًّا ، وَخَيَّرَ الْجُيُوشَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَلَنْ يُغْلَبَ جَيْشٌ يَبْلُغُ ^(٤) اثْنَى عَشَرَ آلَافًا مِنْ قِلَّةٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ .

فَأَمَّا صِفَةُ اللَّقَاءِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ تَرْتِيبٍ رَأَيْنَاهُ ^(٥) فِي بِلَادِنَا ، وَهُوَ أَرْجَى تَذْيِيرٍ نَفَعَلُهُ فِي لِقَاءِ عَدُوِّنَا ، [فَهُوَ] ^(٦) أَنْ تُقَدَّمَ الرَّجَالَةُ بِالْذَّرْقِ الْكَامِلَةِ ، وَالرِّمَاحُ الطُّوَالِ ، وَالْمَزَارِيقُ ^(٧) الْمَسْنُونَةُ النَّافِذَةُ ، فَيَصْفُقُوا صُفُوفَهُمْ ، وَيُرَكِّزُوا مَرَكَزَهُمْ ، وَرِمَاحَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ فِي الْأَرْضِ ، وَصُدُورُهُمْ شَارِعَةً ^(٨) إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَهُمْ جَائِمُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أَلْقَمَ الْأَرْضَ رُكْبَتَهُ ^(٩) الْيُسْرَى ، وَتَرَسَهُ قَائِمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَلْفَهُمُ الرَّمَاةُ الْمُخْتَارُونَ الَّذِينَ ^(١٠) تَمْرُقُ سِيَاهُهُمْ مِنَ الدُّرُوعِ ^(١١) ، وَالْحَيْلُ خَلْفَ الرَّمَاةِ ، فَإِذَا حَمَلَتِ الرُّومُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَتَزَحَّزَحِ الرَّجَالَةُ عَنْ هَيَاتِهِمْ ^(١٢) ، وَلَا يَقُومُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ^(١٣) عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَإِذَا قَرَّبَ الْعَدُوُّ

(١) في م : : قال الله .

(٢) سورة التوبة ، من الآية ٢٥ .

(٣) في م : : يَتِمُّهَا .

(٤) في م : : « وَلَنْ يُؤْثَى جَيْشٌ إِذَا اجْتَمَعَ .. » أَيْ : لَنْ يُغْلَبَ .

(٥) في م : : « رَأَيْنَاهُ » .

(٦) مابن المعقوفين زيادة من عندنا .

(٧) في م : : « وَالْمَزَارِقُ » وكلاهما جمع يَزْرَقُ ، وهو : الرمح القصير .. وَالْبَرْقُ : جمع دَرَقَةٍ ، وهي الثَّرسُ يَقْوِي بِهِ .. وَالرَّجَالَةُ : الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ مُتَرَجِّلِينَ .

(٨) في م : : « وَصُدُورُهَا شَارِعَةً » أَيْ : مُتَّجِهَةً وَمُسَدَّدَةً .

(٩) أَلْقَمَ الْأَرْضَ رُكْبَتَهُ ، أَيْ : وَضَعَ وَبَيْتَ رُكْبَتَهُ عَلَيْهَا .

(١٠) في م : : « وَط : : وَالتَّى » .

(١١) تَمْرُقُ سِيَاهُهُمْ : تَتَطَلَّقُ فِي سُرْعَةٍ .. وَفِي م : : « تَمْرُقُ سِيَاهُهُمُ الدُّرُوعُ » .

(١٢) في م : : « وَط : : هَيَاتِيهَا » .

(١٣) في م : : « وَلَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ » .

رَشَقَهُمُ الرُّمَاءُ بِالنُّشَابِ ^(١) ، وَالرَّجَالَةَ بِالْمَزَارِقِ ، وَصُدُّوا الرُّمَاحَ ثَلَاثًا ، فَأَخْلَدُوا
بِنَنَّةٍ وَيَسْرَةَ ، فَخُرُجُ ^(٢) خَيْلِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ الرُّمَاءِ وَالرَّجَالَةِ قَتَالُ ^(٣) مِنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ .
وَلَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ حَضَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ فِي بَلَدِي « طَرُوشَةَ » قَالَ : صَافَقَتِ ^(٤)
الرُّومُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ ، فَحَمَلُوا عَلَيْنَا ، فَبَيَّنَّا ^(٥) رَجُلٌ مِنَّا كَانَ فِي آخِرِ الصَّفِّ فَقَامَ
عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ عِلْجٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَصَابَ غُرَّتَهُ فَقَتَلَهُ .

وَلَمَّا بَرَزَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بْنِ هَوْدٍ ^(٦) مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ سَرَقُسْطَةَ فِي ثُغُورِ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ لِلِقَاءِ الطَّاعِنَةِ رُذَيْلِ عَظِيمِ الرُّومِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ اخْتَشَدَ بِمَا
فِي مَيْسُورِهِ ، فَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ ، ثُمَّ تَنَازَلُوا لِلْقِتَالِ وَتَصَافَقُوا ، وَدَامَ الْقِتَالُ
بَيْنَهُمْ صَدْرًا كَبِيرًا ^(٧) مِنَ النَّهَارِ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي خُسْرَانٍ ، فَأَفْرَعَ الْمُقْتَدِرُ
ذَلِكَ ، وَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ ^(٨) مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَدَعَا الْمُقْتَدِرُ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
لَمْ يَكُنْ فِي الثُّغُورِ أَعْرَفَ بِالْحَرْبِ مِنْهُ ^(٩) يُسَمَّى سَعْدَادَةَ ^(١٠) ، فَقَالَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ :
كَيْفَ تَرَى فِي هَذَا الْيَوْمِ ؟ فَقَالَ سَعْدَادَةُ : هَذَا يَوْمٌ أَسْوَدُ ، وَلَكِنْ قَدْ بَقِيََتْ لِي حِيلَةٌ ،

(١) النُّشَابُ : السَّيْلُ .

(٢) فِي « ط » : « فَيَخْرُجُ » .

(٣) فِي « م » : « فَيَنَالُونَ » .

(٤) فِي « م » : « صَافَقْنَا » أَيْ : قَاتَلْنَا صُغُورًا .

(٥) فِي « م » : « فَبَيَّنَّا » .

(٦) هُوَ : أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَوْدٍ ، الْمَلَقَبُ بِالْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، مِنْ مُلُوكِ الطُّوَلُوفِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَهُوَ
ثَلَاثِي مُلُوكِ آلِ هَوْدٍ ، وَفِي أَهَامِهِ اقْتَحَمَ الرُّومُ مَدِينَةَ « بَشْتَرِ » وَارْتَكَبُوا فِيهَا فِظَالَعًا ، فَرَحَفَ عَلَيْهِمْ بِجَيْشٍ ضَخْمٍ ،
فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْرَ أَلْفِ فَارَسٍ ، وَخَمْسَةَ أَلْفِ رَاجِلٍ سَنَةَ ٤٥٧ هـ وَحَمَلُوا أَثَرَهُمْ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ١ ص ١٣٢] .

(٧) فِي « م » : « كَثِيرًا » .

(٨) فَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ : جَزَعُوا وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ .

(٩) فِي « م » : « أَعْرَفَ مِنْهُ بِالْحَرْبِ » .

(١٠) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « سَعْدَادَةُ » فِي كُلِّ الْمَوَاضِعِ ، وَلَمْ أَفُفْ عَلَيْهِ .

فَذَهَبَ سَعْدَارَةُ ، زَيْتُهُ زَيْ الرُّومِ ، وَكَلَامُهُ كَلَامُهُمْ ، لِمَجَاوَزَتِهِمْ وَكَثْرَةِ مُحَالَظَتِهِمْ ،
فَانْقَمَسَ فِي عَسْكَرِ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ صَعِدَ ^(١) إِلَى الطَّائِغَةِ رُذَيْمِلَ ، فَأَلْفَاهُ شَاكًا فِي
السَّلَاحِ ^(٢) ، مُكَفَّنًا فِي الْحَدِيدِ ، لَا يَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَتَحَيَّلُهُ ^(٣) وَيَتَرَصَّدُ
غِرَّتَهُ إِلَى أَنْ أُمَكَّتَتْهُ الْفَرْصَةُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَطَعَنَهُ ^(٤) فِي عَيْنِهِ ، فَخَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ ^(٥)
وَالْقَمَرِ ، ثُمَّ جَعَلَ يُنَادِي بِلسَانِ الرُّومِ : قُتِلَ السُّلْطَانُ يَامَعَشَرَ الرُّومِ ، فَشَاعَ قَتْلُهُ فِي
الْعَسْكَرِ ، فَتَخَادَلُوا وَوَلَّوْا مُتَهَرِّمِينَ ، وَكَانَ ^(٦) الْفَتْحُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٧) .

وَلَمَّا اسْتَضَعَفَ الرُّومُ صِيقَلِيَّةَ وَضَرَبُوا عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ ، فَكَانُوا يَحْمِلُونَ إِلَيْهِمُ
الْخَرَاجَ ، وَيَحْمِلُونَ الْأَمْوَالَ إِلَى الْعَرَبِ بِإِفْرِيقِيَّةَ وَيَسْتَجِدُّونَ بِهِمْ عَلَى الرُّومِ ، فَقَالَ
لَهُمْ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّمَا مَكَلَى وَمَثَلَكُمْ يَا أَهْلَ صِيقَلِيَّةَ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ زَوْجَتَانِ : عَجُوزٌ
وَصَبِيَّةٌ ، فَكَانَ إِذَا بَاتَ عِنْدَ الصَّبِيَّةِ تَلْقَطُ الشَّيْبَ ^(٨) مِنْ لِحْيَتِهِ لِتَصْبِيئِهِ فَيَزْهَدُ فِي
الْعَجُوزِ ^(٩) ، وَإِذَا بَاتَ عِنْدَ الْعَجُوزِ ، تَلْقَطُ ^(١٠) الشَّعْرَ الْأَسْوَدَ مِنْ لِحْيَتِهِ لِتَشْيِخِهِ ^(١١)
فَتَزْهَدُ الصَّبِيَّةُ فِيهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ دَامَ هَذَا بِهِ أَنْ يُصْبِحَ أَطْلَسَ ^(١٢) ، كَذَلِكَ حَالَكُمْ

(١) فِي م : : ثُمَّ قَصَدَ .

(٢) فَأَلْفَاهُ شَاكًا فِي السَّلَاحِ : وَجَدَهُ مُرْتَدًّا زَى الْحَرْبِ بِكَمَلِ هَيْئَتِهِ وَسِلَاحِهِ .

(٣) فِي م : : فَجَعَلَ يَتَرَصَّدُهُ .

(٤) فِي ط : : طَعَنَهُ . وَالْغِرَّةُ : الْغَفْلَةُ .

(٥) فِي م : : لِلْيَدَيْنِ .

(٦) فِي م : : فَكَانَ .

(٧) تَعَالَى عَنْ ط .

(٨) تَلْقَطُ الشَّيْبَ : تَسْتَأْمِلُ الشَّعْرَاتِ الْبَيْضَاءَ بِالْجَلْقَاطِ .

(٩) فَيَزْهَدُ فِي الْعَجُوزِ : عَنْ ط : وَلَمْ تَرِدْ فِي م : .. وَمَعْنَى تَصْبِيئِهِ ، أَيْ : لِجَعْلِهِ يَلْبُو فِي الْأَعْيُنِ
أَصْغَرَ مِنْ مِثْلِهِ .

(١٠) فِي ط : : تَلْقَطُ .

(١١) لِتَشْيِخِهِ : لِجَعْلِهِ يَلْبُو مُشَيِّخًا .

(١٢) أَطْلَسَ ، أَيْ : فِي لَوْنِهِ غَيْرَ إِلَى سَوَادٍ .

مَعِيَ وَمَعَ الْعَرَبِ ، إِذَا أَتَيْتُمُ الْمَالَ ^(١) لِي وَلَهُمْ يُوشِكُ أَنْ تُنْفَدَ أَمْوَالُكُمْ فَتَبْقُوا مُقْرَاءَ ضُعَفَاءَ ، فَأَتَسَلَّمُكُمْ وَأَتَسَلَّمُ الْبِلَادَ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِحِصَارِ صِيقَلِيَّةَ أَمَرَ أَنْ يُسَاطَ بِسَاطٍ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ جَعَلَ فِي وَسْطِهِ دِينَارًا ، ثُمَّ قَالَ لِرُجُلَيْهِ : مَنْ أَخَذَ مِنْكُمْ هَذَا الدِّينَارَ ^(٢) وَلَمْ يَطْلُ الْبِسَاطَ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ ، فَوَقَّفُوا ^(٣) حَوْلَهُ ، وَلَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَغْيَاهُمْ ذَلِكَ طَوَى نَاحِيَّةً مِنَ الْبِسَاطِ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ ^(٤) أَنْ يَطْوِيَ مِنْهَا يَلِيهِ ، حَتَّى طَوَى الْبِسَاطَ ، فَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فَلَحَقُوا الدِّينَارَ ، فَحِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ : إِذَا أَرَدْتُمْ مَدِينَةَ صِيقَلِيَّةَ خُذُوا مَا حَوْلَهَا مِنَ الْحُصُونِ وَالْمُدُنِ الصَّغَارِ ، وَالضِّيَاعِ وَالْقُرَى ^(٥) ، حَتَّى إِذَا ضَعُفَتْ أَخَذْتُهَا .

وَكَانَ بِسَرُقْسَطَةَ فَارِسٍ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ قَتَحُونٍ ، وَكَانَ يُتَاسَبُّ ^(٦) قَبْعُ خَالٍ وَالِدَتِي ، وَكَانَ أَشْجَعَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَكَانَ الْمُسْتَعِينُ أَبُو الْمُفْتَدِرِ يَرَى لَهُ ذَلِكَ وَيُعْظِمُهُ ، وَكَانَ يُجْرَى عَلَيْهِ ^(٧) فِي كُلِّ عَظِيَّةٍ خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَكَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِأَسْرِهَا قَدْ عَرَفَتْ مَكَانَهُ ، وَهَابَتْ لِقَاءَهُ ، فَيَحْكِي أَنَّ الرُّومِيَّ إِذَا سَقَى فَرَسَهُ فَلَمْ يَشْرَبْ يَقُولُ لَهُ : اشْرَبْ ، هَلِ ^(٨) ابْنُ قَتَحُونٍ رَأَيْتَ فِي الْمَاءِ ؟ فَحَسَدَهُ نَظَرَاؤُهُ عَلَى كَثَرَةِ الْعَطَاءِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَأَوْغَرُوا بِهِ صَلَرِ الْمُسْتَعِينِ ^(٩) ، فَمَنَعَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ إِنَّ

(١) في م : : : الأموال .

(٢) في م : : : هذه الدنانير .

(٣) في م : : : فوقفنا .

(٤) في م : : : كل واحد منهم .

(٥) في م : : : من الحصون والمدن والقرى الصغار والضياح .. الضياح : الأراضي المؤلفة ، جمع ضيعة .

(٦) يُتَاسَبُّ : يشارك في النسب والقرابة .

(٧) يجرى عليه : يقدم العطاء له .. وفي م : : : يجزى له .

(٨) في م : : : أو مكان . هل .

(٩) أي : ملغوه غيظاً وحققاً .

الْمُسْتَعِينِ أَنْشَأَ غَزْوَةً إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَتَوَاقَفَتِ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ صُفُوفًا ، ثُمَّ بَرَزَ عَلِجٌ إِلَى وَسْطِ الْمَيْدَانِ يُنَادِي : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَارِسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً فَقَتَلَهُ الرُّومِيُّ ، وَصَاحَ الْكُفَّارُ سُرُورًا ، وَانْكَسَرَتْ نَفُوسُ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ الرُّومِيُّ يَكْثُرُ ^(١) بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَيُنَادِي : هَلْ مِنْ اثْنَيْنِ لِوَاحِدٍ ^(٢) ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَارِسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلَهُ الرُّومِيُّ ، فَصَاحَ الْكُفَّارُ سُرُورًا وَانْكَسَرَتْ نَفُوسُ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَيُنَادِي وَيَقُولُ : ثَلَاثَةٌ لِوَاحِدٍ ؟ فَلَمْ يَسْتَجِرْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ ، وَبَقِيَ النَّاسُ فِي حَيْرَةٍ ، فَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ : مَا لَهَا إِلَّا أَبُو الْوَلِيدِ ^(٣) بِنُ فَتَحُونَ ، فَدَعَاهُ وَلَطَّفَ بِهِ ^(٤) وَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ ^(٥) ؟ فَقَالَ : هُوَ بَعِثَنِي ! قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِيهِ ؟ فَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ : فَمَاذَا تُرِيدُ ^(٦) ؟ فَقَالَ : أَخِيفُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُ . فَقَالَ ^(٧) : السَّاعَةَ يَكُونُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٨) .

فَلَيْسَ قَبِيصَ كَثَائِنٍ وَاسْتَوَى عَلَى ظَهْرِ ^(٩) سَرَجِهِ بِلَا سِلَاحٍ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ سَوْطًا طَوِيلَ الطَّرْفِ ، وَفِي طَرَفِهِ عُقْدَةٌ ^(١٠) مَعْقُودَةٌ ، ثُمَّ بَرَزَ إِلَيْهِ ، فَتَعَجَّبَ ^(١١) مِنْهُ النَّصْرَانِيُّ ، ثُمَّ حَمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَلَمْ تَحْطُ طَعْنَةُ النَّصْرَانِيِّ سَرَجَ

(١) في م : : يَكْثُرُ وَيُكْثُرُ .

(٢) من قوله : « هل من اثنين » إلى قوله : « وينادي ويقول : ثلاثة » عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) في م : : « إِلَّا الْوَلِيدَ » سقطت « أَبُو » سهواً من الناسخ .

(٤) في م : : « واستلطفه » .

(٥) في م : : « أما ترى هذا العليج ما يصنع منذ اليوم ؟ » .

(٦) في م : : « فماذا ترى » .

(٧) في م : : « قال » .

(٨) في م : : « الساعة يكون إن شاء الله » .

(٩) قوله : « ظهر » عن « م » .

(١٠) في م : : « عُقْدٌ » .

(١١) في « ط » : : « فمجب » .

ابن قُحُونٍ ، وَإِذَا ابْنُ قُحُونٍ مُتَعَلِّقٌ بِرَقِيَّةِ الْفَرَسِ ، وَنَزَلَ ^(١) إِلَى الْأَرْضِ لَا شَيْءَ بَيْنَهُ فِي السَّرَجِ ، ثُمَّ طَفَرَ ^(٢) عَلَى سَرَجِهِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ ، وَضَرَبَهُ بِالسَّوِطِ فِي عُنُقِهِ ، فَاتَّقَوَى عَلَى عُنُقِهِ ، فَجَذَبَهُ ^(٣) بِيَدِهِ مِنَ السَّرَجِ فَأَقْلَعَهُ مِنْ سَرَجِهِ وَجَاءَ بِهِ يَجُرُّهُ ، فَالْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْ الْمُسْتَعِينِ ، فَعَلِمَ الْمُسْتَعِينُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ فِي صَنِيعِهِ مَعَهُ ، فَأَكْرَمَهُ وَرَدَّهُ إِلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ .

أَيُّهَا الْأَجْنَادُ ، أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى الْأَمْرَاءِ ، فَلَا ظَفَرَ مَعَ اخْتِلَافٍ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنِ اخْتِلَفَ عَلَيْهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ^(٤) . وَأَوَّلُ الظَّفَرِ الْاجْتِمَاعُ ، وَأَوَّلُ الْخِذْلَانِ ^(٥) الْاِفْتِرَاقُ ، وَعِمَادُ الْجَمَاعَةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ ^(٦) عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٧) يَوْمَ صِفِّينَ مِنَ الْعَصِيَّانِ ، وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَتَضَعُضَعَتْ صُفُوفُ مُعَاوِيَةَ ، فَأَحْسَ ^(٨) بِالْمُشْرِ وَأَنَّهُ مَغْلُوبٌ ، فَقَالَ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِرِ : اذْهَبْ فَخُذْ لَنَا الْأَمَانَ مِنْ ابْنِ عَمَلِكَ ، يَعْنِي عَلِيًّا ، فَأَدَارَ عَمْرٍو الْحِجْلَةَ ، فَأَمَرَهُمْ ^(٩) أَنْ يَرْفَعُوا الْمَصَاحِفَ فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَيَتَأَوَّنَ : نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ عَلَى كَفُّوا عَنِ الْحَرْبِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيُّ قَوْمٍ هَذِهِ مَكِيدَةٌ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْقَوْمِ دِفَاعًا . فَعَصَوْهُ وَتَرَكُوا الْقِتَالَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْحَكَمَيْنِ .

(١) فِي م : : : أَوْ نَزَلَ .

(٢) طَفَرَ : قَفَرَ .

(٣) فِي م : : : فَأَخَذَ .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ : مِنَ الْآيَةِ ٤٦ .

(٥) الْخِذْلَانُ : عَدَمُ التَّصَرُّعِ وَالْإِنْهَرَامِ .

(٦) أَنْتُمْ الْجَيْشُ وَنَحْوُهُ : دَحْمَةُ الْعَلَوِ .

(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مِنَ الْعَصِيَّانِ عَنْ ط .

(٨) فِي م : : : وَأَحْسَ .

(٩) فِي م : : : وَأَمَرَهُمْ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَخْزَمِ مَكَائِدِ الْحَرْبِ إِذْكَاءَ الْعُيُونِ ^(١) ، وَاسْتِطْلَاعَ الْأَنْجَارِ ،
وَأَنْشَاءَ الْعَلَبَةِ ، وَظَهَارَ السَّرُورِ ، وَإِبَانَةَ الْحَذَرِ ، وَالْإِحْتِرَاسَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَنْ لَا تُخْرِجَ
هَارِبًا إِلَى قِتَالٍ ، وَلَا تُضَيِّقَ أَمَانًا عَلَى مُسْتَأْمِنٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ : كَثْرَةُ
التَّكْبِيرِ ^(٢) عِنْدَ اللِّقَاءِ فَشَلَّ . غَضُّوا الْأَصْوَاتَ ، وَتَجَلَّبَّوْا ^(٣) السَّكِينَةَ ، وَأَكْمَلُوا
الرُّوثَامَ ^(٤) ، وَاحْتَمَوْا الْجُنُبَ ^(٥) ، وَادْرَعُوا اللَّيْلَ ، فَإِنَّهُ أُخْفِيَ لِلْوَيْلِ .. اللَّيْلُ يَكْفِيكَ
الْجَبَانَ وَيَصِفُ الشُّجَاعَ .. اللَّيْلُ الْمَدْدُ الْأَعْظَمُ .

الْحَازِمُ يَحْذَرُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ : الْمَوَائِبَةُ إِنْ قَرَّبَ ، وَالْعَارَةَ إِنْ بَعُدَ ، وَالْكَمِينَ
إِنْ انْكَشَفَ ، وَالْإِسْطِرْدَادُ إِذَا وَلَّى .. الْجَهْلُ قُوَّةُ الْجُرْأَةِ .. مَنْ اغْتَرَّ ^(٦) بِقُوَّتِهِ فَقَدْ
وَهِنَ .. لَيْسَ مِنَ الْقُوَّةِ التَّوَرُّطُ فِي الْهَوَاةِ ^(٧) ، لَكِنْ أَشَدُّ مَا كُنْتَ حَذِرًا مَا كُنْتَ عِنْدَ
نَفْسِكَ أَكْثَرَ قُوَّةً وَعَدَدًا .. مَنْ اسْتَضَعَفَ عَدُوَّهُ اغْتَرَّ ، وَمَنْ اغْتَرَّ ظَفِرَ بِهِ عَدُوُّهُ ..
أَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ فِي الْحَرْبِ ^(٨) الْجُرْأَةَ ، فَإِنَّهَا سَبَبُ الظَّفَرِ ، وَادْكُرُوا الضَّغَائِنَ ، فَإِنَّهَا
تَبْعَتْ ^(٩) عَلَى الْإِقْدَامِ ، وَالتَّزِيمُوا الطَّاعَةَ فَإِنَّهَا حِصْنُ الْمُحَارِبِ .

(١) إِذْكَاءُ الْعُيُونِ : إِرْسَالُ الْجَوَاسِيسِ .. وَفِي « ط » : « ذَكَاءُ الْعُيُونِ » وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .. وَفِي « ك » : « بَعْدَهَا :
« وَاسْتِطْلَاعُ » مَكَانَ « اسْتِطْلَاعِ » تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي « م » : « كَثْرَةُ التَّكْبِيرِ » .

(٣) تَجَلَّبَّوْا : تَزَيَّوْا .. وَفِي « م » : « وَتَجَلَّبَّوْا » . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٤) الرُّوثَامُ : الرُّوْفَاقُ .. وَفِي « م » : « الرُّوَامُ » أَيْ : الْحَاجَةُ .

(٥) وَاحْتَمَوْا الْجُنُبَ ، أَيْ : تَجَنَّبُوا وَاتَّقَوْهُ .. وَفِي « م » : « الْجُنُبُ » . وَلَمَّا أَرَادَ الْإِحْتِمَاءَ بِهَا ، حَيْثُ إِنَّمَا
جَمَعَ جُنُودَهُ ، وَهِيَ كُلُّ مَا وَفَى مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٦) فِي « م » : « وَغْتَرَّ » .

(٧) فِي « م » : « الْقُوَّةُ » .. مَكْرُورَةٌ .

(٨) « الْحَرْبُ » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٩) « تَبَعَتْ » عَنْ « ط » .

إِذَا وَقَعَ اللَّقَاءُ بَرَزَ الْقَضَاءُ .. إِذَا لَقِيَ السَّيْفُ السَّيْفَ زَالَ الْخِيَارُ ^(١) .. رَبُّ
 مَكِيدَةٍ أُبْلَغَ مِنْ نَجْدَةٍ .. رَبُّ ^(٢) كَلِمَةٍ هَزَمَتْ عَسْكَرًا .. الصَّبْرُ سَبَبُ النَّصْرِ ..
 الظَّفَرُ مَعَ الصَّبْرِ .. اجْعَلْ قِتَالَ عَدُوِّكَ آخِرَ حِيلِكَ .. النَّصْرُ مَعَ التَّذْيِيرِ .. لَا ظَفَرَ
 مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْأَقْوِيَاءِ لِفَضْلِ قُوَّتِهِمْ ^(٣) عَلَى الضُّعَفَاءِ .. لَا تُجَبِّنُوا عِنْدَ اللَّقَاءِ
 وَلَا تُمَكِّلُوا ^(٤) عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا عِنْدَ الظُّهُورِ ، وَلَا تُغْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ ،
 وَتَرْهُوا ^(٥) الْجِهَادَ عَنْ غَرَضِ الدُّنْيَا .

(١) سقطت كلمة « السيف » الثانية من « م » .. والخيار : المتخيرة والمفاضلة بين الأشياء .

(٢) في « م » : « وَرُبُّ » .

(٣) في « م » : « قُوَّتِكَ » .

(٤) لا تظفروا : لا تكتلوا وتبالغوا في العقوبة .. وفي « ط » : « لا تقبلوا » أي : لا تظلموا .

(٥) لا تغلوا : لا تمنونوا .. وفي « ط » : « تَرْهُوا » بدون الواو ، أي : صونوا .

البَابُ الثَّانِي وَالسُّتُونُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالطَّلَبِ

اعْلَمْ - وَفَقَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ مَذَاهِبَ الْخَلْقِ ^(١) فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ وَإِرَادَةِ الْكَائِنَاتِ مُتَشَبِّهَةٌ ^(٢) ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ عِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ^(٣) ، وَحُكْمُهُ حَادِثٌ ، فَمَنْ خَالَفَنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَافَقَنَا فِي الْعِلْمِ ، وَقَدْ ثَبَّاهُ الْخَلْقُ فِيهِ وَتَشَبَّهَتْ مَذَاهِبُهُمْ ، وَتَقَاطَعُوا فِيهِ وَتَدَابَرُوا ، وَكُلُّ جِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . وَلَمْ تَضَعْ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ لاسْتِيفَاءِ مَا قَالُوا وَالِاخْتِجَاجِ لِكُلِّ فَرِيقٍ ، لَأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مُجَلَّدَاتٍ وَأَسْفَارًا ، وَإِنَّمَا نَذَكُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَحْكَامًا ظَاهِرَةً قَرِيبَةً مِنَ الْمُقُولِ لِنُقَرِّبَ ^(٤) الْفَائِدَةَ عَلَى النَّاطِرِ فِيهِ .

فَاعْلَمْ أَوَّلًا أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ ، مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَتَنْفَعٍ وَضَرٍّ ، وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ ، بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ ^(٥) ، وَكَذَلِكَ لَا ^(٦) يَطِيرُ

(١) فِي م : : مذهب أهل الحق .

(٢) فِي م : : متيسر .

(٣) وَقَدَرَهُ : عَنْ ط .

(٤) فِي م : : للتقريب .

(٥) بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ : عَنْ ط .

(٦) فِي م : : فلا .

طَائِرٍ بَجَنَاحَيْهِ ، وَلَا يَدُبُّ حَيَوَانَ عَلَى بَطْنِهِ وَرَجُلِيهِ ، وَلَا تَطِيرُ بَعْضُهُ وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيتِيهِ ، كَمَا لَا يَجْرِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ .

ثُمَّ اغْلَمْ أَنَّ الْقَدَرَ وَالطَّلَبَ لَا يَتَنَافَيَانِ ، وَالتَّوَكُّلَ وَالْكَسْبَ لَا يَتَضَادَّانِ ، وَذَلِكَ
أَنْ بَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى وَقَدَرَهُ فَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ ، كَمَا أَنَّ مَا عَلِمَ اللَّهُ
تَعَالَى أَنَّهُ يَكُونُ فَهُوَ كَائِنٌ ، وَمَنْ خَالَفَنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَافَقَنَا فِي الْعِلْمِ ، قَرُبَ
أَمْرُ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَصَوْلُهُ إِلَيْكَ بِغَيْرِ طَلَبٍ فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْكَ ^(١) ، وَرُبَّ أَمْرِ قَدَرٍ
وَصَوْلُهُ إِلَيْكَ بَعْدَ الطَّلَبِ فَلَا يَصِلُ إِلَّا بِالطَّلَبِ ، وَالطَّلَبُ أَيْضًا مِنَ الْقَدَرِ ، وَلَا فَرْقَ
بَيْنَ الْأَمْرِ ^(٢) الْمَطْلُوبِ وَبَيْنَ الطَّلَبِ فِي أَهْمَهُمَا مَقْدُورَانِ ، فَمِنْ هَاهُنَا قُلْنَا إِنَّهُمَا
لَا يَتَنَافَيَانِ ، وَكَذَلِكَ التَّوَكُّلُ مَعَ الْكَسْبِ ، لِأَنَّ التَّوَكُّلَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ، وَالْكَسْبَ مَحَلُّهُ
الْجَوَارِحُ ، وَلَا ^(٣) يَتَضَادُّ شَيْئَانِ فِي مَحَلِّينِ بَعْدَمَا يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ أَنَّ الْمَقْدُورَ مِنْ قِبَلِ
اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنْ تَعَسَّرَ شَيْءٌ فَبِتَقْدِيرِهِ ، وَإِنْ اتَّفَقَ فَبِتَسْمِيرِهِ .

قَالَ أَنَسٌ : جَاءَ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ فَقَالَ : « اغْلُظْهَا وَتَوَكَّلْ » . وَالتَّوَكُّلُ وَالْإِعْتَصَامُ بِالْقَدَرِ مِنَ الْعَقْلِ ^(٤) ، وَالطَّلَبُ وَالْكَسْبُ يُسَمَّدَانِ مِنَ الْأَمْرِ ، فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الثَّقَةُ بِمَا ضَمِنَهُ ، وَالْقَطْعُ بِكَوْنِ مَا حَكَمَ بِهِ ، فَمَنْ رَامَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ لَيْسَ الطَّرِيقُ فِي تَخْصِيلِهِ أَنْ يَغْلُقَ بَابَهُ عَلَيْهِ ، وَيَقْضِضَ أَمْرَهُ إِلَى رَيْهِ ، وَيَنْتَظِرَ حُصُولَ ذَلِكَ الْأَمْرِ ، بَلِ الطَّرِيقُ أَنْ يَشْرَعَ فِي طَلَبِهِ عَلَى التَّوَكُّلِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ فِيهِ .

(١) «إليك» عن «م» .

(٢) في د م : د الأمل : تحريف .

(۳) فی د م : د فلا .

(٤) في « م » : « والتوكل والاعتصام والعقل بالقدر يستملكان من الفعل » .

وَقَدْ ظَاهَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ ذِرْعَيْنِ ^(١) ، وَاتَّخَذَ خَنْدَقًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَظْهِرُ بِهِ ^(٢) وَيَخْتَرُسُ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَقَامَ الرِّمَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ لِيَحْفَظُوهُ مِنْ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ يَلْبِسُ لَأَمَّةَ الْحَرْبِ ^(٣) ، وَيُعْبِئُ الْجُبُوشَ ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ بِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمْ ، وَاسْتَرْقَى ^(٤) وَأَمَرَ بِالِاسْتِرْقَاءِ ، وَتَدَاوَى وَأَمَرَ بِالْمَدَاوَةِ ، وَقَالَ : « أَنْزَلَ الدَّاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّوَاءَ » ، فَإِنْ قِيلَ : قَدْ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ اسْتَرْقَى أَوْ اكْتَوَى فَقَدْ بَرَىءَ مِنَ التَّوَكُّلِ » ، قُلْنَا : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ : اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ ؟ وَظَاهَرَ بَيْنَ ذِرْعَيْنِ ، وَسَائِرِ مَا ذَكَرْنَاهُ آيَةً ؟ فَإِنْ قِيلَ : فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : مَعْنَاهُ : مَنْ اسْتَرْقَى وَاكْتَوَى مُتَكِلًا عَلَى الرُّقْيَةِ وَالْكَيْ ، وَأَنَّ الْبَرَّءَ مِنْ قِبَلِهِمَا خَاصَّةً ، فَهَذَا يُخْرِجُهُ مِنَ التَّوَكُّلِ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ كَافِرٌ يُضَيِّفُ الْحَوَادِثَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَمَّا مَنْ بَاشَرَ الْأَسْبَابَ وَالْأُذُويَةَ ، وَتَبَاعَطَى تَذْيِيرَ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ وَأَعْوَانِهِ وَمَالِهِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ سَبِيلُهُ ^(٥) اللَّهُ تَعَالَى فِي أَرْضِيهِ ، وَعَادَتُهُ ^(٦) فِي خَلْقِهِ ، غَيْرَ مُعْتَمِدٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ وَائِثُّ الْقَلْبِ أَنَّ مَا حَصَلَ فَبِتَقْدِيرِهِ ، وَمَا تَعَسَّرَ فَبِتَقْدِيرِهِ ، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْمُسَبِّبِ لَا عَلَى الْأَسْبَابِ ، فَهَذَا هُوَ الْمُتَوَكَّلُ ^(٧) ، لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَمُشِيَ فِي ذَلِكَ كُلَّهُ مَعَ الْأَثَرِ ^(٨) ، وَلَا يَسْنُوكَ طَرِيقًا فِيهِ مَعْصِيَةً ، فَلَيْسَ يُسْتَلْرَجُ ^(٩) مَا عِنْدَ اللَّهِ بِمَعَاصِيهِ .

(١) ظَاهَرُ بَيْنِ ذِرْعَيْنِ : طَائِقُ بَيْنَهُمَا .

(٢) يَسْتَظْهِرُ بِهِ : يَسْتَعِينُ بِهِ وَيَحْتَاظُ .

(٣) لِي (م) : : : : لَأَمَّةُ حَرْبِهِ .. وَلَأَمَّةُ الْحَرْبِ : أَدَاةُ الْحَرْبِ ، مِنْ رُمُحٍ ، وَبِيضَةٍ ، وَمِغْفَرٍ ، وَسَيْفٍ ، وَذِرْعٍ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٤) اسْتَرْقَى : طَلَّبَ مَنْ يَرْقِيهِ .. وَالرُّقْيَةُ : الْعُوذَةُ الَّتِي يَرْقَى بِهَا الْمَرِيضَ ، وَيُقَالُ فِيهَا : بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ .. اِغْ .

(٥) لِي (م) : : : : سُنَّةٌ .

(٦) لِي (م) : : : : عَادَاتِهِ .

(٧) لِي (م) : : : : التَّوَكُّلُ .

(٨) لِي (م) : : : : مَعَ الْأَمْرِ .

(٩) يُسْتَلْرَجُ : يُنَالُ - عَلَى التَّدرِجِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَتَى أَمْرًا بِمَنْصِبَةِ اللَّهِ ^(١) كَانَ أَبْعَدَ لِمَا رَجَا ، وَأَقْرَبَ لِمَجِيءِ مَا أَتَى ^(٢) . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الطَّلَبَ وَالْإِحْسَابَ يُنَاقِضُ ^(٣) التَّوَكُّلَ ، فَتَعَدَّ فِي بَيْتِهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ مُتَكَبِّلاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي رُغْبِهِ ^(٤) ، كَانَ عَنِ الْعَقْلِ خَارِجًا ، وَفِي يَدِهِ الْجَهْلُ وَالْجَا ، وَيُقَالُ لَهُ : قَبَحَتْ يَاهَذَا ^(٥) إِذَا جُعِفَتْ وَحَضَرَ الطَّعَامُ ، فَهُوَ إِلَى الطَّعَامِ أَخْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ^(٦) ، وَيَتَّبِعِي لِأَهْلِهِ أَنْ يُدَاوُوهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمَرْيَمَ : ﴿ وَهَرُؤِ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ ^(٧) ، فَهَلَّا أَمَرَهَا بِالسُّكُونِ ثُمَّ حَمَلَ الرُّطْبَ إِلَى فِيهَا ^(٨) ؟ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِيمَنْ لَهُ ذَايَةٌ أَوْ بُسْتَانٌ ، يُؤَمِّرُ بِسُفَى الْبُسْتَانِ وَحَفَرِهِ وَإِصْلَاحِ شَأْنِهِ ^(٩) ، وَيُؤَمِّرُ بَأَنٍ يَغْلِفُ الدَّابَّةَ وَيَسْقِيهَا .

وَأُبَشِّرُوا ^(١٠) :

الْمَنْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ : إِلَيْكَ فَهَرُؤِ الْجِذْعَ يَسْقِطُ الرُّطْبَ ^(١١)

(١) في د م : : لمنصبية الله .

(٢) في د م : : ما أتى .

(٣) في د م : : يناقض الأمر .

(٤) في ز عمه ، عن د ط .

(٥) في د م : : من هذا .

(٦) في د م : : إذا جُعِفَ وحضر الطعام ألا تُدَّ يدك إليه ، وألا تفتح فمك له ، فإن غمَّادى على ذلك

كان إلى العقل أخْوَجُ منه إلى المعرفة .

(٧) سورة مريم ، من الآية ٢٥ .

(٨) فيها : فمها .

(٩) في د م : : وإصلاح بستانه .

(١٠) اليتان من الطويل ، وقد وردا في المستطرف ج ٢ في الباب الخامس والخمسين ، في العمل والتكسب ،

ص ١٢٨ ، وص ٥٤٨ من الباب الثامن والسبعين ، في القضاء والقدر وأحكامه ، وهما غير منسوبين إلى قاتل .

(١١) الشطرة الثانية من البيت في المستطرف :

﴿ وَهَرُؤِ إِلَيْكَ الْجِذْعَ يَسْقِطُ الرُّطْبَ ﴾

وقبل هذا البيت :

﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ وَلَا تَرْغَبْ فِي الْعَمَلِ يَوْمًا عَنِ الطَّلَبِ ﴾

وَلَوْ شَاءَ أُخْنِيَ الْجِرْعَ مِنْ غَيْرِ هَؤُهَا إِلَيْهَا وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ ^(١)

وَهَكَذَا قَالَ الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » ^(٣) ، فَلَمْ يَحْمِلْ أَرْزَاقَهَا إِلَيْهَا فِي أَوْكَارِهَا ، بَلْ أَلْهَمَهَا طَلَبُهُ بِالْعُدُوِّ وَالرَّوَّاحِ ^(٤) . وَقَدْ كَانَ جُهَيْلُ رَئِيسُ الْقُنْدَهَارِ ^(٥) يَرَى مِنْ تَصْدِيقِ الْقَدْرِ وَتَكْذِيبِ الطَّلَبِ دُونَ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنَ الْمُلُوكِ مَا حَجَزَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالتَّذْيِيرِ ، فَأَخْرَجَهُ إِخْوَتُهُ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَقَهَرُوهُ عَلَى مَمْلَكِيَّتِهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ تَرْكَ الطَّلَبِ يُضْعِفُ الْهِمَّةَ وَيُذِلُّ النَّفْسَ ، وَصَاحِبُهُ سَائِرُ إِلَى أَخْلَاقِ ذَوَاتِ الْأَجْجَرَةِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، كَالضَّبِّ وَسَائِرِ الْحَشَرَاتِ ، تَنْشَأُ فِي أَجْجَرَتِهَا ، وَفِيهِ يَكُونُ مَوْتُهَا .

ثُمَّ جَمَعُوا بَيْنَ الْقَدْرِ وَالطَّلَبِ وَقَالُوا : إِنَّهُمَا كَالْعِذْلَيْنِ عَلَى ظَهْرِ الدَّائِيَةِ ، إِنْ حُمِلَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا أُرْجِحَ مِمَّا حُمِلَ فِي الْآخَرِ سَقَطَ حِمْلُهُ ^(٦) ، وَنِعِبَ ظَهْرُهُ ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ سَفَرُهُ ، وَإِنْ عَادَلَ بَيْنَهُمَا سَلِمَ ظَهْرُهُ ، وَتَجَحَّ سَفَرُهُ ، وَتَمَّتْ بُعِيَّتُهُ .

وَضَرَبُوا فِيهِ مِثَالًا عَجِيبًا فَقَالُوا : إِنْ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ يَفْقِرُ وَضُرٌّ ، لَا قَائِدَ لِلْأَعْمَى ، وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ ، وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا كُلَّ يَوْمٍ اخْتِسَابًا

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أُخْنِيَ » بالجمع المعجمة . والبيت في المستطرف :

« ولو شاء أن نخنيه من غير هؤو جنته ، ولكن كل رزقي له سبب »

(٢) في « م » : « عليه السلام » .

(٣) حَقَّ تَوَكُّلِهِ : بأن لم يحيط بذلك مُدَاخَلَةً لغيره - تعالى - في الرزق أصلاً .. ومخاصاً : جماعةً .. ويطاناً : بمطلة الأجواف .. والحدِيث أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي كِتَابِ الزَّهْدِ ، بَابِ التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ ج ٢ ص ١٣٩٤ ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي أَبْوَابِ الزَّهْدِ ، بَابِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ج ٩ ص ٢٠٨ بِشَرْحِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ .

(٤) في « م » : « تَطَلَّبُهُ فِي الرَّوَّاحِ وَالْعُدُوِّ » .

(٥) الْقُنْدَهَارُ : مِنْ بِلَادِ السَّنْدِ أَوْ الْهِنْدِ .. وفي « م » : « الْقُنْدَمَارِس » .. وفي « ط » : « رِيسُ الْقُنْدَهَارِس » ولعل الصواب ما أثبتناه .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ مادة قندهار] .

(٦) « حمله » عن « م » .

قُوَّتُهُمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَلَمْ يَزَالَا فِي عَاقِبَةِ إِلَى أَنْ هَلَكَ الْمُخْتَسِبُ ، فَأَقَامَا
 بَعْدَهُ أَيَّامًا ، فَاشْتَدَّ جُوعُهُمَا ، وَبَلَغَ الضَّرَرُ ^(١) مِنْهُمَا جُهْدُهُ ، فَأَجْمَعَا ^(٢) رَأْيَهُمَا عَلَى
 أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعَدَ ، فَيَذُلَّهُ الْمُقْعَدُ عَلَى الطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْتَقِيلَ الْأَعْمَى بِحَمْلِ
 الْمُقْعَدِ ^(٣) فَيُدَوِّرَانِ فِي الْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهَا ، فَفَعَلَا ، فَتَجَعَ أَمْرُهُمَا ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا
 هَلَكَا . فَكَذَلِكَ الْقَدَرُ سَبَبُ الطَّلَبِ ، وَالطَّلَبُ سَبَبُ الْقَدَرِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُجِيبُ
 لِصَاحِبِهِ .

فَاتَّخَذَ جُهَنَلٌ فِي الطَّلَبِ فَظْفَرَ بِأَعْدَائِهِ ، وَرَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ ، فَكَانَ جُهَنَلٌ يَقُولُ :
 لَا تَدْعُنِ الطَّلَبَ الْكَلَالَا عَلَى الْقَدَرِ ، وَلَا تُجْهِدُنْ نَفْسَكَ فِي الطَّلَبِ مُتَعَمِّدًا عَلَيْهِ ،
 مُسْتَهِينًا ^(٤) بِالْقَدَرِ ، فَإِنَّكَ إِذَا أَجْهِدْتَ نَفْسَكَ بِالطَّلَبِ بِوُجُوهِ التَّدْبِيرِ الْمَحْمُودَةِ
 مُصَدِّقًا بِالْقَدَرِ ، نِلْتَ مَا تُحَاوِلُ ، وَلَمْ تَلْقَ عَلَيْكَ الْأُمُورَ ، وَإِنْ عَمِلْتَ بِذَلِكَ فَالْقَوَى
 عَلَيْكَ أَمْرٌ مِنْ مَطْلُوبِكَ فَذَلِكَ مِنْ إِعَاقَةِ ^(٥) الْقَدَرِ ، وَأَنَّكَ قَدْ أَثْبِتَ ^(٦) ذَنْبًا ، فَتَقَعْدُ
 جَوَارِحَكَ ، وَاسْتَكْشِفَ ظَاهِرَكَ وَبَاطِنَكَ ، وَثُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَثْبِتَهُ
 بِجَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِكَ ، وَاخْرُجْ مِنْ كُلِّ مَظْلَمَةٍ ظَلَمْتَهَا ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَاتِلَكَ
 الْحَظُّ ، وَسَاعَدَكَ الْقَدَرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ الَّذِي قَرَرْنَاهُ يُخْرِجُ عَلَيْهِ ^(٨) كُلَّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِيثِ

(١) لِي ١ م : : الضَّرَرُ .

(٢) لِي ١ ط : : فَأَجْمَعُوا .

(٣) لِي ١ ط : : وَيَسْتَقِيلُ الْمُقْعَدُ بِحَمْلِ الْأَعْمَى .

(٤) لِي ١ م : : مُسْتَهِينًا : تَحْرِيفُ .

(٥) لِي ١ ط : : إِعَاقَةُ .

(٦) لِي ١ م : : أَثْبِتَ .

(٧) تَعَالَى عَنْ ط : : .

(٨) لِي ١ م : : وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ الَّذِي قَرَرْنَاهُ يُخْرِجُ كُلَّ .

الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) مِنَ الْأَمْرِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ ، وَالتَّفْوِضِ إِلَيْهِ ^(٢) . مِنْ ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ الْخَوَاصَّ ^(٣) ثَلَا يَوْمًا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ^(٤) فَقَالَ : مَا يَتَّبِعِي لِعَبْدٍ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٥) . قُلْنَا : مَعْنَاهُ : لَا يَلْجَأُ إِلَى الْأَسْبَابِ اعْتِمَادًا عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ يَلْجَأُ إِلَيْهَا وَاتِّقًا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقْلِ النَّاقَةِ ، وَلَيْسَ دِرْعَيْنِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ يَطْلُبُ الزَّرْعَ وَالْوَلَدَ ثُمَّ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَطَأْ زَوْجَتَهُ ، وَلَا بَذَرَ أَرْضَهُ ، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَاتِّقًا بِهِ أَنْ تَلِدَ امْرَأَتَهُ مِنْ غَيْرِ وَقَاعٍ ، وَتَنْبُتَ أَرْضُهُ الزَّرْعَ مِنْ غَيْرِ بَذَرٍ ، كَانَ عَنِ الْمَغْفُولِ خَارِجًا ، وَلِأَمْرِ اللَّهِ تَارِكًا .

وَلِلْأَيْمَةِ وَالْحُكَمَاءِ فِي الْقَدْرِ الْفَاطَ بَارِعَةً عَلَى السَّبْرِ ^(٦) وَ الْامْتِحَانِ . .
مِنْهَا مَا رَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سُئِلَ عَنِ الْقَدْرِ فَأَعْرَضَ عَنِ السَّائِلِ ، فَأَبَى إِلَّا الْجَوَابَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَخْبِرْنِي ، أَعْلَقَكَ اللَّهُ كَمَا تَشَاءُ أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ فَامْسَكَ الرَّجُلُ . فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَاضِرِينَ : أَتَرَوْنَهُ يَقُولُ كَمَا أَشَاءُ ^(٧) ؟ إِذَا وَاللَّهِ أَضْرَبُ عُنُقِهِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : كَمَا يَشَاءُ . فَقَالَ عَلِيٌّ : أَيُحْيِيكَ كَمَا تَشَاءُ أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ قَالَ : كَمَا يَشَاءُ . قَالَ : أَيُخَشِّرُكَ كَمَا تَشَاءُ ، أَوْ كَمَا يَشَاءُ ؟ قَالَ : كَمَا يَشَاءُ . قَالَ : أَيُذْخِلُكَ حَيْثُ تَشَاءُ أَوْ حَيْثُ يَشَاءُ ؟ قَالَ : حَيْثُ يَشَاءُ . قَالَ : قُمْ فَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ .

(١) في « م » : « عليه السلام » .

(٢) في « ط » : « والتسليم إليه والتفويض له » .

(٣) من الزهاد العارفين ، ومن معاصري إبراهيم بن آدم .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧] .

(٤) سورة الفرقان ، من الآية ٥٨ .

(٥) « تعالى » عن « م » .

(٦) السُّبْرُ : الاعتبار .

(٧) في « م » : « يشاء » تحريف .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا قَدَرِيًّا وَمَجُوسِيًّا تَنَاطَرَا ^(١) ، فَقَالَ الْقَدَرِيُّ لِلْمَجُوسِيِّ : مَا لَكَ لَا تُسْلِمُ ؟ فَقَالَ الْمَجُوسِيُّ : لَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لَأَسْلَمْتُ . فَقَالَ الْقَدَرِيُّ : قَدْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تُسْلِمَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يَمْنَعُكَ . قَالَ الْمَجُوسِيُّ : فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهِمَا .

وَرَوَى فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَرَّ بِفَخٍّ مَنصُوبٍ ، وَإِذَا طَائِرٌ ^(٢) قَرِيبٌ مِنْهُ ، فَقَالَ الطَّائِرُ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَلْ رَأَيْتَ أَقْلَ عَقْلًا مِنْ هَذَا .. نَصَبَ هَذَا النَّخْعُ لِيَصِيدَنِي فِيهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : فَذَهَبَ عَنْهُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَإِذَا الطَّائِرُ فِي النَّخْعِ . فَقَالَ لَهُ : عَجَبًا لَكَ ^(٣) ، أَوَلَسْتَ الْقَائِلَ آيْنًا كَذًا وَكَذًا ؟ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِذَا جَاءَ الْحَيْنُ لَمْ تَبْقَ ^(٤) أُذُنٌ وَلَا عَيْنٌ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ لِعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَرَأَيْتَ مَنْ جَنَّبَنِي سَبِيلَ الْهُدَى ، وَسَلَكَ بِي سَبِيلَ الرَّدَى ، أَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسَاءَ ؟ فَقَالَ لَهُ ^(٥) عَلِيٌّ : إِنْ كُنْتَ اسْتَوْجَبْتَ عَلَيْهِ حَقًّا فَقَدْ أَسَاءَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ لِعِزِّلَانَ الْقَدَرِيِّ ^(٦) : سَلْ ، فَأَقْوَى مَا تَكُونُونَ إِذَا سَأَلْتُمْ . فَقَالَ عِزَّلَانُ : أَسَاءَ اللَّهُ أَنْ يُعْصَى ؟ فَقَالَ مَيْمُونٌ : أَيْعَصَى كَارِهَا ؟ فَأَنْقَطَعَ عِزَّلَانُ .

(١) في م : : : : : تنافحرا .

(٢) في م : : : : : بطائر .

(٣) في م : : : : : عجباً لك يا طائر .

(٤) في ط : : : : : لم تبق . والخين : الهلاك .

(٥) في م : : : : : ولي . تحريف .

(٦) هو : عيزلان بن مسلم الدمشقي ، أبو مروان ، كاتب من البلغاء ، وتنسب إليه فرقة « الغيلانية » من القدرية ، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه ، ولم يسبقه في هذا سوى معبد الجهني .. قيل تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عمر ، جاهر بملذه ، فطلبه هشام بن عبد الملك ، وأحضر الأوزاعي لمُناظرته ، فأضى الأوزاعي بقتله ، فصُلِبَ على باب كيسان بدمشق بعد سنة ١٠٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٢٤ ، وطبقات المعتزلة ص ٢٥ - ٢٧ ، والمعارف ص ٦٢٥ ، والبيان والتبيين

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِبُرْزَجِيمَهْر^(١) : تَعَالَ تَنْتَظِرُ فِي الْقَدْرِ . فَقَالَ : وَمَا تَصْنَعُ^(٢)
بِالْمُنَاطَرَةِ فِي الْقَدْرِ ؟ رَأَيْتُ ظَاهِرًا اسْتَدْلَلْتُ بِهِ عَلَى الْبَاطِنِ ، وَرَأَيْتُ أَحْمَقَ^(٣)
مَرْزُوقًا ، وَعَاقِلًا مَحْرُومًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ التَّدْبِيرَ لَيْسَ إِلَى الْعِبَادِ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَحْبِبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَرْزُقُ صَاحِبُهُ وَيُعْطَى الْمُنَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ طَالِبُهُ^(٤)
وَلَمَّا قَدِمَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بَعْدَ قِتْحِ الْأَلْدَلْسِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ
لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ^(٥) : أَنْتَ أَذْهَى النَّاسِ وَأَعْلَمُهُمْ ، فَكَيْفَ طَرَحْتَ نَفْسَكَ فِي
يَدَيِ سُلَيْمَانَ ؟ فَقَالَ مُوسَى : إِنَّ الْهُدْمَ يُهْنِدِسُ الْمَاءَ فِي الْأَرْضِ الْفَيَافِي^(٦) وَيُصِيرُ
الْقَرِيبَ مِنْهُ وَالْبَعِيدَ^(٧) عَلَى بُعْدِهِ فِي الشُّحُومِ ، ثُمَّ يَنْصَبُ لَهُ الصَّبِيءُ الْفَخَّ بِالْذُّودَةِ
وَالْحَيَّةِ فَلَا يَصِيرُهُ حَتَّى يَفْعَ فِيهِ .

(١) في م : : قال له بُرْزَجِيمَهْر .

(٢) في م : : وما تصنع .

(٣) في م : : أحقأ بالتونين . خطأ ، ممنوع من الصرف .

(٤) البيت من الطويل ، وقد ورد في عيون الأخبار ج ٢ ص ٢١٢ هكذا :

« يَحْبِبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَرْزُقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ »

(٥) هو : يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى ، أبو خالد ، أمير ، من القادة الشجعان الأجواد ، ولى
خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣ هـ فمكث نحو ست سنين ، وعزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج - وكان
الحجاج يحشئ بأسه - فلما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ولأه العراق ثم خراسان ، فعاد إليها ، واخرج
جرجان وطبرستان ، ثم نقل إلى إمارة البصرة فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز ، فعزله ، وطلبه
فجىء به إلى الشام ، فحبسه ببلب .. ولما تولى عمر وثب غلمان يزيد فأخرجوه من السجن ، وسار إلى البصرة
فدخلها وغلب عليها سنة ١٠١ هـ ، ثم نشبت حروب بينه وبين أمير المراقين مسلمة بن عبد الملك انتهت بمقتل
يزيد سنة ١٠٢ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٨ - ٣٠٩ ، والمعارف ص ٥٧١ وغيرها
من الصفحات ، وأخباره منتشرة في المصادر التاريخية الكبرى ، كالطبرى ، وابن الأثير وغيرها] .

(٦) الفياض : الأراضي الواسعة المستوية .. وفي م : : الأرض التَّيْمَا ، أى : التى تحتفظ بماء فى باطنها
فلا تشربه .

(٧) في م : : من البعيد .

وَفِي الْإِسْرَائِيلَاتِ : أَنَّ الْهَدَاهِدَ كَانَتْ رَائِدَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(١) إِلَى الْمَاءِ ، فَتَقَدَّمَ مُعْسَكَرُهُ ، ثُمَّ تَنَظَّرَ الْأَرْضَ فَتَقُولُ ^(٢) : الْمَاءُ هَاهُنَا عَلَى الْفِيفِ قَامَةً ، أَوْ أَقْلَ أَوْ أَكْثَرَ ، فَتَبَادِرُ الْجِنُّ تُخْفِرُهُ ^(٣) فَلَا يَلْحَقُ سُلَيْمَانُ إِلَّا وَقَدْ اسْتَعَدَّ الْمَاءُ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْهَارِبَ مِمَّا هُوَ مَقْضَى مُقَدَّرٌ كَالْمُنْقَلَبِ فِي كَفِّ الطَّالِبِ .
وَأُشْدَّ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّرًا وَفَرَزْتَ مِنْهُ فَتَحَوَّهُ تَوَجُّهُ ^(٤)
وَلِيَشَارِ ^(٥) :

طُبِثْتُ عَلَى مَا فِى غَيْرِ مُحْيِرٍ هَوَاىَ ، وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهْدَبَا ^(٦)
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى ، وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَقَصَّرَ عَامِى أَنْ يَنَالَ الْمُغْيَا ^(٧)
وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِى وَعِلْمِى مُقَصَّرٌ وَأُنْسَى وَمَا أُعْطِيتُ إِلَّا التَّعْجِبَا ^(٨)

(١) فى م : عليه السلام .

(٢) فى م : ثم تنظر الأرض ويقول .

(٣) فى م : فتبادره الجن بحفره .

(٤) البيت من الكامل ، وقد ورد فى المستطرف ج ٢ ص ٥٥٣ ، وفى نفع الطيب ج ٧ ص ٢٩٤ غير نسوب لقاتله .

(٥) هو : بشار بن برد بن بهتن . والأبيات من قصيدة يشبب فيها بصفرها ، ويتخلص إلى أخلاقه ، وهى من الطويل .

[انظر ديوان بشار بن برد ج ١ ص ٢٤٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وج ١ ص ٢٦٩ الشركة التونسية للترجيع] .

(٦) فى الديوان : « خُلِقْتُ » مكان « طُبِثْتُ » .

(٧) هكذا البيت فى م .. وفى ط :

« أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى ، وَأُعْطَى فَلَمْ أُرَدْ » وَقَصَّرَ عَامِى أَنْ يَنَالَ الْمُغْيَا »

والشطرة الثانية فى الديوان : « وَقَصَّرَ عِلْمِى أَنْ أَنْالَ الْمُغْيَا » . وقد روى فى المختار بلفظ « ولم أرَدْ » وبلغفظ « وقصّر علمى » أى : يقصر عن أن أنال .. وهو أولى مما هنا ، إذ لا موقع للقاء فى قوله : « فلم » ، ولأن قوله : « وَقَصَّرَ عِلْمِى » لا يعطى معنى إلا بتكلف .

[انظر المرجعين السابقين] .

(٨) هكذا البيت فى م و ط .. وفى الديوان :

وَلَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالْكُوفَةِ قَرَّ ابْنُ أَبِي لَيْلَى عَلَى جِمَارٍ لَهُ ، يَطْلُبُ الثَّجَاءَ ، فَسَمِعَ مُنْشِدًا يَنْشِدُ :

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى جِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَنْعَةٍ طَيَّارٍ ^(١)
أَوْ يَأْتِيَ الْخُتْفُ عَلَى مِقْدَارٍ قَدْ يُصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارَى ^(٢)

فَكَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْكُوفَةِ وَقَالَ : إِذَا كَانَ اللَّهُ أَمَامَ السَّارَى فَلَا تَحِينَ مَهْرَبٍ ^(٣) .
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

أَقَامَ عَلَى الْمَسِيرِ وَقَدْ أُنِخْتُ مَطَاهَاهُ وَغَرَّدَ حَادِيَاهَا ^(٤)
وَقَالَ أَخَافُ عَادِيَةَ اللَّيَالِي عَلَى نَفْسِي وَأَنْ أَلْقَى رَدَاهَا ^(٥)
وَمَنْ كُتِبَتْ مَبِيتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا ^(٦)

وَلَمَّا قَتَلَ كِسْرَى بُزْرَجِيمَهْرَ وَجَدُوا فِي مِثْقَلِهِ ^(٧) كِتَابًا فِيهِ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا

= « وَأَصْرَفَ عَنْ فَصْدِي وَجِلْمِي مَبِيتِي وَأَضْحَى وَمَا اعْقَبْتُ إِلَّا التَّمَجُّبَا »

وفي رواية : « وَعِلْمِي ثَلَاثٌ » مكان « وحلمي مبغى » .. وفي رواية : « وَأُنْسِي » مكان « وَأَضْحَى » ..
وفي رواية : « فَأَرْجِعُ مَا اعْقَبْتُ » .. [انظر المرجعين السابقين] .

(١) البيتان من الرجز ، وقد وردا في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٣١ ، ونفع الطيب ج ٧ ص ٢٩٤ ، والشطرة الثانية من البيت في العقد الفريد : « وَلَا عَلَى ذِي مَبِيتَةٍ مَطَّارٍ » والمبوعة : الفرس . ومبوعة الفرس : أول جريه ..
والمَنْعَةُ : القوة .. وفي النفع : « وَلَا عَلَى ذِي مَنْسَرٍ طَيَّارٍ » .

(٢) الْخُتْفُ : الهلاك .. والسارى : السائر ليلاً .

(٣) فَلَا تَحِينَ مَهْرَبٍ : لات : حرف نفى يعمل عمل « ليس » واسمه محذوف ، والتقدير : ولات الحين حين مهرب ، و« حين » الثانية خبر « لات » ومثله في القرآن الكريم : ﴿ وَلَا تَحِينَ مَنَاصُ ﴾ .

(٤) الأبيات من الوافر ، وقد وردت في المستطرف ج ٢ ص ٥٥٣ . ومعنى أُنِخْتُ مطاهاه : بَرَكْتُ ..
وَوَغَرَّدَ حَادِيَاهَا : رفعها الصوت بالحداء للتطريب .

(٥) عادية الليالي : نوائها وشروها . وفي المستطرف بعد هذا البيت :

« مَشْنَاهَا تُحْطَى كُحِبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كُحِبَتْ عَلَيْهِ تُحْطَى مَشْنَاهَا »

(٦) كُحِبَتْ مَبِيتُهُ : قُدِّرَ عليه أن يموت .. وفي المستطرف : « وَمَنْ كَانَتْ مَبِيتُهُ بِأَرْضٍ » .

(٧) في « م » : « وَجَدَ فِي مِثْقَلِهِ » أى : في الخزام الذى يلف به خصره .

فَالْجَرَصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْقَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالْقِتَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجَزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ بِكُلِّ أَحَدٍ تَارَةً لَا ^(١) فَالطَّمَانِيَّةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمَقٌ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَجَعَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ نَحْوَهُ كَثْرًا لَهُمَا ﴾ ^(٢) : إِنَّمَا كَانَ الْكَثْرُ لَوْحًا مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ ^(٣) بِالْقَدْرِ كَيْفَ يَحْزَنُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالرِّزْقِ كَيْفَ يَتَعَبُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُوقِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحِسَابِ كَيْفَ يَغْفُلُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : عَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثٍ : رَجُلٌ يُرِيدُ تَنَاوُلَ رِزْقِهِ بِتَدْيِيرِهِ وَهُوَ يَرَى تَنَاقُضَ تَدْيِيرِهِ ، وَرَجُلٌ شَغَلَهُ هَمُّ غَدِهِ ، وَعَالِمٌ مَفْتُونٌ يَعِيبُ عَلَى زَاهِدٍ مَغْبُوطٍ .

وَمِنْ عَجِيبٍ مَا نَزَلَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ خَدَمِهِ السُّلْطَانِ غَابَ عَنْ خِدْمَتِهِ أَيَّامًا فَقَبِضَهُ الشُّرْطُ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ ، فَانْسَابَ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَتَرَامَى فِي بَحْرِ ، وَالْمَدِينَةُ مُسَرَّبةٌ نَحْتَ الْأَرْضِ بِأَسْرَابٍ يَمْشِي الْمَاشِي فِيهَا قَائِمًا ، يَحْتَرِقُهَا وَيَلْهَوْهَا ، لِأَنَّ فِي دَوْرَهَا آثَارًا ^(٤) عَلَى تِلْكَ السَّرُوبِ ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَمْشِي إِلَى أَنْ لَاحَ لَهُ بَقَرٌ مُضِيئَةٌ ، فَطَلَعَ فِيهَا ، وَإِذَا ^(٥) الْبَقَرُ فِي دَارِ السُّلْطَانِ ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ فِي دَارِ ^(٦) السُّلْطَانِ ، فَأَذْبَهُ السُّلْطَانُ ، فَكَانَ فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ : الْفَارُّ مِنَ الْقَضَاءِ الْعَالِبِ ، كَالْمُنْقَلَبِ ^(٧) فِي يَدِ الطَّالِبِ .

(١) فِي م : : : : نَازِلٌ .. لَا تَصَحُّ ، وَالصَّوَابُ بِالنَّصْبِ .

(٢) سُورَةُ الْكَهْفِ ، مِنَ الْآيَةِ ٨٢ .

(٣) فِي م : : : : يُوقِنُ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثِ .

(٤) فِي م : : : : آثَارًا . لَا تَصَحُّ . وَالصَّوَابُ بِالنَّصْبِ .

(٥) فِي م : : : : فَلَمَّا إِذَا .

(٦) فِي م : : : : إِلَى دَارِ .

(٧) فِي م : : : : الْمُسْتَطَرَفُ ج ٢ ص ٥٥٤ : : كَالْمُنْقَلَبِ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْرِفُ عَلَى الْأَمْرِ مِنَ الْإِمَارَةِ وَالتَّجَارَةِ أَوْ
غَيْرِهِمَا ^(١) ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ سَمَوَاتِهِ ، فَيَقُولُ لِلْمَلِكِ : اصْرِفْ عَنْ عِبْدِي هَذَا
الْأَمْرَ ، فَإِنِّي إِن أُيَسِّرَهُ لَهُ أُدْخِلُهُ بِهِ جَهَنَّمَ . فَيُظَلُّ يَتَغَيَّبُ عَلَى جِيرَانِهِ فَيَقُولُ : سَبَقَنِي
فُلَانٌ ، وَحَسَدَنِي فُلَانٌ ، وَمَا صَرَفَهُ عَنْهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَنْشُدُوا ^(٢) :

قَالُوا يُقِيمُ وَقَدْ أَحَا طَ بِكَ الْعَدُوُّ وَلَا تَفِرُ
فَاجِبْتُهُمُ وَالشَّيْخُ مَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِلْمِ غُرُ ^(٣)
لَا نِلْتَ خَيْرًا مَا يَقِي ت وَلَا عَدَانِي الدَّهْرُ شُرُ ^(٤)
إِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْ غَيَّرَ اللَّهُ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ

اسْتَأَذَنَ الْعَقْلُ ^(٥) عَلَى الْجَدِّ فَقَالَ : اذْهَبْ لَا حَاجَةَ لِي بِكَ ، فَقَالَ الْعَقْلُ : وَلِمَ ؟
فَقَالَ : لِأَنَّكَ ^(٦) نَحْتَاجُ إِلَيَّ وَلَا أُحْتَاجُ إِلَيْكَ .

وَأَوْصَى حَكِيمٌ ابْنَهُ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، رَزَقَكَ اللَّهُ جَدًّا يَحْدُمُكَ بِهِ ذَوُو الْعُقُولِ ، وَلَا
رَزَقَكَ عَقْلًا تَحْدُمُ بِهِ ذَوِي الْجُلُودِ . وَكَانَ يُقَالُ : إِمْرَاطُ الْعَقْلِ مُضِرٌّ بِالْجَدِّ .

(١) في ط : « أو غيرها » .

(٢) الأبيات من مجروء الكامل ، وقد قالها المسترشد بالله العباسي الفضل بن أحمد لما كُسر وأُشمر عليه بالهزيمة .. وقد وردت في فوات الوفيات ج ٣ ص ١٨٠ ، ووردت أيضاً في المستطرف ج ٢ ص ٥٥٤ .

(٣) هكنا البيت في م : « .. وفي ط : « الشيخ » بدون الواو .. والبيت في فوات الوفيات :
« فَأَجِبْتُهُمُ : الشَّيْخُ مَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِلْمِ غُرُ »
ولم يرد هذا البيت في المستطرف .. والفرُّ : من يندفع إذا خُودِعَ .

(٤) في م : « .. ولا علاني » . وفي للمستطرف :
« لَأَنْتَ خَيْرٌ إِنْ بَقِيت » .. وفي فوات الوفيات : « لَا نِلْتَ خَيْرًا مَاحِيَتْ » .

(٥) في م : « الفعل » تحريف .. والجدُّ : الحظُّ والرزق .. وبكسر الجيم : الاجتهاد في العمل .

(٦) في ط : « .. إنك » .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا خَيْرَ فِي أَمْرِ فَأَتَى أَنْ يَخْتَارَ ، وَقَالَ : أَنَا بِجَدِّي أَوْثَقُ مِنْ بَنِي يَعْقُلِي ، فَافْرَعُوا . وفي الأمثال : اسعَ بِجَدِّ لَا بِكَدِّ ^(١) . اسعَ بِجَدِّ أَوْ دَع . جَدُّكَ لَا كَدُّكَ . الْجَدُّ لَا الْجِدُّ . الْجَدُّ أَغْنَى مِنَ الْكَدِّ ^(٢) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ زِمَامَ الْأُمُورِ التَّوْفِيقُ ، وَلَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَقْلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ مَقْرُونٌ بِالْاجْتِهَادِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(٣) . وَقَدْ كُنْتُ جَمَعْتُ فِيهِ كِتَابًا مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِي ^(٤) فِي الْأَسْرَارِ : هَلِ التَّوْفِيقُ مُكْتَسَبٌ ^(٥) ، أَوْ مَوْهَبَةٌ بِلَا سَبَبٍ ؟ فَلَا ^(٦) مَزِيدٌ عَلَيْهِ .

وَمِنْ لَطِيفٍ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي مَجَارِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْهَارِبَ مِنَ الْمَقْدُورِ كَالْمُنْقَلَبِ ^(٧) فِي يَدِ الطَّالِبِ ، مَا تَزَلُ ^(٨) فِي مَدِينَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ فِي قَضِيَّةِ ^(٩) الرَّجُلِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

(١) في اللسان ، مادة « كَدَد » : « بِجَدِّكَ لَا بِكَدِّكَ » أي : إنك تترك الأمور بما تُرْزَقُهُ مِنَ الْجَدِّ لَابِمَا تَعْمَلُهُ مِنَ الْكَدِّ .

(٢) في « د م » : « أَغْنَى مِنَ الْعَقْلِ » .

(٣) سورة العنكبوت ، من الآية ٦٩ .

(٤) من جملة كتابي « عن د ط .. » وهذا الكتاب لم تذكره المراجع التي أُرْتِحت للطرطوشى وأحصت مؤلفاته ، ويبدو أن هذا الكتاب يتناول موضوعات تتصل بالإنسان والعقل ، وبالقضاء والقدر ، وما يشبهها من موضوعات .

[انظر أبو بكر الطرطوشى للدكتور جمال الدين الشيال ص ٧٨] .

(٥) في « د م » : « يُكْسَبُ » .

(٦) في « د م » : « بِلَا » تحريف .

(٧) في « م » : « كَالْمُنْقَلَبِ مِنْ » .

(٨) في « د م » : « مَا تَزَلُ بِنَا » .

(٩) في « د م » : « مِنْ قَضِيَّةِ » .

البَابُ الثَّالِثُ وَالسُّتُونُ

وَهُوَ جَامِعٌ مِنْ أُخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ
وَحِكَايَاتِهِمْ

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ ^(١) فُصُولٍ :

(الْأَوَّلُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى أُخْبَارِ رُفَعَتِ ^(٢) إِلَيْنَا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْكِتَابِ ،
فَالْحَقْنَاهَا .

(وَالثَّانِي) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ الْفُرسِ خَاصَّةً .

(وَالثَّالِثُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ ^(٣) السِّنْدِ خَاصَّةً .

(وَالرَّابِعُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ الْعَرَبِ خَاصَّةً .

(وَالخَامِسُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ مَجْمُوعَةٍ مُتَّخِيَةٍ .

رَسَمْنَا ذَلِكَ لِتَنْظُرَ ^(٤) فِي عُقُولِ الْقَوْمِ وَأَغْرَاضِهِمْ ، وَمُنْتَهَى مَرَامِهِمْ ، مِنْ كِتَابِ
جَاوِيدَانَ نُحَرِّدَ ^(٥) الْفَارِسِيُّ ، قَالَ :

(١) في م : : خمس ، لا تصح ، والصواب : خمسة .

(٢) في م : : وقعت .

(٣) في ط : : حكيم .

(٤) في م : : لتنظر .

(٥) سبق أن أشرنا إلى هذا الكتاب ، وهو منسوب إلى هوسنك شاه ، وقد عَرَّبَهُ الحسن بن سهل ، وزيد
الأمون ، ولخصه أيضاً في تعريبه ، وأورد الشيخ أبو علي أحمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ هذا الملخص =

ثَلَاثَةٌ لَا يَصْلُحُ فَسَادُهُنَّ بِشَيْءٍ ^(١) مِنَ الْجَحِيلِ : الْعِدَاوَةُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ ، وَتَحَاسُدُ الْأَكْفَاءِ ^(٢) ، وَالرَّكَائِكَةُ فِي الْعُقُولِ .

وَلثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَفْسَدُ صَلَاحُهُنَّ بِنَوْعٍ مِنَ الْمَكْرِ وَالْجَحِيلِ : الْعِبَادَةُ فِي الْعُلَمَاءِ ، وَالْفَنُورُ فِي الْمُسْتَبْصِرِينَ ، وَالسَّخَاءُ فِي ذَوِي الْأَخْطَارِ .

وَلثَلَاثَةٌ ^(٣) لَا يُشْبِعُ مِنْهُنَّ : الْحَيَاةُ ، وَالْعَالِيَةُ ، وَالْمَالُ .

وَقَالَ ابْنُ لُقْمَانَ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ ، مَا اللَّئَاءُ الْعَيَاءُ ؟ قَالَ : رُغْوَةٌ مَوْلُودَةٌ . قَالَ : فَمَا الْجُرْحُ اللَّئِيُّ ؟ قَالَ : الْمَرْأَةُ السَّوَاءُ . قَالَ : فَمَا الْجِمْلُ الثَّقِيلُ ؟ قَالَ : الْغَضَبُ . وَلَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ أَبُو عَبَّادٍ الْكَاتِبُ - وَكَانَ ظَرِيفًا ^(٤) فِي أَنْخَبَارِهِ - قَالَ : وَاللَّهِ ، الْغَضَبُ أَحْفَ عَلَيَّ مِنْ رِيْشَةٍ ، وَكَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ غَضَبًا ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا عَنَى لُقْمَانُ أَنَّ اخْتِمَالَ الْغَضَبِ ثَقِيلٌ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا يَقْوَى عَلَى اخْتِمَالِ الْغَضَبِ إِلَّا الْجَمْلُ . وَغَضِبَ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَرَمَاهُ بِدَوَاةٍ فَشَجَّهُ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ ، فَقَالَ أَبُو عَبَّادٍ : صَدَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ حَيْثُ قَالَ : « وَالَّذِينَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ » ^(٥) ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ ^(٦) ، فَاسْتَدْعَاهُ ، فَقَالَ ^(٧) : وَيَحْلَكَ ^(٨) ، لَا تُحْسِنُ أَنْ تَقْرَأَ

= في مقدمة كتابه للمسعى بآداب العرب والفُرس .. وه جلويديان « كلمة فارسية ، وتعني : الخالد أو الدائم .. وه جُرد : الصغير من كل شيء .. وبكسر الحاء : العقل أو الذكاء .. وهذا يُعد الفصل الأول من الفصول الخمسة التي أشار إليها

[انظر كشف الظنون ج ١ ص ٣٨٧ ، وقاموس الفارسية للدكتور عبد النعم حسنين] .

(١) في م : : : شيء .

(٢) الأكفاء : المتأهلين المتساوين ، القادرين على تصريف الأمور .. جمع كُفء .

(٣) في ط : : : وثلاث .

(٤) في م : : : ظريفاً .

(٥) أخطأ أبو عبادٍ في سرد هذه الآية .. والآية بتامها : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ . وهي الآية السابعة والثلاثون من سورة الشورى .

(٦) قوله : : : فبلغ ذلك للمأمون « عن م : م ولم ترد في ط .

(٧) في ط : : : فاستدعاه للمأمون وقال .

(٨) في م : : : ويملك . وهما مصدران فيهما معنى الترحُّم والتوجُّع .

آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : بَلَى ، وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَأَقْرَأُ مِنْ سُورَةِ
وَاحِدَةٍ أَلْفَ آيَةٍ ، فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ .

وَقِيلَ لِأَنْتَوَشِيرَوَانَ : مَا الْعَقْلُ ؟ قَالَ : الْقَصْدُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ . قِيلَ : فَمَا الْمُرُوءَةُ ؟
قَالَ : تَرْكُ الرِّيَّةِ . قِيلَ ^(١) : فَمَا السَّخَاءُ ؟ قَالَ : أَنْ تُنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ . قِيلَ :
فَمَا الْحَقُّ ؟ قَالَ : الْإِغْرَاقُ فِي الذَّمِّ وَالْحَمْدِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ ^(٢) : سُوءُ الظَّنِّ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي قَوْلِهِ :
الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ ، قَالَ : إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ ^(٣) سُوءُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ لَا بغيرِهِ . قِيلَ : فَمَا
الصَّوَابُ ؟ قَالَ : الْمَشُورَةُ ^(٤) . قِيلَ : فَمَا الَّذِي يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى الْمَوَدَّةِ ؟ قَالَ :
كَفٌّ بَذُولٍ ، وَبَشَرٌ جَمِيلٌ . قِيلَ : فَمَا الْاِخْتِيَاظُ ؟ قَالَ : الْاِقْتِصَادُ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادِ حِمِينَ وَلَاهُ الْعِرَاقَ : يَا زِيَادَ ، لِيَكُنْ حُبُّكَ وَبُغْضُكَ قَصْدًا ، فَإِنَّ
الْغَيْرَةَ كَامِنَةٌ ، وَاجْعَلْ لِلرُّجُوعِ وَالتَّرْجُوعِ بَقِيَّةً مِنْ قَلْبِكَ ، وَاحْذَرْ صَوْلَةَ ^(٥)
الْإِثْمَالِكِ ، فَإِنَّهَا تُؤَدِّي إِلَى الْمَهَالِكِ . وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ : « أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ يَبْغِضُكَ يَوْمًا مَّا ، وَأَبْغَضُ بَغِضِّكَ
هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبِكَ يَوْمًا مَّا » ^(٦) . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

(١) في م : : قال .

(٢) في م : : قيل .

(٣) به : عن م .

(٤) المشورة : ما ينصح به من رأى وغيره .

(٥) الصَّوْلَةُ : السطوة والمغالبة في الحرب ونحوها .. وفي م : : صورة : أى : صفة .

(٦) انظر الحديث في صحيح الترمذى ، في أبواب البرِّ والصَّلة ، باب ماجاء في الاقتصاد في الحب والبغض ،
وقد روى مُسْنَدًا إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ يرفعه ، والصحيح أنه لعليٍّ موقوف .

والمعنى : أحبُّ حبيبِكَ حُبًّا رَافِقًا لِنَا ، وَلَا تَبَالُغْ فِي الْحُبِّ وَالْبَغْضِ ، فَإِنَّ الْحَبِيبَ إِذَا أَمَكَّنْتَهُ مِنْ نَفْسِكَ حَالَةَ
الْحُبِّ ثُمَّ عَادَ بَغِيضًا ، كَانَ بِمَعَامِلِ مَضَارِكِ أَقْصَدَ ، لَمَّا أَطْلَعَ مِنْكَ حَالَ الْحُبِّ فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بَنِيَاتَ صَدْرِكَ ، وَأَطْلَعْتَ
عَلَى بَاطِنِ أَمْرِكَ .. وَقَدْ يَمُودُ الْبَغِضُ حَبِيبًا ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنَ الرِّحْمَنِ يَهْلِكُهَا كَيْفَ يَشَاءُ .

[انظر المصدر السابق ج ٨ ص ١٦٦] .

وَأُحِبُّ حَبِيبَكَ حُبًا رُؤِيْدًا فَلَيْسَ بِعُؤْلِكَ أَنْ تُصْرِمَا ^(١)
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَا تُيَاسِّنُ الدَّهْرَ مِنْ حُبِّ كَاشِيْعٍ وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ صَرْمَ حَبِيْبٍ ^(٢)

وَسُئِلَ بِزُرْجِيْمُهُ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : تَرُكُ مَا لَا يَعْنِي . قِيلَ : فَمَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ :
إِتِيْهَارُ الْفُرْصَةِ . قِيلَ : فَمَا الْجَلْمُ ؟ قَالَ : الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ . قِيلَ : فَمَا الشَّدَّةُ ؟
قَالَ : مَلِكُ الْغَضَبِ . قِيلَ : فَمَا الْخُرْقُ ^(٣) ؟ قَالَ : حُبُّ مُغْرَقٍ ، وَبُغْضُ مُفْرِطٍ .
وَقِيلَ لِبَغْضِ الْمُلُوكِ ، وَبَلَغَ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْقَلْبِ ^(٤) مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ زَمَانِهِ :
مَا أَلْبَدَى بَلَغَ بِكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ؟ قَالَ : عَفْوِي عِنْدَ قُدْرَتِي ، وَلِيْنِي بَعْدَ شِدَّتِي ، وَبَذْلِي
الْإِنْصَافَ ، وَلَوْ بِي لِنَفْسِي ^(٥) ، وَإِنْعَائِي فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ مَكَانًا لِمَوْضِعِ الْاسْتِيْذَالِ .
وَقَالَ الْإِسْكَنْدَرُ لِبَغْضِ الْحُكَمَاءِ ، وَأَرَادَ سَفَرًا : أُرْشِدْنِي لِأَحْزِمِ أَمْرِي ^(٦) . قَالَ :
لَا تُثْمَكَنَّ ^(٧) قَلْبَكَ مَحَبَّةَ الشَّيْءِ ، وَلَا يَسْتَوِلِيَنَّ عَلَيْكَ بُغْضُهُ ، وَاجْعَلْهُمَا قَصْدًا ، فَإِنَّ
الْقَلْبَ كَأَنَّهُ يَتَقَلَّبُ ، وَلَهُ خَاصِيَّةٌ فِي الْقَلْبِ تَنْزِعُ وَتَرْجِعُ ^(٨) ، وَاجْعَلْ وَزِيرَكَ
التَّيْبَتَ ، وَسَمِيرَكَ التَّيْقُظَ ، وَلَا تُقَدِّمُ إِلَّا بَعْدَ الْمَشُورَةِ ، فَإِنَّهَا نِعَمُ الدَّلِيلِ ، وَإِذَا فَعَلْتَ
ذَلِكَ مَلَكَتْ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ مِلْكًا اسْتِعْبَادًا .

قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِأَنْسِيهِ وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ ^(٩)

- (١) البيت من المقارب .. ويعوْلُك : يظلمك أو يحزنك .. وَأَنْ تُصْرِمَا : أَنْ تُهْجَرَ وَتُقَطَعَ .
(٢) البيت من الطويل .. والكاشيْع : المَلُوءُ المَبْغُض . وَصَرْمَ الحبيب : قطيعته ومهجته .
(٣) الْخُرْقُ : الْخُفْقُ .
(٤) فِي م م : : وَالْقُدْرَةُ .
(٥) فِي م م : : وَلَوْ بِي لِنَفْسِي .
(٦) أَمَى : لِأَحْكَمَةِ وَأَفْقَهَةٍ .. وَرَبَّمَا كَانَ الْمُرَاد : لِأَحْزِمِ أَمْرِي ، بِالْتَفْضِيلِ ، بِمَعْنَى : أَوْفَقَهُ وَأَفْقَهَهُ .. وَفِي م م :
لِأَحْزَمِ أُمُورِي .
(٧) فِي م م : : لَا تُثْمَكَنَّ .
(٨) تَنْزِعُ وَتَرْجِعُ : تَخْصِمُ ثُمَّ تَعُودُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ .
(٩) البيت من الطويل .. لِأَنْسِيهِ : لِمُؤَانَسَتِهِ وَمُلاَظَفَتِهِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الدَّلِيلُ ^(١) النَّاصِحُ ؟ قَالَ : غَرِيزَةُ الْعَقْلِ مَعَ الطَّبْعِ .
 قِيلَ : فَمَا الْقَائِدُ ^(٢) الْمُشْفِقُ ؟ قَالَ : حُسْنُ الْمُنَطِقِ . قِيلَ : فَمَا الْعَنَاءُ الْمُنْعَى ^(٣) ؟
 قَالَ : تَطْيِيعُكَ مَنْ لَا طَبْعَ لَهُ .

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ ^(٤) : سَأَلْتُ رَسُولَ مَلِكِ الرُّومِ عَنْ سِيرَةِ مَلِكِهِمْ
 قَالَ ^(٥) : بَذَلَ عُرْفَهُ ، وَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ،
 لَا يُتَعَصَّى ^(٦) جُنْدُهُ ، وَلَا يُخْرِجُ رَعِيَّتَهُ ^(٧) ، سَهَلَ النَّوَالُ ، حَزَنَ النَّكَالُ ^(٨) ، الرَّجَاءُ
 وَالْخَوْفُ مَعْقُودَانِ فِي يَدِهِ ^(٩) . قُلْتُ : فَكَيْفَ حُكْمُهُ ؟ قَالَ : يَرُدُّ الظَّلَمَ ، وَيُدْعُو
 الظَّالِمَ ، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَالرَّعِيَّةُ اثْنَانِ : رَاضٍ وَمُعْطِيطٌ . قُلْتُ : فَكَيْفَ
 هَيْئَتُهُمْ لَهُ ؟ قَالَ : يُتَصَوَّرُ فِي الْقُلُوبِ ، فَتُقَضَّى لَهُ الْعُيُونُ ^(١٠) .

قَالَ : فَتَنَظَرَ رَسُولُ مَلِكِ الْجَبَشَةِ إِلَى إِصْبَغَائِي إِلَيْهِ ، وَإِقْبَالِ عَيْنِي عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ
 الرُّسُلُ تَنْزِلُ عِنْدِي ، فَقَالَ لِتَرْجُمَانِي : مَا الَّذِي يَقُولُ الرُّومِيُّ ؟ قَالَ : يَصِفُ لَهُ مَلِكَهُمْ ،
 وَيَذْكُرُ سِيرَتَهُ . فَكَلَّمَ التَّرْجُمَانُ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ لِي التَّرْجُمَانُ : يَقُولُ : إِنَّ مَلِكَهُمْ
 ذُو أُنَاةٍ ^(١١) عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَذُو جِلْمٍ عِنْدَ الْعُضْبِ ، وَذُو سَطْوَةٍ عِنْدَ الْمُعَالِيَةِ ،

(١) في د م : : ما القائد .

(٢) في د م : : فما القائد .

(٣) في د م : : العناء المعنى : أى : الشاق المتعب .

(٤) الفضل بن مروان بن ماسرجس ، أبو العباس ، وزير ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الإنشاء ،
 أخذ البيعة للمعتصم يهتد بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨ هـ ، وكان المعتصم في بلاد الروم ، فاستوزره ثلاث سنوات ،
 واعتقله ، ثم أطلقه ، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفى سنة ٢٥٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٥ - ٤٧ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٢] .

(٥) في د م : : فقال .. وَحَرَفَهُ : مَعْرُوفَةٌ .

(٦) لَا يُتَعَصَّى : لَا يُكَلِّمُ .. وفي د م : : لَا يَنْهَضُ .

(٧) في د م : : وَلَا تَخْرِجُ رَعِيَّتَهُ ، أى : لَا تَسْرُدُ عَلَيْهِ وَتَخْرِجُ عَنْ حُكْمِهِ .

(٨) حَزَنَ النَّكَالُ : شَدِيدُ الْمُقَابِ .

(٩) في يده : مكررة في د م : سهواً من الناسخ .

(١٠) تُقَضَّى الْعُيُونُ : تَصَحُّولُ عَنْهُ مَهَابَةٍ .. وَالْإِغْضَاءُ : الْمُقَارَبَةُ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ .

(١١) لى د م : : إنه يقول : ملكهم والأناة : الفرق واللين .

وَذُو عُقُوبَةٍ عِنْدَ الإِجْتِرَامِ ^(١) ، قَدْ كَسَا رَعِيَّتُهُ جَمِيعَ نِعْمَتِهِ ، وَقَصَّرَهُمْ نَعِيفَ
عُقُوبَتِهِ ^(٢) ، فَهُمْ يَتَرَاوَنُوهُ تَرَائِيَ الْهِلَالِ جِيَالًا ^(٣) ، وَيَخَافُونَهُ مَخَافَةَ الْمَوْتِ
نِكَالًا ^(٤) ، وَقَدْ وَسِعَهُمْ عَذْلُهُ ، وَرَدَّ عَنْهُمْ سَطَوَتُهُ عَقْلُهُ ^(٥) ، فَلَا تُنْمِتُهُ مَرْحَةٌ ^(٦) ،
وَلَا تُؤْسِسُهُ غَفْلَةٌ ، إِذَا أُعْطِيَ أَوْسَعَ ، وَإِذَا عَاقَبَ أَوْجَعَ ، فَالْثَّاسُ اثْنَانِ : رَاجِعٌ وَخَائِفٌ ،
فَلَا الرَّاجِي خَائِبٌ الْأَمَلِ ، وَلَا الْخَائِفُ بَعِيدُ الْأَجَلِ . قُلْتُ : فَكَيْفَ رَهْبَتُهُمْ لَهُ ^(٧) ؟
قَالَ : لَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْعُيُونُ ^(٨) أَجْفَانَهَا ، وَلَا تُثَبِّعُهُ الْأَبْصَارُ إِنْسَانَهَا ، كَانَ رَعِيَّتُهُ
قَطًّا ^(٩) فَرَّقَتْ عَلَيْهَا صُقُورَ صَوَائِدُ .

قَالَ ^(١٠) : فَحَدَّثْتُ الْمَأْمُونَ بِهَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ، فَقَالَ لِي : كَمْ قِيَمَتُهُمَا ^(١١)
عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ : أَلْفَا ^(١٢) دِرْهَمٍ . قَالَ : يَا فَضْلُ ، إِنَّ ^(١٣) قِيَمَتَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ
الْخِلَافَةِ ، أَمَا عَلِمْتَ حَدِيثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ ^(١٤) ، أَفَتَعْرِفُ أَحَدًا ^(١٥) مِنْ الْخُطَبَاءِ الْبُلَغَاءِ يُحْسِنُ أَنْ

(١) الاجترام : ارتكاب الذنوب وما يستحق العقوبة .

(٢) قصرهم ، بالراء : كَفَّ عنهم وجَنَّبَهُمْ .. وفي م : « : قصدهم بنعيف عقوبته » أي : توسط فيها ،
لم يُعْرِط ولم يُعْرِطْ .

(٣) الجيال : قِيَالَةُ الشيء .. وفي م : « : خيالاً » .

(٤) نكالاً : عقاباً .

(٥) في م : « : سطوته وكلَّيته » أي : بطشه وأذاه .

(٦) تمنحه : تبتله . والمرحة : المداعة والمباصلة .

(٧) في م : « : ههيمهم له » .

(٨) في م : « : لا ترفع العيون إليه » .

(٩) إنسانها : ناظرها .. والقطا : الهام ، واحده قَطَاة .

(١٠) قال « عن ط » .

(١١) في م : « : قيمتها » في الموضعين .. تحريف .

(١٢) في م : « : أَلْفَى » لا تصح .

(١٣) « إن » عن ط » .

(١٤) في م : « : تُحْسِنُ » تحريف .

(١٥) في م : « : أَنْ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ » وسأُفِي .

يَصِفُ مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ :
فَقَدْ ^(١) أُمِرْتُ لَهُمَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مُعْجَلَةٍ لَهُمَا ، وَاجْعَلِ الْعِدَّةَ مَادَّةً ^(٢) بَيْنِي
وَبَيْنَهُمَا عَلَى الْقَرْدِ ، فَلَوْلَا حُقُوقُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ لَرَأَيْتُ إِعْطَاءَهُمَا مَا فِي بَيْتِ الْمَالِ
الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّانِهِ .

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : كَانَ عِنْدِي رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ ، وَكَانَ يُحَدِّثُنِي عَنْ أُخْتِ
لِلْمَلِكِ ^(٣) يُقَالُ لَهَا : خَاثُونُ ، قَالَ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ ^(٤) اخْتَدَمَ شَوَاطِئُهَا عَلَيْنَا بِحَرَارَةِ
الْمَصَائِبِ ^(٥) وَصُتُوفِ الْآفَاتِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ إِلَى الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَذَرِ مَا يُجِيبُهُمْ بِهِ ،
فَقَالَتْ لَهُ خَاثُونُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الْحَزَمَ عَلَّقَى ^(٦) لَا يَخْلُقُ جَدِيدَهُ ، وَلَا يُمَتِّنُهُ
غَرْبُهُ ^(٧) ، وَهُوَ دَلِيلُ الْمَلِكِ عَلَى اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِهِ ، وَزَاجِرٌ ^(٨) لَهُ عَنِ اسْتِفْسَادِهَا ،
وَقَدْ فَرَعْتَ رَعِيَّتَكَ إِلَيْكَ لِفَضْلِ الْعَجْزِ عَنِ الْإِتِّجَاءِ إِلَى مَنْ لَا تَزِيدُهُ الْإِسَاءَةُ إِلَى خَلْقِهِ
عِزًّا ، وَلَا تَقْصُصُهُ الْعَوْدُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مُلْكًا ، وَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بِحِفْظِ الْوَصِيَّةِ مِنْ
الْمَوْصِي ^(٩) ، وَلَا بِرُكُوبِ الدَّلَالَةِ ^(١٠) مِنَ الدَّلَالِ ، وَلَا بِحُسْنِ الرِّعَايَةِ مِنَ
الرَّاعِي ^(١١) ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نِعْمَةٍ لَمْ تُغَيِّرْهَا نِقْمَةٌ ، وَفِي رِضَا لَمْ يُكْذِرْهُ سَخَطٌ ، إِلَى
أَنْ جَرَى الْقَدَرُ بِمَا عَمِيَ مِنْهُ الْبَصَرُ ، وَذَهَلَ عَنْهُ الْحَذَرُ ، فَسَلِبَ الْمَوْهُوبُ ، وَالسَّالِبُ
هُوَ الْوَاهِبُ ، فَعُدَّ ^(١٢) إِلَيْهِ بِشُكْرِ النِّعَمِ ، وَغَدَّ بِهِ ^(١٣) مِنْ قَطِيعِ النِّقَمِ ، فَمَتْنَى تَنْسُهُ

(١) في م : : : قد .

(٢) مَادَّةٌ : مَدَدًا .. وهى عن ط : ولم ترد في م .

(٣) في م : : : أخت الملك .

(٤) السَّنَةُ : الجذب والقحط .

(٥) في م : : : المصائب .

(٦) العَلَقَى ، بفتحين : الحبل والسير الذى تُعَلَّقُ بِهِ الْقَرْيَةُ وَغَوَاهَا .. وبكسر العين وسكون اللام : الثوب
الجيد ، والنفيس من كل شيء ، والأول هو المراد هنا .. ولا يَخْلُقُ : لا يُلْهِى .

(٧) الْقَرْبُ : الدلو العظيمة .. وفى ط : : : ولا يُمَتِّنُ عزيزه .

(٨) في م : : : وزاجرًا .. لا تصح .

(٩) في م : : : يحفظ الرضا من المرضى .

(١٠) الدَّلَالَةُ : الإرشاد .. وفى م : : : الدَّلَاةُ : أى : الجرأة .

(١١) في م : : : المرعى . والأول هو المناسب للمقام .

(١٢) في م : : : فيعد . لا تصح .

(١٣) في ط : : : وَعَذْبُهُ : مكان : وعذب به .

يَنسَكَ ^(١) ، وَلَا تَجْعَلَنَّ الْحَيَاءَ مِنَ التَّذَلُّلِ لِلْمُعِزِّ الْمُدِلَّ شِرْكًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ فَتَسْتَحِقَّ مَذْمُومَ الْعَاقِبَةِ ، وَلَكِنْ مَرُّهُمْ وَتَفْسِكَ بِصَرْفِ الْقُلُوبِ إِلَى الْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِكُنْهِ الْقُدْرَةِ ، وَتَذَلُّلِ الْأَلْسُنِ فِي الدُّعَاءِ بِمَحْضِ الشُّكْرِ ^(٢) ، فَإِنَّ الْمَلِكَ رُبَّمَا عَاقَبَ عَبْدَهُ لِيَرْجِعَهُ عَنْ شَيْءٍ فَعِلَ ، إِلَى صَالِحِ عَمَلٍ ، أَوْ لِيَبْعَثَهُ عَلَى ذَرْبِ شُكْرِ ^(٣) يَحُوزُ بِهِ فَضْلَ أَجْرٍ .

فَأَمَرَهَا الْمَلِكُ أَنْ تَقُومَ فِيهِمْ فَتُلْزِمَهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ ، فَفَعَلَتْ ، فَرَجَعَ الْقَوْمُ عَنْ بَايِهِ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ قَبُولَ ^(٤) الْوَعِظِ فِي الْأَمْرِ وَالْتِهَانِي ، فَحَالَ عَلَيْهِمَا الْحَوْلُ وَمَا بَيْنَهُمَا ^(٥) مُفْتَقِدَ نِعْمَةٍ كَانَتْ سُبُلَهَا ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِمُ الرِّبَادَاتُ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ ، فَأَعْتَرَفَ الْمَلِكُ لَهَا بِالْفَضْلِ ، فَقَلَّدَهَا الْمُلْكَ بَعْدَهُ ، وَجَمَعَ الرُّعِيَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ لَهَا فِي الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ . فَهَذَا فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى ^(٦) بِأَعْدَائِهِ ، وَضَرَائِرِ نِعَمَتِهِ ^(٧) لِمَا شَكَرُوهُ أَغَادَ لَهُمْ مِنْ نِعَمِهِ مَا كَانَ قَدْ اسْتَرْجَعَ ، وَزَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا تَمَنَّوْهُ ، فَكَفَيْفَ بَيْنَ يُوحِثُوهُ وَيُؤْمِنُونَ ^(٨) بِهِ ، لَوْ صَدَقَتْ نِيَاتُنَا وَصَحَّتْ ضَمَائِرُنَا ؟

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ ^(٩) : ثُوْفَى رَسُولُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بِدِمَشْقَ فِي خِلَافَةٍ

(١) في م : ينسك .. لا تصح .

(٢) محض الشكر : خالص الثناء .

(٣) في ط : وليبعثه على ذوب شكر ، وكلمة « ذوب » هنا خطأ مطبعي .

(٤) قبول : عن م .

(٥) في م : فحال الحَوْل عليهم وما فهم .

(٦) تعالى : عن م .

(٧) في م : « نعيمه » .. والضرائر : جمع ضرورة ، وهي : الحاجة .

(٨) في م : « بمن يوحثوه ويؤمنوا به » ولا وجه هنا لحذف النون من الفعلين .

(٩) هو : محمد بن عمر بن واقد السهمي ، الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله الواقدي ، من أقدم المؤرخين في الإسلام ، ومن أشهرهم ، ومن حفاظ الحديث ، ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ ، وكان خائطاً (تاجر حنطة) بها ، وضاعت ثروته ، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد ، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي ، فقربه من الخليفة ، وأفاض عليه من عطاياه .. وولي القضاء ببغداد ، واستمر إلى أن توفى بها سنة ٢٠٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ٣١١ ، والمعارف ص ٥١٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٤٨ - ٣٥١ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٢ - ٢١ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٢٥ - ٤٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٦٢ - ٦٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٤٨ ، ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٧٧ - ٢٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨] .

هشام^(١)، فَوَجِدَ فِي جَنَبِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : إِذَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ^(٢) نَزَلَ الْبَلَاءُ ، وَإِذَا مَاتَ الْاِعْتِصَامُ عَاشَ الْاِلْتِقَامُ ، وَإِذَا ظَهَرَتِ الْخِيَانَاتُ امْتَحَجَّتِ الْبَرَكَاتُ^(٣) .

وَقَالَ الرَّضَّاحِيُّ^(٤) : وَجَّهَ أَبُو شِرْوَانَ رَسُولًا لَهُ إِلَى مَلِكٍ^(٥) قَدْ أَجْمَعَ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، وَأَمَرَهُ^(٦) أَنْ يَتَعَرَّفَ سِيرَتَهُ فِي نَفْسِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَجَدْتُ عِنْدَهُ الْهَزْلَ أَقْوَى مِنَ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبَ^(٧) أَكْثَرَ مِنَ الصِّدْقِ ، وَالْجَوْرَ أَرْفَعَ مِنَ الْعَدْلِ . فَقَالَ أَبُو شِرْوَانَ : رُزِقْتَ الظُّفْرَ بِهِ ، سِرَّ إِلَيْهِ ، وَلَيْكُنْ عَمَلُكَ فِي مُحَارَبَتِهِ بِمَا هُوَ عِنْدَهُ أضعَفُ وَأَقْلُّ وَأَوْضَعُ ، فَإِنَّكَ مَنْصُورٌ وَهُوَ مَخْذُولٌ . فَسَارَ إِلَيْهِ وَعَمِلَ بِمَا أَوْصَاهُ^(٨) ، فَقَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى مَمْلَكَتِهِ .

وَقَالَ بَرْزَجِيهْرُ : الْمَرْحُ أَفَّةُ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبُ عَدُوُّ الصِّدْقِ ، وَالْجَوْرُ مَفْسَدَةُ الْمُلْكِ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْمَلِكُ الْهَزْلَ ذَهَبَتْ هَيْبَتُهُ ، وَإِذَا اسْتَصْحَبَ الْكَذِبَ اسْتَحْفُفَ بِهِ ، وَإِذَا بَسَطَ الْجَوْرَ فَسَدَ سُلْطَانُهُ .

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رُسْتَمَ ، وَهُوَ أَحَدُ مُلُوكِ الْفُرْسِ : الْهَزْلُ مَبْعُضَةٌ ، وَالْكَذِبُ مَنْقُصَةٌ ، وَالْجَوْرُ مَفْسَدَةٌ . وَقُتِلَ^(٩) بَعْضُ أَصْحَابِ اسْفِنْدِيَارَ رَجُلٌ مِنَ التُّرْكِ ، فَأَصِيبَ^(١٠) فِي عُنُقِهِ لَوْحٌ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : أَفَّةُ الشَّدَةِ التَّهْيُبُ ، وَأَفَّةُ الْمَنْطَلِقِ الْحَيَاءُ ، وَأَفَّةُ كُلِّ شَيْءٍ الْكَذِبُ .

(١) قوله : « في خلافة هشام » عن « ط » .

(٢) في « م » : « فيه مكتوب » : إذا نزل الوفاء .. » .

(٣) امتحجت البركات : هلكت وبادت .

(٤) هو : محمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن حسان ، أبو عبد الله الأنباري ، ويُعرف بالوضاحي ، أصله من الأنبار ، وانتقل إلى خراسان ، وسكن نيسابور .. سمع الحديث من القاضي أبي عبد الله الهاملي وغيره ، وهو شاعر أيضا ، أورد له الخطيب البغدادي أبياتا من قصيدة يعارض بها معلقة امرئ القيس .. وتوفي بنيسابور سنة ٣٥٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٩٧ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢] .

(٥) في « م » : « : رسولاً إلى ملك » .

(٦) في « م » : « : وأمر » .

(٧) في « م » : « : والكذب » تحريف .

(٨) قوله : « وعمل بما أوصاه » عن « م » .

(٩) في « م » : « : وقيل » تحريف .

(١٠) فأصيب : فوجد .

وَقِيلَ لِيَنْفِرَ الْحُكَمَاءُ : مَا قِيَمَةُ الصَّدَقِ ؟ قَالَ : الْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْكَذِبِ ؟ قَالَ : مَوْتُ عَاجِلٍ . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْعَدْلِ ؟ قَالَ : مُلْكُ الْأَبِيدِ . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْجَوْرِ ؟ قَالَ : ذُلُّ الْحَيَاةِ .

قَالَ : وَسَأَلْ مَلِكُ الْهِنْدِ الْإِسْكَنْدَرَ ، وَقَدْ دَخَلَ بِلَادَهُ : مَا عَلَامَةُ الْمُلْكِ وَدَوْلَتُهُ ؟ قَالَ لَهُ : الْجِدُّ فِي كُلِّ الْأُمُورِ . قَالَ : فَمَا عَلَامَةُ زَوَالِهِ ؟ قَالَ : الْهَزَلُ فِيهِ . قَالَ : فَمَا سُرُورُ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : الرِّضَا بِمَا رُزِقْتَ . قَالَ فَمَا غَمُّهَا ؟ قَالَ : الْجِرْصُ عَلَى مَا لَعَلَّكَ لَا تَقْنَأُهُ .

وَقَالَ بُزْجَمِيهْرُ : ثَلَاثَ هُنَّ سُرُورُ الدُّنْيَا ، وَثَلَاثَ هُنَّ غَمُّهَا ، فَأَمَّا السُّرُورُ فَالرِّضَا بِالْقَسَمِ ، وَالْعَمَلُ ^(١) بِالطَّاعَةِ فِي التَّعَمُّرِ ، وَنَفْيُ الْإِهْتِمَامِ بِالرِّزْقِ لِغَدٍ . وَأَمَّا الْغَمُّ فَجِرْصُ مُسْرِفٍ ، وَسُؤَالُ مُجْحِفٍ ، وَتَمَنَّى مَا يُلْهِفُ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ حِمَارًا غَيْرَ مُتَبَعٍ ^(٢) وَقَدْ عَنَّفَ عَلَيْهِ فِي السُّوقِ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ أَرْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الْغُلَامُ : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فِي الرَّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضَرَّتُهُ ؟ قَالَ : تَطُولُ طَرِيقُهُ ، وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ ، وَفِي الْعَنَفِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : يَخِفُ حِمْلُهُ ^(٣) ، وَيَطُولُ أَكْلُهُ . فَأَعْجَبَ ^(٤) الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . قَالَ : رِزْقُ مَقْدُورٍ ، وَوَاهِبٌ مَأْجُورٍ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْنَيْتَيْ أَسْجُكِ فِي حَشِيٍّ . قَالَ : كُفَيْتَ مَعُونَةً ، وَرُزِقْتَ بِهَا مَعُونَةٌ . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ حَدِيثُ السَّنِّ لَأَسْتَوَزَرْتُكَ ^(٥) . قَالَ : لَنْ يَغْدَمَ الْفَضْلُ مَنْ رُزِقَ الْعَقْلُ . قَالَ : فَهَلْ تَصْلُحُ لِدَلِّكَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْحَمْدُ

(١) فِي « ط » : « وَالرِّضَا » .

(٢) غَيْرَ مُتَبَعٍ ، أَيْ مُقْبَدٍ بِقَالٍ وَغَوِهِ .

(٣) الْجَحْلُ ، بِكسر الحاء : مَا يَحْتَمِلُ عَلَى الظَّهْرِ وَغَوِهِ .. وَبِفَتْحِهَا : مَا كَانَ فِي بَطْنِ أَوْ عَلَى شَجَرٍ .. وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

(٤) فِي « م » : « قَالَ : فَأَعْجَبَ » .

(٥) أَيْ : لِجِبِلَّتِكَ وَزَيْرًا .

وَالَّذُمْ بَعْدَ التَّجْرِيبَةِ ، وَلَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى يَلُوهَا ^(١) . قَالَ : فَاسْتَوَزَرَهُ
فَوَجَدَهُ ذَا رَأْيٍ صَلِيبٍ ، وَفَهْمٍ رَحِيبٍ ^(٢) ، وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ التَّوْفِيقِ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْإِسْكَنْدَرُ إِلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ ، وَقَدْ نَفَذَ ^(٣) فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ،
وَبَلَغَ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَلْتَقُهُ أَحَدٌ ^(٤) قَبْلَهُ : اَكْتُبْ إِلَيَّ نَفْظًا مُوجَزًا يَنْفَعُ وَيُرَدِّعُ ^(٥) . فَكَتَبَ
إِلَيْهِ : إِذَا اسْتَوَلَتْ بِكَ السَّلَامَةُ فَجِدِّدْ ذِكْرَ الْعَطَبِ ، وَإِذَا هَتَّتِكَ الْعَاقِبَةُ ^(٦) فَحَدِّثْ
نَفْسَكَ بِالْبَلَاءِ ، وَإِذَا اطمَأَنَّ بِكَ الْأَمْنُ فَاسْتَشْعِرِ الْخَوْفَ ، وَإِذَا بَلَغْتَ نِهَاجَةَ الْأَمَلِ
فَاذْكُرِ الْمَوْتَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ نَفْسَكَ فَلَا تُجْعَلَنَّ لَهَا فِي الْإِسَاءَةِ إِلَيْهَا نَصِيبًا .

قَالَ : وَوَعِظَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَلِكًا فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ ،
وَالْآخِرَةُ دَارُ ثَوَابٍ ، وَمَنْ لَا يُقَدِّمُ لَا يَجِدُ ، فَهَنْ نَفْسَكَ حَلَاوَةً عَيْشِهَا بِتَرْكِ الْإِسَاءَةِ
إِلَيْهَا ^(٧) . وَاعْلَمْ أَنَّ زَمَانَ الْعَاقِبَةِ يَبْدُ الْبَلَاءِ ، وَأَمِنْ السَّلَامَةِ تَحْتَ جَنَاحِ الْعَطَبِ ،
وَبَابُ الْأَمْنِ مَسْتَوْرٌ بِالْخَوْفِ ، فَلَا تُكُونَنَّ فِي حَالٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ ^(٨) غَيْرَ مُتَوَقِّعٍ
لَأُضْدَادِهَا ^(٩) ، وَلَا تُجْعَلْ نَفْسُكَ غَرَضًا ^(١٠) لِسِيْهَامِ الْهَلَكَةِ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ عَدُوٌّ
أَبْنَى آدَمَ ، فَاحْتَرِزْ مِنْ عَدُوِّكَ بِقَايَةِ الْاسْتِعْدَادِ ، وَإِذَا فَكَّرْتَ فِي نَفْسِكَ
وَعَدُوَّهَا ^(١١) اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الْوَعِظِ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْإِسْكَنْدَرُ عَلَى بَابِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ : أَجَلٌ قَرِيبٌ فِي يَدِ غَيْرِكَ ، وَسَوْفَى

(١) أى : يختبرها .

(٢) صليب : شديد قوى .. وفهم رحيب : متسع الفهم والعقل .

(٣) فى م : : نفذ يده .

(٤) فى م : : ما لم يبلغ أحد طامع .

(٥) يردع : عن ط .

(٦) هتتك العاقبة : لذت وطاشت لك .

(٧) من قوله : : قال : ووعظ بعض الحكماء : إلى هنا عن ط .

(٨) فى م : : الثلاث . وكلاهما صواب .

(٩) فى م : : خير موقع لأضداده .

(١٠) غرضاً : هدفاً ظاهراً .

(١١) فى م : : وعلمها .

حَيْثُ ^(١) مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَإِذَا انْتَهَتِ الْمُدَّةُ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعُدَّةِ ، فَاخْتَلِ قَبْلَ الْمَنْعِ ، وَأَكْرِمِ أَجَلَكَ بِحُسْنِ صُحْبَةِ السَّائِقِينَ ^(٢) ، وَإِذَا آتَتْكَ السَّلَامَةُ فَاسْتَوْجِشْ بِالْعَطَبِ ، فَإِنَّهُ الْعَايَةُ ، وَإِذَا فَرَحْتَ لِلْعَايَةِ فَاحْزَنْ لِلْبَلَاءِ ، فَإِلَيْهِ تَكُونُ الرَّجْعَةُ ، وَإِذَا بَسَطْتَ الْأَمَلَ فَاقْبِضْ نَفْسَكَ عَنْهُ بِذِكْرِ الْأَجَلِ ، فَهُوَ الْمُوعِدُ ، وَإِلَيْهِ الْمَوْرِدُ .

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى بَيْنَ أَصْبَهَانَ وَفَارِسَ حَجْرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ : الْعَايَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْبَلَاءِ ، وَالسَّلَامَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْعَطَبِ ، وَالْأَمْنُ مَقْرُونٌ بِالْخَوْفِ .

وَلَمَّا ضَرَبَ أَبُو شُرَّوَانُ عُنُقَ بُزْرِجَمَهَرَ لَمَّا رَغِبَ عَنْ ^(٣) دِينِ الْمَجُوسِيَّةِ وَانْتَقَلَ ^(٤) إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَدَ فِي مِنْطَقَتِهِ ^(٥) كِتَابًا فِيهِ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْجَرِصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْعَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ بِكُلِّ أَحَدٍ نَازِلًا ^(٦) ، فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمَقٌ .

وَلَمَّا تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مُلْكَهُ ، كَتَبَ ^(٧) عَلَى كُرْسِيِّهِ : إِذَا صَحَبْتَ الْعَايَةَ نَزَلَ الْبَلَاءُ ، وَإِذَا تَمَّتِ السَّلَامَةُ نَجِمَ الْعَطَبُ ، وَإِذَا تَمَّ الْأَمْنُ عَلَنَ الْخَوْفُ ^(٨) .

وَحُفِرَ حَفِيرٌ ^(٩) بِفَارِسَ فَوُجِدَ فِيهِ لَوْحٌ رُحَامٌ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَسْطُطٍ مَخْفُورَةٍ ، أَوَّلُهَا : أَيُّهَا الْمُعَايَةُ أَبَشِّرْ بِالْبَلَاءِ . وَالثَّانِي : أَيُّهَا السَّالِمُ تَوَقَّعِ الْعَطَبَ . وَالثَّالِثُ : أَيُّهَا الْآمِنُ خُذْ أَهْبَةَ الْخَوْفِ . وَالرَّابِعُ : أَيُّهَا الْمُؤْمِرُ لَنْ يَبْعُدَ عَنْكَ الْعُسْرُ .

(١) السَّوْقُ : الْحَثُّ : وَالْحَيْثُ : السَّرِيعُ الْجَادُ فِي أَمْرِهِ .. والمراد : أنه بمرور الأيام والليالي يصل الإنسان إلى نهاية أجله .. وفي م : « شوق » بالشين ، والأول أوجه .

(٢) السَّائِقِينَ : اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَسُوقَانِ الْإِنْسَانَ إِلَى نَهَائِهِ الْمَخْصُومَةِ .. وفي م : « : السابقين » .

(٣) رَغِبَ عَنِ الشَّيْءِ : تَرَكَهُ مُتَعَمِّدًا وَزَهَدَ فِيهِ .. وفي م : « : غرب » .

(٤) فِي م : « : فانتقل » .

(٥) فِي م : « : وجد فيه منطقتة .. » فيه « تحريف .. ومنطقته ومنطقته ، بمعنى واحد ، وهو : الخزام الذي يشد به وسطه .. وقد مر .

(٦) فِي م : « : نازل » لا تصح .

(٧) فِي م : « : وكتب » .. الواو زيادة من الناسخ .

(٨) عَلَنَ الْخَوْفُ : شَاعَ وَظَهَرَ .

(٩) الْحَفِيرُ : الْبُحْرُ أَوْ الْغَيْرُ ، أَوْ مَا يُخْفَرُ لِلْكَشْفِ عَنِ الْآثَارِ .

وَلَمَّا نَزَلَ أَبُو مُسْلِمٍ مَدِينَةَ سَرَقَنْدَ أَتَاهُ اسْبَهَنْدَهَا ^(١) فَقَالَ : أَيُّهَا السِّلْكُ ، إِنَّ
بِالْقَنْدَهَارِ ^(٢) حَجَرًا مَذْفُونًا فِيهِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ ، وَجَدْتُ فِي الْكِتَابِ أَنَّ سَلِيمَانَ بْنِ
دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بَعَثَ بِهِ وَدُفِنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَوُجِدَ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي
تَسْتَخْرِجُهُ ، وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ . فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، فَإِذَا أَوَّلُ سَطْرِ مِنْهُ : الْحَزْمُ الْإِتِهَارُ
الْقَرْصَةِ وَتَرَكُ الْوَلَّى ^(٣) فِيمَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْقَوْتُ . وَالسَّطْرُ الثَّانِي : الرِّيَاسَةُ لَا تَيْمُ
إِلَّا بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ . وَالسَّطْرُ الثَّلَاثُ : لَمْ يُقْتَلِ الْآبَاءُ مِنْ تَرْكِ الْإِتِهَارِ ، وَلَمْ يُصَبَّ
مَنْ لَمْ يُحِبَّ ^(٤) . فَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يَقُولُ : عَلِمَ جَلِيلٌ بِهِ تَيْمُ هَذِهِ الدُّوَلَةُ ^(٥) ، إِنَّ
لَمْ يَنْزِلِ الْقَدْرُ بِمَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحَذَرِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعْمِلُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى أَنْ
قَدِمَ الْعِرَاقَ ، فَأَعَمَاهُ الْقَدْرُ عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِالْحَذَرِ ، فَهَتَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ .

وَلَمَّا حَجَّ أَبُو مُسْلِمٍ قِيلَ لَهُ : إِنَّ بِالْحِجْرَةِ تَصَرَّائِيًا قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ مَائَتَا سَنَةٍ ^(٦) ،
وَعِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ
قَالَ : قَدِمْتَ بِالْكِفَايَةِ وَلَمْ تَأَلَّ ^(٧) فِي الْعِنَايَةِ ، وَقَدْ بَلَغْتَ التَّهَابَةَ ، أَخَرَفَتْ نَفْسَكَ
لِمَنْ سَيِّئَتْ حِسْلُكَ ، وَكَانَ قَدْ عَايَنْتَ رَمْسَكَ ^(٨) . فَبَكَى أَبُو مُسْلِمٍ ، فَقَالَ :

(١) هكذا في « م » و « ط » .. ولعله يريد « اسبهندها » أى : كبير قوادها .. والكلمة فارسية .

[انظر قاموس الفارسية ص ٦٨ مادة « اسبيد »]

(٢) الْقَنْدَهَار ، بضم القاف وسكون النون وضم الدال : من بلاد السند أو الهند ، وهى مشهورة فى الفتوح
وقد مرت .

[انظر معجم البلدان ج ٤ مادة « قندهار »] .

(٣) الْوَلَّى : الفتور والضعف .. وفى « م » و « ط » : « الْوَلَا » بالألف .. والصواب ما أثبتناه .

(٤) لَمْ يُصَبَّ : سلم من الوقوع فى المصائب .. وَمَنْ لَمْ يُحِبَّ ، أى : مَنْ يَتَأَنَّى فى أمره ، قفى التأنى السلامة ،
وفى المجلة الندامة .

(٥) فى « م » : « تَمِ الدُّوَلَةُ » .

(٦) فى « م » : « أَتَتْ لَهُ مِائَةُ سَنَةٍ » .

(٧) لَمْ تَأَلَّ : لَمْ تَقْصُرْ .

(٨) الرَّمْسُ : القبر مستويًا مع وجه الأرض .

لَا تَبْلُكَ ، فَإِنَّكَ لَمْ تَوْتَ ^(١) مِنْ حَزْمٍ وَرَيْقٍ ، وَلَا مِنْ رَأْيٍ رَيْقٍ ^(٢) ، وَلَا تَذِيرٍ
 نَافِعٍ ^(٣) ، وَلَا مِنْ سَيْفٍ قَاطِعٍ ، وَلَكِنْ مَا اسْتَجْمَعَ أَحَدٌ لِأَمْلِهِ ^(٤) إِلَّا أَسْرَعَ فِي
 تَقَرُّبِ أَجَلِهِ . قَالَ : فَمَتَى تَرَاهُ يَكُونُ ؟ قَالَ : إِذَا تَوَاطَا الْخُلَفَاءُ عَلَى أَمْرِ كَانَ ،
 وَالتَّعْدِيرُ فِي يَدَي مَنْ يَطْلُ مَعَهُ التَّذِيرُ ، وَإِنْ رَجَعَتْ إِلَى خُرَاسَانَ سَلِمْتُ ،
 وَهِيَ هَاتِ ^(٥) . فَأَرَادَ الرُّجُوعَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بِالْمُضِيِّ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ يَحُثُّهُ ،
 فَلَوْلَا أَنْ الْبَصَرَ يَعْصِي إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ ، لَكَانَتْ هَذِهِ دَلَالَةً ^(٦) تَقَعُ مَوْقِعَ الْعَيَانِ ، وَتُبْعُثُ
 عَلَى التَّيَقُّظِ فِي الْحَذَرِ وَالْإِحْيَالِ فِي الْهَرَبِ ^(٧) ، عَلَى أَنْ لِكُلِّ نَفْسٍ غَايَةٌ ، وَلِكُلِّ
 أَمْرٍ نِهَآيَةٌ .

وَقِيلَ لِجَالِينُوسَ ، وَهُوَ حَكِيمُ الطَّبِّ وَفَيْلسُوفُهُ ، وَقَدْ نَهَكَتْهُ الْعِلَّةُ ^(٨) :
 أَلَا تَتَعَالَجُ ؟ فَقَالَ : إِذَا كَانَ الدَّاءُ مِنَ السَّمَاءِ بَطَلَ الدَّوَاءُ ، وَإِذَا قَدَّرَ الرَّبُّ بَطَلَ حَذَرُ
 الْمَرْغُوبِ ^(٩) ، وَنِعْمَ الدَّوَاءُ الْأَجَلُ ، وَبِئْسَ الدَّاءُ الْأَمَلُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْفَرَاةِ : فَحَنَّا حِصْنًا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ قَرَأْنَا فِيهِ صُورَةَ أَسَدٍ ^(١٠) مِنْ
 حَجَرٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : الْحِيلَةُ خَيْرٌ مِنَ الشُّدَّةِ ، وَالتَّائِي أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَالْجَهْلُ
 فِي الْحَرْبِ أَحْزَمُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِي الْعَاقِبَةِ مَادَّةُ الْجَزَعِ .

(١) في م : لم تَوْتَ حليك .

(٢) رقيق : شديد .

(٣) في م : ولا من تدهير نافع .

(٤) في م : ما استجمعت لأحد أمه .

(٥) وهيات ، أى : وبعيد أن تسلم .

(٦) في م : دلالة كافية .

(٧) قوله : وتبعث على التيقظ في الحذر ، والاحتيال في الهرب ، عن ط .

(٨) نيكته العلة : أجهده وغلظه .

(٩) المربوب : المخلوق .

(١٠) في ط : الأسد .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ ^(١) : وَجَّهَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ بِثَلَاثَةِ أَسْيَافٍ مَعَ هَذَانِهَا كَثِيرَةٍ ، وَعَلَى سَيْفٍ مِنْهَا مَكْتُوبٌ : أَيُّهَا الْمُقَاتِلُ اخِمْ لِنَعْنَمَ ، وَلَا تُفَكِّرْ فِي الْعَاقِبَةِ فَتَهْزَمَ . وَعَلَى الثَّانِي مِنْهَا مَكْتُوبٌ : إِذَا لَمْ تُصِلْ ضَرْبَةً سَيْفِكَ فَصِلْهَا بِإِلْقَاءِ خَوْفِكَ . وَعَلَى الثَّلَاثِ مَكْتُوبٌ : الثَّانِي فِيمَا لَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْفَوَاتُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ إِلَى إِذْرَاكِ الْأَمَلِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ^(٢) : قَرَأْتُ فِي كِتَابِ « جَاوِيدَانِ خُرَدٍ » : ثَلَاثُ ثُبُلٍ مَعَ ثَلَاثِ : الشَّدَّةُ مَعَ الْحِيلَةِ ، وَالْعَجَلَةُ مَعَ الثَّانِي ، وَالْإِسْرَافُ مَعَ الْقَصْدِ .

وَقَالَ الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ : رَأَيْتُ بَعْدَنَ حَجَرًا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ بِالْحَمِيرِيَّةِ : أَيُّهَا الشَّدِيدُ ^(٣) اخْذِرِ الْحِيلَةَ ، أَيُّهَا الْعَجُولُ اخْذِرِ الثَّانِي ، أَيُّهَا الْمُحَارِبُ تَأَيِّسْ مِنَ الْفِكْرِ ^(٤) فِي الْعَاقِبَةِ ، أَيُّهَا الطَّالِبُ مَوْجُودًا لَا تَقْطَعْ أَمْلَكَ دُونَ بُلُوغِهِ ^(٥) .

وَكَتَبَ قِصْرٌ إِلَى كِسْرَى : أَخْبِرْنِي بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُهَا ، وَإِخَالُهَا ^(٦) عِنْدَكَ : أَخْبِرْنِي مَا عَدُوُّ الشَّدَّةِ ، وَصَدِيقُ الظَّفَرِ ، وَمُذْرِكُ الْأَمَلِ ، وَمِفْتَاحُ الْفَقْرِ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : الْحِيلَةُ عَدُوُّ الشَّدَّةِ ، وَالصَّبْرُ صَدِيقُ الظَّفَرِ ، وَالثَّانِي مُذْرِكُ الْأَمَلِ ، وَالْجَوْرُ ^(٧) مِفْتَاحُ الْفَقْرِ .

(١) هو : أحمد بن سهل ، أبو زيد البلخي ، من علماء الإسلام الأفاضل ، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون ، وُلِدَ فِي إِحْدَى قُرَى « بَلخ » سَنَةَ ٢٣٥ هـ ، وَسَاحَ سِيَاحَةً طَوِيلَةً .. وَتَوُفِيَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ ، وَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَصْنُفَاتِ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٣٤] .

(٢) هو : الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ، وزير المأمون العباسي .. وقد مرت ترجمته .

(٣) في « م » : : أَيُّهَا الطَّالِبُ .

(٤) في « م » : : مِنَ الْفِكْرِ وَتَأَيَّسْ : اقْطَعْ الرَّجَاءَ .

(٥) في « ط » : : مِنَ بُلُوغِهِ .

(٦) إِخَالُهَا : مِنَ الْفِعْلِ خَالَ إِخَالًا .. وَبَكْسَرِ الْحَمْزَةِ فِي الْمَضَارِعِ لِلْمُتَكَلِّمِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَبَنُو أَسَدٍ يَفْتَحُونَهَا عَلَى الْقِيَاسِ ، وَهُوَ بِمَعْنَى : ظَنِّ .

(٧) الْجَوْرُ : الظُّلْمُ .. وَفِي « م » وَ « ط » : : الْجَوْدُ « بِالْدَالِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِحَكِيمِهِ ، وَأَرَادَ سَفَرًا : أَوْفُقْنِي ^(١) عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْ حِكْمَتِكَ أَغْمَلُ بِهَا فِي سَفَرِي ؟ فَقَالَ لَهُ ^(٢) : اجْعَلْ تَأْيِيدَكَ زِمَامَ عَجَلَتِكَ ، وَحِيلَتِكَ رَسُولَ شِدَّتِكَ ، وَغَفْوَكَ مَلِكَ قُدْرَتِكَ ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ إِنْ لَمْ تُخْرِجْهُمْ بِالشَّدَّةِ عَلَيْهِمْ ^(٣) ، أَوْ تُبَيِّطَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

وَقَالَ الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ : قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ : « جَاوِيدَانِ خُرْد » وَهُوَ أَجَلُ كِتَابٍ لِلْفَرَسِ : الْحِيلَةُ أُلْفَعُ مِنْ أَقْوَى الشَّدَّةِ ، وَأَقْلُ الثَّانِي أَجَلُ ^(٤) مِنْ أَكْثَرِ الْعَجَلَةِ ، وَالذَّلُولَةُ رَسُولُ الْقَضَاءِ الْمُبَرَّمِ ، وَإِذَا اسْتَبَدَّ الْإِنْسَانُ بِرَأْيِهِ عَمِيَتْ عَلَيْهِ الْمَرَاشِدُ .

وَكَانَ الْبُخْتِكَانُ ^(٥) أَبُو بُزْجَمَهْرَ حَامِلَ الْقَدْرِ ، وَضَبَعَ الْحَالِ ، مُقَهَّهَ الْمَنْطِقِ ^(٦) ، فَلَمَّا أَتَتْ لِبُزْجَمَهْرَ خَمْسَ عَشْرَةَ ^(٧) سَنَةً حَضَرَ ^(٨) مَجْلِسَ الْمَلِكِ ، وَقَدْ جَلَسَتْ الْوُزَرَاءُ عَلَى كُرَاسِيِّهَا ، وَالْمَرَازِبَةُ فِي مَجَالِسِهَا ، وَقَفَ فَحَيَّا ^(٩) الْمَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَأْمُولِ نِعْمُهُ ، الْمَرْهُوبِ نِقْمُهُ ، الدَّالُّ عَلَيْهِ بِالرُّغْبَةِ إِلَيْهِ ، الْمُؤَيَّدِ الْمَلِكِ بِسُوءِهِ ^(١٠) فِي الْقَلَلِ ، حَتَّى رُفِعَ شَأْنُهُ ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ، وَأَثَارَ بِهِ الْبِلَادُ ، وَأَعَاشَ بِهِ الْعِبَادُ ، وَقَسَمَ لَهُ فِي التَّقْدِيرِ وَجُوهَ التَّدْبِيرِ ، فَرَعَى رَعِيَّتَهُ ^(١١) بِفَضْلِ

(١) أَوْفُقْنِي : أَطْلِفْنِي .

(٢) دله : عن د م .

(٣) عليهم : عن د م .

(٤) في د م : : أَجَلُ .

(٥) في د م : : الْبُخْتِكَانُ ، وفي د ط : : التَّجْتِكَانُ .. والتصويب من « إصباح الأعلام » في ترجمة

بُزْجَمَهْرَ ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٦) مُقَهَّهَ الْمَنْطِقِ ، أَيْ : عَقِي .

(٧) في د م : : خمسة عشر : لا تصح .

(٨) في د ط : : وَحَضَرَ في .. .

(٩) قوله : : وَالْمَرَازِبَةُ فِي مَجَالِسِهَا عَنْ د ط : : وَلَمْ تَرِدْ فِي د م .. وفي د ط : : « وَقَفَ بِجِالِ الْمَلِكِ ،

أَيْ : بِإِزَائِهِ .

(١٠) في د م : : بِسُوءِهِ .

(١١) في د م : : بِرَعِيَّتِهِ .

نِعْمَتِهِ ، وَحَمَاهَا الْوَلَيَاتِ ^(١) ، وَأَوْرَدَهَا الْمُعْشِيَاتِ ^(٢) وَذَادَهَا عَنِ الْآكِلِينَ ^(٣) ،
وَالْفَهْمَا بِالرَّفِقِ وَاللِّينِ إِنْعَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَثَبَّتِنَا ^(٤) لِمَا فِي يَدَيْهِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يُبَارِكَ لَهُ فِيمَا آتَاهُ ، وَيُخَيِّرَ ^(٥) لَهُ فِيمَا اسْتَرْعَاهُ ، وَيَرْفَعَ قُدْرَهُ فِي السَّمَاءِ ^(٦) ، وَيَنْشُرَ
ذِكْرَهُ تَحْتَ الْمَاءِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ يَتِيمُهُمَا مُنَاوِيٌّ ^(٧) ، وَلَا يَجِدَ لَهُ فِيهِمَا
مُدَانِيٌّ ^(٨) ، وَأُسْتَوْهَبُ ^(٩) لَهُ حَيَاةً لَا تُنْفِصَ فِيهَا ، وَقُدْرَةً لَا شَاذَ عَنْهَا ، وَمُلْكًا لَا
بُؤْسَ فِيهِ ، وَعَاقِبَةً تُدِيمُ لَهُ الْبَقَاءَ وَتُكْثِرُ لَهُ النَّمَاءَ ، وَعِزًّا يُؤَمِّنُهُ مِنَ الْفَلَابِ رَعِيَّةً ،
أَوْ هُجُومٍ يَلِيَّةً ، فَإِنَّهُ مَوْلَى الْخَيْرِ ، وَدَافِعُ الشَّرِّ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ فَحُشِيَ قَمُوحٌ بِيَمِينِ الْجَوَاهِرِ
وَرَفِيعِهِ ، وَلَمْ يَذْفَعْ حَدَاثَهُ سِنِّهِ مَعَ نَبِيلِ كَلَامِهِ أَنْ اسْتَوَزَرَهُ ، وَقَلَّدَهُ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ ،
فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخِرَ خَارِجِهِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا لِلَّهِ عَلَى الْعَاقِلِ نِعْمَةٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ مِنْ مُبَايَنَةِ
هَذِهِ السُّفْلَةِ ^(١٠) بِالْفَهْمِ وَالْعَقْلِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَا عُرِفَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا بِالْجَهْلِ ،
أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ أَوْلَى النَّهْيِ وَذَوَى الْأَلْبَابِ وَذَوَى الْبَصَائِرِ ، وَبَجِبَ عَلَى
الْعَلِيَّةِ أَنْ يَحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مُبَايَنَتِهِمْ ^(١١) هَذِهِ السُّفْلَةَ بِالْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ ، كَمَا
يَحْمَدُونَهُ عَلَى جَمِيعِ النِّعَمِ .

(١) أى : منعها ودفع عنها الوليات .. وفى « ط » : « المؤيدات » .

(٢) شبه الرعية بالسائمة .. وأوردتها الْمُعْشِيَات : قادها إلى المراعى الكريمة النبات .

(٣) ذادها عن الآكلين : طردها ودفع عنها الضواري والوحوش المفترسة .

(٤) فى « م » : « و تثبتنا » .

(٥) يُخَيِّرُ : ينتقى ويختار .

(٦) فى « م » ، « فى السَّوَادِ » أى : بين الناس .

(٧) مُنَاوِيٌّ ، أى : إنسان يفاخره ويهاديه .

(٨) أى : مقارب .. وفى « م » : « مُوَانِي » .

(٩) أُسْتَوْهَبُ : أسأل الله أن يَهَبَهُ .

(١٠) مُبَايَنَةُ السُّفْلَةِ : مخالفة الغوغاء من الناس .

(١١) فى « م » : « مُبَايَنَتِهَا » .

وَقِيلَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ : مَا الَّذِي أَصَارَكَ إِلَى هَذَا ؟
 قَالَ : الاسْتِغْنَاءُ بِرَأْيِي ، لَمَّا كَثُرَتْ عَلَى كُتُبِ نَصْرِ بَنِي سَيَّارِ أَنْ أَمَدَّهُ بِالْأُمُورِ
 وَالرَّجَالِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ الاسْتِغْنَاءَ مِنَ الْأُمُورِ وَالْجُنْدِ بِمَا يُظْهِرُ
 لِي مِنْ فَسَادِ الدُّوَلَةِ قِبَلَهُ ، وَهِيَ هَاتِ أَنْ يَنْتَقِضَ ^(١) عَلَى خُرَاسَانَ . فَالْتَقَضْتُ ذَوْلَهُ
 مِنْ خُرَاسَانَ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : لَمَّا دُعِيَ لِلْمَأْمُونِ فِي كَوْرِ خُرَاسَانَ
 بِالْخِلَافَةِ ، جَاءَتْهُ هَذَانِ الْمُلُوكِ سُرُورًا بِمَكَانِهِ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَوَجْهَ مَلِكِ
 كَابِلِستان ^(٢) ، شَيْخًا يُقَالُ لَهُ ذُوْبَانُ ، وَكَتَبَ يَذْكُرُ أَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ ^(٣) بِهَدِيَّةٍ لَيْسَ فِي
 الْأَرْضِ أَسْتَى مِنْهَا ، وَلَا أَرْفَعُ وَلَا أَتْبَلُ وَلَا أَفْخَرُ مِنْهَا ^(٤) . فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ :
 سَلِ الشَّيْخَ مَانِعَهُ . فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : مَا مَعِيَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِي . فَقُلْتُ ^(٥) : وَائِي
 شَيْءٌ عِلْمُكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ يَنْفَعُ ، وَتَذِيرٌ يَنْقُطِعُ ، وَدَلَالَةٌ تُجْمَعُ . قَالَ : فَسَرَّ الْمَأْمُونُ
 بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ ^(٦) بِإِثْرَالِهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَكَيْفَانِ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ
 لِقِتَالِ أَخِيهِ قَالَ لِلذُّوبَانِ : مَا تَرَى فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ وَثِيقًا ، وَخَزْمًا
 مُصِيبًا ، وَمُلْكًا قَرِيبًا ، فَالْسَّيْرُ مَاضٍ ^(٧) ، فَاقْضِ مَا أُلْتِ قَاضِرٌ . قَالَ لَهُ : فَمَنْ
 تَوَجَّهَ ؟ قَالَ : الْفَتَى الْأَعْوَرُ ، الطَّاهِرُ الْأَطْهَرُ ، يَسِيرُ وَلَا يَغْتَرُ ^(٨) ، قَوِيٌّ مَرْهُوبٌ ،

(١) انتقض القوم على السلطان : خرجوا عليه وخلعوا طاعته .

(٢) كابلستان : بين الهند وبنوحي سجستان .

(٣) في م : : : تَوَجَّهَ .

(٤) في م : : : وَلَا أَتْبَلُ مِنْهَا وَلَا أَفْخَرُ .

(٥) في ط : : : قُلْتُ .

(٦) في ط : : : فَأَمَرَ .

(٧) في م : : : قَاضِرٌ .

(٨) في م : : : يَغْتَرُ .

مُقَاتِلٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ . قَالَ : فَكَمْ تُوجُّهُ مَعَهُ ^(١) مِنَ الْجُنْدِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، صَوَارِمُ الْأَسْيَافِ ، لَا يَنْتَقِصُونَ الْعَدَدَ ^(٢) ، وَلَا يَخْتَانُونَ إِلَى الْمَدَدِ .

فَسَرَّ الْمَأْمُونُ بِذَلِكَ ^(٣) ، وَوَجَّهَ بِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ . قَالَ : وَفِي أَيِّ وَقْتٍ يَخْرُجُ ؟ قَالَ : مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، يَجْمَعُ لَكَ الْأَمْرَ ، وَيَصِيرُ ^(٤) إِلَى النُّصْرِ ، نَصْرٌ سَرِيعٌ ، وَقَتْلٌ ذَرِيعٌ ، وَتَفْرِيقٌ تِلْكَ الْجُمُوعِ ، وَالنُّصْرَ لَهُ لَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْأَمْرَ إِلَيْكَ ^(٥) . وَهَلِيهِ . فَظَفَّرَ طَاهِرٌ وَكَانَ لَهُ النُّصْرُ ، وَقَتْلٌ عَلَى بَنِي عِيسَى وَزَيْرِ الْأَمِينِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَحَازَ أَمْوَالَهُ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ لِلذُّبَانِ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ مَلَكَ لَمْ يُوجِّهْنِي إِلَيْكَ لِأَتَقِصَّكَ مَا لَكَ ، فَلَا تَجْعَلَ ^(٦) رَذَى لِنِعْمَتِكَ تَسْخُطًا ^(٧) ، وَسَاقِبُلُ مَا يَفِي هَذَا ^(٨) الْمَالُ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ . قَالَ الْمَأْمُونُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ كِتَابٌ يُوجَدُ بِالْعِرَاقِ ، فِيهِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ، وَعُلُومُ الْأَفَاقِ ، مِنْ كُتُبِ عَظِيمِ الْفَرَسِ ، فِيهِ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ صُتُوفِ الْأَذَابِ ، بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابٍ ، عِنْدَ عَاقِلٍ لَيْسَبٍ ، وَلَا فَطِنٍ أَرِيبٍ ، يُوجَدُ تَحْتَ إِيوَانِ كِسْرَى ^(٩) بِالْمَدَائِنِ ، فَيُقَاسُ بِالذُّرْعَانِ ^(١٠) فِي وَسْطِ الْإِيوَانِ ، لَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ ، فَاحْفَظِي الْمَدَرَ ^(١١) ، وَاقْلَعِي

(١) في م : : فمن توجَّه معه : والأخيرة لم ترد في ط .

(٢) في م : : لا يتقص ، فخير العدد .

(٣) بذلك : عن ط .

(٤) في م : : وتصير .

(٥) في م : : عليك .

(٦) في م : : فلا تَجْعَلِي .

(٧) تَسْخُطًا : عدم رضا واستقلالاً .. وفي م : : سخطاً : أى : كراهة .. والأول أوجه .

(٨) في م : : بهذا .. وفي : يوازي ويساوى .

(٩) سقطت كسرى : من ط .

(١٠) الذُّرْعَان : جمع ذراع ، وهى مقياس مقداره سِتُّ قبضات محدلات ، أو ٦٤ ستمتراً تقريباً .

(١١) الْمَدَرَ : الطين اللزج المتناسك .

الْحَجَرَ ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى السَّاجَةِ ^(١) فَأَقْلَمَهَا تَجِدُ الْحَاجَةَ ، وَلَا تَلْزَمْ لغيرِهَا ^(٢) فَيَلْزَمُكَ غِبٌّ ^(٣) ضَرَّهَا .

فَارْسَلَ الْمَأْمُونُ إِلَى إِبْرَانَ كِسْرَى ، فَحَفَرُوا فِي وَسْطِهِ ، فَوَجَدُوا صَنْدُوقًا صَغِيرًا مِنْ زُجَاجٍ ^(٤) عَلَيْهِ قُفْلٌ مِنْهُ ، فَحَمِلَ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَقَالَ لِذَوْبَانَ : هَذَا بُعِثَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَ : اخْذْهَا وَالصِّرْفِ . فَتَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ ، وَنَفَخَ فِي الْقُفْلِ فَأَلْفَتَحَ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ خِرْقَةً دِيْبَاجٍ فَتَشَرَّهَا ، فَسَقَطَ مِنْهَا أُورَاقٌ ، فَعَدَّهَا مِائَةً وَرَقَةً ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَنْدُوقِ شَيْءٌ غَيْرُهَا ، فَأَخَذَ الْأُورَاقَ وَالصِّرْفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ^(٥) .

قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابٌ « جَاوِيدَانُ خُرْد » تَأَلَّفَ كَيْجُورٌ ^(٦) وَزَيْرٌ مَلِكُ إِيرَانَ شَهْرٍ ، فَطَلَبْتُ ^(٧) مِنْهُ شَيْئًا ، فَدَفَعَ إِلَيَّ وَرَقَاتٍ مِنْهُ ، وَتَرَجَمَهَا لِي الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثُمَّ أُنْعِبْتُ الْمَأْمُونَ فَقَالَ : اخْجِلْ إِلَيَّ الْوَرَقَاتِ ، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ ، فَقَرَأَهَا فَقَالَ : هَذَا - وَاللَّهِ - الْكَلَامُ ^(٨) لَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَيِّ السَّيِّئَاتِ فِي فَجَوَاتِ أَشْدَاقِنَا ، وَلَوْلَا أَنَّ الْعَهْدَ حَبْلٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِينَا لَأَخَذْتُهُ ^(٩) .

(١) السَّاجَةُ : الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ .

(٢) أَيْ : لَا تَصْدَقْهَا لِغَيْرِهَا .. وَلى « م » : « : » يَلْزَمُ » .

(٣) الْغِيبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ .. وَلى « م » : « : » عِبَاءٌ » .

(٤) لى « م » : « : » صَنْدُوقًا مِنْ زُجَاجٍ أَسْوَدٌ » .

(٥) لى « م » : « : » الْمَنْزِلَ الَّذِى لَهُ » .

(٦) لى « م » : « : » سِجُورٌ » وَقَدْ سَبَقَ التَّمْلِيقُ عَلَيْهِ .

(٧) لى « م » : « : » فَطَلَبْتُ » .

(٨) لى « ط » : « : » وَاللَّهِ هَذَا الْكَلَامُ » .

(٩) مِنْ قَوْلِهِ : « لى فَجَوَاتِ أَشْدَاقِنَا » إِلَى نِهَآةِ الْفَصْلِ ، مِنْ « م » وَلَمْ يَرِدْ لى « ط » .

فَصْلٌ

مِنْ نَوَادِرِ بُزْجَمِهَرِ حَكِيمِ الْفَرَسِ قَالَ ^(١) : نَصَحْنِي النَّصَحَاءُ ، وَوَعَّظْنِي
الْوَعَّظَاءُ ^(٢) شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا ، فَلَمْ يَعْظُنِي أَحَدٌ بِمِثْلِ شَيْءٍ ، وَلَا نَصَحْنِي بِمِثْلِ
فِكْرٍ . وَلَقَدْ اسْتَضَاءَتْ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضَوْءِ الْقَمَرِ ، فَلَمْ أَسْتَضِءْ بِشَيْءٍ أَضْوَأَ مِنْ
نُورِ قَلْبِي . وَكُنْتُ عِنْدَ الْأَخْرَارِ وَالْعَبِيدِ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ ، وَلَا فَهَرْنِي غَيْرُ هَوَايَ ،
وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ ، فَلَمْ أَرِ أَعْدَى لِي مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ . وَاحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي
مِنَ الْخُلُقِ كُلِّهِمْ ، حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً ، فَوَجَدْتُهَا أَشَرَّ ^(٣) الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا ، وَرَأَيْتُ
أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . وَزَحَمْنِي الْمُضَائِقُ فَلَمْ يَزَحْمْنِي بِمِثْلِ الْخُلُقِ السَّوِّءِ .
وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ ^(٤) وَأَطْوَلَ الطُّوْلِ فَلَمْ أَقْعُ فِي شَيْءٍ أَضَرُّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي .
وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ ^(٥) ، وَوُطِفْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحَرُّ مِنْ غَضَبِي إِذَا
تَمَكَّنَ مِنِّي . وَطَالَبْنِي الطُّلَّابُ فَلَمْ يُدْرِكْنِي مُدْرِكٌ مِثْلُ أَسَاتِي ^(٦) . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ
الْقَاتِلُ ، وَمِنْ أَيْنَ نَالَنِي ؟ فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سَبْحَانَهُ . وَالتَّمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي
فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا ^(٧) مَا لَا يَغْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ ، وَرَأَيْتُ
الْأَهْوَالَ ، فَلَمْ أَرِ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى سُلْطَانِ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ ،

(١) قال : عن م .

(٢) المشهور في جمع واعظ : وعظاظ ، لكن الوصف الذي على وزن فاعل ، يعطد جمعه على « فعلاء »
نحو : عاقل وغللاء : وجاهل وجهلاء ، وصالح وصلحاء .. الخ .
والعرب اشترطوا أن يكون هذا الوصف دالاً على سجية مدح أو ذم .

(٣) في م : « أشد » .

(٤) في م : « من البعد » .

(٥) في م : « الحجر » .

(٦) أي : إخواني الدين يؤاسوني ويخزونني عند النوازل .. وفي ط : « : إنساني » .

(٧) في م : « ترك » .

فَلَمْ أَرُ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوِّءِ ^(١) . وَعَالَجْتُ السَّبَّاعَ وَالضَّبَّاعَ وَالذَّنَابَ وَعَاشَرْتُهَا
وَعَاشَرْتَنِي ، وَعَظَّمْتُهَا فَلَعَلَّنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ السَّوِّءِ ، وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ ^(٢) . وَشَرِبْتُ
الْمُسْكِرَ ، وَعَاقَمْتُ الْحَسَانَ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلَدَّ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ
وَالْجِبَالَ وَالسَّبَّاعَ فَلَمْ أُجَزَّ إِلَّا مِنَ الْإِنْسَانِ السَّوِّءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبِيرَ ، وَشَرِبْتُ الْمُرَّ ،
فَلَمْ أَرُ شَيْئًا أَمَرُّ مِنَ الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَتَعَبَةَ الْجُيُوشِ ، وَبَاشَرْتُ السَّيُوفَ ،
وَصَارَعْتُ الْأَقْرَانَ ، فَلَمْ أَرُ قَرْنًا ^(٣) أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السَّوِّءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ ^(٤) ،
وَنَقَلْتُ الصَّخْرَ ، فَلَمْ أَرُ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدَّيْنِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُدَلُّ ^(٥) الْعَرِيزَ ،
وَيَكْسِرُ الْقَوَى ، وَيَضَعُ الشَّرِيفَ ^(٦) ، فَلَمْ أَرُ أَذَلَّ مِنْ ذِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرَشَقْتُ
بِالنَّشَابِ ^(٧) ، وَرَجَمْتُ بِالْحِجَارَةِ ، فَلَمْ أَرُ أَثْفَدَ ^(٨) مِنَ الْكَلَامِ السَّوِّءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمٍ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . وَعَمَرْتُ السَّجْنَ ، وَشَدِدْتُ فِي الْوَثَاقِ ، وَضَرَبْتُ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ،
فَلَمْ يَهْدِمْنِي مِثْلُ مَا هَدَمْنِي مِنَ الْعَمِّ ^(٩) وَالْحَزَنِ . وَاصْطَلَمْتُ الْإِخْوَانَ ، وَالتَّخَبْتُ
الْأَقْوَامَ لِلْعُدُوِّ ^(١٠) وَالشَّدَّةِ وَالنَّاقِبَةِ ، فَلَمْ أَرُ شَيْئًا أَخْيَرَ ^(١١) مِنَ التَّكْرَمِ عِنْدَهُمْ ^(١٢)

(١) في « ط » : « فلم أَرُ مثل القرين السوء » .

(٢) في « م » : « الطيب » .

(٣) قَرْنًا ، أَى : كُفْلًا ونظراً في الشجاعة .. وفي « م » : « قريباً » .

(٤) عالجت الحديد : زاولت العمل فيه ومارسته .

(٥) في « م » : « فيما يملك » .

(٦) « ويضع الشريف » : يجعله وضيماً .. وهذه الجملة عن « ط » وساقطة من « م » .

(٧) أَى : النَّبَل .

(٨) في « م » : « أثقل » .

(٩) في « ط » : « مثل ما هدمني العم » ووصل « ما » وفصلها بمثل جائر .

(١٠) الْعُدَّة : ما يُعَدُّ لِأَمْرٍ يحدث .

(١١) في « م » : « خير » لا تصح .. والصواب بالنصب .

(١٢) في « م » : « عليهم » .

وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَرِ أَعْنَى مِنَ الْقُنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذُّخَائِرِ ، فَلَمْ أَرِ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْعُرْبَةَ ^(١) وَالْمَذَلَّةَ ، فَلَمْ أَرِ أَذْلَ مِنْ مُقَاسَاةِ الْجَارِ ^(٢) السَّوِّءِ . وَشِئْتُ الْبَيْتَانَ لِأَعِزَّ بِهِ وَأَذْكَرَ ^(٣) ، فَلَمْ أَرِ شَرْقًا أَرْفَعَ مِنْ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ . وَلَيْسْتُ الْكُتْسَا الْفَاحِشَةَ ، فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . وَسُرِرْتُ بِعَطَايَا الْمُلُوكِ وَجِبَائِهِمْ ^(٤) ، فَلَمْ أَسِرَّ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنَ الْخَلَاصِ مِنْهُمْ .

فصل

وَمِنْ حِكْمِ شَاهِقِ السَّنْدِيِّ ^(٥) مِنْ كِتَابِهِ الْبَدِىِّ سَمَاءُ « مُتَّحِلُ الْجَوَاهِرِ » ^(٦) لِلْمَلِكِ ابْنِ قَمَائِصَ ^(٧) الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ^(٨) ، اتَّقِ عَثَرَاتِ الزَّمَانِ ، وَتَحَشَّ ^(٩) تَسَلُّطَ الْأَيَّامِ ، وَلَوْمْ غَلَبَتْ ^(١٠) الدَّهْرَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً ، فَأَتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَلِلْأَيَّامِ عَثَرَاتٌ ^(١١) فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ ، وَلِلْأَقْدَارِ مَقَبَاتٌ ^(١٢) فَاسْتَعِدَّ لَهَا ، وَالزَّمَانَ مُتَقَلِّبٌ ^(١٣) فَاحْذَرْ دَوْلَتَهُ ، لَيِّمُ الْكَرَّةَ فَحُفَّ سَطْوَتُهُ ، سَرِيعُ الْغِرَّةِ فَلَا تَأْمَنْ دَوْلَتَهُ .

(١) فى م : : ورأيت الثربة والوحدة .

(٢) فى م : : جار .

(٣) وأذكر ، من ط .

(٤) جبايهم : إكرامهم وعطاياهم .. وفى م : : وجاههم .

(٥) هكذا فى ط .. وفى م : : شاهاق الهندي ملك السند .. وفى كشف الظنون ج ٢ ص ٥٣٥ أنه طبيب وليس ملكاً .

(٦) فى المصدر السابق : « متتحل الجواهر » .

(٧) فى كشف الظنون : « ابن قماص » بالنون .

(٨) فى م : : يا أيها الوالى .

(٩) تحشَّ : تحفَّ وأحشَّ .

(١٠) فى ط : : جليلة الدهر ، أى : قهره وغلبيه .

(١١) فى ط : : عثرات .

(١٢) فى ط : : مفيات .

(١٣) فى م : : والزمان منقلب لولئى .. وفى ط : : والزمان .

فَقَعُ ^(١) عَلَيْهِ ضَرْبَةُ الْأُذُنِ فَتَقَتْلُهُ ، وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ ^(٢) أَنْ يَتَلَعَهُ ، فَحَصَلَ الصَّنَارَةُ فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَقْفُهُ .

وَذَكَرَ الْحَكِيمُ ^(٣) : أَنْ إِحْصَالاً مَعْرُوفَةً قَتَلَتْ بِالْإِفْرَاطِ فِيهَا مُلُوكًا مَعْرُوفِينَ ، فَالْصَّيْدُ ^(٤) مَاتَ فِيهِ « قَيْدُهُ » الْمَلِكُ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْقَهَّارِ ^(٥) مَاتَ مِنْهُ « سَيْبٌ » ^(٦) الْمَلِكُ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي السُّكْرِ مَاتَ فِيهِ « حَازِقُ » الْمَلِكُ ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ مَاتَ مِنْهُ « مُهْرِيقُ » الْمَلِكُ ، وَالْقَضْبُ « أَخْرَسَجِيُّ » الْمَلِكُ ^(٧) ، وَالطَّمَعُ « وَاثِلٌ » وَالْفَرَحُ « وَاطَابُ » ^(٨) ، وَالْأَنَفَةُ « بُولِيسُ » وَالتَّوَانِي « زَمِيرُبَهْرُ » ^(٩) . وَأَخْلَقَ بِإِخْصَالِ أَهْلَكَتْ مُلُوكًا أَنْ يَجْتَنِبَهَا الْمُلُوكُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الرِّعْيَةَ تَسْتَمْطِي ^(١٠) إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ اسْتِمْطَاءَ أَهْلِ الْجَذْبِ إِلَى الْغَيْثِ ، وَيَتَتَمِشُونَ بِطَلْعِهِ عَلَيْهِمْ كَانْتِعَاشِ الثَّيَابِ بِمَا يَنَالُهُ مِنَ الْقَطْرِ ، بَلِ الرِّعْيَةُ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ أَثْمٌ نَفْعًا مِنْهَا بِالْغَيْثِ ، لِأَنَّ لِمَنْفَعَةِ الْغَيْثِ وَقْتًا مَعْلُومًا ، وَعَذَلُ الْمَلِكِ عَلَى الدَّوَامِ لَا يَتَعَيَّنُ لَهُ وَقْتُ ، وَيَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ تُشَبَّهَ ^(١١) تَصَارِيفُ تَذْيِيرِهِ

(١) فِي « م » : : فِي أَصْلِ الْأُذُنِ .

(٢) فِي « م » : : يَطْلُبُ لَذَّةَ الطَّعْمِ .

(٣) فِي « م » : : وَذَكَرَ هَذَا الْحَكِيمُ « إِشَارَةً إِلَى الْحَكِيمِ السَّنْدِيِّ « شَابَاقِ » .

(٤) فِي « م » : : بِالصَّيْدِ « تَحْرِيفٌ .. وَسَمَّيْتُ أَسْمَاءَ مُلُوكِ هِنْدٍ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهَا ، وَهِيَ : قَيْدُهُ ، وَسَيْبٌ ، وَحَازِقٌ ، وَمَهْرِيقٌ ، وَأَخْرَسَجِيُّ ، وَوَاثِلٌ ، وَوَاطَابُ ، وَبُولِيسُ ، وَزَمِيرُبَهْرُ .

(٥) الْقَهَّارُ : الْفَجُورُ .. وَفِي « م » : : الْقَهَّارُ « تَحْرِيفٌ .

(٦) مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ « مُهْرِيقٌ » عَنْ « ط » : : وَسَاقَطٌ مِنْ « م » .

(٧) أَيْ : مَاتَ مِنْهُ « أَخْرَسَجِيُّ » وَهَكَذَا إِلَى نِهَاجَةِ الْفَقْرَةِ .

(٨) فِي « ط » : : « وَاطَابَاتِ » .

(٩) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : : « مُهْرِيقٌ » وَلَمْلَهُ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٠) تَسْتَمْطِي : تَمُدُّ يَدَيْهَا .

(١١) فِي « م » : : « يُشَبَّهُ » .

بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ ^(١) : الْغَيْثُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالرَّيْحُ ، وَالنَّارُ ،
وَالْأَرْضُ ، وَالْمَاءُ ، وَالْمَوْتُ .

فَأَمَّا شَيْئُهُ الْغَيْثُ فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ ، كَذَلِكَ
يَتَّبَعِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطَى جُنْدُهُ وَأَعْوَانُهُ فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ ^(٢) تَقْدِيرًا لِتِمَّةِ السَّنَةِ ،
فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَطَرِ ^(٣) بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ
مُشْرِقَةٍ ، وَغَائِطِ مُسْتَقِيلٍ ^(٤) ، وَيَقُومُ كُلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ ^(٥) ، ثُمَّ يَسْتَجِيبِي
الْمَلِكُ فِي الثَّمَانِيَةِ الْأَشْهُرِ حُقُوقَهُ مِنْ غَلَاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ ، كَمَا تُسَحَّنُ ^(٦) الشَّمْسُ
بِحَرِّهَا وَشِدَّةِ ^(٧) فِعْلِهَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ وَالْأَمْطَارِ فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ ^(٨) .

وَأَمَّا شَيْئُهُ الرِّيحُ ، فَإِنَّ ^(٩) الرِّيحَ لَطِيفَةَ الْمَدَاحِلِ ^(١٠) تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِدِ
حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ ، كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَّبَعِي أَنْ يَتَوَلَّجَ ^(١١) قُلُوبَ النَّاسِ بِجَوَاسِيهِ
وَعِيُونِهِ ، لَا يَخْتَفُونَ عَنْهُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتِمُرُونَ بِهِ فِي يُبُوتِهِمْ وَأَسْرَافِهِمْ ،
وَكَالْقَمَرِ إِذَا اسْتَهْلَ أَيَّامَهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ ، وَسَرَّ النَّاسُ بِضَوْوِهِ ^(١٢) .

(١) في (م) : « منها » لا تصح ، لأن الأشياء الثمانية ذُكرت كلها وليس بعضها .

(٢) في (ط) : « الأربعة أشهر » .. والأول أصح .

(٣) في (ط) : « بمنزلة » ، كما يسوى المطر .

(٤) غائط مُسْتَقِيلٍ ، أى : الأرض الجدياء ، أو الوادى المنقطع .

(٥) في (ط) : « بقدر حيوة » .

(٦) في (م) : « كما تُنحَى » .

(٧) في (م) : « وَجِلَّة » .

(٨) في (م) : « في الأربعة الأشهر والأمطار » .

(٩) في (م) : « لأن » .

(١٠) في (م) : « للدخل » .

(١١) في (م) : « يتولج على » أى : يدخل .

(١٢) في (م) : « بضوءه » تحريف .

يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ ^(١) ، وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ ، وَإِنْسَانِيَةِ رَعِيَّتِهِ بِبِشْرِهِ ^(٢) ، فَلَا يَخْصُ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بَعْدِلِهِ ، وَكَالْأَرْضِ فِي كَيْمَانِ السَّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْأَمَانَةِ ، وَكَالنَّارِ عَلَى أَهْلِ الدُّعَارَةِ ^(٣) وَالْقَسَادِ ، وَكَعَاقِبَةِ الْمَوْتِ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، يَكُونُ ثَوَابُهُ ، لَا يَقْصُرُ عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ ، وَلَا يَتَجَاوِزُهُ ، وَكَالْمَاءِ فِي لَبْنِهِ لِمَنْ لَا يَنْتَهُ وَهَدَمُهُ ، وَإِفْلَاحِهِ عَظِيمَ الشَّجَرِ لِمَنْ حَارَبَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَكْتَنِفُ السُّلْطَانَ ^(٤) مِنْ شِرَارِ النَّاسِ وَالْأَعْوَانِ ، عَلَى الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ ، مَنْ يُسْتَبَشَعُ وَيُسْتَكْرَهُ ، كَالْحَيَاتِ تَكْتَنِفُ بِالصَّنْدَلِ ^(٥) فَيَقْتُلُهَا الصَّنْدَلُ بِطِيبِ رَائِحَتِهِ وَبَرِّهِ وَيُتَبَسِّحُ ، وَيَتَنَفَّعُ الصَّنْدَلُ بِهَا ، إِذَا لَا يَقْرُبُ مِنْهُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَهُ .

لِيَكُنْ فِيكَ مَعَ تَلَطُّفِكَ تَشْدِيدُ الْبَلَاءِ ، فَلَا يَتَجَرَّأُ عَلَيْكَ ^(٦) ، فَإِنَّ الْقَمَرَ يُسْتَنَارُ بِضَوْوِهِ وَيُظْهِرُ لَهُ ، لَكِنَّ الشَّمْسَ يُسْتَظَلُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُسْتَكْنُ ^(٧) لَهَا ، وَقَدْ قَالَتْ الْعَرَبُ فِي مِثْلِ هَذَا : لَا تَكُنْ حُلُوا قَسْطَرُ ^(٨) ، وَلَا مُرَا قَلْفُظُ . اجْعَلْ لِكُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ أَعْدَائِكَ أَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَعْوَانِكَ يَسُوسُونَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ كَالْمَاءِ فِي الْأُذُنِ ، لَا حِيلَةَ فِي إِخْرَاجِهِ إِلَّا ^(٩) بِأَرْقَى مِنَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مِنْ جَنْبِهِ .

إِذَا عَادَيْتَ رَجُلًا فَلَا تُعَادِ جَنْسَهُ ^(١٠) ، وَاسْتَيْقِ مِنْ دُونِهِ أَحَدًا ، فَعَسَى تَنْتَفِعَ بِهِ ،

(١) « زينه » عن « ط » .

(٢) « في » م : « د بيشرها » تحريف .

(٣) « في » ط : « أهل الدُّعَارَةِ » بالذال المعجمة ، أى : الذين يُخيفون الناس ويُزعجونهم .

(٤) « أى » يحيط به .

(٥) « في » م : « د يكتنف الصندل » أى : تتخلده كسائر وملجأ لها .

(٦) « في » م : « د تشديدا فلا تجرأ عليك » . وقوله « تشديدا » بالنصب ، خطأ ، والصواب بالرفع ،

اسم « يكن » .

(٧) « في » ط : « د ويسكن » .

(٨) « في » م : « د لا يكن حلوا فاسترط » .. ومعنى « فاسترط » ، أى : تَبَلَّغَ بسهولة .

(٩) « إلا » عن « ط » .

(١٠) « في » م : « د إذا عادت رجلا فاسقا فلا تعاد كل جنسه » .

فَإِنَّ السَّيْفَ الْقَاتِلَ مِنْ جَنْسِ الدَّرْعِ الْوَاقِي ، وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي الْكَذُوبِ وَالْمَطْيُورِ عَلَى الشَّرِّ أَنْ تَعْطِفَهُمَا ^(١) بِالْإِحْسَانِ ، فَإِنَّهُمَا كَالْفَرْدِ ، كُلُّمَا سَمِنَ بِإِطْعَامِ الْحَلَاوَةِ وَالذُّسَمِ ، اِزْدَادَ وَجْهَهُ قُبْحًا .

فَقَدْ يَرُدُّ الْوَاحِدُ كَيْدَ الْجَمِيعِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا ، كَمَا يَرُدُّ الظِّلُّ ^(٢) حَرَّ شُعَاعِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ وَاقِيًا ^(٣) غَايَةً . أَرْمَى النَّاسُ أَنْ يَقْتُلَ بِسَهْمِهِ وَاحِدًا ، لَكِنْ رَمِيَتْ عَاقِلُ ذَهْنٍ ^(٤) تَقْتُلُ الْجَيْشَ بِأَسْرِهِ . وَالْمَلِكُ الشَّرِيفُ الْعَاقِلُ لَا يَتَّقِدُ فِيهِ قَذْحُ أَهْلِ الْبَغْيِ ^(٥) ، مَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَلَزِمَهُ كَانَ كَالْجَوْهَرِ ^(٦) الْمُضْيِئِ بِنُورِهِ ، لَا تُطْفِئُهُ عُصُوفُ الرِّيَّاحِ .

مِنْ كَانَ قَابِلًا لِمَا يُورَدُ عَلَيْهِ فِي إِصْغَائِهِ ^(٧) إِلَى كُلِّ قَوْلٍ يَسْمَعُهُ ، كَانَ كَالسَّرَاجِ ^(٨) يَجِبِلُ بِهِ كُلَّ رِيحٍ لَيْتَةٍ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ إِنْ عَصَفَتِ الرِّيَّاحُ أَنْ يُطْفَأَ . تَذِيرُ الْمَلِكِ الْحَاظِمِ فِي سُلْطَانِهِ ، كَتَمَاهِدِ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ بِسُتَانِهِ ، يُخْرِجُ نَاجِلَ ^(٩) عَيْدَانِهِ ، وَشَوْكَ شَجَرِهِ ، فَيَحِيطُ ^(١٠) بِهِ عَلَى ثَمَرِهِ وَزَرْعِهِ لِيَقِيَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، كَمَا يَنْتَحِبُ الْمَلِكُ أَهْلَ الشُّكِيمَةِ وَالشُّوَكَةِ فَيَجْعَلُهُمْ فِي أَقَاصِيهِ وَخُدُودِهِ رِدْعًا ^(١١)

(١) في م : : أن يستعطفه .

(٢) الظل ، عن ط : ولم ترد في م .

(٣) في م : : واقياً .

(٤) في م : : ذهن من : والذهن : الفهم والعقل .. ويوصف به قُتَال : فُلَانٌ ذَهْنٌ ، أى : ذكى قَظِين .

(٥) أى : لا يؤثر فيه عيب أهل البغي .. ول م : : لا ينفذ ، مكان : لا ينفذ .

(٦) في م : : فَمَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَلَازَمَهُ كَالْجَوْهَرِ .

(٧) في م : : ثقاته .. والأول هو المناسب للسياق .

(٨) في م : : كالزجاج ، وهو الزيت الذى يُوقَد به المصباح .

(٩) في م : : إِنَّ بُسْتَانَهُ يَخْرِجُ قَاحِلًا .

(١٠) في م : : فيحيط .

(١١) رِدْعًا : دَعْمًا وَقُوَّةً .

لِلْمَمْلَكَةِ . وَلَيَكُنِ الْمَلِكُ أُخَذَرُ مَا يَكُونُ آمَنُ مَا يَكُونُ . قُلْتُ : وَقَدْ صَدَقَ الشَّاعِرُ :

أَلَمِثْمُ رَبِّ الْمُنُونِ فَمِثْمُ قَلْبِ خَوْفِ مَكْمَنٍ فِي أَمَانٍ ^(١)

قَالَ : أَلَا تَرَى أَنَّ « بَهْرَشَانَ » الْمَلِكَ ، أُنَامَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى قِرَائِيهِ رَجُلًا ، فَلَمَّا رَأَتْ قِرَائَتَهُ وَتَبَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَتْهُ ، وَ « بَاسْرَاجَ » الْمَلِكِ قَتَلَتْهُ امْرَأَةٌ ^(٢) بِخَلْخَالٍ مَسْنُومٍ ، وَ « دُرُوفَ » الْمَلِكِ قَتَلَتْهُ امْرَأَتُهُ بِمُدْيَةٍ خَبَأَتْهَا فِي عِقَاصِهَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ عَلِمَ مِنْكَ مَوَاقِعَ الْغُرَةِ ^(٣) ، وَمَوَاضِعَ الْحَذَرِ وَحَالَاتِ الْأَمَنِ ، وَإِنَّمَا تَرَصُّدُهُ لَكَ ^(٤) فِي خَالَاتِ الْأَمَنِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي تَظُنُّ الْعَدُوَّ لَا يَكْمُنُ ^(٥) فِيهَا ، فَكُنْ أُخَذَرُ مَا تَكُونُ ^(٦) فِيهَا .

وَسَائِرُ حِكْمِ هَذَا الْبَابِ قَدْ قَدِّمْتُهَا فِي تَرَاجِمِ كِتَابِنَا هَذَا ^(٧) .

فصل

قَالَ غَيْرُهُ : لَا يَتَّبِعِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيَّامٌ مَعْلُومَةٌ يَظْهَرُ فِيهَا ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ خِصَالًا مَذْمُومَةً ، مِنْهَا : أَنَّهُ قَدْ يَعُوقُ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ مُسْمِكُ مُهِم ^(٨) ، أَوْ بَعْضُ

(١) البيت من الكامل .. ورب المنون : حوادث الدهر .. وفي م : « رب الزمان » قَرَّبَ خوف مَكْمَنٍ : في « ط » : « رَبُّ » .. والمَكْمَنُ : الكائِنُ فِيهِ وَلَا يُعْطَنُ لَهُ .. وفي م : « : : يمكن » .

(٢) « امرأة » عن « م » .

(٣) « مواقع الغُرَةِ » عن « م » . والمراد بها : أوقات القَتْلَةِ .

(٤) « لك » عن « ط » .

(٥) في « م » : « لا يمكن » .

(٦) في « ط » : « يكون » .

(٧) « هنا » عن « م » .

(٨) في « م » : « قد يعوق في ذلك اليوم شغل مهم » .. وفي « ط » : « مُسْمِكُ بِهِمْ » وكلاهما صواب .

كَسَلَ ^(١) ، أَوْ لَذَّةَ مُعْتَمَةٍ ، فَيَلْزِمُهُ الْخُرُوجَ عَلَى كُرْهِ . وَمِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا تَخَلَّفَ عَنْ ^(٢) الظُّهُورِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَمْرِ مَا ، تَطَارَلَتِ الْأَعْتَاقُ مِنَ الرِّعْيَةِ ، وَكَثُرَ كَلَامُهَا ، وَقَالُوا : مَرَضَ الْمَلِكُ ^(٣) ، أَوْ مَاتَ ، أَوْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ ، فَيَكْسِبُ الْعَدُوُّ جُرْأَةً وَسُرُورًا ، وَيَكْسِبُ الْوَلِيُّ حُزْنًا ^(٤) وَحَيْسًا . وَمِنْهَا : أَنَّهُ قَدْ يُرَاعَدُ ^(٥) عُلُوُّهُ لِيُزِمَ يَلْتَقِيَانِ فِيهِ ، فَلَا يَجْمُ لَهُ ذَلِكَ ^(٦) .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ كَثِيرَ التَّصَرُّفِ عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ ، وَغُبُثِ الرِّعْيَةِ ، وَعَنْ هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِذَا كَانَ الْجَمَلُ كَثِيرَ الْفَقْرِ ^(٧) كَانَ نَصِيبُ الذُّلِّ .

فصل

مِنْ تَوَادِدِ كَلَامِ الْعَرَبِ : مِنْ حِكْمِ ^(٨) أَنْتُمْ بَيْنَ صَنِيعِي ، وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ ، وَقَدْ عَلِقَ ^(٩) النَّاسُ عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً ، وَالْفَوَ فِيهَا ^(١٠) نَصَانِيفَ ، فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بِطَائِفَتِهِ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةٍ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مِنَ اخْتِاجٍ إِلَى

(١) فِي « م » : « بَعْضُ الْكَسَلِ » .

(٢) فِي « م » : « عَلَى » .

(٣) « الْمَلِكُ » عَنْ « م » .. وَبَعْدَهَا : « أَوْ مَاتَ » عَنْ « ط » .

(٤) فِي « م » : « عَوْفًا » .

(٥) فِي « م » : « وَاعْدَ » .

(٦) قَوْلُهُ : « فَلَا يَجْمُ لَهُ ذَلِكَ » عَنْ « ط » ، وَلَمْ يَرِدْ فِي « م » .

(٧) فِي « م » : « الْفَقْرُ » ، تَعْرِيفٌ .

(٨) فِي « م » : « مِنْ كَلَامٍ » .

(٩) عَلَّقَ : تَخَلَّمَ .

(١٠) فِي « م » : « فِيهِ » .

لَيْسَ . مَنْ لَمْ يَتَعَبَّرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَقْرَةٍ تُقَالُ ^(١) ، وَلَا كُلُّ قُرْصَةٍ تُتَال .
لَا وَفَاةٌ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ حَيَاءٌ . قَدْ يُشْهَرُ ^(٢) السَّلَاحُ فِي بَغْضِ الْمَزَاحِ . مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ
فَازَ بِالْحَمْدِ . الْمَوْتُ يَذُلُّو وَالْمَرَّةُ يُلْهَوُ . طُولُ الْقَضَبِ يُورِثُ الْقُوصَبَ . رَبُّ عِنَقِي
شَرٌّ مِنْ رِقِي . مَنْ اضْطَنَّعَ قَوْمًا اخْتَجَّ إِلَيْهِمْ يَوْمًا مَا ^(٣) . الْكَلْبُ بَهْتٌ ^(٤) وَالْحِلْفُ
مَقَتْ . مَنْ لَمْ يَكُفْ أَذَاهُ لَقِيَ مَاسَاةً ^(٥) . الْحُرُّ يَتَقَاضَى لَكَ مِنْ نَفْسِهِ ^(٦) وَاللَّيْمُ
يَسْتَحْسِنُ نُسُوبَهُ وَحَبْسَهُ ^(٧) . لَيْسَ بِإِنْسَانٍ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِخْوَانٌ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ
إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونُكَ . عَلَيْكَ بِالْمُجَامَلَةِ لِمَنْ لَا تُلُومُ لَهُ مُوَاصَلَةٌ .

فِي الْأَسْفَارِ يَتَلَوُ الْأَخْيَارُ ^(٨) . أَفْسَدَ كُلُّ حَسَبٍ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَدَبٌ . أَفْضَلُ الْفِعَالِ
صِيَاةُ الْغُرَضِ بِالنَّالِ . لَيْسَ مَنْ حَدَّثَ الْجَهْلُولَ بِذِي مَعْقُولٍ . لَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ
الرَّدِّ . مَنْ جَالَسَ الْجُهْلَالَ فَلَيْسَتْ لَهُ لِقِيلٌ وَقَالَ . مَا جَلَا عَنْكَ التَّسْيَانُ مِثْلُ التَّيَّانِ ، وَلَا نَفَى
عَنْكَ الْبُهْتَانُ مِثْلُ الْبِرْهَانِ . لَمْ يَنْجُ مِنَ الْمَوْتِ غَنَى لِمَالِهِ ، وَلَا قَبِيرٌ لِأَفْلَالِهِ . إِذَا
أَرَدْتَ طَرْدَ الْحُرِّ فَسِمُهُ ^(٩) الْهَوَانَ . كَرَّةُ الْعِلَالِي آتَى الْبُخْلِ . كَفَرَ التَّغْنَةُ لَوْمْ ،
وَصُغْبَةُ الْأَخْمَقِ شَوْمٌ . إِنْ مِنْ الْكَرَمِ لَيْنُ الشَّيْمِ .

إِيَّاكَ وَالْخُدَيْعَةَ ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ لَيْمٌ . أُنْحَضُ أَخَاكَ التَّصْبِيحَةَ ^(١٠) حَسَنَةً كَانَتْ
أَوْ قَبِيحَةً . رَبُّ سَبَابٍ قَدْ مَاجَهَ الْجَنَابَ . الصُّلُودُ ^(١١) آفَةُ الْمَقْتِ . سَبَبُ الْجُرْمَانِ

(١) لى : م : : تكررت هذه الجملة سهواً من النسخ .. ومضى فقال ، أى : تتجاوز وتضيق عنها .

(٢) يشهر : يمل من غمد وترفع .. ولى : م : : شهر .. والمزاح ، بضم الميم وكسرهما : التلصص والمزول .

(٣) ما : م : : ط .

(٤) البهت والبهتان : الكلب المتفردى .

(٥) لى : ما : : ساه .

(٦) لى : م : : لك نفسه .

(٧) لى : م : : وعبه ، لى : وعلاه .

(٨) لى : ط : : الاخيار .

(٩) سيم : أذلة : ولى : م : : قينة ، لى : قينة وذمة .

(١٠) أنحض أخاك الصبيحة : أعطها له ، وأصيفه فيها ، من الفعل الرباهى : أنحض .

(١١) الصلود : الإهراض .

التواني . مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْجَحِيمَ . كَيْسَ كُلِّ طَالِبٍ يُصِيبُ ، وَلَا كُلِّ غَائِبٍ يُقَوِّبُ . إِنَّ مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةَ الرَّادِ . مَنْ حَلَمَ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ اِزْدَادَ . لَا تَرْغَبْ بِيَمَنِ يَزْهَدُ فِيكَ . رَبُّ بَعِيدٌ ^(١) أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . الْمَرْاحُ يُورِثُ الضَّعَائِنَ ^(٢) . مَثَلُ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ . غُثُّكَ ^(٣) خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ ، مَنْ أَجَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْمَقِيلَ ^(٤) . اسْتَرِ عَوْرَةَ أَخِيكَ لِمَا يَعْلَمُ ^(٥) فِيكَ . لَا تُكْثِرْ مِنَ الْمَرْاحِ فَتَذْهَبَ هَيْبَتُكَ ، وَلَا مِنَ الضَّحِكِ فَيَسْتَحْفَ بِكَ . مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عَرَفَ بِهِ . كَفَى بِالْحِلْمِ نَاصِرًا . الْيَمْنَةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ . نِعَمَ الشَّيْءِ الْهَدِيَّةُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَاجَةِ . رَبُّمَا نَصَحَ غَيْرَ النَّاصِحِ ، وَرَبُّمَا غَشَى النَّاصِحَ ^(٦) . الْكَلَامُ فِيمَا يَنْفَعُكَ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ ، وَالسُّكُوتُ عَمَّا يَضُرُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ . لَا يَغُرُّكَ مِنْ جَاهِلٍ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارٌ وَلَا إِلْفٌ ، فَإِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ ^(٧) مِنَ النَّارِ قُرْبًا ، أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا لَهَا .

أَرْفُضُ أَهْلَ الدُّنَاءَةِ تَلْزَمُكَ الْمَهَابَةُ . دَغْ مُجَالَسَةُ أَهْلِ الرَّيْبِ ^(٨) عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ يَسَلَّمَ دِينُكَ لَمْ تَسَلَمْ مِنْ سُوءِ الْمَقَالِ . الْكَرَمُ شُكْرُ الْبَلَاءِ ، وَاللُّؤْمُ كُفْرُ النِّعْمَةِ . أَكْرَمُ الصَّنَائِعِ سَلَامَةُ الصُّدُورِ . لَنْ تَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَسَلَّمُوا مِنْكَ . مَنْ عَدِمَ الْإِيمَانَ لَمْ تَزِدْهُ الرِّوَايَةُ فِقْهًا . الْحُزْنُ ^(٩) مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ ، وَمَقْطَعَةٌ لِلْحِيلَةِ . كَثْرَةُ النَّوْمِ إِمَانَةٌ لِلْقَلْبِ ^(١٠) . شِدَّةُ الْحَزَنِ تَذُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْيَقِينِ . مُحَادَاثَةُ الْحَقْمَقَى

(١) في د م : : رَبُّ أَمْرٍ بَعِيدٌ .

(٢) المراح يورث الضعائن عن د ط و وساقطة من د م هـ .

(٣) الفث : النحيف .

(٤) المقييل : موضع القيلولة ، وهو وقت الاستراحة في نصف النهار .

(٥) في د م : : لِمَا يَعْلَمُ بِهِ .

(٦) في د ط : : الْمَنْصَحُ .

(٧) في د ط : : تَكُونُ في الموضحين .

(٨) الرَّيْبُ : جمع ريبة ، وهي : الظن ، والشك ، والتهمة .

(٩) في د م : : الْجَلْدُ .

(١٠) في د م : : أَمَانَةُ الْقَلْبِ .

وَالسَّمْهَاءِ ثُورٌ ^(١) سُوءُ الْخُلُقِ . الدَّلِيلُ عَلَى الْحَقِّ لِعَجَابِ الْمَرْءِ بِعَقْلِهِ . مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الْحَدِيثَ فَارْفَعَ عَنْهُ مُؤْتَهُ . مَنْ حَدَّثَ مَنْ لَا يَفْقَهُ كَمَنْ قَدَّمَ مَائِدَةً لِأَهْلِ الْقُبُورِ . مَنْ قَطَعَ عَلَيْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تُحَدِّثْهُ ، فَلَيْسَ بِصَاحِبِ أَدَبٍ .

مَنْ عُرِفَ بِالصَّدْقِ جَازَ كَذِبُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يُقْبَلْ ^(٢) صِدْقُهُ . مَنْ وَصَلَ ^(٣) مَنْ يَحْسُدُهُ قَوَى عَدُوَّهُ ، وَقَصَرَ بِنَفْسِهِ . اغْتَفِرَ زَلَّةَ صَدِيقِكَ . مَنْ غَضِبَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ^(٤) رَضِيَ مِنْ لَا شَيْءٍ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ طَالَ حُزْنُهُ . الرَّجُلُ عَبْدٌ هَوَاهُ . لَوْلَا جَهْلُ الْجَاهِلِ مَا عُرِفَ عَقْلُ الْعَاقِلِ . مَنْ خَافَ رَبَّهُ كَفَ ظُلْمُهُ . كَسَلَ الْفَقِيرِ هَلَاكُهُ . شُحُّ الْعَيْتِيِّ فَضِيحَتُهُ . مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي كَلَامِهِ أَظْهَرَ فُجُورَهُ . كُلُّ شَيْءٍ لَا يُوَافِقُ الْأَحْمَقَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَوَابٌ .

إِذَا عَلَبَتْكَ أَمْرُئُكَ فَجَاهِدْهَا ، فَإِنَّهَا عَدُوُّكَ . مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَالْحَقُّهُ بِالْبَهَائِمِ . مَنْ طَلَبَ مَا عِنْدَ الْبَخِيلِ مَاتَ جُوعًا . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَمُجَاوِرِ ^(٥) الْبَحْرِ ، لَا يَخَافُ الْعَطَشَ ، وَجَارُ الْبَخِيلِ فِي الْمَفَازَةِ هَالِكٌ . إِذَا لَمْ تَنْتَفِعْ بِمُصَادَقَةِ الْأَحْيَاءِ فَاتِ أَهْلَ الْقُبُورِ . مَنْ عَادَى مَنْ فَوْقَهُ أَبْغَضَهُ مَنْ تَحْتَهُ .

الرِّزْقُ مَقْسُومٌ ، وَالْحَرِيصُ ^(٦) مَخْرُومٌ . مَنْ كَثَرَ كَلَامُهُ عَلَى الْمَائِدَةِ غَشَّ بَطْنُهُ ^(٧) وَأَبْغَضَهُ أَصْحَابُهُ . الْعِلْمُ زَيْنٌ وَمَنْفَعَةٌ ، وَالْجَهْلُ شَيْنٌ وَمَضَرَّةٌ . الْجَاهِلُ يَسْتَطْعِمُ الشَّرَّ ، وَالْعَاقِلُ يَمْتَنِعُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّرِّ ^(٨) ، مَنْ لَمْ يَرْتَحِلْ لِلشَّيْءِ فَلَيْسَ لَهُ

(١) في م : : تدل على مكان ثورث .

(٢) في م : : لم يقبل .

(٣) وصل : أحسن إليه .

(٤) في م : : من شيء .

(٥) في م : : كمجاورة .

(٦) في م : : والحرص .

(٧) في م : : غش نفسه .

(٨) في م : : من السوء .

نَصِيبٌ فِي الْمُرُوءَةِ . إِذَا كَانَ لَكَ جَارٌ أَوْ صَدِيقٌ لَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فَصَوِّرْ مِثْلَهُ فِي الْحَاطِطِ ، فَإِنَّهُ أَزِينٌ لِلْحَاطِطِ وَأَخَفٌ لِلْمُؤْنَةِ ^(١) . الْعَاقِلُ يَرْغَبُ فِي الْأَدَبِ ، وَالْجَاهِلُ يَهْرُبُ مِنْهُ . الْعَاقِلُ إِذَا فَاتَهُ الْأَدَبُ لَزِمَ ^(٢) الصَّنِيعَ . لَا تَسْتَنْطِقُ مَنْ تُكَذِّبُهُ . الْعَاقِلُ يَتَّهَمُ رَأْيَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَالْجَاهِلُ يُقِيمُ عَلَى جَهْلِهِ . مَنْ لَمْ يَمْلِكْ ^(٣) عَقْلَهُ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ . مَنْ أَظْهَرَ مَحَاسِنَهُ وَدَفَنَ مَسَاوِيَهُ كَمَلَ عَقْلُهُ . مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَقْلُهُ انْقَضَعَ .

مَنْ اسْتَشَارَهُ عَدُوُّهُ فِي صَدِيقِهِ أَمَرَهُ ^(٤) بِقَطْعِيَّتِهِ . مُصَادَقَةُ الْكَرَامِ غَيْمَةٌ ، وَمُصَادَقَةُ اللُّغَامِ نَدَامَةٌ . لَا تُدْخِلْ عَلَى صَدِيقِكَ التُّهْمَةَ ^(٥) فَيَرْجِعَ لَكَ عَنِ النَّصِيحَةِ . إِذَا انْقَطَعَ رَجَاؤُكَ عَنْ صَدِيقِكَ فَالْحَقِّقْ بِعَدُوِّكَ . مَنْ طَلَبَ مَرْضَاةَ الْإِخْوَانِ بِغَيْرِ شَيْءٍ فَلْيَصَادِقْ أَهْلَ الْقُبُورِ . الْعَاقِلُ لَيْسَ فِي مُصَادَقَتِهِ مُخَادَعَةٌ . رَأْسُ مَالِ الْأَحْمَقِ الْخَدِيعَةُ ، وَقَائِدَتُهُ ^(٦) الْغَضَبُ ، وَالْحَلِيمُ رَأْسُ مَالِهِ الصَّنِيعُ ^(٧) وَقَائِدَتُهُ الْحِلْمُ . إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ الْأَحْمَقُ فَالْبَسْ لَهُ سِلَاحَ الرِّفْقِ وَاللُّطْفِ . صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّ كُلِّ امْرِئٍ حُمْقُهُ .

مَنْ أَتَوَّلَ نَفْسَهُ عَاقِلًا أَتَوَّلَهُ النَّاسُ جَاهِلًا . مَنْ قَنَعَ بِكَذِبِ النَّسَاءِ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ رَفَاعَتَهُ ^(٨) . السُّكُوتُ عَنْ الْأَحْمَقِ جَوَابُهُ . السُّكُوتُ يَزِينُ ^(٩) الْأَحْمَقَ ، وَالْكَلَامُ

(١) من قوله : : إذا كان لك جار : إلى هنا عن ط : وساقط من م : .

(٢) في م : : لَزِمَهُ .

(٣) في ط : : يَمْلِكُ .

(٤) في ط : : أَمَرُ .

(٥) التُّهْمَةُ ، بِسُكُونِ الْمَاءِ وَضَعُهَا : الْإِتِّهَامُ .

(٦) في ط : : وَقَائِدَتُهَا .

(٧) في م : : الْغَضَبُ ، تَحْرِيفٌ .

(٨) الرِّفَاعَةُ : الْحِمَاةُ وَضَعُفُ الْعَقْلِ .. وفي م : : رَفَاعَتُهُ ، تَحْرِيفٌ .

(٩) يَزِينُ : يُجَمِّلُ وَيُحَسِّنُ .. وفي م : : زَيْنٌ .

يُخَيِّئُهُ . مَنْ اسْتَطَالَ عَلَيْكَ بِمَلَبَسِهِ ، وَتَحَلَّى بِفَضْلِهِ ، فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ .
 الْجَوَادُ مُحَبَّبٌ ، وَالْبَخِيلُ مُبْغَضٌ . إِذَا حَمَلْتَ الْبَخِيلَ مُؤَنَّةً ^(١) أَهْدَى لَكَ الْجِرْمَانَ
 وَالْعَدَاوَةَ . الْبَخِيلُ يَمْتَنِعُ مَا عِنْدَهُ ، وَيَتَخَلَّى عَلَى الْجَوَادِ بِجُودِهِ . مَنْ طَلَبَ مِنَ الْبَخِيلِ
 حَاجَةً فَهُوَ شَرُّ مِنْهُ . مَنْ بَدَّلَ لِبَخِيلٍ صِلَقَهُ ، وَرَفَعَ عَنْهُ مُؤَنَّتَهُ ^(٢) ذَامَتْ لَهُ مَوَدَّتُهُ .
 ضَيْفُ الْبَخِيلِ آمِنٌ مِنَ التَّحَنُّةِ . مَنْ طَلَبَ ^(٣) مِنْ لَيْمٍ حَاجَةً كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ
 فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ ^(٤) تَقْدٌ ، وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْكَرِيمُ يُوَسِّى إِخْوَانَهُ
 فِي ذَوَلِيهِ ، وَاللَّيْمُ يَقْطَعُهُمْ . لَا تَخْضَعُ لِلَّيْمِ فَإِنَّهُ لَا يُعْطِيكَ . إِنَّمَا الصَّدِيقُ الَّذِي
 يَتَذَلُّ ^(٥) لَكَ مَالَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَنَفْسَهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَيَحْفَظُكَ عِنْدَ الْمَغِيبِ ، وَيَنْفَعُكَ
 عِنْدَ الرَّجَاءِ .

إِذَا صَادَقْتَ الْوَزِيرَ فَلَا تَحْشَ الْأَمِيرَ . مَنْ لَمْ يَنْصَحْكَ فِي الصَّدَاقَةِ فَعَادِهِ . مَنْ
 غَشَّكَ فِي الْعَدَاوَةِ فَلَا تَلُمَّهُ . مَنْ كَانَ النَّاسُ عِنْدَهُ سَوَاءً لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْدِقَاءُ . مَنْ
 صَادَقَ الْإِخْوَانَ بِالْمَكْرِ كَأَقْوَمُ بِالْقَدْرِ . مَنْ لَمْ يُوَسِّرِ الْإِخْوَانَ فِي ذَوَلِيهِ ، لَحِلَّ عِنْدَ
 مَأْمِيهِ . إِيَّاكَ أَنْ تَبْغِيَ مَوَدَّةً ^(٦) مَنْ يَحْسُدُكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ إِخَاءَكَ . مَنْ حَسَدَكَ عَلَى
 عِلْمٍ لَكَ لَمْ يَسْتَمِيعْ حَدِيثَكَ . الْحَاسِدُ يَفْرَحُ بِزَلَّتِكَ ، وَيَعِيبُ صَوَابَكَ . إِذَا رَأَيْتَ
 مَنْ يَحْسُدُكَ وَيَسُرُّكَ أَنْ تَسَلَّمَ مِنْهُ فَعَمَّ عَلَيْهِ أُمُورُكَ . مَنْ صَبَرَ عَلَى مَوَدَّةِ الْكَاذِبِ
 فَهُوَ مِثْلُهُ . كُلُّ ^(٧) شَيْءٍ شَيْءٍ ، وَمَوَدَّةُ الْكَاذِبِ لَا شَيْءَ . مَنْ بَدَّلَكَ بِجَهْلِهِ فَكَافَاهُ
 بِجَهْلِكَ تَعَمَّهُ ^(٨) . أَوَّلُ الْمَرْوَةِ طَلَاقُ الْوَجْهِ ، وَالثَّانِيَةُ التَّوَدُّدُ ، وَالثَّالِثَةُ الْفَصَاحَةُ .

(١) ل م : مؤنة ، وهما بمعنى واحد .

(٢) ل م : صلته ، مكررة .

(٣) ل م : كرر التناسخ - سهواً - قوله : من طلب ، .

(٤) جلة الكريم : وعده .

(٥) ل م : يتذلل .

(٦) ل م : مودة .

(٧) ل ط : وكل .

(٨) ل م : يحلمك عنه .

الْفَاجِرُ لَا يُبَالِي مَا قَالَ . وَالْوَرَعُ يَتَعَاهَدُ كَلَامَهُ . مَنْ شَغَلَ مَشْغُولًا فَقَدْ أَظْهَرَ نِقْلَهُ .
مَنْ صَبَرَ عَلَى شُغْلٍ سَوِيٍّ فَقَدْ نَظَرَ إِلَى سُخْنَةٍ عِنْدِهِ ^(١) . مَنْ لَمْ يَغْلِبِ الْحُزْنَ بِالصَّبْرِ
طَالَ غَمُّهُ .

مَنْ اسْتَطَالَ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ فَلْيَصْبِرْ عَلَى الدُّلِّ وَالْهَوَانِ . لَا تُخْفِرِ الْفَقِيرَ
السَّرِيُّ ^(٢) ، وَلَا تُرْغَبْ فِي الْعَنَى الدُّنْيَى . مَنْ تَشَبَّهَ بِالسَّرَاةِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ^(٣) الدُّنَاءَةُ
فَلَا تُكْرِمُهُ . مَنْ أَغْضَبَتْهُ أُلْكُرَتْهُ . مَنْ أَغْنَيْتَهُ أُعْطِفَتْهُ . مَنْ تَعَرَّضَ لِصَاحِبِ الدُّوَلَةِ انْقَلَبَ
بِهَزِيمَةٍ . مَنْ صَانَعَ بِمَالِهِ لَمْ يَخْتَشِمْ مِنْ طَلَبِ حَاجَتِهِ ^(٤) . مَنْ صَاحَبَ الْكُتَّابَ
مُلُوءَهُ ^(٥) ، وَمَنْ عَادَاهُمْ أُلْكُرُوا . مَنْ شَمَخَ عَلَيْكَ بِأَنْفِهِ ، وَطَمَحَ ^(٦) بِبَصَرِهِ ، وَلَمْ
يَدْخُلْ عَلَيْكَ فَضْلُهُ ، فَلْيَهِنْ عَلَيْكَ سَلْبُهُ ^(٧) . السَّفِيهَ يَقْطَعُ مَوَدَّةَ لَمْ تَزَلْ ، وَيَكْتَسِبُ
عِدَاوَةَ لَمْ تُكُنْ . حَمَلُ الْمُرُوَّةِ ثِقِيلٌ ^(٨) . مَنْ سَأَلَ النَّاسَ غَنِمَ . خِذْلَانُ الْجَارِ لُؤْمٌ ،
وَرِجَالُ الْبَلَاءِ قَلِيلٌ . احْفَظْ إِخْوَانَكَ تِذْلُ أَعْدَائِكَ . مَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ عَلَى مَا لَا بُدَّ
لَكَ مِنْهُ . الْمَحْرُومُ مَنْ سَأَلَ نَصَبَهُ ^(٩) وَكَانَ لِفَقِيرِهِ تَشَبُّهُ . لَا قُوَى أَقْوَى مِنْ

(١) سُلْطَنُهُ عَنْهُ : عَدَمُ قُوَّتِهَا ، وَهِيَ كِتَابَةٌ عَنْ فَقْدِ الرِّضَا وَالسُّرُورِ .

(٢) الْفَقِيرُ السَّرِيُّ : الشَّرِيفُ .

(٣) فِي « م » : « وَهَانَتْ عَلَيْهِ » .. وَالسَّرَاةُ : جَمْعُ سَرِيٍّ ، وَهُوَ جَمْعُ عَزِيزٍ لَا يَكَادُ يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ ، لِأَنَّهُ
لَا يَجْتَمِعُ « قَبِيلٌ » عَلَى « قَوْلَةٍ » .

(٤) لَمْ يَخْتَشِمْ : لَمْ يَجْعَلْ .. وَ « مِنْ طَلَبِ حَاجَتِهِ » عَنْ « ط » ، وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٥) فِي « م » : « مَوْلُوءُهُ » ، أَيْ : قَدَّمُوا لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَنَحْوِهِ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « وَمِنْ هَمِغٍ عَلَيْهِمْ بِأَنْفِهِ وَطَمَحَ » وَهَمَّ النَّاسِخُ أَنَّهَا عَطَفَتْ عَلَى سَابِقَتِهَا
وَهَمِغَ بِأَنْفِهِ : تَكَبَّرَ .. وَطَمَحَ بِبَصَرِهِ : رَفَعَهُ وَخَدَّقَ .

(٧) فِي « م » : « فَضِيكَ عَفْلَهُنَّ عَلَيْكَ سَبْلُهُ » هَكَذَا .. وَمَا جَاءَ فِي « ط » هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْمِيقَانِ .. وَالسَّلْبُ :
مَا يُسَلَّبُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : أَنْ تَسْقُطَ مِنْ عَيْنِكَ .

(٨) مِنْ قَوْلِهِ : « السَّفِيهَ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » وَاسْقَاطُ مِنْ « م » .

(٩) نَصَبُهُ : تَعَبُهُ وَجَهْدُهُ .. وَتَشَبُّهُ : مَالُهُ .

قَوَى ^(١) عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا عَاجِزَ أُعْجِزُ مِمَّنْ عَجَزَ عَنْهَا . الْخَيْرُ فِي أَهْلِهِ غَرِيبٌ .
مَا أَضْعَفَ قُوَّةَ مَنْ يُغَالِبُ مَنْ لَا يُغْلَبُ !

* * *

(١) فِي « م » : « مِنْ قَوَى » .

البَابُ الرَّابِعُ وَالسُّتُونَ

مُسْتَعْمَلٌ عَلَى حِكْمٍ مَثْوُورَةٍ

اعْلَمَ أَيُّهَا الْمُرِيدُ ^(١) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْتَحِنُ أُنْبِيََاءَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ بِأَعْدَائِهِ ، وَيَضْطَرُّ أَوْلِيَاءَهُ وَأَحِبَّاءَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ رِفْعَةً وَتَغْرِيبًا لِأَنْبِيَائِهِ ، وَتَمْجِيسًا لِهَفَوَاتِ أَوْلِيَائِهِ ، وَذُخْرًا لَهُمْ عِنْدَهُ ، وَزُلْفَى لَدَيْهِ وَتَعْظِيمًا ^(٢) لَأَقْدَارِهِمْ ، وَكُشْرِبًا لِمَنَازِلِهِمْ ، وَتَرْفِيعًا لِدَرَجَاتِهِمْ . قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَعَزُّيَةً لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِعَظِيمِ مَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْ سَطَوَاتِ أَعْدَائِهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٤) . يَا مُحَمَّدُ ، لَا تَسْتَوْجِشْ مِنَّا وَلَا تَتَّهِمْنَا فِي سِيرَتِنَا فِيمَنْ نُحِبُّهُ وَيُحِبُّنَا ، فَالْبَلَاءُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا كُفْرَارَةٌ لِلذَّنْبِ ^(٥) ، وَالْآخَرُ رَفْعُ

(١) في ١ م : ١ : أيا الملك .

(٢) في ١ ط : ١ : تعظيماً ، بدون الواو .. والزُّلْفَى : القُرْبَى والمَثْوُورَةُ .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية ١١٢ .

(٤) سورة الفرقان ، من الآية ٣١ .

(٥) في ١ ط : ١ : أحدهما للذنب .

دَرَجَةٍ ^(١) وَتَوَفِيرُ أَجْرِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْتَلُ فَلَا أَمْتَلُ ، فَالْبَلَاءُ بِلَا آيَ : بِلَاءٌ رَحْمَةً لِتَضْعِيفِ دَرَجَةٍ ، وَتَمْنِيحِصِ سَيِّئَةٍ ، وَتُلَوِّغِ فَضِيلَةٍ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَةٍ ، وَبِلَاءٌ عَقُوبَةٍ ، لَا لِنَيْهَاكِ حُرْمَةٍ وَاقْتِرَافِ مَعْصِيَةٍ . لَنْ تَحُلُوَ الْمَكَارِهِ أَنْ تُكَوْنَ لِحَادِثِ رَحْمَةٍ ، فَلَا رَغْبَةَ عَمَّا أُنْعَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْهَا ، أَوْ لِسَيِّئَةٍ عَنْ ^(٢) إِضَاعَةٍ ، فَلَا غِنَى عَنْ زَاجِرِ عَنْهَا ، فَلَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ حُلُولُهَا عَظُمَتْ بِهِ الْعِثَّةُ ، وَوَجَبَتْ لِلَّهِ بِهِ النُّعْمَةُ .

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذَا وَقَعَ فِي شَيْءٍ يَكْرَهُهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَذًى ، وَلَا تَجْعَلْهُ غَضَبًا . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ لَقُيِّضَ ^(٤) اللَّهُ لَهُ مِنْ يُؤْذِيهِ » .

يَأْمَنُ ضَاقَ صَدْرُهُ ، وَخَرَجَ ^(٥) قَلْبُهُ ، وَسَاءَ حُلُقُهُ مِنْ عَدُوِّ أَقْلَقَهُ ، وَحَاسِدِ حَسَدَهُ ، طَبَّ نَفْسًا ، وَفَرَّ عَيْنًا ، وَأُنْعَمَ عَيْشًا بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ لَكَ بِالْإِيمَانِ ، وَلِعَدْوِكَ ^(٦) بِالْتَّفَاقِي ، بَخٍ بَخٍ إِنْ عَقَلْتَهَا ! أَمَا لَكَ ^(٧) فِي الْأَنْبِيَاءِ أُسْوَةٌ ؟ أَمَا لَكَ فِي الصَّالِحِينَ قُلُودٌ ؟ فَلَوْ لَمْ تَلَقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ^(٨) مِنْ الْحَسَنَاتِ إِلَّا بِمَا اقْتَرَفَاهُ

(١) في م : : درجات .

(٢) في م : : عند .

(٣) هو : الإمام جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ، الملقب بالصَّادِق .. سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية .. وُلِدَ فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٨٠ هـ ، وَكَانَ مِنْ أَجْلَاءِ الطَّاهِرِينَ ، وَلَهُ مَنْزِلَةٌ وَفِيَّةٌ فِي الْعِلْمِ .. وَأَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الْإِمَامَانِ : أَبُو حَنِيفَةَ ، وَمَالِكٌ .. وَكَانَ جَرِيئًا عَلَى مُخْلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، صَدَّاعًا بِالْحَقِّ ، وَتَوَلَّى بِالْمَدِينَةِ ، وَدُفِنَ بِالْبُقْعَةِ سَنَةَ ١٤٨ هـ ، وَلَهُ رِسَالَتٌ بِمَجْمُوعَةٍ وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي كَشْفِ الظُّنُونِ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٦ ، وحقية الأولياء ج ٣ ص ١٩٢ - ٢٠٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨] .

(٤) في م : : لَقِيطٌ ، لَفَةً فِي الْقَيْضِ : أَيْ : قَلَّرَ وَهَيَّأَ وَأَتَّاحَ .

(٥) خَرَجَ : ضَاقَ .

(٦) في ط : : وَعَدْوِكَ .. وَيَغْرِبُ بَخٍ ، تُقَالُ مَكْرَرَةً عِنْدَ الرِّضَا وَالْإِعْجَابِ بِالشَّيْءِ ، أَوْ لِلدَّخِ أَوْ الْفَخْرِ .

(٧) لَكَ : عَنْ ط .

(٨) في م : : وَاللَّهُ تَعَالَى .

اخْتِيَارًا ، لَلَّيْمِنَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَرَاءَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، ثُقَلَاءَ مِنَ السَّيِّئَاتِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
قَدْ يَتَّبِعُ اللَّهُ بِالْبُلُوِّ وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَلَيَّ اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ

قَالَ (١) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الَّذِي رَأَيْنَا مِمَّا نُحِبُّ فِيمَا نَكْرَهُ أَكْثَرُ مِمَّا رَأَيْنَا مِمَّا
نُحِبُّ فِيمَا نُحِبُّ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أَهْمَنُكَ
بَعْدَهُ حَتَّى أَصْلَى رَكَعَتَيْنِ . السُّجُونُ قُبُورُ الْأَحْيَاءِ ، وَشَمَائَةُ الْأَعْدَاءِ ، وَتَجْرِبَةُ
الْأَصْدِقَاءِ ، وَاسْتَعْدُ النَّاسُ مَنْ كَانَ الْقَضَاءُ لَهُ مُسَاعِدًا ، وَكَانَ لِمُسَاعَدَتِهِ أَهْلًا . غَلَبَ
عَلَى الْكَرِيمِ مَنْ بَدَرَ (٢) إِلَيْهِ الشَّمَائَةُ . لَوْمْ عَرَّاهُ النَّاسُ عِدَّةَ لِحَوَاصِهِمْ . مَجِئُهُ
الْقَدَرِ يَسْبِقُ الْحَذَرَ . مَنْ سَجَرَ مِنْ شَيْءٍ حَاقَ بِهِ (٣) . مَنْ غَبَّرَ بِشَيْءٍ ابْتُلِيَ بِهِ (٤) .
الْحُلُقُ نَهْبُ الْمَصَائِبِ . مُذَاكِرَةُ الرُّجَالِ تُلْقِيحٌ لِأَلْبَابِهَا . أَقْلُ مَا فِي طَلَبِ الْحِيلَةِ
الْخُرُوجُ مِنَ الْاسْتِكَانَةِ . جَانِي الْعُقُوبَةِ عَلَى نَفْسِهِ أَعْظَمُ جَرْمًا عَلَيْهَا مِنَ الْمُعَاقِبِ لَهُ
عَلَيْهَا . قَرَابَةُ بَعْضٍ مُنْفَعَةٌ بِلَيَّةٍ عَظِيمَةٍ .

النَّعْمَةُ مُتَعَةٌ (٥) . كَفَالَكُ أَدَبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ . الْحَمِيَّةُ شَوْبُوبُ
الْجَهْلِ (٦) . الْأَنَفَةُ قِرَاطُ السَّفِيهِ (٧) . قُلْ أَنَفٌ لَمْ يُعْقِبْ ذُلًّا . الْعَادَةُ (٨) كَمِينٌ
لَا يُؤْمَنُ . مِنْ أَزْدَحَامِ (٩) الْكَلَامِ مَضَلَّةُ الصَّوَابِ . عَجَلُوا الْقِرَى قَبْلَ سُوءِ الظَّنِّ
وَالْحَاقِ السَّيِّئَةِ . أُعْجِبْ مَا فِي هَذَا الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ ، وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَضْدَادُ
مِنْ خِلَافِهَا ، فَإِنْ سَنَّعَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْجِرْصُ ،

(١) فِي د م : : : : : وَقَالَ .

(٢) يَدْرُ : أَبْدَى ، وَأَسْرَعَ .

(٣) حَاقَ بِهِ : أَصَابَهُ وَأَحَاطَ بِهِ .

(٤) فِي د م : : : : : يُبْلَى بِهِ .

(٥) فِي د م : : : : : مُنْفَعَةٌ .

(٦) الْحَمِيَّةُ : الْأَنَفَةُ .. وَشَوْبُوبُ الْجَهْلِ : شَيْئُهُ .

(٧) فِي ط : : : : : السَّعَةِ .

(٨) فِي ط : : : : : الْعَادَةِ .

(٩) فِي د م : : : : : لَا يُؤْمَنُ أَزْدَحَامُ .

وَأَنَّ مَلَكُهُ الْيَأْسُ ^(١) قَلَّةُ الْأَسْفُ ، وَأَنَّ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ ^(٢) ، وَأَنَّ اسْتَعْدَّ بِالرِّضَا ^(٣) نَسِيَ التَّحْفِظَ . وَأَنَّ تَالَةَ الْخَوْفِ شَعْلَةُ الْحَذَرِ ، وَأَنَّ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَبْتَنَتْهُ الْغِرَّةُ ^(٤) ، وَأَنَّ حَدَّثَتْ لَهُ نِعْمَةٌ ^(٥) أَخَذَتْهُ الْغِرَّةُ ، وَأَنَّ امْتَحَنَ بِمُصِيبَةٍ فَضَحَهُ الْجَزَعُ ، وَأَنَّ أَفَادَ مَالًا أَطْفَاهُ الْغِنَى ، وَأَنَّ عَضَّتْهُ فَاقَةُ شَعْلَةٍ ^(٦) الْبَلَاءُ ، وَأَنَّ أَجْهَدَهُ ^(٧) الْجُوعُ فَقَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ ، وَأَنَّ أَقْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَطْتُهُ الْبُطْنَةُ ^(٨) ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

أَفْضَلُ الْقَوْلِ بَدِيهَةٌ أَمْرِيَّةٌ وَرَدَّتْ فِي مَقَامِ خَوْفٍ . أَشَدُّ النَّاسِ عَمَّا الَّذِي يَرَى غَيْرُهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ^(٩) أَوَّلًا . مَا أَخَذَ اللَّهُ طَاقَةَ أَحَدٍ إِلَّا رَفَعَ عَنْهُ طَاعَتَهُ . مِنَ الْعَجَبِ أَنْ لَا تَرْضَى عَمَّنِ ابْتَنَى رِضَاكَ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَسْخَطَ عَلَيْهِ . زَيْبُ الْأَسَدِ يُشَبِّهُ صَوْلَتَهُ . عَلَامَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ ^(١٠) بِالْإِعْرَاضِ عِنْدَ الْمُنَادَاهِ . لَا تُعَادُوا ^(١١) حَتَّى تَرَوْا . لَا تَفْخَرُوا حَتَّى تَفْعَلُوا . لَا تَأْتَفُوا حَتَّى تُظَلَمُوا . أَوْجُهُ الشُّفَاعَةِ ^(١٢) بَرَاءَةُ السَّاجَةِ . مَنْ لَزِمَ الصَّحَّةَ وَالْإِسْتِقَامَةَ لَزِمَتْهُ الْغِبْطَةُ وَالسَّلَامَةُ . قِصَصُ الْأَوَّلِينَ مَوَاعِظُ الْآخِرِينَ . الْبَحْثُ يُوضِّحُ الْحَقَّ كَمَا يُورِي النَّارَ الْقَدْحُ . لَيْسَ مَعَ الْحَسَدِ سُرُورٌ ، وَلَا مَعَ الْجِرْصِ رَاحَةٌ ، وَلَا مَعَ السُّخْطِ غِنَاءٌ .

(١) في م : : الناس « تحريف .

(٢) في م : : اشتد بالغيظ .

(٣) في م : : الرضى .

(٤) في م : : الأرض « مكان « الأمن .. و « الغيرة « مكان « الغيرة .

(٥) في م : : فإن حدث له النعمة .

(٦) في ط : : أشغله « والفاقة : الحاجة والفقر .

(٧) في م : : أجهد به .

(٨) كَطَطْتُهُ : البطنة : ضاقت به بسبب الامتلاء الشديد من الطعام .

(٩) في م : : به .

(١٠) في م : : العلم « مكررة .. والمناداة : الزجر ، والطرود بالصباح .

(١١) في م : : لا تفاروا ، والأول أوجه .

(١٢) في ط : : الشفعاء .

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) : عَجِبْتُ لِمَنْ يُلَى بِأَرْبَعِ كَيْفَ يَفْعَلُ عَنْ أَرْبَعِ : لِمَنْ ابْتُلِيَ بِالضَّرِّ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ مَسَّنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٢) وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَاغْفِرْنَا لِيَوْمِ مِنْ ضَرٍّ ﴾ ^(٣) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُلَى بِالْغَمِّ كَيْفَ ^(٤) يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) .

وَعَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ شَيْئًا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٧) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ مُكِرَ بِهِ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ وَالْفَوْضُ أُمِرَ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ^(٨) ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ قَوْلَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ ^(٩) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ أُتِمَّ عَلَيْهِ ^(١٠) يَنْعَمَ خَافَ زَوَالَهَا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ^(١١) . كَذَا سَنَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١٢) فِيمَنْ صَدَّقَ فِي النِّجَاحِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَقْوَلْ فِي مُهِمَّاتِهِ إِلَّا عَلَيْهِ .

(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ م .

(٢) سورة الأنبياء ، من الآية ٨٣ .

(٣) السورة السابقة ، من الآية ٨٤ .

(٤) في م : ﴿ ابْتُلِيَ بِالْغَمِّ أَنْ .. ﴾ .

(٥) سورة الأنبياء ، من الآية ٨٧ .

(٦) الآية ٨٨ من سورة الأنبياء .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية ١٧٤ .

(٨) سورة غافر ، من الآية ٤٤ .

(٩) السورة السابقة ، من الآية ٤٥ .

(١٠) في م : ﴿ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ وبهذا : « طاف » مكان « خاف » تحريف من الناسخ .

(١١) سورة الكهف ، من الآية ٣٩ .

(١٢) في م : ﴿ اللَّهُ تَعَالَى ﴾ .

الْيَمِينُ مَائِمَةٌ أَوْ مَدْمَةٌ ^(١) . أَلَذُّ الْمَوَارِدِ مَنْجَاةٌ مِنْ مَثَلْفَةٍ ، أَوْ قُدُومٌ غَائِبٌ بَعْدَ أَنْ جَاءَتْ بِالْيَأْسِ مِنْهُ الرُّكَايِبُ ، وَأَشْرُّ الْمَصَادِرِ ظَفَرٌ عَلَى قُنُوطٍ . الطَّبِيعَةُ مُخَالَفَةٌ لِلْمُرُوءَةِ ، فَاصْبِرْ لِحَقٍّ وَجَبَ عَلَيْكَ وَإِنْ خَالَفَ هَوَاكَ . ^(٢) بِهِاءُ ^(٣) الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ بِالرَّجُلِ الْفَاضِلِ . الْيَقِينُ رَاحَةٌ وَرَوْحٌ . الْعَمَلُ ^(٤) الثَّابِتُ بِالرَّجُلِ الْمُدَبِّرِ كِبَهَاءِ الْيَاقُوتِ وَاللُّوْلُؤِ فِي تَيْجَانِ الْمُلُوكِ . مَا أَلْوَرَّ الْهُدَى ! مَا أَظْلَمَ الْعَمَى ! مَا أَكْرَمَ التَّقَى ! مَا أَخْدَعَ الْهَوَى ! مَا أَسْرَعَ الْبَلَا ! مَا أَجْلَدَ ^(٥) الصَّبَا !

الْجُودُ أَنْ يَهْضِمَ الرُّوحَ حَظُّ الْجَسَدِ ، وَالْإِسْرَافُ أَنْ يَهْضِمَ الْجَسَدَ حَظُّ الرُّوحِ ، وَالْعَدْلُ أَنْ يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَظَّهُ ، وَالشُّعُ أَنْ تُكْفَّ حُظُوظُهُمَا عَنْهُمَا . عَدُوٌّ يَخَافُ اللَّهَ فِيمَا تَكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ لَا يَخَافُهُ فِيمَا تُحِبُّ . مِنَ الْعَجَبِ أَنْ تُطْلَبَ فِي صِحَّةٍ كُلُّ عِلْمٍ مَا يَنْفَعُنَا ^(٦) ، وَتُكِلَ الْعِلْمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ عَنْ صِحَّتِهِ . لَا يَزِعُكَ الْبَاطِلُ مِمَّا تُرْمَى بِهِ ، وَلَكِنْ اخْذَرْ أَنْ يَصْدَعَكَ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَشْهَدَ عَلَيْكَ عَيْنَاكَ وَوَجْهَكَ .

مَنْ بَطَلَ ثَنَاؤُهُ ^(٧) بَطَلَ مَنَحُهُ . الرَّاعِبُ فَقِيرٌ بِقَدْرِ رَغْبَتِهِ . الْحَقُّ يُعْطَى وَيُمْنَعُ . تَجَاوَزَ عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ لِحُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَاجْتَنَبَ الذُّنُوبَ لِثِقَلِ حُجَّتِهِمْ عَلَيْكَ . الْفَرَاغُ الْفَاضِلُ عَنِ الْحَمَامِ مَفْسَدَةٌ . الْحَمِيَّةُ إِحْدَى الْعِلَّتَيْنِ . الْفَرَقُ ^(٨) يَنْسِي الْحُجَّةَ .. حَابِ الْعِلْيَةِ ^(٩) فِي كَلَامِكَ ، وَسَوْ يَبْتَئُهُمْ وَيَبْنَ السُّفْلَةُ فِي أَحْكَامِكَ . مَوْتُ فِي عِزٍّ

(١) في م : : مَائِمَةٌ أَوْ مَدْمَةٌ : أي : ندامة .

(٢) بهاء : عن ط : .

(٣) في م : : العلم : .

(٤) في م : : ما أجهل : .

(٥) في م : : ما يقنعنا : .

(٦) في ط : : رشاهة : .. وبطل : ذهب .

(٧) الفرق : شدة الخوف .

(٨) في م : : و ط : : حاي : لانصح .. فعل أمر مبني على حذف حرف العلة .. أي :

جاملهم .. والعيلة : أشراف القوم .

خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذَلِكَ . الْإِسْتِغْنَاءُ مِنْ كُلِّ نَمَطٍ مُتَبَاعِضُونَ ^(١) . مَا ضَاعَ امْرُؤٌ عَرَفَ
 نَدْرَ نَفْسِهِ . الدَّخَةُ ^(٢) الْهَيْئَةُ تُكُونُ بَعْدَ الْبِقَضَاءِ الْعَمَلِ . لَنْ يُفَارِقَ الْخَيْرَ صَاحِبُهُ حَتَّى
 يُفَارِقَهُ . خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ وَعَفَا عَنْ قُلْدَرَةٍ . الْحَاسِدُ يُظْهِرُ وَدَّهَ فِي كَلَامِهِ
 وَبُغْضَهُ فِي أَعْمَالِهِ ، فَاسْمُ الصَّدِيقِ ^(٣) وَمَعْنَى الْعَدُوِّ . الرَّيَاءُ ^(٤) يُفْسِدُ الْعَلَانِيَةَ ،
 وَالْعُجْبُ يُفْسِدُ عَمَلَ السَّيِّئَةِ . إِذَا كَثُرَتِ الْقُلْدَرَةُ قَلَّتِ الشُّهُورَةُ . مَنْ عَرَفَ قُلْدَرَهُ كَفَاكَ
 نَفْسَهُ . كَفَى بِالظَّالِمِ شَرِيحًا لِلْمَذْنِبِ إِلَى الْحَلِيمِ . لِسَانُ الْجَاهِلِ ذَلِيلٌ خَفِيهِ . لَا ظَفَرَ
 مَعَ بَنِي ، وَلَا صِيحَّةٌ مَعَ نَهَمٍ ، وَلَا قَنَاءٌ ^(٥) مَعَ كِبَرٍ ، وَلَا صَدَاقَةٌ مَعَ يَحِبٍّ ^(٦) .
 مَنْ يَعْرِفَ قُلْدَرَهُ فَاحْذَرِ نَفْسَكَ . أَحَقُّ مَا رُدَّ مَا خَالَفَ شَهَادَةَ الْعَقْلِ .

قَطَعَ ظَهْرِي وَأَفْسَدَ الدِّينَ رَجُلَانِ : جَاهِلٌ تَامِيكٌ ، وَعَالِمٌ فَاجِرٌ ، هَذَا يَدْعُو النَّاسَ
 إِلَى جَهَنَّمَ بِنُسْكِهِ ^(٧) ، وَهَذَا يَتَفَرَّ النَّاسَ عَنْ عِلْمِهِ بِفُسْكَهِ . مَنْ قَوَّى هَوَاهُ ضَعُفَ
 حَزْمُهُ . مَنْ ظَهَرَ ^(٨) غَيْظُهُ قَلَّ كَيْدُهُ . كَفَى بِالظَّالِمِ طَارِدًا لِلنِّعْمَةِ ^(٩) وَدَاعِيًا لِلنُّعْمَةِ .
 مَنْ قَبِلَ صِدْقَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مَرْوَعَتَهُ ^(١٠) . الْهَيْئَةُ تُفْقَأُ عَيْنَ الْحَكِيمِ . عَفْوُ الرَّأْيِ خَيْرٌ
 مِنْ اسْتِحْكَارِهِ ^(١١) الْفِكْرِ . مَا اسْتَيْطَعَ الصَّبْرُابُ بِبَيْتِ الْمُسَاوَرَةِ ، وَلَا خُصَصَتِ النِّعْمَةُ

(١) في د م : : جَاهِلُونَ ، أَيْ : يَمْنَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ .

(٢) الدَّخَةُ : الرَّاحَةُ وَخَفْظُ الْعِشْرِ .

(٣) أَيْ : لَهُ اسْمُ الصَّدِيقِ .

(٤) في د م : : : فَالْريَاءُ .

(٥) في د م : : : وَلَا بَقَاءَ .

(٦) في د م : : : دَخِيْتُ .

(٧) أَيْ : يَهْزُمُوهُ وَيُهْزِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

(٨) في د م : : : ظَهَرَ عَلَيْهِ .

(٩) في د ط : : : لِلنِّعْمَةِ ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَنْسَبُ لِلْسِّيَاقِ .. وَبَعْضُهَا فِي د م : : : وَدَافِعًا ، مَكَانَ « وَدَاعِيًا » ،

(أو تحريف .

(١٠) في د م : : : مَرْوَعَتَهُ .

(١١) في د م : : : اسْتَحْكَادَهُ .

بِمِثْلِ الْمَوَاسِقَةِ ^(١) . مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ حَمِدَ اللَّهَ فَقَدْ فَخَرَ ^(٢) .
 مَا اكْتَسَبَتِ الْبُغْضَاءُ ^(٣) بِمِثْلِ الْكَبِيرِ . مَنْ اسْتَعْنَى بِاللَّهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ . التَّفْصِيرُ
 يُخْلِجُ عَنِ الصَّوَابِ . الْإِفْرَاطُ يُقْهِمُكَ فِي الْخَطَا . ثَلَاثُ إِحْصَالٍ مَا اجْتَمَعْنَ إِلَّا فِي
 كَرِيمٍ : حُسْنُ الْمَحْضَرِ ، وَاحْتِمَالُ الزُّلَّةِ ، وَقَلَّةُ الْمَلَالَةِ . كَفَى ^(٤) مُخْبِرًا عَمَّا يَقَى
 مَاضِي ، وَكَفَى عِوَا لِنَوَى الْأَلْبَابِ مَا جَرُّوا .

التَّهَؤُنُ بِالْمَطْلُوبِ أَوَّلُ أَسْبَابِ حِرْمَانِهِ . الشُّبُهَةُ ^(٥) ظَلَمَةٌ . لَنْ يُضَيِّعَ امْتَرُ
 صَوَابٌ ^(٦) الْقَوْلَ حَتَّى يُضَيِّعَ صَوَابَ الْعَمَلِ . خَيْرُ الْأُمُورِ مَا سُرَّ عَاجِلُهُ وَحَسُنَتْ
 عَاقِبَتُهُ . لَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ آدَبٍ ، وَلَا بَرٌّ مَعَ شُعٍ ، وَلَا اجْتِنَابُ مُحَرَّمٍ مَعَ جِرْصٍ ،
 وَلَا مَحَبَّةٌ مَعَ زُهْوٍ . بِإِجَالَةِ الْفِكْرِ يُسْتَخْرَجُ الرَّأْيُ الْمُصِيبُ ، وَبِحُسْنِ التَّائِي تُلْزَكُ
 الْمَطْلَبُ ، وَبِالْتَّفَنَةِ يَكْثُرُ الْمُتَوَاصِلُونَ ^(٧) . الْفَاجِئَةُ عَارُ الْأَبِيدِ وَعُقُوبَةُ عَدِ . الشَّمَاةُ
 تَغْفِبُ النَّدَامَةَ . مَنْ سَخِرَ ابْتَلَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ
 كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ ^(٨) .

إِذَا فَقِدَ الْمُتَفَضِّلُونَ هَلَكَ الْمُتَجَمِّلُونَ . رَبُّ صِبْيَانَةٍ غُرِسَتْ مِنْ لَحْظَةٍ ، وَخَرِبَ
 بُحَيْنَتْ مِنْ لَفْظَةٍ . مَا شَاهَدَ عَلَى غَائِبٍ بِأَدَلٍّ مِنْ طَرَفٍ عَلَى قَلْبٍ . شَرُّ الْمَالِ مَا
 لَا يَنْفَقُ مِنْهُ . أَفْضَلُ الْمَالِ مَا صِينَ بِهِ الْعِرْضُ ، وَبِالْإِفْضَالِ تَشْرَفُ الْأَقْدَارُ . الَّذِي
 يَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ نَفْسِهِ أَذَلُّ مِمَّنْ يُفْسِدُهُ عَدُوُّهُ أَوْ ذَهْرُهُ . لَا تَعْلُدَنَّ وَدَيْعَةً مَالًا . الشَّهْوَةُ
 رِقٌّ . الْحَرِيصُ كَلْبٌ . يُعَبِّرُ عَلَى الْإِنْسَانِ اللِّسَانُ ، وَعَلَى الْمَوَدَّةِ الْعَيْنَانِ . لَا شَرَفَ

(١) من قوله : « استبط الصواب » إلى هنا من « م » .. وعصمت : أغويت وزيئت .

(٢) فخر : عظم وقُضِلَ .

(٣) في « ط » : « ما اكتسب بمثل » ، وسقطت « البغضاء » .

(٤) في « ط » : « وكفى » .

(٥) في « م » : « الشبهة » .

(٦) في « م » : « أمر وصواب » .

(٧) التفتة : الإنصاف .. والمتواصلون : الذين يصل بعضهم بعضاً .

(٨) سورة هود من الآية ٣٨ .

أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا كَرَمَ أَعْلَى مِنَ الثَّقَوَى ، وَلَا شَفِيعَ أَعْتَى ^(١) مِنَ التَّوْبَةِ .
أُولَى النَّاسِ بِأَمْرِ مَنْ حَافِظَ عَلَيْهِ . الْخَيْرُ مَوْضُوعٌ لِمَنْ أَرَادَهُ ، مَوْفُورٌ لِمَنْ عَمِلَ
بِهِ ^(٢)

الرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ الطَّلَبِ ، وَمَعْيِطَةُ الْحَسَرَةِ . الْحِرْصُ دَاعٍ إِلَى الْجِرْمَانِ . التَّنْفُلُ
بِالْحَسَنَةِ يَنْفِي السَّيِّئَةَ . الْمُكَافَأَةُ بِالسَّيِّئَةِ دُخُولٌ فِيهَا . الْبُعْثُ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ ^(٣) .
إِصْلَاحُ الرَّعِيَةِ أَنْفَعُ ^(٤) مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ . حَقُّ الْمَذْمُومِ الثَّانِيَةُ ، وَحَقُّ الْمَرْحُومِ
الْمَعُونَةُ . مِنَ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ إِظْهَارُ الْفَرَحِ عِنْدَ الْمَحْزُونِ . الْمَحْزُونُ يَحْقِدُ عَلَى
الْفَرَحِ وَيَشْكُرُ لِلْمُكْتَسِبِ . مِنْ ظَلٍ ^(٥) السَّلَامَةِ تِدْبُ أَفَاعِي الْأَقَاتِ . أَعْظَمُ النَّاسِ
قَدْرًا مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ قَدْرًا . مَا أَحْدَثَ مُحَدِّثٌ بِدَعَاةٍ إِلَّا تَرَكَ بِهَا ^(٦) سُنَّةً .
عَزَائِمُ الْأُمُورِ خِيَارُهَا ، وَمُحَدَّثَاتُهَا شِرَارُهَا . الْمَلِكُ يَكْتَسِبُ مِنْ إِنْفَاقِهِ ، وَالْعَامَّةُ تَنْفِقُ
مِنْ تَكْسِبِهَا ^(٧) . مَنْ أَقْنَى عُمُرَهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ مَخَافَةَ الْعَدَمِ ^(٨) فَقَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ
لِلْعَدَمِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يَنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَمْعِ الْفَضَائِلِ فَلْتَكُنْ فَضَائِلُهُ تَرَكَ الرِّذَائِلِ . إِذَا لَمْ تَكُنْ مِلْحًا
تُصْلِحُ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا تُفْسِدُ . اسْتِصْلَاحُ بَعْضِ الْعَدُوِّ أَفْضَلُ مِنْ إِهْلَاقِهِ ^(٩) . مِنْ
سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ وَيَرَى فِي عَدُوِّهِ مَا يَسُرُّهُ . خَيْرُ الْكُتُبِ مَا إِذَا أَعَادَ قَارِئُهُ
النَّظَرَ فِيهِ زَادَ حُسْنُهُ ، أَوْ وَقَفَ عَلَى خَيْرِهِ . أَثْقَلُ الْأَحْمَالِ مَنْ اتَّسَعَتْ مَرْوَعَتُهُ وَقَلَّتْ

(١) أَعْتَى : أَظْهَرَ وَأَمَّ .

(٢) فِي (ط) : « عَمِلَ اللَّهُ » .

(٣) الْحَيْنُ : الْمَلَكَ .

(٤) فِي (م) : « أَلْفَدَّ » .

(٥) فِي (م) : « مِنْ طَلَبٍ » .

(٦) فِي (م) : « بِهِ » غَرِيفٌ .

(٧) فِي (م) : « كَسَبَهَا » .

(٨) الْقَم ، يَفْتَحُ الدَّالَ الْمُهْمَلَةَ وَسُكُونَهَا : الْفَقْرُ .

(٩) فِي (م) : « هَلَكَ » .

مَقْدِرُهُ . اسْتَحْ (١) مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْ عَقْلِكَ ، وَأُطِيعُهُ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ ، وَخَفْهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ (٢) ، وَاعْصِهِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَى النَّارِ ، وَاعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِقَدْرِ بَقَائِكَ فِيهَا ، وَاعْمَلْ لِلْآخِرَةِ بِقَدْرِ مُقَامِكَ (٣) فِيهَا .

الْمَلِكُ يَنْفَعُ لِيَكْتَسِبَ ، وَالْعَامَّةُ تَكْتَسِبُ لِيَتَفَقَّ . الطَّاعَةُ بِقَدْرِ الْفَاقَةِ . يَفْحَشُ زَوَالُ النِّعَمِ (٤) إِذَا زَالَ مَعَهَا التَّجَمُّلُ . أَوَّلَى الْأُمُورِ بِكَ أَوْجِبُهَا عَلَيْكَ . الدُّنْيَا الْعَاقِبَةُ ، وَالشَّبَابُ الصَّحَّةُ . إِذَا أَقْبَلَ الْأَمْرُ أُسِيرَ بِهِ ، وَإِذَا أَذْبَرَ صَرَخَ (٥) . إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ مَلَكَ قُلُوبَ الرِّعِيَةِ ، وَإِذَا جَارَ لَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّيَاءَ وَالتَّصَنُّعَ . الصَّدَقَةُ مِنْ سَعَةٍ ، وَابْتِدَاءُ بِمَنْ تَعُولُ . إِذَا أَضْرَبَتِ التَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ ، ثَرَكَتِ التَّوَافِلُ وَقُدِّمَتِ الْفَرَائِضُ . قَدَّرَ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ ، وَصَدَقَتْهُ عَلَى قَدْرِ مَرْوَعَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنْفَتِهِ ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ .

مَنْ أَطَاعَ الْوَاسِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ ، وَمَنْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ حَظًّا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ رَوَّحَ قَلْبِهِ (٦) . شَرُّ مَالِكَ مَا لَزِمَكَ إِثْمٌ مُكْتَسَبُهُ (٧) وَحُرْمَتُ مَنْفَعَةِ إِنْفَاقِهِ . رَبُّ مَعْبُوطٍ بِبَلِيلَةٍ قَامَتْ بِوَأَكِيهِ فِي آخِرِهَا . لَا تَرْجُ خَيْرَ مَنْ لَا يَرْجُو خَيْرَكَ ، وَلَا تَأْمَنْ جَانِبَ مَنْ لَا يَأْمَنْ جَانِبَكَ . تَارِكُ الطَّلَبِ ضَجْرًا (٨) أَرْجَى لِلْعَوْدَةِ مِنْ تَارِكِهِ خَوْرًا (٩) . ثَمَرَاتُ الشَّهَوَاتِ الْمَحْزَايِ . الْحُصُومَةُ تُمْرِضُ الْقَلْبَ . أَعْمُ الْأَشْيَاءِ نَفْعًا فَقْدُ الْأَشْرَارِ . مَنْ

(١) في « م » و « ط » : « استحي » .

(٢) قوله : « وَخَفْهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ » عن « ط » و « م » من « م » .

(٣) في « م » : « د بقائك » .

(٤) يَفْحَشُ زوال النعم : تجاوز حُدُودها .

(٥) صَرَخَ : انكشف وظهر .. وفي « م » : « يشبه » مكان « أمير به » .

(٦) رَوَّحَ قَلْبَهُ : أَرَاخَهُ .. وفي « م » : « رَوَّحَ عَنْ قَلْبِهِ » .

(٧) في « م » : « مالمالك إثم » أي : لم يفارقك .

(٨) ضَجْرًا : ضيقًا وتعبًا .

(٩) في « م » : « أرجى لعوده » وخورًا : ضعفًا وانكسارًا .

اسْتَكْفَى الْكُفَاةَ كُفَى الْأَعْدَاءَ . خَيْرَ مَالِكَ مَا أَغْنَاكَ . وَخَيْرَ مِنْهُ مَا وَقَاكَ . صَوْلَةُ الْكَرِيمِ صَبَلَمَ ^(١) . ذَنْبُ أَسَدٍ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِ كَلْبٍ . بِجَهَنَّمَ الْعِيرُ يُفْدَى خَافِرُ الْفَرَسِ . مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ خَفَّتْ وَطْأَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ . إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ . مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ تَعَزَّزَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ . كَمَا يَجِبُ أَنْ تُكُونَ الْبِرَّةَ أَضْوَأَ مِنَ النَّاطِرِ فِيهَا ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَدَّبُ أَفْضَلَ ^(٢) مِنْ يُوَدَّبُ .

مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِمَا يَنْبَغِي عُومِلَ ^(٣) بِمَا لَا يَنْبَغِي . لَيْسَ فِي الشَّرِّ أُنُوءَةٌ ، وَلَا فِي الْخَطِئِ قُلُوءَةٌ . لَنْ تُكُونَ لِلَّهِ نَاصِحًا حَتَّى تُحِبَّ عَدُوَّكَ ^(٤) إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ فِي عَدَاوَتِكَ عَلَى عَدَاوَتِهِ ، وَتَقْلَعَ عَمَّا عَادَاكَ عَلَيْهِ ، وَتَبَيَّضَ وَلِيُّكَ إِذَا عَصَى اللَّهُ فِي مُوَالَاةِكَ ، وَتَنَزَّعَ عَمَّا وَالَاكَ عَلَيْهِ . لَا تُكُنْ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ . الشَّقِيُّ مَنْ جَمَعَ لِغَيْرِهِ ، وَضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ . شَرُّ ^(٥) أَخْلَاقِ الْكَرِيمِ أَنْ يَمْنَعَ خَيْرَهُ . مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ رَأْسَ مَالِهِ كَانَتْ الدُّنْيَا رِجْلَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا رَأْسَ مَالِهِ كَانَتْ الْآخِرَةُ خَسَارَتَهُ . أَفْضَلُ الْعِلْمِ ^(٦) وَقُوفُ الرَّجُلِ عِنْدَ عَلَيْهِ . أَفْضَلُ الْمَالِ مَا قُضِيَتْ بِهِ الْحُقُوقُ . الْبِدْعُ فِخَاخٌ ^(٧) مَحْبُوءَةٌ قَدْ عُلِّقَتْ عَلَيْهَا الْفَاطُ ظَاهِرَةٌ . رِضَاءُ ^(٨) الْعَامَّةِ أُمْنِيَّةٌ عَلَى ضَلَالَةٍ ^(٩) ، وَرِضَاءُ الْخَاصَّةِ يَقِينٌ عَلَى نِقَةٍ . الْقَلِيلُ مِنَ الْمَلِكِ كَالْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ . عَطَاءُ الْمُلُوكِ زِينَةٌ ، وَسُؤَالُهُمْ شَرَفٌ ^(١٠) .

(١) صَبَلَمَ : أَيْ تَسَاوَيْلُ مَا تُصِيبُ .. وَفِي « ط » : « سَلِيمَةٌ » .

(٢) فِي « م » : « خَيْرٌ مِنْ يُوَدَّبُ » وَالصَّوَابُ : « خَيْرًا » بِالنَّصْبِ .

(٣) فِي « م » : « عَمِلَ » .

(٤) فِي « م » : « غَيْرِكَ » .

(٥) فِي « م » : « مَنْ » مَكَانَ « شَرِّ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي « م » : « أَفْضَلُ الْعُلُومِ » .

(٧) فِخَاخٌ : مُصَاتَلَةٌ .

(٨) فِي « ط » : « رِجَاءٌ » مَكَانَ « رِضَاءٍ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ .

(٩) فِي « م » : « عَلَى غَيْرِ ثِقَةٍ » .

(١٠) فِي « م » : « عَطَاءُ الْمَلِكِ زِينَةٌ ، وَسُؤَالُهُ شَرَفٌ » .

وَفِي الْأَمْثَالِ : جَاوَزَ بَحْرًا أَوْ مَلِكًا . إِذَا كَذَبَ السَّيْفِيرُ بَطَلَ التَّدْبِيرُ . أُخِثَ الْأُزْمِنَةُ زَمَنٌ لَا يَتَمَيَّزُ فِيهِ الصَّوَابُ . لَا تُعْطُوا فِي الْفُضُولِ مَا يَخْفَتُمُ الْعَجَزُ عَنِ الْحُقُوقِ ^(١) . الْآذَانُ أَقْمَاعٌ تُؤَدِّي ^(٢) ، وَالْقُلُوبُ قَوَابِلُ نَعْيٍ . مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَمَّى ذَاهِيًا ^(٣) لَمْ يُظْهِرْ ذَهَاءَهُ . لَا دَلِيلَ أَهْدَى مِنَ التَّوْفِيقِ . الْجَلَاءُ الْبَلَاءُ . مَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلتَّهْمِ فَلَا يَلُومَنَّ ^(٤) مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . الْحِفْظُ قَيْدُ الْعِلْمِ . الْمُدَارَسَةُ ^(٥) إِذْكَاءٌ لِلْفَهْمِ . الْمُقَاسِمَةُ إِحْيَاءُ الْفِطَنِ ^(٦) . اسْتَدِمَ النُّعْمَةَ بِالشُّكْرِ ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ . وَالطَّاعَةَ بِالتَّائِلِ ^(٧) ، وَالتَّصَرُّ بِالتَّوَصُّلِ لِلَّهِ وَالرَّحْمَةَ لِلْخَلْقِ . اسْتِفْلَالُ الْكَيْبَرِ تُعْرَضُ لِلتَّغْيِيرِ .

ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تُدُلُّ عَلَى عَقُولِ أَرْبَابِهَا : الْكِتَابُ يُدُلُّ عَلَى عَقْلِ كَاتِبِهِ ، وَالرَّسُولُ يُدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُرْسِلِهِ ، وَالْهَدْيَةُ تُدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُهْدِيهَا / لَمْ يَحْكَمْ عَلَى الْعُقُولِ حَاكِمٌ كَالْعَبْرِ ، وَلَمْ يُحْكَمْهَا مُحْكِمٌ كَالْتَجْرِيةِ . مَنْ غَابَ سِفْلَةً فَقَدْ رَفَعَهُ ^(٨) ، وَمَنْ غَابَ سَيْدًا فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ ^(٩) . أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُؤْتَمَنَ ^(١٠) عَلَى الدُّنْيَا أَهْلُ الْآخِرَةِ . صَحَّ مِنْ صَحَّتْ سَرَائِرُهُ ، وَسَقَمَ ^(١١) مَنْ سَقَمَتْ ظَوَاهِرُهُ . بِالْكَلامِ يُعْرَفُ فَضْلُ

(١) في م : : العقوق ، تحريف .

(٢) أقماع تؤدى : آلات تسمع وتعى .. ويقال : وتل لأقماع القوم ، أى : الذين يسمعون ولا يفهمون .

(٣) ذاهياً : بصوراً بالأمور .

(٤) في م : : فلا يكون ممن ، تحريف .

(٥) المُدَارَسَةُ : القراءة والمذاكرة .

(٦) المقايسة : القدرة على التقدير ، من قاس الشيء قياساً ومقايسة : إذا قنَّره .. والْفِطْنُ : جمع فِطْنَةٍ ، وهى : الجِدْقُ والمهارة .

(٧) في م : : بالتأليف .

(٨) الرفعة : الشرف ، وارتفاع القلر والمنزلة .

(٩) وَضَعَ نَفْسَهُ : أَذْلَهَا .

(١٠) في ط : : أَنْ يُؤْتَمَنَ .

(١١) سَقَمَ : طَالَ مَرَضُهُ .

العقل، كما بالرسول يعرف قدر المرسل. ملاك أموركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزيتكم الأدب، وحسن أغراضكم الحلم. إذا أعطيت مالا ترضى فارض بما أعطيت. كلما ازداد الخير كثرة، كان الخارج منه أشد حسرة، وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الوقعة ^(١). الإبقاء على العمل أشد من العمل.

من التوقى ترك الإفراط في التوقى ^(٢)، وتوريت الحرمة والذمام سنة في المروءة ^(٣)، كما أن وراثة التركة فريضة في الدنيا. لا تمدحن امرأ بأكثر من قدره فتكون مهينا لتفسيك، كذابا على غيرك. لا تفرحن بسقطعة غيرك ^(٤)، فإنك لا تدري متى يخذلها الزمان بك. من الجفاء الكلام في الأمر الجسيم من غير مشاوره. أكثر الناس مخادعة لتفسيه في أمر جسده عند الحمية، وفي أمر مروءته عند الشهوة، وفي أمر دينه عند الشبهة. المصائب بغات ^(٥). العاقل المذبر أرجى من الأحمق المقتيل.

أشرف الصنائع ^(٦) ما لم يكن مكافأة لِمَاضٍ، ولا رجاء لِبَاقٍ. أرض الظفر ثم كافئه، وأنس الملهى ^(٧) ثم استمع منه. لم تكن غواية ولا هداية ^(٨) إلا واليهما سابق وعنهما ناكس ^(٩). إحسانك إلى الحر يحرضه على المكافأة، وإحسانك إلى

(١) وجبة الوقعة: ثوب السقطعة ولزومها.

(٢) في م : : : الترقى بالراء.

(٣) في م : : : تورث الحرمة، والذمام سنة في المودة .. والحرمة: ما لا يحل انتهاكه من ذممة أو صنعة .. والذمام: المهد والأمان والحق.

(٤) في ط : : : بسقطعة عدوك.

(٥) قوله: المصائب بغتات عن ط : : : وبغيات، أي: مفاجيء الإنسان على غير توقع.

(٦) الصنائع: ما صنع من خير، والأفعال الحسنة.

(٧) الملهى: للشغول.

(٨) في م : : : هداية ولا غواية.

(٩) السابق: القائد .. والناكس: التراجع والمُتخجم.

الْحَسِيسِ يَتَعَثُّ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ . لَيْسَ يُنْتَحَنُ الْأَدِيبُ بِأَنْ يَكُونَ قَاعِيًا لِلْخَيْرِ ،
إِنَّمَا يُنْتَحَنُ بِأَنْ يَكُونَ تَارِكًا لِلشَّرِّ . مَنْ صَنَعَ مَعَكَ خَيْرًا فَأَضْعِفْهُ لَهُ ، وَإِلَّا فَلَا تُعْجِزْ
أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ . الْأَشْرَارُ يَقْبَعُونَ مَسَاوِيءَ النَّاسِ ^(١) وَيَقُولُونَ عَنْ مَحَاسِنِهِمْ ، كَمَا
يَتَّبِعُ الذَّبَابُ الْمَوَاضِعَ النَّعْلَةَ ^(٢) مِنَ الْجَسَدِ وَيَدْعُ صَحِيحَهُ .

الظُّرْفُ ^(٣) فِطْنَةٌ مَارَجَتْهَا عِبَادَةٌ ، مَعَ حَذَرٍ وَتَوَقُّ ، فَإِذَا خَلَّتِ الْفِطْنَةُ مِنَ التَّوَقُّ
فَصَاحِبُهَا لَا يَسْتَمْتِعُ بِهِ أَهْلُ الْمُرُوءَةِ ، وَإِذَا خَلَّتِ الْفِطْنَةُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَقَارَتْهَا فَصَاحِبُهَا
فَصَاحِبُهَا غَيْرُ طَلِبٍ ^(٤) . الظُّرْفُ ^(٥) الْأَلْفَاظُ الَّتِي يَرْتَفِعُ عَنْهَا أَهْلُ الْجَلَالَةِ مِنَ
الْمُحْلِصِينَ فِي بَاطِنِ الدُّنْيَا ، وَالْمُتَرَفِّينَ فِي ظَاهِرِ الْحَالِ . وَسَمِعْتُ الْقَاضِي أَبَا الْعَبَّاسِ
الْجُرْجَانِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِالْبَصَرَةِ يَقُولُ : أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اتَّبَعَ بِسَارِقٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْرَقْتَ ؟ قُلْ : لَا . فَقَالَ الرَّجُلُ :
لَا . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَطَرِيفٌ .

جَهْدُ الْبَلَاءِ ^(٦) الْإِفْقَالُ وَالْعِيَالُ . يَتَّبِعِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَتَطَامَنَ لِلْجَاهِلِ ^(٧) يَقْدِرُ
مَا رَفَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . الْقَمَلُ أَفْقَرُ إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ مِنَ الْجَسَدِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .
أَعْظَمُ النَّاسِ غَمًّا مَنْ زَالَتْ نِعْمَتُهُ وَبَقِيَتْ ^(٨) شَهْوَتُهُ ، وَضَاقَتْ قُدْرَتُهُ ^(٩) . قَلُّهُ الْعِيَالُ
أَحَدُ الْيَسَارَتَيْنِ ^(١٠) . مُعَالَجَةُ الْمَوْجُودِ ^(١١) خَيْرٌ مِنَ انْتِظَارِ الْمَقْهُودِ . مَنْ

(١) يَقْبَعُونَ مَسَاوِيءَ النَّاسِ : يَطْلُبُونَهَا .

(٢) النَّعْلَةُ : الْفَاسِدَةُ .

(٣) الظُّرْفُ : الْفِطْنَةُ وَالْكِيَاةُ .

(٤) فِي « م » : « فَصَاحِبُهَا طَلِبٌ » .

(٥) فِي « م » : « الظُّرْفُ فِطْنَةٌ مَعَهَا بَعْضُ الْإِرْسَالِ » .. وَالْإِرْسَالُ : الْإِطْلَاقُ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ .

(٦) جَهْدُ الْبَلَاءِ : كِبَرَةُ الْعِيَالِ وَالْفَقْرُ .

(٧) يَتَطَامَنُ لِلْجَاهِلِ : يَطْمَئِنُّ وَيَسْكُنُ لَهُ .

(٨) فِي « ط » : « وَبُهِتَ » .

(٩) فِي « ط » : « مَقْدَرَتُهُ » .

(١٠) الْيَسَارَتَيْنِ : السَّهُولَةُ وَالْيُسْرَى .

(١١) مُعَالَجَةُ الْمَوْجُودِ : التَّمَامُلُ مَعَهُ وَالرِّضَا بِهِ .

عَدِمَ ^(١) الْحَيَاءَ عِنْدَ الْفَضِيحَةِ ، وَالصَّبْرَ عِنْدَ النَّصِيحَةِ ^(٢) سَهَلَتْ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي كُلُّهَا . الْعَالَمُ بِمِثْلِ السَّرَاجِ ، مَنْ مَرَّ بِهِ اقْتَبَسَ مِنْهُ .

مَنْ تَقَدَّمَ بِحُسْنِ النِّيَّةِ نَصَرَهُ التَّوْفِيقُ . لَنْ تَكُونَ لِلَّهِ نَاصِحًا حَتَّى تُحِبَّ أَنْ يَكُونَ ^(٣) غَدُوكَ مُطِيعًا . مَنْ أَذَلَّ ^(٤) النَّاسَ بِلَا سُلْطَانٍ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى الْهَوَانِ . مَا دَحَلَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مُحَاطَبٌ لِفَعْلِكَ ^(٥) ، فَجَوَابُهُ وَتَوَابُهُ سَاقِطَانِ عَنْكَ ^(٦) . الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ . الْأَحْدَاثُ تَأْتِي عَلَى ^(٧) مَا مِنْهُ يُؤْمَى الْحَذَرُ . الْمَأْكُولُ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبُ لِلْمَعَادِ ، وَالْمَحْفُوظُ لِلْعَدُوِّ . مَنْ ^(٨) غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يَغْدِرُ عَلَى غَمِّهِ عَذَّبَ نَفْسَهُ ، وَاسْتَدَّ غَيْظَهُ . أُطْلَبَ مَا يَغْنِيكَ وَاتْرَكَ مَا لَا يَغْنِيكَ ، فَإِنْ فِي تَرْكِ مَا لَا يَغْنِيكَ ذَرَكٌ مَا يَغْنِيكَ . مِنْ أُنْكَى الْأَشْيَاءِ لِعَدُوِّكَ أَنْ تُرِيَهُ ^(٩) أَنَّكَ لَا تُعَادِيهِ . كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ .

الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الشَّيْءِ خَيْرٌ مِنَ الْاسْتِعْنَاءِ بِهِ . وَمِنْ خَيْرِ خَبَرٍ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَطَرِ . لَا فَحْرَ فِيمَا يُزُولُ ، وَلَا غِنَى فِيمَا لَا يَبْقَى . شَرُّ الْعُيُوبِ مَا كَانَ مُعِينًا عَلَى الْعُيُوبِ ^(١٠) . شَرُّ الدُّنُوبِ مَا كَانَ عِلَّةً لِلدُّنُوبِ . أَيْلُغِ الرُّسُلَ الْكُتُبُ . خَافِلِ الْأُمُورَ بِالنِّصْفَةِ وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظُّفْرِ ^(١١) . مَنْ أَرَادَ جَمَالًا لَا تَهْدِمُهُ الْأَيَّامُ فَلْيُصْنَبِ

(١) عَدِمَ : فَقَدَ .

(٢) في م : : الصبر على النصيحة .

(٣) في م : : أَنْ يَكُونَ لَهُ .

(٤) في ط : : مَنْ آذَى .

(٥) في م : : مُحَاطَبٌ بِمَا لَيْسَ فِيكَ .

(٦) في ط : : عِنْدَكَ .

(٧) في ط : : تَأْتِي مِنْ عَلَى .

(٨) في م : : وَمِنْ .

(٩) في م : : أَنَّكَ تَرِيهِ .. وَأُنْكَى : أَغْلَبَ وَاقْهَر .

(١٠) في م : : مَا كَانَ مُضْمِنًا لِلْعُيُوبِ .

(١١) النصفه : العمل والحق .. وَأَنَا زعيم لك بالظفر ، أى : وَأَنَا كفيل لك بالفوز والغلبة .

وَأَمَّا الْأَخْيَارُ فَمَنْ غَالَطَهُمْ رَبِّحَ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ غَالَطَهُمْ ^(١) تَرَكَ رُشْدَهُ . أَلِيرُ ثَلَاثَةٌ :
الْصُّدُقُ فِي الْقَضَبِ ، وَالْجُودُ فِي الْعُسْرِ ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقَدَرَةِ . مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ
طَالَتْ مَعْبَتُهُ ^(٢) . سَتَسْأَلُ إِلَى كُلِّ مَا أَتَتْ لَاقِي .

إِذَا صَحِبَ الْإِرْتِيَادُ الرُّشَادَ وَجَدَ الْمَرَادَ . مَا أَغْنَى ^(٣) مِنَ الذَّمِّ مَنْ مَلَكَهُ الْجَهْلُ .
وَلَا ظَفِيرَ بِالْعِزِّ مَنْ اخْتَمَلَ مَا فِي الْمُعْصِيَةِ مِنَ الدَّلِّ ^(٤) ، وَلَا خَرَجَ مِنَ الدَّنَاءَةِ مَنْ
صَرَفَ جَمِيعَ عَقْلِهِ ^(٥) إِلَى الدُّنْيَا . أَخُو الظُّلْمَاءِ مُرِيبٌ . الْمَسْأَلَةُ آخِرُ الْمَكْسَبَةِ ^(٦) .
مَاعِذٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَا ^(٧) مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى ، وَلَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقَى مِنْ حَادٍ
عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى . مَنْ ذَمَّ أَذْنَى الْإِحْسَانِ لَامِتًا عَاقِبَاهُ لَمْ يَحْمَدْ شَيْئًا مِنْهُ . مِنْ
دَوَاعِي الْهَلَكَةِ إِضَاعَةُ الْمَعْرِفَةِ . وَاعْجَبَا لِمَنْ بَنَى دَارَهُ وَجَسَمَهُ يُهْلِكُهُ ، وَلِمَنْ يَبْنِي
أُمُورَ الدُّنْيَا ^(٨) وَأُمُورُهُ فِي نَفْسِهِ تَحْتَلُّ ^(٩) .

قَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا كَانَ عَلَيْنَا ، وَالسَّائِكُ أَخُو الرَّاضِي .
الْكَاتِبُ لِلْعِلْمِ كَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، أَوْ هُوَ غَيْرُ وَائِقٍ فِيهِ بِالصَّوَابِ . الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ
إِسَانِهِ . قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُخْسِنُ . الْعِلْمُ بِمَا فِي الْمُصِيبَةِ مِنَ الثَّوَابِ يَنْسِي الْمُصِيبَةَ .
شَرٌّ مِنَ الْمُصِيبَةِ سُوءُ الْخُلُقِ ^(١٠) مِنْهَا . الْحِكْمَةُ رَيْبُ الْقُلُوبِ . الْخُصُومَةُ تَكْثِفُ

(١) غَالَطَهُمْ : أَوْعَاهُمْ لِي الْغَلَطِ .. وَلِي « م » : « وَمَنْ جَانِبَهُمْ » أَيْ : فَارَقَهُمْ وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ .

(٢) مَعْبَتُهُ : مَلَاحَتُهُ .

(٣) لِي « م » : « مَا غْنَى » .

(٤) قَوْلُهُ « مِنَ الدَّلِّ » عَنْ « ط » .

(٥) لِي « م » : « مَنْ صَرَفَ عَقْلَهُ » .

(٦) قَوْلُهُ « أَخُو الظُّلْمَاءِ مُرِيبٌ » وَ « الْمَسْأَلَةُ آخِرُ الْمَكْسَبَةِ » عَنْ « ط » .. وَأَخُو الظُّلْمَاءِ : الْإِنْسَانُ الْغَامِضُ

الْمَلْفُوزُ .. وَالْمَكْسَبَةُ : مَا يُكْسَبُ .

(٧) الْحِجَا ، بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ : الْعَقْلُ .

(٨) لِي « م » : « أَمْرُ الدُّنْيَا » .. وَيُرْمَى : يُحْكَمُ .

(٩) لِي « م » : « تَحْتَلُّ » أَيْ : تَتَرَكَّ .

(١٠) لِي « م » : « سُوءُ الْخُلُقِ » .

الْعَوْرَةَ وَتَوَرَّثَ الْمَعْرَةَ . بَلَاءُ الْمُؤْمِنِ مِنْ غَايَتِهِ ^(١) كَالثَّارِ حَرِيقُهَا مِنْ ثَوْرِهَا . قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكَ إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا . مَنْ لَمْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ عَنْ قَدْرِ الْجَاهِلِ ، رَفَعَ الْجَاهِلُ قَدْرَهُ عَلَيْهِ . الذَّلَّةُ مَعَ الْفَقْلَةِ . تَجُوعُ الْحُرَّةِ وَلَا تَأْكُلُ بِئِدْيَهَا ^(٢) . مَوْتُ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَيِّ ^(٣) آجِلٍ . الْعُضْبُ عِنْدَ الْمُنَاطَرَةِ ^(٤) مَنَسَاةٌ لِلْحُجَّةِ .

الِاخْتِصَارُ اثْبَتَ لِلْمُتَكَلِّمِ وَأَفْهَمَ لِلْسَامِعِ . الْكَلْبُ فِي الْحَاضِرَةِ ^(٥) يَنْبَحُ الضَّيْفَ وَيُدْفَعُ الزَّائِرَ ، وَيُرْدُ السَّائِلَ ، وَالْكَلْبُ فِي الْبَادِيَةِ يُعِينُ الصَّاحِبَ ، وَيَنْذِرُ بِالضَّيْفِ ، وَيُدْفَعُ السَّارِقَ . لَا تُغْتَرَّ بِقَوْلِ الْجَاهِلِ لَكَ : إِنْ فِي يَدِكَ لَوْلُوءَةٌ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا بَعْرَةٌ . مِثْلُ الصَّلَاةِ مَعَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ مِثْلُ السَّفِينَةِ مَعَ جَمِيعِ مَنْ فِيهَا ^(٦) ، إِنْ سَلِمَتْ سَلِمَ الْكُلُّ ، وَإِنْ أَصِيبَتْ أَصِيبَ الْكُلُّ ^(٧) . الْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِتْنَةٌ ^(٨) . طَلَبُ الْمَطْمَعِ حَزْمٌ ، وَطَلَبُ الْمُؤْمِسِ عَجْزٌ ^(٩) . قَدْ يَنْظُرُ الْمَنْطِقَى مَنْ يُعْنَى بِهِ . إِذَا فَسَدَ الزَّمَانُ كَسَدَتْ الْفَضَائِلُ وَضُرَّتْ ، وَتَفَقَّتِ ^(١٠) الرِّذَائِلُ وَتَفَقَّتْ ، وَصَارَ خَوْفُ الْمُؤْمِسِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِ الْمُغْسِرِ .

-
- (١) أى : مِنْ تَمَامِ صِحَّتِهِ وَتَبَرُّهِ مِنَ الْعِلَلِ .. وَفِي « م » : « مِنْ عَاقِبَتِهِ » .. وَالْعَاقِبَةُ : آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَاتَمَتُهُ .
 (٢) فِي « م » : « بِئِدْيَا » .. وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْحُرَّةَ لَا تَكُونُ ظَفَرًا وَإِنْ أَذَاهَا الْجُوعُ .. وَالظَّفَرُ ، هِيَ الَّتِي تُرْضِعُ وَلَدَ غَيْرِهَا .. وَيُضْرَبُ هَذَا اللَّحْلُ فِي صَيَانَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عَنْ خَسِيسِ الْمَكَاسِبِ .
 (٣) الضَّيِّ : الْمَرَضُ .
 (٤) الْمُنَاطَرَةُ : الْمَجَادَلَةُ وَالْمِبَاحَثَةُ .
 (٥) الْحَاضِرَةُ : خِلَافُ الْبَادِيَةِ ، وَهِيَ الْمَدِينُ وَالْقَرْيُ وَالرِّيفُ .
 (٦) فِي « م » : « مَا فِيهَا » .
 (٧) فِي « م » : « وَإِنْ أَصِيبَتْ أَصِيبَ الْكُلُّ » .
 (٨) فِي « م » : « فِيهِ » تَحْرِيفٌ .
 (٩) الْمَطْمَعُ : مَا يُطْمَعُ فِيهِ وَيُرْغَبُ .. وَفِي « م » : « الطَّمَعُ » تَحْرِيفٌ .. وَالْمُؤْمِسُ : الْخَاضِعُ لِلذَّلِيلِ .. وَفِي « م » : « لِلْمُؤْمِسِ » تَحْرِيفٌ أَيْضًا .
 (١٠) تَفَقَّتْ : رَاجَتْ وَرُغِبَ فِيهَا .. وَفِي « م » : « نَفَعَتْ » تَحْرِيفٌ .

لِقَاءِ أَهْلِ الْخَيْرِ عِمَارَةَ الْقُلُوبِ . لَا يَصِيدُ الْكَثِيرَ مَنْ لَا يَصِيدُ لِنَفْسِهِ ^(١) الْوَاحِدَةَ .
بِالْعَمَلِ يَحْسُنُ الْمُنَطِقُ ، وَبِالْقُوَّةِ يَنْمُ الْعَمَلُ . الْفِكْرَةُ مِرَاةٌ . مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ
مِخْنَةٌ ^(٢) مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَكَثُرَ مَجْدُهُ . الْأَدَبُ مَعَ الْعَقْلِ كَالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ ، وَالْعَقْلُ
بِلَا أَدَبٍ كَالرَّجُلِ الْعَقِيمِ . الْمَاءُ الْيَنُّ مِنَ الْقَوْلِ ، وَالْقَلْبُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ ، وَقَدْ
يُلِيمُ الْمَاءُ الْحَجَرَ ^(٣) إِذَا كَثُرَ الْحِدَارَةُ عَلَيْهِ . أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ إِخْفَاءَ الْفَاقَةِ ^(٤) . أَوْلَى
النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ . لَمْ يَغِبْ مَنْ شَهِدَ رَأْيَهُ ، وَلَمْ يَنْفَرِ
مَنْ بَقِيَ أَثَرُهُ ، وَلَمْ يَمُتْ مَنْ خَلَدَ عِلْمُهُ . وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : لَيْسَ بِهَالِكٍ مَنْ تَرَكَ
بِثَلِّ مَالِهِ ^(٥) . كَمَا أَنَّهُ قَبِيحٌ إِذَا رَكِبْنَا الْخَيْلَ أَنْ تَجْرِيَ بِنَا حَيْثُ أَرَادَتْ ذُنُوبُ أَنْ
تُدِيرَهَا ، كَذَلِكَ قَبِيحٌ أَنْ يَجْرِيَ الْبَدَنُ وَالنَّفْسُ بِالْعَقْلِ حَيْثُ أَرَادَتْ ^(٦) مِنَ
الشَّهَوَاتِ .

أَشَقُّ الْأُمُورِ مَعْرِفَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . عَائِبُ الْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ مَخْجُوجٌ ^(٧) . لَيْسَ شَيْءٌ
مِنَ الْبِرِّ إِلَّا وَدُونَهُ عَقَبَةٌ مِنَ الصَّبْرِ . ضَرْبُ الْإِنْسَانِ عَارٌ بَاقٍ وَوَثَرٌ مَطْلُوبٌ ^(٨) . قِيلَ
لِلْحَكِيمِ : هَلْ لِلْغَضَبِ مَادَّةٌ تُحْسِنُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَيْسَ يَجِبُ
أَنْ يَكُونَ مُطَاعًا أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُخْدَمَ أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُحْتَمَلَ خَطْوُهُ أَبَدًا ،
وَلَا يَجِبُ أَنْ يُصْبَرَ عَلَيْهِ أَبَدًا ، بَلْ قَدْ يُطِيعُ وَيُخْدَمُ ، وَيَحْتَمَلُ الْخَطَأَ ، وَيَصْبِرُ عَلَى
التَّوَائِبِ ، فَإِذَا عَقَلَ ^(٩) ذَلِكَ لَمْ يَغْضَبْ ، وَإِنْ غَضِبَ ^(١٠) فَقَلِيلٌ .

(١) في (م) : : نفسه .

(٢) محنة ، عن (م) .

(٣) في (م) : : في الحجر . ويليم الماء الحجر : يُحْدِثُ فِيهِ شَقًّا .

(٤) الفاقة : الفقر والحاجة .

(٥) أي : مثل مالك بن أنس في العلم .

(٦) في (م) : : أن يجري على البدن والنفس العقل حيث أراد .

(٧) أي : الذي يهيب شيئاً أجمع عليه الناس ، فالْحُجَّةُ قَائِمَةٌ عَلَيْهِ .

(٨) وَثَرٌ مَطْلُوبٌ : ثَأْرٌ مُطَالَبٌ بِهِ .

(٩) في (م) : : وإذا عقل .

(١٠) في (م) : : وإذا غضب .

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ وُعِظَ بِنَفْسِهِ . لَا تَنْفَعُ كَثْرَةُ الْعِلْمِ لِمَنْ لَا يَعْمَلُ ، كَمَا لَا يُغْنِي ضَوْءُ الشَّمْسِ عَمَّنْ لَا يَصِيرُ ^(١) . رَضِيَ بِالذَّلِّ مَنْ كَشَفَ ضَرَّهُ بِتَرْكِ التَّوَرُّعِ ، وَأُزْرِى بِنَفْسِهِ مَنْ امْتَشَعَرَ الطَّمَعُ . الْبِدْعُ فُخُوحٌ تُسْتَرَّهَا ^(٢) زَخْرَفَةُ الْكَلَامِ وَخِدْعُ الْمَقَالِ ^(٣) . النَّاسُ فِي الدُّنْيَا بِالْإِخْوَانِ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْأَعْمَالِ . صَدِيقُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّهُ حُمْقُهُ . مَنْ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ ^(٤) النُّعْمَةُ أُدِيمَتْ لَهُ الرُّغْبَةُ . يُحْفَظُ الْأَخْمَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ . لَا جُودَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا صَدَاقَةَ إِلَّا بِوَفَاءٍ ، وَلَا فِقْهَ إِلَّا بِوَرَعٍ .

الْعَلِيلُ الَّذِي يَشْتَهِي أَرْجَى مِنَ الصَّحِيحِ الَّذِي لَا يَشْتَهِي . قُلُوبُ الرُّجَالِ وَخَشْيَةُ ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ . اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرَةً مِنَ الْحَلَالِ . إِقْيَاءُ الرَّجُلِ إِحْلَاءُهُ مَسَلَاةٌ ^(٥) لِلَّهِ . مَنْ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَذْيِيرِ اللَّهِ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَذْيِيرِ نَفْسِهِ ، وَالْأَحْلَامُ قَرْحٌ وَهَمٌّ كَاذِبٌ ، وَالْعَامِلُ بِهَا كَالْمُعْتَمِدِ عَلَى الظِّلِّ الرَّائِلِ . الدُّنْيَا ذُوْلٌ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَثَاكٌ ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَقُوْ عَلَى دَفْعِهِ ^(٦) . الْعَاقِبَةُ خَيْرٌ مِنَ الْوَاقِفَةِ . الْكَرِيمُ لَا يَسْتَجِي مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ . الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقِيرِ . الْكَرَمُ حُسْنُ الْفِطْنَةِ ، وَاللُّؤْمُ ^(٧) سُوءُ التَّعَافُلِ . اخْتِلَافُ كَلَامِ الْمَرْءِ دَلِيلٌ عَلَى مِيلِ الْهَوَى بِهِ . مِنْ حَقِّ النُّعْمَةِ أَنْ يُرَى أَثَرُهَا .

مَنْ ^(٨) كَانَ شَبَعُهُ فِي الطَّعَامِ لَمْ يَزَلْ جَائِعًا ، وَمَنْ كَانَ غِنَاهُ فِي الْمَالِ لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ بِحَوَائِجِهِ الْخُلُقِ لَمْ يَزَلْ مَحْرُومًا ، وَمَنْ اسْتَعَانَ فِي أَمْرِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ مَحْدُولًا . مَنْ خَافَ مِنْ فَوْقِهِ خَافَهُ مِنْ تَحْتِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَخَفْ مِنْ فَوْقِهِ

(١) فِي م : : لَا يُصِرُّ .

(٢) فِي ط : : يَسْتَرُّهَا .

(٣) فِي ط : : الْمَالِ .

(٤) فِي م : : عَلَيْهِ .

(٥) مَسَلَاةٌ : نَسِيَانٌ .

(٦) فِي م : : دَفْعِهِ بِقُوَّتِكَ .

(٧) فِي م : : الْكَرَمُ مَكْرَرَةٌ .. وَلَا تَصَحُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٨) فِي م : : وَبَيْنَ .

لَمْ يَخْفَهُ مِنْ دُونِهِ ^(١) . مَا تُحْسِنُهُ وَلَا ^(٢) تَعْمَلُ بِهِ ، لِغَيْرِكَ نُورُهُ وَعَلَيْكَ بُورُهُ ^(٣) .
وَأَعَجَبًا لِمَنْ يَحْتَارُ الْمَذَلَّةَ فِي طَلَبِ مَا يَفْنَى عَلَى الْعِزِّ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى . مَنْ حَذَرَكَ
كَمَنْ بَشَرَكَ . الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ . إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَأَتَّفِقْ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا
لَا تَفْنَى ، وَإِذَا أَذْبَرَتْ عَنْكَ فَأَتَّفِقْ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَبْقَى ^(٤) . قَالَ الشَّاعِرُ :
فَأَتَّفِقْ إِذَا أُبْسِرْتَ غَيْرَ مَقْنَسٍ وَأَتَّفِقْ عَلَى مَا خَلِّتَ حِينَ تُعْسِرُ ^(٥)
فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْحِطُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُحْلُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْحِطُّ مُذِيرٌ ^(٦)
وَلِغَيْرِهِ :

لَا تَيْخُلَنَّ بِدُنْيَا وَهَى مُقْبِلَةٌ فَلَنْ يَضُرَّ بِهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ ^(٧)
وَأَنْ تَوَلَّيْتَ فَأَخْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا فَالشُّكْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أَذْبَرْتَ خَلْفَ ^(٨)

الْغَرِيبُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ . مَنْ سَلَكَ الْحِذَارَ ^(٩) أَمِنَ الْغَارَ . لَمْ يَخَرَّ رَاكِبُ
الْقَصْدِ ^(١٠) . عَجَبًا لِلْيَمِّ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَيَقُودُهُ الْكِرْمُ الَّذِي أَتَاهُ
يَطْلُبُهُ ^(١١) ، فَيَحِيشُ فِي الدُّنْيَا غَيْشَ الْفُقَرَاءِ ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ .
مَنْ يَطْلُ ذَبْلُهُ ^(١٢) يَكْثُرُ وَيَلُهُ . وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١٣) : مَا يَطْلُ فَيَلُ اللَّهُ

(١) من قوله : « مَنْ اسْتَعَانَ فِي أَمْرِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » .

(٢) فِي « ط » : « وَمَا » .

(٣) بُورُهُ : كِسَادُهُ وَتَعَطُّلُهُ .

(٤) فِي « م » : « فَاَلتَّيَقَى » غُرُوفٍ مِنَ النَّاسِ .

(٥) الْبَيْتَانِ مِنَ الطَّرِيلِ : وَخَوَّلَتْ : صَوَّرَتْ وَشَبَّهَتْ .. وَفِي « ط » : « عَلَى مَا بَخَلْتُ » .. وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى
مِنَ الْبَيْتِ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ج ٣ ص ٢٠١ : « فَأَتَّفِقْ إِذَا أَتَّفَقْتَ إِنْ كُنْتَ مُوسِرًا » .

(٦) الْحِطُّ : التَّصَبُّبُ .. وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « الْجَدُّ » مَكَانُ « الْحِطِّ » فِي الْمَوْضِعِ ، وَهِيَ مِمَّا نَهَا .

(٧) الْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ .. وَالشُّطْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْبَيْتِ فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ص ٤٤ :

« فَلَيْسَ يَنْفَعُهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ » .. وَالسَّرْفُ : الْإِسْرَافُ وَالتَّبَذِيرُ .

(٨) فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ : « فَإِنْ » مَكَانُ « وَإِنْ » وَ « فَالْحَمْدُ مِنْهَا » مَكَانُ « فَالشُّكْرُ مِنْهَا » .

(٩) فِي « م » : « الْجَدُّ » وَهِيَ : الْأَرْضُ الظَّلِيزَةُ الصَّلْبَةُ .. وَهِيَ كِتَابَةٌ عَنِ الْاسْتِقَامَةِ .

(١٠) أَيْ : لَمْ يَضِلَّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْاسْتِقَامَةِ .

(١١) فِي « م » : « يَطْلُبُ » .

(١٢) أَيْ : مَنْ يَتَكَبَّرُ وَيَسِيرُ مُتَبَخَّرًا بَيْنَ الْعِبَادِ .

(١٣) فِي « م » : « وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » .. وَ « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » عَنْ « ط » .

يُتَطَلَّقُ بِهِ ^(١) . عَنْكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ . إِنْ أُحْبِبْتَ أَنْ لَا يَقُوْلَكَ مَا اسْتَهَى ،
فَاسْتَهَ مَا يُمَكِّنُكَ . مَنْ قَصَدَ أَسْهَلَ ^(٢) ، وَمَنْ أَسْرَفَ أَوْعَرَ . الْفَقْدُ أَشْرُ
الْحِمَامِ ^(٣) . شَرُّ السَّيْرِ الْحَقْفَةُ ^(٤) . بَوَى لِنَفْسِكَ فِي الْمَجَالِسِ مَجْلِسًا لَا يَقْصُرُ
بِكَ وَلَا تُقَامُ عَنْهُ ^(٥) . اقْطَعْ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ يَقْطَعُهُ مِنْ صَدْرِكَ ^(٦) ، وَازْجِرِ
النَّسِيءَ بِإِثَابَةِ الْمُحْسِنِ لِكَيْ يَرْغَبَ فِي الْإِحْسَانِ .

لَنْ يَهْلِكَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ ^(٧) . الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ . خَيْرُ النَّاسِ لِبَعْضِهِ
خَيْرُهُمْ لِنَفْسِهِ . إِحْسَانُ اللَّهِ مَكْفُورٌ ^(٨) عِنْدَ مَنْ أَصْبَحَ مُصِيرًا عَلَى ذَنْبٍ مَسْتَوٍ .
يَصِيرُ التَّخَلُّقُ خُلُقًا بِالْاجْتِهَادِ وَالْإِعْتِيَادِ . الْحَجَرُ الْقَصْبُ فِي الْبُتْيَانِ رَهْنٌ عَلَى الْخَرَابِ .
رُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رَيِّهِ . رَبُّ رَأْيٍ أَنْفَعُ مِنْ مَالٍ ، وَحَزْمٌ أَوْفَى مِنْ رِجَالٍ .
مَنْ اسْتَوْعَبَ الْحَلَالَ ثَاغَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ . مَنْ ذَمَّ الزَّمَانَ لَمْ يَحْمَدِ الْإِخْوَانَ .
بِتَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ تُعْلَمُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ . مَنْ عَرَفَ الزَّمَانَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَرْجُمَانٍ .
مَنْ ^(٩) عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَقْضِ عَنِ الْاسْتِعْدَادِ . رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ . الطَّاعَةُ غَنِيْمَةٌ
الْأَكْبَرُ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَاجِزِ ^(١٠) . كُلَّمَا اسْتَدَّ الظَّلَامُ حَسَنَ ضَوْءِ السَّرَاجِ . النَّشَاءُ
بِأَكْثَرِ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَأَ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عَمَى ^(١١) أَوْ حَسَدٌ .

(١) في « م » : « مَنْ يُظَلُّ » .. وَيُتَطَلَّقُ بِهِ : يُعْتَصَدُّ بِهِ وَيُعْتَمَدُ عَلَيْهِ .

(٢) قصد ، أى : توسط فى الأمر ، لم يُفْرِطْ ولم يَقْرُطْ .. وأسهل : كان سهلاً مقبولاً لدى الناس .

(٣) فى « م » : « أَحَدٌ » .. وَالْفَقْدُ : إِخْرَاجُ مِقْدَارٍ مِنَ الدَّمِ مِنَ الْوَرِيدِ بِقَصْدِ الْعِلَاجِ .. وَالْحِمَامُ : قِضَاءُ
الموت وقدره .

(٤) الْحَقْفَةُ : ثِيْلَةُ السَّيْرِ .

(٥) بَوَى لِنَفْسِكَ ، أى : أَعِدْ لِنَفْسِكَ .. لَا يَقْصُرُ بِكَ : لَا يَصِيرُ قَصِيراً بِكَ ، أَوْ مَكَانًا يُنَاسِبُ مَكَانَكَ
وقدرَكَ .. وَلَا تُقَامُ عَنْهُ : لَا يُقِيمُكَ عَنْهُ أَحَدٌ .

(٦) فى « م » : « اقْطَعْ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ يَقْلَعُهُ مِنْ صَدْرِكَ » .

(٧) فى « م » : « مَنْ وَعَظَكَ » .. وَتُسْتَعْمَلُ « مَا » لِفِعْلِ الْعَاقِلِ .

(٨) مكفور : لَا يُحْمَدُ .

(٩) فى « م » : « وَمَنْ » .

(١٠) فى « م » : « الْعَجِزَةُ » وهى جمع عاجز .

(١١) فى « م » : « وَبِالتَّقْصِيرِ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عَمَى » .

أَوَّلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ مَنِ اخْتَجَعَ إِلَيْهَا فَحَرَمَهَا . مَنْ لَمْ يَنْدِرْ قَلْبَهُ الْبِلْيَةَ لَمْ يَرْحَمْ أَهْلَهَا . كَفَاكَ أَذْبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِهَا . مُجَالَسَةُ الْأَخْمَقِ غَرَرٌ ^(١) ، وَالْقِيَامُ عَنْهُ ظَفَرٌ . لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّ فِي الَّذِي كَانَ ^(٢) شُغْلٌ . الْبُحْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِيءِ الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ . إِذَا صَحَّ الْقَلْبُ وَصَحَّ الْعَمَلُ كَانَ التَّوْفِيقُ . إِخْرَازُ الْعَوَاقِبِ بِالْإِجْتِهَادِ ، وَالْإِجْتِهَادُ أَرْبَحُ بِضَاعَةٍ . التَّوْفِيقُ خَيْرٌ قَائِدٌ . كَمَالُ الْعَمَلِ التَّوْفِيقُ . مَنْ تَرَفَّقَ فِي اسْتِثْمَارِ الْحِظِّ مِنَ الْبُعْثَةِ أَذْرَكَ وَبَلَغَ . مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ ^(٣) مِنْ غَوَائِلِهِمْ . لَا تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي رَكَّبَهُ فِيهِ زَمَانُهُ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَيْهِ بِقِيَمَتِهِ فِي الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهَا مَكَانُهُ الطَّبِيعِيُّ .

أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا مَنْ سَافَرَ فِي طَلَبِ آخِرِ صَالِحٍ . لَيْسَتْ الْبَرَكَةُ مِنَ الْكُفْرَةِ ، لَكِنْ الْكُفْرَةُ مِنَ الْبَرَكَةِ . وَقَالَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ كَانَ مَا تَرَى مِنَ الْجَهْلِ يَغِظُكَ ^(٤) إِذَنْ يَكْثُرِ الْجَهْلُ وَيَطُولُ عَمَلُكَ . قِيلَ لِبُزْجَمِهَرٍ : مَا لَكُمْ لَا تُعَاتِبُونَ الْجَهْلَةَ ؟ قَالَ : لِأَنَّا لَا نُرِيدُ ^(٥) مِنَ الْعُمَيَّانِ أَنْ يَصِيرُوا . الْعِشْقُ مَرَضٌ نَفْسُ فَارِغَةٍ لَا هِمَّةَ لَهَا . إِجَالَةُ الْفِكْرَةِ اسْتِخْرَاجُ الْفِطْنَةِ . تَتَّبِعُ الْإِسَاءَةَ بِالنَّدَمِ ، وَتَتَّبِعُ النَّدَمَ بِالْإِقْلَاعِ . الْأَمْنُ بِالْبِرَاءَةِ ^(٦) ، وَكَثْرَةُ الصَّدِيقِ بِالتَّوَاضُعِ ، وَأَعْمُ الْأَشْيَاءِ نَفْعًا فَقْدُ الْأَشْرَارِ . مَنْ بَذَرَ عَدَاوَةً حَصَدَ نَدَامَةً . السُّنَنَةُ لِلنِّسَاءِ عُلْمَةٌ ^(٧) وَلِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ .

(١) غَرَرٌ : تَحَطَّرَ .

(٢) فِي (م) : « لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّ فِي الَّذِي قَدْ كَانَ » .

(٣) فِي (م) : « أَمْنًا » لِأَنَّهُمْ : فَسَادُهُمْ وَشُرُورُهُمْ ، جَمْعُ غَائِلَةٍ .

(٤) فِي (ط) : « يَغِظُ » .

(٥) فِي (ط) : « مَا نُرِيدُ » .

(٦) بِالْبِرَاءَةِ : بِالتَّخَلُّصِ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنِّقَمِ .. وَفِي (م) : « بِالْبِرَاءِ » وَهُوَ مُصَدَّرٌ يُوصَفُ بِهِ .

(٧) الْعُلْمَةُ : شِدَّةُ الشَّهْوَةِ لِلْجَمَاعِ .

قَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا جِلْمُ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْجَهْلِ ؟ وَمَا قُوَّةُ مَنْ لَمْ يَزِدْ الْقَضَبَ ؟ وَمَا عِبَادَةُ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعَ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ ؟ عِبَادَةُ التَّوَكُّي (١) الْمَجِيءُ فِي غَيْرِ وَقْتٍ ، وَالْجُلُوسُ قَرَى الْقَدْرِ . إِذَا وَقَعَتِ الضَّرُورَةُ ارْتَفَعَتِ الْمَشُورَةُ . قِيلَ لِحَكِيمٍ : أَخْرِجِ الْهَمَّ مِنْ قَلْبِكَ ، قَالَ : لَيْسَ بِإِذْنِي دَخَلَ . مَنْ اغْتَرَّ بِحَالِهِ قَصَرَ فِي احْتِيَالِهِ (٢) . إِيَّاكُمْ وَطَلَبَ الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ وَجُوهِهَا فَيَغِيْبُكُمْ (٣) طَلَبَهَا ، وَلَا تُدْرِكُوا حَطًّا مِنْهَا . هَيْبَةُ الزَّلِيلِ تُورِثُ الْحَصَرَ (٤) . قِيلَ لِلْحَكِيمِ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً دَمِيمَةً (٥) وَأَنْتَ وَسِيمٌ ؟ قَالَ : اخْتَرْتُ مِنَ الشَّرِّ أَقْلَهُ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا تَقُولُ فِي الزَّوْاجِ ؟ قَالَ : لَذَّةُ شَهْرِ وَهَمُّ دَهْرٍ . فَتَنَةُ عَالِمٍ إِلَى إِبْلِيسَ خَيْرٌ مِنْ غَوَاةِ آلِفِ جَاهِلٍ . تَمْنَى الْمُعَاتِبِ (٦) وَلَا تَمْنَى الْمَعَاذِيرِ . الْمَوَالَاةُ فِي الْإِسْلَامِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلِيفِ (٧) فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

سَبُّ الْجَاهِلِ لِلْحُكَمَاءِ تَشْرِيفٌ لَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْفَضْلِ ، لِأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَكَأَنَّ أَنَّ الْحَكِيمَ يَتَأَلَّمُ بِحَدِيثِ الْجَاهِلِ ، كَذَلِكَ الْجَاهِلُ يَتَأَلَّمُ بِسَمَاعِ الْحِكْمَةِ . اغْنَى النَّاسَ عَنِ الْحَقْدِ مَنْ عَظَّمَ قُدْرَهُ عَنِ الْمُحَاذَاةِ (٨) . الْكَبِيرُ الْهِمَّةِ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ غَنَفُ النَّاصِحِ عِنْدَهُ الْطَفُّ مَوْقِعًا مِنْ مَلَقِ الْكَاشِحِ . إِنْ كَانَتْ الْجُدُودُ (٩) هِيَ الْحُظُوطُ ، فَمَا بَالُ الْحِرْصِ ؟ وَإِنْ كَانَتْ الْأُمُورُ لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ

(١) عِبَادَةُ التَّوَكُّي : زيارَةُ الْحَقِيقِي وَالْجُهَالِ .

(٢) قَصَرَ فِي احْتِيَالِهِ : عَجَزَ وَكَفَّ عَنْهُ .

(٣) فِي ط : : : : : مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا فَيَغِيْبُكُمْ .

(٤) أَى : الْخَوْفُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْخَطَا يُورِثُ الْحَصَرَ .. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٥) فِي « م » : : : : : ذَمِيمَةٌ .

(٦) الْمُعَاتِبُ : الَّذِي يُلَوِّمُكَ وَيُعَاتِبُكَ .. وَفِي « م » : : : : : الْمُعَاتِبُ « بِالْيَاءِ .

(٧) الْمَوَالَاةُ : التَّصَرُّفُ وَالْمُحَابَاةُ ، وَشَرْعًا : أَنَّ يُعَاهَدَ شَخْصٌ شَخْصًا آخَرَ .. وَالْحَلْفُ : الْمَاهِدَةُ عَلَى التَّعَاهُدِ وَالتَّسَاعُدِ وَالِاتِّفَاقِ .

(٨) الْمُحَاذَاةُ : الْعَطَاءُ .. وَفِي « م » : : : : : الْمَجَازَاةُ .

(٩) الْجُدُودُ : الْأَرْزَاقُ ، جَمْعُ جَدٍّ .

فَمَا بَالُ السُّرُورِ ؟ وَإِنْ كَانَتْ الدُّارُ عَدَارَةً ، فَمَا بَالُ الطُّمَأْنِينَةِ ؟ وَقَالَ الشُّعْبِيُّ : مَا رَأَيْتُ
اللهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى (١) أَغْصَى عِبَادَهُ أَجَلَ مِنْ الْجِلْمِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : خَمْسٌ مَنْ لَمْ تُكُنْ فِيهِ فَلَا تُرْجَى لِيَشَىءُ
مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : مَنْ لَمْ تَعْرِفِ الْوَيْقَةَ فِي أَرْوَمِيهِ (٢) ، وَالْذِمَّةَ (٣) فِي خُلُقِهِ ،
وَالْكَرَمَ (٤) فِي طَبْعِهِ ، وَالتَّبَلَّ فِي نَفْسِهِ ، وَالتَّحَاقُرَ (٥) عِنْدَ رَبِّهِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ
حَمْدُونٍ : كُنْتُ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ (٦) لَمَّا خَرَجَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَرَكِبَ يَوْمًا إِلَى رَصَافَةِ
هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَنَظَرَ إِلَى قُصُورِهَا ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَأَى دَيْرًا قَدِيمًا هُنَاكَ حَسَنَ
الْبِنَاءِ ، بَيْنَ مَزَارِعَ (٧) وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ ، فَدَخَلَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ بَصُرَ بِرُقْعَةٍ (٨)
قَدْ أُلْصِقَتْ فِي صَنْدَرِهِ ، فَأَمَرَ بِقَلْعِهَا ، فَأَذَا فِيهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَيَا مَنْزِلًا بِالذَّنِيرِ أَصْبَحَ خَالِيًا تَلَاعَبَ فِيهِ شِمَالٌ وَدُبُورُ (٩)
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بَيْضُ أَوَانِسُ وَلَمْ يَتَّبَحَثْ فِي فِتَائِكَ حُورُ (١٠)
وَأَبْنَاءُ أُمْلَاكِ غَوَاشِمُ سَادَةٌ صَغِيرُهُمْ عِنْدَ الْأَنَامِ كَبِيرُ (١١)
إِذَا لَيْسُوا أَذْرَاعَهُمْ فَغَوَاشِسُ وَإِنْ لَيْسُوا تَبَجَانَهُمْ فَبُدُورُ (١٢)

(١) في م : : : الله تعالى .

(٢) الأرومة : الأصل والحسب .. والوَيْقَةُ : الثقة وما يُحْكَمُ به الأمر .

(٣) الذمّة : السهولة واللين .

(٤) في م : : : والكبر ، تحريف .

(٥) التحاقر : التضاغر .

(٦) في م : : : عند المتوكل .

(٧) في م : : : من مزارع .

(٨) بَصُرَ بِرُقْعَةٍ : أَبْصَرَهَا .

(٩) الأبيات من الطويل .. وتَلَاعَبَ : وهماَل : رياح الشمال .. والدُّبُورُ : ريح مهب من الغرب .

(١٠) الحُورُ : جمع حَوْرَاءَ ، وهى المرأة البيضاء الحسناء .

(١١) أَبْنَاءُ أُمْلَاكِ غَوَاشِمُ : أَبْنَاءُ مُلُوكِ أَشْدَاءَ .. والأَنَامُ : الخلق .. وفى ط : : : صَغِيرُهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ كَبِيرُ .

(١٢) أى : إِذَا ارْتَلَوْا زَى الْحَرْبِ تَرَاهُمْ عَابِسِينَ مُتَجَهِّمِي الْوُجُوهِ ، وَإِنْ لَيْسُوا تَبَجَانَهُمْ فِي زَمَنِ السَّلَامِ ، فَالوَاحِدُ

نَهِمُ يَدُو كَالْفَرَسِ لَيْلَةَ اكْتِمَالِهِ .

عَلَى أَنَّهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ ضَرَاغِمُ وَأَنَّهُمْ يَوْمَ النِّوَالِ بُحُورُ ^(١)
 لِيَالِي هِشَامٍ بِالرِّصَافَةِ قَاطِنُ وَفِيكَ ابْنُهُ يَا دَثِرَ وَهُوَ أَمِيرُ ^(٢)
 إِذَا الْعَيْشُ غَضُ وَالْخِلَافَةُ لَذَّةُ وَأَنْتَ طَرِيبُ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ ^(٣)
 وَرَوْضُكَ مَرْتَادٌ وَنُورُكَ مَزْهَرُ وَعَيْشُ بَنِي مَرَاوَانَ فِيكَ تَضِيرُ ^(٤)
 بَلَى فَسَقَاكَ الْعَيْثُ صَوَّبَ سَحَابِ عَلَيْكَ لَهَا بَعْدَ الرُّوَاكِ بُكُورُ ^(٥)
 تَذَكَّرْتُ قَوْمِي فِيكُمَا فَبَكَيْتُهُمْ بِشَجْوٍ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
 فَزَيْتُ نَفْسِي وَهِيَ نَفْسٌ إِذَا جَرَى لَهَا ذِكْرُ قَوْمِي أَنَّهُ وَزَيْرُ ^(٦)
 لَعَلَّ زَمَانًا جَارَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ لَهُمْ بِالَّذِي تَهْوَى النُّفُوسُ يَدُورُ ^(٧)
 فَيَفْرَحُ مَحْزُونٌ وَيَنْعَمُ بَائِسُ وَيُطْلَقُ مِنْ ضَيْقِ الْوَنَاقِ أُسِيرُ
 رُوَيْدَكَ إِنَّ الدَّهْرَ يَتَّبِعُهُ غَدٌ وَإِنْ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ ^(٨)

فَلَمَّا قَرَأَهَا الْمُتَوَكِّلُ ارْتَوَعَ وَتَطَيَّرَ ، وَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ ^(١) أَقْدَارِهِ ، ثُمَّ دَعَا
 صَاحِبَ الدَّيْرِ فَسَأَلَهُ عَمَّنْ كَتَبَهَا ، فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهِ .

- (١) يوم اللقاء : يوم الحرب .. ضراغم : أسود .. النوال : العطاء .. بحور : كالبحور في جودهم وسخائهم .
 (٢) قاطن : مقيم .. ولي : م .. : « وقتل » مكان « وفيك » .
 (٣) هكذا البيت في « ط » .. وقد سقطت الشطرة الثانية من البيت ، والأولى من الذي يليه من « م » ..
 وجاء البيت هكذا : « إذا العيش غضة والخلافة غضة .. وعيش بني مروان فيك نظير » .
 والغض والغرير : الناعم من العيش .. والطرب : الطرب والمتشهى بهجة وسرورا .
 (٤) التور : الزهر الأبيض .
 (٥) الصوب : انصباب المطر .. والرواح : الوقت من زوال الشمس إلى الليل .. والبكور : أول النهار .
 (٦) الأئمة : مصدر الترة من الأئمن .. والزفير : إخراج النفس بعد مدّه ، وهو هنا كتابة عن الألم والحزن ..
 ولي : « ط » : « إنه لزفير » .
 (٧) جَارَ عليهم : ظلمهم .
 (٨) صروف الدوائر : أحداث الأيام .
 (٩) في « م » : « من سوء » .

وَأَمَّا الْكُتُبُ وَصِفَاتُهَا فَتَجَلُّ عَنِ الْوَصْفِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْجَنِّهِمْ ^(١) فِي قَوْلِهِ :

سَمِيرٌ إِذَا جَالَسْتَهُ كَانَ مُسْنِيًا قُوَادَكَ مِمَّا فِيهِ مِنَ أَلَمِ الْوَجْدِ ^(٢)
يُفِيدُكَ عِلْمًا أَوْ يَزِيدُكَ حِكْمَةً وَغَيْرَ حَسُودٍ أَوْ مُصِيرٍ عَلَى الْجَفْدِ
وَيَحْفَظُ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ غَيْرَ غَافِلٍ وَلَا خَائِنٍ عَهْدًا عَلَى قَدَمِ الْعَهْدِ
زَمَانُ رَيْبٍ فِي الزَّمَانِ بِأَسْمِهِ يُبِيحُكَ رَوْضًا غَيْرَ ذَاوٍ وَلَا جَهْدِ ^(٣)
يُسَوِّرُ أَحْيَانًا بِزُورِدٍ بَدَائِعِ أَغْصَى وَأَوَّلَى بِالْثُقُوسِ مِنَ الْوَرْدِ
وَأَنْشَدَ ^(٤) بَعْضُ الْعَجَمِ :

إِذَا مَاعَلَا النَّاسُ فِي دُورِهِمْ يَحْنُرُ سُلَافٍ وَخَوْدٍ كَعَابِ ^(٥)
وَأَنْسَهُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيَالِي لِغَيْرِ النَّدَامَى وَزَهْوِ السُّحَابِ ^(٦)
خَلَوْتُ وَصَحْبِي كُتُبُ الْعُلُومِ وَبَيْتُ عُرُوسِي بَيْتُ الْكِتَابِ ^(٧)
وَدَزَسُ الْعُلُومِ شَرَابُ الْعُقُولِ فَلُورُوا عَلَى بِذَلِكَ الشَّرَابِ
وَمَا يَجْمَعُ الْمَرْءُ فِي دَفْنِهِ سِوَى الْعِلْمِ يَجْمَعُهُ لِلشَّرَابِ

(١) هو : أبو الحسن علي بن المهدي بن بدر ، شاعر رقيق الشعر ، وأديب ، من أهل بغداد ، كان معاصراً لأبي تمام ، وخصص بالثوكل المباسي ، ثم غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خراسان ، ثم انتقل إلى حلب ، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب ، فقاتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ . [انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ وطبقات الشعراء لابن المحرز ص ٣١٩ - ٣٢٢ ، والأغاني ج ١٠ ص ٣٦٦٧ - ٣٦٩٨] .
(٢) الأبيات من الطويل .. والسمير : المسامير الذي يسارك ويصدك .. وهو وصف للكتاب .. ومُسْنِيًا قُوَادَكَ : يكشف عما بقلبك من الهم والحزن .

(٣) ذَاوٍ : ذليل .. والجهد : التقيض والقليل .

(٤) في « م » : : وأنشدني .

(٥) الأبيات من المقارب .. والخود : الشاة الناعمة الحسنة الخلق ، وجمعها : خود .. والكعاب : الفتاة التي تهدئ نذرها : وجمعها : كواعب .

(٦) الزهو : الساكن والمنخفض .. والبيت في « م » :

« وَأَنْسَهُنَّ حَسَابَ اللَّيَالِي لِغَيْرِ النَّدَامَى وَزَهْوِ الشَّبَابِ »

(٧) الشرطة الثانية من البيت في « ط » .

« وَبَيْتُ الْعُرُوسِ بَيْتُ الْكِتَابِ »

وَمِنْ مَلِيحٍ مَا يَتَشَدُّ فِي الْكُتُبِ ^(١) :

- إِذَا مَا خَلَوْتُ مِنَ الْمُؤَسِّسِينَ جَعَلْتُ الْمَوَاسِيَ لِي دَقِيرِي ^(٢)
 فَلَمْ أَخْلُ مِنْ شَاعِرٍ مُخْسِنٍ وَمِنْ عَلَمٍ صَالِحٍ مُنْذِرٍ ^(٣)
 وَمِنْ حِكْمٍ يَنْ أَتَانِهَا قَوَائِدُ لِلنَّاطِرِ الْمَفْكَرِ ^(٤)
 وَإِنْ ضَاقَ صَدْرِي بِأَسْرَارِهِ وَأَوْدَعْتُهُ السَّرَّ لَمْ يُظْهِرِ ^(٥)
 وَإِنْ صَرَخَ الشَّعْرُ بِاسْمِ الْحَبِيبِ بِ لَمْ أَحْشِمُهُ وَلَمْ أُخْصِرِ ^(٦)
 وَإِنْ عُدْتُ مِنْ ضَجْرِهِ بِالْهَجَا وَسَبَّ الْخَلِيفَةِ لَمْ أَخْذِرِ ^(٧)
 وَنَادَمْتُ فِيهِ كَرِيمَ الْمَغِيْبِ بِ لِنُدْمَائِهِ طَيِّبَ الْمَحْجَرِ ^(٨)
 فَلَسْتُ أَرَى مُؤِنْسًا مَا حَيِّثُ عَلَيْهِ نَدِيمًا إِلَى الْمَحْضَرِ ^(٩)
 وَأَتَشَدُّ ابْنُ حَزْمٍ لِيَغْضُرَ الْأَدْبَاءُ ^(١٠) :

(١) الأبيات من التقارب .. وجاء في كتاب « جمع الحكيم والأمثال » في الشعر العربي لأحمد قيس - ص ٤٣٠ - أنها لعل بن هارون بن يحيى .

(٢) الشطرة الثانية من البيت في المصدر السابق :

« جَعَلْتُ الْمُحَدَّثَ لِي دَقِيرِي »

(٣) الشطرة الثانية من البيت في المصدر نفسه :

« وَمِنْ مُضْجَلِكِ طَيِّبٍ مُنْذِرٍ »

(٤) الْمَفْكَرُ : مِنَ الْفَعْلِ : أَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ ، إِذَا فَكَّرَ فِيهِ وَأَعْمَلَ الْعَقْلَ .

(٥) لَمْ أَحْشِمُهُ : لَمْ أَخْجَلْ مِنْهُ ، وَلَمْ أَحْصِهِ مَا يَكْرَهُ .. وَلَمْ أُخْصِرِ ، أَيْ : لَمْ أُحْشِمْ عَنْهُ مَا أُرِيدُ . وَهُوَ مِنْ خَصَرَ : إِذَا عَمِيَ فِي مَنْطِقِهِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ .

(٦) فِي « م » : « ضَجْرَةٌ » بِالضَّاءِ .. وَضَجَرَ بِالْأَمْرِ ، وَمِنْهُ ضَجَرًا : ضَاقَ وَتَبَرَّمَ .. وَالْهَجَا : الْهَجَاءُ وَاللُّمُّ .

(٧) نَادَمْتُ : صَحِجْتُ وَوَأَقَمْتُ .. وَالتَّدْمَاءُ : لِلصَّاحِبِينَ عَلَى الشَّرَابِ ، وَالْمَسَامِرِينَ .. وَالْمَحْجَرُ : خِلَافُ الْمَنْظَرِ ، يُقَالُ : طَابَقَ مَحْجَرُهُ مَنْظَرُهُ .

(٨) الشطرة الأولى من البيت في المصدر الأسبق :

« فَلَسْتُ أَرَى مُؤَثِّرًا مَا حَيْثُ » .

(٩) فِي « م » : « وَأَتَشَدُّ ابْنُ حَزْمٍ » .. وَابْنُ حَزْمٍ هُوَ : عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدَ بْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ ، عَالِمُ الْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِهِ ، وَأَحَدُ أُمَمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَوْلاَفَاتِ وَالْمُصَنَّفَاتِ .. وُلِدَ بِقُرْطُبَةَ سَنَةِ ٣٨٤ هـ ، وَانْتَفَدَ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ ، فَنَالَوْا عَلَى بَغْضِهِ ، وَحَدَّثُوْا سُلَاطِنَهُمْ مِنْهُ ، وَنَهَوْا الْعَامَّةَ مِنَ الدُّنُوِّ مِنْهُ ، فَأَقْصَتْهُ =

إِنْ صَحَبْنَا الْمُلُوكَ نَاهُوا عَلَيْنَا
أَوْ صَحَبْنَا الثَّجَارَ عَلَدْنَا إِلَى الْفَقْدِ
وَأَسْتَبْدُوا بِالرَّأْيِ دُونَ الْجَلِيسِ (١)
رَوْحَنَا إِلَى حِسَابِ الْقُلُوسِ
فَلَزِمْنَا الْيُسُوفَ نَتَّخِذُ الْجَبِ
لَوْ تَرَكْنَا وَذَلِكَ كُنَّا ظَفَرْنَا (٢)
مِنْ أَمَانِنَا بِعَلْقِ نَقِيسِ (٣)
غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ أَغْنَى يَنْبِهِ
حَسَنُونَا عَلَى حَيَاةِ الثُّنُوسِ (٤)
وَأَنْشَدَ غَيْرُهُ (٥) :

أَنِسْتُ إِلَى التَّمَرْدِ طُولَ عُمْرِي
جَعَلْتُ مُحَادِثِي وَتَدِيمَ نَفْسِي
فَمَالِي فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ أَنْبَسِ (٦)
وَأَنْسَى دَقَّتْ رِي يَدَلِ الْعُرُوسِ
قَدْ اسْتَعْتَيْتُ عَنْ قَرْسِي بِرَجُلِي
إِذَا سَاكِرْتُ أَوْ نَعْلُ كَبُوسِ (٧)
وَلِي عُرْسٌ جَدِيدٌ كُلُّ يَوْمٍ
يَطْرَحُ الْهَمُّ فِي أَمْرِ الْعُرُوسِ (٨)

= الملوك وطاردته ، فرحل إلى « بَلَّة » من بلاد الأندلس ، وتوفي بها سنة ٤٥٦ هـ وكان عمر الطوطوشى - صاحب سراج الملوك - عند وفاة ابن حزم ست سنوات ، إذ أنه ولد سنة ٤٥٠ هـ ، لذا فإن قوله : « أنشدني » هنا لا يعقل ، ويُعد تحريفاً من الناسخ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٥ - ٣٣٠ ، والمغرب في حُلَى المغرب ج ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٧ ، ومعجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ - ٢٥٧ ، وشرحات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠] .

(١) الأبيات من الخفيف .. وتأوها : تكبروا .. واستبدوا بالرأى .. انفردوا به .

(٢) الطُّروس : الصحائف والكتب ، جمع طرس .

(٣) اليلق : النقيس من كل شيء يخلق به القلب .

(٤) أغنى بنه : أقصد أبناء الزمان .. وحياة النفوس : يريد بها العلم ، فيه غيا النفوس وتسمو .

(٥) في « م » : « وأنشدوا » .

(٦) الأبيات من الوافر .. ويريد بالتفرد : الوحدة والانفراد .. والبرية : الخلق .

(٧) في « م » : « قد استعنت عن قرس » .. والنعل الكبوس : الذي يخفى القدمين ويحميها .. ول « م » :

« نعل كبوس » أى : ضمخ .

(٨) في « م » : « يطرح الهم في بيت العروس » .. والقرس ، بضم العين : الزفاف والتزويج . وبكسرهما :

العروس والزواج .

فَبَطْنِي سَفَرْتِي وَالْخُرْجَ جِسْمِي وَهَمَيَانِي فِي أَبَدًا وَكَيْسِي ^(١)
وَبَيْتِي حَيْثُ يُدْرِكُنِي مَسَائِي وَأَهْلِي كُلُّ ذِي عَقْلٍ نَيْسِي
وَلَيْنَ كَانَ النَّاطِمُونَ ^(٢) قَدْ وَصَفُوا فَجَوُّدُوا ، وَقَالُوا : فَأَبْلَغُوا ، فَلَقَدْ قَصَرُوا ،
وَأَجَلَ مَمْدُوحٍ مَنِ اسْتَقْصَرَ فِي مَدْحِهِ الْمُتَنَهَى ، وَاسْتَنْزَرَ فِي تَقْرِيبِهِ الْمُحْتَقِلَ ^(٣) ،
وَكَيْفَ لَا وَالْكِتَابَ نِعَمَ الْأَيْسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةَ بِيَلَادِ الْعَرَبِ ، وَنِعَمَ
الْقَرِينُ وَاللَّحِيلُ ، وَنِعَمَ الْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ ، وَعَالَمَ مُلَيَّءٍ عِلْمًا ، وَظَرْفَ حُسْنَى
ظَرْفًا ^(٤) ، وَإِنَاءَ مُلَيَّءٍ مَزَاجًا ^(٥) ، وَحَبْدًا بُسْتَانٍ يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ ^(٦) ، وَرَوْضَةً تُقَلَّتْ
فِي جَنْحٍ ^(٧) ، هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ ثَوَّتِي أَكَلَهَا كُلُّ سَاعَةٍ بِالْوَانِ مُخْتَلِفَةٍ وَطُغُومٍ
مُتَبَايِنَةٍ ؟ هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذْوِي ^(٨) ، وَزَهْرٍ لَا يَبْوِي ^(٩) ، وَنَمَرٍ لَا يَقْنَى ؟
وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُكَ الشَّيْءَ وَخِلَافُهُ ، وَالْجِنْسَ وَضِدُّهُ ، يُنْطَلِقُ عَنِ الْمَوْتَى ،
وَيَتَرَجَّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ ، إِنْ غَضِبْتَ عَلَيْهِ لَمْ يَغْضَبْ ، وَإِنْ سَخَطْتَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ ،
أَكْتَمَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَتَمَّ ^(١٠) مِنَ الرِّيحِ ، وَاللَّهْيَ مِنَ الْهَوَى ، وَأَخَذَعَ مِنَ الْمُنَى ،

(١) السُّفْرَةُ : مَا يَحْمِلُ فِيهَا الطَّعَامَ .. وَالْخُرْجُ وَالْهَمِيَانُ مَرُّ التَّعْرِيفِ بِهِمَا .

(٢) فِي « ط » : « النَّاطِقُونَ » .

(٣) اسْتَنْزَرَ : اسْتَقْبَلَ وَاسْتَحْجَزَ .. وَالْمُحْتَقِلُ : مَعْظَمُ الشَّيْءِ .

(٤) الظَّرْفُ : الْوَعَاءُ .. وَظَرْفَ حُسْنَى ظَرْفًا ، أَيْ : وَعَاءَ مُلَيَّءٍ ، بِلَاغَةً وَحُسْنًا .. وَهَذَا الْوَصْفُ لِأَيِّ عِلَّانٍ
ابْنِ بَحْرِ الْجَاهِلِ .

(٥) الْبَزَاجُ : مَا يُمَزَّجُ بِهِ الشَّرَابُ وَنَحْوُهُ ، وَكُلُّ نَوْعٍ امْتَزَجًا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَزَاجُ .. وَفِي « م » : « مُلَيَّءٌ
رَاحٌ » وَالْأَخْيَرَةُ تَحْرِيفٌ .. وَعِبَارَةُ الْجَاهِلِ : « وَإِنَاءَ مُلَيَّءٍ مَزَاجًا وَجِدًا » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٦) الرُّذْنُ : كُمُّ الْقَوْبِ .

(٧) فِي « ط » : « تَقَلَّبَ فِي جَنْحٍ » .. وَعِبَارَةُ الْجَاهِلِ : « رَوْضَةً تَتَقَلَّبُ فِي جَنْحٍ » .. وَالْجَنْحُ ، بِكَسْرِ
الْحَاءِ وَفَتْحِهَا : وَهُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ : حِضْنُهُ ، وَمِنَ الْمَكَانِ : نَاحِيَتُهُ .

(٨) لَا تَذْوِي : لَا تَيْسُ وَلَا تَذِلُّ .

(٩) لَا يَبْوِي : لَا يَقِيمُ وَلَا يَسْتَقِرُّ .. وَفِي « ط » : « لَا يَبْوِي » بِالتَّاءِ : أَيْ : لَا يَهْلِكُ .

(١٠) أَتَمُّ : أَتَقَلَّلَ وَأَطْفَهَرُ .. وَفِي « م » : « أَتَمَرٌ » تَحْرِيفٌ .

وَأَمْتَعَ مِنَ الضُّحَى ، وَأَنْطَقَى مِنْ سَحْبَانَ وَائِلٍ ^(١) وَأَغْنَا مِنْ بَاقِلٍ ^(٢) .
 هَلْ سَمِعْتَ بِمُعَلِّمٍ وَاحِدٍ تَحْلَى بِحُلَى كَثِيرَةٍ ، وَجَمَعَ أَوْصَافًا غَرِيبَةً ^(٣) : عَرَبِيٌّ ،
 فَارِسِيٌّ ، هِنْدِيٌّ ، سِنْدِيٌّ ، رُومِيٌّ ، يُونَانِيٌّ ، إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ ، وَإِنْ أَلْهَى أَمْتَعَ ،
 وَإِنْ أَلْهَى أَدْمَعَ ، وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ ، يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ ^(٤) مِنْكَ ، وَيَزِيدُكَ
 وَيَسْتَزِيدُكَ ، إِنْ جَدَّ فَيَسَّرَ ، وَإِنْ مَزَحَ فَتَزَهَّدَ ، قَبِرَ الْأَسْرَارِ ، وَحِرَزَ الْوَدَائِعَ ، قَيْدُ
 الْعُلُومِ ، وَيَتَّبِعُ الْحِكْمَ ، وَمَعْدِنُ الْمَكَارِمِ ، وَمُؤْنَسَ لَا يَنَامُ ، يُفِيدُكَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ ،
 وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ أَنْبَاءِ الْآخَرِينَ .

هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ ، أَوْ بَلَغَكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّالِفِينَ جَمْعٌ ^(٥) هَذِهِ الْأَوْصَافِ
 مَعَ قَلَّةٍ مُؤَنِّيَةٍ ، وَخِفَّةٍ مَحْمَلَةٍ ؟ لَا يَرْزُوكَ ^(٦) شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكَ ، نِعَمَ الذُّخْرِ
 وَالْعُدَّةِ ^(٧) ، وَالْمُسْتَعْلَى وَالْجِرْفَةَ ^(٨) ، جَلِيسٌ لَا يَضُرُّكَ ^(٩) ، وَزَفِيقٌ لَا يَمْلُكَ ،
 يُطِيعُكَ بِاللَّيْلِ طَاعَتَهُ بِالنَّهَارِ ، وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ طَاعَتَهُ فِي الْحَضَرِ ^(١٠) ، إِنْ أَدْمَتِ
 النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ ، وَشَحَذَ طِبَاعَكَ ، وَبَسَطَ لِسَانَكَ ، وَجَوَّدَ بَنَانَكَ ، وَقَحَّمَ

(١) سَحْبَانَ : رجل مشهور بفصاحته وبلاغته ، وهو من وائل .

(٢) أَعْنَا : عجز في منطقته وحجته ولم يستطع بيان مراده منه .. وباقِل : رجل من ربيعة ، يُضَرَّبُ به المثل
 لـ الفهامة والعتى ؛ وبلغ من عتبه أنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً ، فمر بقوم ، فقالوا له : بكم اشتريت الظبي ؟
 فمدّ يده ودلّع لسانه ، يردد : أحد عشر ، فشرّد الظبي ، وكان تحت إبطه .

(٣) في م : : عزيزة .

(٤) في م : : ويستفيد منك ، بسقوط لا ، ولا يستقيم المعنى إلا بها .

(٥) في م : : مَنْ جَمَعَ .

(٦) لا يَرْزُوكَ : لا يصيبك يرزؤ .

(٧) الذُّخْرُ : المُدَّخَرُ لوقت الحاجة .

(٨) عبارة الجاحظ : : ونعم المُسْتَعْلَى والجِرْفَةُ ، بالشين .

(٩) في ط : : جلس لا يضر بك ، وفي م : : لا يضرك . وقد سقطت منها كلمة « جلس » قبلها .

(١٠) الحَضَرُ : المكان الذي تقم فيه .

الْفَاظَكَ . إِنَّ آفَتَهُ خَلَدَ عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ ، وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ ، وَإِنْ
حَمَلْتَهُ نَوَّةً ^(١) عِنْدَهُمْ بِاسْمِكَ ، يُقْعِدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَةِ ، وَيُجْلِسُ السُّوْقَةَ فِي
مَجْلِسِ الْمُلُوكِ ، فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ صَاحِبِ ، وَأَعِزِّزْ بِهِ مِنْ مُرَافِقِ . وَقَدْ قَالَ فِيهِ الْأَوَّلُ :

لَنَا جُلُسَاءٌ مَائِلٌ حَدِيثُهُمْ إِلَيَّاءُ مَأْمُونُونَ غِيَّاءُ وَمَشْهَدًا ^(٢)
يَفِيدُونَنَا مِنْ عَلَيْهِمْ عِلْمٌ مَامَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيَا وَعَقْلًا مُسَدَّدًا ^(٣)
فَلَا يَشْتَتُّ نَحْسَى وَلَا سُوءَ عِشْرَةٍ وَلَا تَنْتَقِي مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدًا ^(٤)
فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَمَا أَتَى كَاذِبٌ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتُ مُفْتَنًا ^(٥)

فَهَذَا مَا أُرَدُّنَا أَنْ نُعْلِيَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَاصْنُبُوا إِنْ شِئْتُمْ أَنْفَاسَهُ ، إِنْ كَانَتْ الْأَنْفَاسُ
مِمَّا يُكْتَبُ ^(٦) .

تم الكتاب بحمد الله

(١) نَوَّةٌ : أَشَاءُ .

(٢) الْأَيَّامُ مِنَ الطَّوِيلِ .. وَالْيَاءُ : عَقْلَاءُ ، جَمْعُ لَيْبٍ .

(٣) مُسَدَّدًا ، أَيْ : مُسْتَقِيمًا مَوْفِقًا .. وَفِي « م » : « وَعَقْلًا وَسَوْدَدًا » .. وَالسُّودَدُ : الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ وَالسِّيَادَةُ .

(٤) لِي ط : « لَا يَشْتَتُّ نَحْسَى وَلَا سُوءَ عِشْرَةٍ » .. وَفِي « ط » : « تَنْتَقِي » بِالتَّاءِ .

(٥) فَلَسْتُ مُفْتَنًا : لَسْتُ مُخْطِئًا .

(٦) لِي م : « لِكُتُبٍ » .

(فهرس الكتاب ،^(٥))

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس القوالى .
- ٤ - فهرس الأعلام .
- ٥ - فهرس الأماكن والبلاد والبقاع .
- ٦ - فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف .
- ٧ - مراجع التحقيق والتعليق .
- ٨ - فهرس المحتويات .

(٥) هذه الفارس خاصة بمن الكتاب فقط .

(١)
 فهرس القرآن الكريم ،

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾	٢٤	البقرة	٦٣١
﴿ فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾	٣١	البقرة	٢٦٧
﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾	٥٦	البقرة	٤٢٥
﴿ قتلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يُحْيِي الله المَوْتَى ويرِيكم آيَاتِهِ لعلكم تعقلون * ثم قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	٧٣ ، ٧٤	البقرة	٣١
﴿ وقولوا للناس حُسْنًا ﴾	٨٣	البقرة	٥٨٣
﴿ وإذا ابتلى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلمات فآمَنَّهُ ﴾	١٢٤	البقرة	٣٩٢
﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ، إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	١٥٣	البقرة	٣٩٢
﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾	١٥٩	البقرة	٥٩٧
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٦٤	البقرة	٤٢٩
﴿ ولكم في القصاص حياة يا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾	١٧٩	البقرة	٦٢٢
﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾	٢٤٧	البقرة	١٧٦
﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾	٢٤٧	البقرة	١٧٦
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾	٢٥١	البقرة	١٨٢

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾	٢٥١	البقرة	١٨٢
﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾	٢٥٥	البقرة	٢٦٥
﴿ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال أنا أحيى وأميت ﴾	٢٥٨	البقرة	٦٣٩
﴿ ... الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب فبهت ... ﴾	٢٥٨	البقرة	٦٣٩ ، ٦٤٠
﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾	١٨	آل عمران	٢١٦
﴿ يوم تجد كل نفس ما علمت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾	٣٠	آل عمران	١١
﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾	١٠١	آل عمران	٢٤٢
﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾	١٢٣	آل عمران	٤٢٥
﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾	١٣٤	آل عمران	٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٤٩
﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾	١٥٥	آل عمران	٦٩١
﴿ فيها رحمة من الله لئن تم لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾	١٥٩	آل عمران	٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَاَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾	١٧٤	آل عمران	٧٦١
﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	١٨٠	آل عمران	٣٨٦ ، ٥٩٤
﴿ وَلَقَسْنَاهُ مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾	١٨٦	آل عمران	٣٩١
﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	١٨٦	آل عمران	٣٩١
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٩٠	آل عمران	٤٢٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٢٠٠	آل عمران	٣٩١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾	٥٩	النساء	٢٤٥
﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾	٧٧	النساء	١٧
﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾	٤٢	المائدة	٦١٢ ، ٦٢١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	٤٤	المائدة	٥٩١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	٤٥	المائدة	٥٩١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	٤٧	المائدة	٥٩١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾	٥١	المائدة	٥٤٥
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الدِّينِ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴿	٥٧	المائدة	٥٤٦
﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾	٦٦	المائدة	٤٣٢
﴿ قد نعلم إنه ليخزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾	٣٣	الأنعام	٣٩٠، ٣٩١
﴿ وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يُحشرون ﴾	٣٨	الأنعام	٤٤٣، ٤٢٨، ٦٣٢
﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾	٤١	الأنعام	٤٣٣
من قوله تعالى : ﴿ فلما جنَّ عليه الليل ... ﴾	٧٦ - ٨١	الأنعام	٦٣٧، ٦٣٨
إلى قوله : ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾			
﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيًّا عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ﴾	١١٢	الأنعام	٧٥٧
﴿ وكذلك نُؤَلِّي بعض الظالمين بعضًا ﴾	١٢٩	الأنعام	٤٦٧
﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾	١٦٠	الأنعام	٣٠٨
﴿ ولا تُؤزَّرْ ولا زرةٌ وُزِّرَ أخرى ﴾	١٦٤	الأنعام	٦٢٣
﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾	٥٤	الأعراف	٧
﴿ ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾	٧٩	الأعراف	٣٢٥

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ ﴿ وقت كلمة ربك الحُسنَى على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ ﴿ رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ ﴿ نأخذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ ﴿ فشرّد بهم مَنْ خَلَقَهُمْ ﴾ ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تفتن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم	٩٣ ١٣٧ ١٣٧ ١٤٦ ١٥١ ١٨٢ ١٩٩ ٢٥ ٤٥ ، ٤٦ ٥٧ ٦٠	الأعراف الأعراف الأعراف الأعراف الأعراف الأعراف الأعراف الأنفال الأنفال الأنفال	٣٢٥ ٥١٣ ٤٠٣، ٣٩٠ ٢٣٤ ٦٠٦ ٥٠٥ ٣٠٩، ٣٠٥ ٥٧٥ ٧٠٣، ٦٩٠ ٣١٤ ٦٧٨

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
وليم مدبرين ﴿	٢٥	التوبة	٦٩٨
﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾	٣٤	هود	٣٢٥
﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾	٣٨	هود	٧٦٤
﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴿ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهُ أليم شديد ﴿	٧٥	هود	٣٣٢
﴿ يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴿	١٠٢	هود	٥٩٥
﴿ اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم ﴿	٥	يوسف	٤١٣
﴿ ربِّ قد آتيتنى مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوْفَى مَسْئُلًا وَالْحَقْنَى بِالصَّالِحِينَ ﴿	٥٥	يوسف	٥١٠، ١٨١ ٥٦٢
﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخِفَّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبَ بِالنَّهَارِ ﴿ ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿	١٠١	يوسف	٦٤٥
﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴿ ﴿ لنن شكرتم لأزيدنكم ﴿ ﴿ يدعوكم ليعفر لكم ﴿ ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴿	١٠	الرعد	٣
﴿ ربنا إني أسكنت من ذرى غير بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم ﴿ ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴿	١١	الرعد	٤٣٢
	٢٤	الرعد	٣٩١
	٧	إبراهيم	٤٣٣، ٤٣١
	١٠	إبراهيم	٤٤١
	٣٤	إبراهيم	٤٣٤
	٣٧	إبراهيم	٦٣٥
	٤٢	إبراهيم	٥٩٢، ٥٩١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فاصفح الصفيح الجميل ﴾	٨٥	الحجر	٣٣٢
﴿ قوريك لنسألهم أجمعين * عما كانوا يعملون ﴾	٩٣، ٩٢	الحجر	١٤٧، ١٩
			١٧٩
﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾	٩٧	الحجر	٣٩٠
﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾	١٨	النحل	٤٣٤
﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾	٥٣	النحل	٤٢٤
﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى			
القرى ﴾	٩٠	النحل	٣٠٧، ٢١٣
﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات			
الله ﴾	١٠٥	النحل	٢٣٦
﴿ شاكرًا لأنعمه اجتناء ﴾	١٢١	النحل	٤٤٠
﴿ وإن عاقبتهم فاعقبوا بمثل ما عوقبتهم به ، ولن			
صبرتم لمو خير للصابرين ﴾	١٢٦	النحل	٣٠٦
﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾	١٢٧	النحل	٤٠٤، ٤٠٣
﴿ إنه كان عبدًا شكورًا ﴾	٣	الإسراء	٤٤٠
﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾	٧	الإسراء	٤٤٠
﴿ ولا تزوروا أزرة وزر أخرى ﴾	١٥	الإسراء	٦٢٣
﴿ وما كنا معذيين حتى نبعث رسولًا ﴾	١٥	الإسراء	٦٣٠
﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا			
فيها ففحق عليها القول فدمرناها تدميرًا ﴾	١٦	الإسراء	٥٩٦
﴿ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾	١٨	الإسراء	٤٣٣
﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا			
قليلًا * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف			
الممات ﴾	٧٥، ٧٤	الإسراء	٥٨٩
﴿ كلُّ يعمل على شاكلته ﴾	٨٤	الإسراء	٤٥٢
﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾	٢٤	الكهف	٣٥٤
﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة			
والعشى ﴾	٢٨	الكهف	٣٩١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ﴾	٣٩	الكهف	٧٦١
﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علّمت رشدًا ﴾	٦٦	الكهف	٢٦٧
﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾	٧٨	الكهف	١٩٦
﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾	٨٢	الكهف	٧١٧
﴿ وهزى إليك بجذع النخلة ﴾	٢٥	مريم	٧٠٩
﴿ ولم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثًا ورثًا ﴾	٧٤	مريم	٢٤
﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا ﴾	٩٨	مريم	٢٤
﴿ إذ رأى نازًا فقال لأهله امكثوا إني آنست نازًا لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجدر على النار هدى ﴾	١٠	طه	٦٦٣
﴿ واجعل لي وزيرًا من أهلي ﴾	٢٩	طه	٢٨٧
﴿ اشتدّ به أزرى • وأشركه في أمرى ﴾	٣٢، ٣١	طه	٢٨٧
﴿ كي نسبحك كثيرًا • ونذكرك كثيرًا ﴾	٣٤، ٣٣	طه	٢٨٧
﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾	١١٤	طه	٢٦٧
﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾	٤٧	الأنبياء	١٩ ، ١٤٧
﴿ قالوا من فعل هذا بالهتأ إنه لمن الظالمين • قالوا سمعنا ففى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾	٦٠، ٥٩	الأنبياء	٦٣٩
﴿ فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون • قالوا آئت فعلت هذا بالهتأ يا إبراهيم • قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون • فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾	٦١-٦٤	الأنبياء	٦٣٩
﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئًا ولا يضرّكم • أف			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿	٦٥ - ٦٧	الأنبياء	٦٣٩
﴿ مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴿	٨٣	الأنبياء	٧٦١
﴿ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ﴿	٨٤	الأنبياء	٧٦١
﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴿	٨٧	الأنبياء	٧٦١
﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ﴿	٨٨	الأنبياء	٧٦١
﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴿	٤٠	الحج	١٦٠
﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴿	٤١	الحج	١٦٠
﴿ والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴿	٦ ، ٥	المؤمنون	٤٣٠
﴿ وليعلموا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴿	٢٢	النور	٣٠٦
﴿ يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان			
للإنسان خذولاً ﴿	٢٨ ، ٢٩	الفرقان	٢٩٦
﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين ﴿	٣١	الفرقان	٧٥٧
﴿ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ﴿	٥٧	الفرقان	٢٣٧
﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت ﴿	٥٨	الفرقان	٧١٢
﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ﴿	٦٢	الفرقان	٤٢٩
﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴿	٢٠٥ - ٢٠٧	الشعراء	١٠٥
﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴿	٢١٥	الشعراء	٢٠٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٢١٦	الشعراء	٣٠٣
﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾	٤٠	التحل	١٤٧، ١٤٩، ٤٤٠، ٤٤٣
﴿ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾	٥٢	التحل	٥٩٢
﴿ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾	٦٢	التحل	٦٣٣
﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾	٧٨	القصص	٤٢٤
﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾	٨١	القصص	٤٢٤
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	٨٣	القصص	٢٣٤
﴿ وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾	١٣	العنكبوت	٦٢٣
﴿ أَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾	٢٩	العنكبوت	٦٠٧
﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾	٦٤	العنكبوت	١٨
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	٦٩	العنكبوت	٧١٩، ٢٤١
﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	١٧	لقمان	٤٠٤
﴿ وَأَسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾	٢٠	لقمان	٥٨٦
﴿ وَجَلَعْنَا مِنْهُمْ آثِمَةً يَحْدُونُ بِأَمْرِنَا لِمَّا صَبَرُوا ﴾	٢٤	السجدة	٣٩٠
﴿ أَشْجَعًا عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَئِكَ لَمْ يَوْتُمُوا ﴾	١٩	الأحزاب	٣٨٧، ٣٨٦
﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾	٤٦	الأحزاب	٧
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	الأحزاب	١٧٦
﴿ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾	١٣	سبأ	٤٢٨، ١٤٦

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾	١٨	فاطر	٦٢٣
﴿ ومن تزكى فإنما يتركى لنفسه ﴾	١٨	فاطر	٤٤٠
﴿ فنظر نظرة في النجوم • فقالت لى سقيم • فقلوا عنه مدبرين • فراغ إلى آهتهم فقال ألا تأكلون • مالكم لا تنطقون • فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾	٨٨-٩٣	الصافات	٦٣٨
﴿ فيشرناه بغلام حليم ﴾	١٠١	الصافات	٣٣٤
﴿ يابنى إلى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى • قال ياأبى افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾	١٠٢	الصافات	٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤
﴿ يا إبراهيم • قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي الحسنين • إن هذا هو البلاء المبين • وقد يناء بذبح عظيم ﴾	١٠٤-١٠٧	الصافات	٦٤٤
﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾	٢٦	ص	١٥٩ ، ١٥١
﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾	٢٩	ص	٣٢٦
﴿ رب اغفر لى وهب لى ملكاً لاينبغى لأحد من بعدى ﴾	٣٥	ص	١٧٨، ١٧٩ ، ١٨٠، ١٨١
﴿ فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ﴾	٣٦	ص	١٨ ، ١٧٩
﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾	٣٩	ص	١٩، ١٤٧ ، ١٧٨، ٤٢٤
﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾	٤٤	ص	٣٩٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولا تنزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ﴾	٧	الزمر	٦٢٣
﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	الزمر	٣٩٧، ٣٩٠
			٤٠٣
﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	٣٣	الزمر	٥٢٢
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾	٧٤	الزمر	٤٢٧
﴿ وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾	٤٤	غافر	٧٦١
﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا ﴾	٤٥	غافر	٧٦١
﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	غافر	٤٣٣، ٤٣١
﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾	٣٤	فُصِّلَتْ	٣٠٧
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	١١	الشورى	٧
﴿ وَمَنْ كَانَ يَرْجِدَ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾	٢٠	الشورى	٤٣٣
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قُنُطُوا ﴾	٢٨	الشورى	٦٣٣
﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾	٣٧	الشورى	٣٠٦
﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾	٤٠	الشورى	٣٠٧
﴿ وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾	٤١	الشورى	٣٠٦
﴿ وَلَنْ صَبِرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِعِزِّ الْأُمُورِ ﴾	٤٣	الشورى	٣٠٦
﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	٣٢	الزخرف	١٢١
﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٥١	الزخرف	٥٠٩
﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾	٦٧	الزخرف	٢٩٦
﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ • وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكْهِنَ ﴾	٢٥-٢٧	الدخان	٥٠٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾	٢١	الجاثية ٨٥	
﴿ نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾	٢٤	الجاثية ٤٥١	
﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾	٢٠	الأحقاف ٥٣٦ ، ٥٣٩	
﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾	٣٥	الأحقاف ٣٠٦	
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم يثبت أقدامكم ﴾	٧	محمد ٦٩٠ ، ٦٩١	
﴿ ولتفرقنهم في لحن القول ﴾	٣٠	محمد ١١٨	
﴿ ومن ييخل فإنما ييخل عن نفسه ﴾	٣٨	محمد ٣٨٦	
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ﴾	٦	الحجرات ٦١٢	
﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾	٢١	الذاريات ٢٧٤	
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾	٥٦-٥٨	الذاريات ١٢٦	
﴿ الرّحمن * علّم القرآن * خلق الإنسان * علّمه البيان ﴾	٤-١	الرحمن ٦٢٠	
﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾	٣	الحديد ٧	
﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فظال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾	١٦	الحديد ٢٢	
﴿ اعملوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يبيح فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ولى الآخرة عذاب شديد ﴿	٢٠	الحديد	٤٥، ١٨
﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴿	١١	المجادلة	٢١٧
﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿	٩	الحشر	٣٦٠، ٣٦١
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿	٩	الحشر	٣٦٢، ٣٨٧
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿	١٦	التغابن	٣٦٢، ٣٨٧
﴿ وقودها الناس والحجارة ﴿	٦	التحريم	٦٣١
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿	١٤	المُلْك	٣
﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿	٤	القلم	٥٧٤، ٥٧٦
﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴿	٩	القلم	٥٨٨، ٥٨٩
﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حُلَافٍ مَهِينٍ * هَازِمْ مَشَاءَ بَنِيمٍ * مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿	١٠-١٣	القلم	٦٠٩
﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِ لَهُمْ إِنْ كِيدِي مَتِينٍ ﴿	٤٤، ٤٥	القلم	٤٢٣، ٥٠٥
﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿	٥	المعارج	٤٠٩
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿	٢٩، ٣٠	المعارج	٤٣٠
﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴿	١٠-١٢	نوح	٤٣٢
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿	٤	المدثر	٥٨٤
﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿	٥	التكوير	٦٢٨
﴿ كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿	١٤	المطففين	١٧، ٣١
﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ .. ﴿ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿	١ - ١٤	الفجر	١٢٧، ١٢٨

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	١١	الضحى	٤٢٦
﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	٦	الشرح	٦٣٣
﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾	٨ ، ٧	الزلزلة	٢٩

* * *

(٢)

« فهرس الأحاديث النبوية »
« حرف الألف - همزة »

الصفحة

مطلع الحديث

- آدَمَ الله بينكما.. [قاله ﷺ لرجلين متباغضين] ٥٨٠
- أبشِرْ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك .. [قاله ﷺ لكعب بن مالك ...] ٦٣٧
- أبشروا فقد جاءكم اليسر ٦٣٣
- ابن آدم ، إنما لك من مالك ما أكلت فأفانيت ٣٦٢
- أتدرون مني المُفلس ؟ ٦٢٦
- أترون هذا هان على أهله ؟ ... [قاله ﷺ حينما رأى طلاً مذبحاً بمنزل قوم قد ارتحلوا عنه] ٢٠
- اتقوا الشح ٣٨٦
- اتقوا دعوة المظلوم ٥٩٣
- اتقى الله واصبري .. [قاله ﷺ لامرأة كانت تبكي عند قبر] ٣٩٣
- أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا ٧٢٢
- احشوا في وجوه المدّاحين التراب ٥٥٥
- إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَمِ التَّغْتِ فِيهِ أَمَانَةٌ ٤١٨
- إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَلْيَجْلِسْ ٥٨١
- إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِالْوَالِي ١٦٤
- أَرَأَيْتُمْ سُلَيْمَانَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ مُلْكِهِ ١٨٠
- ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمَشْرُكِ ... [قاله ﷺ لرجل من المشركين] ٥٤٦
- ارْحَمِ مَنْ ارْحَمَ ٣٠٩
- ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ٣٠٩
- استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان ٤١٣
- أشد الناس عذاباً يوم القيامة الإمام الجائر ١٦٧
- أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي ١٧٣
- اشكروا لِمَنْ أَنْتَى عَلَيْكُمْ ٣٨١

- اطلِّع في القبور ... [قال ﷺ لرجل شكاً إليه القسوة] ٣٥٤
- اعقل يا أبا ذرٍّ ما أقول لك ١٧٣
- أفضل الناس أعقل الناس ٢٨٠
- أفلا أكون عبداً شكوراً ٤٢٩
- اقتلوا الوزغ ٦٣٠
- أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم ٣٣٥
- ألا أخبركم بشراركم ؟ ٦١٣
- ألا أدلكم على ما يحيط الله به الخطايا ؟ ٣٩٢
- ألا أهلك الدنيا جميعاً بما فيها ؟ ٢١
- ألا إن القوة الرمي ٦٧٨
- ألا كلكم راع ١٦١
- اللّهُمَّ إني أعوذ بك من شح نفسي ٣٨٦
- اللّهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ٩٣
- آمُرني يا رسول الله ١٦٦، ١٦٣
- إن استطعت أن تعمل لله بالرضا ٤٠٤
- أنا حبيب المظلوم ٥٣٠
- إنا لا نستعمل على عملنا من أَرادَه ٥٦٠، ٢١١
- انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال ٦٢٨
- انتظار الفرج من الله بالصبر عبادة ٤٠١
- أنزل الداء الذي أنزل الدواء ٧٠٨
- انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ٥٩٥
- انظر إليها ... [قاله ﷺ لرجل أراد أن يتزوج امرأة] ٥٨٠
- أنهاك عن الشرك بالله والكبر ... [قاله ﷺ لعمه العباس] ٢٣٢
- إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركه الله في مُلكه فأدخل عليه الجور في حكمه ١٥٢

مطلع الحديث

الصفحة

- إِنَّ الْجِسْلَ - ولد الضب - تموت بذنب ابن آدم ٥٩٧
- إِنَّ الْحِشْرَاتِ تَمُوتُ فِي أَجْحَرِهَا هُزَالاً بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ ٢٠٧
- إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ٣٢٥، ٢١٦
- إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ ٣٢٥
- إِنَّ عَفْرِيئاً مِنَ الْجَنِّ جَعَلَ يَتَفَلَّتُ عَلَى الْبَارِحَةِ ١٨٠
- إِنَّ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهَا ٥٢٨
- إِنَّ قَسَ بْنَ سَاعِدَةَ يُبْعَثُ أُمّةً وَحْدَهُ ٧٩
- إِنَّ الْقَاضِيَ يَزُلُ فِي مَزَلَّةٍ أَهْدَى مِنْ عَدِيٍّ فِي جَهَنَّمَ ١٦٨
- إِنَّكُمْ سَتَحْرُصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ١٦٣، ١٦٢
- إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ٤٦٣
- إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هَادٍ قَلْبِكَ وَلِسَانُكَ .. [قَالَ ﷺ لَعَلَّ بَنِي طَالِبٍ] ١٧٥
- إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ جَبَّاراً ١٢٩
- إِنَّ اللَّهَ لَيَزْعُ بِالْسلْطَانِ مَا لَمْ يَزْعُ بِالْقُرْآنِ ٢٥٢
- إِنَّ اللَّهَ لَيُجْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ٥٩٥
- إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الدِّينَ يَعْذِيبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ٦٠٢
- إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً ٥٧٦
- إِنَّمَا يُبْعَثُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ عَذَاباً ٥٨٥
- إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى ٣٩٣
- أَوَّلُ مَا أَخَذَ النِّسَاءَ التُّطْقُ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ٦٣٤
- أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ ٦٢٢
- أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ ٢٠٩
- أَيُّكُمْ يَعْرِفُ قَسَ بْنَ سَاعِدَةَ ؟ ٧٥
- أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَيَّامَ تُطَوَّى ٩٥

﴿ حرف الباء ﴾

- بايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ٣٢٨
- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٤٦٢
- بَرِيءٌ مِنَ الشَّعْخِ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ ٣٨٨
- بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ٥٧٥

﴿ حرف التاء ﴾

- تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ ١٦٤

﴿ حرف القاء ﴾

- ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ ١٨٢
- ثَلَاثٌ لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِنَ قَلْبُ مُسْلِمٍ ٣٢٧

﴿ حرف الجيم ﴾

- جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ : إِنِّي جَائِعٌ ٣٦٠
- الْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا دَيُّوثٌ وَلَا قَلَّاعٌ ٦١٥

﴿ حرف الحاء ﴾

- الْحَرْبُ تُخَدَعُ ٦٨٩
- حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ ٥٧٦

﴿ حرف الخاء ﴾

- خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ٢٨٦
- خَيْرُ الْمَالِ سَكَةٌ مَأْبُورَةٌ ٥٩٦

« حرف الدال »

• دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله ١٦٩

« حرف الذال »

• ذلك الأحق المطاع ... [قاله ﷺ في الأقرع بن حابس التميمي] ٢٣٤

« حرف الراء »

• رأس العقل - بعد الإيمان بالله - التودد إلى الناس ٥٨٨

• رأى عيسى - عليه السلام رجلاً يسرق ٥٨٤

• رَبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرُ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْتِيهِ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ٦٤٨

« حرف السين »

• سئل ﷺ عن الإيمان فقال : الصبر والسماحة ٣٩٤

• سئل ﷺ عن الشؤم فقال : سوء الخلق ٥٨٥، ٥٨٤

• ساقى القوم آخرهم شراباً ١٩٥

• سبعة يُظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمِهِ ١٨٣

• السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ٣٦٢

• السلطان ظل الله في أرضه ١٨٣

• سيأتيكم رَكْبٌ مَبْعُوثُونَ ٤٦٣

« حرف الشين »

• الشجاعة والجبن غرائز يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده ٦٦٩

« حرف الصاد »

• الصبر ستر من الكرب وعون على الخطوب ٣٩٦

- الصبر ضياء ، وبالصبر يتوقع الفرج ٣٩٦
 • صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي ١٦٩
 • صنفان من أهل النار لم أرهما ٥٩٥

(حرف الضاد)

- ضرب مرسى الحَجَر الذى فُر بثوبه ٦٣١

(حرف الظاء)

- الظلم ظلمات يوم القيامة ٥٩٣

(حرف العين)

- العرفاء فى النار ١٦٧
 • العقل حيث كان ألوف مألوف ٢٨٠

(حرف القاف)

- قد أودى موسى بأكثر من هذا فصير ٣٩٣
 • القضية ثلاثة : اثنان فى النار ، وواحد فى الجنة ١٧٦، ١٧٠
 • قطعت ظهر أخيك .. [قاله ﷺ حينما سمع رجلاً يمدح رجلاً] ٥٥٥
 • القلب كالكف ، فإذا أذنب العبد انقبض ٣١

(حرف الكاف)

- كان النبى ﷺ فى غزوة فأمرهم بالنزول ٢١٠
 • كأتى بك قد لبست ميوارى كسرى .. [قاله ﷺ لسراقة بن مالك] ٥٠٥
 • كن فى الدنيا كأنك غريب ١١٥

مطلع الحديث

الصفحة

• كيف رأيت الإمارة أبها معبد؟ .. [قاله ﷺ للمقداد بن عمرو] ٥٦٧

« حرف اللام »

• لا تُسَبِّحْهُ عَنْهُ - أَيْ : لا تُخَفِّضْ عَنْهُ .. [قاله ﷺ لعائشة رضى

الله عنها عندما سُرِقَتْ لها ملحفة فجعلت تدعو على مَنْ أَخَذَهَا] ٤٦٥

• لا يَأْتِينِي أَحَدُكُمْ عَلَى رِقْبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رِغَاءٌ ٦٢٨

• لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ ٣٢٨

• لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ - أَوْ نِثَامٌ ٦١٣

• لَتَتَوَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٦٢٨

• لَتَعْمَلَ الْإِمَامُ الْعَادِلُ فِي رِعْيَتِهِ يَوْمًا أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ ١٨٤

• لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ٥٧٨

• لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ ٥٥٢

• لَوْ أَطْلَعْتَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتِ الْأَرْضَ

مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ٥٢٩

• لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ٧١٠

• لَوْ جِئْتَنِي بِمَالٍ أَغْطَيْتَكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ٥٠٦

• لَوْ صَدَّقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مِنْ رَدِّهِ ٤٣٢

• لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ لَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يَوْذِهِ ٧٥٨

• لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ ١٩

• لَوْلَا الْقِصَاصُ لَأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا ٦٢٥

• لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ ١٢٣

• لَيْسَ مِنْ وَاِلِي وَلَا قَاضٍ إِلَّا وَيُؤْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١٦٧

• لَيُؤَدَّنُ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ وَقَعُوا مِنَ الثَّرْيَا وَلَمْ يَكُونُوا أَمْراءَ عَلَى شَيْءٍ ... ١٦٩

« حرف الميم »

• مَا أَزْدَادَ رَجُلٌ بِعَفْوٍ إِلَّا عَزَا ٣٥٥

- ما بال الرجل نستعمله على عمل من أعمالنا فيقول : هذا لكم وهذا لي . ٥٦٩
- ما بعث الله نبيًّا ولا استخلف خليفة إلا كانت له بطاقتان ٢٨٨
- ما ظن آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ؟ ٥٠١
- ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ٥٩٧
- ما لكم ولأمرائي ؟ لكم صفو أمرهم وعليهم كدره ١٩٥
- ما من امرئ يلى أمر المسلمين ١٦١
- ما من أمير يُؤمَّر على عشرة ١٦٩
- ما من عبد يسترعيه الله تعالى ١٦١
- مانع الزكاة يبيء ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه ويقول : أنا مالك .. أنا كنزك ٥٩٤
- ما هذا يا جبريل ؟ ٥٧٥
- ما يكن عندى من خير فلن أدخره عنكم ٣٩٢
- المؤمن ألف مألوف ٥٨٠
- مثل ابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة إخلاء ١٠٤
- المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ١٤٣
- مر النبي ﷺ بقرين فقال : إنهما ليعذبان ٦١٤
- مطَّل الغنى ظلم ٥٩٥
- ملعون ذو الوجهين ٦١٣
- من استرق أو اكسب فقد برىء من التوكل ٧٠٨
- من أشرط الساعة أن تكون الزكاة مفرمًا ٢١٢
- من أصبح غاشًا لرعيته لم يَرْخ راحة الجنة ١٢٦
- من اقتطع حق امرئ مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار ٥٩٧
- من التمس رضا الناس بسخط الله ١٠٧
- من جُعل قاضيًا ١٧١

مطلع الحديث

الصفحة

* من شفع لأخيه شفاعاً فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى باباً

عظيماً من أبواب الربا ٥٦٩

* من ظلم من الأرض شبراً طَوَّقَهُ من سبع أرضين ٥٩٤

* من قَدِمَ إلى القضاء فقد ذُبِحَ بغير سكين ١٧٥، ١٧١

* من كانت لأخيه عنده مظلمة فليتحلَّه منها ٦٢٢، ٥٩٤

* من كانت له عندى مظلمة فليأت ٦٢٣

* مَنْ كَرِهَ من أميره شيئاً ٤٦٣

* من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ٤٢٦

* من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً ١٦٤

(حرف النون)

* نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عن كلام كعب بن مالك ومراة بن الربيع وهلال بن

أمية ٦٣٦

(حرف الواو)

* وَجِبَتْ حُبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَغْضَبَ فَحَلِمَ ٣٣٣

(حرف الياء)

* يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّمَا أَمَانَةٌ ١٧٤

* يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي أَحْبَبْتُ لَكَ مَا أَحْبَبْتُ لِنَفْسِي ١٧٤

* يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، هَذِهِ الرِّعَاسُ كَانَتْ تَحْرُصُ عَلَى الدُّنْيَا كَحِرْصِكُمْ ٢١

* يَا بَنَةَ أَبِي بَكْرٍ ، ذَرْنِي أَتَعْبُدُ لِرَبِّي ٤٢٨

* يَا جَبْرِيلُ ، مَا هَذَا ؟ ٣٠٥

* يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ ٧٠٧

* يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَعْمِلْنِي ٥٦٠، ٢١١

- يا رسول الله ، غر لي - أو اختر لي ٥٧١، ١٦٩
- يا رسول الله ، أي المؤمنين أفضل ؟ ٥٧٥
- يا رسول الله ، علمني كلمات أعيش بهن ٣٣٢
- يا عباس يا عم النبي ، نفس تحبها خير من إمارة لا تحصيها ١٦٦، ١٢٦
- يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ٥٩٢
- يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ١٦١
- يا عبد الله ، كن في الدنيا كأنك غريب ٢٢
- يا عمر ، ما آتاك الله من هذا المال ٥٤٠
- يا عويمر ، ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً ٢٨٢
- يا محمد ، إن الله يقول لك : عش ما شئت ٢٠
- يا محمد ، ما هذه الجريدة بيدك ؟ ١٢٩
- يا محمد ، مر لي من مال الله الذي آتاك ٥٧٦
- يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة ١٦٨
- يجيء الظالم يوم القيامة ٦٠٢
- يخلص المؤمنون من النار ٦٢٣
- اليد العليا خير من اليد السفلى ٣٧٦
- يرحم الله أم إسماعيل ٦٣٦
- يُسئل العود لم تحددش العود ٦٢٩
- يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم ٦٠١
- يقول الله تعالى يوم القيامة : أنا ظالم إن فاتني ظلم ظالم ٦٢٤
- يقول الله تعالى : أنا والجن والإنس في نبي عظيم ٤٢٨
- ينادي مناد يوم القيامة : من كان له على الله أجر فليقم ٣٠٨

(٣)
 « فهرس القوافي »

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
(قافية الهمزة)				
قل ما بدا لك	صمَاء	البسيط	١	٣٤٣
وراعى	رعاء	الوافر	١	١٦١
رأيت الحرب	براء	الوافر	١	٦٨٩
(قافية الباء)				
أَلَمْ تَر	الرُّطْب	الطويل	٢	٧١٠، ٧٠٩
طُبِعَتْ	المُهَذَّبَا	الطويل	٣	٧١٥
أَقُولُ	تذهبُ	الطويل	٢	٥٠
وَعُوضَتْ	يذهبُ	الطويل	١	٤٠٠
وما سُمِّيَ	يتقلبُ	الطويل	١	٧٢٣
يُحِبُّ	طالِبُهُ	الطويل	١	٧١٤
أَلَمْ تَر	التجاربِ	الطويل	١	٢٧٨
ومن يربط	الكلبِ	الطويل	١	٥٦٨
ولانِياسَنَ	حيبِ	الطويل	١	٧٢٣
يُقَدُّ	المُحِبِّاجِ	الطويل	١	٦٧٦
بالله رَبُّكَ	والطَّرِبِ	البسيط	٢	٨١
إذا غدا	الحربِ	البسيط	٢	٤٧٢
لَمَّا رَأَيْتُ	بالعقابِ	مخلع البسيط	٢	٣١٢

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
وراعى	ذئابُ	الوافر	١	٢١١
نعم	مصائبُ	الكامل	١	٤٣٥
كم للحوادث	بنوائبُ	الكامل	٣	٩٧، ٩٦
جمع الشجاعة	المحاربُ	الكامل	١	٦٦٩
ولقد مررتُ	نهبُ	الكامل المرفل	٣	١٠٣
إن الهدية	القلوبنا	مجزوء الكامل المرفل	٣	٥٧٢
يا مَلِكُ	واجبُ	السريع	٢	٢٩١
لا تُرْجُ	العيبُ	السريع	١	٢٠٤
ماكل مكتوم	جوالبه	السريع	٤	٤٢٢
لا تُحْقِرَنَّ	شبيبُ	المنحث	١	٢٥٧
إذا ما تحلا	كعابُ	المتقارب	٥	٧٨٣

« قافية التاء »

وعظمتك	تحقتُ	مجزوء الكامل	٥	٤٨
إن يكن	وجلتُ	الخفيف	٤	٦٣٤
نضر الله	الطلحاتُ	الخفيف	١	٣٦٦

« قافية الشاء »

ولا شيء	حديثُ	الوافر	١	٥١٨
---------	-------	--------	---	-----

« قافية الجيم »

كدودُ	ناسجةُ	الطويل	١	٩٦
إن الأمور	ارتججا	البيسط	٣	٤٠١
من كان يعلم	مخرجةُ	البيسط	٤	٦١
أيها العبدُ	راجُ	الخفيف	٤	٦٦٣

صدر البيت قافيته بحره عدد الأبيات الصفحة

« قافية الحاء »

٣٢٩	١	مجزؤه الكامل	النصوح	وعلى النصوح
٤٢٢، ٤٢١	٢	المتقارب	صحيحًا	ألم تر

« قافية الدال »

٣٧٩	٢	الطويل	غَدَا	ذرنى
٧٨٨	٤	الطويل	ومشهدًا	لنا جلساء
٣٨٢	٣	الطويل	واحدُ	ولأنى امرؤ
٦١١	١	الطويل	الفرْدُ	وأنت زنيم
٧٨٣	٥	الطويل	الوَجْدُ	سمير
٣٣٠	٣	البسيط	أحدُ	لقد نصحتُ
٤٧٥، ٢٣٦	١	البسيط	سأدوا	لا يصلحُ
٣٤٧	٢	البسيط	ثُرِدُ	أقول للنفس
٦٧٥	٢	البسيط	بادى	أبقى الحوادث
٨٤	٣	الوافر	الجديدا	لمن أبنى
٣٧٦	٢	الوافر	اقتصادى	ملأْتُ
٢٥	٦	الوافر	وإد	مقيم
٤٨٢	١	الكامل	فيخمدُ	عَدَوَى البليد
٣٦، ٣٥	٧	الكامل	الأعوادِ	ولقد علمتُ
٦٧	٣	الكامل	الحُدُّ	من كانَ
٢٧	٢	الرجز	تَبْدَى	ولقد سألتُ
٢٥٦	٢	السريع	السُّودَّ ذَا	تَفَقَّدُ
٢٧٩	١	الخفيف	شديدُ	أنفسُ
٥٩٨	٢	المتقارب	المعادِ	إذا ما ممتُ

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات الصفحة
-----------	--------	------	--------------------

(قافية الراء)

ولا خير	يُكَدِّرَا	الطويل	٢	٣٥٠
تروخ لك الدنيا	أُمُورُ	الطويل	٤	٧٣
فقى	كَيْثُرُ	الطويل	١	٢٣٣
إذا كان	الشكرُ	الطويل	٤	٤٢٦، ٤٢٥
سأشكرُ	الشكرُ	الطويل	٢	٤٤٠
إلهي	الشكرُ	الطويل	٢	٤٤٠
ألا فاستغنى	الجهرُ	الطويل	٢	٤٧١
ومن يُنفق	الفقرُ	الطويل	١	٧٦٥
أيا منزلاً	ودُورُ	الطويل	١٤	٧٨٢، ٧٨١
فإن كنتُ	الدَّهرُ	الطويل	١	٢٣
ننافسُ	الفقرُ	الطويل	٢	٧٣ ، ٧٢
فإن كنتُ	الأجرُ	الطويل	١	٣١٣
إذا طالَ	الصبرُ	الطويل	٢	٤٠٠
صبرْتُ	للصبرِ	الطويل	١	٤٠٦
صبرْتُ	السَّـرُّ	الطويل	٢	٤٠٨
رضيتُ	الأمرُ	الطويل	١	٤٠٨
سأصبرُ	صبري	الطويل	١	٤٠٨
تعودتُ	الصبرِ	الطويل	٣	٤١١
فأنفقُ	تفسيرُ	الطويل	٢	٧٧٧
أحسنْتُ	القَدْرُ	البسيط	٢	٢٢
ولا أرى	أثرُ	البسيط	٢	٣٢
هذى منازلُ	خطرُ	البسيط	٢	١٠٢

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
بالملح	الغَيْرُ	البسيط	١	٢١١
إذا مرضنا	فنتذُرُ	البسيط	١	٣١٣
يا مَنْ أَلَحَّ	الغَيْرُ	البسيط	٤	٤٠٢
ولو قدرْتُ	والخَيْرِ	البسيط	٢	٤١٥
عرضْتُ	مُرُّ	الوافر	٤	٣٢٩
ولو لَيْسَ	حمارٍ	الوافر	١	٩
وإذا تُصَيِّكُ	لا يَصِيرُ	الكامل	١	٤٠٠
وإذا بَقِيَ	بالمكْرِ	الكامل	١	٣١٠
في الذاهبين	بصائرُ	مجزوء الكامل	٦	٧٧، ٧٦
قالوا	تفرُّ	مجزوء الكامل	٤	٧١٨
عِشْ ما بَدَأَ لَكَ	القصورِ	مجزوء الكامل	٤	٦٦
لن ترجع	زاجرُ	الرجز	١	٣٢
لن يُسَبِّقَ	طيارٍ	الرجز	٢	٧١٦
فَصَحَّ	الأرزُ	الرَّمَلِ	١	٣٤٧
أيها الرُّبْعُ	أثرا	الرمل	٣	٩٢
الناسُ	قَلْبِي	السريع	٢	١٢
صاَبَرُ	صَبْرًا	الخفيف	١	٤٠٦
وتَيَّنَ	تذْكِيرُ	الخفيف	٦	٣٥، ٣٤
وإذا ما اعترتك	الاعتذارِ	الخفيف	١	٣٥٦
هِيَ الدَّارُ	الغَيْرُ	المتقارب	٤	٣٠
فلا تُحَقِّقَنَّ	قِصْرُ	المتقارب	٢	٦٧٧
فلو كان	الناظِرُ	المتقارب	٣	٤٤٢
دع الدُّهْرَ	أوطارِهِ	المتقارب	٣	٤٠٦، ٤٠٥

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
إذا ما خلوت	دخري	المقارب	٨	٧٨٤
(قافية الزاي)				
زَرَرْنَا	أَجُوزُ	الطويل	١	٣٥٦
لئن عَجَزَتْ	عَاجِزُ	الطويل	٢	٤٤١
(قافية السين)				
ومستودعي	الحسُ	الطويل	٢	٤١٦
رُبُّ مغروس	مغترِبة	المديد	٢	٧٢
أُنسْتُ	أُنيسِ	الوافر	٦	٧٨٦، ٧٨٥
إِنْ صَحِبْنَا	الجليسِ	الخفيف	٥	٧٨٥
(قافية الشين)				
فلا تنطق	فاشي	الوافر	١	٤٢٠
(قافية العين)				
لَعَمْرِي	جائِئًا	الطويل	٣	٣٨٣
أبا جعفر	واقعُ	الطويل	٢	٨٣ ، ٨٢
وَمَنْ يَأْمَنُ	الأصابع	الطويل	١	١٠٣
ومعصية	استماعًا	الوافر	٢	٣٣٠، ٣٢٩
تعصى	بديعُ	الكامل	٣	١٥٤
ذئب	ركعُ	مجزوء الكامل	٣	٤٤٧، ٢١٢
إنما أجزعُ	والجزعُ	الرمل	١	٤٠٤
وأنت	المطاعُ	المقارب	٢	٢٩٩

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
-----------	--------	------	-------------	--------

(قافية الفاء)

ويَتَنَا نُسُوسُ	ننصفُ	الطويل	٢	٦١
لا تَبْخَلَنَّ	والسرفُ	البيسط	٢	٧٧٧
لا الفقرُ	سرفُ	المنسرح	٢	٣٦٦
وسيركُ	الحفي	المتقارب	١	٤٢٠

(قافية القاف)

فَقُلْ	وَأَغْتَقِ	الطويل	٣	٣٤٣
إذا ضَاكَ	أَضِيقُ	الطويل	١	٤١٩
قِفْ بالديار	تشوقاً	الكامل	٣	٩٢ ، ٩١
ومن الرزية	ناطق	الكامل	٢	٤٣٨
إن البلاءَ	مُطَاقٍ	الكامل	١	٤١١
لا تُكْثِرْ	المخلوقِ	الرجز المشطور	١	٤٠٩
ما زِلْتُ	عَلِقِ	المنسرح	٢	٣١١ ، ٣١٠
قلْتُ	الآفاقِ	الخفيف	٥	٥١ ، ٥٠

(قافية اللام)

إذا لم يكن	طِفْلاً	الطويل	٣	٢٦٦
إذا طال	عَقْلاً	الطويل	١	٢٧٨
إلهي	أَفْلاً	الطويل	٢	٤٣٧
سَوَّاسَ	فَضْلاً	الطويل	١	٤٧٥
أَرَى	عليلُ	الطويل	٣	٤٩
نسيرُ	مراحلُ	الطويل	٤	٥٣

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الآيات	الصفحة
كأني	منازلة	الطويل	٢	٨٢، ٨٠
أتبني	قليل	الطويل	٢	١٠٢
تعلم	جاهل	الطويل	٢	١٤٠
إذا راب	مفاصل	الطويل	٢	٣٠٣
إذا أنت	جاهل	الطويل	١	٣٤٥
وأمره	سبيل	الطويل	٤	٣٨٢، ٣٨١
سأسكت	فلول	الطويل	٣	٤٠٥
ويعني	علي	الطويل	٢	٤٠٦
تعز	مُعول	الطويل	٨	٤١٢، ٤١١
ألا أيها الموت	خليل	الطويل	٢	٤٩
يسود	توفل	الطويل	١	٣٣٨
وجهل	بالجهل	الطويل	٢	٣٤٠
كسوتيني	حللا	البسيط	٤	٣٨٠
بأثوا	القلل	البسيط	٦	٣٨
أصون	المال	البسيط	٢	٣٨٣
إذا لعب	بالرجال	الوافر	٢	٤٠٧
صبرا	فمن لها	الكامل	٣	٤٠٥، ٤٠٤
صبرتي	لعلها	الكامل	٢	٤٠٥
ياخذ	الجندي	الكامل	٢	٥٨
الحرب	جهول	الكامل	٣	٦٩٠، ٦٨٩
لى حيلة	حيلة	مجزوء الكامل	٢	٢٣٦
من رآنا	زوال	الرمل	٥	٥٦ ، ٥٥
إنك لى دار	العامل	السريع	٤	٥٩
إننا إذا	للقائل	السريع	٣	٣٥٦، ٣٥٥
لم أكن	صالي	الخفيف	١	٦٨٩

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
يُمَثَّلُ	تَنَزَّلَا	المتقارب	٣	٤١٠
(قافية الميم)				
وعاذلة	والقَسَمُ	الطويل	٣	٣٨٠
خَلِيلِي هُبَا	كِرَاكُمَا	الطويل	٨	٧٩، ٧٨
صفوح	مجرما	الطويل	٢	٣١٥
سألزُم	الجرائمُ	الطويل	٥	٣٣٧
وليسَ	لا يتحلَّم	الطويل	٢	٣٤٤
وما سقطت	ذميَّتها	الطويل	٤	٥٦١
وقالَ	المائم	الطويل	٣	٣٩٩
إذا ترَحَّلت	هُمُ	البسيط	١	٣٨٥
هَيْدَى منازلُ	بالذَّمِ	البسيط	٢	٧٠
لن يبلغَ	لأقوامِ	البسيط	٢	٣٣٩
البرُّ بي	تَلِمَ	البسيط	٢	٣٥٧
لا تَنْظَلِمَنَّ	النديم	البسيط	٢	٥٩٨
قد يُنعم	بالنَّعمِ	البسيط	١	٧٥٩
إذا ما ضاقَ	تلوُّمُ	الوافر	٢	٤٢٠
أرى	ضيرامُ	الوافر	٣	٢٣١، ٢٣٠
وإنَّ اللهَ	الحليمُ	الوافر	١	٣١٦
أما واللهِ	الظلوُّمُ	الوافر	٣	٦٠٨
زنيَمَ	لعيم	الوافر	١	٦١١
يا أَيُّهَا	التعليمُ	الكامل	٦	٤٧٤، ٤٧٣
إني وهبْتُ	علمي	الكامل	٦	٦٠٠
مَنْ يَهْنُ	إيلاَمُ	الخفيف	١	٣٣٦

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
وأخْبِبْ	تُصَرِّمًا	المتقارب	١	٧٢٣
تَبُوحُ	يَكْتُمُ	المتقارب	٣	٤٢٠
إِذَا كُنْتُ	مَغْرُمُ	المتقارب	٣	٥٧٢

(قافية النون)

أَجُودُ	لَصْنَيْنُ	الطويل	٤	٤١٧
بِأَحْلَامِ	لِسَانِ	الطويل	٢	٣٤٨، ٣٤٧
فَلَوْ كَانَ	مَكَانِ	الطويل	٢	٤٤١
لَيْسَ الشَّفِيعُ	عُرْيَانًا	البسيط	١	٤٨٨
إِنْ كُنْتُ	قَارُونِ	البسيط	٤	٨٤ ، ٨٣
وَالنَّاسُ	إِحْسَانِ	البسيط	١	١٤٨
وَأَسْقَى	وَالْحَصُونُ	مخلع البسيط	٤	٥٥
الصَّبْرُ	يَهُونُ	مخلع البسيط	٣	٤٠٢
أَلَا لَا يَجْهَلُنْ	الْجَاهِلِيْنَا	الوافر	١	٣٠٧
إِلَهِي لَا تَعْذِبْنِي	مِنِّي	الوافر	٨	٧٥، ٧٤
وَأَكْرَمُ	الْيَدَيْنِ	الوافر	٣	٥٧٢
وَالنَّاسُ	عَنِّي	الكامل	١	٦٨٥
أَلَمْ تَمْ	أَمَانِ	الكامل	١	٧٤٨
أَيُّهَا الرُّكْبُ	الْمُجْدُونَا	الهنزج	٢	٥٦
وَيَحْلِكُ	مَا شَانِي	الرجز	٩	٣٩
لَيْتَ شَعْرِي	الْوَسْنُ	الرمل	٤	٨٦
رُبُّ وَرْقَاءَ	فَتْنِي	الرمل	٦	٩٣، ٩٢
يَا ذَا الَّذِي	يَمْنِي	السريع	٢	٤١٩
أَيُّهَا الْمَرْءُ	تَأْمَنْتَهَا	الخفيف	٢	٤٣

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الآيات	الصفحة
أسعداني	الزمان	الخفيف	٣	٥٢ ، ٥١
أنتَ نِعَمَ المتاع	للإنسان	الخفيف	٢	٦٧
أيها الرافع	المباني	الخفيف	٢	٨١

« قافية الهاء » (٥)


وَأَنى لَمْ شَتَاقِ	عليه	الطويل	٢	٣٠١
إِذَا رَشَوَةٌ	فيه	الطويل	٢	٥٧٢
إِنَّ المَكَارِمَ	ساديها	البسيط	٥	٢٨٣
إِذَا ابْتُلِيتَ	الله	البسيط	٣	٤٠٦
إِذَا أَتَتْ	كُؤَاهَا	الوافر	١	٥٧١
أَقَامَ عَلَى المَسِيرِ	حاديها	الوافر	٣	٧١٦
أُولَيْتَنِي	بأسرِها	الكامل	٢	٤٤٠
وَإِذَا خَشِيتَ	تَوَجُّهُ	الكامل	١	٧١٥
وَلَهَا سَرَائِرُ	طَيِّه	الكامل	١	٤١٦
حَسْبُ	عليه	مجزوء الكامل	٢	٢٣٥
غَدَوْنَا	فعلناهُ	المزج	٦	٢٩٨
مَنْ لَمْ يَكُنْ	فيه	السريع	١	٢٨٥

« قافية الياء »

أَلَا حَى	اللياليَا	الطويل	٣	٨٧
كَفَى	يَدَيَا	الوافر	٢	٥٣ ، ٥٢

(٤)
فهرس الأعلام ،

(١)

- ابن الأعرابي (أبو سعيد أحمد بن محمد) : ٧٣١ .
ابن أم حؤاد (في شعر) : ٣٦ .
ابن الجهم = علي بن الجهم .
ابن حبيب = محمد بن حبيب بن أمية .
ابن حزم = علي بن أحمد بن سعيد .
ابن الحصار (أبو للطرف) = عبد الرحمن بن أحمد .
ابن حنبل (الإمام أحمد) : ٥٤٩ .
ابن الجندی (السيف) : ٦٥٤ .
ابن ذكوان (الفقيه) : ٦٥٥ .
ابن رودمي (رودمیل) : ٦٨٥ .
ابن الرومي = علي بن العباس بن جريح .
ابن زياد = عبد الله بن زياد بن أبيه .
ابن زيد = ثابت بن زيد بن النعمان .
ابن زيد = عبد الواحد بن زيد (الزاهد) .
ابن السمك الأسدي : ٦٠٤ .
ابن السمك (الواعظ) : ٢٧ ، ١٢٠ ، ١٥٣ .
ابن سيرين = أبو بكر محمد بن سيرين (البصري) .
ابن شبرمة = عبد الله بن شبرمة .
ابن الشري (القاضي) : ٦٥٤ .
ابن شهاب (الزهري) = أبو بكر محمد بن مسلم .
ابن صمعة : ٤٦٠ .
ابن طلووس = عبد الله بن طلووس الجاني .
ابن عامر = عبد الملك بن عبد العزيز .
ابن عباس = عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .
ابن عبد المطلب = محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .
() .
ابن عفان = عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .
ابن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب .
ابن عوف = عبد الرحمن بن عوف .

- آدم (عليه السلام) : ٢٣ ، ٢٦ ، ١٠٦ ، ١٨٠ ، ٢٦٧ ، ٣١٤ ، ٤٢٦ .
آزر (أبو إبراهيم عليه السلام) : ٦٣٨ .
إبراهيم بن أحمد الخواص (أبو إسحاق) : ٣٩٧ .
إبراهيم بن آدم : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٣٣١ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ .
إبراهيم بن بشار (أبو إسحاق الخراساني) : ٤٠ .
إبراهيم بن الحسن : ٥٨٢ .
إبراهيم بن خالد بن أبي الهيثم (أبو ثور) : ٣٧٠ .
إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٢٣ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ ، ٤٦٤ ، ٥١٢ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٦٥ .
إبراهيم بن العباس (الكاتب) : ٢٩٩ .
إبراهيم القمودي (أبو جعفر) : ٥٨٢ .
إبراهيم بن محمد (أبو إسحاق الإسفراييني) : ٦٢٩ .
إبراهيم بن محمد بن علي (صاحب الموصلي) : ١٥٧ .
إبراهيم بن المهدي (العباسي) : ٢٦٥ ، ٣٥٦ .
إبراهيم النخعي : ٥٦٨ .
أبرويز بن هرمز : ٤٩٣ .
ابن أبي حؤاد = أحمد بن أبي حؤاد الإباضي .
ابن أبي ذئب = محمد بن عبد الرحمن .
ابن أبي السرح = عبد الله بن أبي السرح .
ابن أبي عامر = عبد الملك بن عبد العزيز .
ابن أبي عروبة = سعيد بن أبي عروبة .
ابن أبي ليلى : ٧١٦ .
ابن الأشعث : ٣٥٦ .

- ابن عون = عبد الله بن عون بن أرطيان .
 ابن حينة = سفيان بن حينة .
 ابن ضحون (أبو الوليد بن ضحون) : ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ .
 ابن فضلوه = عبد الله بن المعلم .
 ابن القاسم = عبد الرحمن بن القاسم (أبو عبد الله) .
 ابن قتيبة (الدينوري) : ٦١٥ .
 ابن قصاب الهندى : ٧٤٢ .
 ابن الكواء = عبد الله بن عمرو بن النعمان .
 ابن اللبية = عبد الله بن اللبية الأزدي .
 ابن لقمان الحكيم : ٧٢١ .
 ابن المبارك = عبد الله بن المبارك المروزي .
 ابن المستطاري (العابد) : ٦٤٧ .
 ابن مسعود = عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) .
 ابن المصنفى : ٦٨٧ ، ٦٨٨ .
 ابن المقفع = عبد الله بن المقفع .
 ابن ملجم = عبد الرحمن بن ملجم .
 ابن المنكسر = أبو بكر بن المنكسر .
 ابن هبيرة (أمير البصرة) : ٣٢٣ .
 ابن هند = معاوية بن أبي سفيان .
 ابن هود = سليمان بن محمد (المستعين بالله) .
 ابن وهب = عبد الله بن وهب الفهري .
 أبو إدريس الخولاني : ٥٩٣ .
 أبو أمارة الباهلي = صدق بن عجلان .
 أبو أيوب : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
 أبو أيوب الأنصارى = خالد بن زيد .
 أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (صاحب السنن) : ٥٢٠ ، ٥٢٣ .
 أبو بكر بن أبي مريم : ١٧٢ .
 أبو بكر بن حزم (الأنصارى) : ٤١٨ .
 أبو بكر النخعي : ٣٧٥ .
 أبو بكر الصديق = عبد الله بن أبي قحافة .
 أبو بكر بن عبد الرحمن (الفقيه) : ٦٤٨ ، ٦٤٩ .
 أبو بكر بن عمر : ٣٢٤ .
 أبو بكر محمد بن مسلم (ابن شهاب الزهري) : ١١٩ ، ١٥١ ، ٦٢٦ .
 أبو بكر محمد بن سيرين (ابن سيرين البصري) : ١٧١ .
 أبو بكر محمد بن الوليد (الطرطوشي) : ١٤٦ ، ١٩٠ ، ٢٨٦ ، ٣٨١ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .
 أبو بكر بن المنكسر : ٣٧٧ .
 أبو تمام = حبيب بن أوس الطائي .
 أبو التياح الأسدي = يزيد بن حميد .
 أبو ثور = إبراهيم بن خالد بن أبي إيمان .
 أبو جعفر الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة .
 أبو جعفر القمودى : ٥٨٢ .
 أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي) : ٨١ ، ٨٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٨٩ ، ٢٢٥ ، ٢٦٠ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٤٦٦ .
 أبو جعفر : ٤٩٣ ، ٦١٨ ، ٧٣٢ .
 أبو جهل (عمرو بن هشام) : ٦٦٧ .
 أبو حازم الأعرج = سلمة بن دينار المدني .
 أبو الحسن الأشعري = علي بن إسماعيل بن إسحاق .
 أبو حفص = عمر بن أحمد بن شاهين .
 أبو حنيفة (الإمام) = النعمان بن ثابت .
 أبو داود (صاحب السنن) = سليمان بن الأشعث السجستاني .
 أبو الدرداء = عويمر بن مالك .
 أبو دهمان الفلاني : ١٤٥ .
 أبو ذر الغفاري = جندب بن جنادة .
 أبو ذر القاري : ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩ .
 أبو رهم : ٥٠٩ .
 أبو السرايا (من الفتاك) : ٦٨٣ .
 أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك بن سنان .
 أبو سعيد الصوفي : ٥١٦ ، ٥١٧ .
 أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ١٨٥ ، ٥٣٧ .
 أبو سليمان الداراني = عبد الرحمن بن أحمد .

أبو الفتح البستي = علي بن محمد .
أبو الفتح بن ألب أرسلان (ملك الترك) : ٥١٣ ،
٥١٤ ، ٥١٥ .

أبو الفضل المعبر : ٦٥١ .
أبو القاسم بن الحسين : ٦٥٩ .
أبو القاسم الحضرمي : ٦٥٣ .
أبو القاسم بن فاذك : ٦٤٨ .

أبو قتادة الأنصاري = الحارث بن ربيع .
أبو محمد الأزدي (عبد الله بن موسى) : ٣٦٨ .
أبو محمد التيمي : ٨٤ .
أبو محمد الجبري = أحمد بن محمد بن الحسين .
أبو مرثد : ٣٧٦ .

أبو مروان الدائي (القاضي) : ٦٥٥ .
أبو مسعود الأنصاري = عقبة بن عمرو .
أبو مسلم الخراساني : ٧٣٢ .

أبو موسى الأشعري : ٢٨٤ ، ٥٢٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ،
٥٤٠ ، ٥٤٥ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٩٥ ، ٦١١ .
أبو النضر سالم (مولى عمر بن عبيد الله) : ١٥٧ ،
١٥٨ .

أبو نواس = الحسن بن هاني .
أبو هارون : ٤٢٩ .

أبو هارون الأندلسي : ٨٤ ، ٨٥ .
أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر الثؤوسي .
أبو الوليد الباجي = سليمان بن خلف التجيبي .
أحمد بن أبي الخوارى : ١٥٢ ، ٤٠٨ .
أحمد بن أبي دؤاد الإيادي (ابن أبي دؤاد) : ٥١٨ .
أحمد بن خضرويه : ٥٩١ .

أحمد بن سهل البلخي : ٧٣٤ .

أبو سهل الصعلوكي = محمد بن سليمان .
أبو عباد الكاتب : ٧٢١ .

أبو العباس الأنطاكي : ٣٦٨ .

أبو العباس الجرجاني (القاضي) : ٨٠ ، ٨٣ ، ٧٧٠ .
أبو العباس الحجازي : ٢٢٣ ، ٤٨١ .
أبو العباس السُّفَّاح (أول الخلفاء العباسيين) : ٢٥٧ ،
٣٥٠ .

أبو العباس الطوسي : ٤٩٣ .

أبو العباس (المستظهر بالله) : ٥١٧ .

أبو عبد الرحمن = محمد بن حسين الأزدي .

أبو عبد الله بن حملون : ٧٨١ .

أبو عبد الله الثَّامِغَانِي = محمد بن علي بن حسن .

أبو عبد الله الروذباري = أحمد بن عطاء .

أبو عبد الله محمد الأمري (للمأمون البطالحي) : ١١ .

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (البخاري) : ١٦٤ ،

١٨٠ ، ٢١١ ، ٤٦٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٩ ، ٥٧٦ ،

٥٨٤ ، ٦٢٢ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ .

أبو عبيد بن عبد الله بن مسعود : ٢١٩ .

أبو عبيدة بن الجراح : ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ ،

٥٥٦ .

أبو عبيدة معمر بن النثني : ٢٤٧ .

أبو العتاهية = إسماعيل بن القاسم .

أبو عثمان : ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

أبو عثمان البصري = عمرو بن عبيد .

أبو عثمان الحيري = سعيد بن إسماعيل .

أبو عثمان النهدي = عبد الرحمن بن مل .

أبو عقال علوان بن الحسن : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

أبو علي الثقفي : ٣٦٧ .

أبو علي الدقاق : ٣٦٩ .

أبو عمرو المكدودي (الفقيه) : ٦٥٤ .

أحمد بن عطاء (أبو عبد الله الروذباري) : ٣٧٢ .
أحمد بن محمد بن الحسين (أبو محمد الجبري) :
٤٠٧ .

أحمد بن محمد بن سلامة (أبو جعفر الطحاوي) :
٥٩٤ .

الأحنف بن قيس : (أبو بحر التميمي) : ١١٧ ،
١١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ،
٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ،
٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٤١٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٩ ، ٥٧٧ ،
٦٦٧ .

أخرسني الملك : ٧٤٤ .

إدريس (عليه السلام) : ٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ،
أردشير بن بابك : ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٩٠ ،
٣١٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٩٥ ، ٤٧٨ .

أرسطاطاليس (الحكيم اليوناني) : ٥٢ ، ٣٣٦ ،
٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٧٣٠ .

إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام) : ٣٣٣ ، ٥٥٣ ،
٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ .

إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٤٤٢ .

إسفنديار بن بشتاسب : ٧٢٨ .
الإسكندر المقدوني : ٥٢ ، ٦٩ ، ٢١٩ ، ٢٥٥ ،
٢٨٦ ، ٣٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٦١٦ .

٧٢٣ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ .

أسلم - أبو زيد العدوي (مولى عمر بن الخطاب) :
٥٤٤ .

أسماء (في شعر) : ٣٩ .

أسماء بن خارجة بن حصن : ٣٦٣ .

إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) : ٧٧ ، ٥٥٣ ،
٦٣٤ ، ٦٣٥ .

إسماعيل بن صبيح (الكاتب) : ٤٨٨ .

إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية) : ٣٠ ، ٣٢ ،
٤٨ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٦٠٨ .

الأسود بن يعفر (النهشل) : ٣٥ .

الأشعث بن قيس بن معدى كرب : ٣٧٣ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ .

الاصطخرى = الحسن بن أحمد بن يزيد .

الأصمعي = عبد الملك بن قريب .

أفرائيم بن يوسف الصنّيق (عليه السلام) : ٥١٢ .
الأفضل بن أمر الجيوش : ١٤٦ .

أفلاطون (الحكيم اليوناني) : ٢٣٣ ، ٣١٥ .

الأقرع بن حابس (التميمي) : ٢٣٣ .

أكثم بن صفي : ٢٥٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ،
٣٤٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٥ ، ٦٩٠ ، ٧٤٩ .

ألب أرسلان (ملك الترك) : ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ،
٦٩٧ .

إلغازر (من قوم إبراهيم عليه السلام) : ٦٤١ .

أم إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٦٤٢ .

أم إسحاق (عليه السلام) : ٦٤٤ .

أم إسماعيل (هاجر المصرية) : ٦٣٤ ، ٦٣٥ ،
٦٣٦ .

أم حاتم طيء = غنية بنت عفيف .

أم الدّبال العيسية : ٦٨٢ .

امرأة فرعون : ١٥٥ .

امرأة لوط (عليه السلام) : ١٥٥ .

امرأة معاذ بن جبل : ٥٣٢ .

امرأة نوح (عليه السلام) : ١٥٥ .

امرأة يعقوب (عليه السلام) : ٤١٣ .

الأمين = محمد الأمين بن هارون الرشيد .

بوليس (الملك) : ٧٤٤ .

البيرودى (الطبيب الحاذق) : ٦٥٢ .

البيهقى = أبو بكر أحمد بن الحسين .

(ت)

تدمير (قائد الروم) = انظر (ردميل) .

ثيم بن المعز : ٤٥٥ .

التهامى = على بن محمد (أبو الحسن) .

(ث)

ثابت بن زيد بن النعمان (ابن زيد) : ٣٨٨ .

ثور بن يزيد : ٦٠١ .

الثورى = سفيان الثورى .

(ج)

جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) : ٣٢٧ ، ٣٨٦ .

الجاحظ = عمرو بن بحر .

جالوت : ٣٠٩ .

جالينوس (الطبيب) : ٧٣٣ .

جبريل (عليه السلام) : ٢٠ ، ١٢٩ ، ٣٠٥ ،

٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٧٥ .

جرادة (زوجة سليمان - عليه السلام) : ١٥٩ ،

١٦٠ .

جرير (الشيخ) : ٦٤٨ .

جرير بن عبد الله : ٣٤٨ .

جرير بن يزيد (البجلي) : ٣٧٧ .

جعفر بن حنظلة : ٥٨٢ .

جعفر بن سليمان الهاشمي : ١٥٥ .

جعفر بن عثمان (أبو الحسن المصنف) : ٤١٨ .

جعفر بن محمد بن الأشعث : ٣٣٤ ، ٣٣٨ .

جعفر بن محمد الصادق (الإمام) : ٣٤٤ ، ٧١٧ ،

٧٥٨ ، ٧٦١ .

جعفر بن المتصم بن هارون الرشيد (المتوكل) :

٥٤٤ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ .

أُمَيَّة (فى شعر) : ٢٣١ .

أُمس بن مالك (رضى الله عنه) : ٣٢٨ ، ٣٦١ ،

٣٨٨ ، ٤٠٩ ، ٥٢٣ ، ٥٧٥ ، ٥٩٥ ، ٧٠٧ .

أنوشروان = كسرى أنوشروان .

أوربها بن حنان : ٦٢٥ .

الأوزاعى = عبد الرحمن بن عمرو .

أويس بن عامر القرني : ٥٧٩ .

إلهاس بن معاوية بن قرة : ٢٧٧ ، ٥٥٨ .

أيوب - النبى - (عليه السلام) : ٤٠٨ .

(ب)

بأسراج (الملك) : ٧٤٨ .

باقل ربيعة : ٧٨٧ .

البخارى = أبو عبد الله محمد بن إسماعيل .

البيهقكان (أبو بزرجمهر) : ٧٣٥ .

بريدة بن الحُصَيْب : ١٧٠ .

بزرجمهر (ابن البيهقكان) : ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ،

٢٥٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٧٣ ، ٣٩٦ ،

٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٥٦٠ ، ٧١٤ ، ٧١٦ ، ٧٢٣ ،

٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣١ ، ٧٣٥ ، ٧٤٠ ، ٧٧٩ .

بشار بن برد : ٧١٥ .

بشر بن المُرَيَّ : ١٥٥ .

بشر بن مروان بن الحكم : ٣٣٥ ، ٥٥٤ .

بشر الحافى (أبو نصر) : ٣٦٩ .

بكر بن عبد الله المزنى البصرى : ٣٢ .

بلال بن أُمى بردة (ابن أُمى موسى الأشعرى) :

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٦١١ .

بلال بن رباح : ٤٢٩ .

بلال بن سعد : ٥٩٩ .

بلوام بن حفص (من ملوك اليمن) : ٦٩ .

بهرشان (الملك) : ٧٤٨ .

البهلول بن راشد (أبو عمرو الحجري) : ٣٧٩ ،

٣٨٣ .

بوران بنت كسرى : ٥٥٢ .

- جعفر بن يحيى بن خالد (البرمكي) : ٤٩٦ .
 جندب بن جنادة (أبو ذر الغفاري) : ١٦٣ ،
 ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٣٤٣ ، ٥٨٠ ،
 ٥٨١ ، ٥٩٣ ، ٦٢٨ ، ٦٦٩ .
 الجندب (أبو القاسم الخزاز) : ٤٣٣ ، ٣٩٧ ، ٣٧٠ .
 جهيل (رئيس القندهار) : ٧١٠ ، ٧١١ .
- (ح)
- حاتم الطائي : ٣٧٣ .
 الحارث بن أسد الهامسي (أبو عبد الله) : ٤٠٧ ،
 ٤٠٨ ، ٥٧٧ ، ٥٨٣ .
 الحارث بن رعي (أبو قتادة الأنصاري) : ٦٣٦ .
 الحارث بن عامر : ٥٧٢ .
 الحارث بن قيس : ٥٨١ .
 حازق (الملك) : ٧٤٤ .
 حبان بن هلال (البصري) : ٣٧٥ .
 حبيب بن أبي حبيب : ٣٩٧ .
 حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) : ٣٩٩ .
 حبيب بن عيسى بن محمد المصمى : ٤٣٥ .
 حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري : ٦٢٥ .
 الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٠٣ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ،
 ١٥٦ ، ١٩١ ، ٢٤٧ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣١٦ ،
 ٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٤٣٥ ، ٥٦٨ ، ٦٠٤ ، ٦٨٢ .
 حذيفة بن اليمان : ٣١ ، ١٧٠ ، ٦١٣ .
 حذيفة الطوسي (حذيفة بن غاثم بن عبد الله بن
 عوف) : ٣٦١ .
 الحرقبة بنت النعمان بن المنذر : ٦٠ .
 الحريري = أبو محمد القاسم بن علي البصري .
 حسان بن برزى : ٥٤٦ .
 حسان بن ثابت : ٦١٠ .
 الحسن بن أحمد بن يزيد (الاصطخري) : ٥٥٠ .
 الحسن البصري (أبو سعيد الحسن بن يسار) : ٢٠ ،
 ٢٨ ، ٣٢ ، ١٠٥ ، ١٦٩ ، ٢١٨ ، ٣٦٣ ،
 ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٥ .
- الحسن بن سهل : ٣٠١ ، ٣٦٥ ، ٧٣٤ .
 الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (نظام الملك) :
 ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ .
 الحسن بن علي الأسدي : ٥٠٧ .
 الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) :
 ١٠٧ ، ٣٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٠٠ ، ٥٧٧ ، ٦١٧ .
 الحسن بن محمد بن الحسين (رضي الله عنه) : ١٣٨ ،
 ١٣٩ .
 الحسن بن هانيء (أبو نواس) : ٣٣ ، ٤٧١ .
 الحسن بن يزيد : ١٥٦ ، ١٥٧ .
 حسيبل بن جابر بن ربيعة (يمان العيسى) : ٦١٠ .
 الحسين بن علي (رضي الله عنه) : ٦٣ ، ١٠٧ ،
 ١٤٠ ، ٣١٨ ، ٦٧٠ .
 حفص بن عمارة : ٣٧٩ .
 الحكم بن عبد المطلب : ٣٦٤ .
 الحكم بن عمرو : ٨١ .
 الحكم بن عوانة : ٣٣٩ .
 حكيم بن حزام : ٣٦٧ .
 حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (الخطابي) : ٣٩٣ .
 حمران بن أبان (كاتب عثمان بن عفان) : ٤١٤ ،
 ٤١٥ .
 حميد الطويل (أبو عبيدة الخزاعي) : ٢٩ .
 حنظلة : ٣٦٤ .
 حواء (عليها السلام) : ٣١٤ .

(خ)

- خاتون (أخت ملك الروم) : ٧٢٦ .
 خالد بن أسيد : ٣٧٧ .
 خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصاري) : ٥٠٦ .
 خالد بن صفوان (المنقري) : ٣٤٠ .
 خالد بن عثبان بن ورقاء (الرياحي) : ٤٤٩ .
 خالد بن الوليد : ٥٢٥ ، ٧٠٨ .

- رسم بن الأرت : ١١٥ ، ١١٦ .
 حبيب : ٥٣٠ ، ٥٣١ .
 الخضر (عليه السلام) : ٩٠ ، ١٧٣ ، ٢٦٧ .
 الخضر بن علي : ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٩ .
 الخطابي = حمد بن محمد بن إبراهيم البستي .
 الخليل بن أحمد (الفراهيدي) : ٤٧٢ .
 عواجيا بزرگ = نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي .
 الخواص = إبراهيم بن أحمد (أبو إسحاق) .

(ز)

- الزبير بن العوام : ٣٦٧ .
 زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن (الساجي) : ١٦٧ .
 زليخا (زوجة عزيز مصر) : ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ .
 زمهرير (الملك) : ٧٤٤ .
 زعيم بن فلان : ٦٧٥ .
 زوجة موسى بن عمران : ٦٦٢ .
 الزهري = أبو بكر محمد بن مسلم (ابن شهاب) .

- زياد بن أبيه (زياد بن عبيد الثقفي = زياد بن سمية = زياد بن أبي سفيان) : ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٤٧٩ ، ٤٩٦ ، ٧٢٢ .

- زياد (ابن سعد) : ١٥١ .

- زياد بن جرير : ٣٧٧ .
 زياد العبدي : ١٣١ .
 زياد بن عبيد الله الحارثي : ٣٢٤ .
 زياد بن عمرو (أبو أمامة - الناهقة الديباني) : ٤٤٥ ، ٦٧٥ .

- زيد (في شعر) : ٣٢٩ .

- زيد بن أسلم : ١٥٥ ، ٣٦٧ ، ٥٦٥ .

- زيد بن علي بن الحسين : ٥٥٣ .

(س)

- السائب بن الأقرع بن عوف : ٥٢٤ .
 سابور بن هرمز (ذو الأكتاف) : ٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٤ .

- الساجي = زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن .

- سارة (زوجة إبراهيم عليه السلام) : ٦٣٤ ، ٦٤١ .

(د)

- الدامغاني = محمد بن علي بن محمد .
 داود - النبي (عليه السلام) : ٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ٣٠٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٦٢٤ ، ٧٧٩ .

- داود بن علي : ٤٧٦ .

- دُرُوف (الملك) : ٧٤٨ .

(ذ)

- ذو الأعواد (في شعر) = غوي بن سلامة الأسدي .
 ذوبان (رسول ملك كابلستان) : ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ .
 ذو النون المصري (أبو الفيض ثوبان) : ٣٥٩ .

(ر)

- رابعة العلوية (أم الخير بنت إسماعيل) : ٣٦٠ .
 رافع بن الليث : ٤٥٦ .
 الربيع بن زياد (الحارثي) : ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٥٣ .
 الربيع بن يونس بن محمد (أبو الفضل) : ٨٣ .
 رجاء بن حيوة (أبو المقداد الكندي) : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٣٥٦ ، ٥٤١ .
 ردميل - أو تدمير (قائد الروم) : ٦٩٢ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ .

- رسم (الملك) : ٤٧ ، ٧٢٨ .

سليمان بن الأشعث السجستاني (أبو داود) :
١٦٦ ، ١٧١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥٠١ ، ٥٦٩ ،
٥٧٥ .

سليمان بن خلف التميمي (القاضي أبو الوليد
الباجي) : ٣٨ ، ٢٨٥ ، ٣٨١ ، ٦٥٦ ، ٦٨٦ .
سليمان الخواص : ٧١٢ .

سليمان بن داود (عليهما السلام) : ١٢ ، ١٨ ،
١٩ ، ١٠٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٨٠ ، ١٨١ ، ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩٨ ،
٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٦ ،
٤٦٤ ، ٤٨٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٦ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ،
٦٩٤ ، ٧١٥ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ .

سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي) : ٢٩ ،
٦٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ،
٣٥٤ ، ٦٤٥ ، ٧١٤ .

سليمان بن مجالد : ١٢٨ .
سليمان بن محمد (المستعين بالله ، ابن هود) : ٨٨ ،
٨٩ .

السهماني = علي بن عبيد الله .
سجنار (الملك) : ٦٥٠ ، ٦٥١ .
سهل بن إبراهيم : ٤٢ .
سهل بن عبد الله التستري : ٤٣٨ ، ٥٧٨ .
سواد بن غَزِيَّة الأنصاري : ٦٢٣ ، ٦٢٤ .
سيب (الملك) : ٧٤٤ .
سيف بن ذي يزن (من ملوك اليمن) : ٣٧ ، ٦٧ .
سيف الولقة : ٦٧٢ .

(ش)

شاهباي (الحكيم السندي) : ٧٤٢ .
الشافعي (الإمام) = محمد بن إدريس .
شاه الكرمان : ٥٧٨ .
شبيب بن شيبه : ١٢٧ ، ٤٠٠ .
الشَّحَام (من المتصوفة) : ٣٧٠ .

سلم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٢٤ .
ساميد (الحكيم الفارسي) : ٤٩٠ .
سيأ بن نواس بن سبأ : ٦٨ .
سحبان وائل : ٧٨٧ .
سحنون = عبد السلام بن سعيد التنوخي .
سراقة بن مالك بن جُعْشُم : ٥٠٥ .
السري بن المُثَنَّى السَّقَطِي : ٤٣٣ .
سعد : ٢١٠ .
سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن : ١٨٥ .
سعد بن أبي وقاص : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٥٦٤ ،
٥٧٠ .

سعد بن مالك بن سنان (أبو سعيد الخدري) :
١٦٧ ، ٢٨٨ ، ٣٥٥ ، ٦٢٣ .
سعدارة : ٦٩٩ ، ٧٠٠ .
سعد العشرة : ٢٤٣ .
سعيد بن أبي عروبة : ١٤٢ .
سعيد بن إسماعيل الحميري (أبو عثمان) : ٥٨١ ،
٥٨٢ .

سعيد بن جبير (أبو عبد الله الأسدي) : ٥٢٦ .
سعيد بن زيد بن عمرو (العلوي) : ٥٩٤ .
سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت : ١٨٥ .
سعيد بن عامر (الجُمَحي) : ٥٢٨ .
سعيد بن المسيب (أبو وهب الخزومي) : ٥٣٧ .
سفيان بن عُثَيَّة : ١٢٢ ، ٢٩٨ ، ٣٩٠ .
سفيان الثوري : ١١٨ ، ١٨٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ،
٣٩١ ، ٤٣٥ .

سقراط (الحكيم اليوناني) : ٩٨ .
سكينة بنت الحسين : ٤٦٠ .
سلامان الشعبي : ١٨٠ .
سلمة بن دينار (أبو حازم الأهرج) : ٩٣ ، ١٢٠ ،
١٢١ ، ٢٥٠ ، ٤٢٩ .

سَلَمٌ بن نوفل : ٣٣٨ .
سلمان الفارسي : ٢٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٥٣٥ .
سلم (مولى زياد بن أبيه) : ٤٧٩ .

(ظ)

لا يوجد .

(ع)

عائشة بنت أبي بكر (أم المؤمنين) : ١٠٦ ، ١٦٨ ،
٣٠٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٤٢٨ ، ٤٦٥ ،
٥٧٤ ، ٦٢٦ .

عائشة بنت عثمان بن عفان : ٤٦٥ .

عاصم بن سفيان الثقفي : ١٦٤ .

عاصم بن عبد الله بن عمر : ١١٤ .

عامر بن شراحيل (الشحى) : ٢٥٦ ، ٢٨١ ،
٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٤٨٥ ، ٧٨١ .

عامر بن الطفيل : ٢٩٧ .

عبادة بن الصامت : ٤٦٢ .

عباس بن عبد المطلب : ٥٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٦٦ ، ٢٣٢ ، ٤٨٥ ، ٥٠٥ .

عباس بن الفضل بن الربيع : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
عبادة بن رفاعه (الأنصاري) : ٥٦٤ .

عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد (القرشي) :
٥٤٩ .

عبد الحميد الكاتب : ٣٩٦ .

عبد الرحمن بن أحمد (أبو سليمان الداراني) :
٤٠٨ ، ٥٩٩ .

عبد الرحمن بن أحمد أبو المطرف (ابن الحصار) :
٥٨٩ .

عبد الرحمن بن سبرة : ١٦٢ ، ١٦٩ ، ٥٧١ ،
عبد الرحمن بن صخر اللوسى (أبو هريرة) : ٢١ ،

١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٦ ، ٢٦٨ ،
٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٩٢ ، ٥٧٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ،

٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٦١٣ ، ٦٢٢ ،
٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣١ ، ٦٤٤ .

عبد الرحمن بن عمرو (الأوزاعي) : ١٢٩ ، ٢٣٧ ،
٢٩٩ .

عبد الرحمن بن عوف : ٣٨٨ ، ٤١٥ ، ٥٠٥ ، ٥٦٦ .

شرح بن الحارث (القاضي) : ٥٣٤ .

شرح بن عبيد : ٢٩٠ .

الشحى = عامر بن شراحيل .

شعيب - النبي (عليه السلام) : ٣٢٥ ، ٦٦٢ .

شهاب الملك : ٦٥٠ ، ٦٥١ .

شهر بن حوشب (الأشعري) : ٥٢٨ .

شهر بن أبرويز (من ملوك فارس) : ٣٥١ ،
٤٩٣ .

(ص)

الصاحب بن عباد (أبو القاسم إسماعيل) : ١٠٢ .

صالح بن عبد القدوس (الأزدي) : ٤٢١ .

صخر (الجنى) : ٦٤٢ .

صدقة بن يسار الجزوى : ٤٣٧ .

صدى بن عجلان (أبو أمانة الباهلي) : ٦٠٢ .

صعصعة بن صوحان (البدي) : ٢٣٩ ، ٣٤٥ .

صعصعة بن معاوية (عم الفرزدق) : ٢٨ .

الصنابحي (صفوان بن عسال) : ٥٥٦ .

(ض)

ضرار بن القمقاع : ٣٧٨ .

ضمرة بن أبي ضمرة (النيشلي) : ١٤٠ ، ١٤١ .

(ط)

طارق بن زياد : ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ .

طالوت (من أنبياء بني إسرائيل) : ١٧٦ .

طاهر بن الحسين : ٣٢١ ، ٤٧١ ، ٧٣٨ .

طاووس بن كيسان : ١٦٩ ، ٣٨٨ ، ٥٢٦ .

طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي (طلحة

الطلحات) : ٣٦٦ .

طلحة بن عبد الله بن عثمان القرشي : ٢٨٢ ، ٣٦٣ ،

٣٦٤ ، ٣٧٧ .

عبد الرحمن بن ضم (الأشعري) : ٥٤٢ .
 عبد الرحمن بن القاسم (أبو عبد الله) : ٥٢١ .
 عبد الرحمن بن مل الهدي (أبو عثمان) : ٥٢٣ .
 عبد الرحمن بن ملجم : ١٠٧ .
 عبد الرزاق بن هشام (الحميري) : ١٢٢ .
 عبد السلام بن سعيد التنوخي (مسنون) : ٨٤ ، ٥٩٩ .
 عبد العزيز بن زرار (الكلاني) : ٢٩٧ .
 عبد الكافي الديلمي : ٦٤٨ .
 عبد الله بن أبي السرح : ٤٩٦ ، ٦٩٢ .
 عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر الصديق) : ١١٣ ، ١٧٢ ، ٢٥٥ ، ٣٤٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٢ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٥٢ ، ٦٢٦ .
 عبد الله بن أبي نوح : ٧٠ .
 عبد الله بن يثمل بن ورقاء : ٢٨١ .
 عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ٢٩٨ ، ٣٧١ ، ٤٨٧ .
 عبد الله بن الحسن : ٤٧٦ .
 عبد الله بن حنظلة الراهب : ٥٥٢ .
 عبد الله الخياط : ٥٨٣ .
 عبد الله بن الزبير بن العوام : ٥٥٦ .
 عبد الله بن زهير : ٣٨٠ .
 عبد الله بن شبرمة (ابن شبرمة) : ٣٢ .
 عبد الله بن طاهر بن الحسين : ٣٠٠ .
 عبد الله بن طلوس النجاشي (ابن طلوس) : ١٥١ ، ١٥٢ .
 عبد الله بن عامر بن كزيب : ٣٨٤ .
 عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ابن عباس) : ٧٥ ، ١٥٩ ، ١٨٩ ، ٢٨٩ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٤ ، ٤٦٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٥٠١ ، ٥٥٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٧ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٢٧ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٧١٧ .
 عبد الله بن عمر بن عمر بن الخطاب (ابن عمر) : ٢٢ ، ١١٠ ، ١٧١ ، ٢٨٤ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٣٦٨ ، ٣٨٧ ، ٤٧٦ ، ٤٨٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٥ ، ٥٩٣ ، ٦١٩ .
 عبد الله بن عمر القمري : ٥٢٥ .
 عبد الله بن عمرو بن العاص : ٥٠٩ .
 عبد الله بن عمرو بن النعمان (ابن الكواء) : ٢٥١ .
 عبد الله بن عون بن أربطان : ٣٤٥ .
 عبد الله بن الليثية الأزدية (ابن الليثية) : ٥٦٩ .
 عبد الله بن المبارك (المروزي) : ٣٨٧ .
 عبد الله بن محمد الرازي : ٥٧٧ .
 عبد الله بن مروان : ٢٢٥ .
 عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : ١١٤ ، ١٧٣ ، ٢١٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٤٦٣ ، ٥٣٤ ، ٥٩٦ ، ٦٠١ ، ٦٢٢ ، ٦٣٣ ، ٧١٨ .
 عبد الله بن مسلم بن عمار : ٣٥٦ .
 عبد الله بن مطيع (الكعبي) : ٥٥٢ .
 عبد الله بن المعمر : ٥٣ .
 عبد الله بن الملم (ابن فضله) : ٥٦ ، ٥٧ .
 عبد الله بن المقفع (ابن المقفع) : ٢٢٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٥٨٦ .
 عبد الله بن هارون الرشيد (الخليفة المأمون) : ١١٢ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦٥ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٧١ ، ٤٨١ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٨ ، ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٧٢٥ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ .
 عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري (ابن وهب) : ٣٣١ ، ٦٢٦ .
 عبد الملك بن بحر : ٣٧٣ .
 عبد الملك بن عبد العزيز (ابن أبي عامر) : ٤٩٨ .
 عبد الملك بن عمر : ٦٣ .

عبد الرحمن بن ضم (الأشعري) : ٥٤٢ .
 عبد الرحمن بن القاسم (أبو عبد الله) : ٥٢١ .
 عبد الرحمن بن مل الهدي (أبو عثمان) : ٥٢٣ .
 عبد الرحمن بن ملجم : ١٠٧ .
 عبد الرزاق بن هشام (الحميري) : ١٢٢ .
 عبد السلام بن سعيد التنوخي (مسنون) : ٨٤ ، ٥٩٩ .
 عبد العزيز بن زرار (الكلاني) : ٢٩٧ .
 عبد الكافي الديلمي : ٦٤٨ .
 عبد الله بن أبي السرح : ٤٩٦ ، ٦٩٢ .
 عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر الصديق) : ١١٣ ، ١٧٢ ، ٢٥٥ ، ٣٤٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٢ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٥٢ ، ٦٢٦ .
 عبد الله بن أبي نوح : ٧٠ .
 عبد الله بن يثمل بن ورقاء : ٢٨١ .
 عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ٢٩٨ ، ٣٧١ ، ٤٨٧ .
 عبد الله بن الحسن : ٤٧٦ .
 عبد الله بن حنظلة الراهب : ٥٥٢ .
 عبد الله الخياط : ٥٨٣ .
 عبد الله بن الزبير بن العوام : ٥٥٦ .
 عبد الله بن زهير : ٣٨٠ .
 عبد الله بن شبرمة (ابن شبرمة) : ٣٢ .
 عبد الله بن طاهر بن الحسين : ٣٠٠ .
 عبد الله بن طلوس النجاشي (ابن طلوس) : ١٥١ ، ١٥٢ .
 عبد الله بن عامر بن كزيب : ٣٨٤ .
 عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ابن عباس) : ٧٥ ، ١٥٩ ، ١٨٩ ، ٢٨٩ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٤ ، ٤٦٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٥٠١ ، ٥٥٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٧ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٢٧ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٧١٧ .

عبد الملك بن قريب (الأصمعي) : ٢٣ ، ٦٥ ،
١٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٣٠٠ ،
٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٥ ، ٣٧٨ ، ٦٦٦ .
عبد الملك بن مروان (أبو الوليد - الخليفة الأموي) :
٦٥ ، ٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ،
٣٥٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥٤ ، ٥٦٨ ،
٥٧٢ .

عبد الواحد بن زيد (الزاهد) : ٥٨ ، ٣٩٧ ،
٣٩٨ .

عبد الله بن أبي بكرة (الثقفى) : ٣٧٤ ، ٣٧٩ .
عبد الله بن زياد (ابن زياد) : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨٢ .
عبد الله بن سعد : ٥٤٠ .
عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٣٢٤ ، ٥٧٠ .
عبد الله العمري : ١٣٨ ، ١٩٧ .
عبد بن عمر (اللبني) : ١٧٠ ، ٤٢٨ ، ٥٧٤ ،
٦١٠ .
عبد السلمان (المرادي) : ١٧١ ، ٤٦٨ .
عقاب بن أسيد : ٥٥٧ ، ٥٧١ .
العناني = كلثوم بن عمرو الثقفى .
عتبة بن ربيعة : ٦٩٠ .
العنبي = محمد بن عبيد الله الأموي .
عثمان بن حنيف (الأنصاري) : ٥٣٤ ، ٥٤٩ .
عثمان بن عفان (رضى الله عنه) : ٢١٨ ، ٣٣٥ ،
٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٣٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٩٦ ،
٥٠٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٦٦ ، ٦١٣ ، ٦٢٥ .
عثمان بن عتبة : ٤١٦ .
عدى بن أرطاة (الفزارى) : ٤٢٧ .
عدى بن حاتم الطائي : ٣٧٣ .
عدى بن زيد : ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .
عروة بن الزبير : ٥٨١ .
عروة بن الورد : ٣٨٢ .
العزير (عزيز مصر - صاحب يوسف) : ٥١١ .
عطاء بن أبي رباح (القرشي) : ٤٢٨ .
عطاء بن السائب بن زيد (الثقفى) : ٥٢٤ .

عقبة بن عمرو (أبو مسعود الأنصاري) : ٥٧١ .
عقيل بن أبي طالب : ٣١٧ .
عكرمة بن عبد الله اليربوري (مولى ابن عباس) :
٣٥٤ .
العلاء بن أيوب : ٥٦١ ، ٥٦٨ .
علقمة بن خلانة : ٢٩٧ .
على بن أبي طالب (رضى الله عنه) : ١٤ ، ٢٨ ،
٢٩ ، ٤٨ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ،
١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ،
٢٨٦ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٧ ،
٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ،
٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ ، ٤٣٥ ، ٤٤١ ، ٤٦٨ ،
٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٥٤ ، ٥٧١ ،
٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٦١٠ ، ٦٦٨ ، ٦٧٠ ،
٧٠٣ ، ٧٠٩ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧٢٢ ، ٧٢٥ ،
٧٥٩ ، ٧٧٣ ، ٧٧٧ .

على بن أحمد بن سعيد (ابن حزم) : ٧٨٤ .
على بن إسماعيل بن إسحاق (أبو الحسن الأشعري) :
٦٢٧ ، ٦٢٩ .
على بن الجهم (أبو الحسن بن بدر) : ٢٧٩ ،
٧٨٣ .

على بن العباس بن جريح (ابن الرومي) : ٤١١ .
على بن عبيد الله (أبو الحسن السمساني) : ٣٠٠ .
على بن عيسى بن داود (الوزير) : ٢٩٤ ، ٧٣٨ .
على بن الفضيل بن عياض : ٦٠٠ .
على بن محمد (أبو الفتح البستي) : ٤٤١ ، ٤٧٢ .
على بن محمد (التميمي) : ٧٢ .
على بن محمد بن خلف المصافري (القاهسي) : ٣٩٤ .
عطار بن ياسر : ٥٣٤ .
عمران بن أسد : ٥٤٦ .
عمران بن حصين : ١١٥ .
عمر بن أحمد بن شاهين (أبو حفص) : ٦٥٦ ،
٦٥٧ .
عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : ١١٠ ، ١١٤ .

عمرو بن معاذ : ٤٩٤ .
 عمرو بن معدى كرب (الزبيدي) : ٦٧٤ ، ٦٧٣ .
 عمرو بن سعد بن عبيد (الأوسى) : ٥٣٠ ، ٥٢٩ .
 . ٥٣١
 عون بن عبد الله بن عتبة : ٤٣٦ ، ٦٢٥ .
 عويمر بن مالك (أبو الدرداء) : ٥٣ ، ١١٥ ،
 . ٢٨٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ .
 عيسى بن مريم (المسيح عليه السلام) : ٢٣ ، ٤٧ ،
 ٤٨ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
 ٧٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٢٧ ، ٢٧٧ ، ٣٣٣ ،
 ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٦٠٦ ، ٦٣١ ،
 . ٧٣١ ، ٧٨٠ .
 عيصو بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام) : ٦٨ .
 عيثة بن حصن : ٣٠٨ .

(غ)

غلام خليل (أبو عبد الله الزاهد) : ٣٦٩ .
 غنية بنت عفيف (أم حاتم الطائي) : ٣٨٣ .
 غوي بن سلامة الأسدي (ذو الأعواد) : ٣٥ .
 غيلان بن مسلم القُدري : ٧١٣ .

(ف)

فاطمة الزهراء (عليها السلام) : ٤٨ .
 فاطمة (زوجة عمر بن عبد العزيز) : ٥٤١ .
 الفثاك (ابن أم الذبيل المصبي) : ٦٨٢ .
 فخر المُلْك بن نظام المُلْك : ٦٥٠ ، ٦٥١ .
 الفرزدق = همام بن غالب .
 فرعون : ١٥٥ ، ٢٨٨ ، ٥٠٩ .
 فرعون هامان : ٥٠٩ ، ٥١٠ .
 فرعون يوسف : ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ .
 الفضل بن الربيع : ١٢١ .
 الفضل بن سهل : ٤٥٥ ، ٦١٧ ، ٧٢٦ ، ٧٣٧ ،
 . ٧٣٩

١١٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦١ ، ٢٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٦٣ ، ٣٩٦ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ ،
 ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ،
 ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ،
 ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ،
 ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ،
 ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ،
 ٥٥٧ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ،
 ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٦١٦ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٧٣ ،
 . ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٧٧٠ ، ٧٨١ .
 عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) : ٢٦ ، ١١١ ،
 ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢١٨ ،
 ٢٩١ ، ٣١١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ، ٣٩٨ ،
 ٤٠٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٥٠٠ ،
 ٥٢١ ، ٥٤١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ،
 ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٧١ ، ٦٠٤ ، ٧٣٦ .
 عمر بن عبيد الله : ١٥٧ .
 عمر بن النكسر : ٣٧٧ .
 عمر بن هبيرة : ٥٥٨ .
 عمرو (ملك مئى مجهول) : ٧٠ .
 عمرو بن بحر (الجاحظ) : ٥٤ .
 عمرو بن دينار الجَمَحى : ٦٠٤ .
 عمرو بن ربيعة (للمستوخر الأكبر) : ٥٦١ .
 عمرو بن العاص : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤١ ، ٤١٩ ،
 ٤٥٣ ، ٤٩٦ ، ٥٦٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٧ ، ٧٠٣ .
 عمرو بن عبيد (أبو عثمان البصرى) : ١٢٧ ،
 . ١٢٨ ، ٤٢٥ .
 عمرو بن عثمان المكي : ١٨٠ .
 عمرو بن كلثوم التفليسي : ٣٠٧ .
 عمرو بن مسعدة (أبو الفضل الصولي) : ٢١٧ .

٧٢٨ ، ٧٣١ ، ٧٣٤ .

كعب الأحبار (كعب بن مافع الحميري) : ١٤٤ ،

١٤٥ ، ٢٥٢ ، ٥٩٣ ، ٦١٥ .

كعب بن زهير بن أفي سلمى : ٣٤٤ .

كعب بن مامة الإيادي (في شعر) : ٣٦ .

كعب بن مالك بن عمرو (الأنصاري) : ٦٣٦ ،

٦٣٧ .

الكلبي = محمد بن السائب بن بشر .

كلثوم بن عمرو التغلبي (العتاني) : ٥٠ ، ١٤٠ ،

٤٨١ .

كُمَيْل بن زياد النخعي : ١٤ ، ٢٦٩ .

كيمجور (وزير ملك ليران شهر) : ٧٣٩ .

كيسان (مولى عتّاب بن أسيد) : ٥٧١ .

(ل)

لُذْرَيْق (من ملوك القوط بأسبانيا) : ٦٩٢ ، ٦٩٣ ،

٦٩٤ .

لقمان الحكيم : ٣٤٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٨٣ ،

٧٢١ .

لقيط بن زورارة : ٣٤٢ .

لوط (عليه السلام) : ١٥٥ ، ٦٠٧ .

الليث بن سعد (الإمام) : ٣٨٤ .

(م)

مالك بن أنس (الإمام) : ٤٦ ، ٥٤ ، ٩٧ ، ١٤٣ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٨ ، ٣٦٨ ، ٥٢١ ،

٥٢٢ ، ٥٣٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٦ ، ٥٧٠ .

مالك بن الحارث بن عبد يغوث (الأشتر النخعي) :

٥٢٦ .

مالك بن دينار : ١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٩٧ ، ٤٦٤ ،

٥٧٨ ، ٦٠١ .

مالك بن مسعم : ٢٩٩ .

المأمون بن ذى النون : ١٠١ ، ١٠٢ .

المأمون البطاحي = أبو عبد الله محمد الأمري .

الفضل بن مروان (أبو العباس) : ٧٢٤ ، ٧٢٥ .

الفضل بن يحيى (البرمكي) : ٦٦ .

الفضيل بن عياض : ١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ٢٠٠ ،

٣٤٦ ، ٣٧٥ ، ٤٦٥ ، ٥٧٧ ، ٥٨٦ .

(ق)

القابسي = علي بن محمد بن خلف المعافري .

قارون (من قوم موسى) : ٨٣ ، ٤٢٣ .

القاسم بن محمد : ٢٨٠ ، ٣٩٨ .

قاسم بن محمد السبيعي : ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ .

قيصة بن جابر بن وهب (الأسدي) : ٢٨٢ .

قيصة بن ذؤيب (الخزاعي) : ٥٤٠ .

قنادة : ٥٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٤١ ، ٦٤٥ .

قنادة بن دعامة (السلمي) : ٤٦٧ .

قُس بن ساعدة (الإيادي) : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ،

٢٥٩ .

القُطامي (عُمر بن شيم التغلبي) : ٣٢٩ .

قطري بن النجاعة : ٣١٦ .

قنبر (خادم الإمام علي) : ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٥٠١ .

قنبد (الملك) : ٧٤٤ .

قيس بن الحظيم : ٤١٧ .

قيس بن سعد بن عبادة (الأنصاري) : ١٨٤ ،

٢٨١ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ .

قيس بن عاصم المنقري : ٣٤٦ ، ٥٧٧ .

قيس بن عبد الله (التابعة الجعدي) : ٣٤٩ .

قيصر (ملك الروم) : ٢٥٩ ، ٧٣٤ .

(ك)

ككث بن مرة (الحضرمي) : ١٨٣ .

كسري = كسرى أنوشروان .

كسرى أنوشروان (ملك الفرس) : ٣٤ ، ٢٢٠ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣ ، ٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ،

٣٥١ ، ٣٨٩ ، ٤١٤ ، ٤٤٢ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ ،

٥٢٤ ، ٥٥٢ ، ٥٦٦ ، ٦٠٨ ، ٧١٦ ، ٧٢٢ ،

، ٧١٢ ، ٧٠٩ ، ٧٠٨ ، ٧٠٧ ، ٦٩١ ، ٦٩٠ .
 ، ٧١٧ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ .

محمد بن إبراهيم : ١٥٦ .

محمد بن إبراهيم بن خويته : ١٣٥ .

محمد بن أبي التاهية : ٧٤ .

محمد بن إدريس الشافعي (الإمام) : ١٨١ ، ٢٢٧ ،
 ، ٣٤٩ ، ٣٨٩ ، ٥٤٩ .

محمد الأمين (ابن هارون الرشيد - الخليفة العباسي) :

، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٤٥٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ .

محمد بن بشير (أبو بكر المافري) : ٤٠١ .

محمد بن حازم : ٣٦٥ .

محمد بن حبيب بن أمية (ابن حبيب) : ٥٣٥ ،
 ، ٦٢٧ .

محمد بن الحسين الأزدي (أبو عبد الرحمن) :

، ٣٧٢ ، ٣٧٦ .

محمد بن الحسين (أبو عبد الله الواحشي الأتباري) :

، ٧٢٨ .

محمد بن السائب بن بشر الكلبي : ٦١٠ .

محمد بن سليمان (أبو سهل الصلوكي) : ٣٧٦ .

محمد بن سوقة (الفنوي) : ٣٧٢ .

محمد بن صفوان (ابن عبد الله) : ١٨٥ .

محمد بن عبد الرحمن (ابن أبي ذئب) : ١٥٦ ،
 ، ١٥٧ .

محمد بن عبيد الله العتيبي : ٣٦٤ ، ٤١٦ .

محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) : ١٠٨ .

محمد بن علي بن حسن (أبو عبد الله الدامغانى) :

، ٥٩٨ .

محمد بن عمر بن واقد السهمي (الراقدى -

المؤرخ) : ٧٢٧ ، ٧٣٧ .

محمد بن كعب القرظي : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٣ .

محمد بن مسلمة : ٥٦٤ .

محمد بن مصعب بن شرحبيل : ١٨٥ .

محمد بن المنتشر : ٥٤٦ .

محمد بن المنكدر : ٣٧٧ .

المأمون (الخليفة العباسي) = عبد الله بن هارون الرشيد .

المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين) : ٣٨٤ .

الموكل (الخليفة العباسي) = جعفر بن المتصم .

مجاهد بن جبر (أبو الحجاج المكي) : ٩٧ ، ٦٤١ .

المحاسبي = الحارث بن أسد (أبو عبد الله) .

محمد (رسول الله = النبي ﷺ) : ٧ ، ١٩ ، ٢٠ ،

، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٣ ، ٩٥ ،

، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٠ ،

، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،

، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،

، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،

، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،

، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،

، ١٨٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ،

، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٠ ،

، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٥ ،

، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ،

، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،

، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ،

، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ،

، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ،

، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٨٥ ،

، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٢٢ ، ٥٢٨ ،

، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٦ ،

، ٥٤٧ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ،

، ٥٦١ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ،

، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ،

، ٥٨٦ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،

، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ،

، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ،

، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ،

، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ،

، ٦٣٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٦٩ ، ٦٧٨ ، ٦٨٩ ،

- محمد بن واسع : ١٤٥ ، ١٤٦ .
 محمد بن يزداد (المروزي) : ٢٩٥ .
 محمد بن يزيد : ٦٤٥ ، ٦٤٦ .
 محمد بن يوسف (الثقفى) : ١٥٦ ، ٤٦٨ .
 محمود الوراق : ٣٣٧ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧ ، ٦٠٠ .
 غمارق (أبو المهنا يحيى الجزار) : ٣٠٠ ، ٣٠١ .
 المختار بن عبيد الثقفى (أبو إسحاق) : ٦٤ ، ٦٨٢ .
 المداينى = على بن محمد بن عبد الله .
 مُرارة بن الربيع (الأنصارى) : ٦٣٦ .
 مروان بن زنباع (القنسى) : ٦١٨ .
 مروان بن عبد الملك : ٣٥٤ .
 مروان بن محمد الجعدي = مروان الحمار (آخر ملوك
 بني أمية) : ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٣٥١ ، ٦٨٠ ،
 ٧٣٧ .
 مريم ابنة عمران (عليها السلام) : ٧٠٩ .
 مزدك (الفارسي) : ٤٧٥ ، ٤٨٠ .
 المستعين ابن هود (من ملوك الطوائف) : ٦٨٥ .
 المستعين (أبو المقتدر بالله بن هود) : ٧٠١ ، ٧٠٢ ،
 ٧٠٣ .
 مسروق بن الأجدع (الهمداني) : ١٨٤ .
 مسعر بن كدام : ١٠١ .
 المستوخر الأكبر = عمرو بن ربيعة .
 مسلم بن الحجاج (الإمام) : ١٦١ ، ٢١١ ، ٥٩٢ ،
 ٥٩٧ ، ٦٠٢ ، ٦١٣ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ .
 مسلم بن عقيل بن أبي طالب : ٣١٧ ، ٣١٨ .
 مسلم بن عمرو بن الحصين : ٤٨٦ .
 مسلم بن قتيبة : ٣١٠ .
 مصعب بن الزبير : ٦٥ ، ٢٣٦ ، ٣٣٥ .
 مطرف بن عبد الله بن الشخير : ٣٨١ ، ٤٤٠ .
 المطلب بن عبد الله بن مالك : ٣٧٧ .
 معاذ بن جبل (رضى الله عنه) : ١٦٨ ، ٣٢٧ ،
 ٥٣٢ ، ٥٧٦ .
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
 ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ،
- ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،
 ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ،
 ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٦٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ،
 ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٨٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٧٠٣ ،
 ٧٢٢ .
 المحضم بالله العباسى : ٤٩٠ .
 معروف الكرخى : ٥٨٠ .
 معقل بن يسار (المزني) : ١٦٢ .
 مغيث الرومي (مولى الوليد بن عبد الملك) : ٦٩٣ ،
 ٦٩٤ .
 المغيرة بن شعبة : ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
 ٢٨٤ ، ٣٦٥ ، ٤٣٥ .
 مقاتل بن سليمان الأزدي (صاحب التفسير) :
 ٦١٠ .
 المقتدر بالله (جعفر بن أحمد ، الخليفة العباسى) :
 ٢٩٤ .
 المقتدر بالله بن هود (أحمد بن سليمان) : ٦٩٩ .
 المققاد بن عمرو (أبو مبد) : ٥٥٥ ، ٥٦٧ .
 مكرم بن يوسف العابد : ٢٥ .
 المنذر بن المنذر بن ماء السماء : ١٤٠ ، ١٤١ .
 المنصور بن أبي عامر : ١٣٣ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ،
 ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ .
 المنكدر بن عبد الله بن المنذر : ٣٧٧ .
 المنهدى (محمد بن أبي جعفر المنصور - الخليفة
 العباسى) : ٨٠ ، ١١٨ ، ١٥٧ ، ٤٠٠ ، ٦١٧ .
 مهريق (الملك) : ٧٤٤ .
 المهلب بن أبي صفرة : ١٣٧ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤١ ، ٦٨١ .
 مهيوز الموبذان : ٢٢٩ ، ٢٥٥ .
 موري الصجلي : ٩٤ ، ٣٦٤ .
 موسى بن عمران (عليه السلام) : ٢٣ ، ٢٦٧ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٩٣ ، ٤٢٦ ، ٤٣٩ ، ٤٥٢ ،
 ٦٠٦ ، ٦١٥ ، ٦٣١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ .
 موسى بن نصير : ٦٩٢ ، ٦٩٤ ، ٧١٤ .

هارون بن محمد (الوائق بالله - الخليفة العباسي) :

٥١٩ ، ٥١٨ .

هامان : ٢٨٨ .

هرثمة (امرأة من قوم عاد) : ٩٧ .

هرم بن قطيبة (الفزاري) : ٢٩٧ .

هرمز (في شعر) : ٣٣٠ .

الهرمزان (ثرملة - ملك خوزستان) : ٢٨١ .

هشام بن حكيم بن حزام (القرشي) : ٦٠٢ .

هشام بن العاص : ٣٦٢ ، ٣٦١ .

هشام بن عبد الملك بن مروان : ١١٢ ، ١٣٠ ،

٣٠٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٥٥٣ ، ٧٢٨ ، ٧٨١ ،

٧٨٢ .

هشام بن عروة بن الزبير : ٤١٨ .

هلال بن أمية (الأنصاري) : ٦٣٦ .

هلال بن يساف : ٥٦٧ .

هشام بن الحارث النخعي : ٦١٣ .

هشام بن غالب (الفرزدق) : ٢٨ .

هند بن أبي هالة (ابن السيدة خديجة) : ٥٨٦ .

هنيئ (مولى عمر بن الخطاب) : ٥٦٥ .

الهيثم بن عدي (أبو عبد الرحمن) : ٦٨ .

(و)

وائل (الملك) : ٧٤٤ .

الوائق بالله - الخليفة العباسي = هارون بن محمد .

واطاب (الملك) : ٧٤٤ .

الواقدي = محمد بن عمر بن واقد السهمي .

ورقة بن نوفل : ٣٣٠ .

الوضاحي = محمد بن الحسين (الأتباري) .

الوليد بن عبد الملك : ٦٨ ، ١٥١ ، ١٩١ ، ٢٤٧ ،

٦١٦ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ٦١٢ .

الوليد بن المغيرة : ٦٠٩ .

الوليد بن هشام : ١٨٩ .

وهب بن منبه : ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٧٣ ، ٩٦ ،

موسى الهادي بن محمد المهدي : ٣١٢ .

ميشا بن يوسف الصنّيق : ٥١٢ .

ميمون بن مهران : ١٠٥ ، ٣٢٨ ، ٣٦٥ ، ٤٨٢ ،

٥٩٢ ، ٦٠٦ ، ٧١٣ .


(ن)

الناظفة الديباني = زياد بن عمرو .

الناظفة الجعدي = قيس بن عبد الله .

ناصر النولة (أبو علي الحسن الحمدي) : ٦٥١ .

نافع (مولى عبد الله بن عمر) : ٥٤٤ .

النبي -  = محمد رسول الله .

النخعي (إبراهيم بن يزيد النخعي) = مالك بن

الحارث بن عبد يغوث .

نَسِيل (خادم مروان الجعدي) : ٢٢٩ .

نصر بن سيار : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٦٨٠ ، ٧٣٧ .

نظام الملك = الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي .

النعمان بن امرئ القيس (اللخمي) : ٣٣ .

النعمان بن بشير الأنصاري : ٤٢٦ .

النعمان بن ثابت (الإمام أبو حنيفة) : ٥٤٩ .

النعمان بن المنذر : ٥٥ ، ٥٦ ، ٣٦٣ .

نهر بن تولب : ٦٧٥ .

نمرود بن كوش : ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ .

نوح (عليه السلام) : ٢٣ ، ١٥٥ ، ٣٢٥ .

النوري (أبو الحسين أحمد بن محمد) : ٣٧٠ ،

٣٧١ .

(هـ)

هارون (أخو موسى - عليه السلام) : ٦٠٦ .

هارون الرشيد (الخليفة العباسي) : ٢٧ ، ٥٢ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٩٧ ،

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، ٣٣٤ ، ٣٥٦ ، ٤٨٨ ،

٤٩١ ، ٥٥٨ ، ٧٣٤ .

- يزيد بن حاتم : ٥٩٩ .
 يزيد بن حميد الأسدي (أبو التياح) : ٣٨٨ .
 يزيد الرقاشي : ٢٦ .
 يزيد بن عبد الملك : ٦٤٦ .
 يزيد بن عمر بن هيرة : ٢٢٩ .
 يزيد بن أبي مسلم : ٢٨٨ ، ٦٤٦ .
 يزيد بن معاوية : ٥٨٣ .
 يزيد بن المهلب : ٧١٤ .
 يعقوب بن إسحاق (عليهما السلام) : ٤٠٨ ،
 ٤١٣ ، ٤٣٦ ، ٥٨٥ .
 يلقور : ٥٠٤ .
 يمان = حسيل بن جابر بن ربيعة العيصي .
 يوسف بن أسباط (الشيباني) : ٦٠٦ .
 يوسف الصلبي (عليه السلام) : ١٨١ ، ٤١٣ ،
 ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ ،
 ٥٦٢ ، ٥٩٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ .
 يونس بن متى (عليه السلام) : ٦٠١ ، ٦٠٣ .

١٤٣ ، ١٨٨ ، ٤٨٨ ، ٤٢٥ ، ٦٤٠ ، ٦٤٢ .

(هـ)

- هبي بن أكم : ١٣١ ، ١٣٣ ، ٢١٨ ، ٥٥٧ .
 هبي بن خالد البرمكي : ١٥٣ ، ٢٣٨ ، ٤٨٧ ،
 ٤٩١ .
 هبي بن زكريا (عليهما السلام) : ٩٧ ، ٣٣٣ ،
 ٥٨٦ .
 هبي بن زياد الحارثي : ٥٨٥ .
 هبي بن زيد : ٦١٧ .
 هبي بن سعيد : ١٤٩ .
 هبي بن معاذ : ٣١٦ ، ٧١٧ .
 هبي بن معين : ٣٧٧ .
 يرفأ (مولى عمر بن الخطاب) : ٥٢٧ ، ٥٣٨ .
 يزجرد (ملك الفرس) : ٦٧٤ .
 يزيد بن أبي مسلم (الثقفي) : ٢٩١ .
 يزيد بن أنس (المالكي) : ٦٨٢ .

(٥)
 فهرس الأماكن والبلاد والبقاع ،

(أ)

- الأهلة (بلدة على شاطئ دجلة) : ٥٨ .
 أبو قبيس (جبل بمكة) : ٥٥٦ .
 أحمَد (جبل بالمدينة) : ٦٩١ .
 أرض الأندلس = الأندلس .
 أرض الحجاز = الحجاز .
 أرض الصليحي : ٦٥٣ .
 أرض صنعاء = صنعاء .
 أرض الصين = الصين .
 أرض العراق = العراق .
 أرض مصر = مصر .
 أرض المغرب = المغرب .
 أرض النوبة = النوبة .
 الإسكندرية : ١٩٠ ، ٦٠٢ ، ٦٥٢ ، ٧١٧ ،
 ٧١٩ ، ٧٣٠ .
 أسوان : ٥٠٩ .
 أصبهان : ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٥ ، ٦٩٥ ، ٧٣١ .
 أطواد (جبال - في شعر) : ٣٦ .
 إفريقية : ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٧٠٠ .
 الأندلس : ٨٨ ، ١٠١ ، ١٣٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ،
 ٦٨٥ ، ٦٩٢ ، ٦٩٩ ، ٧١٤ .
 أنطاكية : ٦٦٥ ، ٦٦٦ .
 أنقرة (في شعر) : ٣٦ .
 أودية المدينة (المنورة) : ٢١ .
 إيران شهر : ٧٣٩ .

ليوان كسرى : ٥٢٤ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ .

(ب)

- باب البحر : ٤١ .
 بارق (في شعر) : ٣٥ .
 بحر الظلمات : ٢٦٧ .
 البحرين : ٥٣٨ ، ٥٦٦ .
 بلخ : ٥٤٦ ، ٦٩٠ .
 البصرة : ٥٧ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١١٨ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ،
 ٣٢٣ ، ٣٧٨ ، ٤١٥ ، ٤٩٧ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ،
 ٥٧٠ ، ٥٧٨ ، ٦١١ ، ٧٧٠ .
 بغداد (مدينة السلام) : ١٤٣ ، ٤٧١ ، ٥١٦ ،
 ٥١٧ ، ٥٩٨ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ .
 بلاد الأندلس = الأندلس .
 بلاد الروم : ٨٨ ، ٤٩٤ ، ٧٠٢ ، ٧٣٣ .
 بلاد فارس : ٢٤٣ ، ٥٣٧ ، ٥٦٨ ، ٧٣١ .
 بلاد المسلمين : ٤٩٩ ، ٦٩٥ .
 بلخ : ٣٩ .
 بيت الله الحرام (الكعبة = المسجد الحرام = البيت
 الحرام) : ٨٣ ، ٨٥ ، ١١٩ ، ٤٦٦ ، ٥٢٤ ،
 ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ .
 بيت المال (بيت مال المسلمين) : ١٥ ، ١١٩ ،
 ٤٦٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ،
 ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ،
 ٥٧٠ ، ٧٢٦ .
 بيت المقدس : ٥١٤ ، ٦٦٥ .

يَهَق (بلد من نواحي نيسابور) : ٦٥٠ .

(ت)

تيوك : ٦٣٦ ..

تكريت : ٦٦٠ ، ٦٥٩ .

تهامة : ٢٩٤ .

(ث)

دار عثمان بن عفان : ٤٦٥ .

دار علي بن أبي طالب : ٤٠٣ .

دار عمر بن عبد العزيز : ٥٤١ .

دار المطلب : ٣٧٧ .

دانية (مدينة أندلسية) : ٦٥٥ .

دجلة (نهر) : ٥٨٠ .

دمشق : ٣١٢ ، ٦٥٢ ، ٧٢٧ ، ٧٨١ .

ديار بكر : ٥١٤ ، ٦٦٥ ، ٦٩٥ .

(ج)

الجامع الأعظم بقرطبة : ٦٥٣ .

جبانة البصرة : ١٥٠ .

جبل طارق : ٦٩٢ .

جبل لبنان : ٦٨ .

جبل الهاقوت (بالهند) : ٤٨١ .

الجزيرة (جزيرة القرات) : ٦٨٢ .

الجزيرة الخضراء (في الأندلس) : ٦٩٢ .

(ح)

الحبيشة : ٧٢٤ .

الحجاز : ٢٨٤ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ،

٥٤٨ .

الحجر : ١٥٥ .

الحجون (جبل بمكة) : ٢٥ .

الحرة : ٥٤٦ .

حرة واقم : ٥٥٢ .

حلوان (في شعر) : ٥١ .

حمص : ٢١٨ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٠ .

الحصى (مكان) : ٥٦٥ ، ٥٧٠ .

الحيرة : ٥٩ ، ٧٣٢ .

(ذ)

ذفار (أو : ذِمَار) : ٤٠١ .

(ر)

رشيد (في مصر) : ٥٠٩ .

الرصافة (في شعر) : ٧٨٢ .

رصافة هشام بن عبد الملك : ٧٨١ .

الركن الهامى (الملتزم) : ٤٣٦ .

الرملة : ٣٦٩ .

الروم = بلاد الروم .

الرؤيفة : ٥٧ .

الرؤى : ٣٦٨ .

(ز)

زمرم : ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ .

(س)

ساحل إفريقية : ٦٦٣ .

(خ)

خراسان : ٣٩ ، ٤٠ ، ١٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

٤٥٦ ، ٤٧١ ، ٥١٤ ، ٥٨١ ، ٦٨٠ ، ٦٩٥ ،

٧٣٣ ، ٧٣٧ .

خزائن مصر : ٥١٠ .

- ساحل مدينة برق : ٦٥٢ .
 سجستان : ٣٦٦ .
 السدير (في شعر) : ٣٥ ، ٣٤ .
 مَرْقُسطة : ٦٩٩ ، ٧٠١ .
 سمرقند : ٥١٤ ، ٧٣٢ .
 سمعان (جبل - في شعر) : ٧٨ .
 سنداد (منزل لإباد - في شعر) : ٣٥ .
 سواحل الشام : ٦٠٤ .
 السواد (ما حول الكوفة من القرى) : ٥٧١ .
 سور قسطنطينية : ٥١٤ .
 السويدية (بلدة) : ٦٦٥ .
 طَلِيظلة : ٦٩٤ .
 الطور : ٦٦٢ .
 طوس : ٥٢ .
 (ع)
 عَدَن : ١٦٨ ، ٧٣٤ .
 العراق : ٤١ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٥٧ ، ٢٨٤ ، ٣٩٤ ،
 ٥٠٤ ، ٥١٣ ، ٥٣٤ ، ٥٦٥ ، ٦٤٥ ، ٦٩٥ ،
 ٧٠٣ ، ٧٢٢ ، ٧٣٢ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ .
 العراقين (البصرة والكوفة) : ٥١٤ .
 عَقَبَة عُثْمَان : ١٤٩ .
 عكاظ (سوق) : ٧٦ .

(هـ)

- شاطيء دجلة : ٥١٦ .
 الشام : ٤١ ، ٥٣ ، ٢٦٧ ، ٣١٧ ، ٣٤٣ ، ٣٧٨ ،
 ٤٧٨ ، ٥٠٤ ، ٥١٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٤٠ ،
 ٥٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤ ، ٦٠٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠٣ .
 شعاب اليمن : ٧٠ .
 (غ)
 الغريبة : ١٩٠ .
 عُثْمَان (قصر) : ٣٧ .
 (ف)
 فارس = بلاد فارس .
 الفرات (في شعر) وانظر (نهر الفرات) : ٣٦ .

(ق)

- القادسية : ٦٧٣ ، ٦٧٤ .
 قبر خُيَّاب بن الأَرْت : ١١٥ .
 قبر الخليل (عليه السلام) : ٦٦٥ .
 قبر الرسول (ﷺ) : ٥٣٠ .
 قرطبة : ٤٥٧ ، ٥٨٩ ، ٦٥٣ ، ٦٩٤ .
 قُرَى اصْطَطْر (في شعر) : ٢٩٨ .
 القسطنطينية : ٦٩٧ .

- قصر ابن ذى يزن = انظر غمدان .
 قصر المأمون بن ذى النون : ١٠١ .
 قصر هارون الرشيد : ١٥٣ .
 القُنْطَهَار : ٧١٠ .
 القفروان : ٦٤٨ ، ٦٤٩ .

(ص)

- صعيد مصر : ١٩٠ .
 الصفا (جبل) : ٦٣٥ .
 صِفُون : ١١٥ ، ٧٠٣ .
 صقلية : ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥٦ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ .
 صنعاء : ٣٧ ، ٣٨٩ ، ٥٥٠ .
 الصين : ٢٢٣ ، ٤٨١ .

(ط)

- طرسوس (مدينة بشفور الشام) : ٤١ .
 طَرْطُوشة : ٦٥٥ ، ٦٧٢ ، ٦٩٩ .
 طريق الحجاز : ٦٤٨ .
 طريق مكة : ١٤١ .

٦٩٥ ، ٦٥١ ، ٦٤٥ ، ٦٤٤

المصيصة : ٤١ .

المغرب : ٩ ، ٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٦٧ ، ٣٩٤ .

مكة المكرمة : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٢ ، ٢٩٨ ، ٣٨٩ ،

٤٦٠ ، ٤٩٠ ، ٥٤٨ ، ٥٥٧ ، ٦٣٤ ، ٦٤٤ .

منيج (بلدة بالشام) : ٣٦٤ .

مقازة تيوك : ٦٤٨ .

النصورية = المصيصة .

الموصل : ١٥٧ ، ٤٩٧ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

(ن)

نجران : ٢٣٦ ، ٦١٦ .

نهر جيحون : ٥١٤ .

نهر عمر (نهر البصرة) : ٤٢٧ .

نهر القرات : ٣٧٨ .

النوبة : ٢٢٦ .

النيل (نيل مصر) : ٥٠٩ .

(هـ)

الحند : ٤٣ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٤٨٠ ،

٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٥٥٤ ، ٧٢٩ .

(و)

الوادي المقدس (طوى) : ٦٦٢ .

وشقة (مدينة) : ٦٨٥ ، ٦٨٦ .

(ي)

اليرومك (موضع بالشام) : ٣٦١ .

الجماعة : ٥٤٨ .

الين : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ٥٠٠ ، ٦٥٣ .

(كـ)

كابلستان (أفغانستان) : ٧٣٧ .

الكعبة = بيت الله الحرام .

كورة بلغ : ٣٩ .

كورة بوسو : ٢٢٦ .

كور خراسان : ٧٣٧ .

كور الشام : ٥٢٨ .

الكوفة : ١١٥ ، ٢٤٩ ، ٥٢٦ ، ٥٤٩ ، ٥٦٤ ،

٥٧٠ ، ٦٥٩ ، ٧١٦ .

(م)

مجمع البحرين : ٢٦٧ .

الملكان : ٥٢٤ ، ٧٣٨ .

المدرسة النظامية : ٥١٦ ، ٥١٧ .

ملكين : ٦٦٢ .

مدينة أصبهان = أصبهان .

مدينة حمص = حمص .

مدينة دمشق = دمشق .

مدينة السلام = بغداد .

مدينة سمرقند = سمرقند .

المدينة المنورة : ٥٦ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٨ ،

٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٧٠٨ .

المروة (جبل) : ٦٣٥ .

المسجد الجامع (بالإسكندرية) : ٦٤٧ .

المسجد الجامع (بالبصرة) : ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

مسجد مصر : ٢٦٨ .

مسجد النبي (ﷺ) : ٢١٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ ،

٥٠٦ .

المسعى (بين الصفا والمروة) : ١٣٨ .

مصر : ١٤٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢٩٨ ، ٣٦٨ ،

٤٩٦ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٦٢٤ .

(٦)

فهرس الجماعات والقبائل والأهم والطوائف

(أ)

أئمة محمد (ﷺ) : ١٣١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .
 الأمراء : ١٢ ، ١١٧ ، ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٦١٥ .
 أنبياء بنى إسرائيل : ٢٥ ، ٩٦ .
 الأنصار : ٣٦٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ،
 ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٣١ ، ٥٥٢ .
 أهل الإسلام = المسلمون .
 أهل إفريقية : ٦٤٦ .
 أهل البصرة : ١١٨ ، ٤٢٧ ، ٥٧٨ .
 أهل بيت النبوة (آل البيت) : ٧ ، ١٣٨ ، ٥٠١ .
 أهل الحجاز : ١٣٩ ، ٢٨٤ .
 أهل حصص : ٥٤٠ .
 أهل الخراج : ٤٩٧ .
 أهل خراسان : ٤٥٥ .
 أهل الدهر = الدهريون .
 أهل الذمة : ٥٤٢ ، ٥٥٠ .
 أهل الشام : ٥٣ ، ١٥١ ، ٤٧٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ،
 ٧٠٣ .
 أهل صقلية : ٧٠٠ .
 أهل العراق : ٤٧١ ، ٧٠٣ .
 أهل العلم = العلماء .
 أهل القرآن : ٥٤٧ .
 أهل القيروان : ٦٤٩ .
 أهل الكتاب = أهل الذمة .
 أهل الكوفة : ٥٤٩ .
 أهل المدينة : ١٥٦ ، ٥٦٥ .
 أهل مصر (الفرعونية) : ٥١٢ .

آل داود : (عليه السلام) : ١٤٦ ، ٤٢٨ .
 آل ساسان = ملوك الفرس .
 آل محرق = ملوك الحيرة .
 آل العباس = العباسيون .
 آل هاشم : ٦١١ .
 أئمة المسلمين : ٢١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٦ .
 إخوة يوسف (عليه السلام) : ٤١٣ ، ٥١٢ ،
 ٥٩٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ .
 أرباب القلوب = الصوفية .
 الأزارقة (فرقة من الخوارج) : ٣٢٥ ، ٦٨٢ .
 أشياخ الصعيد (صعيد مصر) : ١٩٠ .
 أصحاب الأحنف : ٣٤٨ .
 أصحاب التواريخ (المؤرخون) : ١٩١ .
 أصحاب سحنون : ٨٤ .
 أصحاب الشافعي : ١٨١ ، ٥٤٧ ، ٥٦٢ .
 أصحاب علي (كرم الله وجهه) : ٧٠٣ .
 أصحاب النبي (محمد) ﷺ = الصحابة .
 الأطباء : ٢٩٠ ، ٣٢٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٧٨ .
 الأعاجم = المعجم .
 الأقبال : (ملوك اليمن في الجاهلية) : ٧٠ .
 الأكاسرة = ملوك الفرس .
 الأمناء : ١٧٠ ، ٤١٣ ، ٥٠٨ .
 أمناء فرعون : ٥٠٨ .

٤٥٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ،

٥٠٢ ، ٥٨٢ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٨٥ ، ٧٠٣ ،

٧٣٧ ، ٧٣٨ .

جيوش ألى الفتى (ملك الترك) : ٥١٥ .

جيوش إفريقيا : ٦٩١ .

جيوش الصائقة : ٤٩٤ .

جيوش المسلمين (عسكر المسلمين) : ٦٨٥ ،

٦٨٦ ، ٦٩٢ .

(ح)

الحجازيون = أهل الحجاز .

الحكاماء (أهل الحكمة) : ٩ ، ١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٧٧ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ،

٣٢٤ ، ٣٦٠ ، ٣٩٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٥٧١ ،

٥٩٨ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٦٧ ،

٦٨٣ ، ٦٩٠ ، ٧١٠ ، ٧١٢ ، ٧٢٢ ، ٧٤٩ ،

٧٨٠ .

حكماء الروم : ٤٥٦ .

حكماء الصين : ٩ .

حكماء العجم (وانظر : حكماء الفرس) : ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٤٣٤ ، ٤٨٠ ،

٦٧٩ .

حكماء العرب : ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ،

٢٩٧ ، ٤٣٤ ، ٤٥٦ ، ٤٨٠ .

حكماء الفرس : ٤٥٦ ، ٤٨٣ ، ٤٩٠ .

حكماء الهند : ٢٥٤ ، ٣٠٩ ، ٤٥٦ ، ٤٧٣ ،

٦٧٠ .

حَمَلَة العلم = العلماء .

حَمَلَة القرآن : ٤٥٦ .

الحواريون (أصحاب عيسى عليه السلام) : ٦٠٦ .

(خ)

خزنة النيران : ٨ .

أهل مكة : ٢٩٩ .

أهل اليمن : ١٥٥ .

إثأد (قبيلة) : ٣٥ .

(ب)

البصريون = أهل البصرة .

البطارقة : ٢٤٦ .

بنو إسرائيل : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٩٠ ، ٤٦٧ ،

٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١٥ .

بنو الأصفر = ملوك الروم .

بنو الأغلب (من ملوك المغرب) : ٨٤ .

بنو أمية : ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٣٥١ ، ٤٧٦ .

بنو تغلب : ٥٤٤ .

بنو تميم : ٣٤١ .

بنو الحساس (قوم من العرب) : ٥٦٢ .

بنو زيد : ٦٧٤ .

بنو سعد (لى شعر) : ٣٤٣ .

بنو ضبة : ٥٠ .

بنو بحس : ٣٢٣ .

بنو عمرو بن عوف : ٥٢١ .

بنو كنانة : ٣٣٨ .

بنو مدلج : ٥٠٥ .

بنو مروان : ٢٢٩ .

بنو المصطلق : ٦١٢ .

بنو هاشم : ٥٧ .

(ت)

الصجار : ١٩٥ .

الترك (الأتراك) : ٥١٣ ، ٦٨٠ ، ٦٩٤ .

(ج)

جُباة الأموال : ٤٩٥ ، ٤٩٨ .

الجند (الجنود أو الأجناد) : ١٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

شيوخ الجند : ٦٧٢ .

(ص)

الصحابية (أصحاب النبي ﷺ) : ٢٣ ، ٢٠٩ ،

٢٦٨ ، ٣٦١ ، ٤٨٥ ، ٥٤٦ ، ٥٦٧ ، ٥٨٦ ،

٦٢١ ، ٦٩٠ .

الصوفية (الفقراء = أرباب القلوب) : ٣٦٩ ،

٥١٤ ، ٥١٧ ، ٥٢٥ .

الصينيون = أهل الصين .

(ض)

الضرابون (الذين يُعْتَبَرُونَ الْأَصْنَةَ) : ٥٤٩ .

(ع)

العُباد (وانظر الزهاد والصوفية) : ٥١٤ .

عُباد المدينة (بنو المنكسر) : ٣٧٧ .

العباسيون (آل العباس) : ٢٣١ ، ٣٥٠ .

عَبْدَةُ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْتَان : ٨ .

عبد القيس (قبيلة) : ٧٥ .

العجم (الأعاجم) : ٣٥١ ، ٣٩٤ ، ٤٧٨ ، ٥٤٥ ،

٥٥٨ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٧٠١ .

العرب : ٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٤ ،

٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٨٣ ، ٥٤٤ ، ٥٥٨ ، ٦١٠ ،

٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٨٢ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٢٠ ،

٧٤٩ .

الْعَرَقَاء : ١٦٧ ، ١٧٠ .

العلماء (حَمَلَةُ الْعِلْم) : ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٠٩ ،

١١٧ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ٢٠٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،

٢٣٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،

٢٨٧ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٤٣٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ،

٥١٤ ، ٥٤٨ ، ٥٧٤ ، ٦٠٣ ، ٦٤٨ ، ٧٢١ .

علماء المسلمين : ٥٥٠ ، ٦٦٣ .

العمال (القائمون على الجبايات ، والأمراء) : ١٦ ، ٣٢٧ ،

٥٠٦ ، ٥٣٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٦٠ ،

٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ .

خلفاء بني العباس : ٥٣٠ .

الخلفاء الراشدون : ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٧٢٦ .

الخوارج (وانظر الأزارقة) : ٧١٣ .

(ذ)

ذُءَاةُ الْعَرَب (الستة) : ٢٨١ .

الدهريون (أهل الدهر) : ٤٥١ ، ٦٠٩ .

(ر)

الرامة : ٦٩١ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٨ .

الروم : ٩ ، ٢٢٩ ، ٢٨٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٦٦٦ ،

٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٨٧ ، ٦٩٢ ، ٦٩٤ ،

٦٩٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠٢ .

(ز)

الزُّرَّاع (أو المزارعون أو الفلاحون) : ٤٥ ، ٤٩٦ ،

٤٩٧ ، ٤٩٨ .

الزُّهَّاد = أهل الزهد (وانظر الصوفية) : ٨٧ ،

٣٦٠ ، ٥١٤ .

(ص)

سدة بيوت الأصنام : ٨ .

سلاطين الأندلس = ملوك الأندلس .

سلاطين المغرب = ملوك المغرب .

السُّنْد (أمة السند) : ٩ ، ٧٢٠ .

السند هند : ٩ .

(ش)

الشاميون = أهل الشام .

الشُرط : ١٩٥ ، ٧١٧ .

الشمراء : ٦٦٣ .

الشيوخ : ١٩٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ .

شيوخ الأندلس : ٤٩٨ .

٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٥٨١ ،

٦١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٥٢ ، ٦٥٥ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ،

٦٧٢ ، ٦٧٤ ، ٦٧٩ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٩١ ،

٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ،

٧٠٢ .

المشركون : ٥٤٦ ، ٥٨٥ ، ٦٨٧ ، ٧٠٢ .

المكاشون : ٦٠٢ .

الملوك (أو السلاطين) : ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ،

١٦٠ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،

٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ،

٢٧٧ ، ٢٨٩ ، ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،

٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٤١٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ،

٤٦٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ،

٥١٣ ، ٥٩٨ ، ٦٩٧ ، ٧١٠ ، ٧٣٧ ، ٧٦٧ ،

٧٨٥ .

ملوك الإسلام : ٥٠١ .

ملوك الأندلس (سلاطين الأندلس) : ١٠١ ، ٥٠٢ .

ملوك بني إسرائيل : ٤٦ .

ملوك بني أمية : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٦٨٠ ، ٧٣٧ .

ملوك بني حمدان : ٦٥١ .

ملوك جنتير : ٢٤٣ .

ملوك الحيوة (آل عرق) : ٣٥ ، ٦٠ .

ملوك خراسان : ٣٩ ، ٤٠ .

ملوك الروم (بنو الأصغر) : ٣٥ ، ٢٨٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ .

٥٠٠ .

ملوك الصين : ٩ ، ٢٢٣ ، ٥٠٠ .

ملوك الطوائف : ٩ ، ٢٢١ ، ٣٥٤ ، ٥٠٠ .

ملوك الحمير (وانظر ملوك الفرس) : ١٦ ، ٢٢٠ ،

٣٢٢ ، ٧٢٠ .

ملوك الفرس (ملوك فارس) : ٢٢٧ ، ٣٣٧ ،

٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٥٦٠ ، ٧٢٨ .

ملوك المغرب : ٨٤ ، ١٩٥ .

ملوك الهند : ٢٢٣ ، ٥٠٠ .

المهاجرون : ٥٠٤ ، ٥٣١ ، ٥٤٠ .

(ف)

الفرس : ٩ ، ٣٥١ ، ٧٢٠ ، ٧٤٠ .

الفقراء = الصوفية .

الفقهاء : ١٣٤ ، ٢٦٣ ، ٣٢٤ ، ٤٥٥ ، ٥١٤ ،

٥٨٩ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

قهاء الأمصار : ٥٦٢ .

قهاء البصرة : ٤١٥ .

(ق)

القرء : ١٧٠ .

قريش : ١٥٦ ، ٤٨١ ، ٥٥٢ ، ٥٨٩ ، ٦٩١ .

القضاة : ١٢ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ،

١٨٢ ، ١٩٤ ، ٥٩٨ .

قوم عاد : ٩٧ .

قوم لوط (عليه السلام) : ٦٠٧ .

قوم يونس (عليه السلام) : ٦٠١ .

(ك)

كبراء فارس : ٣٣٧ ، ٣٥١ .

الكفار (عبدة الأوثان وأهل الكفر والإلحاد) :

٦٧٢ ، ٦٩١ ، ٦٩٩ ، ٧٠٢ .

الكفأة : ٥١٤ ، ٧٦٧ .

كلب (قبيلة) : ٣٣٩ .

الكنعاء : ٦٨٤ .

كهنة فرعون : ٥٠٨ .

(م)

المثلمون (المثلمون) : ٤٩٩ .

المرازبة : ٣٢٢ ، ٧٣٥ .

المسلمون : ١١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،

٣٢٧ ، ٣٦٨ ، ٤٦٥ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ،

٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ،

٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ،

المهندسون : ١٠٢ .

(و)

وجوه البصرة (أعيان البصرة) : ٥٥٧ .

وجوه قرطبة : ٦٥٣ .

الوزراء : ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٩٥ ،

٢٤٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

٣٢٠ ، ٤١٣ ، ٥١٣ ، ٧٣٥ .

الوعاظ : ١٨٠ ، ٧٤٠ .

وفد عبد القيس : ٧٥ .

الولاة (وانظر العمال) : ١٢ ، ١٦ ، ١٥٩ ،

١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٩ ، ٣٥٨ ، ٤٩٨ ،

٥٥١ .

(ي)

اليهود : ٣٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

(ن)

النسك : ١٥٤ ، ٥٨٤ .

النصارى (وانظر أهل الذمة) : ٣٦٨ ، ٥٤٢ ،

٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٦٧٣ .

نصارى أهل الشام : ٥٤٢ .

(هـ)

الحند (الحنود) : ٩ .

...

(٧)

مصادر ومراجع التحقيق والتعليق ،

القرآن الكريم (٥) .

أبو بكر الطرطوشي ، العالم الزاهد النائر ، للدكتور جمال الدين الشيال ، سلسلة أعلام العرب
رقم ٧٤ - القاهرة ١٩٦٨ م .

أبو جعفر المنصور ، لعبد السلام رسم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .
الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ترتيب علاء الدين الفارسي وضبط كمال الحوت ، دار الكتب
العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

الأحكام السلطانية ، للماوردي ، دار الفكر - القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة .
أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، تحقيق محمد فتحى أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ،
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

أمد الغاية فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور ، دار الشعب -
القاهرة ، ١٩٧٠ م .

إشارة التحين فى تراجم النحاة واللغويين ، لعبد الباقى الجمانى ، تحقيق د . عبد المجيد دياب ، مركز
الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
إعجام الأعلام ، لمحمود مصطفى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج ، تحقيق إبراهيم الأبيارى - دار الكتاب المصرى - اللبنانية ،
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

الأعلام ، للزركلى ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٦ م .
أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ، للدكتور جمال الشيال ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥ م .
أعلام النساء ، لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
الأغاني ، لأبى الفرج الأنصبانى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الشعب - القاهرة ١٣٨٩ هـ -
١٩٦٩ م .

(٥) يقتضى الترتيب الأبجدي وضع كتاب الله تعالى فى حرف القاف ، وقد قدمناه هنا احكاماً وتقديراً .

- أفلاطون ، للدكتور أحمد قزاد الأهواني ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .
- الإكمال ، لابن ماكولا ، دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٩٦٢ م .
- أمالي السيد المرتضى ، ضبط وتعليق السيد محمد بلر الحلبي ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٢ م .
- الإمامة والسياسة ، لابن تقيي ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- إيران والعراق في العصر السلجوقي ، للدكتور عبد النعم حسنين ، دار الكتاب المصري - اللباني - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- بغية الملمص في تاريخ رجال الأندلس ، للضبي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري - اللباني القاهرة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل - بيروت .
- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، لابن حمزة الحسيني ، المكتبة العلمية - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- تاج العروس ، للزبيدي ، المطبعة الخيرية بالجمالية - مصر ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، للدكتور شوق ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، للدكتور شوق ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، للدكتور السيد عبد العزيز سالم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، للدكتور أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ م .
- تاريخ الدولة الفاطمية ، للدكتور حسن إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨١ م .
- تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٩ م .

تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، للدكتور جمال الشئال ، دار المعارف - القاهرة

١٩٦٧ م .

تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، دار إحياء التراث العربى ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٦٨ م .

الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذرى ، بتعليق مصطفى عمارة ، دار الحديث - القاهرة ١٤٠٧ هـ

- ١٩٨٧ م .

تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

تفسير القرآن الكريم ، لمحمد حمزة وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .

تفسير القرطبي ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ، دار الشعب - القاهرة .

تتمثال الأمثال ، لأبى المحاسن الشيبى ، تحقيق الدكتور أسعد ذبيان ، دار المسيرة - بيروت ١٤٠٢ هـ

- ١٩٨٢ م .

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف -

القاهرة ١٩٨٥ م .

الجاحظ ، حياته وآثاره ، للدكتور طه الحاجرى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .

جامع كرامات الأولياء ، ليوسف النبهانى ، تحقيق إبراهيم عطوة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي

- القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ .

الجدول فى إعراب القرآن ، تصنيف محمود صافى ، دار الرشيد - دمشق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

جدوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس ، لأبى عبد الله الحميدى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار

الكتاب المصرى - اللبناني - القاهرة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

جهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسى ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة

١٩٨٢ م .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبى نعيم الأصفهاني ، دار الفكر - بيروت .

حياة الصحابة ، لمحمد بن يوسف الكاندهلوى ، المكتبة الإسلامية بالأزهر - القاهرة .

حياة الحيوان الكبرى ، للدميرى ، مصطفى البابى الحلبي - القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

خزانة الأدب ، للبغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ م .

دائرة المعارف الإسلامية ، لجامعة من المستشرقين ، ترجمة الشتناوى وآخرين - دار الشعب - القاهرة .

دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدى ، دار المعرفة - بيروت ١٩٧١ م .

دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، للدكتور محمود قاسم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ م .
درة الفواص فى أوهام الخواص ، للحريزى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٥ م .

الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ، لحمزة الأصبهانى ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .

ديوان الأمير أبى العباس عبد الله بن المعز ، تحقيق الدكتور محمد بدیع شريف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

ديوان أبى الحامية ، دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

ديوان أبى نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ديوان الإمام على ، تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجى ، دار ابن زيدون - بيروت .
ديوان الإمام على ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم - بيروت .

ديوان الإمام على ، ضبط وشرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية - بيروت .

ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .

ديوان بشار بن بُرد ، شرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ،
والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر - تونس ١٩٧٦ م .

ديوان بشار بن بُرد ، تحقيق وتعليق محمد الطاهر ومحمد رفعت فتح الله ومحمد شوق أمين ، لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

ديوان أبى تمام ، بشرح الخطيب التبريزى ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٦ م .

ديوان قميم بن المعز ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣ م .

ديوان حسان بن ثابت ، بشرح محمد العنانى ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٣١ هـ .

ديوان الخواص ، جمع وتحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الشروق - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- ديوان دريد بن الصَّعَّة ، تحقيق الدكتور عمر عيد الرسول ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٥ م .
- ديوان الشريف الرضى ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت .
- ديوانا عروة بن الورد والمُتَوَّال ، دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر - بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ديوان كعب بن زهير ، تحقيق وشرح على فاعور ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٥ م .
- رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعرى ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ، دار المعارف - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم القشيري ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٧٢ م .
- الزهد ، لأحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- سنن أبي داود ، لأبي داود السجستاني ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية - بيروت .
- سنن الدارمي ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، دار إحياء السنة النبوية - القاهرة .
- سنن النسائي ، بشرح جلال الدين السيوطي ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- صور أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- سيرة النبي - ﷺ ، لابن إسحاق ، وعهد بن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة صبيح - القاهرة ١٩٧١ م .
- شذوات الذهب ، لابن العماد الحنبل ، دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- شرح ديوان أبي الطَّيِّب المتصفي ، لأبي العلاء المعرى ، المعروف « بمعجز أحمد » ، تحقيق الدكتور عبد المجيد دهاب ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- شرح ديوان الفرزدق ، لإيليا الحواي ، دار الكتاب اللبناني - ١٩٨٣ م .
- شرح ديوان المتصفي ، لعبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر الأنباري ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، لأبى أحمد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي - القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاکر ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .
شعراء النصرانية في الجاهلية (*) ، للأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٨٢ م .
الصبح المنبئ عن حيشة المتبى ، للشيخ يوسف البديعى ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

الصباح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

صحيح البخارى ، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، دار الشعب - القاهرة .
صحيح الترمذى ، بشرح ابن العرى ، دار الكتاب العربى - بيروت .

صحيح مسلم ، بشرح النووى ، دار إحياء التراث العربى - بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
الصلة ، لابن بشكوال ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى - القاهرة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

صور من حياة الرسول ، أمين دويدار ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨ م .
طبقات الأولياء ، لابن الملتن ، تحقيق نور الدين شريعة ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

طبقات الحفاظ ، للسيوطى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨ م .
طبقات الشافعية ، لابن هداية الله الحسينى ، وبذيله «طبقات الفقهاء» للشيرازى ، دار القلم بيروت .

طبقات الصوفية ، لأبى عبد الرحمن السلمى ، بتحقيق نور الدين شريعة ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار بيروت - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
الطبقات الكبرى ، للشعرانى ، دار الجيل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(*) ليس كل ما ورد بهذا الكتاب من الشعراء يدينون بالنصرانية .

طبقات المفسرين ، لشمس الدين الداودى ، مراجعة لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠ هـ - ١٩٨٣ م .

طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٤ م .

العبر في خبر من غير ، للذهبي ، بتحقيق أنى هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

علل الحديث ، للإمام أنى محمد عبد الرحمن الرازى ، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

الملل المتنامية فى الأحاديث الواهية ، لابن الجوزى ، ضبط الشيخ خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

عمرو بن العاص ، لعباس محمود العقاد ، دار الهلال - القاهرة .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٣ م .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

غزوات الرسول ومراياه ، لابن سعد ، بتقديم أحمد عيد الغفور عطار ، دار بيروت - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

الفاروق عمر ، للدكتور محمد حسين هيكل ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .

فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، بتحقيق عبد العزيز بن باز وآخرين ، دار المعرفة - بيروت .

فقه اللغة ومر العربية ، لأنى منصور الثعالى ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

فوات الوفيات ، لحمد بن شاکر الکتبى ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ١٩٧٣ م .

الفصل فى ألوان الجموع ، عباس أبو السعود ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، لحمد رمزى ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٤ م .

قاموس الفارسية ، للدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، دار الكتاب المصرى اللبنانى - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، دار المأمون - القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
قصص الأنبياء ، لابن كثير ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

قصص الأنبياء ، لعبد الوهاب النجار ، دار الرائد العربى - بيروت .
قصص الأنبياء ، بإشراف محمد أحمد برانق ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣ م .
قضاة قرطبة ، لأبى عبد الله الخشنى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

القطامى - حياته وشعره ، للدكتور زكى عابدين غريب ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير ، بتعليق ومراجعة نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

كتاب الأمالى ، لأبى على القالى ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربى ، دار الجليل - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

كتاب التاريخ الكبير ، للبخارى ، دار الكتب العلمية - بيروت .
كتاب الصريقات ، للجرجانى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

كتاب الجرح والصدى ، لابن أبى حاتم الرازى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحدرآباد - الهند ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .

كتاب الحراج ، لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٩٧ هـ .
كتاب دول الإسلام ، للذهبى ، تحقيق فهم شلتوت وعبد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٤ م .

كتاب السبعة فى القراءات ، لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوق ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٠ م .

كتاب السنن الكبرى ، للبيهقى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحدرآباد - الهند ١٣٤٤ هـ .
كتاب الضعفاء الصغير ، للبخارى ، تحقيق بوران الضناوى ، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

كتاب الضعفاء الكبير ، للعقلى ، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

كتاب طبقات المحترلة ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق موسستہ ديفلد - فلزر ، دار مكتبة الحياة - بيروت .

كتاب فوح البلدان ، للبلاذرى ، شركة طبع الكتب العربية - القاهرة ١٣١٨ هـ .

كتاب كيلة ودمنة ، لابن المقفع ، بتعليق وضبط الشيخ خليل اليازجى ، المطبعة الأدبية - بيروت ١٩٠٧ م .

كتاب المُحَبَّر ، لابن حبيب ، دار الآفاق الجديدة - بيروت .

كتاب المراءظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، للمقريزى ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٨٧ م .

كتاب نسب قریش ، للمصعب الزبيرى ، نشرة بروفيسال ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .

كتاب الوحشيات ، لأبى تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠ م .

الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزخشري ، دار المعرفة ، بيروت .

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة - استانبول ١٣١١ هـ .

كشف المغجوب ، للهجویری - مترجم عن الإنجليزية - تحقيق ومراجعة الدكتور إبراهيم شتا وإسماعيل ماضى أبو العزائم ، دار التراث العربى - القاهرة ١٩٧٧ م .

لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .

لقمان الحكيم ، لعبد الله كنون ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .

مجالس نعلب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٠ م .

مجمع الأمثال ، للميدانى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

مجمع البحكم والأمثال فى الشعر العربى ، لأحمد قبش ، دار الرشيد - دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيتمى ، بتحريه الحافظين : العراقى ، وابن حجر ، المعارف - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

المهر فى الحديث ، لأبى عبد الله الحنبلى ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن وآخرين - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

مختار الصحاح ، للرازى ، مراجعة وتحقيق لجنة من العلماء ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٣ م .

مروج الذهب ، للمسعودى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

المصباح المنير ، للفيومى ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

- المعارف ، لابن قتيبة ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموى ، دار بيروت - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب - القاهرة .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، ترتيب وتنظيم ليف من المستشرقين ، نشر د . ونسك ، طبعة بريل - لندن ١٩٣٦ م .
- معجم مقيدات ابن خلكان ، لعبد السلام هارون ، مكتبة الخفاجى - القاهرة ١٩٨٧ م .
- المعجم الفلسفى ، للدكتور جميل صليبا ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٢ م .
- معجم قبائل العرب ، لعمر كحالة ، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- معجم المؤلفين ، لعمر كحالة ، دار إحياء التراث العربى - بيروت .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار المعارف - القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- المغرب فى حُلَى المغرب ، لابن سعيد المغربى ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨ م .
- المغنى فى توجيه القراءات العشر ، للدكتور محمد سالم محيسن ، دار الجبل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- المغنى فى ضبط أسماء الرجال ومعرفة كُنى الرواة وألقابهم وأنسابهم ، للمحدث محمد بن طاهر ابن على الهندى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد على ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٦ م .
- مقاصد الفلاسفة ، للغزالي ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف - القاهرة .
- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن خلدون المغربى ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٢ م .
- الجلل والتخل ، للشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، لابن رشد ، تحقيق الدكتور محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٩ م .
- مناهج اليقين ، شرح أدب الدنيا والدين ، لأويس وفا الأرنجائى ، طبعة الآستانة - ١٣٢٨ هـ .
- منهج عمر فى التشريع ، للدكتور محمد بلتاجى ، دار الفكر العربى - القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

موارد الظمآن إلى زوائد ابن جيان ، للهيثي ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية - بيروت .

الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري ، للآمدى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف - القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

الموسوعة الفلسفية المختصرة ، بإشراف الدكتور زكي نجيب محمود ، دار القلم - بيروت .
ميزان الاعتدال ، للذهبي ، تحقيق علي الجاوي ، دار المعرفة - بيروت .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري بردى ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

نصيحة الملوك ، للماوردي ، تحقيق محمد جاسم الحريشي ، دار الحرية ، والشئون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٦ م .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، للقلقشندي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري اللبناني - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

نهج البلاغة ، بشرح الشيخ محمد عبده ، دار البلاغة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
نهج البلاغة ، ضبط وتحقيق الدكتور صبحي الصالح ، دار الكتاب اللبناني - ١٩٨٣ م .
الورقة ، لابن الجراح ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد ، دار المعارف - القاهرة .

والموعود الله ، لخالد محمد خالد ، دار ثابت - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
وليات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت .
بيتمة الدهر ، للثعالبي ، المطبعة الحنفية - دمشق .

(٨)

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم بقلم الدكتور شوقي ضيف
١١	مقدمة المحقق
١١	تنويه
١٢	مؤلف الكتاب : نسبه ونشأته
١٤	رحيله لطلب العلم وأساتذته
١٤	الطرطوشى فى مكة
١٥	الطرطوشى فى بغداد
١٦	اتجاه الطرطوشى إلى التصوف
١٧	الطرطوشى فى البصرة
١٨	الطرطوشى فى الشام
٢٠	الطرطوشى فى مصر
٢١	الطرطوشى فى الإسكندرية
٢٣	موعظة الطرطوشى للملك الأفضل
٢٤	الطرطوشى وابن حديد
٢٥	الأفضل ، يحدد إقامة الطرطوشى
٢٦	الطرطوشى والمأمون البطائحي
٢٨	تلاميذ الطرطوشى
٢٨	سند بن عنان

الموضوع

الصفحة

٢٩ أبو الطاهر بن عوف
٢٩ أبو بكر بن العري
٣٠ المهدي بن تومرت
٣١ مؤلفات أبي بكر الطرطوشي
٣١ مختصر تفسير الثعالبي
٣٢ الكتاب الكبير في مسائل الخلاف
٣٢ شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني
٣٢ كتاب الأسرار
٣٢ كتاب يعارض به كتاب الإحياء
٣٣ رسالة في تحريم جبن الروم
٣٤ الحوادث والبدع
٣٤ كتاب الفتن
٣٤ كتاب بر الوالدين
٣٤ رسالة في تحريم الغناء واللهر على الصوفية
٣٤ كتاب تحريم الاستمناء
٣٤ كتاب نزهة الإخوان المتحابين في الله
٣٤ رسالة العدة عند الكرب والشدة
٣٤ حاشية على إثبات الواجب
٣٤ كتاب الدعاء
٣٤ كتاب النهاية في فروع المالكية
٣٥ كتاب نفائس الفنون
٣٥ اختصار كتاب « أخلاق رسول الله ﷺ »
٣٥ جزء فيه منتخب من عيون خصائص العباد

٣٥ ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الغنى والفقر
٣٥ رسالة أنى بهكر الطرطوشى إلى ابن تاشفين
٣٥ المجالس
٣٥ صراج الملوك
٣٥ الهدف من تأليفه
٣٥ الكتب المصنفة على منواله
٣٧ منهج الطرطوشى في تأليف الكتاب
٣٨ مخطوطات الكتاب وطبعاته
٣٩ وصف نُسخَتَي التحقيق
٣٩ وصف نسخة المطبعة الخيرية
٤١ وصف مخطوطة الكتاب
٤٣ منهج التحقيق
٣ مقدمة المؤلف
١٧ الباب الأول : في مواعظ الملوك
١١٧ الباب الثاني : في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين
١٥٩ الباب الثالث : فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الفرر والخطر .
١٧٨ الباب الرابع : في بيان معرفة مُلك سليمان بن داود ، عليهما السلام ، ووجه طلبه المُلك وسؤاله أن لا يُؤْتى لأحد من بعده
١٨٢ الباب الخامس : في فضل الولاة والقضاة إذا عدلوا
١٩٣ الباب السادس : في أن السلطان مع رعيته مقبون غير غابن ، وخاسر غير رابع
١٩٨ الباب السابع : في بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض
٢٠٢ الباب الثامن : في منافع السلطان ومضارّه

٢٠٥	الباب التاسع : فى بيان منزلة السلطان من الرعية
	الباب العاشر : فى بيان معرفة خصال وَرَدَ الشرع بها ، فيها نظام المُلْك
٢٠٨	والدول
	الباب الحادى عشر : فى بيان معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ،
٢١٣	ولا ثبات له دونها
	الباب الثانى عشر : فى التتصيص على الخصال التى زعم الملوك أنها أزالـت
٢٢٥	دولتهم وهدمت سلطانهم
	الباب الثالث عشر : فى الصفات الذاتية التى زعم الحكماء أنها لاتدوم
٢٣٢	معها مملكة
٢٣٩	الباب الرابع عشر : فى الخصال المحمودة فى السلطان
٢٤٣	الباب الخامس عشر : فيما يَحْزُنُ به السلطان
٢٤٦	الباب السادس عشر : فى ملاك أمور السلطان
٢٤٩	الباب السابع عشر : فى خير السلطان وشر السلطان
٢٥٢	الباب الثامن عشر : فى منزلة السلطان من القرآن
٢٥٤	الباب التاسع عشر : فى خصال جامعة لأمر السلطان
٢٦٠	الباب المؤلفى عشرين : فى الخصال التى هى أركان السلطان
٢٦٢	الباب الحادى والعشرون : فى بيان حاجة السلطان إلى العلم
٢٦٩	الباب الثانى والعشرون : فى وصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب
٢٧٢	الباب الثالث والعشرون : فى العقل والدهاء والمكر
٢٨٧	الباب الرابع والعشرون : فى الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم
٢٩٦	الباب الخامس والعشرون : فى المجلساء وآدابهم
	الباب السادس والعشرون : فى بيان معرفة الخصال التى هى جمال
٣٠٥	السلطان

٣١٩١	الباب السابع والعشرون : فى المشاورة والنصيحة
٣٣٢	الباب الثامن والعشرون : فى الحلم
٣٥٣	الباب التاسع والعشرون : فيما يَسْكُن به الغضب
٣٥٨	الباب الثلاثون : فى الجود والسخاء
٣٨٦	الباب الحادى والثلاثون : فى بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما
٣٩٠	الباب الثانى والثلاثون : فى الصبر
٤١٣	الباب الثالث والثلاثون : فى كتمان السر
	الباب الرابع والثلاثون : فى بيان الخصلة التى هى رهن بسائر الخصال ، وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذى الجلال - وهى الشكر
٤٢٣	الباب الخامس والثلاثون : فى بيان السيرة التى يصلح عليها الأمير والمأمور ، ويستريح إليها الرئيس والمرعوس ، مستخرجة من القرآن العظيم ..
٤٤٣	الباب السادس والثلاثون : فى بيان الخصلة التى فيها غاية كمال السلطان ، وشفاء الصدور ، وراحة القلوب ، وطيبة النفوس
٤٥٠	الباب السابع والثلاثون : فى بيان الخصلة التى فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ، ومقفل السلاطين عند اضطراب الأمور وتغير الوجوه والأحوال
٤٥٤	الباب الثامن والثلاثون : فى بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان
٤٥٨	الباب التاسع والثلاثون : فى مثل السلطان العادل والجار
٤٦٠	الباب العاشر والأربعون : فيما يجب على الرعية إذا جار السلطان
٤٦٢	الباب الحادى والأربعون : فى : كما تكونون يؤلى عليكم
٤٦٧	الباب الثانى والأربعون : فى بيان الخصلة التى تصلح بها الرعية
٤٧٠	الباب الثالث والأربعون : فيما يملك السلطان من الرعية
٤٧٧	الباب الرابع والأربعون : فى التحذير من صحبة السلطان
٤٨٠	الباب الخامس والأربعون : فى صحبة السلطان
٤٨٥	الباب الحادى والأربعون : فى صحبة السلطان

٤٩٢ الباب السادس والأربعون : في سيرة السلطان مع الجند
٤٩٥ الباب السابع والأربعون : في سيرة السلطان في استجباء الخراج
٥٠٠ الباب الثامن والأربعون : في سيرة السلطان في بيت المال
 الباب التاسع والأربعون : في سيرة السلطان في الإنفاق من بيت المال ،
٥٢٠ وسيرة العمال
 الباب الموفى خمسين : في سيرة السلطان في تدوين الدواوين ، وفرض
٥٣٣ الأرزاق ، وسيرة العمال
٥٤٢ الباب الحادى والخمسون : في أحكام أهل الذمة
٥٥١ الباب الثانى والخمسون : في بيان الصفات المعتبرة في الولاة
 الباب الثالث والخمسون : في بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على
٥٦٠ العمال
٥٦٩ الباب الرابع والخمسون : في هدايا العمال والرشا على الشفاعات
٥٧٣ الباب الخامس والخمسون : في معرفة حُسن الخُلُق
٥٩١ الباب السادس والخمسون : في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته
 الباب السابع والخمسون : في تحريم السعاية والتميمة وقبحهما ، وما يؤول
٦٠٩ إليه أمرُهُما من الأفعال الرديئة والعواقب الذميمة
٦٢٢ الباب الثامن والخمسون : في القصاص وحكمته
٦٣٣ الباب التاسع والخمسون : في الفرج بعد الشدة
 الباب الستون : في بيان الخصلة التى هى أم الخصال وينبوع الفضائل ،
	وَمَنْ فَقدها لم تكمل فيه خصلة - وهى الشجاعة ، ويُعبّر عنها بالصبر ،
٦٦٧ ويُعبّر عنها بقوة النفس
٦٧٧ الباب الحادى والستون : في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها ...
٧٠٦ الباب الثانى والستون : في القضاء والقدر والتوكل والطلب

٧٢٠ (وهو يشتمل على خمسة فصول)	الباب الثالث والستون : وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم
٧٥٧	الباب الرابع والستون : مشتمل على حِكَمٍ مثورة
٧٨٩	فهارس الكتاب
٧٩١	١ - فهرس الآيات القرآنية
٨٠٦	- فهرس الأحاديث النبوية
٨١٦	فهرس القوافي
٨٢٧	فهرس الأعلام
٨٤٤	فهرس الأماكن والبلاد والبقاع
٨٤٨	فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف
٨٥٣	مصادر ومراجع التحقيق والتعليق
٨٦٤	فهرس المحتويات

* * *

عم الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه ، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً .

* * *